شرح نهج البلاغة

مؤلفه كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني

هذا المجلد الاول من كتاب
ميثم رحمه الله
تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك اللهم وبحمدك توحدت في ذاتك فحسر عن ادراكك لسان كل عارف وتفردت في صفاتك فقصر عن مدحك لسان
كل واصف ظهرت في بدائع جودك فشهدت بوجوب وجودك حاجة كل قابل وبهرت بعز جلالك فالكل في نور جمالك مضمحل وا
حاط علمك فلم يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وتعددت الاؤك فتعددت انواعها حد التحديد والاحصاء خلقت
الدنيا معبرا لمستعد فيه خلقك للسباق الى حضرة قدسك وايدتهم بالرسل ليسلكوا بهم افضل السبل الى بساط انسك ونبهت
كلا لما خلق له فبعض لنعمائك منكرون وعن عبادتك مستكبرون وبعض بضروب احسانك معترفون وعلى باب كعبة جودك معتكفون
سبحانك انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون سبحانك عما يقول الظالمون وتعاليت عما يصفون اسبحك بلسان الحال والمقال
بالعشي والابكار واحمدك على كل حال اناء الليل واطراف النهار واشهد ان لا اله الا انت حاذفا كل ما سواك عن درجة الاعتبار مخلصا
لجلالك وجهتي في طوري الاعلان والاسرار واشهد ان محمدا عبدك المختار وصفوة انبيائك الاطهار الذي بعثته بالانوار الساطعة
وايدته بالبراهين والحجج القاطعة وجعلته للعالمين بشيرا ونذيرا وداعيا اليك باذنك سراجا منيرا اللهم فصل عليه صلوة دائمة
نامية وافية كافية ما تعاقبت الاوقات ودامت الارض والسموات وعلى آله الطاهرين المنتجبين ينابيع الحكمة واساطين الدين وعلى اصحابه
الاكرمين وسلم عليهم اجمعين **اما بعد** فلما كان [illegible] الاول من بعثة الانبياء والرسل والكتب الالهية والنواميس الشرعية
انما هو جذب الخلق الى الواحد الحق ومعالجة نفوسهم من [illegible] الجهل وعلق هذه الدار والتفاتها الى حظائر القدس من منازل الابرار
وحمايتها ان ترد موارد الهلاك اذ كانت من ذلك على خطر وتشويقها الى ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتنبيهها
من مراقد الطبيعة ونوم الغافلين بتذكيرها ما اخذ عليها من العهد القديم الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو
مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ثم ما يلزم ذلك المقصود من تدبير احوال المعاش البدني وسائر اسباب البقاء التي
الادناني وكان امامنا سيد الوصيين ذو الآيات الباهرة والانوار الظاهرة علي بن ابي طالب عليه السلام في جميع ما نقل عنه من الكلام وصدر
عنه من الافعال والاحكام قاصدا الجميع ما تضمنه الشرع الكريم من الاغراض والمقاصد باسطا لما اشتمل عليه القرآن الحكيم من
القوانين والقواعد حتى لن توجد له كلمة في غير هذا السبيل كما سنبين ذلك عن قليل ونوضحه بالتفصيل فلا جرم كان كلامه
الكلام الذي عليه مسحة من الكلام الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي ولم يزل كلامه عليه السلام مبثوثا في صدور الرواة
منتشرا في ايدي المهتدين والغواة تحاول اعداؤه ان تخفي مشهوره ويابى الله الا ان يتم نوره الى ان عضد الله الاسلام بوجود السيد

بن

الإمام الرضي محمد بن الحسين الموسوي قدس الله سره ونور ضريحه فاجتنى من كلام جده الزاكيات وجمع منه ما كان في حيز الشتات وبالغ
في تدوين محاسنه بقدر الاستطاعة وسمى مجموعه نهج البلاغة فجاء الاسم وفق المسمى واللفظ طبق المعنى فجزاه الله عن العلماء خير الجزاء
وحباه من وظائف الفضل الجزيل الحباء ثم اني لما كنت عبدا من عباد الله آتاني رحمة من عنده وعلمني قوة اسلك بها سبيل قصده و
كنت قد جعلت هذا الكتاب بعد كتاب الله وكلام رسوله مصباحا استضيء به في الظلمات وسلما اعرج به الى طباق السموات كنت في اثناء
وقوفي على شيء من اسراره واكتحالي بسواطع انواره اتأسف على من يعرض عنه جهلا واتلهف ان لا اجد له اهلا الى ان قضت صروف الزمن
بمفارقة الاهل والوطن واوجبت تقلبات الايام دخول دار السلام فوجدتها نزهة للناظر وآية للحكيم القادر بانتهاء احوال تدبيرها
والقاء مقاليد امورها الى من خصه الله تعالى باشرف الكمالات الانسانية وملكه ملكات الفضائل النفسانية فهو امرؤ مثلت طبيعته
من طينة الفضل حين يستتب فالعلم والجود والشجاعة والعفة والعدل منه بكسب ثم هو من سخره الله لاستكفاء امور عباده وبلاده
وجعلها مطاوعة لانقياده فاوامره العالية تسري فيها مسرى الارواح في الاجسام وآراؤه الصائبة تجري فيها مجرى الصحة بعد
السقام الذي جاز على المناقب ففاز باسنى المطالب سما بهمته الثواقب فامن من غوائل العواقب الذي بدرت اقمار العلوم بدولته
السعيدة بعد الافول في غيابات الجهالة وسطع صبح الحق بطلعته الحميدة من افق الضلالة ورفع ذيول ظلام الظلم فجر عدله و
ازهر روض الرغائب بفيض سحائب فضله المشيد لاركان الاسلام بعد التداعي للانهدام المجدد من آثار الايمان ما محاه طوفان الطغيان
صاحب ديوان الممالك السالك الى اقرب المسالك علاء الحق والدين عطا ملك بن الصاحب المعظم والمولى المكرم الفائز بلقاء رب
العالمين ومجاورة الملائكة المقربين بهاء الدنيا والدين محمد الجويني ضاعف الله جلاله وخلد اقباله وحرس عزه وكماله وابد
فضله وافضاله ومتع في عمره وامده بتوفيقه وشد ازره بدوام عز صنوه وشقيقه الذي فاق ملوك الآفاق بعلو القدر وكمال
العز والفخر وصيانة العلم والادب ونفاذ العقل والحسب الذي ملأ الاسماع بجميل اوصافه وافاض بغيث الاحسان بحر
الطافه واسنى بها طل وابل بذله ما قيل من قبله في الكرم واهله **شعر** هو البحر من اي النواحي اتيته فلجته المعروف والجود
ساحله تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه انامله ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله ثم هو
من جمع الله له بين الحكمة والسلطان وزاده بسطة في المرتبة وعلو الشان ذو النفس القدسية والخلائق الانسية والاعراق الزكية
والاخلاق الرضية والهمم الابية والمقاصد السنية مولى ملوك العرب والعجم دستور ممالك العالم شمس الحق والدين غياث الاسلام
والمسلمين محمد بلغه الله اقصى مراتب الكمال ووفقه لبلوغ الآمال في الحال والمآل فانهما لهذه الامة بدران مشرقان يستضاء بانوارهما
وبحران زاخران يغترف من تيارهما وطودان شامخان يستعاذ باقطارهما وعمادان يقوم بهما في الوجود اركان الايمان وصارمان يصول
بهما الدين القيم على سائر الاديان فجزاهما الله عن الاسلام واهله افضل جزاء المحسنين وخصهما الله من وظائف فضله باكمل ما اعده
لعباده الصالحين وقرن سعادتهما بالدوام والاستمرار وعضد دولتهما بمطاوعة الاقضية والاقدار وصان دولتهما عن حوادث الايام
وآفاتها وجعل نتائج افعال اعدائهما تابعة لاخس مقدماتها هذا ولما اتفق اتصالي بخدمته وانتهيت الى شرف حضرته احلني من
انسه محلا الهى النفس عن اشتهى مآربها وامطرني من سحائب جوده نعماء تشبه الصور الفائضة من واهبها فاجرى في بعض محافله
الكريمة من مدح هذا الكتاب وتعظيمه وتفضيله وتفخيمه ما علمت معه انه اهله الذي كنت اطلب والعالم بقدره ومحله من بين الكتب و
توسمت في تضاعيف ذلك تشوق خاطره المحروس الى كشف حقائقه والوقوف على اسراره ودقائقه فاحببت ان اجعل شكري لبعض نعمه السابغة
ومننه المتوالية المتلاحقة ان اخدم سامي مجلسه بتهذيب شرح مرتب على القواعد الحقيقية مشحون بالمباحث اليقينية ابين فيه على
ما لاح لي من رموزه واكشف ما ظهر لي من دفائنه وكنوزه وقد سبقني الى شرح هذا الكتاب جماعة من اولي الالباب والناقد المسدد
للصواب يميز القشر من اللباب والسراب من الشراب وشرعت في ذلك بعد ان عاهدت الله سبحانه اني لا اصرف فيه متابعا غير الحق ولا اركب
هوى لمراعاة احد من الخلق فان وافق الراي الاعلى فذلك هو المقصد الاقصى والا فالعذر ملتمس مقبول والعفو منه مامول والى العذر
الى اهل الفضل في سد ما يجدونه من خلل وستر ما يقفون عليه من زلل فاني مع ضعف جناحي عن سلوك هذا المطار الذي هو
مسرح نفوس الاولياء الابرار ومجال انظار الحكماء الكبار مقتحم الافكار وراكب مطايا الاسفار وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم
الوكيل وقبل الخوض في المطلوب لا بد من تقديم مقدمة يستعان بها على ما عسى ان اذكره من المباحث في هذا الشرح ان شاء الله تعالى اما
المقدمة فاعلم ان كلامه عليه السلام يشتمل على مباحث عظيمة تتشعب من علوم جليلة يحتاج المتصدي للخوض فيه وفهم ما يشرح منه
بعد جودة ذهنه وصفاء قريحته الى تقديم ابحاث تعينه على الوصول الى تلك المقاصد ولما ابرز عليه السلام مقاصده في الفاظ خطابية
اما منطوق بها او مسكوت عنها تعين ان اذكر من مباحث الالفاظ قدرا مست الحاجة اليه ثم اشير الى بيان معنى الخطابة وما يتعلق بها ليكون ذلك
معينا للناظر في كلامه عليه السلام على ملاحظة فوائده ومطالعة اسراره وحقائقه ثم الحق ذلك بالاشارة الى ما يتعلق به عليه السلام من الفضائل

جرم رتبت هذه المقدمة على ثلث قواعد **القاعدة الأولى** في مباحث الألفاظ وهي مرتبة على قسمين **القسم الأول** في دلالة الألفاظ وأقسامها وأحكامها وفيه فصول **الفصل الأول** في دلالة اللفظ على المعنى وفيه أبحاث **البحث الأول** دلالة اللفظ إما على تمام مسماه أو على جزء مسماه من حيث هو جزءه أو على الأمر الخارج عن مسماه اللازم له في الذهن من حيث هو لازم له والدلالة الأولى هي دلالة المطابقة كدلالة لفظ الإنسان على الحيوان الناطق والثانية دلالة التضمن كدلالته على الحيوان وحده أو على الناطق وحده والثالثة دلالة الالتزام كدلالته على الضاحك واحترزنا في الدلالتين الأخيرتين بقولنا من حيث هو جزءه ومن حيث هو لازم عن دلالة اللفظ على جزء المسمى أو على لازمه بحسب الاشتراك اللفظي بيانه أنه إذا جاز أن يوضع اللفظ الواحد للمعنى ولجزئه كلفظ الممكن مثلا للممكن الخاص والعام وللمعنى ولازمه كلفظ الشمس على جرم الشمس والنور اللازم عنه فلو اقتصرنا في تعريف دلالتي التضمن والالتزام على التعريفين المذكورين دون هذين القيدين لتشمل ذلك دلالة المطابقة على تقدير وضع اللفظ لجزء المعنى ولازمه كما هو موضوع له إذ كانت أيضا دلالة اللفظ على جزء مسماه وعلى لازم مسماه **البحث الثاني** الدلالة الأولى هي التي بحسب الوضع الصرف وأما الباقيتان فزعم الإمام فخر الدين وجماعة من الفضلاء أنهما عقليتان وفيه نظر لأنهم إن أرادوا أنهما حاصلتان عن صرف العقل من دون مشاركة الوضع فهو باطل لأنه لولا ارتسام المعنى في الذهن عن اللفظ لما حصلت هاتان الدلالتان وأيضا فإنهم صرحوا بأنهما من دلالات الألفاظ فلا يمكن مع ذلك دعوى حصولها عن مجرد العقل وإن أرادوا بذلك أن الذهن عند تصور المعنى من لفظه ينتقل منه إلى جزئه أو إلى لازمه فهو حق فتكون هاتان الدلالتان مركبتين من الوضع والعقل ثم إنهما مستلزمتان للدلالة الوضعية من غير عكس لجواز تخلو الماهية عن التركيب وعن اللازم البين ولا يجب أيضا لزوم إحديهما الأخرى وهو ظاهر مما مر **البحث الثالث** ظهر مما ذكرنا أنه يعتبر في الدلالة التضمنية المعنى المدلول عليه بالمطابقة مركبا وأما في الالتزامية فالمعتبر فيه كونه ملزوما في الذهن لأمر بين الثبوت له إذ لولا اللزوم الذهني لم يعد إطلاق اللفظ في المعنى الخارج عن الماهية لعدم الوضع بإزائه وعدم انتقال الذهن عن موضوعه إليه فلم يكن دالا عليه إذ المراد بدلالة اللفظ على المعنى فهمه عند الإطلاق بالنسبة إلى من يعلم الوضع ولا يعتبر اللزوم الخارجي لجواز دلالة اللفظ على ما يلزم مسماه في الخارج إذ لزم منه تصور مسماه كدلالة لفظ عدم الملكة عليها كلفظ العمى على البصر ثم اللزوم الذهني ليس موجبا لانتقال الذهن من الملزوم إلى لازمه إذ ليس هو تمام ما يتوقف عليه الدلالة الالتزامية بل لا بد من تصور الملزوم أولا وذلك متوقف على وضع اللفظ بإزائه والعلم به بالوضع وسماع اللفظ وحضوره بالبال فهو إذن أحد الشروط المعتبرة لتصور اللازم **البحث الرابع** دلالة الحقيقة هي الدلالة الوضعية الصرفة وأما الباقيتان فليستا بحقيقيتين وهو ظاهر ولا مجازيتين أيضا لأن من شرط المجاز استعمال اللفظ في غير ما وضع له استعمالا مقصودا بالذات وهاتان الدلالتان قد يحصلان من استعمال اللفظ في غيرهما وفي وضع مسماه حصولا عرضيا لأن الذهن قد ينتقل عند إطلاق اللفظ لإرادة مسماه إلى جزئه أو إلى لازمه انتقالا عرضيا وكذلك إلى جزء جزئه وإلى لازم لازمه في مراتب كثيرة ومعلوم أن اللفظ أطلق لإرادة مسماه واستعمل فيه بالذات لا فيما انتقل الذهن إليه من الأجزاء واللوازم وإن كانت له سببية في ذلك الانتقال فلم تكن الدلالة بواسطة اللفظ محصورة في الحقيقة والمجاز نعم استعمال اللفظ الموضوع وإطلاقه بالذات لإرادة المعنى لا يخلو من أن يكون حقيقيا أو مجازيا **الفصل الثاني** في تقسيم الألفاظ وفيه أبحاث **البحث الأول** اللفظ إما أن لا يراد بالجزء منه دلالة أصلا على شيء وهو المفرد أو يراد بالجزء منه دلالة على شيء وهو المركب لا يقال هذا منقوض بعبد الله وما يجري مجراه فإنه مفرد مع أن كل واحد من أجزائه دال لأنا نقول قد يراد بالجزء من عبد الله وأمثاله دلالة ولا نسلم أنه بذلك الاعتبار يكون مفردا بل مركب وقد لا يراد به الدلالة فيكون مفردا فإذا قلنا في رسمه أنه الذي لا يراد بالجزء منه دلالة أصلا كان ذلك معيارا لكل لفظ بالنسبة إلى مراد اللافظ به فكل لفظ لا يقصد بجزئه دلالة كان مفردا وهذا هو الرسم القديم للمفرد والمركب وقد تبين أنه لا حاجة فيه إلى القيد الذي زاده المتأخرون وهو قولهم من حيث هو جزءه فإن الرسمين متساويان **البحث الثاني** اللفظ المفرد إما أن يكون نفس تصور معناه مانعا من وقوع الشركة فيه وهو الجزئي أو غير مانع وهو الكلي أما الجزئي فيقال بمعنيين أحدهما ما ذكرناه ويختص باسم الجزئي الحقيقي والثاني أنه كل أخص تحت أعم والفرق بينهما أن الأول غير مضاف ولا كلي والثاني مضاف إلى ما فوقه وقد يكون كليا فأما الكلي فإما أن يعنى به نفس الحقيقة التي لا يمنع تصورها وقوع الشركة ويسمى كليا طبيعيا أو النسبة التي تعقل لها بالقياس إلى جزئياتها المعقولة وتسمى تلك النسبة كليا منطقيا والمجموع المعقول من الحقيقة والنسبة العارضة لها ويسمى كليا عقليا ثم للكلي اعتبارات ستة وذلك لأنه إما أن يكون ممتنع الوجود أو ممكنه والأول كشريك الإله والثاني إما أن لا يعرف وجوده أو يعرف فالأول كجبل من ياقوت وبحر من زيبق والثاني إما أن يمتنع أن يكون في الوجود منه أكثر من واحد أو يمكن والأول كالإله تعالى والثاني إما أن يكون في الوجود واحد منه فقط وإن جاز وجود مثله أو أكثر من واحد

والاول كالشمس عند من يجوّز وجود مثلها والثاني اما ان يكون الموجود منه اشخاصا كثيرة متناهية وغير متناهية والاول كالكواكب
والثاني كاشخاص الانسان **البحث الثالث** الكلي اما ان يدل على ماهية شيء او على ما يكون داخلا فيها او على ما يكون خارجا
عنها اما الدال على الماهية فاما على ماهية شيء واحد او على ماهية اشياء كثيرة والاول اما ان يكون كليا او جزئيا والثاني اما ان تكون
تلك الاشياء مختلفة الحقائق او متفقة الحقائق فهذه اقسام اربعة الاول هو المقول في جواب ما هو بحسب الخصوصية المطلقة كالجواب
بالحد والثالث هو المقول في جواب ما هو بحسب الشركة المطلقة والثاني والرابع هو المقول في جواب ما هو بحسب الشركة والخصوصية معا مثال الاول
قولنا في جواب من يسأل فيقول ما الانسان انه حيوان ناطق فخصوصية هذا الجواب ليست لغير الانسان اذ لا يشاركه في حده غيره والثالث
كقولنا في جواب من يسأل عن جماعة هم انسان وفرس وثور ما هم انها حيوانات اذ كان هذا الجواب كمال الجزء المشترك بينها فهو
مقول بالشركة المطلقة والثاني والرابع كقولنا في جواب من يسأل عن زيد وحده ما هو انه انسان او عن جماعة هم زيد وعمرو وخالد ما هم
انهم اناس فيكون الجواب في الموضعين واحدا وهو بحسب الخصوصية والشركة معا اذ كل ما لكل واحد منها من الاجزاء حاصل للاخر و
خصوصية هذا الجواب ليست لغير المسؤول عنه واما الدال على جزء الماهية فاما ان يدل على كمال الجزء المشترك بينها وبين غيرها وهو الجنس
القريب او على كمال الجزء المميز لها وهو الفصل القريب او على ما يتركب منها وهو النوع او لا على واحد من هذه فيكون ذاتيا [illegible]
وهو اما جنس الجنس او جنس الفصل او فصل الجنس او فصل الفصل كما هو مذكور في مظانه واما الدال على الخارج عن الماهية فيختص
باسم العرضي واعتباره من وجهين احدهما انه اما ان يكون لازما او لا يكون والثاني هو العارض والاول اما ان يكون لازما للماهية
او للوجود والاول اما ان يكون بينا للماهية كالفردية للثلثة او غير بين كالتناهي للجسم والثاني كالسواد للغراب واما العارض فاما
سريع الزوال كالقيام والقعود او بطيئه كالشباب والوجه الثاني العرضي اما ان يختص بنوع واحد لا يوجد لغيره سواء عم افراده او لم
يعم ويسمى خاصة كالضاحك للانسان بالقوة والفعل او لا يختص به بل يعم وغيره ويسمى عرضا عاما كالماشي للانسان **البحث
الرابع** اللفظ والمعنى اما ان يتحدا او يتكثرا او يتكثر اللفظ ويتحد المعنى وبالعكس اما الاول فمعناه اما ان يكون كليا او جزئيا
فان كان الاول فاما ان يكون نسبته الى افراده المعقولة بالسوية وهو المتواطي كالانسان بالنسبة الى اشخاصه او لا بالسوية بل في بعضها
اول واولى واشد واضعف وهو المشكك كلفظ الوجود والثاني هو العلم كزيد والثاني الاسماء المتباينة سواء انفصلت مفهوماتها
كالانسان والفرس او تواصلت على ان بعضها اسم للذات والاخر اسم للصفة كالسيف والصارم او على ان بعضها اسم للصفة
والاخر لصفة الصفة كالناطق والفصيح والثالث الاسماء المترادفة سواء كانت من لغة واحدة كالليث والاسد او من لغتين كالماء
وآب واما الرابع فاما ان يكون قد وضع اللفظ اولا لاحد المعنيين ثم نقل منه الى الاخر او وضع لهما معا اما الاول فذلك النقل
ان كان لا لمناسبة بين المعنيين فهو مرتجل وان كان لمناسبة فاما ان يكون دلالة اللفظ على المنقول اليه بعد النقل اقوى من دلالتها
على المنقول عنه او لا يكون فان كان الاول سمي اللفظ بالنسبة الى المنقول اليه منقولا فان كان الناقل هو الشارع سمي [illegible]
شرعيا كالصلوة والزكوة او اهل العرف ويسمى عرفيا سواء كان العرف العام كالدابة للفرس بعد وضعها لكل ما يدب وكالغائط للفضلة
الخارجة من الانسان عن وضعها للمكان المطمئن او الخاص كالاصطلاحات الخاصة بطائفة من اهل العلم مثلا كالرفع والنصب
والجر عند النحاة وكالجمع والفرق والقلب عند الفقهاء وكالموضوع والمحمول والجنس والفصل عند المنطقيين وامثالها واما ان لم يكن دلالته
على الثاني اقوى فاما ان يتساوى بالنسبة اليهما عند الفهم او يكون في الاول اقوى فان كان الاول كان ذلك لفظا مشتركا وان
كان الثاني كان اللفظ بالنسبة الى الاول حقيقة والى الثاني مجازا اما الثاني اذا كان اللفظ موضوعا لهما معا فاما ان يتساوى
دلالته عليهما عند الفهم او ترجح في احدهما فان كان الاول سمي اللفظ بالنسبة اليهما مشتركا وبالنسبة الى كل واحد منهما مجملا لان كون اللفظ
موضوعا لكل واحد منهما هو الاشتراك وكونهما بحيث لا يدري عين المراد منهما هو الاجمال **تنبيه** ظهر من هذا التقسيم ان الا
الاقسام الثلثة الاولى مشتركة في انها ليست بمشتركة فكانت نصوصا واما الرابع فله اعتبارات ثلثة احدها اعتبار كونه اذا ترجح
في بعض مفهوماته وبذلك يسمى ظاهرا والثاني اعتبار كونه مرجوحا في المفهوم المقابل للراجح وبذلك يسمى مأولا والثالث كونها
متساوية بالنسبة الى المفهومين بحيث لا يدرى المراد منهما وبذلك يسمى مجملا فالرجحان اذن قدر مشترك بين الظاهر والنص وعدم
الرجحان قدر مشترك بين المجمل والمأول فيسمى المشترك الاول محكما والثاني متشابها **البحث الخامس** اللفظ المفرد اما ان لا
يستقل معناه بالمفهومية او يستقل والاول هو الحرف والثاني فاما ان يستلزم معناه الوقوع في احد الازمنة الثلثة المعينة
وهو الفعل او لا يستلزم وهو الاسم وهو اما ان يدل على معنى هو نفس الزمان او على جزء الزمان كاليوم والغد او على معنى جزءه
الزمان كالصبوح والغبوق او لا على واحد منها وهو اما ان يكون اسما جزئيا شخصيا فان كان مضمرا فهو المضمرات او مظهرا
فهو العلم كما مر وان كان اسما لكلي فاما ان يكون اسما لنفس الماهية كلفظ السواد وهو المسمى باسم الجنس في اصطلاح النحاة او لا

ما له صفة كذا وهو الاسم المشتق كلفظ الضارب فان مفهومه انه امر ما له صفة الضرب **البحث السادس** اللفظ المركب اما ان يكون
قابلا للتصديق والتكذيب لذاته وهو الخبر او لا لذاته وهو اما ان يكون مفيدا لطلب شيء افادة اولية او ليس والاول ان كان على
طريقة الاستعلاء فهو الامر وان كان على طريق التساوي فهو الالتماس وان كان على طريق الخشوع والتضرع فهو السؤال والثاني
هو التنبيه ويدخل فيه التمني والترجي والقسم والنداء **البحث السابع** اللفظ قد يكون مدلوله لفظا مفردا او مركبا وعلى
التقديرين فاما ان يدل على معنى او لا يدل فهذه اقسام اربعة الاول لفظ مفرد دال على معنى مفرد كلفظ الكلمة والاسم والفعل
والحرف والثاني لفظ مفرد دال على لفظ مركب دال على معنى مركب كلفظ الخبر والكلام والقول الدال على قولنا زيد كاتب
الدال على معانيه الثالث لفظ مفرد دال على لفظ مفرد غير دال على معنى كقولنا آب وساير حروف الهجاء الرابع لفظ مفرد دال
على لفظ مركب غير دال كلفظ الهذيان والهذر **البحث الثامن** اللفظ المفرد اذا دل بالالتزام على معنى فذلك المعنى اما
ان يكون شرطا للمدلول عليه بالمطابقة او تابعا له والاول يسمى دلالة الاقتضاء وذلك الشرط اما عقلية كشرطية نصب السلم
لصعود السطح عند الامر به او شرعية كشرطية الوضوء للصلاة عند الامر بها واما التابع فكنفي الحكم المذكور لشيء حال تخصيصه
بذكره من غيره عند من يقول به فان معنى التخصيص مستلزم للنفي المذكور وكذا اللفظ المركب اذا استلزم تركيبه معنى فاما
ان يكون من متممات المعاني المذكورة بالمطابقة او من توابعها والاول كدلالة تحريم التافيف على تحريم الضرب واما الثاني
فكاستلزام قوله تعالى فالآن باشروهن الى قوله حتى يتبين لكم الخيط الابيض لعدم فساد من اصبح جنبا والاحتلام والوطي
في اخر جزء من الليل بحيث يتسع للغسل وبالله التوفيق **الفصل الثالث** في الاشتقاق وفيه ابحاث **البحث الاول** في حقيقة
الاشتقاق الاشتقاق اخذ احد اللفظين من الاخر لمشاركة بينهما في الاشتمال على المعنى والحروف الاصلية واركان الاشتقاق
اربعة الاول اسم موضوع لمعنى الثاني شيء اخر له نسبة الى ذلك المعنى الثالث مشاركة بين الاسمين في الحروف الاصلية الرابع
تغيير يلحق الاسم الثاني اما في حروف فقط او في حركة فقط او فيهما معا وكل واحد من هذه الاقسام فاما بالزيادة وحدها
او بالنقصان وحده او بهما وظن الامام ان الحاصل من هذه القسمة تسعة اقسام فقط وهو سهو بل تحققه عند الاعتبار بان
الحاصل منها خمسة عشر قسما آ زيادة الحرف ب زيادة الحركة ج زيادتهما معا د نقصان الحرف ه نقصان الحركة
و نقصانهما معا ز زيادة الحرف مع نقصانه ح زيادة الحرف مع نقصان الحركة ط زيادة الحرف مع نقصانهما
ي زيادة الحركة مع نقصانها يا زيادة الحركة مع نقصان الحرف يب زيادة الحركة مع نقصانهما يج زيادتهما مع
نقصان الحرف يد زيادتهما معا مع نقصان الحركة يه زيادتهما معا مع نقصانهما معا فهذه هي الاقسام الممكنة وعلى
اللغوي طلب الامثلة **البحث الثاني** اختلف الناس في انه هل يجوز صدق المشتق منفكا عن صدق المشتق منه ام لا والحق انه
يجوز لنا ان الاشتقاق يكفي فيه ادنى ملابسة بين المشتق والمشتق منه فلا يشترط صدقه على ما يصدق عليه المشتق فان المهلك
والمميت والضار والمذل مما يصدق على ان الله تعالى مع ان الامور المشتق منها وهي الهلاك والموت والضرر والذل غير صادقة
ولا جائزة عليه لا يقال المشتق مركب من المشتق منه ومن شيء اخر ومتى صدق المركب صدق كل واحد من اجزائه لانا نقول لا نسلم
ان المشتق منه من حيث هو مشتق منه جزء من المشتق وحاصل فيه شيء من اجزائه وهي الحروف الاصلية وبعض الحركات فانا بينا
ان المشتق لا بد وان يلحقه تغيير باحد الوجوه المذكورة والقدر المتغير منه لا شك انه كان معتبرا في حقيقة المشتق منه فبعد التغيير لم
تبق تلك الحقيقة فلم يلزم صدقها حال صدق المشتق **البحث الثالث** اختلفوا ايضا في انه هل يشترط في صدق المشتق بقاء
صدق المعنى المشتق منه لفظا ام لا والحق انه لا يشترط لوجوه احدها انا نعلم بالضرورة اطلاق اهل اللغة لفظ المشتق على الشيء حال ما
لا يكون وجه الاشتقاق كاطلاقهم لفظ القاتل في الحال على من فعل القتل فيما قبل الثاني ان الضارب مثلا هو من حصل منه
الضرب بلا نسبة الاثبات فعلية وهو اعم من حصوله له في الحال وفي الماضي لامكان تقسيمه اليهما ولا يلزم من نفي الخاص نفي العام
العام فلا يلزم من نفي الضرب في الحال نفي مطلق الضرب فلا يلزم من صدق المشتق بقاء وجه الاشتقاق الثالث المشتقات
من المصادر السيالة كالمتكلم والمخبر لا يمكن بقاء وجه الاشتقاق فيها فان الانسان حال ما يتكلم بالحرف الثاني فات الحرف الاول
فلا يمكن تحقق مهية الكلمة في الخارج فضلا ان يقال انها تبقى مع ان انها صادقة بالاتفاق لا يقال الضارب مثلا بعد انقضاء
الضرب يصدق عليه انه ليس بضارب في الحال وقولنا ليس بضارب جزء من قولنا ليس بضارب في الحال ومتى صدق المركب
صدق كل واحد من اجزائه فاذن صدق عليه انه ليس بضارب فوجب ان لا يصدق عليه انه ضارب لتناقضهما في العرف لانا
نقول ان كانت القضيتان موقتتين منعنا التناقض في العرف والحقيقة لان التكذيب لقولنا انه ليس بضارب في الحال قولنا
انه ضارب في الحال ونحن ما ادعينا صدق قولنا انه ضارب في الحال بل انه في الحال يصدق عليه انه ضارب ولا تناقض

لعدم اتحاد الوقت وان كانتا مطلقتين فدعوى التناقض فيما حقيقته وموطنه القضايا لان المطلقتين لا تتناقضان عرفا وهو
ايضا ممنوع وبتقدير تسليمه فيمنع صدق قولنا هذا نقيضا القضية اذ ليس بضارب لصدق قولنا في تلك الحال انه ضارب وتناقضهما
عرفا وبالله التوفيق البحث الرابع اختلفوا ايضا في ان المعنى القائم بالمحل هل يجب ان يشتق له منه اسم ام لا والحق ان يقال المعاني
ان لم يكن لها اسماء كانواع الروائح لم يجب ذلك فيها وان كان لها اسماء لم يجب ايضا ان يشتق لمحالها منها اسماء وهل يجوز ان
يشتق لغير محالها منها اسماء ام لا والحق جوازه في الموضعين خلافا لقوم من الاشعرية فانهم قالوا يجب الاشتقاق منها لمحالها ولا
يجوز لغيرها لنا ان الجواز متفق عليه واما الوجوب وتخصيصه بالمحل فلم يذكر الخصم فيه دليلا واما جواز الثاني فلان الا
شتقاق يكفي فيه ادنى ملابسة فان المشتق هو شيء ما ذو المشتق منه ولفظة ذو لا يقتضي الحلول ومن الامثلة المشهورة
اللابن والتامر فانهما مشتقان من اللبن والتمر وهما غير قائمين بذات المشتق له البحث الخامس مفهوم المشتق كالماشي مثلا
انه شيء ما ذو مشي فاما ذات ذلك الشيء فغير داخل في مفهومه وان علم فانما يعلم بطريق الالتزام برهانه انك تقول الماشي حيوان فلو
كان مفهوم الماشي انه حيوان ذو مشي لكان ذلك بمنزلة قولك الحيوان ذو المشي حيوان وهو هذر بل انما يعلم كونه حيوانا لما ثبت
من خارج وبالله التوفيق الفصل الرابع في الترادف والتوكيد وفيه ابحاث البحث الاول في ماهيتهما اما الترادف فهو كون
لفظين مفردين او ما زاد عليهما بالوضع على معنى واحد باعتبار واحد بالافراد احترزنا عن الاسم والحد وباعتبار واحد عن اللفظين
الدالين على شيء واحد باعتبارين كالصارم والسيف او باعتبار الصفة وصفة الصفة كالناطق والفصيح فانهما متباينة واما التا
كيد فهو تقوية ما يفهم من اللفظ بلفظ اخر وللامام فخر الدين رحمه الله تساهل في هذا المقام اذ حد التاكيد بانه اللفظ الموضوع لتقوية ما
يفهم من لفظ اخر ولم يفرق بين التوكيد وبين نفس المؤكد وهو غلط البحث الثاني في اسباب الترادف انه يجوز وقوع الالفاظ
المترادفة من واضع واحد ويجوز وقوعها من واضعين ويشبه ان يكون الاول اقل وجودا وله سببان الاول التسهيل والاقدار
على الفصاحة لانه ربما يمتنع وزن البيت وقافيته مع بعض اسماء الشيء دون اسمه الاخر وربما حصلت رعاية السجع والمقلوب
والجنس وسائر اصناف البديع مع بعض اسماء الشيء ولا يحصل مع الاخر الثاني التمكن من تادية المقصود باحدى العبارتين
عند الغفلة عن الاخرى واما الثاني وهو السبب الاكثري فيجوز ان تصطلح احدى القبيلتين على اسم للشيء غير الاسم الذي
اصطلحت عليه القبيلة الاخرى ثم يشتهر الوضعان بعد ذلك معا البحث الثالث انه هل يصح اقامة كل واحد من المترادفين مقام
الاخر دائما ام لا الظاهر في بادئ الراي ذلك لان المترادفين هما اللذان يفيد كل منهما عين فائدة الاخر فلما صح ان يضم المعنى المدلول
عليه باحد اللفظين الى معنى اخر فلا بد وان ينبغي الصحة حال ما يدل عليه باللفظ الثاني لان صحة الاقتران من عوارض المعاني وفيه
نظر لان صحة الاقتران كما يكون من عوارض المعاني يكون من عوارض الالفاظ فانك لو بدلت لفظة من بمرادفها من الفارسية لم يصح فكان هذا الامتناع من قبل
الالفاظ ايضا قال الامام فخر الدين واذا عقلت ذلك في لغتين فلم لا يجوز مثله في لغة واحدة والحق انه يصح اقامة احد المترادفين
مقام الاخر بشرطين احدهما ان يكونا من لغة واحدة والثاني ان يستويا في فهم المعنى منهما حال التخاطب بهما او يقربا من التساوي
تذنيب اذا كان احد المترادفين اظهر في الاستعمال عند قوم كان الجلي بالنسبة الى الخفي شرحا له وربما انعكس الامر بالنسبة
الى قوم اخرين البحث الرابع في اقسام التوكيد المؤكد اما ان يكون متقدما على المؤكد او متاخرا عنه والاول كصيغة انّ
وما في حكمها مما يدخل على الجمل واما الثاني فاما ان يؤكد الشيء بنفسه او بغيره والاول كقوله عليه السلام والله لاغزون قريشا
ثلثا والثاني اما ان يختص بالمفرد كلفظ النفس والعين او المثنى ككلا وكلتا او الجمع كاجمعون واكتعون وابتعون وابصعون و
كل هي ام الباب البحث الخامس في حسن استعماله والخلاف فيه مع الملاحدة الطاعنين في الوحي والنزاع اما في الجواز وهو معلوم
بالضرورة لان شدة اهتمام القائل بالكلام يدعوه الى تاكيده واما في الوقوع وهو ايضا معلوم من اللغات بعد تصفحها وهو وان
كان حسنا الا انه اذا تعارض حمل الكلام على التاكيد او على فائدة زائدة وجب صرفه الى الفائدة الزائدة الفصل الخامس
في المشترك وفيه ابحاث البحث الاول في حقيقته وامكانه ووجوده اما حقيقته فهو اللفظ الواحد الموضوع لحقيقتين مختلفتين
او اكثر وضعا اولا من حيث هو كذلك وقولنا موضوع لحقيقتين مختلفتين احترازا عن الاسماء المفردة وقولنا وضعا اولا احترازا
عما يدل على الشيء بالحقيقة وعلى غيره بالمجاز وقوله من حيث هو كذلك احترازا عن اللفظ المتواطي فانه يتناول الماهيات المختلفة لكن
لا من حيث هي مختلفة بل من حيث انها مشتركة في معنى واحد واما امكانه فمن وجوه احدها ان الوضع تابع لغرض المتكلم وقد يكون
للانسان غرض في تعريف غيره شيئا على التفصيل وقد يكون غرضه تعريفه على سبيل الاجمال بحيث يكون ذكره بالتفصيل سببا للمفسدة
الثاني انه ربما لا يكون المتكلم واثقا بصحة الشيء على التعيين الا انه يكون واثقا بصحة احد المعنيين لا محالة فيطلق اللفظ المشترك
كيلا يعد بتصريحه باحد المعنيين كاذبا ويكون جاهلا الثالث انه يجوز ان يضع احد القبيلتين ذلك اللفظ لمعنى ثم تضعه قبيلة

اخرى لمعنى اخر ثم تشتبه الوضعان ويخفى كونه موضوعا منهما واما وجوده فهو معلوم بالضرورة اذ من خواص اللفظ المشترك انه اذا
اطلق لم يتبادر الذهن الى احد مفهوميه دون الاخر بل يبقى الذهن عند سماعه مترددا في تعيين المراد منه الى ظهور القرينة المعينة
له وذلك دليل الوجود كلفظ القرء للحيض والطهر وان كان ذلك ربما قد يختلف بحسب كثرة الاستعمال في احد المعنيين وقلته الا
انه يكفينا في ذلك تردد بعض الاذهان فيه **البحث الثاني** في اقسام مفهومي اللفظ المشترك اما ان يكونا متباينين او
متواصلين والاول كالطهر والحيض والثاني اما ان يكون احدهما جزءا من الاخر او لا يكون والاول كالممكن لغير الممتنع ولغير
الضروري والثاني اما ان يكون احدهما علة للاخر او صفة له والاول كلفظ الواجب للواجب بالذات والواجب بالغير والثاني
كلفظ الاسود لذي السواد المسمى اسود وتلبيسهما احدهما اذا نسبت ذا السواد المسمى اسود الى ما يشاركه في لونه كان اطلاق
لفظ الاسود عليهما من تلك الجهة بالتشكيك وان اعتبرتهما من جهة اسميهما كان مقولا عليهما بالاشتراك الثالث قال فخر الدين رة
النقيضان لا يجوز ان يوضع لهما لفظ واحد لان المشترك لا يفيد الا التردد وهو بين النفي والاثبات امر حاصل معلوم لكل
احد وفيه نظر لان الاسباب التي ذكرنا انه يجوز ان يكون اسبابا لوضع اللفظ المشترك لا يفيد الا التردد وهو بين النفي والاثبات
امر حاصل معلوم لكل احد وفيه نظر لان الاسباب التي ذكرنا انه يجوز ان يكون اسبابا لوضع اللفظ المشترك عامة لا تخص بعض
المعاني دون البعض ولانه اذا جاز وضع اللفظ الواحد للمعنى وضده الذي هو في قوة نقيضه كالقرء للحيض والطهر اذا كان المحل لا يخلو
عن احدهما والترديد بينهما معلوم لكل احد فلم لا يجوز مثله في النقيضين والله اعلم **البحث الثالث** في اسبابه اما اسباب
وجوده فيشبه ان يكون السبب الاكثري فيه هو ان يضعه كل واحد من قبيلتين لمعنى ثم يشيع الوضعان ولا يتميزان واما
السبب الاقلي فان يضعه واحد لمعنيين لغرض التكلم المجمل فقد تقرر ان التكلم باللفظ المجمل من مقاصد العقلاء واما السبب الذي
يعرف به وجوده فاما تصريح اهل اللغة بذلك وتساوي المفهومين بالنسبة الى السامع عند اطلاق اللفظ وتردد ذهنه في تعيين
المراد بعد العلم بالوضع لهما **البحث الرابع** في انه هل يجوز استعمال اللفظ المشترك في معانيه على الجمع ام لا يجوز ذلك فقال الشافعي
وابو بكر الباقلاني وابو علي الجبائي والقاضي عبد الجبار وقد منع منه ابو هاشم وابو الحسين البصري والكرخي ثم منهم من منع منه
لامر يرجع الى القصد ومنهم من منع منه لامر يرجع الى الوضع وهو اختيار الامام فخر الدين رة حجة المجوزين من وجهين احدهما ان
الصلوة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ثم ان الله تعالى اراد بهذا اللفظ كلي معنييه في قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي الثاني
قوله تعالى ويسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم الاية والسجود هاهنا مشترك بين الخشوع لانه هو المتصور
من الملائكة وبين وضع الجبهة على الارض في حق الناس وبين شهادة الحال بالحاجة الى الصانع لانه هو المتصور من الجمادات ثم ان الله
تعالى اراد به كل معانيه في هذه الاية حجة المانعين ان المجموع غير كل واحد واحد فالواضع اذا وضع لفظ المعنيين على الانفراد فاما ان يضعه
مع ذلك لمجموعهما او لا يضعه فان لم يضعه لكان استعماله فيه استعمالا للفظ في غير ما وضع له وانه غير جائز وان وضعه لافادة
استعمله فيه فاما ان يستعمله فيه لافادته بانفراده فيكون ذلك استعمالا للفظ في احد مفهوماته لا في كلها وان استعمله لافادته مع
الافراد فهو محال لان استعماله لافادة المجموع يستلزم عدم الاكتفاء بكل واحد من الافراد واستعماله لافادة الافراد يستلزم الاكتفاء
بكل واحد من الافراد مع عدم الاكتفاء بكل واحد منهما وهما لا يجتمعان واقول ان محل النزاع في هذا البحث غير ملخص فانه ان اريد
انه يجوز استعماله في مدلوله على الجمع مطابقة فليس بحق لما يلزم المستعمل له كذلك من التناقض في القصد الى المجموع والى الافراد
وان اريد انه يجوز استعماله فيهما على الجمع لافادتهما كيفما تفق فذلك جائز اذ يصح استعماله في المجموع مطابقة مع دلالتها على الافراد
تضمنا وقول المانع انه اذا لم يكن الواضع وضع اللفظ للمجموع كما وضعه للافراد امتنع استعماله فيه ان اراد به حقيقة فهو حق ولكن
لا اراد انه يمتنع استعماله فيه مجازا فهذا مما لا يقتضيه حجته واما حجج المجوزين فضعيفة اما الاولى فلان ضمير الجمع في قوله تعالى
يصلون بمنزلة الضمائر المتعددة المقتضية للافعال المتعددة التي يراد بكل واحد منها معنى غير ما يراد بالاخر والتقدير ان الله يصلي
وملائكته تصلي واما الثانية فلان المعطوف المتعددة تستدعي تقدير تعدد الافعال فتقديره قوله ولله يسجد من في السموات
ومن في الارض اي ويسجد من في الارض وكذا الباقي والمراد بكل منها المعنى الذي تقتضيه القرينة ثم لو سلمنا انها استعملت في كل
مفهوماتها لكنه يكون مجازا والا لزم التناقض كما هو مذكور في حجة المانعين وبالله التوفيق **البحث الخامس** فيما يتعين به مراد
اللافظ باللفظ المشترك ان لم تقترن به قرينة تخصص احد معنييه بالمراد به بقي مجملا وان وجدت قرينة كذلك فاما
ان تقتضي الاعتبار او الالغاء وعلى التقديرين فاما لكل المسميات او لبعضها فهذه اقسام اربعة الاول ان تفيد اعتبار كل واحد
من تلك المسميات اما ان تكون متنافية بحيث لا يمكن الجمع بينها فيبقى اللفظ مجملا الى ظهور المرجح وان لم تكن متنافية فيحمل اللفظ على
مجموعها مجازا الثاني ان تفيد الغاء كل واحد فيجب حمل اللفظ على مجازات تلك الحقائق الملغاة ثم اما ان يكون البعض

الحقائق أو بعضها أرجح من بعض ولم يقم الدليل على عدم إرادتها أو لا يكون فإن كان الأول فمجازاتها إما أن يتساوى في القرب من الحقائق
فيتعين حمل اللفظ على مجاز الحقيقة الراجحة أو يتفاوت المجازات فإن كان الراجح منها هو مجاز الحقيقة الراجحة تعين الحمل عليه
أو مجاز الحقيقة المرجوحة فيقع التعارض بينه وبين مجاز الحقيقة الراجحة لاختصاص كل منهما بنوع ترجيح إلى أن يظهر مرجح آخر
وإما أن تتساوى الحقائق فإن اختلفت مجازاتها بالقرب والبعد منها حمل اللفظ على المجاز الأقرب وإن لم يختلف يقع التعارض
بين مجازات تلك الحقائق وتساوي حقائقها إلى أن يظهر الترجيح الثالث أن تفيد إلغاء البعض فإن كانت اللفظة مشتركة
بين معنيين فقط تعين الحمل على الثاني وإن كانت لأكثر من معنيين فتفيد إلغاء بعضها إن كان الباقي واحدا تعين الحمل عليه
أو أكثر من واحد فيبقى اللفظ مجملا فيها الرابع أن تفيد اعتبار البعض فيتعين الحمل عليه سواء كانت اللفظة لمعنيين أو أكثر
القسم الأول في كيفيات تلحق الألفاظ بالنسبة إلى بعضها مع معانيها فتوجب لها الحسن والترتيب وبعدها تم الإعداد
لأداء المعاني ويحظى لدى الذهن المقبول وهو مرتب على مقدمة وجملتين **أما المقدمة** ففيها بحثان **البحث الأول** في حد
البلاغة والفصاحة أما البلاغة فهي مصدر قولك بلغ الرجل بالضم إذا صار بليغا وهو أن يبلغ بعبارته أقصى مراده باللفظ
من غير إيجاز مخل ولا تطويل ممل وأما الفصاحة فهو خلوص الكلام من التعقيد وأصله من الفصيح وهو اللبن إذا أخذت
رغوته وذهب لباؤه وقد فصح وأفصح إذا صار كذلك وأفصحت الشاة فصح لبنها ثم قالوا أفصح العجمي فصاحة فهو فصيح إذا خلصت
لغته عن اللكنة واللحن ثم إن الفصاحة عند أربابها ليست باستعمال الشوارد التي لا تفهم وإنما هي باستعمال ما يقرب فهمه ويلذ
استماعه ويعجب ابتداعه وتدل مطالعه على مقاطعه وتتم مبادئه على تواليه وأكثر البلغاء لا يكادون يميزون بين البلاغة
والفصاحة بل يستعملونهما استعمال اللفظين المترادفين على معنى واحد ومنهم من يجعل البلاغة في المعاني والفصاحة في
الألفاظ والأقرب أن الفصاحة سبب للبلاغة والبلاغة أتم منها لغة إذ قد يبلغ غير الفصيح بعبارته أقصى مراده ومساويه لها في
عرف العلماء وتلخيص مفهوميهما أن الفصاحة هي خلوص الكلام في دلالته على معناه من التعقيد الموجب لقرب فهمه ولذاذة
استماعه والبلاغة هي كون الكلام الفصيح موصلا للمتكلم إلى أقصى مراده وبالله التوفيق **البحث الثاني** في موضوع علم الفصاحة
والبلاغة لما كان المقصود من الكلام هو إفادة المعنى وكانت هذه الإفادة كما علمت قد تكون وضعية صرفة وقد تكون بمشاركة
من الوضع والعقل فنقول موضوع علم الفصاحة هو الكلام الدال على معناه إحدى الدلالات الثلاث من حيث هو على حالة
موجبة لقرب فهمه ولذاذة استماعه وموضوع البلاغة هو الكلام الفصيح وقال الإمام إن الفصاحة والبلاغة إنما يكون موقعهما
الكلام من جهة دلالته بالالتزام وذلك لأن الإفادة الوضعية يستحيل تطرق الزيادة والنقصان إليها فإن السامع للفظ الموضوع
إن كان عالما بكونه موضوعا لمعناه فهمه بتمامه وإن لم يكن عالما بالوضع لم يتصور منه شيئا مثاله أنك إذا أردت تشبيه زيد
بالأسد في الشجاعة وقصدت التعبير عن هذا المعنى بالدلالة الوضعية فقلت زيد يشبه الأسد في شجاعته فالزيادة والنقصان
في هذه الإفادة مما يعود إلى مفردات هذه الألفاظ غير متصورين ولو أقمت مقام هذه الألفاظ ما يرادفها فالحال كذلك للدليل
المذكور وتبين من هذا أن الإيجاز والاختصار والحذف والإضمار يستحيل تطرقها إلى الدلالات الوضعية ولهذا كان أكثر ما
يستعمل في العلوم العقلية الدلالات الوضعية لعدم احتمالها الزيادة والنقصان الموجبين للغلط والتشبه وأما الإفادة الأخرى
فلأجل أن حاصلها يعود إلى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ الحقيقي إلى لازمه ثم إن اللوازم كثيرة وهي تارة يكون قريبة وتارة تكون
بعيدة فلا جرم صح تأدية المعنى الواحد بطرق كثيرة وصح في تلك الطرق أن يكون بعضها أكمل في إفادة ذلك المعنى وبعضها أنقص
فهذا ما يتعلق بالفصاحة من جهة المفردات وأقول إن التحقيق يقتضي أن الزيادة والنقصان مما يتطرقان إلى الإفادة الوضعية
أيضا فإن الإمام سلم أن بعض الحروف أفصح جرسا وألذ سماعا كالعين وبعضها أسهل على اللسان كحروف الذلاقة وبعضها أثقل
ولا شك أن الكلام المركب من أسهل الحروف وألذها سماعا أفصح وألذ سماعا عند النفس مما لا يكون كذلك وسلم أيضا أن الأفصح
أدل على المعنى إلى قبول النفس له مما لا يكون كذلك وليس سبق العلم بالوضع قادحا فيما ذكرناه لأن الإنسان قد يسبق علمه بوضع
اللفظ ثم يذهل عنه حتى سماعه يجد نفسه مسارعة إلى قبول المعنى من الأفصح دون غيره ومتلذذة بسماعه بسبب فصاحته ولا
معنى للزيادة في الإفادة وبعضها إلا ما يحصل للنفس من اللذة بالمعنى والمسارعة إلى قبوله بما مر من اللفظ الأسهل والله أعلم وأما
البلاغة العائدة إلى النظم والتركيب فتحقيق القول فيها أن الكلام المنظوم لا محالة مركب من المفردات والمفردات يمكن تركيبها
على وجه لا يفيد المقصود وقد يمكن تركيبها على وجه يفيده ثم للتركيب المفيد مراتب كثيرة ولها طرفان ووسط فالطرف الأعلى
هو أن يقع ذلك التركيب على وجه يمتنع أن يوجد ما هو أشد تناسبا واعتدالا منه في إفادة ذلك المعنى والطرف الأدنى
هو أن يقع على وجه لو صار أقل تناسبا منه لخرج عن كونه مفيدا لذلك المعنى وبين هذين الطرفين مراتب واختيار أحسنها يقتضي

الفصاحة في النظم وهذا معنى قول عبد القاهر الجرجاني رحمه الله النظم عبارة عن توخي معاني النحو فيما بين الكلم اذا ثبت هذا فنقول اما الطرف الادنى فليس من البلاغة في شيء واما سائر المراتب فان كل واحد منها اذا اعتبر بالنسبة الى ما تحته يكون مشتملا للبلاغة والفصاحة واما الطرف الاعلى وما يليه فهو المعجز فهذا هو التحقيق في البلاغة والفصاحة في المفردات والمركبات

الجملة الاولى في المفردات وفيها مقدمة وابواب **اما المقدمة** فاعلم ان للاشياء في الوجود اربع مراتب الاول وجودها وتحققها في الاعيان الثاني وجودها في الاذهان الثالث وجودها في اللفظ الدال على ما في الذهن الرابع وجودها في الكتابة الدالة على ما في اللفظة ومزية الكلام في الحسن تارة تكون بسبب الكتابة وتارة تكون بسبب اللفظ من حيث له الدلالة الوضعية وتارة بحسبه من حيث له الدلالة الالتزامية ولما كانت المحاسن العائدة الى الكتابة لا تخلو عن تكلف ما وكان الكلام الذي نحن بصدد شرحه بريئا عن التكلف خاليا عن جهات التصنع علما لا جرم كان ذكرها قليل الجدوى فلذلك تركناه

الباب الاول في المحاسن العائدة الى اللفظ من حيث هو لفظ واعلم ان المحاسن العائدة الى اللفظ اما ان تعود الى احاد الحروف او الى حال تركيبها او الى الكلمة الواحدة او الى الكلمات الكثيرة فلا جرم اشتمل هذا الباب على فصلين **الفصل الاول** فيما يتعلق باحاد وتركيبها وبحال الكلمة وفيه ابحاث **البحث الاول** في مخارج الحروف وهي ستة عشر ا اقصى الحلق وهو مخرج ثلثة حروف الهمزة والالف والهاء ب وسط الحلق وهو مخرج الحرفين العين والحاء ج ادناه الى الفم وهو مخرج للغين والخاء د اللسان فما فوقه من الحنك وهو مخرج القاف ه اسفل من موضع القاف من اللسان قليلا وما يليه من الحنك وهو مخرج الكاف و من وسط اللسان بينه وبين الحنك وهو مخرج الجيم والشين والياء ز اول حافة اللسان وما يليها من الاضراس وهو مخرج الضاد ح حافة اللسان من ادناه الى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الاعلى فما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية وهو مخرج اللام ط من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون ي مخرج النون غير انه ادخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام وهو مخرج الراء يا فيما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الطاء والتاء والدال يب فيما بين طرف اللسان واطراف الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد يج فيما بين طرف اللسان والطرف الادنى من الثنايا مخرج الظاء والثاء والذال يد من باطن الشفة واطراف الثنايا العليا مخرج الفاء يه ما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو يو من الخياشيم مخرج النون الخفيفة قال الخليل الذلاقة في النطق انما هي بطرف اسلة اللسان وذلق اللسان تحديد طرفه كذلق السنان قال لا ينطق طرف شباة اللسان الا بثلثة احرف وهي الراء واللام والنون فلذلك تسمى هذه حروف الذلاقة ويلحق بها الحروف الشفهية وهي ثلثة الفاء والباء والميم قال ولما ذلقت هذه الحروف وسهلت على اللسان في المنطق كثرت في ابنية الكلام فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى عنها فان وردت عليك كلمة خماسية او رباعية معراة عن حروف الذلاقة او عن الحروف الشفهية فاعلم ان تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب وقال ايضا العين والقاف لا يدخلان في بناء الا احسناه لانهما اطلق الحروف اما العين فانصع الحروف جرسا والذها سماعا واما القاف فامتن الحروف واصحها جرسا فاذا كانتا او احديهما في بناء حسن البناء وكذلك السين والدال في البناء اذا كان اسما لان الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء فصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك قال والهاء يحتمل في البناء للينها وهشاشتها ولا بد من رعاية هذه الاعتبارات ليكون الكلام سلسا على اللسان وهي كالشروط للفصاحة والبلاغة

البحث الثاني في المحاسن بسبب احاد الحروف وشروط تركيبها اما الاول فمنها الحذف وهو ان يحترز عن حرف او حرفين في الكلام اظهارا للمهارة في تلك الصنعة كان واصل الالثغ وكان يحترز عن الراء فجرب في انه كيف يعبر عن معنى قولنا اركب فرسك واطرح رمحك فقال في الحال الق قناتك واعل جوادك والحريري بلغ الغاية حيث ذكر اشعارا حذف عنها الحروف المنقوطة واشعارا حذف عنها غير المنقوطة ومنها الاعنات وهو التزام حرف مثل حرف الروي والردف من غير ان يجب في تلك السجع كقوله فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر وقول علي عليه السلام في مدح النبي صلعم بلغ عن ربه معذرا ونصح لامته منذرا واما الثاني فالشرط ان يكون التركيب معتدلا فان من التركيب ما يكون متنافرا كقوله وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر وان يكون خفيفا فان منها ما ما يكون ثقيلا وان كان دون الاول كقول ابي تمام كريم متى امدحه امدحه والورى جميعا ومهما لمته لمته وحدي ومنها ما يكون فيه بعض الكلفة الا انه لا يبلغ ان يعاب به وينبغي في هذا الشان ان ما تقارب مخارج الحروف يحتاج فيها الى حبس الصوت في زمانين مثلا صعبين فلا يظهر الحرف الاول واما وجوب العود الى ما منه الابتداء كقولهم الهعخع وهذه الدرجة كالمترتب في جانب الثقل فهي موجودة في جانب السلاسة حتى ان الكلمة تكون في غاية السلاسة

البحث الثالث فيما يتعلق بالكلمة الواحدة وهو من وجهين الاول ان تكون متوسطة في قلة الحروف وكثرتها فاما الحرف الواحد فلا يفيد واما المركب عن

الحرفين فليس في غاية البعد وقد يبالغ في ذلك الثلاثيات لاشتمالها على المبدأ والوسط والنهاية وعلمت ان الصوت من عوارض
الحركة والحركة لابد لها من هذه الثلاثة فمتى ظهرت هذه الثلاثة فيها كان الكلام اسهل جريانا على اللسان واما الرباعيات و
الخماسيات فلا يخفى ثقلها لزيادتها على الدرجات الثلث التي يتعلق بها كمال الصوت الثاني الاعتدال في حركات الكلمة فان
توالت خمس حركات كان ذلك في غاية الخروج عن الوزن ولذلك لا يحتملها الشعر واما اربع حركات فهي في غاية الثقل ايضا بل
المعتدل توالي حركتين بينهما سكون وان كان ولابد فالى ثلث حركات **الفصل الثاني** فيما يتعلق بالكلمات المركبة وفيه
نوعان **النوع الاول** ما يكفي في خفته اعتبار حال كلمتين وفيه اربعة ابحاث **البحث الاول** في التجنيس المتجانسان
ان كانا مفردين فان تشابها في نوع الحروف والحركات وعددها وهيآتها فهو التجنيس التام كقولهم حديث حديث وكقولهم
لا ملاء الواحد من سوط الاء الواحد وان اختلفا فاما في هيئة الحركة كقولهم جبة البرد جنة البرد او في الحركة والسكون كقولهم
البدعة شرك الشرك او في التخفيف كقولهم الجاهل اما مفرط واما مفرط ويسمى ذلك التجنيس الناقص او في اعداد الحروف
بان تتساوى الكلمتان في نفس الحروف وهيآتها ثم تزيد في احديهما حرف ليس في الاخرى ويسمى المذيل فاما في اول الكلمة كقوله
تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق او في وسطها كقولهم كبد كبيد او في آخرها كقول بعضهم فلان سال
من احزانه سالم من زمانه وقول ابي تمام يمدون من ايد عواص عواصم تصول باسياف قواض قواضب واما ان يختلفا في انواع
الحروف وذلك قد يكون بحرف واحد وقد يكون بحرفين ويسمى المضارع والمطرف وما به الاختلاف قد يكون في اول الكلمة كقولهم بيني
وبينهم ليل دامس وطريق طامس او في وسطها من حرفين متقاربين كقولهم ما خصصتني ولكن خسستني او في آخرها كقول النبي
الخير معقود بنواصي الخيل وقد يكون الاختلاف بحرفين غير متقاربين وهو اما في آخر الكلمة كقوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن
او في وسطها كقوله تعالى وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد او في اولها كقول الحريري لا اعطي زمامي من يخفر
ذمامي ثم المتجانسات اما ان يكون بعضها في مقابلة البعض حال التسجيع موقوطا او يضم بعضها الى البعض في اواخر الاسجاع ويسمى المزدوج
والمكرر كقولهم النبيذ بغير النغم غم وبغير الدسم سم وكقولهم من طلب وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج ومن التجنيس ما يكون بالاشارة
دون التصريح كقولهم حلقت لحية موسى باسمه وبهرون اذا ما قلبا وقد يكون التجنيس بحيث يتجاذبه امثلان ويسمى المشوش
كقولهم فلان مليح البلاغة كامل البراعة فلو اختلفت عينا الكلمتين كان مصحفا ولو اتفقت لاماهما كان مضارعا واما
ان كان المتجانسان مركبين فاما ان يكونا متشابهين خطا فقط دون اللفظ ويسمى المصحف كقول علي عليه السلام قصر ثيابك فانه اتقى
وانقى وابقى وكقولهم غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك تهدا بهذا او لفظا فقط ويسمى المفروق
كقوله كلكم قد اخذ الجام ولا جام لنا ما الذي ضر مدير الجام لو جاملنا او خطا ولفظا ويسمى المقرون كقوله اذا ملك لم يكن
ذا هبه فدعه فدولته ذاهبه **البحث الثاني** في الاشتقاق واما الاشتقاق فهو ان تأتي بالفاظ يجمعها اصل واحد
في اللغة كقوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم وقول النبي الظلم ظلمات يوم القيامة وقول علي جاهل خباط جهالات غاش ركاب
عشوات واما ما يشبه المشتق كقوله تعالى وجنى الجنتين دان وقال اني لعملكم من القالين **البحث الثالث** في رد العجز على
الصدر ورسمه انه كل كلام وجد في نصفه الاخير لفظ يشبه لفظا موجودا في نصفه الاول وله عدة اقسام ا ان يتفق
لفظا الصدر والعجز صورة ومعنى ويكونان طرفين الاول في اول الكلام والثاني في آخره كقولهم الحيلة ترك الحيلة وقولهم
القتل انفى للقتل وكقول القائل سكران سكر هوى وسكر مدامة انى يفيق فتى به سكران ب ان يتفقا صورة لا معنى
وهما طرفان كقوله ليث رمن يجتنبها المنايا ومنى من عطيتها البسا ج بالعكس ويكونان طرفين ايضا كقول عمر بن ابي ربيعة
واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد د ان يتفقا في الاشتقاق لا في الصورة وهما طرفان ايضا كقول الشاعر ضرائب
ابدعتها في السماح فلسنا نرى لك فيها ضريبا ه ان يتفقا صورة ومعنى ويكون احدهما حشوا في صدر البيت والآخر
طرفا في عجزه كقول ابي تمام ولم يحفظ مضاع المجد شيء من الاشياء كالمال المضاع و ان يتفقا كذلك ويتفقا صورة لا معنى
كقول بعضهم لا كان انسان تيمم صائدا صيد المها فاصطاده انسانها ز ان يتفقا كذلك ويلتقيا معنى لا صورة كقول امرئ القيس
اذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان ح ان يقعا طرفين في اجزاء الصدر والعجز ويتفقا صورة ومعنى كقول ابي
تمام ومن كان بالبيض الكواعب مغرما فما زلت بالبيض القواضب مغرما ط ان يقعا كذلك ويتفقا صورة لا معنى كقول الحريري
فمشغوف بآيات المثاني ومفتون برنات المثاني ي ان يقعا كذلك ويتفقا في الاشتقاق ويختلفا في الصورة كقول
البحتري وفعلك ان سئلت لنا مطيع وقولك ان سألت لنا مطاع يا ان يتفقا في شبه الاشتقاق ويختلفا صورة ومعنى
كقول الحريري ومضطلع بتلخيص المعاني ومطلع الى تلخيص عاني يب ان يقع احدهما في اول العجز والثاني في آخره كقول الحماسي

وإن لم يكن إلا معرّج ساعة قليلا فإني نافع لي قليلها. أن يقعا ويلتقيا في الاشتقاق دون الصورة كقول أبي تمام
ثوى بالثرى من كان يحيى به الورى ويغمر صرف الدهر نائله الغمر وبعد هذه الأقسام أقسام أخر لهذا النوع وفيما ذكرناه
كفاية **البحث الرابع** في القلب وهو إما في كلمة أو كلمات والأول فإما أن يتقدم كل واحد من حروفها على ما كان متأخرا
عنه ويسمى مقلوب الكل كالفتح والحتف وفي قوله حسامك فيه للأحباب فتح ورمحك فيه للأعداء حتف ثم إن وقع مثل
هاتين الكلمتين على طرفي البيت سمي مقلوبا مجنحا كقوله ساق هذا الشاعر الحين إلى من قلبه قاسي ساري القوم
فالهم علينا حبل راسي ويكون بعض حروفها كذلك فيسمى مقلوب البعض كقوله عليه السلام اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا
وأما في الكلمات بحيث يكون قراءتها من أولها كقراءتها من آخرها فكقول الحريري أس رملا إذا عرا وارع إذا المرء أسا **النوع
الثاني** ما يحتاج إلى تركيبه من كلمتين وفيه أبحاث **البحث الأول** في السجع وهو ثلاثة أقسام **أحدها** ما يسمى المتوازي
وهو أن تتساوى الكلمتان في عدد الحروف ونوع الحرف الأخير كقول علي ع كثرة الوفاق نفاق وكثرة الخلاف شقاق
وكقوله عليه السلام في أهل البصرة عهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق **وثانيها** المطرف وهو أن يختلفا
في العدد ويتفقا في الحرف الأخير كقوله لا آم صدوع انفراجها ولا لآم بينها وبين أزواجها **وثالثها** المتوازن وهو أن يتفقا
في عدد الحروف ولا يتفقا في الحرف الأخير كقول علي عليه السلام الحمد لله غير مفقود الإنعام ولا مكافأ الإفضال ويعرف
المتكلف من السجع بأمرين أحدهما أن يكون الحرف الأخير مما يحتاج إليه للتقفية لا للمعنى الثاني أن يترك معناه الأول لأجل
التقفية **البحث الثاني** في تضمين المزدوج وهو أن يجمع المتكلم بعد رعاية السجع في أثناء القرائن بين لفظين متشابهي
الوزن والروي كقوله تعالى وجئتك من سبإ بنبإ يقين وقوله صلى الله عليه وآله المؤمنون هينون لينون وكقول
علي عليه السلام كثرة الوفاق نفاق **البحث الثالث** في الترصيع وهو أن يتساوى وزن الألفاظ ويتفق أعجازها كقوله
تعالى إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم وقول علي عليه السلام علا بحوله ودنا بطوله مانح كل غنيمة وفضل وكاشف
كل عظيمة وأزل وقوله في صفة الدنيا أولها عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وقد يجيء مع التجنيس
كقوله عليه السلام في كتاب الله بيت لا تهدم أركانه وعز لا تهزم أعوانه **الباب الثاني** فيما يتعلق بالدلالة الوضعية والمعنوية
واعلم أن البحث عن حسن الدلالة اللفظية يرجع إلى اشتراط أربعة أمور الأول أن تكون الكلمة عربية غير مولدة ولا صادرة عن خطأ
العامة الثاني أن يكون أجرى على مقاييس العرب وقوانينها الثالث المحافظة على قوانين النحو الرابع الاحتراز عن الألفاظ الغريبة
الوحشية ولذلك كانت في كتاب الله عزيزة نادرة وأما الكلام في الدلالة المعنوية فاعلم أنه لما كانت الألفاظ المفردة لا تستعمل
لإفادة مدلولاتها إلا التزامية إلا عند التركيب وكان الأصل في أصناف التراكيب هو الخبر وهو الذي يتصور بالصور الكثيرة
وتظهر فيه الأسرار العجيبة من علم المعاني والبيان رأينا أن نشير إلى قدر من مباحثه قبل الخوض في سائر الأقسام وقد رتبنا
هذا الباب على فصول **الفصل الأول** في أحكام الخبر وفيه أبحاث **البحث الأول** في رسم الخبر وقد رسم بأنه القول الذي
يقال لقائله إنه صادق فيما قاله أو كاذب وأورد الإمام فخر الدين عليه شكا فقال الصدق والكذب لا يمكن تعريفهما إلا
بالخبر إذ يقال في الصدق إنه الخبر المطابق وفي الكذب إنه الخبر الغير المطابق وتعريف الخبر بهما دور وأجاب أفضل المتأخرين نصير
الدين الطوسي أبقاه الله عنه فقال الحق أن الصدق والكذب من الأعراض الذاتية للخبر فتعريفهما رسمي أو مورد تفسيرا للاسم
وتعيينا للمعنى من بين سائر المركبات ولا يكون ذلك دورا لأن الشيء الواضح بحسب ماهيته ربما يكون ملتبسا في بعض
المواضع بغيره ويكون ما يشتمل عليه من أعراضه الذاتية الغنية عن التعريف أو غيرها مما يجري مجراها ذابا عن الالتباس
فإيراده في الإشارة إلى تعيين ذلك الشيء إنما لخصته وتجرده عن الالتباس وإنما يكون دورا لو كانت تلك الأعراض أيضا
مفتقرة إلى البيان بذلك الشيء وهاهنا إنما يحتاج إلى تعيين صنف واحد من أصناف المركبات فيه اشتباه لأنه لم يتعين
بعد وليس في الصدق والكذب اشتباه فيمكننا أن نقول إنا نعني بالخبر التركيب الذي يشتمل أحد الصدق والكذب عليه
كما لو وقع اشتباه في معنى الحيوان فيمكننا أن نقول إنا نعني به ما يقع في تعريف الإنسان موقع الجنس ولا يكون دورا وقيل في
تعريفه أيضا إنه القول المقتضي بصريحه إسناد أمر إلى أمر بالنفي أو الإثبات وأما تسمية النحاة أحد جزئي الخبر خبرا فمجاز **البحث
الثاني** أنه ليس الغرض الأول من وضع الألفاظ المفردة إفادتها لمسمياتها المفردة بيان ذلك أن إفادتها لها موقوفة على العلم
بكونها موضوعة لها وهو مستلزم للعلم بها قبل الوضع فلو توقفت إفادتها على الوضع لزم الدور وإنه محال بل الغرض
الأول منها تمكن الإنسان من تفهيم ما يتركب من تلك المسميات بواسطة تركيب تلك الألفاظ المفردة لا يقال ما ذكرتموه
قائم بعينه في المركبات لأن اللفظ المركب لا يفيد مدلوله إلا عند العلم بكون تلك الألفاظ موضوعة لتلك المعاني فلو

استفدنا العلم بتلك المعاني من تلك الالفاظ لزم الدور لانا نقول لا نم ان الالفاظ المركبة لا تفيد مدلولها الا عند العلم
بكون الالفاظ المركبة موضوعة له بيان ذلك انا متى علمنا وضع كل واحد من تلك الالفاظ المفردة لكل واحد من تلك المعاني
المفردة فاذا توالت الالفاظ المفردة بحركاتها المخصوصة على السمع ارتسمت المعاني المفردة في الذهن مستلزمة للعلم بنسبة بعضها
الى بعض استلزاما عقليا وذلك هو التركيب فظهر ان استفادة العلم بالمعاني المركبة لا يتوقف على كون الالفاظ المركبة موضوعة
لها وبالله التوفيق **البحث الثالث** في الفرق بين الاخبار بالاسم والاخبار بالفعل قد عرفت ان الفعل مشعر بالزمان المعين دون
الاسم فلذلك ظهر الفرق بين الاخبار به والاخبار بالاسم فانك اذا قصدت بالاخبار الاثبات المطلق غير المشعر بالزمان وجب
ان تخبر بالاسم كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه اذ ليس الغرض الا اثبات البسط لذراعي الكلب فاما تعريف زمان ذلك فغير مقصود
فاما ان قصدت الاشعار بزمان ذلك الثبوت فالصالح له هو الفعل كقوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض
فان تمام المقصود انما يحصل بكونه معطيا في كل حين واوان لا بمجرد كونه معطيا **البحث الرابع** في حكم المبتدأ والخبر
متى اجتمعت الذات والصفة فالذات اولى بالمبتدئية والصفة اولى بالخبرية ثم اما ان يكون الامر في اللفظ كذلك او بالعكس والاول
اما ان لا يدخل لام التعريف في الخبر كقولك زيد منطلق وذلك يفيد ثبوت مطلق الانطلاق لزيد من غير ان يفيد دوام ذلك
الثبوت او انقطاعه او يدخله لام التعريف كقولك زيد المنطلق او زيد هو المنطلق فاللام في الخبر يفيد انحصار المخبر به في المخبر عنه
ثم اما ان يكون لام العهد كما اذا اعتقدت وجود انطلاق معين ولكن لا تعلم ان المنطلق زيد او عمرو فاذا قلت زيد المنطلق عينت
ان صاحب ذلك الانطلاق هو زيد فقد انحصر ذلك الانطلاق في زيد واما لتعريف الطبيعة فيفهم منه صفة الحصر ثم هو للحصر
ان امكن ترك الكلام على حقيقته كقولك زيد هو الوفي اذا لم تظن باحد خيرا غيره والا حمل الكلام على المبالغة كقولك زيد هو
العالم وهو الشجاع لامتناع حصر الحقيقة فيه واما اذا عكس واخرت الذات عن الصفة كقولك المنطلق زيد فذلك انما يقال اذا
اعتقد معتقد ان انسانا انطلق ولكن لا يعلم شخصه فيقال له المنطلق زيد اي الذي تعتقد انطلاقه هو زيد ثم الضابط
ان الاخبار يجب ان يكون عما يعرف بما لا يعرف له **الفصل الثاني** في الحقيقة والمجاز وفيه ابحاث **البحث الاول** في معنى
الحقيقة والمجاز وحدهما الحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة من الحق وهو الثبات وسمي ما خالف المجاز حقيقة لانه مثبت معلوم الدلالة
والمجاز مفعل من جازه يجوزه اذا تعداه واذا عدل باللفظ عن وضعه اللغوي وصف بانه مجاز بمعنى ان الذهن انتقل من لفظه الى
المعنى غير معناه فصار موضع الانتقال والمجاوزة واما حد الحقيقة فاما في المفردات فهي كل كلمة افيد بها ما وضعت له في اصل الاصطلاح
الذي وقع التخاطب به ويدخل في ذلك الحقيقة اللغوية والعرفية والشرعية فاما في الجمل فكل جملة وضعتها على ان الحكم المفاد بها على ما هو
عليه في العقل وواقع موقعه فهي حقيقة كقولنا خلق الله العالم واما حد المجاز فاما في المفردات فهو ما افيد به معنى غير ما اصطلح
عليه في اصل المواضعة التي وقع التخاطب بها لعلاقة بينه وبين الاول ويدخل في ذلك المجاز اللغوي والعرفي والشرعي واما في الجمل
فكل جملة خرج الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل بضرب من التاويل فهو مجاز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها **البحث الثاني**
فيما به يتحقق المجاز لا بد فيه من امرين احدهما ان يكون منقولا عن معنى وضع اللفظ بازائه والا لبقي حقيقة الثاني ان يكون ذلك
النقل لمناسبة بينهما والا لكان في الثاني مرتجلا وبهذا يظهر الفرق بين المجاز والكذب والدعوى الباطلة وذلك لان
المبطل اذا اخرج الحكم عن موضعه اعطاه غير المستحق لم يعرف انه انما اعطاه لكونه فرعا لاصل بل يجزم بان ثبوت الحكم في ذلك الموضع ثبوت اصلي
وكذلك الكاذب يدعي ان الامر على ما وضعه وليس هو من التاويل في شيء والمجاز لم يكن مجازا الا لانه اثبات الحكم لما لا يستحقه للمناسبة
بينه وبين المستحق **البحث الثالث** في اقسام المجاز انما ان يقع في اللفظ المفرد فقط او في المركب فقط او فيهما معا مثال الاول اطلاق
لفظ الاسد على الرجل الشجاع والحمار على البليد واما الثاني وهو ان يستعمل كل واحد من الالفاظ المفردة في موضعه الاصلي لكن التركيب
لا يكون مطابقا لما في الوجود مثاله قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وقول الشاعر اشاب الصغير وافنى الكبير كر الغداة ومر العشي
وهذا المجاز عقلي لان نسبة الاخراج الى الارض والاشابة الى كر الغداة ومر العشي حكم عقلي عدل به عن الفاعل الحقيقي وهو الله
سبحانه الى غير من هو له وهو الارض والغداة والعشي مثال الثالث كقولك لمن تحبه احياني اكتحالي بطلعتك فان لفظي الاحيا
والاكتحال مفردان استعملا في غير موضوعهما الاصلي ثم نسب الاحيا الى الاكتحال مع عدم المطابقة لما في نفس الامر وهذا التلخيص
لعبد القاهر النحوي ره **البحث الرابع** في اصناف المجاز والذي ذكره الامام فخر الدين منها اثنا عشر صنفا آ اطلاق اسم السبب
على المسبب والاسباب اربعة احدها القابل كاطلاق اسم النظر الذي هو تقليب الحدقة نحو المرئي على الرؤية كقولك نظرته اي رايته
الثاني الغائي كتسميتهم العنب بالخمر الثالث الصوري كتسميتهم القدرة يدا الرابع الفاعلي كقولهم سال الوادي ب اطلاق
المسبب على السبب كتسميتهم المرض الشديد بالموت والاول اولى لاستلزام السبب المعين للمسبب المعين من غير عكس و اولى الاسباب

بذلك هو السبب الغائي لحصول علاقتي العلية والمعلولية اللتين كل واحدة منهما علة لحسن المجاز منفردة عن باقي الاسباب ج اطلاق اسم الشيء على ما يشابهه كاطلاق لفظ الحمار على الرجل البليد وهو الاستعارة كما سيجيء بيانها د تسمية الشيء باسم ضده كتسمية العقاب بسبب الجريمة بالجزاء المختص بمقابلة الاحسان بمثله ه تسمية الجزء باسم الكل كاطلاق لفظ العام على الخاص و العكس كاطلاق لفظ الاسود على الزنجي لسواد جلده والاول اولى لاستلزام الكل للجزء من غير عكس ز اطلاق ما بالفعل على ما بالقوة كتسمية الخمر في الدن مسكرا وهو قريب من اطلاق السبب الغائي على المسبب ح اطلاق المشتق بعد زوال المشتق منه ط كاطلاق لفظ ضارب على من فرغ من الضرب قد عرفت ان ذلك هل هو مجاز ام حقيقة ى اطلاق اسم المجاور على مجاوره كاطلاق لفظ الراوية وهو الجمل الذي يحمل عليه الماء على المزادة يا اطلاق اسم الحقيقة العرفية كالدابة للفرس على الحمار وغيره المجاز عرفا يب المجاز بسبب النقصان والزيادة قال الامام وتحقيقه ان الكلمة كما انها توصف بالمجاز لنقلها عن معناها فقد توصف بالمجاز لنقلها عن حكم كان لها الى حكم ليس هو بحقيقة فيه كقوله تعالى واسئل القرية والتقدير واسئل اهل القرية والكاف بتحقيقه في الاصل الجر والنصب فيهما مجاز وفيه نظر لان الاعراب لا يراعى فيه صدق التشبيه وكذبها والمطابقة وعدمها فانك لو قلت ليست السماء كان السماء مفعولا به للفعل المتقدم ويستحق النصب حقيقة وكذا القرية ههنا تستحق النصب حقيقة بالمفعولية اما ان النسبة في نفسها صادقة ام لا فذلك بحث اخر بل الحق انه مجاز في التركيب والتشبيه فان نسبة السؤال الى اهل القرية حقيقة فيكون اليها مجازا وان قطعنا النظر عن مباحث النحاة امكن ان يكون الحق ما قاله الامام واما المجاز بسبب الزيادة فالحق ان الزيادة ان غيرت معنى الكلام الذي يتم بدونها ولا يحتاج فيه اليها كقوله تعالى ليس كمثله شيء فالمجاز حاصل في التشبيه اذ كانت نسبة التقى المعنى لغير الله وان لم تغير كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله لم يتصور المجاز ههنا يج اطلاق اسم المتعلق على المتعلق كتسمية المقدور قدرة البحث الثالث في محل المجاز بالذات لا يدخل الا على اسماء الاجناس بيانه اما الحرف فلان معناه في غيره فان ضم الى حقيقة فهو حقيقة والى مجاز كان مجازا في التركيب فلم يدخله بالذات واما الفعل فلان معناه مركب من المصدر وغيره فما لم يكن المصدر متجوزا به لم يكن الفعل كذلك فكان داخلا فيهما بالعرض واما الاسم فاما علم ولا يدخله المجاز لانه مشروط بالعلاقة بين الاصل والفرع وليست موجودة في الاعلام او مشتق ومعلوم انه لولا تطرق المجاز الى المشتق منه لم يتطرق الى المشتق فلم يبق الا اسماء الاجناس البحث الرابع في الداعي الى التكلم بالمجاز العدول الى المجاز اما لاجل اللفظ او المعنى ولهما اما الاول فاما لاجل جوهر اللفظ او لاحوال عارضة له اما الاول فان يكون اللفظ الدال بالحقيقة ثقيلا على اللسان اما لثقل اجزائه او لتنافر تركيبه او لثقل وزنه ويكون المجاز عذبا واما الثاني فان يكون المجاز صالحا للشعر او للسجع اصناف البديع دون الحقيقة واما الذي لاجل المعنى فقد يقصد المجاز لتعظيم ليس في الحقيقة كما يقال سلام على المجلس السامي او لتحقير يكون فيها كما يعبر بالغائط عن قضاء الحاجة او لزيادة بيان اما تقوية لحال المذكور كرايت اسدا للانسان الشجاع فانه اتم من قولك رايت انسانا يشبه الاسد في الشجاعة او تقوية لحال الذكر وهو المجاز الذي يذكر للتأكيد او لتلطيف الكلام قال الامام وتقريره ان النفس اذا وقفت على كلام فلو وقفت على تمام المقصود لم يبق لها اليه شوق اصلا لان تحصيل الحاصل محال وان لم يقف على شيء منه اصلا لم يحصل لها ايضا اليه شوق اما اذا وقفت عليه من بعض الوجوه دون البعض فان القدر المعلوم يشوقها الى غير المعلوم فيحصل لها بسبب علمها بالقدر المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي الم فيحصل هناك تعاقب الام و لذات واللذة اذا حصلت عقيب الالم كانت اقوى وشعور النفس بها اتم اذا عرفت ذلك فنقول اذا عبر عن الشيء باللفظ الدال عليه على سبيل الحقيقة حصل تمام العلم به فلا تحصل اللذة القوية اما اذا عبر عنها بلوازمها الخارجية عرفت لا على سبيل الكمال فتحصل الحالة المذكورة التي هي كالدغدغة النفسانية مثال هذا انك اذا قلت رايت انسانا يشبه الاسد في شجاعته فقد حصلت المعاني بتمامها من الفاظها الموضوعة لها فلم يحصل من اللذة ما يحصل من قولك رايت اسدا في يده سيف فان الذهن ههنا يتصور من لفظ الاسد معناه ولوازمه البينة كالشجاعة ثم ينتقل بسبب القرينة الى ملاحظة وجه الشبه في الانسان الذي هو الشجاعة فعرفت ان الانتقال هو محل الدغدغة واللذة النفسانية البحث السابع فيما تنفصل به الحقيقة عن المجاز انه اما ان يقع بالتنصيص او الاستدلال اما التنصيص فمن وجوه احدها ان يقول الواضع هذا حقيقة وذاك مجاز وثانيها ان يذكر واحد منها وثالثها ان يذكر خواصهما واما الاستدلال فالحقيقة تعرف من وجهين احدهما ان يسبق المعنى من تلك اللفظة الى فهم بعض السامعين من اهل تلك اللغة فيحكم بانه حقيقة فيه اذ لولا اضطراره الى فهم ذلك المعنى من قصد الواضعين لما فهمه دون غيره وثانيها ان اهل اللغة اذا ارادوا افهام غيرهم معنى اقتصروا على عبارات مخصوصة واذا قصدوا التعبير عن غيره عبروا بعبارات اخرى وقرنوا بها قرائن فيعلم ان الاول حقيقة اذ لولا انه استقر في قلوبهم استحقاق ذلك اللفظ لذلك المعنى لما اقتصروا عليه وان

المجاز فيعرف اما اولا فمن عكوس ما ذكرناه في تعريف الحقيقة واما ثانيا فلان الكلمة اذا علقت بما يستحيل تعليقها به علم انها في اصل
اللغة غير موضوعة له فيعلم انها مجاز فيه كقوله تعالى واسئل القرية واما ثالثا فان يعلم ان الواضع وضع لفظا لمعنى ثم استعمله
في بعض موارده ثم استعمله بعد ذلك في غير ذلك الشيء كلفظ الدابة الذي وضع لكل ما يدب ثم تخص بالفرس فصار حقيقة
عرفية ثم استعمل بعد ذلك في الحمار فيعلم انه مجاز فيه الى ان يغلب الاستعمال عليه فيصير حقيقة عرفية ايضا **الفصل الثالث**
في التشبيه وفيه اربعة اركان **الركن الاول** في المتشابهين انهما اما محسوسات او معقولات او المشبه به محسوس والمشبه
معقول او بالعكس اما الاول فكقوله عليه السلام لاهل البصرة كاني بمسجدكم هذا كجؤجؤ سفينة وقوله عليه السلام
في وصف الاتراك كاني اراهم قوما كان وجوههم المجان المطرقة واما الثاني فكقوله عليه السلام اداريكم كما تدارى البكار العمدة
والثياب المتداعية فان المتشابهين ههنا هو مداراته ومداراة اهل البكار لها والمداراة معنى اضافي معقول وما
به المشابهة هو الصعوبة ههنا كالصعوبة هناك واما الثالث فكقوله عليه السلام في حق مروان اما ان له امرة كلعقة
الكلب انفه فان الامرة حالة معقولة اشبهت لعقة الكلب انفه في السرعة وهي امر محسوس وقوله عليه السلام اما بعد فان الامر ينزل
من السماء الى الارض كقطر المطر وكقوله كاني بك يا كوفة تمدين مد الاديم العكاظي واما الرابع فكقول الشاعر كان ابصار
البدر من تحت غيمه نجاة من البأس بعد وقوع وكقول الصاحب بن عباد وقد اهدى عطرا الى القاضي ابي الحسن اهدى
له اخلاقه وقد منع الامام فخر الدين من جواز هذا القسم من التشبيه اعتمادا منه على ان العلوم العقلية مستفادة من الحواس
فكان المحسوس اصلا للمعقول فتشبيهه به يقتضي جعل الاصل فرعا والفرع اصلا وهو محال وهذا سهو فان الحواس وان كانت
طرقا للعلم الا انها ليست كل الطرق له سلمناه لكن الممنوع انما هو جعل الفرع اصلا من جهة ما هو فرع لذلك الاصل لا مطلقا وههنا
ليس كذلك فان المعقول فرع للمحسوس من حيث ما هو مستفاد عنه فيمتنع ان يعود اصلا من تلك الجهة لكنه لا يمتنع ان يكون فرعا او لا
له من تلك الجهة ومع ذلك يكون اصلا له في التشبيه والملاحظات الذهنية **الركن الثاني** فيما به التشبيه وفيه ابحاث **البحث الاول**
في اقسامه انه اما ان يكون صفة حقيقية واضافية والاول اما كيفية جسمانية او نفسانية والاول اما كيفية محسوسة احساسا اوليا او
ثانيا والاول اما يحس بالبصر كتشبيه الخد بالورد في الحمرة وتشبيه الوجه بالنهار والشعر بالليل ويحس بالسمع كتشبيه اطيط الرحل باصوات
الفراريج وكتشبيه الصوت المنكر بصوت الحمار او يحس بالذوق كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر او يحس بالشم كتشبيه
بعض الرياحين بالمسك والكافور او يحس باللمس كتشبيه الجسم اللين الناعم بالخز والخشن بالمسح واما المحسوس ثانيا فهي الاشكال
والمقادير والحركات والاشكال اما مستقيمة او مستديرة مثال التشبيه في الاستقامة تشبيه الرجل المعتدل القامة بالرمح و
مثال التشبيه في الاستدارة المستوية بالكرة تارة وبالحلقة اخرى ومثال التشبيه في المقادير تشبيه عظيم الجثة بالجمل والفيل
ومثاله في الحركة تشبيه السريع بالسهم واما الاشتراك في كيفية جسمانية غير محسوسة فكما يقال فلان كالحمار اي في البلادة
شبهه وهو كالنزاى في غضبه واما في الكيفية النفسانية فكالاشتراك في الغرائز والاخلاق كالكرم والحلم والشجاعة والذكاء
والفطنة والعلم والزهد كقولك هو كالحاتم اي في جوده وكعمرو بن معديكرب اي في شجاعته واما الاشتراك في الحالة الاضافية فكقولهم
هذه الحجة كالشمس فالاشتراك ههنا في الجلاء بالنسبة الى البصر والفهم وهي حالة اضافية وقد يكون جلية كما ذكرنا وكقولهم الفاظ
فلان كالماء اي في السلاسة وكالنسيم اي في الرقة وذلك لانه اذا لم يكن فيها غرابة وقد خفت على اللسان ولم يكن غريبا وحشيا ارتاح
له القلب فلسرعة وصوله الى النفس صار كالماء الذي يسرع نفوذه الى الحلق والنسيم الذي يسري في البدن وقد يكون خفية كقوله
من ذكر بني المهلب هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها الا ترى انه لا يفهم المقصود من ذلك الا من كان له ذهن يرتفع عن درجة
العامة **البحث الثاني** في تقسيمه بوجه آخر انه قد يكون قريبا وقد يكون بعيدا والاول كما اذا خطرت ببالك استدارة
الشمس واستنارتها فانه يخطر بقلبك المرآة المجلوة وتلاحظ الشبه بينهما وكما اذا نظرت الى الوشي المنشور لاح لك شبهه
الروض الممطور المفتر عن ازهاره واما الغريب البعيد فهو الذي يحتاج في ادراكه الى دقة نظر كتشبيه الشمس بالمرآة في كف
الاشل وتشبيه البرق باصبع السارق كقول كشاجم ارقت ام نمت لضوء بارق مؤتلقا مثل الفؤاد الخافق اصبع كف السارق
ثم السبب في القرب والبعد امران احدهما ان الحس لا يعطي التمييز بين جهة الاشتراك والامتياز وانما يدرك المركب من حيث هو
شيء واحد واما التفصيل والتمييز فذلك لحظ العقل وايضا فشعور الحس بالاجمال مقدم من شعوره بالتفصيل فان المرئي في
اول النظر اليه لا يدرك البصر تفاصيله حتى يتكرر وكذلك المسموع فانك تقف في اعادة الصوت على ما لم تقف عليه بالسماع
الاول وبادراك التفاصيل يقع التفاضل بين سامع وسامع واذا كان ادراك الجملة قبل ادراك التفصيل وكان ادراك
التفصيل محتاجا الى الكد والطلب كان ادراك الجملة اسهل واقرب من ادراك التفصيل **البحث الثالث** في بيان ان التشبيه

بالوجه العقلي اعم من التشبيه بالوجه الحسي ثم التشبيه المحسوس بالمحسوس فيمكن ان يكون لاجل الاشتراك في وجه محسوس ويمكن ان يكون
لاجل الاشتراك في وجه معقول ويمكن لاجلهما جميعا مثال الاول تشبيه الخد بالورد ومثال الثاني قوله صلى الله عليه وآله اياكم وخضراء
الدمن فالتشبيه ماخوذ للمرأة من النبات وهما محسوسان لكن وجه المشابهة هو مقارنة الحسن الظاهر للقبح الباطن وهو امر عقلي وكذا
الثالث تشبيه الشخص الرفيع القدر الحسن الوجه بالشمس لاشتراكهما في النباهة التي هي امر عقلي وفي الضياء الذي هو امر حسي واما تشبيه
المعقول بالمعقول والمحسوس بالمعقول فيمتنع ان يكون وجه المشابهة غير عقلي لان وجه المشابهة مشترك بين الجانبين فلو
كان محسوسا لم يبق وصف المعقول به واما العقلي فيصح ان يصدق على ما لا يكون محسوسا او محسوس فثبت ان التشبيه بالوجه
المعقول اعم **البحث الرابع** التشبيه بالوصف المحسوس اتم من التشبيه بالوصف المعقول بيانه من وجهين احدهما ان اكثر الغرض
في التشبيه التخييل الذي يقوم مقام التصديق في الترغيب والترهيب والخيال اقوى على ضبط الكيفيات المحسوسة منه على الامور العقلية
الثاني ان الاشتراك في نفس الصفة اسبق من الاشتراك في مقتضاها لما ان الصفة في نفسها متقدمة في التصور على مقتضاها فاذا
كانت الصفة المحسوسة اتم في التشبيه من الاثر المعقول **البحث الخامس** في تقسيمه باعتبار المشابهة الى المفرد والمركب المشابهة اما
ان يكون في امر واحد او في امور كثيرة والاول اما ان لا يكون مقيدا بالنسبة الى شيء او يكون فالاول كتشبيه الكلام بالعسل
في ان كل واحد منهما يوجب للنفس لذة وحالة محمودة واما الثاني فاما الى الانتساب بعينه امورا اما المفعول به فكقولهم اعط القوس
باريها لان المقصود وقوع الاعطاء في موضعه وحصوله من اهله وهذا لا يحصل من الاعطاء المطلق ولكن من حيث الحكم الحاصل لم يرقه
من باري القوس عليه واما الى ما يجري مجرى المفعول به وهو الجار والمجرور كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد هو كالراقم على الماء فالتشبيه
ليس بمنتزع من الرقم المطلق بل منه على الماء واما الى الحال كقولهم كالحادي الذي ليس له بعير اي الحادي حال ما لا يكون له بعير واما الى
المفعول به والجار والمجرور معا كقولهم هو كمن يجمع السيفين في غمد وهو كمن ينثر الجوز على القبة فالجمع المعدى الى السيفين لا يكفي
في التشبيه ما لم يشترط كونه جامعا لهما في الغمد ومتروقا لتقيما كمثل الحمار يحمل اسفارا فانه تضمن التشبيه من الهوية لا امر يرجع الى
حقيقة الحمل المطلق بل الى امرين اخرين احدهما تعديته الى الاسفار والاخر اقتران الجهل بها فانها لان الغرض توجيه الذم الى من اتعب نفسه
بحمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم لم ينتفع بها لجهله وهذا المقصود لا يحصل من الحمل المطلق بل منه مشروطا بالشرطين الاخرين ثم اذا كان ما به
المشابهة وصفا مقيدا فقد يمكن افراد احد جزئيه بالذكر وقد لا يمكن اما الاول فكقوله وكان اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على
بساط ازرق فانا لو قلت كان النجوم درر وكان السماء بساط ازرق كان التشبيه معقولا وان تغير المعنى المراد للقائل لان المقصود
من التشبيه ههنا ذكر الامور العجيبة من طلوع النجوم مؤتلقة متفرقة في اديم السماء وهي زرقاء زرقتها الصافية والنجوم تتلالأ في تلك الزرقة
ومعلوم ان هذا المقصود لا يبقى اذا فرق التشبيه واما الثاني فكقوله كانما المريخ والمشتري قدامه في شامخ الرفعة منصرف بالليل
عن دعوة قد اسرجت قدامه الشمعة فلو قلت كان المريخ منصرف عن دعوة وتركت حديث المشتري والشمعة كان خلفا من القول
اذ التشبيه للمريخ من حيث الحالة الحاصلة من تقدم المشتري له فانه لا يمكن افراده بالذكر **البحث السادس** في التشبيهات المتعددة
المجتمعة انما يكون الامر كذلك اذا كان التشبيه من امور كثيرة لا يتقيد بعضها بالبعض وح يكون التشبيهات مضموما بعضها الى البعض لاغراض
كثيرة كل واحد منها قائم بنفسه ولهذا النوع خاصيتان الاولى انه لا يجب فيها الترتيب فانك لو قلت زيد كالاسد باسا والبحر جودا
والسيف مضاء والبدر بهاء لم يجب عليك ان تحفظ في هذه التشبيهات نظاما مخصوصا الثانية اذا سقط البعض فانه لا يتغير حال
الباقي كقولهم هو يصفو ويكدر ويحلو ويمر ولو تركت ذكر الكدورة والمرارة لكان المعنى في تشبيهه بالماء الصافي والعسل في الحلاوة
باقيا **البحث السابع** يجب رعاية جهة التشبيه ولا يجوز تعديها والا وقع الخطاء ومثاله ما قيل النحو في الكلام كالملح في الطعام فان جهة
التشبيه ههنا هي الاصلاح والمفسدات الطعام كما لا يصلح الا بالملح كذلك الكلام لا يصلح الا بالنحو فاما ما ظنه بعضهم ان المقصود ان القليل
من النحو مغن والكثير مفسد كما ان القليل من الملح مغن والكثير مفسد فهو ظن فاسد لان النحو علم بمجموع قوانين مضبوطة يمتنع تطرق الزيادة
والنقصان اليها وانما يجريانها في الكلام كقولك كان زيد قائما فانه لا بد فيه من رفع الاسم ونصب الخبر فان وجد فيه النحو من غير زيادة
ولا نقصان وان لم يحصل اعدم النحو فلا زيادة ولا نقصان فيه **البحث الثامن** في اكتساب وجه المشابهة الطريق اليه تمييز ما به المشابهة
عما به الامتياز مثلا من اراد تشبيه شيء في هيئة الحركة وجب ان يطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة المجردة عن الجسم وسائر ما فيه من الاعراض
كما فعل ابن المعتز في قوله وكان البرق مصحف قار فانطباقا مرة وانفتاحا فلم ينظر في جميع اوصاف البرق ومعانيه الا الى الهيئة التي
تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض ثم للبحث عن اوصاف الحركات لينظر ايها اشبه بها اصاب ذلك فيما يفعله القارئ من الحركة في
المصحف من فتحها مرة وطبقها اخرى ولم يكن حسن التشبيه لكونه جامعا بين مختلفين بل لحصول الاتفاق بينهما من ذلك الوجه ولاجل
اجتماع الامرين اعني الاتفاق التام والاختلاف التام كان حسنا ومما يناسب ذلك كونه جامعا بين المختلفين مجاز لان الشاعر جعل الشيء سببا

لصنده كقوله سوما صنعت من الرقى فيا بونا على كبدي فضرعته السوفيك وما احسن سوفيلي الى احد **الركن الثالث** في غرض
التشبيه انه اما ان يكون عائدا الى المشبه او الى المشبه به اما الاول فقد يكون غرضه بيان الحكم المجهول وقد لا يكون اما الاول فاما ان يقصد
بيان امكانه عند ما لا يكون بينا فيحتاج الى التشبيه لبيانه كقوله فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال فان مقصوده
ان يقول ان الممدوح فاق الانام حتى لم يبق بينه وبينهم مشابهة بل صار اصلا بنفسه ولما كان هذا في الظاهر كالممتنع او يستبعد ان يتناهى
انسان في الفضائل الى ان يخرج من نوعه احتج لدعواه بان المسك وان كان بعض دم الغزال لحاصله فقد خرج عن صفة الدم وحقيقته
حتى صار لا يعد دما واما ان يقصد بيان مقداره كقولك للشيء الاسود انه كحلك الغراب فان المقصود من هذا التشبيه بيان مقدار
السواد في الحلوكة لا امكان وجوده واما الثاني وهو ان لا يكون غرضه بيان حكم مجهول فقد يكون غرضه احد امرين احدهما نقل
النفس من الغريب الى القريب لان الف النفس مع العقليات انا اكثر من العلوم العقلية عن الحسية فاذا ذكرت المعنى العقلي الجلي ثم عقبته
بالتمثيل الحسي فقد نقلت النفس من الغريب الى القريب الثاني ان يقصد المباعدة بين المتشابهين لان التشابه كلما كان اغرب
فيكون اعجاب النفس بذلك التشبيه اكثر لان شغف النفس بالغريب الذي لم يعهد اكثر من المألوف المعتاد واما الاغراض العائدة الى
المشبه به فقد يقصد المادح على طريق التخييل ان يوهم في الشيء القاصر عن نظيره انه زائد عليه ويشبه الزائد به ايهاما ان الناقص يقصد
به اعلاء شان ذلك الناقص اي هو بالغ الى حيث صار اصلا للشيء الكامل في ذلك الامر كقوله وبدا الصباح كان غرته وجه الخليفة حين
يمتدح الا ترى انه جعل وجه الخليفة اعرف واتم واشهر في النور والضياء من الصباح حتى شبه الصباح به وقد يقصد الذم عكس ذلك

الركن الرابع في التشبيه نفسه وفيه ابحاث **البحث الاول** التشبيه ليس من المجاز لانه معنى من المعاني وله حروف والفاظ
مخصوصة كالكاف وكان ونحو ومثل تدل عليه وضعا فاذا صرح بالالفاظ الدالة عليه كان حقيقة فاذا قلت زيد كالاسد لم
يكن نقلا للفظ عن موضوعه الاصلي فلا يكون مجازا **البحث الثاني** في التشبيه الذي يصح عكسه والذي لا يصح قد يكون الغرض
من التشبيه الحاق الناقص بالزائد مبالغة في اثبات الحكم للناقص اذا شبهت شيئا اسود بخافية الغراب ووجها حسن البياض والصفاء
بالبدر والشمس ومثل هذا يمتنع العكس فيه لان تنزيل الزائد منزلة الناقص يضاد المبالغة الاولى وقد يكون المقصود الجمع بين
الشيئين في مطلق الصورة او الشكل واللون كتشبيه الصبح بغرة الفرس لا لاجل المبالغة في الضياء بل لاجل ظهور بياض في سواد
مع كون البياض قليلا بالاضافة الى السواد والعكس جائز كما لو شبهت غرة الفرس بالصبح **البحث الثالث** في التشبيه الواقع
في الهيئات انه قد يقع في الهيئات التي تقع عليها الحركات وقد يقع في الهيئات التي تقع عليها السكنات اما الاول فعلى وجهين احدهما
ان تقرن الحركة بغيرها من الاوصاف والشكل واللون كقول ابن المعتز والشمس كالمرآة في كف الاشل اراد ان لها من الاستدارة والاشراق
الحركة التي تراها اذا امعنت التامل وذلك ان للشمس حركة دائمة متصلة ولنورها بسبب تلك تموج ولا يحصل هذا التشبيه الا ان تكون
المرآة في كف الاشل لدوام حركته فيتموج بسببه نور المرآة وتلك حال الشمس وثانيهما ان يكون التشبيه في هيئة الحركة مجردة من
كل وصف يقارنها مثاله قول الاعشى يصف السفينة وتلعب الامواج بها تقص السفين بجانبيه كما ينزو الرباح خلاله الكرع و
الرباح القرد في لغة اهل اليمن واصله مثقل بالباء فخففه وقيل اراد الربح وهو الفصيل فاشبع فتحة الباء فحدثت الالف و
الكرع ماء السماء يكرع فيه شبه السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركات القرد اذا نزا في الماء فانه يكون له حركات مختلفة في جهات
مختلفة ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب وهو اشبه شيء بحركات السفينة حين يتدافعها الموج واما التشبيه الواقع
في الهيئات التي يقع عليها السكنات فكقول الاخطل في صفة المصلوب كانه عاشق قد مد بسطته يوم الوداع الى توديع مرتحل
او قائم من نعاس فيه لوثته مواصل لتمطيه من الكسل فلطفه بسبب ما فيه من التفاصيل ولو قال كانه متمط من نعاس واقتصر عليه
لكان قريب التناول لان هذا القدر من التشبيه يحصل في نفس الرائي للمصلوب لكونه من باب الجملة واما على التفصيل الذي
فيه بواسطة ان تلك الهيئة فلا يحصل الا مع التامل لحاجته الى ان ينظر الى احوال المتمطي من مد ظهره ويديه وتزيد على ذلك النظر
الى سنته امتداده لا الى علته وهي فتنام اللوثة والكسل في القائم من النعاس هذا اصل فيما يراد به التفصيل وهو ان تثبت في
الوصف امرا زائدا على المعلوم المتعارف ثم تطلب علته **البحث الرابع** في مراتب التشبيه في الخفاء والظهور التشبيه قد يكون
بالتخييل الذي لا وجود له في الاعيان كتشبيه الشقائق باعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد وقد يكون بما له وجود في الاعيان
وح فالهيئة المعتبرة في ذلك اما ان توجد قليلا او كثيرا بيانه انك اذا قابلت بين قوله وكان اجرام النجوم لوامعا درر نثرن
على بساط ازرق وبين قول ذي الرمة كانها فضة قد مسها ذهب عرفت ان الاول اغرب من الثاني لان الهيئة الاولى وهي وجود
درر منثور على بساط ازرق قليل ووجود فضة اجري عليها الذهب كثير وكلما كان الشيء عن الوقوع ابعد كان اغرب فكان التشبيه
به الذ واعجب **البحث الخامس** في التمثيل والمثل قد خص التشبيه المنتزع من اجتماع امور يتقيد بعضها بالبعض باسم التمثيل

وقد يكون ذلك على وجه الاستعارة كقولك للمتردد في الامر اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى تريد انك في ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر اخرى وقد لا يكون كذا اذا برزت الفاظ التشبيه كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية الاية واما المثل فهو تشبيه سائر اي يكثر استعماله على معنى ان الثاني بمنزلة الاول والامثال كلها حكايات لا تغير لان ذكرها على تقدير ان يقال في الواقعة المعينة انها بمنزلة ما يقال فيه هذا القول كقولك لمن لم يضيع رايك لا يطاع لقصير امر الا ترى انك تقول ذلك بالالفاظ التي قالها منشئ هذا المثل ولو غيرت هذه الالفاظ لم يتم مثلا

الفصل الرابع في الاستعارة وفيه ثلثة اركان

الركن الاول في حقيقتها واحكامها وفيه ابحاث

البحث الاول

اجود ما قيل في حد الاستعارة انها استعمال اللفظ في غير ما اصطلح عليه في اصل المواضعة التي بها التخاطب لاجل المبالغة والقيد الاول احتراز عن الحقائق الثلث اللغوية والعرفية والشرعية وبقولنا لاجل المبالغة في التشبيه عن سائر وجوه المجاز واعلم ان المستعار وان كان صفة للفظ الا انه صفة للمعنى اولا فان المعنى لا يعار ثم بواسطته يعار اللفظ بيانه من وجهين احدهما انه حيث لا يكون نقل الاسم تابعا لنقل المعنى تقديرا لم يكن ذلك استعارة كالاعلام المنقولة فانك اذا سميت انسانا بيزيد او يشكر فانه لا يقال لهذه الالفاظ انها مستعارة اذ لم يكن نقلها تبعا لنقل معانيها تقديرا الثاني ان العقلاء يجزمون بان الاستعارة ابلغ من الحقيقة فان لم يكن نقل الاسم تبعا لنقل المعنى لم يكن فيه مبالغة اذ لا مبالغة في اطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه

البحث الثاني

الفرق بين الاستعارة والتشبيه حكم اسنادي يستدعي مضافين وليس الاستعارة كذلك فانك اذا قلت رايت اسدا لم تذكر شيئا الرجل تشبيها بالاسد فلم يكن ذلك تشبيها بل اعطي المعنى لفظا ليس له لاجل المشابهة بينه وبين معناه الاصلي وما هو لاجل شيء اخر لا يكون نفس ذلك الشيء واعلم انه متى قويت المشابهة بين الشيئين كان ان لا يصرح بالتشبيه قبيحا وذلك لقرب الشبه من حقيقة المشبه به مثاله اطلاق لفظ النور على العلم والايمان والظلمة على الكفر والجهل فلا يحسن ههنا لقوة المشابهة ان يقول العلم كالنور والجهل كالظلمة فالاستعارة انما تحسن حيث يكون التشبيه متقررا بين الناس ظاهرا فاما اذا اخفي واحتاج الى كلفة فلا بد من التصريح فانك لو قلت في قوله عليه السلام مثل المؤمن كمثل النخلة رايت نخلة واردت المؤمن كنت كما قال سيبويه ملغزا تاركا لكلام العرب

البحث الثالث

في ترشيح الاستعارة وتجريدها اما ترشيح الاستعارة فان تراعي جانب المستعار وتوليه ما يستدعيه وتضم اليه ما يقتضيه كقول كثير رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر فاستعار الرمي للنظر وراعي ما يستدعيه فاورد لفظ السهم وقول امرئ القيس فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازا وناء بكلكل لما جعل لليل صلبا قد تمطى به اردفه بما يقتضيه من الاعجاز والكلكل واما تجريدها فان يراعي جانب المستعار له كقوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وكقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف لو نظر الى المستعار ههنا لقيل فكساها لباس الجوع ولقال زهير لدى اسد وافي المخالب والبراثن

البحث الرابع

في الاستعارة بالكناية وتنزيلها منزلة الحقيقة واما الاستعارة بالكناية فهو ان يذكر بعض لوازم المستعار للتنبيه عليه دون التصريح بذكره كقول ابي ذؤيب واذا المنية انشبت اظفارها فكانه حاول استعارة السبع للمنية لكنه لم يصرح بها بل ذكر بعض لوازمها تنبيها بها على المقصود واما تنزيلها منزلة الحقيقة فاعلم انهم قد يستعيرون الوصف المحسوس للشيء المعقول ويجعلون ذلك كالثابت لذلك الشيء في الحقيقة وكان الحقيقة لم توجد وذلك كاستعارة العلو لزيادة الرجل على غيره في الفضل ثم وضعهم الكلام وضع من يذكر علوا مكانيا كقول ابي تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء فلولا قصده هنا ان ينسي التشبيه ويرفعه راسا ويجعل الممدوح صاعدا في السماء صعودا مكانيا وهكذا اذا استعاروا اسم الشيء لغيره من نحو بدر واسد فانهم يبلغون الى حيث يعتقد ان ليس هناك استعارة كقوله قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس فلولا انه انسى نفسه ان ههنا استعارة لما كان لهذا التعجب معنى ومدار اكثر هذا النوع على التعجب وقد يجيء على عكسه في ذهاب التعجب كقوله لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر ازراره على القمر فقد ذكر كما ترى شيئا هو من خاصة القمر فهو ينهاهم عن التعجب من بلى الكتان بسرعة ويقول انه قد زر على القمر ومن شان القمر ذلك وهذا انما يتم بالجزم بكونه قمرا لانه لو اعترف بانه ليس بقمر وانما يشبه القمر لبطل كلامه

البحث الخامس

في شرط حسن الاستعارة واعلم ان الاستعارة انما تحسن بالمبالغة في التشبيه مع الايجاز كقوله ايا من رمى قلبي بسهم فانفذ لا كقول ابي تمام لا تسقني ماء الملام فانني صب قد استعذبت ماء بكائي فان قوله ماء الملام ليس فيه لذاذة ولو اتى بالحقيقة فقال لا تلمني لكان اوجز وقد تكون الاستعارة عامية كقولك رايت اسدا ووردت بحرا وقد تكون خاصية كقوله وسالت باعناق المطي الاباطح شبه سيرها الحثيث وغاية سرعته في لين وسلاسة بسيل وقع في الاباطح فجرت به

الركن الثاني في اقسام الاستعارة وفيه ابحاث

البحث الاول

الاستعارة قد تعتمد على التشبيه كما اذا اشترك شيئان في وصف وهو في احدهما ازيد فتعطي الناقص اسم الزائد كقولك رايت اسدا وتريد رجلا شجاعا

شجاعا وعنت لنا ظبية وتريد امرأة وقد تعتمد لوازم التشبيه وهو اذا كانت جهة الاشتراك مما يثبت كمالها في المستعار منه واستطير
امرا آخر فيثبت ذلك الامر للمستعار له مبالغة في اثبات المشترك كقوله اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فاثبت الشمال يدا في تصريفها للغداة
على حكم طبيعتها كالحيوان المتصرف الا ان تصرف الحيوان لما كان في اكثر الاحوال باليد كانت اليد كالآلة التي يكمل بها التصرف
ولما كان الغرض هاهنا اثبات التصرف وهو لا يكمل الا بثبوت اليد لا جرم اثبت للريح يدا تحقيقا للغرض وكذلك قوله اذا هز
في عظم قرن تهللت نواجذ افواه المنايا الضواحك لما شبه المنايا عند هز السيف بالمسرور وكان الفرح انما يظهر بالضحك
الذي يتهلل فيه النواجذ اثبت الضحك مع تهلل النواجذ تحقيقا للوصف المقصود **البحث الثاني** اعلم ان القسم الاول
على اربعة اقسام احدها ان يستعار لفظ المحسوس للمحسوس والاشتراك بينهما اما في الذات دون الصفات او بالعكس فالاول
كحقيقة تتفاوت احادها في الفضيلة والنقص والقوة والضعف فيستعار لفظ الاكمل في ذلك النوع للانقص كاستعارة الطيران
للعدو وهو عدو فيقال للعدو السريع طيران اذ الطيران والعدو يشتركان في حقيقة وهي الحركة المكانية ويختلفان في القوة والضعف
واما الثاني فكقولهم رايت شمسا وتريد انسانا يتهلل وجهه فههنا الانسان مخالف للشمس في الحقيقة مشارك لها في الوصف
وكقول علي عم في ذكر النبي صلعم اختاره من شجرة الانبياء وقال الشجرة واصل النبوة يختلفان بالحقيقة لكنهما يشتركان في ان كل واحد
منهما اصل يتفرع عليه فروع وثانيها استعارة لفظ المعقول للمعقول وهو ايضا اما يكون في امر يشتركان في وصف احدهما به اولى
وهو فيه اكمل فينزل الناقص منزلة الكامل ثم ان المشتركين قد يكونان متعاندين اما تعاند النقيضين وهو كاستعارة العدم للموجود
عند ما لا يكون في ذلك الموجود فائدة فيشارك المعدوم في عدم الفائدة فيستعار لفظه له او كاستعارة الوجود للمعدوم عند
ما يكون للمعدوم آثار باقية يشارك بها الموجود الا ان الوجود بمثلها اولى فيستعار لفظه له واما تعاند الضدين حقيقة كان او
ظاهرا وهو كتشبيه الجاهل بالميت لان الموت والحيوة للجاهل اشتركا في عدم الفائدة المطلوبة منه وهي الادراك والعقل الا ان الموت
بها اولى فيستعار لفظه لها ومنه قول علي عم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقد لا يكونان متعاندين وهو كاشتراك موجودين
في وصف معقول الا ان احدهما اولى فينزل الناقص منزلة الزائد كقولهم فلان لقي الموت اذا لقي شيئا من الشدائد لاشتراك
الموت والشدائد في المكروهية لكن الموت اولى بها فينزل الشدائد منزلة الموت فيستعار لفظ الموت لها وثالثها استعارة لفظ
المحسوس للمعقول وهو كاستعارة لفظ النور المحسوس للحجة واستعارة لفظ القسطاس المحسوس للعدل ومنه قوله في مدح القرآن
وانه حبل الله المتين ومنه ربيع القلب وينابيع العلم فاستعار لفظ الحبل والربيع والينابيع لمعاني القرآن ورابعها استعارة لفظ المعقول
للمحسوس وهو ان يجعل المعقول اصلا في التشبيه فيبالغ في تشبيه المحسوس به كقوله تنظرها اشفى من سقام ومخبرها احيا من حمام
فان الموضع المنظور اليه منهما لما شارك الشفاء في اللذة الحاصل عنهما وكان الشفاء اولى بذلك بالغ في تشبيه المنظر به فاعاره اسمه
وكان المخبر هو محل الاخبار وهو ما تقولها وافعالها المحسوسة وهي اخر لما شارك الحيوة في اللذة الحاصل عنهما وكانت الحيوة اولى به من المخبر
بالغ في تشبيه المخبر بها فاستعار له لفظها **الباب الخامس في الكناية وفيه بحثان البحث الاول** في حقيقتها اما حقيقتها فاعلم ان اللفظة اذا اطلقت
واريد بها غير معناها فاما ان يراد بها مع ذلك معناها او لا يراد والاول هو الكناية كقولك فلان طويل النجاد كثير رماد القدر فقولنا طويل
ليس الغرض الاصلي به معناه بل ما يلزم من طول القامة وكذا المثال الآخر فان المقصود منه ما يلزم من اطعام الخلق والتكرم عليهم فهذه هي
الكناية في المفرد واما في المركب فهي ان يحاول اثبات معنى من المعاني لشيء فيترك التصريح باثباته له ويثبته لمتعلقه كقولهم ان المروة و
السماحة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج لما اراد اثبات هذه المعاني للممدوح لم يصرح بها بل عدل الى ما ترى من الكناية فجعلها في
قبة ضربت عليه ومنه قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه ومثاله في جانب الذم قول من يصف امرأة بالعفة تبيت بمنجاة من اللوم بيتها اذا ما بيوت
بالملامة حلت فتوصل الى نفي اللوم عنها باثبات نفاه عن بيتها **البحث الثاني** في الفرق بينها وبين المجاز الفرق بينهما ان الكناية عبارة
عن ان تذكر لفظة وتفيد بمعناها معنى ثانيا هو المقصود واذا افدت المقصود بمعنى اللفظ وجب ان يكون معناه معتبرا
فلم تكن قد نقلت اللفظة عن موضوعها فليست مجازا مثاله انك اذا قلت فلان كثير الرماد فانت تريد ان تجعل كثرة الرماد دليلا على جوده
فقد استعملت هذه الالفاظ في معانيها الاصلية وقصدت بكونه كثير الرماد معنى ثانيا يلزم الاول وهو الجود بخلاف المجاز فانك تنقل
اللفظة عن معناها الاصلي وبالله التوفيق **الجملة الثانية** في النظم وفيها فصول **الفصل الاول** في حقيقته انه وضع الكلام على
النهج الذي يقتضيه علم النحو والعمل فيه بقوانينه واصوله بيانه انك تنظر في وجوه كل باب وفروقه فتنظر في الخبر مثلا الى الفرق بين ما اذا كان خبر
المبتدا اسما مشتقا او صريحا او فعلا ماضيا او مستقبلا وبين ادخال الالف واللام عليه وعدمها والفصل بالضمير وعدمه وفي الشرط و
الجزاء الى الوجوه التي تختلف بحسب اختلاف كون الجملتين فعليتين او احديهما فعلية والاخرى اسمية وان كانتا فعليتين فتنظر الفرق بين
ما اذا كان الفعلان ماضيين او مستقبلين او احدهما ماضيا والآخر مستقبلا وفي الحال اذا كان اسما او فعلا وفي الحروف المشتركة في معنى ان

يكون وصفيها اليوم نحو ان يجيء بما في نفي الحال والماضي وبلا في نفي الاستقبال وبان فيما يتردد فيهما وبانما اذا علم انه كاين وان تعرف
مواضع الفصل والوصل ومواضع التعريف والتنكير والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والاضمار والاظهار فيضع كل شيء مكانه
ويعلم انه ليس اذا حسن التنكير مثلا او التعريف واحد هذه الامور في موضع حسن في كل موضع بل انما يحسن بحسب الموضع الذي يقتضيه
وحاصل هذه التقريرات ان النظم انما يحصل في كلمات بعضها الى البعض وذلك ان النظم تعتبر فيه احوال المفردات واحوال انضمام بعضها
الى البعض فاما احوال المفردات فاما ان تعتبر حال دلالتها او حال الالفاظ او حال الدلالة احوالها وحركاتها وسكناتها فهذه هي اقسام الاعتبار
والنظم الكامل انما يحصل اذا اختير من هذه الامور الثلثة في كل موضع ما هو اللايق به **الفصل الثاني** في اقسام النظم ان الجمل
الكثيرة اذا نظمت نظما واحدا فاما ان تتعلق بعضها بالبعض او ليس فان كان الثاني لم يحتج ذلك النظم الى فكر في استخراجه ومثاله
قول علي ع لا مال اعود من العقل ولا داء اعوى من الجهل ولا عقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى وان كان الثاني فكلما كانت اجزاء الكلام اشد
ارتباطا كان ادخل في الفصاحة وليس له قانون يحفظ الحسبة على وجوه شتى ولنذكر بعض ما يعتبر منها وهو عشرون وجها **الوجه الاول**
المطابقة وهي الجمع بين المتضادين في الكلام مع رعاية التقابل حتى لا يضم الاسم الى الفعل كقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقوله
سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وقوله تعالى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
وتعز من تشاء وتذل من تشاء **الوجه الثاني** المقابلة وهي ان تجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما ثم اذا شرطتهما بشرط
وجب ان تشرط ضديهما بضد ذلك الشرط كقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى
وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى فلما جعل التيسير مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين اضداد
تلك الامور وهي المنع والاستغناء والتكذيب **الثالث** المزاوجة بين معنيين في الشرط والجزاء كقول البحتري اذا ما نهى الناهي فلج بي
الهوى اصاخت الى الواشي فلج بها الهجر **الرابع** الاعتراض وهو ان يدرج في الكلام ما يتم به الغرض دونه كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم
وانه لقسم لو تعلمون عظيم وقول علي ع اما بعد فان الله خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم **الخامس** الالتفات وهو العدول
عن مساق الكلام الى مساق آخر غير مناف للاول في المعنى بل متمم له على جهة التبديل وغيره كالعدول عن الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى مالك
يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقول علي ع وبنا انفجرتم عن السرار
وقر سمع لم يفقه الواعية **السادس** الاقتباس وهو ان تدرج كلمة من القرآن او آية منه في الكلام تزيينا لنظامه كقول ابن شمعون في وعظه
اصبروا عن المحرمات وصابروا على المفترضات ورابطوا بالمراقبات واتقوا الله في الخلوات ترفع لكم الدرجات **السابع** التمليح وهو
ان يشار في فحوى الكلام الى مثل سائر او شعر نادر كقول علي ع في خطبته الشقشقية شتان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جابر
الثامن ارسال المثلين وهو الجمع بين المثلين كقوله الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل **التاسع** اللف والنشر وهو
ان تلف شيئين ثم تورد تفسيرهما جملة ثقة بان السامع يميز ما لكل منهما كقوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه ولتبتغوا من فضله ويقرب منه ان تذكر لفظا يتوهم انه يحتاج الى البيان فتفصله مع تفسيره كقوله تعالى يوم يأتي لا تكلم نفس
الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار الآية واما الذين سعدوا ففي الجنة الآية **العاشر** التعديد وهو ايقاع
الاعداد من الاسماء المفردة في النظم والنثر على مساق واحد فان روعي فيه ازدواج او تجنيس او مطابقة او مقابلة حسن جدا مثاله من
النثر قولهم فلان اليه الحل والعقد والقبول والرد والامر والنهي والاثبات والنفي ومن النظم قول المتنبي الخيل والليل والبيداء
تعرفني والطعن والضرب والقرطاس والقلم **الحادي عشر** تنسيق الصفات كقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس
السلام الآية وقوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية وقوله ولا تطع كل حلاف مهين الآية والتنسيق في اوايل
الخطب كثير **الثاني عشر** الايهام وهو ان يكون للفظ ظاهر وغريب فيسبق الى فهم السامع الظاهر ان المراد به هو الثاني بل كقوله تعالى
والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه **الثالث عشر** مراعاة النظير وهو جمع الامور المتناسبة المتوازنة
كقول علي ع الحمد لله غير مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته ولا مأيوس من مغفرته **الرابع عشر** المدح الموجه وهو ان يمدح بشيء
يقتضي المدح بشيء آخر كقول المتنبي نهبت من الاعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بانك خالد فاوله مدح بالشجاعة وآخره مدح بعلو
الدرجة **الخامس عشر** المحتمل للضدين وهو ان يكون الكلام محتملا للمدح والذم على السواء كمن قال لرجل اعور ليت عينيه
سواء **السادس عشر** تجاهل العارف كقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول المتنبي اريقك ام ماء الغمامة ام خمر
السابع عشر السؤال والجواب كقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال ربكم ورب آبائكم الاولين **الثامن عشر**
الحذف وهو ان يتكلف حذف حرف من حروف المعجم كما حذف علي ع في خطبته المسماة بالموقصة الالف **التاسع عشر** التعجب كقوله فما
تحمل المقصرين من التوبيخ في محفل القيامة ويا حسرة الظالمين اذا عاينوا اهل السلامة **العشرون** الاغراق في الصفة كقول امرئ القيس

من القاصرات

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا وقول المتنبي كفى بجسمي نحولا انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني

الحادي والعشرون في حسن التعليل وهو ان يذكر وصفان احدهما علة للآخر والغرض منهما ذكرهما جميعا كقول علي في ذم الدنيا ما انت على ربها فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وكقوله فان غادر الغدران في صحن وجنتي فلا غرو منه لم يزل كان قادرا واعلم ان وجوه النظم كثيرة ولما كان كثير منها قلما يوجد في كلام المطبوعين من المتقدمين وانما هي صناعة تكلفها المحدثون لا جرم ذكرنا ما كان غالبا في القرآن الكريم والكلمات النبوية وكلام علي والمطبوعين على الكلام من سائر الفصحاء وما احدثه المتاخرون وان كان لا ينخرط في سلك الاولين الا انه يدل على ذكاء مبدعه وفطنة مخترعه وبالله التوفيق

الفصل الثالث في التقديم والتاخير وفيه ابحاث **البحث الاول** في فائدتهما اذا قدم اللفظ على غيره فاما ان يكون في النية مؤخرا كخبر المبتدا اذا قدم على الفاعل واما ان لا يكون على نية التاخير ولكن على ان ينقل الشيء من حكم الى حكم آخر مثاله ان تذكر اسمين كل واحد منهما يصلح ان يكون مبتدا والآخر خبرا فتقدم هذا تارة وذاك اخرى كقولك زيد المنطلق وعكسه قال سيبويه عند ما يذكر الفاعل والمفعول كانهم يقدمون الذي بيانه اهم وهم ببيانه اعنى وان كانا معا يهمانهم مثاله اذا ارادوا الاخبار عن قتل شخص خارجي لا من حيث هو شخص معين قالوا اقتل الخارجي زيد واذا صدر عن بعض الفضلاء فيجيء وارادوا الاخبار عن ذلك قدموا اسمه على فعله لان ذكره اولا ثم نسبة الفعل اليه اوقع في النفوس من العكس فكان عند المخبر اهم فنذكر ما يهم تقديمه وما لا يهم في الاستفهام والخبر والنفي

البحث الثاني في التقديم والتاخير في الاستفهام المذكور عقيب حرف الاستفهام اما الفعل او الاسم فان كان الاول كان هو المشكوك في وجوده والمسؤول عن معرفته مثاله قولك ابنى زيد داره فان السؤال واقع عن وجود البناء والشك في وجوده وان كان الثاني فالسؤال واقع عن تعيين الفاعل كقولك أانت بنيت هذه الدار ثم الاستفهام قد يجيء للانكار تارة وللتقرير اخرى والحال فيهما ما ذكرناه اما الانكار فكقوله تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين اصطفى البنات على البنين والانكار ههنا للفعل فاذا قدم الاسم كان الانكار للفاعل كقولك لمن انتحل شعرا أانت قلت هذا الشعر واما التقرير فكقوله تعالى اخرقتها لتغرق اهلها اقتلت نفسا زكية بغير نفس فان المقصود تقرير الحرق والقتل عليه تمهيدا لتوجيه اللوم اليه واما تقديم الاسم فكقولك أانت الذي قتلت زيدا فانه سؤال على سبيل التقرير لتعيينه للقتل واعلم ان حال المفعول فيما ذكرنا كحال الفاعل فاذا قدمت المفعول توجه الانكار الى كونه بمثابة ان يوقع به مثل هذا الفعل ولذلك قدم في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا وقوله اغير الله تدعون وقوله ابشرا منا واحدا نتبعه

البحث الثالث في التقديم والتاخير في حروف النفي اذا ادخلته على الفعل كقولك ما ضربت زيدا كنت قد نفيت فعلا لم يثبت انه مفعول لان نفيك لضرب زيد عن نفسك لا يقتضي وقوع الضرب به ولا نفيه عنه لان نفي الخاص لا يدل على نفي العام ولا على ثبوته واذا ادخلته على الاسم كقولك ما انا ضربت زيدا فهم من ذلك انه وقع به الضرب وكان القصد نفي كونك انت الضارب والشاهد بهذه الفروق هو الذوق السليم

البحث الرابع في التقديم والتاخير في الخبر المثبت والمنفي هو كالتقديم والتاخير في الاستفهام فانك اذا قدمت الاسم فقلت زيد قد فعل اقتضى ان يكون القصد الى الفاعل اما لتخصيص الفعل به كقولك انا كتبت في معنى فلان الامر تريد انك اختصصت بذلك من دون غيرك واما لاجل ان تقديم ذكر المحدث عنه آكد لاثبات ذلك الفعل له كقولهم فلان يعطي الجزيل فلا يقصد الحصر بل ان يتحقق عند السامع ان اعطاء الجزيل دابه وبيان ذلك انك لما ذكرت الاسم المحدث عنه والاسم لا يعرى عن العوامل الا لحديث قد نوى اسناده اليه فاذا قلت عبد الله فقد اشعرت بانك تريد الحديث عنه فيحصل شوق الى معرفته فاذا اوردته ذلك قبله الذهن قبول العاشق لمعشوقه فيكون ذلك ابلغ في التحقيق ونفي الشبهة وان قدمت الفعل اقتضى ان يكون القصد الى ذكر الفعل كقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه فان القصد ههنا ذكر القضاء ونسبته الى الله تعالى ويقرب من ذلك حكم المنفي كقولك انت لا تحسن هذا الفعل ولا تحسن انت هذا الفعل او لا تحسن انت هذا الفعل

البحث الخامس في تقديم حرف السلب على العموم وتاخره عنه اما الاول فاذا قدمت حرف السلب على صيغة العموم فقلت ما افعل كل كذا كان سلبا للعموم وذلك لا يناقضه الاثبات الخاص حتى لو قلت وافعل بعضه لم يكن تناقضا اما اذا قدمت صيغة العموم على السلب فقلت كل كذا ما افعله فهم منه عموم السلب وح يناقضه قولك افعل بعضه في العرف وعلى هذا يظهر تباين الرفع والنصب في قول ابي النجم قد اصبحت ام الخيار تدعي علي ذنبا كله لم اصنع فان نصب كل يقتضي سلب العموم ورفعه يقتضي عموم السلب

البحث السادس في استيفاء اقسام التقديم والتاخير واعلم انه قد يختلف حال الكلام في التقديم والتاخير اختلافا كثيرا وقد يدق الفرق بين تقديم الكلمة وتاخيرها كقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فبتقديم شركاء يفهم انه ما كان ينبغي ان يكون له شريك لا من الجن ولا من غيرهم والذم انما توجه اليهم لاثباتهم شركاء اما لو قدم الجن لم يفهم الا انهم عبدوا الجن واما انكار المعبود الثاني فغير مفهوم منه ويكون الذم انما توجه عليهم لعبادة الجن دون غيرهم فينبغي ان تلمح الفروق في تقديم بعض الكلام على بعض وتاخيره ونذكر مواضع حسن التقديم والتاخير اما التقديم ففي

مواضع عشرة الاول ان تكون الخاطر الى ذكره اتم والعلم به اهم كقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فان تقديم الشركاء اولى لاجل ان المقصود التوبيخ
على جعل مطلق الشريك بخلاف ما لو اخر الثاني ان يكون التاخير يخل باتصال الكلام كقوله تعالى وتغشى وجوههم النار فهذه
اللفظة متعلقة بما قبله وبما بعده من ما خير المفعول الثالث ان يكون الاول اعرف من الثاني كتقديم المبتدا على الخبر والموصوف على
الصفة فينبغي ان تبتدئ في قولك زيد قائم بزيد لتتوصل النفس بذكره بما يعرف الى الاخبار عنه بما لا يعرف فيقع الفائدة
ح على حدها وفي مرتبتها قال الامام لا ينتقض هذا بتقديم الفعل لان الفعل لفظ دال على ثبوت معنى لموضوع غير معين في
زمان معين من الثلثة والاسناد كالجزء الذاتي لمفهوم الفعل والاسناد امر اضافي والعقل اذا حصل له الشعور بالاضافة فلو
توقف هناك ولم ينتقل الى ما اليه الاسناد كانت الاضافة مستقلة بالمفهومية وهو محال وان انتقل الى ما اسند اليه الفعل
فذلك الشيء هو الفاعل فاذن من ضرورة الاسناد فهم المسند اليه واذا وجب هذا الترتيب في الذهن وجب ايضا في الالفاظ لمطابقة
ما في الذهن لما في الخارج واقول نحن نستوي الفعل لذا قدم في الاخبار كان لاجل ان ذكره اهم لان المقصود من ذكر الجملة الفعلية
لا ذات الفاعل بل ذكر الحدث المخصوص في الزمان المعين ونسبته الى الفاعل واذا كان كذلك جاز ان يقال ان تقديم الاعرف يكون
واجبا واذا كانت الكلمتان متساويتين في الاهتمام بذكرهما واما اذا كان ذكر احدهما اهم كان تقديمه اولى الرابع تقديم
الحروف التي لها صدر الكلام كحروف الاستفهام والنفي والنهي قال الامام بحقيقة الاستفهام طلب الشيء وهو حالة اضافية
اذا ادركها العقل انتقل منها الى معروضها واذا وجب ان ينتقل منها الى معروضها وجب ان يكون في اللفظ كذلك فيقدم ما يدل على
الاضافة ملحوقا بما يدل على معروضها واقول يمكن ايضا ان يكون تقديم هذه الحروف من باب ما كان اهم وذلك ان الاستفهام والنفي و
والنهي معان معقولة وهي المطلوبة من الجملة الداخلة عليها بالذات فكانت اهم فكانت اولى بتقديم الذكر وكذلك الادوات الدالة على
احوال النسبة بين اجزاء الكلام كان واخواتها وكاد واخواتها وعسى وبابها ونعم وبئس فانها تقدم لان معانيها هي المقصودة بالقصد
الاول من الجمل الداخلة عليها الخامس تقديم الكلي على جزئياته لان الكلي اعرف عند العقل وتقديم الاعرف اولى السادس
تقديم الدليل على المدلول السابع تقديم الناقص على تمامه كتقديم الموصول على الصلة والمضاف على المضاف اليه لان تمام الشيء
لا يتقدم عليه الثامن تقديم الاسماء المتبوعة على توابعها لان التابع لا يتقدم متبوعه التاسع تقديم المظهر على ضميره لان الحاجة
الى الضمير انما هو لاختصار من الامور ويذكر الضمير وذلك يتاخر عن تحقق ذي الضمير في العقل فيجب كذلك في الوضع كقولك ضرب
زيد غلامه وضرب زيدا خادمه العاشر تقديم الفاعل على المفعولات وما في حكمها لانها امور تلحق الفاعل بالنسبة الى فعله
فكانت متاخرة عنه واذا علمت ما يجب تقديمه علمت من ذلك ما يجب تاخيره الفصل الرابع في الفصل والوصل حاصل معرفة
الفصل والوصل يعود الى معرفة مواضع العطف والاستئناف والتهدي الى كيفية ايقاع حروف العطف مواضعها وهو باب عظيم
عند البلغاء ولذلك جعله بعضهم حد البلاغة فقال اذا سئل عن معناها انها معرفة الفصل والوصل وما ذاك الا لغموضه
وكون معرفته مؤدية للمعاني كما هي وذلك هو المقصد من علم البلاغة والمحقق للكلام وفيه بحثان البحث الاول فائدة العطف التشريك
في الحكم بين المعطوف والمعطوف عليه فمن ادواته ما لا يفيد الا هذا القدر كالواو ومنها ما يدل على زيادة عليه كالفاء وثم فانهما
يدلان على التعقيب ان كانت ثم تختص بالتراخي ومثل او فانها تدل على الترديد فلنبحث عن مطلق الاشتراك فنقول العطف اما ان
يكون في المفردات وهو يقتضي التشريك في الاعراب واما في الجمل فح فالجملة ان كانت في قوة المفرد كقولك مررت برجل خلقه حسن
وخلقه قبيح كانتا تشركان في الاعراب ايضا حاصله لكون الجملتين وصفين للنكرة وان لم يكن فاما ان يكون احدى الجملتين متعلقة
لذاتها بالاخرى او لا يكون فان لم يكن فاما ان يكون بينهما مناسبة او لا يكون فهذه اقسام ثلثة اما الاول فان يكون الجملتين
تاكيدا للاخرى كقوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فقوله لا ريب تاكيد للاول ولا يجوز ادخال العاطف عليه لان التاكيد يتعلق
بالمؤكد لذاته فيستغني عن لفظ يدل على التعلق الثاني ان لا يكون بينهما مناسبة اصلا وههنا ايضا يجب ترك العاطف لان
العطف يستلزم المناسبة فيلزم من عدمها عدمه الثالث ان توجد المناسبة بينهما مع عدم التعلق الذاتي فههنا يجب ذكر العاطف
ثم اما ان يكون المخبر عنه في الجملتين شيئين او شيئا واحدا اما الاول فالمناسبة اما بين المخبر بهما فقط او بين المخبر عنهما فقط او بينهما
معا والاول والثاني يختل معهما النظم لانك اذا قلت زيد طويل والخليفة قصير مع عدم تعلق حديث زيد بحديث الخليفة اختل
وكذلك لو قلت زيد طويل وعمرو شاعر اختل ايضا لعدم المناسبة بين طول القامة والشعر فتعين ان الواجب حصول المناسبتين فاما
ان كان المخبر عنه فيهما شيئا واحدا كقولك فلان يضر وينفع ويامر وينهى ونحوه تعين دخول العاطف لانك اذا قلت هو يضر وينفع
افاد العاطف انه هو الجامع لهما بخلاف ما لو حذفته البحث الثاني في عطف الجمل على الجمل انه كما يجوزون ان يعطف جملة على جملة
كذلك يجوزون ان يعطف مجموع جمل على مجموع جمل اخرى وبيان ذلك انه في صورة الشرط والجزاء فانه قد يجعل مجموع جملتين شرطا ومجموع اخرين

جزاء كقوله

جزاء كقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم فاذا ظهر ذلك
في الشرط والجزاء مثاله في العطف كقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا
انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين الاية فقوله وما كنت ثاويا عطف على قوله وما كنت من الشاهدين
مع ما يتعلق بها اذ لو عطفها على ما يليها لدخلت في حكم لكن فيصير المعنى ولكنك ما كنت ثاويا وهو باطل ولو عطفها على وما
كنت من الشاهدين دون ولكنا انشأنا لكان في ذلك ازالة لكن عن موضعها وهو غير جائز **الفصل الخامس** في الحذف والاختصار
وفيه بحثان **البحث الاول** في حذف المفعول والمبتدأ والخبر اما الاول فلان الفعل المتعدي قد يكون المقصود من ذكره
مجرد نسبته الى الفاعل فيكون حاله كحال غير المتعدي في عدم الحاجة الى المفعول والتعرض له كقولك فلان يحل ويعقد ويأمر
وينهى ويضر وينفع وقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقد يلاحظ مع ذلك في ذكره التنبيه الى المفعول الا ان
المفعول يحذف لاحد غرضين احدهما ان يكون المقصود ذكره لكن لابهام التعظيم والتفخيم كقول البحتري شجو حساده وغيظ عداه
ان يرى مبصر ويسمع واع فان المرئي والمسموع مبهما لابد وان يكون شيئا معينا فحذفه واوهم بذلك ان كل ما يرى منه ويسمع
عظيم وانه فضيلة فشجو حساده وغيظ عداه ومن ههنا تخصص البلاغة ولو ابرز ذلك المفعول المبين لما ادى ذلك التعظيم الموهم
لتخصيص لانه من التعظيم بالمفعول المذكور ثبوت ما عداه وثانيهما ان يكون ذكر المفعول اوضح وابلغ وذلك اذا كان امرا عظيما بديعا كقوله
ولو شئت ان ابكي دما لبكيته لما كان بكاء الدم امرا عجيبا كان ذكره اولى الثاني ان يحذف للعلم به كقول علي ع ان اشنق لها خرم
انفها وان اسلس لها اي فيا رشاقها تقحم اي المهالك الثالث ان يحذف على شريطة التفسير كقوله اكرمني واكرمت عبد الله واما المبتدأ
والخبر فقد ورد حذف كل واحد منهما اما المبتدأ فكقوله تعالى سورة انزلناها واما الخبر فكقوله تعالى اكلها دائم وظلها وقول معهم
وامثاله كثيرة وقد حكم بحسن ذلك البلغاء قال عبد القاهر ما من اسم حذف في الحال التي ينبغي ان يحذف فيها الا وجدته
احسن من ذكره وحسنها في المواضع التي يفهم عنها البلاغة **البحث الثاني** في الايجاز وحده التعبير عن الغرض باقل ما يمكن
من الحروف من غير اخلال مثاله قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقد كان المثل يضرب بقولهم القتل انفى للقتل الى ان وردت
هذه الاية والترجيح للاية من وجهين احدهما انها جزءان حروفهما عشرة وحروف المثل اربعة عشر الثاني ان القتل قصاصا لا ينفي
القتل ظلما من حيث انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه الجهة غير معتبرة في كلامهم ولها ترجيحات اخر لا نطول بذكرها ومن ذلك قول
علي ع قيمة كل امرئ ما يحسنه وقوله المرء عدو ما جهله وقوله الجزع اتعب من الصبر وقوله تخففوا تلحقوا **الفصل الثالث** في احكام
ان وانما وما في حكمها وفيه ابحاث **البحث الاول** في فوائد ان وهي اربع الاولى انها قد تربط احدى الجملتين بالاخرى فيحصل
النظم كقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله عليه السلام ايها الناس انه لا يستغني
الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته وقوله عباد الله ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فلو اسقطت ان في هذه المواضع
لزالت المناسبة التي كانت بين الجملتين معها واعلم انك متى اسقطت ان من الجملة الثانية فان كانت انما ذكرت لتعليل الحكم في الجملة
الاولى فلا بد ان يعوض منها الفاء كقوله فزلزلة الساعة شيء عظيم الثانية انك تجد لدخولها على ضمير الشأن المعقب
بالجملة الشرطية وغيرها من الحسن والمزية ما لم تجد عند عدمها كقوله تعالى انه من يتق ويصبر وقول علي ع ايها الناس انه لا يستغني
الرجل كما ذكرناه الفائدة الثالثة انها تهيئ النكرة لان يحدث عنها كقوله ع ان من احب عباد الله الى الله عبدا كما مر ولو اسقطتها
لسقط الحسن والبلاغة وقد يسقط المعنى اصلا كما لو اسقطتها من قول الشاعر ان شواء ونشوة وخبب البازل الامون الفائدة
الرابعة اذا دخلت على الجملة فقد تغني عن الخبر كقولك ان مالا وان ولدا على تقدير ان لهم مالا وكقول الاعشى ان محلا وان مرتحلا
وان في السفر اذ مضوا مهلا والمعنى انها للتأكيد لتثبيته واذا كان الخبر ما لبس المخاطب ظن او وهم في خلافه فلا حاجة الى ان هنالك ولذلك
تزداد حسنا اذا كان الخبر امرا يستبعد مثله وقد يجمع مع اللام للتأكيد في خبرها اذا كانت في جواب المنكر لشدة الحاجة هنالك الى التأكيد
البحث الثاني في فائدة انما اتفق جمهور النحاة على انها للحصر وهو المفهوم منها مثاله قول علي ع وانما سميت الشبهة شبهة
لانها تشبه الحق وكقوله ع انا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان
وانما ينطق عنه الرجال ومراده بالحصر في هذه الصورة ظاهر وقال بعضهم انها ليست للحصر محتجا بقوله تعالى انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبقوله انما المؤمنون اخوة مع ان الاجماع على ان من لم يوجل من ذكر الله قد يكون مؤمنا وان الاخوة غير
منحصرة في المؤمنين والجواب ان منشأ الشك هو الغفلة عن مناط الحصر وضابطه ان الجزء الاخير من الكلام الوارد عقيب انما هو المخصوص
بحصر الحكم فيه سواء كان هو الموضوع كقولك انما قام زيد فان المقصود حصر القيام في زيد او كان هو المحمول كقوله تعالى انما انا بشر
مثلكم فان المقصود حصر النبي في البشرية ونفي كونه غير بشر واذا تبين ذلك ظهر انها في الصورتين المذكورتين تفيد الحصر الا ان في الاولى

فلا يجوز ان يكون المقصود من الايمان هناك اقوى مراتبه وهو الاخلاص وح يتبين ان المؤمنين محصورون في الوجلين من ذكر الله واما
في الثانية فلان المؤمنين محصورون في صفة الاخوة في الدين كما هو المقصود من الاخوة هيهنا واعلم انه قد يستعمل في مفهومها عبارتان
اخريان احديهما قولك جاءني زيد لا عمرو وهو اضعف منها لانه انما يفيد حصر المجيء في زيد بالنسبة الى من اخرجه حرف النفي والثاني
ما جاءني الا زيد وهو مفهومها انما في الحصر والتخصيص كقوله تعـ ما قلت لهم الا ما امرتني به ويعرف في الامام بينهما وفرق الامام بينهما فقال

مفهوم

ان دلالة انما على نفي غير المذكور بالالتزام ودلالة ما والا على نفي الغير بالمطابقة فكانت اقوى في ذلك من دلالة انما ولذلك يصح ان
يقال انما زيد قائم لا قاعد ولا يصح ان يقال ما زيد الا قائم لا قاعد واقول ان صح ما ادعاه من عدم الصحة في الصورة الثانية كان
للمانع ان يمنع تعليل ذلك المنع بكون ما والا دالة على نفي الغير بالمطابقة ويصرف ذلك القبح الى قرب لا المفيدة لنفي الغير الى الا
المفيدة للحصر وبعدها عن انما فكان التاكيد عقيب انما حسنا لطول الزمان بينهما على ان الاظهر عدم الصحة هيهنا بل قد يورد تاكيدا
وان كان عقيب انما احسن وقد يقام غير مقام الا فيفيد الحصر وقد لا يكون كك كقولك ما جاءني غير زيد تريد نفي مجيء الغير
فقط دون اثبات زيد **البحث الثالث** ان ما والا اذا دخلت على الجملة كان المقصور بالحصر فيه هو ما يلي الا بعدها سواء كان فاعلا
كقولك ما ضرب زيدا الا عمرو او مفعولا كقولك ما ضرب زيد الا عمروا وهكذا ان كان المنصوب حالا او ظرفا فان تاخر مثلا الفاعل
والمفعول معا عن الا فالمقصور هو ما يليها ايض كقولك ما ضرب الا زيد عمروا وكك لو قدمت المفعول على الفاعل فهو المقصور وهكذا حكم
المفعولين كقولك لم اكس الا زيدا جبة فالذي يلي الا هو المقصور بالتخصيص وهكذا المبتدا والخبر فيهما الذي يلي الا فهو المراد بالتخصيص
كقولك ما زيد الا قائم فالمراد تخصيصه بهيئة القيام دون سائر الاحوال وما القائم الا زيد فهو تخصيص لزيد دون غيره واما التخصيص
ذلك في انما فاما في الفاعل والمفعول فانما اخرته عن صاحبه فهو المقصور ايض كقولك انما ضرب عمروا زيد فالمقصور تخصيص زيد ومنه
قوله تعـ انما يخشى الله من عباده العلماء ولو قدم العلماء لكان المقصود تخصيص خشية الله وكذا الحال في المبتدا ان تركته على حاله فالاختصاص
للخبر كقوله تعـ انما السبيل على الذين يستاذنونك وان اخرته عن الخبر صار التخصيص له كقوله تعـ فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب
فان التخصيص في الاول للخبر وفي الثاني للمبتدا هذا بحسب المتبادر الى المفهوم من ذوق العربية وبالله التوفيق **القاعدة الثامنة**
في الخطابة وفيه ابحاث وخاتمة **البحث الاول** في حقيقة الخطابة وفايدتها الخطابة صناعة تتكلف فيها الاقناع الممكن للجمهور
فيما يراد ان يصدقوا به وقولنا تتكلف فيها الاقناع اردنا انه يتعاطى فيها هذا الفعل المخصوص بابلغ قصد ليتم والاقناع الممكن هو الفعل الذي
يتكلف واردنا به ما يمكن من الاقناع والخطابة في الاقناع اتم من غيرها وفايدتها في تقرير المصالح الجزئية وقد تفيد ايض تقرير القوانين الكلية
لتلك المصالح كالعقايد الالهية والقوانين العملية وهي عظيمة النفع جدا لان الاحكام الصادقة مما هو عدل وحسن اتم نفعا واعود على
الناس فايدة واعم جدوى من اضدادها لان نوع الانسان انما هو مستتبع بالتشارك والتشارك يحوج الى التعامل والتحاور وهما يحوجان
الى احكام صادقة في الامور العملية ليثق كل صاحبه وينتظم شمل المصلحة بينهم وباضداد الاحكام الصادقة يتشتت فيحتاج ان يكون هذه
الاحكام مقررة في النفوس متمكنة من العقايد والخطابة هي المتكفلة بحمل الجمهور على التصديق بها فان البرهان والجدل وان قصد بهما
التصديق الا ان الجمهور قاصرون عن درجة البرهان والجدل وان كان صناعة ضعيفة بالقياس الى البرهان فهو ايض يسير الفايدة للعامة
صعب بالقياس الى البرهان فهو ايض يسير الفايدة للتعلم صعب بالقياس الى فطنهم وهم عاجزون عن فهمه والمخاطبة التي يجب ان يتلقاها
العامي بتمامها ينبغي ان تكون من الجنس الذي لا يرتفع عن مقامه ارتفاعا بعيدا بل تكون بالفاظ غير ركيكة عامية ولا متينة
يتنبو فهمه عن فهمها كما ستذكره انشاء الله تعـ وقد اشار التنزيل الالهي الى هذه الصناعة في قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي احسن فسبيل ربك هو الديانة الحقيقية والحكمة هي البرهان وذلك لمن يحتمله والموعظة الحسنة هي الخطابة وهي لمن قصر
عن درجة البرهان وجادلهم بالتي هي احسن اي بالمشهورات المحمودة واخر الجدل عن الصناعتين لانهما مصروفتان الى الفايدة والمجادلة
مصروفة الى المفاوضة والغرض الاول من المخاطبة انما هو الافادة والغرض الثاني هو مجاهدة من ينتصب للمعاندة فاذن الخطابة صناعة
وافرة النفع في مصالح المدن وبها تدبر العامة وتنتظم احوالهم **البحث الثاني** في موضوع الخطابة واجزائها وليس للخطابة نظر في موضوع
معين عند ذلك لان العامة لا يهتدون الى تمييز بعض الموضوعات عن بعض اذ كان تخصيص الكلام في موضوع معين مبنيا على مبادي
تليق بذلك الموضوع وحده لا يعرفها العامي فنظر الخطابة بالذات في الجزئيات من اي مقولة اتفقت ولا يخص جزئيا دون اخر بل يقصد
بها الاقناع من اي جزئي اتفق على ان لها ان تنظر بالعرض في الامور الكلية من الالهيات والطبيعيات والخلقيات والسياسيات و
الخطابة لها اصل ومتممات تتممها وتعين عليها اما الاصيل فهو القول الذي يظن انه لذاته يفيد اقناعا واما المتممات فجملتها ترجع
الى حرف واحد وهو انه لما كان الغرض من الخطابة ليس الا الاقناع كان كل مقنع ناسب الغرض منها فهو من متمماتها والامور المقنعة
اما قولية يراد بها صحة قول الخ كالقول الذي يقصد به الخطيب تقرير فضيلته عند السامعين او القول الذي يروم به اثبات

ان الشهادة

ان الشهادة مقنعة او كون المعجزة حجة واما شهادة واما حيلة اما الشهادة فاما قولية واما حالية اما القولية فكالاستشهاد بقول نبي او
امام او حكيم او شاعر وتسمى شهادة ماثورة او كالاستشهاد باقوال قوم بحضرتهم يصدقون قول القائل بان الامر كان او كالاستشهاد بشهادة
الحاكم او السامعين بان القول مقنع وتسمى شهادة محصورة واما الحالية فاما ان تدرك بالعقل او بالحس والاولى فضيلة القائل و
اشتهاره بالصدق والتمييز واما الحال التي تدرك بالحس فاما بواسطة القول او بدونه واما الاول فكالاستشهاد بالمعجز عقيب
التحدي على صدق قول المدعي وكشهادة حال الحالف عقيب يمينه على قبول قوله وكشهادة حال المتعاهدين على قبول قولهما بعد
وضع العهود التي هي اقوال مدونة مكتوبة واما الحال المدركة بالحس من غير القول فاما احوال تتبع انفعالات نفسانية كشهادة سحنة
وجه المخبر ببشارة على قبول قوله او شهادة سحنة المذعور الخائف المخبر عن نزول عذاب وحلول فزع على قبول قوله او تكون طارية
من خارج كشهادة جراح القائل او غيره على قدوم العدو للحرب واما الحيلة فتفيد الاعداد والاعداد اما للقائل بان يكون مقبول
القول او للقول بحيث يصير انجع وانفع او للسامع بحيث يكون اقبل واما القائل فان يتكلف الاستشهاد على فضيلة نفسه او لا له
عليها او يتهيا بهيئة ويتزيى بصورة يجعل مثله مقبول القول واما القول فان يحسن فيه تصرفه فتارة يرفع به صوته وتارة يخفضه
وتارة يثقله وتارة يلينه ويجهر به او يلاحظ في ذلك حال من يقصد اسماعهم كما سيأتي في التزيينات واما السامعين فاما مخاطب بالقصد
الاول واما حاكم يحكم بين المتخاطبين واما نظارة اما المخاطب فيحتاج الى ان يستعطف وتارة يستمال الى ان يجنح الى تصديق القائل وكذا الحاكم
واما النظارة فيكفي فيه ان يتهيا بالحيلة بهيئة مانعة عن مصدق وان لم يقع له تصديق والتاثير الحاصل للسامع اما انفعال كالرقة والرحمة
في الاستعطاف والقساوة والغضب في الاغراء واما ايهام خلق كايهام الشجاعة او السخاوة او غيرهما فقد ادى الامر الى ان الاقوال الخطابية التي
يقصد بها التصديق ثلثة اصناف اصل ويسمى عمودا وهو القول الذي يراد به التصديق بنفسه والثاني النصرة وهي القول الذي يغير
بما له تصديق كالشهادة والثالث الحيلة وهي قول يفاد به انفعال شيء او ايهام الخلق وهما متممان للاصل فهذه اجزاؤها

البحث الثالث

في مبادي الخطابية واعلم ان مبادي الاقوال الخطابية ثلثة احدها المشهورات المحمودة وهي اما حقيقية اتفق عليها الجمهور ونطقت
عليها الشرايع والسنن وهي التي اذا تعقبت بالنظر لم يزل حمدها وان اطلع على كذبها كحسن الصدق وقبح الكذب والظلم وغيرها واما
محمودة ظاهرة في بادي الراي وهي التي تعارض الذهن فيحكم بصدقها قبل التفطن لها فاذا تعقبت زال حمدها لظهور كذبها وشنعتها
كقولهم انصر اخاك ظالما او مظلوما وهذه اعم من التي قبلها اذ كل محمود حقيقي محمود في الظاهر ولا ينعكس واستعمال الخطابي للاولى لا من جهة
كونها حقيقية بل لكونها ظاهرة واما محمودة بحسب قوم او شخص شخص ينتفع بها في مخاطبتهم ومثل هذه وان نفعت في الخطابة الا
انها لا تكون عمدة في صناعة الخطابة لكونها غير منضبطة فان كل شخص يرى ما يهوى ويختلف الاراء بحسب الاهواء وثانيها
المقبولات اما عن جماعة او عن نفر او عن نبي او عن امام كالشرايع والسنن او عن حكيم كالطب المنقول عن جالينوس وبقراط او عن شاعر كابيات
تورد شواهد وتكون مقبولة فقط من غير ان تنسب الى معقول منه كالامثال المضروبة وثالثها المظنونات وهي الاحكام التي يتبع
الاثبات فيها غالب الظن من دون جزم العقل بها كقولك زيد يسار العدو سرا فهو عدو وربما يكون مقابله مظنونا كقولك زيد
يسار العدو سرا ليخدعه فهو صديق واما التاليفات فمنها ما يظن منتجا وهي مقنعة بحسب المواد والصورة معا ويستعمل القياس
والتمثيل والاستقراء وما يشبه الخلف فيها اما القياس فيسمى ضميرا لحذف كبراه ويسمى تفكيرا لاشتماله على وسط يستخرج بالفكر وهو اما على
هيئة الشكل الاول كقولك علي ما مضوا قدما على الطريق فنجوا وجنوا على المجد فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة الباردة فان تقدير الكبرى
وكل من كان كذلك ظفر بالعقبى الدائمة ويسمى هذا دليلا واما على هيئة الشكل الثاني كقولك فلان له ايمان في يقين فليس من الفساق
فان تقدير الكبرى ولا واحد من الفساق كذلك واما على هيئة الشكل الثالث كقولك العارف شجاع جواد فالشجاع جواد لان تقدير
الكبرى العارف جواد ويسمى ما كان على هيئة هذين الشكلين علامة والقياس الظني فقد لا يكون منتجا في نفس الامر اذ ليس من شرط
الخطابة ان تكون على هيئة منتجة كموجبتين في الشكل الثاني كقولك هذه منتفخة البطن فهي اذن حبلى وتقدير الصغرى والحبلى
منتفخة البطن ويسمى هذه دلايل لو سمها في الذهن ظنا ما واما التمثيل فيسمى اعتبارا لعبور الذهن من المشبه به الى المشبه ويسمى المنتج
منه تفريعه برهانا واستعمال التمثيل والقياس يسمى تثبيتا والتمثيل اما ان يكون باصول متفق على القياس عليها سواء كانت امورا
موجودة او حوادث ماضية او امثالا مضروبة سايرة واما ان لا يكون كذلك بل امور يخبر عنها الخطيب كمثل وحكاية اما ممكنة او غير
ممكنة والاول كالاستشهاد على نحو تحذير اصحابه من الدنيا بالقرون الماضية واحوالهم واما الثاني فالممكن كما يقول المشير على
صديقه لا تعاشر الجهال فاني عاشرتهم فندمت وقد لا يكون عاشرهم واما غير الممكن فكالاستشهاد باقوال الحيوانات الموضوعة
في كتاب كليله ودمنه وامثاله واما الاستقراء فينفع فيه بجزئيات كثيرة كقولك لمن يشير عليه حصل السيادة بتحصيل الفضيلة
لان فلانا وفلانا لما فضلا سادا وسيعرف في كلام علي كثيرا واما ما يشبه الخلف فكقوله ع من دم عثمان بقوله لو امرت به لكنت قاتلا

فانه اراد نفي عدم الامر بابطال لازم الامر وهو كونه فانه المستلزم لابطال الامر المستلزم لاثبات المطلوب وهو عدم الامر وكذلك التوبيخ كقوله
في توبيخ العلماء في اختلاف الفتيا افامرهم الله تعالى بالاختلاف فاطاعوه فانه اراد بيان عدم صحة اختلافهم بابطال امر الله تعالى اياهم
المستلزم لابطال نقيض المطلوب موضحة الاختلاف والمقدمة التي من شانها ان تصير جزء تثبيت نتيجة موضعا وحقها ان لا
تكون دقيقة علمية ولا واضحة تستغني عن ذكرها كالضروريات والقوانين التي تستنبط منها المواضع نتيجة انواع والبحث في الخطأ
عن الضروريات التي بل تما يبحث فيها في الاكثر عن الاكثريات والراي قضية كلية ينتفع بها في امور عملية فيختار او يجتنب نتائج
الاراء اراء مثلها الا انها غير مقنعة ما لم تقرن اليها العلة كقولك لصديقك مثلا لا تحرص في جمع المال فانه لا يقبل ما لم ينقل
ذلك لانك تشقى بجمعه في الاخرة خصوصا اذا كان الراي شنيعا كقولك لا تحصل الفضايل فانه ما لم تقرن به العلة كقولك كيلا
تحسد لا يقبل ذلك والراي اما لا يحتاج الى كلام يقرن به لظهوره في نفسه او عند اهل العقل او عند المخاطب او يحتاج الى ما
ما يقرن به ليؤدي الى المطلوب ح فالعلة ح اما نتيجة الراي او ما نتيجته فان كانت نتيجة الراي او ما نتيجته فان كانت نتيجة الراي كقولنا
الاصدقاء ناصحون وصديقك زيد ناصح فالضمير المقنع ههنا ليس الراي وحده بل مع نتيجته وهو جزء من الضمير وان كان ما ضم اليه
هو المنتج له كقولك لا تكتسب الفضايل فتحسد كان الراي هو الضمير المقنع لذاته وبالله التوفيق **البحث الرابع** في اقسام
الخطابة بحسب اقسام اغراضها واعلم ان جميع المعارضات الخطابية ثلثة مشاورة ومنافرة ومشاجرة ولكل واحد من هذه الاقسام
غرض خاص اما المشورة فهي مخاطبة يراد بها الاقناع في ان الامر الفلاني ينبغي ان يفعل او ان الامر الفلاني لا ينبغي ان يفعل
واما المنافرة فمخاطبة يراد بها الاقناع في مدح شيء بفضيلته او ذمه بنقيصته واما المشاجرة فمخاطبة يراد بها الاقناع في شكاية
ظلم او اعتذار بانه لا ظلم وربما لم يقع الاعتذار في وقوع الامر نفسه ولكن في كونه نافعا او ضارا او ظلما او غير ظلم كاعتذار الظالم
من بصره بان الذي يعلمه يعمله ليس بظلم او باعتذار المذموم بان الذي فعله ليس بنقيصة وانه فضيلة اما المشورة فليس المشورة
انما هي مشورة بسبب اقناعها في امر هو نافع بالحقيقة عنده انه قد لا يكون نافعا بالحقيقة ولا عند المشير لكنه ان يبين انه نافع ام
الاقناع به فيكون المخاطبة من ذلك مشورة وقد لا يكون المشورة بالنافع بل بالجميل الذي ربما كان في العاجل ضارا وله نفع من
جهة اخرى وكل المدح والذم لا يلاحظ فيه دائما النافع والضار حتى يكون المدح بالنافع والذم بالضار بل ربما كان المدح
ايضا كاقتحام الاذى والضرر والركوب الاهوال للذكر الجميل فانه ايثار يمدح فاعله ويعظم كالذين يقاتلون في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون وكثيرا ما يحمد المقاتل بايثار الموت على الحيوة والامور المشورية عظيمة تنبني عليها الشرايع والسنن والسياسات
واقسام الامور المشورية العظيمة القايمة النفع دون الجزئيات النافعة بحسب احوال الاشخاص خمسة العدة والحرب والسلم وحماية
المدينة ومراعاة امر الدخل والخرج وتفريع الشرايع ووضع المصالح والخطيب المشير في امر العدة ينبغي ان يكون بصيرا بجنس انتفاع
المدينة وكميته وكمية النفقات ذاهبة على القسط ليوازي الدخل الخرج ويشير بنفي البطالين عن حرفة تعود بنفع المدينة
وبالحجر على المسرف وتوقيفه على [illegible] العادل ويحفظ بجزئيات الاخبار وبالفوايد الجزئية لانها نافعة كثيرا والمثال والمشير
في امر الحرب بعد ان يكون له بصيرة بانواع الحرب وسماع اخبار المتقدمين من المقاتلة في مدينته وما يليها ورسومهم و
مذاهبهم ان يحيط علمه خبر مدينته ومحاربيها وعدتهم وعددهم ودربتهم بالحرب وعادتهم ونقاء دخيلة قومهم وصفاتهم
انتصدد ذلك وبوقع تطيره عليهم في كل وقت ويقلبهم الى مقاتليهم وان يعتبر الجزئيات السالفة فان الامور في اشباهها ممتدة
حد واشكالها فانه يستنبط من هذه الاحوال مقدمات ينتفع بها في المشورة واما المشير في حفظ المدينة فينبغي ان يعلم انواع
الحفظ لانواع البلاد المختلفة سهليتها وجبليتها وبريتها وبحريتها وما يحيط بها ومواقع المسالح قربا وبعدا والمداخل المخوفة و
التي يرتادها المقاتلون فيشير فيها بالارصاد فان ذلك قد يقف عليه من لم يشاهد المدينة وان يعلم عدد الحفظة والرصد
وبياتهم ليمد قلتهم ويبدل خائنهم بالناصح وان يعرف الحاصل من القوت وما يحتاج الى جلبه واعداده من خارج المدينة
فان القوت وما يجري مجراه اذا انحسمت مادته لم يمكن حفظ المدينة وتدبيرها فينبغي ان يكون المشير عارفا بمقدار حاجة كل الى كل
وباحوال اهل الفضايل والثروة منهم فيشير بما ينبغي ان يستعان به منهم من اهل الفضايل وما ينبغي ان يستعان به فيها باهل الثروة
فيما ينتظم به امر المصلحة واما الخامس فهو المشورة في امر السنن وهو من اعظم الابواب خطبا واحوجها الى فضل قوة الخطابة وعلى السان
ان يحقق عدد انواع الاشتراكات المدنية وما يتولد من تركيبها وان يعلم ما يناسب كل امة من الاشتراك بحسب عاداتها والاسباب
الحافظة لذلك الاشتراك والفاسد له وفساد المدنية التي الحكم تدبيرها يقع من لحداثة اما عنف المدبرين لهم في الحمل على
الواجبات او من اهمالهم ومسامحتهم فينبغي ان يكون المشير بصيرا باصناف السياسات وما يعرض لكل واحد منها من العوارض
وما يؤول اليه كل واحد منها وموضع كل واحد منها في موضعه فلا يستعمل القهر والغلبة في موضع الرفق ومراعاة مصلحة

المرؤسين لاكرامهم وتعظيمهم ولا بالعكس فلا يحصل هناك تعاون وتناظم فقد عرفت مما ذكرنا المواضع التي منها ينتزع المقدمات المشتركة
في الامور العظام ومما يتعين على وضع السنن وتفريعها تأمل قصص الماضين واحوالهم واما الامور المتوزعة الى ما فقد يجب بحسب احوال
شخص شخص فهي وان كانت غير مضبوطة الا ان جميعها يشترك في انها يقصد بها صلاح الحال كان بالحقيقة او بالظن ونعني بصلاح
الحال هو الفعل الممكن عن فضيلة النفس والمنذر الذي لم يشوبها محبة القلوب وتوافر الكرامة من الناس وفي رفاهيته وطيب عيشه
وفايته وسعة ذات اليد في المال والعقد وتمكن من استدامة هذه الاحوال والاستزادة منها واما اجزاؤه فمنها ما ينسب الى الخير ومنها
ما ينسب الى الشر اما الخيرية فاما بدنية كزكاء الاصل وكثرة الاخوان والاولاد وصلاحهم والمال والانعام والقوة والصحة والجمال
والفصاحة وجميل الاحدوثة والجاه والبخت واما نفسانية كالعلم والذكاء والزهد والشجاعة والعفة وحسن السيرة والاخلاق
المرضية وحصول التجارات والصناعات فعلى الخطيب ان يشير باعداد هذه الانواع وكذلك ما ينسب الى النافع وهو كل ما يوصل الى
شيء من الخيرات كالجد والطلب وتحصيل الاسباب والوسائل والانتهاض للفرص ومواتاة الحظ واما الامور الشرية فهي ما يقابل
هذه وعلى المشير ان يشير باجتناب عللها وما يعوق عن الخيرات كايثار اللذة والكسل واللهو والبطالة وفوات الاسباب وتضييع
الفرص وسوء التوفيق وكذلك قد يحتاج الخطيب الى اعداد مقدمات في ان هذا الخير افضل وان هذا النافع كالحكم بان افضل
الخيرات اعمها وادومها واكثرها نفعا واولاها بالقصد لنفسه واعزها واعظمها واشهرها واكثرها استلزاما للحاجة اليه و
اكثرها استلزاما لو عند الجمهور والاكابر فيه وكذلك يحتاج الى مقدمات بعينها في ان هذا الشر اضر كالحكم بان اشر الشرور
اعمها وادومها واولاها بالهرب منه واكثرها استتباعا للشرور ويجب ان يستكثر من ضرب الامثال وايراد النوادر واقتصاص
احوال الماضين واما المنافرات وهو باب المدح والذم فعلى الخطيب تحصيل الانواع النافعة في المدح والذم المتعلقة بالفضيلة
والرذيلة واجزاء الفضيلة هي البر والشجاعة والعفة والمروءة وكبر الهمة والسخاوة والحلم والثبات واللب والحكمة وقد يلزم بعض
هذه خيرات تتعدى الى غير الفاضل كالخير المتعدي من البر والشجاع والسخي الى غيرهم واجزاء الرذيلة اضداد ما ذكرنا كالجور المقابل
للبر والجبن للشجاعة والفجور للعفة والدناءة للسخاء والاستغناء لكبر الهمة والنذالة للمروءة والطيش للثبات والبلاهة للتيقظ فهذه
هي الفضائل والرذائل ومعاقدها فاسبابها وعلاماتها علتها مثلا كايجاب الغنى والخشية من الله تعالى والعلم وطلب الذكر
الجميل للعدل وايجاب الاحتياج والوثوق بان لا مقاوم له وعدم المبالاة بالعاقبة وامثالها للجور وكذلك في سائر الاسباب
وكالانفعالات اللازمة للعادل عن لزوم العدل حتى يحتمل شدة العذاب مثلا في انتزاع ما في يده من الامانة ولا يسلمها
الى غير ربها ومن المدائح ايضا مقاومة الاعداء والانتقام منهم والجزاء على الحسنة والسيئة ومن مدائح الشجاع الغلبة والكرامة
وان يفعل فعلا لا يذكر ويشتهر ويسهل تخليده فاقربها الاعقاب ومن المدائح ايضا علامات تختص بالاشراف بها كالوشاح
شعر العلوي وطرحه العالم فان ذلك من علامات شرفهم ومن المدحيات ايضا الاستغناء عن الناس في اي باب كان وقد
يذكر المدح على سبيل الترويج والمغالطة فيعبر عن الرذيلة بعبارة تنظمها في سلك الفضيلة او كانا يحتمل حكم تعميمهما فهذا
لا يحتاج الخطيب الى مدح الناقصين فيجعل لفقد المشترك بين الفضيلة والرذيلة مكان الفضيلة فيمدح المجتري بانه حسن
المشورة والفاسق بانه لطيف العشرة والغبي بانه حليم والغضوب بانه نبيل والابله الغافل عن اللذات بانه عفيف والمتهور بانه
شجاع والماجن بانه ظريف والمبذر في الشهوات بانه سخي وفي عكس ذلك اذا قصد ذم الفاضلين فيذكر الفضيلة في معرض
الرذيلة فيذم لطيف العشرة بالفسق والحليم بالغباوة والنبيل بالغضوب والعفيف بالابله والشجاع بالمتهور والظريف بالماجن وكذلك
في سائرها واما الامور المشاجرية فعلى الخطيب اعداد انواع اسباب الجور والجور هو الاضرار الواقع بالقصد والمشية ولم يرض الشرع
فيه بوجه واما الاسباب المحركة اليه فكالكسل من الكسلان فانه عند ما يتخيل الدعة التي يهواها يكون سببا للخيانة لان ضيعه
وكالجبن الذي يكون سببا لاضاعة الحرم وهلاكهم وكايثار الراحة من التعب وحب البطالة واللهو المؤدي الى ترك اكتساب الفضائل
وكالغضب المؤدي الى العسف وعدم الظفر بالمطلوب عند الغلبة والافحام وكاستباحة التصرف في مال الغير وعرضه ودمه و
الاستهزاء بالخلق والحرص والوقاحة واسباب العدل هو ما يقابل هذه الاسباب فهذه امور اذا علمها الخطيب اخذ منها مقدمات
في انه لما كان الجائر كذا اقدم على الجور وللجور اسباب كثيرة مذكورة في الكتب المبسوطة **البحث الخامس** في انواع مشتركة للامور الخطابية
الثلثة وههنا انواع مشتركة للاصناف الخطابية يجب على الخطيب اعدادها لينتفع بها فمنها ما يعد لاستدراجات من مبادي
الانفعالات والاخلاق في مثلا ما يعد للغضب كالاستهانة والعنت والتشنيع وقطع العادة في الاحسان ومقابلة النعمة بالسيئة
او بالكفران والقعود عن جزاء الجميل بمثله او بعد لضده وهو فنون والغضب كالاعتذار بعد معرفة من قصده بالاستهانة
او بعد قصد الاهانة وكالاعتراف بالذنب والاستعفاء بالتوبة والتذلل والتلقي بالبشاشة وكذلك هيبة المهيب والاستحياء

نفع

لتعظيمهما

من المشتهى منه فان الغضب لا يجامعها او بعد الحزن كالانواع التي توجب تصور فوت المرغوب فيه او حصول المحذور
منه او عدم الانتفاع بالجودة والتدبير او لضده وهو التسلية كالتي توجب الاقناع بان هذا الامر يمكن ان يدفع او يرجى
التلافي في التدارك او باعتبار حال الغير فان المصيبة اذا عمت هانت او بالارشاد الى الحيل بتحصيل الامر التي لاجله
الحزن او بعد للخجل والاستحياء كالفرار من الزحف وخيانة الامانة وارتكاب المظالم ومعاشرة الفساق ومداخلتهم في
مواضع الريبة والحرص على المحقرات ومفاوضة الدنيا باكتساب الكسب ونبش الكفن والتقيد مع الكبار ومعاوضة اللئام لا
بالاستماحة وكاستشعار الشماتة من الاعداء او بعد لابطال الخجل وهو ضده الدهمة الاسباب او للاهتمام بالغير والشفقة
عليه او الاسباب الباعثة على الاهتمام كالعذاب المهالك والاوجاع والجهد والكبر والسقم والحصانة وسوء البخت وعدم
الانصار وعلامات الاهتمام كايثار المهتم له على النفس والاحسان اليه بغير منة وسرعة مبر ونصرته في مغيبه والوفاء له او الضد
وهو الحسد كوصول خير الى غير من الحاسد انه اولى به منه او الى من لا يحبه او للغيرة كتخييل مشاركة من لا حق له في الحق
من غير ان يدخله صاحبه فيه او للشكر للنعمة وهو ان يقول الخطيب انما اعطى فلان لنفس النفع لا للجزاء بتوقعه او يقول
انه نفع في وقت الحاجة وفي وقت تعسر المعونة من الناس وانه انعم بما لم تسمح نفس غيره به او انه اول من انعم فيحرك غيره للاتباع
او انه لم يرد بالصنيعة ذكرا او انه يستر الصنيعة سترا او للكفران وتحقير النعمة كان يقول لم يرد بعطائك الاعراض وانك لم تتم النعمة
وانك قصرت عن الواجب عليك بمثله وانك لم تصطنع بقصد بل لضرورة او اتفاق او لرعاية في مجازات فان ذلك كله مما يبطل
المنة او للشجاعة كان تقول المكروه عنك بعيد ولا وجود له عندك ولا محل عندك للاقران والمبارزين وكقولك انت كثير الانصار
قويهم وانك بري عن الظلم قليل الاحتمال له او لضدها وهو الجبن كقوله ان في المقاومة حصول المكاره وان خصمك في غاية
القوة فلا طاقة لك به وان انصارك قليلون او ضعفاء وامثال ذلك وكذلك يجب على الخطيب ان يحصل انواعا تعين على كل خلق
خلق يختص بصنف صنف من الناس اما باعتبار الاسنان كان يقول للشاب الذي يغلب عليه اللذة ان هذا وقت التنزه والزمان
المساعد والشباب بعيد فنائه غير عائد وهذا الربيع قد اشرق نواره وتفتق ازهاره وكمدح الماكل والمشارب والملابس والمراكب
يقول للشيخ الذي يغلب على طباعه طلب النفع والحرص على الدنيا ينبغي ان تقتصر على تحصيل ما تنفق واللهو غير لائق بك وينبغي ان تقلل
لئلا تستضر عيالك وينبغي ان لا تنخدع لفلان ولا تختلط معه لانك جربت الخداع او باعتبار اخلاقهم في البلدان كان يقول للعربي الذي
طبعه الفصاحة انك لذو فضيلة عظيمة ولو لم يكن من فضل الفصاحة الا انها وجه اعجاز القرآن لكفى وامثال له وكان يقول للترك
من جهة ما هم غلاظ الطباع كثيرو الاطماع ان بني فلان اعداؤكم ولا ناصر لهم او هم قليلون او نعمهم كثيرة او ان الفلاني كثير النعمة
ولا حارس له فيغريهم بذلك وكما يحرك طباع الفرس الى حسن التدبير الذي هو عادتهم بما يناسبه او الى الملال الذي هو طباعهم بما
يناسبه او باعتبار الهمم كما يحرك ما في طباع الملوك من الكبر وعدم الالتفات الى الغير بما يناسبه وما في طباع الشاقين من الدناءة
بما يليق به ومن جملة الامور المشتركة ما يتعلق بالممكن من الامور وغير الممكن كان يقول الخطيب اذا اراد ان يقنع بان الامر الفلاني ممكن
فيقول هذا الامر مما يستطاع فهو ممكن او نقيضه ممكن فهو ممكن او شبهه ممكن فهو ممكن والاصعب منه ممكن فهو ممكن واذا اراد ان
يقنع بانه متوقع كونه فيقول الامر الفلاني مقدور عليه ومراد فلا بد ان يكون والنادر يكون فالاكثري يكون ويمكنك ان تعلم انواع
ما لا يكون وانواع ما لا يمكن من انواع ما يكون وانواع ما يمكن فهذه جملة من الامثلة تهدي الخطيب الى امثالها وليس يجب عليه
ان يضبط ما لا يتناهى من الامور بحسب تخصص كل واحد من اموره الجزئية فان ذلك غير ممكن بل يضبط القوانين الكلية المتعلقة
بالاجناس الثلاثة للخطابة ويجتهد في ان يخصصها مهما امكن فانه كلما كان الحكم بالجزئي المتكلم فيه اخص كان انفع واقنع مثاله
اذا اردت ان تمدح زيدا فقلت هو شجاع لانه مستكمل الفضائل باسرها فهذا وان كان مقنعا الا انك لو خصصت فقلت لانه هزم
جيش العدو وقت كذا او قتل البطل الفلاني يوم كذا لكان ذلك اقنع واليق بالممدوح وقد تنفع في الخطابة القضايا المتقابلة ولطائف
بها للاقناع فيستعمل الضدان في ايجاب كل واحد من النقيضين كقولك اسكت في المحافل لانك ان صدقت ابغضك الناس وان
كذبت ابغضك الله ثم تقول تكلم في المحافل لانك ان صدقت احبك الله وان كذبت احبك الناس والمقابلة ههنا ان افادت
اقناعا كانت من صناعة الخطابة مثالها اما من باب اشتراك الاسم كقولك بالذهب يبصر الانسان لانه عين او من باب تركيب
المفصل كقولك فلان شاعر جيد فيوهم ذلك التركيب مدح الشعر بالجودة والتقدير فلان جيد او من باب وضع ما ليس بعلة
علة كما يقال فلان مبارك القدم لانه مع قدومه تيسر كذا او من باب المصادرة على المطلوب كما يقال زيد يشرب الخمر فيقمر
لان اخاه يشرب الخمر واما ان لم يوقع اقناعا كما يقال فلان لم ينتسب الى خيانة لانه زنا وهو سكران لم يكن من صناعة الخطابة
وبالله التوفيق **البحث السادس** في تحسينات الخطابة الامور المحسنة للخطابة اما ان تتعلق بالالفاظ واما ان تتعلق

بالترتيب

بالترتيب واما ما يتعلق بهيئة الخطيب اما الاول فاعلم ان تحسين الالفاظ في الخطابة عظيم النفع فان جزالة اللفظ توهم جزالة المعنى وكاكة
اللفظ تذهب برونق المعنى ومحسنات اللفظ امور الاول ان يكون اللفظ فصيحا عذبا غير ركيك ولا عامية ولا مبتذلة مرتفع عن ان
يصلح لمخاطبة الجمهور لان الطباع العامية تنفر عن العبارة العلية ولا ملحونا لان اللحن يهجن الكلام ويزري به وهذه الاعتبارات موجودة
في كلام علي كثيرا الثاني ان يراعي تمام الرباطات وهي الحروف التي يقتضي ذكرها ان تكرر كقوله في صفة الملائكة منهم سجود لا
يركعون ومنهم ركوع لا ينتصبون وكذلك باقي الاقسام فلو لم يحصل التكرار هيهنا لنقص الكلام وكذلك قوله ان المرء المسلم البريء من
الخيانة ينتظر احدى الحسنيين اما داعي الله فما عند الله خير له واما رزق الله فاذا هو ذو اهل ومال اللهم الا ان يكون تكرارا معلوما
كقوله في كثير من خطبه اما بعد فان هذا الجزء مسبوق بما قبل وان لم يذكر لوضوحه الثالث ان لا يباعد ما بين الرباطين بحشو
طويل ينسى الوصلة بينهما الرابع ان يراعي حفظه من التقديم والتأخير فان تأخير الشرط عن المشروط وتقديمه لا على الدعوى قبيح يسمح بعض
هذه الاحكام فيختص ببعض اللغات الخامس ان يزين بالتشبيه والاستعارة ويكون تلك الالفاظ المستعارة خاصة غير مشتركة ولا
مغالطة فقد يورد اللفظ موهما للشيء وضده كقول المنجم اذا دخلت سنة كذا يتجدد للاسلام امر عظيم فذلك يحتمل الخير والشر موهم
لهما وفائدة التشبيه والاستعارة هيهنا الاستعانة بالتخييل الحاصل منه على تزيين المعنى فانه يحصل له رونقا لا يحصل بدونه والالفاظ
المستعارة المخيلة وان كانت اصلا في الشعر فقد يستعملها الخطيب بالعرض فيكون في الخطابة كالابازير السادس ان يراعي لفظ الواحد و
التثنية والجمع وما يخصها من الضمائر وكذلك التذكير والتأنيث وذي العلامة وغيره رفعا للغلط السابع قد يزين اللفظ بالايجاز
اذا اعتمد على فهم السامع من تعقبه لا قناع فيه الحد ودوا الرسوم هيهنا بدلا للفظ المفرد وقد يزين بالبسط فيعكس في ذلك وقد
يبدل للفظ المفرد العلم لشناعته كما يقال عورة المرء ووطيها وهما عوض اسمائها الصريحة واكثر ما يستعمل مثال هذه
في الافراطات في المدائح ويكره التصريح بالاسماء الصريحة احتشاما وتنزيها للمجالس عن ذكرها وكذلك يستعمل في الاعتذار
كثيرا وحيث يراد التهويل والتخويف في المشوريات الثامن ان يزين بالفواصل اي يكون ذا مصاريع وتسجيع ووزن ما لا الوزن
الحقيقي وذلك كقوله عليه السلام اما بعد فان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع وان الآخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع وقد
عرفت المتوازن فان ذلك اقرب الى ثبات اللفظ في الخيال ثم تلك الفواصل ينبغي ان لا تطول لئلا ينسى الاول ولا تقصر جدا
فلا يحفل به النفس فيحصل انقطاعه عن استثباته لقصره ثم الفواصل قد تكون اقساما ويسمى المقسم كما مر في المثال في صفة
الملائكة وقد يكون تلك الاقسام متقابلة كقوله اما الامرة البرة فيعمل فيها التقي واما الامرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي ولكل
واحدة من الخطابة المسموعة والمكتوبة اسلوب خاص في كل صنف منهما واما الثاني وهو الترتيب اعلم ان للاقاويل الخطابية
صدرا ووسطا وخاتمة فالصدر كالوسم الذي ينقش عليه ويعرف السامع منه الغرض اجمالا واما الوسط فقد يكون اقتصاصا
لامر واقع ليحكم بانه حسن او قبيح كما في المنافرة وعدل او جور كما في المشاجرة وقد يقدم على الصدر اقتصاص لامور يستلزم الشكر
والمدح من الفضائل ويهيئ السامع لذلك كما جرت العادة بتقديم اقتصاص صفات الله وحمده وصفات رسله عليهم السلام وقد
يكون الوسط غير اقتصاص بل دالا على مصلحة وحث عليها كما في المشورة اذ ليس فيها ما يحكى ويشتكي ويحمد ويذم وليس فيها
منازعة ومواثبة والصدر فيها حسن ليكون المشار عليه قد وعى الغرض واستعد للقبول وهو في المشاجرة قبيح واما الخاتمة
فهي حسنة في المشورة ايضا والذي يليق بها ان يكون اجزاؤها مفصلة غير مخلوطة بما قبلها وخصوصا في المشوريات وهو ان يقول
المشير قد قلت ما عندي من النصيحة والرأي ما ترون وكما يقول الخطيب اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم انه هو
الغفور الرحيم ونحو ذلك واما الثالث وهو الامور التي تتعلق بهيئة الخطيب فيخيل معها او يخيل اخلاقا واستعدادات
الانفعال وانفعالات ويسمى ذلك نفاقا واخذا بالوجوه فهي اما ان يتعلق بصوته كرفعه في موضع الرفع وخفضه في موضع
الخفض وبتزكيته نفسه او بكونه على زي وهيئة وسمت حسن يصيد به القلوب وهذا القسم انما يكثر الانتفاع باستعماله مع ضعفاء
العقول اذ كانوا الى الاستعداد لتجاوبات بالامور المحسوسة اطوع ولذلك يكبر في اعينهم من كان بزي النساك والمستكثرين من العبادة
والخشوع الظاهر وان كان جاهلا مرائيا ولما لم يكن غرضنا من التعرض بذكر الخطابة هيهنا الا الاشارة الى اقسامها الكلية ليتبين
معنى الخطابة وما عسى ان نذكره من ان الخطابة التي نحن شارعون في بيانها من اي اقسام الخطابة هي وليتفطن المطلع على ما ذكرنا
هيهنا لما لم نبينه من ذلك لا جرم اقتصرنا على هذا القدر من الايراد واما البسط ففي الكتب المطولة واعلم ان الغالب على كلام علي عليه السلام
هو المشوريات واما المنافرات والمشاجرات فيهما اقل كما ستعرف ذلك عند تصفح اقواله ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق خاتمة لهذه القاعدة
واما الخاتمة ففي بيان غاية مهمة من الخطابة واعلم انه لما كان الغرض من وضع الشرائع والسنن انما هو نظام الخلق بجذبهم الى الجناب
المقدس عن دار الغرور وتذكيرهم لمعبودهم الحق وتعليمهم كيفية السلوك للصراط المستقيم كما اومانا اليه وعلم من ذلك ان تعاليها كا

مقررا للشريعة ومثبتا لها وموضحا لمقاصد سنن الرسول صلعم ومفرعا الاحكام منها اذ كان هو الممنوح بجوامع العلم والمطلع على الاسرار الالهية
لم يكن مقصوده من جميع الاقوال المنقولة عنه الا الغرض الاول من وضع الشرايع والسنن بيان ذلك انك قد علمت ان الاقوال الخطابية
تنقسم بحسب اغراضها ثلثة اقسام مشاورة ومنافرة ومشاجرة واما المشورة فانها الجزء الاكبر من كلامه ع ولنت تعلم من تصفح كلامه ان كل
ما يشير به القصد الاول فانما هو الاقبال على الله تعالى بترك الدنيا والاعراض عنها والاستكمال في الفضايل وترك الرذايل والنقصانات
الجاذبة الى الجهة السافلة المانعة عن الوصول الى الله سبحانه فان عرض في كلامه امر جزئي او نهي عن امر جزئي لا يلوح للغافلين منه هذا
الشر كمصالح الحرب والعدة والمدينة وغير ذلك فانه عند الاعتبار يرجع اليه لان كل ذلك يرجع الى حفظ الدين ونظام امر
العالم وترتيب مصالحه واما المنافرة فقد عرفت ان جميع ما ورد في كلامه ع من الذم انما هو للدنيا واتباع الهوى وارتكاب الرذايل الموبقة
ومن ارتكبها واشباه ذلك مما يبعد عن الله تعالى وما ورد فيه من المدح فانما هو لله سبحانه وملئكته ورسله والصالحين من عباده وما هم عليه
من الفضايل وترك الهوى والاعراض عن الدنيا وما ينبغي ان يكون الخلق عليه من ذلك ولا شك ان الاول جذب للخلق بتحقير ما يميل
طباعهم اليه من الامور الفانية وتصغيره ونقصه والتنفير عنه وذمهم على ارتكابه لينتهوا عنه الى ما وراءهم من النعيم الابدي والخير السرمدي
وليذكروا معبودهم الحق سبحانه ولا يكونوا من المعرضين الغافلين والثاني يتضمن بعثهم بتعظيم ما ينبغي ان يلتفتوا اليه وتكبيره ومدحه
والترغيب فيه وفيما يكون وسيلة من الفضايل والاعراض عن الدنيا وغير ذلك واما الامور المشاجرية فما كان في كلامه ع منها فاما بيان
للظلم والجور واسبابهما وما يؤلان اليه من سوء العاقبة وقبح الخاتمة عند الله تعالى او بيان للعدل واسبابه وما يؤل اليه من حسن العاقبة
وحميد المنقلب الى الله كما يشتمل عليه كثير من كتبه الى عماله ومحاربيه ولا شك ان كل ذلك جذب الى الله تعالى بالتصريح والاشارة واما تظلم
من ظالم خرج عن ربقة الدين واتبع هواه وشكايته عن اضاله الخارجة عن نظام الشريعة المؤدية الى ضد مقاصد الشارع ولا يخفى ان مقصوده

مقاصد

من ذلك التظلم والشكاية اقناع الخلق بان فلانا ظالم اخذ ما لا يستحقه ليثبتوا على الحق ويفيئوا اليه وينكسر وهم من عساه يتوهم ان
خصمه على الحق فربما كان بقاء ذلك الوهم سببا للحوق به وذلك بالحقيقة تثبيت على الحق وجذب عن الباطل وهو في نفس الامر مقصود
الشارع وغايته واما اعتذاره عما يخيله الجاهلون في حقه ظلما وجورا كاعتذاره عما يخيله جماعة في حقه ظلما من القعود عن نصرة
عثمان حتى نسبوا اليه انه قاتله ومنصله من ذلك وكاعتذاره عما يخيله الخوارج ذنبا له من تحكيم الحكمين وغير ذلك فان الاعتذار
في هذه المواضع وامثالها جذب الى الحق وصرف عن الباطل لان الاعتذار منه طلبا للاقناع من تخيل فيه ظلما بانه ليس كما خيل اليهم
وان ما صدر ليس بظلم ولا جور ليفيئوا الى طاعته والاقتداء به فيما هو عليه من اتباع الحق والنصرة للدين والذب عنه ومعلوم ان ذلك
كله جذب الى الله سبحانه والى اسباب ما يوصل اليه فقد علمت من هذا البيان ان غايته من جميع اقواله انما هو توجيه الخلق الى
جناب الله والقائهم الى حضرته القدسية وهذه هي الغاية التي اتفق عليها الانبياء والرسل وتطابقت عليها الشرايع والسنن
ومن تامل ما قلناه وترك متابعة هواه وطبق ما عنيناه من القانون الكلي على كلامه علم صحة ما ادعيناه وبالله التوفيق **المقدمة الثالثة**

الفصل الاول في فضايله اللاحقة له من خارج ولنذكر
منها وجوها **ا** نسبه من رسول الله صلعم وهو ابو الحسن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وامه فاطمة بنت
اسد بن هاشم بن عبد مناف وهي اول هاشمية ولدت هاشميا وكان علي اصغر اولادها وعقيل اسن منه بعشر سنين وطالب اسن
من عقيل بعشر سنين وهي اول امرأة بايعت رسول الله صلعم من النساء وكان صلى الله عليه وآله يكرمها ويدعوها امي واوصت اليه حين
حضرتها الوفاة فقبل وصيتها وصلى عليها ونزل في لحدها واضطجع معها بعد ان البسها قميصه فقال له اصحابه في تخصيصها بذلك
فقال انه لم يكن احد بعد ابي طالب ابر بي منها وانما البستها قميصي لتكسى من حلل الجنة وانما اضطجعت معها ليأمن ضغطة القبر **ب**
سبقه الى الاسلام وقد فضلته في ذلك ظاهر **ج** مجاهدته اعداء الله ونصرته للدين وذبه عنه ومقاماته في ذلك مشهورة
ماثورة تكاد لا تحصى كثرة **د** تخصيص الرسول صلعم تزويجه فاطمة دون من خطبها من اكابر المهاجرين والانصار **ه** كون الحسن
والحسين اللذين هما سيدا شباب اهل الجنة ولديه وذلك فضل عظيم **و** قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون
قيل انها نزلت في علي وفي جعل عيسى مثلا له فضل عظيم ويؤيد ذلك قول النبي صلعم له لولا ان تقول فيك طوائف من امتي ما قالت
النصارى في عيسى لقلت اليوم فيك مقالا لا تمر بملاء منهم الا اخذوا التراب من تحت قدميك وهذا الكلام يقتضي
انه لو وصفه بشيء لما وصفه الا باوصاف عيسى التي لاجلها قالت النصارى فيه ما قالوا **ز** قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه
مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله الاية اتفق المفسرون على انها نزلت في علي واهل بيته وسبب نزولها مشهور في كتب
التفسير وغيرها وكفى بذلك شرفا **ح** روي انه لما نزلت وتعيها اذن واعية قال النبي صلعم اللهم اجعلها اذن علي ولا شك ان الرسول
كان مجاب الدعوة ولذلك قال علي فما شككت في شيء سمعته بعد ذلك وذلك من اعظم الفضايل **ط** من طريق الكل قول النبي

في حقه الائم

في حقه اللهم ادر الحق مع علي حيث دار ولا شك في استجابة دعائه ومن كان الحق معه في اقواله وافعاله فلا مزية على فضله ي من طرق
الكل قوله انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي والاستثناء هنا يشهد باثبات جميع المنازل التي كانت لهرون من موسى
الا النبوة وما علم بنفيه من الاخوة فبقي كونه وزيرا وناصرا وقايما بناموس الشريعة ومفزعا في الاحكام الكلية وخليفة له كما كان
هرون كذلك ومن هنا تمسكت الشيعة بهذا الخبر في استحقاقه الخلافة وكفى بهذه فضيلة يا من طريق الكل قوله من كنت مولاه فعلي
مولاه وسواء كان المراد ههنا بالمولى الاولى بالتصرف او الناصر فان الفضل حاصل يب قوله في حقه اقضاكم علي ولا شك ان القضا
محتاج الى انواع العلوم وكفى بشهادة الرسول له بذلك فضلا يج قوله اعطيت جوامع الكلم واعطي علي جوامع العلم وكفى بهذه الشهادة
فضلا يد من طرق الشيعة انه خوطب بامرة المؤمنين في حيوة الرسول صلعم وانكره المحدثون من غيرهم وروى احمد في مسنده وفي كتاب
فضائل الصحابة وكذلك ابو نعيم الحافظ الاصفهاني في حلية الاولياء ان رسول الله صلعم خاطبه بيعسوب المؤمنين واليعسوب امير النحل وكل
ذلك اشارة الى فضله يه تربيته رسول الله صلعم من اول عمره الى ان استعد لاعلى مراتب الكمالات النفسانية قال ع في تربية النبي ص واتباعه
اثره في خطبته المسماة بالقاصعة وقد علمتم موضعي من رسول الله صلعم بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وانا وليد يضمني
الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد
قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله و
نهاره ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لي كل يوم علما من اخلاقه ويأمرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراه
ولا يراه غيري ولا يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلعم وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة ولقد
سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلعم فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد ايس من عبادته انك تسمع
ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير وانك لعلى خير الى آخر الكلام حتى صار بهذه التربية استاد العالمين
بعده صلى الله عليه وآله في جميع العلوم وبيان ذلك مجملا فلقول النبي صلعم انا مدينة العلم وعلي بابها ولا شك ان المقصود انه صلعم
هو المنبع الذي تفيض عنه العلوم الاسلامية والاسرار الحكمية التي اشتمل عليها القران الحكيم والسنة الكريمة وهو مصدرها والمحيط
بها لان شان المدينة بما تحتوي عليه كذلك وان عليا ع هو المرجع لتلك الاسرار والمهتدي لتفاصيل جملها واحكامها الكلية بحسب
ما له من كمال الحدس وقوة الاستعداد بحيث تصير تلك الاسرار سهلة التناول قريبة الماخذ لسائر الخلق لان الباب هو الجهة
التي منها ينتفع الخلق من المدينة ويمكنهم تناول ما ارادوه منها واما تفصيلا فانا بحثنا العلوم باسرها فوجدنا اعظمها واهمها هو
العلم الالهي وقد ورد في خطبه من اسرار التوحيد والنبوات والقضاء والقدر واسرار المعاد كما ستبينه ما لم يات في كلام احد من اكابر
العلماء واساطين الحكمة ثم وجدنا جميع فرق الاسلام تنتهي في علومهم اليه اما المتكلمون فاما معتزلة وانتسابهم اليه ظ فان اكثر اصولهم
ماخوذة من ظواهر كلامه في التوحيد والعدل وايضا فانهم ينتسبون الى مشايخهم كالحسن البصري وواصل بن عطا وكانوا منتسبين
الى علي ع ومتلقفين عنه العلوم واما اشعرية فمعلوم ان استادهم ابو الحسن الاشعري وقد كان تلميذا لابي علي الجبائي وهو من
مشايخ المعتزلة الا انه تنبه لما وراء ادلة المعتزلة فخالف استاده في مواضع نقلها من قلد مذهبه واما الشيعة فانتسابهم اليه ظ فانهم
يتلقفون العلوم عن ائمتهم وائمتهم ياخذ بعضهم عن بعض الى ان ينتهي اليه وهو امامهم الاول واما الخوارج فهم وان كانوا في غاية من
البعد عنه الا انهم ينتسبون الى مشايخهم وقد كانوا تلامذة علي ع واما المفسرون فرئيسهم ابن عباس رضي الله عنه وقد كان تلميذ
علي ع واما الفقهاء فمذاهبهم المشهورة اربعة احدها مذهب ابي حنيفة ومن المشهورات ان ابا حنيفة قرأ على الصادق ع واخذ عنه الاحكام
وانتهاء الصادق ع الى علي ع ظ الثاني مذهب مالك وقد كان مالك تلميذا لربيعة الرأي وربيعة تلميذ عكرمة وعكرمة تلميذ عبد الله بن
عباس وكان تلميذا لعلي ع الثالث مذهب الشافعي وقد كان الشافعي تلميذا لمالك الرابع مذهب احمد بن حنبل وكان احمد تلميذ الشافعي
فرجع انتساب فقه الجميع الى علي ع ومما يؤيد كماله في الفقه قول الرسول صلعم اقضاكم علي والاقضى لا بد وان يكون افقه واعلم بقواعد
الفقه واصوله واما الفصحاء فمعلوم ان من ينتسب الى الفصاحة يتطفلون او عيال اذ هاتهم من الفاظه ويضمنونها كلامهم وخطبهم فيكون جميع
منها بمنزلة الدرر العقود كابن نباتة وغيره والامر في ذلك ظ واما النحويون فاول واضع للنحو هو ابو الاسود الدئلي وكان ذلك بارشاده
له الى ذلك وبداية الامر ان ابا الاسود سمع رجلا يقرأ ان الله برئ من المشركين ورسوله بالكسر فانكر ذلك وقال نعوذ بالله من الحور
بعد الكور اي من نقصان الايمان بعد زيادته وراجع عليا في ذلك فقال له نحوت ان اضع للناس ميزانا يقومون به السنتهم
فقال له ع انح نحوه وارشده الى كيفية تلك الوضع وعلمه اياه واما علماء الصوفية وارباب العرفان فنسبتهم اليه في تصفية الباطن و
كيفية السلوك الى الله تعالى ظاهرة لا ينكرونها واما علماء الشجاعة والممارسون لآلة الاسلحة والحروب فهم ايضا ينتسبون اليه في علم ذلك
فثبت بذلك انه كان استاد الخلائق وهاديهم الى طريق الحق بعد رسول الله صلعم ومناقبه وفضائله اكثر من ان تحصى وبالله التوفيق

الفصل الثاني في بيان فضائله النفسانية وهي اما ان يعتبر بالنسبة الى قوته النظرية والى قوته العملية فاذن
ههنا بحثان **البحث الاول** في انه ع كان مستجمعا لكمال قوته النظرية قد علمت ان كمال القوة النظرية انما هو باستكمال
الحكمة النظرية وهي استكمال النفس الانسانية بتصور المعارف الحقيقية والتصديق بالحقائق النظرية بقدر الطاقة البشرية
ولا شك ان هذه الدرجة كانت ثابتة له ع وبيان ذلك ببيان انه ع كان سيد العارفين بعد سيد المرسلين صلى الله
عليه وآله وانه كان متسنما لدرجة الوصول وتحقيق ذلك انه قد ثبت في علم كيفية السلوك ان وصول العارف انما يتحقق اذا
غاب عن نفسه فلحظ جناب الحق من حيث انه هو فقط وان لحظ نفسه فمن حيث هي لاحظة لا من حيث هي متزينة بزينة الحق ثم
انه قد وجدنا في كلامه واشاراته حصول هذه المرتبة له ولنذكر منها مواضع ثلثة الاول قوله ع لو كشف الغطاء ما ازددت
يقينا وقد عرفت ان ذلك اشارة الى ان الكمالات النفسانية المتعلقة بالقوة النظرية قد حصلت له بالفعل وذلك يستلزم
تحقق الوصول التام الذي ليس فوقه قوة الاولياء الثاني قوله ع حكاية عن رسول الله ص في حقه انك تسمع ما اسمع وترى
ما ارى الا انك لست بنبي ولا اشكال ان النبي ص كان تام الاتصال بالحق تع فكان هذا الاتصال والوصول حاصلا لعلي
بمقتضى شهادة الرسول وان كان التفاوت بين المرتبتين قائما الا ان للاتصال بالجناب الاقدس درجات لا تتناهى ولذلك قال الا انك
لست بنبي وستعلم من تفاصيل كلامه عند الانتهاء اليه تحقق هذه المرتبة له الثالث قوله ع الهي ما عبدتك خوفا من عقابك ولا رغبة
في ثوابك ولكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك وجه الاستدلال انه حذف كل قيد دنياوي واخروي عن درجة الاعتبار سوى الحق
تعالى وانما يتحقق له الوصول ومما يؤيد ذلك ما سنبين ان شاء الله تعالى من تمكنه ع من الكرامات وصدورها عنه وذلك من خواص الواصلين
البحث الثاني في بيان كماله في قوته العملية وكما علمت ان كمال القوة النظرية انما هو باستكمال الحكمة النظرية فكذلك كمال القوة العملية انما
هو باستكمال الحكمة العملية وهي استكمال النفس بكمال الملكة التامة على الافعال الفاضلة حتى يكون الانسان ثابتا على الصراط المستقيم
مجتنبا طرفي الافراط والتفريط في جميع افعاله ثم قد ثبت في علم الاخلاق ان اصول الفضائل الخلقية ثلثة **احدها** الحكمة الخلقية وهي
الملكة التي تصدر عنها الافعال المتوسطة بين الجربزة والغباوة اللذين هما طرفا الافراط والتفريط وانت تعلم من تصفح احواله واقواله
وتدابيره في امور الحرب ونظام امور العالم ما تضطر معه الى الحكم بانه كان مستلزما لهذه الفضيلة وغير واقف دونها في حد الغباوة
ولا متجاوزا لها الى طرف الجربزة لان خبث الجربزة يمنع عن الترقي الى درجة الكمال ويابى طبعه الا الشر **وثانيها** العفة وهي الملكة الصادرة
عن اعتدال حركة القوة الشهوية بحسب تصريف العقل العملي لها على قانون العدل وبها تصدر الافعال المتوسطة بين الخمود والفجور اللذين
هما طرفا الافراط والتفريط ونبين ان هذه الملكة كانت ثابتة له ع من وجهين الاول انه كان ازهد الخلق في الدنيا بعد الرسول ص وفيما عدا
القبلة الحقيقية واقدر على حذف الشواغل الملتفتة عن لقاء الله وكل من كان كذلك كان مالكا لهواه مصرفا لشهوته بحسب عقله اما المقدمة
الاولى فمعلومة بالتواتر واما الثانية فضرورية ايض الثاني قول النبي ص اللهم ادر الحق مع علي حيث دار ولا شك في استجابة دعائه
ومن كان الحق لازما له كان منصرفا فانه استحال ان يلزمها باطل لان الامر الواحد لا يلزمه لازمان مختلفان فاستحال ان يكون
متبعا للهوى البتة وهو معنى العفة ومما يؤكد حصول هذه الملكة ما روي انه ع ما شبع من طعام قط وانه كان من اخشن الناس
ملبسا ومأكلا يقنع بقرص الشعير ولا ياكل اللحم الا نادرا وكان يقول لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان ويقصد بذلك التنفير عنه وكل
ذلك منه زهادة في الدنيا ولذاتها **وثالثها** الشجاعة وهي الملكة الحاصلة للنفس عن اعتدال القوة الغضبية بحسب تصريف العقل
فيما يضبطه لها وبها تصدر الافعال المتوسطة بين افعال الجبن والتهور وثبوت هذه الفضيلة له ع معلوم بالتواتر حتى صارت
شجاعته يضرب بها المثل مبالغة في حق الرجل الشجاع واذا عرفت ان هذه الملكات الثلث ثابتة له كاتم ما يمكن وثبت انها مستلزمة
لفضيلة العدالة لزم ثبوت العدالة التامة له ولما كان من اقسام الحكمة العملية كالحكمة السياسية والمنزلية فقد علمت ان غايتهما
ان يعلم الانسان وجه المشاركة التي ينبغي ان تكون بين اشخاص الناس ليتعاونوا على مصالح الابدان ونظام مصالح المنزل والمدينة
وقد كان ع في ذلك سباق غايات وصاحب آيات ويكفيك في معرفة ذلك منه اما على سبيل الجملة فلان الشريعة المصطفوية على صاحبها السلام
الله على شارعها واردة بمقاصد هاتين الحكمتين على اتم الوجوه واكملها بحيث يرجع اكابر الحكماء اليها في نقلها ومعلوم ان عليا
كان متمسكا ومقررا لها وباسطا لاحكامها الكلية ومفصلا لاشاراتها الجملية لم يغير منها حرفا ولم يقف فيها دون غاية وذلك
يستلزم ثبوتهما له على اكمل وجه واتمه واما على سبيل التفصيل فعليك في معرفة انه كان اكمل الخلق بعد رسول الله ص في هذا العلم
بمطالعة كتبه وعهوده الى عماله وولاة امره وقضاته خصوصا العهد الذي كتبه للاشتر النخعي فان فيه من لطائف تدبير المدينة
ونظام احوال الخلق ما لا يهتدى لحسنه ولا يوجد عليه مزيد في هذا الباب هذا مع ما تواتر من رجوع اكابر الصحابة الى آرائه وحسن
تدبيرهم وايالتهم الى مشاورته في امورهم وتعرفهم كيفية تدبير العساكر والحروب والمصالح الكلية والجزئية في مواضع كثيرة نقلها

في هذا الكتاب وفي عزمه كرجوع عمر الى امره في الخروج مع المسلمين الى غزو الروم وعزمه ذلك مما هو مشهور مما نورده ايثار عليهم من الآراء الكافلة
بحسن التدبير والآيات الوافية بنظام الحركات المدنية كما ستعلم ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق **الفصل الثالث** في صدور الكرامات
عنه وفيه مباحث **البحث الاول** في اخباره عن الامور الغيبية والنظر اما في امكان ذلك وفي سببه او في وقوعه منه فهنا اذن
ثلث مقامات **المقام الاول** في امكانه يجب عليك ايها الاخ المتلقي لنفحات الله اذا ذكر ان خليفة من خلفاء الله ووليا من اوليائه
اخبر عن امر سيكون مبشرا به او منذرا اما الاتقى بيد ركونك وانت ثابت فاعلم ان لا تبادر الى التكذيب بامثال ذلك وتستنكره
فانك عند مراجعة عقلك وتصفح الاحوال نفسك تجد كل ذلك ممكنا واليه سبيلا ولبيان ذلك نعرفه الامور الغيبية في النوم
ممكنة فوجب ان تكون في اليقظة كذلك اما الاول فلان الانسان كثيرا ما يرى في نومه شيئا ويقع بعده اما صريح تلك الرؤيا او تعبيرها
وذلك يوضح ما قلناه اما في حق الرائي واما من لم يرزق ذلك في حال النوم فانه يعلمه بالتواتر من اكثر الخلق واما الثاني فلان
ذلك لما صح في حال النوم لم يمكن التجربة بامتناعه حال اليقظة فان الناس لو لم يجربوا ذلك في حال النوم لكان استبعادهم له في تلك الحال
اشد من استبعادهم لوقوعه في حال اليقظة فانه عند عدم التجربة لو قيل لانسان ان جماعة من الاولياء اجتهدوا في تلويح مفكرتهم
الصافية حال ما هم ايقاظ في تحصيل حكم غيبي فعجزوا ثم ان واحدا من الكفار لما نام وصار كالميت وحصل له ذلك الحكم فلا بد وان
يكذب بذلك ويستنكره لبعد حصوله مع كمال الحركة وسلامة الحواس عن العطلة وكمال العبارة وحصوله مع اضداد ذلك فيجب
ان يذلك انه لما كان في حال النوم ممكنا كان في حال اليقظة كذلك **واما المقام الثاني** وهو بيان السبب في الاطلاع على الامور الغيبية
فاما في حال النوم فهو انه قد ثبت في العلم الالهي ان جميع الامور التي يصدق عليها انها كانت او ستكون معلومة لله تعالى وثبت ان النفس
الانسانية من شانها الاتصال بالجناب الله تعالى وانما يعوقها عن ذلك استغراقها في تدبير البدن فاذا حصل لها ادنى فراغ من ذلك
كما في حال النوم وانقلقت عنها ابواب الحواس الظاهرة رجعت بطباعها الى الاتصال بالجناب المقدس فينطبع فيها من الصور الحاصلة
هناك ما هو اليق بها من احوالها واحوال ما يقرب منها من الاهل والولد وما يهتم به ثم ان المتخيلة التي من طباعها المحاكاة تحاكي تلك
المعاني الكلية الحاصلة للنفس وتمثلها بصور جزئية وتحطها الى لوح الخيال للتصور فتبقى تلك الصور مشاهدة للحس المشترك ثم ان كانت
تلك الصور شديدة المناسبة لتلك المعاني بحيث لا افتراق بينهما الا في الكلية والجزئية كانت الرؤيا غنية عن التعبير وان كانت المناسبة
حاصلة بوجه ما كما اذا تصور المعنى بصورة ضده او لازم من لوازمه احتيج الى التعبير وفائدة التعبير التحليل بعد رجوع الفكر بالعكس من الصورة الخيالية
الى المعنى النفساني وان لم تكن هناك مناسبة اصلا كانت الرؤيا اضغاث احلام واما في حال اليقظة فالسبب في ذلك هو ان النفس اذا كانت
قوية وكانت وافية بضبط الجوانب المتجاذبة ولم يكن اشتغالها بتدبير البدن عائقا لها عن ملاحظة مبادئها والاتصال بالحضرة
الالهية وكانت المتخيلة بحيث تقوى على استخلاص الحس المشترك وضبطه عن الحواس الظاهرة فان النفس والحال هذه اذا توجهت الى الجناب
المقدس لاستعلام ما كان او ما سيكون انتقش عليها الصور الكلية لتلك الامور ثم ان النفس تستعين في ضبط تلك الامور الكلية بالقوة
المتخيلة فتحاكي تلك المعاني بما يشبهها من الامور المحسوسة ثم تحطه الى خزانة الخيال فيصير مشاهدا للحس فربما سمع الانسان كلاما منظوما
وشاهد منظرا بهيا يخاطبه بكلام فيما يجب من افعاله فان كان لا تفاوت بين تلك المعاني والصور الا في الكلية والجزئية كان
ذلك وحيا صريحا والهاما والا احتاج الى التاويل **واما المقام الثالث** وهو صدور الاخبار بالامور الغيبية عنه ونستعلمها في مواضع كثيرة
من هذا الكتاب ثم نعم لا يقال لا نسلم ان ذلك علم الهمه الله اياه وافاضه عليه بل الرسول اخبره بوقايع جزئية من ذلك فلا يبقى بينه
وبين غيره فرق في هذا المعنى فان الواحد منا لو اخبره الرسول بشيء من ذلك لكان له ان يحكي ما قال الرسول ولئن وقع المخبر به على وفق
قوله ويدل على ذلك قوله بعد وصف الاتراك وقد قال له بعض اصحابه في ذلك المقام لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك
وقال للرجل وكان كلبيا يا اخا كلب ليس هذا بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه بقوله ان
الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام من ذكر وانثى وقبيح وجميل وشقي وسعيد ومن يكون للنار حطبا او في
الجنان للنبيين مرافقا فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه احد الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه صلى الله عليه وآله فعلمنيه ودعا
بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي وهذا تصريح بانه تعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله لانا نقول انا لم ندع انه كان يعلم الغيب بل ندعي
انه كان لنفسه القدسية استعداد ان تنتقش بالامور الغيبية عن افاضة جود الله تعالى ونفرق بين علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله
وبين ما ادعيناه فان المراد بعلم الغيب هو العلم الذي لا يكون مستفادا عن سبب يفيده وذلك انما يصدق في حق الله تعالى اذ كل علم لذي
علم عداه فهو مستفاد من جوده اما بواسطة او بغير واسطة فلا يكون علم غيب وان كان اطلاعا على امر غيبي لا يتأهل للاطلاع عليه
كل الناس بل يختص بنفوس خصت بعناية الهية كما قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فاذا
عرفت ذلك ظهر ان كلامه عليه السلام صادق مطابق لما اردناه فانه نفى ان يكون ما قاله علم غيب ثم هو مستفاد من جود الله تعالى وقوله

هو تعلم من ذي علم اشارة الى وساطة تعليم الرسول له وهو اعداد نفسه على طول الصحبة بتعليمه وارشاده الى كيفية
السلوك واسبابه بالتطويع والترياضة حتى استعد للانتقاش بالامور الغيبية والاخبار عنها وليس التعليم هو ايجاد العلم
وان كان امر قد يلزمه ايجاد العلم فتبين اذن ان تعليم رسول الله صلعم له لم يكن مجرد توقيفه على الصور الجزئية بل اعداد
نفسه بالقوانين الكلية ولو كانت الامور التي تلقاها عن الرسول صلعم صورا جزئية لم يحتج الى تمثل دعائه في فهمه لها
لها فان فهم الصور الجزئية امر ممكن سهل في حق من له ادنى فهم وانما يحتاج الى الدعاء واعداد الاذهان لها بانواع الاعداد
هو الامور الكلية العامة للجزئيات وكيفية انشعابها عنها وتفريعها وتفصيلها واسباب تلك الامور المعدة لادراكها ومما
يؤيد ذلك قوله عم علمني رسول الله صلعم الف باب من العلم فانفتح لي من كل باب الف باب وفي قول الرسول صلعم اعطيت جوامع الكلم
واعطي علي جوامع العلم والمراد بالانفتاح ليس الا التفريع والانشعاب للقوانين الكلية عما هو اهم منها وبجوامع العلم ليس الا اصولها
وقوانينه وفي قوله واعطي بالبناء للمفعول دليل ظاهر على ان المعطي لعلي جوامع العلم ليس هو النبي بل الذي اعطاه ذلك
هو الذي اعطى النبي صلعم جوامع الكلم وهو الحق سبحانه وتعالى واما الامور التي عدها الله سبحانه من الامور الغيبية وقوله
لا يعلمها احد الا الله كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فهو محتمل للتخصيص كما في قوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول وهذا الامر واضح لا يحتاج العاقل في استكشافه الى كلفة وسيجيء في اثناء الشرح ما يزيد ذلك وضوحا انتهى

البحث الثاني في بيان صدور الافعال الخارقة للعادة عنه والتطرق الى امكان ذلك في سببه او في نفس وقوعه منه

المقام الاول في امكانه واسبابه واجب على من اهله الله سبحانه لاستشراق انواره اذا سمع ان وليا من الاولياء اتى بفعل
ليس في وسع غيره من ابناء نوعه الاتيان بمثله كالامساك عن الطعام المدة المديدة التي ليست في وسع ابناء نوعه وكالتحركات على الحركة
الخارجة عن وسع مثله كما يشاهد من طوفانات تقع باستدعائهم وزلازل واستنزال عقوبات وخسف بقوم حق عليهم القول
واستشفاء المرضى واستسقاء العطشى وخضوع عجم الحيوانات وغيرها ان لا يبادر الى التكذيب فانه عند الاعتبار يجد تلك
الامور ممكنة في الطبيعة اما الامساك عن القوت فتمام امكانه فينا بل وجوده عند عروض عوارض غريبة لنا اما بدنية كالامراض
الحادة واما نفسانية كالخوف والغم وسبب الامساك في حال المرض اما في الامراض البدنية فان القوى الطبيعية تشتغل بهضم
المواد الرديئة عن تحريك المواد المحمودة فتجد المواد المحمودة محفوظة قليلة التحلل غنية عن طلب البدل لما يتحلل فربما انقطع الغذاء
عن صاحبها مدة لو انقطع مثله عنه في غير حالته تلك عشر تلك المدة هلك وهو مع ذلك محفوظ الحيوة واما النفسانية فانه
قد يعرض بعروض الخوف للخائف سقوط الشهوة وفساد الهضم والعجز عن الافعال الطبيعية التي كان متمكنا منها قبل الخوف لوقوف
القوى الطبيعية عن افعالها بسبب اشتغال النفس بما اهمها عن الالتفات الى تدبير البدن واذا عرفت امكان ذلك بسبب
العوارض الغريبة فاعلم ان سبب تحققه في حق العارف هو توجه نفسه بالكلية الى عالم القدس المستلزم لتشييع القوى البدنية
لها فذلك لان النفس المطمئنة اذا راضت القوى البدنية انجذبت القوى خلفها في مهماتها التي تنزع اليها واشتد ذلك
الانجذاب فاذا اشتد الاشتغال عن الجهة المولى عنها وقفت الافعال الطبيعية المتعلقة بالقوة النباتية فلم يكن من التحليل الا دون
ما يكون في حال المرض لاختصاص المرض في بعض ما يقتضي الاحتياج الى الغذاء كتحلل رطوبات البدن بسبب عروض الحرارة الغريبة
المسماة بسوء المزاج الحار كالات الغذاء انما يكون لسد بدل ما يتحلل من تلك الرطوبات وشدة الحاجة الى الغذاء انما يكون بحسب
كثرة التحليل وكضعف القوى البدنية بسبب المرض المضاد لها وانما الحاجة لحفظ تلك الرطوبات لحفظ تلك القوى اذا كانت مادة
الحرارة الغريزية المقتضية لتعادل الاركان التي لا تقوم تلك القوى الا معه وشدة الحاجة الى ما يحفظ تلك القوى انما هي بحسب شدة
فتورها **واما العرفان** فانه مختص بامر يوجب الاستغناء عن الغذاء وهو سكون البدن عند اعراض القوى البدنية عن
افعالها حال متابعتها للنفس بجذبها خلفها حال توجيهها الى الجناب المقدس ونظمها بالنية معارفة الحق واليه الاشارة بقوله
لست كاحدكم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني واذا عرفت ذلك ظهر ان المرض وان اقتضى الامساك الخارق للعادة الا ان العرفان بذلك
الاقتضاء اولى **واما القدرة** على الحركة التي تخرج عن وسع مثله فهي ايضا ممكنة وبيانها انا علمنا ان مبدا القوى البدنية هو الروح
الحيواني فالعوارض الغريبة التي تعرض للانسان تارة يقتضي انقباض الروح بحركته الى داخل كالخوف والحزن وذلك يقتضي انحطاط القوة
وسقوطها وتارة يقتضي حركته الى الخارج كالغضب وانبساطا معتدلا كالفرح المطرب الانتشار المعتدل وذلك يقتضي ازدياد القوة ونشاطها
واذا عرفت ذلك فاعلم انه لما كان فرح العارف بمجد الحق اعظم من فرح من عداه بما عداها وكانت الغواشي التي تغشاه وتحركه اعتزازا
بالحق ربانية اعظم مما يعرض لغيره لا جرم كان اقتداره على حركة غير مقدورة لغيره امكن **واما السبب في الامور الباقية** فهو انه
قد ثبت في غير هذا الموضع ان تعلق النفس بالبدن ليس تعلق انطباع فيه انما هو على جهة انها مدبرة له مع تجردها ثم ان الهيئات

النفسانية

في بيان خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض وخلق آدم

وكذلك لموسى ع فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي رواية اخرى وشكري لك نعمة اخرى توجب
علي الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر اذا عرفت ان النعم مني رضيت منك بذلك شكرا فاما ما
يقال في العرف من ان فلانا مؤد لحق الله تعالى فليس المراد منه جزاء النعمة بل لما كانت المطلوبات لله تعالى من التكاليف اثرا عينية وافعالا
ليتيه حقوقا له لا جرم سمي المجتهد في الامتثال مؤديا بالحق لله وذلك الاداء في الحقيقة من اعظم نعم الله على عبده اذ كانت الامتثالات
وسائر اسباب السلوك الموصل الى الله نعما كلها مستندة الى جوده وعنايته واليه الاشارة بقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا
تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين وما كان في الحقيقة نعمة الله لا يكون اداء لنعمة الله و
جزاء لها وانما اطلق ذلك في العرف اذ كان من شأن الحق المفهوم المتعارف بين الخلق استلزام وجوب الجزاء والاداء ليسارعوا
الى الاتيان بها رغبة ورهبة فيحصل المقصود من التكليف حتى لو لم يعتقد وانه حق لله بل هو مجرد نفع خالص لهم لم يهتموا بها
الاهتمام اذ كانت غايته غير مقصورة لهم كما هي وقلما تهتم النفوس بامر لا تتصور غايته وتتيقنه خصوصا مع المشقة اللازمة في تحمله
الاعباء فافهم من خارج **قوله** الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن **اقول** اسند الغوص هاهنا الى الفطن
على سبيل الاستعارة اذ الحقيقة اسناده الى الحيوان بالنسبة الى الماء وهو مستلزم لتشبيه المعقولات بالماء ووجه الاستعارة
هيهنا ان صفات الجلال ونعوت الكمال لما كانت في عدم تناهيها والوقوف على حقائقها واغوارها اشبه البحر الخضم الذي
لا يصل السابح له الى ساحل ولا ينتهي الغائص فيه الى قرار وكان السابح لذلك البحر والخائض في تياره هي الفطن الثاقبة لا جرم كانت
الفطنة شبيهة بالغائص في البحر فاسند الغوص اليها وفي معنى الغوص في الفكر والغوص في النوم ويقرب منه اسناد الادراك الى
بعد الهمم اذ كان الادراك حقيقة في لحوق جسم لجسم آخر واضافة الغوص الى الفطن والبعد الى الهمم اضافة لمعنى الصفة بلفظ المصدر
الى الموصوف والتقدير لا تناله الفطن الغائصة ولا تدركه الهمم البعيدة ووجه الحسن في هذه الاضافة وتقديم الصفة ان المقصود
لما كان هو المبالغة في عدم اصابة ذاته تعالى بالفطنة من حيث هي ذات غوص وبالهمة من حيث هي بعيدة كانت تلك الحيثية مقصودة بالقصد
الاول وقد بينا ان البلاغة تقتضي تقديم الاهم والمقصود الاول على ما ليس كذلك وبرهان هذا المطلوب ظاهر فان حقيقته تعالى لما كانت
بريئة عن جهات التركيب عرية عن اختلاف الجهات منزهة عن تكثر المتكثرات وكانت الاشياء انما تعلم بما هي من جهة حدودها
المؤلفة من اجزائها فاذا صدق ان واجب الوجود ليس بمركب وما ليس بمركب ليس بمدرك الحقيقة صدق ان واجب الوجود ليس
بمدرك الحقيقة فلا تدركه همة وان بعدت ولا تناله فطنة وان اشتدت فكل سابح في بحار جلاله غريق وكل مدع للوصول فبوادي
كبريائه حريق لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا **قوله** الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود **اقول** المراد ليس
لمطلق ما نعتبره عقولنا له من الصفات السلبية والاضافية نهاية معقولة تقف عندها فيكون حدا لها له وليس لمطلق ما يوصف به ايضا
وصف موجود يجمعه فيكون نعتا له ومحصرا فيه قال ابو الحسن الكيدري ره ويمكن ان يؤول الحد المحدود على ما يأول به كلام العرب
ولا يرى الضب بها ينجحر اي ليس بها ضب فينجحر حتى يكون المراد انه ليس له صفة فتحد اذ هو تعالى واحد من كل وجه منزه عن الكثرة بوجه ما فيمتنع
ان يكون له صفة تزيد على ذاته كما في سائر الممكنات وصفاته المعلومة ليست من ذلك في شيء انما هي نسب واضافات لا يوجب وصفه
بها كثرة في ذاته قال ومما يؤكد هذا التاويل قوله بعد ذلك فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه وهذا التاويل حسن وهو راجع الى ما
ذكرناه في المعنى واما وصف الحد بكونه محدودا فللمبالغة على طريقة قولهم شعر شاعر وعلى هذا التاويل يكون قوله ولا نعت موجود سلبا
للنعت عن ذاته سبحانه اذ التقدير ليس له صفة فتحد ولا نعت وقيل معنى قوله ليس لصفته حد اي ليس لها غاية بالنسبة الى متعلقاتها كالعلم
بالنسبة الى المعلومات والقدرة الى المقدورات **قوله** ولا وقت معدود ولا اجل ممدود **اقول** وصف الوقت بكونه معدودا كقوله تعالى
في ايام معدودات وكقوله وما نؤخره الا لاجل معدود وهو المعلوم الداخل في الاحصاء والعد وذلك ان العد لا يتعلق بالوقت الواحد من
حيث هو واحد فانه من تلك الحيثية ليس معدودا وانما يتعلق به من حيث انه داخل في الاوقات الكثيرة الموجودة في الزمان اما بالفرض او
بالفعل التي يلحق جملتها عند اعتبار التفصيل كونها معدودة في هذه الجملة اي داخل في عدها ومراده في هذين الحكمين نفي نسبته ذاته وما
يلحقها الى ان يكون في الزمان وان يكون لذاته اجل ينتهي اليه وينقطع وجودها بانتهائه وبيان ذلك من وجهين احدهما ان الزمان من لواحق
الحركة التي هي من لواحق الجسم فلما كان الباري سبحانه منزها عن الجسمية استحال ان يكون في زمان الثاني انه تعالى ان وجد الزمان وهو
في الزمان لزم كون الزمان متقدما على نفسه وان اوجده بعد وجوده لزم ان يكون فيه كان غنيا في وجوده عنه فهو المطلوب فاذن صدق
هذين السلبين في حقه معلوم وقد حصل في هذه القرائن الاربع السجع المتوازي مع نوع من التجنيس **قوله** الذي فطر الخلائق بقدرته
ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان ارضه **اقول** لما قدم الصفات السلبية شرع في الصفات الثبوتية وهذه الاعتبارات
الثلاثة موجودة في القرآن الكريم اما الاول فقوله تعالى الذي فطركم اول مرة واما الثاني فقوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي

اذ يقال هذا الامر معلوم

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها خلق السماء والأرض وخلق آدم

رحمته واما الثالث فقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وقوله وجعل الجبال اوتادا اما المراد بقوله فطر الخلائق بقدرته
فاعتباره من حيث استناد المخلوقات الى قدرته ووجودها عنها ولما كانت حقيقة الفطر الشق في الاجسام كانت نسبته ههنا الى
الخلائق استعارة وللامام فخر الدين في بيان وجه الاستعارة في امثال هذا الموضع بحث لطيف قال وذلك ان المخلوق قبل دخوله
الوجود كان معدوما محضا والعقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا شق فاذا اخرج الموجد المبدع من العدم الى الوجود
فكانه بحسب التخييل والتوهم شق ذلك العدم وفطره واخرج ذلك الموجود منه قلت الا ان ذلك الشق والفطر على هذا التقدير لا يكون
للموجود المخرج بل للعدم الذي خرج هذا الموجود منه اللهم الا على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه حتى يكون التقدير
الذي فطر عدم الخلائق وهو استعمال شايع في العرف والعربية كثيرا وحسنه بين الناس ظاهر ومثله فالق الحب والنوى على قول المفسر بعض
كما سنبينه وقال ابن الانباري لما كان اصل الفطر شق الشيء عند ابتدائه فقوله فطر الخلائق اي خلقهم وانشاهم بالتركيب التام
الذي سبيله ان يحصل فيه الشق والتاليف عند ضم بعض الاشياء الى بعض ثم ان الفطر كما يكون شق اصلاح كقوله تعالى فاطر السموات
والارض كذلك يكون شق افساد كقوله تعالى اذا السماء انفطرت وهل ترى من فطور واما قوله ونشر الرياح برحمته فبيانه ان نشر الرياح
وبسطها لما كان سببا عظيما من اسباب انواع الحيوان والنبات واستعداد الامزجة للصحة والنمو وغيرها حتى قال كثير من الاطباء
انها تستحيل ارواحا حيوانية وكانت عناية الله سبحانه ونعمه وعموم رحمته شاملة لهذا العالم وهي مستند كل موجود لا جرم كان نشرها
برحمته ومن اظهر اثار العناية الالهية بنشر الرياح حملها للسحاب المفرغ بالماء واثارتها له على وفق الحكمة ليصيب الارض الميتة فينبت
بها الزرع ويملا الضرع كما قال سبحانه وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وقال ويرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من
رحمته وقال وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه والمراد تنبيه الغافلين على ضروب نعم الله بذكر هذه
النعم الجليلة ليستديموها بدوام شكره والمواظبة على طاعته كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وكقوله لتذكروا نعمة ربكم اذا استويتم
عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال بعض الفضلاء ان العرب تستعمل الريح في العذاب والرياح في الرحمة بعض
وكذا نزل القران الكريم قال تعالى ريح صرصر وقال الريح العقيم وقال يرسل الرياح مبشرات والرياح لواقح وامثاله قوله ووتد بالصخور
ميدان ارضه اقول المراد تسنيد نظام الارض الى قدرته سبحانه وههنا ابحاث البحث الاول قول القائل وتدت كذا بكذا
معناه جعلته وتدا له والموتد ههنا في الحقيقة انما هو الارض وقد جعل الموتد ههنا هو ميدان الارض وهو عرض من الاعراض لا
يتصور جعل الجبل وتدا له الا انا نقول لما كان الميدان علة حاملة على ايجاد الجبال وايتاد الارض بها كان الاهتمام به اشد فلذلك قدمه
واضافه اضافة الصفة الى الموصوف وان كان التقدير ووتد بالصخور ارضه المائدة البحث الثاني ان تعليل وجود الجبال بمنع ميل
الارض ورد ههنا وفي القران الكريم في مواضع كقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وكقوله والجبال اوتادا ولا بد من البحث
عن وجه هذا التعليل ومن حسنه فنقول الوجه الاول قال المفسرون في معنى هذه الايات ان السفينة اذا القيت على وجه الماء
فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت الاجرام الثقيلة فيها استقرت على وجه الماء وسكنت قالوا فكذلك لما خلق الله
تعالى الارض على وجه الماء اضطربت ومادت فخلق الله عليها هذه الجبال ووتدها بها فاستقرت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال
قال الامام فخر الدين ويتوجه على هذا الكلام ان يقال لا شك ان الارض اثقل من الماء والاثقل يغوص فيه ولا يبقى طافيا
عليه واذا لم يبق كذلك امتنع ان يقال انها تميد وتميل بخلاف السفينة اذ كانت مركبة من الاخشاب وداخلها مملو مجوف من الهواء فلذلك
تبقى طافية على الماء فلا جرم تميل وتضطرب الى ان ترسى بالاجرام الثقيلة فاذن الفرق ظاهر الوجه الثاني ما ذكره هو فقال انه قد
ثبت بالدلائل اليقينية ان الارض كرة وثبت ايضا ان هذه الجبال على سطح الارض جارية مجرى خشونات وتضريسات حاصلة على وجه
الكرة فاذا ثبت هذا فلو فرضنا ان هذه الخشونات ما كانت حاصلة بل كانت الارض كرة حقيقية خالية عن الخشونات والتضريسات لصارت بحيث
تتحرك بالاستدارة بادنى سبب لان الجرم البسيط المستدير يجب كونه متحركا على نفسه وان لم يجب ذلك عقلا الا انها تصير بادنى سبب تتحرك
على هذا الوجه اما اذا حصل على سطح كرة الارض هذه الجبال فكانت كالخشونات الواقعة على وجه الكرة فكل واحد من هذه الجبال انما يتوجه
بطبعه الى مركز العالم وتوجه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جاريا مجرى الوتد الذي يمنع كرة الارض من
الاستدارة وكان تخليق هذه الجبال على الارض كالاوتاد المغروزة في الكرة المانعة لها من الحركة المستديرة الوجه الثالث
ان نقول لما كانت الحكمة الالهية اقتضت ان تحفظ الموجود في بعض المواضع عن الحركة والاضطراب حتى يكون قارا ساكنا وكان من لوازم ذلك
السكون في بعض الاشياء صحة الاستقرار على ذلك الشيء والتصرف عليه وكان من فائدة وجود الجبال والتضريسات الموجودة في وجه
الارض ان لا يكون مغمورا بالماء ليحصل للحيوان الاستقرار والتصرف عليها لا جرم كان بين الاوتاد والجبال الخارجة من الماء في الارض
مشابهة في كونهما مستلزمين لصحة الاستقرار بما فيهن من حكمة فلا جرم حسنت استعارة نسبة الايتاد الى الصخور والجبال واما

في بيان خطبة الكتاب

مناب ذلك

عنه نائب ياء النداء او مقام ادعو ونحوه مناب الجواب انما تخلفت الفاء عن موضعها وهو المبتدأ الى الخبر لئلا يقع في صدر الكلام مع ان حقها
التوسط ما بين مفردين او جملتين وقوله بعد ظرف يتعلق بما بعده متعلقا وتقديره واما قولي بعد حمد الله فهو كذا وكذا والحمد
لفظ مشترك يصدق على معنى الشكر الذي هو الاعتراف بالنعمة المتقدمة والثناء والتعظيم لربها من الشاكر وعلى الثناء المطلق
ابتداء والتعظيم لغير المحسن الى الحامد اذا راى منه فعلا جميلا دون ان يكون في حقه فهو بهذا اعم من الشكر وهو اخص من المدح
لاختصاص اطلاقه في حق العقلاء دون غيرهم اذ يقال مدحت الفرس ولا يقال حمدته والمعاذ الملجأ والوسيلة جمع وسيلة وهي
كل ما تقرب به الى الله تعالى او الى غيره والصلوة لفظ مشترك بين معان وهو من الله تعالى رحمة والنبي مأخوذ اما من النبوة والنباوة و
هي الارتفاع لكونه مرتفعا على الخلق رئيسا لهم فيكون اصله غير الهمز واما من النبأ وهو الخبر لانه مخبر عن الله تعالى والامة الجماعة و
المنتجب المستخلص المصطفى وسلالة الشيء ما استل منه واستخرج والنطفة سلالة الانسان ومنه التسليل للولد والمحتد الاصل الكريم
وكذلك الماجد واعرق الرجل اذا صار عريقا وهو الذي له عرق في الكرم واصل والعصم جمع عصمة وهي المنع وفلان عصمة الخلق اذا
منع الاذى عنهم وحماهم منه والمنار علم الطريق وهو لفظ مفرد واصل الفه الواو وقد يستعمل جمعا لمنارة كما اراده الوصف هنا
هنا ولذلك نعت بصفة وهذا الجمع على غير قياس فان وزن منارة مفعلة وقياس مفعلة في الجمع مفاعل ولذلك
كان الجمع الاصلي لمنارة مناور وقال الجوهري ومن قال منائر وهمز فقد شبه الاصلي بالزائد واراد في هذه في الجمع والمثاقيل
جمع مثقال وهو ما يوزن به الذهب والفضة ويكون حد الهاشم كثر استعماله حتى عدي الى الموزون ايضا فيقال مثقال مسك ونحوه
ثم عدي الى الامور المعقولة والمقادير منها فقيل مثقال فضل وهذا الشيء ازاء لذلك حذاءه ومقابله وكذلك المكافاة والكفاية
يقال كافيت فلانا بالشيء اذا قابلته به وجزيته عليه وكفاء الشيء بالمد والهمز مثله ونظيره من جزاء ونحوه ومنه كفأت الاناء اذا ملأته
وحوى النجم بالتخفيف سقط وبالتشديد اذا مال للمغيب وعنفوان الشباب اول السن وله والغض الطري وغضاضة الغصن طراوته
ولينه وحملني على كذا اي بعثني وحملني عليه وهو مأخوذ من حداء الابل وهو زجرها والحداء لها الباعث لها على السير والحامل
لها على السرعة فيه والخصائص جمع خصيصة فعيلة بمعنى فاعلة وهي ما يختص بالانسان من كمال وغيره والمحاجزات جمع محاجزة وهي
الممانعة من الطرفين كان الايام مما تعوق عن العمل وهو يمانعها منعها له والمماطلات جمع مماطلة مفاعلة ايضا من الطرفين كان الزمان
لاغتراره بطوله يعده بالانجاز العمل فيخلف وكانه هو لطول امله يعد الزمان بوقوع العمل فيخلف واعجب فلان بكذا على البناء
للمفعول فهو معجب اذا احبه ومال اليه معتقدا رعنده في محل ان يتعجب منه ومنه قولهم اعجب فلان برايه وعقله والبدايع جمع
بديع فعيلة بمعنى مفعولة وهي الفعلة على غير مثال ثم صار يستعمل في الفعل الحسن وان سبق اليه مبالغة في حسنه فكانه لكمال حسنه
لم يسبق اليه والتعجب قولك ما احسن كذا ونحوه من الالفاظ والنواصع جمع ناصعة والناصع من كل شيء خالصه ونصع الامر وضح وبان
ومعجبين ومتعجبين منصوبان على الحال والعجب بالشيء سبب للتعجب منه وفنون الكلام انواعه واساليبه المختلفة وعليا منصوب على
المفعول له او على انه مصدر سد مسد الحال اي عالمين والعامل فيه قوله سالوني والقوانين جمع قانون وهو كل صورة كلية يتعرف
منها احكام جزئياتها المطابقة لها ولفظه معرب سرياني وقيل انه عربي مأخوذ لكونه ثابتا باقيا اما من القن وهو العبد الذي
ملك هو وابواه فهو ثابت في الملك من جهتين ومن القنقن وهو الدليل الهادي والبصير بالماء في حفر القني وكذلك القناقن بضم القاف
لكون القانون هاديا في تعرف جزئياته ويقال على فلان مسحة من جمال اي اثر وعلامة وهو خاص بالمدح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في جرير
البجلي عليه مسحة ملك اي اثر ذلك قال ذو الرمة على وجه مي مسحة من ملاحة وتحت الثياب الشين لو كان باديا وعنوان الكتاب
لوقف به وانتشرت عنه الجنود والعبقة واحدة العبوق واعتمد اي قصد والدثرة الكثيرة وكذلك الجمة والاثر ما يبقى من رسم الشيء وسنن
رسول الله صلى الله عليه وسلم اثاره ويؤثر عنهم ينقل عنهم من الاثار والشاذ المنفرد الذي لا يصحب امثاله والعثير البعير نفر عن الابل وخرج عن نظامها والمساجلة
المغالبة والمفاخرة في سقي وجري واصله من السجل وهو الدلو العظيمة اذا كان فيها ماء قال الفضل بن عباس من يساجلني يساجل
ماجدا يملأ الدلو الى عقد الكرب وتحفل القوم واحتفلوا اي اجتمعوا والمحافلة مفاعلة من الطرفين وقوله لا يجاقل اي لا يغني كلا
غيره يجمع للقضايا بل يقابل كلا امر وقطب الرحى المسمار الذي عليه يدور ثم استعمل في كل اصل ينتهي اليه ويرجع فقيل قطب القوم لسيدهم
لكونه عليه مدار امورهم وقطبا الفلك لنهايتي محوره وهو الخط الذي يتوهم مارا بمركز الفلك منتهيا الى الجهتين الى طرفيه وعليه
بني وسد اقسام الكلام التي تدخل اجزاءه وتحتها نقد وعليه والخطبة اعم من الوعظ والوعظ التخويف وتختص في العرف بالتذكير بايام الله
وامر الاخرة وعذاب النار ونحوه والرسالة اعم من الكتاب لجواز ان تكون بالقول دون كونها مكتوبة والصنف في اللغة النوع وان
كان بينهما في عرف اخر فرق والاجماع تصميم العزم على الامر وخلوصه من التردد واثناء الشيء تضاعيفه وهو جمع ثني بكسر الثاء و
سكون النون فتقول نفذت كذا في كتابي اي في طيه والحوار الخطاب والجواب والمحاورة والمجاوبة والتراجع الكلام يقال كلمته

في بيان خطبة الكتاب

فلم يرجوا بابا والانحناء جمع حنو وهو القصد وقواعد البيت الاحجار التي يؤسس عليها بناؤه وقال تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت
قواعد الهودج اخشابه الاربع المعترضة في اسفله ثم عدي الى كل اصل يبنى عليه من كلام او غيره والملامح المشابهة من قولهم في فلان
ملامح من ابيه اي مشابه واصله من لمح البصر وهو النظر الخفيف لسرعة الزوال وذلك ان الملمح مفعل وهو موضع اللمح والمشابه محال
اللمح فلذلك اشتقت منها الملامح وقيل ملامحه وهي الملامة وقيل ملامحه ايضا والمتسق المنتظم يتلو بعضه بعضا واصله المنتسق
فادغمت النون في التاء والنكت جمع نكتة وهي الاثر في الشيء يتميز به بعض اجزائه عن بعض ويوجب له الانفصال والتفات الذهن
اليه كالنقطة في الجسم والاثر فيه الموجب للاختصاص بالنظر ومنه رطبة منكتة اذا بدا ارطابها ثم عدي الى الكلام والامور المعقولة
التي يختص بعضها بالدقة الموجبة لمزيد العناية والفكر فيها فسمي ذلك البعض نكتة واللمع جمع لمعة وهي البقعة من الكلاء وكذلك
الجماعة من الناس واصله من اللمعان وهو الاضاءة والبريق لان البقعة من الارض ذات الكلاء كانها تضيء لخضرتها ونضارتها
دون سائر البقاع وعدي الى محاسن الكلام وبليغه لاستنارة الاذهان به ولتميزه عن سائر الكلام فكانه في نفسه ذو ضياء ونور
واعتراض الشك خطوره بالبال المانع للجزم باحد طرفي المشكوك فيه وقبع القنفذ قبعا وقبوعا اذا ادخل راسه في جلده وكذلك
الرجل اذا ادخل راسه في قميصه واصله من قبوع القنفذ وكسر البيت اسفل شقة البيت التي تلي الارض من حيث تكسر جانباه
من عن يمينك وشمالك حكاه ابن السكيت وسفح الجبل سطوحه وجوانبه التي يسيل عليها الماء من اعلاه وقد يقال بالصاد ايضا
ويوقن يعلم يقينا وانما صارت الياء التي هي الاصل واوا للضمة قبلها وانغمس في الامر دخل فيه بكليته واصله من الدخول في الماء
ونحوه من المائعات واصلت سيفه جرده عن غمده وقط الشيء قطعه عرضا وقده وشقه قطعه طولا والبطل الشجاع وجدله
اي القاه على الجدالة وهي الارض ونطف ينطف بضم الطاء في المستقبل نطفا اي سال والمهج جمع مهجة وهي الدم ويقال
هي دم القلب خاصة والمهجة الروح ايضا ودما ومهجا منصوبان على التمييز والابدال قوم صالحون لا تخلو الارض منهم واذا مات
واحد بدل الله مكانه باخر قال ابن دريد الواحد بديل وقيل بدل بفتح والعبرة الاسم من الاعتبار وهو انتقال الذهن من امر
الى امر والظهير المعين والاستظهار للشيء الاستعانة بغيره لحفظه وبالشيء الاستعانة به وعلى الشيء الاستعانة بغيره له والغيرة
بفتح الغين مصدر قولك غار الرجل على اهله يغار غيرة وغارا ورجل غيور وامراة غيور ايضا اذا كانا كثيري الغيرة والغيرة الم نفساني يعرض
لذي الحق عن تخيل مشاركة غير المستحق لذلك الحق له فيه والعقائل جمع عقيلة وعقيلة كل شيء اكرمه واحسنه والاقطار جمع قطر وهي
الناحية والجانب وند البعير يند ندا وندودا نفر وشرد والربق بكسر الراء وسكون الباء حبل فيه عرى كثيرة تشد به البهم الواحد
من العرى ربقة وفي الحديث من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه والجد الحرص والاجتهاد والبلاغ الاسم
من التبليغ والبلوغ اقيم مقام المصدر والنهج الطريق الواضح والبغية بكسر الباء وضمها ما يراد ويبتغى من الشيء والبلال بكسر
الباء الشيء يبل به الحلق من ماء او لبن والغلة والغليل العطش الشديد وجلاء السيف وغيره صقاله وازالة ما يعرض له
من الكدر وجلاء القلب للنفس ازالة ما يعرض لها من كدر الشبهة والجهل وتجريات الامور مسالك مجاريها وقضاياه والاستعاذة
طلب العوذ وهو الالتجاء كقوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وزلة اللسان الخطاء في القول وزلة القدم خطاها في الطريق
والانحراف عنه وعدم التثبت على الصراط المستقيم اذا عرفت ذلك فلنرجع الى المعنى **فقوله** اما بعد حمد الله الى قوله ونعمائه
احسانه **اقول** ان حمد الله تعالى سواء كان عبارة عن الثناء والتعظيم المطلق او عن الشكر المستلزم لتقدم النعمة والاعتراف
بها وتعظيم ربها فان المستحق له في الحقيقة ليس الا الله سبحانه ومع ذلك فهو من اجل العبادات له واكملها اما الاول فلان كل
محسن من الخلق انما يحسن طلبا لجلب منفعة او دفع مضرة وهذا الاحسان في الحقيقة معاملة وان عد في العرف احسانا اما الحق
سبحانه فلما كان منزها عن طلب المنفعة ودفع المضرة لم يكن احسانه استفادة لاحدهما فكان المحسن الحق ليس الا هو فكان المستحق
لكل اقسام الحمد ليس الا هو واما الثاني فبيانه ان في الثناء المطلق لله تعالى وتعظيمه فلا يستلزم ملاحظة جلال الله وكبريائه
وتصور الجهة التي باعتبارها كان مستحقا للثناء والتعظيم دون غيره وهو كونه الها وربا وخالقا لكل ما سواه ومنزها عن كل
نقص مبرا عن كل عيب فهذه الملاحظة والاعتبار هو مطلوب لله سبحانه من جميع العبادات وهو جار منها مجرى الروح للجسد
وكذا الشكر لله سبحانه فانه مستلزم لمعرفته ومحبته والالتفات اليه وملاحظة الجهة التي بها كان مستحقا للشكر وهي افاضة
النعم التي لا تحصى على العبد ولا يقدر غيره على مثلها وهذه الملاحظات هي الاسرار المطلوبة من العبادات وبها تكون نافعة واذا
علمت ان الحمد من اكمل العبادات واتمها ثم علمت ان عبادته سبحانه هي المطلوبة له من خلقه دون غيرها كما قال تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون علمت ان الحمد من اكمل المطالب لله فالاتيان به يكون مستلزما لرضوان الله وما يستلزم الرضوان من
الخيرات الدائمة والنعم الباقية واذا عرفت ذلك فاعلم ان السيد رضي الدين اشار بهذه الفصول الاربعة الى اربعة انواع من تلك

الخيرات

في بيان خطبة الكتاب

المبحث الاول قبول الحمد عوضا من العبد مع كونه ايسر شيء مؤنة واخفه على اللسان ثمنا مقابلا لاكابر نعماء الله تعالى
في حقه وذلك في الحقيقة نعمة اخرى وموهبة كبرى تستدعي حمدا اخر وهلم جرا فسبحان الذي لا تحصى نعماؤه ولا تستقصى
الاؤه وقوله ثمنا استعارة لطيفة ووجه المشابهة ان الثمن كان مستلزما لرضا البائع عوضا من مبيعه وكان الحمد
مستلزما لرضا الحق سبحانه في مقابلة نعمه لا جرم اشبه الثمن فاستعير لفظه له وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى ايوب اني رضيت
الشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل الثاني جعله الحمد معاذا من بلائه وبيانه اما اولا فلقوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابي
لشديد فانه تعالى توعد بالعذاب من كفر بنعمته مع ارادته الحمد والشكر وامره بهما في غير موضع علمنا ان الشكر والحمد من
اسباب الخلاص من العذاب الاليم والبلاء العظيم لاستلزامهما عدم سببه وهو الكفران واما ثانيا فلانك علمت ان الاتي
بالحمد مستحق لرضوان الله تعالى من جهة ما هو حامد والمستحق لرضوان الله ناج من عذاب الله فكان الحمد محلا للعوذ به من
بلائه وسخطه الثالث جعله الحمد وسيلا الى جنانه وبيانه اما اولا فلكونه من اتم العبادات وكون العبادة وسيلة الى الجنة
ظ واما ثانيا فما روي ان النبي صلى الله عليه وآله قال ينادي يوم القيمة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون
قال الذين يشكرون الله على كل حال فحكم بان الحمادين يدخلون الجنة بسبب حمدهم الرابع جعله الحمد سببا لزيادة احسانه
وبيانه اما اولا فلقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فعلق زيادة النعمة بمجرد الشكر واما ثانيا فلان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع
وانما النقصان من جهة العبد لعدم الاستحقاق واذا استعد لقبول النعم بالحمد افاض الله تعالى عليه نعمه ثم لا يزال يستعمل الحمد
والشكر على النعم السابقة فيزيد بالنعم اللاحقة الى ان يخرج كل كمال له بالقوة الى الفعل فيلحق بزمرة الكروبيين ويجاوره
الملائكة المقربين المعتكفين في حظيرة الجبروت وقد عرفت من هذا البيان ان كون هذه الامور لازمة للحمد انما هو بجعل الله
تعالى ملاحظة العباد ليعين عنايته وشمول الطافه بسعة رحمته **قوله** والصلوة على رسوله نبي الرحمة الى قوله وقوى نجم طالع
اقول اردف حمد الله تعالى بالصلوة على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وذلك من الاداب الدينية التي استمرت عليها العادة في الخطب وذكر له ص
اوصافا فاسبغه **الاول** كونه نبي الرحمة ملاحظة لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وتفصيل هذه الرحمة من وجوه
احدها انه الهادي الى سبيل الرشاد والقائد الى رضوان الله سبحانه وبسبب هدايته يكون وصول الخلق الى المقاصد العالية و
دخول جنات النعيم التي هي غاية الرحمة **الثاني** ان التكاليف الواردة على يديه صلعم اسهل التكاليف واخفها على الخلق بالنسبة الى
ساير التكاليف الواردة على ايدي الانبياء السابقين لاممها قال عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وذلك عناية من الله ونعمة اخص
بها امته على يديه **الثالث** انه سأل الله تعالى ان يعفو عن عصاة امته ورحمهم بسبب شفاعته **الرابع** انه رحم كثيرا من اعدائه كاليهود و
النصارى والمجوس ببذل الامان لهم وقبول الجزية منهم وقال ص من اذى ذميا فقد اذاني ولم يقبل الله من الانبياء الجزية قبله
الخامس انه سأل الله تعالى ان يرفع عن امته بعده عذاب الاستيصال ودفع العذاب رحمة **السادس** ان الله تعالى وضع في شريعته الرخص
تخفيفا ورحمة لامته **الثاني** كونه امام الائمة اما صدق كونه اماما فلوجهين احدهما ان الامام هو الرئيس المقتدى به في اقواله وافعاله
والانبياء عليهم السلام احق الخلق بهذه الصفة اذ هم الاصل في ذلك الثاني قوله تعالى لابرهيم اني جاعلك للناس اماما واما كونه
امام الائمة فلقوله ص ادم ومن دونه تحت لوائي يوم القيمة **الثالث** كونه سراج الامة وبيانه قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وهذه استعارة لطيفة لان السراج لما كان من شانه اضاءة ما حوله واهتداء
الخلق به في الظلمة وكان النبي ص قد اضاء قلوب العالم بانوار الوحي والرسالة حتى اهتدى الخلق به في ظلمة الجهالة الى الاخرة حسنت استعارة
لفظ السراج وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول على سبيل الكناية عن كونه هاديا للخلق ومرشدا لهم الى طريق الحق **الرابع** كونه منتجبا
ومختارا من طينة الكرم كناية عن اصله والكرم حقيقة في السخاء ومجاز في مطلق الشرف والمراد ان الله سبحانه اصطفاه من اصل هو
محل الكرم والشرف **الخامس** كونه سلالة المجد الاقدم واضافة سلالة الى المجد اما على تقدير حذف المضاف اي الاصل حتى يكون
التقدير سلالة اهل المجد الاقدم واما ان يكون قد استعار لفظ المجد للاصالة فكانه تخيل ان الاصل كله مجد فاعطاه
لفظة المجد واضاف اليه بعد الاستعارة ثم وصف المجد بكونه اقدم لزيادته في الفضل على المجد بل على التليد **السادس** كونه
مغرس الفخار المعرق وقد استعار لفظ المغرس الذي هو حقيقة في الارض لطبيعته وجبلته استعارة على وجه الكناية عن شرفه
وكماله ووجه المشابهة ان طبيعته منشأ لظهور الفخار عنها كما ان الارض الحرة محل لظهور النبات الطيب الحسن عنها ووصفه بكونه معرقا
لزيادته على الشرف كله وهذا من قبيل ترشيح الاستعارة فانه لما جعل للفخار مغرسا جعل له عرقا **السابع** كونه فرع العلاء المثمر
المورق لما استعار لفظ الفرع الذي هو حقيقة في اغصان الشجرة المتفرعة عن اصلها له من جهة ما هو فرع في الوجود عن ابائه اهل
العلو والشرف اتى بما هو من كمال الفرع وهو كونه مثمرا مورقا وهو ترشيح للاستعارة ايضا فان الغصن الخالي عن الثمر والورق

في بيان خطبة الكتاب

او عن احدهما ناقص الكمال والحسن وهي استعارة على سبيل الكناية عن شرفه بالنظر الى شرف اصله واضاف الفرع هيهنا الى العلا كما اضافه
لفظ السلالة الى المجد فالكلام فيهما واحد واما بيان صدق الاوصاف الاربعة الاخيرة فمن وجوه الاول ما روي عنه ص انه قال لم يزل
الله تعالى ينقلني من اصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات لم يدنسني بدنس الجاهلية وكفى بذلك شرفا وكرما الثاني انه ص من ولد
اسمعيل وابرهيم ع وكرمهما مشهور قال وهب كان ابرهيم اول من اضاف الضيف واول من ثرد الثريد واطعم المساكين الثالث نسبة
من قريش وشرف قريش في العرب ظ فمنهم قصي الذي جمع قبائل قريش وانزلها مكة وبنى دار الندوة واخذ مفتاح الكعبة من خزاعة
ومنهم هشام بن عبد مناف هاشم الثريد لقومه في عام المحل وقصته مشهورة واصل اسمه عمرو قال الشاعر عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال
مكة مسنتون عجاف ومنهم عبد المطلب بن هاشم وكان من حكماء العرب ومحصليها وهو سيد الوادي وشيبة الحمد كان له الفيل الاعظم و
ببركة النور الذي كان في صلبه دفع الله عن بيته كيد اصحاب الفيل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل وببركة ذلك النور
راى الرؤيا في تعريف موضع زمزم وهو الذي الهم لنذره ان يذبح العاشر من اولاده وكيفية الفداء له حتى افتخر رسول الله ص بذلك فقال
انا ابن الذبيحين وكان يامر اولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان لشرفه وفضل عقله
قد سلم اليه النظر في حكومات العرب وفصل الخصومات بينهم فكان يوضع له وسادة عند الملتزم فيستند الى الكعبة ويحكم بينهم
وجزئيات فضله وشواهد عقله كثيرة وله اشعار كثيرة واخبار تدل على انه كان مقرا بالصانع الحكيم موحدا له معترفا بامر
المعاد من رامها طالع كتب التواريخ **قوله** وعلى اهل بيته الى قوله ومثاقيل الفضل الراجحة **اقول** اختلف الناس في المراد باهل
البيت في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فقال الجمهور ان نساء النبي ص مرادون بهذه الاية ومن الناس
من خصصها بهن مستندا الى سياق الكلام قبلها وبعدها واتفقت الشيعة على انها خاصة بعلي وفاطمة والحسن والحسين ع
وهو قول ابي سعيد الخدري وهو مراد الرضي هيهنا مع من بعدهم من الائمة الاثني عشر وقد وصفهم باربعة اوصاف احدها كونهم
مصابيح وهي استعارة لهم يكنى بها عن كونهم مهتدى بهم من ظلمات الجهل كما يهتدى بالمصباح في الظلمة وثانيها كونهم عصما
للامم اي مانعين لهم بسبب هدايتهم لهم الى سلوك الصراط المستقيم عن التورط في احد طرفي الافراط والتفريط وثالثها كونهم
منار الدين الواضحة وقد عرفت ان المنار هي محال الانوار وهي ايضا استعارة حسنة كما مر ورابعها كونهم مثاقيل الفضل الراجحة
وهذه الاضافة بمعنى اللام اي مثاقيل للفضل اي اذا اعتبر فضل غيرهم ونسب بعضه الى البعض كانوا مثاقيل راجحة لكن الفضل
بغيرهم يرجحان بعضه على بعض بالنسبة اليها او بمعنى من اي مثاقيل من الفضل متنوعة ترجح على غيرها ولفظ المثاقيل هيهنا مستعار
لهم ايضا ووجه المشابهة كونهم معيار الخلائق وموازين لهم كما ان المثقال كذلك **قوله** وصلى الله عليهم اجمعين الى قوله نجم طالع **اقول**
لما دعى الله سبحانه لهم بالصلوة نبه على استحقاقهم لها باعتبار ثلثة امور احدها اعتبار فضائلهم النفسانية كالعلوم والملكات
الخلقية الفاضلة وثانيها اعتبار اعمالهم الظاهرة كالعبادات البدنية وثالثها اعتبار طيب اصولهم الزكية المطهرة ونفي عنهم عنها
بان هذه الامور هي جهات استحقاق الرحمة **قوله** فاني كنت في عنفوان شبابي الى اخر الكلام **اقول** لما اصل الخطبة بذكر الله
تعالى والثناء عليه والصلوة على رسوله واهل بيته ص شرع في اقتصاص حاله في جمع هذا الكتاب وذكر الاسباب الحاملة له على ذلك وفي
مدح كلام علي ع ثم ذكر في ذلك الاقتصاص امورا تحتاج الى التنبيه الاول ان هذا المجموع من الكلام جزء من كل من كلامه ع وذلك في
قوله ان ابتدئ بتاليف كتاب يحتوي على مختار كلام امير المؤمنين وذلك ظاهر قال قطب الدين الراوندي ره سمعت بعض العلماء بالحجاز
يقول اني وجدت بمصر مجموعا من كلام علي ع في نيف وعشرين مجلدا الثاني قوله جواهر العربية وبوائق الكلم الدينية والدنيوية
استعارتان لطيفتان لهذين اللفظين من الجوهر المخصوصين بالذين هما فصاحة الالفاظ العربية والحكمة الفاضلة التي تشتمل
عليها كلامه ع ووجه المشابهة هو ما اشتركا فيه من العزة والنفاسة كل بالنسبة الى جنسه فعزة الجوهر بالنسبة الى مطلق الاحجار وعزة
الالفاظ الفصيحة والحكمة البالغة بالنسبة الى سائر الالفاظ والمعاني المعقولة الثالث كونه ع مشرعا للفصاحة وموردها وهي
ايضا استعارة لهذين اللفظين فهما حقيقة في النهر والعين ونحوهما لان وجه المشابهة ان الشريعة من الماء كما يردها العطشى للتروي
والاستسقاء كذلك هو ع مرجع للخلائق في استفادة الفصاحة ولو قال مصدرها لكان ابلغ اذ كان المشرع والمورد فيه قريبين من
الترادف وكذلك قوله منشأ البلاغة ومولدها استعار ايضا تشبيها له بالام وتشبيها للفصاحة بالولد في الصدد وعنى الرابع قوله
لان كلامه الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي فلذا العلم الالهي كان حسنا وجمالا لاحقا فجعل في كلامه اثرا
منه وقدر الكلام النبوي طيبا كالمسك الاذفر حتى جعل في كلامه عبقة منه واستلزم ذلك تخيل حاسة البصر والشم للعقل المدرك
بالاول المسحة من العلم الالهي وبالثانية العبقة من الكلام النبوي وهي استعارة على طريق الكناية فكنى بالمسحة عما ادركه العقل في
كلامه من الحكمة المشار اليها في القران الكريم والفصاحة وكنى عما ادركه من الاسلوب والطريقة الموجودة في جمع الفصاحة والحكمة في

الكلام

في بيان خطبة الكتاب

في الكلام النبوي فكان العقل يبصر ويسمع بقوته آثار التعليم الالهي فيه ويشم رائحة الكلام النبوي منه قال ابو الحسن الكيدري رحمه الله انما خص الكلام الالهي بالمسحة والكلام النبوي بالعبقة لان كلامه شديد الشبه بكلام الرسول صلى الله عليه وآله فهو كالجزء منه لانهما غصنا دوحة وفرعا ارومة ولما كان معنى عبوق الشيء بالشيء لزومه له والتصاقه به صار لشدة اتصاله به كالجزء منه فلذلك قال عبقة من الكلام النبوي ولما كان معنى المسحة الاثر من الجمال ولم يكن مجرد الاثر من الشيء في الشيء يوجب لزومه له وشدة المشابهة به وكان كلام الباري سبحانه بعيد الشبهة بكلام المخلوق لا جرم خصه بالمسحة دون العبقة وهذا الفرق مع تحصيلنا له فيه تكلف ويمكن ان يقرر على وجه اخر فيقال ان العبقة تدل على وجود العابق للمحل في الظم وفي نفس الامر واما المسحة من الشيء وهي الاثر منه فانما تدل على وجوده للمحل في الظم فقط الا ترى الى قول علي بن جبلة مسحة من ملاحة وتحت الثياب الشين لو كان باديا ايضا فان اثر الجمال او اثر الملك قد يدل عند بعض الاذهان ولا يدل عند بعض اخر واذا عرفت ذلك فنقول لما كان كلام علي عليه السلام شديد المناسبة بكلام النبوة في الاسلوب والنظم وفي الحكم الباطنة كان كالجزء منه فكانت استعارة لفظة العبقة لكلام النبوة اولى لدلالتها على شدة تخيل وجود ما هي منه وهو كلام النبوة في كلام علي عليه السلام حتى كانه جزء منه ولما كان الكلام الالهي بعيد المناسبة لكلام الخلق وكانت نسبة كلام علي عليه السلام اليه في بعض الجهات اما في اشتماله على بعض الحكم او على الفصاحة دون الاساليب وكانت المسحة من الشيء انما تدل على وجوده من بعض الجهات وهي الظم فقط كانت استعارة لفظ المسحة للكلام الالهي اولى والله اعلم الخامس قوله فهو البحر الذي لا يساجل استعار لفظ البحر لكلامه عليه السلام واشار الى وجه المشابهة بقوله لا يساجل فان المساجلة لما كانت هي المغالبة في السقي والجري وكان كلامه عليه السلام اكثر جريانا في كلام البلغاء من غيره وكانت اوعية اذهانهم قد امتلأت من فيضه لا جرم اشبه البحر الذي لا يغلبه بحر آخر في سقي ولا جري اي لا يقاوم في فصاحة ولا حكمة وكان قوله لا يحافل استعارة للفظ المحافلة التي هي من اوصاف الانسان لكلامه تشبيها له بالرجل ذي المحفل الجم والجماعة الكثيرة التي لا يمكن ان يكاثر بمثلها السادس قوله يسوغ الى التمثل مجاز في الاسناد فان السوغ حقيقة في الشراب فاسناده الى التمثل مجاز ووجه العلاقة ان التمثيل بما يريد اذا حسن بين الناس وسار كان ذلك لذيذا عنده فاشبه في لذاذته وجريانه بين الناس الماء الزلال في لذاذته وسهولة جريانه في الحلوق فحسن اسناد لفظ السوغ اليه السابع قوله ومطلع من قلبه انه كلام مثله الى قوله لم يعترضه الشك الضمير في مثله يرجع الى علي عليه السلام ومن في قوله لمن تبيين الجنس ومعنى الكلام ان المفكر اذا فرضنا انه لم يعرف انه كلام شخص مثله في كونه عظيم القدر نافذ الامر خائضا في غمرات الحروب مشابها تدابير امور الخلق ونظام احوالهم قد ملك الارض بل يعرض انه وجد هذا الكلام غير منسوب الى شخص معروف الحال فانه والحال هذه لا يعترضه شك في انه كلام شخص معرض عن غيره تعالى بقلبه غير مشغول بغيره بصدق نيته اذ الشك الذي عساه يعرض لبعض الاذهان الضعيفة في انه ليس بكلامه انما ينشأ من معرفته بانه كلام شخص خائض في تدابير الدنيا واحوالها فتكون تلك المعرفة منشأ لعروض الشك في ان هذا الكلام ليس بكلام رجل بهذه الحال وانما قال قد قبع في كسر بيت وانقطع الى سفح جبل لان ذلك من شعار الزهاد المعرضين عن الدنيا والضمير في قوله يسمع وحده عائد الى من اي لا يسمع هو الا حس نفسه الثامن قوله ينغمس في الحرب مصلتا سيفه استعارة حسنة في التنبيه في نسبة الانغماس الى الحرب فان الانغماس حقيقة في الدخول في الماء وما في معناه الا ان الحرب لما كانت في غمارها واختلاط المتحاربين فيها اشبه الماء المتراكم صحت نسبة الانغماس اليها كما صحت اليه فيقال انغمس في الحرب خاض فيها ونحوه وقوله يقط مهجا ان فسرنا المهجة بالدم كانت نسبة القط اليها حقيقة وان فسرناها بالروح كانت مجازا تشبيها للروح بالمائعات الخارجة من الانسان كالدم ونحوه التاسع قوله وهو مع ذلك زاهد الزهاد وبدل الابدال الواو للحال وثبوت هذين الوصفين له معلوم من انتساب الصوفية واهل التجريد اليه وقد بينا في مقدمة الكتاب انه كان سيد العارفين بعد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وبينا ايضا ان نفسه القدسية كانت وافية بضبط الجوانب المتجاذبة فوق تيرعليها فلذلك لم يكن اشتغاله بتدبير امور الدنيا ومعالجات الحروب ونظام شمل المصلحة مانعا من الاشتغال بالعبادة التامة والاقبال بوجه نفسه القدسية على الانتقاش بانوار الله والاخلاص له والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها وهذه من فضايل نفوس الانبياء وكمالات نفوس الاولياء اما الزهد فهو الاعراض عن غير الله وقد يكون ظاهرا وقد يكون باطنا الا ان المنتفع به هو الباطن قال صلى الله عليه وآله ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم بل ينظر الى قلوبكم ونياتكم وان كان لا بد من الزهد الظاهري اذ الزهد الحقيقي في مبدأ السلوك لا يتحقق والسبب فيه ان اللذات البدنية حاضرة والغايات العقلية التي يطلبها الزاهد الحقيقي غير مقصودة له في مبدأ الامر واما الظاهري فهو ممكن ومتيسر لمن يقصد الى تصفية قلبه وهي اثر باق والتمتع و لذلك قال عليه السلام الرياء قنطرة الاخلاص ولما بينا ان عليا عليه السلام كان سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فلا بد وان يكون زهده حقيقيا ويستغرق في اثنائه كلامه بلوغه في درجة الزهد الغاية ولما كونه ذلك بالشجاعة المشهورة فهو انك علمت ان نفس العارف يجب ان تكون مستلزمة للملكات الخلقية وقد عرفت ان الشجاعة اصل منها ولان المانع من الاقدام على الاهوال والمكاره انما هو خوف الموت وحب البقاء والعارف بمعزل عن تقية الموت فكانت محبة الله تعالى شاغلة عن الالتفات الى كل شيء بل ربما يكون الموت مشتهى له لكونه

في بيان خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض

الى لقاء محبوبه الاعظم وغايته القصوى وقد بينا ذلك في تفصيل اخلاق العارفين من كتاب مصباح العرفان واما الابدال فقد نقل انهم
سبعون رجلا منهم اربعون بالشام وثلثون في ساير البلاد وفي الحديث عن علي الابدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق
يجتمعون فيكون بينهم حرب العاشر قوله واستخرج عجيجهم اي تعجبهم منها من القوة الى الفعل ومن روى عجيجهم بضم العين فالمراد انه اذكرهم
بهذه الفضيلة لتظهر محبتهم لها وميلهم اليها قال ابو الحسن الكيدري واستخرج عجيجهم اي عرفهم انهم عاجزون عن امثالها فلا يبعد
لهم حج يجب ما نعتهم منها اي من اجل معرفتهم ان هذا اللفظ لا يعطي هذا المعنى الحادي عشر قوله والعهد في ذلك ان رواياتها كلامه
تختلف اختلافا شديدا اقول سبب الاختلاف يحتمل وجهين احدهما انه ربما تكلم بالمعنى الواحد مرتين واكثر بالفاظ مختلفة كما
هو شان البلغاء واهل الفصاحة فينقله السامعون باللفظ الاول والثاني فيختلف الرواية الثاني ان الناس في الصدر الاول كانوا
يتلقفون الكلام من افواه الخطباء ويحفظونها على الولاء فربما لا يتمكن السامع من حفظ كل اللفظ ومراعاة ترتيبه فيقع بسبب ذلك اختلاف
في الترتيب ونقصان في الرواية وربما اعطى بعضهم حفظ المعنى من دون ضبط الالفاظ فاورد في اللفظ زيادة ونقصانا الثاني عشر قوله نهج البلاغة
استعارة لطيفة لهذا الكتاب لان النهج حقيقة في الطريق الواضح المحسوس ووجه المشابهة ان الطريق لما كانت محل الانتقال بالمشي وقطع
الاجزاء المحسوسة من واحد الى اخر كذلك الذهن ينتقل في هذا الكتاب من بعض لطائف البلاغة وشعب الفصاحة الى بعض انتقالا سهلا
فلذلك صح نقل لفظ النهج اليه استعارة وبالله التوفيق فهذا بيان ما عساه يشكل في هذه الخطبة وباقي كلامه ظاهر ولنشرع في شرح كلام
علي عليه السلام **باب المختار من خطب امير المؤمنين** واوامره وكلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحصورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة
ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض وخلق آدم الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون
ولا يحصي نعماءه العادون ولا يؤدي حقه المجتهدون الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الذي
ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا اجل ممدود فطر الخلائق بقدرته ونشر
الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان ارضه اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له
وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة
فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزاه ومن جزاه فقد جهله ومن جهله فقد اشار اليه
ومن اشار اليه فقد حده ومن حده فقد عده ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال علام فقد اخلى منه كائن لا عن حدث
موجود لا عن عدم مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة فاعل لا بمعنى الحركات والآلة بصير اذ لا منظور اليه من
خلقه متوحد اذ لا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده **اقول** اعلم ان هذه الخطبة مشتملة على مباحث عظيمة ونكت
مهمة على ترتيب طبيعي فلنعقد فيها خمسة فصول **الفصل الاول** في تصديره بها بذكر الله جل جلاله وتمجيده والثناء عليه
بما هو اهله وهو قوله الحمد لله الى قوله ولا يستوحش لفقده **اقول** المدح والمديح الثناء الحسن والمدحة فعلة من المدح وهي الهيئة
والحالة التي ينبغي ان يكون المادح عليها والاحصاء انهاء العد والاحاطة بالمعدود يقال احصيت الشيء اي انهيت عده وهو من لواحق العدد
ولذلك نسبه الى العادين والنعماء النعمة وهو اسم يقام مقام المصدر وادى حق فلان اذا قابل احسانه باحسان مثله والادراك اللحوق و
النيل والاصابة والوصول والوجدان والهمة هي العزم الجازم والارادة يقال فلان بعيد الهمة اذا كانت ارادته تتعلق بعليات الامور
دون محقراتها والغوص الحركة في عمق الشيء من قولهم غاص في الماء اذا ذهب في عمقه والفطن جمع فطنة وهي في اللغة الفهم وهو
عند العلماء عبارة عن جودة استعداد الذهن لتصور ما يرد عليه وحد الشيء منتهاه والحد المنع ومنه سمي العلماء تعريف الشيء بالحد
حدا لانه يمنع ان يدخل في المحدود ما ليس منه او يخرج منه ما هو منه والنعت الصفة والاجل المدة المضروبة للشيء والفطرة الشق والابداع
قال ابن عباس ما كنت ادري ما معنى قوله تعالى فاطر السموات والارض حتى جاءني اعرابيان يختصمان على بئر فقال احدهما انا فطرتها اي
ابتدعتها والخلائق جمع خليقة وهي اما بمعنى المخلوق يقال هم خليقة الله وخلق الله اي مخلوقه او بمعنى الطبيعة لان الخليقة هي الطبيعة ايضا و
النشر البسط ووتد بالفتح اي ضرب الوتد في حائط او في غيره والصخور الحجارة العظام والميدان الحركة بتمايل وهو الاسم من ماد يميد ميدا
يقال ومنه غصن مياد متمايل والدين في اصل اللغة يطلق على معان منها العادة ومنها الاذلال ومنه دانه اي ذلله وملكه ومنه بيت الحماسة دناهم
كما دانوا ومنها الجزاء كقوله تعالى ائنا لمدينون اي مجزيون والمثل المشهور كما تدين تدان ومنها الطاعة يقال دان له اي اطاعه كقول عمرو بن
كلثوم عصينا الملك فينا ان ندينا ويطلق على ما ادرنا الشرع على الشرائع الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلام وقرنه اي جعله قرينا
والمقارنة الاجتماع ماخوذ من قرني الثور وغيره ومنه القرن للمثل في السن وكذلك القرن من الناس اهل الزمان الواحد قال اذا ذهب
القرن الذي انت فيهم وخلفت في قرن فانت غريب والمزايلة المفارقة وهي مفاعلة من الطرفين والمتوحد بالامر المنفرد به عمن يشاركه
فيه والسكن بفتح الكاف كل ما سكنت اليه والاستيناس بالشيء ميل الطبع اليه وسكونه وكذلك الناس ومنه الانيس وهو المؤنس والاستيحاش

وخلق آدم

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض

فهذا الاستيناس هو نفرة الطبع بسبب فقد المؤانس واعلم انا نفتقر في بيان نظام كلامه في هذا الفصل الى تقديم مقدمة فنقول الصفة
امر يعتبره العقل لامر آخر ولا يمكن ان يعقل الا باعتباره معه ولا يلزم من تصور العقل شيئا لشيء ان يكون ذلك المتصور موجودا
لذلك الشيء في نفس الامر بيان ذلك ما قيل في رسم المضاف انه الامر الذي تعقل ماهيته بالقياس الى غيره وليس له وجود سوى معقوليته
بالقياس الى الغير وذلك الغير هو الصفة ثم تنقسم باعتبار العقل الى حقيقية واضافية وسلبية وذلك لان نسبة العقل للصفة الى غيرها
اما ان يعقل معها نسبة من المنسوب اليه او لا يعقل فان كان الاول فهو الصفة الحقيقية وحقيقته انه المعقول بالقياس الى غيره يكون بازائه
يعقل لنسبته ولا يكون له وجود سوى معقوليته بالقياس اليه ككونه تعالى خالقا ورازقا وربا فان حقيقة هذه الصفات هي
كونها معقولة بالقياس الى مخلوقيته ومرزوقيته ومربوبيته وان كان الثاني فالمنسوب اليه اما ان يكون موجودا للصفة او ليس
بموجود له والاول هو الصفات الحقيقية ككونه تعالى حيا فانه امر يعقل بالقياس الى صحة العلم والقدرة له وليس بازاء امر يعقل منه
نسبة اليه والثاني هو الصفات السلبية ككونه تعالى ليس بجسم ولا بعرض وغيرهما فانها امور تعقل له بالقياس الى امور غير موجودة
له تعالى ثم نقول انه لا يلزم من اتصاف ذاته سبحانه بهذه الانواع الثلاثة من الصفات تركيب ولا كثرة في ذاته لانها اعتبارات
عقلية تحدثها عقولنا عند المقايسة الى الغير ولم يلزم من ذلك ان تكون موجودة في نفس الامر وان لم تعقل ولما كان دأب العقلاء
ان يصفوا خالقهم سبحانه بما هو اشرف طرفي النقيض لما تقرر في عقولهم من عظمته ومناسبة اشرف الطرفين للاعظمية كان شأنا
بر تعالى من الصفات الحقيقية والاضافية والسلبية كلها كذلك فاذا عرفت ما قلناه فاعلم انه ع شرع اولا في الاعتبارات السلبية وقدمها
على الثبوتية له تعالى وهي انه قد ثبت في علم السلوك الى الله ان التوحيد المحقق والاخلاص المطلق لا يتم الا بنفض كل ما عداه
عنه وتنزيهه عن كل لاحق له وطرحه عن درجة الاعتبار وهو المسمى في عرف المجردين واهل العرفان بمقام التخلية والنفض والتفريق
وما لا يتحقق الشيء الا به كان اعتباره مقدما على اعتباره ولهذا الترتيب كان اجل كلمة نطق بها في التوحيد قولنا لا اله الا الله
اذ كان الجزء الاول منها مشتملا على سلب كل ما عدا الحق سبحانه مستلزما لغسل درن كل شبهة تخاطر سواه وهو مقام التزكية التخلية
حتى اذا انزح كل ثان عن محل عرفانه استعد بجوده للتحلية بنور وجوده وهو ما اشتمل عليه الجزء الثاني من هذه الكلمة ولما بينا انه ع
كان لسان العارفين والقائد لاعلام الطريق الى تواحد الحق تعالى والمعلم المرشد لكيفية السلوك وكانت الاوهام البشرية حاكمة
بمثليته تعالى لمدركاتها والعقول قاصرة عن ادراك حقيقته والتواصل الى ساحل عزته والتنزيه له عما لا يجوز عليه اذا امكن وجوده نادرا
لم يكن للاوهام الواصفة له تعالى بما لا يجوز عليه معارض في اكثر الخلق بل كانت جارية على حكمها قائدة لعقولها الى تلك الاحكام الباطلة
كالمشبهة ونحوهم لا جرم بدأ ع بذكر السلب الذي كان تقديمه مستلزما لغسل درن الحكم الوهمي في حقه تعالى عن لوح الخيال والذكر حتى
اذا ورد عقيب ذلك ذكره تعالى بما هو اهله ورد على الواح صافية من كدر الباطل فانتقشت بالحق كما قال فصادف قلبا خاليا
فتمكنا ثم انه ع بدأ بتقديم حمد الله تعالى على الكل ههنا وفي سائر خطبه جريا على العادة في افتتاح الخطب وتصديرها وسر ذلك
تأديب الخلق بلزوم الثناء على الله تعالى والاعتراف بنعمته عند افتتاح كل خطاب لاستلزام ذلك ملاحظة حضرة الجلال والالتفات
اليها في اغلب الاحوال وقد بينا ان الحمد يفيد معنى الشكر ويفيد ما هو اعم من ذلك وهو التعظيم المطلق وهو بجميع اقسامه مراد
ههنا لكون الكلام في معرض التمجيد المطلق **قوله** الذي لا يبلغ مدحته القائلون **اقول** اراد تنزيهه تعالى عن اطلاع
العقول البشرية على كيفية مدحه سبحانه كما هي وبيان هذا الحكم ان الثناء الحسن على الشيء انما يكون كما هو اذا كان ثناء عليه بما هو
كذلك في نفس الامر وذلك غير ممكن في حق الواجب الوجود سبحانه لانه لا يتعقل حقيقته وما لها من صفات الجلال ونعوت الكمال كما
هي [قاصرة مع] لعقول البشر عن هذا المقام فالقول وان صدر عن المادحين بصورة المدح المتعارف بينهم وعلى ما هو اولى بهم من وصفه تعالى
بما هو اشرف من طرفي النقيض فليس بكمال المدح في نفس الامر لعدم اطلاعهم على ما به يكون المدح الحق في حقه تعالى وان تصور
بصورة المدح الحق والى تأديب الخلق وتنبيههم على بطلان ما تحكم به اوهامهم في حقه تعالى من الصفات وانه ليس الامر كما حكمت
به اشار ع في موضع آخر وقد سأله بعضهم عن التوحيد فقال التوحيد ان لا تتوهمه فجعل التوحيد عبارة عن سلب الحكم الوهمي
في حقه تعالى فان كل ما ثبت من اجرى عليه حكما وهميا فليس موحدا له على الحقيقة والى هذا المعنى اشار الباقر محمد بن علي ع
مخاطبا وهل سمي عالما قادرا الا لانه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين فكل ما ميزتموه باوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق
مصنوع مثلكم مردود اليكم والباري تعالى واهب الحيوة ومقدر الموت ولعل النمل الصغار تتوهم ان لله تعالى زبانيين فانهما كمالها
وتتصور ان عدمهما نقصان لمن لا يكونان له وهكذا شأن الخلق فيما يصفون به باريهم فان اوهامها حاكمة له بكل ما يعدونه
كمالا لانفسهم وتنزيها عما يخصهم ما لم تقو عقولهم على دفع تلك الاحكام الوهمية ولولا رادع الشرع كقوله تفكروا في الخلق ولا
تتفكروا في الخالق لصرحوا بكثير من تلك الاحكام في حقه سبحانه وتعالى عما يصفون ويحتمل ان يكون المراد تنزيهه تعالى عن بلوغ

في بيان خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم

العقول والأوهام بتمام الثناء الحسن عليه وإحصائه أي أن العبد كلما بلغ مرتبة من مراتب المدح والثناء كان وراءها أطوار من
استحقاق الثناء والتعظيم أعلى كما أشار إليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله بقوله لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وفي تخصيصه
القائلين دون المادحين بالذكر نوع لطف فإن القائل لما كان أعم من المادح وكان سلب العام مستلزما لسلب الخاص من غير عكس
كان ذكر القائلين أبلغ في التنزيه إذ التقدير لا واحد من القائلين يبالغ مدحه الله سبحانه **قوله** ولا يحصي نعماءه العادون
أقول المراد جزئيات نعم الله وأفرادها لا يحيط بها حصر الإنسان وعده لكثرتها وبيان هذا الحكم بالنقل والعقل أما
النقل فقوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهذه الآية هي منشأ هذا الحكم ومصدره وأما العقل فلأن نعم الله تعالى على
العبد منها ظاهرة ومنها باطنة كما قال تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ويكفينا في صدق هذا الحكم التنبيه على بعض جزئيات
نعم الله تعالى على العبد فنقول إن من جملة نعمه تعالى على الإنسان أن أكرمه بملائكته وجعله مسجودا لهم ومخدوما وجعلهم في ذلك على
مراتب فلنذكر أقربهم إليه وأخصهم به وهم الملائكة الذين يتولون إصلاح بدنه والقيام بمهماته وحوائجه وإن كانوا في ذلك بعضهم
على مراتب فجعل سبحانه لهم رئيسا هو له كالوزير الناصح المشفق من شأنه تمييز الأصلح والأنفع له والأمر به وجعل بين يدي ذلك
الوزير ملكا آخر هو كالحاجب له والمتصرف بين يديه من شأنه تمييز صدق الأصدقاء فإن الملك من عاداه الأعداء له وجعل
لذلك الحاجب ملكين [illegible] يضبط عنهما ما يعرض من الأمور ليطالعها الوزير عند الحاجة ثم جعل بين يديه ملكين آخرين
أحدهما ملك الغضب هو كصاحب الشرطة موكل بالخصومات والغلبة والبطش والانتقام والثاني ملك اللذة والمتولي للشهوات
الإنسان بالطلب والأمر بالاستحضار وبين يديه ملائكة أخرى تسعى في تحصيل ما يأمره به وبطلبه ثم جعل سبحانه وراء هؤلاء سبعة
أخرى من الملائكة دأبهم إصلاح غذاء الإنسان فالأول موكل بجذب الغذاء إلى داخل المعدة إذ الغذاء لا يدخل بنفسه فإن
الإنسان لو وضع اللقمة في فيه ولم يكن لها جاذب لم تدخل والثاني موكل بحفظه في المعدة إلى تمام نضجه وحصول الغرض منه و
الثالث موكل بطبخه وتنضيجه والرابع موكل بتمييز صفوته وخلاصته في البدن بسد بدل ما يتحلل منه والخامس موكل بالترتيب
في أقطار الجسم على التناسب الطبيعي بما يوصله إليه الرابع فيها كالباني والمناول والسادس موكل بفصل صورة الدم من الغذاء
والسابع الذي يتولى دفع الفضلة الغير المنتفع بها عن المعدة ثم وكل تعالى خمسة أخرى في خدمته شأنهم أن يوردوا عليه الأخبار
من خارج وجعل لكل واحد منهم طريقا خاصا وفعلا خاصا به وجعل لهم رئيسا يجمعهم ويرجعون إليه بما وعوه وجعل لذلك
الرئيس خازنا كاتبا يضبط عنده ما يصل إليه من تلك الأخبار ثم جعل بين هذا الخازن وبين الخازن الأول ملكا قويا على التصرف
والحركة سريع الانتقال بحيث ينتقل في اللحظة الواحدة من المشرق إلى المغرب ومن تخوم الأرض إلى السماء العليا قادرا على
التصرفات العجيبة وجعله مؤتمرا للوزير تارة وللحاجب أخرى وهو موكل بتفتيش الخزانتين ومراجعة الخازنين بإذن الوزير
وواسطة الحاجب إذا أراد استعلام أمر من تلك الأمور فهذه الملائكة التي خص الله تعالى بها بدنه وجعلها أقرب الملائكة
المنصرفين في خدمته إليه ثم إن وراء هؤلاء أطوارا أخر من الملائكة الأرضية كالملائكة الموكلين بأنواع الحيوانات التي ينتفع بها (أخر منهم)
الإنسان وبها تكون مسخرة له وأنواع النباتات والمعادن والعناصر الأربعة والملائكة السماوية التي لا يعلم إلا الله سبحانه و (عدد منهم)
تعالى كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو فإن كل واحد منها موكل بفعل خاص وله مقام خاص لا يتعداه ولا يتجاوزه كما قال تعالى حكاية
عنهم وما منا إلا له مقام معلوم وهم بأسرهم متحركون بمصالح الإنسان ومنافعه من أول حيوته وقائمة بإذن المدبر الحكيم دع ما
سوى الملائكة من سائر الموجودات في هذا العالم المشتملة على منافعه وما أفاض عليه من القوة العقلية التي هي سبب الخيرات
الباقية والنعم الدائمة التي لا ينقطع موادها ولا يتناهى تعدادها فإن كل ذلك في الحقيقة نعم إلهية ومواهب ربانية للعبد
بحيث لو اختل شيء منها لاختلت منفعته من تلك الجهة ومعلوم أنه لو قطع نفسه لجمع بالنظر إلى أفراد رحمة الله تعالى في نوع من
هذه النعم لانتهى دونها فكره وقصر عنها إحصاؤه وحصره وموضع ذلك كله غافل عن شكر الله جاهل بمعرفة الله مصر على معصية الله
فحق أن يقول سبحانه وتعالى بعد تنبيهه له على ضروب نعمه والإنسان بها عليه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان
لظلوم كفار لنفسه بمعصيته لله معاند للكفر بآلاء الله قتل الإنسان ما أكفره إن الإنسان لكفور مبين فسبحان الذي لا يحصى
نعماؤه ولا تستقصى آلاؤه وغاية هذا الحكم تنبيه الغافلين من مراقد الطبيعة على لزوم شكر الله سبحانه والاعتراف بنعمه المستلزم لدوام
إخطاره بالبال **قوله** ولا يؤدي حقه المجتهدون **أقول** هذا الحكم ظاهر الصدق من وجهين أحدهما أن أداء الحق إنما كان أداء حق النعمة هو
مقابلة الإحسان بجزاء مثله وثبت في الكلمة السابقة أن نعم الله سبحانه لا تحصى لزم من ذلك أنه لا يمكن مقابلتها بمثل الثاني أن كل
ما نتعاطاه من أفعالنا الاختيارية مستند إلى جوارحنا وقدرنا وإراداتنا وسائر أسباب حركاتنا وهي بأسرها مستندة إلى جوده
ومستفادة من نعمته وكذلك ما يصدر عنا من الشكر والحمد وسائر العبادات نعمة منه فمقابل نعمه وحقوقه إن هذا الخاطر لا أداء

في بيان خطبة الكتاب

النفسانية قد تكون مبادي لحدوث الحوادث وبيانه اما اولا فلانك ترى انسانا ما يمشي على جذع ممدود على الارض ويتصرف
ويتصرف عليه كيف شاء ولو عرض ذلك الجذع بعينه على جدار عال لوجدته عند المشي عليه راجفا متزلزلا لتواعد وهمه بالسقوط ثم
تبعه خوى الصورة وانفعال بدنه عن وهمه حتى ربما سقط واما ثانيا فلان الامزجة تتغير عن العوارض النفسانية كثيرا كالغضب والخوف والحزن و
الفرح وغير ذلك وهو ضروري واما ثالثا فلان توهم المرض والصحة قد يوجب ذلك وهو ايضا ضروري اذا عرفت ذلك فنقول انه لما كانت
الامزجة قابلة لهذه الانفعالات عن هذه الاحوال النفسانية فلا مانع ان يكون لبعض النفوس خاصية لاجلها تتمكن من التصرف في عنصر
هذا العالم بحيث تكون نسبتها الى كلية العناصر كنسبة انفسنا الى ابداننا فيكون لها تاثير في اعداد المواد العنصرية لان يفاض عليها
صور الامور الغريبة التي تخرج عن وسع مثلها فاذا انضمت الى ذلك الرياضات فانكسرت صورة الشهوة والغضب وبقيتا اسيرتين في يد
القوة العاقلة فلا شك انها تكون اقوى على تلك الافعال وتلك الخاصية اما بحسب المزاج الاصلي او بحسب مزاج طار مكتسب او بحسب
الكسب والاجتهاد في الرياضة وتصفية النفس والتي تكون بحسب المزاج الاصلي فهي للمعجزات من الانبياء والكرامات من الاولياء فان انضم
اليها الاجتهاد في الرياضة بلغت الغاية القصوى في ذلك الكمال وقد يغلب على مزاج من له هذه الخاصية ان يستعملها في طرف الشر وفي
الامور الخبيثة ولا يزكي نفسه كالساحر فيمنعه خبثه عن الترقي الى درجة الكمال واعلم ان الشرط الاول للنبوة ان يكون الشخص مامورا
من السماء باصلاح النوع ثم من لواحق مرتبة الاولياء وامور الاول ان يستغنوا في اكثر علومهم من معلم بشري بل يحصل لهم بحسب قواهم
الحدسية القدسية الشريفة البالغة وشدة اتصال نفوسهم بالحق سبحانه الثاني ان يكون هيولى العالم طوعا لما ارادوا من الامور
العجيبة الخارقة للعادة كالخسف والتحريكات والتسكينات الثالث ان يتمكنوا من الاخبار عن المغيبات والامور الجزئية الواقعة اما
في الماضي او في المستقبل والشرط الاول هو العمدة في تمييز نوع الانبياء عن غيرهم ولا شك ان اختصاصهم به انما هو لشدة اتصالهم
فان نفوسهم اشد اتصالا بالمبدا الاول واكمل قوة من غيرهم وكذلك اختلاف مراتبهم عائد ايضا الى تفاوت نفوسهم في قربها من المبدا واتصالها
به واما باقي الخصال فقد يشاركهم فيها الاولياء ويجتمع فيهم والى هذا المعنى اشار النبي ص بقوله علماء امتي كانبياء بني اسرائيل وكان
التفاوت بين المعجزة والكرامة انما يرجع الى ان الخصال المذكورة ان صدرت عمن له الشرط الاول سميناها معجزا وان صدرت عن غيرهم
كانت في حقه كرامة وتحقيق هذه المباحث مبني على مقدمات واصول ليس هذا موضع ذكرها فليطلب ذلك من مظانها وبالله التوفيق

المقام الثاني في وقوع الفعل الخارق عنه ع واعلم ان الطريق الى ذلك هو النقل وقد نقل عنه ذلك في صور تبلغ بعضها بحسب التواتر
وبعضها بخبر الاحاد فمن الامور الخارقة المنقولة عنه بحسب التواتر قلعه لباب خيبر لما انتهى اليه وكان من صخرة واحدة يعجز الجماعة عن تحريكه
وروي في كيفية حاله في ذلك انه لما اقتلعه دحا به اذرعا واجتمع عليه سبعون رجلا وكان جهدهم ان اعادوه الى مكانه وروي انه قال ع لما قلعت باب
خيبر وجعلته مجنا لي وقاتلت القوم فلما اخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقا ثم رميت به في خندقهم فقال له رجل لقد حملت
يا امير المؤمنين منه ثقلا فقال ما كان الا مثل جنتي التي في يدي في غير ذلك المقام ومعلوم ان ذلك لم يصدر عن قوة بدنية والا لقدر
على ذلك من هو اقوى صورة منه ولذلك قال ع ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن قلعته بقوة ربانية وللشعراء في هذه الاية
اشعار كثيرة والقصة مشهورة فهذا القدر يكفينا في بيان فضائله ع وعليك في باقي الامور المنقولة عنه في ذلك بالكتب المصنفة في بيان
معجزات الانبياء وكرامات الاولياء ولقد اجتهد بنو امية في اخفاء فضائله واطفاء نوره بالتحريف ووضع المعايب له حتى سبوه
على جميع المنابر ومنعوا ان يروى حديث يتضمن له فضيلة وان يسمى باسمه احد فلم يزد بذلك الاخفاء الا ظهورا ولم يزد ذلك الاطفاء
الا نورا ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وكان مولده ع قبل ظهور دعوة النبي ص بثلث عشرة سنة وقيل اثنتي عشرة سنة
سنين وقتل ليلة الجمعة لثلث عشرة ليلة بقين من شهر رمضان من سنة اربعين من هجرة الرسول ص بجامع الكوفة وهو ابن ثلث وستين سنة
فهذا ما اوردناه من هذه المقدمة ولنشرع بعدها في تفسير المطالب وقبله نذكر نسب السيد الرضي الدين وبين ما عساه ان يشكل من لفظه
في خطبة الكتاب اما نسبه فهو السيد الرضي ابو الحسن ذو الحسبين محمد بن الطاهر ذي المناقب ابي احمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن
ابرهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وصف بذي الحسبين لاجتماع اصله الفاخر الذي هو منبع الحسب مع
فضيلة ذكائه في العلم والادب كان مولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلث مائة وتوفي في المحرم سنة ست واربع مائة بالكرخ من بغداد
ودفن مع اخيه المرتضى في جوار جده الحسين عليه السلام

قال رضي الله عنه

خطبة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمنا لنعمائه ومعاذا من بلائه ووسيلا الى جنانه وسببا الى زيادة احسانه والصلوة على
رسوله نبي الرحمة وامام الائمة وسراج الامة المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد الاقدم ومغرس الفخار المعرق وفرع العلا
المثمر المورق وعلى اهل بيته مصابيح الظلم وعصم الامم ومنار الدين الواضحة ومثاقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم اجمعين صلوة
تكون ازاء لفضلهم ومكافاة لعملهم وكفاء لطيب فرعهم واصلهم ما انار فجر ساطع وخوى نجم طالع فاني كنت في عنفوان السن وغضاضة

في بيان خطبة الكتاب

الغصن ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الائمة عليهم السلام يشتمل على محاسن اخبارهم وجواهر كلامهم حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب وجعلته امام الكلام وفرغت من الخصائص التي تخص امير المؤمنين عليا عليه السلام وعاقت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الايام ومماطلات الزمان وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابوابا وفصلته فصولا فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والامثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة فاستحسن جماعة من الاصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه وسألوني عند ذلك ان ابتدئ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام امير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وادب علما ان ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنياوية ما لا يوجد مجتمعا في كلام ولا مجموع الاطراف في كتاب اذ كان امير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه اخذت قوانينها وعلى امثلته حذا كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا وتقدم وتأخروا لان كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي فاجبتهم الى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الاجر واعتمدت به ان ابين عن عظيم قدر امير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة الى المحاسن الدثرة والفضائل الجمة وانه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها من جميع السلف الاولين الذين انما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد فاما كلامه عليه السلام فهو البحر الذي لا يساجل والجم الذي لا يحافل واردت ان يسوغ لي التمثيل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق اولئك آبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع ورأيت كلامه عليه السلام يدور على اقطاب ثلثة اولها الخطب والاوامر وثانيها الكتب والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ فاجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والادب مفردا لكل صنف من ذلك بابا ومفصلا فيه اوراقا لتكون لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلا ويقع الي آجلا واذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج في اثناء حوار او جواب كتاب او غرض آخر من الاغراض في غير الانحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته الى اليق الابواب به واشدها ملامحة لغرضه وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقة ومحاسن كلم غير منتظمة لاني اورد النكت واللمع ولا اقصد التتالي والنسق ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها وامن المشاركة فيها ان كلامه الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر اذا تأمله المتأمل وفكر فيه المفكر وخلع من قلبه انه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ امره واحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك في انه من كلام من لا حظ له في غير الزهادة ولا شغل له بغير العبادة قد قبع في كسر بيت او انقطع الى سفح جبل لا يسمع الا حسه ولا يرى الا نفسه ولا يكاد يوقن بانه كلام من ينغمس في الحرب مصلتا سيفه فيقط الرقاب ويجدل الابطال ويعود به ينطف دما ويقطر مهجا وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الابدال وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة التي جمع بها بين الاضداد والف بين الاشتات وكثيرا ما اذاكر الاخوان بها واستخرج عجبهم منها وهي موضع للعبرة بها والفكرة فيها وربما جاء في اثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر والعذر في ذلك ان روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافا شديدا فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك في رواية اخرى موضوعا غير موضعه الاول اما بزيادة مختارة او بلفظ احسن عبارة فتقتضي الحال ان يعاد استظهارا للاختيار وغيرة على عقائل الكلام وربما بعد العهد ايضا بما اختير اولا فاعيد بعضه سهوا او نسيانا لا قصدا واعتمادا ولا ادعي مع ذلك اني احيط باقطار جميع كلامه عليه السلام حتى لا يشذ عني منه شاذ ولا يند ناد بل لا ابعد ان يكون القاصر عني فوق الواقع الي والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي وما علي الا بذل الجهد وبلاغ الوسع وعلى الله سبحانه نهج السبيل وارشاد الدليل انشاء الله ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة اذ كان يفتح للناظر فيه ابوابها ويقرب عليه طلابها وفيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد ويمضي في اثنائه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة وشفاء كل علة وجلاء كل شبهة ومن الله سبحانه استمد التوفيق والعصمة واتنجز التسديد والمعونة واستعيذه من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان ومن زلة الكلم قبل زلة القدم وهو حسبي ونعم الوكيل

اقول اما حرف يبتدأ به الكلام المقتسم الى قسمين او اكثر وتفصل به الجمل فتختص معه كل واحدة بحكم ليس للاخرى نقول اما بعد حمد الله هو الجزء الثاني من الكلام وتقدير الكلام مع الجزء الاول اما قبل الشروع في المطلوب فالحمد لله واما بعد حمد الله فاني كنت في عنفوان السن وانما حذف الجزء الاول اختصارا للكلام وايجازا له ثم استمر ذلك الحذف وحسن استعماله في الكلمات الخطابية وغيرها حتى صار اظهار المحذوف ههنا مستهجنا يفهم منه ما يستحسن الحذف وقال سيبويه انه مع الجملة التي يدخل عليها في قوة شرطية متصلة فقال اذا قلت اما زيد فمنطلق كان تأويله مهما يكن من شيء فزيد منطلق وينبه على ذلك لزوم الفاء بجوابها وجعل الكلام مشتملا على جملتين شرط وجزاء والمذكور ههنا ليس الا الجملة الجزائية واما الشرط فمحذوف للاختصار وهذا الحرف يتو

وخلق آدم عليه

في بيان خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض

اشعارا بالميدان فلان الحيوان كما يكون صادقا عليه انه غير مستقر على الارض بسبب تمايدها في الماء لو لم توجد الجبال كذلك يصدق على الارض انها غير مستقرة تحته ومضطربة بالنسبة اليه فيصح انه لولا وجود الجبال في سطح الارض لكانت مضطربة ومائدة بالنسبة الى الحيوان لعدم تمكنه من الاستقرار عليها **الوجه الرابع** قال بعض العلماء انه يحتمل ان تكون الاشارة بالصخور الى الانبياء والاولياء والعلماء وبالارض الى الدنيا اما وجه التجوز بالصخور عن الانبياء والعلماء فلان الصخور والجبال لما كانت على غاية من الثبات والاستقرار ومانعة لما يكون تحتها من الحركة والاضطراب غاصمة لما يلتجي اليها من الحيوان عما يوجب له الهرب فيسكن بذلك اضطرابه وقلقه اشبهت الاوتاد من بعض هذه الجهات ثم لما كانت الانبياء والعلماء هم السبب في انتظام امور الدنيا وعدم اضطراب احوال اهلها كانوا كالاوتاد للارض فلا جرم صحت استعارة لفظ الصخور لهم ولذلك يحسن في العرف ان يقال فلان جبل منيع يأوي اليه كل ملهوف اذا كان يرجع اليه في المهمات والحوائج والعلماء اوتاد الله في الارض **الوجه الخامس** ان المقصود من جعل الجبال كالاوتاد في الارض ان يهتدى بها على طرقها والمقاصد فيها فلا تميد جهاتها المتشابهة باهلها ولا تميل بهم فيتيهون فيها عن طرقهم ومقاصدهم وبالله التوفيق **قوله** اول الدين معرفته **اقول** لما كان الدين في اللغة الطاعة كما سبق وفي العرف الشرعي هو الشريعة الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلام وكان اتباع الشريعة طاعة مخصوصة كان ذلك تخصيصا من الشارع للعام باحد مسمياته ولكثرة استعماله فيه صار حقيقة دون سائر مسمياته لانه المتبادر الى الفهم حال الاطلاق لفظة الدين واعلم ان معرفة الصانع سبحانه على مراتب فاولها وادناها ان يعرف العبد ان للعالم صانعا الثانية ان يصدق بوجوده الثالثة ان يترقى بجذب العناية الالهية الى توحيده وتنزيهه عن الشركاء الرابعة مرتبة الاخلاص له الخامسة نفي الصفات التي تعتبرها الاذهان له عنه وهي غاية العرفان ومنتهى قوة الانسان وكل مرتبة من المراتب الاربع الاولى مبدأ لما بعدها من المراتب وكل من الاربع الاخيرة كمال لما قبلها ثم ان المرتبتين الاوليين مركوزتان في الفطر الانسانية بل فيما هو اعم منها وهي الفطر الحيوانية ولذلك فان الانبياء لم يدعوا الخلق الى تحصيل هذا القدر من المعرفة وايضا فلو كان حصول هذا القدر من المعرفة متوقفا على دعوة الانبياء وصدقهم مع ان صدقهم متوقف على معرفة ان ههنا صانعا للخلق ارسلهم للزم الدور وانما كانت اول مرتبة دعوا اليها من المعرفة توحيد الصانع ونفي الكثرة عنه المشتمل عليها اول كلمة نطق بها الداعي الى الله وهي قولنا لا اله الا الله فقال صلى الله عليه وآله من قال لا اله الا الله دخل الجنة ثم لما استعدت اذهان الخلق بما نطقت به من التوحيد الظاهر نبههم على ان تحته اعتبارا للتوحيد اعلى واخفى من الاول فقال من قال لا اله الا الله خالصا مخلصا دخل الجنة وذلك اشارة الى حذف كل قيد من درجة الاعتبار مع الوحدة المطلقة اذا عرفت ذلك فاعلم انه يحتمل ان يكون مراده بالمعرفة المرتبة الاولى من مراتب المعرفة وحينئذ يكون معنى قوله اول الدين معرفته ظاهرا فان ذلك القدر اول ما يحصل في النفس من الدين الحق ويحتمل ان يكون مراده المعرفة التامة التي هي غاية العارفين ونهاية مراتب السلوك وحينئذ يكون المراد من كونها اول الدين هو اوليتها في العقل وهو اشارة الى كونها علة غائية اذ العلة الغائية متقدمة في العقل على ما هي علة له وان تأخرت في الوجود وبيان ذلك ان المعرفة التامة التي هي غاية سعي العارف غير حاصلة له في مبدأ الامر بل يحتاج في كمال ما حصل له من مراتب المعرفة وتحصيل المعرفة التامة الى الرياضة بالزهد والعبادة وتلقي الاوامر الالهية بالقبول التي هي سبب تمام الدين فيستعد اولا بسببها للتصديق بوجوده يقينا ثم لتوحيده ثم للاخلاص له ثم لنفي كل ما عداه عنه فيغرق في تيار بحار العظمة وكل مرتبة ادركها فهي كمال لما قبلها الى ان تتم المعرفة المطلوبة له بحسب ما في وسعه وبكمال المعرفة يتم الدين وينتهي السفر الى الله

قوله وكمال معرفته التصديق به الى قوله نفي الصفات عنه **اقول** ترتيب هذه المقدمات على هذا الوجه يسمى قياسا مفصولا وهو القياس المركب الذي تطوى فيه النتائج وعند ذكرها يتبين ان المقصود منها بيان ان كمال معرفته نفي الصفات عنه وهذا القياس ينحل الى قياسات تشبه قياس المساواة لعدم الشركة بين مقدمتي كل منها في تمام الاوسط فيحتاج في انتاج كل منها الى قياس آخر والمطلوب من التركيب الاول وهو قوله وكمال معرفته التصديق به توحيده ان كمال معرفته توحيده وانما يلزم عنه هذا المطلوب بقياس آخر صورته ان معرفته كمال كمالها توحيده وكلما كان كمال كماله توحيده كان كماله توحيده فينتج ان كمال معرفته توحيده اما المقدمة الاولى فان التوحيد كمال التصديق وهو كمال المعرفة واما الثانية فلان كمال كمال الشيء كمال الشيء وهكذا في باقي التركيب والمطلوب من تركيب هذه النتيجة مع المقدمة الثالثة وهي قوله وكمال توحيده الاخلاص له ان كمال معرفته الاخلاص له ومن تركيب هذه النتيجة مع المقدمة الرابعة وهي قوله وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه يحصل المطلوب واعلم ان في اطلاق الكمال ههنا تنبيها على ان معرفة الله تعالى مقولة بحسب التشكيك اذ كانت قابلة للزيادة والنقصان وبيان ذلك ان ذات الله تعالى لما كانت بريئة عن انحاء التركيب لم يكن معرفته ممكنة الا بحسب رسوم ناقصة تتركب من سلوب واضافات تلزمه لزوما عقليا فتلك السلوب والاضافات لما لم تكن متناهية لم يمكن ان تقف المعرفة بحسبها عند حد واحد بل تكون متفاوتة بحسب زيادتها ونقصانها وخفائها

في بيان خطبة له عليه السلام يذكر فيها خلق السماء والارض وخلق آدم

بها لها وكمال التصديق والتوحيد والاخلاص واذا تقرر ذلك فلنشرع في تقرير المقدمات اما المقدمة الاولى وهي ان كمال معرفته التصديق
به فبيانها ان ذلك ان المتصور لمعنى اله العالم عارف به من تلك الجهة معرفة ناقصة تمامها الحكم بوجوده ووجوبه اذ من ضرورة كونه موجدا
للعالم كونه موجودا فان ما لم يكن موجودا استحال بالضرورة ان يصدر عنه اثر موجود فهذا الحكم اللاحق هو كمال معرفته واما الثانية
وهي قوله وكمال التصديق به توحيده فبيانها ان من صدق بوجوده الواجب ثم جهل مع ذلك كونه واحدا كان تصديقه به تصديقا
ناقصا تمامه توحيده اذ كانت الوحدة المطلقة لازمة لوجوده الواجب فان طبيعة واجب الوجود لو قدر ان تكون مشتركة بين اثنين
فلا بد لكل واحد منهما من مميز وراء ما به الاشتراك فيلزم التركيب في ذاتيهما وكل مركب ممكن فيلزمه الجهل بكونه واجب الوجود وان
تصور معناه وحكم بوجوده واما الثالثة وهي قوله وكمال توحيده الاخلاص له ففيها اشارة الى ان التوحيد المطلق للعارف انما
يتم بالاخلاص له وهو الزهد الحقيقي الذي هو عبارة عن تنحية كل ما سوى الحق الاول عن سنن الايثار وبيان ذلك انه ثبت
في علم السلوك ان العارف ما دام ملتفتا مع ملاحظة جلال الله وعظمته الى شيء سواه فهو بعد واقف دون مقام الوصول
جاعل مع الله غيرا حتى ان اهل الاخلاص ليعدون ذلك شركا خفيا كما قال بعضهم من كان في قلبه مثقال خردلة سوى جلال الله
فاعلم انه مريض وانهم ليعتبرون في تحقق الاخلاص ان يغيب العارف عن نفسه حال ملاحظته لجلال الله وان لحظها فمن حيث
هي لاحظة لا من حيث هي متزينة بزينة الحق فاذن التوحيد المطلق ان لا يعتبر معه غيره مطلقا وذلك هو المراد بقوله وكمال توحيده
الاخلاص له واما المقدمة الرابعة وهي ان كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه فقد بين صدقها بقياس برهاني مطوي
النتائج ايضا استنبطه منه ان كل من وصف الله سبحانه فقد جهله وذلك قوله لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل
موصوف انه غير الصفة الى قوله ومن جزاه فقد جهله وبيان صحة المقدمات اما قوله لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وبالعكس
فهو توطئة الاستدلال ببيان المغايرة بين الصفة والموصوف والمراد بالشهادة ههنا شهادة الحال فان حال الصفة تشهد
بحاجتها الى الموصوف وعدم قيامها بدونه وحال الموصوف تشهد بالاستغناء عن الصفة والقيام بالذات بدونها فلا تكون
الصفة نفس الموصوف واما قوله فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه فمضبوط لانه لما قرر كون الصفة مغايرة للموصوف لزم ان تكون زائدة
على الذات غير منفكة عنها فلزم من وصفه بها ان تكون مقارنة لها وان كانت تلك المقارنة على وجه لا يستدعي زمانا ولا مكانا
واما قوله ومن قرنه فقد ثناه فلان من قرنه بشيء من الصفات فقد اعتبر في مفهومه امرين احدهما الذات والاخر الصفة فكان
واجب الوجود عبارة عن شيئين او اشياء فكانت فيه كثرة وح ينتج هذا التركيب ان من وصف الله سبحانه فقد ثناه واما
قوله ومن ثناه فقد جزاه فظاهر لانه لما كانت الذات عبارة عن مجموع امور كانت تلك الامور اجزاء لتلك الكثرة من حيث انها
تلك الكثرة وهي مبادي لها فاذا ضم هذه المقدمة الى نتيجة التركيب الاول ينتج ان من وصف الله سبحانه فقد جزاه واما قوله ومن
جزاه فقد جهله فلان كل ذي جزء فهو مفتقر الى جزئه وجزؤه غيره فكل ذي جزء فهو مفتقر الى غيره والمفتقر الى الغير ممكن فالمتصور
في الحقيقة لامر هو ممكن الوجود لا الواجب الوجود بذاته فيكون اذن جاهلا به وهذه المقدمة الى نتيجة ما قبلها ينتج ان من
وصف الله سبحانه فقد جهله وح يثبت المطلوب وهو ان كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه اذ الاخلاص له والجهل به مما لا
يجتمعان واذا كان الاخلاص منافيا للجهل به الذي هو لازم لاثبات الصفة له كان اذن منافيا لاثبات الصفة له لان معاندة
اللازم تستلزم معاندة الملزوم واذا بطل ان يكون الاخلاص في اثبات الصفة له ثبت انه في نفي الصفة عنه وعند هذا يظهر
المطلوب الاول وهو ان كمال معرفته نفي الصفات عنه وذلك هو التوحيد المطلق والاخلاص المحقق الذي هو نهاية العرفان وغاية
سعي العارف من كل حركة حسية وعقلية وما يكون في نفس الامر من غير تعقل نقض كل ما عداه عنه معه فهو الوحدة المطلقة
المبرأة عن كل الانحاء وهذا مقام حسرت عنه نواظر الابصار وكلت في تحقيقه صوارم الافكار واكثر الناس فيه الاقوال فانتهت
بهم الحال الى اثبات المعاني وارتكاب الاحوال فلزمهم في ذلك الضلال لما لزمهم من المحال فان قلت هذا مشكل من وجهين
احدهما ان الكتب الالهية والسنن النبوية مشحونة بوصفه تعالى بالاوصاف المشهورة كالعلم والقدرة والحيوة والسمع والبصر
وغيرها وعلى ما قلتم يلزم ان لا يوصف سبحانه بشيء منها الثاني انه ع صرح باثبات الصفة له في قوله ليس لصفته حد محدود
فلو كان مقصوده نفي الصفات ما ذكرتم لزم التناقض في كلامه ع فالاولى اذن ان نخص قوله نفي الصفات عنه بنفي المعاني
كما ذهب اليه الاشعري ونفي الاحوال كما ذهب اليه المثبتون من المعتزلة وبعض الاشعرية لينبغي الصفات المشهورة الجارية عليه نعم
ولاثباته ع الصفة لله في موضع اخر محمل ويختص بنفي صفات المخلوقين كما اشار في اخر الخطبة لا يجري عليه صفات المصنوعين
وكما ذكره الشيخ المفيد من الشيعة في كتاب الارشاد عنه جل ان تحله الصفات لشهادة العقول ان كل من حلته الصفات مصنوع
قلت قد سبق منا بيان ان كل ما يوصف به تعالى من الصفات الحقيقية والسلبية والاضافية اعتبارات تحدثها عقولنا عند

مقايسته

مفارقته واته سبحانه الى غيرها ولا يلزم تركيب في ذاته ولا كثرة فيكون وصفه بها امرا معلوما من الذين لم يتم التوحيد لهم لتنزيهه عن كل طبقة
من الناس ولما كانت عقول الخلق على مراتب من التفاوت كان الاخلاص الذي ذكره ع اقصى ما تنتهي اليه القوى البشرية عند غرقها
في انوار كبرياء الله وهو ان تعتبره فقط من غير ملاحظة شيء اخر وكان اثباته ع لها اي الصفة في موضع اخر ووصفه في الكتاب العزيز والسنن
النبوية اشارة الى الاعتبارات التي ذكرناها اذ كان من هو دون درجة الاخلاص لا يعرف كيف يمكن ان يعرف الله سبحانه بدونها و
بالله التوفيق **قوله** ع ومن اشار اليه فقد حده ومن حده فقد عده **اقول** يشير الى البرهان على احد امرين احدهما انه يحتمل ان يكون
مراده امتناع الاشارة العقلية اليه وتعلقها به فعلى هذا يكون تقرير المقدمة الاولى من هذا البرهان ان من وجه ذهنه طالبا
لكنه ذاته المقدسة وزعم انه وجدها واحاط بها واشار اليها من جهة ما هي فقد اوجب له حدا يقف ذهنه عنده اذ الحقيقة انما
تعلم من جهة ما هي ويشير العقل الى كنهها اذا كانت مركبة وقد علمنا ان كل مركب محدود في المعنى ولان الاشارة العقلية ملوثة بالاشارة
الوهمية والخيالية مشوبة بهما وهما مستلزمان لاثبات الحد كما سيأتي واما تقرير المقدمة الثانية فظاهر اذ كان حد الشيء انما يتألف
من كثرة معتبرة فيه وكل ذي كثرة معدود في نفسه ونتيجة هذا البرهان ان من اشار اليه فقد عده واما استحالة ان يكون معدودا
فلما علمت فيما سبق ان الكثرة مستلزمة للامكان الثاني انه يحتمل ان يكون مراده ايضا نفي الاشارة الحسية الظاهرة والباطنة اليه
وبيان تنزيهه عن الوحدة العددية ويكون تقرير المقدمة الاولى ان من اشار اليه باحد الحواس فقد جعل له حدا او حدودا
او نهايات يحيط به وذلك ان كل ما يشار اليه بالحس الظاهر او الباطن فلا بد وان يشار اليه في حيز مخصوص على وضع مخصوص وما كان
كذلك فلا بد وان يكون له حد او حدود فاذن لو كان مشارا اليه باحدهما لكان محدودا واما تقرير المقدمة الثانية فالمراد بالعد
ههنا جعله مبدأ كثرة يصلح ان يكون عادا لها وذلك ان كل ما ادرك على وضع مخصوص في جهة فالعقل حاكم بامكان وجود امثاله
من حيث بالاشارة الحسية فقد جعله مبدأ كثرة يصلح ان يعد بها ويكون معدودا بالنسبة اليها واما كونه في نفسه معدودا وذلك
كونه مركبا من امور لان الواحد بهذا المعنى ليس بمجرد الوحدة فقط والا لما تعلقت الاشارة الحسية به ولا بد معها من الوضع كما علمت وعلى
الوجهين يكون مجتمعا من امرين او امور فيكون مركبا وكل مركب ممكن على ما مر واذا استحال ان يكون واحدا بهذا المعنى كانت الاشارة اليه
مستلزمة للجهل به من حيث هو واحد واجب الوجود واعلم انه ليس اذا بطل ان يكون واحدا فان للواحد مفهومات اخر بها يقال الواحد
فانه يقال واحد لما لا يشاركه في حقيقته الخاصة به غيره ويقال واحد لما لا تركيب في حقيقته وما تألف من معان متعددة الاجزاء قوام
ولا اجزاء محدودة ويقال واحد لما لم يفته من كماله شيء بل كل كمال ينبغي ان يكون له فهو حاصل له بالفعل والباري سبحانه واحد بهذه
الاعتبارات الثلاثة **قوله** ع ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال علام فقد اخلى منه **اقول** اصل فيم وعلام فيما وعلى ما حرفان
دخلا على ما الاستفهامية فحذفت الفها لاتصالها بهما تخفيفا في الاستفهام وهاتان القضيتان في تقدير شرطيتين يراد
منهما تأديب الخلق ان يستفهموا عنه سبحانه على هذين الوجهين وبيان المراد منهما باستثناء نقيضي تاليهما وحذف الاستثناء فههنا
الذي هو كبرى القياس على ما هو المعتاد في قياس الضمير واعلم ان تقدير المتصلة الاولى لو صح السؤال عنه بفيم لكان له محل يتضمنه
ويصدق عليه انه فيه تصدق العرض بالمحل لكنه يمتنع كونه في محل فيمتنع السؤال عنه بفيم بيان الملازمة ان مفهوم في لما كان
موجودا في ما كان الاستفهام بفيم استفهاما عن مطلق المحل والظرف ولا يصح الاستفهام عن المحل لشيء الا اذا صح كونه فيه بيان
بطلان التالي انه لو صح كونه في محل لكان اما ان يجب كونه فيه فيلزم ان يكون محتاجا الى ذلك المحل والمحتاج الى الغير ممكن بالذات
وان لم يجب حلوله فيه جاز ان يستغني عنه والغني في وجوده عن المحل يستحيل ان يعرض له واذا استحال ان يكون في محل كان السؤال
عنه بفيم جهلا واما تقدير المتصلة الثانية فهو انه لو جاز السؤال عنه بعلام لجاز خلو بعض الجهات والاماكن عنه لكنه لا يجوز
خلو مكان عنه فامتنع الاستفهام عنه بعلام بيان الملازمة هو ان مفهوم على هو العلو والفوقية لما كان موجودا في ما كانت
ما استفهاما عن شيء هو فوقه وعال عليه وذلك يستلزم ان احدهما بواسطة الاخر لازم له فالذي هو بواسطة ولا لازم لها هو
اخلاؤه سائر الجهات عنه وهو ما ذكره ع واما الواسطة اللزومية فهي اثبات الجهة المعينة وهي جهة فوق اذا كان اختصاصه بجهة معينة يستلزم
نفي كونه في سائر الجهات وانما جعلها لازمة هذه المتصلة كونه قد اخلى منه ليستلزم من ابطال اللازم وهو الخلو عنه بطلان اختصاصه
بالجهة المعينة ليلزم منه بطلان المقدم وهو صحة السؤال عنه بعلام فاما بطلان التالي فلقوله وهو الله في السموات وفي الارض
يعلم سركم وجهركم وقوله وهو معكم اينما كنتم فان قلت ان مثبت الجهة لا يجعل هذه الايات بل له ان يقول لا تنافي بين اثبات الجهة
المعينة وبين مقتضى هذه الايات لان المقصد من كونه في السماء والارض اي بعلمه وكذلك من معيته للخلائق وكونه في جهة فوق انما
هو بذاته فح لا تكون هذه الايات منافية لغرضه قلت انما جعلها ع قوله فقد اخلى منه لازما في هذه القضية لان نفي هذا اللازم
بهذه الايات ظاهر وكذلك ان مثبت الجهة انما يعتمد في اثباتها على ظواهر الايات الدالة على ذلك كقوله ثم الرحمن على العرش استوى فكان

معارضة مقتضاها بظواهر هذه الآيات انفع في الخطابة وانجع في قلوب العامة من الدلائل العقلية عن نفي الجهة ولان هذه الآيات على عدم
خلو مكان من الامكنة منه تعالى يستلزم دلالتها على عدم اختصاصه بجهة فوق والمعارضة كما تكون بما يقتضي ابطال مقتضى الدليل كذلك تكون
بما يقتضي ابطال لازم مقتضاه فكانت مستلزمة لعدم جواز الاستفهام عنه بعلام ولو قال ومن قال علام فقد ابنيت له جهة لم يمكن ابطال هذا
اللازم الا بالدليل العقلي لكون الظواهر النقلية مشعرة باثبات الجهة له فلذلك عدل الى هذا اللازم كما بيناه لوجود ما يبطله في القرآن الكريم
وهي الآيات المذكورة وحتى اذا عدل المثبت للجهة عن ظواهر هذه الآيات الى التأويل باحاطة العلم مثلا الزمناه مثله في نحو قوله الرحمن
على العرش استوى فقلنا المراد من الاستواء الاستيلاء بالقدرة او العلم كما هو مذكور في الكتب الكلامية وانما نص على جهة العلو بالكلام
اعتقادها والتحذير منه لكون كل معتقد لله جهة يخصصه بها لما يتوهم من كونها شرف الجهات ولانها نطق بها القرآن الكريم فكانت
الشبهة في اثباتها اقوى فلذلك خصها بالذكر **قوله** كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم **اقول** الكائن اسم الفاعل من كان وهو
يستعمل في اللغة على ثلاثة اوجه احدها ان تكون بصيغتها دالة على الحدث والزمان وتسمى في عرف النحاة كان التامة كقوله اذا
كان الشتاء فادفئوني اي اذا حدث ووجد الثاني ان تدل على الزمان وحده ويحتاج في الدلالة على الحدث الى خبر يتم به وهي الناقصة و
استعمالها هو الاكثر كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله الثالث ان تكون زائدة خالية عن الدلالة على حدث او زمان كقوله على كان المسومة
العراب اي على المسومة اذا عرفت ذلك فاعلم ان مفهوم الكائن انه شيء ما له كون ولما كان ذلك الشيء هو ذات الله تعالى وكانت ذاته مقدسة
عن الزمان استحال ان يقصد وصفه بالكون الدال على الزمان ولما احترز بقوله لا عن حدث استحال ان يدل كونه على الحدث وهو المسبوقية
بالعدم ايضا واذا بطل ان يكون كونه مستلزما للزمان ومسبوقية العدم لم يكن لدلالته الا على الوجود المجرد عن هذين القيدين ومن هذا القبيل
قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وامثاله وقول الرسول صلى الله عليه وآله كان الله ولا شيء واما قوله موجود لا عن عدم فالمراد ايضا ان وجوده ليس بحادث
وبيانه ان الموجود من حيث هو موجود اما ان يكون وجوده مسبوقا بالعدم وحاصلا عنه وهو المحدث او لا يكون وهو القديم فاما
لمية هذا الحكم فلانه لو كان محدثا لكان ممكنا ولو كان ممكنا لما كان واجب الوجود فينتج انه لو كان محدثا لما كان واجب الوجود لكنه واجب
الوجود فينتج انه ليس بمحدث اما المقدمتان فجليتان واما بطلان تالي النتيجة فمقتضى البراهين الالهية واعلم ان هذه القضية مؤكدة لمقتضى
القضية الاولى وليس مقتضاها عين ما افادته الاولى اذ كان في الكلمة الاولى مقصود آخر وهو تعليم الخلق كيفية اطلاق لفظة الكون
على الله تعالى واشعارهم ان المراد منها ليس ما يتبادر الى الذهن من مفهومها حال اطلاقها وهو الحدث ويحتمل ان يكون مراده في الاولى نفي
الحدوث الذاتي او ما اعم منه ومن الزماني وفي الثانية نفي الحدوث الزماني والله اعلم **قوله** مع كل شيء لا بمزايلة **قوله** ان كونه تعالى

لا بمقارنة وغير كل شيء

مع غيره وغيره غيره اضافتان عارضتان له بالنسبة الى جميع الموجودات اذ كلها منه ويصدق عليه ان يقال انه معها وانه متقدم عليها ولكن
باعتبارين مختلفين فان المعية نفس اضافة تحدثها العقول بنسبته الى آثاره ومساوقة وجوده لوجودها واحاطة علمه بكليتها وجزئيتها
كما قال وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير والتقدم نسبة تحدثها له باعتبار كونه علة لها ثم لما كانت المعية اعم من المقارنة لاعتبار
الزمان والمكان في مفهومها المتعارف لم يكن معيته للاشياء على سبيل المقارنة لها لبراءة ذاته المقدسة عن الزمان والمكان فلذلك
احترز بقوله لا بمقارنة واما انه غيرها لا بمزايلة فيحتمل وجهين احدهما وهو الاظهر ان المغايرة لما كانت اعم من المزايلة لدخول الزمان
والمكان في مفهومها ايضا كانت مغايرته للاشياء غير معتبر فيها المزايلة لتقدس ذاته عن الزمان والمكان فلذلك احترز بقوله لا بمزايلة
الثاني ان يقال ان كونه تعالى غير كل شيء معناه انه متميز بذاته عن كل شيء انه لا يشارك شيئا من الاشياء في معنى جنسي ولا نوعي فلا يحتاج
ان ينفصل عنها بفصل ذاتي او عرضي بل هو مباين لها بذاته لا بمزايلة ويكون معنى المزايلة المفارقة باحد الامور المذكورة بعد الاشتراك
في احد الامور المذكورة واعلم ان هذين القيدين كاسرين لاحكام الوهمية باعتبار الزمان والمكان والاوصاف المخلوقة المتعارفة بين
الخلق المعتبرة بينهم في مفهوم المعية والغيرية منبهان للعقول على ما وراء حكم الوهم من عظمة الله سبحانه وتقدس ذاته عن صفات الممكنات
وكذلك قوله كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم فانه تنبيه للوهم الحاكم بما لا يتعلق بالمحدثات **قوله** فاعل لا بمعنى الحركات والآلة **اقول**

ودمر

الحركة عبارة عن حصول المتحيز في حيز بعد ان كان في حيز آخر ان قلنا بثبوت الجوهر الفرد والا فهي عبارة عن انتقال المتحيز من حيز الى حيز
آخر او غيره من التعريفات والآلة هي ما يؤثر الفاعل في منفعله القريب منه بواسطته والمراد بيان انه فاعل لا كما ان ما صدر عنه تعالى
من الآثار ليس بحسب حركة ولا بتوسط آلة كما يفتقر غيره في نسبة صدور الفعل عنه اليه اما انه لا يفتقر الى الحركة فلان معنى الحركة
انما يعرض للجسم والباري تعالى منزه عن الجسمية فيستحيل صدور شيء الحركة في حقه واما ان فعله ليس بتوسط الآلة فبيانه من وجهين
احدهما لو كان كذلك لكانت تلك الآلة ان كانت من فعله فاما بتوسط آلة اخرى او بدونها فان كانت بدونها فقد صدق انه فاعل
لا بمعنى الآلة وان كان فعله لها بتوسط آلة اخرى فالكلام فيها كالكلام في الاولى ويلزم التسلسل واما ان لم تكن تلك الآلة من فعله وهو لم
يمكنه الفعل بدونها كان الباري تعالى مفتقرا في تحقيق فعله الى الغير والمفتقر الى الغير بالذات فالواجب لذاته ممكن بالذات

ممكن هذا

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى

هفت الثاني انه تعالى لو فعل بالآلة لكانت هي دونها غير مستقل بايجاد الفعل فكان ناقصا بذاته مستكملا بالآلة والنقص على الله تعالى محال فتوقف فعله على الآلة محال فاذن هو الفاعل المطلق بالابداع ومحض الاختراع المبرّء عن نقصان الذات المنزه عن الحاجة الى الحركات والآلات **قوله** بصير اذ لا منظور اليه من خلقه **اقول** البصير فعيل بمعنى الفاعل من البصر والبصر حقيقة في حاسة العين مجاز في القوة التي بها العلم والمنظور اليه المشاهد بتغليب الحد انه مخوه والمراد وصفه تعالى بكونه بصيرا حال ما لا يتحقق المبصرات واذ ليس كونه بصيرا حال ما لا يتحقق المبصرات واذ ليس كونه بصيرا بمعنى ان له آلة البصر لتنزهه عن الحواس وجب العدول الى المجاز وهو ان يكون بصيرا بمعنى انه عالم وقرينة ذلك قوله اذ لا منظور اليه من خلقه لان البصر امر اضافي يلحقه بالنسبة الى مبصر وهو امر يلحقه لذاته ازلا وابدا ولا شئ من المبصرات بالحس موجودا ازلا لقيام البراهين العقلية على حدث العالم فحينئذ يمكن ان يلحقه النسبة بالقياس اليه فوجب ان لا يكون من حيث هو هو بصيرا بهذا المعنى ويحتمل ان الاشارة بالنفي في قوله اذ لا منظور اليه الى اعتبار كونه مقدما على آثاره من حيث ما هو متقدم فانه بالنظر الى تلك الجهة لا منظور اليه من خلقه معه وهو على اولا انه وبذاته فعلا وانما ليس بصيرا بالمعنى المذكور فهو اذن بصير بالصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات وبها تظهر الاسرار والخفيات فهو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى وهذه الادراك وان عدّ كمالا فانما هي كالخاص بالحيوان وكماله بها وان كان ظاهرا الا انه ضعيف قاصر لا يمتد الى ما بعد ولا يتغلغل في باطن وان قرب بل يتناول الظواهر ويقصر عن البواطن وقد قيل ان الحظ الذي للعبد من البصر امران احدهما ان يعلم انه خلق له البصر لينظر الى الآيات وعجائب ملكوت السموات فلا يكون نظره الا اعتبارا حكي انه قيل لعيسى عليه السلام هل احد من الخلق مثلك فقال من كان نظره عبرة وصمته فكرة وكلامه ذكرا فهو مثلي الثاني ان يعلم انه من الله بمرأى ومسمع فلا يستهين بنظره اليه واطلاعه عليه ومن اخفى من غير الله ما لا يخفيه من الله تعالى لا يراه فما اكرمه **قوله** متوحد اذ لا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده **اقول** المراد وصفه تعالى بالتفرد بالوحدانية واشار بقوله اذ لا سكن الى اعتبار ان تفرده بالوحدانية لذاته فهو من تلك الحيثية منفرد بالوحدانية لا على وجه الانفراد عن مثل له كما هو المفهوم المتعارف من انفراد بعض الناس عن بعض من عادته مشاركته في مشاورته ومحادثته وانفراد احد المتالفين من الحيوانات عن الآخر وهو الانيس له الذي يستأنس بوجوده معه ويستوحش لفقده لفقده وغيبته عنه اذ كان الاستيناس من الاحكام المتعلقين بميل الطبع الى الشئ ونفرته عنه وهما من توابع المزاج ولما كان الباري سبحانه منزها عن الجسمية والمزاج وجب ان يكون منزها عن الاستيناس والتوحش فهو المتفرد بالوحدانية المطلقة لا بالقياس الى شئ يعقل ذلك التفرد بالنسبة اليه واعلم ان الفصول الثلثة الزائدة على قوله فاعل وبصير متوحد في الفصول الثلثة مستلزمة للتنبيه على عظمة الله تعالى كما بيناه في قوله لا بمقارنة ولا بمزايلة وذلك لان الاوهام البشرية تحاكمه بحاجة الفاعل الى الآلة والبصير الى وجود المبصر والمتوحد الى ان يكون بحيث يقابله انيس يشاكله انفرد عنه ولما كانت ذات الله سبحانه منزهة عن جميع ذلك ازاح الوهم ومعارضته لحكم العقول عليها فذكر هذه القيود الثلثة وبالله التوفيق **الفصل الثاني** في نسبة ايجاد العالم الى قدرة الله تعالى جملا جملة وتفصيلا وفي كيفية ذلك وهو واضح في معرض المدح **قوله** انشأ الخلق انشاء وابتدأه ابتداء بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة احدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها احال الاشياء لاوقاتها ولائم بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها اشباحها عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها واحنائها ثم انشأ سبحانه فتق الاجواء وشق الارجاء وسكائك الهواء فاجار فيها ماء متلاطما تياره متراكما زخاره حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة فامرها برده وسلطها على شده وقرنها الى حده الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق ثم انشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها وادام مربها واعصف مجريها وابعد منشأها فامرها بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء ترد اوله على آخره وساجيه على مائره حتى عب عبابه ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء منفتق وجو منفهق فسوى منه سبع سموات جعل سفلاهن موجا مكفوفا وعلياهن سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها ولا دسار ينظمها ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب فاجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا في فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر ثم فتق ما بين السموات العلى فملأهن اطوارا من ملائكته منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله مختلفون بقضائه وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر **اقول** لم احد لاهل اللغة في الانشاء

كسر م

ز د اسناخها

فقال انسبها ... عيسى الحكمه ... نظر ان العبر الانابة ... والاخيه ... هذه الصفة ... معصيته وقوله ... مراده فيما امره ... ومن ظن ان الله تعالى

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى

والابتداء وهو الايجاد الذي لم يسبق بمثله الا انه يمكن ان يفرق ههنا بينهما صونا للكلام عن التكرار بان يقال المفهوم من الانشاء هو الايجاد
الذي لم يسبق غير الموجد اليه والمفهوم من الابتداء هو الايجاد الذي لم يقع من الموجد قبل والروية الفكر وهما من النفس فاما بالامور من
روى فهما تضمن المراد فالمراد ترديد العزم ماخوذ من الهمهمة وهي ترديد الصوت الخفي وروى ايضا همة نفس والاحالة التحويل والنقل والتغيير
والانقلاب من حال الى اخرى وروي اجال بالجيم وروى ايضا اجل اي وقت والملائمة الجمع والغرائز جمع غريزة وهي الطبيعة التي طبع عليها الانسان
كانها غرزت فيه والسنخ الاصل والاشباح جمع شبح وهو الشخص والقرائن جمع قرينة وهي ما يقترن بالشيء والاحناء جمع حنو وهي الناحية
والاجواء جمع جو وهو الفضاء الواسع وفتقها شقها والارجاء جمع رجا مقصورا وهي الناحية والسكائك جمع سكاكة والذوائب في الفضا
ما بين السماء والارض وكل مكان خال فهو هواء والتيار اي الجري ومن روى بحارا اي دار وجمع والمتلاطم الماء الذي يتراكم ويضرب بعضه بعضا
والزخار المنتفخ في التزاخر وهو المتلاطم ومتن كل شيء ما صلب منه واشتد وعصفت الريح اشتدت حتى انها تقلع وزعزع تحرك الاشياء بقوة وزعزعا
والريح العاصفة الشديدة كانها لشدتها تكسر الاشياء وتقصفها وسلطها اي جعل لها سلاطة وهي القهر والفتق الشق والدفيق المندفق
والاعتقام الشد والعقد واعتقم الارض مهبها اي جعلها خاليا الانبات من قولهم عقمت الرحم اذا لم يقبل الولد وعقمت بغير تاء اي جعلها عقيمة
لا تلقح شجرا ولا سحابا والمرب الجمع والعصف الجري بشدة وقوة والصفق والتصفيق الضرب المتواتر المسموع واثارة الموج رفعه وهيجه والاصل المحض
الماء المتشبع الغمر ربما خصص الغرق بالمالح وتموج البحر اضطرابه وتوجيهه ما ارتفع منه حال هيجانه وحركته والمخض التحريك والسقاء وعاء
اللبن والماء ايضا والمائر المتحرك والعباب بالضم معظم الماء وعب اي علا وتدفق والركام الماء المتراكم والمنفهق الواسع والتسوية التعديل
والمكفوف الممنوع من السقوط والجو الهواء والسقف اسم للسماء وسمك البيت سقفه والسموك الارتفاع والعمد جمع كثرة لعمود البيت وعامر البيت
عموده وما يمنعه من السقوط والدسار كل شيء ادخلته في شيء لشدة كمسمار وحبل ونحوهما والمستطير المنتشر والفلك من اسماء السما
قيل ماخوذ من فلكة المغزل في الاستدارة والرقيم اسم للفلك سمي به اشتقاقا من الرقم وهو الكتابة والنقش لان الكواكب به تشبه الرقوم
والاطوار الحالات المختلفة والانواع المتباينة قال الكسائي اصل الملك مالك بتقديم الهمزة من الالوك وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت
اللام وقيل ملأك ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك فلما جمعوه ردوها اليه فقالوا ملائكة وملائك والسأم الملال والسدنة
جمع سادن وهو الخادم ومرق السهم عن الرمية اذا خرج من الجانب الاخر والقطر الناحية والركن الجانب وتلفع بثوبه اذا التحف به والتناظر الامثال
ولنرجع الى المعنى فقوله انشأ الخلق انشاء وابتدأه ابتداء يشير الى كيفية ايجاد الخلق على الجملة عن قدرة الله تعالى بعد ان نبه على اصل
الايجاد بقوله فطر الخلائق بقدرته والحق بالمصدرين بعد الفعلين تاكيدا لنسبة الفعلين الى الله تعالى وصدق هاتين القضيتين ظاهر فان
البارى تعالى لما لم يكن مسبوقا بغيره لا جرم صدق انه انشاه ولما لم يكن العالم موجودا قبل وجوده لا جرم صدق ابتداؤه له **قوله**
بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة احدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها **اقول** لما كانت هذه الكيفيات الاربع من شان
علوم الناس وافعالهم التي لا يمكن حصولها الا بها اراد تنزيه الله سبحانه عن ان يكون ايجاده للعالم موقوفا على شيء منها اما الروية
والفكر فلما كانت عبارة عن حركة القوة المفكرة في تحصيل مبادي المطالب ثم الانتقال منها اليها او عن تلك القوة ايضا نفسها كان ذلك
في حق الله تعالى محالا لوجهين احدهما ان القوة المفكرة من خواص نوع الانسان الثاني ان فايدتها تحصيل المطالب المجهولة والجهل على
الله تعالى محال واما التجربة فلما كانت عبارة عن حكم العقل بامر على امر بواسطة مشاهدات متكررة معدة لليقين بسبب انضمام قياس
خفي اليها وهو انه لو كان هذا الامر اتفاقيا لما كان دائما ولا اكثريا كان توقف فعل الله تعالى على استفادة الاحكام منها محالا لوجهين احدهما
انها مركبة من مقتضى الحس والعقل وذلك ان الحس بعد مشاهدته وقوع الاسهال مثلا عقيب شرب الدواء مرة ومرة ينتزع العقل
منها حكما كليا بان ذلك الدواء مسهل ومعلوم ان اجتماع الحس والعقل من خواص نوع الانسان الثاني ان التجربة انما تفيد علما لم يكن
فالمحتاج الى التجربة لاستفادة العلم بها ناقص بذاته مستكمل بها والمستكمل بالغير محتاج اليه فيكون ممكنا على ما مر وذلك على الله تعالى محال
واما الحركة فقد عرفت انها من خواص الاجسام والبارى سبحانه منزه عن الجسمية فيمتنع صدق المتحرك عليه وان صدق انه محرك الكل لان
المتحرك ما قامت به الحركة والمحرك اعم من ذلك واما الهمامة والهمة فلما كانت ماخوذة من الاهتمام وحقيقته الميل النفساني الجازم الى فعل
الشيء مع التالم والغم بسببه فقد كان ذلك في حق الله تعالى محالا لوجهين احدهما ان الميل النفساني من خواص الانسان طلبا لجلب منفعة و
البارى سبحانه منزه عن الميول النفسانية وجلب المنافع الثاني انه مستلزم للتالم المطلق والتالم على الله تعالى محال واذ ليس ايجاده تعالى
للعالم على احد الانحاء المذكورة فهو اذن بمحض الاختراع والابداع البري عن الحاجة الى امر خارج ذاته المقدسة بديع السموات والارض
واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فاعلم انه اردف كلا من هذه الامور بما هو كيفية في وجوده فاردف الروية بالاجالة والتجربة
بالاستفادة والحركة بالاحداث والهمامة بالاضطراب لتنتفي الكيفية بانتفاء ما هي له عن ذاته المقدسة وبالله التوفيق **قوله** اجال
الاشياء لاوقاتها ولائم بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها اشباحها **اقول** لما نبه على نسبة ايجاد العالم الى الله تعالى جملة اشار

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى

بعلمه الى ان ترتيبه وما هو ما عليه من بديع الصنع والحكمة كان مفصلاً في علمه على وفق حكمته البالغة قبل ايجاده والمراد بقوله اجال الاشياء
لاوقاتها الاشارة الى ربط كل ذي وقت بوقته بحسب ما كتب في اللوح المحفوظ بالقلم الالهي بحيث لا يتاخر متقدم منها ولا متأخر يتقدم ومعنى
الاجالة نقل كل منها الى وقته وتحويله من العدم والامكان الصرف الى مدة الصبر وتبرز لوجوده واللام في لاوقاتها لام التعليل اي لاجل
اوقاتها اذ كل وقت يستحق بحسب قدرة الله وعلمه ان يكون فيه ما لا يكون في غيره وعلى النسخة الاخرى معنى تأجيلها جعل اوقاتها
اجالا لها لا تتقدم عليها ولا تتأخر عنها كما قال اذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون ومنه بقوله ولاءم بين مختلفاتها
على كمال قدرة الله تعالى وبيان ذلك في صورتين احديهما ان العناصر الاربع متضادة الكيفيات ثم انها اذا اجتمعت بقدرة الله تعالى
وعلى وفق حكمته حتى انكسرت سورة كل واحد منها بالاخر وهو المسمى بالتفاعل حصلت كيفية متوسطة بين الاضداد متشابهة وهي المزاج
فامتزاج اللطيف بالكثيف على ما بينهما من تضاد الكيفيات وغاية البعد بقدرة الناظم من اعظم الدلائل الدالة على كمالها الثانية
ان الملائمة بين الارواح اللطيفة والنفوس المجردة التي لا حاجة بها في قوامها في الوجود الى المادة اصلاً وبين هذه الابدان المظلمة الكثيفة
واختصاص كل نفس ببدن منها وتدبيره واستعماله فيما يعود اليهما من المصالح على انتظام الافضل الطرق الارشد مما يشهد بكمال
قدرته ولطيف حكمته وقوله وغرز غرائزها اشارة الى ركز القوى الجسمانية والنفسانية فيما هي قوى له وخلق كل ذي طبيعة على خلقه
ومقتضى قواه التي غرزت فيه من لوازمه وخواصه مثلا كقوة التعجب والضحك للانسان وقوة الشجاعة للاسد والجبن للارنب والمكر
للثعلب غير ذلك وعبر عن ايجادها فيها بالغرز وهو الركز استعارة لما يعقل من المشابهة بينها وبين العود الذي يركز في الارض من جهة المبدأ
ومن جهة الغاية وذلك ان الله سبحانه لما غرز هذه الغرائز في محالها واصولها وكانت الغاية من ذلك ما يحصل منها من الاثار والمواقف
لمصلحة العالم اشبه ذلك غرز الانسان العود في الارض لغاية ان يثمر ثمرة ينتفع بها وقوله والزمها اسناخها اشارة الى انها لا تفارق
اصولها ولا يمكن زوالها عنها لان اللازم هذا شانه ومن روى اشباحها ومن روى اشباحها بالشين المعجمة فالمراد ان ما غرز في الاشخاص
من اللوازم والغرائز لا تفارقها سواء كانت تلك الغرائز من لوازم الشخص كالذكاء والفطنة بالنسبة الى بعض الناس والبلادة والغفلة لاخر
او من لوازم الماهيات وطباعها لوجود الماهيات في اشخاصها هذا ان قلنا ان الضمير في قوله والزمها عائد الى الغرائز اما ان قلنا انه عائد
الى الاشياء كان المراد ان الله سبحانه لما اجال الاشياء لاوقاتها ولاءم بين مختلفاتها وغرز غرائزها في علمه وقضائه الزمها بعد كونها
كلية اشخاصها الجزئية التي وجدت فيها لا يقال ان لوازم الماهيات مقتضى الماهيات فكيف يمكن نسبة الزامها لاصولها الى قدرة الله تعالى
لانا نقول المستند الى مقتضى الملزوم ليس الا ماهيته لازمه واما وجوده له فبقدرة الله تعالى فيكون معنى الزامها لاصولها ايجادها في اصولها تبعاً لايجاد اصولها
على تقدير وجودها **قوله** عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها واحنائها **اقول** المنصوبات الثلاثة وهي
قوله عالما ومحيطا وعارفا منصوبة على الحال والعامل فيها الزمها اعمال اللازمة الاحوال الثلاثة مفترقة لشبهها عقيب الافعال الثلاثة
الاول اذ كانت صالحة لان تكون احوالا عنها والمراد في القضية الاولى اثبات الاحوال الاربعة له حال كونه عالما بالاشياء قبل ايجادها
حاضرة في علمه بالفعل كليها وجزئيها وفي القضية الثانية نسبة تلك الافعال اليه حال احاطة علمه بحدودها وحقائقها المميزة لبعضها
عن بعض وان كلا منه بحده وافق عنده وهو نهايته وغايته ويحتمل ان يريد بانتهائها انتهاء كل ممكن الى سببه وانتهاء الكل في سلسلة
الحاجة الى الله وفي القضية الثالثة نسبة الافعال الى قدرته حال علمه بما يقترن بالاشياء من لوازمها وعوارضها وعلمه بكل شيء يقترن
بشيء اخر على وجه التركيب والمجاورة كاقتران بعض العناصر ببعض في احيازها الطبيعية على الترتيب الطبيعي وعلمه باحنائها وجوانبها التي
بها منتهى ويتقارب غيرها وبيان هذه الاحكام له تعالى ببيان انه عالم بكل المعلومات من الكليات والجزئيات وذلك مما علم في العلم
الالهي فان قلت اطلاق اسم العارف على الله تعالى لا يجوز لقول النبي صلى الله عليه وآله ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة واجماع علماء
النقل على ان هذا الاسم ليس منها قلت لا نسلم ان اسماء الله تعالى منحصرة في التسعة والتسعين لوجهين احدهما قول النبي ص اسئلك بكل اسم سميت
به نفسك وانزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك واستأثرت به في علم الغيب عندك فان هذا صريح في انه استأثر ببعض الاسماء والثاني
انه ص قال في رمضان انه اسم من اسماء الله تعالى وكذلك كان الصحابة يقولون فلان اوتي الاسم الاعظم وكان ينسب الى بعض العلماء والانبياء
وذلك يدل على انه خارج من التسعة والتسعين فاذا كان كذلك كان تكل الكلام في قوله ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل
الجنة قضية واحدة معناها الاخبار بان من اسماء الله تعالى تسعة وتسعين من احصاها يدخل الجنة ويكون تخصيصها بالذكر لاختصاصها
بمزيد شرف لا يكون لباقي الاسماء وهي كونها مثلا جامعة لانواع من المعاني المنبئة عن الكمال بحيث لا يكون لغيرها الا ان يكون
لله تعالى اسم غيرها واذا كان كذلك جاز ان يكون العارف من تلك الاسماء لا يقال ان الاسم الاعظم غير داخل فيها لاشتهارها واختصاص
معرفته بالانبياء والاولياء واذا كان كذلك فكيف يصدق عليها انها اشرف الاسماء لانا نقول يحتمل ان يكون خارجا منها ويكون
شرفها حاصلا بالنسبة الى باقي الاسماء التي هي غيره ويحتمل ان يكون داخلا فيها الا انا لا نعرفه بعينه ويكون ما يختص به الانبياء والاولياء

في تنبيه اجمالي العالم الى قدرته تعالى

قوله ثم انشأ سبحانه فتق الاجواء الى قوله فسوى منه سبع سموات علا **اقول** لما اشار عليه السلام في الفصل المتقدم الى اوليته تعالى انما هو بتعيينه الى تنبيه خلق العالم الى قدرة الله تعالى على سبيل الاجمال شرع بعده في تفصيل الخلق وكيفية ايجاده والاشارة الى مبادئه وذلك حسن ابداعه ثم هيهنا وفي هذا الفصل ابحاث **البحث الاول** اعلم ان خلاصة ما يفهم من هذا الفصل ان الله قدر احيازا وامكنة اجرى فيها الماء الموصوف وخلق ريحا قويا على ضبطه وحفظه وحمله عليها وامرها بضبطه ويفهم من قوله الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق ان تلك الاحياز والامكنة تحتها وانها امرت بحفظه وضبطه لتوصله الى تلك الاحياز ويفهم منه ان تلك الاحياز للماء هي سطح الريح الحاوي له وان تحت تلك الريح فضاء آخر واسعا وهي محفوظة بقدرة الله تعالى وورد في الخبر ان الخالق سبحانه ضرب محالا آخر لاجل تموج ذلك الماء فارسلها وعقد مهبها اي ارسلها بمقدار مخصوص على وفق الحكمة والمصلحة التي اراد باجرائها ولم يرسلها مطلقا ومن روى بالتاء فالمراد انه اخلى مهبها عن العوائق او انه ارسلها بحيث لا يعرف مهبها وادام حركتها وملازمتها لتحريك الماء واعصف جريانها وابعد منشأها ثم سلطها على تموج ذلك الماء فلما عب عبابه وقذف بالزبد رفع تعالى ذلك الزبد في الفضاء وكون منه السموات العلى **البحث الثاني** ان هذه الاشارة وردت في القرآن الكريم فانه اشير فيه الى ان السموات تكونت عن الدخان كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان والمراد بخار الماء وكذا وردت في اقوال كثيرة اما ما روي عن الباقر محمد بن علي عليهما السلام قال لما اراد الله سبحانه وتعالى ان يخلق السماء امر الرياح فضربن البحر حتى ازبد فخرج من ذلك الموج والزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق الله منه السماء **ب** ما نقل انه جاء في السفر الاول من التورية ان مبدأ الخلق جوهر خلقه الله ثم نظر اليه نظر الهيبة فذابت اجزاؤه فصارت ماء فثار من الماء بخار كالدخان فخلق منه السموات وظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الارض ثم ارساها بالجبال وفي رواية اخرى فخلق منه ارض مكة ثم بسط الارض من تحت الكعبة ولذلك تسمى مكة ام القرى **ج** نقل عن كعب ما يقرب من ذلك قال ان الله خلق ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء كما قال تعالى وكان عرشه على الماء **د** ما نقل عن ثاليس الملطي وكان من مشاهير الحكماء القدماء فانه نقل عنه بعد ان وحد الصانع الاول للعالم ونزهه انه قال لكنه ابدع العنصر الذي فيه صور الموجودات والمعلومات كلها وسماه المبدع الاول ثم نقل عنه ان ذلك العنصر هو الماء وقال ان انواع الجواهر كلها من السماء والارض وما بينهما وهو علة كل مبدع وعلة كل مركب من العنصر الجسماني فذكر ان من جمود الماء تكونت الارض ومن انحلاله تكون الهواء ومن صفوته تكونت النار ومن الدخان والابخرة تكونت السماء وقيل انه اخذ ذلك من التورية **هـ** ما وجد في كتاب بلينوس الحكيم الذي سماه الجامع لعلل الاشياء قريبا من هذه الاشارة وذلك انه قال ان الخالق تبارك وتعالى كان قبل الخلق واراد ان يخلق الخلق فقال ليكن كذا وكذا فكان ما اراد بكلمته فاول الحادث كلمة الله المطاعة التي كانت بها الحركة ثم قال بعده ان اول ما حدث بعد كلام الله تعالى الفعل فدل بالفعل على الحركة ودل بالحركة على الحرارة ثم لما نقصت الحرارة جاء السكون عند فنائها فدل بالسكون على البرد ثم ذكر بعد ذلك ان طبايع العناصر الاربعة انما كانت من هاتين القوتين اعني الحر والبرد قال وذلك ان الحرارة حدث منها اللين ومن البرودة اليبس فكانت اربع قوى مفردات فامتزج بعضها ببعض فحدثت من امتزاجها الطبايع وكانت هذه الكيفيات قائمة بانفسها غير مركبة من امتزاج الحرارة واليبس حصلت النار ومن الرطوبة حدث الهواء ومن امتزاج البرد واليبس حصلت الارض ثم قال ان الحرارة لما حركت طبيعة الماء والارض تحرك الماء للطافته عن ثقل الارض فاثقلت ما اصابها من الحر فصار بخارا لطيفا هوائيا خفيفا روحانيا وهو اول دخان طلع من اسفل الماء وامتزج بالهواء فسما الى العلو لخفته ولطافته وبلغ الغاية في صعوده على قدر قوته ونفرته من الحرارة فكان منه الفلك الاعلى وهو فلك زحل ثم حركت النار الماء ايضا فطلع منه دخان هو اقل لطافة مما صعد اولا واضعف فلما صار بخارا وسما الى العلو عجز بجوهره ولطافته ولم يبلغ فلك زحل لعلة لطافته عما قبله فكان منه الفلك الثاني وهو فلك المشتري وهكذا بين في طلوع الدخان مرة مرة وتكون الافلاك الخمسة الباقية عنه فهذه الاشارات كلها منطبقة على ان الماء هو الاصل الذي تكونت عنه السموات والارض وذلك مطابق لكلامه عليه السلام **البحث الثالث** قوله وادام مربها قال القطب الراوندي اي ادام جمع الريح للماء وتسويتها له فلفظ المرب ذلك ان الماء لما كان مقر الريح الذي انتهت اليه عملت في تحريكه كان ذلك هو مربها اي الموضع الذي لزمته واقامت به فقوله وادام مربها اي ادام حركة الماء واضطرابه وتمخضه وهو محل ربابها ويحتمل ان يكون قد استعمل اسم الموضع استعمال المصدر والتقدير وادام ارباعها اي ملازمتها لتحريك الماء وايضا فيحتمل ان يكون قد شبهها في كونها سببا للاثار الخيرية ولكثرتها وقوتها بالديمة فكان تحتها محلها ومقرها الذي تصل اليه وتفيض فيه ادامه الله اي سقاه الله ديمة وقوله وابعد منشأها قال اي ابعد ارتفاعها قلت المنشأ محل النشور وهو الموضع الذي نشأ منه فلا يفهم منه الارتفاع اللهم الا على تقدير استعماله الموضع الانشاء استعمال المصدر اي بالغ بانشائها غاية بعيدة والاقرب انه تعالى يشير الى انها نشأت من مبدأ بعيد ولا يمكن الوقوف على قوله وهو قدرة الحق سبحانه وجوده وقوله وامرها فقال ركاي امر الموكلين بها من الملائكة بتصريف الماء وتعضيد بعضه بعضا وتحريكه كمخض اللبن للزبد والطلق الامر عليها مجازا

لان الحكيم

ثم بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى

لان الحكيم لا يامر الجماد قلت بل حمله على امر التوبيخ اولى لان في التفاسير الذي ذكروه يكون التجوز في لفظ الامر لعدم القول الخصوص هناك
فيحمل على تسخيرها وتمكينها وفي نسبته الى التوبيخ ايضا اذا اريد ملائكتها اما اذا حملناه على ظاهره كان التجوز في لفظ الامر فقط دون النسبة
فكان اولى وقوله بخص السفلى وعصفها بالفضاء اي مثل بخص السماء ومثل عصفها فحذف المضاف لانه هو صفة المصدر واقام
المضاف اليه مقامه فلذلك نصبه نصب المصدر واعلم ان اللام في قوله فسبعين للماء للعهد والسابق في قوله ماء منا ثم طار الان لما
ولحد ومثل هذا التكرار جائز في الكلام الفصيح كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فان قلت ان الاجواء
والارجاء وسكنات الهواء امور عدمية فكيف يصح نسبتها الى الايجاد عن القدرة قلت ان هذه الاشياء عبارة عن الخلاء
والاحياز والخلاف في ان الخلاء والحيز والمكان هل هي امور وجودية او عدمية مشهور فان كانت وجودية كانت نسبتها الى القدرة
ظاهرة ويكون معنى فتقها وشقها اشق العدم عنها كما مر في قوله فطر الخلائق بعد دثره وان كانت عدمية كان معنى فتقها وشقها
ونسبتها الى القدرة تقديرها وجعلها احيازا للماء وتقديرها لانه لما كان تمييزها عن مطلق الهواء والخلاء بايجاد الله فيها الماء
صار تعيينها كسبب قدرته تعالى فيصح نسبتها الى الايجاد فكانه سبحانه شقها وفتقها بحصول الجسم فيها ويؤيده ان نداوة هيئتها اما الخلفاء
في الهواء امخلوق ام لا فرجع بعض موالي الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام اليه ذلك وقال اني متحير وارى اصحابنا يختلفون فيه
فقال ليس هذا بخلاف يؤدي الى الكفر والضلال واعلم انه انما اعرض عن بيان ذلك لان اولياء الله الموكلين بايضاح سبيله
وتثبيت خلقه على صراطه المستقيم لا يلتفتون بالذات الا الى احد امرين احدهما ما يؤدي الى الهدى ظاهرا واضحا والثاني ما
يصرف عن الضلال ويرد الى سواء السبيل وبيان ان الهواء مخلوق او غير مخلوق لا يفيد كثير فائدة في امر المعاد فلا يكون الجهل
به مما يضر في ذلك فكان ترك بيانه والاشتغال بما هو اهم منه اولى **البحث الرابع** ان القرآن الكريم نطق بان السماء تكونت من
الدخان وكلامه ناطق بانها تكونت من الزبد وما ورد في الخبر ان ذلك الزبد هو الذي تكونت منه الارض فلا بد من بيان وجه الجمع
بين هذه الاشارات فنقول وجه الجمع بين كلامه وبين لفظ القرآن الكريم ما ذكره الباقر وهو قوله فخرج من ذلك الموج و
الزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق منه السماء ولا شك ان القرآن الكريم لا يريد بلفظ الدخان حقيقته لان ذلك
انما يكون عن النار واتفق المفسرون على ان هذا الدخان لم يكن عن نار بل عن تنفس الماء وتبخيره بسبب تموجه فهو اذن استعارة للبخار
الصاعد من الماء واذا كان كذلك فنقول ان كلامه مطابق للفظ القرآن الكريم وذلك ان الزبد بخار يتصاعد على وجه الماء عن حرارة
حركته الا انه ما دامت الكثافة غالبة عليه وهو باق على وجه الماء لم ينفصل فانه يخص باسم الزبد وما لطف وغلبت عليه الاجزاء
الهوائية فانفصل خص باسم البخار واذا كان الزبد بخارا والبخار هو المراد بالدخان في القرآن الكريم كان مقصده ومقصد القرآن
واحدا فكان البخار المنفصل هو الذي تكونت عنه السماء والارض هو الزبد واما وجه المشابهة بين الدخان والبخار الذي صحح لتجليه
استعارة لفظه فهو امران احدهما حسي وهو الصورة المشاهدة من الدخان والبخار حتى لا يكاد يفرق بينهما في الحس البصري والثاني
معنوي وهو كون البخار اجزاء مائية خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حرارة الحركة كما ان الدخان كذلك لكن عن حرارة النار فان الدخان
ايضا اجزاء مائية انفصلت من جرم المحترق بسبب لطافتها عن حرارة النار فكان الاختلاف بينهما ليس الا بالسبب فلذلك صح استعارة اسم
احدهما للآخر وبالله التوفيق **البحث الخامس** قال المتكلمون ان هذه الظواهر من القرآن وكلام علي لما دلت على ما دلت عليه من كون
الماء اصلا تكونت عنه السموات والارض وغير ذلك وثبت ان الترتيب المذكور في المخلوقات امر ممكن في نفسه وثبت ان الباري تعالى
فاعل مختار قادر على جميع الممكنات ثم لم يقم عندنا دليل عقلي يمنع من اجراء هذه الظواهر على ما دلت عليه بنا ظاهرا وجب علينا القول
بمقتضى تلك الظواهر ولا حاجة بنا الى التاويل لا يقال ان جمهور المتكلمين يتفقون على اثبات الجوهر الفرد وان الاجسام مركبة عنه
فبعضهم يقول ان الجواهر كانت ثابتة في عدمها والفاعل المختار اكسبها صفة التاليف والوجود وبعضهم وان منع ثبوتها في العدم
الا انه يقول ان الله تعالى اوجد اولا تلك الجواهر ثم يؤلف بينها فيوجد منها الاجسام فكيف يقال ان السموات والارض تكونت من الماء
لانا نقول هذا غلط لانه يجوز ان يخلق الله تعالى اولا الاجسام من تلك الجواهر ثم تكون باقي الاجسام عن الاجسام الاول واما الحكماء فلما لم
يكن الترتيب الذي اقتضته هذه الظواهر في تكوين الاجسام موافقا لمقتضى ادلتهم لتأخر وجود العناصر عندهم عن وجود السموات لاجرم
عدل بعضهم الى تاويلها توفيقا بينها وبين مقتضى ادلتهم وذكروا من التاويل وجهين **الوجه الاول** قالوا العالم عالمان عالم الربوبية
عالم الامر وهو عالم الملائكة الروحانية والمجردات وعالم الربوبية عالم الخلق وهو عالم الجسمانية وعلى ذلك حملوا قوله تعالى الا له الخلق والامر
قالوا ما في الوجود في عالم الجسمانية الاولى نسبته الى عالم الروحانية وهو مثال له بوجه ما ولولا ذلك لانسد الترقي الى العالم الروحاني
وتعذر السفر الى الحضرة الالهية ثم كان من بحثهم ان يثبتوا ان قدرة الله سبحانه ترجع الى كون ذاته عالمة بالكل علما هو مبدأ الكل منه
بالذات غير ماخوذة عن شيء ولا متوقفة على وجود شيء ثم لما دل تحليلهم على ان نسبة صدور عالم الامر عنه في الوجود واسبق نسبته الى

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته

قد ذره المبدع الاول من عالم الخلق انه كان صدور عالم الخلق عنها امرا ثانيا متاخرا عنه فعند ذلك قالوا ان الذي اشار اليه ههنا موافق
لما اصلناه ومناسب له ذلك انه اشار بالاجواء والارجاء وسكايك الهواء الى سلسلة وجود الملائكة المسماة بالعقول الفعالة على
مراتبها متنازلة وبانشائها الى ايجادها وبفتقها وشقها الى وجودها وبالماء المتلاطم المتراكم الى الكمالات التي وجب عنه سبحانه و
باجرائها فيها الى اعقابها افاضته على كل واحد منها ما استحقه بواسطة ما قبله وبالريح العاصف الى الامر الاول الذي اشرنا اليه عن القلم
فاما وجه المناسبة بين هذه الامور وبين ما ذكره فاما في التعبير عن العقول بالارجاء والاجواء والسكايك فمن جهة انها قابلة للفيض
والكمالات عن مبدئها الاول كما ان الارجاء والاجواء وسكايك الهواء قابلة للماء عما يجري عنه من سحاب وينبوع واما في تشبيه الفيض بالماء
فلانه لما لم يكن بحيث يتوقف الا على تمام القابل بحيث وجد سال بطبعه اليه كذلك الفيض الالهي لا يتوقف صدوره عن واهبه الا على تمام القابل
لكون الفاعلية تامة الفاعلية في ذاته ولان الماء لما كان به قوام كل حي جسماني في عالم الكون كذلك الفيض الالهي هو مبدأ قوام كل موجود
قالوا ومثل هذا التشبيه جاء في القران الكريم قال جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس رضه في قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها
ان المراد بالماء هو العلم وبالاودية قلوب العباد وبانزاله افاضته على القلوب بقوله فسالت اودية بقدرها ان كل قلب منها يصل اليه
مقدار ما يستحقه ويقبله قالوا وذلك ان الله سبحانه انزل من سماء الكبرياء والجلالة والاحسان ماء بيان القران وعلومه على قلوب
العباد لان القلوب يستقر فيها انوار علوم القران كما ان الاودية يستقر فيها المياه النازلة من السماء وكما ان كل واد فانما يحصل منه من
الامطار ما يليق بسعته وضيقه فكذلك ههنا كل قلب انما يحصل فيه من انوار علم القران ما يليق بذلك القلب من طهارته وخبثه
وقوة فهمه وقصوره وتمام التشبيه محله انه مذكور في التفاسير واما تشبيه الامر الاول بالريح العاصفة فلان وقوعه لما كان دفعة غير
منسوب الى زمان يتوقف عليه كان انسب ما يشبه به من الاجسام في السرعة والنفوذ هو الريح العاصف لكونها اسرع الاجسام
حركة ولذلك كثيرا ما يوصف العاصف بغير الريح المسرعة التامة وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ويوصف بالزعزع والقاصف تحقيقا للقوة التامة
والشدة الشديدة وتامة لها وتسليطها على شدة فلانه لما صوت بها يصوت الريح ساغ ان يقال انه امرها وهو عبارة عن نسبة
ذلك الامر الى ذاته بنعم النسبة التي تحدثها عقولنا الضعيفة وقايت الرد والشد وفيهنا ضبط امره سبحانه على وفق حكمته الكمالات
الفائضة عنه على كل موجود ووقوفه بحسب نفعه المستلزم لرده عمن ليس له ذلك الكمال المعين واما قربها الى حده فاشارة الى حافظ امره
سبحانه بما لتلك القوابل من الكمالات الفائضة واشتماله عليها وقوله الهواء من تحتها فتيق اشارة الى قبول القوابل المذكورة والماء من
فوقها دفيق اشارة الى ما يحمله امر الله من الفيض المذكور ويلقيه على تلك القوابل كل ذلك بترتيب على لا زمان فالحقه فيعقل فيه
التراخي واما الريح الثانية فاشار بها الى الامر الثاني ووصفها باعتقام مهبها اشارة الى عقد ذلك الامر وابقاءه على وفق الحكمة الالهية
والى عدم المانع له بان ذلك الامر وبادامة مربها الى افاضته مقارن ذلك الامر وكانه شبه الفيض الصادر بهذا الامر على هيوليات الاجسام الفلكية
بالدنيه الحاصلة على الاماكن التي يجتمع بها ويقيم او ارادات المحال القابلة لذلك الامر المستلزم صلاحيته باقية واشار بعصف جريها الى عنه
ذلك الامر كما وصف به الريح الاولى وبعيد منشاها الى علو اوليته مبدائه وبامره لهذه الريح الى نسبة ذلك الامر الى ذاته كما مر وبصفق
الماء الزخار واثارة امواج البحار الى نسبة فيضان صور الافلاك وكمالاتها الى امره سبحانه بواسطة تلك الكمالات الفعلية للملائكة ولانها
عن مستقلة بايجاد شيء بل هي شرائط بعضها لبعض ولغيرها وبالبحار الى تلك الملائكة وبمخضها له محض السقاء وعصفها به كعصفها
بالفضاء وترديد بعضه على بعض والى قوة امر الله عليها وتصريفها على حسب علمه بنظام الكل وتقدير ما لكل فلك من الكمالات في ذات
كل مبدأ من تلك المبادي وقوله حتى عب عبابه اشارة الى بلوغ كمالات تلك الملائكة الحاصلة لها بالفعل عن امر الله الى ان بلغت
يعطي بواسطتها الفيض لغيرها وكذلك قوله ورمى بالزبد ركامه اشارة الى اعطاء صور الافلاك وكمالاتها بواسطتها ولما كانت صور
الافلاك محتاجة في قيامها في الوجود الى الهيولى كانت نسبتها الى الملائكة المجردة نسبة الاخس الى الاشرف فبالحري ان اطلق عليها اسم الزبد
ولان هذه الصور حاصلة من تلك الكمالات العقلية وفائضة عنها كما ان الزبد منفصل عن الماء ويكون عنه فتشابها واما رفعه في هواء
منفتق وجو منفهق فاشارة الى الحاق صور الافلاك بموادها المستعدة او الى تخصيص وجودات الافلاك باحيازها ورفعها اليها وقوله
فسوى منه سبع سموات اشارة الى كمال الافلاك بما هي عليه من الوضع والتعديل والترتيب واما تخصيصه بالسبع فلان الفلكين الباقيين
في الشريعة معروفان باسمين اخرين وهما العرش والكرسي ثم قالوا والى هذا اشار الحكماء السابقون ايضا فان مرادنا ليس الملقي بالعنصر الاول
هو المبدع الاول وكونه هو الماء لان المبدع الاول واسطة في باقي الموجودات وفيه صورها وعنه تفاض كما انه كان بالماء قوام كل
حي عنصري وبواسطته تكون وكذلك سر ما جاء في التورية فان المراد بالجوهر المخلوق لله اولا هو المبدع الاول وكونه بعد نظر
الهيبة وذوبانه لجزائه اشارة الى صدور الفيض عنه بامر الله سبحانه وقد ذوبه والزبد الذي تكونت منه الارض والدخان الذي
تكونت منه السموات الى اشارة الى كمالات السموات والارض وصورها الصادر عن كمالات عللها اصعد ... والزبد عن الماء وكل

[illegible] ولحده

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى

هذه تجوزات واستعارات يلاحظ فيها وجه حسنها قرب المناسبة وبعدها **الوجه الثاني** قالوا يحتمل ان يكون مراده بالريح الاولى هو العقل الاول فانه الحامل للفيض الالهي الى ما ابدعه وهو المحيط بصور الموجودات ويؤيد ذلك قوله الهواء من تحتها فيتق والماء من فوقها حيث فان الهواء اشارة الى القوابل بعده وبواسطته والماء اشارة الى الفيض الصادر عن الاول سبحانه فان الذي فوق ما كان مستلزما لسرعة حركة الماء وجريانه عبر به عن الفيض الذي لا توقف فيه والريح الثانية عن العقل الثاني فانه هو الواسطة في افاضته انوار الله سبحانه على ما بعده من العقول التي بواسطتها تصور السموات السبع ووصف الريحين بالعصف والقصف الى المحض هيئت المبادئين من القدرة وامر بالريح الثانية بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار اشارة الى تحريك العقل الثاني للعقول التي بعده الى افاضة كمالات الافلاك بامر الله تعالى وباقي التاويل كما في التاويل الاول **قوله** جعل سفلاهن موجا مكفوفا الى قوله وسقف سائر وزينها **اقول** ههنا ابحاث **البحث الاول** هذا الكلام يجري مجرى الشرح والتفسير لقوله فسوى لان التسوية عبارة عن التعديل والوضع والهيئة التي عليها السموات ايضا بين والغرض بهذا التفصيل تنبيه الاذهان الغافلة عن حكمة الصانع سبحانه في ملكوت السموات وبدائع صنعه وضروب نعمه ليتذكروا نعمة ربهم فيواظبوا على عبادته وحمده على تمام ذلك الاحسان كما قال تعالى لتذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فان كل هذه نعم على العباد وهي وان كان فيها ما يبعد عن الاذهان الضعيفة كونه نعمة على العباد كحركات السموات مثلا فانه لحسبان كثيرا من الغافلين يقولون وما فائدة حركة السماء في حقنا لكنه اذا انبهت اذهانهم لذلك علمت انه لولا تلك الحركة لم يحصل شيء من المركبات في هذا العالم اصلا فلم يكن العبد في نفسه فضلا عما يجري عليه من النعم الخارجة عنه الان تلك الحركة قد تستلزم نعما هي اقرب الى العبد من غيرها كالاستضاءة بنور الكواكب والاهتداء بها في ظلمات البر والبحر واعدادها الابدان للصحة ونحو ذلك وقد يستلزم نعما اخرى الى ان يصل بالعبد كاعدادها الارض مثلا لحصول المركبات التي منها قوام حيوة العبد واعلم ان الله سبحانه ذكر امر السموات في كتابه في مواضع كثيرة ولا شك ان اكثار من ذكرها دليل عظم شانها وعلى ان له سبحانه فيها اسرارا لا تصل اليها عقول البشر اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله وعليا هن سقفا محفوظا كقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم وقوله وحفظا من كل شيطان مارد وقوله رفع سمكها فسويها بغير عمد تدعمها ولا دسار ينتظمها كقوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها وقوله ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وقوله ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وقوله فاجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا كقوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا **البحث الثاني** في هذا الفصل استعارات الاولى قوله جعل سفلاهن موجا مكفوفا استعار لفظ الموج للسماء لما بينهما من المشابهة في العلو والارتفاع وما يتوهم من اللون وقال بعض الشارحين اراد انها كانت في الاول موجا ثم عقدها وكفها اي منعها من السقوط الثانية قوله سقفا محفوظا استعارة لفظ السقف من البيت للسماء في الاصل لما بينهما من المشابهة في الارتفاع والاحاطة ثم كثر ذلك الاستعمال حتى صار اسما من اسماء السماء ويحتمل ان لا يكون منقولا واراد بقوله محفوظا اي من الشياطين قال ابن عباس رض كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويخبرون اخبارها فلما ولد عيسى ع منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلعم منعوا من السموات كلها فما منهم احد استرق السمع الا رمي بشهاب فذلك معنى قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين وستسمع سر ذلك انشاء الله تعالى **قوله** بغير عمد تدعمها ولا دسار ينتظمها **اقول** لما كان مقتضى قدرة العبد وغايتها اذا تمكن من بناء بيت وانشاء سقف ان لا يتم من اساطين وعمد يقوم عليها ذلك السقف وروابط تشد بعضه الى بعض وكانت قدرة الحق سبحانه وتعالى اجل واعلى من الحاجة الى مثال ذلك اراد ان يشير الى عظمته سبحانه وقوة قهره بسلب صفات المخلوقين عنه وشرائطها آثارهم عن قدرته والمعنى ان هذه الاجرام العظيمة بقيت واقفة في الجو العالي ويستحيل ان يكون وقوفها هنا لذاتها لان الاجسام متساوية في الجسمية فلو وجب حصول جسم في حيز لوجب حصول كل جسم في ذلك الحيز ولان الاحياز والخلاء متشابه فلا اختصاص فيه لموضع دون اخر ولا يجوز ان يقال انها معلقة بجسم اخر والا لكان الكلام في وقوف ذلك الجسم في الجو كالكلام في الاول ويلزم التسلسل فلم يبق الا ان يقال ان وقوفها بقدرة الصانع الحكيم القادر المختار وان قلت قوله تعالى بغير عمد ترونها يفهم منه ان هنا لك عمدا ولكنها غير مرئية لنا وذلك ينافي سلبه عليه السلم للعمد مطلقا قلت الجواب عنه من وجوه **احدها** انه يحتمل ان يكون قوله ترونها كلاما مستانفا والتقدير بغير عمد وانتم ترونها كذلك **الثاني** يحتمل ان يكون في الكلام تقديم وتاخير كما نقل عن الحسن البصري انه قال التقدير ترونها بغير عمد **الثالث** وهو الالطف ما ذكره الامام فخر الدين ره فقال ان العماد هو ما يعتمد عليه السموات معتمدة وقائمة على قدرة الله تعالى فكانت هي العمد التي لا ترى فذلك لا ينافي كلامه ع **الرابع** وهو الاحق ما ذكرته وهو انه قد ثبت في اصول الفقه ان تخصيص الشيء بحكم لا يدل على نفي حكم غيره بخلاف ذلك الحكم فتخصيص العمد المرئية للسموات بالسلب لا يستلزم ثبوت العمد غير المرئية لها التالية

اشاره مى

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى

الثواقب استعارة في الاصل للشهب عن الاجسام التي تثقب جسما آخر وينفذ فيه ووجه المشابهة التي لاجلها سمي الشهاب ثاقبا انه
يثقب بنوره الهواء كما يثقب جسم جسما لكنه لكثرة الاستعمال فيه صار كالحقيقة او قريبا منها الرابعة قوله سراجا مستطيرا شعاعا
للشمس ووجه المشابهة ان السراج الضوئي المستطير لما كان من شأنه ان يضيء ما حوله وينتشر في جميع نواحي البيت ويهتدي به
من الظلمة كذلك الشمس مضيئة لهذا العالم ويهتدي بها المتصرف فيه الخامسة قوله رقيم استعارة اصلية للفلك تشبيها له
باللوح المرقوم فيه ثم كثر استعمال هذا اللفظ في الفلك حتى صار اسما من اسمائه **البحث الثالث** اعلم ان هذه الاستعارات تستلزم
ملاحظة اخرى وهو تشبيه هذا العالم بأسره ببيت واحد فالسماء كقبة خضراء نصبت على الارض وجعلت سقفا محفوظا
محجوبا عن ان تصل اليه مردة الشياطين كما يحمى عرف البيت بالسهام والحراب عن مردة اللصوص ثم هو مع غاية علوه وارتفاعه
غير محمول بعمد ولا منظوم بدسائس بل بقدرة صانعه ومبدعه ثم ان القبة منه تزينت بالكواكب وضيائها الذي هو
احسن الزينة واكملها فلو لم يحصل صور الكواكب في الفلك لبقي سطحها مظلما فلما خلق الله تعالى هذه الكواكب المشرقة في سطح الاجرام
استنارت وازدانت بذلك النور والضوء كما قال ابن عباس في قوله بزينة الكواكب اي بضوءها وانت اذا تأملت هذه الكواكب المشرقة
المضيئة في سطح الفلك وجدتها عند النظر اليها كجواهر مرصوصة في سطح من زبرجد على ابدع صناع اقتضتها الحكمة او كما قال و
كأن اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط ازرق ثم جعل من جملتها كوكبين هما اعظم الكواكب جرما واشدها اشراقا ولمعانها
ضياء مع اشتمالها على تمام الحسن والزينة جعل احدهما ضياء للنهار والآخر ضياء لليل ثم لم يجعل ذلك السقف ساكنا بل جعله
متحركا ليكون اثر صنعه فيه اظهر وصنع حكمته فيه ابدع لم يجعل ذلك السقف طبقا واحدا بل طباقا اسكن في كل طبق ملأ من
جنوده وخواص ملكه الذين ضربت بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة فلا يستطيع احد ان ينظر اليهم فضلا عن ان
يتشبه بالكمال وخالقهم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا هذا هو الحكمة الظاهرة التي بينته لها من له ادنى فطنة لحصل
منها غير شاملة لاصناف الخلق بحيث اذا لاحظوا مع جزئي من جزئيات آثار هذه القدرة اي لو كان استعظم واستحسن من راى
ملك فرض من ملوك الدنيا لم يكن فيها من المناسبة الاحيا الضعيف فاني خاف اي ملك فرض اذا اهتم بوضع بنيان وبالغ في تحسينه
فتزوق سقوفه وترصيعها بانواع الجواهر وتزيينه بالاوضاع المعجبة لابناء نوعه وبذل فيه جهده واستفرغ فيه فكره لم يكن
غايته الا ان يحفظ مما عمله نسبة خفيفة ليتم بعيدة الى لحظ هذا الصنع العجيب والترتيب اللطيف هذا مع ما اشتمل عليه من الحكم الخفية
والاسرار الالهية التي تعجز القوى البشرية عن ادراكها ويحتاج فيما لاح منها الى لطف في بحثه وتوقف ذهن فسبحان الذي بيده
ملكوت كل شيء واليه ترجعون فانظر ايها المسترشد بعين بصيرتك المناسبة بين بيتك الذي تبنيه وهذا البيت العظيم ونسبة
سراجك الى سراجه ونسبتك الى نسبته ثم لاحظ مع ذلك انما خلقت لك ولابناء نوعك ليكون فيه وفيه قوام حياتكم و
وجودكم ولتستدلوا بملكوت ما خلق على كمال قدرته وحكمته لترجعوا بذلك الى حضرته طاهرين من الرجس متشبهين به كان
سقف هذا البيت وعرشه كان له حاجة اليه فانه الغني المطلق الذي لا حاجة به الى شيء والعجب من الانسان انه ربما راى خطا حسنا
او نقشا على حائط فلا يزال يتعجب من حسنه ومن حذق صانعه ثم يرى هذا الصنع العجيب والابداع اللطيف فلا يدهشه عظمة صانعه
وقدرته ولا يحيره جلال مبدعه وحكمته **البحث الرابع** الشرع والبرهان قد تطابقا على ان هاهنا تسع افلاك بعضها فوق بعض
فيها سبع سموات ثم الكرسي والعرش بعبارة الناموس الالهي ثم اكثرها تشتمل على الكواكب وهي اجرام نورانية مستديرة مصمتة مركوزة
في اجرام الافلاك فاول الافلاك مما يلينا ليس فيه من الكواكب الا القمر وليس في الثاني الا عطارد وليس في الثالث الا الزهرة و
ليس في الرابع الا الشمس وليس في الخامس الا المريخ وليس في السادس الا المشتري وليس في السابع الا زحل وهذه هي المسماة بالكواكب
السبعة السيارة وما سواها من الكواكب فيشتمل عليها الفلك الثامن واما التاسع فخال عن الكواكب وان كان فليس يعلم لنا
ثم قد دل البرهان على ان الافلاك هي المتحركة بما فيها من الكواكب وان تلك الحركة دورية وكان كلامه مطابقا لذلك حيث
قال في ملك دائر وسقف سائر وفيهم مائر اذا عرفت ذلك فاعلم ان الله سبحانه خلق الموجودات كلها على اتم انحاء الوجود وكمله
فجميع الموجودات من الافلاك ومقاديرها واعدادها وحركاتها المختلفة وهيئاتها وهيئة الارض وما عليها من حيوان ونبات ومعدن
ونحوه انما وجد على الوجه الذي وجد عليه لحصول النظام الكلي للعالم ولو كان بخلاف ما عليه لكان شرا ونقصا فخلق
الافلاك والكواكب وما هي عليه من الحركات والاوضاع وجعلها اسبابا لحدوث الحوادث في عالم الكون والفساد بواسطة
كيفيات تحدث بها فيها من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة يوجب ذلك امتزاج بعضها ببعض لامتزاجات مختلفة مستعدة لقبول
صور مختلفة من حيوان ونبات ومعدن واظهر الكواكب تاثيرا هو الشمس والقمر فان بحركة الشمس اليومية يحصل النهار
والليل فالنهار يكون زمان طلوعها يكون زمان التكسب والطلب للمعاش الذي به يحصل قوام الحيوة ويكون سببا الى الشغل

في مباحث تتعلق بأحوال العالم العلوي

الاخرونة ثم انها في مدة حركتها اليومية لا تزال تدور فتغشي جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب فتعطي كل جهة من الجهات
حظا من الاشراق والاستعدادية واما الليل فهو زمان غروبها فان فيه هدوء الخلق وقرارهم الذي به تحصل الراحة وانبعاث
القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء كما قال تعالى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا وجعلنا
الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ثم كانت الشمس من جهة ضوئها كسراج يرتفع لاهل كل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع
مضادة النور والظلمة على تضادهما منتظاهرين على ما فيه مصلحة هذا العالم واما بحسب حركتها الجنوبية والشمالية فقد جعل
سبحانه ذلك سببا لاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة والنبات فيتولد منها مواد الثمار ويكثر السحاب والامطار
ويقوى ابدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع تتحرك الطبايع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع
النبات وينور الشجر ويهيج الحيوان للفساد وفي الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار وتنحل فضول الابدان ويجف وجه الارض
ويتهيأ للبناء والعمارة وفي الخريف يظهر اليبس والبرد فينتقل فيه الابدان على التدريج الى الشتاء فانه لو وقع الانتقال دفعة
لهلكت وفسدت واما القمر فان بحركته تحصل الشهور والاعوام كما قال سبحانه ولتعلموا عدد السنين والحساب فيتمكن العباد بالحساب
من ترتيب معاشه بالزراعة والحراثة واعداد مهمات الشتاء والصيف وباختلاف حاله في زيادته ونقصانه يختلف احوال
الرطوبات في هذا العالم فلو انه سبحانه خلق الافلاك دون الكواكب لكانت خلقتها مظلمة لم يحصل ما ذكرنا من اختلاف الفصول
والحر والبرد فلم يتم في هذا العالم ما كانت اسبابا فيه من الاستعدادات ولم يتميز لها فصل عن فصل كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم
يهتدون وقوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وان خلقها مضيئة تتشابه اثرها في الامكنة والازمنة
بل خلق فيها الكواكب ولم يخلقها ساكنة والا لافرط اثرها في موضع بعينه فيفسد استعداده ويخلو موضع آخر عن التأثيرات ولما
تميزت فصول السنة ولما حصل البرد المحتاج اليه والحر المحتاج اليه فلم يتم نشو النبات والحيوان وعلى الجملة فالنظام الكلي لا
يحصل الا بهذا الوضع فهو اكمل انحاء الوجود وكل ذلك يدل على كمال رحمة الله بخلقه وشمول عنايته لهم اذ كان جميع ما ذكرنا
من المنافع الحاصلة في هذا العالم مستندا الى علويته بتدبيره وكمال حكمته كما قال تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم
الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار لا يقال السؤال على ما ذكرتم من
وجهين احدهما ان الترتيب الذي ذكرتموه في تخصيص كل فلك ببعض الكواكب يشكل بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة
الكواكب وقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح الثاني ان الشهب الثواقب التي جعلت رجوما للشياطين على ما نطق
به القرآن الكريم اما ان يكون من الكواكب التي زينت بها السماء او لا تكون والاول باطل لان هذه الشهب تبطل بالانقضاض
وتضمحل فكان يلزم من ذلك على مرور الزمان فناء الكواكب ونقصان اعدادها ومعلوم انه لم يوجد ذلك النقصان البتة
والثاني انه يشكل بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فانه نص على كون الشهب التي جعلت
رجوما للشياطين هي تلك المصابيح والكواكب التي زينت بها السماء لانا نجيب عن الاول بانه لا تنافي بين ظاهر الآية وبين ما ذكرنا
وذكرناه وذلك لان السماء الدنيا لما كانت لا تحجب ضوء الكواكب وكانت اوهام الخلق حاكمة عند النظر الى السماء ومشاهدة هذه
الكواكب بكونها مزينة بها لا جرم صح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب لان التزيين بها انما هو بالنسبة الى اوهام الخلق
للسماء الدنيا وعن الثاني انا نقول هذه الشهب غير تلك الثوابت الباقية فاما قوله وزينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين فنقول كل مضيء حصل في الجو العالي وفي السماء فهو مصباح لاهل الارض الا ان تلك المصابيح منها باقية على طول الزمان
وهو الثوابت ومنها متغيرة وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين ويصدق عليها انها زينة للسماء ايضا
بالنسبة الى اوهامنا وبالله التوفيق **قوله** ثم فتق ما بين السموات العلى الى قوله ولا يشعرون اليه بالنظر وفيه ابحاث **البحث**
الاول هذا الفصل يتضمن تمام التفسير لقوله فسواهن سبع سموات اذ كان ما اشار اليه ههنا من فتق السموات الى طبقاتها و
اسكان كل طبقة منها ملأ معينا من ملائكته هو من تمام التسوية والتعديل للعالم السموات فان قلت لم اخر ذكر فتق السموات و
اسكان الملائكة لها عن ذكر اجراء الشمس والقمر فيها وتزيينها بالكواكب ومعلوم ان فتقها متقدم على اختصاص بعضها ببعض
الكواكب قلت لان اشارته الى تسوية السموات اشارة جملية فكانه قدر اولا ان خلق السموات كرة واحدة كما عليه بعض المفسرين
لقوله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا ثم ذكر علياهن وسفلاهن تجريا بهما مجرى السطحين الداخل والخارج لتلك الكرة ثم اشار
الى بعض كمالاتها وهي الكواكب والشمس والقمر جملة ثم بعد ذلك اراد التفصيل فاشار الى تفصيلها وتمييز بعضها عن بعض
بالفتق واسكان كل واحدة منهن ملأ معينا من الملائكة ثم عقب ذلك بتفصيل الملائكة ولا شك ان تقديم الاجمال على الذكر
وتعقيبه بالتفصيل اولى في الفصاحة والبلاغة في الخطابة من العكس اذا عرفت ذلك فنقول قوله ثم فتق ما بين السموات العلى

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى

كقوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وقوله فيلائهن اطوارا من ملائكته منهم سجود لا يركعون كقوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض وقوله وله يسجدون ونحوه وقوله وصافون لا يزايلون كقوله تعالى وانا لنحن الصافون والصافات صفا وقوله ومسبحون لا يسأمون كقوله تعالى يسبحون الليل والنهار وقوله ولا فترة الابدان كقوله تعالى لا يفترون وقوله ومنهم امناء على وحيه كقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقوله والسنة الى رسله كقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا وقوله مختلفون بقضائه وامره كقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقوله تعالى ينزل الملائكة والروح فيها من امره على من يشاء من عباده وقوله ومنهم الحفظة لعباده كقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله وان عليكم لحافظين وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقوله والسدنة لابواب جنانه كقوله تعالى وقال لهم خزنتها وقوله ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم كقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وقوله باجنحتهم كقوله تعالى اولي اجنحة **البحث الثاني** اعلم ان للناس في تفسير قوله اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما اقوالا **احدها** قال ابن عباس والضحاك وعطاء وقتادة ان السماء والارض كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء **الثاني** قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطها ففتحها بها **الثالث** قال مجاهد والسدي كانت السموات طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع سموات وكذلك الارض **الرابع** قال عكرمة وعطية وابن عباس برواية اخرى عنه ان معنى كون السماء رتقا انها كانت لا تمطر وكانت الارض رتقا اي لا تنبت نباتا ففتق الله السماء بالمطر والارض بالنبات ويؤيد ذلك قوله تعالى بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شيء حي ونظيره قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وقوله والارض ذات الصدع وقوله تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا الآية **الخامس** قال بعض الفضلاء ان معنى قوله كانتا رتقا اي كانتا امورا كلية في علم الله تعالى وفي اللوح المحفوظ وقوله ففتقناهما اشارة الى تشخصاتهما في الوجود الخارجي وتميز بعضها عن بعض وهذا القول مناسب للاقوال الثلثة الاول ويصح تحقيقها ويحمل الريح التي ذكرها كعب على امر الله تعالى اشتغالا بينهما من المشابهة البرزخية **السادس** قال بعضهم ان معنى الرتق في هذه الآية هو انطباق دائرة معدل النهار على منطقة البروج ثم ان الفتق بعد ذلك عبارة عن ظهور الميل قالوا وهذا يناسب لتلك قول ابن عباس وعكرمة فانهم لما قالوا ان معنى كون السماء رتقا انها لا تمطر ومعنى كون الارض رتقا انها لا تنبت كان الفتق والرتق بالمعنى الذي ذكرناه اشارة الى سببه ما ذكروه اذ انطباق الدائرتين وهو الرتق يوجب خراب العالم السفلي وعدم المطر وظهور الميل الذي هو الفتق يوجب وجود الفصول وظهور المطر والنبات وساير انواع المركبات اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله ثم فتق ما بين السموات لعله موافق للاقوال الثلثة الاول مع القول الخامس والتحقيق بها يليق واما القول السادس فهو بعيد المناسبة لقوله وبيان ذلك ان قوله ثم فتق ما بين السموات العلى انما هو في معرض بيان كيفية تخليق العالم الاعلى ولذلك اردفه وعقبه بالفاء في قوله فملأهن اطوارا من ملائكته والرتق والفتق في هذا القول متأخر عن كمال الاجرام العلوية بما يحدث فيها وما يتعلق بها ولا يقبل تقدم ظهور الميل بوجه ما على وجود الملائكة السماوية واسكانها اطباق السموات وبالله التوفيق **البحث الثالث** الملائكة على انواع كثيرة ومراتب متفاوتة فالمرتبة الاولى الملائكة المقربون كما قال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون **الثانية** الملائكة الحاملون للعرش كقوله الذين يحملون العرش وقوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية **الثالثة** الحافون حول العرش كما قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش وقوله ومن حوله **الرابعة** ملائكة السموات والكرسي **الخامسة** ملائكة العناصر **السادسة** الملائكة الموكلون بالمركبات من المعدن والنبات والحيوان **السابعة** ملائكة الحفظة الكرام الكاتبين كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ويدخل فيهم المعقبات المشار اليه بقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله **الثامنة** ملائكة الجنة وخزنتها كما قال تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم **التاسعة** ملائكة النار كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد وقال عليها تسعة عشر وقال وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اذا عرفت ذلك فنقول اتفق الكل على ان الملائكة ليس عبارة عن اشخاص جسمانية كثيفة تجيء وتذهب كالناس والبهائم بل القول المحصل فيها قولان الاول هو قول المتكلمين انها اجسام نورانية الهية خيرة سعيدة قادرة على التصرفات السريعة والافعال الشاقة ذوات عقول وافهام وبعضها اقرب عند الله من البعض واكمل درجة كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم والقول الثاني قول غيرهم وهي انها ليست باجسام لكن منها ما هو مجرد عن الجسمية وعن تدبير الاجسام ومنها من له الامرية لنا الكتاب ومنها ليس بمجرد بل جسماني حال في الاجسام وقائم بها ولهم في تنزيل المراتب المذكورة على قولهم تفصيل اما المقربون فاشارة الى الذوات المقدسة عن الجسمية والجهة وعن حاجتها الى القيام بها وعن تدبيرها واما حملة العرش فالارواح الموكلة بتدبير العرش وقيل هم الثمانية المذكورة في القرآن الكريم ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم رؤساء الملائكة المدبرين للكرسي والسموات السبع وذلك ان هذه الاجرام لها كالابدان فهي بل بدانها اشخاص حاملون للعرش فوقهم واما الحافون حول

وهم لا يسأمون في

انا هو هم

الاول هو

من هو

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى

العرش هي الارواح الحاملة للكرسي والموكلة والمتصرفة فيه واما ملائكة السموات فالارواح الموكلة بها والمتصرفة فيها بالتحريك والارادة باذن
الله عز وجل وكذلك ملائكة العناصر والجبال والبحار والبراري والقفار وسائر المركبات من المعدنيات والنباتات والحيوان المتحرك كل منها
بفعله المخصوص على اختلاف مراتبها فاما الملائكة الحافظون الكرام الكاتبون فلهم فيها اقوال **احدها** قال بعضهم ان الله تعالى خلط
الطبايع المتضادة ومزج بين العناصر المتنافرة حتى استعد ذلك الممتزج بسبب ذلك الامتزاج لقبول النفس المدبرة والقوى الحسية
والمحركة فالمراد بتلك الحفظة التي ارسلها الله هي تلك النفوس والقوى التي تحفظ تلك الطبايع المقهورة على امتزاجاتها وهي الضابطة
على نفسها اعمالها والمكتوب في الواحها صور ما تفعله لتشهد به على نفسها يوم القيمة كما قال نعم قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم
الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين وهي المعقبات من بين يدي الانسان ومن خلفه الحافظون له من امر الله وقيل
الحفظة للعباد غير الحفظة على العباد والكاتبين لاعمالهم وسنشير الى ذلك **الثاني** قال بعض القدماء ان هذه النفوس البشرية و
الارواح الانسانية مختلفة بجواهرها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في البلادة والذكاء والفجور والعفة والحرية والنذالة
والشرف والدناءة وغيرها من الهيئات فلكل طائفة من هذه الارواح البشرية روح سماوي هو لها كالاب الشفيق والسيد الرحيم
يعينها على مهماتها في يقظتها ومناماتها تارة على سبيل الرؤيا واخرى على سبيل الالهامات وهي مبدء لما يحدث فيها من خير وشر
ونعرف تلك المبادي في مصطلحهم بالطباع التام يعني ان تلك الارواح الفلكية في تلك الطباع والاخلاق تامة كاملة بالنسبة
الى هذه الارواح السفلية وهي الحافظة لها وعليها كما قال تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة **الثالث** قول
بعضهم ان للنفوس المتعلقة بهذه الاجساد مشاكلة ومشابهة مع النفوس المفارقة عن الاجساد فيكون لتلك المفارقة ميل الى النفوس
التي لم تفارق فيكون لها تعلق ايضا بوجه ما بهذه الابدان بسبب ما بينها وبين نفوسها من المشابهة والموافقة فتصير معاونة لهذه
النفوس على مقتضى طباعها وشاهدة عليها كما قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
واما ملائكة الجنة فاعلم ان الجنات المذكورة في القران ثمان وهي جنة النعيم وجنة الفردوس وجنة الخلد وجنة المأوى وجنة عدن
ودار السلام ودار القرار وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ومن وراء الكل عرش الرحمن ذي الجلال والاكرام اذا عرفت
ذلك فاعلم ان لهذه الجنات سكانا وخزانا من الملائكة اما السكان فهم الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم الذين يتلقون عباد الله الصالحين [المخلصين] بالشفقة والبشارة بالجنة وذلك ان الانسان الطايع
اذا كملت طاعته وبلغ النهاية في الصورة الانسانية واستحق باعماله الصالحة واكتسبه من الافعال الزكية صورة ملكية ورتبة
سماوية تلقته الملائكة الطيبون بالرافة والرحمة والشفقة ونقلوه بالروح والريحان وقبلوه كما تقبل القوابل و
الدايات اولاد الملوك بفاخر امور الدنيا وطيبات روايحها من مناديل السندس والاستبرق وبالفرح والسرور وساروا به الى الجنة
منها بما من البهجة والسرور ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويتبع معهم غالما ذكا ما شاء تلك عطاء غير مجذوذ
ويتصل باخوانه المؤمنين في الدنيا اخباره واحواله ويترائى لهم في منامهم بالبشارة والسعادة وحسن المنقلب واذا كان يوم
القيمة الكبرى عرجت به ملائكة الرحمة الى جنات النعيم والسرور المقيم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى في غرف من فوقها
غرف مبنية تجري من تحتهم الانهار واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين قال بعض حكماء الاسلام ان تلك الملائكة المتلقية
له بالروح والريحان هي روحانيات الزهرة والمشتري كان القائل يقول ان النفوس الانسانية السعيدة اذا فارقت ابدانها و
حملت القوة المتوهمة معها والهيئات المتخيلة المتحصلة من الوعد الكريم في دار الدنيا من الجنان والحدائق والانهار والاثمار
والحور العين والكاس المعين واللؤلؤ والمرجان والولدان والغلمان فانه يفاض عليها بحسب استعدادها وطهارتها وجاء ثواب
الاخرة صور عقلية في غاية البهاء والزينة مناسبة لما كانت متخيلة من الامور المذكورة مناسبة ما ولما كان لهذين الكوكبين اثر
تام في اعداد النفوس للمتخيلات البهيجة الحسنة وللفرح والسرور كما ينسب في المشهور الى روحانيتهما من الافعال الحسنة نسب تلقي
الانسان بعد المفارقة بالرافة والرحمة والشفقة الى روحانيتهما والله اعلم واما الخزنة للجنان فيشبه ان يكونوا هم السكان لها ايضا
باعتبار اخر وذلك انه لما كان الخازن هو المتولي لاحوال ابواب الخزانة بفتحها وتفريق ما فيها على مستحقيها باذن رب الخزانة وكتمانها
وغلقها ومنعها عن غير مستحقيها وكانت الملائكة هم المتولين لافاضة الكمالات وتفريق ضروب الاحسان والنعم على مستحقيها و
حفظها ومنعها من غير مستحقيها والمستعد بالطاعة لها باذن الله وحكمته لا جرم صدق انهم خزان الجنان بهذا الاعتبار وهم الذين
يدخلون على المؤمنين من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعض الفضلاء ان العبد اذا راض نفسه حتى استكمل
مراتب القوة النظرية ومراتب القوة العملية فانه يستعد بكل مرتبة من تلك المراتب لكمال خاص يفاض عليه من الله تعالى وبيانه
بمر الملائكة فيدخلون عليه من كل باب من تلك الابواب بالسلام والتحية والاكرام ثم ان الرضا بما يقضيه الله من خير وشر باب عظيم من

الابواب فالملك الذي يدخل على الانسان منه برضاء الله كما قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ومن رضوان الله خازن الجنان والله
اعلم واما الملائكة التسعة عشر فقال بعض الفضلاء هي التسعة عشر نوعا من الزبانية لا يعصون الله ما امرهم وهم الخمسة الذين ذكرنا انهم
يوردون عليه الاخبار من خارج ويفتشونهم والخازنان والحاجب والملك المتصرف بين يديه بامر ربه وملكا الغضب والشهوة و
السبعة الموكلون بامر الغذاء وذلك انه اذا كان يوم الطامة الكبرى وكان الانسان ممن طغى وآثر الحيوة الدنيا كانت الجحيم
هي المأوى كانت اولئك التسعة عشر من الزبانية هم الساقين له الى الهاوية بسبب ما يستكثر من المشتهيات وما فرط من السيئات
واعرض عن قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى والله اعلم وفقك
الله ان هؤلاء الذين ذكرهم هذا القائل هم ملائكة النار ربما كانوا ايضا مع انسان آخر من ملائكة الجنان وذلك اذا استخدم
ذلك الانسان في دار الدنيا على وفق اوامر الله واوقفهم على طاعة الله دون ان يطلب منهم فوق ما خلقوا لاجله وامروا به من طاعة
ويعبر بهم الى معصية الله وارتكاب نواهيه ومحارمه وبالله التوفيق **البحث الرابع** انه ذكر من الملائكة انواعا واشار
بالسجود والركوع والصف والتسبيح الى تفاوت مراتبهم في العبادة والخشوع وذلك ان الله سبحانه قد خص كلا منهم بمرتبة معينة
من الكمال في العلم والقدرة لا يصل اليها من دونه وكل من كانت نعمة الله عليه اكمل واتم كانت عبادته اعلى وطاعته اوفى ثم ان
السجود والركوع والصف والتسبيح عبادات متعارفة بين الخلق ومتفاوتة في استلزام كمال الخضوع والخشوع ولا يمكن حملها
على ظواهرها المفهومة منها لان وضع الجبهة على الارض وانحناء الظهر والوقوف في خط واحد وحركة اللسان بالتسبيح امور مبنية
على وجود هذه الآلات التي هي خاصة ببعض الحيوانات فبالحري ان يحمل تفاوت المراتب المذكورة على تفاوت كمالاتهم في
الخضوع والخشوع لكبرياء الله وعظمته اطلاقا للفظ الملزوم على لازمه وعلى ما نص على ان السجود في اللغة هو الانقياد والخضوع كما مر
اذا عرفت ذلك فنقول يحتمل ان يكون قوله منهم سجود اشارة الى مرتبة الملائكة المقربين لان درجتهم اكمل درجات
الملائكة فكانت نسبة عبادتهم وخضوعهم الى خضوع من دونهم كنسبة خضوع السجود الى خضوع الركوع فان قلت انه قد
تقدم ان الملائكة المقربين مبرؤون عن تدبير الاجسام والتعلق بها فكيف يستقيم ان يكونوا من سكان السموات ومن الاطوار
الذين ملأت بهم قلت ان علاقة الشيء بالشيء واضافته اليه يكفي فيها ادنى مناسبة بينهما والمناسبة هيهنا حاصلة بين
الاجرام السماوية وبين هذا الطور من الملائكة وهي مناسبة العلة للمعلول او الشرط للمشروط فكما جاز ان ينسب الباري جل
جلاله الى الاختصاص بالعرش والاستواء عليه في لفظ القرآن الكريم مع تنزيهه تعالى وتقدسه من هذا الظاهر ولم يجر في الحكمة
ان يكشف للخلق من عظمة الحق سبحانه اكثر من هذا القدر فكذلك جاز ان ينسب الملائكة المقربون الى الكون في السموات
بطريق الاولى وان تنزهوا عن الاجسام وتدبيرها لان عليا عليه السلام قاصد قصد الرسول صلى الله عليه وآله وقصد القرآن الكريم وناطق بتنزيله فليس
له ان يفصح بما تنبو عنه الافهام وبالله التوفيق **قوله** وركوع يشبه ان يكون اشارة الى حملة العرش اذ كانوا اكمل من دونهم فكانت
نسبة عبادتهم الى عبادة من دونهم كنسبة خضوع الركوع الى خضوع الصف **قوله** وصافون يحتمل ان يكونوا اشارة الى الملائكة
الحافين من حول العرش قيل انهم يقفون صفوفا لاداء العبادة كما اخبر تعالى عنهم وانا لنحن الصافون وتحقيق ذلك ان لكل واحد
منهم مرتبة معينة من الكمال يخصه وتلك الدرجات باقية غير متغيرة وذلك يشبه الصفوف ومما يؤيد القول بانهم الحافون حول
العرش ما جاء في الخبر ان حول العرش سبعين الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير
ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح **قوله** ومسبحون يحتمل ان يكون المراد بهم
الصافون وغيرهم من الملائكة والواو العاطفة وان اقتضت المغايرة الا ان المغايرة حاصلة اذ هم من حيث هم صافون غيرهم من حيث هم
مسبحون وتعدد هذه الاعتبارات يسوغ تعديد الاقسام بحسبها وعطف بعضها على بعض ويؤيد ذلك الجمع بين كونهم صافين و
بين كونهم مسبحين في قوله تعالى وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ويحتمل ان يريد نوعا آخر وانواعا اخر من ملائكة السموات فاما سلب
الركوع عن الساجدين وسلب الانتصاب عن الراكعين وسلب التزايل عن الصافين وسلب السأم عن المسبحين فاشارة الى كمال
مراتبهم المعينة كل بالنسبة الى من هو دونه وتأكيد لها بعدم النقصان لان الانحطاط الى الركوع وان كان عبادة الا انه نقصان بالنسبة
الى السجود والانتصاب نقصان في درجة الراكع بالنسبة الى ركوعه وكذلك التزايل عن مرتبة الصف ونقص فيها وكذلك السأم
في التسبيح نقصان فيه واعراض عن الجهة المقصودة به والسأم والملال عبارة عن اعراض النفس عن الشيء بسبب كلال بعض القوى
الطبيعية عن افعالها وذلك غير متصور في حق الملائكة السماوية واما سلب غشيان النوم عنهم في قوله لا يغشاهم نوم العيون فهو
ظاهر الصدق وبيانه ان غشيان النوم لهم مستلزم لصحة النوم عليهم واللازم باطل في حقهم فالملزوم مثله اما الملازمة فظاهرة واما
بطلان اللازم فلان النوم عبارة عن تعطيل الحواس الظاهرة عن افعالها لعدم انصباب الروح النفساني اليها ورجوعها بعد الكلال

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى

والضعف والملائكة السماوية منزهون عن هذه الاسباب والآلات فوجب ان يكون النوم غير صحيح في حقهم فوجب ان لا يغشاهم في حقهم فوجب ان لا يغشاهم واما سلب سهو العقول وغفلة النسيان فاعلم ان الغفلة عبارة عن عدم التفطن للشيء وعدم عقليته بالفعل وهي اعم من السهو والنسيان وكالجنس لهما بيان ذلك ان السهو هو الغفلة عن الشيء مع بقاء صورته او معناه في الخيال او الذكر بسبب اشتغال النفس والتفاتها الى بعض مهماتها واما النسيان فهو الغفلة عنه مع امحاء صورته او معناه عن احدى الخزانتين بالكلية ولذلك يحتاج الناسي للشيء الى تجشم كسب جديد وكلفة في تحصيله ثانيا وبهذا يظهر الفرق بين الغفلة والسهو والنسيان واذا عرفت ذلك ظهر ان هذه الامور الثلثة من لواحق القوى الانسانية فوجب ان تكون مسلوبة عن الملائكة السماوية لسلب معروضاتها عنهم ولما ذكر سهو العقول ونفاه عنهم اردفه بسلب ما هو اعم منه وهو الغفلة لاستلزام سلبها سلب النسيان فكان ذلك كافيا في سلب النسيان الا انه اضاف الغفلة الى النسيان لتأكيد سلبه بسلبها واما قوله ولا فترة الابدان فلان الفترة هي وقوف الاعضاء البدنية عن العمل وقصورها بسبب تحلل الارواح البدنية وضعفها او رجوعها للاستراحة وكل ذلك من توابع المزاج الحيواني فلا جرم صدق سلبها عنهم **قوله** ومنهم الامناء على وحيه والسنة الى رسله والمختلفون بقضائه وامره يشبه ان يكون هذا القسم داخلا في الاقسام السابقة من الملائكة وانما ذكره ثانيا باعتبار وصف الامانة على الوحي والرسالة والاختلاف بالامر الى الانبياء عليهم السلام وغيرهم وهو من حملة الملائكة المرسلين جبرئيل عليه السلام وهو من الملائكة المقربين واعلم انه لما ثبت ان الوحي وساير الافاضات من الله تعالى على عباده انما هو بواسطة الملائكة كما علمت كيفية ذلك لا جرم صدق ان منهم امناء على وحيه والسنة الى رسله اذ كان الامين هو الحافظ لما كلف بحفظه على ما هو ليؤديه الى مستحقه وافاضة الوحي الثابت بواسطة الملائكة محفوظة نازلة كما هي مبرأة عن الخلل الصادر عن سهو لعدم تمكن السهو هناك او عن عمد لعدم الداعي اليه ولقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون واما كونهم السنة الى رسله فهي استعارة حسنة اذ يقال فلان لسان قومه اي المفصح عن احوالهم والمخاطب عنهم فيطلق عليه اسم اللسان لكونه مفصحا عما في النفس ولما كانت الملائكة وسايط بين الحق سبحانه وبين رسله في تأدية خطابه الكريم اليهم لا جرم حسن استعارة هذا اللفظ لهم لمكان المشابهة والمراد ههنا بالاختلاف التردد بامر الله وما قضى به مرة بعد اخرى وبالقضاء الامور المقضية اذ يقال هذا قضاء الله اي مقضي الله ولا يراد به المصدر فان معنى ذلك هو سطر ما كان وما يكون في اللوح المحفوظ بالقلم الالهي وذلك امر قد فرغ منه كما قال صلى الله عليه وآله جف القلم بما هو كائن فان قلت كيف يصح ان يكون هذا القسم داخلا في الساجدين لان من كان ابدا ساجدا كيف يتصور ان يكون مع ذلك مترددا في الرسالة والنزول والصعود مختلفا بالاوامر والنواهي الى الرسل عليهم السلام قلت قد بينا ان ليس المراد بسجود الملائكة هو وضع الجبهة على الارض بالكيفية التي نحن عليها وانما هو عبارة عن كمال عبوديتهم لله تعالى وخضوعهم تحت قدرته وذلتهم في الامكان والحاجة تحت ملك وجوب وجوده ومعلوم انه ليس بين السجود بهذا المعنى وبين ترددهم باوامر الله تعالى واختلافهم بقضائه على وفق مشيته وامره منافاة بل كل ذلك من كمال عبوديتهم وخضوعهم لعزته واعترافهم بكمال عظمته **قوله** ومنهم الحفظة لعباده فاعلم ان هذا القسم مطلوبين احدهما الحفظة والثاني ما المراد منهم ثم الحفظة منهم حفظة للعباد كما قال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ومنهم حفظة على العباد كما قال تعالى ويرسل عليكم حفظة والمراد من الاولين حفظ العباد بامر الله تعالى من الآفات التي تعرض لهم ومن الآخرين ضبط الاعمال والاقوال من الطاعات والمعاصي كما قال كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وكقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال ابن عباس ان مع كل انسان ملكين احدهما على يمينه والآخر على يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على يمينه واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله يتوب منها فان لم يتب كتبت عليه قال المفسرون فائدة ذلك ان المكلف اذا علم ان الملائكة موكلون به يحصرون عليه عمله ويكتبونه في صحايف تعرض على رؤس الاشهاد في موقف القيمة كان ذلك ازجر له عن القبايح واعلم انه يحتمل ان يكون التعدد المذكور في الحفظة تعددا بحسب الذات ويحتمل ان يكون بحسب الاعتبار قال بعض من نعم ان الحفظة للعباد هي القوى التي ارسلها الله تعالى من سماء جوده على الابدان البشرية يحتمل ان يكون الحفظة على العباد وهي مبادي تلك القوى ويكون معنى كتبه السيئات والحسنات وضبطها على العباد اما اعتبارات ما يصدر ويتعدد عن العبد من السيئات والحسنات في علم تلك المبادي ويكون معناها كتبة صور الافعال الخيرية والشرية الى العبد بقلم الافاضة في لوح نفسه بحسب استعداده لها لذلك قال ويشبه ان تكون اشارة ابن عباس بانتظار ملك اليسار كاتب السيئات توبة العبد الى ان ما دامت السيئة حالة غير ممكنة من جوهر نفس العبد فان رحمة الله تعالى تسعه فاذا تاب من تلك السيئة لم تكتب في لوح نفسه وان لم يتب حتى صارت ملكة راسخة في نفسه كتبت وعذب بها يوم تقوم الساعة قال ويحتمل ان يكون الحفظة على العباد هم باعيانهم من الحفظة لهم فان النفس تحفظ في جوهرها ما يفعله من خير وشر وتحصيه يوم البعث على نفسها اذا زالت عنها الغواشي البدنية وتجده مصورا مفصلا لا تغيب عنها منه شيء كما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وكما قال تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا

بيان الفرق بين الغفلة والسهو والنسيان

بالغيه منشورا اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وكما قال فاذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وقال واما معنى كونهم من ملائكة السماء فلان اصلهم من ملائكة السماء ثم ارسلوا الى الارض والله اعلم واما السدنة لابواب جنانه فقد عرفت ما قيل فيهم

قوله ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم المارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوايم العرش اكتافهم فاعلم ان هذه الاوصاف وردت في صفة الملائكة الحاملين للعرش في كثير من الاخبار فيشبه ان يكونوا هم المقصودون بها ههنا وروى عن ميسرة انه قال ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من اهل السماء السادسة وهكذا الى سماء الدنيا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تتفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا منهم يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع والوصع طاير صغير وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا فقال لهم قولوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما قالوا ذلك استقلت فنفذت اقدامهم في الارض السابعة على متن الثرى فلم تستقر فكتب في قدم كل ملك منهم اسما من اسمائه فاستقرت اقدامهم ووجه هذا الخبران وجودهم وبقاءهم وحولهم وقوتهم التي بها هم ما هم انما هو من حوله وقوته وهيبته فلو انه سبحانه خلقهم وقال لهم احملوا عرشي ولم تكن استعانة ولا مدد بحول الله وقوته ومعونته لم ينهضوا لحمل ذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته فضلا عن تدبير العرش الذي هو اعظم الاجرام الموجودة في العالم اذا عرفت ذلك فنقول اما من قال بان الملائكة اجسام كان حمل صفاتهم المذكورة في هذه الاخبار في كلامه عليه السلام على ظاهرها امرا ممكنا فانه تعالى قادر على جميع الممكنات واما من نزههم عن الجسمية فقال ان الله سبحانه لما خلق الملائكة السماوية مسخرة لاجرام السموات مدبرين لعالمنا عالم الكون والفساد واسبابا لما يحدث فيه كانوا محيطين باذن الله علما بما في السموات والارض فلا جرم كان منهم من ثبتت في تخوم الارض السفلى اقدام ادراكاتهم التي ثبتت واستقرت باسم الله الاعظم وعلمه الاكرم ونفذت في بواطن الوجودات الموجودات خبرا ومرقت من السماء العليا اعناق عقولهم وخرجت من اقطارها اركان قواهم العقلية وقوله المناسبة لقوايم العرش اكتافهم يريد انهم مشبهون ومناسبون لقوايم العرش في بقائهم وثباتهم عن التزلزل من خشيته ابدا الى ما شاء الله فان قلت فهل هناك قوايم غير الحاملين للعرش لكن اشار اليهم وتكون هذه الطايفة من الملائكة مناسبة لتلك القوايم ام لا قلت فقد جاء في الخبر ان للعرش قوايم روى عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده عليه السلام انه قال ان بين القائمة من قوايم العرش والقائمة الاخرى خفقات الطير المسرع ثمانين الف عام قال بعض المحققين ان هناك قوايم ثمان قد فوض الله تعالى الى كل ملك من الملائكة الثمانية الحاملين للعرش تدبير قائمة منها وحملها ووكله بها اذا عرفت ذلك فنقول الظاهر يحتمل ان يكون قد اشار بقوله مناسبة لقوايم العرش اكتافهم الى اثبات قوايم العرش لكنا فهم الى ثبات قوايم العرش واثبات مناسبة الاكتاف هؤلاء الملائكة مع تلك القوايم ووجه المناسبة ان الكتف لما كان محل القوة والشدة استعاره ههنا للقوة والقدرة التي يختص كل ملك من الملائكة ويهايد بها تلك القوايم من العرش ولا شك ان بين كل قائمة من تلك القوايم وبين كل قدرة من تلك القدر مناسبة ما لاجلها خص الله سبحانه ذلك الملك بحمل تلك القائمة هو ذلك معنى قوله المناسبة لقوايم العرش اكتافهم ويحتمل ان يكون كما استعار لهم لفظ الاقدام استعار لهم ايضا لفظ الاكتاف ثم شبه قيامهم بامر الله في حملهم للعرش بقيام الاساطين التي يبني عليها الواحد منا عرشه فهم منتهون مشابهون لقوايم العرش التي يبنى عليها من غير ان يكون هناك تعرض لاثبات قوايم بل لما يشبه القوايم **قوله** ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم المضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة اقول هذه الاوصاف للملائكة المقربين الحاملين للعرش ووجه نسبتها الى العرش وقد جاء في الخبر عن وهب بن منبه قال ان لكل ملك من حملة العرش ومن حوله اربعة اجنحة اما جناحان فعلى وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق واما جناحان فيهفوا بهما ليس لهم كلام الا التسبيح والتحميد وكنى عليه السلام بنكس ابصارهم عن كمال خشيتهم لله تعالى واعترافهم بقصور ابصار عقولهم عن ادراك ما وراءه كالاعم القدرة لهم وضعفها عن منتهى ما لا يحتمله من انوار الله وعظمته المشاهدة في خلق عرشه وما فوقهم من مبدعاته فان شعاع ابصارهم منته وواقف دون حجب عزة الله وعن بريد الرقاشي ان لله تعالى ملائكة حول العرش يسمون المخلخلين تجري اعينهم مثل الانهار الى يوم القيمة يميدون كانما تنفضهم الرياح من خشية الله تعالى فيقول لهم الرب جل جلاله ملائكتي ما الذي يخيفكم فيقولون ربنا لو ان اهل الارض اطلعوا من عزتك وعظمتك على ما اطلعنا عليه ما ساغوا طعاما ولا شرابا ولا انبسطوا في فرشهم ولخرجوا الى الصحراء يخورون كما يخور الثور واعلم انه لما كان الجناح من الطاير هو الالة عبارة عن محل القوة والقدرة والبطش صح ان يستعار للملائكة على سبيل الكناية عن كمالهم في قدرتهم وقوتهم التي يطيرون في ميدان جلال الله وعظمته ويتصلون بواسطتهم كالات مادونهم من مخلوقات الله وصح ان توصف تلك الاجنحة بالقلة والكثرة في احادهم ويكون ذلك كناية عن تفاوت مراتبهم وزيادة كمال بعضهم على بعض ولما استعار لفظ الاجنحة استلزم ذلك ان يكون قد شبههم بالطاير ذي الجناح ثم لما كان الطاير عند قبض جناحه يشبه المتلفع بثوبه والملتحف به وكانت اجنحة الملائكة التي هي عبارة عن كمالهم في قدرهم وعلومهم قاصرة

قاصرة

فاصرة عن التعلق بمثل مقدورات الله ومبدعاته وافقه دون جلاله وعظمته في صنعه لاجرم اشبه ذلك قبض الاجنحة المشبه للتلفع بالثوب فاستعار لفظ التلفع ايضا وكنى به عن كمال خضوعهم وانقهارهم تحت سلطان الله وقوته والمشاهدة في صورة عرشه فان قلت انك بينت ان المراد بالركوع هم حملة العرش فكيف يستقيم مع ذلك ان يقال ان هذا القسم هم حملة العرش ايضا فان من كان اقدامهم في تخوم الارضين واعناقهم خارجة من السموات السبع ومن الكرسي والعرش كيف يكون مع ذلك راكعا قلت الجواب عنه قد سبق في قوله ومنهم امناء على وحيه فان الركوع ايضا المقصود منه الخشوع لعزة الله وعظمته وذلك غير مناف للاوصاف المذكورة هيهنا وبالله التوفيق **قوله** مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة اشاره الى ان الالات البشرية قاصرة عن ادراكهم والوصول اليهم وذلك لتنزههم عن الجسمية والجهة وقربهم من عزة مبدعهم الاول جل جلاله وبعد القوى الانسانية عن الوقوف على اطوارهم المختلفة ومراتبهم المتفاوتة واذا كان الحال في الملك العظيم من ملوك الدنيا اذا بلغ في التنزه والتعظم الى حيث لا يراه الا اجلاء خواصه وكان الحال ايضا في بعض خواصه كالوزير والحاجب والنديم فانهم لا يصل اليهم كل الناس بل لا يصل اليهم الا من كانت له اليهم وسيلة تامة وعلاقة قوية وكان منشأ ذلك انما هو عظمة الملك وهيبته وقربهم منه فكان الحائل بينهم وبين غيرهم انما هو حجب عزة الملك واستار قدرته وقهره فكيف الحال في حجب جبار الجبابرة ومالك الدنيا والاخرة وحال ملائكته المقربين ومن يليهم من حملة العرش الروحانيين فبالحري ان يمتنع على وصول قوانا الضعيفة اليهم وادراكها لمراتبهم الى حجب عزة الله وعظمته لهم وكمال ملكه وتمام قدرته وما اهلهم له من قربه ومطالع انواركبريائه عز سلطانه ولا اله الا هو **قوله** ولا يتوهمون ربهم بالتصوير اشاره الى تنزيههم عن الادراكات الوهمية والخيالية في حق مبدعهم عز سلطانه لكان الوهم انما يتعلق بالامور المحسوسة ذات الصور والاحياز والمحال الجسمانية فالوهم وان ارسل طرفه الى قبلة وجوب الوجود وبالغ في تقليب حدقه فلن يرجع الا بمعنى جزئي يتعلق بمحسوس حتى انه لا يتعقل نفسه ولا يدركها الا ذات مقدار وحجم ولما كان الوهم من خواص المزاج الحيواني لاجرم سلب التوهم عن هذا الطور من الملائكة لعدم قوة الوهم هناك فان هذه القوة لما كانت موجودة للانسان لاجرم كان يرى ربه في جهة ويشير اليه متحيزا ذا مقدار وصورة ولذلك وردت الكتب الالهية والنواميس الشرعية مشحونة بصفات التجسيم كالعين واليد والاصبع والاستواء على العرش ونحو ذلك خطابا للخلائق بما تدركه اوهامهم وتوطينا لهم وايناسا حتى ان الشارع لو اخذ في مبدء الامر يبين لهم ان الصانع الحكيم ليس داخل العالم ولا خارجه ولا في جهة وليس بجسم ولا عرض لاشتد نفار اكثرهم من قبول ذلك وعظم انكارهم له فان الوهم في طبيعته لا يثبت موجودا بهذه الصفة ولا يتصوره ومن شانه ان ينكر ما لا يتصوره فكان منكرا لهذا القسم من الموجودات والخطابات الشرعية وان وردت بصفات التجسيم الا ان الالفاظ الموهمة لذلك كانت قابلة للتاويل محتملة له كانت وافية بالمقاصد اذ الغافي المغمور في ظلمات الجهل يحمله على ظاهره ويحصل بذلك تفتيشه عن تشتت اعتقاده وذو البصيرة المترفع عن تلك الدرجة يحمله على ما يحتمله عقله من التاويل وكل حال من هو اعلى منه والناس في ذلك على مراتب فكان ايراده احسن حكمة **قوله** ولا يجرون عليه صفات المصنوعين **اقول** اجراء صفات المصنوعين عليه تعالى بما يكون بمناسبته ومماثلته مع مصنوعاته ومكوناته وكل ذلك بقياس من الوهم ومحاكاة من المتخيلة له بصورة المصنوع فكان الوهم يحكم اولا بكون الباري عز سلطانه مثلا لمصنوعاته التي يتعلق ادراكه بها من المحسوسات وما يقوم بها ويتخيله بصورة منها ثم تتابعه العقل في مقدمة اخرى وهي ان حكم الشيء حكم مثله فيجري عليه صفات مصنوعاته التي حكم بمثليته لها ولما كانت الملائكة السماوية منزهين عن الوهم والخيال لاجرم وجب تنزيههم عن ان يجروا عليه صفات مصنوعاته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا **قوله** ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر فان الحاكم بحده في مكان وتحيزه فيه والمشير اليه بالمثل المتصور له بالقياس الى نظير يشاكله ويشابهه انما هو الوهم والخيال ولما عرفت انهما بخصائص الحيوان العنصري لاجرم كانت هذه الاحكام مسلوبة عن الملائكة السماوية وبالله التوفيق

الفصل الثالث في كيفية خلق آدم عليه السلام

قوله منها في خلق آدم عليه السلام ثم جمع سبحانه من حزن الارض الى قوله وتناسل ذريته **اقول** الحزن من الارض ما غلظ منها واشتد كالجبل والسهل ما لان وعذبها ما طاب منها واستعد للنبات والزرع والسبخ ما ملح منها والمسنون الطين الرطب في قول ابن عباس وعن ابن السكيت عن ابي عمرو انه المتغير وفي لفظ ابن عباس تنبيه على كلام على لان قوله ومنها بالماء حتى لزبت اي انه خلطها بالماء حتى صارت طينا رطبا يلتصق وصلصلت قال بعضهم الصلصال هو المنتن من قولهم صل اللحم واصل اذا انتن وقيل هو الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار وقيل اذا توهمت فيه ترجيعا فهو صلصال وان توهمت فيه مدا فهو صليل ولاطها بالبلة اي خلطها بالرطوبة ومزجها بها والبلة بالكسر الندواة وبالفتح واحدة البل واللازب اللاصق واصل الباء الميم وجبل اي خلق والاحناء جمع حنو وهي الجوانب والوصول جمع كثرة للوصل وهي المفاصل وجمع القلة اوصال والاعضاء جمع عضو بالكسر والضم كاليد والرجل للحيوان واصلها او جملها

في بيان كيفية خلق آدم

صلدا وهي الصلبة الملساء والذهن في اللغة الفطنة والحفظ وفي الاصطلاح العلمي عبارة عن القوى المدركة من العقل والحس الباطن والفكر جمع فكرة وهي قوة للنفس بها تحصل الادراكات العقلية ويشبه ان يكون اصل الانسان انس وهو الانيس والالف والنون في اصل الحوقها له للتثنية وذلك لان الانس امر نسبي لا يتحقق الا بين شيئين فصاعدا ولما كان كل واحد من الثقلين يانس بصاحبه قيل انسان ثم كثر استعماله مثنى فاجري على النون وجوه الاعراب والنشاة الخلق والجوارح الاعضاء والاجلة والاستخدام بمعنى في الادوات جمع اداة واصلها الواو ولذلك ردت في الجمع والاستبداد طلب الاداء والخنوع الخضوع واشتقاق ابليس من الابلاس وهو الياس والبعد لبعده من رحمة الله وللحمية الانفة واغرتهم اي غشيتهم والوهن الضعف والنظرة بفتح النون وكسر الظاء الامهال والسخط الغضب واغتر اي استغفله وقصت عليه بالامر بها شدة الم ومستحقا له والعزيمة الاهتمام بالشيء والجد فيه والجدل السرور والاهباط الانزال اذا عرفت ذلك فنقول للناس في هذه القصة طريقان **الطريق الاول** ان جمهور المسلمين من المفسرين والمتكلمين حملوا هذه القصة على ظاهرها ثم ذكروا فيها ابحاثا **البحث الاول** ان هذه القصة ذكرها سبحانه في كتابه الكريم في سبع سور وهي سورة البقرة والاعراف والحجر وسورة بني اسرائيل والكهف وطه وسورة ص وذلك لما يشتمل عليه من تذكير الخلق وتنبيههم من مراقدة الطبيعة الى جذبهم اليها ابليس والتحذير من فتنته وفتنة جنوده والجذب الى جناب الله وملاطفة انوار كبريائه كما قال تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الاية فقوله تعالى كقوله تعالى خلقه من تراب وقوله سنها بالماء كقوله تعالى من حمأ مسنون وقوله لاطها بالبلة حتى لزبت كقوله تعالى من طين لازب وقوله حتى صلصلت كقوله تعالى من صلصال وقوله ثم نفخ فيه من روحه كقوله فاذا نفخت فيه من روحي وقوله ونفخ فيه من روحه وقوله فاذا هو انسان ذا اذهان يجيلها وفكر يتصرف بها وجوارح يختدمها كقوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة وقوله واستادى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم كقوله تعالى فقعوا له ساجدين وقوله فسجدوا وقوله الا ابليس كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس وقوله اعترتهم الحمية الى قوله وتعززه بخلقة النار واستوهن خلق الصلصال كقوله تعالى حكاية عن ابليس انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال وقوله فاعطاه الله النظرة فبله حذف تقديره فسال النظرة وذلك قوله انظرني فاعطاه الله النظرة الى يوم الوقت المعلوم كقوله تعالى قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وقوله ثم اسكن سبحانه ادم دارا ارغد فيها عيشه كقوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقوله وحذره ابليس وعداوته كقوله فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وقوله فاغتره ابليس نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار كقوله فوسوس اليه الشيطان الاية وقوله فدلاهما بغرور وقوله واتباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه كقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما وقوله واستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما كقوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقوله ثم بسط الله سبحانه في توبته ولقاه كلمة رحمته كقوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وقوله ووعده المرد الى جنته ذلك الوعد في قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله فاهبطه الى دار البلية كقوله تعالى اهبطا منها جميعا **البحث الثاني** ان الله تعالى اشار في موضع من كتابه الكريم الى خلق ادم من تراب فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب وقال في موضع اخر اني خالق بشرا من طين وقال في موضع اخر ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ثم من صلصال قال المتكلمون وانما خلقه الله على هذا الوجه اما لمحض المشيئة او لما فيه من دلالة الملائكة على كمال قدرته وعجيب صنعته لان خلق الانسان في هذه المراتب اعجب عندهم من خلقه من جنسهم اذا عرفت ذلك فاعلم ان كلامه عليه السلام هاهنا يجري مجرى التفسير لهذه الايات فانه اشار اولا الى كونه من تراب بقوله ثم جمع سبحانه من سهل الارض وحزنها وعذبها وسبخها تربة ويحقق ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو ادم على قدر الارض فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب واعلم ان جمهور المفسرين على ان الانسان في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو ابونا ادم عليه السلام وينقل عن محمد بن علي الباقر عليه السلام انه قال قد انقضى قبل ادم الذي هو ابونا الف الف ادم واكثر قال بعض العلماء وهذا لا ينافي حدوث العالم فانه كيف كان لا بد من الانتهاء الى انسان هو اول الناس فاما ان ذلك الانسان هو ابونا ادم فلا طريق الى اثباته الا من جهة السمع **البحث الثالث** اجمع المسلمون على ان سجود الملائكة لادم لم يكن سجود عبادة لان العبادة لغير الله كفر ثم اختلفوا على ثلاثة اقوال **الاول** ان ذلك السجود كان لله وكان ادم كالقبلة وكما يحسن ان يقال سجد لادم كذلك يحسن ان يقال صلى للقبلة بدليل قول حسان بن ثابت

ما كنت احسب ان الامر منصرف … عن هاشم ثم منها عن ابي حسن
اليس اول من صلى لقبلتكم … واعرف الناس بالايات والسنن

فقوله صلى لقبلتكم نص على المقصود **الثاني** ان السجود كان لادم تعظيما له وتحية كالسلام

في بيان كيفية خلق آدم ع

منهم عليه وقد كان الامم السالفة تفعل ذلك كما يحيي المسلمون بعضهم بعضا وعن صهيب انه لما قدم من اليمن سجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له
معاذ ما هذا فقال رأيت اليهود تسجد لعظمائها وعلمائها ورأيت النصارى تسجد لقسيسيها وبطارقتها فقلت ما هذا فقالوا تحية
الانبياء فقال صلى الله عليه وسلم كذبوا على انبيائهم **الثالث** ان السجود في اصل اللغة عبارة عن الانقياد والخضوع كما قال الشاعر ترى الاكم
فيها سجدا للحوافر اي ان تلك الجبال الصغار كانت مذللة لحوافر الخيل ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان والقول الثاني
هو مقتضى كلام الامام اذ فسر السجود به فقال والخضوع لتكرمه وبالله التوفيق **البحث الرابع** اختلفوا في الملائكة الذين امروا بالسجود
لادم فاستعظم بعضهم سجود ملائكة السماء له وقالوا المامورون بذلك هم الملائكة الذين هبطوا مع ابليس الى الارض قالوا وذلك
ان الله تعالى لما خلق السموات والارض وخلق الملائكة اهبط منهم ملأ الى الارض يسمون بالجن راسهم ابليس واسكنهم اياها وكانوا اخف
الملائكة عبادة فاعجب ابليس بنفسه وتداخله الكبر فاطلع الله عز وجل على ما انطوى عليه فقال له ولجنده اني خالق بشرا من طين
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وقال بعضهم ان المامورين بالسجود لادم هم كل الملائكة بدليل قوله تعالى فسجد الملائكة
كلهم اجمعون فاكد جمعهم باكمل وجوه التاكيد **البحث الخامس** اكثر المتكلمين لاسيما المعتزلة على ان ابليس لم يكن من الملائكة وقال
جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس انه كان من ملائكة الارض الذين هبطوا قبل ادم حجة الاولين قوله تعالى الا ابليس كان من الجن والجن
لم يكونوا من الملائكة بدليل قوله تعالى للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقول الملائكة سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون
الجن واحتج من قال انه منهم باستثناء ابليس من الملائكة في غير موضع من القرآن الكريم والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل
وذلك يدل على ان ابليس من الملائكة واجابوا عن حجة الاولين من وجهين احدهما المعارضة بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا وذلك الجعل هو قول قريش الملائكة بنات الله بدليل قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فهذه الاية تدل
على ان الملائكة من الجن الثاني ان كون ابليس من الجن لا ينافي كونه من الملائكة ويصدق عليهم اسم الجن لان الجن ماخوذ من الاجتنان
وهو الاستتار ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن امه والجنون لاستتار العقل والملائكة مستترون عن الاعين فوجب جواز اطلاق
لفظ الجن عليهم واعلم ان الخلاف لفظي فانه اذا ثبت ان الملائكة الذين هبطوا الى الارض قبل ادم هم المسمون بالجن وابليس من الجن
ثبت ان ابليس من الملائكة وليس النزاع في انه من ملائكة الارض ومن ملائكة السماء بل في كونه من الملائكة مطلقا فاذن ليس بينهم
خلاف في المعنى **البحث السادس** اختلفوا في سبب عداوة ابليس لادم فقال بعضهم انه الحسد وذلك ان ابليس لما راى ما اكرم الله
به ادم من اسجاد الملائكة وتعليمه ما لم يطلع عليه الملائكة حسده وعاداه وقال اخرون ان السبب تباين اصليهما ولمنافرة الاصلين
اثر قوي في منافرة الفرعين قالوا وتباين اصليهما هو منشأ القياس الفاسد من ابليس حين امر بالسجود وذلك قوله انا خير منه خلقتني
من نار وخلقته من طين وكانه في خطابه يقول ان ادم جسماني كثيف وانا روحاني لطيف والجسماني ادون حالا من الروحاني والادون
كيف يليق ان يكون مسجودا للاعلى وايضا فان اصل ادم من صلصال من حمأ مسنون والصلصال في غاية الدناءة واصلي من اشرف
العناصر واذا كان اصلي خيرا من اصله وجب ان اكون خيرا منه واشرف والاشرف يقبح ان يؤمر بالسجود للادون قالوا فكان ذلك قياسا
منه فاول من قاس هو ابليس فاجابه الله تعالى جوابا على سبيل التنبيه دون التصريح اخرج منها مذؤما مدحورا قال بعض المتكلمين ونعم ما
قال انه تعالى نص بحكم الحكمة الالهية والقدرة الربانية والذي قاله ابليس قياس ومن عارض النص بالقياس كان مرجوما ملعونا
البحث السابع احتج الاشعرية على انه تعالى قد يريد خلق الكفر والكافر من هذه القصة بوجهين احدهما انه تعالى انظر ابليس مع
انه يعلم انه انما قصد اغواء بني ادم ولو اهلكه لاستراحوا وعدم الشر الحاصل منه ومن ذريته الثاني قال اغويتني فنسب الاغواء الى الله تعالى
مع انه لم ينكر عليه هذا الكلام وهذا صريح في انه تعالى يفعل الاغواء اجابت المعتزلة عن الاول بان الله تعالى خلق ادم وذريته قادرين على دفع ابليس
عن انفسهم فهم الذين اختاروا الكفر والعصيان فقضية الباب ان يقال ان الاحتراز عن القبيح حال عدم ابليس اسهل منه حال وجوده الا ان على هذا
التقدير يصير وسوسته سببا لزيادة المشقة في اداء الطاعات فيزداد المكلف بتكلفها ثوابا كما قال عليه السلام افضل الاعمال احمزها اي اشقها وذلك
لا يمنع الحكيم من فعله كما ان انزال المشاق والالام وانزال المتشابهات صار سببا لزيادة الشبهات ومع ذلك لم يمتنع فعلها من الله تعالى فهذا
الوجه قريب من قولنا لاسيما للسلبية وعن الثاني ان المراد من قوله بما اغويتني اي بما خيبتني من رحمتك وقيل معنى اضافة غوايته الى الله تعالى
ان الله تعالى لما امره بالسجود لادم عصى وغوى فكان الباري هو الاصل في حصول الاغواء له فلذلك نسبه اليه واحتج ايضا من جوز الخطاء على الانبياء
من هذه القصة بقوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى واجاب من اوجب عصمتهم من حين الولادة بانه لما دل الدليل على وجوب عصمتهم وجب صرف هذا
اللفظ ونحوه على ترك الاولى وهو في حقهم سيئة ومعصية وان كان في حق غيرهم حسنة كما قال حسنات الابرار سيئات المقربين ومن
اوجب عصمتهم من حين الرسالة فله ان يحمل هذه المعصية على ما قبل الرسالة والمسألة مستقصاة في الكلام **البحث الثامن** قال
القفال اصل التلقي في قوله فتلقى ادم من ربه كلمات وقوله ولقاه كلمة رحمته هو التعرض للقادم ووضع في موضع الاستقبال للمسيء و

في بيان كيفية خلق آدم

والجاني ثم وضع موضع القبول والاخذ قال تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اى تلقنه ويقال تلقينا الحاج اى استقبلناهم وتلقيت هذه الكلمة من فلان اى اخذتها منه واذا كان هذا اصل الكلمة وكان من تلقى رجلا فتلاقيا لقى كل واحد منهما صاحبه واضيف بالاجتماع اليهما معا صلح ان يشتركا فى الوصف بذلك فكل ما تلقيته فقد تلقاك فجاز ان تلقى آدم من ربه تعالى كلمات اى اخذها ووعاها واستقبلها بالقبول وتلقاه الله اياها اى ارسلها اليه وواجهه بها ثم ذكر المفسرين فى تلك الكلمات اقوالا **الاول** روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رض ان آدم ع قال يا رب الم تخلقنى بيدك بلا واسطة قال بلى قال الم تسكنى جنتك قال بلى قال الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ان تبت واصلحت اترديني الى الجنة قال نعم وهو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات **الثانى** قال النخعى اتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات التى تلقاها آدم من ربه قال علم الله تعالى آدم وحوا امر الحج والكلمات التى يقال فيه فحجا فلما فرغا اوحى الله تعالى اليهما انى قد قبلت توبتكما **الثالث** قال مجاهد وقتاده وفى احدى الروايتين عنهما هى قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين **الرابع** قال سعيد بن جبير انها قوله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى انك خير الغافرين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسى فارحمنى انك ارحم الراحمين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسى فتب على انك انت التواب الرحيم **الخامس** قول عائشة لما اراد الله تعالى ان يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا والبيت حينئذ ربوة حمراء فلما صلى ركعتين استقبل القبلة وقال اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى اللهم انى اسئلك ايمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبنى الا ما كتبت لى ورضنى بما قسمت لى فاوحى الله تعالى اليه يا آدم قد غفرت لك ذنبك ولن ياتينى احد من ذريتك فيدعونى بمثل ما دعوتنى به الا غفرت ذنوبه وكشفت همومه ونزعت الفقر من بين عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها **البحث التاسع** فى حقيقة التوبة قال الامام الغزالى ره التوبة عبارة عن معنى مركب من ثلثة امور مترتبة علم ثم حال ثم ترك اما العلم فان يعلم العبد ضرر الذنوب وكونها حجابا بينه وبين الله تعالى ومانعا يمنعه من دخول الجنة فاذا علم ذلك بيقين غالب على قلبه فان ذلك يوجب له تالما نفسانيا بسبب فوات الخير العظيم المطلوب لكل عاقل فيسمى تالمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ومطلوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب وجب له القصد الى امر له تعلق بالحال والماضى والمستقبل اما تعلقه بالحال فترك الذنب الذى كان ملابسا لها اولا والثانى ان العزم على ترك الذنب المفوت لمطلوبه فى المستقبل الى آخر العمر فيهذه حقيقتها ويتشاء من تلك فلا فرق فان بالجبر والقضا وان كان قائلا بالجبر والعلم هو الاصل فى اظهار هذه الخيرات فان القلب اذا ايقن بان الذنوب كالسموم المهلكة والحجب الحايلة بينه وبين محبوبه فلا بد ان يتيم نور ذلك اليقين فتشتعل فيه نيران الندم فيتالم به القلب ويحرج فينبعث من تلك النار طلب الانهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك فى الحال والاستقبال والتلافى للماضى ثلثة معان مترتبة يقال ويطلق اسم التوبة على مجموعها وربما اسم التوبة على الندم وحده ويجعل العلم كالباعث والترك كالثمرة المتاخرة ولهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة اذ الندم مستلزم لعلم ارجيه والعزم يتبعه واما وجوبها ففى وجهين احدهما ان التوبة مرضاة للرحمن مسخطة للشيطان مفتحة لابواب الجنان معدة لاشراق شموس المعارف الالهية على الواح النفوس مستلزمة للمواهب الربانية من الملك القدوس والثانى الاوامر الواردة بها فى القرآن الكريم يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا والوعد القيم على فعلها عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار والوعيد الحتم على تركها ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ونحوه مما يدل على وجوبها فاما قبولها ففى وجهين احدهما قوله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات وقوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب الثانى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افرح بتوبة من العبد المذنب والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وقال صلى الله عليه وآله لو عملتم الخطايا الى السماء ثم ندمتم عليها لتاب الله عليكم **البحث العاشر** فيما عساه يبقى من المقاصد الكلية المشكلة فى هذه القصة **الاول** الوديعة والوصية التى اسندها الله سبحانه من الملائكة فى قوله واسنادى الله سبحانه من الملائكة وديعته لديهم اشارة الى قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فكانت تلك عهد اليهم بهذا القول وارضاهم بعقضائه ثم اسنادها منهم بما ذكره تعالى فى قوله ثم اسجدوا لآدم **الثانى** قوله فاغتره ابليس فالاغترار وطلب الغرة من آدم والتماسها منه بالوسوسة التى القاها اليه كما سنبين معنى الوسوسة **الثالث** قوله دار المقام هى جنة الخلد ومرافقة الابرار اشارة الى مصاحبة الملائكة فى مقعد صدق عند مليك مقتدر **الرابع** قوله فباع اليقين بشكه للشارحين فيه اقوال احدها ان معيشة آدم كانت فى الجنة على حال يعلمها يقينا وما كان يعلم كيف معاشه فى الدنيا اذا انتقل اليها ولا حاله بعد مفارقة الجنة ثم ان ابليس شككه فى صدق مقالته لكاملها لكما لمن الناصحين فنسى ما كان عنده يقينا مما هو فيه من الخير الدائم وشك فى نصح ابليس فكانه باع اليقين بالشك بمتابعته وهى استعارة حسنة على سبيل الكناية عن استبعاض آدم الشك عن اليقين **الثانى** قالوا لما اخبره الله تعالى عن عداوة ابليس لم يتيقن ذلك فلما وسوس له ابليس شك فى نصحه فكانه باع يقينه عداوته بالشك فى ذلك **الثالث** قول من نزه آدم ع ان ذلك مثل قديم للعرب لمن عمل عملا لا يفيده وترك ما ينبغى له ان يفعله تمثل به امير المؤمنين ع ههنا ولم يرد ان آدم ع شك فى امر الله

الرابع

في بيان كيفية خلق آدم

قوله **الرابع** والعزيمة يوهنه قال ابن عباس في قوله تعالى ولم نجد له عزما اي لم نجد له حفظا لما امر الله به وقال قتادة صبرا وقال الضحاك ضربة امر وحاصل هذه الاقوال يعود الى انه لم يكن له قوة على حفظ ما امر الله فكانه نزع العزم لانه كان ينبغي له ان القوة التي كان ينبغي ان يحفظ بها عن متابعة ابليس بالضعف والوهن عن تحمل ما امر الله به **الخامس** قوله دار البلية هي دار الدنيا اذ كانت دار المحنة والابتلاء ومقام ابليس ومجاهدته وسجن الصالحين كما قال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر واعلم ان في ذكر هذه القصة تحذيرا عظيما عن المعاصي وذلك من وجوه **احدها** ان من تصور ما جرى على آدم بسبب اقدامه على هذه الزلة كان على وجل شديد من المعاصي قال الشاعر يا ناظرا نورا بعيني راقد ومشاهدا للامر غير مشاهد تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي درك الجنان ونيل فوز العابد انسيت ان الله اخرج آدما منها الى الدنيا بذنب واحد وعن فتح الموصلي انه قال كنا قوما من اهل الجنة فسبانا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار التي اخرجنا منها **وثانيها** التحذير عن الاستكبار والحسد والحرص عن قتادة في قوله تعالى ابى واستكبر قال حسد عدو الله ابليس آدم على ما اعطاه الله تعالى من الكرامة فقال انا ناري وهذا طيني ثم القى الحرص والحسد في قلب ابن آدم حتى حمله على ارتكاب المنهي عنه **وثالثها** انه تعالى بين العداوة الشديدة بين ذرية آدم وابليس وهذا تنبيه عظيم على وجوب الحذر وبالله التوفيق **الطريق الثاني** واعلم ان من الناس من سلط التاويل على هذه القصة وقبل بيان تاويلها ذكروا مقدمات **المقدمة الاولى** في الاشارة الى الاجزاء التركيب الخارجي للانسان وكيفية تركيبها قالوا ان العناصر الاربعة اجسام بسيطة وهي اجزاء اولية لبدن الانسان فمنها اثنان خفيفان وهما النار والهواء واثنان ثقيلان وهما الارض والماء قالوا والموضع الطبيعي للارض هو وسط الكل وهي باردة يابسة في طبعها ووجودها في الكائنات مفيد للاستمساك والثبات وحفظ الشكل والهيئة والموضع الطبيعي للماء هو ان يكون شاملا للارض وثقله اضافي وطبعه بارد رطب ووجوده في الكائنات لتسهل الهيئات التي يراد تكوينها من التشكيل والتخطيط والتعديل فان الرطب وان كان امرا سهل الترك للهيئات الشكلية فانه سهل القبول لها كما ان اليابس عسر القبول للهيئات الشكلية عسر الترك لها ومهما تخمر اليابس بالرطب استفاد اليابس منه قبول التعديل والتشكيل بسهولة واستفاد الرطب من اليابس حفظا لما حدث فيه من التعديل بقوة فاجتمع اليابس بالرطب عن تشتته واستمسك الرطب باليابس عن سيلانه والموضع الطبيعي للهواء فوق الماء وتحت النار وخفته اضافية وطبعه حار رطب ووجوده في الكائنات ليتخلخل ويلطف ويستقل والموضع الطبيعي للنار فوق الاجرام العنصرية كلها ومكانها الطبيعي هو مقعر فلك القمر وخفتها مطلقة وطبعها حار يابس ووجودها في الكائنات ليصلح المركبات ويجري فيها الجوهر الحيواني ولتكسر من برد العنصرين الثقيلين ويردهما عن العنصرية الى المزاجية والثقيلان انفع في تكوين الاعضاء وفي سكونها والخفيفان انفع في كون الارواح وتحريكها وتحريك الاعضاء ثم قالوا والمزاج كيفية تحدث من تفاعل الكيفيات المتضادة في هذه العناصر اذا تفاعلت بقواها بعضها في بعض فانكسر سورة كل واحد منها بالآخر حدث منها كيفية متشابهة في جميعها هي المزاج والقوى الاولية في تلك الاركان اربع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهي التي يكون عنها المزاجات في الاجسام الكائنة الفاسدة ثم ان واهب الوجود اعطى كل حيوان وكل عضو من المزاج ما هو اليق به واصلح لافعاله بحسب احتمال الامكان له واعطى الانسان اعدل الامزجة الممكنة في هذا العالم مع مناسبة لقواه التي بها يفعل وينفعل واعطى كل عضو ما يليق به من افعاله فجعل بعض الاعضاء احر وبعضها ابرد وبعضها ارطب وبعضها ايبس وامدها بالاخلاط وهي اجسام رطبة سيالة يستحيل اليها الغذاء اولا وهي محصورة في اربعة اجناس احدها الدم وهو افضلها والثاني البلغم والثالث الصفراء والرابع السوداء ثم قسم الاعضاء الى عظام وغضاريف واعصاب واوتار وجعل اول الاعضاء المتشابهة الاجزاء العظم وخلقه صلبا لانه اساس البدن ودعامة الحركات ثم الغضروف وهو الين من العظم وفائدته ان يحسن به اتصال العظام بالاعضاء اللينة فلا يتاذى اللين بالصلب عند الضغطة والضربة بل متوسط بينهما ما يناسب كلا منهما وليحسن به تجاور المفاصل المتحاكة فلا تتراض لصلابتها ثم العصب وهي اجسام تنبت من الدماغ والنخاع بيض لدنة في الانعطاف صلبة في الانفصال وفائدتها ان تتم بها الاعضاء للاحساس والحركة ثم الاوتار وهي اجسام تنبت من اطراف العضل شبيهة بالعصب تلاقي الاعضاء المتحركة فتجذبها تارة وتبسطها اخرى بحسب انبساط العضلة وانقباضها ثم الرباطات وهي ايضا اجسام شبيهة بالعصب والحكمة فيها ظاهرة وهي ان يرتبط بعض الاعضاء الى بعض واستمساكها وليس لشيء منها حس لئلا يتاذى بكثرة ما يلزمه من الحركة والحك ثم الشريانات وهي اجسام نابتة من القلب ممتدة مجوفة طولا عصبانية رباطية الجوهر لها حركات منبسطة ومنقبضة خلقت لترويح القلب ونفض البخار الدخاني عنه ولتوزيع الروح الى اعضاء البدن ثم الاوردة وهي تشبه الشريانات ومنباتها من الكبد وفائدتها توزيع الدم على اعضاء البدن ثم الاغشية وهي اجسام منتسجة من ليف عصباني غير محسوس رقيقة مستعرضة تغشي سطوح اجسام اخرى ولها فوائد منها ان يحفظ جملتها على شكلها وهيئتها ومنها ان تعلقها على اعضاء اخرى وتربطها بواسطة العصب ومنها ان يكون للاعضاء العديمة الحس في جواهرها سطح حساس بالذات لما تلاقيه وبالعرض لما يحدث في الجسم الملفوف فيه كالرئة والطحال والكبد والكليتين ومنها

بجواهرها وإنما يحس

لا يحس بالأمور المضادة لها لأن الأغشية التي عليها بالذات ويحس بها بالعرض فما يحدث فيها مثلاً الريح المتمددة التي يحدث فيها ثم اللحم وهو
حشو خلل بعض الأعضاء في البدن فصار البدن مشتملاً على ثلاثة ضروب من الأعضاء أحدها آلات الغذاء وهي المعدة والكبد
وجداولها كالعروق والطرق إليها كالفم والمريء وغيرها كالأمعاء والثاني آلة الحرارة الغريزية وحفظها وهي القلب والرئة
والصدر وسائر الآلات التنفس والثالث آلات الحس والحركة والأفعال العقلية وهي الدماغ والنخاع والعصب والأوتار ونحوها
مما يحتاج إليه في المعونة على تمام فعل العقل ثم لما كان من ضرورة البدن أن يقع فيه أفعال مختلفة وجب في الحكمة أن يكون هناك
استعداد لقوى متعددة هي مبادئ تلك الأفعال أحدها النفس الطبيعية وتحتها قوى منها مخدومة ومنها خادمة أما المخدومة
فجنسان أحدهما يتصرف في الغذاء وتحته نوعان أحدهما القوة المسماة بالغاذية وغايتها أن تغذو الشخص مدة بقائه بإحالة
الغذاء إلى مشابهة المغتذي ليخلف بدل ما يتحلل والثاني القوة المسماة بالنامية وغايتها أن تزيد في أقطار البدن على التناسب
الطبيعي إلى تمام نشوه والجنس الثاني يتصرف في الغذاء لبقاء النوع وتحته نوعان أحدهما القوة المسماة بالمولدة وهي المتصرفة
في أمر التناسل بفصل من أمشاج البدن جوهر المني والثاني القوة المسماة بالمصورة وهي التي تفيد المني بعد استحالته في الرحم
الصور والقوى والأعراض الحاصلة للنوع الذي انفصل عنه المني وأما الخادمة المتصرفة في القوى الطبيعية فهي خوادم القوة الغاذية
وهي أربع أحدها الجاذبة وخلقت لتجذب النافع إلى محلها وهي موجودة في المعدة والمريء والكبد والرحم وسائر الأعضاء والثانية
الماسكة وخلقت لتمسك المنافع ريثما يتصرف فيه القوى المغيرة والمحيلة الثالثة الهاضمة وهي التي تحيل ما أمسكته الماسكة
إلى قوام مهيأ لفعل القوة المغيرة فيه وإلى مزاج صالح للاستحالة إلى الغذائية بالفعل الرابع الدافعة وهي التي تدفع الفاضل
من الغذاء الذي لا يصلح للاغتذاء أو يفضل على الكافي أو يستغنى عنه بعد الفراغ من استعماله كالبول ولهذه الأربع أيضاً
خوادم أربع أعني الكيفيات الأربع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة على تفصيل يعلم في مظانه **الثاني** النفس الحيوانية
ويختص بها قوتان محركة ومدركة والمحركة إما باعثة أو فاعلة والباعثة هي القوة النزوعية المذعنة للمدركات كالوهم والخيال
أو النفس فيحمل الإدراك لها على البعث إلى طلب وهرب بحسب النوازع ولها شعبتان شهوانية وهي الباعثة على التحريك إلى جذب
أشياء ضرورية أو نافعة نفعاً ما طلباً للذة وغضبية وهي الحاملة على دفع وهرب عما لا يلائم طلباً للغلبة وتخدمها القوة المسماة
بالقدرة وهي قوة تنبعث في الأعصاب والعضل من شأنها أن تشنج العضلات بجذب الأوتار والرباطات وإرخائهما والقوى
المدركة قسمان ظاهرة وباطنة أما الظاهرة فالحواس الخمس أحدها اللمس وهو قوة منبثة في جلد البدن كله تدرك ما تماسه
وتؤثر فيه بالمضادة كالكيفيات الأربع وغيرها وثانيها الذوق وهو قوة مرتبة في العصب المفروش على سطح اللسان بها تدرك
الطعوم من الأجرام المماسة المخالطة للرطوبة العذبة التي في الفم وثالثها الشم وهي قوة مرتبة في زائدتي مقدم الدماغ الشبيهتين
بحلمتي الثدي بها تدرك الروائح بتوسط الهواء المنفصل عن ذي الرائحة ورابعها السمع وهي قوة في العصب المفروش في باطن
الصماخ وهو تدرك الأصوات والحروف بواسطة الهواء وخامسها البصر وهي قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين تدرك ما ينطبع
في الرطوبة الجليدية من الصور بتوسط جرم شفاف وأما الباطنة من القوى فهي أيضاً خمس وهي إما مدركة فقط أما للصور الجزئية
وهو القوة المسماة حساً مشتركاً المرتبة في التجويف الأول من الدماغ عندها تجتمع صور المحسوسات ثم القوة المسماة خيالاً وهي
خزانة الحس المشترك مودعة في آخر التجويف المقدم من الدماغ يجتمع فيها مثل المحسوسات وتبقى فيها بعد الغيبة عن الحواس وإما
مدركة للمعاني الجزئية وهي إما الوهم وهي قوة مرتبة في التجويف الأوسط من الدماغ تدرك المعاني الجزئية الغير الموجودة في
المحسوسات كإدراك الشاة معنى في الذئب يوجب لها الهرب وأما الحافظة وهي قوة مرتبة في التجويف الأخير من الدماغ تحفظ
الأحكام الجزئية المدركة للوهم وهي خزانة له وإما مدركة ومتصرفة وهي القوة المسماة متخيلة باعتبار استعمال الوهم لها ومفكرة باعتبار
استعمال العقل لها ومحلها مقدم البطن الأوسط من الدماغ من شأنها التركيب والتفصيل لبعض الصور ببعض وعن بعض وكذا
المعاني وهي المحاكية للمدركات والهيئات المزاجية والحكمة الإلهية اقتضت أن تكون متوسطة بين مقتضى الصور الجرمانية و
المعاني الروحانية متصرفة في خزانتيهما بالحكم والاستخراج للأمثال المختبئة بين الجانبين ثم إن لكل واحد من هذه الآلات نوع
يختص به وهو جوهر حار لطيف متكون من لطافة الأخلاط على نسبة محدودة وهو حامل للقوى المذكورة وعينها **الثالث**
النفس الناطقة ونسبتها إلى هذا البدن نسبة الملك إلى المدينة والبدن وجميع أجزائه وقواه المذكورة الآن لها ورسمها أنها
جوهر مجرد يتعلق بالأبدان تعلق التدبير وهي المشار إليها بقوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وبقوله الأرواح
جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ولهذا الجوهر قوتان يختص بهما نظرية وعملية وقد سبقت الإشارة
إليهما في مقدمة الكتاب وتحقيق الكلام في هذا الجوهر والبرهان على وجوده وتجرده وكمالاته من العلوم والأخلاق مستقصى في

والعضل

المحسوسة م

والمعاني بالصورة م

في بيان كيفية خلق آدم ع

مطالبه وبالله التوفيق **المقصد الثاني** قد علمنا ان الملك عندهم اسم مشترك يقع على حقائق مختلفة فاما لفظ الجن فهو يطلق عند
في اصل اللغة على كل الملائكة لكونه ماخوذا من الاجتنان وهو الاستتار وكون الملائكة مستترين على الاعين فانهم يخصون تارة
هذا اللفظ بالارواح التي تحفظ عالم العناصر فتارة يطلقون عليها انها ملائكة باعتبار كونهم مرسلين من عند الله فاعلين لما امرهم
جارين على نظام العقل وتارة يطلقون عليها انها جن باعتبار الاجتنان وهم جن مسلمون باعتبار موافقة العقل والتصرف على وفق حكمة
العالم ونظامه وكفار وشياطين باعتبار مخالفتها لذلك فاما صدق اسم الجن على النفوس الناطقة الانسانية فقد تفسر من
جهة اخرى وهي كونها غائبة مستترة بنور العلم من حيث لا ترى فهي محجوبة عن ابصار الجاهلين ثم هي اما ان تكون عالمة او جاهلة والعالمة على

اقسام الجن

التقديرين فاما ان يكون موافقة لظواهر الشريعة منقادة لها مستمسكة بها او ليس كذلك فهذه اقسام اربعة اولها النفوس العالمة
العاملة بمقتضى الشريعة وهذه الطائفة هم الجن المسلمون والمؤمنون قالوا وهم الذين امر الله تعالى نبيه بالاخبار عنهم في قوله تعالى
قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به الى اخر الايات قالوا وتمام بيان ذلك ان
السماء التي اخبر الجن عنها انهم لمسوها هي سماء الحكمة وهي الشريعة التي استرقت فيها قالوا ولمسهم لها عبارة عن اعتبارهم امر الشريعة
في مبدأ ظهورها هل يصح لهم معها اظهار الحكمة ويمكنهم اخذها واعطاؤها بالتعلم والتعليم كما كان يفعل قبل ذلك
ام لا وقولهم فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا اشارة الى حفظة الشريعة وهم علماء الشريعة والملوك الصالحون الذائدون
لناموس الشريعة وقوانينها وقولهم وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع اشارة الى انهم كانوا قبل ظهور الشرايع يتدارسون الحكمة
ويتعلمونها ولم يكن عليهم انكار وقولهم فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اشارة الى ان المظهر للحكمة بعد وجود الشريعة
المنازل لظواهرها جاءت به الانبياء يجد من حرسة الدين وحفظته شهابا يحرقه ويؤذيه **وثانيها** النفوس العالمة المخالفة
للشريعة والنواميس الالهية المنابذة لقوانينها في مقتضى طباعها وهؤلاء هم من شياطين الجن ومردتها **وثالثها** النفوس
الجاهلة الا انها متمسكة بظواهر الشريعة منقادة لها وهؤلاء هم المسلمون من الانس **ورابعها** النفوس الجاهلة التاركة للشريعة
والعمل بها التابعة لمقتضى الطبيعة وهؤلاء هم شياطين الانس قالوا وبهذا البيان لا ينافي بين قول الله سبحانه الا ابليس كان من
الجن وبين استثنائه من الملائكة المقتضي لدخوله فيهم وكونه منهم فرق بل هو من الملائكة باعتبار ومن الجن باعتبار ومن الشياطين
باعتبار والشيطان قد يكون ملكا في اصله ثم ينتقل الى الشيطانية باعتبار فسوقه عن امر ربه وكذلك الجني والله اعلم **المقصد
الثالث** قالوا اكل ما يتوالد فلا يستحيل في اصله ان يكون متولدا ثم ضربوا لذلك مثلة فقالوا ان العقرب يتولد من الباذروج
ولباب الخبز والنحل من العجل المحرق المكبس عظامه والفار من المدر والطين ونحو ذلك ثم يتوالد من هذا المتولد اشخاص اخرى
ويبقى نوعه متوالدا فلا مانع اذن ان يكون الانسان في اول خلقه كذلك يحدث شخص من نوعه ويتكون من التراب ثم يحصل
ما بعده من نوعه عنه بالتوالد اذا عرفت ذلك فاعلم ان لفظ آدم اذا اطلق في عباراتهم فتارة يراد به امر جزئي وتارة يراد به امر كلي
اما الجزئي فيراد به اول شخص تكون من هذا النوع وعلى ذلك يحملون قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
ويحملون قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة وما في معناه على ما توالد منه وقد يراد به اول شخص استخلف في الارض
وامر بنشر الحكمة وناموس الشريعة واما الكلي فتارة يراد بآدم مطلق نوع الانسان وعلى ذلك كله قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من
قبل فنسي وقد يراد به صنف الانبياء والدعاة الى الله كما نقل عن سيد المرسلين ص كل نبي فهو آدم وقته وقوله ص انا وانت يا علي

آدم

ابوا هذه الامة ويمكن ان يكون قول الباقر محمد بن علي عليهما السلام قد انقضى قبل آدم هو ابونا الف الف آدم واكثر على هذا المعنى اذا
ثبت هذا فنقول ان لكل آدم بالمعاني المذكورة ملائكة تخصه وهي مامورة بالسجود له وابليس مقابلة ومعارضة اما آدم بالمعنى
الاول والثاني فملائكته المامورون بالسجود له هي قواه البدنية ونفوس اهل زمانه المامورين باتباعه المستمعين لقوله وساير
القوى في اقطار هذا العالم فانها باسرها ملائكة مامورة بالخضوع له والسعي في مهماته وحوائجه بين يديه والمعونة له على قوامه
واما ابليس المعارض له القوة الوهمية منها المعارضة لمقتضى عقله العملي الساعية في الارض فسادا والنفوس المتمردة عن قبول الحق والاستماع

آدم

لقوله الخارجة عن طاعته وهم شياطين الانس والجن الذي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وكذلك ملائكة آدم وابليسه ثم هو
صنف الانبياء والدعاة الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة واما آدم الذي هو نوع الانسان فكل الملائكة الذين ذكرناهم في هذا العالم
هم المامورون بالسجود له وابليس كل شخص من هذا النوع هو وهمه المعارض لعقله وجنوده ما يخدمها من القوى الشهوية والغضبية وغيرها
اذا عرفت هذه المقدمات فلنرجع الى المتن فنقول الاولى ان تحمل آدم فيما ذكره ع ههنا من هذه القصة على مطلق النوع الانساني
فقوله ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة سنها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلة حتى لزبت اشارة الى
اصل امتزاج العناصر وانما خص هذين العنصرين وهما الارض والماء دون الباقيين لانهما الاصل في تكون الاعضاء المشاهدة التي

في بيان كيفية خلق آدم

تدور عليها صورة الانسان المحسوس **قوله** حتى خلصت وصفت التربة اشارة الى بلوغها في الاستعداد الغاية التي معها تفاض صورة ما تكون
منها او **قوله** بل منها صورة ذات احناء ووصول واعضاء وفصول اشارة الى خلق الصورة الانسانية وافاضتها بكمال اعضائها و
مفاصلها وما تقوم به صورة وقوله منها الضمير راجع الى التربة ويفهم من ظاهر اللفظ ان الصورة الانسانية هي المفاضة على كل استعداد
التربة من غير واسطة انتقالات اخر في اطوار الخلقة وانما يتم ذلك لو حملنا آدم على اول شخص يكون من هذا النوع فاما اذا حملنا
على مطلق النوع كان المراد انه جبل منها الصورة الانسانية بوسائط من صور ترتبت في اطوار الخلقة كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فالصورة الانسانية جبلت من النطفة المتولدة من فضل الهضم الرابع المتولد من الاغذية
وهي اما حيوانية او نباتية والحيوانية تنتهي الى النباتية والنباتية انما تتولد من صفو الارض والماء وهي التربة المستعدة للانبات وليس
في ذلك مخالفة الكلام فان تلك التربة بعد ان تواردت عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة صارت مستعدة لان تفاض عليها الصورة الانسانية
جبلت منها او **قوله** اجمدها حتى استمسكت واصلدها حتى صلصلت الضمير في الجملتين راجع الى الصورة وما يتعلق بها من الاعضاء
فالاجماد لغاية الاستمساك راجع الى بعضها كاللحم والاعصاب والعروق واشباهها والاصلاد لغاية راجع الى بعض آخر كالعظام والاسنان
واسناد ذلك الى المدبر الحكيم سبحانه لانه العلة الاولى وان كان هناك لهذه الآثار اسباب قريبة طبيعية كالحرارة الغريزية فانه المستعد
لتحريك المواد ويتبعه البرد ليسكنه عند الكمال من التخلق وكالرطوبة فانها هي التي تتخلق وتتشكل ويتبعها اليبوسة لحفظ الاشكال و
افادة التماسك **وقوله** لوقت معدود واجل معلوم يحتمل ان يراد به ان لكل مرتبة من مراتب تركيب بدن الانسان وانتقاله في ادوار الخلقة
وقتا معدودا يقع فيه واجلا معلوما يتم فيه ويحتمل ان يراد بالوقت المعدود والاجل المعلوم الوقت الذي يعلم الله سبحانه انحلال هذا
التركيب فيه كما قال تعالى وما نؤخره الا لاجل معدود **قوله** ثم نفخ فيها من روحه **اقول** الضمير المؤنث راجع الى الصورة وقد علمت ان
هذه الاشارة جارية في القرآن الكريم كما قال تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا والمراد بالتسوية افاضة تمام اعتدال البدن
وتهيئته لقبول النفس والمراد بالنفخ ههنا هو افاضة النفس عليه عند كمال ذلك الاستعداد واستعمال النفخ ههنا استعارة حسنة فان
النفخ له صورة وهو اخراج الهواء من فم النافخ الى المنفوخ فيه ليشتعل فيه النار ولما كانت حقيقة النفخ ممتنعة في حق الله تعالى وجب العدول
الى حمل لفظه على ما يشبهه ولما كان اشتعال نور النفس في فتيلة البدن عن الجود الالهي المعطي لكل قابل ما يستحقه يشبه بحسب تخيلنا
الضعيف ما نشاهده من اشتعال النار في المحل القابل لها عن صورة النفخ لاجرم حسن التعبير والتجوز بلفظ النفخ عن افاضة الجود الالهي
للنفس على البدن لمكان المشابهة المتخيلة وان كان الامر اجل مما عندنا واعلى ولما نسبة الروح الى الله فاعلم ان الروح يحتمل ان يراد به احد ثلثة
معان **الاول** جبرئيل عليه السلام وهو روح الله الامين ونسبته اليه ظاهرة ولما نسبة النفخ الى الله فلكونه العلة الاولى وجبرئيل واسطة جعله
الشفيع مبدأ في هذا اللفظ لنفخ النفس في صورة آدم منه **الثاني** جود الله وفيضه الصادر على آدم وغيره وانما كان ذلك روحا لانه
مبدأ كل حيوة فهو الروح الكلية التي بها قوام كل موجود ونسبته اليه ظاهرة ويكون من ههنا للتبعيض **الثالث** ان يراد بالروح النفس الانسانية
ويكون من زائدة وانما نسبها اليه دون سائر المصنوعات لانها لطيفة لما علمت انها منزهة عن الجهة والمكان وحي قوي عالم بجميع الاشياء والاطلاع
عليها وبقدر مضاهاة ومناسبة بوجه ما مع العلة التي ليست حاصلة لغيرها من الجواهر مما هو جسم وجسماني فلذلك شرفها بالاضافة اليه
و **قوله** فتمثلت انسانا اشارة الى الصورة المجبولة وفيه لطيفة وهي انها انما كانت انسانا بنفخ الروح فيها ولذلك رتب وصيرورتها
انسانا بالفاء على نفخ الروح فيها و **قوله** ذا اذهان يجيلها اشارة الى ما للانسان من القوى الباطنة المدركة والمتصرفة ومعنى اجالتها
تحريكها وبعثها في انتزاع الصور الجزئية كالحس المشترك والمعاني الجزئية كالوهم و **قوله** وفكر يتصرف بها اشارة الى القوى المفكرة في
احاد النوع الانساني وتصرفها في تفتيش الخزانتين وتركيب بعض موادها ببعض وتحليلها و **قوله** وجوارح يختدمها اشارة
الى خدمة الاعضاء التي بينا انها كلها خادم للنفس والادوات التي تقلبها من ذلك يشبه ان يختص بالايدي كقوله تعالى فاصبح يقلب كفيه على
ما انفق فيها ويمكن ان يكون اعم من ذلك كالبصر والقلب كقوله يا مقلب القلوب والابصار فيصدق عليها اسم التقليب و **قوله**
ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل اشارة الى استعداد النفس لدرك المعقولات الثانية المسمى عقلا بالملكة بحسب ما لها من المعاني
الاولى اعني البديهيات فان الحق والباطل امور كلية وليس للقوى البدنية في ادراك الامور الكلية حظ ويحتمل ان يشير بالمعرفة الى
القوة الاستعدادية الاولى للانسان المسماة عقلا هيولانيا و **قوله** والاذواق والمشام والالوان والاجناس نبه ههنا
على ثلثة امور احدها ان الآلات التي بها يدرك الذوقيات واخرى بها يدرك المشمومات واخرى بها يدرك الالوان وقد بينا
ذلك الثاني نبه على ان النفس مدركة للجزئيات بواسطة هذه القوى اذ عدها في جملة ما تتصرف فيه النفس وتفرق بينه وبين
غيره الثالث اخر قوله والاجناس تنبيها على ان النفس تنتزع الامور الكلية من تصفح الجزئيات فان الاجناس امور كلية والنفس
بعد ادراك الجزئيات وتصفحها تتنبه لمشاركات بينها ومباينات فتنتزع منها تصورات كلية وتصديقات كلية وكما هي

الروح

بالاحساس

في بيان كيفية خلق آدم

بالاجناس ههنا الامور الكلية مع لا بعضها كما هو في الاصطلاح العلمي **قوله** معجونا بطينة الالوان المختلفة لتصبغ على الحال من
قوله انسانا او الصفة له والمراد الاشارة الى ان اختلاف ابدان النوع بعضها من بعض بالالوان بسبب قوة استعدادها لها الذي
كما قال صلى الله عليه وسلم فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود كما سبق وطينة الالوان واصلها ان عجينة بها مزجية بها وبخبثه واعداده لقبولها
على اختلافها وكذلك الحال في البدن الواحد فانه ليس لجملة اجزائه لون واحد فان امتزاج بعض الاعضاء يقتضي ان يكون
ابيض كالعظام والاسنان وبعضها احمر كالدم وبعضها اسود كالحدقة والشعر وكذلك اختلاف الاشخاص في الصفات المحكي
بها عن الاختلاف الواردة في تمام الخبر من قوله والسهل والحزن والخبيث والطيب يرجع الى ان الارض لما كانت اكثر العناصر
شركة في هذه الابدان كان لاختلاف بقاعها اثر تام في تفاوت الامتزاج لقبول الاخلاق بالسهولة والحزونة والخبث و
الطيب **قوله** الاشياء المؤتلفة والاضداد المتعادية والاخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلة والجمود والمساءة والسرور
اما الاشياء المؤتلفة فكالعظام والاسنان واشباهها فانها اجسام منشأ بعضها ائتلف بعضها مع بعض وبها قامت الصورة
البدنية وامتزجت بطينتها واما الاضداد المتعادية فكالكيفيات الاربع التي ذكرها وهي الحرارة والبرودة والرطوبة التي هي البلة
واليبس الذي هو الجمود وعبر عنه بلازمه وهو الجمود على ان الجمود في اللغة هو اليبس بعينه واما الاخلاط المتباينة فهي الاخلاط الاربعة
كما عرفت من الدم والبلغم والصفراء والسوداء واما المساءة والسرور فهما من الكيفيات النفسانية ومهية كل منهما ظاهرة واما
اسبابهما فاعلم ان للسرور سببا جسمانيا معدا وهو كون حامله الذي هو الروح النفساني على كمال احواله في الكمية لان زيادة الجوهر
في الكم يوجب زيادة القوة وفي الكيفية وهي ان يكون معتدلا في اللطافة والغلظ وان يكون شديد الصفاء واما السبب الفاعلي له
فالاصل فيه تخيل الكمال كالعلم والقدرة والاحساس بالمحسوسات الملائمة والتمكن من تحصيل المرادات والقهر والاستيلاء
على الغير والخروج عن المولم وتذكر الملذات واما اسباب الغم فمقابلات هذه اما السبب المعد الجسماني فهو اما قلة الروح كما للناقهين
والمنهوكين بالامراض والمشايخ واما غلظة كما للسوداويين ورقته كما للنساء واما الفاعلي فمقابل اسباب السرور وقد يشتد كل منهما بعد
الاسباب المذكورة بتكرره فيصير السرور والغم ملكة ويسمى صاحبه مفراحا او محزانا ومقصوده التنبيه على ان طبيعة الانسان فيها قوة قبول
واستعداد لهذه الكيفيات وامثالها فتلك القوة هي المراد بطينة المساءة والسرور والفرق بينها وبين الاستعداد ان القوة تكون
على الضدين والاستعداد لا يكون الا لاحدهما **وقوله** استادى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم الى قوله
الا ابليس **اقول** لما كان الذي يشير اليه كل انسان بقوله انا هو النفس الناطقة كان آدم عندهم عبارة عن النفس الناطقة فالوا المراد
بالملائكة الذين امروا بالسجود لآدم هي القوى البدنية التي امرت بالخضوع والخشوع لتكرمة النفس العاقلة والانقياد تحت حكمها وهؤلاء
الذي لاجله خلقوا اما عهد الله لديهم ووصيته اليهم فهو المشار اليه بقوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين والخطاب فيه خطاب الحكمة الالهية بالقضاء الازلي قبل الوجود والاستيداء الذي العهد
وذلك الوصية هو طلب المأمور به والامر من الانقياد والخضوع من تلك القوى بعد الوجود على السنة الرسل عليهم السلام بالوحي المنزل وهو
قوله فاسجدوا لآدم **وقوله** فسجدوا اشارة الى القوى المطيعة لنفوسها العاقلة في اشخاص عباد الله الصالحين **قوله** الا ابليس وقبيله
اشارة الى الوهم وسائر القوى التابعة له في معارضة العقل في اشخاص الكفار والفاسقين عن امر الله سبحانه وقد عرفت ان الوهم من
القوى البدنية فهي اذن معاندة ومعارضة للعقل ومتابعها له جنود ابليس وقبيله واما قوله اعترتهم الحمية وغلبت عليهم الشقوة و
تعززوا بخلق النار واستوهنوا خلق الصلصال فقالوا ان المراد بكون ابليس وجنوده خلقوا من نار ان الارواح الحاملة لهذه القوى
كما عرفت اجسام لطيفة تتكون عن لطافة الاخلاط وهي حارة تصعد اما بالة الى الافراط ولما كانت النارية والهوائية عليها اغلب وتولدها
عنها اسهل وهي اجزاء البدن وكذلك القلب الذي هو منبعها فكانت تلك الارواح كالابدان لهذه القوى فلذلك نسب ابليس الى النار
فقال نعم حكاية عنه خلقتني من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم اي قدرنا قبل وجوده ان تكون النارية والهوائية
على وجوده اغلب وقال بعضهم انه لما كانت النار الطف العناصر وكانت هذه القوى وارواحها الطف الامور الجسمانية وتكونها عن
الطف الاخلاط كانت نسبتها الى النار اولى من سائر العناصر لمكان المشابهة في اللطافة فجاز ان يطلق على اصله انه نار لا يقال ان
كان آدم هو النفس الناطقة فما معنى قول ابليس وخلقته من طين لانا نقول كما صدق ان ابليس مخلوق من نار بمعنى ان الغالب على الروح الحامل
له هو عنصر النار كذلك يصدق ان آدم من طين بمعنى ان الغالب على بدنه الارضية وايضا فان الوهم لا يدرك الا المعاني الجزئية المتعلقة
بالمحسوسات فلا يصدق حكمه ومصاعده الا فيما كان محسوسا ولما ثبت ان النفس جوهر مجرد لم يكن اعتقاد ابليس ان الانسان شيء غير
هذا البدن المتكون عن الطين اذا ثبت ذلك فنقول اعتزازه الحمية والتعزز بالانتساب الى عنصر النار دسيسة مجازية اذ العادة مجازية
بان يانف الانسان من الاصل الناقص وان يفتخر ويتعزز بالاصل الشريف والانتساب اليه فكان لسان حال ابليس والقوى المتابعة له

امامم

نفعوا م

في بيان كيفية خلق آدم

يقول على جهة الاستنكاف والاستكبار ءأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون وأنا مخلوق من النار التي هي أشرف العناصر
قالوا ولما علم الله سبحانه من حال إبليس لعنه وطرده وأخرجه من الجنة وذلك قوله تعالى قال اخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة
إلى يوم الدين قالوا وذلك أنك علمت أن الجنة تعود إلى معارف الحق سبحانه والابتهاج بمطالعة أنوار كبريائه ودرجات الجنة
هي المراتب التي ينتقل العقل فيها في مقامات السلوك إلى حظائر القدس وجوار الملأ الأعلى وعلمت أن حال الوهم قاصر عن
الانتقال على تلك المراتب فطرده ولعنه وتحريم الجنة عليه يعود إلى تكوينه على الطبيعة التي هو عليها القاصرة عن إدراك العلوم
الكلية التي هي ثمار الجنة وقطوفها والقضاء عليه بذلك قالوا ومما ينبه على ذلك قوله رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض
ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين أي بما خلقتني على هذه الجبلة لا أهتدي لدخول الجنة ولا أتمكن منها لأجذبنهم
إلى المشتهيات وأزين لهم اللذات الجاذبة لهم عن عبادتك حتى لا يهتدوا إلى الجنة التي لأجلها خلقتهم ولا يلتفتوا إليها إلا من عصمته
مني وجعلت له سلطانا على قهري وغلبتي وهم عبادك المخلصون أي النفوس الكاملة المطهرة عن متابعة قواها المسلطة على قهر
شياطينها وقهرها وكذلك قوله قال أنظرني إلى يوم يبعثون فإنه لما كان البعث الأول هو مفارقة النفوس لأبدانها وانتقالها إلى
عالمها وكانت طبيعة الوهم قاضية بمحبة البقاء في دار الدنيا إذ لا حظ له في غيرها أحسن من لسان حاله أن يقول رب أنظرني إلى يوم
يبعثون و **قوله** فأعطاه الله النظرة لما كان الوهم باقيا في البدن هو وجنوده إلى يوم البعث حسن من لسان الحكمة الإلهية أن يقول
إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ومثل ذلك معنى إعطائه النظرة و **قوله** استحقاقا للسخطة واستتماما للبلية وإنجازا للعدة
فقد عرفت أن البلية نصب على المفعول له ثم إن بقاء الوهم وابتلاء الخلق به والشر الصادر عنه أمور داخلة في القضاء الإلهي
بالعرض فيصدق عليه أنه مراد وأن الإنظار والإمهال له وكذا استحقاق السخطة وإنجاز العدة وإطلاق لفظ السخطة استعارة فإن
السخط لما كان عبارة عن حالة للإنسان تستلزم وجود مغضوب عليه غير مرضي الفعل له وكان حال إبليس في إنظار الله إياه وفسوقه عن أمر
ربه مستلزما لإعراض الله سبحانه عنه وعن عنايته بما يعنيه كان هناك نوع مشابهة يحسن لأجلها إطلاق لفظ السخط أما العدة
فتعود إلى قضاء الحكمة الإلهية ببقاء الوهم إلى يوم البعث وإنجازها يعود إلى موافقة القدر لذلك القضاء وقال بعضهم إنه لما كان
هاهنا صورة مطرود ومبعد وملعون حسن إطلاق لفظ السخط واستحقاقه وإنما أنظر لأجلها وهو ترشيح للاستعارة
قوله ثم أسكن الله سبحانه آدم دارا أرغد فيها عيشه وآمن فيها محلته وحذره إبليس وعداوته **أقول** الدار التي أسكن فيها
آدم هي الجنة والإشارة هاهنا إلى أن الإنسان من أول زمان إفاضة القوة العاقلة عليه إلى حين استرجاعها ما دام مراعيا للأوامر
الحق سبحانه غير منحرف عن فطرته الأصلية ولا معرض عن عبادته ولا ملتفت إلى غيره فإنه في الجنة وإن كانت الجنة على مراتب كما قال تعالى
لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار ولذلك قال صلعم كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه هما اللذان يهودانه
وينصرانه إذ كانت نفسه قبل الجواذب الخارجية عن القبلة الحقيقية غير متدنسة بشيء من الاعتقادات الفاسدة والهيئات الرديئة
وإن كانت المرتبة السامية والغرفة العالية إنما تنال بعد المفارقة واستصحاب النفس لكمال زادها وأما إرغاد العيش فيعود إلى التذاذها
بالمعقولات والمعارف الكلية وأما أمان المحلة فأمان مكانه في الجنان أن يعرض له خوف أو حزن ما دام فيها وأما تحذيره من إبليس وعداوته
فظاهر من الأوامر الشرعية ولسان الوحي ناطق كما قال تعالى إن هذا عدو لك ولزوجك ووجه العداوة ظاهر مما قلناه فإن النفس لما كانت
من عالم المجردات وكان الوهم بطبعه منكرا لهذا القسم من الممكنات كان منكرا لما تأمر به النفس من الأمور الكلية التي لا حظ له في إدراكها
وذلك من مقتضيات العداوة ولأن نظام أمر النفس ومصلحتها لا يتم إلا بقهر الوهم والقوى البدنية عن مقتضيات طباعها وتمام نظم
القوى لا يحصل إلا بانقهارها للنفس فكانت المجاذبة طبيعية والعداوة أصلية إذ لا معنى للمعاداة إلا المجاذبة لما يتصور كونه موذيا بينهما **قوله**
فاغتره إبليس نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الأبرار **أقول** يقال إن الله تعالى لما حذره إبليس وعداوته كان قد نهاه عن أكل
شجرة يقال إنها شجرة البر وأعلمه أنه إن أكل منها كان ظالما لنفسه مستحقا لسخط الله عليه وذلك قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين قالوا وتلك الشجرة هي الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار وهي غاية إلى المشتهيات الدنيوية
الفانية واللذات البدنية الخارجة عن الحدود التي أمر الله تعالى بها والهوى المنحرف فيها إلى طرف الإفراط عن وسط القانون العدل
وأما كونها شجرة البر فقالوا لأن البر لما كان هو قوام الأبدان وعليه الاعتماد في أنواع المطعومات والملاذ البدنية حسن أن يعبر به
عنها فيقال هي شجرة البر كناية عن الفرع بالأصل فأما اغترار إبليس له فاعلم أن حقيقة الغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى
ويميل إليه بالطبع عن شبهة وخدعة من إبليس فاغتراره يعود إلى استغفال النفس بالوسوسة التي حكى الله تعالى عنها بقوله فوسوس
لهما الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولنبحث عن حقيقة الوسوسة فنقول إن الفعل إنما يصدر
عن الإنسان بواسطة أمور مترتبة ترتيبا طبيعيا أولها تصور كون الفعل ملائما وهو المسمى بالداعي ثم إن ذلك التصور تارة

حقيقة الوسوسة

عليه ميل

في بيان كيفية خلق آدم

عليه ميل النفس الى الفعل المشتهى فذلك الميل ارادة فيترتب على ذلك الميل حركة القوة النزوعية المحركة للقوة المسماة قدرة
المحركة للعضل الى الفعل اذا عرفت ذلك فنقول صدور الفعل عن مجموع القدرة امر واجب فليس للشيطان فيه مدخل
ووجود الميل عن تصور كونه نافعا وخيرا امر لازم فلا مدخل للشيطان ايضا فيه فلم يبق له مدخل الا في القاء ما يتوهم كونه
نافعا او لذيذا الى النفس مما يخالف امر الله سبحانه فذلك الالقاء في الحقيقة هو الوسوسة وهو عين ما حكى الله سبحانه
عنه بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي اذا عرفت ذلك فاعلم ان متابعة ابليس يعود الى انقياد
النفس لجذب الوهم والقوى البدنية التي هي الشياطين عن الوجهة المقصودة والقبلة الحقيقية وهي عبادة الحق سبحانه و
فتنتها لها بتزيين ما حرم الله عليها فاما ما يقال ان ابليس لم يكن له تمكن من دخول الجنة وانما توسل بالحية ودخل في فمها
الى الجنة حتى تمكن من الوسوسة لادم واغراره فقالوا المراد بالحية هي القوة المتخيلة وذلك ان الوهم انما يتمكن من التصرف
وبعث القوى المحركة كالشهوة والغضب التي هي جنوده وشياطينه على طلب الملاذ البدنية والشهوات الحسية الدنية وخلق
النفس اليها بتصوير كونها لذيذة نافعة بواسطة القوة المتخيلة ووجه تشبيهها بالحية انها لما كانت لطيفة سريعة الحركة
تتمكن من الدخول في المنافذ الضيقة وتقدر على التصرف الكثير وهي مع ذلك سبب من اسباب الهلاك بما تحمله من السم و
كانت المتخيلة في سرعة حركتها وقدرتها على التصرف السريع والادراك الطف من سائر القوى وهي الواسطة بين النفس والوهم
وكانت بما اشتملت عليه من تحمل كيد ابليس والقاء الوسوسة بواسطتها الى النفس سببا قويا للهلاك السرمد والعذاب المؤبد
لا جرم كان اشبه ما يشبه به الحية لما بينهما من المناسبة فحسن اطلاق لفظ الحية عليها **قوله** نفاسة عليه ترشيح للاستعارة
لانه لما كان جذب الوهم للنفس الى الجنة الشاغلة مانعا لها من الكرامة بدار المقامة ومشتملا لها عن بعد جدار فيه الملأ الاعلى وكان
ذلك اعظم ما تنفس به كما قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وعرفت ان ذلك الجذب عين صورة معاداة كما سبق وكان من لوازم
المعاداة النفاسة على العدو وبكل ما يعد كمالا له لا جرم حسن اطلاق النفاسة ههنا ترشيحا للعداوة والنصب على المفعول له **قوله** باع
اليقين بشكه والعزيمة بوهنه اي لما حصلت الوسوسة والاغراء لادم فانقاد لها كان قد بدل ما تيقنه من ان شجرة الخلد والملك الذي
لا يبلى هو نور الحق والبقاء في جنته ودوام مطالعة كبريائه بالشك فيه بواسطة وسوسة ابليس وذلك ان الامور الموعودة من متاع الاخرة
وما اعد الله لعباده الصالحين امور خفيت حقائقها على اكثر البصائر البشرية وانما الغاية في تشويقهم اليها ان يمثل لهم بما هو
مشاهد لهم من اللذات البدنية الحاضرة فترى كثيرا منهم لا يخطر بباله ان يكون في الجنة امر زائد على هذه اللذات فهو يجتهد في
تحصيلها ان لا يتصور وراءها اكثر منها ثم ان صدق بها على سبيل الجملة تصديقا للوعد الكريم فانه لا يتصور كثير تفاوت بين الموعود
به والحاضر بحيث يرجح ذلك التفاوت عنده ترك الحاضر لما وعد به بل يكون ميل طبعه الى الحاضر وتوهم كونه انفع واولى به اغلب
عليه ولن يتيقن باصل عقله ان الاولى به وانفع له والابقى هو متاع الاخرة فتارة يطرأ على ذلك اليقين غفلة عنه ونسيان له بسبب الاشتغال
باللذات الحاضرة والانهماك فيها وذلك معنى قوله تعالى فنسي وتارة لا تحصل الغفلة الكلية بل يكون الوهم لذلك قويا فينقص ذلك
اليقين بحيث يوجب مقابلته شبهة وشكا وذلك معنى قوله فباع اليقين بشكه ولا منافاة بين قوله تعالى فنسي وبين الشك ههنا
و**قوله** والعزيمة بوهنه اي تعوض من العزم والتصميم الذي كان ينبغي له في طاعة الحق سبحانه بالضعف والتعاجز عن تحمله كما قال تعالى
ولم نجد له عزما واطلاق لفظ البيع ههنا استعارة حسنة اذ كان مدار البيع على استعاضة شيء بشيء سواء كان المتعاوض المستعاض اجل
او انقص مثله قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين **وقوله** فاستبدل
بالجذل وجلا وبالاعتزاز ندما الى قوله ومتناسل الذرية فيه تقديم وتأخير وتقديره والعزيمة بوهنه فاهبطه الله الى دار البلية و
متناسل الذرية فاستبدل بالجذل وجلا وبالاعتزاز ندما ثم اناب الى الله فبسط له في توبته ولقاه كلمة رحمته ووعده المرد الى جنته
وذلك لان الاهباط عقيب الزلة واستبدال الجذل بالوجل بعد الاهباط من الجنة والاخراج منها وقد ورد القرآن الكريم بهذا النظم في
سورة البقرة وهو قوله فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا ثم قال عقيبه فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقد ورد
ايضا على النظم الذي ذكره في سورة طه وذلك قوله فعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطوا فقدم الاجتباء
والتوبة على الاهباط وكلاهما حسن قالوا ومعنى الاهباط له هو انزاله عن دار كرامته واستحقاق اضافة نعيم الجنة وذلك ان النفس لما انها
اذا اعرضت عن جناب الحق سبحانه والتفتت الى متابعة الشياطين وابناء الجن وهو ابقية ابليس بعدت عن رحمة الله وتسودت وجوهها عن قبول
انوار الالهية وامدادها النبوية ومتناسل الذرية فاشارة الى الدنيا فان الانسان اذا التفت بوجهه اليها واقبل بكليته عليها هبط من اعلى
عليين الى اسفل سافلين ولم يزل ممنوا ببلاء على اثر بلاء الى الابد ثم في كل لحظة وقت فوت مطلوب وفقد محبوب يطلب ما لا يدرك
ويجد ما لا يطلب وكفى بانقطاع عن الله تعالى بالتفاته اليها بلاء واعظم به شقاء اذ كان سبب البعد عن رحمته والطرد عن ابواب جنته فان قلت

والارادة
اثم
لاستعمام
الذرية

في بيان سبب اتخاذه سبحانه الأنبياء

لم ذكر تناسل الذرية في معرض الامتنان لادم مع انه في الحقيقة من الامور الخيرية المنتجة في سلك العناية الالهية فان به بقاء النوع ومددا الاضافة قلت لانه وان كان كذلك الا انه لا نسبة له في الحقيقة الى الخير الذي كان ادم فيه في الجنة فان تناسل الذرية خير اضافي عرضي بالنسبة الى الكمال الذي يحصل لابناء النوع وذريته ثم التنبيه ان حصلت فلنسبة اخص الى اشرف فان انزاله واهباطه عن استحقاق تلك المراتب السامية والافاضات العالية الى هذه المرتبة التي يشارك فيها البهائم وسائر انواع الحشرات نقص عظيم وخسران مبين **قوله** واستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما ظاهر فان المقبل بوجهه على عبادة الحق سبحانه المستشرق لانوار كبريائه المعرض عما سواه ابدا مسرور مبتهج فاذا اعرض عما يوجب السرور فقد الفرح والتفت الى خسائس الامور بسبب شيطان قاده اليها وزينها لعينيه فانكشف عنه ستر الله وبدت سوءته للناظرين بعين العاقبة من عباد الله الصالحين ثم اخذت بضبعه العناية الالهية وتداركته الرحمة الربانية فانبهته من رقدة الغافلين في مراقد الطبيعة فراى السلاسل والاغلال قد احاطت به وشاهد الجحيم مسعرة عن جنبتي الصراط المستقيم وتذكر قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى الايات فلا بد وان يضيع وجلا قلقا يقلب كفيه حسرة وندما وجلا مما يلحقه من سخط الله ندما على ما فرط في جنب الله **قوله** ثم بسط الله له في توبته ولقاه كلمة رحمته فالمراد الاشارة الى ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما النقصان من جهة القابل وعدم استعداده فاذا استعدت النفس لتدارك رحمة الله وجذبتها العناية الالهية من ورطات الهلاك الابدي فانبهتها بالمعونة على ابليس وجنوده وبصرتها بمقابح افعاله واحوال الدنيا وما يدعوا اليه فاحدثت في مقاومته والترصد لدفع مكائده فذلك هو معنى انابتها وتوبتها واما كلمة الرحمة التي لقاها ادم فتعود الى السوانح الالهية التي تسنح للعبد فتكون سببا لجذبه عن مهاوي الهلاك وتوجيهه عن الجنبة السافلة الى القبلة الحقيقية وامداده بالملائكة كما قال ووقعت في مدارج الجلال التي هي درجات الجنة **قوله** ووعده المرد الى جنته فاشارة الى وعد الفضل الالهي الناطق عنه لسان الوحي الكريم فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار وكذلك سائر انواع وعده وانا نبين فيما يتعلق بهذه القصة من التاويل وبالله العصمة والتوفيق **الفصل الرابع** قوله واصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم لما بدل اكثر خلقه عهد الله اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله وواتر اليهم انبيائه ليستادوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول ويروهم ايات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع ومهاد تحتهم موضوع ومعايش تحييهم واجال تفنيهم واوصاب تهرمهم واحداث تتتابع عليهم ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل او كتاب منزل او حجة لازمة او محجة قائمة رسل لا تقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم من سابق سمي له من بعده او غابر عرفه من قبله على ذلك نسلت القرون ومضت الدهور وسلفت الاباء وخلفت الابناء الى ان بعث الله سبحانه محمدا صلعم لانجاز عدته وتمام نبوته ماخوذا على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريما ميلاده واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطوائف متشتتة بين مشبه لله بخلقه او ملحد في اسمه او مشير الى غيره فهداهم به من الضلالة وانقذهم بمكانه من الجهالة ثم اختار سبحانه لمحمد صلعم لقاءه و رضي له ما عنده واكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مقام البلوى فقبضه اليه كريما صلعم وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم كتاب ربكم مبينا حلاله وحرامه وفضائله وفرائضه وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزائمه وخاصه وعامه وعبره وامثاله ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه مفسرا جمله مبينا غوامضه بين ماخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله وبين مثبت في الكتاب فرضه معلوم في السنة نسخه وواجب في السنة اخذه مرخص في الكتاب تركه وبين واجب لوقته وزائل في مستقبله و مباين بين محارمه من كبير اوعد عليه نيرانه او صغير ارصد له غفرانه وبين مقبول في ادناه وموسع في اقصاه **اقول** الاصطفاء الاستخلاص والانداد الامثال واجتالتهم اي ادارتهم واجتذبتهم وواتر اي ارسل وترا بعد وتر اي واحدا بعد اخر والفطرة الخلقة والمهاد الفراش والاوصاب الامراض والاحداث المصائب وتخصيصها بذلك عرفي والمحجة ما وضح من الاسنان عنوانا تغلب به المحجة جادة الطريق والغابر الباقي والماضي ايضا وهو من الاضداد والقرن الامة ونسلت اي مضت ومضت ماخوذ من نسل ريش الطائر ونسل الوبر اذا وقع والعدة الوعد وانجازها قضاؤها والسمة العلامة وميلاد الرجل محل ولادته من الزمان والمكان والملحد العادل عن الاستقامة على الحق والنسخ في اللغة الازالة والرخصة التسامح في الامر والعزيمة الهمة وهذه الالفاظ الثلثة مخصوصة في العرف بمعان اخرى كما نذكره وانما مثل له كذا اي فيما نذكره وههنا ابحاث **البحث الاول** الضمير في ولده راجع الى ادم ثم ان كانت الاشارة بادم الى النوع الانساني فنسبة الولادة اليه في العرف ظاهرة صادقة فان كل اشخاص نوع هم ابناء ذلك النوع في اصطلاح اهل التاويل وان كان المراد اول شخص فكذلك واعلم ان اصطفاء الله للانبياء يعود الى افاضته الكمال النبوي عليهم بحسب ما وهبت لهم العناية الالهية من القبول والاستعداد واخذه على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم هو حكم الحكمة الالهية عليهم بالقوة على ما كلفوا به من ضبط

الأوّ

على معان

الوحي في اللوح

في بيان سبب إيجاد الأنبياء

الوحي في ألواح قواهم وجذب شتات النفوس الناقصة إلى جناب عزته بحسب ما آتاهم من القوة على تلك الاستعداد لهم وما منحهم من الكمال الذي
يقتدرون معه على تكميل الناقصين من أبناء نوعهم ولما كانت صورة العهد وأخذ الأمانة في العرفان يرجع إلى الإنسان بما يؤكد
عليه القيام به من الإيمان وإشهاد الحق سبحانه وكان الحكم الإلهي جاريا بإرسال النفوس الإنسانية إلى هذا العالم وكان مراد العناية
الإلهية من ذلك أن يبعث لأن يظهر ما في قوة كل نفس من كمال وتكميل إلى الفعل وكان ذلك لا يتم إلا بواسطة بعضها للبعض كان الوحي
الذي بعثت عليه مشبها بالعهد والميثاق المأخوذ والأمانة المودعة لكل ما في قوته وما أعد له فحسن إطلاق هذه الألفاظ واستعمالها
ههنا **قوله** لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقه واتخذوا الأنداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم
عن عبادته إلى آخره إشارة إلى وجه الحكمة الإلهية في وجود الأنبياء ولوازمه وهي شرطية متصلة قدم فيها التالي لتعلق ذكر الأنبياء
بذكر آدم والتقدير لما بدل أكثر خلق الله عهد الله إليهم اصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم فبعثهم في الخلق وذلك العهد
هو المشار إليه بقوله تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال ابن عباس لما خلق الله آدم مسح على ظهره فأخرج منه
كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فقال ألست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة واعلم أن أخذ
الذرية يعود إلى إحاطة اللوح المحفوظ بما يكون من وجود نوع الإنسان بأشخاصه وانتقاشه بذلك عن قلم القضاء الإلهي ولما كان بالإنسان
تمام العالمين في الوجود الخارجي فكذلك هو في التقدير القضائي المطابق له وبه يكون تمام التقدير وجفاف القلم وأما إشهادهم على أنفسهم
فيعود إلى إنطاق إمكانهم بلسان الحاجة إليه وأنه الإله المطلق الذي لا إله غيره وأما بيان ملازمة الشرطية فلأنه لما كان الغالب على الخلق
حب الدنيا والإعراض عن مقتضى الفطرة الأصلية التي فطرهم عليها والالتفات عن القبلة الحقيقية التي أمروا بالتوجه إليها وذلك بحسب
ما ركب فيهم من القوى البدنية المنازعة إلى كمالاتها لا جرم كان من شأن كونهم على هذا التركيب المخصوص أن يبدل أكثرهم عهد
الله سبحانه إليهم من الدوام على عبادته والاستقامة على صراطه المستقيم وعدم الانقياد لعبادة الشيطان كما قال سبحانه ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا
تعبدوا الشيطان الآية وأن يجهلوا حقه للغفلة الحاصلة لهم عما يستحقه من دوام الشكر وأن يتخذوا الأنداد معه لتناسيهم العهد القديم
وأن تجتالهم الشياطين عن معرفته التي هي ألذ ثمار الجنة وأن تقتطعهم عن عبادته التي هي المرقاة إلى اقتطاف تلك الثمرة ولما كان من
شأنهم ذلك وجب في الحكمة الإلهية أن يختص صنفا منهم بكمال أشرف يقتدر معه أبناء ذلك الصنف على ضبط الجوانب المتجاذبة وعلى
تكميل الناقصين ممن دونهم وهم صنف الأنبياء والغاية منهم ما أشار إليه بقوله ليستأدوهم ميثاق فطرته أي ليبعثوهم على أداء ما خلقوا
لأجله وفطروا عليه من الإقرار بالعبودية لله وليجذبوهم عما التفتوا إليه من اتباع الشهوات الباطنة واقتناء اللذات الوهمية الزائلة وذلك
البعث والجذب تارة يكون بتذكيرهم نعم الله الجسيمة وتنبيههم على شكر ما أولاهم من منته العظيمة وتارة يكون بالترغيب فيما عنده سبحانه
مما أعده لأوليائه الأبرار وتارة بالترهيب مما أعده لأعدائه الظالمين من عذاب النار وتارة بالتنفير عن خسائس هذه الدار وبيان وجوه
الاستهانة بها والاستحقار وإلى ذلك أشار بقوله ويذكروهم منسي نعمته ولا بد للمجادلة والمخاطبة من احتجاج مقنع ومنه فيحتجوا عليهم
عليهم بتبليغ رسالات ربهم وإنذارهم لقاء يومهم الذي يوعدون وبتبيين وجوه الأدلة على وحدانية المبدع الأول وتفرده باستحقاق
العبادة وهو المراد به ودفائن العقول كنوزها واستعمال الدفائن ههنا استعارة لطيفة فإنه لما كانت جواهر العقول ونتائج الأفكار
موجودة في النفوس بالقوة أشبهت الدفائن فحسن استعارة لفظ الدفينة لها ولما كانت الأنبياء هم الأصل في استخراج تلك الجواهر
لإعداد النفوس لإظهارها حسنت إضافة إثارتها إليهم وكذلك ليرشدهم إلى تحصيل مقدمات تلك الأدلة والبراهين وموادها
وهي آيات القدرة الإلهية وآثارها من سقف فوقهم محفوظ مرفوع مشتمل على بدائع الصنع وغرائب الحكم ومهاد تحتهم موضوع فيه
ينتشرون وعليه يتصرفون ومعايش بها يحيون قوام حياتهم الدنيا وبلاغا لمدة بقائهم لما خلقوا له وآجال مقدرة بها يكون فناؤهم
ورجوعهم إلى بارئهم وأعظم بالأجل أنه رادع عنها ومنفذ جاذبا إلى الله تعالى ولذلك قال صلى الله عليه وآله أكثروا من ذكر هادم اللذات إلى غير ذلك من
الأمراض التي تضعف قواهم وتنبههم مهمة المصائب التي تتابع عليهم فإن كل هذه الآثار مواد احتجاج الأنبياء على الخلق لينبهوهم بصدورها
عن العزيز الجبار على سلطانه على أنه هو الملك المطلق الذي له الخلق والأمر وليتذكروا في أنفسهم صورة ما نسوه من العهد المأخوذ عليهم
في الفطرة الأصلية من أنه سبحانه هو الواحد الحق المتفرد باستحقاق العبادة وإلى ذلك أشار القرآن الكريم وجعلنا السماء سقفا
محفوظا وهم عن آياتها معرضون وقوله إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها الآية وقوله تعالى والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض
فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون إلى غير ذلك من الآيات الدالة على احتجاج الخالق سبحانه
على خلقه بألسنة رسله وتراجمة وحيه وجذبه لهم بهذه الألطاف إلى القرب من ساحل عزته والوصول إلى حضرة قدسه سبحانه
وتعالى عما يشركون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار **قوله** ولم يخل الله سبحانه خلقه إلى قوله وخلف

في بيان سبب ايجاد الانبياء

الانبياء **اقول** المقصود الاشارة الى بيان عناية الله سبحانه بالخلق حيث لم يخل امة منهم من نبي مرسل يجذبهم الى جناب عزته كما قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير او كتاب منزل يدعوهم الى عبادته ويذكرهم فيه منسي عهده ويتلو عليهم فيه اخبار الماضين والعبر للاحقين بالاولين ويحتج عليهم فيه بالحجج البالغة والدلائل القاطعة ويوضح لهم فيه امور نظامهم وينبههم على مبدئهم ومعادهم لان الانفصال ههنا انفصال مانع من الخلو كما هو مصرح به **قوله** رسل لا يقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم اي هم رسل كل والمراد الاشارة الى انهم وان كانوا قليلي العدد بالنسبة الى كثرة الخلق وكان عدد المكذبين لهم كثيرا كما هو المعلوم من ان كل نبي بعث الى امة فلا بد فيهم فرقة تنابذه وتعانده وتكذب مقالته فان ذلك لا يولهم قصورا عن اداء ما كلفوا القيام به من حمل الخلق على ما يكرهون مما هو مصلحة لهم في معاشهم ومعادهم بل يقوم احدهم وحده ويدعو الى طاعة باريه ويحمل اعباء المشقة التامة في مجاهدة اعداء الدين ويشرعون في اطراف الارض بحسب العناية الازلية والحكمة الالهية ويبقى اثارها محفوظة وسننها قائمة الى ان تقتضي الحكمة وجود شخص اخر منهم يقوم ذلك المقام رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل **قوله** من سابق سمي له من بعده تفصيل للانبياء ومن ههنا للتمييز بالنبيين والمراد ان السابق منهم قد اطلعه الله تعالى على العلم بوجود اللاحق له بعده فبعضهم كالمقدمة لتمهيد بقاء البعض كعيسى ع حيث قال ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وبين لاحق سماه من قبله كمحمد ع وعلى ذلك اي على هذه الوتيرة والاسلوب والنظام الالهي **قوله** مضت الامم وسلفت الاباء وخلفت الابناء **اقول** الى ان بعث الله سبحانه محمدا ص الى قوله من الجهالة واعلم انه ساق هذه الخطبة من لدن ادم الى ان انتهى الى محمد ص كما هو الترتيب الطبيعي اذ هو الغاية من طينة النبوة وخاتم النبيين كما نطق به القرآن الكريم ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ثم شرع بعد ذلك في التنبيه على كيفية اهتداء الخلق به وانتظام امورهم في معاشهم ومعادهم بوجوده وكل ذلك اسند للح لاذهان السامعين وتمهيد لما يريد ان يعيده عليهم من مصالح دينية او دنيوية فاشار الى انه الغاية من طينة النبوة وتمام لها بقوله الى ان بعث الله محمدا ص لانجاز عدته وتحلفه على السنة رسله السابقين بوجوده واتمام نبوته ص **قوله** ماخوذا على النبيين ميثاقه النصب ههنا على الحال من بعث وذو الحال محمد وكذا الحال في المنصوبين الباقيين والمراد باخذ ميثاقه عليهم ما ذكر وقرر في فطرهم من الاعتراف بحقيقة نبوته وتصديقه فيما يجيء به اذ كان ذلك من تمام عبادة الحق سبحانه فبعثه حال ما كان ذلك الميثاق ماخوذا على الانبياء ومن عداهم وحال ما كانت امارات ظهوره والبشارة بمقدمه مشهورة بينهم مع ذكاء اصله وكرم مادة حملته وشرف وقت مجيئه ثم اراد بعد ذلك ان يبين بعثة محمد ص تعظيما وليبين فضيلة شرعه وكيفية انتفاع الخلق به فقال واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرائق متشتتة والواو في قوله واهل الارض للحال ايضا وموضع الجملة نصب **وقوله** واهواء خبر مبتدا محذوف تقديره اهواؤهم متفرقة وكذا **قوله** طرائق اي وطرائقهم طرائق متشتتة اي بعثه وحال اهل الارض يوم بعثه ما ذكر من تفرق الاديان وانتشار الاراء واختلافها وتشتت الطرق والمذاهب واعلم ان الخلق عند مقدم محمد ص اما من عليه اسم الشرائع او غيرهم اما الاولون فاليهود والنصارى والصابئة والمجوس وقد كانت اديانهم اضمحلت من ايديهم وانما بقوا متشبهين باهل الملل وقد كان الغالب عليهم دين التشبيه ومذهب التجسيم كما حكى القرآن الكريم عنهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا والمجوس اثبتوا اصلين اسندوا الى احدهما الخير والى الثاني الشر ثم زعموا انه جرت بينهما محاربة ثم ان الملائكة توسطت واصلحت بينهما على ان يكون العالم السفلي للشرير مدة سبعة الاف سنة الى غير ذلك من هذيانهم وخبطهم واما غيرهم من اهل الاهواء المنتشرة والطرائق المتشتتة فهم على اصناف شتى فمنهم العرب اهل مكة وغيرهم وقد كان منهم معطلة ومنهم محصلة نوع تحصيل اما المعطلة فصنف منهم انكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين حكى القرآن عنهم وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وقصروا الحيوة والموت على تحلل الطبايع المحسوسة وتركبها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون وصنف منهم اقروا بالخالق وابتداء الخلق عنه وانكروا البعث والاعادة وهم المحكي عنهم في القرآن الكريم وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الاية وصنف منهم اعترفوا بالخالق ونوع من الاعادة لكنهم عبدوا الاصنام وزعموا انها شفعاؤهم عند الله كما قال ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومن هؤلاء قبيلة ثقيف وهم اصحاب اللات بالطائف وقريش وبنو كنانة وغيرهم اصحاب العزى ومنهم من كان يجعل الاصنام على صور الملائكة ويتوجه بها الى الملائكة ومنهم من كان يعبد الملائكة كما قال تعالى بل كانوا يعبدون الجن واما المحصلة فقد كانوا في الجاهلية على ثلاثة انواع من العلوم احدها علم الانساب والتواريخ والاديان والثاني تعبير الرؤيا

سابق م

والثالث علم

في بيان فضيلة القران

والثالث علم الانواء وذلك مما ينولاه الكهنة والقافة منهم وعن النبي صلى الله عليه وآله من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما انزل على محمد
ومن غير العرب البراهمة من اهل الهند ومدار معتقدهم على التحسين والتقبيح والرجوع في كل الاحكام الى العقل وانكار الشرائع
واسنادها الى رجل منهم يقال له برهام ومنهم اصحاب البددة والبد عندهم شخص في هذا العالم لا يولد ولا ينكح
ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت ومنهم اهل الفكرة وهم اهل العلم منهم بالفلك واحكام النجوم ومنهم اصحاب الروحا
الذين اثبتوا وسائط روحانية اتاهم بالرسالة من عند الله في صورة البشر من غير كتاب فنأمرهم وتنهاهم ومنهم عبدة
الكواكب ومنهم عبدة الشمس ومنهم عبدة القمر وهؤلاء يرجعون بالاخرة الى عبادة الاصنام اذ لا يستمر لهم طريقة الا بشخص
حاضر ينظرون اليه ويرجعون اليه في مهماتهم ولهذا كان اصحاب الروحانيات والكواكب يتخذون اصناما على صورها
فكان الاصل في وضع الاصنام ذلك اذ نعلم قطعا ان عاقلا لا يعمل خشبا بيده ثم يتخذه الها الا ان الخلق لما عكفوا عليها
وربطوا نجحهم بها من غير اذن شرعي ولا حجة ولا برهان من الله تعالى كان عكوفهم ذلك وعبادتهم لها اثباتا الالهية لتلك
الاصنام فالارآء الباطلة والمذاهب الفاسدة اكثر من ان تحصى وهي مذكورة في الكتب المصنفة في هذا الفن واذا عرفت
ذلك ظهر معنى قوله عليه السلام من مشيئة الله تخلفه كالبقية من اصحاب الملل الشامخة فانهم وان اثبتوا صانعا الا ان ازهانهم مكيفة
بكيفية بعض مصنوعاته في نفس الامر من الجسمية وتوابعها ومن ملحد في اسمه كالذين عدلوا عن الحق في اسمائه بحرفها
عما هي عليه الى سما استحقوها لاوثانهم وزادوا فيها ونقصوا كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومنات من المنان
وهذا التاويل منقول عن ابن عباس ومنهم من فسر الملحدين في اسماء الله بالكاذبين في اسمائه وعلى هذا كل من سمى الله بما لم يسم
به نفسه ولم ينطق به كتاب ولا ورد فيه اذن شرعي فهو ملحد في اسمائه وقوله ومشير الى غيره كالدهرية وغيرهم من عبدة
الاصنام والانقياد هنا المنع الخلق ايضا فلما افضت العناية ببعثته صلى الله عليه وآله ليهتدوا سبيل الحق ويفيئوا من ظلم
الضلال الى سواء الصراط المستقيم وليتقذهم بمكرنه من ظلمات الجهل الى نور اليقين فقام بالدعوة الى سبيل ربه
بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن فجلا الله بنوره عن قلوب الخلق وازهق باطل الشيطان بما جاء به من
الحق والصدق وانطلقت الالسن بذكر الله واستنارت البصائر بمعرفة الله وكمل به دينه في اقصى بلاد العالم واتم به نعمته
على كافة عباده كما قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا احب الله سبحانه لقاءه كما احب
هو لقاء الله كما قال عليه السلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه ورضي له ما عنده من الكرامة التامة والنعمة العامة في جوار الامين في مقعد
صدق عند مليك مقتدر فاكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مجاورة البلوى ومقام الاذى فقبضه اليه عند انتهاء اجله كريما عن
ادناس الذنوب بطاهر ابني ولا دنس الجسمانية والروحانية صلى الله عليه وآله ما برق بارق وذر شارق قوله وخلف فيكم ما خلفت
الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم اقول لما كان هذا الشخص الذي هو النبي لا يتكرر وجود مثله
في كل وقت لما ان المادة التي تقبل كمال مثله انما يقع في قليل من الامزجة وجب ان يكون ان يشرع للناس بعده في امورهم سنة باقية
باذن الله وامره ووحيه وانزاله الروح القدس عليه ووجب ان يكون قد دبر لبقاء ما يسنه ويشرعه في امور المصالح الانسانية
تدبيرا والغاية من ذلك التدبير هو بقاء الخلق واستمرارهم على معرفة الصانع المعبود ودوام ذكره وذكر المعاد وحسم وقوع النسيان
فيهم مع انقراض القرآن الذي يلي النبي ومن بعده فواجب اذن ان يأتيهم بكتاب من عند الله ويكون وافيا بالمطالب الالهية والاذكار
الجاذبة الى الله سبحانه والاخطار بالبال في كل حال مشتملا على انواع من الوعد على طاعة الله ورسوله بجزيل الثواب عند المصير اليه
والوعيد على معصيته بعظيم العقاب عند القدوم عليه ولا بد ان يعظم امره ويسن على الخلق تكراره وحفظه او بعضه ودراسته
تعلمه وتعليمه وتفهم معانيه ومقاصده ليكون فيه التذكر لله سبحانه والملأ الاعلى من ملائكته ثم يسن عليهم افعالا واعمالا تتكرر
في اوقات مخصوصة متقاربة بعضها وبعضها متباعدة مشفوعة بالفاظ تقال ونيات تنوى في الخيال ليحصل بها دوام التذكر المعبود
الاول وينتفع بها في امر المعاد والا فلا فائدة فيها وهذه الافعال كالعبادات المنسوبة المفروضة على الناس وما يلحقها من الوظائف
ولما ابلغ هنا بذكر الكتاب العزيز لكونه مشتملا على ذكر سائر ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله اما مطابقة والتزاما وفي بسط قوانينه الكلية
حسب السنة النبوية ووفائه بجميع المطالب الالهية فحسن ابتداء بذكر شرفه ووظائفه وشرائطه تلاوته ونوع الكلام في باقي الغيام
البحث الثاني في فضيلة الكتاب اما الفضيلة فمن وجوه الاول قوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم
له منكرون وهذا كتاب انزلناه مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وقوله وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله
ولكن تصديق الذي بين يديه وهدى ورحمة للقائهم يؤمنون الثاني قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا
اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظم الله تعالى الثالث قوله صلى الله عليه وآله ما من شفيع افضل منزلة عند الله تعالى يوم القيامة

العقليتين

بنات

تعليم

في بيان فضيلة القرآن

من القرآن لا تتجاوز الا ملائكة الاعين ويلوح لك من سر هذه الاشارات ان ذلك انما هو في حق من تدبره وسلك نهج المطلوب منه المشتمل
عليه وصل به الى جناب الله في جوار الملائكة المقربين ولا غاية من الشفاعة الا الوصول الى نيل الرضوان من المشفوع وعلمت ان تمام
رضوان الله بغير سلوك الطريق المشتمل عليها الكتاب العزيز لا يحصل ولا ينفع فيه شفاعة شافع كما قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين
فما لهم عن التذكرة معرضين **الرابع** قال صلى الله عليه وآله لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار والمراد اي ظرف وعاه وتدبره
وسلك طريقه لم تمسه النار اما نار الآخرة فظاهر واما نار الدنيا فلان الواصلين من اولياء الله الكاملين في قوتهم النظرية و
العملية يبلغون حدا تنفعل العناصر عن نفوسهم فيتصرفون فيها كتصرفهم في ابدانهم فلا يكون لها في ابدانهم تأثير وقد عرفت اسباب
ذلك في المقدمات **الخامس** قال صلى الله عليه وآله افضل عبادة امتي قراءة القرآن واهل القرآن هم اهل الله وخاصته والمقصود مع
شرائطه التي سنذكرها **البحث الثالث** في وظايف القراءة اما مداومة قراءة الكتاب بالتلاوة والدرس فيحتاج الى وظايف والا لم ينتفع
بها كما قال رب تال للقرآن والقرآن يلعنه والذي ينبغي ان يوظف في ذلك ما لخصه الامام ابو حامد الغزالي في كتاب
الاحياء فانه لا مزيد عليه وهي امور عشرة **الاول** ان يتصور الانسان حال سماعه للتلاوة عظمة كلام الله سبحانه وانه كان
ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام الخلق في ايصال معاني كلامه الى اذهانهم وكيف تجلت لهم الحقايق الالهية في
حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى مدارج الجلال ونعوت الكمال الا بوسيلة ولولا استتار كنه جمال
كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره فالصوت والحرف
للحكمة جسد وهي بالنسبة اليه نفس وروح ولما كان شرف الاجساد وعزتها بشرف ارواحها فكذا شرف الحرف والصوت بشرف الحكمة التي
فيها **الثاني** التعظيم للمتكلم وينبغي ان يحضر في ذهن القاري عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقرأه ليس بكلام البشر وان في تلاوة كلام الله
غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا المتطهر فكذلك باطن
معناه بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب لا ينبغي بنوره الا اذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وعن ظلمة
الشرك وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لحمل انواره كل قلب لاجل هذا الاجلال كان
عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف يغشى عليه ويقول هو كلام ربي فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلم وعلمت ان عظمة المتكلم لا تخطر في القلب
بدون الفكر في صفات جلاله ونعوت كماله وافعاله واذا خطر ببالك الكرسي والعرش والسموات والارضون وما بينهما وعلمت ان
الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها هو الله الواحد الحق وان الكل في قبضته والسموات مطويات بيمينه والكل سائر اليه وانه
الذي يقول هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي فانك تستحضر من ذلك عظمة المتكلم ثم عظمة الكلام **الثالث**
حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يتجرد عند قراءته
جميع المشغلات والهموم عنه وهذه الوظيفة تحصل مما قبلها فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس اليه ولا يغفل عنه
فان في القرآن ما يستأنس به القلب ان كان التالي اهلا وكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه بساتين العارفين ومدارج
الاولياء وميادين اولي الالباب **الرابع** التدبر وهو وراء حضور القلب فان الانسان قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه
يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من التلاوة التدبر قال سبحانه افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب
اقفالها افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال ورتل القرآن ترتيلا ليتمكن الانسان من التدبر بالباطن
وقال صلى الله عليه وآله لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن التدبر الا بالترديد فليردد فقال ابو ذر قام رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة يردد
قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم **الخامس** التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن
يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وافعاله واحوال انبيائه واحوال ملائكته وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار والوعد
والوعيد فليتأمل معاني هذه الاسماء والصفات لتنكشف له اسرارها فتحتها دفائن الاسرار وكنوز الحقائق والى ذلك اشار علي عليه السلام بقوله
ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا في طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود من اراد
علم الاولين والآخرين فليتدبر القرآن واعلم ان اعظم علوم القرآن تحت اسماء الله تعالى وصفاته ولم يدرك الخلق منها الا بقدر افهامهم واليه
الاشارة بقوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا فالماء هو العلم انزله من سماء جوده ففاضت
اودية القلوب كل على حسب سعة استعداده وامكانه وان كان وراء ما ادركوه اطوار اخرى لم يقفوا عليها وكنوز لم يعثروا على اغوارها
اما افعاله تعالى وما اشار اليه من خلق السموات والارض وغيرها فالذي ينبغي ان يفهم التالي منها هو صفات الله وجلاله اذ الاشارة
الفعل الى الفاعل فيستدل بعظمة فعله على عظمته ليلاحظ بالآخرة الفاعل دون الفعل فيراه في المقام الاول هذا خلق الله فاروني
ماذا خلق الذين من دونه ويراه في المقام الثاني في كل شيء هالك الا وجهه فمن عرف الحق رآه في كل شيء ومن بلغ الى حد العرفان عن

ودرجة الاعتبار لم يرمعه غيره فاذا تلا قوله افرأيتم ما تمنون أفرأيتم الماء الذي تشربون أفرأيتم النار التي تورون فلا ينبغي ان يقصر نظره على النطفة والماء والنار بل ينظر في المني وهو نطفة ثم في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعصب والعروق وغيرها ثم في كيفية اشكال اعضائها المختلفة من المستدير والطويل والعريض والمستقيم والمنحني والرخو والصلب والرقيق والغليظ وما اودع في كل من القوة وقبالة من المنفعة التي لو اختل شيء منها لاختل امر البدن ومصالح الانسان فليتأمل في هذه العجائب وامثالها التي فيها الى عجيب قدرة الله تعالى والمبداء الذي صدرت عنه هذه الآثار فلا يزال مشاهد الكمال الصانع في كل صنعة واما احوال الانبياء فليفهم من سماع كيفيته تكذيبهم وقتل بعضهم صفة استغناء الله تعالى عنهم ولو هلكوا باجمعهم لم ينتقص من ملكه شيء فاذا سمع نصرتهم فليفهم ان ذلك من تأييد الهي كما قال تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء واما احوال المكذبين لهم كعاد وثمود وكيفية اهلاكهم فليتنبه من سماعه لاستشعار الخوف من سطوة الله ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وان اغفل واساء الادب فربما ادركته النقمة ونفذت فيه القضية حيث لا ينفع مال ولا بنون وكذا اذا سمع احوال الجنة والنار فليحصل منهما على خوف ورجاء ويتصور انه يفقد ما يبعد عن احدهما ويقرب من الآخر وليفهم منهما ومن شأن القرآن ان استقصاء ما هنالك من الفهم والاسرار الالهية غير ممكن لعدم نهايته قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا وقال علي ع لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فمن لم يفهم معاني القرآن في تلاوته وسماعه ولو في ادنى المراتب دخل في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها وتلك الاقفال هي الموانع التي سنذكرها **السادس** التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا من فهم القرآن لاسباب وحجب سدلها الشيطان على قلوبهم فحجبت عن عجائب اسراره قال ص لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني القرآن واسراره جملة الملكوت والحجب المانعة **اولها** الاشتغال بتحقيق الحروف واخراجها من مخارجها والتشدق بها عن ملاحظة المعنى وقيل ان المتولي لحفظ ذلك شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن معاني كلام الله فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف ويخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فيكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فمتى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس **وثانيها** ان يقلد مذهبا سمعه وتفسيرا ظاهرا نقل اليه عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ويجمد على التعصب له من غير علم وبصيرة نظره موقوفا على مسموعه حتى لو لاح له بعض الاسرار حمل عليه شيطان التقليد حمله ولم يسوغ له خلاف آبائه ومعلميه في ترك ما هو عليه من الاعتقاد والى مثل هذا اشارت الصوفية بقولهم العلم حجاب وعنوا بالعلم العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بالتعليم والتقليد وبمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم لا العلم الحقيقي الذي هو المشاهدة بانوار البصيرة ثم ذلك التقليد قد يكون باطلا كمن يحمل الاستواء على العرش على ظاهره فان خطر له في القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من استقرار ذلك الخاطر في نفسه حتى ينساق الى كشف ثان وثالث ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره بجدله ووسوسته وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم لان الحق الذي كلف الخلق طلبه له مراتب ودرجات وظاهر وباطن فجمود الطبع على ظاهره يمنع من الوصول الى الباطن فان قلت كيف يجوز ان يجاوز الانسان المسموع وقد قال ص من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار وفي النهي عن ذلك آثار كثيرة فلنا الجواب عنه من وجوه **الاول** انه معارض بقوله ص ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا وبقول علي ع الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن ولو لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما فائدة ذلك الفهم **الثاني** انه لو لم يكن غير المنقول لاشترط ان يكون مسموعا من رسول الله ص وذلك مما لا يصادف الا في بعض القرآن واما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من انفسهم فينبغي ان لا يقبل فيقال هو تفسير بالرأي **الثالث** ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع ذلك عن رسول الله ص محال فكيف يكون الكل مسموعا **الرابع** انه دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فلا معنى لتخصيص ابن عباس بذلك **الخامس** قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت للعلماء استنباطا ومعلوم انه وراء المسموع فاذن الواجب ان يحمل النهي عن التفسير بالرأي على احد معنيين احدهما ان يكون للانسان في الشيء رأي وله اليه ميل بطبعه فيتأول القرآن على وفق رأيه حتى لو لم يكن له ذلك الميل لما خطر له ذلك التأويل وسواء كان ذلك الرأي مقصدا صحيحا او غير صحيح وذلك كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيستدل على تصحيح غرضه من القرآن بقوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى ان قلبه هو المراد بفرعون كما يستعمله بعض الوعاظ تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع **الثاني** ان يتسرع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الالفاظ المبهمة وما يتعلق به من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير والمجاز فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأي مثاله

قوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها فالناظر إلى ظاهر العربية ربما يظن أن المراد أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء وهو المعنى
آية مبصرة ثم الآية ربما أنهم إذا ظلموا غيرهم ومن ذلك المنقول المنقلب كقوله تعالى وطور سينين وكذا باقي أجزاء البلاغة فكل
مكتف في التفسير بظاهر العربية من غير استظهار بالنقل فهو مفسر برأيه فهذا هو المنهي عنه دون التفهم لأسرار المعاني وظاهر
أن النقل لا يكفي فيه وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر صفاء عقولهم وشدة استعدادهم له والطلب المحض
والتفهم وملاحظة الأسرار والعبر ويكون لكل واحد منهم حد في الترقي إلى درجة منه فهذا الاشتراك في الفهم ومثاله ما فهم
بعض العارفين من قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء
عليك أنت كما أثنيت على نفسك أنه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض
فإن الرضا والسخط وصفان متضادان ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقي إلى الذات فقال أعوذ بك منك ثم زاد قربه
بما استحيا به على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله لا أحصي ثناء عليك ثم علم أن ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت
على نفسك فهذه خواطر تنفتح للعارفين لا يفهم من تفسير الظاهر وليس مناقضا له وإنما هو استكمال لما يختص من الأسرار **الثالث**
من الموانع أن يكون مبتلى من الدنيا بهوى متاع فإن ذلك سبب لظلمة القلب كالصدأ على المرآة فيمنع جلية الحق تتجلى
فيه وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون وكلما كانت الشهوات أكثر تراكما على القلب كان البعد عن أسرار الله أكثر

السابع

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما تقرب من إحداهما تبعد من الأخرى أن يختص نفسه بكل خطاب في
القرآن من أمر أو نهي أو وعد أو وعيد ويقدر أنه هو المقصود به وكذا إن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود
وإنما المقصود الاعتبار فلا يعتقد أن كل خطاب خاص في القرآن فالمراد به الخصوص فإن القرآن وسائر الخطابات الشرعية
واردة بإياك أعني واسمعي يا جارة وهي كلها نور وهدى ورحمة للعالمين ولذلك أمر الحق تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال
واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وإذا قدر أنه المقصود لم يتخذ دراسة القرآن عملا بل قراءة
كقراءة العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتدبره ويعمل بمقتضاه كما قال الحكيم هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا بعهوده
نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات **الثامن** التأثر وهو أن يتأثر
قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به عندما يوجه نفسه في كل حالة إلى الجهة
التي فهمها من خوف وحزن أو رجاء أو غيره فيستعد بذلك وينفعل ويحصل له التأثر والخشية ومهما قويت معرفته كانت
الخشية أغلب الأحوال على قلبه فإن التضييق غالب على العارفين فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر العارف
عن نيلها كقوله تعالى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فإنه قرن المغفرة بهذه الشروط الأربعة وكذا قوله تعالى
والعصر إن الإنسان لفي خسر السورة ذكر فيها أربعة شروط وحيث أوجز واقتصر ذكر شرطا واحدا جامعا للشرائط فقال تعالى
إن رحمة الله قريب من المحسنين إذ كان الإحسان جامعا لكل الشرائط وتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة
فعند الوعيد يتضاءل من خشية الله وعند الوعد يستبشر فرحا بالله وعند ذكر صفات الله وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله
لجلاله وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله كالصاحبة والولد يغض صوته وينكسر في باطنه من قبح أفعالهم ويكبر الله
ويقدسه عما يقول الظالمون وعند ذكر الجنة ينبعث بباطنه شوقا إليها وعند ذكر النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ علي قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا رأيت عينيه تذرفان من الدمع فقال حسبك الآن وذلك لاستغراق تلك الحالة لقلبه بالكلية وبالجملة
فالقرآن إنما يراد لهذه الأحوال واستجلابها إلى القلب والعمل بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت
عليه جلودكم فإذا اختلفتم فلستم تقرؤونه وقال تعالى الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وإلا
فالمؤنة في تحريك اللسان خفيفة قال بعضهم قرأت على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ عليه ثانيا فانتهرني وقال جعلت القرآن علي
عملا اذهب فاقرأ على الله تعالى وانظر ماذا يأمرك وماذا ينهاك ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفا من الصحابة لم يكن يحفظ القرآن
منهم غير ستة واختلف منهم في اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم
كل ذلك لاشتغالهم بتفهم معاني القرآن عن حفظه كله وجاء إليه واحد ليتعلم القرآن فانتهى إلى قوله تعالى ومن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه فالعزيز
مثل تلك الحالة التي يمن الله تعالى بها على القلب عقيب تفهم الآية وأما التالي باللسان المعرض عن العمل فجدير بأن يكون المراد
بقوله تعالى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى الآية وإنما حظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل

وحفظ

اشارة الى بيان الاحكام الخمسة التكليفية

وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار التاسع الترقي وهو ان يوجه قلبه وعقله الى القبلة الحقيقية فيسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه ودرجات القراءة ثلث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرء على الله وقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتضرع والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كانه سبحانه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه وهو في مقام الحياء والتعظيم لله والاصغاء الى الله اليه والفهم عنه الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات ولا ينظر الى قلبه ولا الى قراءته ولا الى التعلق بالانعام من حيث هو منعم عليه بل يقصر الهم على المتكلم ويوقف فكره عليه ويستغرق في مشاهدته هذه درجة المقربين عنها اخبر الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقال لقد تجلى الله تعالى لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما افاق قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة وبهذا الترقي يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله وبمشاهدة المتكلم دون ما عداه يكون ممتثلا لقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر فان رؤية غير الله معه شرك خفي لا يخلص منه الا برؤيته وحده العاشر التبري والمراد به ان يبرء من حوله وقوته ولا يلتفت الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا آيات الوعد ومدح الصالحين حذف نفسه عن درجة الاعتبار وشهد فيها الموقنين والصديقين ويتشوق الى ان يلحقه الله تعالى بهم واذا تلا آيات المقت والذم في المقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا فاقبل ابو يوسف اسباط اذا قرأت القرآن بما اذا ادعو وقال ابطا تدعو فقال بما اذا ادعوا استغفر الله عن تقصيري سبعين مرة ومن رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان ذلك سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اعلى في القرب ومن شهد القرب في البعد ردّه امنه الى درجة ادنى في البعد مما هو فيه ومهما شاهد نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله وحده في قراءته انكشف له الملكوت والكاشفات تابعة لحال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء يغلب عليه الاستبشار وينكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله تعالى وارد باللطف والسهولة والشدة والعسف والرجاء والخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانعام والبطش فبحسب مشاهدة الكمالات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد لنوع من المكاشفة مناسب لتلك الحالة اذ يستحيل ان يكون حال المستمع مختلفا اذ فيه كلام رضى وكلام غضب وكلام انعام وكلام انتقام وكلام جبروت وتكبر وكلام حنو وتعطف فهذه هي وظايف التلاوة ولنرجع الى المتن فنقول **قوله** وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق ولا علم قايم اشارة الى وضع ما يجب في الحكمة الالهية على السنة الرسل عليهم السلم من العبادات الشرعية والقوانين الكلية التي بها ينبغي ذكر الله سبحانه محفوظا واستعمال لفظ العلم القايم ههنا استعارة حسنة للآثار الباقية عن الانبياء التي يهتدى بها والاولياء الذين يرجع اليهم الخلق **قوله** كتاب ربكم عطف بيان لما في قوله ما خلفت الانبياء ولا يمنع ان بعضهم تما يخص الكتاب حتى يكون ما اتى به محمد صلى الله عليه وآله من الكتاب هو عين ما اتت به الانبياء السابقون عليهم السلام وتخصه فان ذلك محال بل المراد بما نوع ما خلفت الانبياء في اممها من الحق وما جاء به محمد صلى الله عليه وآله شخص من اشخاص ذلك النوع وبيان ذلك ان القوانين الكلية التي اشتركت في الاتيان بها جميع الانبياء من التوحيد والتنزيه لله تعالى واحوال البعث والقيمة وساير القواعد الكلية التي بها يكون النظام الكلي للعالم كتحريم الكذب والظلم والقتل والزنا وغير ذلك مما لم يخالف فيه نبي نبيا بمنزلة مهية واحدة كلية وجدت في اشخاص وكما تعرض لبعض اشخاص المهية عوارض لا تكون لشخص الاخر وبها يكون اختلاف بين الاشخاص بحسب المواد التي تنشأ منها الصور الشخصية كذلك الكتب المنزلة على السنة الانبياء بمنزلة اشخاص اشتملت على مهية واحدة تختلف بحسب الزيادات والعوارض على تلك المهية بحسب اختلاف الامم والاوقات المشتملة على المصالح المختلفة باختلافها **قوله** مبينا منصوب على الحال والعامل خلف وذو الحال الفاعل وهو ضمير النبي **قوله** حلاله وحرامه وفضائله وفرائضه اشارة الى الاحكام الخمسة الشرعية التي يدور عليها علم الفقه وهي الوجوب والندب والحظر والكراهة والاباحة وعبر بالحلال عن المباح والمكروه وبالحرام عن المحظور وبالفضائل عن المندوب وبالفرائض عن الواجب وبالنسخ عن رفع الحكم الثابت بالنص المتقدم بحكم آخر مثله فالناسخ هو الحكم الرافع كقوله اقتلوا المشركين والمنسوخ هو الحكم المرفوع كقوله لا اكراه في الدين وبالرخص عما اذن في فعله مع قيام السبب المحرم لضرورة او غيرها كقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد الاية وبالعزايم عما كان من الاحكام الشرعية جاريا على وفق سببه الشرعي كقوله فاعلم انه لا اله الا الله وبالعام ههنا عن اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد كقوله تعالى والله بكل شئ عليم وكقوله ولله على الناس حج البيت وبالخاص عما لم يتناول الجميع بالنسبة الى ما يتناوله كقوله من استطاع اليه سبيلا والخاص المطلق هو ما يمنع بتصور مفهومه من وقوع

واضح

الاوصياء

اشارة الى بيان الاحكام الخمسة التكليفية

الشركية كما عرفته والعبر جمع عبرة وهي الاعتبار واشتقاقها من العبور وهو انتقال الجسم من موضع الى آخر ولما كان الذهن ينتقل من الشيء
الى غيره حسن اطلاقها العبرة عليه واكثر ما يختص اطلاق العبرة بانتقال ذهن الانسان من المصائب الواقعة بالغير او الامور المكروهة
له الى نفسه فيقدرها كانها نازلة به فيحصل له بسبب ذلك انزعاج عن الدنيا وانتقال نفسه الى ما وراءه من امر المعاد والرجوع الى بارئه تعالى في
ذلك عبرة وكل من المصائب اللاحقة لغيره نفسه المذكرة له بجناب العزة والملقنة له بتكرارها عن دار البلوى والمحن فينتقل ذهنه
بسببها الى ان الدنيا دار البوار وان الآخرة هي دار القرار وذلك كقصة اصحاب الفيل وكقوله فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال
الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وان كان قد تستعمل العبرة في كل ما يفيد اعتبارا
من طرق الاحسان ايضا كقوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها الآية وكقوله تعالى فئة تقاتل في سبيل الله واخرى
كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فجعل سبحانه نصر المؤمنين على قلتهم
وخذلان المشركين على كثرتهم ومشاهدة المسلمين لكونهم مثليهم محلا للعبرة اذ يحصل بذلك انتقال الذهن من نعم الى انه
الاله المطلق المستحق للعبادة المتفرد بالقدرة على ما يشاء واهل الرحمة والجود وافاضة تمام الوجود واما الامثال فظاهرة كقوله تعالى
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء الآية وكقوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ونحوه واراد بالمرسل الالفاظ المطلقة
والمهملة وهي الالفاظ التي لا تمنع نفس مفهومها وقوع الشركة فيها لكنها لم يبين فيها كمية الحكم ومقداره ولم تقيد بقيد يفيد
العموم ولا الخصوص وهو يحاله لهما كاسماء الجموع في النكرات كقوله تعالى وعلى الاعراف رجال وكالمفرد المعرف باللام او المنكر كقوله
والعصر ان الانسان لفي خسر وكقوله ان جاءكم فاسق وقوله فتحرير رقبة فان كل هذه الالفاظ يراد بها الطبيعة دون الكل او
البعض الا بدليل منفصل والفرق بينها وبين العامات لكل شيء مقتضية هويتها فهي مغايرة لكل ما عداها فان مفهوم الانسان
فاما انه واحد او كثير او ليس حد ما مفهوم آخر مغاير لماهيته اذا عرفت فاللفظ الدال على الحقيقة من حيث هي من غير دلالة على شيء
آخر معها هو اللفظ المطلق والمهمل والدال معها على قيد العموم بحيث يفهم منه تعدد الماهية وتكثرها في جميع مواردها فهو اللفظ
العام او في بعض مواردها وهو الخاص وان كان العموم والخصوص للذات للمعاني واراد بالمحدد المقيد كقوله تعالى في الكفارة
في موضع آخر فتحرير رقبة مؤمنة واما المحكم والمتشابه والمجمل والمبين فقد سبق بيانها في المقدمة مثال المحكم قوله تعالى قل هو الله
احد مثال المتشابه قوله الرحمن على العرش استوى مثال المجمل قوله الا ما يتلى عليكم وقوله واحل لكم ما وراء ذلكم مثال المبين
قوله بعد ذلك ان تبتغوا باموالكم الآية والتفسير هو التبيين والغوامض فانها المسائل وانما اضاف هذه المعاني كلها الى
الكتاب لاشتماله عليها وكونه مبدأ لها ولما كانت محتاجة الى البيان كان الرسول صلى الله عليه وآله هو المبين لها بسنته الكريمة **وقوله**
بين ماخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله الى آخره الضماير تعود الى الاحكام المذكورة المشتمل عليها الكتاب العزيز وذكر منها
انواعا احدها ما يجب تعلمه وغيره موسع للخلق في جهله كوحدانية الصانع وامر المعاد والعبادات الخمس وثانيها ما لا يتعين
على كافة الخلق العلم به بل يعذر بعضهم في الجهل ويوسع لهم في تركه كالآيات المتشابهات وكاوائل السور كقوله تعالى كهيعص وحم
عسق ونحوها وثالثها ما هو مثبت في الكتاب فرضه ومعلوم في السنة نسخه وذلك كقوله تعالى واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا وقوله واللذان
يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فكانت الثيب اذا زنت في بدء الاسلام تمسك في البيوت الى الممات والبكر
تؤذى بالكلام ونحوه بمقتضى هاتين الآيتين ثم نسخ ذلك في حق الثيب بالرجم وفي حق البكر بالجلد والتغريب بحكم السنة ورابعها
ما هو بعكس ذلك اي مثبت في السنة اخذه ماذون في الكتاب تركه وذلك كالتوجه الى بيت المقدس في ابتداء الاسلام فانه كان
ثابتا في السنة ثم نسخ بقوله تعالى فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وكنسخ
صلوة الخوف في القرآن حال القتال الرافع لجواز تاخيرها في السنة الى انجلاء القتال وخامسها ما يجب لوقته ويزول في مستقبله
كالحج الواجب في العمر مرة وكالنذر المقيد بوقت معين وامثالها فان وجوبها تابع لوقتها المعين ولا يتكرر بتكرر امثالها وقوله
ومباين بين محارمه عطف على المجرورات السابقة والياء مفتوحة وفي معنى الكلام وتقديره لطف فان المحارم لما كانت هي محال الحكم المسمى
بالحرمة صار المعنى وبين حكم مباين بين محاله هو الحرمة وقوله من كبير اوعد عليه نيرانه او صغير ارصد له غفرانه بيان لتلك المحال واشارة الى
تفاوتها بالشدة والضعف في كونها مبعدة عن رحمة الله على سبيل الجملة فالاول كالقتل في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا فجزاؤه جهنم الآية و
كسائر الكبائر من الظلم والزنا وغيرها والثاني قال الفقهاء كالتطفيف بالحبة وسرقة باقة من بصل ونحو ذلك وارصاد الغفران
بازاء هذه وامثالها في الكتاب العزيز كقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وسائر آيات الوعد بالمغفرة فانها ان كانت
عامة في كل الذنوب فالصغائر داخلة بطريق الاولى والا كانت محمولة على الصغائر وسر اولويتها بالغفران انها لا تكاد تكسب النفس ملكة

ماهو

ذلك

وشرائطها

الافراط والجور

في بيان احكام الحج

الافراط والجور الا عن بعد بعيد وتكرار طويل بخلاف الكبائر فان الاقدام عليها في غالب الاحوال لا يقع عن نفس مستعدة للشر
بعيدة عن رحمة الله وبالله العصمة والتوفيق **الفصل الخامس منها قوله** وفرض عليكم حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للانام
يردونه ورود الانعام ويألهون اليه ولوه الحمام جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته واختار من خلقه سماعا اجابوا
اليه دعوته وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف انبيائه وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه يحرزون الارباح في متجر عبادته ويتبادرون
عنده موعد مغفرته جعله سبحانه للاسلام علما وللعائذين حرما فرض حجه واوجب حقه وكتب عليكم وفادته فقال سبحانه ولله
على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين **اقول** يألهون اليه اي يشتد وجدهم وشوقهم
اليه واصل الهمزة ههنا الواو ومن وله يوله اذا تحير من شدة الوجد والسماع جمع جامع كسنام وسنام والمبادرة المسارعة والوفادة القدوم
للاسترفاد والانتفاع واعلم انا لما بينا وجوب العبادات واشرنا الى وجه الحكمة فيها فبالحري ان نشير الى وجه الحكمة في خصوص الحج من
جملتها ونومئ الى تفصيل بافعالها الى مواضعه انشاء الله فاما الحج فانك لما عرفت ان الغرض الاول من العبادات هو جذب الخلق الى جناب الحق
بالتذكير له ودوام اخطاره بالبال ليحصل لهم الانس على طول التذكار وينتهي من ذلك من اخذته العناية منهم الى مقام المخلصين فمن
جملة اسرار الله سبحانه المنزلة على لسان رسوله تعيين موضع من البلاد انه اصلح المواضع لعبادة الله وانه خاص له ولابد ان تبنى مثل هذه
الاوضاع على اشارات ورموز ومقاصد حقيقية ينتبه لها من اخذ التوفيق بزمام عقله اليها ولابد من تعيين افعال تفعل في ذلك المكان
وانها انما تفعل في ذات الله سبحانه وانفع المواضع المعينة في هذا الباب ما كان ماوى الشارع ومسكنه فان ذلك مستلزم لذكره وذكره
مستلزم لذكر الله سبحانه وذكر ملائكته واليوم الاخر ولما لم يمكن في الماوى الواحد ان يكون مشاهدا لكل احد من الامة فالواجب ان
يفرض اليه مهاجرة وسفر وان كان فيه نوع مشقة وكلفة من تعب الاسفار وانفاق المال ومفارقة الاهل والولد والوطن والبلد
ونحن نذكر فضيلته من جهة الشرع ثم نشير الى ما ينبغي ان يوظف فيه من الاداب الدقيقة والاعمال الباطنة عند كل حركة وركن من
اركان الحج مما يجري من تلك الاركان مجرى الارواح للابدان فاذن ههنا ابحاث **البحث الاول** اما الفضيلة فمن وجوه الاول
قوله تعالى واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق قال قتادة لما امر الله عز وجل خليله ابرهيم عم
ان يؤذن في الناس نادى يا ايها الناس ان الله بنى بيتا فحجوه وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في المواسم والاجر في الاخرة ولما سمع
بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة **الثاني** قال ص من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقد عرفت كيفية
نفع العبادات في الخلاص من الذنوب **الثالث** قال صلى الله عليه وآله ما رأى الشيطان في يوم هو اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا
اغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام اذ يقال من الذنوب ما لا يكفرها الا
الوقوف بعرفة اسنده الصادق عم الى الرسول ص وكان سر ذلك ما يحصل من رحمة الله ويفاض على اسرار العباد التي قد صفت بشدة
الاستعداد الحاصل عن ذلك الموقف العظيم الذي يجتمع فيه العالم اشد اجتماع فان الاجتماع سبب عظيم في الانفعال والخشية لله
وقبول انواره كما ستبينه انشاء الله **الرابع** قال ص حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة **الرابع** قال
الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سألوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوه استجاب لهم وان شفعوا اليه شفعهم **السادس**
روي عنه ص من طريق اهل بيته عم اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة وظن ان الله لم يغفر له وفي فضل جزئيات الحج اخبار كثيرة تطلب
من مظانها **البحث الثاني** في الاداب الدقيقة وهي عشرة **الاول** ان تكون النفقة حلالا وتخلو القلب عن تجارة تشغله سوى
الله تعالى وفي الخبر من طريق اهل البيت اذا كان اخر الزمان خرج الناس الى الحج على اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم
للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم وفي الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور ان تتصل بالحج فكل ذلك مانع لفضيلة
الحج ومقصود الشارع منه **الثاني** ان لا يساعد الصادين عن سبيل الله والمسجد الحرام بتسليم المكوس اليهم فان ذلك اعانة على
الظلم وتسهيل لاسبابه وجرأة على سائر السالكين الى الله وليحتل في الخلاص فان لم يقدر فالرجوع اولى من اعانة الظالمين
على البدعة وجعلها سنة **الثالث** التوسع في الزاد وطيب النفس في البذل والانفاق بالعدل دون البخل والتبذير فان بذل
الزاد في طريق مكة انفاق في سبيل الله قال صلى الله عليه وآله الحج المبرور ليس له اجر الا الجنة فقيل يا رسول الله ما بر الحج قال طيب الكلام
واطعام الطعام **الرابع** ترك الرفث والفسوق والجدال كما قال تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج والرفث كل لغو وفحش من
الكلام ويدخل في ذلك محادثة النساء بشأن الجماع المحرم فانها تهيج داعيته وهي مقدمة لفحشه ومن لطف الشارع اقامة مظنة الشيء
مقام الشيء حسما لمادته والفسوق الخروج عن طاعة الله والجدال هو المماراة والخصومة الموجبة للضغائن والاحقاد وافتراق كلمة الخلق
وكل ذلك ضد مقصود الشارع من الحج وشغل عن ذكر الله **الخامس** ان يحج ماشيا مع القدرة ونشاط النفس فان ذلك افضل و
ادخل للنفس في الاذعان لعبودية الله وقال بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من مؤنة الانفاق ولانه ابعد من الملال واقل للاذى واقرب

ح

ان الله

الخامس

الحق

في بيان احكام الحج

الى السلامة واداء الحج وهذا التحقيق غير مخالف لما قلناه والحق التفصيل فيقال من سهل عليه المشي فهو افضل فان ضعف وادى الى
سوء خلق وقصور عن العمل فالركوب افضل لان المقصود توفر القوى على ذكر الله تعالى وعدم الشتغلات عنه **السادس** ان يركب الزاملة
دون المحمل لاشتماله على زي المترفين والمتكبرين ولانه اخف على البعير اللهم الا لعذر حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وكان تحته رحل رث
وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هيئته وشمائله وقال خذوا عني مناسككم **السابع** ان يخرج رث
الهيئة اقرب الى الشعث غير مستكثر من الزينة واسباب التفاخر فيخرج بذلك عن حزب السالكين وشعار الصالحين روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
انما الحاج الشعث التفث يقول الله تعالى لملائكته انظروا الى زوار بيتي قد جاؤني شعثا غبرا من كل فج وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث
الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وتقليم الاظفار **الثامن** ان يرفق بالدابة ولا يحملها ما لا تطيق كان اهل الورع لا ينامون على الدواب
الا غفوة من قعود قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وسر ذلك
مراعاة الرفق والرحمة والتخلي عن القسوة والظلم ولانه يخرج بالعسف عن قانون العدل ومراعاة عناية الله وشمولها فانها كما لحقت الادنى
لحقت سائر الحيوانات **التاسع** ان يتقرب باراقة دم ويجتهد ان يكون سمينا ثمينا روي ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بل اهدها وذلك لان المقصود ليس تكثير اللحم وانما المقصود تزكية
النفس وتطهيرها عن رذيلة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم قال صلى الله عليه وسلم ما
ما من عمل ادمي يوم النحر احب الى الله عز وجل من اهراقه دما وانها لتأتي يوم القيامة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل
ان يقع الارض فطيبوا بها نفسا **العاشر** ان يكون طيب النفس بما انفقه من هدي وغيره وبما اصابه من خسران ونقيصة مال ان
اصابه فذلك فانه بذلك يكون متقربا الى الله سبحانه عن كل ما انفقه متعوضا عنه ما عند الله وذلك علامة القبول **البحث الثالث**
في الوظايف القلبية عند كل عمل من اعمال الحج اعلم ان اول الحج فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة عنه ثم تهيئة
اسباب الوصول اليه من الزاد والراحلة ثم السير ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال المشهورة وفي كل حالة من هذه
الحالات تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق واشارة للفطن الحاذق الى اسرار يقف عليها بصفاء قلبه وطهارة باطنه ان
ساعده التوفيق اما الفهم فاعلم انه لا وصول الى الله الا بتخلية ما عداه عن القصد من المشتهيات البدنية واللذات الدنيوية والتجريد في
جميع الحالات والاقتصار على الضروريات ولهذا انفرد الرهبان في الاعصار السالفة عن الخلق في قلل الجبال توحشا من الخلق وطلبا للانس
بالخالق واعرضوا عن جميع ما سواه ولذلك مدحهم بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل
الخلق على اتباع الشهوات والاقبال على الدنيا والالتفات عن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم لاحياء طريق الاخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها
فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين فقال
هم الصائمون فجعل سبحانه الحج رهبانية لهذه الامة فشرف البيت العتيق باضافته الى نفسه ونصبه مقصدا للعبادة وجعل ما حوله حرما
لبيته تفخيما لامره وتعظيما لشأنه وجعل عرفات كالميدان على باب حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك
يقصده الزوار من كل فج عميق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت مستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن
ان يحويه مكان ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها
العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية بخلاف سائر العبادات
كالزكوة التي هي ارفاق في وجه معلوم وللعقل اليه ميل والصوم الذي هو كسر للشهوة التي هي عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل
وكالركوع والسجود في الصلوة الذي هو تواضع لله سبحانه بافعال على هيئات التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله تعالى واما امثال هذه الاعمال
فانه لا اهتداء للعقل الى اسرارها فلا يكون الاقدام عليها باعثا الا الامر المجرد وقصد امتثاله من حيث هو واجب الاتباع فقط وفيه عزل
للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه المعين على الفعل من حيث هو فان كل ما ادرك العقل وجه الحكمة في فعله مال
الطبع اليه ميلا تاما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص
لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في الصلوة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بكون اعمالهم على خلاف هوى
طباعهم وان يكون زمامها بيد الشارع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد ومقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع
التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع الى مقتضى الاسترقاق ولهذا كان مصدر تعجب النفوس من الافعال العجيبة هو
الذهول عن اسرار التعبدات واما الشوق فانما ينبعث بعد الفهم ان البيت بيت الله وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد لله تعالى ومن
قصد حضرة الله تعالى بالمثال المحسوس يجدر ان يترقى منه بحسب شوقه الى الحضرة العالية والكعبة الحقيقية التي هي في السماء وقد
بني هذا البيت على قصدها فيشاهد وجه ربه الاعلى بحكم وعده الكريم واما العزم فليستحضر في ذهنه انه بعزمه مفارق للاهل والولد

للشهوات

في بيان احكام الحج

حج

للشهوات واللذات مهاجراً الى ربه متوجهاً الى زيارة بيته وليعظم قدر البيت لقدر رب البيت وليخلص عزمه لله ويبعده عن شوائب الرياء
والسمعة فان ذلك شرك خفي وليتحقق انه لا يقبل من عمله وقصده الا الخالص وان من افحش الفواحش ان يقصد بيت الملك وحرمه مع
اطلاع ذلك الملك على خائنة الاعين وما تخفي الصدور ويكون قصده غيره فان ذلك استبدال للذي هو ادنى بالذي هو خير واما
قطع العلائق فبحذف جميع الخواطر عن قلبه غير قصد عبادة الله والتوبة الخالصة لله عن الظلم وانواع المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة
خصم حاضر متعلق به ينادي عليه ويقول اتقصد بيت ملك الملوك وهو مطلع على تضييع امره لك في منزلك هذا وتستهين به ولا تلتفت
الى نواهيه وزواجره ولا تستحيي ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيغلق دونك ابواب رحمته ويلقيك في مهاوي نقمته فان كنت راغباً
في قبول زيارتك فتب اليه من جميع معاصيك واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى ما وراءك لتتوجه اليه بوجه قلبك كما انت متوجه
الى بيته [بوجه ظاهره ثم] وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان كل هذه امثلة قريبة يترقى منها الى اسرارها واما الزاد فليطلبه
من موضع حلال فاذا احس من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير قبل بلوغ المقصد فليتذكر
ان سفر الآخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه لا يصلح زاداً ولا يبقى معه الا فيما هو في هذا المنزل وليحذر ان يفسد
اعماله التي هي زاده الى الآخرة بشوائب الرياء وكدورات التقصير فيدخل في قوله تعالى هل ننبئكم بالاخسرين اعمالاً الذين ضل سعيهم في الحيوة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً وكذا فليلاحظ عند ركوب الدابة تسخير الحيوان له وحمله عنه الاذى ويتذكر منته تعالى لتسهيل اعنائه
ورأفته حيث يقول ويحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم فيشكره سبحانه على جزيل هذه النعمة
وعظيم هذه المنة ويستحضر نقلته من مركبه الى منازل الآخرة التي لا شك فيه ولعله اقرب من ركوبه الحاضر فيحتاط في امره وليعلم ان
هذه امثلة محسوسة يترقى منها الى مركب النجاة من الشقوة الكبرى وهي عذاب الله سبحانه واما ثوب الاحرام وشراؤه ولبسه فليتذكر معه
الكفن ولفه فيه ولعله اقرب اليه وليتذكر منها التستر بانوار الله التي لا مخلص من عذابه الا بها فيجتهد في تحصيلها بقدر امكانه
واما الخروج من البلد فليستحضر عنده انه يفارق الاهل والولد متوجهاً الى الله سبحانه في سفر غير اسفار الدنيا وليستحضر ايضاً غايته من
ذلك السفر وانه متوجه الى ملك الملوك وجبار الجبابرة في جملة الزائرين الذين نودوا [فاجابوا] وشوقوا فاشتاقوا وقطعوا العلائق وفارقوا
الخلائق واقبلوا على بيت الله طلباً لرضى الله وطمعاً في النظر الى وجهه الكريم وليحضر ايضاً في قلبه رجاء الوصول الى الملك والقبول
له بسعة فضله وليعتقد انه ان مات دون الوصول الى البيت لقي الله وافداً عليه لقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ثم ليتذكر في اثناء طريقه من مشاهدة عقبات الطريق الآخرة ومن السباع والحيات حشرات القبر
ومن وحشة البراري وحشة القبر وانفراده عن الانس فان كل هذه الامور جاذبة الى الله سبحانه ومذكرة له امر معاده واما الاحرام والتلبية
من الميقات فليستحضر انه اجابة نداء الله تعالى وليكن في قبول اجابته بين خوف ورجاء مفوضاً امره الى الله متوكلاً على فضله قال سفيان
بن عيينة حج زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام فلما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له لم لا
تلبي فقال اخشى ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه فانظر رحمك
الله الى هذه النفس الطاهرة حيث بلغ بها الاستعداد لافاضة انوار الله لم تزل الغواشي الالهية والنفحات الربانية تغشيها فتغيب عن كل
شيء سوى جلال الله وعظمته وليتذكر عند اجابته نداء الله سبحانه اجابة نداءه اذا نفخ في الصور وحشر الخلق من القبور وازدحامهم في
عرصات القيمة مجيبين للنداء منقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد
الحاج في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج ام لا واما دخول مكة فليستحضر عنده انه قد انتهى الى حرم الله الآمن وليرج عنده ان يأمن
بدخوله من عقاب الله وليخش ان لا يكون من اهل القرب وليكن رجاؤه اغلب فان الكريم عميم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام
اللائذ المستجير غير مضيع خصوصاً عند اكرم الاكرمين وارحم الراحمين وليستحضر ان هذا الحرم مثال للحرم الحقيقي ليترقى من الشوق الى دخول
هذا الحرم والامن بدخوله من العقاب الى الشوق الى دخول ذلك الحرم والمقام الامين واذا وقع بصره على البيت فليستحضر عظمته في قلبه و
ليترق بفكره الى مشاهدة حضرة رب البيت في جوار الملائكة المقربين وليتشوق ان يرزقه النظر الى وجهه الكريم كما رزقه الوصول الى
بيته العظيم وليكثر من الذكر والشكر على تبليغ الله اياه هذه المرتبة وبالجملة فلا يغفل عن تذكر احوال الآخرة في كل ما يراه فان كل
احوال الحج ومنازله دليل يترقى منه الى مشاهدة احوال الآخرة واما الطواف بالبيت فليستحضر في قلبه التعظيم والخوف والخشية و
المحبة وليعلم انه بذلك متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل طواف
قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدئ بالذكر الا منه ولا تختم الا به كما تبتدئ بالبيت وتختم به واعلم ان الطواف المطلوب هو طواف القلب
بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الشهادة لتلك الحضرة التي هي عالم الغيب كما ان الانسان الظاهر مثال ظاهر في عالم الشهادة
للانسان الباطن الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مرقاة ومدرج الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح

في بيان احكام الحج

لمنابه الرحمة واخذ منا لعنايته الالهية سببا لسلوك الصراط المستقيم والى هذه الموازنة وقعت الاشارة الالهية بان البيت المعمور في السماء بازاء
الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت مرتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان
ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم ثم كثيرا ما يزداد ذلك التشبه الى ان يصير في قوة المشبه به والذي يبلغ تلك المرتبة فهو الذي
يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رواه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله واما الاستلام فليعتقد عنده انه مبايع لله على
طاعته مصمم عزيمته على الوفاء ببيعته ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه ولما قبله عمر قال اني لا علم انك حجر لا تضر ولا
تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه واله يقبلك لما قبلتك فقال له علي عليه السلام مه يا عمر بل يضر وينفع فان الله سبحانه لما اخذ الميثاق
على بني ادم حيث يقول واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الاية القمه هذا الحجر ليكون شاهدا عليهم باداء
اماناتهم وذلك معنى قول الانسان عند استلامه امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي عند ربك بالموافاة واما التعلق باستار
الكعبة والالتصاق بالملتزم فليستحضر فيه طلب القرب حبا لله وشوقا الى لقائه تبركا بالمماسة ورجاء للتحصن من النار في كل جزء من
البيت ولتكن النية في التعلق بالستر الالحاح في طلب الرحمة وتوجيه الذهن الى الواحد الحق وسؤال الامان من غضبه كالمذنب المتعلق ‎ الرحمة
باذيال من عصاه المتضرع اليه في عفوه عنه المعترف له بانه لا ملجأ الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل
الطاعة في المستقبل واما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فيشابه تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة
بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي الملك
في حقه من قبول او رد فيكون تردده رجاء ان يرحم في الثانية ان لم يكن رحم في الاولى فليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة
تردده بين كفتي الميزان في عرصة القيمة وليتمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين
ملاحظا للرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران واما الوقوف بعرفة فليتذكر بما يرى من ازدحام الناس وارتفاع
الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيمة واجتماع الامم
مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة اثر نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكر ذلك
فيلزم قلبه الضراعة والابتهال الى الله ان يحشره في زمرة الفائزين المرحومين وليكن رجاؤه اغلب فان الموقف شريف والرحمة انما
تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلائق بواسطة النفوس الكاملة من اوتاد الارض ولا يخلوا الموقف عن طائفة من الابدال والاوتاد
وطوائف من الصالحين وارباب القلوب فان اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة نفوسهم وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم
يرمقون بابصارهم جهة الرحمة طالبين لها فلا تظنن انه يخيب سعيهم من رحمة تغمرهم ويلوح لك من اجتماع الهمم بعرفات ولاستظهارها
بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين من اقطار البلاد وهو السر الاعظم من الحج ومقاصده فلا طريق الى استنزال رحمة الله واستدرارها
اعظم من اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد واما رمي الجمار فليقصد به الانقياد لامر الله واظهار الرق
والعبودية ثم ليقصد به التشبه بابرهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله تعالى
ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان خطر له ان الشيطان عرض لابرهيم عليه السلام ولم يعرض له فليعلم ان هذا الخاطر من الشيطان
وهو الذي القاه على قلبه ليخيل انه لا فائدة في الرمي وانه يشبه اللعب فليطرده عن نفسه بالجد والتشمير في الرمي فيه يرغم ‎ البرمر
منه برغم انف الشيطان فانه وان كان في الظاهر رميا للعقبة بالحصى فهو في الحقيقة رمي لوجه ابليس وقصم لظهره اذ لا يحصل
ارغام انفه الا بامتثال امر الله تعظيما لمجرد الامر واما ذبح الهدي فليعلم انه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال فليكمل الهدي وليرجو
وليرج ان يعتق الله بكل جزء منه جزءا من النار هكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي اكثر واوفر كان الفداء به من النار اتم
واعم وهو يشبه التقرب الى الملك بالذبح له واتمام الضيافة والقرى والغاية منه تذكر المعبود الاول سبحانه عند النية في الذبح
واعتقاد انه متقرب به واجر امره الى الله فهذه هي الاشارة الى اسرار الحج واعماله الباطنة اذا عرفت ذلك فلنرجع الى المتن **قوله**
وفرض عليكم حج بيته الحرام اشارة الى وجوب الحج على الخلق وهو معلوم بالضرورة من الدين ووصفه بالحرام لانه يحرم على الخلق
ان يفعلوا فيه ما لا ينبغي من منافي الشرع **وقوله** الذي جعله قبلة للانام مستنده قوله تعالى فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره **وقوله** يردونه ورود الانعام منها لغة في تشبيه ورود الخلق البيت بورود
الانعام ووجه التشبيه ان الخلق يردون البيت بازدحام عن حرص وشوق اليه كحال الانعام عند ورودها الماء وقيل ان وجه
التشبيه هو ما بيناه من عدم اطلاع الخلق على اسرار الحج وعلى ما يشتمل عليه المناسك من الحكمة الالهية ولما كان العقل الذي
به تميز الانسان عن الانعام وساير الحيوان معزولا عن ادراك هذه الاسرار كان لا يكون بين الانسان وبينها فرق في الورود

الى البيت

في بيان خطبته بعد انصرافه من صفين

الى البيت وسابق المناسك وفيه بعد و**قوله** ويألهون اليه ولوه الحمام اشارة الى تشوق الخلق في كل عام الى ورود البيت كما
يشتاق الى الحمام الذي يسكنه وقد راعى في هذه القراين الاربع السجع **قوله** جعله علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته
اشارة الى ما ذكرنا من انا نفعل ما لم يكن ليهتدي الى سر هذه الاعمال لم يكن الباعث عليها الا الامر وقصد امتثال المر حيث
هو واجب الاتباع فقط وفيه كمال الرق وخلوص الانقياد فمن فعل ما امر به من اعمال الحج كذلك فهو المخلص لكن ظهرت عليه علامة
المخلصين والمذعنين للتواضع لجلال رب العالمين ولما كان الحق سبحانه عالما لم الغيب والشهادة لم يمكن ان يقال ذلك لعلامة بما يستفيد
بها علما باحوال عبيده من طاعتهم فاذن يتعين ان يكون معناها راجعا الى ما يه تتميز النفوس الكاملة التي انقادت لاوامر الله واخلصت له
العبادة عما عداها فان هذه العبادة من اشرف ما استعدت به النفس الانسانية وافادتها كمالا يمتزج به عن ابناء نوعها فهي اذن علامة بها تميز
من الاثم بها عن غيره و**قوله** واختار من خلقه سماعا اجابوا اليه دعوته اشارة الى الحاج في قوله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا
وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق وفي الاثار ان ابرهيم لما فرغ من بناء البيت جاءه جبرئيل فامره ان يؤذن الناس بالحج فقال ابرهيم
يا رب وما يبلغ صوتي قال الله اذن وعلي البلاغ فعلا ابرهيم المقام واشرف به حتى صار كاطول الجبال واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا
وغربا ونادى يا ايها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فاجيبوا ربكم فاجابه من كان في اصلاب الرجال وارحام النساء لبيك اللهم
لبيك وفي الاثر اشارات لطيفة فانه يحتمل ان يراد بقول ابرهيم وما يبلغ صوتي اشارة الى حكم الوهم الانساني باستبعاد عموم هذه
الدعوة واستيفاء الخلق لها وقصور الطبع عن ذلك وبقول الحق سبحانه وعلي البلاغ الاشارة الى تاييد الله سبحانه بما اوحى اليه من العلم
ببسط دعوته وابلاغها الى من علم بلوغها اليه وبعلو ابرهيم المقام حتى صار كاطول الجبال واقباله بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا
ودعوته اشارة الى اجتهاده في التبليغ للدعوة وجذب الخلق الى هذه العبادة بحسب امكانه واستعانته في ذلك باولياء الله التابعين
له واما اجابة من كان في اصلاب الرجال وارحام النساء له فاشارة الى ما كتبه الله سبحانه بقلم قضائه في اللوح المحفوظ من طاعة الخلق و
اجابتهم لهذه الدعوة على لسان ابرهيم ومن بعده من الانبياء وهم المراد بالسماع الذين اختارهم الله سبحانه من خلقه حتى اجابوا دعوته الى
بيته يحجونه اليه بعد ما اعلمهم لذلك عزنا بعد قرن وامة بعد اخرى و**قوله** وصدقوا كلمته اشارة الى طائفة اخرى لما جاءت به الانبياء
من كلام الله سبحانه وعده لهم وتكذيبهم لهم و**قوله** ووقفوا مواقف الانبياء اشارة الى متابعتهم لهم ايضا في مواقف الحج وفي ذكر الانبياء هيهنا
استدراج حسن للطباع اللطيفة المشتوقة الى لقاء الله والتشبه بانبيائه وملائكته وقوله وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه اشارة الى
ما ذكرناه من ان البيت المعمور بازاء الكعبة في السماء وان طواف الحاج بهذا البيت يشبه طواف الملائكة واحدافهم بالبيت المعمور والعرش
فهم متشبهون بالملائكة في الطواف والغايات متفاوتة من احدى الغايتين قريبة من هذا الطواف الى ان يصيرها طايفين بالعرش والبيت المعمور
وقوله يحرزون الارباح في متجر عبادته ويتبادرون عنده موعد مغفرته شبه العبادة بالبضاعة التي يتجر بها فالتاجر هو النفس وراس
المال هو العقل ووجوه تصرفاته حركاته وسكناته الحسية والعقلية المطلوبة منه بالاوامر الشرعية والعقلية والارباح هي ثواب الله وما
اعده للمحسنين في جنات النعيم وانه كمملوك بعد تصرفه في خدمة سيده متجرا بطلبه التكسب والربح واحسن به اذا نظر الى انه اهل العبادة
تجرد في جميع الاعراض والخواطر في خدمته عن درجة الاغيار وجعلها خالصة لله انه هو فاما كلامه بذكر الربح هيهنا فاستدراج حسن
جرى لطباع الخلق بما يعهدونه ويميلون اليه من حب الارباح في الحركات ليشتاقوا فيتعبدوا وقوله وجعله للاسلام علما اي علما للطريق
الى الله وسلوك الصراط المستقيم وهي الاسلام الحقيقي يهتدى عليها كما يهتدى بالعلم المرفوع للعسكر والمارة على مقاصدهم وقوله فرض عليكم
حجه واوجب عليكم وفادته الى اخره تاكيد لما سبق وذكر للخطاب الموجب للحج وهو قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا والله
العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** بعد انصرافه من صفين احمده استتماما لنعمته واستسلاما لعزته واستعصاما من
معصيته واستعينه فاقة الى كفايته انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه فانه ارجح ما
وزن وافضل ما خزن واشهد ان لا اله الا الله شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها نتمسك بها ابدا ما ابقانا وندخرها لاهاويل
ما يلقانا فانها عزيمة الايمان وفاتحة الاحسان ومرضاة الرحمن ومدحرة الشيطان واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالدين
المشهور والعلم الماثور والكتاب المسطور والنور الساطع والضياء اللامع والامر الصادع ازاحة للشبهات واحتجاجا بالبينات وتحذيرا
بالايات وتخويفا للمثلات والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين وتزعزعت سواري اليقين واختلف النجر وتشتت الامر و
ضاق المخرج وعمي المصدر فالهدى خامل والعمى شامل عصي الرحمن ونصر الشيطان وخذل الايمان فانهارت دعائمه وتنكرت معالمه
ودرست سبله وعفت شركه اطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه ووردوا مناهله بهم سارت اعلامه وقام لواؤه في فتن داستهم
باخفافها ووطئتهم باظلافها وقامت على سنابكها فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دار وشر جيران نومهم
سهود وكحلهم دموع بارض عالمها ملجم وجاهلها مكرم **اقول** صفين اسم موضع بالشام والاستسلام الانقياد ووال فلان يئل وألا

في بيان خطبة بعد انصرافه من صفين

على مقول او الملجأ ومنه الموئل الملجأ والفاقة الفقر ولا فعل لها ومصاص كل شيء خالصه والذخيرة الخبيئة والاهاويل الامور المخوفة التي يعظم اعتبار النفس لها وعزيمة الايمان عقد القلب عليه والمدحرة محل الدحر وهو الطرد والابعاد والمأثور المقدم على غيره والمأثور ايضا المنقول والمثلات جمع مثلة بفتح الميم وضم الثاء وهي العقوبة والفتن جمع فتنة وهي كل امر يصرفون عن قصد ما شغل عنه من بلاء ومحنة وهي منقطع وانجذم انقطع والزعزع الاهتزاز والاضطراب والسواري الاساطين والنجر الطبع والاصل والخامل الساقط وانهارت انهدمت والمعالم الاثار التي بها يعلم الشيء ويستدل عليه والشرك جمع شركة بفتح الشين والراء وهي معظم الطريق ووسطها و المناهل المشارب والسنابك اطراف مقدم الحوافر الواحد سنبك والشهود مصدر كالجود مرادف للشهادة والارق واعلم ان المراد بالحمد ههنا الشكر واستتماما وما بعدها من المنصوبات منصوبات على المفعول له وقد جعل عليه السلام لحمده منها غايتين الاولى منهما الاستتمام لنعمة الله وذلك لان العبد يستعد بمزيد الشكر لمزيد النعمة وهو في ذلك ناظر الى قوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم لما اشتمل عليه الاية من البعث على جاه المزيد والثانية الاستسلام لعزته فان العبد ايضا يستعد بكمال الشكر لمعرفة المشكور وهو الله سبحانه وهي مستلزمة للانقياد لعزته والخشوع لعظمته وهو في ذلك ناظر الى قوله ولئن كفرتم ان عذابي لشديد لما يشتمل عليه الاية من التخويف المانع من مقابلة نعم الله بالكفر ثم لما كان الاستعداد لتمام النعم والتأمل لكمال الخضوع والانقياد لعزة الله سبحانه انما يتم بعد ان يكون العناية الالهية آخذة بضبع العبد وجاذبة له عن ورطات المعاصي مبعدة له عن اسباب التورط بكفاية المؤن والاسباب الداعية الى ارتكاب احد طرفي الافراط والتفريط جعل عليه السلام للحمد غاية اخرى هي الوسيلة الى الغايتين المذكورتين وهي الاستعصام بالله سبحانه من معصيته وعقب ذلك الشكر بطلب المعونة منه على تمام الاستعانة ادما سأل وشكر لاجله وجعل لتلك الاستعانة علة حاملة وهي الفاقة نحو غاية هي كفاية دواعي التفريط والافراط باجذاب الالهية ولا شك ان الغايتين المذكورتين لا يتم بدون عصمته والمعونة بكفايته وذلك قوله واستعصاما من معصيته واستعينه فاقة الى كفايته **قوله** انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه تعليل لطلب المعونة على تحصيل الكفاية فانه لما كان حصول الكفاية مانعا من دواعي طرفي التفريط كان العبد مستقيم الحركات على سواء الصراط وذلك هدى الله يهدي به من يشاء فكانه قال واستعينه على ان يرزقني الكفاية المستلزمة للهداية التي هي الغنى الحقيقي والملك الابدي فانه لا يضل من هداه ولا ينجو من عذابه من عاداه واعرض عن شكره والاستعانة وقد اطلق عليه السلام ههنا لفظ المعاداة لله كما اطلقها القرآن الكريم على ما هو من لوازمها وهو الاعراض عن عبادته والبغض لها ولمن تلبس بها من عباده مجازا **قوله** فانه ارجح ما وزن وافضل ما خزن الضمير يعود الى الله سبحانه ولما كانت ذاته مقدسة عن الوزن والخزن اللذين هما من صفات الاجسام فبالحري ان يكون المقصود رجحان عرفانه في ميزان العقل اذ لا يوازنه عرفان ما عداه بل لا يخطر ببال العارف عند الاخلاص سواه حتى يصدق هناك موازنة يقال فيها ارجح ويكون المراد بالخزن خزن ذلك العرفان في اسرار النفوس لقدسيته وقيل الضمير يرجع الى ما دل عليه قوله احمده من الحمد على طريقة قولهم من كذب كان شرا له **قوله** واشهد ان لا اله الا الله هذه الكلمة اشرف كلمة وحق بها الخالق عز اسمه وقد اشرنا في الخطبة الاولى الى ما تضمنته تركيبها من حسن الوضع المؤدي للمقصود التام منها وبالجملة هي منطبقة على جميع مراتب التوحيد وقد زعم النحويون ان فيها شيئا مقدرا يكون خبرا لا فقالوا وتقديره لا اله لنا الا الله ولا اله موجود الا الله واعلم ان كل تقدير يفيد ههنا فهو مخرج لهذه الكلمة عما يعطيه اطلاقها ويفيدها تخصيصا لم يكن وهو مما يجده الانسان من نفسه عند الاعتبار فالاولى ان يكون خبر لا قولنا الا الله ولا حاجة الى تقدير امر زائد فقد ورد في هذه الكلمة فضائل **الاولى** قوله صلى الله عليه وآله افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله **الثانية** عن ابن عمر قال قال صلى الله عليه وآله ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في الموت ولا عند النشر وكاني انظر الى اهل لا اله الا الله عند الصيحة ينفضون شعورهم من التراب يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن **الثالثة** روي ان المأمون لما انصرف من مرو يريد العراق واجتاز بنيسابور وكان على مقدمته علي بن موسى الرضا فقام اليه قوم من المشايخ وقالوا نسألك بحق قرابتك من رسول الله ان تحدثنا بحديث ينفعنا فروى عن ابيه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن ربه انه قال لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن من عذابي **الرابعة** قال صلى الله عليه وآله ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال بعض العلماء ان الله لما جعل العذاب عذابين احدهما السيف في يد المسلمين والثاني عذاب الآخرة والسيف في غلاف يرى والنار في غلاف لا يرى فقال لرسوله صلى الله عليه وآله من اخرج لسانه من الغلاف المرئي وهو الفم فقال لا اله الا الله ادخلنا السيف في الغمد المرئي ومن اخرج لسان قلبه من الغلاف الذي لا يرى وهو غلاف الشرك فقال لا اله الا الله ادخلنا سيف عذاب الآخرة في غمد الرحمة واحدة بواحدة جزاء ولا ظلم اليوم **قوله** شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها مصدر وصف بوصفين جريا على غير من هما له والممتحن المختبر والذي محض نفسه في اخلاص هذه الشهادة واجدها عارية عن شبهات الباطل معرضة عن كل خاطر سوى الحق سبحانه متمثلة فيها حلية التوحيد وخالصة مبراة عن شوائب الشرك الخفي كما عرفت من التوحيد المطلق والاخلاص المحقق **قوله** نتمسك بها ابدا ما ابقانا وندخرها لاهاويل

ما يلقاها

في بيان خطبة بعد انصرافه من صفين

ما يليها فانها عزيمة الايمان الى قوله ومدحرة الشيطان اشارة الى انه يجب التمسك بها مدة البقاء في دار الدنيا لعزائم الامور والاستعداد بها للاحوال الاخرة وشدائدها ثم عقبها بذكر علة التمسك بها وادخارها وذكر اربعة اوصاف يوجب ذلك **اولها** انها عقيدة الايمان وعزيمة المطلوبة لله سبحانه من خلقه وكل ما عداها انما وردت به الشريعة من قواعد الدين وفروعه فهي حقوق لها ولواحق ومتممات ومعينات على الوقوف على سرها والوصول الى اخلاصها **وثانيها** انها فاتحة الاحسان فانها اول كلمة افتتحت بها الشريعة واستعد العبد بالسلوك في طريق اخلاصها لافاضة احسان الله ونعمه شيئا فشيئا وكما انها اول مطلوب لله من خلقه في فطرهم الاصلية وعلى سنته ورسله عليهم السلام فهي غاية ما يتم الذي ينالون باخلاصها واستصحاب معاصيها السعادة الباقية **وثالثها** انها مرضاة الرحمن وذلك ظاهر انها محل رضوان الله والسبب المستنزل لتمام رحمته ومزيد نعمته على محل نورها ورفع السخط عنه كما قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الخبر **ورابعها** انها مدحرة الشيطان وذلك ايضا ظاهر فان غاية دعوة الشيطان هو الشرك الظاهر او الخفي وهذه الكلمة انما وضعت لنفي دعوته ونظامها فظاهرها دافع لظاهر ما يدعو اليه وباطنها قامع لباطن ما يدعو اليه وكما ان الشرك على مراتب لا تتناهى فكذلك الاخلاص في هذه الكلمة فبعد كل مرتبة من السلوك في اخلاصها ينقطع في مقابلتها مرتبة من الشرك ويبطل سعي الشيطان في بناء تلك المرتبة الى ان يتم الاخلاص بقدر الامكان وقد انهدمت قواعد الشيطان بكليتها وصار العبد مطرودا عن قبول ما يقول ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب **قوله** واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله مجرى بها لسانه واطمأن بها قلبه حرمت النار عليه وانما قرنت هذه الكلمة بكلمة التوحيد لانك عرفت ان غرض الشريعة انما هو اخلاص تلك الكلمة ولن يحصل اخلاصها الا بسلوك مراتبها ولن يحصل ذلك الا بمعرفة كيفية السلوك وعلمت ان مدار رسالة الرسل ووضع الشرائع كيفية السلوك في درجات الاخلاص فكانت الشهادة والاقرار بصدق المبلغ لهذه الرسالة والمبين لطريق الاخلاص اجل كلمة بعد كلمة الاخلاص لانها بمنزلة الباب لها فلاجل ذلك قرنت بها **قوله** ارسله بالدين المشهور الى قوله والامر الصادع اشارة الى تعظيم الرسول صلى الله عليه وآله بما جاء به واشار بالدين المشهور الى دينه المشتمل على تعريف كيفية سلوك الصراط المستقيم وبالعلم المأثور الى الشريعة كون ذلك الدين هاديا قائدا للخلق يهتدون به الى الحضرة القدسية التي هي مقصد جميع الشرائع اذ ذلك هو شأن العلم وكونه مأثورا اشارة اما الى كونه مقدما على سائر الاديان كما يقدم العلم ويهتدى به قوم بعد قوم او الى نقله من قرن الى قرن وبالكتاب المسطور الى القرآن المسطور مصحفا وفي الواح النفوس وبالنور الساطع والضياء اللامع الى السر الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وآله في هذه الطريقة وامر بقصده منها وهو نور يستشرق في مرائي النفوس الصافية عن صداء الشبهات وكدورات الشرك بخصوصية الامر وصفه بكونه صادعا الى اعتبار ظهوره مأمورا وامر الله ورد على لم يسلك الطريق المأمور بسلوكها عن رعيته واختيار حتى شق الامر الالهي وجه باطله وصدع ما كان من ظلمتها من بناء فساده كما قال تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين **قوله** ازاحة للشبهات الى قوله وتخويفا بالمثلات اشارة الى الوجوه القريبة لمقاصد البعثة وذكر عليه السلام منها ثلاث مقاصد **اولها** ازاحة الشبهات وهو اهمها فان حذف شواغل الدنيا وشبهات الباطل عن قلوب الخلق اهم مقاصد الشارع **الثاني** سبب تلك الازاحة وهو الاحتجاج على الخلق بالحجج الواضحة والخطابات الواصلة الى قصى اذهانهم كما قال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن **الثالث** التحذير بالايات النازلة بالعصاة والتخويف بالعقوبات النازلة باهل الجنايات كما قال تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى وهذا الانذار مؤيد للحجج والخطابات الشرعية في حق من لم يرتفع صفاء ذهنه بمجرد الخطابات فيحتاج الى التحذير والانذار **قوله** والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين الى قوله يترددون **اقول** يحتمل ان يكون الواو للحال وان يكون للابتداء ويكون ذلك شروعا في ذم احوال زمانه وما هم فيه من البلاء والمحنة والمخاوف والحروب بسبب تشتت اهوائهم واختلاف آرائهم وعرضه تنبيه السامعين على ما هم غافلين عنه مما فيهم من الفتن المشتملة على المذام التي عددها لينتبهوا من رقدة الغفلة ويجتمعوا في سلوك سبيل الحق عن شتات الجهل والاجتهاد ويذكر من المذام التي حصل الناس عليها بسبب ما هم فيه من الفتن امورا يرجع حاصلها وان تعددت الى ترك مراسم الشريعة وعدم سلوك سبيل الحق وارتكاب طريق الباطل فانقطاع حبل الدين اشارة الى انحراف الخلق عن سواء السبيل وعدم تمسكهم باوامر الله سبحانه حال وقوع تلك الفتن واستعمال لفظ الحبل ههنا وفي التنزيل الالهي فاعتصموا بحبل الله جميعا استعارة لقانون الشريعة المطلوب منها لزومه والتمسك به وكذلك استعمال السواري لها لقواعد الدين واركانه المأمور بتشييدها كالجهاد الذي هو اقوى مطالبه في ذلك الوقت من الناس ويكون المراد بتزعزعها عدم استقامتها واستقرار الناس عليها مجازا واما لاهل الدين الذين يقيمونه ورجاله العاملين به الذين لم يأخذهم في الله لومة لائم وتزعزعها موت اولئك وخوفهم من الاعداء ايضا وكل ذلك استعارة لطيفة ووجوه المشابهة فيها ظاهرة واشار باختلاف النجر الى اختلاف الاصل الذي كان يجمع الخلق والفطرة التي فطر الناس عليها ووضع الشريعة لتزومها فانها كانت متفقة بوجود الرسول صلى الله عليه وآله فاختلفت بعده بسلوك كل فرقة مذهبا غير الاخرى ويحتمل النجر هو الحسب هو الدين فيحتمل ان يريد واختلاف الدين واشار به تشتت الامر الى تفرق كلمة المسلمين ويقوله وضاق المخرج وعمي المصدر الهدى والمخرج

في قوله

ق

في بيان خطبة بعد انصرافه من صفين

الى ان الخلق بعد تورطهم في فتن الشبهات الموجبة لتفرق كلمتهم ضاق مخرجهم منها وعمي عليهم طريق صدورهم منها والعمى ههنا هو
المشار اليه بقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهو استعارة حسنة اذ العمى حقيقة عبارة
عن عدم ملكة البصر ووجه المشابهة ان الاعمى كما لا يهتدي لمقاصده المحسوسة بالبصر لعدمه كذلك اعمى البصيرة لا يهتدي لمقاصده
المعقولة لاختلال بصيرته وعدم عقله لوجوه رشده واشار بخمول الهدى الى عدم ظهوره بينهم حال عماهم عن مصدهم
من ضلالهم اذ كان ضوءه ساقطا بينهم غير موجود والفاء لعطف الجملة الاسمية على الفعلية واشار بشمول العمى الى انتشار عدم كهم في
رؤيتهم لسبيل الحق الذي به يخرجون من شبهات الباطل وظلمته ثم اشار بعصيانهم للرحمن ونصرهم للشيطان وعصيانا للرحمن
ومن نصر الشيطان بالذب على الباطل فقد خذل الايمان بترك تشييد قواعده والذب عنه وبترك الايمان وخذلانه لا تنبع
له دعائمه يقوم بها فجملة والاشارة بالدعائم والمعالم الى دعاة الحق وحملة الايمان وبانهيارها الى عدمهم او عدم قبول قولهم
وبتنكر المعالم الى عدم معرفتهم في الخلق لقلتهم ويحتمل ان يراد بالدعائم القواعد التي للدين كالجهاد وغيره وانهيارها عدم القيام
بها وبتنكر المعالم الى انمحائه من القلوب التي هي معالم الدين ومحاله وبدروس سبله وعفاء شركه الى تركه بتوله اثر يعرف به
كل ذلك مبالغة في ضعف الدين ومسالك الشيطان ومناهله ما يجرهم اليه من مناهي الله سبحانه فيتبعونه فيها واعلام
الشيطان ولواؤه اما القادة اليه والدعاة الى باطله المقتدى بهم وصور الباطل التي يضعونه في اذهان الخلق وصارت غاياتهم
فانفذوا دولتها واتبعوها فهي كالاعلام والالوية في الحروب وغيرها **قوله** في فتن داستهم باخفافها ووطئتهم باظلافها وقامت
على سنابكها يحتمل ان يكون في فتن متعلقا بقوله سارت اعلامه وقام لواؤه ويحتمل ان يتعلق بمقدر يكون خبرا ثانيا
لقوله والناس وهذه الفتن هي التي اشار اليها اولا واثما او بعدها ثانيا بزيادة او نساد فبالغ ثم في تشبيهها بانواع استعار لها
مما اخفافا واظلافا وحوافر وجعل لها دوسا ووطئا وقياما على الحوافر ويحتمل ان يكون هنا اضمار اى داستهم باخفاف ابلها
ووطئتهم باظلاف بقرها وقامت على سنابك خيلها فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه فيكون التجوز في نسبة الوطئ
والدوس والقيام اليها فقط وهو المجاز في الاسناد **قوله** فهم فيها تائهون الفاء للتعقيب واشار بتيههم الى ضلالهم عن القصد
في ظلمات الفتن وبحيرتهم الى ترددهم في ان الحق في اي جهة وعدم درايتهم اهو مع علي ام مع معوية وبجهلهم الى عدم علمهم بالحق
واعتقاد بعضهم الباطل عن شبهة تحكيم الحكمين واعتقاد آخرين له عن شبهة دم عثمن وامثال ذلك مما هو جهل مركب وبكونهم
مفتونين الى فتنة غيرهم لهم واضلاله عن الحق وهو الشيطان واتباعه **قوله** في خير دار وشر جيران هذا الظرف يجوز
ان يكون كالذي قبله في كونه خبرا ثالثا ويجوز ان يتعلق بقوله تائهون او ما بعده من الافعال وقد اختلف الشارحون
الكلام عليه في مراده بخير دار فقال بعضهم اراد الشام لانها الارض المقدسة واهلها القاسطون وقال معوية قوله نومهم
سهود وكحلهم دموع انهم لا ينامون اهتماما بامورهم واعدادا نفسهم للقتال فيكون فيلاهم وقوله بارض عالمها ملجم اشارة الى نفسه
والناصرون للحق وجاهلها ... وقال الحزون اراد بخير دار العراق وشر جيران يعني اصحابه المستعرضين لهم كالجهاد
وانما كانوا شر جيران اى شر متجاورين لتخاذلهم عن الحق ونصرة الدين لان خير المتجاورين المتعاضدون في الله وقوله نومهم
سهود اى خوفا من الحرب وحيرة في التدبير وكحلهم دموع اى يبكون فيلاهم ايضا وقيل نفاقا لان من تم نفاقه ملك عينيه
وقال الحزون اراد بها دار الدنيا لانها دار العمل واكثر الخلق بها اشرار جهال وليس الغرض بكونها خيرا تفضيلها على غيرها ليوهم انها
افضل من الاخرة بل اثبات فضيلتها فقط فان افعل التفضيل كما يرد لاثبات الافضلية كذلك يرد لاثبات الفضيلة والدنيا دار
فاضلة لمن قام فيها باوامر الله وراعى ما خلق لاجله وهي مزرعة الاخرة كما ورد به الحديث وكون اهلها شر جيران فلانهم شر متجاورين
كما ستلوا وشر جيران لمن التجأ اليهم وجاورهم للانتصار بهم على اعداء الدين وذلك بعدم نصرتهم له والقيام معه وقوله نومهم
سهود وكحلهم دموع ظاهره عموم لفظ الناس في اوقاتهم واصحاب معوية وعن عناه امر الحرب ودخل فيها فقد بالغ ثم في وصفهم بقلة
النوم لخوف الحرب وهجوم بعضهم على بعض وشدة اهتمامهم بامر القتال وحيرتهم في تمييز الباطل من الحق فلذة نومهم بالسهر لاستلزام
عدم النوم فاستعار له لفظه وصيره هو هو وقوله وكحلهم دموع بالغ في تشبيه دموعهم بالكحل وصيره هو هو ووجه المشابهة ان الدموع
لكثرة ملازمتها لاجفانهم اشبهت في ذلك الامر الكثير الغشيان لعيونهم وهو الكحل فلذلك استعار لفظ الكحل لها وقوله بارض عالمها ملجم وجاهلها
مكرم الجار والمجرور حكمه حكم الظرف الذي قبله فيما يتعلق به ثم ان حملنا خير دار على الدنيا كان قوله بارض تخصيصا لمكان الناس
من الدنيا فكانه قال والناس في خير دار هي الدنيا وهم منها بارض من حالها ان عالمها ملجم بلجام الذل عن اهلها عن الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر لعدم العلم بينهم وغلبة الجهل عليهم وجاهلها مكرم لمناسبته لهم في الجهل وموافقته لهم على الباطل ويكون المراد بتلك الارض اما
الشام او العراق وان حملنا خير دار على الشام او العراق كان قوله بارض من حالها كذا يجري مجرى البيان ويكون الذم اللاحق من هذا الكلام

لالتفاتهم فيه عن الحق ونصرهم للباطل وما مع التبعي ... الشيطان ... ان يكون ونصرة الشيطان

منهم

واجفا

راجعا الى اهل تلك الارض لتعلق الجام العالم واكرام الجاهل بهم وان نسب تلك اليها لكونهم بها اذ لو وجدنا الذم الى الارض لنافى ذلك وصفه لها بانها خير دار ويحتمل ان يكون الواو في قوله والناس للحال والعامل رسله والفتن المشار اليها هي فتن العرب في الجاهلية وحال البعثة وخير دار يعني مكة وشر جيران يعني قريشا والعالم الملجم هو من كان عالما بصدق الرسول وحقية بعثته وهو ملجم بلجام التقية والخوف والجاهل المكرم هو من كذبه وهذا الاحتمال حسن واعلم ان الذي يتبادر الى الذهن ان هذا الفصل الذي اورده السيد من هذه الخطبة فصول ملتقطة ليست على نظامها الذي خرجت عليه وان كان كذلك فربما يلوح لها لو انتظمت مقاصد توضح ما اورده الناس واختلفوا فيه ومنها والله اعلم ومنها ويعني ال النبي صلى الله عليه وآله موضع سره ولجا امره وعيبة علمه وموئل حكمه وكهوف كتبه وجبال دينه بهم اقام انحناء ظهره واذهب ارتعاد فرائصه **اقول** اللجاء الملجا والموئل المرجع من ال يؤل الى كذا اذا رجع واشهر اليه والانحناء الاعوجاج والفرائص جمع فريصة وهي اللحمة التي بين الجنب والكتف لا تزال ترعد من الدابة وقد وردت هذه القرائن الاربع بالسجع المتوازي والضمائر المفردة ههنا كلها راجعة الى الله تعالى الا الضمير في ظهره وفرائصه فانها للرسول صلى الله عليه وآله كما سبق ذكر الله ورسوله في صدر الخطبة وقيل الكل للرسول صلى الله عليه وآله واشار بكونهم موضع سره الى كمال استعداد نفوسهم لاسرار الله وحكمته اذ الموضع الحقيقي للشيء هو ما قبله واستعد له وبكونهم ملجا امره الى انهم الناصرون له والقائمون باوامر الله والذابون عن الدين فالتجا اليهم بالنجوى وبهم يقوم سلطانه وكونهم عيبة علمه مرادف لكونهم موضع سره اذ يقال في العرف فلان عيبة العلم اذا كان موضع سراره ولفظ العيبة استعارة لنفوسهم الشريفة ووجه المشابهة ان العيبة لما كان من شانها حفظ ما يودع فيها وصيانته عن التلف والادناس وكانت نفوسهم الطاهرة حافظة للعلم عن عدمه وصائنة له عن تدنسه بانفاق غير اهله لاجرم حسنت استعارة لفظ العيبة لاذهانهم وبكونهم موئل حكمه الى كونهم مرجعا للحكمة اذا ضلت عن اذهان غيرهم فمنهم تطلب وعنهم تكتسب وبكونهم كهوف كتبه الى انهم اهل حفظها ودراستها وتفسيرها وعندهم علمها وتاويلها والكتب اشارة الى القران وما قبله من كتب الله كما نقل عنه عليه السلام في موضع اخر لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها لحكمت بين اهل التورية بتوريتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الزبور بزبورهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من اية نزلت في بر او بحر او سهل او جبل او سماء او ارض او ليل او نهار الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي اي وقت نزلت واستعارة لفظ الكهف قريب من استعارة لفظ العيبة وبكونهم جبال دينه الى ان الله سبحانه بهم يعتصم عن وساوس الشياطين وتبديلهم وتحريفهم كما يعتصم الخائف بالجبل ممن يؤذيه وهي استعارة لطيفة وقوله بهم اقام انحناء ظهره اشارة الى ان الله سبحانه جعلهم له اعضادا يشدون ازره ويقومون ظهره ويؤيدون امره وانحناء الظهر كناية عن ضعفه في بدو الاسلام فبالحري ان يكون اقامتهم لانحناء ظهره نفوسهم لذلك الضعف بالنصرة للدين والذب عنه وقوله واذهب ارتعاد فرائصه اي ان الله ازال عنه بعونهم خوفه الذي كان يتوقعه من المشركين على حوزة الدين وهو كناية عن الشيء ببعض لوازمه فكان ارتعاد الفرائص من لوازم شدة الخوف وكل هذه الامور ظاهرة لاهله الادنين من بني هاشم كالعباس وحمزة وجعفر وعلي بن ابي طالب الذابين عن الرسول صلى الله عليه وآله والمدافعين البه والبلاء في الدين والله اعلم **ومنها** زرعوا الفجور وسقوه الغرور وحصدوا الثبور لا يقاس بال محمد صلى الله عليه وآله من هذه الامة احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا هم اساس الدين وعماد اليقين اليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة الان اذ رجع الحق الى اهله ونقل الى منتقله **اقول** الغرور الغفلة والثبور الهلاك والقياس نسبة الشيء الى الشيء والحاقه به في الحكم والفيء الرجوع والغلو تجاوز الحد الذي ينبغي الى ما لا ينبغي والتالي التابع والولاية الاسم من قولك ولى الامر اليه وليا واصلها القرب من الشيء والدنو منه والخصائص جمع خصيصة وهي فعيلة بمعنى فاعلة اي خاصة او مختصة واعلم ان قوله زرعوا الفجور وسقوه الغرور استعارة لطيفة فان الفجور لما كان هو الخروج عن ملكة العفة والزهد وتجاوزها الى طرف الافراط منهم وكان معنى الزرع القاء الحب في الارض استعار لفظ الزرع لبذر الفجور في اراضي قلوبهم ولان انتشاره عنهم ونموه فيهم يشبه نمو الزرع وانتشاره في الارض ولما كان غرورهم وغفلتهم عن الطريق المستقيم سبب علمهم عنها وتجاوزهم الى طرف الافراط ومهاوي الهلاك وهو ملتوية تماديهم في غيهم وزيادة فجورهم وعدولهم عن سواء السبيل اشبه الماء الذي هو سبب حيوة الزرع ونموه وتمامه زيادته لاجلها استعار لفظ السقي الذي هو خاصة الماء له ونسبته اليهم ثم لما كانت غاية ذلك الفجور هلاكهم في الدنيا بالسيف وفي الاخرة بعذابها لاجرم اشبهت تلك الغاية الثمرة فاستعير لكونها غاية لهم لفظ الحصاد ونسب اليهم وقد اشتملت لفظ هذه الالفاظ مع حسن الاستعارة على الترصيع قال الوبري ره الاشارة بهذا الكلام الى الخوارج ومثلها المنافقين كما ورد مصرحا به في بعض النسخ واقول يحتمل ان يكون مشارا الى كل من نابذه عليه السلام وهو معنى انه طالب للحق فقد طلب خرج في طلبه الحق عن حاق العدل وتعداه الى طرف الفجور والغلو ويدخل الفاسطون وهم اصحاب معوية والمارقون وهم الخوارج ومن في معناهم اذ زعم الكل انهم يقتفون طالبون الحق ناصرين له **وقوله** لا يقاس بال محمد عليهم السلام من هذه الامة احد الى اخره مدح لهم مستلزم لاسقاط غيرهم عن بلوغ مدحهم واستحقاق منزلتهم والكلام وان كان عاما في تفضيل ال محمد على كل من عداهم من امته الا انه خرج على سبب هو فناء معوية فهو اذن مشير الى تفضيل نفسه على معوية وعدم ترشحه للخلافة فقوله لا يقاس بال محمد من هذه الامة احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا

الخطبة المعروفة بالشقشقية

اشارة الى عدم مناسبة غيرهم لهم في الفضل والنعمة ههنا نعمة الدين والارشاد اليه والحكم ظا الفضل فان المنعم عليه بمثل هذه النعمة التي لا
يمكن احدا ان يقابلها بجزاء لا يساوي اهل ابدا ان يصير في قوة المنعم وخواصه الذين اختصهم بمزيدها على حسب استحقاقهم واستعدادهم التام
الوافر على تأهلهم لها ولا يبلغ درجتهم حتى يقوم مقامهم مع وجودهم في افاضة هذه النعمة واعداد سائر الامة لها وتعليمهم و
ارشادهم الى كيفية الوصول بها الى الله سبحانه وقوله هم اساس الدين اشارة الى ان بهم استقامته وثباته وقيامه عنهم كما يقوم البناء
على اساسه وكذا قوله وعماد اليقين وقوله اليهم يفيء الغالي اشارة الى ان المجاوز للفضائل الانسانية التي مدارها على الحكمة والعفة و
الشجاعة والعدالة الى طرف الافراط منها يرجع اليهم ويهتدي بهم في تحصيل هذه الفضائل لكونهم عليها اذا اخذ التوفيق بيده واشار بقوله
وبهم يلحق التالي الى ان المقصر عن بلوغ هذه الفضائل المرتكب لطرف التفريط في تحصيلها يلحق بهم عند طلبه لها ومعونة الله له بالهداية الى
ذلك وقوله ولهم خصائص الولاية اشارة الى ان ولاية امور المسلمين وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله لها خصائص هي موجودة فيهم وشرائط بها
يتأهل المتخصص لها ويستحقها وتلك الخصائص ما بينا من الفضائل الاربع النفسانية ولا شك في صدقه عليه السلام في ذلك فان هذه
الفضائل وان وجد بعضها او كلها في غيرهم فعنهم أخذ واليهم فيها انتسب فهل يقاس بين البحر والوشل وقوله وفيهم الوصية و
الوراثة اشارة الى اختصاصه عليه السلام بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله واختصاص اهله بوراثته وقيل اراد بالوراثة ما يراه هو انه اولى به من امر الخلافة
وقوله الان اذ رجع الحق الى اهله ونقل الى منتقله في بعض النسخ فقد رجع وذلك اشارة منه عليه السلام الى ان الامامة كانت في غير اهلها
وانه هو اهلها والان وقت رجوعها اليه بعد انتقالها عنه ولفظ الحق وان كان يحتمل حقا اخر غير الامامة الا انها المتبادرة الى
الذهن من اللفظ ههنا وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلام المعروفة بالشقشقية**
وتعرف بالمقمصة اما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى الي
محلي منها محل القطب من الرحى الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت ارتئي بين ان اصول بيد جذاء او اصبر على طخية
عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت ان الصبر على هاتا احجى فصبرت وفي العين قذى
وفي الحلق شجى ارى تراثي نهبا حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده ثم تمثل بقول الاعشى شتان ما يومي على كورها
ويوم حيان اخي جابر فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لاخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء
يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم فمني
الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني
احدهم فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر لكني اسففت اذ اسفوا وطرت
اذ طاروا فصغا رجل منهم لضغنه ومال الاخر لصهره مع هن وهن الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه
بنو ابيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته فما راعني الا والناس
الي كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم فلما نهضت
بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى وفسق اخرون كانهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم وراقهم زبرجها اما
والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم
ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت اخرها بكاس اولها ولالفيتم دنياكم هذه اهون عندي من عفطة عنز قال
قالوا وقام اليه رجل من اهل السواد عند بلوغه الى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فاقبل ينظر فيه فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس
يا امير المؤمنين لو اطردت مقالتك من حيث افضيت فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت قال ابن عباس
فما اسفت على كلام قط كاسفي على ذلك الكلام الا يكون امير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث اراد **اقول** اعلم ان هذه الخطبة وما في معناها
مما يشتمل على شكايته عليه السلام وتظلمه في امر الامامة هو محل الخلاف بين الشيعة وجماعة من مخالفيهم فان جماعة من الشيعة ادعوا ان هذه الخطبة
وما في حكمها مما اشتمل عليه هذا الكتاب منقول على سبيل التواتر وجماعة من السنة بالغوا في انكار ذلك حتى قالوا انه لم يصدر عنه عليه السلام
شكاية في هذا الامر ولا تظلم اصلا ومنهم من انكر هذه الخطبة خاصة ونسبها الى السيد الرضي والتصدي للحكم في هذا الموضع هو محل
التهمة للشارحين وانا مجتهد بعهد الله علي في ان لا احكم في هذا الكلام الا بما اجزم به او يغلب على ظني انه من كلامه او هو مقصوده فاقول
ان كل واحد من الفريقين خارج عن العدل اما المدعون لتواتر هذه الالفاظ من الشيعة فلانهم في طرف الافراط واما المنكرون لوقوعها
اصلا فانهم في طرف التفريط اما ضعف كلام الاولين فلان المعتبرين من الشيعة لم يدعوا ذلك ولو كان كل واحد من هذه الالفاظ منقولا
بالتواتر لما اختص به بعض الشيعة دون بعض واما المنكرون لوقوع هذا الكلام منه عليه السلام فيحتمل انكارهم وجهين احدهما ان يقصد

اشارة م
حق م
عليه م
بالشقشقية ظ
تضغنه ومال
المذكورين م

بذلك

في بيان الخطبة المعروفة بالشقشقية

بذلك تطيبة العوام وتسكين خواطرهم عن اثارة الفتن والتعصبات الفاسدة لتستقيم امر الدين ويكون الكل على نهج واحد فيظهر والهم انه لم يكن
بين الصحابة الذين هم اشراف المسلمين وسادانهم خلاف ولا نزاع ليقتدى بحالهم من سمع ذلك وهذا مقصد حسن ونظر لطيف لو نقصد
والتالي ان يسكروا بذلك عن اعتقاد انه لم يكن هناك شيء من الخلاف من الصحابة ولا منافسة في امر الخلافة والانكار على هذا الوجه البطلان لا
يعتقده الا جاهل بسماع الاخبار لم يباشر احدا من العلماء فان امر السقيفة وما جرى بين الصحابة من الاختلاف وتخلف علي عليه السلم
عن البيعة امر ظاهر لا يدفع ومكشوف لا يتقنع حتى قال اكثر الشيعة انه لم يبايع اصلا ومنهم من قال انه بايع بعد ستة اشهر كرها وقال
مخالفهم انه بايع بعد ان تخلف في بيته مدة ودافع طويلا وكل ذلك مما يقتضي الضرورة بوقوع الخلاف والمنافسة كانت ثابتة بين علي
وبين من تولها امر الخلافة في زمانه والشكاية والتظلم الصادر عنه في ذلك امر معلوم بالتواتر المعنوي فانا نعلم بالضرورة ان الالفاظ
المنقولة عنه المتضمنة للتظلم والشكاية في امر الخلافة قد بلغت في الكثرة والشهرة مبلغا يمتنع ان يكون باسرها كذبا بل لا بد وان يصدق واحد
منها وانها صدق وتثبت فيه الشكاية اما خصوصيات الشكايات بالفاظها المعينة فغير متواترة وان كان بعضها اشهر من بعض فهذا
ما عندي في هذا الباب بعد التحري والاجتهاد وعلى هذا التقرير لا ينبغي لانكار كون هذه الخطبة صادرة عنه ونسبتها الى الرضي معنى فان
مستند هذا الانكار هو ما تشتمل عليه من التصريح بالتظلم والشكاية ومستند انكار ذلك منهم هو اعتقاد انه لم تكن له منافسة في هذا الا
وانت تعلم ان ذلك اعتقاد فاسد على ان هذه الخطبة خاصة قد اشتهرت بين العلماء قبل وجود الرضي روي عن مصدق بن شبيب النحوي
قال لما قرأت هذه الخطبة على شيخي ابي محمد بن الخشاب ووصلنا الى قول ابن عباس ما اسفت على شيء قط كاسفي على هذا الكلام قال لو كنت
حاضرا لقلت لابن عباس هل ترك ابن عمك في نفسه شيئا لم يقله في هذه الخطبة فلنه ما ترك لا الاولين ولا الاخرين قال مصدق وكانت
فيه دعابة فقلت له يا سيدي فلعلها منحولة اليه فقال لا والله اني اعرف انها من كلامه كما اعرف انك مصدق فقال فقلت ان الناس ينسبونها
الى الشريف الرضي فقال لا والله ومن اين للرضي هذا الكلام وهذا الاسلوب فقد رأينا كلامه في نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام ولا
ينتظم في سلكه على اني قد رأيت هذه الخطبة بخطوط العلماء الموثوق بنقلهم من قبل ان يخلق ابو الرضي فضلا عنه واقول فقد وجدتها في
موضعين تاريخهما قبل مولد الرضي بمدة احدهما انها مضمنة كتاب الانصاف لابي جعفر بن قبة تلميذ ابي القسم الكعبي احد شيوخ المعتزلة وكان
وفاته قبل مولد الرضي والثاني اني وجدتها بنسخة عليها خط الوزير ابي الحسن علي بن محمد بن الفرات وكان وزير المقتدر بالله وذلك قبل
مولد الرضي بنيف وستين سنة والذي يغلب على ظني ان تلك النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة اذا عرفت ذلك فلنرجع
الى المتن فنقول **قوله** تقمصها اي لبسها كالقميص وقطب الرحا مسمارها الذي عليه تدور وسدلت الثوب ارخيته والكشح بفتح الكاف
الخاصرة وطفقت اخذت وجعلت وارتأي في الامر اذا فكر طلبا للرأي الاصلح وصال حمل نفسه على الامر بقوة وبيد جذاء بالذال المهملة و
المعجمة مقطوعة او مكسورة والطخية الظلمة كقولهم ليلة طخيا اي مظلمة وتركيب هذه الكلمة يدل على ظلمة الامور وانغلاقها ومنه كلمة طخيا
اي اعجمية لا تفهم والهرم شدة كبر السن والكدح السعي والعمل وهاتا لغة في هاتي وهي لغة في هذه واحجى اولى واخلق وهو
العقل والقذى ما يتاذى به العين من غبار ونحوه والشجى ما نشب في الحلق من عظم او غيره والتراث كالميراث وهو اسم ما يورث و
ادلى فلان بكذا تقرب به والقاه وشتان ما هما اي بعد وشتان ما عمرو وزيد اي بعد ما بينهما وكور الناقة رحلها والاقالة فسخ عقد
البيع ونحوه والاستقالة طلب ذلك وشد الامر صعب وعظم وتشطرا اي اخذ كل شطرا وهو البعض والحوزة الطبيعة والحوزة الناحية
والكلم بفتح الكاف الجرح وعثر يعثر عثورا وعثارا اذا اصابت رجله في المشي حجرا ونحوه والصعبة الناقة لم تذلل بالمحمل ولا بالركوب وشنق
الناقة بالزمام واشنق لها اذا جذبه الى نفسه وهو راكب ليمسكها عن الحركة العنيفة والخرم الشق واسلس لها اي ارخى وتقحم في الامر القى
نفسه فيه بقوة ومني الناس اي ابتلوا والخبط الحركة على غير استقامة والشماس بكسر الشين كثرة النفار والاضطراب والتلون اختلاف الاحوال
والاعتراض ضرب من التلون واصله المشي في عرض الطريق خابطا عن مرح ونشاط والشورى مصدر كالنجوى مرادف للمشاورة واسف الطائر
اذا دنا من الارض في طيرانه والصغو الميل بكسر الصاد والضغن بكسر الضاد وسكون الغين وفتحها ايضا الحقد والاصهار عن ابن الاعرابي الختونون
بجوا لزاو نسب او تزوج وبعض العرب لا يطلقه الا على اهل بيت الزوجين وعن الخليل انه لا يطلق الا على من كان من اهل المراة وهي على وزن
اخ كلمة كناية عن شيء لا اصله هنو تقول هذا هنك اي شيئك والحضن الجانب ما بين الابط والخاصرة والنفج قريب من النفخ والنثيل
الروث والمتلف والمعلف موضع الاعتلاف والخضم الاكل بجميع الفم وقيل المضغ باقصى الاضراس يقول خضم بكسر الضاد يخضم والنبتة
بكسر النون النبات وانتكث انتقض واجهز على الجريح قتله واسرع وكبا الفرس سقط لوجهه والبطنة شدة الامتلاء من الطعام والروع
الخلد والذهن وراعني افزعني وانثال الشيء اذا وقع يتلو بعضه بعضا والعطاف الرداء وشق عطفاه وعطفا الرجل جانباه من لدن
راسه الى وركيه والربيضة والربيضة الغنم برعاتها المجتمعة في مرابضها ومرق السهم خروجه من الرمية وراقه الامر اعجبه والزبرج بكسر الزاء
والراء الزينة ظالمشهور الاستعمال في الانسان وقد يستعمل فيما عداه من الحيوان والمفارة اقرار كل واحد صاحبه على الامر وتراضيهما به والكظة البطنة

بينهم والحق ان المنافسة

تبع

في بيان الخطبة المعروفة بالشقشقية

والغارب اعلى كتف الناقة والعفطة من الشاة كالعطاس من الانسان وقيل هي الحبقة والشقشقة لها البعير ويقال للخطيب شقشق
اذا كان صاحب خطبة ونبذا عنه من الكلام واعلم ان المشار اليه بقوله فلان هو ابو بكر كما هو مصرح به في بعض النسخ ولما بلغ عم في تلبس
ابي بكر بالخلافة استعار لها وصف القميص وكنى عن تلبسه بها بالتقمص والضمير المنصوب راجع الى الخلافة ولم يذكرها لظهورها
كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب ويحتمل ان يكون ذكرها فيما قبل ذلك والواو في قوله وانه ليعلم ان محلي منها واو الحال ولما كان قطب
الرحى هو الذي به نظام حركاتها وبه يحصل الغرض منها وكان هو عليه السلم الناظم لامور المسلمين على وفق الحكمة الالهية والعالم
بكيفية السياسة الشرعية لا جرم شبه محله من الخلافة بمحل القطب من الرحى وقد جمع هذا التشبيه انواع التشبيه الموجودة في
من الرحى
كلام العرب وهي ثلثة احدها تشبيه محله بمحل القطب وهو تشبيه المعقول بالمعقول فان محل القطب هو كونه نظام احوال
الرحى وذلك امر معقول وثانيها تشبيه نفسه بالقطب وثانيها وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس وثالثها تشبيه الخلافة بالرحى
وهو تشبيه المعقول بالمحسوس ولما كانت حاجة الرحى الى القطب ضرورية ولا يظهر نفعها الا به فهم من تشبيه محله بمحله
انه قصد ان غيره لا يقوم مقامه في امر الامامة ولا يتأتى لاهل المطامع وجوده كما لا يقوم غير القطب مقامه في موضعه ثم اكد ذلك
بقوله ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير فاستعار لنفسه وصفين احدهما كونه ينحدر عنه السيل وهو من اوصاف الجبل
والاماكن المرتفعة وكنى به عن علوه وشرفه مع فيضان العلوم والبركات السياسية عنه واستعار لذلك الكمالات لفظ
السيل والثاني انه لا يرقى اليه الطير وهو كناية عن غاية اخرى من العلو اذ ليس كل مكان علا بحيث ينحدر عنه السيل وجب
ان لا يرقى اليه الطير فكان ذلك علوا ازيد كما قال ابو تمام   مكارم لجت في علو كانما   تحاول ثارا عند بعض الكواكب
قوله وسدلت دونها ثوبا كناية عن احتجابه عن طلبها والمباعدة منها بحجاب الاعراض عنها واستعار لذلك الحجاب لفظ
الثوب استعارة لفظ المحسوس للمعقول وكذلك قوله وطويت عنها كشحا تنزيلا لها منزلة الماكول الذي منع نفسه من اكله فلم
يشتمل عليه كشحه وقيل اراد بطي الكشح التفاتة عنها كما يفعل المعرض عمن الى جانبه فالطوى كشحه عني واعرض جانبا قوله
وطفقت ارتأي بين ان اصول بيد جذاء واصبر على طخية عمياء يريد اني جعلت اجيل الفكر في تدبير الخلافة واردده بين
طرفي نقيض اما ان اصول على من حازها دوني او ان اتركها وفي كل واحد من هذين القسمين خطر اما القيام فبيد جذاء وهو
غير جائز لما فيه من التغرير بالنفس وتشويش نظام المسلمين من غير فائدة واستعار وصف الجذاء لعدم الناصر ووجه المشابهة
ان قطع اليد لما كان مستلزما لعدم القدرة على التصرف بها والصولة وكان عدم الناصر لها والمؤيد مستلزما لذلك لا جرم حسنت الاستعارة
واما الترك ففيه الصبر على مشاهدة التباس الامور واختلاطها وعدم تمييز الحق وتجريده عن الباطل وذلك في غاية الشدة والبلاء ايضا واستعار
لذلك الالتباس لفظ الطخية وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول ووجه المشابهة ان الظلمة كما لا يهتدى فيها للمطلوب كذلك اختلاط الامور
بينهما لا يهتدى معها لتمييز الحق وكيفية السلوك الى الله ووصف الطخية بالعمى على وجه الاستعارة فان الاعمى لما لم يكن ليهتدي لمطالبه
كذلك هذه الظلمة لا يهتدى فيها للحق ولزومه ثم كنى عن شدة ذلك الاختلاط ومقاساة الخلق بسبب عدم انتظام الاحوال وطول مدة ذلك
باوصاف احدها انه يهرم فيها الكبير والثاني انه يشيب فيها الصغير والثالث ان المؤمن المجتهد في لزوم الحق والذب عنه يقاسي من ذلك
الاختلاط شدايد ويكدح فيها حتى يلقى ربه وقيل يداب ويجتهد في الوصول الى حقه فلا يصل حتى يموت ثم اشار بعد ذلك الى
ترجيح رايه في اختيار القسم الثاني وهو الصبر وترك القيام في هذا الامر بقوله فرايت ان الصبر على هاتا احجى واليق بنظام الاسلام ووجه
الترجيح ظاهر فانه لما كان مقصوده عم من هذه المنافسة انما هو اقامة الدين واجراء قواعده على القانون المستقيم ونظام امور الخلق
كما هو المقصود من مقالات الشارعين صلوات الله عليهم اجمعين وكانت صولته ومحاربته لمنافسيه في الامامة بغير ناصر لا يتم القيام
به ومع ذلك ففيه انشعاب امور المسلمين وتفرق كلمتهم وثوران الفتن بينهم خصوصا والاسلام غض لم ترسخ محبته في قلوب كثير
الخلق ولم يطعموا حلاوته وفيهم المنافقون والاعداء المشركون في غاية القوة من كل الاقطار لا جرم لم يمكنه مع ملاحظة هذه الاحوال
اثارة الحرب والمنازعة لادائه ذلك الى ضد ما هو مقصود لحركته ومحاربته واما الصبر وترك المنافسة وان كان فيه بحسب ما
ذكره من اختلال الدين وانه لو كان هو القائم لهذا الامر لكان انتظامه به اتم واقوم واكمل الا انه اقل بالنسبة الى الاختلال الذي كان
يحصل للتنازع في هذا الامر والقيام في طلبه وبعض الشر اهون من بعض قوله فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى الواو للحال و
الجملتان كنايتان عن شدة ما اضمره من التاذي والغبن بسبب سلبه ما يرى انه اولى به من غيره وما يعتقده من الخبط في الدين بيد
غيره قوله ارى تراثي نهبا قيل اراد بتراثه ما خلفه رسول الله صلعم لابنته كفدك فانه يصدق عليها انه ميراثه لان مال الزوجة
في حكم مال الزوج والنهب اشارة الى منع الخلفاء الثلثة لها بالخبر الذي رواه ابو بكر نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو
صدقة وقيل اراد منصب الخلافة ويصدق عليه لفظ الارث كما صدق في قوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من ال يعقوب فانه

اراد بورث علي

في بيان الخطبة المعروفة بالشقشقية

اراد بإرث علي ومنصبه في النبوة فكان اسم الميراث صادقا على ذلك **قوله** حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها الى فلان بعده اراد بالاول ابا بكر وبفلان عمر واشار بالادلاء الى نص ابي بكر على ان يكون عمر هو الخليفة بعده ومضيه لسبيله انتقاله الى دار الاخرة وسلوكه السبيل التي لا بد منه لكل انسان واما البيت فهو للاعشى قيس واسمه ميمون بن جندل من بني قيس من قصيدة اولها علقم ما انت الى عامر الناقض الاوتار والواتر وحيان وجابر ابنا السمين بن عمرو من بني حنيفة وكان حيان صاحب الحصن باليمامة وكان سيدا مطاعا يصله كسرى في كل سنة وكان في نعمة ورفاهية مصونا من وعثاء السفر لانه ما كان يسافر ابدا وكان الاعشى ينادمه واراد ما ابعد ما بين يومي يومي على كور المطية اداب وانصب في الهواجر وبين يومي منادما حيان اخي جابر وادعا في نعمة وخفض ويروى ان حيان عاتب الاعشى في نسبته الى اخيه فاعتذر اليه الاعشى بان القافية قادته الى ذلك فلم يقبل عذره واليوم الاول في موضع رفع باسم الفعل والثاني بالعطف عليه واما غرض التمثيل بالبيت فافاد السيد المرتضى اراد بذلك ان القوم نالوا بمقاصدهم ورجعوا بمطالبهم وظفروا بها وهو في اثناء ذلك كله محقق في حقه مكذب في نصيبه كما اشار اليه بقوله وفي العين قذى وفي الحلق شجى كان بين حالهم وحاله بعد بعيد وفرق شديد فاستشهد بهذا البيت واستعار لفظ اليومين وكنى بهما عن حاله وحالهم ووجه المشابهة في هذا المثل ان حالهم استلزم حصول المطالب والرفاهية كيوم حيان وحاله استلزم المتاعب كيومه على كور الناقة سفرا وقلقا ويحتمل ان يكون قد استعار يوم حيان لعهده مع رسول الله صلى الله عليه وآله وما كان يحصل له في مدة صحبته من الفوائد الجسمية والكمالات من العلوم والاخلاق ويوم كونه على كور الناقة لزمانه بعد الرسول صلى الله عليه وآله وما لحقه فيه من مقاساة المحن ومتاعب الصبر على الاذى ووجه المشابهة ما يشتمل عليه يوم حيان وعهد الرسول من المسار وما يشترك فيه يوم كونه على كور الناقة وأوقاته بعد الرسول من المتاعب **قوله** فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لاخر بعد وفاته الاشارة الى ابي بكر وطلبه الاقالة هو قوله اقيلوني فلست بخيركم ووجه التعجب ههنا ان طلب ابي بكر الاقالة من هذا الامر انما هو لثقله وكثرة شرائطه وشدة مراعاة اجزاء احوال الخلق مع اختلاف طباعهم واهوائهم على قانون العدل وخوفه ان تعثر به مطايا الهوى فتزدي به في موارد الهلاك وعلى هذا التقدير فكلما كانت مدة ولاية الانسان لهذا الامر اقصر كان خوفه اقل وكانت متاعبه ايسر واسهل وسبيل طالب الاقالة من هذا الامر وامثاله ومقتضى طلبه لذلك ان يتحرى قلة متاعب هذا الامر ويجتهد في الخلاص منه مهما امكنه ذلك فاذا رأيناه متمسكا بهذا الامر مدة حياته وعقده بعد وفاته لاخر بعده فيتحمل مضار هذا الامر في حال الحياة وبعد الوفاة فلا بد وان يغلب على الظن ان طلبه للاقالة لم يكن عن قصد صحيح فيصير ذلك الظن ثم ما ثم لما اشتهر عنه من العدالة وذلك محل التعجب وهذا بخلاف ما اشتهر بالفسق والنفاق فانه لا يتعجب من فعله لو خالف قوله **قوله** لشد ما تشطرا ضرعيها اللام للتاكيد وما مع الفعل بعدها في تقدير المصدر وهو فاعل شد والجملة من تمام التعجب وقد استعار لفظ الضرع ههنا للخلافة وهي استعارة مستلزمة لتشبيهها بالناقة ووجه المشابهة المشاركة في الانتفاع الحاصل منهما والمقصود وصفا فتشاطرهما لهذا الامر المشبه لاقتسام الحالبين اخلاف الناقة بالشدة على امر من يعتقد انه احق بها منهما او على المسلمين الذين يشبهون الاولاد لها **وقوله** فصيرها في حوزة خشناء كنى بالحوزة عن طباع عمر فانها كانت توصف بالجفاوة والغلظ في الكلام والتسرع الى الغضب وذلك معنى خشونتها **قوله** يغلظ كلمها ويخشن مسها استعار لتلك الطبيعة وصفين احدهما غلظ الكلم وهو كناية عن غلظ المواجهة بالكلام والجرح به فان الضرب باللسان اعظم من وخز السنان والثاني جفاوة المس وهي كناية عن خشونة طباعه المانعة من ميل الطباع اليه المستلزمة للاذى كما يستلزم من الاجسام الخشنة **قوله** ويكثر العثار والاعتذار منها اشارة الى ما كان يتسرع اليه عمر من الاحكام ثم يعود النظر فيها فيجدها غير صائبة فيحتاج الى الاعتذار والضمير في منها يعود الى الطبيعة المعبر عنها بالحوزة فمن ذلك ما روي انه امر برجم امرأة زنت وهي حامل فعلم علي عليه السلام بذلك فجاء اليه وقال له ان كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما في بطنها دعها حتى تضع ما في بطنها ثم ترضع ولدها ففعل قال عمر لولا علي لهلك عمر وتركها وكذلك ما روي انه امر ان يؤتى بامرأة لحال اقتضت ذلك وكانت حاملا فانزعجت من هيبته فاجهضت جنينا فجمع جمعا من الصحابة وسألهم ماذا يجب عليه فقالوا انت مجتهد فقالوا انت مجتهد ولا نرى انه يجب عليك شيء فراجع عليا عليه السلام في ذلك واعلمه بما قال بعض الصحابة فانكر ذلك وقال ان كان ذلك عن اجتهاد منهم فقد اخطأوا وان لم يكن عن اجتهاد فقد غشوك ارى عليك الغرة فعند هذا قال لا عشت لمعضلة لا تكون لها يا ابا الحسن ومنشأ ذلك وامثاله غلبة القوة الغضبية وغلظ الطبيعة **قوله** فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم قيل الضمير في صاحبها يعود الى الحوزة المكنى بها عن طبيعة عمر واخلاقه والمراد على هذا الوجه ان المصاحب لتلك الاخلاق في حاجة الى المداراة في معونة حاله كراكب الصعبة ووجه المشابهة ان راكب الصعبة كما يحتاج الى الكلفة الشاقة في مداراة احوالها فهو معها بين خطرين ان والى الجذب لها في وجهها بالزمام خرم انفها وان اسلس لها في القياد تقحمت به المهالك كذلك مصاحب اخلاق الرجل والمبتلى بها ان اكثر عليه انكار ما يتسرع اليه ادى ذلك الى مشاقته وفساد الحال بينهما وان سكت عنه وتركه وما يصنع ادى ذلك الى الاخلال بالواجب وذلك من موارد الهلكة وقيل الضمير في صاحبها للخلافة وصاحبها

في بيان الخطبة المعروفة بالشقشقية

هو كل من تولى امرها اذ كان غاد لا امر عيا الحق الله ووجه شبهه براكب الصعبة ان المتولي لامر الخلافة ينظر الى الكلفة الشاقة في مداراة
احوال الخلق ونظام امورهم على القانون الحق وان يسلك بهم طريق العدل المحفوف بطرفي التفريط والتقصير المشبهة لاسلاك
قياد الصعبة وبطرف الافراط في طلب الحق والاستقصاء فيه الذي يشبه شنقها فان المتولي لامر الخلافة ان فرط في المحافظة على شرائطها
واهمل امرها القاه التفريط في موارد الهلكة كما نسبه الصحابة الى عثمن حتى فعل به ما فعل فكان في ذلك كراكب صعبة اسلس قيادها
وان افرط في حمل الخلق على اشد مراتب الحق وبالغ في الاستقصاء عليهم في طلبه اوجب ذلك تفجرهم منه ونفارهم طباعهم وتفرقهم
عنه وفساد الامر عليه لميل اكثرهم الى جنب الباطل وغفلتهم عن فضيلة الحق وان صعب فيكون في ذلك كمن اشنق الصعبة التي
هو راكبها حتى خرم انفها وهو من التشبيهات اللطيفة وقيل اراد بصاحبها نفسه ويشبه براكب الصعبة لانه ايضا بين خطرين
اما ان يبقى ساكتا عن طلب هذا الامر والقيام فيتقحم بذلك في موارد القتل والصغار كما يتقحم راكب الصعبة المسلس لها قيادها
واما ان يقوم فيه ويشتد في طلبه فينشعب امر المسلمين بذلك كمن اشنق لها فخرم انفها والاول الذي اشبه في الكلام ونظامه
والثاني اظهر والثالث محتمل **قوله** فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض اشارة الى ما ابتلوا به من اضطراب الرجل
وحركاته التي كان يعتمدها عليه وكنى بالخبط عنها وبالشماس عن جفاوة طباعه وخشونتها وبالتلون والاعتراض عن انتقاله من حالة
الى اخرى في اخلاقه وهي استعارات وجه المشابهة فيها ان خبط البعير وشماس الفرس واعتراضهما في الطريق حركات غير منظومة
فاشبهها ما لم يكن منظوما من حركات الرجل التي ابتلي الناس بها ولا شك انه كان صعبا عظيم السطوة والهيبة وكان اكابر الصحابة
يتحامونه وقيل لابن عباس لما اظهر قوله في مسئلة العول بعد موت عمر هلا قلت ذلك وعمر حي قال هبته وكان رجلا مهيبا
وقيل ان ذلك اشارة الى ما ابتلي به الناس من اضطراب الامر وتفرق الكلمة وجري امورهم على غير نظام بسبب تفرق كلمتهم ثم اردف
ذلك بذكر صبره على ما صبر عليه مع الثاني كما صبر مع الاول وذكر امرين احدهما طول مدة تخلف الامر عنه والثاني شدة المحنة
بسبب فوات حقه وما يتفرع من لوازم ذلك الفوت وهو عدم انتظام احوال الدين واجرائه على قوانينه الصحيحة ولكل واحد من هذين
الامرين حصته في استلزام الاذى بحسب في مقابلته الصبر **قوله** حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم **اقول**
حتى هنا لانتهاء الغاية والغاية لزوم تالي الشرطية لمقدمها اعني جعله لها في جماعة لمضيه لسبيله واشار بالجماعة الى اهل الشورى
وخلاصة حديث الشورى ان عمر لما طعن دخل عليه وجوه الصحابة وقالوا له ينبغي لك ان تعهد عهدا ايها الرجل وتستخلف رجلا
ترضاه فقال لا احب ان اتحملها حيا وميتا فقالوا الا تشير علينا فقال اما ان اشير فان احببتم قلت فقالوا نعم فقال الصالحون لهذا
الامر سبعة نفر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انهم من اهل الجنة احدهم سعيد بن زيد وانا مخرجه منهم لانه من اهل بيتي وسعد بن ابي
وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وعثمن وعلي فاما سعد فلا يمنعني منه الا عنفه وفظاظته واما عبد الرحمن فلانه
قارون هذه الامة واما طلحة فلكبره ونخوته واما الزبير فشحيح ولقد رايته بالبقيع يقاتل على صاع من شعير ولا يصلح لهذا الامر الا
رجل واسع الصدر واما عثمن فحبه لقومه وعصبيته لهم واما علي فحرصه على هذا الامر ورغبته فيه ثم قال يصلي صهيب بالناس
ثلثة ايام ويخلو الستة نفر في البيت ثلثة ايام ليتفقوا على رجل منهم فان استقام امر خمسة وابى رجل فاقتلوه وان استقر امر ثلثة
وابى ثلثة فكونوا مع الثلثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ويروى فاقتلوا الثلثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن بن عوف ويروى فتحاكموا
الى عبد الله بن عمر فاي الفريقين قضى له فاقتلوا الفريق الاخر فلما خرجوا عنه واجتمعوا لهذا الامر قال عبد الرحمن ان لي ولابن عمي
من هذا الامر الثلث فنحن نخرج انفسنا منه على ان نختار رجلا هو خيركم للامة فقال القوم رضينا غير علي فانه اتهمه في ذلك فقال
ارى وانظر فلما ايس من رضى علي رجع الى سعد فقال هلم نعين رجلا نبايعه فالناس يبايعون من بايعته فقال سعد ان بايعك
عثمن فانا لكم ثالث وان اردت ان تولي عثمن فعلي احب الي فلما ايس من قطاعه عن سعد كف عنهم وجاءهم ابو طلحة في خمسين رجلا من
الانصار يحثهم على التعيين فاقبل عبد الرحمن على علي واخذ بيده وقال ابايعك على ان تعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين
ابي بكر وعمر فقال علي عليه السلام تبايعني على ان اعمل بكتاب الله وسنة رسوله واجتهد رايي فترك يده ثم اقبل على عثمن فاخذ بيده وقال له
مثل مقالته لعلي عليه السلام فقال نعم فكرر القول على كل منهما ثلثا فاجاب كل بما اجاب به اولا فعندها قال عبد الرحمن هي لك يا عثمن و
بايعه ثم بايعه الناس وفي المتن زعم الى سادسهم ثم اردف حكاية الحال بالاستغاثة بالله للشورى والواو فلما رايت او للعطف على محذوف
مستغاث له ايضا كانه قال فيا لله لعمر وللشورى اولي وللشورى ان في الشورى ونحوه والاستفهام عن وقت عروض الشك في الخلق
في ان الاول هل يساويه في الفضل والاستيلاء واستفهامها على سبيل الانكار والتعجب من عروض الشك فيه حتى الى حايران
قاسوه بالخمسة المذكورين وجعلوهم نظراء ولمثالا له في المنزلة واستحقاق هذا الامر **قوله** لكني اسففت اذا سفوا وطرت
اذا طاروا استعارة لاحوال التابعين من الاسفاف والطيران لاحواله من مقارنته لمرادهم وتصرفه على قدر ما اختاروهم الا ما امر **قوله**

الشقشقية

ويشبه عظام ما يكون في ذلك الحمل

الذكر

بن عوف

في بيان الخطبة المعروفة بالشقشقية

فصغا رجل منهم لضغنه اشارة الى سعد ابي وقاص فانه كان منحرفا عنه وهو احد المتخلفين عن بيعته بعد قتل عثمن وقوله ومال الآخر لصهره
اشارة الى عبد الرحمن بن عوف فانه مال الى عثمن لمصاهرة كانت بينهما وان عبد الرحمن كان زوجا لام كلثوم بنت عقبة بن ابي
معيط وهي اخت عثمن لامه اروى بنت كريز وقوله مع هن وهن يريد ان ميله لم يكن لمجرد المصاهرة بل لاشياء اخرى يحتمل ان يكون نفاسة عليه
وغبطة له بوصول هذا الامر اليه او عيره بذلك وقوله الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه اراد به عثمن وكنى بقيامه
عن حركته في ولاية امر الخلافة واثبت له حالا تستلزم تشبيهه بالبعير واستعاره وصفه وهو نفج الحضنين وكنى بذلك عن استعداده
للتوسع ببيت مال المسلمين وحركته في ذلك كما نسب اليه تشبيها له بالبعير ينفخ جنباه بكثرة الاكل كناية عن المتوسع في الاكل والشرب
وربما قيل ذلك للمتكبر المنتفخ كبرا وكذلك قوله بين نثيله ومعتلفه وهو متعلق بقائما اي قام بين معتلفه وروثه وهو من اوصاف البهائم
ووجه الاستعارة ان البعير والفرس كما لا اهتمام له اكثر من ان يكون بين اكل وروث كذلك نسب اليه انه لم يكن اكبر همه الا التزهد والتوفر
في المطعم والمشرب وسلامة مصالح نفسه وعافيته دون ملاحظة امور المسلمين ومراعاة مصالحهم كما نقم عليه **قوله** وقام معه
بنو ابيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع يخضمون في موضع الحال وعنى بمال الله بيت المال واراد ببني ابيه بني امية
بن عبد شمس ويحتمل ان يريد اقرباءه مطلقا وخص بني امية تغليبا للمذكورة وكنى بالخضم عن كثرة توسعهم بمال المسلمين من بعد عثمن
وقد نقلت عنه من ذلك صور **احدها** انه دفع الى اربعة نفر من قريش زوجهم بناته اربع مائة الف دينار **وثانيها** انه لما فتح افريقية
اعطى مروان بن الحكم مائة الف دينار ويروى وخمس افريقية **وثالثها** روي من عدة طرق ان ابا موسى الاشعري بعث اليه
بمال عظيم من البصرة فجعل يفرقه في ولده واهله وكان ذلك بحضرة زياد بن عبيد مولى الحرث بن كلدة الثقفي فبكى زياد لما راى
فقال له لا تبك فان عمر كان يمنع قرابته ابتغاء وجه الله وانا اعطي اهلي وقرابتي ابتغاء وجه الله **ورابعها** روي انه ولى الحكم
بن ابي العاص صدقات قضاعة فبلغت ثلث مائة الف فوهبها له حين اتاه بها **وخامسها** روى ابو مخنف ان عبد الله بن خالد
بن اسيد قدم على عثمن من مكة ومعه ناس فامر لعبد الله بثلث مائة الف ولكل واحد منهم بمائة الف وصك بذلك على عبد الله
بن الارقم وكان خازن بيت المال فاستكثره ورد الصك فقال له عثمن ما حملك على رده وانما انت خازن قال كنت اراني
خازن بيت مال المسلمين وانما خازنك غلامك وانه لا الي لك بيت المال ابدا وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر فدفعها عثمن الى مولاه
نائل وروى الواقدي ان عثمن امر زيد بن ثابت ان يحمل من بيت المال الى عبد الله بن الارقم في عقيب ما فعل ثلث مائة الف درهم فلما
دخل عليه بها قال له يا ابا محمد ان امير المؤمنين ارسل اليك يقول انا شغلناك عن التجارة ولك ذو رحم اهل حاجة ففرق هذا
المال فيهم واستعن به على عيالك فقال عبد الله ما لي اليه حاجة وما عملت لان يثيبني عثمن فان كان هذا من بيت المال فلا يبلغ قدر
عملي ان اعطى ثلث مائة الف ... وان كان من ماله فلا حاجة لي به وبالجملة فمواهبه لاهله وذويه مشهورة وقد شبه خضمهم
لمال الله بخضم الابل نبت الربيع ووجه التشبيه ان الابل لما كانت تستلذ نبت الربيع بشهوة صادقة وتملأ منه احناكها وذلك
لمجيئه عقيب يبس الارض وطول مدة الشتاء ومع ذلك طيبه ونضارته كان ما اكله اقارب عثمن من بيت المال مشبها لذلك
من جهة كثرته وطيبه لهم عقيب ضرهم وفقرهم وكل ذلك في معرض الذم والتوبيخ المستلزم لارتكاب مناهي الله المستلزم لعدم
الاهلية لامر الخلافة **قوله** الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته اشارة الى غايات من بيانه في الحال
المذكورة واستعار لفظ الفتل وهو برم الحبل لما كان يبرمه من الراي والتدبير ويستبد به دون الصحابة وكنى به عنه وكذا
لفظ الانتكاث لانتقاض ذلك التدبير ورجوعها عليه بالفساد والهلاك وقوله واجهز عليه عمله يشتمل على مجاز في الافراد
والتركيب اما في الافراد فلان استعمال الاجهاز انما يكون حقيقة في قتل نفذ بجرح المقتول واثخان بضرب ونحوه ولما كان
قتل عثمن مسبوقا بالطعن بسنة الاسنة والجرح بحدا وسبوقها لاجرام اشبه قتله الاجهاز فاطلق عليه لفظه واما في التركيب
فلان اسناد الاجهاز اليه اسنادا للفعل الى السبب القابلي اي الى السبب الحامل وهو من وجوه المجاز وكذلك قوله وكبت به بطنته
مجاز ايضا في الاسناد والتركيب وذلك لان الكبو انما هو حقيقة في الاسناد الى الحيوان ولما كان ارتكابه للامور التي نقمت
عليه وتوسعه ببيت المال المكنى عن ذلك بالبطنة واستمراره على ذلك مدة خلافته سليما يشبه ركوب الفرس واستمرار
مشيه سليما من العثار والكبو كانت البطنة مشبهة للمركوب من هذه الجهة فلذلك صح اسناد الكبو اليها مجازا **قوله**
فما راعني الا والناس الي كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب الي متعلق بمحذوف تقديره مقبلون الي وفاعل راعني
اما الجملة الاسمية وهو مقتضى قول الكوفيين اذ جوزوا كون الجملة فاعلا وما دلت عليه هذه الجملة وكانت مفسرة له من
المصدر اي فما راعني الا اقبال الناس الي وهو فرع مذهب البصريين اذ منعوا كون الجملة فاعلا ونظيره قوله تعالى ثم بدا لهم
من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين وينثالون اما خبر ثان للمبتدا او حال عن راعني والعامل في الي والاشارة الى وصف

في بيان الخطبة المعروفة بالشقشقية

ازدحام الناس عليه للبيعة بعد قتل عثمان وقد شبههم في اقبالهم اليه وازدحامهم عليه بعرف الضبع ووجه الشبه ان الضبع
ذات عرف كثير فاته الشعر والعرب تسمى الضبع عرفا لعظم عرفها فكان حال الناس في اقبالهم عليه متتابعين يتلو بعضهم بعضا
شبيها بما يشبه عرف الضبع **قوله** حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطافي اشارة الى غاية ازدحامهم عليه وهي وطئ ولديه الحسن
والحسين عليهما السلام وشق ردائه بالجذب عند مخاطبته والجلوس على جانبيه واما على الرواية الاخرى فالمراد بالشق اما
الاذى الحاصل للصدر والمنكبين او شق قميصه بالجلوس على جانبيه واطلاق لفظ العطفين على جانبي القميص مجاز اطلاقا
لاسم المجاور على مجاوره او المتعلق على متعلقه ومن عادة العرب ان يكون امراؤهم كسادتهم في قلة التوقير والتعظيم في المخاطبات
وفعلهم ذلك اما فرح برءاه او لجلافة طباع رعاعهم وحكى السيد المرتضى رضه ان ابا عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب
روى في قوله وطئ الحسنان انهما الابهامان وانشد للشنفرى مهضومة الكشحين خرماء الحسن وروى ان امير
المؤمنين ع انما كان يومئذ جالسا محتبيا وهي جلسة رسول الله صلعم المسماة بالقرفصاء وهي جمع الركبتين وجمع الذيل فلما
اجتمعوا ليبايعوه زحموه حتى وطئوا ابهاميه وشقوا ذيله بالوطئ ولم يعن الحسن والحسين عليهما السلام وهما رجلان كسائر
الحاضرين وهذا القول يؤيد الرواية الاولى واعلم ان ارادة الحسن والحسين اظهر **قوله** مجتمعين حولي كربيضة الغنم مجتمعين
حولي كربيضة الغنم مجتمعين منصوب على الحال كالذي قبله والعامل واحد وهو قوله وطئ وقد شبه اجتماعهم حوله
بربيضة الغنم ووجه التشبيه ظ ويحتمل ان يلاحظ في وجه التشبيه مع الهيئة زيادة وهي تشبيههم بالغنم لغفلتهم عن وضع
الاشياء في مواضعها وقلة فطانتهم وعدم استعمالهم للادب معه او مط والعرب تصف الغنم بالغباوة وقلة الفطانة **قوله**
فلما نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى وفسق اخرون اراد بالناكثين طلحة والزبير لانهما بايعاه ونقضا بيعته وخرجا
عليه وكان من تبعهما من تابعه وبالمارقين الخوارج وبالقاسطين او الفاسقين اصحاب معوية وهذه الاسماء سبقت من الرسول صلعم
اذ حكى في موضع اخر انه اخبره بانه سيقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين بعده وانما خص الخوارج بالمروق لان المروق وهو مجاوزة
السهم للرمية وخروجه منها ولما كانت الخوارج اولا منتظمين في سلك الحق الا انهم بالغوا بزعمهم في طلبه الى ان تعدوه وتجاوزوه
لاجرم حسن ان يستعار لهم لفظ المروق لمكان المشابهة وقد اخبر الرسول صلعم عنهم وبهذا اللفظ اذ قال يمرقون من الدين كما يمرق السهم
من الرمية واما تخصيص اهل الشام بالقاسطين فلان مفهوم الفسق او القسط هو الخروج عن سنن الحق وقد كانوا كذلك لمجانبة الفئة
والخروج عن طاعته فكان اطلاق احد اللفظين عليهم لذلك **قوله** كانهم لم يسمعوا الله يقول تلك الدار الاخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين تنبيه لاذهان الطوايف الثلث المذكورة ومن عساه يتخيل ان الحق
في سلوك مسلكهم على ان ما فعلوه من المخالفة عليه والقتال له انما هو طلب للعلو والمفاخرة في الدنيا المستلزم للسعي في
الارض بالفساد واعراض عن الدار الاخرة وحسم لمادة اعذارهم ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين فيقولوا عند لقاء ربهم لو سمعنا
هذه الاية ووعيناها لما ارتكبنا هذه الافعال ويزعمون ان الحق في هذه المتصلة هو استثناء نقيض تاليها لينتج لهم نقيض مقدمها
وتقديره ع لهذا العذر لهم على سبيل التهكم بهم وانه لا عذر لهم في الحقيقة بما فعلوه ثم اراده ع تكذيبهم في ذلك العذر على تقدير اعتذارهم
به فاشار الى مكذب للنتيجة بوضع نقيضها مؤكدا بالقسم اذ اشار الى منع لزوم هذه المتصلة بقوله بلى والله لقد سمعوها ووعوها
ولكنه حليت الدنيا في اعينهم ونبه على ان وضع المقدم المذكور في المتصلة لا يستلزم تاليها مط بل استلزامه له موقوف على زوال مانع
هو حاصل لهم الان وذلك المانع هو غرور الدنيا لهم بزينتها واعجابهم بها وعلى تقدير حصول المانع المذكور جاز ان يجتمع هذا
المقدم مع نقيض التالي المذكور وهو ارتكاب ما ارتكبوه من الافعال **قوله** اما والذي فلق الحبة وبرء النسمة لولا حضور
الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء الى اخره **اقول** لما ذكر من حال القوم وحاله معهم ما ذكر من الشكاية
والتظلم في امر الخلافة وذم الشورى وما انتهى اليه من الحال التي اوجبت نزوله عن مرتبته الى ان قرن بالجماعة المذكورين اردف ذلك
ببيان الاعذار الحاملة على قبول هذا الامر والقيام به بعد تخلفه عنه الى هذه الغاية وقدم على ذلك شاهد هذا القسم العظيم
بها بين الاضافتين وهما فالق الحبة وبارئ النسمة واعلم ان الوصف الاول ماخوذ من القران الكريم وهو قوله فالق الحب والنوى ثم
خص الحبة والنسمة بالتعظيم بالنسبة الى الله تعالى لما يشتملان عليه مع لطف الخلقة وصغر الحجم من اسرار الحكمة وبدايع الصنع الدالة
على وجود الصانع الحكيم اما فلق الحبة ففيه قولان احدهما قال ابن عباس والضحاك فالق الحب اي خالقه فعلى هذا يكون معنى
قوله فلق الحبة كقوله فطر الخلايق بعيد والثاني وهو الذي عليه جمهور المفسرين ان فلق الحبة هو الشق الذي في وسطها و
تقرير هذا القول ان الحبة من الحنطة مثلا لما كانت من غايتها ان تكون شجرة مثمرة تنتفع بها الحيوان جعل الله سبحانه في وسطها
ذلك الشق حتى اذا وقعت في الارض الرطبة ثم مرت بها مدة من الزمان جعل سبحانه الطرف الاعلى من ذلك الشق مبدء لخروج

وشق م

الاخرة م

الشجرة

الشجرة الصاعدة الى الهواء وطرف الاسفل عبد للعروق الهابطة الى الارض ليتى منها مادة تلك الشجرة وفي ذلك بدايع من الحكمة شاهدة
بوجود المدبر الحكيم احدها ان يكون طبيعة تلك الحبة ان كانت تقتضي الهوى في عمق الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة في
الهواء وعلى العكس فلما تولد منها امران متضادان علمنا ان ذلك ليس لمجرد الطبيعة بل بمقتضى الحكمة الالهية وثانيها انا شاهدنا اطراف
تلك العروق في غاية الدقة واللطافة بحيث لو دلكها الانسان بادنى قوة لكانت كالماء ثم انها مع غاية تلك اللطافة تقوى على
خرق الارض الصلبة وتنفذ في مسام الاحجار فحصول هذه القوة الشديدة لهذه الاجرام اللطيفة الضعيفة لا بد ان يكون بتقدير العزيز
الحكيم وثالثها انك قد تجد للطبايع الاربع حاصلة في الفاكهة الواحدة كالاترج فان قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس
وبزره حار يابس فتولد هذه الطبايع المتضادة من الحبة الواحدة لا بد ان يكون بتقدير الفاعل الحكيم ورابعها انك اذا نظرت الى ورقة من
اوراق الشجرة المبدعة عن الحبة وجدت في وسطها خطا مستقيما كالنخاع بالنسبة الى بدن الانسان ثم لا يزال ينفصل عنه شعب وعن
الشعب شعب اخرى الى ان يستدق ويخرج تلك الخطوط عن ادراك البصر والحكمة الالهية انما اقتضت ذلك ليقوى القوة
الجاذبة المركوزة في جرم تلك الورقة على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك المجاري الضيقة واذا وقفت على عناية الله
سبحانه في تكون تلك الورقة الواحدة الواقعة علمت ان عنايته في جملة الشجرة اكمل وان عنايته في جملة النبات اكمل ثم اذا علمت
انه انما خلق جملة النبات لمصلحة الحيوانات علمت ان عنايته في خلق الحيوان اكمل واذا علمت ان المقصود من خلق الحيوان انما هو
الانسان علمت ان الانسان هو اعز المخلوقات هذا العالم عند الله واكرم عليه وانه قد اكرمه بانواع الاكرام كما قال تعالى ولقد كرمنا
بني ادم الاية وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واما النسمة فعليك في مطالعة عجايب صنع الله ببدن الانسان بكتب التشريح وقد اشرنا الى
طرف من ذلك في الخطبة الاولى اذا عرفت ذلك فاعلم انه ع ذكر من تلك الاعذار ثلثة احدها حضور الحاضرين لمبايعته والثاني قيام الحجة عليه
بوجود الناصر له في طلب الحق لو ترك الطلب الثالثها اخذ الله على العلماء من العهد على انكار المنكرات وقمع الظالمين ودفع الظلامات عند
التمكن والعذران الاولان هما شرطان في الثالث اذ لا يتعد ولا يجب انكار المنكر بدونهما وكنى بكظة الظالم عن قوة ظلمه وبسغب المظلوم
عن قوة ظلامته قوله لالقيت حبلها على غاربها استعاره وصف من اوصاف الناقة للخلافة وللاية كنى بها عن تركها واهمالها
لامرها ثانيا كاهمالها اولا ولما استعار لها لفظ الغارب جعل لها حبلا تلقى عليه وهو من ترشيح الاستعارة واصله ان الناقة يلقى زمامها
على غاربها وتترك لترعى قوله ولسقيت اخرها بكاس اولها استعار لفظ السقي للترك المذكور ايضا ورشح تلك الاستعارة بذكر الكاس
ووجه تلك الاستعارة ان السقي بالكاس لما كان مستلزما لوجود السكر غالبا وكان اعراضه ولا مستلزما لوقوع الناس فيما ذكر من الطخية العمياء
المستلزمة لحيرة كثير من الخلق وضلالهم الذي يشبه السكر واشد منه لا جرم حسن ان يعبر عن ذلك الترك بالسقي بالكاس قوله ولالفيتم دنياكم
هذه اهون عندي من عفطة عنز عطف على ما قبله ويفهم منه انه ع طالب للدنيا ولها عنده قيمة الا ان طلبه لها والحرص على الامر فيها ليس لانها هي
بل لما ذكرنا من نظام الخلق واجراء امورهم على القانون العدل الماخوذ على العلماء كما اشار اليه ونظم هذا الكلام في صورة متصلة هكذا لولا حضور
الحاضر ولم يقم الناصر ولم يوخذ على العلماء ما اخذ عليهم من انكار المنكر اذا امكن التركيب اخر كلمة تركنا ولا ولو جدتم دنياكم هذه اهون عندي
مما لا قيمة له وهو عفطة العنز واما الحكاية المتعلقة بهذه الخطبة فاذا مباهل السواد سواد العراق قال ابو الحسن الكيدري ره وجدت في الكتب
القديمة ان الكتاب الذي دفع الرجل الى امير المؤمنين ع كان فيه عدة مسائل احدها ما الحيوان الذي خرج من بطن حيوان اخر وليس بينهما نسب
فاجاب ع بانه يونس بن متى ع خرج من بطن الحوت الثانية ما الشيء الذي قليله مباح وكثيره حرام فقال ع هو نهر طالوت لقوله تعالى الا من اغترف
غرفة بيده الثالثة ما العبادة التي فعلها واحد استحق العقوبة وان لم يفعلها استحق ايضا العقوبة فاجاب بانها صلوة السكارى الرابعة ما
الطائر الذي لا فرخ له ولا فرع ولا اصل فقال هو طاير عيسى عليه السلام في قوله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير
باذني فتنفخ فيه فيكون طيرا باذني الخامسة رجل عليه من الدين الف درهم وله في كيسه الف درهم فضمنه ضامن بالف درهم
فحال عليه الحول فالزكوة على اي المالين يجب فقال ان ضمن الضامن باجازة من عليه الدين فلا يكون عليه وان
ضمنه من غير اذنه فالزكوة مفروضة في ماله السادسة حج جماعة ونزلوا في دار من دور مكة واغلق واحد منهم باب
الدار وفيها حمام فمتن من العطش قبل عودهم الى الدار فالجزاء على ايهم يجب فقال ع على الذي اغلق الباب
ولم يخرجهن ولم يضع لهن ماء السابعة شهد شهود اربعة على محصن بالزنا فامرهم الامام برجمه فرجمه واحد منهم دون الثلثة
الباقين ووافقهم قوم اجانب في الرجم فرجع من رجمه عن شهادته والمرجوم لم يمت ثم مات فرجع الاخرون عن شهادتهم عليه
بعد موته فعلى من يجب ديته فقال يجب على من رجمه من الشهود ومن وافقه الثامنة شهد شاهدان من اليهود على يهودي انه
اسلم فهل يقبل شهادتهما ام لا فقال لا تقبل شهادتهما لانهما يجوزان تغيير كلام الله وشهادة الزور التاسعة شهد شاهدان
من النصارى على نصراني او مجوسي او يهودي انه اسلم فقال تقبل شهادتهما لقول الله سبحانه ولتجدن اقربهم مودة

في بيان خطبة خطبها بعد قتل طلحة والزبير

مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى الاية ومن لا يستكبر عن عبادة الله لا يشهد الزور والعاشر شهادته قطع انسان يد اخر فحضر اربعة شهود عند الامام وشهدوا على قطع يده وانه زنا وهو محصن فاراد الامام ان يرجمه فمات قبل الرجم فقال علي من قطع يده حسب لو شهدوا انه سرق فقضا بانه يجب بدية على قاطعها والله اعلم **ومن خطبة له عليه السلام**
بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم العلياء وبنا انفجرتم عن السرار وقر سمع لم يفقه الواعية كيف يراعي النباة من اصمته الصيحة ربط جنان لم يفارقه الخفقان ما زلت انتظر بكم عواقب الغدر واتوسمكم بحلية المغترين سترني عنكم جلباب الدين وبصرنيكم صدق النية اقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة حيث تلتقون ولا دليل وتحتفرون ولا تميهون اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان عزب راي امرىء تخلف عني ما شككت في الحق مذ اريته لم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل من وثق بماء لم يظماء **اقول** روى ان هذه الخطبة خطب بها امير المؤمنين عليه السلام بعد قتل طلحة والزبير تسنمتم اي ركبتم سنامها وسنام كل شيء اعلاه والسرار الليلة والليلتان يكون في اخر الشهر يستتر فيها القمر ويخفى والوقر الثقل في السمع وفقهت الامر فهمته والواعية الصارخة والنباة الصوت الخفي والسمة العلامة وسنن الحق وجهه وطريقه وماهت البئر خرج ماؤها وعزب اي غاب واوجس احس واهتز والظماء العطش واعلم ان هذه الخطبة من افصح كلامه وهي مع اشتمالها على كثرة المقاصد الواعظة المحركة للنفس في غاية وجازة الالفاظ من عجيب فصاحتها وبلاغتها ان كل كلمة منها تصلح لان تفيد على سبيل الاستقلال وهي على ما نذكره من حسن النظم وتركيب بعضها مع بعض قوله بنا اهتديتم في الظلماء والضمير المجرور راجع الى ال الرسول والخطاب للحاضرين لوقت من قريش المخالفين له مع طلحة والزبير وان صدق في حق غيرهم والمراد انا سبب هدايتكم بانوار الدين وما انزل الله من الكتاب الحكمة هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حيث كنتم في ظلمات الجهل وذلك لهداية هي الدعوة الى الله وتعليم الخلق كيفية السلوك الى حضرة قدسه وقوله تسنمتم العلياء اي بنا ملكتم الهداية وشرف الاسلام علا قد ذكروا وشرف ذكركم ولما استعار وصف السنام للعليا ملاحظة لشبهها بالناقة رشح تلك الاستعارة بذكر التسنم وهي ركوب السنام وكنى به عن علوهم **قوله** وبنا انفجرتم عن السرار استعار لفظ السرار لما كانوا فيه من ليل الجهل في الجاهلية وخمول الذكر ولفظ الانفجار عن خروجهم من تلك الى نور الاسلام واشتهارهم في الناس وذلك لتشبيههم بالفجر الطالع من ظلمة السرار في الضياء والاشتهار وقوله وقر سمع لم يفقه الواعية التفات الى الدعاء بالوقر على سمع لا يفقه صاحبه بواسطته علما ولا يستفيد من السماع به مقاصد الكتب الالهية وكلام الانبياء والدعاة الى الله وحق لذلك السمع ان يكون اصم اذ كانت الفائدة منه المقصودة الحكمة الالهية اكتساب النفس من جهته ما يكون سببا لكمالها وفوزها على الوصول الى جناب الله وساحل عزته فاذا كانت النفس معرضة عما يحصل من جهته من الفائدة ورغما كانت سمع تلك متلقية منه ما يؤديها من الشرور الجاذبة لها الى الجنبة السافلة فحقيق بان يكون موقورا ومن دعى وقرا على ما لم يتم فاعله فالمراد وقره الله وهو كلام على سبيل التمثيل اورده في معرض التوبيخ لهم والتبكيت بالاعراض عن اوامر الله وطاعته وكنى بالواعية عن نفسه اذ صاح فيهم بالموعظة الحسنة والحث على الالفة وان لا يشقوا عصى الاسلام فلم يقبلوا وحسن نظام هذه الكلمة مع ما قبلها انه لما اشار اولا الى وجه شرفه عليهم وانه ممن اكتسبت به الشرف والفضيلة وكان ذلك في مقابلة نفارهم واستكبارهم عن طاعته اردف ذلك بهذه الكلمة المستلزمة للدعاء عليهم كيف لم يفهموا بيانه للوجوه الموجبة لاتباعه ويقبلوه بعد ان سمعوه وهذا كما يقول احد العلماء لبعض تلامذته المعاند له المدعى للجهل فضيلته انا الذي اهتديت بي من الجهل وعلا قدرك في الناس وانا سبب شهرتك افتكبر علي وقر سمعك لم لا تنقاد قولي وتقبله وقوله كيف يراعي النباة من اصمته الصيحة استعار لفظ النباة لدعائه لهم وندائه الى سبيل الحق والصيحة لخطاب الله ورسوله وهي استعارة على سبيل الكناية عن ضعف دعائه بالنسبة الى قوة دعاء الله ورسوله لهم وتقرير ذلك ان الصوت الخفي لما كان لا يسمع عند الصوت القوي اذ من شان الحواس ان لا يدرك الاضعف مع وجود الاقوى المماثل في الكيفية لاشتغالها بالاقوى وكان كلامه اضعف في جذب الخلق ووجوب قبولهم لذلك من كلام الله وكلام رسوله وكلامهما يجري الصوت القوي في حقهم وكلامه مجرى الصوت الخفي بالنسبة اليه واسناد الاصمام الى الصيحة من ترشيح الاستعارة وكنى به عن بلوغ تكرار كلام الله على اسماعهم الى حد انها محلة وملت سماعه بحيث لا تسمع بعد ما هو في معناه خصوصا ما هو اضعف كما لا يسمع الصوت الخفي من اصمته الصيحة وقد وردت هذه الكلمة مورد الاعتذار لنفسه في عدم فائدة وعظه لهم والاعتذار لهم في ذلك ايضا على سبيل التهكم والذم وحسن نظامها مع ما قبلها انه لما كان تقدير الكلمة الاولى وقرت اسماعكم كيف لا تقبلون قولي التفت عنه وقال كيف يسمع قولي من لم يسمع كلام الله ورسوله على كثرة تكراره على اسماعهم وقوة اعتقادهم وجوب قبوله وكيف يؤاخذون باسماعهم وقد اصمتهم نداء الله قوله ربط جنان لم يفارقه

في بيان خطبة خطبها بعد قتل طلحة والزبير

الخفقان دعاء للقلوب الخائفة الوجلة التي لا تزال تخفق من خشية الله والاشفاق من عذابه بالثبات والسكينة والاطمينان النفقه
وربط جنان نفسه ومن روى بضم الراء على ما لم يسم فاعله فالقصد برابط الله جنانا كذلك وهو جذب لهم الى درجة الخائفين وتنبيه
على ملاحظة نواهي الله مقيموا على طاعته وجعله تضادا له بما قبله ان ذكر التشريف وصاحب الفضيلة في معرض التوبيخ لمن يراد منه
ان يسلك مسلكه ويكون متصفا من اعظم الجواذب له الى التشبه به ومن احسن الاسناد راجات له فكانه قال وكيف يليق
الحق قولي من لا يلتفت الى كلام الله در الخائفين من الله المراعين لاوامره الزاجرين من وعيده ما ضركم لو تشبهتم بهم ورجعتم الى الحق
وشتم ثم هيام رجل واحد **قوله** ما زلت انتظر بكم عواقب الغدر واتوسمكم بحلية المغترين اشارة الى انه ع كان يعلم عاقبة
امرهم اما باطلاع الرسول ص على انهم بعد بيعتهم له يغدرون به او لانه كان يلوح له من حركاتهم واحوالهم بحسب فراسته الصائبة
منهم كما اشار اليه بقوله واتوسمكم بحلية المغترين وذلك لانه فهم انهم من اهل العزة وقبول الباطل عن ادنى شبهة بما لاح له من
صفاتهم الدالة على ذلك وكان علمه بذلك منهم مستلزما لعلمه بغدرهم بعهده ونقضهم لبيعته فكان ينتظر ذلك منهم **قوله**
سترني عنكم جلباب الدين وارد مورد الوعيد للقوم في قتالهم له وتخالفهم لامره والمعنى ان الدين حال بيني وبينكم وسترني
عن اعين بصائركم ان تعرفوني بما اقوى عليه من العنف بكم والغلظة عليكم وسائر وجوه تقويمكم وردعكم عن الباطل وراء
ما تقتضي عليه الدين من الرفق والشفقة وشهب بذل العفو عن الجرائم فكان الدين غطاء حال بينهم وبين معرفته فاستعار
له لفظ الجلباب وروى ستركم عني اي عصم الاسلام مني دماءكم واتباع مدبركم وان اجهز على جريحكم وغير ذلك مما يفعل
من الاحكام في حق الكفار وقوله وبصرنيكم صدق النية اراد بصدق النية اخلاصه لله تعالى وصفاء مرآة نفسه وانه بحسب
ذلك فيض على بصر بصيرته نور معرفة احوالهم وما تؤول اليه عاقبة امرهم كما قال النبي ص المؤمن ينظر بنور الله وقوله اقمت لكم
على سنن الحق في جواد المضلة تنبيه لهم على وجوب اقتفاء اثره والرجوع الى لزوم اشعة انواره في سلوك سبيل الله
واعلام لهم انه وقفهم على سواء السبيل الحق وفي الطريق التي هي مزال الاقدام لبرزهم عنها ولتبيين ذلك في المثل المشهور عن
رسول الله ص روي انه قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سور فيه ابواب مفتحة وعلى تلك الابواب ستور
مرخاة وعلى رأس الصراط داع يقول ادخلوا الصراط ولا تعرجوا قال فالصراط هو الاسلام والستور حدود الله والابواب
المفتحة محارم الله وذلك الداعي هو القرآن فنقول لما كان علي ع هو الواقف على اسرار الكتاب المطلع على جوامع علمه وحكمته والمطلع على
اصول الدين وفروعه كان هو الناطق بالكتاب والداعي به الواقف على رأس سبيل الله والمقيم عليها ولما كان سبيل الله و
صراطه المستقيم في غاية الوضوح والبيان له وكان مشتبها ما لها من الحدود والمقدمات مستحيلا المزال الاقدام فيها وما
يشتبه عليها من الشكوك والشبهات كان بحسب قوته المدبرة لهذا العالم بعد رسول الله ص هو الواقف على تلك الابواب
المفتحة التي هي موارد الهلاك وابواب جهنم وجواد المضلة والساتر لها بحدود الله وبيان نواهيه والمذكر بعظيم وعيده
والقائد لاذهان السالكين للصراط عنها وذلك حيث يلتفت اذهانهم في ظلماء الجهل فلا يتصور لبلادتها سواها
ويطلبون ماء الحيوة بالبحث والفحص من اودية القلوب فلا يجدون بها ماء الامعه واستعار لفظ الاحتفار للبحث من
مظان العلم ولفظ الماء للعلم كما سبق بيان وجه المشابهة **قوله** اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان كنى بالعجماء ذات
البيان على الحال التي يشاهدونها من العبر الواضحة والمثلات التي حلت بقوم فسقوا عن امر ربهم وعن ما هو واضح من
كمال فضله ع بالنسبة اليهم وما ينبغي لهم ان يعتبروا من حال الدين ومقتضى اوامر الله التي تحثهم على اتباعها فان كل هذه الاحوال امور
لا نطق لها مقالي فشبهها لذلك بالعجماء من الحيوان واستعار لها لفظها ووصفها بكونها ذات البيان لان لسان الحال المخبر بمثل
مقاله ع ناطق بوجوب اتباعه شاهد لهم ودليل على ما ينبغي ان يفعلوه في كل باب وذلك هو البيان فكانه ع انطق العجماء اذ عبر
هو بلسان مقاله عنها ما كانت تقتضيه وتشاهده من نظر اليها بعين بصيرته وهو كقولهم سل الارض من شق انهارك واخرج
ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وكقولهم قال الحائط للوتد لم تشقني قال سل من يدقني وقال بعضهم العجماء صفة
لمحذوف تقديره الكلمات العجماء واراد بها ما ذكره في هذه الخطبة من الرموز وشبهها بالحيوان اذ لا نطق لها في الحقيقة ومع ذلك
يستفيد الناظر فيها اعظم الفوائد فهي ذات بيان عند اعتبارها **قوله** عزب رأي امرئ تخلف عني اشارة الى ذم من تخلف
عنه وحكم عليه بالسفه وعدم اصابة الرأي حال تخلفه عنه وذلك ان المتخلف لما فكر في اي الامور انفع له ان يكون من تابعيه
او المخالفين عنه ثم رأى ان التخلف عنه اوفق له كان ذلك سوء الاراء واقبحها فهو في الحقيقة كمن اقدم على ذلك بغير رأي
بحضرة اولان الرأي الحق كان عازبا عنه وهو ذم في معرض التوبيخ للقوم على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جاره **قوله**
ما شككت في الحق مذ اريته بيان لبعض اسباب وجوب اتباعه وعدم التخلف عنه واعلم ان التمدح بعد التشكك عما اراد الله

من الحق وافاضه على نفسه القدسية من الكمال مستلزم للاخبار بكمال قوته على استثبات الحق الذي رآه وشدة جلائه له بحيث
لا يعرض له شبهة فيه والامامية تستدل بذلك على وجوب عصمته وطهارته عن الارجاس التي منشاؤها ضعف اليقين **قوله**
لم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال اشفق افعل التفضيل منصوب على الصفة لخيفة لان
الاشفاق خوف والتقدير ولم يوجس موسى شيئا على نفسه اشد من غلبة الجهال وفي المقصد التنبيه على ان الخوف الذي يخافه
عليه السلام منهم ليس على مجرد نفسه بل اشد خوفه من غلبة اهل الجهل على الدين وفتنة الخلق بهم وقيام دول الضلال فتعمى طرق
الهدى وتنسد مسالك الحق كما خاف موسى من غلبة جهال السحرة حيث القوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
وقيل ان اشفق فعل ماض والمعنى ان خوف موسى من السحرة لم يكن على نفسه وانما خاف من غلبة الجهال فكانه قال لكن اشفق و
دول الضلال كدولة فرعون واتباعه الضالين عن سبيل الله وقوله اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل المواقفة مفاعلة من
الطرفين والخطاب لمقابليه في القتال والمراد اني واقف على سبيل الحق وانتم واقفون على سبيل الباطل داعون اليه وهو تنفير
لهم عما هم عليه الى ما هو عليه **قوله** من وثق بماء لم يظما مثل نبه به على وجوب الثقة بما عنده اي انكم ان سكنتم الى قولي ووثقتم
به كنتم اقرب الى اليقين والهدى وابعد عن الضلال والردى كما ان الواثق بالماء في اداوته امن من العطش وخوف الهلاك وبعيد
عنهما بخلاف من لم يثق بذلك وكنى بالماء عما اشتمل عليه صدره من العلم بكيفية الهداية الى الله فانه الماء الذي لا ظماء معه **ومن كلام**

وانما اشفق

له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وخاطبه العباس وابو سفيان في ان يبايعا له بالخلافة

ايها الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة افلح من نهض بجناح او استسلم
فاراح ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه فان اقل يقولوا حرص على
الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل
بثدي امه بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة **اقول** سبب
هذا الكلام ما روي انه لما تم في سقيفة بني ساعدة لابي بكر امر البيعة اراد ابو سفيان بن حرب ان يوقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم
بعضا فيكون ذلك دمارا للدين فمضى الى العباس فقال له يا ابا الفضل ان هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الامر من بني هاشم
وجعلوه في بني تيم وانه ليحكم فينا غدا هذا الفظ الغليظ من بني عدي فقم بنا حتى ندخل على علي ونبايعه بالخلافة وانت
عم رسول الله وانا رجل مقبول القول في قريش فان دافعونا عن ذلك قاتلناهم وقتلناهم فاتيا امير المؤمنين ع فقال له ابو سفيان
يا ابا الحسن لا تغافل عن هذا الامر فمتى كنا تبعا لتيم الارذال وكان ع يعلم من حاله انه لا يقول ذلك غضبا للدين بل للفساد
الذي يريده في نفسه فاجابه بهذا الكلام وعرجوا اي ميلوا وانحرفوا والفلاح الفوز والنجاة والآجن المتغير الماء وفساده وغص باللقمة
يغص بفتح الغين اذا وقفت في حلقه فلم يسغها وايناع الثمرة ادراكها واندمجت على كذا انطويت عليه وستر في باطني والباح
بالشيء اظهره والطوي البئر والارشية حبالها **قوله** شقوا امواج الفتن بسفن النجاة شبه الفتنة بالبحر المتلاطم فلذلك استعار
له لفظ الامواج وكنى بها عن حركة الفتنة وقيامها ووجه المشابهة ظاهر لاشتراك البحر والفتنة عند هيجانهما في كونهما سببا
لهلاك الخائضين ثم استعار بسفن النجاة لكل ما يكون وسيلة الى الخلاص من الفتنة وقيامها ووجه المشابهة ظاهر لاشتراك
البحر والفتنة عند هيجانهما في كونهما سببا لهلاك الخائضين فيهما واستعار بسفن النجاة لكل ما يكون وسيلة الى الخلاص
من الفتنة من مهادنة او حيلة مخلصة او صبر ووجه المشابهة كون كل منهما وسيلة الى السلامة اذا خاف الطرف المذكورة طرف
الى السلامة من ثوران الفتنة والهلاك فيها كما ان السفينة سبب للخلاص من امواج البحر وقوله وعرجوا عن طريق المنافرة امرهم
بالعدول عن طريق المنافرة الى السكون والسلامة وما يوجب سكون الفتنة وكذلك قوله وضعوا تيجان المفاخرة امر بطريق
آخر من طرق النجاة وهي ترك المفاخرة فان المفاخرة مما يهيج الاضغان ويثير الاحقاد ويوجب قيام الفتنة ولما كان اكثر ما
يتباهى اليه ارباب الدنيا من المفاخرة هو لبس التيجان وكانت الاصول الشريفة والانساب الكريمة والقنيات الحسنة هي اسباب
الافتخار الدنيوي ومنشاؤه كانت المشابهة بينها وبين التيجان حاصلة فاستعار لفظها لها وامرهم بوضعها **قوله** افلح
من نهض بجناح او استسلم فاراح لما نهى ع عن الفتنة وبين ان المفاخرة والمنافرة ليستا طريقين محمودين اردف ذلك
بالاشارة الى تركيب ينبغي ان يكون حال المتصدي لهذا الامر كيف يكون طريق فوزه بمقاصده او النجاة له فحكم بالفوز
لمن نهض بجناح واستعار لفظ الجناح للاعوان والانصار ووجه المشابهة ان الجناح لما كان محل القدرة على الطيران
والتصرف وكانت الاعوان والانصار بهم القوة على النهوض الى الحرب والطيران في ميدانها الاجر حصلت المشابهة فاستعير

لهم لفظ الجناح وحكم بالنجاة للمستسلم عند عدم الجناح وكلاهما يشملهما اسم الفلاح وفي هذا الكلام تنبيه على قلة ناصره في هذا
الامر فقدير الكلام انه ليس الطريق ما ذكرتم بل الصواب فيما يفعله ذو الرأي في هذا الامر انه اما ان يكون ذا جناح فينهض به فيفوز
بمطلوبه او لا يكون فيستسلم وينقاد فينجو ويريح نفسه من تعب الطالب **قوله** ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها تنبيه على ان
المطالب الدنيوية وان عظمت فهي مشوبة بالكدر والتغير لا تنفك واشار الى امر الخلافة في ذلك الوقت وتشبيهها بالماء واللقمة
اذ عليهما مدار الحيوة الدنيا وامر الخلافة اعظم اسباب الدنيا فشبهها بها فاستعار لفظهما لما يطلب منها وكنى بهما عنه ولما كان اجون
الماء والغصص باللقمة مما ينغصهما ويوجب نفار النفس عن قبولهما وكانت الدنيا مستلزمة في امر الخلافة والتجاذب والمنافرة بين المسلمين
فيها وكونها في معرض الزوال مما يوجب التنفير عنها وتنغيصها وعدم الالتذاذ بها كنى بالاجون والغصص باللقمة على تلك
الامور وكنى بهما عنها ليسكن بذلك فورة من استنهضه في هذا الامر من بني هاشم فكانه قال انها لقمة منغصة وجرعة لا يسيغها
شاربها **قوله** ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه تنبيه على ان ذلك الوقت ليس وقت الطلب لهذا الامر
اما لعدم الناصر او لغير ذلك وكنى بجني الثمرة عن طلبها فاستلزم ذلك تشبيهها بالثمرة ايضا لاشتراكهما في كونهما محلا للالتذاذ او
نحوه ثم شبه مجتني الثمرة لغير وقتها بالزارع بغير ارضه ووجه الشبه عدم الانتفاع في الموضعين اذ كان الزارع بغير ارضه في محل ان يمنع
من ذلك التصرف فيبطل سعيه ولا ينتفع بزرعه فكذلك مجتني الثمرة لغير وقتها لا ينتفع بها فكذلك طالب الخلافة في ذلك الوقت
قوله فان اقل يقولوا حرص على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت شكاية من الالسنة والاوهام الفاسدة في حقه ورد
في معرض الكلام واشارة الى انه سواء طلب الامر او سكت عنه فلا بد من ان يقال في حقه وينسب الى امر ففي القيام والطلب ينسب الى الحرص
والاهتمام بامر الدنيا وفي السكوت ينسب الى الذلة والعجز وخوف الموت والاوهام الخلق والسنتهم لا تزال مولعة بامثال ذلك بعضهم
في حق بعض في المنافسات **قوله** هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه رد مورد التكذيب
للاوهام الحاكمة في سكوته بجزعه اي بعد ما يقولون واللتيا والتي كنايتان عن الشدائد والمصائب العظيمة والحقيرة واصل المثل
ان رجلا تزوج امرأة قصيرة صغيرة الخلق فقاسى منها شدائد فطلقها وتزوج طويلة فقاسى منها اضعاف ما قاسى من الصغيرة فطلقها
وقال بعد اللتيا والتي لا اتزوج ابدا فصار ذلك مثلا للداهية الكبيرة والصغيرة ونقل مراده بعد ملاقاة كبار الشدائد
وصغارها انسب الى الجزع من الموت بعد ما يقولون ثم اكد تكذيبهم في دعوى جزعه من الموت بالقسم البار ان انسه بالموت من
الطفل بثدي امه وبين لك قريبا من حاله عم اذ كان سيد العارفين بعد رسول الله ص ورئيس الاولياء وقد عرفت ان محبة الموت
والانس به متمكن من نفوس اولياء الله لكونه وسيلة لهم الى لقاء اعظم محبوب والوصول الى اكمل مطلوب وانما كان انس به من الطفل
بثدي امه لان محبة الطفل للثدي وانسه به وميله اليه طبيعي حيواني في معرض الزوال وميله الى لقاء ربه والوسيلة اليه ميل عقلي
باق فاين احدهما من الآخر قوله بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة اشارة الى
سبب جملي لتوقفه عن الطلب والقيام غير ما نسبوه اليه من الجزع والخوف من الموت وهو العلم الذي انطوى عليه فان علمه بعواقب الامور وادبارها
ونظاعه الى نتائج الحركات بعين بصيرته التي هي كمرآة صافية حوذي بها صور الاشياء في المرآة الغالبة فارتسمت فيها كما هي مما يوجب توقفه
عما يعلم ان فيه فسادا وتسرعه الى ما يعلم فيه مصلحة بخلاف الجاهل الذي يقدم على عظائم الامور ويقطع الرأي لا عن بصيرة فاشار الى ذلك ثم نبه
على عظيم قدر العلم الذي اندمج عليه بقوله لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة والجملة الشرطية في موضع الجر صفة
للعلم واشار باضطرابهم على ذلك التقدير الى تشتت آرائهم عند ان يكشف لهم ما يكون من امر الخلافة والى من ينتهي والى ما يؤول اليه حال
الناس اذ كان ذلك مما وقفه عليه الرسول ص واعده لفهمه فان كثيرا منهم في ذلك الوقت كانوا نافرا عن عمر ولخوف عن عثمن فضلا عن
معوية ومنهم من كان يؤهل نفسه للخلافة في ذلك الوقت ويطلبها لنفسه وبعد عقدها لابي بكر كان يرجوان يؤول اليه بعده واذا
كان الامر كذلك فظاهر انه لو باح لهم بما علمه من عاقبة هذا الامر لم يكن لهم ذلك النظام الحاصل في ذلك الوقت لياس بعضهم من وصول هذا
الامر اليه وخوف بعضهم من غلظة عمر ونفرتهم منه ونفار آخرين من بني امية وما يكون منهم وشبه اضطراب آرائهم على ذلك التقدير
باضطراب الارشية في الطوي البعيدة مبالغة وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس وذلك ان الطوي كلما كانت اعمق كان اضطراب الحبل
فيها اشد لطوله فكذلك حالهم ح اي يكون لكم اضطراب قوي واختلاف شديد وقيل اراد ان الذي يمنعني من المنافسة في هذا الامر
والقتال عليه شغلي بما انطويت عليه من العلم باحوال الآخرة وما شاهدته من نعيمها وبؤسها مما لو كشفته لاضطربتم اضطراب الارشية
في الطوي البعيدة خوفا من الله ووجلا من عقابه وشوقا الى ثوابه ولذهلتم عما انتم فيه من المنافسة في امر الدنيا وهذا الوجه محتمل الارادة
من هذا الكلام ولعل في تمام هذا الكلام لو وجد ما يوضح المقصود منه ولم اقف عليه **ومن كلام له عليه السلام**
لما اشير عليه بان لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال والله لا اكون كالضبع تنام

على طول اللدم حتى يصل اليها طالبها ويختلها راصدها ولكني اضرب بالمقبل الى الحق وجه المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي المريب
ابدا حتى ياتي علي يومي فوالله ما زلت مدفوعا عن حقي مستاثرا علي منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا
اقول روى ابو عبيدة قال اقبل امير المؤمنين عليه السلام من الطواف وقد عزم على اتباع طلحة والزبير وقتالهما فاشار اليه ابنه ابو الحسن
ان لا يتبعهما ولا يرصد لهما القتال فقال في جوابه هذا الكلام وروي في سبب نقضهما البيعة انهما دخلا عليه بعد ان بايعاه
بايام وقالا قد علمت جفوة عثمان لنا وميله الى بني امية مدة خلافته وطلبا منه ان يوليهما المصرين الكوفة والبصرة فقال لهما
حتى انظر ثم استشار عبد الله بن عباس فنهاه عن ذلك فعاوداه فمنعهما فسخطا وفعلا ما فعلا الاصمعي اللدم يكون لذا ضرب
الحجر او غيره على الارض وليس بالقوي ويحكى ان الضبع تستغفل في جحرها بمثل ذلك فتسكن حتى تصاد ويحكى في كيفية صيدها
انهم يضعون في جحرها حجرا ويضربون بايديهم بابه فتحسب الحجر شيئا تصيده فتخرج فتصاد ويقال انها من احمق الحيوان ويبلغ
من حمقها ان يدخل عليها ام عامر او يقال خامري ام عامر فتسكن حتى توثق رجلها بحبل معد لصيدها والختل الخداع والغدر
والاستئثار بالشيء الانفراد به واشار اولا الى ذم ما اشير عليه من تاخر القتال ومفهوم التشبيه انه لو تاخر لكان ذلك سببا
لتمكن الخصم مما قصده فيكون هو في ذلك شبيها بالضبع التي تنام وتسكن على طول حيلة راصدها فاقسم انه لا يكون كذلك
اي لا يسكن على كثرة التظلم والبغي وطول دفاعه عن حقه ثم اردف ذلك بما هو الصواب عنده وهو المقاومة والقتال بمن اطاع
لمن عصى فقال لكني اضرب بالمقبل الى الحق وجه المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي المريب بدا وراعى المقابلة ههنا فالعاصي
في مقابلة المطيع والمريب في مقابلة السامع لان المرتاب في الحق مقابل للقابل له ثم قيد بغاية عمره لانه الابد الممكن له وذلك
قوله حتى ياتي علي يومي واشار بيومه الى وقت ضرورة الموت كناية ثم اردف ذلك بالتظلم والشكاية في دفاعه عن هذا الامر
لاستشارته عليه بالخروج الى هذه المقاومات والشكايات واشار الى مبدا ذلك الدفاع ومنتهاه واكد ذلك بالقسم البار واشار
بالحق المدفوع عنه الى امر الخلافة وهي شكاية مؤكدة للشكايات السابقة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكا واتخذهم له اشراكا فباض وفرخ في صدورهم ودب ودرج في حجورهم فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم
فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه **اقول** ملاك الامر ما يقوم به
ومنه القلب ملاك الجسد والاشراك يجوز ان يكون جمع شريك كشريف واشراف ويجوز ان يكون جمع شرك وهو حبائل الصيد
كحبل واحبال والدبيب المشي الضعيف والدرج اقوى منه والخطل الفاسد من القول وشركه بفتح الشين وكسر الراء شاركه
وهذا الفصل من باب المنافرة وهو ذم للمنابذين له والمخالفين عليه فاشار اولا الى انقياد نفوسهم لشياطينهم
الى حد جعلوها مدبرة لامورهم فيها قوام احوالهم وعزلوا عقولهم عن تلك المرتبة فهم اولياؤهم كما قال تعالى انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون ثم اردف ذلك بالاشارة الى بعض لوازم تمليك الشيطان لامورهم بقوله واتخذهم له اشراكا وذلك
انه اذا ملك امورهم وكان فيها متمكنا بتدبيره صرفهم كيف شاء واستعمال الاشراك ههنا على تقدير كونها جمع شرك استعارة
حسنة فانه لما كانت فائدة الشرك اصطياد ما يراد صيده وكان هؤلاء القوم بحسب تملك الشيطان لارائهم وتصرفه فيهم
على حسب حكمه اسبابا بالدعوة الخلق الى مخالفة الحق ومنابذة امام الوقت وخليفة الله في ارضه اشبهوا الاشراك لاصطيادهم
الخلق بالسنتهم واموالهم وجذبهم الى الباطل بالاسباب الباطلة التي القاها اليهم الشيطان ونطق بها على السنتهم فاستعار
لهم لفظ الاشراك واما على التقدير الثاني فظاهر ثم اردف ذلك ببيان ملازمته لهم فشبهه بالطائر الذي عششه في قلوبهم و
صدورهم واستعار لفظ البيض والافراخ ووجه المشابهة ان الطائر لما كان يلازم عشه فيبيض ويفرخ فيه اشبهه الشيطان
في اقامته في صدورهم وملازمته لهم وكذلك قوله ودب ودرج في حجورهم استعارة كنى بها ايضا عن تربيتهم للباطل وملازمة
ابليس على مفارقتهم ونشوءه معهم كما يتربى الولد في حجر والديه وراعى في هذه القرائن الاربع السجع ففي الاوليين السجع
مطرفا وفي الاخيرتين المسجع متوازيا قوله فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم اشارة الى وجوه تصرفه في اجزاء ابدانهم بعد القائهم
مقاليد امورهم اليه وعزل عقولهم عن التصرف فيها بدون مشاركته ومتابعته وقوله فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل اشارة
الى ثمرة متابعته وهي اصابته مقاصده منهم من الخروج عن اوامر الله في الافعال وهو المراد بارتكابهم الزلل وفي الاقوال
وهو المشار اليه بتزيينه لهم الخطل قوله فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه اشارة الى ان
الحالات الافعال والاقوال الصادرة عنهم على خلاف اوامر الله انما تصدر عن مشاركة الشيطان ومتابعته والضمير في سلطانه
يعود الى من قد شاركه الشيطان في سلطانه الذي جعله الله له على الاعمال والاقوال وانتصاب فعل على المصدر
اما عن فعل محذوف تقديره فعلوا ذلك فعل او قوله اتخذوا لانه في معنى فعلوا فهو مصدر له من غير لفظه وراعى في

فقال هذه
البيشم

هاتين

فيها بين الفريقين انه الشجيع المطرق والله اعلم بالصواب **ومن كلام له عليه السلم** يعني به الزبير في حال اقتضت
ذلك يزعم انه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة فليأت عليها بامر يعرف والا فليدخل فيما
خرج منه **اقول** الوليجة الدخيلة في الامر وهذا الفصل صورة مناظرة له مع الزبير وهو مشتمل على تقدير حجة
سابقة له عليه وصورة نقض لتلك الحجة من الزبير وصورة جواب له عم عن ذلك ثم الحجة فكانه عم لما نكث الزبير بيعته وخرج
لقتاله احتج عليه بلزوم البيعة له اولا فكان جواب الزبير ما حكاه عنه بقوله انه بايع بيده ولم يبايع بقلبه اشارة الى التورية و
التعريض في العهود والايمان ونحوهما وهما من الزبير ان ذلك مما تقبله الشريعة فاجاب عم بقياس حذف كبراه كما علمت من بيان
الضمير وهو ما اشار اليه بقوله فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة اي اقر بما هو مقبول ومحكوم بلزومه له شرعا وادعى انه اخرج في
باطنه ما يفسده من الوليجة فهذه صغرى القياس وتقدير الكبرى وكل من فعل ذلك محتاج في بيان دعواه الى بينة تعرف
صحتها فينتج انه محتاج الى بينة ثم اشار الى هذه النتيجة بقوله فليأت عليها بامر يعرف اي على دعواه الوليجة وهيهات له ذلك
اذ التورية امر باطن لا يمكن الاحتجاج به ولا اقامة البرهان عليه ثم اشار بقوله والا فليدخل فيما خرج منه امره بالدخول في طاعته
وحكم ببيعته التي خرج منها على تقدير عدم قدرته على برهان دعواه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم**
وقد ارعدوا وابرقوا ومع هذين الامرين الفشل ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر الفشل الجبن والضعف والاشارة
الى طلحة والزبير واتباعهما والكلام في معرض الذم واستعار لفظ الارعاد والابراق لوعيدهم وتهديدهم بالحرب يقال ارعد
الرجل وابرق اذا تهدد وتوعد قال الكميت ارعد وابرق يا يزيد فما وعيدك لي بضائر ووجه الاستعارة كون الوعيد من
الامور المزعجة كما ان الرعد والبرق كذلك **اقول** ومع هذين الامرين الفشل اشارة الى وجه الرذيلة وذلك ان التهديد والتوعد
قبل ايقاع الحرب والضوضاء والجلبة امارة للجبن والعجز والصمت والسكون امارة الشجاعة كما اشار اليه عم في تعليم كيفية الحرب
مخاطبا لاصحابه واميتوا الاصوات فانه اطرد للفشل وروي ان ابا طاهر الجنابي سمع جلبة عسكر المقتدر وهو في الف وخمسمائة فارس
والمقتدر في عشرين الفا فقال لبعض اصحابه ما هذا الزجل قال فشل قال اجل وكانت الغلبة له فاستدل عم بتلك الامارة على الفشل
قوله فلسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر اشارة الى نفي تلك الرذيلة عن نفسه واصحابه واثبات الفضيلة لهم وكما ان تخييله
السحاب ان تقترن وقوع المطر منه برعده وبرقه واسالة الماء بامطاره كذلك اقواله مقترنة بافعاله لا خلف فيها ولسنا نرعد ابرمز ومنه
بامطاره ومفهوم ذلك ان خصمه يهدده بالحرب من غير قوة نفس ولا ايقاع لها فاشبه ذلك الرعد من غير ايقاع للمطر والسيل
من غير مطر فكما انه لا يجوز سيل بلا مطر فكذلك ما يوعد به ويهدد دون بر من ايقاع الحرب بلا شجاعة ولا قوة عليها وفي
ذلك تتميم التحدي **ومن خطبة له عليه السلم** الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله وان معي
لبصيرتي ما لبست على نفسي ولا لبس علي وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه ولا يعودون اليه **اقول** هذا
الفصل ملتقط ملفق من خطبة له لما بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وهو غير منتظم وقد اورد السيد منها فصلا اخر وسنذكرها
بتمامها اذا انتهينا اليه ان شاء الله تعم الاستجلاب في معنى الجمع والبصيرة العقل وافرطت الحوض بضم الراء ملأته والماتح
بالتاء المستقي وربما يلتبس بالمايح وهو الذي ينزل البئر فيملأ الدلو والفرق بينهما ان نقطتي فوق للفوقاني والصدر
الرجوع عن الماء بعد ريه ويقابله الورود وهو العود اليه ومدار هذا الفصل على ثلثة امور اولها الذم لاصحاب الجمل والتنفير عنهم
والثاني التنبيه على فضيلة نفسه والثالث الوعيد لهم واشار الى الاول بقوله الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله و
رجله واراد ان اتباعهم والجامع على مخالفة الحق انما هو الشيطان بوسوسته لهم وتزيينه الباطل في قلوبهم وقد عرفت كيفية
وسوسته واضلاله فكل من خالف الحق ونابذه فهو من حزب الشيطان وجنده خيلا ورجلا واما الثاني فاشار اولا الى كمال عقله وتمام
استعداده لاستجلاء الحق واستيضاحه بقوله وان معي لبصيرتي ثم اكد ذلك بالاشارة الى عدم انخداع نفسه القدسية للشيطان فيما يلبس
به من الحق من الشبه الباطلة على البصائر الضعيفة فيعميها بذلك عن ادراكه وتمييزه من الباطل سواء كانت مخادعة الشيطان وتلبيسه بغير
واسطة وهو المشار اليه بقوله وما لبست على نفسي اي لا يلتبس على نفسي المطمئنة ما يلقيه اليها نفسي الامارة او بواسطة وهو المشار اليها
بقوله ولا لبس علي اي ان احدا ممن تبع ابليس وتلقف عنه الشبه وصار في قوته ان يلبس الحق صورة الباطل لا يمكنه ان يلبس على
واما الثالث فاشار اليه بقوله وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه الى اخره واستعار افراط الحوض لجمع الجند وتهيئة اسباب
الحرب وكنى بقوله انا ماتحه انه هو المتولي لذلك ولما كانت الحرب قد تشبه بالبحر وبالماء الجم فيستعار لها اوصافه فيقال فلان
خواض غمرات وفلان منغمس في الحرب وترشيح تلك الاستعارة بالمتح والفرط والاصدار والايراد وفي تخصيص نفسه بالمتح تاكيد لتهديدهم
لعلمهم ببأسه وشجاعته وقد حذف المضاف اليه وتقديره انه ماتح ماؤه اذ الحوض لا يوصف بالمتح ثم اردف ذلك بوصف استعاره
ماتح في الحقيقة

لهم بالشدة والصعوبة عليهم فكنى بقوله لا يصدرون عنه عن ان الوارد منهم اليه لا ينجو منه فهو بمنزلة من يغرق فيه فلا يصدر
عنه وبقوله ولا يعودون اليه اى ان من نجا منهم لا يطمع فى الحرب مرة اخرى فلا يردون الى ما اعدلهم مرة ثانية واكد ذلك الوعيد
بالقسم البار واصله ايمن جمع يمين حذفت النون تخفيفا كما حذفت فى لم يك وقيل هو اسم برأسه وضع للقسم وتحقيقه فى مسائل النحو

ومن كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما اعطاه الراية يوم الجمل تزول الجبال ولا تزل عض على ناجذك اعر الله جمجمتك
تد فى الارض قدمك ارم ببصرك اقصى القوم وغض بصرك واعلم ان النصر من عند الله سبحانه **اقول** الناجذ السن بين الناب
والضرس وقال الجوهرى هو اقصى الاضراس وقيل الاضراس كلها نواجذ واعلم انه عليه السلام اشار فى هذا الفصل الى انواع
اداب الحرب وكيفية القتال فنهاه اولا عن الزوال واكد عليه ذلك بقوله تزول الجبال ولا تزل والكلام فى صورة شرطية متصلة
محرفة تقديرها لو ان الجبال لا تزل وهو نهى عن الزوال مطلقا لان النهى عنه على تقدير زوال الجبال مستلزم للنهى عنه
على تقدير اخر بطريق الاولى وانما القصد به المبالغة فى النهى ثم اردف ذلك بخمسة اوامر احدها ان يعض على ناجذه وذلك لاستلزامه
امرين احدهما ربط الجاش عن التسلل والخوف والانسان يشاهد ذلك فى حال البرد والخوف الموجبين للرعدة فانه اذا عض على اضراسه
سكن رعدته وبه [illegible]لك بهذا الثانى ان الضرب مع ذلك فى الراس لا يؤثر كثير ضرر كما قال عليه السلام فى مواضع اخر وعضوا
للنواجذ فانه انبا للسيوف عن الهام وكان ذلك لما فيه من جمع القوة والتصلب الثانى ان يعير الله جمجمته وهى استعارة لطيفة وتشبيه
لجمجمته بالالة التى تستعار للانتفاع بها ثم ترد فانتفاع دين الله وجهاد محمد رضى الله عنه على هذا الوجه تشبيه للانتفاع بالعارية قال
بعض الشارحين وفى ذلك تنبيه لمحمد رضى الله عنه على انه لا يقتل فى تلك الحرب اذ ما اعير الله لابد من رده بكمال السلامة وفيه تثبيت
لجاشه وربط لقلبه **الثالث** ان يلزم قدمه الارض ويجعلها كالوتد وذلك لاستلزام امرين احدهما ربط الجاش واستصحاب العزم على
الثانى ان ذلك مظنة الشجاعة وانما الصبر على المكاره فيكون من موجبات انفعال العدو وانقهاره **الرابع** ان يرمى ببصره اقصى القوم وذلك
ليعلم على ماذا يقدم ولينظر مخايل الخاتل ومقامل المقاتل **الخامس** ان يغض بصره بعد مده وذلك لكونه علامة السكينة والثبات وعدم
الطيش ولان مد النظر الى بريق السيوف مظنة الرهبة وربما اخيف على البصر ايضا والنظر المحدود فى الحرب ان يلحظ شزرا فعل المحنق المترصد
للفرصة كما قال فى غير هذا الموضع والحظوا الشزر ثم لما اتم هذه الاوامر الخمسة امره ان يعلم ان النصر من عند الله كما قال وما النصر
الا من عند الله العزيز الحكيم ليتاكد ثباته بثقته بالله عند ملاحظة قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم

ومن كلام له عليه السلام لما اظفره الله باصحاب الجمل وقد قال له بعض اصحابه وددت ان اخى فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به
على اعدائك فقال عليه السلام اهوى اخيك معنا فقال نعم فقال فقد شهدنا ولقد شهدنا فى عسكرنا هذا قوم فى اصلاب الرجال
وارحام النساء سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الايمان **اقول** اهوى اخيك معنا اى محبته وميله **قوله** فقد شهدنا حكم بالحضور
بالقوة او بحضور نفسه وهمته على تقدير محبته للحضور وكم انسان يحضر بحضور همته وان لم يحضر ببدنه كثير نفع اما باستجلاب
الرجال او ببركة لهم فى تفريق اعداء الله كما تفعله اولياء الله بحيث لا يحصل مثل ذلك النفع من ابدان كثيرة حاضرة
وان قويت وعظمت **قوله** ولقد شهدنا فى عسكرنا هذا قوم فى اصلاب الرجال وارحام النساء تاكيد للحضور التام
بالاشارة الى من سيوجد من انصار الحق الذابين عنه وعباد الله الصالحين شاهدون معه عليه السلام ايضا والشهادة
شهادة بالقوة اى انهم موجودون فى اكمام المواد بالقوة ومن كان فى قوة ان يحضر من انصار الله فهو بمنزلة الحاضر الموجود
بالفعل فى نصرته اذا وجد **قوله** سيرعف بهم الزمان لفظ الرعاف وهو الدم الخارج من انف الانسان لوجودهم وفيه
تشبيه للزمان بالانسان وانما نسب وجودهم الى الزمان لانه من الاسباب المعدة لقوابل وجودهم ونحوه قول الشاعر وما
رعف الزمان بمثل عمرو ولا تلد النساء له ضريبا **قوله** ويقوى بهم الايمان ظاهر وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام فى ذم البصرة واهلها كنتم جند المراة واتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم اخلاقكم دقاق ودينكم نفاق
وماؤكم زعاق المقيم بين اظهركم مرتهن بذنبه والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه كانى بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد
بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من فى ضمنها وفى رواية اخرى وايم الله لتغرقن بلدتكم هذه حتى كانى انظر الى
مسجدها كجؤجؤ سفينة كعبة من خطبة خطبها عليه السلام بالبصرة او نعامة جاثمة وفى رواية اخرى كجؤجؤ طير فى لجة بحر **اقول**
هذا الفصل مع فصول بعده من خطبة خطبها عليه السلام بالبصرة بعد ما فتحها وكان لما فرغ من اهل الحرب بالجمل امر مناديا ينادى فى اهل البصرة ان الصلاة الجامعة
لثلاثة ايام من غد ان شاء الله ولا عذر لمن تخلف الا من حجة او علة فلا تجعلوا على انفسكم سبيلا فلما كان فى اليوم الذى اجتمعوا فيه خرج فصلى فى الناس الغداة فى المسجد
الجامع فلما قضى صلوته قام فاسند ظهره الى حائط القبلة عن يمين المصلى فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلى على النبى ص واستغفر للمؤمنين و
المؤمنات والمسلمين والمسلمات ثم قال يا اهل البصرة يا اهل المؤتفكة ائتفكت باهلها ثلثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المراة واعوان البهيمة

رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم
اخلاقكم دقاق وماؤكم
زعاق بلادكم انتن بلاد الله تربة

كلامه

في بيان خطبة خطبها بالبصرة بعد فتحها

من السماء بها تسعة اعشار الشر المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله كأني انظر الى قريتكم هذه وقد طبقها الماء حتى ما يرى منها الا شرف
المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر فقام اليه الاحنف بن قيس فقال يا امير المؤمنين ومتى ذلك فقال اذا صارت اجمتكم قصورا واعلم ان
بعد هذا الفصل من الخطبة فصولا لا تعلق لها بهذا الموضع وربما تعلقت بفصول اوردها السيد بعد هذا الفصل سنذكرها
معها ان شاء الله اصل البصرة الحجارة البيض الرخوة وصارت علما للبلدة لوجدان تلك الحجارة بها فقيل انها بالمربد كثيرة وائتفكت البلدة
باهلها انقلبت بهم والمؤتفكة من الاسماء القديمة للبصرة كما سنذكره في تمام هذه الخطبة والرغاء صوت الابل خاصة والعقر الجرح
الذي من كل شيء حقيره وصغيره والشقاق الخلاف والافتراق والنفاق الخروج من الايمان بالقلب واصله ان اليربوع يرقق موضعا
من الارض من داخل حجره فاذا اوتي من قبل بابه وهو القاصعاء ضرب ذلك الموضع برأسه فانتفق اي خرج ويسمى ذلك النافقاء فاشتق
لفظ النفاق منه والزعاق المالح وطبقها الماء اي عمها والتي على جميعها وجؤجؤ السفينة صدرها وكذلك الطائر واعلم انه ذكر في
معرض ذمهم امورا تسعة فيها على وجوه ارتكابهم باهلها وخسفها بهم انما يكون لفسادهم واستحقاقهم بذلك عذاب الله وقوله
على الله تمام الرابعة دعاء عليهم بايقاع الخسف بهم الاول كونهم جند المرأة واراد عائشة فانهم جعلوها عقد نظامهم ولما كانت
قول النساء وآراؤهن امورا مذمومة بين العرب وسائر العقلاء لضعف آرائهن ونقصان عقولهن كما قال الرسول صلى الله عليه وآله انهن ناقصات
عقول ناقصات دين ناقصات حظ اما نقصان عقولهن فلان شهادة ثنتين منهن بشهادة رجل واحد لتذكر احداهما الاخرى
واما نقصان دينهن فلان احداهن تقعد في بيتها شطر دهرها في ايام حيضها لا تصوم ولا تصلي واما نقصان حظهن فلان ميراثهن
على النصف من ميراث الرجال وكان مع ذلك مستشيرهن وتابعهن اضعف رأيا منهن كما هو شأن التابع بالنسبة الى متبوعه لاجرم
حسن توبيخهم بكونهم جند المرأة الثاني كونهم اتباع البهيمة واراد بالبهيمة الجمل الذي كان تحت عائشة فان حالهم هذه تشبه
باتباع مجيبين لرغائه وهاربين لعقره وهو اشنع من الاول وادخل في الذم وكنى برغائه عن دعوتها لهم الى القتال اذ قد قتل عليه
الكثير الرابع دقة اخلاقهم واشار بها الى كونهم على رذائل الاخلاق دون حاق الوسط ولما كانت اصول الفضائل الخلقية
كما علمت ثلثة الحكمة والعفة والشجاعة وكانوا على طرف الجهل بوجوه الآراء المصلحية وهو طرف التفريط من الحكمة وعلى طرف الجبن
وهو طرف التفريط من الشجاعة وعلى طرف الفجور وهو طرف الافراط من ملكة العفة والعدالة لاجرم صدق انهم على رذائل الاخلاق
ودقائقها الخامس الشقاق في العهد والنكث بها ومصداق ذلك نكثهم لعهده وخلافهم لبيعته وذلك من الغدر الذي هو رذيلة
بازاء ملكة الوفاء السادس النفاق في الدين وقد كانوا خارجين على الامام العادل محاربين له لاجرم كانوا خارجين عن الدين وربما
كان ذلك خطابا خاصا لبعضهم اذ المنافق في العرف هو الخارج من الاسلام بقلبه المظهر له بلسانه فيكون ذلك خطابا لمن كان منهم بهذه
الصفة السابع ما يتعلق بذم بلدهم وهو كون مائهم مالحا وسبب ملوحته قربه من البحر وامتزاجه به ودخول ذلك في معرض
ذمهم ربما يكون لسوء اختيارهم ذلك المكان والا فانه مع كون مائهم بهذه الحال المستلزمة لامراض كثيرة في مستعمله كسوء المزاج و
البلادة وفساد الطحال والحكة وغير ذلك مما يذكره الاطباء وكان ذلك من اسباب التنفير عن المقام معهم وتكثير سوادهم الثامن
كونها انتن البلاد تربة وذلك لكثرة ركوب الماء لها وعفنها به التاسع كونها ابعد البلاد عن السماء وسيجيء بيانه العاشر
كونها بها تسعة اعشار الشر ويحتمل ان يريد به المبالغة في ذمها دون الحصر وذلك انه لما عدد بها شرورا لا يكاد يجتمع في غيرها
حكم بان فيها تسعة اعشار الشر مبالغة كنى به عن معظم الشر ويحتمل ان يريد بالشر مجموع الرذائل الخلقية المقابلة لاصول الفضائل
النفسانية التي هي العلم والشجاعة والعفة والسخاء والعدل اذ كل منها مقابل برذيلتين كما علمت فتلك عشر رذائل واشبه ما يخرج
عنهم ما لا يناسب غرضه ههنا ذمهم به كالتبذير ونحوه وهذا الاحتمال وان كان لطيفا الا ان فيه بعدا الحادي عشر
كون المقيم بين اظهرهم مرتهنا بذنبه وذلك لان المقيم بينهم لا بد وان ينخرط في سلكهم ويستعد لقبول مثل طباعهم وينفعل عن
رذائل اخلاقهم فيحق ان يكون موثوقا بذنوبه الثاني عشر كون الشاخص عنهم متداركا برحمة من ربه وذلك لان تأهل الله له بالخروج
ليسلم من الذنوب التي يكتسبها المقيم بينهم وتلك رحمة من الله واي رحمة وكل ذلك في معرض التنفير عنهم والمفهوم من الرواية التي
هي قوله المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله غير ما ذكرناه اذ يفهم من قوله المحتبس فيها بذنبه ان احتباسه بها يجري مجرى العقوبة
له بذنب سبق منه والخارج منها قد عفا الله عنه بخروجه وقد راعى في هاتين القرينتين السجع المتوازي وكذلك في القرائن الاربع قبلها
ثم اشار بعد ذلك الى ان بلدتهم سيغرقها الماء وشبه بقيتها بذلك مشاهدة بنور بصيرته القدسية لمسجدهم مغمورا بالماء
وقد طابق اخبارهم بمشاهدة الحسية في الجلاء والظهور وقد حكى توقيف الرسول صلى الله عليه وآله على احوالهم في فصل آخر من هذه الخطبة وذلك
انه عقيب ذمه لاهل البصرة وجوابه للاحنف في الفصل الذي ذكرناه قال مادحا لهم يا اهل البصرة ان الله لم يجعل لاحد من امصار
المسلمين خطة شرف ولا كرم الا وقد جعل فيكم افضل ذلك وزادكم من فضله بمنه ما ليس لهم انتم اقوم الناس قبلة قبلتكم على المقام

في مذمة البصرة

حيث يقوم الامام بمكة وقاريكم اقرأ الناس وزاهدكم ازهد الناس وعابدكم اعبد الناس وتاجركم اتجر الناس واصدقهم في تجارته
ومتصدقكم اكرم الناس صدقة وغنيكم اشد الناس بذلا وتواضعا وشريفكم احسن الناس خلقا وانتم اكرم الناس جوارا واقلهم
تكلفا لما لا يعنيه واحرصهم على الصلوة في جماعة ثمرتكم اكثر الثمار واموالكم اكثر الاموال وصغاركم اكيس الاولاد ونساؤكم اقنع
النساء واحسنهن تبعلا سخر لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحا لمعاشكم والبحر سببا لكثرة اموالكم فلو صبرتم واستقمتم
لكانت شجرة طوبى لكم مقيلا وظلا ظليلا غير ان حكم الله فيكم ماض وقضاءه نافذ لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب يقول
الله وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا واقسم لكم يا اهل
البصرة ما الذي ابتدأتكم به من التوبيخ الا تذكيرا وموعظة لما بعد لكيلا تسرعوا الى الوثوب في مثل الذي وثبتم وقد قال الله
تعالى لنبيه ص وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ولا الذي ذكرت فيكم من المدح والتطرية بعد التذكير والموعظة رهبة
مني لكم ولا رغبة في شيء مما قبلكم فاني لا اريد المقام بين اظهركم ان شاء الله لامور تحضرني قد يلزمني القيام بها فيما بيني
وبين الله لا عذر لي في تركها ولا علم لكم بشيء منها حتى يقع مما اريد ان اخوضها مقبلا ومدبرا فمن اراد ان ياخذ بنصيبه
منها فليفعل فلعمري انه للجهاد الصافي صفاه لنا كتاب الله ولا الذي اردت به من ذكر بلادكم موجدة مني عليكم لما شاققتموني
غير ان رسول الله ص قال لي يوما وليس معه غيري يا علي ان جبرئيل الروح الامين حملني على منكبه الايمن حتى اراني الارض و
من عليها واعطاني اقاليدها وعلمني ما فيها وما قد كان على ظهرها وما يكون الى يوم القيمة ولم يكبر ذلك علي كما لم يكبر
على ابي آدم علمه الاسماء ولم يعلمه الملائكة المقربون واني رايت بقعة على شاطئ البحر تسمى البصرة فاذا هي ابعد الارض من السماء
واقربها من الماء وانها لاسرع الارض خرابا واخبثها ترابا واشدها عذابا ولقد خسف بها في القرون الخالية مرارا و
ليأتين عليها زمان وان لكم يا اهل البصرة وما حولكم من القرى من الماء ليوما عظيما بلاؤه واني لاعرف موضع منفجره
من قريتكم هذه ثم امور قبل ذلك تدهمكم عظيمة اخفيت عنكم وعلمناها فمن خرج عنها عند دنو غرقها فبرحمة من الله سبقت
له ومن بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه وما الله بظلام للعبيد واما تشبيه ما يخرج من الماء من شرفات المسجد بصدر
السفينة وفي الرواية الاخرى بالنعامة الجاثمة في الرواية الاخرى بالنعامة الجاثمة وفي الرواية الثالثة بالطاير في لجة البحر
فتشبيهات ظاهرة واما وقوع ذلك الغرق المخبر به فالمنقول انها غرقت مرة في ايام القادر بالله ومرة في ايام القائم بامر الله غرقت
باجمعها وغرق من في ضمنها وخربت مع دورها ولم يبق منها الا مسجدها الجامع حسبما اخبر به وكان غرقها من قبل بحر
فارس ومن ناحية الجبل المعروف بجبل السنام فكان ذلك مصداق كلامه ع وفي ذلك نظر لانه اشار الى ان ذلك
الماء ينفجر من ارضهم بقوله واني لاعرف موضع منفجره من قريتكم هذه وظاهر ذلك يقتضي انه لا يكون من ناحية اخرى والله
اعلم منها في مثل ذلك ارضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء خفت عقولكم وسفهت حلومكم فانتم غرض لنابل واكلة لآكل
وفريسة لصائد اقول السفه رذيلة تقابل الحلم وتعود الى الطيش وعدم الثبات والاكلة اسم للماكول وقد علمت ان قوله
ارضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء مما حكاه عن رسول الله ص في الفصل المتقدم اما قرب ارضهم من الماء فاشارة الى
انها موضع هابط مستو من الارض وقريب من البحر فهو بصدد ان يعلوها بملاقاة دجلة وذلك مشاهد في دخول الماء
مد انهارهم وسقيه لبساتينهم في كل يوم مرة او مرتين واما كونها بعيدة من السماء فبحسب استفالها عن غيرها من الارض وقيل ان
ابعد موضع في الارض عن السماء الابلة وان ذلك مما دلت عليه الارصاد وبرهن عليه اصحاب علم الهيئة وقال بعضهم
ان كون ذلك في معرض الذم يصرفه عن ظاهره وانما الاشارة الى انهم لما كانوا بالاوصاف المذمومة التي عددها فانهم كانوا
بعداء عن نزول الرحمة عليهم من سماء الجود الالهي المستعدين لنزول العذاب ويصدق في العرف ان يقال فلان بعيد
من السماء اذا كان كما ذكرناه قوله خفت عقولكم اشارة الى قلة استعدادهم لدرك وجوه المصالح وضعف عقولهم عن تدبير
احوالهم وتسرعهم الى ما لا ينبغي لغفلتهم عما ينبغي وهو وصف لهم برذيلة الغباوة قوله وسفهت حلومكم اشارة الى وصفهم
برذيلة السفه والخفة المقابلة للحلم قوله فانتم غرض لنابل واكلة وفريسة لصائد هذه الاوصاف الثلثة لازمة عن خفة
عقولهم وسفه حلومهم ولذلك عقبها بها لان طمع القاصد لهم بانواع الاذى انما ينشأ من العلم بقلة عقليتهم لوجوه المصالح
وسفههم فيقصدهم بحسب تدبيره والاول من هذه الاوصاف كناية عن كونهم مقصدا لمن يريد اذاهم والثاني كناية عن
كونهم في معرض ان يطمع في اموالهم وغنمهم وياكلها من يقصد اكلها والثالث عن كونهم بصدد ان يفترسهم من يقصد
قتلهم واهلاكهم واستعار لفظ الغرض والاكلة والفريسة لهم ووجوه المشابهة منها ظاهرة وقد راعى في هذه القراين السجع
ففي الاوليين السجع المطرف وفي الاخريين بعدهما والثالث السجع المتوازي **ومن كلام له عليه السلام** فيما

رده على

في بيان خطبة خطبها في المدينة

رده على المسلمين من قطايع عثمن والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملكت به الاماء لرددته فان في العدل سعة ومن ضاق عليه
العدل فالجور عليه اضيق **اقول** هذا الفصل مع فصول بعده من خطبة خطبها بالمدينة لما قتل عثمن وبويع له وقد ذكر ههنا
بزيادة ونقصان واول هذا الفصل من الخطبة الا وان كل قطيعة قطعها عثمن ومال اخذه من بيت مال المسلمين فمردود عليهم في بيت مالهم
ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان فانه ان لم يسعه الحق فالباطل اضيق عنه وسنورد الخطبة بتمامها في احد الفصول
التي يجيء منها انشاء الله تعالى واعلم انه اشار اولا الى العزم الجازم المؤكد بالقسم على رد القطايع التي كان عثمن اقطعها اقاربه ثم نبه
المقتطعين بقوله فان في العدل سعة على ان عدل الله يسعهم في رد ما اقتطعوه ولكن يسعه عن اقتضاء امر العدل رد ذلك
وغيره من المظالم فعليهم ان يدخلوا في مقتضى اوامر الله وعدله فان فيه سعتهم اذ به نظام العالم باسره وهو محل الرضا المظلوم باتصال
حقه اليه ولرضا الظالم ايضا فانه عند الانتزاع منه اخذ لما ليس له وتاكد ذلك العلم بالوعيد الصادق فهو وان قام شيطانه
حال انتزاع الظلامة منه وضاق عليه العدل فهو في محل الرضا فان لم يرض لضيق العدل عليه فالجور عليه اضيق في الدنيا
والاخرة لانه ربما انتزعت منه قهرا وكان جوره سببا للتضييق عليه في ذلك ولان الاوامر والنواهي الالهية محيطة به
عليه وجوه التصرف الباطل ولانه اذا نزل عليه عدل اعتقد انه قد اخذ منه ما ينبغي اخذه منه واذا نزل عليه جور اعتقد
انه اخذ منه ما لا ينبغي اخذه ولا شك ان اخذ ما لا ينبغي اخذه اصعب على النفس واضيق من اخذ ما ينبغي وهو امر وجداني
والمعنى في الالفاظ التي اوردناها من الخطبة قريب مما ذكرناه ههنا غير ان الضمير في قوله فانه ان لم يسعه يعود الى المال واعلم
انه قد كان عثمن اقطع جماعة من بني امية وغيرهم من اصحابه كثيرا من ارض بيت المال وكان فعل عمر ذلك مع قوم لهم وقايع مشهورة
في الجهاد في سبيل الله وترغيبا في الجهاد لكن لما اختلف غرض الامامين لم يرد علي ع الا ما اقطعه عثمن وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم ان من صرحت له العبر عما بين يديه
من المثلات حجزه التقوى عن تقحم الشبهات الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه والذي بعثه بالحق لتبلبلن
بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم وليسبقن سابقون كانوا
قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم
الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها
واعطوا ازمتها فاوردتهم الجنة حق وباطل ولكل اهل فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق لربما ولعل ولقلما ادبر
شيء فاقبل قال السيد الرضي ره ان في هذا الكلام الادنى من مواقع الاحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان وان حظ
العجب منه اكثر من حظ العجب به وفيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ولا يطلع فجها انسان ولا يعرف
ما اقوله الا من ضرب في هذه الصناعة بحق وجرى فيها على عرق وما يعقلها الا العالمون **اقول** في هذا الفصل فصول من
الخطبة التي اشرنا اليها في الكلام الذي قبله وكذلك في الفصل الذي بعده ونحن نوردها بتمامها ليتضح ذلك وهي الحمد لله احق محمود
بالحمد واولاه بالمجد الها واحدا صمدا اقام اركان العرش فاشرق بضوئه شعاع الشمس خلق فاتقن واقام فذلت له وطأة المستمكن
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالنور الساطع والضياء المنير اكرم خلق الله
حسبا واشرفهم نسبا لم يتعلق عليه مسلم ولا معاهد بمظلمة بل كان يظلم فلا يظلم اما بعد فان اول من بغى على الارض عناق ابنة ادم كان
مجلسها من الارض جريبا وكان لها عشرون اصبعا وكان لها ظفران كالمنجلين فسلط الله عليها اسدا كالفيل وذئبا كالبعير
ونسرا كالحمار وكان ذلك في الخلق الاول فقتلها وقد قتل الله الجبابرة على احسن احوالهم وان الله اهلك فرعون وهامان وقتل
قارون بذنوبهم الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم ص والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة
حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة
ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا اليوم وهذا المقام الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في
النار فهم فيها كالحون الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها فسارت بهم تادوا حتى اذا جاؤا ظلا ظليلا فتحت ابوابها و
قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الا وقد سبقني هذا الامر من لم اشركه فيه ومن ليست له منه توبة الا بنبي
يبعث ولا نبي بعد محمد ص اشفى منه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ايها الناس كتاب الله وسنة نبيه لا يرعى مرع الا
على نفسه شغل من الجنة والنار امامه ساع نجا وطالب يرجو ومقصر في النار ولكل اهل ولعمري لئن امر الباطل لقديما فعل
ولئن قل الحق لربما ولعل ولقلما ادبر شيء فاقبل ولئن رد امركم عليكم انكم لسعداء وما علينا الا الجهد قد كانت امور مضت
ملتم فيها ميلة كنتم عندي فيها غير محمودي الراي ولو اشاء ان اقول لقلت عفى الله عما سلف سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب

في بيان خطبة خطبها في المدينة

همه بطنه ويله لو قص جناحاه وقطع رأسه كان خيرا له شغل من الجنة والنار امامه ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر في النار ثلاثة واثنان
خمسة وليس فيهم سادس ملك طار بجناحيه ونبي اخذ بضبعيه هلك من ادعى وخاب من افترى اليمين والشمال مضلة والوسطى الطريق
المنهج عليه باقي الكتاب وآثار النبوة الا وان الله قد جعل ادب هذه الامة السوط والسيف ليس عند امام فيهما هوادة فاستتروا ببيوتكم
واصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم من ابدى صفحته للحق هلك الا وان كل قطيعة اقطعها عثمان وما اخذه من بيت مال المسلمين
فهو مردود عليهم في بيت مالهم ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان فانه ان لم يسعه الحق فالباطل اضيق عنه اقول قولي
هذا واستغفر الله لي ولكم ولقد ذكرنا هذا الفصل فيما قبل ولنرجع الى التفسير فنقول الذمة الحرمة والذمة ايضا العهد والرهينة
المرهونة والزعيم الكفيل وفي الحديث الزعيم غارم والمثلات العقوبات والحجز المنع والتقحم في الامر الدخول فيه بشدة وهيبة والصفة
والبلبلة الاختلاط والغربلة نخل الدقيق وغيره والغربلة القتل ايضا وساط القدر اذا قلب ما فيها من طعام بالمحراك وادارة والسوط
بالشين المعجمة الكلمة وبغير المعجمة العلامة والاثر والشمس جمع شموس وهي الدابة تمنع ظهرها والنوار النشيط المتقلقل بالثبات والذلول الساكنة
والكلوح تكشر في عبوس وامر الباطل يكثر اذا كثر وفلان يرعى على نفسه اذا كان يتفقد احوالها واعلم انه اشار اولا في هذا الفصل الى وجوب
لزوم التقوى ونبه على انه وسيلة الى البر وهو مستلزم لمحمود الآخرة شرطية متصلة وهي قوله من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزه
التقوى عن تقحم الشبهات وبيان الملازمة ان من اخذت العناية الالهية بعقله فاعدته بنور بصيرته لمشاهدة ما صرحت به آفات الدنيا
وكشفت عبرها من تبدل حالاتها وتغيرها انها على من اوقف عليها همته وانفق فيها دار الاقامة فشاهد ان كل تلك امور باطلة وظلال
زائلة فلا بد ان يفيض الله على قلبه صورة خشيته وتقواه فتستلزم تلك الخشية توقفه وامتناعه عن ان يلقي نفسه في تلك الامور
الزائلة والشبهات الباطلة لاشراق نور الحق الواضح على لوح نفسه بالاعتبار فالتقوى اللازم له هو الحاجز عن ذلك التقحم واشار بالشبهات
الى ما يتوهم كونه حقا ثابتا باقيا من الامور الفانية الزائلة واللذات الدنيوية الباطلة فالوهم يصورها ويشبهها بالحق فلذلك
سميت شبهات والعقل الخالص من اسر الهوى قوي على نقد الحق وتمييزه من الشبهة واكد هذه الملازمة بقوله ذمتي على صحتها
وكفالته بصدقها وذلك قوله ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم واستعمال الرهن استعارة كقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة واعلم انه
ربما التبس عليك حقيقة التقوى فنقول التقوى بحسب العرف الشرعي يعود الى خشية الحق سبحانه المستلزم للاعراض عن كل ما يوجب
الالتفات عنه من متاع الدنيا وزينتها وتنحية ما دونه عن جهة القصد ولما كان الترك والاعراض المذكور هو الزهد الحقيقي
كما علمت وكان التقوى وسيلة اليه علمت انه من اقوى الجواذب الى الله المراد عن الالتفات الى ما سواه وقد ورد التقوى بمعنى الخشية
من الله تعالى في اول النساء يا ايها الناس اتقوا ربكم ومثله في اول الحج وفي الشعراء اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون وكذلك قول هود و
صالح ولوط وشعيب لقومهم وفي العنكبوت وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه وقوله اتقوا الله حق تقاته وقوله وتزودوا فان
خير الزاد التقوى وكذلك في سائر آيات القرآن وانك قد تحمله بعض المفسرين تارة على الايمان كما في قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى وتارة
على التوبة كما في قوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا وتارة على ترك المعصية كما في قوله واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله ولما عرفت
ذلك فاعلم انه لما نبههم على لزوم التقوى وانه مخلص من تقحم الشبهات نبههم بعده على انهم في الشبهات مغمورون بقوله الا وان بليتكم
قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه واشار ببليتهم الى ما هم عليه من اختلاف الاهواء وتشتت الآراء وعدم الالفة والاجتماع في نصرة الله
عن شبهات يلقيها الشيطان على الاذهان الماثلة لوسوسته المهوورة في يده وذلك من اعظم الفتن التي بها يبتلي الله عباده ويبلوكم
بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وهي اشبه بما كان الناس عليه حال البعثة الرسولية وفي ذلك تنبيه لهم على انهم ليسوا من تقوى
الله في شيء اذ عرفت ان مجانبة الشبهة من لوازم التقوى فكان وقوعهم فيها مستلزما لسلب التقوى عنهم ثم لما بين وقوعهم في البلية كما
كانت اقسم بالقسم البار انه لابد لهم من ثمرة ما هم فيه من عدم التناصر واتباع الاهواء الباطلة وذكر امورا ثلثة **احدها** البلبلة وكنى
بها عما يوقع بنو امية وغيرهم من امراء الجور من الهموم المزعجة وخلط بعضهم ببعض ورفع اراذلهم وحط اكابرهم عما يستحق كل من المراتب **الثاني**
الغربلة وكنى بها عن التقاط آحادهم وقصدهم بالاذى والقتل كما فعل بكثير من الصحابة والتابعين وفي ذلك تشبيه لفعلهم ذلك
بغربلة الدقيق ونحوه لتمييز شيء منه عن شيء ولذلك استعير لها لفظها ووجه الشبه بين التمييز المتوالي **الثالث** ان يساطوا
كما يساط القدر الى ان يعود اسفلهم اعلاهم وبالعكس واستعار لفظ السوط ههنا مع غايته المذكورة لتصريف ائمة الجور لهم حتى يأتي
بعده سبابا واسباب الاهانة وتغير القواعد عليها في ذلك الوقت وهو قريب من الاول ثم قال وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن
سباقون كانوا سبقوا اشارة الى بعض نتائج تقلب الزمان بهم قال بعض الشارحين انه اشار بالمقصرين الذين يسبقون الى قوم قصروا
عن نصرته في مبدأ الامر حين وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم نصروه في ولايته وقاتلوا معه في سائر حروبه وبالسابقين الذين يقصرون الى من
كانت له في الاسلام سابقة ثم يخذله ويحرف عنه ويقاتله ويشبه ان يكون مراده اعم من ذلك فالمقصرون الذين يسبقون كل من اخذ

العنابة

في بيان خطبة خطبها بالمدينة

العنايات الالهية بسببه وقادة زمام التوفيق الى الجد في طاعة الله واتباع سائر اوامره والتوقف عند نواهيه وزواجره وبعد تقصيره في ذلك وعكس هؤلاء من كان في مبدء الامر مشمرا في سلوك سبيل الله ثم جذبه هواه الى غير ما كان عليه وسلك به الشيطان مسالكه فاستبدل بسبقه في الدين تقصيرا وانحرافا عنه قوله والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة اقسم انه لم يكتم اثرا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المعنى وكلمة مما يتعين عليه ان يبوح به وانه لم يكذب قط وهذا القسم شهادة لما قبله من الاخبار بما سيكون انه كان قال وتوطئة لما بعده انه كما هو وذلك قوله ولقد نبئت بهذا المقام اي مقام بيعة الخلق له وهذا اليوم اي يوم اجتماعهم عليه وكل ذلك تنفيرا لهم عن الباطل الى الحق وتثبيت لهم على اتباعه ثم لما امرهم بالتقوى وانبائهم بما سيكون غاية امرهم في لزومهم لسبيلهم وتورطهم في الشبهات اردف ذلك بالتنفير عن الخطايا والترغيب في التقوى بالتنبيه على ما يعود اليه كل منهما قوله الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار استعار لفظ الخيل للخطايا ثم وصفها بالوصف المنفر وهو الشموس والهيئة المانعة التي للعقل من ركوبها وهي كونها مع شموسها مخلوعة اللجم ووجه الاستعارة ظاهر فان الفرس الشموس المخلوع لجامها لما كانت تتقحم براكبها المهالك ويجري به على غير نظام فكذلك راكب الخطيئة لما جرى به ركوبها على غير نظام الشريعة وخلع بذلك لجام الاوامر الشرعية وحدود الدين لا جرم كانت غاية من ركوبها ان تتقحم اعظم موارد الهلاك وهي نار جهنم وذلك من لطيف الاستعارة قوله الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها واعطوا ازمتها فاوردتهم الجنة استعار ايضا لفظ المطايا بالوصف الحسن الموجب للميل اليها وهو كونها ذللا وبالهيئة التي ينبغي للراكب وهو اخذ الزمام وارشاد بالازمة الحدود الشرعية التي يلزمها صاحب التقوى ولا يتجاوزها ولما كانت المطية الذلول من شانها ان تتحرك براكبها على وفق النظام الذي ينبغي لا يتجاوز الطريق المستقيم بل يصرفها بزمامها ويسير به على هون وتؤدة فيصل بها الى مقاصده كذلك التقوى فمن لزم طريق السالك الى الله بالتقوى وراحه عن جموح الهوى به في موارد الهلكة يشبه ذلة المطية وحدود الله التي بها تملك التقوى ويسير عليه يشبه غاية سير المطي الذلول براكبها والاستعارة في الموضعين استعارة لفظ المحسوس للمعقول ثم لما بين ان ههنا طريقين مركوبين مسلوكين طريق الخطايا وطريق التقوى ذكر بعده انهما حق وباطل فكانه قال وهما حق وهو التقوى وباطل وهو الخطايا ثم قال ولكل اهل اي لكل من طريقي الحق والباطل قوم اعدهم القدر لسلوكها بحسب ما جرى في اللوح المحفوظ بقلم القضاء الالهي كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله كل ميسر لما خلق له قوله فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق فلربما ولعل اقول ان ذلك ربما يشبه الاعتذار لنفسه ولاهل الحق في قلته وذم وتوبيخ لاهل الباطل على كثرة الباطل وقلة الحق في ذلك الوقت لتبرئه منهما حتى اجتهد نفسه في الانكار على اهله ثم لا يسمعون ولا ينتهون وفي قوله لقديما فعل تنبيه على ان الحق وان قل فربما يعود يسيرا ثم اردف حرفي التقليل وهو ربما بحرف التمني وكان في هذه الاحرف الوجيزة اخبار بقلة الحق ووعد بعوده مع نوع تشكيك في ذلك وتمن لكثرته قوله ولقلما ادبر شيء فاقبل استبعاد لرجوع الحق الى الكثرة والقوة بعد قلته وضعفه على وجه كلي فان زوال الاستعداد للامر مستلزم لزوال صورته وصورة الحق انما افيضت على قلوب صفت واستعدت لقبوله فاذا اخذ ذلك الاستعداد في النقصان بموت اهله او بموت قلوبهم وسود الواح نفوسهم بشبه الباطل فلا بد ان ينقص نور الحق وتكثر ظلمة الباطل بحسب قوة الاستعداد في النقصان بموت اهله او بموت قلوبهم وسود الواح نفوسهم بشبه الباطل فلا بد ان ينقص نور الحق وتكثر ظلمة الباطل بحسب قوة الاستعداد لها وظاهر ان عود الحق واضاءة نوره بعد ادباره واقبال ظلمة الباطل امر بعيد وقلما يعود مثل ذلك الاستعداد للقبول مثل تلك الصورة للحق ولعله يعود بقوة تصبح الواح النفوس وارضها مشرقة بانوار الحق ويكر على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وما ذلك على الله بعزيز وفي ذلك تنبيه لهم على لزوم الحق وبعث على القيام به كيلا يضمحل باتخاذهم عنه فلا يمكنهم تداركه وبالله التوفيق **منها** شغل من الجنة والنار امامه ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النار هوى اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ومنها منفذ السنة واليها مصير العاقبة هلك من ادعى وخاب من افترى من ابدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره لا يهلك على التقوى سنخ اصل ولا يظمأ عليه زرع قوم فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه **اقول** قد عرفت كون هذا الفصل من الخطبة التي ذكرناها والجادة معظم الطريق والصفحة الجانب والسنخ الاصل وذات البين حقيقته والخيبة عدم حصول المطلوب واعلم ان تقدير القضية الاولى ان من كانت النار والجنة امامه فقد جعل له بهما شغل يكفيه عن كل ما عداه فيجب عليه ان لا يشتغل الا به واشار بذلك الشغل الى ما يكون وسيلة الى الفوز بالجنة والنجاة من النار مما نطقت به الكتب المنزلة وحث على لزومه الرسل و اشار بكون الجنة والنار امامه الى احد امرين احدهما ان يكون المراد كون الجنة والنار ملاحظين له متذكرا لهما فهما امامه ونصب خياله ومن كان كذلك فهو في شغل بهما عن غيرهما الثاني ان يكون كونهما امامه اي انه لما كان الانسان من مبدء عمره الى منتهاه مسافرا الى الله تعالى فهو في انقطاع سفره لابد وان ينتهي اما الى الجنة والى النار فكانتا امامه في ذلك السفر وغايتين يؤمهما الانسان وينتهي اليهما ومن كانت امامه في السفر الى غاية معينة فكيف يليق به ان يشتغل بغير مهمات تلك الغاية والوسيلة اليهما وانما قال

انفع المطايا التي بها تملك يكون التقوى ... لصاحبه ايصاله الى السعادة الابدية التي هي شبه المطايا

في بيان خطبة خطبها بالمدينة

شغل بالبناء للمفعول لان المقصود ههنا ليس الا ذكر الشغل لا من كان الشاغل هو الله تعالى بايجاد الجنة والنار والترغيب في احديهما والترهيب
من الاخرى كان ترك ذكره للتعظيم والاجلال والظهور ثم اشار الى ما يترتب على وجوب الاشتغال بالجنة والنار عن غيرهما وانقسام الناس بالنسبة
الى تلك الاشتغال الى ثلثة اقسام وذلك قوله ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النار هوى ووجه الحصر في هذه القسمة ان الناس
بعد الانبياء عليهم السلام اما طالبون لله او تاركون والطالبون اما بغاية جدهم واجتهادهم وبذل وسعهم وطاقتهم في الوصول الى
رضوانه او بالبطوء والتأني فهذه ثلثة اقسام لا مزيد عليها وان كان قسما الطالبين على مراتب ودرجات متفاوتة والقسم الاول
هم الفائزون بقصب السبق والناجون من عذاب النار كما قال تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم فاكهين
بما آتيهم ربهم ووقيهم ربهم عذاب الجحيم وهذا القسم يشمل الانبياء لولا افرادهم في قسم رابع اذ قسم الخلق في الخطبة الى خمسة اقسام
والثالث المقصر الذي وقف به الشيطان حيث اراد اخذ بحجزته عن سلوك سبيل الله فاذا فاته هوى في موارد الهلاك ومنازل الشقاء
وقعر في النار دعا ما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان
ربك فعال لما يريد اما القسم الثاني فقد وضعفين تجاذبانه من جهتي السفالة والعلو فطلب الجنة يحركه ويسوقه
الى الله وان ضعف جاذب له الى جهة العلو وبدا الشيطان جاذب الى جهة السفالة الا ان رجاءه لعفو الله ونظره اليه بعين رحمته
اذا انضاف الى حركته البطيئة كانت السلامة عليه اغلب وجهة العلو منه اقرب وينبغي ان نشير الى تحقيق معنى الرجاء ليتضح ما قلنا
فنقول الرجاء هو ارتياح النفس لانتظار ما هو محبوب عندها فهو حالة تصدر عن علم وتقتضي عملا بيان ذلك ان ما يتصوره
النفس من محبوب او مكروه فاما ان يكون موجودا في الماضي او في الحال او يوجد في الاستقبال والاول يسمى تذكرا وتذكيرا والثاني
يسمى وجدا ووجدانا للنفس لوجوده في الحال والثالث وهو ان يغلب على ظنك وجود شيء في الاستقبال لنفسك به تعلق فيسمى ذلك انتظارا
وتوقعا فان كان مكروها احدث منه في القلب تألما يسمى خوفا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به لذة للنفس
وارتياح باخطار وجوده بالبال يسمى ذلك الارتياح رجاء ولكن ذلك المتوقع لا بد وان يكون لسبب فان كان توقعه لاجل حصول اكثر
اسبابه فاسم الرجاء صادق عليه وان كان انتظاره مع العلم بانتفاء اسبابه فاسم الغرور والحمق عليه اصدق وان كانت اسبابه غير معلومة
الوجود ولا الانتفاء فاسم التمني صدق على انتظاره اذا عرفت ذلك فاعلم ان ارباب العرفان قد علموا ان الدنيا مزرعة الاخرة
فالنفس هي الارض وبذرها المعارف الالهية وسائر انواع الطاعات جارية مجرى اصلاح هذه الارض من تقليبها واعدادها
للزراعة وسياقة الماء اليها والنفس المستغرقة بحب الدنيا والميل اليها كالارض السبخة التي لا تقبل الزرع والانبات لمخالطة الاجزاء
الملحية ويوم القيمة يوم الحصاد فلا حصاد الا من زرع ولا زرع الا من بذر وكما لا ينفع الزرع في ارض سبخة كذلك لا ينفع ايمان مع خبث
النفس وسوء الاخلاق فينبغي ان يقاس رجاء العبد لرضوان الله برجاء صاحب الزرع وكما ان من طلب ارضا طيبة وبذرها في
وقت الزراعة بذرا غير متعفن ولا متأكل ثم امده بالماء العذب وسائر ما يحتاج اليه في اوقاته ثم طهره عن مخالطة ما يمنع نباته من شوك
ونحوه ثم انتظر من فضل الله دفع الصواعق والافات المفسدة الى تمام زرعه وبلوغ زرعه غايته كان ذلك رجاء في موضعه واستحق اسم
الرجاء اذ كان في مظنة ان يفوز بمقاصده من ذلك الزرع ومن بذر في ارض كذلك الا انه بذر في اخريات الناس من البذار او اخل
وقته او قصر في بعض اسبابه ثم اخذ ينتظر ثمرة ذلك الزرع ويرجو الله في سلامته فهو من جملة الراجين ايضا ومن لم يحصل على بذر او بذر
في ارض سبخة او ذات شاغل من الانبات ثم اخذ ينتظر الحصاد فذلك الانتظار حمق فكان اسم الرجاء انما يصدق على انتظار ما حصل
جميع اسبابه او اكثرها الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما لا يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات
كذلك حال العبد ان بذر المعارف الالهية في ارض نفسه في وقته وهو مقتبل العمر ومبتدأ التكليف ودام على سقيه بالطاعات واجتهد
في طهارة نفسه عن شوك الاخلاق الردية التي تمنع نماء العلم وزيادة الايمان وانتظر من فضل الله تعالى ان يثبته على ذلك الى زمان
وصوله وحسن عمله فذلك الانتظار هو الرجاء المحمود وهو درجة السابقين وان القى بذر الايمان في نفسه لكنه قصر في بعض
اسبابه اما ببطوء او تأن في البذر او في السقي او غير ذلك مما يوجب ضعفه ثم اخذ ينتظر وقت الحصاد ويتوقع من فضل الله تعالى ان يبارك له
فيه ويعتمد على انه هو الرزاق ذو القوة المتين فيصدق عليه ايضا اسم الرجاء اذ اكثر اسباب المطلوب التي من جهته حاصلة وهذه
درجة القسم الثاني وهو الطالب الراجي البطيء وان لم يزرع من قواعد الايمان في نفسه شيئا اصلا او زرع ولم يسقه بماء الطاعة
او ترك نفسه مشغولة بشوك الاخلاق الردية وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة والفضل من الله فذلك الانتظار
غرور وليس برجاء في الحقيقة وذلك هو القسم الثالث وهو المقصر في اسباب الزراعة وتحصيل زاد الاخرة الطالب اسفا يوم
الحسرة والندامة يقول يا ليتني قدمت لحيوتي فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد وفي المعنى ما قيل اذا انت
لم تزرع وعاينت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر قال رسول الله صلى الله عليه وآله الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال في خلاف

في تحقيق معنى الرجاء

في بيان خطبة خطبها بالمدينة

من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وانما خصص عليه السلام القسم الثاني بالرجاء اذ كان كما علمت
عمله ضعيف عمله وتعلق الاسباب من جهته والى هذه الاقسام الثلثة اشار القرآن الكريم بقوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير وان اختلفت مبادئ الترتيب قوله اليمين والشمال
مضلة والطريق الوسطى هي الجادة لما قسم الناس الى سابقين ولاحقين ومقصرين اشار لهم الى الطريق التي اخذ الله
عليهم سلوكها ونصب لهم عليها اعلام الهدى ليصلوا بها الى جناب عزته سالمين عن تخطفات الشياطين وميزها عن طرق
الضلال وذلك انك لما علمت ان طريق السالكين الى الله اما العلم او العمل فالعلم طريق القوة النظرية والعمل طريق القوة العملية
وكل منهما محفوف برذيلتين هما طرفا التفريط والافراط كما علمته والوسط منهما هو العدل والطريق الوسطى وهي الجادة
الواضحة لمن اهتدى وهي التي عليها ما في الكتاب الالهي من المقاصد الحكمية عليها آثار النبوة ومنفذ السنة اي طريقها
ومبداها الذي منه تخرج واليها مصير عاقبة الخلق في الدنيا والآخرة فان من العدل ابتدأت السنة وانتشرت في الخلق
واليه يرجع امورهم اما في الدنيا فلان نظام امورهم في حركاتهم وسكناتهم مبني عليه في القوانين الشرعية والى تلك
القوانين والقواعد ترجع عواقب امورهم وعليها يجولون واما في الآخرة فبالنسبة اليه يتبين خسران الخاسرين وفوز الفائزين
فحكم لمن سلك وتمسك به وفاز في سفره الى الله بجنات النعيم ولمن انحرف عنه وتجاوزه بالعذاب الاليم في نار الجحيم وكل
واحد من طرفي الافراط والتفريط بالنسبة اليه هو المراد باليمين والشمال من ذلك الوسط وهما طريقا المضلة لمن عدل اليهما
وموردا الهلاك لمن سلكهما قوله هلك من ادعى وخاب من افترى يحتمل ان يكون القضيتان دعاء ويحتمل ان يكون اخبارا
اي هلك من ادعى ما ليس له اهلا وعن الهلاك الاخروي وخاب من كذب اي لم يحصل مطلوبه اذا جعل الكذب وسيلة اليه واعلم ان الدعوى
اما ان يكون مطابقة لما في نفس الامر او ليس كذلك والثانية محرمة مطلقا واما الاولى فاما ان يدعوا اليها حاجة او ليس والقسم الاول هو
المباح فقط دون الثاني وانما حرم هذان القسمان اما الاول وهي الدعوى غير المطابقة فلانها تصدر عن ملكة الكذب تارة وعن
الجهل المركب تارة كالجهل بالامر المدعى لحصوله عن شبهة وبحث في ذهنه وكلاهما من اكبر الرذائل واعظم المهلكات في الآخرة
واما الثانية وهي المطابقة لا عن حاجة فلانها تكاد لا تصدر عن الانسان الا عن رذيلة العجب ويستعمل انه من المهلكات قال
رسول الله صلى الله عليه وآله ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه واما خيبة المفتري فلان الفرية اختلاق ما ليس بحق
وظاهر ان الكذب لا ثمرة له اما في الآخرة فقط واما في الدنيا فقد يكون وقد لا يكون وان كانت ففي معرض الزوال ومستلزمة
لسخط الله فهي بمنزلة ما لم يكن وصاحبها اشد خيبة من عادمها وطالب الامر بالفرية على كل تقدير خاسر خائب قال بعض
الشارحين اراد هلك من ادعى الامامة من غير استحقاق وخاب من افترى في دعواه لها لان كلامه في هذه الخطبة كثيرا ما يعرض
فيه بامر الامامة قوله من ابدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس كفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره تنبيه على ان المتجرد لاظهار
الحق في مقابلة كل باطل ورد من الجهال عليه وحملهم على مر الحق وصعبه في كل وقت يكون في معرض الهلاك بايديهم والسنتهم
اذ لا يعدم منهم من يوليه المكروه ويسعى في دمه ثم اراد التنبيه على الجهل فذكر ادنى مراتبه ونبه بها على ان اقل الجهل كاف في رذيله
فكيف بكثيره وذلك قوله وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره واراد من نبه في الناس على مقصوره لدى خبره بنفسه ومنزلتها ما
بالنسبة الى خادمهم وكفى بهذا القدر مهلكا فانه منشا كثير من الرذايل المهلكة كالكبر والعجب وقول الباطل وادعاء الكمال للناقصين
وتعدي الطور في اكثر الاحوال كما قال عليه السلام في موضع آخر رحم الله امرا عرف قدره ولم يتعد طوره وفي هذه الكلمة تنفير للسامعين
عن الجهل بعد ما يتصورونه من وجوب التجرد للحق ونصرته وربما يستفهم منها تعليم كيفية استجلاب طباع الجهال وتأنيسهم وهو
انهم لا ينبغي ان يقابلوا بالحق دفعة ويجرد في مقابلتهم به على كل وجه فان ذلك مما يوجب نفارهم وعدم نظام احوالهم بل ينبغي ان
يوصلوا به الى التدريج قليلا قليلا وربما لم يكن تأنيسهم بالحق في بعض الامور الغامضة الحق بالنسبة الى افهامهم او لقوة تمسكهم
بالباطل مقابلته فيخدعوا عن ذلك بالحق في صورة الباطل وظاهره وذلك كما ورد في القرآن الكريم والسنن النبوية من صفات
التجسيم وما لا يجوز ان يحمل على ظاهره في حق الصانع الحكيم فان حمله على ظاهره كما يتصوره جهال الناس امر باطل لكنه لما كان سبب
ايناسهم وجمع قلوبهم على اعتقاد الصانع ومبدأ نظام امورهم ورد الشرع به قوله لا يهلك على التقوى سنخ اصل ولا يظمأ عليه
زرع قوم تنبيه على لزوم التقوى باعتبار ثمرتها احدهما ان كل اصل بني على التقوى فمحال ان يهلك ويلحق بانيه خسران كما قال تعالى
افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير امن اسس بنيانه على شفا جرف هار الثاني ان من زرع زرعا اخرويا كالمعارف
الالهية في ارض نفسه مثلا او دنيويا كالاعمال التي بها تقوم مصالح الانسان في الدنيا وسقاها ماء التقوى وجعله مادتها
فانه لا يلحق ذلك الزرع ظماء بل عليه منشاء باقوى ساق وازكى ثمرة واستعمال الزرع والاصل كناية عما ذكرناه قوله واستروا بيوتكم

في بيان معنى التوكل

واصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم قد عرفت ان هذا الفصل مقدم في الخطبة على قوله من ابدى صفحته للحق هلك وهو مسبوق
بالتهديد والوعيد في معرضه وهو قوله الا وان الله قد جعل ادب هذه الامة السوط والسيف ليس عند امام فيهما هوادة اي مصالحة
وسكون فاستتروا ببيوتكم وهو حسم لمادة الفتنة بينهم بلزوم البيوت عن الاجتماع للمنافرات والمفاخرات والمشاجرات ولذلك اردفه
بقوله واصلحوا ذات بينكم فان قطع مادة الفتنة سبب لصلاح ذات البين قوله والتوبة من ورائكم تنبيه للعصاة على الرجوع الى
التوبة عن الجري في ميدان المعصية واقتفاء اثر الشيطان وكونها وراءه لان الجواذب الالهية اذا اخذت بقلب العبد وجذبته
عن المعصية حتى اعرض عنها والتفت بوجه نفسه الى ما كان معرضا عنه من الندم على المعصية والتوجه الى القبلة الحقيقية فانه
يصدق عليه اذن ان التوبة وراءه اي وراءه اعتبارا عقليا وهو اولى من قول من قال من المفسرين ان ورائكم بمعنى امامكم قوله ولا يحمد حامد
الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه تأديب لهم بالتنبيه على قصر الحمد والثناء على الله دون غيره لانه مبدأ كل نعمة يستحق بها الحمد كما سبقت
اليه الاشارة وعلى قصر اللائمة على النفس عند انحرافها عن جهة القبلة الحقيقية الى ما تعد لها من قبولها الدعوة من غير سلطان وفي
اصل هاتين الكلمتين اشارة القرآن الكريم ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فكل حسنة اصابت العبد
به فهي سبب لحمده وشكره وكل سيئة اصابته من نفسه فهو سبب للائمة نفسه فاما قول السيد رحمه الله ان في هذا الكلام من مواقع الاحسان
ما لا تبلغه مواقع الاستحسان الى آخره فالاحسان مصدر قولك احسن الرجل احسانا اذا فعل فعلا حسنا ومواقع الاحسان محاسن الكلام
التي اجاد فيها واحسن ومواقع الاستحسان اما سائر محاسن كلام العرب اي ان شيئا من محاسن كلام العرب وما يقع عليه الاستحسان
منها لا يوازي هذا الكلام ولا يبلغه او يشير بمواقع الاستحسان الى الفكر من الناس فانها محال الاستحسان اي ان الاستحسان من صفات
المستحسن اي ان الفكر لا يصل الى محاسن هذا الكلام وقوله وان حظ العجب منه اكثر من حظ التعجب به بيان ان تعجب الفصحاء من حسنه
بل تعجبهم اكثر من عجبهم باستخراج محاسنه وذلك لان فيه من المحاسن وراء ما يمكنهم التعبير عنها فيكون تعجبهم من محاسنه اكثر من عجبهم
من انفسهم بما يقدرون على استخراجه منها اي بل باكثر من عجبهم اي اكثر من محبتهم له وميلهم اليه وباقي كلامه ظاهر وبالله التوفيق

امور كثيرة فهو عجبهم من انفسهم بان يمكنهم التعبير عنها

ومن كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الامة وليس لذلك باهل ان ابغض الخلائق الى الله تعالى رجلان رجل وكله
الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدي من كان
قبله مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا موضع في جهال الامة غار
في اغباش الفتنة عم بما في عقد الهدنة قد سماه اشباه الناس عالما وليس به بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر
حتى اذا ارتوى من ماء آجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره فان نزلت به
احدى المبهمات هيأ لها حشوا رثا من رأيه ثم قطع به فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطأ ان اصاب
خاف ان يكون قد اخطأ وان اخطأ رجا ان يكون قد اصاب جاهل خباط جهالات عاش ركاب عشوات لم يعض على العلم بضرس
قاطع يذري الروايات اذراء الريح الهشيم لا ملي والله باصدار ما ورد عليه ولا يحسب العلم في شيء مما انكره ولا يرى ان من وراء ما بلغ
منه مذهبا لغيره وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث الى الله اشكو
من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا سلعة انفق ولا اغلى ثمنا من الكتاب
اذا حرف عن مواضعه ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر **اقول** وكله الى نفسه جعل توكله عليها والجائر العادل عن
الطريق وفلان مشغوف بكذا اي بلغ حبه الى شغاف قلبه وهو غلافه وبغير المعجمة اذا بلغ الى شعفة قلبه وهي عند
معلق النياط والقمش جمع الشيء المتفرق والمجموع قماش والموضع بفتح الضاد المطرح وبكسرها المسرع والغار الغافل واغباش الليل
ظلمه وقال ابو زيد الغبش البقية من الليل ويروى غطاش الفتنة والهدنة الصلح والمبهمات المشكلات وامر مبهم اذا لم يعرف والرث
الضعيف البالي وعشوات الطريق تعشو الناس اذا تبينته على ضعف والهشيم اليابس من نبت الارض المتكسر والعج رفع الصوت
والبائر الفاسد واعلم انه اولا اوقع التنفير على الرجلين المشار اليهما بذكر انهما من ابغض الخلائق الى الله تعالى ولما كانت ارادة الله
للشيء ومحبته له غاية الى علمه بكونه على وفق النظام الكلي التام للعالم كانت كراهيته وبغضه له عائدة الى علمه بكونه على ضد مصلحة
العالم وخارجا عن نظامه فبغضه اذن لهذين الرجلين علمه بكون افعالهما واقوالهما خارجة عن المصلحة قوله رجل وكله الله الى نفسه
فهو جائر عن قصد السبيل الى قوله بخطيئته بيان لاحد الرجلين وعينه وذكر له اوصافا فالاول انه وكله الله الى نفسه اي جعله متوكلا
عليها دونه واعلم ان التوكل مأخوذ من الوكالة يقال وكل فلان امره الى فلان اذا فوضه اليه واعتمد عليه فالتوكل عبارة عن اعتماد
القلب على الوكيل وحده اذا عرفت ذلك فنقول من اعتقد جزما او ظنا بان نفسه او احدا غير الله تعالى ممن ينسب اليه التأثير والقدرة
هو المتمكن من الفعل وانه تام القدرة على تحصيل مراده والوفاء به فان ذلك من اقوى الاسباب المعدة لان يفيض الله على قلبه

والغطش الظلمة

الاعتماد

في بيان معنى التوكل

الاعتماد على المعتمد فيه والتوكل عليه فيما يريده وذلك معنى قوله وكله الله الى نفسه وكل معنى الوكول الى الدنيا وذلك بحسب اشتداد الانسان
ان المال والقينات الدنيوية وافتتانه بمطالبه وتحصيلها الهمّ ووراءها وبحسب قوة ذلك التوكل وضعفه يكون تفاوت بغض الله تعالى
للعبد ومحبته له وبعده وقربه منه فلن يخلص لذنب العبد من تغيض الله الا بالتوكل عليه حق توكله قال ان الله تعالى يحب المتوكلين وهو
اعظم مقام وسم صاحبه بمحبة الله ومن كان الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يبغض ولا يعذب
ولا يبعد ولا يحجب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله تعالى اليها
وصورة التوكل عليه ان تثبت في نفسك بكشف واعتقاد جازم ان مسبب جميع الاسباب والمسبب اليه سبحانه وانه الفاعل المطلق تام
العلم والقدرة على كفاية العباد تام العفو والرحمة والعناية بخلقه حيث لا يكون وراء قدرته وعلمه وعنايته رحمته وعنايته ولم يبق في
نفسك التفات الى غيره بوجه حتى نفسك وحولك وقوتك فانك والحال هذه تجد من نفسك تسليم امورها بالكلية اليه والبراءة
من التوكل على احد الا عليه فان لم تجد من نفسك هذه الحال فسبب ذلك ضعف الاسباب المذكورة او بعضها وغلبة الوهم على النفس في
معارضته لذلك اليقين وبحسب ضعف تلك الاسباب وشدتها وتفاوتها في زيادتها ونقصانها يكون تفاوت درجات التوكل على الله تعالى
الثاني كونه جائرا عن قصد السبيل اي قصد سبيل الله العدل وصراطه المستقيم وعلمت ان الجور هو طرف الافراط من فضيلة العدل
الثالث كونه مشغوفا بكلام بدعة اي معجب بما يخطر له ويبتدعه من الكلام الذي لا اصل له في الدين ويدعو به الناس الى الضلال
والجور عن القصد وهذا الوصف لازم عما قبله فان من جار عن قصد السبيل بجهله فهو يعتقد انه على سواء السبيل فكان ما يخيله
من ذلك الكمال الذي هو نقصان في الحقيقة مستلزما لمحبة قول الباطل وابتداع المحال فهو من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم
في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا **الرابع** كونه فتنة لمن افتتن به وهو ايضا لازم عن الوصف الثالث فان محبة قول
الباطل والدعوة الى الضلال سبب لكونه فتنة لمن اتبعه **الخامس** كونه ضالا عن هدى من كان قبله وهذا الوصف كالثاني فان
الضال عن الهدى جائر عن قصد السبيل الا ان ههنا زيادة الجائر عن القصد قد يجور ويضل حيث لا هدى يتبعه والموصوف ههنا جائر
وضال مع وجود هدى قبله مأمور باتباعه وهو كتاب الله وسنة رسوله واعلام هداه الحاملون لدينه الناطقون عن مشكاة النبوة
وذلك ابلغ في الاثم واكد في وجوب عقوبته **السادس** كونه مضلا لمن اهتدى به في حيوته وبعد وفاته وهذا الوصف مسبب عن ما
قبله اذ ضلال الانسان في نفسه سبب لاضلاله غيره ويفهم منه ما يفهم من الرابع مع زيادة فان كونه فتنة لغيره وهو كونه مضلا
لمن اهتدى به واما الزيادة فكون ذلك الاضلال في حيوته وهو ظاهر وبعد موته لبقاء العقائد الباطلة المكتسبة عنه وهي سبب ضلال
الضالين بعده **السابع** كونه حمالا لخطايا غيره وهو لازم عن السادس فان حمله الاوزار من يضله انما هو بسبب اضلاله له **الثامن**
كونه رهنا بخطيئته اي موثقا بها عن الصعود الى حضرة جلال الله والى هذين الوصفين اشار القرآن الكريم بقوله ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون وقول الرسول صلى الله عليه وسلم ايما داع دعا الى الهدى فاتبع كان له مثل اجر
من تبعه لا ينقص من اجورهم شيء وايما داع دعا الى الضلالة فاتبع كان عليه مثل وزر من تبعه ولا ينقص منه شيء واعلم انه ليس المراد من
ذلك انه تعالى يوصل العقاب الذي يستحقه الاتباع الى القادة والرؤساء لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ولا تزر وازرة وزر
اخرى فلما دخل احد من الناس النار ابدا بل كانت مقصورة على ابليس وحده بل المعنى ان رئيس الضلال اذا وضع سيئة تكون فتنة
للناس وضلالا لهم لم يضل تلك السيئة الا عن نفس قد استولى عليها الجهل المركب المضاد لليقين وصار ملكة من ملكاتها فيسود
لوحها عن قبول الانوار الالهية وصار ذلك حجابا بينها وبين الرحمة بحيث يكون ذلك الحجاب في القوة والشدة اضعاف حجب التابعين
له والمقتدين به الناشئة عن فتنته فان تلك الحجب الطارية على قلوب التابعين مستندة الى ذلك الحجاب وهو اصلها فلا جرم يكون
وزره وسيئته في قوة اوزار اتباعه وسيئاتهم التي حصلت بسبب ضلاله لا كل سيئاتهم من كل جهة ولذلك قال تعالى ومن اوزار الذين
يضلونهم اي بعض اوزارهم وكذلك يناقض قوله صلى الله عليه وسلم من غير ان ينقص من اوزارهم شيء قلت هذا وان كان حسنا الا ان الالزام الذي ذكره
غير لازم على كونها للتبعيض لان القائل بكونها كذلك يقول ان المراد وليحملوا بعض مثل اوزار التابعين لا بعض اعيان اوزارهم واذا
فهمت ذلك في جانب السيئات فافهم مثله في جانب الحسنات فهوان الواضع لحسنة وهدى يهتدي به انما تصدر عن نفس ذات صفاء
واشراق كل نورها فاشرق على غيرها من النفوس التابعة لها فاستضاءت بها وتلك السنة المأخوذة من جملة انوارها الفايضة عنها على نفس
امثالها فكان للنفس المتبوعة من الاستكمال بنور الله الذي هو رأس كل هدى ما هو في قوة جميع الانوار المقتبسة عن تلك السنة ومثل ما
من الاجر والثواب مثل ما للتابعين لها من غير نقصان في اجر التابعين وهذا هو الحاصل لهم والى هذا المعنى الاشارة الواردة في الخبر ان
حسنات الظالم تنقل الى ديوان المظلوم وسيئات المظلوم تنقل الى ديوان الظالم فانك ان علمت ان السيئة والحسنة اعراض لا يمكن نقلها
من محل الى محل فليس ذلك نقلا حقيقيا بل على وجه الاستعارة كما يقال انتقلت الخلافة من فلان الى غيره وانما المقصود من نقل سيئات

[illegible]

المظلوم الى الظالم لحصول امثالها في قلب الظالم ونقل حسنات الظالم الى المظلوم لحصول امثالها في قلبه وذلك لان للطاعة تاثيرا في النفس بالنور وللمعاصي تاثيرا بالقسوة والظلمة وبانوار الطاعة تستحكم مناسبة النفس من استعدادها لقبول المعارف الالهية ومشاهدة حضرة الربوبية وبالقسوة والظلمة تستعد للبعد والحجاب عن مشاهدة الجمال الالهي فالطاعة مولدة لذة المشاهدة بواسطة الصفا والنور الذي يحدث في النفس والمعصية مولدة للحجاب بواسطة القسوة والظلمة التي تحدث فيها وبين الحسنات والسيئات تضاد وتعاقب على النفس كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقال لا تبطلوا اعمالكم وقال صلى الله عليه وآله اتبع السيئة الحسنة تمحها والالام ممحصات للذنوب ولذلك قال صلى الله عليه وآله ان الرجل ليثاب حتى بالشوكة التي تصيب رجله وقال الحدود كفارات لاهلها فالظالم يتبع شهوته بالظلم وفيه ما يقسي القلب ويسود لوح النفس فيمحو اثر النور الذي فيه من طاعته فكانه احبط طاعته والمظلوم يتألم وتنكسر شهوته وتسكن قلبه ويرجع الى الله تعم وتسكين قلبه ويرجع الى الله تعم فتنتفي عنه الظلمة والقسوة التي حصلت له من اتباع الشهوات فكان النور انتقل من قلب الظالم الى قلب المظلوم وانتقل السواد والظلمة الى قلب الظالم وذلك نقل على سبيل الاستعارة كما علمت وكما يقال انتقل ضوء الشمس من مكان الى مكان وقد تلخص من هذا التقرير ان الحسنات المنقولة الى المظلوم من ديوان الظالم وهي استعداداته لقبول الرحمة والثواب الحاصل له بسبب ظلم الظالم والسيئات المنقولة من ديوان المظلوم الى الظالم هي استعداداته بالحجب والقسوة عن قبول انوار الله والثواب والعقاب الحاصلان لهما هو ما استعدا له من تلك الانوار والظلمات واعلم ان ذلك النقل وحمل الظالم اوزار المظلوم وان كان امرا حاصلا في الدنيا الا انه لما لم ينكشف للبصاير الا في يوم القيمة لا جرم خصص بيوم القيمة وانما قال حمال وبنى فعال للمبالغة والتكثير اي لتكثيره اما بجهله واما بغيره واما الرجل الثاني فميزه بصفات أ كونه قمش جهلا وهو استعارة لفظ القمش المحسوس للجمع المعقول ب كونه موضعا في جهال الامة مطرحا ليس من اشراف الناس فيفهم من هذا الكلام انه خرج في حق شخص معين وان عممه وغيره ج كونه غادرا في اغباش الفتنة اي سائرا في اوايل ظلماتها وروي غارا اي غافلا في ظلمات الخصومات لا يهتدي لوجه تخليصها د كونه اعمى بما في عقد الصلح والمسالمة بين الناس من نظام امورهم ومصالح العالم وهو جاهل بوجوه المصالح المشتملة للفتن بينهم هـ كونه قد سماه اشباه الناس عالما وليس بعالم والواو للحال واشباه الناس الجهال واهل الضلال وهم الذين يشبهون الناس الكاملين في الصورة الحسية دون الصورة التمامية التي هي كمال العلوم والاخلاق و كونه بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر يعني من جمع منونا وغير منون اما بالتنوين فالجملة بعده صفة له واستعمل المصدر بمعنى جمع في موضع اسم المفعول اي من مجموع ويحتمل ان يكون المقصد هو المصدر نفسه واما مع الاضافة فقيل ان ما ههنا يحتاج في تمام الكلام الى تقدير مثلها متصلة بكون ما الاولى هي المضاف والثانية هي المبتدا والتقدير من جمع ما الذي قل منه خير مما كثر لكنه لما كان اظهار ما الثانية يشبه التكرار ويوجب هجنة في الكلام وكانت ما الواحدة تعطي المعنى عن المقدرة كان حذفها اولى وقيل ان المقدر المصدر وفيه انه على طريقة تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي من جمعه ما ان قل منه خير مما كثر وعني بالتكثير الاستكثار من ذلك لتنوعها وكل لعل الى جمع الشبهات والاراء التي قليلها خير من كثيرها وباطلها اكثر من حقها ز كونه اذا ارتوى من ماء آجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ولما كان الآجن صفة للماء والكمالات النفسانية التي هي العلوم كثيرا ما يعبر عنها بالماء الصافي والزلال وكان الجهل والاراء التي تحصل عليها يجمعها مع العلم جامع الاعتقاد وهي العلم داخلان تحت جنس الاعتقاد كان الماء الآجن اشبه ما يستعار لتلك الاراء التي ليست بصحيحة ولا متينة فهي تشبه الماء الآجن الذي لا غناء فيه للشارب ورشح تلك الاستعارة بذكر الارتواء وكنى به عن المشار اليها من ذلك الاستكثار وجلوسه بين الناس قاضيا ح كونه ضامنا لتخليص ما التبس على غيره اي واثق من نفسه بفصل ما يعرض بين الناس من القضايا المشكلة وضامنا خلاصا بتات او صفة الاول ط كونه اذا نزلت به احدى القضايا المبهمة الملتبسة هيأ لها حشوا ضعيفا من رأيه ثم جزم به والحشو الكلام الكثير الذي لا طائل تحته وليس جلاء لتلك المبهمة ي كونه من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت مثل للامور الواهية ووجه هذا التمثيل ان الشبهات التي تقع على ذهن مثل هذا الموصوف اذا قصد حل قضية مبهمة مبكرة فتلتبس على ذهنه وجه الحق منها فلا يهتدي له لضعف ذهنه فتلك الشبهات في الوهن تشبه نسج العنكبوت ونفسه فيها تشبه الذباب الواقع فيه فكما لا يتمكن الذباب من خلاص نفسه من شباك العنكبوت لضعفه كذلك ذهن هذا الرجل اذا وقع في الشبهات لا يخلص وجه الحق منها لقلة عقله وضعفه عن ادراك وجوه الخلاص يا انه لا يدري اصاب فيما حكم به ام اخطأ فان اصاب خاف ان يكون قد اخطأ وان اخطأ رجا ان يكون قد اصاب وخوف الخطأ ورجاء الاصابة من لوازم الحكم مع عدم الدراية يب كونه جاهلا خباط جهالات والجهالات جمع جهلة وفعله من الجهل وقد تقدم ان وزن فعال يبنى للفاعل من الامور المعتادة التي يكثر فعلها وذكر الجهل ههنا بزيادة وهي كثرة الخبط فيه وكنى بذلك عن كثرة الاغلاط التي تقع منها في القضايا والاحكام فيمشي فيها على غير طريق حق من الفوا

نسج العنكبوت

المشرقية

الشرعية وذلك معنى خبطه يج كونه عاشيا ركاب عشوات وهي اشارة الى انه لا يبصر نور الحق في ظلمات الشبهات الا على ضعف
لنقصان ضوء بصيرته فهو يمشي فيها على ما يتخيله دون ما يتحققه وكثيرا ما يكون حاله كذلك ولما كان من شأن العاشي الى الضوء
في طرق المظلمة تارة يلوح له فيمشي عليه وتارة يخفى عنه فيضل عن القصد ويمشي على الوهم والخيال كل حال السالك في طرق الدين
من غير ان يستكمل نور بصيرته بقواعد الدين ويعلم كيفية سلوك طرقه فانه تارة يكون نور الحق في المسألة ظاهرا فيدركه وتارة
يغلب عليه ظلمات الشبهات فتعمى عليه الموارد والمصادر فيبقى في الظلمة خابطا وعن القصد جائرا يد كونه لم يعض على العلم
بضرس قاطع كناية عن عدم اتقانه للقوانين الشرعية واحاطته بها يقال فلان لم يعض على الامر الذي يضرس اذا لم يحكمه واصله
ان الانسان يمضغ الشيء ثم لا يجيد مضغه فمثل من لم يحكم ما يريد يدخل فيه من الامور يه كونه يذري الروايات اذراء
الريح الهشيم ووجه التشبيه ان الريح لما كانت تذري الهشيم وهو ما تكسر من الارض ويبس فتخرجه عن حد الانتفاع به كذلك المتصفح
للروايات لما لم يهتد الى وجه العمل بها ولم يقف على الفائدة منها فهو يقف على رواية اخرى ويمشي عليها من غيرها يو انه غير
ملي باصدار ما يرد عليه اشارة الى انه ليس له قوة على اصدار الاجوبة عما يرد عليه من المسائل فهو فقير منها يز كونه لا يحسب
العلم في شيء مما انكره يقال فلان لا يحسب فلانا في شيء بالفتح من الحساب اي لا يعده شيئا ويعتبره خاليا من الكمال والفضيلة و
المراد انه ينكر العلم كما يرى انكره فهو لا يعده شيئا ولا يفرده بالحساب والاعتبار وعنى بالعلم الحقيقي الذي ينبغي ان يطلب ويجتهد في تحصيله
لا ما يعتقده الموصوف علما فانه يستحسنه ويجمعه فان كثيرا من الجهال الذي يدعي العلم بفن من الفنون قد ينكر غيره من ساير الفنون و
يشنع على معلميه ومتعلميه كاكثر الناقلين للاحكام الفقهية والمتصدين للفتوى والقضاء بين الخلق في زماننا وما قبله فانهم
يبالغون في انكار العلوم العقلية ويفتون بتحريم الخوض فيها وتكفير من يتعلمها وهم غافلون عن ان احدهم لا يستحق ان يسمى فقيها
الا ان يكون له مادة من العلم العقلي المتكفل ببيان صدق الرسول واثبات النبوة التي لا يقوم شيء من الاحكام الفقهية
التي يدعون انها كل العلم الا بعد ثبوتها وروي يحسب بكسر السين من الحسبان وهو الظن اي لا يظن العلم ذا فضيلة يجب اعتقادها
واعتبارها فهو مما انكره يح كونه لا يرى ان من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره اي انه اذا غلب على ظنه حكم في القضية جزم به
وربما كان لغيره في المسألة قول اظهر من قوله يعضده دليل فلا يعتبره ويمضي على ما بلغ فهمه اليه يط كونه ان اظلم عليه امر اكتتم
به لما يعلم من جهل نفسه وكثيرا ما يراعي قضاة السوء وعلماؤه اكتتام ما يشكل عليهم امره من المسائل والتغافل عن سماعها اذا
اوردت عليهم لئلا يظهر جهلهم بين اهل الفضل مراعاة لحفظ المناصب ك كونه تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث
نسبت الصراخ الى الدماء والعجيج الى المواريث اما على سبيل حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي اهل الدماء واولياء المواريث فيكون حقيقة
او على سبيل الاستعارة لفظ الصراخ والعج لنطق الدماء والمواريث بلسان حالها المفصح عن مقالها ووجه الاستعارة ان الصراخ والعجيج لما كانا
انما يصدر عن تظلم وشكاية وكانت الدماء المهراقة بغير حق والمواريث المستباحة بالاحكام الباطلة ناطقة بلسان حالها مفصحة بالشكاية
والتظلم لاجرم حسنت استعارة اللفظين ههنا ثم بعد ان خص الرجلين المذكورين بما ذكرناه من الاوصاف المنفردة على سبيل التفصيل
اردف ذلك بالتنفير عنهما على سبيل الجملة بما يعمهما وغيرهما من الجهال من التشكي اليه والبراءة وذلك قوله الى الله من معشر اي الى الله اشكو
كما هو في بعض النسخ والى الله ابرأ فذكر اوصافا فاولها البقاء على الجهل والعيش فيه وكنى بالعيش عن الحيوة وقابله بذكر الموت وقوله
يموتون ضلالا وصف لازم عن الوصف الاول فان من عاش جاهلا مات ضالا ثانيها قوله ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته
الى آخره اي اذا فسر الكتاب وحمل على الوجه الذي انزل اعتقدوه فاسدا وطرحوه بجهلهم عن درجة الاعتبار وعلى ذلك الوجه اذا حرف عن مواضعه
ومقاصده ونزل على حسب اغراضهم ومقاصدهم شروه على ذلك الوجه باعلى ثمن وكان من انفق السلع بينهم واستعار له لفظ السلعة
ووجه المشابهة ظ ومنشاء كل ذلك هو الجهل وكذلك ليس عندهم انكر من المعروف وذلك انه لما خالف اغراضهم ومقاصدهم اطرحوه حتى
صار لديهم منكرا ايضا يعيبون فعله ولا اعرف عن المنكر لموافقته اغراضهم ومحبتهم له لذلك واعلم انه ع قسم الناس في موضع اخر الى ثلثة اقسام
عالم ومتعلم وهمج رعاع اتباع كل ناعق والرجلان المشار اليهما بالاوصاف المذكورة ههنا ليسا من القسم الاول لكونهما على طرف الجهل المضاد
للعلم ولا من القسم الثالث لكونهما متبوعين داعيين الى اتباعهما وكون الهمج تابعين كما صرح به فتعين ان يكونا من القسم الثاني
وهم المتعلمون واذا عرفت ذلك فنقول المراد بالمتعلم هو من ترفع عن درجة الهمج من الناس بطلب العلم واكتسب هيئة شيئا من الاعتقادات
عن مخالطة من اشتهر بسمة التعلم ومطالعة الكتب ونحو ذلك ولم ينته الى درجة العلماء الذين يقتدرون على التصرف والقيام بالحجة
فاعتقاداته اما ان يكون مطابقة كلها او بعضها او غير مطابقة اصلا وعلى التقديرات فاما ان لا ينصب نفسه لشيء من المناصب
الدينية كالفتوى والقضاء ونحوهما او ينتصب لذلك فهذه اقسام ستة احدها من اعتقد اعتقادا مطابقا ولم يرشح نفسه
لشيء من المناصب الدينية الثاني من كان اعتقاده كذلك لكنه نصب نفسه الثالث من اعتقد جهلا ولم ينصب نفسه لها الرابع من

من نسخة

[illegible]

في ذم اختلاف العلماء في الفتيا

اعتقد جهلا وعبر جهل ولم ينصبه للافادة ؟ السادس من كان اعتقاده كذلك ونصب نفسه لها والقسم الاول وحده هو الخارج عن هذين الرذيلتين
باوصافهما والثاني والرابع والسادس منهم يكون الرجلان المذكوران فالاول منهما في ترتيبه هو من نصب نفسه للناس بمناصب الافادة
دون منصب القضاء والثاني هو من نصب نفسه له وانما بالغ في ذمهما ونسبتهما الى الجهل والضلال وان كان بعض اعتقاداتهما حقا
لكون القدر الذي حصلاه عليه مغمورا في ظلمة الجهل وضلالهما واضلالهما اغلب وانتشار الباطل منهما اكثر واما القسم الثالث والخامس
فداخلان فيمن يكون الى الله منهم وذمهم خيرا بالعيش في الجهل والموت على الضلال وما بعده والله اعلم بالصواب **ومن كلام له عليه السلام**
في ذم اختلاف العلماء في الفتيا ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برايه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف
قوله ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعا والههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد افامرهم
الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ام كانوا شركاء له فلهم
ان يقولوا وعليه ان يرضى ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول ما فرطنا في الكتاب
من شيء وفيه تبيان كل شيء وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وان القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات
الا به **اقول** الانيق الحسن المعجب وفي هذا الكلام تصريح بانه كان يرى ان الحق في جهة وان ليس كل مجتهد مصيبا
وهذه المسألة مما انتشر الخلاف فيها بين علماء اصول الفقه فمنهم من يرى ان كل مجتهد مصيب اذا راعى شرائط الاجتهاد وان الحق بالنسبة
الى كل واحد من المجتهدين ما ادى اليه اجتهاده وغلب على ظنه فجاز ان يكون في جهتين او جهات وعليه الامام الغزالي وجماعة من الاصوليين
ومنهم من ينكر ذلك ويرى ان الحق في جهة والمصيب له واحد وعليه اتفاق الشيعة وجماعة من غيرهم وربما فصل بعضهم والمسألة مستقصاة
في اصول الفقه واعلم ان قوله ترد على احدهم القضية الى قوله فيصوب آراءهم جميعا بيان لصورة حالهم التي ينكرها وقوله والههم واحد
وكتابهم واحد ونبيهم واحد شروع في دليل بطلان ما يراه ونبه بهذه على المقدمة الصغرى من قياس الضمير وتقدير الكبرى وكل قوم كانوا
كذلك فلا يجوز لهم ان يختلفوا في حكم شريعتهم وقوله افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه الى آخره حجة في تقرير المقدمة الكبرى اذ الصغرى
مسلمة وتقريرها ان ذلك الاختلاف اما ان يكون بامر من الله اطاعوه فيه او بنهي منه عصوه فيه او بسكوت منه عن الامرين وعلى التقدير
الثالث فجواز اختلافهم في دينه والحاجة الى ذلك اما ان يكون مع نقصانه او مع تمامه وتقصير الرسول في ادائه وعلى الوجه الاول فذلك
الاختلاف انما يجوز على احد وجهين احدهما ان يكون اتماما لذلك النقصان او على وجه من ذلك وهو كونهم شركاء في الدين فعليه
ان يرضى بما يقولون ولهم ان يقولوا لمكان الشركة ذلك فهذه وجوه ستة منحصرة الاقسام الثلاثة الاخيرة باب بحسب استقراء وجوه الحاجة
الى الاختلاف والاقسام كلها باطلة واشار الى بطلانها ببقية الكلام اما بطلان الاول فلان مستند الدين هو كتاب الله تعالى ومعلوم
انه يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فلا يتشعب عنه من الاقوال والاحكام الا ما يكون كذلك ولا شيء من اقوالهم المختلفة كذلك فلا شيء
منها بشيء مما استند الى كتاب الله فمنع القول لهم فلا يكون اقوالهم من الدين واما بطلان القسم الثاني فلان عدم جواز المعصية لله بالاختلاف
مستلزم لعدم جواز الاختلاف وهو غني عن الدليل واما بطلان الثالث وهو نقصان دين الله فلقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء
وقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء واما الرابع والخامس فظاهر البطلان فلا يمكنهم دعواهما فلذلك لم يورد في بطلانهما
حجة ثم اورد ذلك بتنبيههم على ان الكتاب واف بجميع المطالب ان تدبروا معناه ولاحظوا اسراره وتطلعوا على غوامضه فيحرم عليهم
ان يتجهوا الى قول ما لم يستند اليه وذلك في قوله ظاهره انيق حسن معجب بانواع البيان واصنافه وباطنه عميق لا ينتهي الى جواهر
اسراره الا اولو الالباب ومن ايده الله بحكمة وفصل الخطاب لا تفنى الامور المعجبة منه ولا تنقضي النكت الغريبة فيه على توارد صوارم
الاذهان وخواطر الابصار ولا تنكشف ظلمات الشبه التي تنشأ من ظلمة الجهل الا بسواطع انواره ولوامع اسراره وقد راعى في هذه القرائن
الاربع السجع المتوازي وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** قاله للاشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه
عليه السلام شيء اعترضه الاشعث فقال يا امير المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض اليه بصره ثم قال وما يدريك ما علي مما لي عليك
لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك ابن حائك منافق ابن كافر والله لقد اسرك الكفر مرة والاسلام اخرى فما فداك من واحدة منهما
مالك ولا حسبك وان امرأ دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف لحري ان يمقته الاقرب ولا يامنه الابعد قال السيد اراد بقوله
دل على قومه السيف ما جرى له مع خالد بن الوليد باليمامة فانه غر قومه ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد وكان قومه بعد ذلك يسمونه عرف
النار وهو اسم للغادر عندهم **اقول** الكلام الذي اعترضه الاشعث انه عليه السلام في خطبته ذكر امر الحكمين فقام اليه رجل من اصحابه وقال
له نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد فصفق عليه السلام باحدى يديه على الاخرى وقال هذا جزاء من ترك العقدة
اي جزاؤكم اذ وافقتكم على ما الزمتموني به من التحكيم وتركت الحزم فوجد الاشعث بذلك شبهة في تركه وجه المصلحة واتباع الاراء الباطلة

حيث

واراد الحازم فقال

في بيان خطبة خاطب الاشعث بن القيس

واراد الخاصه فقال هذه عليك لا لك وجهل او تجاهل ان وجه المصلحة فيما تركه من المقاتلة على امر اعظم منه ومصلحة اهم فانه عم لم يترك
العقدة الا خوفا من اصحابه ان يقتلوه كما سنذكره في قصتهم وقيل كان مراده هذا الجواب وكم حيث ترك الحزم فظن الاشعث هذا جزا في
فقال الكلمة والخفض مابتناء الهلاك وروي بالياء وهو الميل والتفت لبعض قوله وما يدريك ما علي مما لي اشارة الى انه جاهل و
ليس للجاهل ان يعترض عليه وهو استنا العلماء به رسول الله صلعم واما استحقاقه اللعن فلانه بحيث اعترض ولانه كونه ابن كافر بل
لكونه مع ذلك من المنافقين الذين شهد الشرع باستحقاقهم اللعن والابعاد عن رحمة الله بشهادة قوله تعم اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله و
الملئكة والناس اجمعين لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون قوله حائك بن حائك استعارة اشار بها الى نقصان
عقله وقلة استعداده لوضع الاشيا في مواضعها والتاكيد لعدم اهليته للاعتراض عليه اذ الحياكة مظنة نقصان العقل وذلك
لان ذهن الحائك غالبا متوجه الى جهة صنعته ومصبوب الفكر الى وضاع الخيوط المتفرقة وترتيبها ونظامها يحتاج الى حركة
رجليه ويديه وبالجملة فالشاهد له يعلم من حاله انه مشغول عما وراء ما هو فيه فهو ابله فيما عداه وقيل لان معاملة الحائك مع
ضعفاء العقول من النساء والصبيان ومن كانت معاملته لهؤلاء فلا شك في ضعف رأيه وقلة عقله للامور روي عن الصادق
جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال عقل اربعين معلما عقل حائك وعقل حائك عقل امرأة والمرأة لا عقل لها وعن موسى بن جعفر ع
انه قال لا تستشيروا المعلمين ولا الحوكة فان الله تعم قد سلبهم عقولهم وذلك محمول على المبالغة في نقصان عقولهم وقيل انما عيره
بهذه الصنعة لانها صنعة دنية تستلزم صغر الهمة وخستها وتشتمل على رذائل الاخلاق فانها مظنة الكذب والخيانة روي ان
رسول الله صلعم دفع الى حائك من بني النجار غزلا لينسج له صوفا فكان يمطله ويأتيه صلعم متقاضيا ويقف على بابه فيقول ردوا علينا ثوبنا
لنتجمل به في الناس ولم يزل يمطله حتى توفي صلعم وقد علمت ان الكذب رأس النفاق ومن كانت لوازم هذه الصنعة اخلاقه فليس
له ان يعترض في مثل ذلك المقام وقد اختلف في ان الاشعث هل كان حائكا او ليس فروى قوم انه كان هو وابوه ينسجان برود اليمن
وقال اخرون ان الاشعث لم يكن حائكا فانه كان من ابناء ملوك كندة واكابرها وانما عيره بذلك لانه كان اذا مشى يحرك منكبيه ويفرج
بين رجليه وهذه المشية تعرف بالحياكة يقال حاك يحيك حيكا وحياكة فهو حائك اذا مشى تلك المشية وامرأة حائكة اذا
تبخترت في مشيتها والاقرب ان ذلك له على سبيل الاستعارة وكنى بها نقصان عقله كما سبق واما قوله والله لقد اسرك الكفر مرة
والاسلام اخرى فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك فتاكيد لنقصان عقله واشارة الى انه لو كان له عقل لما حصل فيما
حصل فيه من الاسر مرتين ما فداه اي فما نجاه من الوقوع في واحدة منهما ماله ولا حسبه ولم يرد الفداء بعد الاسر فان الاشعث فدي
في الجاهلية وذلك ان مرادا لما قتلت اباه خرج ثائرا طالبا بدمه فاسر ففدى نفسه بثلثة الاف بعير ووفد على النبي صلعم في سبعين رجلا
من كندة فاسلم على يديه وذلك الاسر هو مراده عم باسر الكفر له واما اسره في الاسلام فانه لما قبض رسول الله ارتد بحضرموت ومنع اهلها
تسليم الصدقة وابى ان يبايع لابي بكر فبعث اليه زياد بن لبيد بعد رجوعه عنه وقد كان عاملا قبل ذلك على حضرموت ثم اردفه بعكرمة
بن ابي جهل في جمع عظيم من المسلمين فقاتلهم الاشعث بقبايل كندة قتالا شديدا في وقايع كثيرة وكانت الدائرة عليه فالتجاء
بقومه الى حصنهم فحصرهم زياد حصرا شديدا وبلغ بهم جهد العطش فبعث الاشعث الى زياد يطلب منه الامان لاهله ولبعض قومه وكان من غفلته
انه لم يطلب لنفسه بالتعيين فلما نزل اسره وبعث به مقيدا الى ابي بكر بالمدينة فقال يا ابا بكر ان تستبقني لحربك وتزوجني ام فروة ففعل ذلك ابو بكر
ومما يدل على عدم مراعاته لقواعد الدين انه بعد خروجه من مجلس عقده بام فروة اصلت سيفه في اسواق المدينة وعقر كل بعير رآه وذبح كل
شاة استقبلها للناس والتجأ الى دار من دور الانصار فصاح به الناس من كل جانب وقالوا قد ارتد الاشعث مرة ثانية فاشرف عليهم من السطح
وقال يا اهل المدينة اني غريب ببلدكم وقد اولمت بما نحرت وذبحت فليأكل كل انسان منكم ما وجد وليغد الي من كان له علي حق
حتى ارضيه وفعل ذلك فلم يبق دار من دور المدينة الا وقد فيها بسبب تلك الجهلة فضرب اهل المدينة به المثل فقالوا اولم من الاشعث
وفيه قال الشاعر لقد اولم الكندي يوم ملاكه وليمة حمال لثقل العظايم قوله وان امرأ دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف
لحري ان يمقته الاقرب ولا يأمنه الابعد اشارة الى غدره بقومه وذلك انه لما طلب الامان من زياد بن لبيد طلبه لنفر يسير من وجوه
قومه فظن الباقون انه اخذ الامان لجميعهم فسكنوا ونزلوا من الحصن على ذلك الظن فلما خرج الاشعث ومن طلب له الامان من قومه
دخل زياد الى الحصن فقتل المقاتلة صبرا فذكروا الامان فقال لهم ان الاشعث لم يطلب الامان الا لعشرة من قومه فقتل من قتل
منهم ثم وافا كتاب ابي بكر بالكف عنهم وحملهم اليه فحملهم وذلك معنى قوله عم دل على قومه السيف وقاد اليهم الحتف اذ قادهم الى الحرب
واسلمهم للقتل ولا شك ان من كان كذلك فحقيق ان يمقته قومه ولا يأمنه غيرهم فاما ما حكاه السيد رضي من انه اراد به حديثا كان
للاشعث مع خالد بن الوليد باليمامة وانه غر قومه ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد فلم اقف على شيء من ذلك في وقايع خالد باليمامة وحسن
الظن بالسيد يقتضي تصحيح نقله ولعل ذلك في وقعة لم اقف على اصلها واعلم انه عم نبه في هذا الفصل بجميع الرذائل النفسانية

في بيان تحقيق علم اليقين وعين اليقين

نبّه على الجهل والغباوة الذي هو طرف التفريط من الحكمة بالخيانة التي هي مظنّة لقلّة العقل واشار الى الفجور الذي هو طرف الافراط
من فضيلة العفة بكونهما نفاقا وكونهما بين كافر تاكيد لنسبة النفاق اليه واشار الى القتل وقلّة التثبت التي هي طرف التفريط
والافراط من فضيلة الشجاعة بكونه قد اسر مرّتين وكان في ذلك تنبيه ايضا اشارة الى نقصان عقله كما قلنا واشار
الى الظلم والغدر الذي هو رذيلة مقابلة لفضيلة الوفاء بقوله وان امرءا دلّ على قومه السيف وساق اليهم الحتف وباستجماعه هذه
الرذائل كان مستحقا للعن ولمّا استعار نسبة العرف للنار فلان العرف عبارة عن كل عال مرتفع والاعراف في القرآن الكريم سور
بين الجنة والنار ولما كان من شان كل مرتفع عال ان يستر ما وراءه وكان الغادر يستر بمكره وحيلته امورا كثيرة وكان هو قد
غرّ قومه بالباطل وغدر بهم صدق عليه بوجه الاستعارة لفظ عرف النار لستره عليهم ما وراءه من نار الحرب ونار الاخرة
اذ حملهم على الباطل والله اعلم **ومن خطبة له عليه السلام** فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم
وسمعتم واطعتم ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا وقريب ما يطرح الحجاب ولقد بصّرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم
وهديتم ان اهتديتم بحق اقول لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء الا
البشر **اقول** الوهل بالتحريك الفزع يقال وهل يوهل وهلا فزع واعلم ان الانسان ما دام ملتحفا بجلباب البدن فانه محجوب
بظلمة الهيئات البدنية والمعارضات الوهمية والخيالية عن مشاهدة انوار عالم الغيب والملكوت وذلك الحجاب قابل للزيادة والنقصان
والقوة والضعف والناس فيها على مراتبهم فاعظمهم حجبا واكثفهم حجابا الكفار كما اشار اليه القرآن الكريم مثلا في حجبهم او كظلمات
في بحر لجّي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض الآية فمثل الكافر كرجل وقع في بحر لجي صفته كذلك
فاشار بالبحر اللجي الى الدنيا بما فيها من الاخطار المهلكة والموج الاول موج الشهوات الداعية الى الصفات البهيمية وبالحري ان يكون
هذا الموج مظلما اذ حب الشيء يعمي ويصم والموج الثاني موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والحقد
والحسد والمباهات فبالحري ان يكون مظلما لان الغضب غول العقل وبالحري ان يكون هو الموج الاعلى لان الغضب في الاكثر مستول
على الشهوات حتى اذا هاج اذهل عنها والسحاب هو الاعتقادات الباطلة والخيالات الفاسدة التي صارت حجابا لبصيرة الكافر
عن ادراك نور الحق اذ خاصية الحجاب ان يحجب نور الشمس عن الابصار الظاهرة واذ كانت هذه كلها مظلمة فبالحري ان يكون
ظلمات بعضها فوق بعض ومما اخفهم حجبا وارقهم حجابا هم الذين بذلوا جهدهم في لزوم اوامر الله ونواهيه وبالغوا في تصفية
بواطنهم وصقال الواح نفوسهم والقاء حجب الغفلة واستار الهيئات البدنية فاشرقت عليهم شموس المعارف الالهية و
سالت الى اودية قلوبهم مياه الجود الرباني المعطي لكل قابل ما يقبله فهؤلاء وان كانوا قد بلغوا الغاية من الجهد في رفع الحجب
وغسل درن الباطل عن نفوسهم الا انهم ما داموا في هذه الابدان لم تخل نفوسهم من هيئاتها وحجب من استارها وان ضعفت
تلك الحجب ورقت تلك الاغشية وما بين هاتين المرتبتين درجات من الحجب متفاوتة ومراتب متصاعدة متنازلة بحسب تفاوتها
يكون تفاوت النفوس في الاستضاءة بانوار العلوم وقبول الانتقاش بالمعارف الالهية والوقوف على اسرار الدين وبحسب
تفاوت هذه الحجب يكون تفاوت ورود النار كما قال تعالى وان منكم الا واردها ولن يخلص الانسان من شوائب هذه الحجب وظلماتها
الا بالخلاص عن هذا البدن وطرحه وحينئذ تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تودّ لو ان بينها وبينه امدا بعيدا
فيكون مشاهدته بعين اليقين ما اعدّ لها من خير وما هو هيئ لها من شر بحسب استعدادها بما كسبت من قبل فاما قبل المفارقة
فان حجاب البدن مانع لها عن مشاهدة تلك الامور كما هي وان حصلت على اعتقاد جازم برهاني او نوع من المكاشفة الممكنة كما في حق
كثير من اولياء الله الا ان ذلك الوقوف والاطلاع يكون كالمشاهدة لا انها مشاهدة حقيقية خالصة اذ لا تنفك عن شائبة
الوهم والخيال ولذلك قال صلى الله عليه وآله حاكيا عن ربه اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله
ما اطلعتهم عليه اي دع ما اطلعتهم عليه وهو اشارة الى طور المشاهدة الخالصة عن الشوائب التي هي عين اليقين بعد الموت به
قد يسمى ما ادركه اهل المكاشفات بمكاشفاتهم في حيوتهم الدنيا عين اليقين فاما ما ادرك من دون هؤلاء لتلك الامور فما كان
منها مؤكدا بالعقول والشعور بعدم امكان النقيض فهو علم اليقين وقد يخص علم اليقين في عرف الصوفية بما يميل النفس الى التصديق
به ويغلب عليها ويستولي حتى يصير هو الحاكم المتصرف فيها بالترخيص والمنع فيقال فلان ضعيف اليقين بالموت اذ لم يجزم بالاستعداد له
فكانه غير موقن به مع انه لا يتطرق اليه شك وقوي اليقين به اذا غلب ذلك على قلبه حتى استغرق همته بالتهيؤ له اذا عرفت ذلك
فاعلم ان قوله عليه السلام فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم شرطية متصلة نبه فيها على ان ورائهم من اهوال الاخرة
وعذابها مما شاهده من سبق منهم الى الاخرة ما لا يشاهدونه الان بعين وان علموه يقينا وبين فيها لزوم جزعهم وفزعهم وقيامهم
طاعتهم لداعي الله على تقدير مشاهدتهم بعين اليقين لتلك الامور وصدق الملازمة ههنا شهد البرهان بصحتها واشار التنزيل

بين مع

اه افي

الاهي الى حقيقتها وذلك قوله تعالى ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وذلك مقتضى شدة دهشتهم لاهوال الاخرة و
جزعهم من تلك الاحوال المشاهدة فيجيبهم لسان القدرة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير قوله لكن
محجوب عنكم ما قد عاينوا استثناء للملزوم نقيض تالي هذه المتصلة اذ حجب تلك الاحوال عن ابصارهم مستلزم لعدم فزعهم وجزعهم
وهو في صورة اعتذار منهم نطق به لسان حالهم قوله وقريب ما يطرح الحجاب ما مصدرية في موضع رفع بالابتداء وقريب خبره وهو
اشارة الى تخويف لذلك العذر وفي صورة التهديد لهم ان جعلوا ذلك الحجاب عذرا في التقصير عن العمل فانه عما قليل يرفع حجب
الابدان عن العوالم الغيبية واهوال يوم الطامة وتكشط سماء اغطيتها من بصائر النفوس فتشاهد الجحيم قد سعرت والجنة قد ازلفت
واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت وكما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
قوله ولقد بصرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم وهديتم ان اهتديتم اشارة الى ما يشبه جوابا ثانيا عن صورة العذر بلسان حالهم وهو
وجود الحجاب المانع عن مشاهدة ما يوجب الجزع والفزع وذلك ان الحجاب ان كان قائما الان وساترا لتلك الامور عنكم فقد بصرتم
بها واوضحت لكم بالعبر والامثال على السنة الرسل عليهم السلام واسمعتم اياها في الكتب الالهية والسنن النبوية وهديتم عليها بالادلة
الواضحة والحجج القاطعة بحيث صارت كالمشاهدة لكم والمعلومة عيانا لا شك فيها فلا عذر لكم بالحجاب وتخصيص السمع والبصر بالذكر
لانهما الالتان اللتان عليهما مدار الاعتبار بامور الاخرة واشار بالهداية الى حظ العقل من غير نظر الى الرؤية ما برادا ان الشرطية
في المواضع الثلثة على انه يجب لتلك ابصارهم بما بصروا به وسماعهم لما اسمعوا واهتداءهم بما هدوا به وكل ذلك تنبيه لهم على القرار
على كثرة الغفلة وتنبيه على الرجوع الى الله تعالى بالنظر والاعتبار وقوله بحق اقول لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر لما قدم انهم بصروا واسمعوا
اردف ذلك ببيان ما بصروا به واسمعوا الى ما بصروا به بمجاهرة العبر بالمصائب النازلة بهم وبمن خلا قبلهم من القرون والى ما اسمعوا
به بالزجر بما فيه مزدجر وهي النواهي المؤكدة المردفة بالوعيدات الهائلة والعقوبات الحاضرة التي في قلبها ازدجار لذوي الالباب كما
قال تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر وقوله وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء الا البشر اشارة الى
انه ليس في الامكان ابدا ما جذبتم به الى الله تعالى على السنة رسله طريق اخرى تدعون بها اذ ما يمكن دعوتكم بعين الوعد والوعيد و
الامثال والتذكير بالعبر اللاحقة لقوم حقت عليهم كلمة العذاب ونحو ذلك لا يمكن ايضاحه لكم مشاهدة الا على السنة الرسل البشر
عليهم السلام فلا يمكن ان يبلغ اليكم رسالات ربكم بعد رسل السماء التي هي الملائكة الا الامام فينبغي ان يكون ذلك مزاحا لكم في الالتفات
الى الله **ومن خطبة له عليه السلام** فان الغاية امامكم وان وراءكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم اخركم
قال السيد رض واقول ان هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وكلام رسول الله صلعم بكل كلام لمال به راجحا وبرز عليه سابقا فاما قوله تخففوا
تلحقوا فما سمع كلام اقل منه مسموعا ولا اكثر محصولا وما ابعد غورها من كلمة وانفع نطفتها من حكمة وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم
قدرها وشرف جوهرها **اقول** لا شك ان هذه الكلمات اليسيرة قد جمعت وجازة الالفاظ وجزالة المعنى المشتمل على الموعظة الحسنة و
الحكمة البالغة وهي اربع كلمات **الاولى** ان الغاية امامكم واعلم انه لما كانت الغاية من وجود الخلق ان يكونوا عبادا لله كما قال تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكان المقصود من العبادة انما هو الوصول الى جناب عزته والطيران في حظائر القدس باجنحة الكمال مع
الملائكة المقربين وكان ذلك هو غاية الانسان المطلوبة منه والمقصودة له والمأمور بالتوجه اليها بوجهه الحقيقي فان سعى لها سعيها ادركها و
فاز بحلول جنات النعيم وان قصر في طلبها وانحرف سواء الصراط الموصل اليها وقد علمت ان ابواب جهنم من جنبتي الصراط معترضة كان فيها
من الهاوين وكانت غايته فدخلها مع الداخلين فاذن ظهر ان غاية كل انسان امامه اليها يسير وبها يصير **الثانية** قوله وان وراءكم الساعة
تحدوكم والمراد بالساعة القيامة الصغرى وهي ضرورة الموت فاما كونها وراءهم فلان الانسان لما كان بطبعه ينفر من الموت ويهرب منه وكان
العادة في الهارب من الشيء ان يكون وراءه مهروب منه وكان الموت متأخرا عن وجود الانسان فاخرا ومخوفا عقليا اشبه المهروب منه
المتأخر اللاحق هربا ومتأخرا ومخوفا حسيا فلاجرم استعير لفظ الجهة المحسوسة وهي الوراء واما كونها تحدوهم فلان الحادي لما كان من شأنه
سوق الابل بالحداء وكان تذكر الموت وسماع نوادبه مقلقا ومزعجا للنفوس الى استعداد الامور الاخرة والاهبة للقاء الله سبحانه فهو يحملها
على قطع عقبات طريق الاخرة كما يحمل الحادي الابل على قطع الطريق المبعدة الوعرة لاجرم اشبه الحادي فاسند الحداء اليه **الثالثة** قوله
تخففوا تلحقوا ولما نبههم بكون الغاية امامهم وان الساعة تحدوهم في سفر واجب كان السابق الى الغاية من ذلك السفر هو الفائز برضوان
الله وقد علمت ان التخفيف وقطع العلائق في الاسفار سبب للسبق والفوز بلحوق السابقين لاجرم امرهم بالتخفيف لغاية اللحوق في كلمتين
فالاولى منهما قوله تخففوا وكنى بهذا الامر عن الزهد الحقيقي الذي هو اقوى اسباب السلوك الى الله سبحانه فهو عبارة عن حذف كل شاغل عن
على التوجه الى القبلة الحقيقية والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها كل ما سوى الحق الاول عن سنن الايثار فان ذلك تخفيف لاثقال
الاوزار المانعة عن الصعود في درجات الابرار والموجبة لحلول دار البوار وهي كناية باللفظ المستعار وهذا الامر في معنى الشرط والثانية قوله

في بيان خطبة خطبها حين بلغه أن طلحة والزبير خلعا بيعته

تلحقوا وهو جزاء الشرط اي ان تخففوا تلحقوا والمراد بدرجات السابقين الذين هم اولياء الله وانوا صلون الى ساحل عزته وملانعم هذه الشرطية قد علمت
بيانها فان الجود الالهي لا بخل فيه ولا نقص من جهته والزهد الحقيقي اقوى اسباب السلوك الى الله كما سبق فاذا استعدت النفس بالاعراض عما
سوى الحق سبحانه وتوجهت الى استشراق انوار كبريائه فلا بدّ ان يفاض عليها ما تقبله من الصورة التامية فيلحق بدرجة السابقين
ويتصل بساحل العزة في مقام امين ثم ابتغوا فانما ينتظر باولكم آخركم اي انما ينتظر بالبعث الاكبر والقيمة الكبرى للذين ماتوا اولا
لحوق الذين بقوا بعدهم والعزة فيه لقطع التطف وهو الماء الصافي الحكمة وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلام** الا وان الشيطان قد ذمّر حزبه
واستجلب جلبه ليعود الجور الى اوطانه ويرجع الباطل الى نصابه والله ما انكروا عليّ منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون
حقا تركوه ودما هم سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما التبعة الا قبلهم وان اعظم
حجتهم لعلى انفسهم يرتضعون اما قد فطمت ويحيون بدعة قد اميتت يا خيبة الداعي من دعا والى ما اجيب واني لراض بحجة
الله عليهم وعلمه فان ابوا اعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من الباطل وناصرا للحق ومن العجب بعثتهم الي ان ابرز للطعان
وان اصبر للجلاد هبلتهم الهبول لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب واني لعلى يقين من ربي وغير شبهة من ديني

اقول اكثر هذا الفصل من الخطبة التي ذكرنا انه عليه السلام خطبها حين بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وفيه زيادة ونقصان وقد اورد السيد
بعضه فيما قبل وان كان قد نبه في خطبة على سبب التكرار والاختلاف بالزيادة والنقصان ونحن نورد الخطبة بتمامها ليتضح المقصود وهي بعد
حمد الله والثناء عليه والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وآله ايها الناس ان الله افترض الجهاد فعظمه وجعله نصرته وناصره والله ما صلحت دنيا ولا دين
الا به وقد جمع الشيطان حزبه واستجلب خيله ومن اطاعه ليعود له دينه وسنته وخدعه وقد رايت امورا قد تمخضت والله ما انكروا عليّ منكرا
ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا تركوه ودما سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني
فما التبعة الا قبلهم وان اول عدلهم لعلى انفسهم ولا اعتذر مما فعلت ولا اتبرأ مما صنعت وان معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس عليّ وانها
للفئة الباغية فيها الحم والحمة طالت جلبتها وانكفت جونتها ليعودن الباطل في نصابه يا خيبة الداعي من دعا لو قيل ما انكر في ذلك وما
امامه وفيمن سنته والله اذن لزاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه وما اظن الطريق له فيه واضح حيث نهج والله ما تاب من قتلوه قبل موته
ولا تنصل من خطيئته وما اعتذر اليهم فعذروه ولا دعا فنصروا وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا يعبون
حسوة ابدا وانها لطيبة نفسي بحجة الله عليهم وعلمه فيهم واني داعيهم فمعذر اليهم فان تابوا وقبلوا واجابوا واتابوا فالتوبة مبذولة
والحق مقبول ولنا على كفيل وان ابوا اعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من باطل وناصرا للمؤمن ومع كل صحيفة شاهدها وكاتبها والله
ان الزبير وطلحة وعائشة ليعلمون اني على الحق وهم مبطلون ذمّر مخففا ومشددا اي حث والجلب الجماعة من الناس وغيرهم يجمع ويؤلف
وتمخضت تحركت والنصف بكسر النون وسكون الصاد النصفة وهي الاسم من الانصاف والتبعة ما يلحق الانسان من درك والحم بفتح الحاء و
تشديد الميم بقية الالية التي اذيبت واخذ دهنها والحمة السواد وهما استعارتان للارذال من الناس وعوامهم والجلبة الاصوات وجونتها بالضم
سوادها وانكفت واستكفت اي استدارت وزاح وانزاح تنحى والنصاب الاصل ومنصل من الذنب تبرأ منه والعب الشرب من غير مص والحسو
بضم الحاء قدر ما يحسى مرة والجلاد المضاربة بالسيف والهبول الثكلى والهبل الثكل واعلم انه عليه السلام نبّه اولا على فضل الجهاد لان غرضه استنفارهم
لقتال اهل البصرة فاشار اولا الى وجوبه من الله تعالى والكتاب العزيز مشحون بذلك كقوله تعالى وجاهدوا في سبيل الله باموالكم وانفسكم ونحوه
ثم ارغب بذكر تفضيل الله تعالى له وذلك كقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم
فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات
منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ثم بذكر ان الله جعله نصرة له وناصرا وذلك كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم والمراد نصرة
دين الله وعباده الصالحين اذ هو الغني المطلق الذي لا حاجة به الى معين وظهيره ثم بالقسم البار انه ما صلحت دنيا ولا دين الا به اما
صلاح الدنيا به فلانه لولا الجهاد في سبيل الله ودفعا وقمع اهل الغلبة لخربت الارض والبلاد كما قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين واما صلاح الدين فظاهر انه انما يكون بمجاهدة اعداء دين الله الساعين في هدم
قواعده فاما قوله وقد ذمّر الشيطان حزبه واستجلب خيله ومن اطاعه فقد سبق بيانه وقوله وقد رايت امورا قد تمخضت اشارة الى تعيين ما
بينهم اليه وتلك الامور هي ما يحدث من مخالفة القوم واهتمامهم لقتاله قوله والله ما انكروا منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم الى
قوله سفكوه اشارة الى انكار ما ادعوه منكرا ونسبوه اليه من قتل عثمان والسكوت عن النكير على قاتليه فانكرا ولا انكارهم عليه تخلفه
عن عثمان الذي زعموا انه منكر ولما لم يكن منكرا كما ستعلم ذلك كان الانكار عليه هو المنكر واشار بقوله ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا
الى انهم لو انصفوا العدل بينهم وبينه لظهر ان دعواهم باطلة وقوله وانهم ليطلبون حقا هم تركوه ودما هم سفكوه اشارة الى طلبهم
دم عثمان مع كونهم شركاء فيه روى ابو جعفر الطبري في تاريخه ان عليا كان في ماله بخيبر لما اراد الناس حصر عثمان فقدم المدينة

فيها خطبة خطبها حين بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته

ج ٩

والناس مجتمعون على طلحة في داره فبعث عثمن اليه يشكوا امر طلحة فقال ع انا اكفيكم فانطلق الى دار طلحة وهي مملوة بالناس فقال له يا طلحة
حتى بيني وبين وحده فسرّ عثمن بذلك وجاء طلحة الى عثمن فقال له يا امير المؤمنين اني اردت امرا فحال الله بيني وبينه وقد جئتك تائبا فقال
والله ما جئت تائبا ولكن جئت مغلوبا الله حسيبك يا طلحة وروى ابو جعفر ايضا انه كان لعثمن على طلحة بن عبيد الله خمسون الفا فقال له طلحة
معونة على مروتك فلما حصر عثمن قال علي ع انشدك الله الا كففت عن عثمان فقال لا والله حتى تعطوا بني امية الحق من انفسها فكان
علي ع يقول لحا الله ابن الصعبة اعطاه عثمن ما اعطى وفعل به ما فعل وروى ان الزبير لما برز لعلي ع يوم الجمل قال له ما حملك يا عبد الله
على ما صنعت قال اطلب بدم عثمن فقال له انت وطلحة وليتماه وانما توبتك من ذلك ان تقدم نفسك وتسلمها الى ورثته وبالجملة فدخولهم
في قتل عثمن ظ وهذه مقدمة من الحجة عليهم وقوله فان كنت شريكهم فيه فان لهم نصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما التبعة الا قبلهم تمام
للحجة وتقريرها انهم دخلوا في دم عثمن وكل من دخل فيه فاما بالشركة او بالاستقلال وعلى التقديرين فليس لهم ان يطلبوا به ولو اشار
الى القسم الاول بقوله فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه اي على تقدير كونهم شركائي في ذلك فعليهم ان يبدءوا بتسليمهم انفسهم
الى وليائه واشار الى الثاني بقوله وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم وقوله وان اول عدلهم للحكم على انفسهم زيادة تقرير للحجة اي
ان العدل الذي يزعمون انهم يقيمونه في الدم المطلوب ينبغي ان يصنعوه اولا على انفسهم وقوله ولا اعتذرت مما فعلت ولا ابرؤا بما صنعت اي ان
الاعتزال الذي فعلته في وقت قتل عثمن لم يكن على وجه تقصير في الدين يوجب الاعتذار والتبرؤ منه فاعتذروا وتبرؤا كما سيأتي
وجه ذلك ان شاء الله وقوله وان معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس علي تقدم بيانه وقوله وانها للفئة الباغية فيها الحم والحمة استعارتان
اللفظين لاسقاط الناس واراذلهم الذين جمعوا لقتاله ووجه الاستعارة مشابهتهم الالية وما اسود منها في قلة المنفعة والخير
قوله طالت جبلتها اي ارتفعت اصواتهم بها وهي كناية عما ظهر من القوم من تهديدهم وتوعدهم بالقتال وقوله وامكنت حوتها
اي اسند ارسواد ها واجتمع وهو كناية ايضا عن مجمع جماعتهم لما يقصدونه وقوله يرتضعون اما قد فطمت استعار لفظ الام
عليه السلم او للخلافة من بيت المال لبنها والمسلمون اولادها المرتضعون وكنى بارتضاعهم لها وقد فطمت عن التماسهم منه
من الصلات التي كانوا يعتادونها والتفضيلات مثل ما كان عثمن يصلهم به ويفضل بعضهم على بعض ومنعهم من ذلك وقوله ويحيون بدعة قد
اميتت اشارة الى ذلك التفضيل فانه كان بخلاف سنة رسول الله ص وسنة الشيخين والبدعة مقابلة للسنة واماتتها تركه
عليه السلم في ولايته وقوله يعودون الباطل الى نصابه توعد لهم بعود ما كانوا عليه من الباطل في الجاهلية واستنفار للناس
الى القتال وقوله يا خيبة الداعي من دعي تعجب مخرج التعجب من عظم خيبة الدعاة الى قتاله ومن دعا والى ما اجيب استفهام على سبيل
الاستحقار للمدعوين لقتاله والناصرين اذا كانوا عوام الناس ورعاعهم وللمدعو اليه وهو الباطل الذي دعوا النصرته وقوله
لو قيل ما انكر لذلك وما امره وفيمن سنته اذا لزاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه متصلة معنا ها لو سائل سائل مجادلا لهؤلاء
الدعاة الى الباطل عما انكروه من امري وعن امامهم الذي به يقتدون وفيمن سنتهم التي اليها يرجعون لشهد لسان حالهم
ما اني انا امامهم وفي سنتهم فانزاح باطلهم الذي تو ابدوا نقطع لسانه واستعمال لفظ اللسان هيهنا حقيقة على تقدير حذف
المضاف اي انقطع لسان صاحبه عن الجواب به وتكون الاستعارة في لفظ الانقطاع للسكوت او مجازا في العبارة عن الباطل والتكلم
به اي انقطع الجواب الباطل وقوله وما اظن الطريق له فيه واضح حيث نهج الجملة عطف على قوله وانقطع لسانه وواضح مبتدء وحيث
والجملة في موضع النصب مفعول ثاني لاظن اي وما اظن لو سال السائل عن ذلك ان الطريق الذي يركبه المجيب له فيه مجال بين
ومسلك واضح حيث سلك بل كيف توجه في الجواب انقطع وقوله والله ما طاب من قتلوه الى قوله فنصروه اشارة الى عثمن وذم
لهم من جهة طلبهم بدم من انفسهم الذين قبل موته فلم يعذروه ودعاهم الى نصرته في حصاره فلم ينصروه مع تمكنهم من ذلك وقوله وايم الله
لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه بري قد تقدم تفسيره وقوله ولا يعبون حسوه ابدا كناية عن عدم تمكينهم من هذا
الامر او شيء منه كما تقول لخصمك في شيء والله لا تذوق منه ولا تشرب منه جرعة وقوله انها لطيبة نفسي بحجة الله عليهم وعلمه
فيهم نفسي منصوب بدلا من الضمير المتصل بان او بأضمار فعل تفسير اله وحجة الله اشارة الى وامر الله الصادرة بقتال الفئة الباغية
كقوله تعالى فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله وكذلك كل امر لله او نهي عصى فيه فهو حجة للحق وكل
حجة للحق فهي حجة لله اي اني راض بقيام حجة الله عليهم وعلمه بما يصنعون واي رضى للعاقل تم وطيبة نفس اعظم من كونه لازما للحق
وكون خصمه على الباطل خارجا من طاعة الله وهو القايم على كل نفس بما كسبت وقوله واني داعيهم فمعذر الى قوله وناصر المؤمن واضح
بين وقوله وليس على كفيل اي لا الحاح فيما ابذله لهم من النصح والامان على تقدير انابتهم الى الضامن وشافيا وناصرا منصوبان
على التمييز وقوله ومع كل صحيفة شاهدها وكاتبها الواو للحال اي انهم ان لم يرجعوا اعطيتهم حد السيف والملئكة الكرام الكاتبون
الذين يعلمون ما يفعل يكتب كل منهم اعمال من وكل به في صحيفته ويشهد بها في محفل القيمة وقوله ومن العجب بعثهم الى ان ابرز للطعان

وان اصبر للجلاد تعجب من تهدده له بذلك مع علمهم بحاله في الشجاعة والحرب والصبر على المكاره وهو محل الاستهزاء والتعجب منهم وقوله
هبلتهم الهبول اى ثكلتهم الثواكل وهي من الكلمات التي تدعو بها العرب وقوله لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب
اى من حيث ما كنت كذلك وقوله واني لعلى يقين من ربي وفي غير شبهة من امري تاكيد لقوته على الحرب واقدامه على الجلاد ويجذب
القلوب السامعين الى الثقة بانه على بينة من الله وبصيرة في متابعته على القتال
والحرب فان الموقن بانه على الحق ناصر لله ذاب عن دينه غار عن غبار الشبه
الباطلة في وجه يقينه يكون اشد صبرا واقوى جلادا واثبت في
المكاره ممن لا يكون كذلك فيقدم على القتال لشبهة عطفت
على عين بصيرته او هوى لزخرف الدنيا وباطلها
قاده الى ذلك وبالله التوفيق هذا اخر
المجلد الاول ويتلوه اول المجلد الثاني
من هذا الكتاب

وبه نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر الى كل نفس بما قسم لها من زيادة
او نقصان فاذا راى احدكم لاخيه غفيرة في اهل او مال او نفس فلا تكونن له فتنة فان المرء المسلم ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع
لها اذا ذكرت ويغرى بها لئام الناس كان كالفالج الياسر الذي ينتظر اول فوزة من قداحه توجب له المغنم ويرفع عنه بها المغرم
وكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله احدى الحسنيين اما داعي الله فما عند الله خير له واما رزق الله فاذا هو ذو
اهل ومال ومعه دينه وحسبه ان المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الاخرة وقد يجمعهما الله لاقوام فاحذروا
من الله ما حذركم من نفسه واخشوه خشية ليست بتعذير واعملوا في غير رياء ولا سمعة فانه من يعمل لغير الله يكله الله
الى من عمل له نسال الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الانبياء ايها الناس انه لا يستغني الرجل وان كان
ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بايديهم والسنتهم وهم اعظم الناس حيطة من ورائه والمهم لشعثه واعطفهم عليه
عند نازلة ان نزلت به ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه غيره **اقول** الغفيرة والكثرة
والزيادة وروي عفوة بكسر العين وعفوة كل شيء صفوته ويغرى يغرى بالامر اذا ولع به واغريته به اذا حثثته له والدخول فيه و
الفالج الفائز والياسر اللاعب بالميسر وسنذكر كيفيته والقداح سهام الميسر التي يلعب بها والتعذير اظهار العذر ممن لا عذر له في
الحقيقة وعشيرة الرجل قبيلته والمعاشرون له والحيطة بالكسر الحفظ والرعاية واللم الجمع والشعث تفرق الامر وانتشاره واعلم ان
مدار هذا الفصل على تاديب الفقراء بترك الحسد ونحوه وعلى تاديب الاغنياء بالشفقة على الفقراء ومواساتهم بالفضل
من المال وتزهيد الجميع في الدنيا فقوله اما بعد فان الامر ينزل الى قوله او نقصان صدر الخطبة اورده ليبني عليه غرضه وحاصله الاشارة
الى ان كل ما يحدث من زيادة او نقصان ويتجدد فيما يكون به صلاح حال الخلق في معاشهم ومعادهم من صحة او مال او علم او جاه
او اهل فانه صادر عن القسمة الربانية المكتوبة بقلم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ الذي هو خزانة كل شيء والمراد بالامر حكم القدرة
الالهية على الممكنات بالوجود وهو المعبر عنه بقوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه الاية وبنزوله نسبة حصوله الى كل نفس بما قسم لها وهي
النسبة المسماة بالقدر وهي قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم والمراد بالسماء سماء الجود الالهي وبالارض
عالم الكون والفساد على سبيل استعارة هذين اللفظين للمعنيين المعقولين من المحسوسين ووجه الاستعارة في الموضعين مشاركة
المعنيين المذكورين السماء والارض في معنى العلو والاستفال كل بالنسبة الى الاخر وانما لم تكن الحقيقة مرادة لان الامر الالهي
ليس له عن جهة هي مبدء نزوله والا لكان الالهي في جهة تعالى الله عن ذلك ويحتمل ان يراد حقيقة السماء والارض على معنى ان الحركات

عفوة خ د

البريء من الخيانة خ د

الفلكية لما كانت شرائط معدة يحصل بواسطتها ما يحدث في الارض كانت السماء مبادي على بعض الوجوه لنزول الامر فاما تشبيهه بقطر
المطر فوجه التشبيه ان حصول الرزق والاهل ونحوهما لكل نفس وقسمها منها مختلف بالزيادة والنقصان كما ان قطر المطر بالقياس
الى كل واحدة من البقاع كذلك وهو تشبيه المعقول بالمحسوس وقوله فاذا راى احدكم لاخيه المسلم غفيرة في اهل او مال او نفس فلا
تكونن له فتنة شروع في تأديب من حصل في حقه النقصان في احد الامور المذكورة بالنهي لهم عن الافتتان بحال من حصلت له الزيادة
والنفاسة في احدها من المال والاهل والنفس قال بعض الشارحين المراد بالنهي عن الفتنة ههنا النهي عن الحسد والتحقيق ان يقال
ان الفتنة هي الضلال عن الحق بمحبة امر ما من الامور الباطلة والاشتغال به عما هو الواجب من سلوك سبيل الله ولما كان الفقراء
من احد الامور المذكورة بالنسبة الى من عرضت له الزيادة في احدها منهم من يوقع نفسه لتلك الزيادة فيرى انه احق بها ممن عرضت فيعرض
له ان يحسده او يرى انه يستحق مثلها فيعرض له ان يغبطه ومنهم من يقصر نفسه عن ذلك لكن يميل بطبعه الى خدمة من له تلك الزيادة
وينجذب بكليته الى موالاته ككثير من الفقراء الذين يميلون بطباعهم الى خدمة الاغنياء ويخلصون لهم تبعهم لا لامر سوى ما حصلوا
عليه من مال او جاه او نحو ذلك ولعل ذلك لغاية يتوهمها توهم الانتفاع بهم مما حصلوا عليه وكانت هذه الامور ونحوها اعني الحسد
والغبطة والميل اليهم لاجل ما حصلوا عليه من الزيادة في احد الامور المذكورة رذائل اخلاق مشغلة عن التوجه الى الله تعالى ومقبلة
عن سواء السبيل كان المنهي عنه في الحقيقة هو الضلال باحد الرذائل المذكورة وهو المراد بلفظ الفتنة ههنا وقوله فان المرء المسلم
الى قوله ستة دينه اقول اعراب هذا الفصل ان ما ههنا بمعنى المدة وكالفالج خبران وتظهر صفة لدناءة وقوله فيخشع ان حملنا
الخشوع على المعنى اللغوي وهو خفض الطرف مثلا والتطامن كان عطفا على يظهر وان حملناه على المعنى العرفي وهو الخضوع لله والخشية
منه فالفاء للابتداء والياسر صفة للفالج واذا للمفاجاة اذا عرفت ذلك فاعلم انه عم لما نهى عن الفتنة باحد الامور المذكورة او التعلق
بها اراد ان ينبه على فضيلة الانتهاء عنها او فنبه على كونه دناءة بقوله ما لم يغش دناءة ثم عقب بالتنفير عن الدناءة والترغيب في التنزه
عنها بما ذكره ومعناه ان المسلم مهما لم يرتكب امرا خسيسا ينطبه عنه فيكتسب نفسا خلقا رديا ويلومه بارتكابه الجهال من ذكره بين الخلق
اذا ذكر والحياء من التعيير به ويغرى به لئام الناس وعوامهم في فعل مثله وفي هتك ستره فانه يشبه الفالج الياسر هذا ان حملنا
الخشوع على معناه اللغوي وان حملناه على المعنى العرفي الشرعي كان المراد انه ما لم يغش دناءة فيخشع لها بل اي يخشع لله ويخضع لها عند ذكرها
ويضرع اليه هربا من الوقوع في مثلها وخوفا من وعيده على المعاصي يكون كالفالج فلنشر اولا الى كيفية اللعب المسمى بالميسر ليتضح به
وجه التشبيه فنقول ان الخشبات المسماة قداحا هي التي كانت لايسار الجزور سبعة اولها الفذ بالذال المعجمة وفيه فرض واحد
ثانيها التوام وفيه فرضان وثالثها الضريب بالضاد المعجمة وفيه ثلثة فروض ورابعها الحلس بكسر الحاء ونقل احمد بن فارس في المجمل الحلس
بفتح الحاء وكسر اللام وفيه اربعة فروض وخامسها النافس وفيه خمسة فروض وسادسها المسبل وهي ستة فروض وسابعها المعلى و
له سبعة فروض وليس بعدها قدح فيه شيء من الفروض الا انهم يدخلون مع هذه السبعة اربعة اخرى تسمى اوغادا لا فروض فيها
وانما تثقل بها القداح واسماؤها المصدر ثم المضعف ثم المنيح ثم السفيح فاذا اجتمع ايسار الحي اخذ كل منهم قدحا وكتب عليه اسمه
او علم بعلامة ثم اتوا بجزور فنحرها صاحبها ويقسمها عشرة اجزاء على الوركين والفخذين والعجز والكاهل والزور والملحاء والكتفين
ثم يعمد الى الطفاطف وخرز الرقبة فيقسمها على تلك الاجزاء بالسوية فاذا استوت وبقي منها عظم او بضعة لحم انتظر بها الجازر من اراده
ممن يفوز قدحه فان اخذه عير به والا فهو للجازر ثم يؤتى برجل معروف انه لم ياكل لحما قط بثمن الا ان يصيبه عند غيره ويسمى الحرضة
فيجعل على يديه ثوب ويعصب عينيه من صاحبه بعصابة كيلا يجد مس الفروض ثم يدفع اليه القداح ويقوم خلفه رجل يقال له الرقيب
فيدفع اليه قدحا قدحا منها من غير ان ينظر اليها فمن خرج قدحه اخذ من اجزاء الجزور بعدد الفروض التي في قدحه ومن لم يخرج
قدحه حتى استوفيت اجزاء الجزور غرم بعدد فروض قدحه كاجزاء تلك الجزور من جزور اخرى لصاحب الجزور الذي نحرها فان اتفق
ان خرج المعلى اولا فاخذ صاحبه سبعة اجزاء من الجزور ثم خرج المسبل فلم يجد صاحبه الا ثلثة اجزاء اخذها وغرم لمن لم يخرج قدحه
ثلثة اجزاء من جزور اخرى واما القداح الاربعة الاوغاد فليس في خروج احدها غنم ولا في عدم خروجه غرم والمنقول عن الايسار انهم
كانوا يحرمون ذلك اللحم على انفسهم ويعدونه للضيفان فاذا عرفت ذلك فاعلم ان وجه الشبه هو ما ذكره عم وذلك ان الفالج الياسر
الذي ينتظر فوز قدح من قداحه او جملة فوزه المغنم وينفى عنه المغرم فكذلك المسلم البريء من الخيانة الضابط لنفسه عن ارتكاب
ما نهى الله لما كان لا بد له في انتظاره لرحمة الله وصبره عن معصيته ان يفوز باحدى الحسنيين وهو اما ان يدعوه الله اليه بالقبض
عن الشقاء في هذه الدار فما عند الله مما اعد لاوليائه الابرار خير له فيفوز اذن بالنعيم المقيم ولما كان فوزه مستلزما لعدم
خسرانه ظهر حسن تشبيهه بالياسر الفالج في فوزه المستلزم لعدم غرمه ويحتمل ان يريد بداعي الله لا الموت بل الجواذب الالهية والخواطر
الربانية التي تشغله فيجذبه الى طرف الزهد الحقيقي والالتفات عن خساس هذه الدار الى ما وعد به المتقون واما ان يفتح الله عليه

ابواب رزقه مصبح وقد جمع الله له بين المال والبنين مع حفظ الحسب والدين من فوز الفوز العظيم ويامن العقاب الاليم فالتشبيه اليه فيهما وافي

ونعم وكلا او ... بين افضل عند العاقل من الفتنة بالغير والالتفات عن الله ثم وقد يقيس اوح النفس برذايل الاخلاق من الحسد ونحوه كما

ان الفضل مستلزم للنهي عن الحسد ونحوه من الفتن المضلة كذلك هو مستلزم للامر بالصبر على بلاء الله وانتظار رحمته **قوله** ان المال والبنين

حرث الدنيا الى قوله لاقوام **اقول** لما بين فيما سبق من التشبيه وغيره ان تارك الرذايل المذكورة ونحوها المنتظر الحسنى من الله فاز زاد في

ذلك لمزيد التنبيه على تحقير المقتضيات التي ينشأ من التنافس فيها الرذايل المذكورة فذكر اعظمها واهمها عند الناس وهو المال والبنون

فانهما اعظم الاسباب الموجبة لصلاح الحال في الحيوة الدنيا واشرف القنيات الحاضرة كما قال تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ونبه

على تحقيرهما بالنسبة الى العمل بكونهما من حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الاخرة والمقدمة الاولى من هذا الاحتجاج صغرى ضمير تقدير

كبراه وحرث الدنيا حقير عند حرث الاخرة فينتج ان المال والبنين حقيران بالنسبة الى حرث الاخرة وقد ثبت في المقدمة الثانية ان

حرث الاخرة هو العمل الصالح فاذن المال والبنون حقيران بالنسبة الى العمل الصالح اما المقدمة الاولى فظاهرة اذ لا حصول للمال

والبنين في غير الدنيا واما بيان الثانية فمن وجهين احدهما قوله تعالى وما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل وظاهر انه لا يريد قلته

الكمية بل المراد حقارته بالنسبة الى متاع الاخرة ولذاتها الثاني ان حرث الدنيا من الامور الفانية وحرث الاخرة من الامور الباقية

الموجبة للسعادة الابدية والفانيات الطالحات ظاهرة الحقارة بالنسبة الى الباقيات الصالحات كما قال تعالى والباقيات الصالحات

خير عند ربك ثوابا وخير املا ثم نبه السامعين بقوله وقد يجمعهما الله لاقوام على وجوب الالتفات الى الله تعالى والتوكل عليه وذلك

ان الجمع بين حرث الدنيا والاخرة لما كان في طباع كل عاقل يطلب الطلب تحصيله وكان حصوله انما هو من الله دون غيره لمن يشاء من

عباده ذكر ذلك ليفرغ الطالبون للسعادة الى جهة تحصيلها وهو التقرب الى الله بوجوه الوسايل والاعراض عما لا يجدي طائلا

من الحسد ونحوه ثم اكد ذلك الجذب بالتحذير بقوله فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه والامر بالخشية الصادقة البرية من التعذير المستلزمة لترك

مناهيه ولزوم محارمه وهو الجاذب الى الزهد الحقيقي ثم اردف ذلك بالامر بالعمل لله البري من الرياء والسمعة وهو اشارة الى العبادة الخالصة

لله المستلزمة لتطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وقد ثبت في علم السلوك الى الله تعالى ان الزهد والعبادة كيف يوصلان

الى السعادة الثانية الابدية وقوله فانه من يعمل لغير الله يكله الله الى من عمل له تعليل لوجوب ترك الرياء والسمعة في العمل فان العامل للرياء والسمعة

قاصد ان يراه الناس ويسمعوا فيعتقدوا انه منهم ما يتوقعه من مال او جاه ونحوه من الاغراض الباطلة والاغراض الزايلة وقد علمت

ان التفات النفس الى شيء من ذلك شاغل لها عن تلقي رحمة الله والاستعداد لها محجوبة به عن قبول فضله ولما كان هو مسبب الاسباب ومنتهى

سلسلة الممكنات لا جرم كانت المطالب من غيره محجوبة منه المختار بما كول الى من سواه من عمال العاملون لاستلزام الخيبة والحرمان

وخسر العاملون الا له وخاب المتوكلون الا عليه وقد سبق هنا بيان معنى كون العامل لغير الله موكولا الى نفسه والى من عمل له في الفصل الذي

ذم فيه من يتصدى للحكم بين الامة وليس من اهله **قوله** نسئل الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الانبياء لما كانت همته

مقصورة على طلب السعادة الاخروية وتطلب هذه المراتب الثلث في ذلك جذب للسامعين الى الاقتداء به في طلبها والعمل لها وقدم عليه السلم

مطلب سهل المراتب الثلث للانسان وختم باعظمها فان من حكم له بالشهادة غايته ان يكون سعيدا والسعيد غايته ان يكون في

زمرة الانبياء فيقال لهم وهذا هو الترتيب اللايق من المؤدب الحاذق فان المرتبة العالية لا تنال الا بعد نيل ما هو دونها **قوله**

ايها الناس الى قوله نور مسيرة **اقول** لما اشار الى تاديب الفقراء عن التعرض للاغنياء بما يوجب لهم ملكات السوء من الحسد ونحوه ردف

ذلك بتاديب الاغنياء واسنده راحمهم في حق الفقراء ذوي الارحام واهل القبيلة ونحوهم من الاصحاب بالامر بالمواساة في المال و

المؤنة لهم لينتظم شمل المصلحة من الطرفين فاسنده دهم بالعربي لصلتها بيانا انهم لا يستغنون عنهم وان كانوا اصحاب ثروة فان الرجل

لا يستغني بماله عن اعوان له يذبون عنه بايديهم صولة قبايل ويذبون عنه بالسنتهم مسبة قايل من المعلوم ان اشد الناس حاجة

الى الاعوان والاصحاب والعاصبين هم اكثر الناس ثروة والنظر الى الملوك والمتشبهين بهم من ارباب الاموال واحق الناس بعطف الاستغناء

عندهم عشيرة الرجل واصحابه فانهم اعظم الناس شفقة عليه واشدهم دفاعا عنه وحفظا لجانبه والمهم الشعثه اي اشدهم جمعا للمتفرق في

حاله واعطفهم عليه ان نزلت به نازلة من فقر ونحوه وذلك ان قربهم منه داع من الدواعي للشفقة عليه الثاني التنبيه بذكر فايدة

انفاق المال وجمعه وتفضيل احدهما على الاخر وذلك قوله ولسان الصدق للمرء الى آخره فلسان الصدق هو الذكر الجميل بين الناس

وهو من غايات البذل والانفاق وغاية جمع المال هي توريثه للغير واما افضلية البذل على الجمع فظاهرة من تصور هاتين الغايتين

وانما رغب في البذل بما يستلزمه من غاية الذكر الجميل بين الناس لانه لم يكن مقصوده من الحث على البذل الا مصلحة الفقراء و

سد خلتهم وتاديب الاغنياء وتنويههم بالبذل والنزول عن محبة المال لان توقع الذكر الجميل من الناس داع الى البذل اذ كان

مغلا في النفوس من الغايات التي يقصدها وذلك من الاسباب الحسنة حتى اذا انفتح باب البذل وتمرنت النفوس عليه

بل حر

وبيّن ان اولى المقاصد التى يصرف فيها المال هى المقاصد التى يقصدها الشارع ويحث عليها ثم سدّ خلة الفقراء التى ينتظم بها شمل
المصلحة ويتحد الناس بعضهم ببعض خصوصا العشيرة فانه من الواجب فى السيرة العادلة التى بها صلاح حال الانسان فى الدارين انه لما كان
لا غنا له عن عشيرته وحفظهم له وكان اكرامهم ومواساتهم بالمال هو الذى يؤكد الانتفاع بهم ويحصّنونه فى مقابلة حفظهم لجانبه وحياطتهم
له فبالحرى ان يجب مواساتهم واكرامهم بما ينتظم احوالهم من فضل المال وكفى بذكر غايته جمع المال وهى توريث الغير المستلزمة لذكرها ذم
اللذات باعثا على بذل المال والنزول عن محبته وجمعه لمن لحظ بعين بصيرته عاقبة امره وبالله التوفيق **منها** الا لا يعدلنّ احدكم
عن القرابة يرى بها الخصاصة ان يسدها بالذى لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه ومن يقبض يده عن عشيرته فانما يقبض منه عنهم
يد واحدة ويقبض منهم عنه ايد كثيرة ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة قال السيد ما احسن هذا المعنى فان الممسك خيره عن
عشيرته انما يمسك نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم واضطر الى مرافدتهم قعدوا عن نصرته وتثاقلوا عن صوته فمنع ترافد الايدى
الكثيرة وتناهض الاقدام الجمّة **اقول** العدول الانحراف والخصاصة الفقر والحاجة وحاشية الرجل جانبه وحاشيته ايضا اهله واتباعه
الذين هم حشو بيته وقوله يرى فى موضع النصب على الحال وان يسدها فى موضع الجر بدلا من القرابة واعلم ان المقصد بهذا الفصل هو ما
ذكرناه قبله ولو وصلناه به لصلح تتمة له وحاصله الى قوله ايد كثيرة النهى عن العدول عن سد خلة الاقرباء واولى الارحام ذوى
الحاجة بالفضل من المال وصرفه فى غير وجهه من المصارف الغير المرضية لله سبحانه وكنى بالسد الذى هو حقيقة فى منع جسم لجسم
عن المنع المعقول وهو منع الاختلال الواقع فى حال الانسان كناية بالاستعارة وقوله لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه على ظاهره
اشكال فانه يحتمل ان يقال كل جزء من المال فان بقاءه زيادة فيه وعدمه نقصان منه وجوابه من وجهين احدهما ان يقال انه لم يرد
ههنا مطلق الزيادة والنقصان فى المال والنسبة الى المال فان الضميرين المنصوبين فى يزيده وينقصه عائدان الى الشخص المعبّر عنه باحدكم
المأمور بالانفاق وانما اراد الزيادة والنقصان فيه اللذين لا يعتبر تأثيرهما فى صلاح حال الانسان وعدم صلاحه فان الفضل الزائد
فى مال الانسان على قدر الذى يدفع ضرورته بحسب الشريعة ليس زيادة معتبرة فى صلاح حاله ولا نقصانه معتبرا فى فساد حاله فلا يزيده اذن
ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه وهذا كما يقول الانسان لمن يريد ان يسهل عليه امرا حقيرا يستدعى طلبه ان هذا الامر لا يضرك ان تركته
ولا ينفعك ان اخذته اى بالنسبة الى صلاح حالك الثانى انه يحتمل ان يريد الزيادة والنقصان فى الثواب والاجر فى الآجل والثناء
والذكر فى العاجل اى لا يزيده صلاح حال عند الله وعند الناس بل يكون سببا لفساد حاله اما عند الله فلان امساك الفضل من المال
عمن له اليه ضرورة من عباد الله سبب للشقاء العظيم والعذاب الاليم فى الآخرة لقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم الآية واما عند الناس فلتلبسه بمطاعن الآيات فى ذم البخل والبخلاء وكذلك لا ينقصه اى لا ينقص
من صلاح حاله اما عند الله فلما وعد به اهل الانفاق فى سبيله من الاجر الجميل والثواب الجزيل كقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله
ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى الآية ونحوها واما عند الناس فلما اتفقوا عليه من مدح اهل الكرم والسخاء وملأوا به الصحف
من الثناء والشكر فيهم فاما قوله ومن يقبض يده عن عشيرته الى آخره فمعناه ما ذكره السيد رضى الله عنه وهو ان الممسك خيره عن عشيرته انما
يمسك عنهم نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم قعدوا عن نصرته وتثاقلوا عنه فمنع ترافد الايدى الكثيرة الا ان هذا البيان يحتاج
الى تقرير وهو ان الانسان لما كان انتفاعه بالايدى الكثيرة اتم واولى بصلاح حاله واكثر من النفع الحاصل له بقبض يده عن النفع بها
وجب عليه ان يستجلب ببذل يده بالنفع مدد الايدى الكثيرة الى نفعه والا لكان بسبب طلبه لنفع ما من امساك يده الواحدة عنهم المستلزم
لامساك ايديهم الكثيرة عنه مضيعا على نفسه منافع عظيمة فيكون بحسب قصده لنفع ما مضيعا لما هو اعظم منه فيكون مناقضا
لغرضه وذلك جهل وسفه وقوله ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة من تمام تأديب الاغنياء بما يعود عليهم منافعه وينتظم
به شمل المصلحة فى العالم من التواضع ولين الجانب للخلق فاستدرجهم الى التواضع بذكر ثمرته اللازمة منه التى هى مطلوبة لكل عاقل وهى
استدامة مودة الناس المستلزمة لنفعهم ولعدّ حزبهم المستلزمين لصلاح حال المتواضع فيما يقصده ويعينه وبمثل ذلك ادّب الله
نبيه صلى الله عليه وآله حيث قال واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقد عرفت ان سرّ ذلك استجلاب الالفة والمحبة منهم المستلزمة لسكونهم
اليه ليجتمعوا على قبول اقواله وظنّ ان شيئا من ذلك لا يحصل عند جفاوة الخلق والتكبر كما قال الله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر وان حمل لفظ الحاشية على الاتباع والاخدام كان ذلك تأديبا
لهم بالتواضع من جهة اخرى فذلك ان حاشية الرجل خاصته هم حرسة عرضه وميزان عقله وعليهم يدور تدبير صلاح حاله
فبحسب شدتهم وتسلطهم ولينهم وتواضعهم للناس يكون قرب الناس وبعدهم منه وبغضهم ومحبتهم له وانسهم ونفارهم عنه وقال
بعض الحكماء ان سبيل الخدم والقوام من الانسان سبيل الجوارح من الحيوان فحاجب الرجل وجهه وكاتبه قلمه ورسوله لسانه
وخادمه يده ورجله وعينه لان من كفاه تعاطى كل واحد من الافعال المحتاج اليها فقد قام مقامه فيها وكما يلحقه الذم من

العقلاء وترك اصلاح اخلاقه الصادرة عن احد جوارحه ككف يلحقه الذم منهم على ترك استصلاح من يقوم مقامه في تلك الافعال بوليه
اياها وكما يستديم مودة اخوانه ويستجلب مودة الناس بتواضعه بنفسه ولين جانبه لهم كذلك يستديم بها منافرة بسط شيمته وخلقه
بالآداب المتفق على حسنها بين الناس من اهلها وانفعها في ذلك لين الجانب وترك الكبر المنفران اوهام الخلق خاصة بسبب كل
خير وشر يجري من حاشية الرجل اليه ... الذي فيه الحكم اكثريا وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

ولعمري ما علي من قتال من خالف الحق وخابط الغي من ادهان ولا ايهان فاتقوا الله عباد الله وفروا الى الله من الله وامضوا
في الذي نهجه لكم وقوموا بما عصبه بكم فعلي ضامن لفلجكم آجلا ان لم تمنحوه عاجلا **اقول** الادهان والمداهنة المصانعة والايهان
مصدر اوهنه اي اضعفه وخابط الغي بلفظ المفاعلة يخبط كل منهما في الآخر وقد عرفت ان الخبط هو المشي على غير استقامة والغي
الجهل ونهجه اي اوضحه وعصبه بكم اي علقه بكم وربطه والفلج الفوز والمنحة العطية وفي هذا الفصل رد لقول من قال ان
مانعه عن محاربة ... لهم ومداهنتهم او الجبن عن محاربتهم فرد ذلك بقوله لعمري ما علي الى قوله ولا ايهان اي ليس مصانعتهم
بواجبة علي من طريق المصلحة الدينية ولستوا بمضعفين لي ولا علي في قتالهم عجز وفي ذكره عليه السلام لهم بصفة مخالفة الحق ومخابطة
الغي والبغي تنبيه للسامعين واستدراج لهم للقيام عنه وفي قتالهم اذ كانت مقاتلة من هذه صفته واجبة فلا يمكن انكار وقوعها
منه ثم اردف ذلك باوامر **اولها** الامر بتقوى الله وقد علمت ان تقوى الله هي خشيته المستلزمة للاعراض عن كل ما سواه المبعد عنه
وهو الزهد الحقيقي كما سبقت الاشارة اليه **الثاني** الامر بالفرار الى الله وهو امر بالاقبال على الله وتوجيه وجه النفس لكعبة وجوب
وجوده واعلم ان فرار العبد الى الله تعالى على مراتب **فاولها** الفرار عن بعض اثاره الى بعض كما ... من اثر غضبه الى اثر رحمته كما قال
تعالى حكاية عن المؤمنين في التضرع اليه ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا الآية فكأنهم لم يروا الا الله
وافعاله ففروا الى الله من بعضها الى بعض **الثانية** ان يفنى العبد عن مشاهدة الافعال ويترقى في درجات القرب والمعرفة
الى مصادر الافعال وهي الصفات فيفر من بعضها الى بعض كما ورد عن زين العابدين عليه السلام اللهم اجعلني اسوة من قد انهضته بتجاوزك
عن مصارع المؤمنين المجرمين فاصبح طليق عفوك من اسر سخطك والعفو والسخط صفتان فاستعاذ باحديهما من الاخرى **الثالثة** ان يترقى
عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات فيفر منها اليها كقوله تعالى لا ملجأ من الله الا اليه وكما ورد في الدعاء في القيام الى الصلوة منك
وبك ولك واليك اي منك بدء الوجود وبك قيامه ولك ملكه واليك رجوعه ثم اكد ذلك بقوله لا ملجأ ولا منجا ولا مفر منك الا
اليك وقد جمع الرسول صلى الله عليه وآله هذه المراتب حين امر بالقرب في قوله تعالى واسجد واقترب فقال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك وهو كلام
عن مشاهدة فعل الله فاستعاذ ببعض افعاله من بعض والعفو كما يراد به صفة العافي كذلك قد يراد به الاثر الحاصل عن صفة العفو
في المعفو عنه كالخلق والصنع ثم لما اقترب فغني عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادرها وهي الصفات قال واعوذ برضاك من سخطك
وهما صفتان ثم لما راى ذلك نقصانا في التوحيد اقترب وترقى عن مقام مشاهدة الصفات الى ملاحظة الذات فقال واعوذ بك
منك وهذا فرار اليه منه مع قطع النظر عن الافعال والصفات وهو اول مقام الوصول الى ساحل العزة ثم للسياحة في لجة الوصول
درجات اخر لا تتناهى ولذلك لما ازداد صلى الله عليه وآله قربا قال لا احصي ثناء عليك فكان ذلك حذفا لنفسه عن درجة الاعتبار في
ذلك المقام واعترافا منه بالعجز عن الاحاطة بما له من صفات الجلال ونعوت الكمال وكان قوله بعد ذلك انت كما اثنيت على نفسك كمالا
للاخلاص وتجريدا ... المطلق الذي هو هو عن ان يحكم لغيره وهمي او عقلي اذا عرفت ذلك ظهرت مقصوده بقوله وفروا الى
الله من الله امر بالترقي الى المرتبة الثالثة من المراتب المذكورة **الثالث** الامر بالمضي فيما نهجه لهم من السبيل الواضح العدل الذي هو وسط
بين طرفي الافراط والتفريط والصراط المستقيم المدلول عليه بالاوامر الشرعية وقد علمت ان الغرض من سلوك هذا السبيل وامتثال
التكاليف التي الزم الانسان بها وعصبت به انما هو تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة بحيث تصير مؤتمرة لها ومنتزهة
عن حكمها العقلي منقادة لها عن الانهماك في ميولها الطبيعية ولذاتها الفانية وح تعلم ان هذه الاوامر الثلثة هي التي عليها مدار
الرياضة والسلوك الى الله تعالى فالامر الاول والثالث امر بما هو معين على حذف الموانع عن الالتفات الى الله تعالى وعلى تطويع النفس كما
والامر الثاني امر بتوجيه السر الى الله وقد تبين فيما مر ان هذه الامور الثلثة هي الاغراض التي يتوجه نحوها الرياضة المستلزمة لكمال
الاستعداد المستلزم للوصول التام ولذلك قال فعلي ضامن لفلجكم آجلا ان لم تمنحوه عاجلا اي اذا قمتم بواجب ما امرتم به من هذه
الاوامر كان ذلك مستلزما للفوز لكم في دار القرار بجنات تجري من تحتها الانهار التي هي الغايات الحقيقية ولمثلها يعمل العاملون وفيها
فليتنافس المتنافسون ان لم يتم ما هلكم للفوز في الدار العاجلة فتحوزوا فيها وقد يتم الفوز بالسعادتين العاجلية والآجلية لمن وفقه الله تعالى بالتقيا
بهما وكل استحقاق لذلك في علم الله ولما كان حصول السعادة والفوز عن لزوم الاوامر المذكورة امرا واجبا واضح الوجوب في علمه تعالى لا جرم كان
ضامنا له فان قلت فما وجه اتصال هذه الاوامر بصدر الفصل قلت لما كان مقتضى صدر الفصل الى قوله ولا ايهان هو الاعذار الى

اجلا ان

اخر قد اشر

بمعنى المخلوق
بمعنى المصنوع

من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وغيره من الآيات بل من شأن العابد لله القاصد له ان يتساوى
عبادته في ازمان شدته ورخائه وفيما بل الشدة بالصبر والرخاء بالشكر وان يعبده لا لرغبة ولا لرهبة وان يعبده فيها. السابع
قوله واني لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها واعلم ان الضمير في طالبها وهاربها يعودان الى المفعول الاول لرأيت المحذوف
المشبه في الموضعين والتقدير لم ار نعمة كالجنة نام طالبها ولا نقمة كالنار نام هاربها ونام في محل النصب مفعولا ثانيا ومعنى
هذا الكلام انه نفى علمه بما يشبه الجنة وما يشبه النار ولم ينف علمه بذات ذلك الشبيه بل علمه من جهة الشبه وهي نوم
الطالب والهارب ولذلك استثنى نعت اي بمعنى علم هنا مفعولين اي لم ار نعمة كالجنة بصفة نوم الطالب لها فاثبت ولي وجه
الشبه بقوله نام طالبها ثم نفى التشبيه من تلك الجهة وكذلك قوله ولا كالنار بصفة نوم هاربها والمفعول الثاني في الجملتين
صفة جارية على غير من هي له وهي تنبيه للموقنين بالجنة والنار على كونهم نائمين في خمرة الطبيعة لينتبهوا منها ويشتغلوا
بالاستعداد بالعمل التام لما ورائهم من مرغوب فيه ومرهوب وفيه شبه التعجب من جمع الموقن بالجنة والنار بين علمهما في الجنة من تمام
النعمة وتقصيره عن طلبها بما يؤدي اليها من الاعمال الصالحة وجمع الموقن بالنار بين علمه بما فيها من عظيم العذاب وبين تقصيره ثم
غفلته عن الهرب الى ما يخلص منها من ذلك. الثامن قوله الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل فالضمير في انه ضمير الشان واراد
بالحق الاقبال على الله بلزوم الاعمال الصالحة المطابقة للعقائد المطابقة وبالباطل الالتفات عنه الى غير ذلك مما لا يجدي نفعا
في الآخرة وهو تنبيه على استلزام عدم منفعة الحق لمضرة الباطل في صورة شرطية متصلة وبيان الملازمة فيها ظاهر فان وجود الحق
مستلزم لمنفعته فعدم منفعته اذن مستلزم لوجود الباطل لان اعتقاد المكلف وعمله اما ان يطابقا اوامر الله تعالى او لا والقسم الاول
هو الحق والثاني هو الباطل وظاهر ان عدم الاول مستلزم لوجود الثاني ثم ان وجود الباطل مستلزم لمضرته فيظهر بهذا البيان ان عدم
منفعة الحق مستلزم لوجود مضرة الباطل واذا ثبت ذلك فنقول لم ادعى المشهورة بلزوم الحق المستلزم لمنفعته ولنفي الباطل
المستلزم لعدم مضرته فان لزوم الطاعة لله بامتثال اوامره والاقبال عليه مستلزم للوصول الى جواره المقدس والالتفات الى ما
عداه المعبر عنه بالباطل مستلزم للنقصان الموجب للتخلف عن السابقين والهوي في دركات الهالكين وذلك محض المضرة فظهر اذن
سر قوله انه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن غفلة بعض من يدعي العلم عن بيان هذه الملازمة ذهب الى ان الوعيدات الواردة في
الكتب الالهية انما جاءت للتخويف دون ان يكون هناك شقاوة للعصاة محتجا على ذلك بتمثيلات خطابية عن مشهورات في بادي الرأي
اذا تعقبها النظر انكشف خطاها. التاسع ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال الى الردى اراد بالهدى نور العلم والايمان وبالضلال
الجهل والخروج عن امر الله والمعنى ان من لم يكن الهدى دليله القائد له بزمام عقله في سبيل الله ويستقيم به في سلوك صراطه المستقيم فلا بد
وان ينحرف به الضلال عن سواء الصراط الى احد جانبي التفريط والافراط وملازمة هذه الشرطية ايضا ظاهرة لان وجود الهدى لما استلزم وجود
استقامته بالانسان على سواء السبيل كان عدم استقامة الهدى به مستلزما لعدم الهدى المستلزم لوجود الضلال المستلزم للجور
بالانسان الى مهاوي الردى والعدول به عن الصراط المستقيم الى سواء الجحيم. العاشر قوله الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد
وهو تنبيه على ما لاحظه الاوامر الواردة بالظعن كقوله تعالى ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين وكقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم
وعلى الامر باتخاذ الزاد كقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واحسن باستعارته الظعن للسفر الى الله واستعارة الزاد لما يقرب اليه سبحانه
الاستعارة الاولى ان الظعن لما كان عبارة عن قطع المراحل المحسوسة بالرجل والجمل ونحوه فكذلك السفر الى الله عبارة عن قطع المراحل المعقولة
بقدم العقل ووجه الثانية ان الزاد لما كان اسما لما يتقوى به الطبيعة على الحركة الحسية وكانت الامور المقربة الى الله تعالى مما تقوى
به النفس على الوصول الى جنابه المقدس كان ذلك من اتم المشابهة التي يقرب معها اتحاد المتشابهين وبحسب قوة المشابهة يكون قوة
حسن الاستعارة. الحادي عشر التنبيه على اخوف الامور التي ينبغي ان تخاف ليجتنب وهو الجمع بين اتباع الهوى وطول الامل وسيذكر
عليه السلام هذا الكلام في موضع آخر مع ذكر علة الخوف من هذين الامرين وسنوضح معناه هناك ويكفي هيهنا ان يقال انما جاء به هيهنا
عقيب التنبيه على الظعن والامر باتخاذ الزاد لكون الجمع بينهما مستلزما للاعراض عن الآخرة فيكون مستلزما لعدم الظعن وعدم اتخاذ
الزاد فيخوف منهما ليجتنبا فيحصل مع اجتنابهما الاقبال على اتخاذ الزاد والتأهب للظعن ولذلك اردف التخويف منهما بالامر باتخاذ الزاد
وفي قوله من الدنيا في الدنيا لطف فان الزاد الموصل الى الله تعالى اما علم او عمل وكلاهما محصلان من الدنيا في الدنيا اما العمل فلا
شك انه عبارة عن حركات وسكنات مستلزمة هيئات مخصوصة انما تحصل بواسطة هذا البدن وكل ذلك من الدنيا في الدنيا
واما العلم فلان الاستكمال به انما يحصل بواسطة هذا البدن ايضا اما بواسطة الحواس الظاهرة والباطنة وتفطن النفس لمشاركات بين
المحسوسات ومباينات بينها وظاهر ان ذلك من الدنيا في الدنيا واشار بقوله ما تحرزون به انفسكم غدا الى ان كل زاد عد به الانسان نفسه
للوصول الى جوار الله وقد نجى به من عذابه وحفظ به نفسه يوم لا ينفع مال ولا بنون وقد اشتمل هذا الفصل على ستة ابحاث

في بيان خطبة خطبها بسبب غارة الضحاك بن قيس

لطيفة لانفعالاتهم عن اوامر الله ونواهيه واذا تاملت اسلوب كلامه وراعيت ما فيه من فخامة الالفاظ وجزالة المعاني المطابقة للبراهين العقلية وحسن الاستعارات والتشبيهات ومواقعها وصحة ترتيب اجزائه ووضع كل مع ما يناسبه وجدته لا يصدر الا عن علم لدني وفيض رباني وامكنك الفرق بين كلامه وكلام غيره والتمييز بينهما بسهولة وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ايها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة اهواؤهم كلامكم يوهي الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الاعداء تقولون في المجالس كيت وكيت فاذا جاء القتال قلتم حيدي حياد ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم اعاليل باضاليل وسالتموني التطويل دفاع ذي الدين المطول لا يمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق الا بالجد اي دار بعد داركم تمنعون ومع اي امام بعدي تقاتلون المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل اصبحت والله لا اصدق قولكم ولا اطمع في نصركم ولا اوعد العدو بكم ما بالكم ما دواؤكم ما طبكم القوم رجال امثالكم اقولا بغير علم وغفلة من غير ورع وطمعا في غير حق **اقول** روي ان السبب في هذه الخطبة هو غارة الضحاك بن قيس بعد قصة الحكمين وعزمه على المسير الى الشام وذلك ان معوية لما سمع باختلاف الناس على علي ونفرتهم عنه وقتله من قتل من الخوارج بعث الضحاك بن قيس في نحو من اربعة الاف فارس واوعز عليه بالنهب والغارة فاقبل الضحاك يقتل وينهب حتى مر بالثعلبية فاغار على الحاج فاخذ امتعتهم وقتل عمرو بن عميس بن مسعود ابن اخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وقتل معه ناسا من اصحابه فلما بلغ عليا عليه السلام ذلك استصرخ اصحابه على اطراف اعماله واستشارهم الى لقاء العدو فتلكاوا ورأى منهم تخاذلا وفشلا فخطبهم هذه الخطبة ولنرجع الى المتن فالاهواء الاراء والوهي الضعف وكيت وكيت كناية عن الحديث وحاد عن الامر عدل عنه قال الجوهري قولهم حيدي حياد كقولهم فيحي فياح ونقل ان فياح اسم للغارة كقطام وحياد اسم لها والمعنى اعدلي عنا ايتها الحرب ويحتمل ان يكون حياد من اسماء الافعال كنزال فيكون قد امر بالتنحي مرتين بلفظين مختلفين والاعاليل جمع اعلال واضاليل جمع اضلال وهما جمع علة اسم لما يتعلل به من مرض وغيره وضلة اسم من الضلال ومعنى الباطل والمطول كثير المطال وهو تطويل الوعد وتسويفه والجد الاجتهاد والاخيب الخائب وهو الحرمان والافوق من السهام المكسور الفوق وهو موضع الوتر منه والناصل الذي لا نصل فيه والمقصد انه نبههم على ما يستقبح في الدين ومراعاة حسن السيرة من احوالهم واقوالهم وافعالهم اما احوالهم فاجتماع ابدانهم مع تفرق ارائهم الموجب لتخاذلهم عن الذب عن الدين والتفرق لشمل مصالحهم واما اقوالهم فكلامهم الذي يضعف عند سماعه القلوب الصلبة لشاته ويظن سامعه ان تحته نجدة وثباتا وهو قولهم مثلا في مجالسهم انه لا محل لخصومنا وانا سنفعل بهم كذا وسيكون منا كذا وكذا وانما استعار لفظ الصم الصلاب عن وصف الحجارة للقلوب التي تضعف عن سماع كلامهم كما شبه القرآن الكريم بها تارة بالحجارة او اشد قسوة واما افعالهم فهو تعقيبهم هذه الاقوال عند حضور القتال ودعوتهم الى الحرب بالتخاذل وعدم الثبات والفرار والتقاعد عن اجابة داعي الله وكراهية الحرب والفرار عن مقاتلة العدو وكنى بقوله قلتم حيدي حياد عن ذلك وهي كلمة كانت تستعملها العرب عند الفرار ثم ان دعوة العادة ان يانف منه من يطلب الانتصاب على وجه التفضيل منهم عن كثرة تقاعدهم عن دعوته وذلك قوله ما عزت دعوة من دعاكم المستلزم للحكم بذلتهم والاستراحة فلب من قاساكم المستلزم للحكم بتعبه وقوله اعاليل باضاليل خبر مبتدا محذوف اي واذا دعوتكم الى القتال تعللتم وهي اعاليل بالحلة ضلالا عن سبيل الله وسالتموني التاخير وتطويل المدة فاعاد وقوله دفاع ذي الدين المطول يحتمل ان يكون تشبيها لدفاعهم له بدفاع ذي الدين فيكون منصوبا بحذف الجار ويحتمل ان يكون قد استعار دفاع ذي الدين المطول لدفاعهم فيكون مرفوعا ووجه الاستعارة ان المدين المطول ابدا مشتهي لعدم المطالبة ويود نفسه ان لا يرام غريمه فكذلك هم عليه السلام منهم انهم كانوا يحبون ان لا يعرض لهم بذكر القتال ولا يطالبهم به فاستعار الدفاع لدفاعهم الدفاع المذكور لمكان المشابهة ثم نبههم على قبح الذل ليفيئوا الى فضيلة الشجاعة بذكر بعض لوازم الذلة وهو ان صاحبه لا يتمكن من رفع الضيم عن نفسه وعلى قبح التواني والتخاذل بانه لا يدرك الا ثبات حقه المقصد من ذلك هو الجد والتشمير في طلبه ثم اعقب ذلك بالسؤال على جهة الانكار والتقريع عن تعيين الدار التي ينبغي لهم حمايتها بعد دار الاسلام التي لا نسبة لغيرها اليها في العز والكرامة عند الله ووجوب الدفع عنها والتي هي موطنهم ومحل دولتهم وكذلك قوله ومع اي امام بعدي تقاتلون وفيه تنبيه لهم على فضيلته وما وثقوا به من اخلاص نفسه لله في جميع حركاته وتثبيتهم على طاعته انكان قد يتوهم في بعضهم الميل الى معوية والرغبة فيما عنده من الدنيا ثم اردف ذلك بذم من اغتر بكلامهم ونسبته الى الغرور والغفلة ثم بالاخبار عن سوء حال من كانوا حزبه ومن يقاتل بهم **اما الاول** فهو قوله المغرور والله من غررتموه والمقصود الحقيقي ذمهم وتوبيخهم على خلفهم المواعيد والمماطلة بالنفار الى الحرب لا انه انما ينسب من وثق بهم الى الغرور بعد خلفهم في وعدهم له بالنهوض معه وجعله المغرور مبتدا ومن غررتموه خبره ابلغ في اثبات الغرور لمن اغتر بهم من العكس لاقتضاء الكلام اذن انحصار المغرور فيمن اغتر بهم من العكس لاقتضائه الكلام اذن انحصار المغرور في من اغتر بهم ولا كذلك لو كانوا من مبتداء **واما الثاني** فهو قوله ومن فاز بكم فانما فاز بالسهم الاخيب ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل وقد شبه نفسه وخصومه كاللاعبين بالميسر والخطر

دار بعد

ذلك

شبهه حصولهم

في ذكر بعض أسباب البعثة

ولد بعد ذلك اليوم بأوقات جبيرة وفعل الحجاج بأهل الكوفة ظاهر وماده لها مشهور وقوله أما والله لوددت أن لي بكم ألف فارس من بني فراس
بن غنم بتصلح تعبئته لمن ذكرنا من الخبر منهم الذين طلبوا أولا من الله مجملا عوضا بهم وبنو فراس حي من تغلب يوم غنم بفتح الغين وسكون النون
وهو غنم بن تغلب بن وائل وإنما خص هذا البطن لشهرتهم بالشجاعة والحمية وسرعة إجابة الداعي فأما البيت هنالك لو دعوت فمعناه ما ذكره
السيد الرضي رضه ووجه تمثيله ع بهذه الأبيات أن هؤلاء القوم الذين ود أنهم كانوا له عوضا عن قومه هم بصفة الفوارس الذين أثنى
عليهم الشاعر في المبادرة إلى إجابة الداعي والاجتماع على دفع الضيم عنهم ونصرة من حقهم فلذلك تمناهم عوضا ومقصوده في جميع ذلك ذمهم
وتوبيخهم وتحقيرهم بتفضيل غيرهم عليهم سفيرا لطباعهم أما هي عليه من التثاقل عن دعوته للذب عن دين الله وبالله التوفيق والعصمة

ومن خطبة له عليه السلام إن الله بعث محمدا صلعم نذيرا للعالمين وأمينا على التنزيل وأنتم معشر العرب على شر دين وفي
شر دار منيخون بين حجارة خشن وحيات صم تشربون الكدر وتأكلون الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم الأصنام فيكم منصوبة
والآثام بكم معصوبة **أقول** الإناخة الإقامة بالمكان والحية الصماء وهي التي لا تنزجر بالصوت كأنها لا تسمع وربما يراد بها الصلبة الشديدة
والجشب هو الطعام الغليظ الخشن ويقال هو الذي لا إدام معه وسحقه وبر مشدودة واعلم أنه ع افتض أمورا وقصد بحسن مدحها وذمها
مبدأ ابد كر النبي ص وذكر بعض أسباب غاية البعثة فإنه لما كانت الغاية منها هو جذب الخلق عن دار الغرور إلى الواحد الحق وكان ذلك
الجذب تارة بالنذارة وتارة بالبشارة ذكر هنا النذارة وخصها بالذكر لأنها السبب الأقوى في الردع فإن غالب الخلق وجمهورهم قلما يلتفتون
إلى وعد ثوابه في الآخرة إذا قابلوا ذلك بلذاتهم الحاضرة فإن تلك أمور غير متصورة لهم بحسب الوصف الذي إنما يكشف لهم عن أمور محسوسة
تشبه ما هم فيه أو أضعف عندهم ثم إن نيلها مشروط بشرائط صعبة في الدنيا تكدر عليهم ما هم فيه من حاضر لذاتهم مع براءتها عن الشروط
والتكاليف لسنا فلذلك قل ما يلتفتون إلى الوعد عما هم فيه فكان السبب الأقوى في الردع والالتفات إلى الله إنما هو الإنذار والتخويف
فإذا انضم النبي الوعد فاد الجمع الغاية ولما كان مقصوده ع في هذا الموضع التوبيخ المطلق للعرب وترقيق قلوبهم المشتملة على الفظاظة
والقسوة كان الأليق هنا ذكر إنذار النبي ص ثم بين أنه ذكروا بذلك تفضيل الإنذارات الواردة في القرآن والسنة ثم أردف ذلك بذكر
كونه أمينا على التنزيل ليذكروا أن الإنذارات الواردة هي من عند الله تعالى أدى بها الرسول إليهم أمانة من غير تبديل وزيادة أو نقصان
فيتأكد في قلوبهم ما قد علموه من ذلك ليكون أدعى لهم إلى الانفعال عن أقواله ثم شرع بعد في اقتصاص أحوالهم التي كانوا عليها والواو
في قوله وأنتم للحال أي حال ما كنتم بهذه الصفات بعث محمد وذكر أحوالهم في معرض الذم لها فذكر أنهم كانوا على شر دين وهو عبادة الأصنام
من دون الله وأعظم بذلك افتضاحا لمن عقل منهم أسرار الشريعة وعرف الله سبحانه فلا أحسبه عند سماع هذا التوبيخ إلا خجلا مما فرط في جنب
الله ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ثم أردف ذلك بتذكيرهم ما كانوا فيه من شر دار وأراد بها نجدا وأرض الحجاز وبين كونها شر بيان
مقارنتها أحوالهم أما في مساكنهم ومناخهم بين الحجارة السود الخشن التي لا أنداء بها ولا نبات والحيات الصم التي لا علاج لسمومها ووصفها بالصم
لأن حيات تلك الأرض على غاية من القوة وحدة السموم لاستيلاء الطبيس عليها وأما في مشربهم فلأن الغالب على المياه التي يشربونها أن يكون
كدرة لا يكاد غير المعتاد بها أن يقبل عليها مع العطش إلا عند الضرورة والسبب الغالب في ذلك عدم إقامتهم بالمكان الواحد بل هم أبدا في الحل
والارتحال ولا يحتفرون المياه ويصلحونها إلا ريثما هم عليها فربما كان بعضهم يحفر وبعضهم يشرب منها هذا نهم يوضح ذلك وأما
مأكلهم الجشب فهو ظاهر فإنك تجد عامتهم يأكل ما دب من حيوان وسئل بعض العرب أي الحيوانات تأكلون في البادية فقال نأكل كل ما دب
ودرج إلا أم حبين فقال السائل لتهن أم حبين السلامة قال صاحب المجمل وأم حبين دويبة قدر كف الإنسان وبعضهم يخلط الشعر بنوى
التمر ويطحنها ويتخذ منها خبزا وروي أنهم كانوا في أيام المجاعة يلوثون أوبار الإبل بدم القراد ويجففونها فإذا يبست دقوها وصنعوها
طعاما وأما في سفكهم الدماء بعضهم لبعض وقطع أرحامهم فظاهر أيضا فإن الولد كان يقتل أباه وبالعكس وأما نصبهم للأصنام وعصب الآثام
بهم في جاهليتهم فغني عن البيان ولفظ العصب مستعار للزوم الآثام لهم في تلك الحال عن معناه الأصلي وهي أنسب لفظ نسبة بين محسوسين
نسبة بين معقولين أو بين معقول ومحسوس وإنما ذكرهم ع بهذه الأحوال لينبههم لنسبة ما كانوا عليه إلى ما هم عليه في تلك الحال من ضدها
ذلك كله إذ بدلوا ما كانوا فيه من فساد أحوالهم في الدنيا صلاح حالهم افتتحوا المدن وكسروا الجيوش وقتلوا الملوك وغنموا أموالهم كما قال
تعالى في المنة عليهم وتذكيرهم أنواع ما أنعم عليهم به وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وجعل لهم الذكر الباقي والشرف الشامخ
كل ذلك زيادة على هدايته لهم إلى الإسلام الذي هو طريق دار السلام وسبب السعادة الباقية وإنما كان ذلك بسبب مقدم محمد صلى الله عليه
وآله عليهم واعلم أن شيئا من هذا الكلام يقتضي مدح النبي ص فيما حذف من الفصل بعده لينبئ عليه مقصوده ع وفيه تنبيه على دوام ملاحظة
السامعين لنعماء الله عليهم فيلاحظوا استحقاقه لتمام العبادة غاية أحوالهم ويكونوا في وجل من خوفه وشوق إليه والله يهدي من يشاء
إلى صراط مستقيم **ومنها** فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت وأغضيت على القذى وشربت على الشجى و
صبرت على أخذ الكظم وعلى أمر من طعم العلقم **أقول** ضننت بكسر النون أي بخلت وبفتح الراء بالفتح أيضا وأغضيت على كذا أي أطبقت عليه

في بيان اختصاص حاله عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في أمر الخلافة

جفني والقذى ما يسقط في العين فيؤذيها والشجى ما يعرض في الحلق عند الغيظ ونحوه لا يكاد يسيغ الانسان معه الشراب فدعم تفسيرهما واحد
بكظمه اي يجرعه نفسه والعلقم شجر بالغ المرارة ويصدق بالعرف على كل مر واعلم ان هذا الفصل يشتمل على اقتصاص صورة حاله بعد
وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في امر الخلافة وهو اقتصاص في معرض التظلم والشكاية ممن يرى انه احق منه بالامر فاشار الى انه فكر في امر القتال وعدم
الدفاع عن هذا الحق الذي يراه اولى به فرأى انه لا ناصر له الا اهل بيته وهم قليلون بالنسبة الى من لا يعينه ومن يعين عليه فانه لم يكن
له معين يغلب على الظن الا بنو هاشم كالعباس وبنيه وابي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ومن يخصهم وضعفهم وقلتهم عن مقاومة جمهور
الصحابة ظاهر فضن بهم على الموت لعلمه انهم لو قاوم بهم لقتلوا ثم لا يحصل على مقصوده ولما ضن بهم عن الموت لزمه ما ذكر من الامور وهي
الاغضاء على القذى وكنى بالاغضاء على القذى عن صبره عن المقاومة ممكنا به بالمستعار ووجه المشابهة بينهما استلزامهما الالم البالغ وبالقذى
عما يعتقده ظلما في حقه وكذلك قوله وشربت على الشجى ملاحظة لوجه التشبيه بين ما يجري له من الامور التي توجب له الغضب والغبن وبين
الماء الذي يشرب على الشجى وهو استلزامهما الاذى وعدم التلذذ والاساغة ولذلك استعار لفظة الشرب وكذلك قوله وصبرت على اخذ
الكظم وعلى امر من العلقم وفيه استعارات حسنة للفظ اخذ الكظم كنى بها عن اخذ الوجوه عليه وتضييق الامر فيما يطلبه ولفظ المرارة التي
هي حقيقة في الكيفية المخصوصة للاحساس لما يجده من التألم بسبب فوت مطلوبه ووجه المشابهة في هاتين الاستعارتين لزوم الاذى
ايضا واما ان العتب وجده امر من العلقم فقط اذ لا نسبة للالم البدني في الشدة الى الالم النفساني واعلم انه قد اختلف الناقلون لكيفية
حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فروى المحدثون من الشيعة وغيرهم اخبارا كثيرة ربما خالف بعضها بعضا بحسب اختلاف الاهواء منها ما هو
الذي عليه جمهور الشيعة ان عليا عليه السلام امتنع من البيعة لابي بكر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وامتنع معه جماعة من بني هاشم كالزبير وابي سفيان
بن الحرث والعباس وبنيه وغيرهم وقالوا لا نبايع الا عليا وان الزبير شهر سيفه فجاء عمر في جماعة من الانصار فاخذ سيفه فضرب
به الحجر فكسره وحملت جماعتهم الى ابي بكر فبايعوه وبايع معهم علي كرها وقيل ان عليا اعتصم ببيت فاطمة عليها السلام وعلموا انه مفرد فتركوه و
روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين انه كان يقول لو وجدت اربعين ذوي عزم لقاتلت ومنها هو الذي عليه جمهور المحدثين
من غير الشيعة انه امتنع من البيعة ستة اشهر حتى ماتت فاطمة فبايع بعد ذلك طوعا وفي صحيحي مسلم والبخاري كانت وجوه الناس
مختلفة اليه وفاطمة لم تمت بعد فلما ماتت انصرفت وجوه الناس عنه فخرج وبايع ابا بكر وعلى الجملة فحال الصحابة في اختلافهم
بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وما جرى في سقيفة بني ساعدة وحال علي في طلب هذا الامر ظاهر والعاقل اذا اطرح العصبية والهوى عن نفسه
ونظر فيما نقله الناس في هذا المعنى علم ما جرى بين الصحابة من الاختلاف والاتفاق وهل بايع علي طوعا او هل ترك المقاومة عجزا او
اختيارا ولما لم يكن غرضنا الا تفسير كلامه كان الاشتغال بغير ذلك تطويلا وفضولا خارجا عن المقصود ومن رام ذلك فعليه بكتب
التواريخ **ومن خطبة له عليه السلام** يذكر فيها عمرو بن العاص ولم يبايع معوية حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمنا
فلا ظفرت يد البائع وخزيت امانة المبتاع فخذوا للحرب اهبتها واعدوا لها عدتها فقد شب لظاها وعلا سناها
واستشعروا الصبر فانه ادعى الى النصر **اقول** خزيت اي ذلت وهانت والاهبة الاستعداد واعدوا اي هيئوا وعدة الحرب
ما يعد لها من الآلات والسلاح وشب لظاها اي اوقدت نارها واثيرت وروي شب بالبناء للفاعل اي ارتفع لهبها والسنا
مقصورا الضوء والشعار ما يلي الجسد من الثياب ويلازمه اعلم ان هذا الفصل من اقتصاص كلام ذكره عليه السلام في حال عمرو بن العاص مع معوية
فذكر انه لم يبايعه حتى شرط ان يؤتيه على بيعته ثمنا وذلك انه لما نزل عليه السلام بالكوفة بعد فراغه من امر البصرة كتب الى معوية كتابا يدعوه
فيه الى البيعة فاهمه ذلك فدعا قوما من اهل الشام الى الطلب بدم عثمان فاجابوه واراد الاستظهار في امره فاشار عليه اخوه عتبة
بن ابي سفيان بالاستعانة بعمرو بن العاص وكان بالمدينة فاستدعاه فلما قدم عليه وعرف حاجته اليه تباعد عنه وجعل يمدح
عليا عليه السلام في وجهه ويفضله ليخدعه عما يريد منه فمن ذلك ان معوية قال له يوما يا ابا عبد الله اني ادعوك الى جهاد هذا الرجل الذي
عصى الله وشق عصا المسلمين وقتل الخليفة واظهر الفتنة وفرق الجماعة وقطع الرحم فقال عمرو من هو قال علي فقال والله يا معوية ما انت وعلي
حملي بعير ليس لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا علمه والله ان له مع ذلك لحظا في الحرب ليس لاحد غيره ولكني قد تعودت من
الله احسانا وبلاء جميلا فما تجعل لي ان بايعتك على حربه وانت تعلم ما فيه من الغرر والخطر قال له حكمك قال له مصر طعمة فلم يزل
معوية يتلكأ عليه ويماطله وهو يمتنع من مساعدته حتى رضي معوية ان يطعمه مصر فعاهده على ذلك وبايع عمرو معوية وكتب له بمصر كتابا
وكتب له بمصر كتابا فذلك معنى قوله عليه السلام ولم يبايع معوية حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمنا ثم اردف ذلك بالدعاء على البائع له بيعته وهو
عمرو بعدم الظفر في الحرب وبالثمن بقوله فلا ظفرت يد البائع والحقه بالتوبيخ والذم للمبتاع بذكر هوان امانته عليه وهي بلاد المسلمين
واموالهم التي افاءها الله عليهم ويحتمل ان يكون اسناد الخزي الى الامانة اسنادا مجازيا او على سبيل اضمار الفاعل بعينه المبتاع اي
والخزي للمبتاع في امانته بخيانته لها وذهب بعض الشارحين الى ان المراد بالبائع معوية وبالمبتاع عمرو وهو ضعيف لان الثمن اذا كان

ذكرها

مصر فالمبتاع

في بيان ترغيب الناس الى الجهاد

مصر افالشياع هو معوية ثم لما ظهرت دعوة معوية لاهل الشام ومبايعة عمرو له كان ذلك من دلائل الحرب فلذلك امرهم اصحابه بالتاهب لها
واعداد عدتها وكنى بما ذكرنا من امارات وقوعها بقوله وقد شب لظاها وعلا سناها كناية بالمستعار ووجه المشابهة بين لهب النار
وسناها وامارات الحرب كونها علامات على امر هو مظنة الهلاك ومحل الفتنة ويحتمل ان يكون اطلاق لفظ السنا ترشيحا للاستعارة
ثم اردف ذلك بالامر بالصبر في الحرب واستشعاره اما ان يراد به اتخاذه شعارا على وجه استعارته من الثوب لملازمة الجسد او يراد به اتخاذه
علامة لان اشعار القوم علامتهم ايضا ويحتمل ان يكون اشتقاقه من الشعور اي ليكن في شعوركم الصبر وان كان الاشتقاقيون
يردون الشعار بالمعنى الثاني الى الشعور وقوله فان ذلك ادعى للنصر بيان لفائدة اتخاذ الصبر شعارا او علامة اما ان كان
المقصود الزموا انفسكم الصبر فظاهر ان لزوم الصبر من اقوى اسباب النصر وان كان المقصود اتخذوه علامة فلان من كان الصبر في الحرب
علامة له يعرفه الخصم بها كان الخصم متصورا منه ادعى الى الانقهار فكان استشعاره لتلك العلامة ادعى الى القهر والنصر وان كان
المراد اخطاره بالبال فلانه سبب لزومه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** اما بعد فان الجهاد باب من ابواب
الجنة فتحه الله لخاصة اوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه البسه الله ثوب
الذل وشمله البلاء وديث بالصغار والقماء وضرب على قلبه بالاسهاب وأديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع
النصف الا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم اغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزي
قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الاوطان هذا اخو غامد قد وردت
خيله الانبار وقتل حسان بن حسان البكري وازال خيلكم عن مسالحها ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على
المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ما تمتنع منه الا بالاسترجاع والاسترحام ثم
انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا اريق له دم فلو ان امرءا مسلما مات من بعد هذا اسفا ما كان به ملوما بل
كان به عندي جديرا فيا عجبا عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفرقكم عن حقكم
فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون فاذا امرتكم
بالسير اليهم في ايام الحر قلتم هذه حمارة القيظ امهلنا يسبخ عنا الحر واذا امرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم هذه
صبارة القر امهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا فرارا من الحر والقر فاذا كنتم من الحر والقر تفرون فانتم والله من السيف
افر يا اشباه الرجال ولا رجال حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال لوددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفة والله جرت
ندما واعقبت سدما قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظا وجرعتموني نغب التهمام انفاسا وافسدتم
علي رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله ابوهم وهل احد منهم
اشد لها مراسا واقدم فيها مقاما مني لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها انا ذا قد ذرفت على الستين ولكن لا رأي لمن
لا يطاع **اقول** هذه الخطبة مشهورة ذكرها ابو العباس المبرد وغيره والسبب المشهور لها انه ورد عليه علج من اهل الانبار فاخبره ان
سفيان بن عوف الغامدي قد ورد في خيل لمعوية الى الانبار وقتل عامله حسان بن حسان البكري فصعد المنبر وخطب الناس
الناس وقال ان اخاكم البكري قد اصيب بالانبار وهو مغتر لا يخاف ما كان واختار ما عند الله على الدنيا فانتدبوا اليهم حتى تلاقوهم فان اصبتم
منهم طرفا انكلتموهم عن العراق ابدا ما بقوا ثم سكت رجاء ان يجيبوه بشيء فلم ينبس احد منهم بكلمة فلما راى صمتهم نزل وخرج يمشي راجلا حتى
احاط به قوم من اشرافهم وقالوا ارجع يا امير المؤمنين ونحن نكفيك فقال ما تكفونني ولا تكفون انفسكم فلم يزالوا به حتى ردوه الى منزله فبعث
سعيد بن قيس الهمداني في ثمانية الاف في طلب سفيان بن عوف فخرج حتى انتهى الى ادنى ارض قنسرين وقد فاتوه فرجع وكان علي عليه السلام
في ذلك الوقت عليلا فلم يقو على القيام في الناس بما يريده من القول فجلس بباب السدة التي تصل الى المسجد ومعه الحسن والحسين عليهما السلام
وعبد الله بن جعفر ودعا سعدا مولاه فدفع اليه كتابا كتب فيه هذه الخطبة وامره ان يقرأها على الناس بحيث يسمع ويسمعون وفي
رواية المبرد انه لما انتهى اليه ورود خيل معوية الانبار وقتل حسان بن حسان خرج مغضبا يجر ثوبه حتى اتى النخيلة ومعه الناس فرقي رباوة
من الارض فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال الخطبة وفي رواية المبرد التي هي صورة الحال والظاهر وروي انه قام اليه
رجل في آخر الخطبة ومعه ابن اخ له فقال يا امير المؤمنين اني وابن اخي هذا كما قال تعالى رب اني لا املك الا نفسي واخي فمرنا بامرك فوالله لننتهين
اليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد فدعا لهما بخير وقال واين تقعان مما اريد ولنرجع الى التفسير فنقول الجنة ما استتر
به من سلاح او غيره وديث اي ذلل ومنه الديوث الذي لا غيرة له والصغار الذل والضيم والقماء بالمد مصدر قمؤ قماءة فهو
قمئ الحقارة والذل وروي القما بالقصر وهو غير معروف واسهب الرجل بالبناء للمفعول اذا ذهب عقله من اذى يلحقه وأديل
الحق من فلان اي غلب عليه عدوه وسامه خسفا بضم الخاء وفتحها اي اولاه ذلا وكلفه المشقة والنصف بكسر النون وسكون الصاد الاسم

في بيان ترغيب الناس الى الجهاد

من الأمصار وضم النون لغة فيه وعقر الشيء اصله والتواكل ان يكل كل واحد منهم الأمر الى صاحبه ويعتمد عليه فيه وشنّ الغارة واشنّها
فرّقها عليهم من كل وجه وغامد قبيلة من اليمن وهي من الأزد شنوءة والمسالح جمع مسلحة وهي الحدود التي ترتّب فيها ذوو الأسلحة
لحافظة ثغور العدو كالثغر والمعاهدة الذمية والحجل بكسر الحاء وفتحها الخلخال والقلب السوار المصمت والرعاث جمع رعثة بفتح الراء
وسكون العين وفتحها وهي القرط والرعاث ايضا ضرب من الخرز والحلي والاسترجاع قول انا لله وانا اليه راجعون والاسترحام
مناشدة الرحم والوافر التام والكلم الجرح والترح الحزن والغرض الهدف وحمارّة القيظ بتشديد الراء شدة حره وسبخ الحر
خفّ وصبارّة القر بتشديد الراء ايضا شدة البرد وينسلخ ينقضي وربات الحجال النساء والحجال جمع حجلة وهي بيت العروس يزيّن
بالستور والثياب والسدم الحزن مع الندم والقيح ما يكون في القرحة من المدة والصديد وشحنتم ملأتم والنغب جمع نغبة بضم النون
وهي الجرعة والتهام بالفتح التهمم والمراس العلاج وذرّفت بتشديد الراء على الستين اي زدت واعلم ان قوله اما بعد الى قوله وضرب النصف
صدر الخطبة يتضمن غرضه اجمالا وهو الحث على الجهاد فانه لما ذكر امر الجهاد وتعظيمه وحط من قصر عنه علم من ذلك
انه يريد ان يحث الناس ويغريهم على جهاد عدوهم فذكر من مدائح الجهاد امورا احدها انه باب من ابواب الجنة وبيانه ان الجهاد اما يراد
به جهاد العدو الظاهر كما هو الظاهر ههنا واما يراد به جهاد العدو الخفي وهو النفس الامارة بالسوء وكلاهما باب من ابواب الجنة والثاني
منهما مراد بواسطة الأول اذ هو لازم له وذلك انك علمت ان لقاء الله سبحانه ومشاهدة حضرة الربوبية هي ثمرة الجنة وغاية شوق عباد
الله الأبرار ثم قد ثبت بالضرورة من دين محمد ان الجهاد احد العبادات الخمس وتبين ايضا في علم السلوك الى الله ان العبادات الشرعية هي المتممة
والمعينة على تطويع النفس الأمارة بالسوء للنفس المطمئنة وان التطويع كيف يكون وسيلة الى الجنة التي وعد المتقون فيعلم من هذه
المقدمات ان الجهاد الشرعي باب من ابواب الجنة ان يعبر المجاهد السالك الى الله الى الباب الاعظم للجنة وهو الرياضة وقهر الشيطان
ومن يتوقف على هذا السر يعلم ان الصلوة والصوم وسائر العبادات كلها ابواب للجنة لكان امتثالها على الوجه المأمور بها مسلكا
للوصول الى الجنة فان باب كل شيء هو ما يدخل اليه منه ويتوصل به اليه ونحوه قول الرسول ص في الصلوة انها مفتاح الجنة وفي الصوم
ان للجنة بابا يدعى الريان لا يدخله الا الصائمون الثاني من اوصاف الجهاد انه باب فتحه الله لخاصة اوليائه والمراد بخواص الأولياء
المخلصون له في المحبة والعبادة وظاهر ان المجاهد لله لا لغرض آخر من خواص الأولياء وذلك ان المسلم اذا فارق اهله وولده واقدم
على من يغلب على ظنه انه اقوى منه كما امر المسلمون بان يثبت احدهم لعشرة من الكفار ثم يعلم انه لو فرّ لقتله واستباح ذريته وهو
في كل تلك الاحوال صابر شاكر متقرب بالعبودية لله مسلم امره الى الله فذلك هو الولي الحق الذي قد اعرض عن غير الله واستعاد
فهو شيطانه وقهره وانه لن يطيع له امرا فان قلت اذا كان الغرض من العبادات هو جهاد الشيطان والاخلاص لله كان تخصيص الوصفين
المذكورين لا يستلزم مدح ذلك الجهاد لم يتوجه لسائر العبادات ما رتب عليه فما معنى قول الصحابة وقد رجعوا من جهاد المشركين رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر قلت يحتمل معنيين احدهما ان الجهاد الظاهر ليس كل غرضه الذاتي هو جهاد النفس بل ربما كان من اعظم اغراضه الذاتية
هو قهر العدو الظاهر ليستقيم الناس على الدين الحق وينتظم امرهم في سلوكه ولذلك دخل فيه من لا يريد منه الا ذلك كالمؤلفة قلوبهم وان
كانوا كفارا وذلك بخلاف سائر العبادات اذ غرضها ليس الا جهاد النفس ولا شك انه هو الجهاد الاكبر اما اولا فلأن مضرة العدو
فان مضرة العدو الظاهر مضرة دنياوية فانية ومضرة الشيطان مضرة اخروية باقية ومن كانت مضرته اعظم كان جهاده اكبر واهم واما
ثانيا فلأن مجاهدة الشيطان مجاهدة عدو ملازم ومع ذلك فلا يزال مخادعا غارا للانسان لا يعرضه الا بالخروج في زي الناصحين الأصدقاء
ولا شك ان الاحتراز من مثل هذا العدو اصعب وجهاده اكبر من جهاد عدو مظهر للعداوة ويبرز للانسان في عمره مرة او مرتين فيحسن لذلك
تخصيص الجهاد بالاصغر ومجاهدة النفس بالاكبر المعنى الثاني انا وان قلنا ان الغرض من الجهاد الاصغر هو جهاد النفس الا ان جهادها
في حال جهاد العدو الظاهر قد يكون اسهل لان تلك القوى البدنية كالغضب والشهوة تثور عند منازعة العدو طلبا للدفع وتصيران
مطيعتين للنفس الانسانية فيما تراه وتأمر به فلا يكون عليها كثير كلفة في تطويع تلك القوى بخلاف سائر العبادات فان طباع تلك القوى
معاكسة فيها لرأي النفس فلذلك كان جهادها في سائر العبادات اصعب واكبر من جهادها في حال الحرب والله اعلم الثالث كونه
لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة واستعار لفظ اللباس والدرع والجنة ووجه الاستعارتين الأخيرتين وصف
الحصانة والوثاقة ووجه المشابهة ان الانسان يتقي به شر العدو وسوء العذاب يوم القيامة كما يتقي بثوبه ما يؤذيه من حر او برد وبدرعه وجنته
ما يخشاه من عدوه ثم اردف مدائح الجهاد بتوعد من تركه رغبة عنه من غير عذر يوجب تخلفه بامور ينفر عنها طبعا منها انه يلبسه
بالترك لأن يلبسه الله ثوب الذل واستعار لفظ الثوب للذل ولفظ اللباس لشموله له ووجه المشابهة احاطة الذل به
كاحاطة الثوب بلابسه وان يشمله بلاء العدو ويضرب الله بالصغار والقماءة وان يضرب على قلبه بالاسهاب اي يذهب وجه عقله العملي
في تدبير مصالحه اما خوفا للذل فلأن كثرة غارات العدو وتكررها منه موجب لتوهم قهره ويقوى ذلك حتى ينفعل عنه النفس

بالانقهار

في بيان ترغيب الناس الى الجهاد

بالانفهار والذل وحتى تذعن لشمول بلائه وتذهب حيرة عقلها في استخراج وجوه المصالح في دفعه ومقاومته فالقلة هنا مهانة لك
من عمل طمعها في مقاومته او لتشويشها الخوف وعدم لحظ وجه المصلحة واطلاق لفظ الضرب على قلبه استعارة ثم وضرب عليهم الذلة والمسكنة
ووجه التشبيه فيها الخالطة الغشية المضروبة بين فيها او لزوم قلة العقل له كلزوم الطين المضروب على الحائط ويحتمل ان يراد بالاسباب كثرة
الكلام من غير فايدة فان الانسان حال الخوف والذلة كثيرا ما يخبط في القول ويكثره من غير اصابة برويته وكذلك الخوف التي الامور كاد له
الحق منه وغلبة العدو له وعلى انتصافه منه امرا عزيزا لا جبا عادته مع التمكن من ذلك وهي محل منفور عنها طبعا ومفر
بحال من تحققه في الدار وقد ورد في التنزيل الالهي من فضل الجهاد والحث عليه امور كثيرة كقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين
غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وقوله فضل الله المجاهدين
على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وقوله وجاهدوا في الله حق جهاده وقوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ونحو
ذلك قوله الا واني قد دعوتكم اه لما ذكر صدر الخطبة اردفه بتفصيل غرضها اجمله فيه وهو حثهم على الجهاد وتوبيخهم على تركه فنبههم
اولا على ما كان دعاهم اليه قبل من قتال معوية واصحابه مرارا كثيرة وذكرهم نصيحته السابقة لهم في امرهم بغزوهم قبل ان يغزوهم
ويذكرهم بما كان اعلمهم اولا من القاعدة الكلية المعلومة بالتجربة والبرهان وهو انه ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا وقد اشرنا
الى علة ذلك وهو ان للاوهام اعمالا عجيبة في الابدان تارة بزيادة القوة وتارة بنقصانها فان الوهم ربما كان سببا لمرض الصحيح لتوهمه
المرض وبالعكس فكان السبب في ذل من غزي في داره وان كان معروفا بالشجاعة هو الاوهام اما اوهامهم فلانها تحكم بانها
لم تقدم على غزوهم الا لقوة غازيهم واعتقادهم فيهم الضعف بالنسبة اليه فينفعل انفسهم عن تلك الاوهام وتنقهر عن المقاومة
وتضعف عن الانبعاث وتزول عنها حميتها فيحصل على طرف رذيلة الذل واما اوهام عدوهم فلان الغزو الذي يلحقهم يكون
باعثا لكثير الاوهام على الحكم بضعفهم ومحركا للطمع فيهم فيشتد لذلك طمعهم لهم ويقوى مع نفسهم ويحميه بعجزهم عن المقاومة ثم انه اردف ذلك
بما قابلوا به نصيحته من تواكلهم وتخاذلهم عن العمل بمقتضى امره الى غاية ظهور العدو عليهم وتفريق الغارات من كل جانب على
اوطانهم وحدوثهم ثم عقب ذكر العدو المطلق بذكره في شخص معين مشاهد ونبههم عليه ليكونوا الى التصديق بظهور العدو
عليهم اقبل ونص عليهم ما احدث من ورود خيله ديارهم وقتله لعاملهم وازالة خيلهم عن ثغورهم ومسالحهم وهتك المسلمات والمعاهدات
وسلب اموال المسلمين وساير ما عدده على الوجه المذكور مما هو مستغن عن الايضاح ثم ختم ذلك القصص بان الاولى ان يلحق المسلم
ذا الغيرة والحمية لله من الاسف والحزن المميت له بسبب ما يشاهده من الاحوال المنكرة الواقعة بالمسلمين مع تقصيرهم عن مقاومة عدوهم
كل ذلك التقريع ليهيجهم فانه نوع بحسن معه توبيخهم وذمهم على التقصير فيما ينبغي لهم من امتثال امره وقبول مشورته فيما هو الاولى
لهم ثم اردف ذلك بالتعجب من حالهم تاكيدا لذلك التمهيد فنادى العجب من حالهم منكرا لتخصيصه كانه غير متعين في حال نداءه
ثم متعين بندائه وحضوره وكرره ليصفه بالشدة ونصبه على المصدر كانه لما حضر تعين قال اعجبت عجبا مثله كذا ونحوه هذا المنادى قوله
تعالى يا بشرى في قراءة من قرأ بغير اضافة ويحتمل ان يكون العجب الاول نصبا على المصدر ايضا والثاني للتاكيد اولما ذكرناه ويكون المنادى
محذوفا فتقديره يا قوم ونحوه واما وصفه بانه يميت القلب ويجلب الهم فاعلم ان السبب في التعجب من الامور عدم اطلاع النفس على اسبابها
لغموضها مع كونه في نفسه امرا غريبا ولذلك وضع اهل اللغة قولهم ما افعله صيغة للتعجب كقولك ما احسن زيدا وعلمت ان التقدير
فيها السؤال عن اسبابها حسنه وكلما كان الامر غريبا واسبابه اخفى كان اعجب فاذا كان امرا خطيرا مهما وانبعثت النفس في طلب سببه فقد تتحير
من تحصيله وتكل القوة المتخيلة عن تعيينه فيحدث بسبب عدم الاطلاع على سببه هم وغم لانه كالمرض الذي لا يمكن علاجه الا بالوقوف على سببه
فيسمى ذلك الهم موتا للقلب تجوزا بلفظ الموت في الهم والغم تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه واطلاقا لاسم المسبب على السبب اذا عرفت ذلك فنقول ان حال قوم
في تفرقهم عن حقهم مع علمهم بحقيته وحال اجتماعهم على باطلهم مع اشتراكهم في الشجاعة وكون قومه واثقين بوعد الله لو امتثلوا امره من
العجب المميت للقلب الذي لا يهتدي لسببه واما انه يجلب الهم فظاهر اذ كان خاذله منهم كحال الطبيب لمريض لزم تعالجهم مع خطر امراضهم وعدم لزومهم
لما يلزمه من حمية او شرب دواء وظاهر ان تلك الحال مما يجلب الهم للطبيب لما يلزمه التعجب وصفه بالشدة اعقبه بذكر الامر المتعجب منه ليكون في نفوسهم
اوقع ثم اردف ذلك التعجب بالدعاء عليهم بالبعد عن الخير وبالحزن بسبب تفريطهم واعقبه بالتوبيخ لهم والتبكيت بما يانف منه اهل المروة
والحمية ويوجب لهم الخجل والاستحياء من صيرورتهم بسبب تقصيرهم غرضا للرماة يغار عليهم وقد كان الاولى بهم ان يغزوا ويغزون وقد كانوا اولى
بالنصر ويعصى الله مع رضاهم بذلك ثم حكى صور اعذارهم في التخلف عن امره وهي تارة شدة الحر ونحوها من الاعذار التي يذود العاقل
منها ملهم الكسل والفتور وانه لم يكن لهم بها مقصود الا المدافعة ثم تسلم تلك الاعذار منهم واستثنيها وجعلها منافاة للاحتجاج
عليهم بقوله فانتم والله من السيف افر وذلك ان الفار من الاهون فار من الاشد بطريق الاولى الاولى اذ لهما سبب

لشدة الحر والبرد مع القتل والجراحة بالسيف ثم اردف ذلك التبكيت بالذم لهم بثلاثة اوصاف **احدها** انه نفى عنهم صفة الرجولية
لا شجاعتها ما ينبغي من صفات الكمال الانساني كالشجاعة والانفة والحمية والغيرة وعدم فقد الكمالات فيهم وان كانوا بالصورة
المحسوسة للرجال الموجبة لتشبههم بهم وذلك قوله يا اشباه الرجال ولا رجال **الثاني** انه وصفهم بحلوم الاطفال وذلك
ان ملكة الحلم ليس بحاصل للطفل وان كانت قوة الحلم حاصلة له لكن قد يحصل لها بصورة الحلم كعدم التسرع الى الغضب
عن خيال بعينه وطلب احواله ان يكون ذلك في غير موضعه وليس يحصل له ملكة تكسب نفسه طمأنينة كما في حق الكاملين فهو
انه نقصان نعمله كانت تاركوا امره عليه السلم بالجهاد فتركوا القتال وتحلموا عن اذى اكثرهم الحرب بصفين عن خدعة اهل الشام
لهم بالمسالمة وطلب المحاكمة الى كتاب الله ورفع المصاحف فقالوا اخواننا في الدين فلا يجوز لنا قتالهم كان ذلك حلما في غير موضعه
حتى كان من امرهم ما كان فاشبه رضو الصبيان فاطلق اسمه عليه **الثالث** انه الحاق عقولهم بعقول النساء وذلك للمشاركة
في النقصان وعدم عقليتهم لوجوه المصالح المختصة بتدبير المدن والحروب ثم عرفهم محبته لعدم رؤيتهم وعدم معرفتهم لاستلزامها ندمه
على الدخول في امرهم والحزن من تقصيرهم في الذب عن الدين لان المتولي لامر يغلب على ظنه استقامته حتى اذا دخل فيه وطلب انتظامه
وجده غير ممكن له لا بد وان يندم على تضييع الوقت ثم يحزن على عدم امكانه وهذا حاله عليه السلم مع اصحابه ولذلك حزنت
الانبياء عم على تقصير اممها حتى عاتبهم الله تع على ذلك كقوله لمحمد صلعم ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون لعلك باخع
نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم عاد الى الدعاء عليهم والشكاية منهم وذلك قوله قاتلكم الله الى اخره واعظم بما دعا عليهم فان المقاتلة
لما كانت مستلزمة للعداوة والعداوة مستلزمة لاحكام كاللعن والطرد والبعد من الشفقة والخير من جهة العدو وكان لما
المقاتلة والعداوة على الله بحسب حقيقتها غير ممكن كان اطلاق لفظ المقاتلة والعداوة مقصودا به لوازمهما كالابعاد عن الرحمة مجازا
قال المفسرون معنى قول العرب قاتلكم الله اي لعنكم قال ابن الانباري المقاتلة من القتل فاذا اخبر الله بها كان معناها اللعنة منه لان
من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك وقوله لقد ملأتم قلبي قيحا اشارة الى بلوغ الغاية في التألم الحاصل له من شدة الاهتمام بامرهم مع
تقصيرهم وعدم طاعتهم لاوامره فعبر بالقيح عن الم القلب مجازا من باب اطلاق اسم الغاية على ذي الغاية اذ كان غاية الم العضو ان يتقيح
وكذلك اطلاق لفظ الشحن على فعلهم المولم للقلب مجاز لان الشحن حقيقة في الاشياء الجسمانية وكذلك قوله وجرعتموني نغب التهمام
انفاسا اي جلبتم لي الهم وقتا فوقتا مجاز لان التجرع عبارة عن ادخال الماء ونحوه في الحلق وطرو الهم على نفسه وما يلزمه الهم من
الالام البدنية على التدريج وتكراره منهم يشبه طريان المشروب بجرعة وقوله انفاسا مجاز في الدرجة الثانية فان النفس حقيقة
لغوية في الهواء الداخل والخارج في بدن الحيوان من قبل الطبيعة ثم استعمل عرفا في المقدار ما يشرب في مدة ادخال الهواء بقدر الحاجة
اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق ثم استعمل هيهنا في كل مقدار من الهم يرد عليه من قبل اصحابه وقتا فوقتا وهي درجة ثانية من المجاز
وقوله وافسدتم علي رايي بالعصيان من تمام شكايته منهم ومعنى افسادهم له خروجه بسبب عدم التفاتهم اليه عن ان يكون منتفعا به لغيرهم حتى
قالت قريش انه رجل شجاع الا انه غير عالم بالحرب فان الخلق اذا راوا من قوم سوء تدبير او مقتضى راي فاسد كان الغالب
ان ينسبوا الى رئيسهم ومقدمهم ولا يعلمون انه عم الا لمن الذي يرى الراي كان قد راى وقد سمع ان التقصير من قومه ثم اردف ذلك
بالرد على قريش في نسبتها له الى قلة العلم بالحرب بقوله لله ابوهم الى اخره وهي كلمة من مدائح العرب ثم سالهم عن وجود من هو اشد للحرب معالجة او
اقدم منه فيها مقاما سوالا على سبيل الانكار عليهم ونبه على صدقه بنهوضه في الحرب ومعاناة احوالها غاية عمره وهو من قبل بلوغ العشرين
الى اخر عمره ثم بين ان السبب في فساد حال اصحابه ليس ما تخيله قريش فيه من ضعف الراي في الحرب كما يزعمون بل عدم طاعتهم له فيما يراه
ويشير عليهم به وذلك قوله ولكن لا راي لمن لا يطاع فان الراي الذي لا يقبل بمنزلة الفاسد وان كان صوابا والمثل له عليه السلم و

ومن خطبة له عليه السلم اما بعد فان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع وان الاخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع الا وان
اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار افلا تائب من خطيئته قبل منيته الا عامل لنفسه قبل يوم
بؤسه الا وانكم في ايام امل من ورائه اجل فمن عمل في ايام امله قبل حضور اجله فقد نفعه عمله ولم يضرره اجله ومن ٢
خسر عمله وضره اجله الا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة الا واني لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها الا
وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال الى الردى الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم
على الزاد وان اخوف ما اخاف عليكم اثنتان اتباع الهوى وطول الامل فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به انفسكم
غدا قال الرضي ره واقول انه لو كان كلام يأخذ بالاعناق الى الزهد في الدنيا ويضطر الى عمل الاخرة لكان هذا الكلام وكفى
به قاطعا لعلائق الامال وقادحا زناد الاتعاظ والازدجار ومن اعجبه قوله عم الا وان اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة
الجنة والغاية النار فان فيه مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل وواقع التشبيه سرا عجيبا ومعنى لطيفا وهو

[هامش: خيال لغ]

[هامش: قصر في ايام عمله قبل حضور اجله ٢]

قوله عليه السلم

ح ٩

قوله عليه السلام والسبقة الجنة والغاية النار فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين ولم يقل والسبقة النار كما قال والسبقة الجنة لان الاستباق
انما يكون الى امر محبوب وغرض مطلوب وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجودا في النار نعوذ بالله منها فلم يجز ان يقول والسبقة
النار بل قال والغاية النار لان الغاية قد ينتهي اليها من لا يسره الانتهاء اليها ومن يسره ذلك فصلح ان يعبر بها عن الامرين معا
فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل قال الله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار ولا يجوز في هذا الموضع ان يقال فان سبقتكم الى
النار فتأمل ذلك فباطنه عجيب وغوره بعيد لطيف وكذلك اكثر كلامه عليه السلام وقد جاء في رواية اخرى والسبقة بضم السين والسبقة
بضم السين والسبقة عندهم اسم لما يجعل للسابق اذا سبق من مال وعرض والمعنيان متقاربان لان ذلك لا يكون جزاء على فعل
الامر المذموم وانما يكون جزاء على فعل الامر المحمود **اقول** هذا الفصل من الخطبة التي في اولها الحمد لله غير مقنوط من رحمته وسيجيء
بعد وانما قدمه الرضي عليها لما سبق من اعتذاره في خطبة الكتاب انه لا يراعي التتالي والنسق في كلامه عليه السلام وقوله ادبر اي ولى دبره
وآذنت اي اعلمت واشرفت اي اطلعت والمضمار المدة التي يضمر فيها الخيل للمسابقة اي تعلف حتى تسمن ثم ترد الى القوت والمدة
اربعون يوما وقد يطلق على الموضع الذي يضمر فيه ايضا والسباق مصدر مرادف للمسابقة وهو ايضا جمع سبقة كنطفة ونطاف
او سبقة كحجلة وحجال او سبق كجمل وجمال والسبقة اسم لما يجعل للسابق من مال وعرض والمنية الموت والبؤس شدة الحاجة
وتحرزون تحفظون واعلم ان هذا الفصل يشتمل على احد عشر تنبيها **الاول** على وجوب النفار عن الدنيا وعدم الركون اليها وذلك
بقوله الا وان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع واشار بادبار الدنيا واعلامها بالوداع الى تقضي الاحوال الحاضرة بالنسبة الى كل شخص
شخص من الناس من صحة وشباب وجاه ومال وكل ما يكون سببا لصلاح حال الانسان وان كل تلك اجزاء للدنيا تذهب عن الانسان
ولما كانت هذه الامور ابدا في التغير والتقضي المقتضي لمفارقة الانسان لها وبعدها عنه لا جرم حسن اطلاق اسم الادبار على
تقضيها وبعدها استعارة تشبيها لها بالحيوان في ادباره ويقال لكل امر يكون الانسان فيه من خير او شر اذا كان في اوله اقبل واذا كان
في آخره وبعد تقضيه ادبر وكذلك اسم الوداع فان التقضي لما استلزم المفارقة وكانت مفارقة الدنيا مستلزمة لاسف الانسان
عليها ووجده بها اشبه ذلك ما يفعله الانسان في حق صديقه المرتحل عنه في وداعه من الاسف على فراقه والحزن والبكاء
ونحوه فاستعير اسم الوداع له وكنى باعلامها بذلك عن الشعور الحاصل بمفارقتها من تقضيها شيئا فشيئا وهو اعلام بلسان الحال **الثاني**
التنبيه على الاقبال على الآخرة والتيقظ للاستعداد لها بقوله الا وان الآخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع ولما كانت الآخرة عبارة
عن الدار الجامعة للاحوال التي يكون الناس عليها بعد الموت من سعادة وشقاوة والم ولذة وكان تقضي العمر مقربا للوصول الى تلك
الدار والحصول فيها تشتمل عليه من خير او شر حسن اطلاق لفظ الاقبال عليها مجازا ثم نزلها لشرفها على الدنيا في حال اقبالها منزلة عال
عند سافل فاسند اليها لفظ الاشراف ولاجل احصاء الاعمال الدنيوية فيها منزلة عالم مطلع فاطلق عليها لفظ الاطلاع ويحتمل ان
يكون اسناد الاشراف بكيفية الاطلاع الى رب الآخرة وانما عبر بالآخرة عنه تعظيما لجلاله كما يكنى عن الرجل الفاضل بمجلسه وحضرته
ويكون كيفية الاطلاع قرينة ذلك **الثالث** التنبيه على وجوب الاستعداد بذكر ما يستعد لاجله وهو السباق وذكر ما
يستبق اليه وهو غاية المقصر المتخلف عن نداء الله وذلك قوله وان اليوم المضمار الى قوله والغاية النار وكنى باليوم عن عمر الانسان الباقي
له واخبر بالمضمار عنها واعلم انه قد ورد المضمار والسباق مرفوعين ومنصوبين فاما رفع المضمار فلانه خبر ان واليوم اسمها وانما
اطلق اسم المضمار على تلك المدة لما بينهما من المشابهة فان الانسان في مدة عمره يستعد بالتقوى ويرتاض بالاعمال الصالحة لتكمل
قوته فيكون من السابقين الى لقاء الله والمقربين في حضرته كما يستعد الفرس بالتضمير لسبق مثله واما نصبه ففيه سؤال ذكره وهو
ان يقال ان المضمار زمان واليوم زمان فلو اخبرنا عنه باليوم لكان ذلك اخبارا بوقوع الزمان في الزمان فيكون الزمان محتاجا
الى زمان آخر وذلك محال وجوابه لا نسلم ان الاخبار بوقوع الزمان محوج للزمان الى زمان آخر فان بعض اجزاء الزمان قد يخبر
عنها بالزمان بمعنى انها اجزاؤه والجزء في الكل لا بمعنى انها حاصلة في زمان آخر وان كان انما يحسن الاخبار عنها به اذا قيدت بوصف
واشتملت على احداث تختص بها كما نقول ان مصطلح القوم اليوم فكذلك المضمار لما كان وقتا مشتملا على حدث صح الاخبار عنه باليوم
واما نصب السباق فلانه اسم ان اي وان غدا السباق وكنى بغد عما بعد الموت واما رفعه فلان جملة الآن يكون مبتدأ وخبره غدا و
يكون اسم ان ضمير الشأن وقال بعض الشارحين يجوز ان يكون خبر ان وهو ظاهر الفساد لان الحكم بشيء على شيء اما بمعنى انه هو كما يقال
الانسان هو الضحاك وهو ما يسميه المنطقيون حمل المواطاة او على ان المحكوم عليه ذو المحكوم به كما يقال الجسم ذو بياض وهو ما يسمونه
حمل الاشتقاق ولا واحد من المعنيين بحاصل في الحكم بالسباق على غدا فيمتنع ان يكون خبر ان اللهم الا على تقدير حذف المضاف و
اقامة المضاف اليه مقامه اي وان غدا وقت السباق لكن لا يكون السباق هو الخبر في الحقيقة ثم ان قلنا ان السباق مصدر كان التقدير
ضمروا انفسكم اليوم فانكم غدا تستبقون وتحقيق ذلك ان الانسان كلما كان اكمل في قوتيه النظرية والعملية كان وصوله الى حضرة القدس

فشيئا ح

في الزمان ح

على التقدير ح

هو خبر

قبل وصوله من هو انقص منه ولما كان سبب النقصان في هاتين القوتين انما هو محبة ما عدا الحق الواحد واتباع الشهوات والميل الى
انواع اللذات الفانية والاعراض بسبب ذلك عن تولي القبلة الحقيقية وسبب الكمال فيهما هو الاعراض عما عدا الواحد الحق من الامور
المعدودة والاقبال عليه بالكلية وكان الناس في محبة الدنيا وفي الاعراض عنها والاستكمال بطاعة الله على مراتب مختلفة ودرجات
متفاوتة كان كون اليوم هو المضمار ... السباق متصورا جليا فان كل من كان اكثر استعدادا واقطع لعلائق الدنيا عن قلبه
لم يكن له بعد الموت عائق يعوقه عن الوصول الى الله وما اعد له في الجنة من الثواب الجزيل بل كان خفيف الظهر ناجيا من ثقل الاوزار
كما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وآله بقوله نجا المخففون وكما سيأتي من اشارته عليه السلام الى ذلك بقوله تخففوا تلحقوا فيكون بعد الموت سابقا ومن كان
اضعف استعدادا منه ومن تشبثت عقائده بالهيئات البدنية والملكات الرديئة قلبه واثقلت الاوزار ظهره واوجب له التخلف عن درجة
السابقين الاولين وكذلك يكون سبق هذا بالنسبة الى من هو انزل استعدادا منه واشد علاقة للدنيا بقلبه فكان معنى المسابقة
ظاهرا وان كان استعارة من السباق المتعارف بين العرب وان قلنا ان السباق جمع سبقة اسما لما يستبق اليه ويجعل للسابق فالمعنى
ايضا ظاهر فان ما يستبق اليه انما يكمل الوصول اليه بعد المفارقة ويكون الاستباق اما قبل المفارقة وهو السعي في درجات الرياضات
كما اشار اليه سبحانه بقوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا الآية وقوله فاستبقوا
الخيرات او بعد المفارقة كما اشرنا اليه ويكون قوله بعد ذلك والسبقة الجنة تعيينا للمستبق اليه بعد التنبيه عليه اجمالا او
اما قوله والغاية النار فالذي ذكره الرضي رضي الله عنه في تخصيص الجنة بالسبقة والنار بالغاية حسن وكاف في بيان مراده عليه السلام الا
انه بقي ههنا بحث وهو ان هذه الغاية من اي الغايات هي وهل هي غاية حقيقية او لا ... غاية فنقول ان ما ينتهى اليه قد يكون بسوق
طبيعي وقد يكون بسوق ارادي وكل واحد منهما قد يكون ذاتيا وقد يكون عرضيا فالسوق الذاتي منهما يقال له غاية اما طبيعية
كاستقرار الحجر في حيزه عن حركته بسوق طبيعته له اليه واما ارادية كغايات الانسان عن حركاته المنتهى اليها بسوق ارادته واما
المنتهى اليه بالسوق العرضي فهو من لوازم احدى الغايتين وقد يسمى غاية عرضية فاللازم عن الطبيعية كمنع الحجر غيره ان يحل
بحيث هو فان ذلك من لوازم استقراره في حيزه وعن الارادية كاستضاءة الجار بسراج جاره فان ذلك من لواحق استضاءته
وكهلاك الطاير في حبائل الصياد عن الميل الى التقاط حبة اذا عرفت ذلك فنقول ان كون النار غاية بهذا المعنى الرابع وبيانه
ان محبة الدنيا والميل اليها والانهماك في مشتهياتها سواء كان معها مسكة للانسان بالله تعالى او لم يكن فان من لوازمها الانتهاء
الى النار الا ان يشاء الله كما قال تعالى من يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وكان المقصود الاول للانسان
هو تناول اللذات الحاضرة لكن لما كان من لوازم الوصول الى تلك اللذات والاقبال عليها دخول النار والانتهاء اليها كانت
عرضية **الرابع** التنبيه على التوبة قبل الموت وهو قوله افلا تائب من خطيئته قبل منيته ولا شك انها يجب ان تكون مقدمة
على الاعمال لانك علمت ان التوبة هي انزجار النفس العاقلة عن متابعة النفس الامارة بالسوء لجاذب الهي اطلعت معه على قبح
ما كانت عليه من اتباع شياطينها وهو من مقام الزهد والتخلي وقد علمت في بيان كيفية السلوك الى الله تعالى ان مقام التخلية
فكان الامر بها مقدما على الامر بسائر الطاعات **الخامس** التنبيه على العمل للنفس قبل البؤس والاشارة الى ما بعد الموت
والعذاب اللازم للنقصانات اللازمة عن التقصير في العمل اذ الواصل الى يوم بؤسه على غير عمل سيخزى بيد شياطينه وقد علمت ان غاية
الاسترسال في ميل الشيطان دخول النار والحجب عن لقاء رب العالمين ولما كان العمل هو المعين على قهر الشياطين والخلاص
من اسر بليته ... اردفه بالتنبيه على وجود الزمان الذي يمكنهم فيه العمل وهو ايام املهم للعمل وغيره على ان الزمان منقطع
بمجيء الاجل ثم اردفه ببيان فائدة العمل في ذلك الزمان وهي المنفعة بالثواب في الآخرة وما يلزمها من عدم مضرة الاجل وببيان
ثمرة التقصير في العمل فيه وهي خسران العمل المستلزم لمضرة الاجل وحسن باستعارته لفظ الخسران لفوات العمل فان الخسران لغة
الكمال فان الخسران في البيع لما كان هو النقصان في رأس المال او ذهاب جملته وكان العمل هو رأس مال العامل الذي يكتسب
به الكمال والسعادة الاخروية والاجر حسنت استعارة لفظ الخسران لعدم العمل واما استلزام المنفعة لعدم مضرة الموت واستلزام
الخسران للمضرة فهو امر ظاهر اذ كان الكامل في قوتيه المعرض عن متاع الدنيا غير ملتفت اليها بعد المفارقة فلم يحصل له بسببها
تعذيب فكانت المضرة منتفية عنه وكان المقصر عن الاستكمال فيهما من هذه طباعه الميل الى اللذات الحسية فاذا قصر عن العمل والتعلق
بطاعة الله الجاذبة اليه فلا بد وان يستضر بحضور الاجل اذ كان الاجل قاطعا لزمان الاستكمال وحائلا بين الانسان وبين ما هو
معشوق له من حاضر اللذات **السادس** التنبيه على وجوب التسوية للعامل بين العمل في الرغبة والعمل في الرهبة وفيه تنبيه للتوبيخ
للعبد على غفلته عن ذكر الله واعراضه عن عبادته في حال صفاء اللذات الحاضرة له وتجاوزه اليه وفزعه عند نزول الزمان نزلت
به فان ذلك ليس من شأن العبودية الصادقة لله والى مثل هذا التوبيخ اشار التنزيل الالهي بقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل

من تدعون

[illegible]

مقدم على مقام التحلية

ذلك

في بيان خطبة خطبها بعد قتل من العثماني في الكوفة

الشاميين في قتال مخالفي الحق وكان مفهوم ذلك هو الحث على جهادهم والتنفير عنهم وعلمه من الطرف الجائر كان ذلك تعقيب لك بذكر
الطريق الواضح المأمور بسلوكه ولزوم حدوده والله هو اللايق الواجب وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** وقد
تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معوية على البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران
لما غلب عليهما بسر بن أرطاة فقام إلى المنبر ضجراً بتثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي فقال عليه السلام ما هي إلا الكوفة أقبضها و
أبسطها إن لم تكوني إلا أنت تهب أعاصيرك فقبحك الله ثم تمثل لعمر أبيك الخير يا عمرو إنني على وضر من ذا الإناء قليل أنبئت
بسراً قد اطلع اليمن وإني والله لأظن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبمعصيتكم
إمامكم في الحق وطاعتهم إمامهم في الباطل وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم
فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته اللهم إني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني فأبدلني بهم
خيراً منهم وأبدلهم بي شراً مني اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء أما والله لوددت أن لي بكم ألف فارس من بني
فراس بن غنم هنالك لو دعوت أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم ثم نزل قال السيد رضي الأرمية جمع رمي وهو السحاب
والحميم وقت الصيف وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولاً وأسرع خفوقاً لأنه لا ماء فيه وإنما يكون السحاب
ثقيل السير لامتلائه بالماء وذلك لا يكون في الأكثر إلا في الشتاء وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا والإغاثة إذا استغيثوا
أقول السبب فيه أن قوماً بصنعاء كانوا من شيعة عثمن يعظمون قتله فبايعوا على دغل فلما اختلف الناس عليه بالعراق وكان
العامل يومئذ على صنعاء عبيد الله بن العباس وعلى الجند بها سعيد بن نمران ثم قتل محمد بن أبي بكر بمصر وكثرت غارات أهل الشام
تكلم هؤلاء ودعوا إلى الطلب بدم عثمن فأنكر عليهم عبيد الله بن العباس فتظاهروا بمنابذته على تحبيسهم فكتبوا إلى أصحابهم بالجند فعزلوا
سعيد بن نمران عنهم وأظهروا أمرهم فانضم إليهم خلق كثير أراده منع الصدقة فكتب عبيد الله وسعيد إلى أمير المؤمنين عم يخبرانه الخبر
فكتب إلى أهل اليمن والجند كتاباً يهددهم فيه ويذكرهم الله تعم فأجابوه بأنا مطيعون إن عزلت عنا هذين الرجلين عبيد الله وسعيد ثم
كتبوا إلى معوية فأخبروه فوجه إليهم بسر بن أرطاة وكان فظاً سفاكاً للدماء فقتل في طريقه بمكة داود وسليمان ابني عبيد الله بن العباس
وبالطايف عبد الله بن المدان وكان صهراً لابن عباس ثم انتهى إلى صنعاء وقد خرج منها عبيد الله وسعيد واستخلف عليها عبد الله بن
عمرو بن اراكة الثقفي فقتله بسر وأخذ صنعاء فلما قدم ابن عباس وسعيد على عم بالكوفة عاتبهما على تركهما قتال بسر فاعتذرا إليه
بضعفهما عنه فقام عم إلى المنبر ضجراً من مخالفة أصحابه له في الرأي فقال ما هي إلا الكوفة الفصل إذا عرفت ذلك فنقول الأعاصير
تهب فتثير التراب والوضر بقية الصادا الدسم الباقي في الإناء بعد الأكل ولكل بقية من شيء يقل الانتفاع بها والإلاء بالفتح شجر حسن المنظر
مر الطعم واطلع اليمن أي غشيها سيدالون أي يصير الأمر إليهم والدولة الانتقال الغلبة القعب القدح الضخم وماث الشيء إذابه واعلم أن الضمير في قوله ما
هي إلا الكوفة وإن لم يجر لها ذكر في اللفظ إلا أن تضجره من أهلها مثل ذلك وخوضه في تدبير أمرها وحضورها في ذهنه يجري مجرى
الذكر السابق لها وإلا بينها خبراً ثانياً والمبتدأ محذوف تقديره أنا ويحتمل أن يكون ضمير القصة والكوفة خبر عن الكوفة ونظيره
في الاحتمالين قوله تعم إنها لظى نزاعة للشوى ويفهم من هذا الكلام حصر ما بقي له من البلاد التي يعتمد عليها في الحرب ومقابلة العدو
في الكوفة وهو كلام في معرض التحقير لما هو فيه من أمر الدنيا وما بقي له من التصرف الحق بالنسبة إلى ما لغيره من التصرف الباطل
وأقبضها وأبسطها كناية عن وجوه التصرف فيها أي أن الكوفة والتصرف فيها بوجوه التصرف حقير بالنسبة إلى سائر البلاد
التي غلب عليها الخصم فما عسى أصنع بتصرفي فيها وما الذي أبلغ به من دفع الخصم ومقاومته وهذا كما يقول الرجل في تحقير ما في يده
من المال القليل إذا رام به أمراً كثيراً إنما هو هذا الدينار فما عسى أبلغ به من الغرض وقوله فإن لم تكوني إلا أنت تهب أعاصيرك عدل
من الغيبة إلى الخطاب والضمير بعد إلا تأكيد للذي قبلها والجملة الفعلية بعده في موضع الحال وخبر كان محذوف ولفظ الأعاصير
يحتمل أن يحمل على حقيقته فإن الكوفة معروفة بهبوب الأعاصير فيها ويحتمل أن يكون مستعاراً لما يحدث من آراء أهلها المختلفة التي هي منبع
التدبير والتثاقل عن ندائه ووجه المشابهة ما يستلزمه المستعار منه وله من الأذى والإزعاج وتقدير الكلام فإن لم تكوني إلا أنت
عدتي وجنتي التي ألقى بها العدو وحظي من الملك والخلافة مع ما عليه حالك من المذام فقبحاً لك وهو ذم لها بعدما ذكر وجه الذم
لأجل استصغاره لأمرها تمثل بالبيت لعمر أبيك الخير ومعنى تمثيله به أني على بقية من هذا الأمر كالوضر القليل في الإناء وهو تمثيل
على وجه الاستعارة فاستعار لفظ الإناء للدنيا ولفظ الوضر القليل منه للكوفة ووجه المشابهة ما يشتركان فيه الكوفة والوضر
من الحقارة بالنسبة إلى ما استولى عليه خصمه من الدنيا وما اشتمل عليه الإناء من الطعام ومن روى الإلاء فإنما أراد أني على بقية
من هذا الأمر كالقدر الحاصل لناظر الإلاء من حسن المنظر مع عدم انتفاعه منه بشيء آخر ويكون قد استعار لفظ الإلاء لسائر
بلاد الإسلام ولفظ الوضر لما في يده وهو من حسن المنظر استعارة في الدحيلة الثانية وإنما خص الكوفة دون البصرة وغيرها لأن

ن د ثم قال عم نبئت

الالاء

وليستعار

هم ر

هـ

في بيان خطبة خطبها بعد قتل العثماني في الكوفة

جمهور من كان يعتمد عليه في الحرب انهم اهل الكوفة وقوله انبئت بسرا الى قوله منكم شروع في استنفارهم الى الجهاد فاعلمهم اولا بحال
بسر وخروج اليمن من ايديهم ثم خوفهم بما حكم به من الظن الصادق ان سيدال القوم منهم ثم اعقب ذلك بذكر اسباب توجب وقوع ما حكم به
وهي الامارات التي عنها حكم فذكر اربعة امور من قبلهم هي اسباب الانقهار واربعة امور من قبل الخصم مضادة لها هي اسباب القهر
ورتب كل امر عقيب ضده ليظهر لهم المناسبة بين افعالهم وافعال خصومهم فيدعوهم ذلك الى الدين والمراقبة الى القرار من سوء الرأي
فالاول من افعال الخصم الاجتماع والتوازر وان كان على الباطل وهو التصرف لغير الحق في البلاد والاول من افعالهم ما يقابل
ذلك وهو تفرقهم عن حقهم اي نصرتهم المستحق لهم باذن ولي الامر **الثاني** من افعال الخصم الطاعة للامام الجائر فيما يامرهم من
الباطل ومن افعالهم معصيتهم امام الحق في امره بالحق **الثالث** للخصم اداءتهم للامانة الى صاحبهم وهي لزوم عهده والوفاء ببيعته
ومن افعالهم ذلك من الغدر والخيانة نقض العهد وتركهم الموازرة في القتال وعصيانا ثم لامره حتى صار الغدر مثلا لاهل الكوفة
الرابع صلاح القوم في بلادهم اي انتظام امورهم فيها الناشئ عن طاعة امامهم ومن افعالهم ما يضاد ذلك من فسادهم في بلادهم
لخروجهم عن طاعة امامهم وظاهر ان الامور الاربعة المذكورة من افعال الخصم من اسباب صلاح الحال وانتظام الدولة ولزوم الغلبة و
القهر وان الامور الاربعة المضادة لها من افعالهم من اقوى الاسباب الموجبة للانقلاب والانقهار وقوله فلو ائتمنت احدكم على
قعب لخشيت ان يذهب بعلاقته ضرب المثل في حقهم بالخيانة على سبيل الكناية عن خيانتهم للامانة في عهده على قبول وامر الله
وقوله اللهم اني قد مللتهم وملوني شكاية الى الله سبحانه منهم وعرض لما في ضميره وضمائرهم بحسب ما شهدت به قرائن
احوالهم والملال والسامة مترادفان وحقيقته اعراض النفس عن الشيء اما لفتور القوى البدنية وكلالها عن كثرة الافاعيل واما لاعتقاد
النفس من دليل وامارة يبين لها ان ما تطلبه غير ممكن لها وهذان السببان كانا موجودين لسامته ع من افعالهم فانه لم يبق
منهم ولم يبق عليهم حتى عجزت قواه عن التطلع الى وجوه اصلاحهم وانصرفت نفسه عن معالجة احوالهم لاعتقاده ان تقويمهم غير ممكن له
واما سامتهم منه فاما لاعتقادهم ان مطلوبه منهم التي كانوا يريدونه لها غير ممكنة منه او لكثرة تكراره وامره بالجهاد والذب عن دين الله
والمواظبة على اوامر الله على قواهم الضعيفة التي هي مع ضعفها مشغولة بغيره فلذلك تنصرف نفوسهم عن قبول قوله وامتثال اوامره
ثم اردف تلك الشكاية بالتضرع الى الله تعالى في الخلاص منهم ثم بالدعاء عليهم فدعا الله لنفسه اولا ان يبدله خيرا منهم اما في الدنيا
فقوما صالحين ينظرون بنور الله يغار عليهم مخلصون له الدين واما في الاخرة فقوما عرفوا في مطالعة انوار كبرياء الله فاصحابهم على منازل
جنته واسنى مراتب كرامته قوما انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وطلبه
الخير منهم في الدنيا هو الارجح في الذهن لما يتمناه بعد من تواريخ فراس ثم دعا الله لهم ان يبدلهم شرا منه فان قلت ان صدور
مثل هذا الدعاء منه ع مشكل من وجهين احدهما انه يقتضي ان يكون هو ذا شر وقد ثبت انه كان منزها عن الشرور الثاني
انه كيف يجوز منه ان يدعو بوجود الشرور ووجود الاشرار قلت الجواب عن الاول من وجهين احدهما ان صيغة افعل التفضيل كما ترد
لاثبات الافضلية كذلك قد ترد لاثبات الفضيلة وح يحتمل ان يكون مراده من قوله شرا مني اي ابدلهم بمن فيه شر غيري الثاني ان يكون
شرا مني بحسب اعتقادهم ان في شرا عليهم واعتقادهم انه ذو شر لا يوجب كونه كذلك وعن الثاني من وجهين احدهما انه لما كان في دعاء
الله ان يبدلهم من هو شر منه مصلحة فاستحسن منه ذلك بيان المصلحة من وجهين احدهما ان صدور ذلك الدعاء منه عليهم بمشهد
منهم ومسمع من اعظم الاسباب المخوفة الجاذبة لاكثرهم الى الله تعالى وتلك مصلحة ظاهرة الثاني ان نزول الامر المدعو به عليهم بعده مما
ينبههم على فضله ويذكرهم انه لم يصبهم ذلك الا لتركهم اوامر الله تعالى وخروجهم عن طاعته فيتنبهون عن مسالك الغي والضلال الى واضح
سبيل الرشاد ويكون ذلك بلاء من الله لهم الثاني لعله انما دعا عليهم والفساد الى واضح سبيل الرشاد ويكون ذلك بلاء من الله لهم
الثاني لعله انما دعا عليهم لعلمه انه لا يرجى صلاحهم فيما خلقوا لاجله ثم ايدعوهم اليه ومن لا يرجى صلاح حاله مع فساد نظام العالم
بوجوده وللزوم مطلوب الشريعة فعدمه اولى من وجوده فكان دعاؤه عليهم اذن منه وبابه وعلى ذلك يحمل ايضا دعاؤه
عليهم اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء ونحوه وذلك تاسيا منه بالسابقين من الانبياء صلى الله عليهم في التضجر من قولهم والشكاية
الى الله تعالى ودعائهم عليه كنوح ع اذ قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا الايات رب انهم عصوني ثم
ختم بالدعاء على من لم يرج صلاحه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الاية وكلوط اذ قال لقومه اني لعملكم من القالين وغيرهما
من الانبياء والمراد بالميث المدعو به تشبيه ان يكون ما يحصل في القلب من الانفعال عن الغم والخوف ونحوهما وذلك ان الغم اذا وقع لزمه
تكاثف الروح القلبي للبرد الحادث عند انطفاء الحرارة الغريزية لشدة انقباض الروح واختفائه فيحس في القلب ما يفعل شبيه
بالعصر والمرس وذلك في الحقيقة الم او مستلزم له فيحسن ان يكون مراده ويحتمل ان يكون كناية عن اسبابه من الغم والخوف فكانه
طلب من الله ان يقيض لهم منهم ازمانا او قلبه يفسد اعمالهم ويروى ان اليوم الذي دعا عليهم فيه ولد فيه الحجاج بن يوسف وروي انه

منهم

[illegible]

شبه حصولهم في حقد مجروح احد السهام الخائبة التي لا غنم لها كالاوغاد التي فيها غرم كالتي لم يجرح حتى استوفيت اجزاء الجزور فحصل فيها
غرم وخيبة فلاجل ملاحظة هذا الشبه استعار لهم لفظ السهم بصفة الاخيب واطلاق الفوز هنا مجاز في حصولهم له من باب اطلاق احد
الضدين على الآخر كتسمية السيئة جزاء وكذلك لاحظ المشابهة بين رجال الحرب وبين السهام في كون كل منهما عدة للحرب ودفع العدو
ولاحظها ايضا بين اسالهم في الحرب وبين الرمي بالسهام فلاجل ذلك استعار اوصاف السهم من الافوق والناصل واستعار لفظ الرمي
لمقاتلته بهم ثم خصصهم بانه وصاف السهم التي يبطل معها فائدة الرمي لمشابهتهم تلك السهم في عدم الانتفاع بهم في الحرب وكانه بهم
حضض بعثه لهم الحرب باستعارة الرمي بالسهم الموصوف لزيادة الشبه وهي عدم انبعاثهم عن امره وتجاوزهم اوطانهم كما ترمى بالسهم الذي
لا فوق له ولا نصل فانه لا يكاد يتجاوز عن القوس مسافة وهي من لطائف ملاحظات المشابهة والاستعارة عنها والمعنى ان من حصل لكم
في حوزة فالخيبة حاصلة له فيما يطلب بكم ومن قاتل بكم عدوه فلا نفع له فيكم ثم اردفه بالاخبار عن نفسه بامور تشتمل عن اساءة
ظنه بهم وعدم وثوقه باقوالهم بكثرة تخلفهم ومواعيدهم الباطلة بالنهوض معه وهي انه لا يصدقهم لانه من اكثر من شيء عرف به ومن
امثالهم ان الكذوب لا يصدق وانه لا يطمع في نصرهم وانه لا يوعدهم عدوهم اذ كان وعيده بهم مع طول تخلفهم وشعور العدو بذلك
مما يوجب جرأته وتسلطه وامانه من المقاومة ثم اردفه بالاستفهام على سبيل الاستنكار والتقريع عن حالهم التي توجب لهم التخاذل و
التقاعد عن نداء امره وهو قوله ما بالكم ثم عن دوائهم الصالح للمرض الذي هم فيه ثم عن كيفية علاجهم منه بقوله وما دواؤكم ما طبكم وقيل
اراد بقوله ما طبكم اي ما عادتكم والاول اظهر والبقي ثم نبههم على ما عساهم يتوهمونه من قوة خصومهم وباسهم بانه رجال امثالكم في
الرجولية التي هي مظنة الشجاعة والباس فلا مزية لهم عليكم فلا معنى للخوف منهم ثم عاد الى سؤالهم على سبيل التقريع وبختهم
به على امور لا ينبغي منفور عنها مستقبحة في الشريعة والعادة فاولا عن قولهم ما لا يفعلون وهو اشارة الى ما يعدونه به من النهوض
الى الحرب ثم لا يفعلون وذلك بقوله اقولا بغير عمل تذكيرا لهم بما يستلزم ذلك من المقت عند الله كما اشير اليه في القرآن الكريم لم
تقولون على الله ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وعلى الرواية الثانية وهي قوله اقولا بغير علم اي تقولون بالسنتكم
ما ليس في قلوبكم ولا تعتقدونه وتجزمون به من انا سنفعل كذا وكذا ويحتمل ان يكون معناه انكم تقولون انا مخلصون لله وانا
مسلمون ولا تعلمون شرائط الاسلام والايمان وثانيا عن غفلتهم التي ليست عن ورع وهي عدم تنبههم للمصالح التي ينبغي ان يكونوا عليها
وهي طرف التفريط من فضيلة الفطانة وهذه بخلاف الغفلة مع الورع فان تلك فاضلة في المعاد اذ كان الورع عبارة عن لزوم الاعمال
الجميلة المسعدة في الآخرة فالغفلة معه عن الامور الدنيوية والمصالح المتعلقة بجزئياتها ليست بضارة بل ربما كانت سببا للخلاص
من عذابها في الآخرة وثالثا عن طمعهم في غير حق اي في ان يمنحهم ما لا يستحقونه ليمضوا معه ويجاهدوا معه وكانه عقل من بعضهم ان
احد اسباب تخلفهم عن ندائه انما هو طمعهم في ان يوفر عطياتهم ويمنحهم زيادة على ما يستحقون كما فعل غيره مع غيرهم فاشار الى ذلك وبختهم
على ضجرهم من حيث انه طمع في غير حق والله اعلم **ومن كلام له عليه السلام** في معنى قتل عثمان لو امرت به لكنت قاتلا او نهيت عنه
لكنت ناصرا غير ان من نصره لا يستطيع ان يقول خذله من انا خير منه ومن خذله لا يستطيع ان يقول نصره من هو خير مني وانا جامع
لكم امره استأثر فاساء الاثرة وجزعتم فاسأتم الجزع ولله حكم واقع في المستأثر والجازع **اقول** المستأثر بالشيء المستبد به ومقتضى هذا
الفصل تبرئة عليه السلام من الدخول في دم عثمان بامر او نهي كما نسبه اليه معاوية وغيره **فقوله** لو امرت به لكنت قاتلا قضية شرطية بين
فيها لزوم كونه قاتلا لكونه امرا وهذا اللزوم عرفي اذ يقال في العرف للآمر بالقتل قاتل والامر شريك الفاعل وان كان الفاعل في اللغة
هو المباشر للفعل والقاصد له وكذلك بين في قوله لو نهيت عنه لكنت ناصرا لزوم كونه ناصرا لكونه ناهيا وهو ظاهر وقد عرفت ان
استثناء نقيض اللازم يستلزم نقيض الملزوم والتلازمات في هاتين القضيتين هما القتل والنصرة ومعلوم ان القتل لم يوجد منه
بالاتفاق فان غاية ما يقول الخصم ان قعوده عن نصرته دليل على ارادته لقتله وذلك باطل لان القعود عن النصرة قد يكون لاسباب اخر
كما سنبينه ثم لو سلمنا ان القعود عن النصرة دليل ارادة القتل لكن ارادة القتل ليس بقتل فان كل احد يحب قتل خصمه لكن لا يكون
بذلك قاتلا وكان ظاهر كلامه يقتضي ان النصرة لم توجد منه واذا انتفى التلازمان استلزم نفي امره بقتله ونهيه عنه ويحتمل ان يريد
في القضية الثانية استثناء عين مقدمها لينتج تاليها اي لكني نهيت عنه فكنت ناصرا الا انه لا يخلو اما ان يكون مرتكب المنكر هو
عثمان او قاتليه وعلى التقديرين يجب على علي عليه السلام القيام والانكار اما على عثمان بالمساعدة عليه ان كان هو مرتكب المنكر وعلى قاتليه بالانكار
عليهم ونصرته فقعوده عن احد الامرين يستلزم الخطاء لكنه لم يخط فلم يكن تاركا لاحد الامرين فلا يثبت التبري والجواب التبري من القضيتين
في هذا الموضع ان عثمان احدث امورا نقمها جمهور الصحابة عليه وقاتلوه لاجلها ثم احدث ما يجب انكاره اما احداث عثمان فلم يثبت في نظر علي عليه السلام الى
حد يستحق بها القتل وانما استحق في نظره ان يتنبه عليها فلذلك ورد في النقل انه انكرها عليه وحذره من الناس غير مرة كما سيجيء في
كلامه فان صح ذلك النقل ثبت انه انكر عليهما الحدثين لكنه لا يكون بذلك اخلالا في دمه لاحتمال انه لما حذره الناس ولم يتنبه اعتزله و

وان لم يثبت ذلك النقل فالانكار ليس من فروض الاعيان بل هو من فروض الكفايات اذا قام به البعض سقط عن الباقين وقد ثبت ان جمهور
الصحابة انكروا تلك الاحداث من عثمان فلا يتعين وجوب الانكار على علي عليه السلام واما حديث قاتلته فهو قتله فان ثبت انه عليه السلام انكر عليهم قلنا
ان من جملة شروط انكار المنكر ان يعلم المنكر او يغلب على ظنه قبول قوله او يمكنه من الدفع بيده فلعله عليه السلام علم من حالهم انه لا يفيد
انكاره معهم وظن ان الامر كان كلما اعدم فائدة انكاره بالقول معهم فلانه نقل عنه انه كان بعد الناس في اصلاح الحال بينهم وبين
عثمان واذا لنزعا ما نقموه عليه وينكر منه وعدهم بذلك ولم يتمكن منه وظنا انهم بعد تلك المواعيد لا يلتفتون الى قوله واما
انكاره بيده فمعلوم بالضرورة ان الانسان الواحد او العشرة لا يمكنهم دفع الجمع العظيم من عوام العرب ودعاتهم خصوصا عن هيجاء
ثارت ونار فتنة وجمعها اشد جامع وهو ما نسبوه اليه حقا وباطلا من التحمل من تفرقة مال المسلمين الذي هو قوام حياتهم
سواء كان ما نسبوه اليه ان يكون قد غلب على ظنه انه لو قام في نصرته لقتل معه ولا يجوز للانسان ان يعرض نفسه للاذى
والقتل في دفع بعض المنكرات الجزئية واما ان ثبت انه انكر عليهم كما نقلنا حملنا ذلك النهي على نهيهم حال اجتماعهم لقتله
مثل حال قتله وكان قوله ولو نهيت عنه لكنت ناصرا والا على عدم المنع من قتله حال قتله لعدم تمكنه من ذلك وعدم افادة
قوله قال بعض الشارحين هذا الكلام بظاهره يقتضي انه ما امر بقتله ولا نهى عنه فيكون دمه عنده في حكم الامور المباحة التي
لا يؤمر بها ولا ينهى عنها قلت هذا سهو لان التبري من الامر بالشيء والنهي عنه غايته ما يفهم منه عدم الدخول فيه والسكوت
عنه ولا يلزم من ذلك الحكم بانه من الامور المباحة لاحتمال ان اعتزاله هذا الامر كان لاحد ما ذكرنا وبالجملة فان اهل التحقيق
متفقون على ان السكوت على الامر لا يدل على حال الساكت بمجرده وان تلك قرينة اخرى ومما يدل على انه كان متبريا من الدخول
في دم عثمان بامر او نهي ما نقل عنه لما سئل اساءك قتل عثمان ام سرك فقال ما ساءني ولا سرني وقيل له ارضيت بقتله فقال
لم ارض فقيل اسخطت قتله فقال لم اسخط وهذا كله كلام حق يستلزم عدم التعرض بامره فان من اعرض عن شيء ولم يدخل فيه
يصدق ان يقول اني لم اسخط به ولم ارض ولم اساء به ولم اسر فان السخط والرضا والاساءة والسرور حالات تتوارد على النفس باسباب
تتعلق بها فخالع تلك الاسباب عن نفسه في امر من الامور كيف يعرض له احد هذه الحالات فيه فان قلت ان كان قتل عثمان منكرا
كان مستلزما لسخطه ومساءة منه وقد نقل عنه انه لم يسخط له وذلك يقتضي احد الامرين احدهما انه لا يسخط للمنكر
وهو باطل بالاتفاق والثاني ان قتل عثمان لم يكن عنده منكرا والتقدير انه منكر قلت ان قتل عثمان يستلزم سخطه لكن لا من
حيث انه قتل عثمان بل من جهة كونه منكرا والمنقول انه لم يسخط لقتل عثمان ولا ساءه ذلك اي من جهة كونه قتل عثمان وذلك
لا ينافي ان يسوءه ويسخط من جهة كونه منكرا وفي الجواب غموض فليتفطن ولاجل اشتباه الحال خبط الجهال فيها يقول شاعر
اهل الشام

وما في علي لمستعتب مقال سوى صحبة المحدثينا
وايثاره اليوم اهل الذنوب ورفع القصاص عن القاتلينا
اذا سئل عنه حذا شبهة وعمى الجواب على السائلينا
وليس براض ولا ساخط ولا في النهاة ولا الآمرينا
ولا هو ساءه ولا سره ولا بد من بعض ذا ان يكونا

فاما تفصيل الاعتراضات والاجوبة في معنى قتل عثمان وما نسب الى علي من ذلك فمبسوط
في كتب المتكلمين كالقاضي عبد الجبار وابي الحسين البصري والسيد المرتضى وغيرهم فلا نطول بذكرها وربما اشرنا الى شيء
من ذلك فيما بعد وقوله غير ان من نصره لا يستطيع الى قوله خير مني فاعلم ان هذا الفصل ذكره جوابا لبعض من انكر تخلفه وقعود
من قعد عن نصرة عثمان وجعلهم منشأ الفتنة وقال انهم لو نصروه وهم اكابر الصحابة بما اجترئ عليه طغام الامة وجهالها
وان كانوا رأوا ان قتله هو الحق فقد كان يتعين عليهم ان يعرفوا الناس ذلك حتى يرتفع عنهم الشبهة وفهم عليه السلام
ان القائل يعنيه بذلك فاجاب بهذا الكلام تلويحا لا تصريحا اذ كان في محل الغموض وفي عصره وكلا انه لم يدخل في ذلك بامر ولا نهي ثم
عاد الى الاستثناء فقرر في الفضيلتين ان الذين خذلوه كانوا افضل من الناصرين له اذ لا يستطيع ناصروه كمروان و
اشباههم ان يفضلوا انفسهم على خاذليه كعلي عليه السلام وطلحة وسعد اكابر الصحابة اذ العقل والعرف يشهدان بافضليتهم وكذلك
لا يستطيع الخاذلون ان يفضلوا الناصرين على انفسهم اللهم الا على سبيل التواضع وليس الكلام فيه وكانه عليه السلام تسليم جدلي انه
دخل في امر عثمان وكان من الخاذلين له انهم احق في الرد على المنكر بوجه لطيف فقال غير اني لو سلمت اني ممن خذله لكن الخاذلون
له افضل من الناصرين واثبت هذه المقدمة بما بين القضيتين وحذف الثانية للعلم بها وتقديرها والافضل يجب على
من عداه اتباعه والاقتداء به فينتج هذا القياس انه كان يتعين على من نصره ان يتبع من خذله وهذا عكس اعتقاد المنكر وقال بعض
الشارحين ان هذه كلمة قرشية واراد بذلك انه عي على الناس في كلامه فقال ولم يرد التبري من امره وانما اراد الخاذلين لا يلحقهم المفضولية بكونهم
خاذلين له وان الناصرين له لا يلحقهم الافضلية بنصرته والذي ذكره بعيد الفهم من هذا الكلام ويمكن ان يحمل على وجه اخر وذلك
انه انما قرر افضلية الخاذلين على الناصرين ليسلم هو من التخصيص باللائمة في القعود عن النصرة فكانه قال واذا كان الخاذلون له

انتقاد

افضل من نصره فيتّجه عليهم السؤال عن التخلف وان يستشهد عليهم بحال الناصرين له مع كونهم مفضولين فلخصصت بالائمة من بينهم
والمطالبة به لولا الاعراض الفاسدة وقوله وانا جامع لكم امره الى قوله الاثرة اشارة في هذا اللفظ الوجيز جدا الى ان كلا واصل
من عثمان وقاتليه كانا على طرف الافراط من فضيلة العدل اما عثمان فاستيثاره واستبداده برأيه فيما الامر شركاء فيه والخروج
في ذلك الى حد الافراط الذي يفسد معه نظام الخلافة عليه وادى الى قتله واما قاتلوه فلخروجهم في الجزع من فعله الى طرف
التفريط عما كان ينبغي لهم من التثبت وانتظار صلاح الحال بينهم وبينه بدون القتل حتى استلزم ذلك الجزع ارتكابهم لرذيلة
الجور في قتله فلذلك كان فعله اساءة للاستيثار وفعلهم اساءة للجزع وقيل واذا انكم اسأتم الجزع عليه بعد قتله وقوله
ولله حكم واقع في المستأثر والجازع المفهوم من ذلك انه يريد بالحكم الواقع لله في المستأثر هو الحكم المقدر اللاحق لعثمان بالقتل
المكتوب بقلم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ وفي الجازع هو الحكم بقاتليه من كونهم قاتلين او قاتلين وجائرين وفي نسبته
هذه الاحكام الى الله تنبيه على تبريه من الدخول في امر عثمان وقاتليه بعد الاشارة الى السبب المعد لوقوعها في حقهم وهو الافراط
في الاستيثار والجزع ويحتمل ان يريد الحكم في الآخرة اللاحق لكل من ثواب او عقاب عما ارتكبه من خطاء او ثواب كما قال
تعالى الله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز كلا بما يستحقه من سعادة او شقاوة وبالله التوفيق والعصمة

ومن كلام له عليه السلام لما انفذ عبد الله بن عباس الى الزبير قبل وقوع حرب الجمل ليستفيئه الى طاعته لا تلقين طلحة فانك
ان تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه يركب الصعب ويقول هو الذلول ولكن الق الزبير فانه الين عريكة فقل له يقول لك ابن
خالك عرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق فما عدا مما بدا قال الرضي رضه وهو عليه السلام اول من سمعت منه هذه الكلمة اعني
فما عدا مما بدا **اقول** ليستفيئه اي يسترجعه من فاء اذا رجع وفي رواية ان تلقه تلفه من الفيته على كذا اذا وجدته عليه و
العقص الاعوجاج وعقص الثور قرنيه بالفتح متعد وعقص قرنه بالكسر لازم والصعب الدابة الجموح الشعبة والذلول السهلة
الساكنة والعريكة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل الاسم من الوصفية الى الاسمية الصرفة واصل العرك دلك الجلد بالدباغ و
غيره وعدا جاوز وبدا ظهر واعلم انه عليه السلام نهى ابن عباس عن لقاء طلحة لما راى في ذلك من المصلحة ونبّه على علة وجه نهيه عنه بقوله
فانك ان تلقه تجده كذا وقد شبهه بالثور واشار الى وجه الشبه بعقص القرن استعار لفظ القرن وكنى به عن شجاعته ولفظ
العقص لما يدعو تعاطيه بالقوة والشجاعة من منع الجانب وعدم الانقياد تحت طاعة الغير اللازم عن الكبر والعجب بالنفس لكن
قد تعرض للشجاع ووجه الاستعارة الاولى ان القرن آلة القوة للثور ومنع ما يراد به عن نفسه وكذلك الشجاع يلزمها الغلبة والقوة
ومنع الجانب ووجه الاستعارة الثانية ان الثور عند ارادة الخصام بعقص قرنيه ويرخي اذنه ويعطف قرنيه ليصوبهما الى جهة
خصمه ويقارن ذلك منه نفخ صادر عن توهم غلبته لمقاومه وشدته عليه وانه لا قدر له عنده كذلك الشجاع ههنا علم منه عليه السلام عند
لقاء ابن عباس له ان يكون مانعا جانبه متهيئا للقتال مقابلا بالخشونة وعدم الانقياد له الصادر عن عجبه بنفسه وعزوه الشجاعة
فلذلك حسن التشبيه ويحتمل ان يكون وجه الشبه هو التواء طلحة في آرائه وانحرافه عنه عليه السلام التشبيه بالتواء القرن وهو تشبيه للمعقول
بالمحسوس ويقال ان الكبر الذي داخل طلحة لم يكن فيه قبل يوم احد وانما حدث فيه ذلك اليوم وذلك انه ابلى بلاء حسنا ثم اشار
على ابن عباس بلقاء الزبير واشار الى وجه الرأي في ذلك وهو كونه الين عريكة وكنى بالعريكة عن الطبع والخلق كناية بالاستعارة تقال
فلان لين العريكة اذا كان سهل الجانب لا يحتاج فيما يراد منه الى تكلف ومجاذبة وتوتير كالجلد اللين الذي يسهل عركه وفلان
شديد العريكة اذا كان بالضد من ذلك وظاهر ان الزبير كان سهل الجانب فلاجل ذلك امر بلقاءه لما عهده من طبيعته انها اقبل
للاستدراج واقرب الى الانفعال عن الموعظة وتذكر الرحم واحسن بهذه الاستمالة بذكر النسب المستلزم صورة للميل والانعطاف
من الطبايع السليمة ونحوه قوله تعالى حكاية عن قول هرون لموسى يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي قال يا ابن ام ان القوم استضعفوني
فان فيه من الاستمالة والاسترقاق بتذكيره حق الاخوة ما يدعو الى عطفه عليه ما لم يوجد في كلام اخر واما كون علي عليه السلام ابن خال
الزبير فان ابا طالب وصفية ام الزبير من اولاد عبد المطلب بن هاشم وقوله فما عدا مما بدا قال ابن ابي الحديد عدا بمعنى صرف
ومن ههنا بمعنى عن ومعنى الكلام فما صرفك عما كان بدا منك اي ظهر اي ما الذي صدك عن طاعتي بعد اظهارك لها وحذف
الضمير المفعول كثير كقوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي ارسلناه وقال القطب الراوندي له معنيان احدهما ما الذي منعك مما
كان قد بدا منك من البيعة قبل هذه الحالة الثاني ما الذي عاقك من البداء الذي يبدو للانسان ويكون المفعول الثاني
لعدا محذوفا يدل عليه الكلام اي ما عداك يريد ما شغلك وما منعك عما كان بدا لك من نصرتي قال ابن ابي الحديد ليس
في الوجه الثاني مما ذكره القطب زيادة على الوجه الاول الا زيادة فاسدة اما انه لا زيادة فلانه فسر عدا في الوجهين بمعنى منع و
فسر قوله مما كان بدا منك في الوجهين ايضا بتفسير واحد فلم يبق بينهما تفاوت واما الزيادة الفاسدة فظنه ان عدا يتعدى الى

في بيان تقسيم الناس الى اربعة اقسام

معقولين وهو باطل باجماع النحاة واقول الوجه الذي ذكره ابن ابي الحديد هو الوجه الاول من الوجهين اللذين ذكرهما الراوندي لان الصرف
والمنع لا يكثر تفاوت بينهما وان كان قد يفهم ان المنع اعم واما اعتراضه عليه بانه لا فرق بين الوجهين اللذين ذكرهما فهو سهو عليه
لان معنى بدء في الوجه الاول معنى ظهر للناس منك من التبغض اليهم ومراده ببدي في الثاني ما ظهر لك في الرأي من نصرتي وطاعتي
وفرق بين ما يظهر من الانسان لغيره وبين ما يظهر له من نفسه او من غيره فاما ما ذكره انه زيادة فاسدة فالاظهر ان لفظة الثاني
في قوله المفعول الثاني زيادة من قلمه او قلم الناسخ سهوا ويؤيده اظهاره للمفعول الاول تفسيرا لقوله ويكون المفعول لعدا محذوفا
ثم اقول وهذه الوجوه وان احتملت ان يكون تفسيرا الا ان كل واحد منها لا يعرى عن التكلف من وجه اما الوجه الذي ذكره المدائني فلانه
لما حمل عدا على حقيقتها وهي المجاوزة وحمل ما بدا على الطاعة السابقة احتاج ان يجعل من بمعنى عن وهو خلاف الظاهر واما الراوندي فانه فسر عدا
بمعنى منع او عاق وشغل وحمل ما بدا اما على الطاعة السابقة او على البيعة ولا يتم ذلك الا ان يكون من بمعنى عن والحق ان عدا بمعنى جاوز
ومن لبيان الجنس والمراد ما الذي جاوز بك عن بيعتي مما بدا لك بعدها من الامور التي ظهرت لك وح يبقى الالفاظ على اوضاعها الاصلية
مع استقامة المعنى وحسنه وروي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عن ابيه عن جده قال سألت ابن عباس رضي الله عنه عن تلك الرسالة فقال
بعثني فاتيت الزبير فقلت له فقال اني اريد ما يريد كانه يقول الملك ولم يزدني على ذلك فرجعت الى امير المؤمنين فاخبرته وعن
ابن عباس ايضا انه قال قلت الكلمة للزبير فلم يزدني على ان قال انا مع الخوف الشديد لنطمع وسئل ابن عباس عما يعني الزبير بقوله هذا
فقال يقول انا على الخوف لنطمع ان نلي من الامر ما وليتم وقد فسر غيره ذلك تفسيرا آخر فقال اراد انا مع الخوف الشديد من الله نطمع
ان يغفر لنا هذا الذنب **ومن خطبة له عليه السلام** ايها الناس انا قد اصبحنا في دهر عنود وزمن كنود شديد يعد فيه المحسن مسيئا
ويزداد الظالم فيه عتوا لا ننتفع بما علمنا ولا نسأل عما جهلنا ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا فالناس على اربعة اصناف
منهم من لا يمنعه من الفساد في الارض الا مهانة نفسه وكلالة حده ونضيض وفره ومنهم المصلت بسيفه والمعلن بشره والمجلب
بخيله ورجله قد اشرط نفسه واوبق دينه لحطام ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه ولبئس المتجر ان ترى الدنيا
لنفسك ثمنا ومما لك عند الله عوضا ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا قد طامن من شخصه
وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف من نفسه للامانة واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية ومنهم من اقعده عن طلب
الملك ضئولة نفسه وانقطاع سببه فقصرته الحال على حاله فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس اهل الزهادة وليس من ذلك
في مراح ولا مغدى وبقي رجال غض ابصارهم ذكر المرجع واراق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد ناد وخائف مقموع
وساكت مكعوم وداع مخلص وثكلان موجع قد اخملتهم التقية وشملتهم الذلة فهم في بحر اجاج افواههم ضامزة وقلوبهم
قرحة قد وعظوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قلوا فلتكن الدنيا اصغر في اعينكم من حثالة القرظ وقراضة
الجلم واتعظوا بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم وارفضوها ذميمة فانها قد رفضت من كان اشغف بها منكم
قال السيد رضي الله عنه وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له الى معاوية وهي من كلام امير المؤمنين الذي لا شك فيه واين الذهب
من الرغام والعذب من الاجاج وقد دل على ذلك الدليل الخريت ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ فانه ذكر هذه الخطبة
في كتاب البيان والتبيين وذكر من نسبها الى معاوية ثم تكلم من بعدها بكلام في معناها جملته انه قال وهذا الكلام بكلام علي اشبه
وبمذهبه في تصنيف الناس وفي الاخبار عما هم عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف اليق قال ومتى وجدنا معاوية في حال من
الاحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد ومذاهب العباد **اقول** عنود جائر وكنود كفور والعتو الكبر والقارعة الخطب العظيم
ومهانة النفس حقارتها وكلالة حد السيف وغيره اذا وقف عن القطع ونضيض وفره قلة ماله والمصلت لسيفه الماضي في الامور
بعتوه والمجلب المستعين على الامر المجمع والرجل جمع راجل واشرط نفسه لكذا اي اعلمها واعدها له واوبق دينه اي اهلكه والحطام
متاع الدنيا واصله ما تكسر من اليبس والانتهاز الاختلاس والاستلاب بقدر الامكان والمقنب بكسر الميم وفتح النون الجمع من
الخيل ما بين الثلاثين الى الاربعين وفرع المنبر يفرعه اي علاه وطامن من شخصه اي خفض والاسم الطمأنينة وشمر من ذيله اذا
رفعه وزخرف اي زين ونمق وضئولة نفسه حقارتها والمراح المكان الذي يأوي اليه الماشية بالليل والمغدى هو الذي يأوي
اليه بالغداة والشريد المشرد وهو المطرود والناد الذاهب على وجهه والقمع الاذلال والمكعوم الذي لا يمكنه الكلام كانه سد فوه
بالكعام وهو شيء يجعل في فم البعير عند الهياج والثكل الحزن على فقد بعض المحبات واخملتهم اي اسقطتهم وارذلتهم بين
الناس والتقية والتقوى الخوف والاجاج الملح والضامزة بالزاي الساكنة والحثالة الثفل والقرظ ورق السلم يدبغ به والجلم المقراض
يجز به اوبار الابل وقراضته ما تساقط من قرضه واعلم ان نسبة الخير الى بعض الازمنة والشر الى بعض آخر وتفضيل بعض الازمنة
على بعض نسبة صحيحة لما ان الزمان من الاسباب المعدة لحصول ما يحصل في هذا العالم من الامتزاجات وما يتبعها مما يعد خيرا وشرا وقد

يتفاوت

ح ١٠

في بيان تقسيم الناس الى اربعة اقسام

تتفاوت الازمنة في الاعداد لقبول الخير والشر ففي بعضها يكون بحسب الاستقراء ما يعد شرا اكثر فيقال زمان صعب وزمان جائر ضيق وزمان ضعف
الدين والنواميس الشرعية التي هي سبب نظام العالم وبقاؤه وسبب الحياة الابدية في الدار الآخرة وفي بعضها يكون ما يعد خيرا اكثر فيقال
زمان حسن وزمان عادل وهو الزمان الذي يكون احوال الخلق فيه منتظمة صالحة خصوصا زمان قوة الدين وظهوره وبقاء ستر
ناموس الشريعة مسدد ولا هذا وان كنا اذا اعتبرنا اجزاء الخير واجزاء الشر لوجدناها في كل العالم بحسب كل زمان زمان لم يكن هناك كثير
تفاوت بين الازمنة فيما يعد خيرا فيها وشرا ولذلك قال افلاطون الناس يتوهمون بكل زمان انه آخر الازمنة ويثبتون تقصيرا عما
تقدمه وليس يوفون الزمان الماضي والمقيم حالتهما من التأمل وذلك انهم يقيسون الاحداث في الزمان المقيم تشاهدونها بشناعته
ويجانبونه في الزمان الماضي وينظرون الى قصور المروات في الزمان المقيم وشناعتها في الماضي من غير ان ينظروا الى الاعراض في الزمان
وما يوجبه كل واحد منهما واذا تتبع هذا بعدل واستقصى تصفح هيئة الزمانين من القوى والحدثات والارض والخوف والامن والاسباب و
الاحوال كانا متقاربين اذا عرفت هذا فنقول قوله انا قد اصبحنا الى قوله حتى يحل بنا الخ ذم للزمان بوصفي الجور والشدة لما اعد له
مما عد له فيه من الاوصاف المعدودة شرا بالقياس الى نظام العالم وبقائه وذكر من ذلك الاوصاف خمسة **اولها** انه يعد فيه
المحسن مسيئا وذلك من حيث السيئين الكسالى عن القيام بطاعة الله فيعدون انفاق المحسن ماله رياء ويعملون خوفا او رغبة في
مجازاة وكل شيء فضائله رذائل كل ذلك طعنا في فضيلته وحسدا ان ينال رتبة اعلى فيتوهمون بجبانتهم في الاساءة **وثانيها**
انه يزداد الظالم فيه عتوا وتمردا وذلك ان منشأ الظلم هو النفس الامارة بالسوء وهي في زمان العدل تكون مقهورة دائما وفي اكثر الاحوال
وثورانها في ذلك الوقت طالبة للظلم يكون فلتة وانها زفرة فالظالم في زمان العدل ظالم او مجاوز جده فكالسارق الذي لا
يأمن في كل لحظة ان يقع به المكروه فكان الظالم في زمن العدل ممنوع بحرسة الشريعة مرصود بعيون طلائعها اما في زمان ضعف
الشريعة فالظالم فيه كالذئب مغط القوة مسود لما غير ملتفت الى وازع الدين فلا جرم كان عتوه فيه ازيد وقد كان في زمانه بالنسبة
الى عهد الرسول ص كذلك **وثالثها** انه لا ينتفع اهله فيه بما علموا وهو توبيخ للمقصرين في اعمال الآخرة على تقوم ما علموا من الشريعة مما
ينبغي ان يعمل لها اذ الانتفاع بالعلم انما يكون اذا وقف العمل واليه الاشارة بقوله ع في موضع آخر العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل
فان اجابه والا ارتحل فان المراد بارتحال العلم هو عدم الانتفاع به وهتفه بالعمل اقتضاؤه ما ينبغي من مقارنة العمل له **ورابعها**
انهم لا يسألون عما جهلوا وهو توبيخ للمقصرين في طلب العلم بعدم السؤال عما جهلوا منه وقلة الالتفات كقصور افهامهم عن فضيلته
واشتغالهم بحاضر اللذات الحسية **وخامسها** كونهم لا يتخوفون قارعة حتى تحل بهم وذلك لعكوف فكرهم في عواقب امورهم واشتغالهم
بحاضرها عن الالتفات الى مصالحهم وتدبيرها وهو توبيخ للمقصرين في امر الجهاد وتنبيه لهم على ذكر القوارع وحلولها بهم وكل هذه امور
مضادة لمصلحة العالم فلذلك عد الزمان الواقعة فيه عنودا وشديدا **قوله** والناس على اربعة اصناف الى قوله قلوا **اقول** وجه
هذه القسمة ان الناس اما مريدون للدنيا او لله اما المريدون للدنيا فاما قادرون عليها او غير قادرين وغير القادرين اما غير محتالين لها
او محتالون والمحتالون اما ان يعملوا نفوسهم للآخرة والملك لما هو دون ذلك فهذه اقسام خمسة مطابقة لما ذكره ع من الاوصاف
الاربعة الذين عرضهم للذم مع الصنف الخامس الذين افردهم بالمدح فالصنف الاول منهم المريدون للدنيا القادرون عليها وهو المشار
اليه في القسم الثاني من قسمته بقوله ومنهم المصلت بسيفه والمعلن بشره الى قوله يفرعه والمقصود بهذا الصنف القادرون على الدنيا
المطلقون لعنان الشهوة والغضب في تحصيل ما يتخيل كمالا من القينات الدنيوية فاصلات السيف كناية عن التغلب وتناول ما يمكن
تناوله بالغلبة والقهر واعلان الشر المجاهرة بالظلم وغيره من رذائل الاخلاق والاجلاب بالخيل والرجل كناية عن جمع اسباب الظلم والغلبة
والاستعلاء على الغير واشراطه نفسه تأهيلها واعدادها للفساد في الارض وظاهر ان من كان كذلك فقد اوبق دينه وافسده وقوله لحطام
ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه اشارة الى بعض العلل الغائية للصنف المذكور من كونهم بالاوصاف المذكورة واستعار لفظ الحطام
للمال وجه المشابهة ان اليبس من النبات كما انه ينتفع له بالقياس الى ما ينتفي خضرته ونضارته ويكون ذا ثمرة كذلك المال بالنسبة
الى الاعمال الصالحة الباقي نفعها في الآخرة وانما خص هذه الامور الثلاثة لانها الاغلب فيما يبتغي اهل الدنيا لاجله اذ الغالب
ان السعي فيها اما لجمع المال او الرياسة الدنيوية باقتناء الخيل والنعم وقد ينتهي كافتراع المنابر والترأس بناموس الدين مع قصد الدنيا
وقوله ولبئس المتجر الى آخره تنبيه لهذا الصنف من الناس على خسرانهم في افعالهم الشبيهة بالتجارة الخاسرة فان طالب الدنيا المحصل
لها كيف ما اتفق هالك في الآخرة فهو كالبائع لها بما حصل من دنياه والمعتاض بما له عند الله من الاجر الجزيل ولو اطلع حطاما تفنى
عينه وتبقى تبعته ولذلك استعار لفظ التجارة لها الصنف الثاني وهم المريدون لها غير القادرين عليها وغير المحتالين لها وهو
المشار اليه بقوله ومنهم من لا يمنعه عن الفساد في الارض الا مهانة نفسه وكلالة حده ونضيض وفره وكني بقوله كلالة حده عن عدم
صرامته في الامور وضعفه عنها وظاهر ان المريد للدنيا المعرض عن الله لو خلي عن الموانع المذكورة ووجد الدنيا لم يكن سعيه فيها الا

والامن

في بيان اصناف خمسة من الناس

في بيان أقسام الناس

فيها الصنف الثالث الغير القادرين على الدنيا مع احتيالهم لها واعدادا انفسهم لامور دون الملك وهو المشار اليه بقوله ومنهم من يطلب الدنيا
بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا الى آخره فقوله يطلب الدنيا بعمل الآخرة اشارة الى الحيلة للدنيا كالرياء والتسمّع وقوله لا يطلب
الآخرة بعمل الدنيا اشارة الى تزهده في الدنيا فقط وقوله قد طامن من شخصه الى آخره تفصيل الحيلة فان خضوع الاعناق وتطامن
كيفية
شخصه والمقاربة بين خطوه وتشمير ثوبه وزخرفة نفسه بما هو شعار الصالحين من عباد الله وستر الله الذي حمى به اهل التقوى ان
يردوا موارد الهلكة يتخذه صنف من الناس المرائين سلما للدخول في عيون اهل الدنيا وارباب اهل القينات ليسكنوا اليهم في الامانات
ونحوها ويجعلون ذلك ذريعة لهم الى ما املوه من الدنيا الفانية فيكونون قد اتخذوا ستر الله وظاهر دينه وسيلة الى معصيته
الصنف الرابع الغير القادرين عليها المحتالون لها المؤملون انفسهم للملك والامرة وهم المشار اليهم بقوله ومنهم من اقعده عن
طلب الملك ضئولة نفسه الى آخره وذكر من موانع هذا الصنف عما رامه مانعين احدهما ضئولة نفسه وقصورها عن المناوأة وتحملها.
العجز عن طلب الملك وان كان مطلوبا له الثاني سبب ذلك الضعف وهو انقطاع سببه من قلة المال وعدم الاعوان والانصار
في الطلب فلذلك وقفت به حال العقد على حالته التي لم يبلغ معها ما اراد وقصرته عليها فعدل لذلك الى الحيلة الجاذبة لرغبات
الخلق اليه من التحلي بالقناعة والتزين بلباس اهل الزهادة من المواظبة على العبادات ولزوم ظواهر اوامر الله وان لم يكن ذلك عن اصل
واعتقاد قاده اليه وقوله وليس هو من ذلك في مراح ولا مغدى كناية عن انه ليس من القناعة والزهد في شيء اصلا ويحتمل ان
يكون هذا الصنف من غير القادرين وغير المحتالين الصنف الخامس وهم المريدون لله تعالى وهو المشار اليهم بقوله وبقي رجال
الى آخره وذكر لهم اوصافا الاول كونهم قد غض ابصارهم ذكر المرجع وذلك ان المريد لله اذا التفت الى جناب المقدس واستحضر انه
راجع اليه بل ماثل بين يديه فلا بد ان يعرض عن غيره حياء منه وابتهاجا بما يطالعه من انواره وخوفا ان يحجب بصره عن صعود مراتب
الاملاك الى مهاوي الهلاك ولان الحس تابع للقلب فاذا كان بصر القلب مشغولا غريقا في جلال الله كان مستتبعا للحس فلم يكن
له التفات من طريقه الى آخره وهو المراد بالغض الثاني كونهم قد اراق دموعهم خوف المحشر واعلم ان خوف الخائفين قد يكون
لامور مكروهة لذاتها وقد يكون لامور مكروهة لادائها الى ما هو مكروه لذاته واقسام القسم الثاني كثيرة كخوف الموت قبل التوبة
او خوف نقض او خوف الانحراف عن القصد في عبادة الله او خوف استيلاء القوى الشهوانية بحسب مجرى العادة في استعمال الشهوات
المألوفة او خوف تبعات الناس عنده او خوف سوء الخاتمة او خوف سبق الشقاوة في علم الله تعالى وكل هذه ونحوها مخاوف عباد الله
الصالحين واغلبها على قلوب المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه خطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لكون الخاتمة
تبعا لها ومظهرة لما سبق في اللوح المحفوظ وقد مثل من له خوف السابقة ومن له خوف الخاتمة برجلين وقع لهما ملك بتوقيع يحتمل
ان يكون لهما فيه غنا او هلاك فتعلق قلب احدهما بحال نشر التوقيع وما يظهر فيه من خير او شر وتعلق قلب الآخر بما خطر للملك
حالة التوقيع من رحمة او غضب وهذا التفات الى السبب فكان اعلى فكذلك الالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم الاعلى
في اللوح المحفوظ اعلى من الالتفات الى الابد والى ذلك اشار الرسول صلى الله عليه وآله حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله
كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء آبائهم لا يزاد فيه ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال كانهم منهم بل
هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل الشقاوة بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم
الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال بالخواتيم واما اقسام القسم
الاول فمثل ان يتمثل في نفوسهم ما هو المكروه لذاته كسكرات الموت وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول الموقف
بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير والخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او من النار واغلالها
واحوالها او من حرمان الجنة او من نقصان الدرجات فيها او خوف الحجاب من الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة في نفسها وتختلف
حال السالكين الى الله فيها واعلاها رتبة خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك وهو خوف العابدين
والصالحين والزاهدين ومن لم تكمل معرفته بعد اذا عرفت ذلك فنقول الخوف الذي اشار اليه من هذا القسم هو خوف المحشر وما يلحقه
مما ذكرناه من اقسامه الثالث كونهم بين شريد ناد اي منفرد في البلاد مطرود اما لكثرة انكاره المنكر او لقلة صبره على مشاهدة
المنكر وخائف مقموع وساكت مكعوم وكان التقية سدت فاه عن الكلام وهو من باب الاستعارة وداع مخلص لله وثكلان موجع
اما لمصائب في الدين او من كثرة اذى الظالمين وهذا تفصيل الحال آحاد المتقين ويحتمل ان يكون ذلك تفصيلا لحالهم بالنسبة الى
خوف المحشر اي ان خوف المحشر اراق دموعهم وجعل كل واحد منهم ما ذكر عنه من الحالة التي هو عليها الرابع كونهم قد اخملتهم
التقية اي تقية الظالمين وهو ما كنى عنه سابقا الخامس كونهم قد شملتهم الذلة اي بسبب التقية السادس كونهم في بحر اجاج
واستعار لفظ البحر بوصف الاجاج لما هم فيه من احوال الدنيا الباطلة ووجه المشابهة ان الدنيا كالاجاج لا يصلح للاقتناء والاستمتاع

بها بل يكون

بها بل يكون سببا للعذاب في الاخرة ككف الجر لايمكن سابحه وان بلغ به جهد العطش مبلغه شربه والتروي به وقوله افواههم ضامرة و
قلوبهم قرحة اي انهم لما فطموا انفسهم عن لذاتها ومخالطة اهلها فيما هم فيه من الاهتمام بما فيها الاجرم كانت افواههم ضامرة لكثرة
صيامهم بعيدة العهد بالمضغ وقلوبهم قرحة جوعا او خوفا من الله او عطشا الى رحمته ورضوانه او لما يشاهدونه من كثرة المنكرات
وعدم تمكنهم من انكارها ومن ذوي ضامرة بالزاي المعجمة اراد سكوتهم وقلة كلامهم **السابع** كونهم قد وعظوا حتى ملوا اي
ملوا وعظ الخلق لعدم نفعه فيهم **الثامن** كونهم قد قهروا حتى ذلوا **التاسع** كونهم قتلوا حتى قلوا اي قتلهم الظالمون لعدم
انتظامهم في سلكهم فان قلت كيف يقال قتلوا مع بقائهم قلت اسناد الفعل الى الكل لوجود القتل في البعض مجاز من باب اسناد
حكم الجزء الى الكل ولان الكل لما كان مقصودا بالقتل كان كونهم مقتولين علة غائية فجاز اسناد القتل اليهم وان كان المقتول
بعضهم وقوله فلتكن الدنيا في اعينكم الى آخره امر للسامعين باستصغار الدنيا واستحقارها الى حد لا يكون في اعينهم ما هو
احقر منها فانه حثالة القرظ وقراضة الجلم وهي غاية الحقارة والمراد من هذا الامر وغايته الترك لها فان استحقار الشيء واستصغاره
يستتبع تركه والاعراض عنه ثم امرهم بالاتعاظ بالامم السابقة فان في الماضين عبرة لاولي الابصار ومحل الاعتبار ما كانوا فيه من نعيم
الدنيا ولذاتها والمباهاة بكثرة قنيتها ثم مفارقتهم لذلك كله بالموت وبقاء الحسرة والندامة للمستكثرين منها حجابا حائلا
بينهم وبين الوصول الى حضرة جلال الله ونبههم بقوله قبل ان يتعظ بكم من بعدكم على انهم مضطرون الى مفارقة ما هم فيه
وسيصيرون عبرة لغيرهم وفائدة الامر بالاتعاظ ايضا الاعراض عنها والاقلاع والاعراض بها ثم لما امرهم بهذه الاوامر التي لتبعث حتمه
في الترك اردف ذلك بالامر الصريح بالترك فقال وارفضوها ذميمة اي اتركوا ما حالة الحقارة والذم ثم نبه بعد على ما يصلح
علة لتركها وهو عدم دوام صحبتها وثباتها لمن كان احب منهم لها اي لو دام سرورها ونعيمها لاحد لدام لاحب الخلق لها و
احرصهم على المحافظة عليها فاذا لم تدم لمن هو اشد حبا لها منكم فبالاولى ان لا تدوم لكم واذا كان طباعها رفض كل محب
فالاحرى بذي المروة واللب الترفع والاعراض عمن لا تدوم صحبته ولا تصفو محبته وبالله التوفيق **ومن خطبة له
عليه السلام** عند خروجه لقتال اهل البصرة قال عبد الله بن عباس رض دخلت على امير المؤمنين ع بذي قار وهو يخصف
نعله فقال لي ما قيمة هذه النعل فقلت لا قيمة لها فقال ع والله لهي احب الي من امرتكم الا ان اقيم حقا او ادفع باطلا ثم خرج ع
فخطب الناس فقال ان الله بعث محمدا وليس احد من العرب يقرأ كتابا ولا يدعي نبوة فساق الناس حتى بوأهم محلتهم وبلغهم منجاتهم
فاستقامت قناتهم واطمأنت صفاتهم اما والله ان كنت لفي ساقتها حتى تولت بحذافيرها ما عجزت ولا جبنت وان مسيري
هذا لمثلها فلانقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه ما لي ولقريش والله لقد قاتلتهم كافرين ولا قاتلنهم مفتونين واني لصاحبهم بالامس
كما انا صاحبهم اليوم **اقول** ذو قار موضع قريب من البصرة وهو الموضع الذي نصرت فيه العرب على الفرس قبل الاسلام ويخصف
نعله اي يخرزها وبوأهم اسكنهم والمحلة المنزلة والمنجاة موضع النجاة والقناة الرمح وعمود الظهر المنتظم بالفقار والصفاة الحجر
الاملس المنبسط والساقة جمع سائق وتولت بحذافيرها اي باسرها والنقب الشق واعلم انه ع قدم لنفسه مقدمة من الكلام اشار
فيها الى فضيلة الرسول ص في بعثته وهو سوقه للخلق الى الدين الحق ليبني عليها فضيلة نفسه وكانت غايته من ذلك توبيخ
من خرج عليه من قريش والاستعداد عليهم فقوله ان الله بعث محمدا الى قوله صفاتهم صدر الكلام اشار فيه الى فضيلة الرسول ص
والواوان الداخلتان على حرف النفي للحال فان قلت كيف يجوز ان يقال انه لم يكن احد من العرب في ذلك الوقت يقرأ كتابا وكان
اليهود يقرؤون التوراة والنصارى الانجيل قلت ان الكتاب الذي تدعيه اليهود وتسميه في ذلك الوقت التوراة ليس هو الكتاب
الذي انزل على موسى ع فانهم كانوا احرقوه وبدلوه فصار كتابا آخر بدليل قوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا و
هدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا فظاهر انه من حيث هو مبدل ومحرف ليس هو المنزل على موسى ع واما
الكتاب الذي تدعي النصارى بقاءه في ايديهم فغير معتمد على نقلهم فيه لكونهم كفارا بسبب القول بالتثليث وانما الناقلون
للتثليث منهم في غاية القلة فلا يفيد قولهم ان ما في ايديهم هو انجيل عيسى علما فاذن لا يكون المقروء لهم الذي بعث محمد ص كتابا
هو من عند الله سلمناه لكن يحتمل ان يريد بالعرب جمهورهم فان اكثرهم لم يكن له دين ولا كتاب وانما كان بعضهم يتمسك بما بقي
من شريعة اسمعيل وبعضهم برسوم لهم وقوله فساق الناس حتى بوأهم محلتهم الاشارة بسوقه لهم الى سوقه العقلي لاذهانهم بحسب
المعجزات الى تصديقه فيما جاء به بحسب ما جاءهم من القرآن الكريم والسنة النبوية الى معرفة سبيل الله ثم بحسب الترغيب لبعضهم والترهيب
لبعض الى سلوك تلك السبيل فاصبحوا وقد تبوأوا محلتهم اي منزلتهم ومرتبتهم التي خلقوا لاجلها وكانت هي مطلوب العناية الالهية
بوجودهم في هذه الدار وهي لزوم القصد في سبيل الله المسمى اسلاما ودينا وايمانا وهو في الحقيقة النجاة التي لا خوف على
سالكها ولا سلامة للمنحرف عنها وذلك معنى قوله وبلغهم منجاتهم وقوله واستقامت قناتهم والمراد بالقناة القوة والغلبة والدولة

لا يفرقن
مالي م

في بيان خطبة خطبها في استنفار الناس الى اهل الشام

التي حصلت لهم مجازا وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب فان الرمح او الظهر سبب للقوة والشدة ومعنى اسناد الاستقامة اليها انتظام قوتهم
ودولتهم وقوله واطمأنت صفاتهم استعارة للفظ الصفات لحالهم التي كانوا عليها ووجه المشابهة انهم كانوا قبل الاسلام في مواطنهم
وعلى احوالهم متزلزلين لا يقر بعضهم بعضا في موطن ولا على حال بل كانوا ابدا في الغارة والنهب والجلاء فكانوا كالواقف على حجر املس
متزلزل مضطرب فاطمأنت احوالهم وسكنوا في مواطنهم من كل ذلك بسبب مقدم محمد صلى الله عليه وآله وقوله اما والله ان كنت لفي ساقتها الى قوله
جبنت تفخر بفضيلته فاثبت لنفسه انه كان من ساقتها الى ان تولت باسرها من غير عجز اعتراه ولا جبن والضمير في ساقتها الكتائب الحرب
وان لم يجر لها ذكر صريح بل ما يحصل منه معنى الذكر وهو الناس فكانه قال فينا في الناس وهم يومئذ كتائب عليهم فكنت في ساقتها حتى
تولت تلك الكتائب باسرها لم يبق منها من يجالبه وقد علمت ان السوق قد يكون سوقا الى الهدى وقد يكون سوق طرد وهزيمة والاول
هو غاية من السوق الثاني اذ لم يكن مقصوده من حروبه الا السوق الى الدين ولما لم يمكن حصول الهداية للخلق الا بوجود النبي
وايضاح سبيل الحق كان ذبه وطرده الكتائب حتى تولت بحذافيرها ذبا عن النبي وعن حوزة الدين وان لم يجب الا لذلك لكن الغرض
تمام الهدى الذي هو غاية وجود النبي وقوله ما عجزت ولا جبنت تمام لاثبات الفضيلة المذكورة له وتقريرها علم من شجاعته وتأكيد
لعدم العجز والجبن الذي هو طرف التفريط من فضيلة الشجاعة وقوله وان مسيري هذا لمثلها اي لمثل تلك الحال التي كنت عليها
معهم زمان كفرهم من سوق كتائبهم وطردها من غير عجز ولا ضعف وهو في معنى التهديد الذي عساه ان يبلغ خصومه وتقوية نفوس
اوليائه وكذلك قوله ولابقرن الباطل حتى اخرج الحق من خاصرته تربية في معنى التهديد وتنبيه على ما عليه خصومه من الباطل واستعاد
هنا لفظ الخاصرة للباطل والبقر للتفريق للباطل وتمييز الحق منه تشبيها له في استتار الحق وفيه عدم تمييزه منه بحيوان ابتلع جوهرا
ثمينا اعز منه قيمة واتم فائدة فاحتيج الى شق بطنه في استخلاص ما ابتلع وقوله مالي ولقريش استفهام على سبيل الانكار [illegible] وبينهم مما
يوجب الاختلاف وجحد فضيلته وحسدهم لاعدائهم فيخير بروقوله والله لقد قاتلتهم كافرين اظهار للمنة عليهم بسوقهم الى الدين اولا و
وتعييرهم بما كانوا عليه من الكفر ليعترفوا بفضيلته ونعمة الله عليهم بما به ويخجلوا من مقابلته بالباطل وهو اظهار الانكار عليه وكانوا
اولى باثبات المنكر منه وهو اولى برومهم عند الحرب كما كان وكذلك قوله ولاقاتلنهم مفتونين على احد التأويلين والمعنى الثاني ولاقاتلنهم
مفتونين فهو تهديد بان يوقع بهم القتال على فتنتهم وضلالهم على الدين وكافرين ومفتونين نصب على الحال وفي ذكر هذين الحالين تنبيه
على علة قتاله لهم في الحالين وهو طلبه لاستقامتهم على الدين ورجوعهم الى الحق عن الضلال واغراء للسامعين بهم وقوله ولانا صاحبهم
بالامس كما انا صاحبهم اليوم اشارة الى انه لم تتغير حالته التي بها قاتلهم كافرين وفائدته تذكير الخصم الان بابتلاء الكفار به في ذلك الوقت
ليتقهقروا عن محاربته اذ في تذكر وقائعه في بدو الاسلام وشدة بأسه ما تطير منه القلوب وتقشعر منه الجلود وقد نقلت في تمام هذه الخطبة
في بعض النسخ لتضج قريش ضجيجها ان تكن فينا النبوة والخلافة والله ما اتينا اليهم الا انا اخترنا عليهم وذلك اشارة الى السبب الاصلي
لخروج طلحة والزبير وغيرهما من قريش عليه وهو الحسد والمنافسة ان تكون الخلافة والنبوة في بني هاشم والضجيج الصراخ العوقي وهو كناية
عن اشد مخاصماتهم ومنافرتهم على هذا الامر وقوله والله ما اتينا الى آخره تأكيد لما نسبهم اليه من سبب الخروج بالقسم انه على انه
لم يكن الباعث لهم على قتاله او على ... والبغي عليه امر من قبله سوى الاجتراء عليهم اي الشجاعة والاقدام عليهم في منعهم عما يريدون
من قول وفعل لا يسوغه الشرع فانه لما لم يكن ذلك في الحقيقة اساءة في حقهم يستحق بها المكافاة منهم بل احسان وردع عن سلوك
طرق الضلال تعين ان السبب في الخروج عليه ونكث بيعته هو الحسد والمنافسة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
في استنفار الناس الى اهل الشام أُفٍّ لكم لقد سئمت عتابكم أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة عوضا وبالذل من العز خلفا
اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم دارت اعينكم كأنكم من الموت في غمرة ومن الذهول في سكرة يرتج عليكم حواري فتعمهون
وكأن قلوبكم مألوسة فانتم لا تعقلون ما انتم لي بثقة سجيس الليالي وما انتم بركن يمال بكم ولا زوافر عز يفتقر اليكم
ما انتم الا كابل ضل رعاتها فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر لبئس لعمر الله سعر نار الحرب انتم تكادون ولا تكيدون
وتنتقص اطرافكم فلا تمتعضون لا ينام عنكم وانتم في غفلة ساهون غلب والله المتخاذلون وايم الله اني لاظن بكم ان لو حمس
الوغى واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن ابي طالب انفراج الرأس والله ان امرأ يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه
ويفري جلده لعظيم عجزه ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره انت فكن ذاك ان شئت فاما انا فوالله دون ان اعطي ذلك
ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام وتطيح السواعد والاقدام ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء ايها الناس ان لي عليكم
حقا ولكم علي حق فاما حقكم علي فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا واما
حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والاجابة حين ادعوكم والطاعة حين آمركم **اقول** روي انه عليه السلام
خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من امر الخوارج وقد كان قام بالنهروان فحمد الله واثنى عليه وقال اما بعد فان الله قد احسن نصركم

وتعبيض

ودفتهم

فتوجهوا الى

في بيان استنفار الناس الى اهل الشام

فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم من اهل الشام فقالوا له قد نفدت نبالنا وكلت سيوفنا ارجع بنا الى مصرنا لنصلح عدتنا ولعل امير المؤمنين
يزيد في عددنا مثل من هلك منا لنستعين به فاجابهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم الآية
فتلكؤوا عليه وقالوا ان البرد شديد فقال انهم يجدون البرد كما تجدون اف لكم ثم تلا قوله تعالى قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين
الآية فقام منهم ناس واعتذروا بكثرة الجراح في الناس وطلبوا ان يرجع الى الكوفة اياما ثم يخرج بهم فرجع بهم غير راض وانزلهم
النخيلة وامرهم ان يلزموا معسكرهم ويوطنوا على الجهاد انفسهم ويقلوا زيارة اهلهم فلم يقبلوا وجعلوا يتسللون ويدخلون الكوفة
حتى لم يبق معه الا القليل منهم فلما راى ذلك دخل الكوفة فخطب الناس فقال ايها الناس استعدوا لقتال عدو في جهادهم
القربة الى الله ودرك الوسيلة عنده قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه موزعين بالجور والظلم لا يعدلون به جفاة عن الكتاب نكب
عن الدين يعمهون في الطغيان ويتسكعون في غمرة الضلال فاعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى
بالله وكيلا قال فلم ينفروا فتركهم اياما ثم خطبهم هذه الخطبة فقال اف لكم الفصل اف كلمة تضجر من الشيء وغمرات الموت سكراته التي يغمر فيها
العقل والذهول النسيان والسهو ويرتج عليكم اي يغلق والحوار المخاطبة تعمهون تترددون والمألوس المجنون والمختلط العقل
وسجيس الليالي وسجيس الاوجس ابدا مدى الليالي والزوافر جمع زافرة الرجل انصاره وعشيرته وسعر جمع ساعر واسعار النار تهييجها
والهابها والامتعاض الغضب وحمس الوغى اشتد الحرب وجلبته الاصوات وعرقت اللحم اعرقه اذا لم ابق على العظم منه شيئا والمشرفية
سيوف منسوبة الى مشارف قرى من ارض العرب تدنو من الريف وفراش الهام العظام الرقيقة تلي القحف واعلم انه لما اراد استنفارهم
الى الحرب وكانوا كثيرا ما يتثاقلون عن دعوته استقبلهم بالتأفيف المتضجر بالامر يضجر منه من افعالهم وقوله لقد سئمت عتابكم تفسير
لبعض ما تافف منه وقوله ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا وبالذل من العز خلفا استفهام على سبيل الانكار عليهم يستلزم
الحث على الجهاد فان الجهاد لما كان مستلزما للثواب الآخرة ولعزة الجانب وخوف الاعداء والقعود عنه يستلزم في الاغلب للسلامة
في الدنيا والبقاء فيها لكن مع طمع العدو فيهم وذلتهم له كانوا بقعودهم عنه كمن اعتاض الدنيا من الآخرة واستخلف الذل من العز
وذلك مما لا يرضى به ذو عقل سليم وعوضا وخلفا منصوبان على التمييز **قوله** اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم الى قوله لا تعقلون
تبكيت لهم وتوبيخ برذائل تعرض لهم عند دعائه لهم الى الجهاد **الاولى** انه تدور اعينهم حيرة وترددا وخوفا من احد امرين اما المخالفة عنه
او الاقدام على الموت في كلا الامرين خطر ثم شبه حالتهم تلك في دوران اعينهم وحيرتهم بحال المغمور في سكرات الموت الساهي بها عن
حاضر احواله المشغول بما يجده من الالم ونحوه قوله تعالى ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت **الثانية** انه يرتج عليهم
حواره يرتج في موضع الحال وتعمهون عطف عليه اي يرتج عليكم فتحيرون ثم شبه حالهم عند دعائه الى الجهاد تشبيها ثانيا بحال من اختلط
عقله اي انهم في حيرتهم وترددهم في جوابه كالمختلط العقل لا يعقل ما يقول **الثالثة** انهم ليسوا بثقة ابدا وهو وصف لهم برذيلة
الخلف والكذب المستلزم لعدم الثقة بقولهم **الرابعة** كونهم ليسوا بركن يميل به المستند اليه في خصمه يقال فلان ركن شديد
استعارة له من ركن الجبل وهو جانبه لما بينهما من المشاركة في الشدة وامتناع المعتصم به ونحوه قوله تعالى لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن
شديد اي قوي يمنعني منكم وهو وصف بالتخاذل والعجز **الخامسة** ولا زوافر عز يفتقر اليهم وهو وصف لهم برذيلة الذل والحقارة **السادسة**
تشبيههم بابل ضل رعاتها والايماء الى وجه التشبيه وهو انها كلما جمعت من جانب انتشرت من جانب اشارة الى انهم ضعيفوا العزوم مشتتوا الاراء
لا يجتمعون على مصلحة بها يكون نظام احوالهم في الدارين وقد علمت ان ذلك من نقصان القوة العقلية فكانوا منها على منزلة البله **السابعة**
كونهم ليسوا بسعر نار الحرب اي ليسوا من رجالها وذلك ان مدار الحرب على الشجاعة والراي وقد سبقت منه الاشارة الى ذمهم بالفشل وضعف
الراي فاذن ليسوا من رجال الحرب ولما استعار لهيجان الحرب لفظ النار لما يستلزمانه من الاذى الشديد رشح تلك الاستعارة بذكر الاسعار
ووصف رجالها به **الثامنة** كونهم يكادون ولا يكيدون اي يخدعون ويمكر بهم عدوهم في ايقاع الحيلة وليس لهم قوة المكر والحيلة به وذلك
ايضا من رذيلة ضعف الراي **التاسعة** كونهم تنتقص اطرافهم فلا يمتعضوا اي يغار العدو في كل وقت على بعض بلادهم فيحوزها فلا يشق ذلك
عليهم ولا يبدو لهم منه انفة ولا حمية وهو وصف لهم برذيلة المهانة **العاشرة** كونهم في غفلة ساهون مع انتباه عدوهم وهو وصف
لهم برذيلة الغفلة ايضا عما يراد بهم وقلة عقليتهم لمصالح انفسهم وكل هذا التوبيخ تثقيف لهم وتنبيه لنفوسهم الراقدة في مراقد الطبيعة
على ما ينبغي لهم من المصالح التي يكون بها نظام احوالهم على قانون الدين وقوله غلب والله المتخاذلون تنبيه على انهم بتخاذلهم سيغلبون
واورد الغلب المطلق بعلة التخاذل لانه الحكم العام اشد قبولا منهم له على انفسهم اذ لو خصهم به فقال غلبتم والله او تخاذلتم لم
يكن وقعه في الذوق كوقعه عاما وقوله وايم الله الى قوله انفراج الراس قسم انه ليظن بهم انهم عند اشتداد الحرب وحرارة الموت سينفرجون
عنه انفراج الراس اي يتفرقون اشد تفرق وفي انفراج الراس مثل قيل اول من تكلم به اكثم بن صيفي في وصية له يا بني لا تنفرجوا عند الشدائد
انفراج الراس فانكم بعد ذلك لا تجتمعون على عز وفي معناه اقوال **احدها** قال ابن دريد معناه ان الراس اذا انفرج عن البدن لا يعود

في بيان استنفار الناس الى اهل الشام

اليه ولا يكون بعده انفصال وذلك اشد انفراج الثاني قال المفضل الرأس اسم رجل ينسب اليه قرية من قرى الشام يقال لها بيت الرأس
وفيها يباع الخمر قال حسان كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء وهذا الرجل قد انفرج عن قومه ومكانه فلم يعد اليه فضرب
به المثل في المباينة والمفارقة الثالث قال بعضهم معناه ان الرأس اذا انفرج بعض عظامه عن بعض كان ذلك بعيد الالتيام والعود الى
الصحة الرابع قال بعضهم معناه انفرجتم عني رأسا اى بالكلية الخامس قيل معناه انفراج من يريد ان ينجو برأسه السادس

السادس

قيل معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها حالة الوضع فانه يكون في غاية من الشدة وتفرق الاتصال والانفراج ونحوه قوله في موضع
اخر انفراج المرأة عن قبلها وعلى كل تقدير فمقصوده شدة انفصالهم وتفرقهم عنه احوج ما يكون اليهم واستعار لفظ الموت الاح
مر لشدته ثم التشبيه بالحمرة مجازا كما سبق ويحتمل ان يريد به خلوصه وحضوره فيكون اشتقاقه من الحرية والجملة الشرطية خبر ان
المخففة من المثقلة واسمها ضمير الشان وهي مع اسمها وخبرها قائمة مقام مفعولي ظن وغيره توبيخ لهم على التقصير البالغ في حقه
الى حد ان يظن المذكور وقوله والله ان امرأ الى قوله ان شئت من لطيف الحيلة في الخطاب الموجب للانفعال عنه وذلك انه

بالظن

صور لهم افعالهم من التخاذل على العدو والضعف شيئا افعالهم المذمومة التي افادوا التوبيخ والتعنيف بعبارة توهمهم اياها في اقبح
صورة واشدها كراهة اليهم واملعها نكاية فيهم وهو تمكينهم للعدو من انفسهم فان افعالهم من التخاذل ونحوه هي بعينها تمكين
للعدو وفيما يريد بهم واعداد له وتقوية لحاله ولما كان من عادة ظفر العدو واجتياح المال والقتل وتمزيق الحال كنى عن الاول
بقوله يعرق لحمه ووجه استعارة عرق اللحم لسلب المال بكليته ظ وكنى عن القتل وسائر اسباب الهلاك من فعل العدو بهشم
العظم وعن تمزيق الحال المنتظم بفري الجلد ثم لما كان من البين ان تخاذلهم تمكين لعدوهم منهم وكان تمكين الانسان لعدوه من
نفسه بفعل هذه الافعال المنكرة لا يكون الا عن عجز عظيم وضعف في القلب عن مقاومته لا جرم اثبت العجز وضعف القلب لامرئ
مكن عدوه من نفسه واكد ذلك بان وبالقسم البار وكنى بضعف القلب عن الجبن واخرج ذلك الاثبات على وجه عام لكل امرئ
فعل ذلك ولم يخصهم بالخطاب لانسب تمكين العدو اليهم صريحا وان كانوا هم المقصودين بذلك مجاملة لنفارهم عن الدخول تحت
هذا العموم بالانقياد لامره والجهاد ثم اردفه بالامر بان يكونوا ذلك المرء الذي وصفه بما وصفه امرا على سبيل التهديد والتنفير وذلك
قوله انت فكن ذاك ان شئت اى ذاك المرء الموصوف بالعجز والضعف خطاب للشخص المطلق الصادق على اى واحد منهم كان وامره ان
يكون بصفة المرء الموصوف والا تنفير له عما ذكره مما يلزم الانسان من الاحوال الرديئة عند تمكينه عدوه من نفسه وروى انه خاطب
بقوله انت فكن ذاك الاشعث بن قيس فانه روي انه قال له وهو يخطب ويلوم الناس على تقاعدهم عن الحرب هلا فعلت فعل ابن عفان
فقال له ان فعل ابن عفان لمخزاة على من لا دين له ولا وثيقة معه وان امرأ امكن عدوه من نفسه يهشم عظمه ويفري جلده لضعيف
رأيه مأفون عقله انت فكن ذاك ان شئت الفصل وقوله فاما انا الى قوله ما يشاء ولما خيرهم ان يكونوا ذلك المرء على سبيل التهديد
اردف ذلك بالتبري من حال المرء المذكور ليكون لهم به عليه السلام اسوة في الانفار عن تمكين العدو من انفسهم الا بعد بذل النفس
في الجهاد اى على تقدير اختيار المخاطب تلك الحال فانه هو لا يختار ذلك الحال بل دون ان يعطي عدوه من نفسه ذلك التمكين ضرب
بالمشرفية يطير منه فراش الهام وتطيح منه السواعد والاقدام وكل ذلك كناية عن شدة المجاهدة ويفعل الله بعد ذلك الجهاد والعناء
ما يشاء من تمكين العدو او عدم تمكينه فان اليه مصير الامور وعواقبها وقوله ايها الناس الى اخره ذكر ما لهم عليه من الحق وما له
عليهم منه ليعرفهم انه ادى ما عليه من الواجب لهم فينبغي لهم ان يخرجوا اليه من واجب حقه الذي فرض الله عليهم فبدأ ببيان حقهم عليه
ادبا واستدراجا لطباعهم فان البداءة بحق الغير قبل حق النفس اليق بالادب وهم لسماعه اقبل فذكر منها اربعة امور بها يكون صلاح
حالهم في الدارين الاول النصيحة لهم وهي حثهم على مكارم الاخلاق وجذبهم الى ما هو الاليق بهم في معاشهم ومعادهم الثاني
توفير فيئهم عليهم وترك ظلمهم فيه وتفريقه في غير وجوهه مما ليس بمصلحة كما تنسبوه الى من كان قبله الثالث تعليمهم كيلا يجهلوا
وتأديبهم كيما يعلموا الان ظهور المنة عليهم بذكر نفي الجهل عنهم اشد من ظهورها في ذكر عرض ايجاد العلم لهم وذلك كان تأذي
الرجل وانفته من ان يقال له يا جاهل اشد بكثير من نفاره من ان يقال له لست بعالم الرابع تأديبهم كيما يعملوا فهذه الامور
الاربعة هي الواجبة على الامام للرعية واحد منها يرجع الى صلاح ابدانهم وقوامها وهو توفير فيئهم عليهم بضبطه وعدم التصرف
فيه لغير وجوه مصالحهم واثنان يرجعان الى صلاح حال نفوسهم اما من جهة اصلاح القوة النظرية وهو التعليم لغرض ان تعلم
او من جهة اصلاح القوة العملية وهو التأديب لغرض العمل وواحد مشترك بين مصلحتي البدن والنفس ونظام احوالهما وهو النصيحة
لهم ثم اردف ذلك ببيان حقه وذكر ايضا اربعة الاول الوفاء بالبيعة وهي الامور اذ بها النظام الكلي الجامع لهم معا الثاني
النصيحة له في غيبته وحضوره والذب عنه اذ بذلك نظم شمل المصلحة بينهم وبينه ايضا الثالث اجابته حين يدعوهم من غير
تثاقل عن ندائه فان التثاقل عن دعوته مما فيه من تهور العدو وغلبته عليهم وفوات مصالح عظيمة الرابع طاعتهم له حين

يأمرهم وظاهر ان

ج ١٠

في بيان خطبة خطبها بعد التحكيم

بأمرهم ونظامهم ان يشتمل المصلحة لا ينتظم بدون ذلك وانت تعلم بادنى تامل ان هذه الامور الاربعة وان كانت حقوقا له
عليهم الا انه انما يطلبها منهم لما يعود عليهم به من النفع في الدنيا والاخرة فان الوفاء بالبيعة والنصيحة لرسببٌ لنظام امورهم
واجابة دعوته اجابة لداعي الله الجاذب الى الخير والمصلحة وكذلك طاعة امره طاعة لامر الله اذ هو الناطق به وقد علمت ما تستلزم
طاعة الله من الكرامة عنده وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلام** بعد التحكيم الحمد لله وان اتى الدهر بالخطب
الفادح والحدث الجليل واشهد ان لا اله الا الله ليس معه اله غيره وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه واله اما
بعد فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت امرتكم في هذه الحكومة
امري ونخلت لكم مخزون رأيي لو كان يطاع لقصير امر فابيتم علي اباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة حتى ارتاب
الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه فكنت واياكم كما قال اخو هوازن امرتكم امري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح
الا ضحى الغد **اقول** روى ان عمرو بن العاص وابا موسى الاشعري لما التقيا بدومة الجندل وقد حكما في امر الناس
كان علي يومئذ قد دخل الكوفة ينتظر ما يحكمان به فلما تمت خدعة عمرو لابي موسى وبلغه ذلك اغتم له غما شديدا ووجم
منه وقام فخطب الناس فقال الحمد لله الفصل وزاد بعد الاستشهاد ببيت دريد في بعض الروايات الا ان هذين الرجلين اللذين
اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب واحييا ما امات واتبع كل واحد منهما هواه وحكم بغير حجة ولا بينة ماضية واختلفا فيما حكما
فكلاهما لم يرشد الله فاستعدوا للجهاد وتاهبوا للمسير واصبحوا في معسكركم يوم كذا واما قصة التحكيم وسببها فمذكور في التواريخ
والخطب الامر العظيم وفدحه الامر اذا غاله وبهظه والجافي خشن الطباع الذي ينبو طبعه عن المؤانسة فيقاطع ويباين فقوله
الحمد لله الى قوله الجليل وقد عرفت نسبة الخير والشر الى الدهر على اي وجه هي ومراده الحمد لله على كل حال من السراء والضراء
وان هنا للغاية ويفهم من هذا الفصل وقوع الخطب الفادح وهو ما وقع من امر الحكمين وحمد الله عليه وقوله ليس معه اله غيره تاكيد
لمعنى كلمة التوحيد وتفسير لمقتضاها وقوله اما بعد الى قوله الندامة القيود الاربعة التي ذكرها من صفات المشير معتبرة في حسن
الرأي ووجوب قبوله اما كونه ناصحا فلان الناصح يصدق الفكر ويمحض الرأي وغير الناصح ربما يشير بخطير الرأي فيوقع في الحيرة
واما كونه شفيقا فلان الشفقة تحمل على النصح فتحمل على حسن التروي في الامر وايقاع الرأي فيه من تثبت واجتهاد والباعث
على هذين اعني النصح والشفقة اما الدين او محبة المستشير واما كونه عالما فلابد منه لاصابته لعلمه بوجه المصلحة في الامر فان الجاهل
اعمى لا يبصر وجه المصلحة ولهذا قال رسول الله صلعم استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا وقال عبد الله بن الحسين لابنه
احذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر عداوة العدو العاقل فانه يوشك ان يقع بك مكر العاقل كما يوشك ان
يورطك شور الجاهل واما كونه مجربا فلانه لا يتم رأي العالم ما لم ينضم اليه التجربة وذلك ان العالم وان علم وجه المصلحة في الامر
الا ان ذلك الامر قد يشتمل على بعض وجوه المفاسد لا يطلع عليه الا بالتجربة مرة ومرة فالمشورة من دون تجربة مظنة الخطاء وقيل
في منثور الحكم كل شيء يحتاج الى العقل والعقل يحتاج الى التجارب واذا عرفت ان طاعة المشير الموصوف بالصفات المذكورة
مستلزمة في اغلب الاحوال للسرور وتحسين ثمرة رأيه والفوز بها لاجرم كان معصيته ومخالفة رأيه مستلزمة للحسرة مستعقبة للندامة
وقوله وقد كنت امرتكم في هذه الحكومة امري لما قدم ان معصية المشير المذكور تستعقب الحسرة والندامة اردف ذلك ببيان انه هو المشير
وانه اشار عليهم بمخالفة الحكومة لينتج ذلك انهم عصوا مشيرا قد استكمل شرائط الرأي فيتوقعوا الندامة على معصيته وقوله ونخلت لكم مخزون رأيي
استعارة للفظ النخل للاستخلاص اسند اليه وجودها لهم بحسب اجتهاده ووجه المشابهة ان اجود ما ينتفع به مما ينخل من دقيق ونحوه
هو المنخول كذلك الرأي اجوده وانفعه ما استخلص وصفا من كدورات الشهوة والغضب وقوله لو يطاع لقصير امر مثل وقصير هذا
هو قصير بن سعد اللخمي مولى جذيمة الابرش بعض ملوك العرب اصل المثل ان جذيمة كان قتل ابا الزباء ملكة الجزيرة فبعثت اليه بعد
حين ليتزوج بها خدعة وسالته القدوم عليها فاجابها الى ذلك وخرج في الف فارس وخلف باقي جنوده مع ابن اخته عمرو بن عدي وقد
كان قصير اشار الى جذيمة ان لا يتوجه اليها فلم يقبل رأيه فلما قرب جذيمة من الجزيرة استقبله جنود الزباء بالعدة ولم ير منهم اكراما
له فاشار عليه قصير بالرجوع عنها وقال انها امرأة ومن شان النساء الغدر فلم يقبل فلما دخل اليها غدرت به وقتلته فعندها قال
قصير لا يطاع لقصير امر فذهبت مثلا لكل ناصح عصي وهو مصيب في رأيه وقد يتوهم ان جواب لو ههنا متقدم والحق ان جوابها محذوف
والمعنى يتضح بترتيب الكلام والتقدير اني كنت امرتكم امري في هذه الحكومة ونخلت لكم فلو اطعتموني لفعلتم ما امرتكم به ومحضت
لكم النصيحة فيه فقولنا لفعلتم هو تقدير الجواب ومما ينبه عليه ان قوله فابيتم علي اباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة هو
في تقدير استثناء نقيض ذلك التالي وتقديره لكنكم ابيتم علي اباء من خالف الامر وجفا المشير وعصاه حتى شك في نصحه هل كان
صوابا او خطاء وهذا الحكم حق فان المشير بالرأي الصواب اذا كثر مخالفوه فيه قد يتهم نفسه في صحة ذلك الرأي وصوابه لاتساع وجه

في بيان خطبة خطبها في تخويف أهل النهروان

المصلحة في الأمر اجتهادا ربما يغلب على الظن بكثرة الأمارات الدالة للمشير فإذا جوز المشير أن يكون خلاف ما رآه هو المصلحة فلا مانع أنه يعرض لغيرها أمارات أخرى يغلب على ظنه أن ما رآه هو ليس بمصلحة فيعارض بها ما رآه الأول حقا ويخالفه في رأيه فإذا كثرت تلك المخالفة من جمع عظيم جاز أن يتشكك الإنسان فيما ظنه من المصلحة أنه ليس بمصلحة وأن الأمارات التي اقتضت ذلك الظن غير صحيحة فلذلك قال عليه السلام حتى ارتاب الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه أي ارتاب الناصح نفسه أو من رآه من الإطباق أكثر أصحابه على مخالفته وقال بعض الشارحين مجاز ذلك على المبالغة لا أنه عليه السلام منزه عن أن يشك فيما يراه صوابا بعد شوره ويوفقه لرضى الزند بقدحه قيل هو مثل يضرب لمن يبخل بفوائده إذا لم يجد لها قابلا عارفا بحقها ولم يتمكن من إفادتها فإن المشير إذا اتهم واستغش وخطئ في رأيه ربما لا يسمح له بعد ذلك رأي صالح بحكم الغضب عليه من جهة مخالفته وعدم قبول رأيه ولما كان غرضه أن يقرر عليهم الندامة في مخالفته رأيه وبيان ثمرة عصيانا أمره الصادر عن معاينة وجه المصلحة كما هو قال فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن أمرتهم أمري البيت وهو لدريد بن الصمة من قصيدة له في الحماسة أولها نصحت لعارض وأصحاب عارض ورهط بني السوداء والقوم شهدي وقصة هذه القصيدة أن أخاه عبد الله بن الصمة غزا بني بكر بن هوازن بن غطفان فغنم منهم واستاق إبلهم فلما كان بمنعرج اللوى قال لا والله لا أبرح حتى أنحر النقيعة وهي ما ينحر من النهب قبل القسمة وأجيل السهام فقال له أخوه دريد لا تفعل فإن القوم في طلبك فأبى عليه ونحر النقيعة وبات فلما أصبح هجم القوم عليه وطعن عبد الله بن الصمة فاستغاث بأخيه دريد فنهنه عنه القوم حتى طعن هو أيضا وصرع وقتل عبد الله وحال الليل بين القوم فجاء دريد بعد طعنات وجراح حصلت له فقال القصيدة وإنما قال عليه السلام أخو هوازن للنسبة إليهم فإن دريد بن الصمة من بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ونحوه قوله تعالى واذكر أخا عاد للنسبة فيهم وكذلك قال لهم أخوهم لوط ويكفي في الصلاح إطلاق لفظ الأخوة مجازا مجرد الاتصال بهم والملابسة لهم وقد عرفت ذلك ووجه تمثله عليه السلام بالبيت أني كنت وإياكم في نصيحتي لكم ونهيي عن الحكومة ومخالفتكم المستلزمة لندامتكم على التفريط كهذا القائل مع قومه حيث نصحهم فعصوه فلحقهم ما لحقهم من الندامة والهلاك واعلم أن الذي أشار به على أصحابه هو ترك الحكومة والصبر على قتال أهل الشام ومجمل تشبث أمارات الغلبة ليلة الهرير كانت لا محالة على أهل الشام فلما عاينوا الهلاك استشار معوية عمرو بن العاص في كيفية الخلاص فقال له عمرو إن رجالك لا تقوم لرجاله ولست مثله إنه يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره وأنت تريد البقاء وهو يريد الفناء وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم وأهل الشام لا يخافون عليا إن ظفر بهم لكن ألق إلى القوم أمرا إن قبلوه اختلفوا وإن ردوه اختلفوا ادعهم إلى كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم فإنك بالغ به حاجتك فإني لم أزل أذخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه فعرف معوية ذلك فلما أصبحوا رفعوا المصاحف على أطراف الأرماح وكان عدتها خمسمائة مصحف ورفع مصحف المسجد الأعظم على ثلثة أرماح مشدودة يمسكها عشرة رهط ونادوا بأجمعهم الله الله معشر العرب في النساء والبنات الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فقال عليه السلام اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم إنك أنت الحكم الحق المبين فاختلف أصحابه فقالت طائفة القتال القتال وقال أكثرهم المحاكمة إلى الكتاب ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا إلى حكم الكتاب وتنادوا من كل جانب الموادعة فقال عليه السلام في جوابهم أيها الناس إني أحق من أجاب إلى كتاب الله ولكن معوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن إني أعرف بهم منكم صحبتهم صغارا ورجالا فكانوا شر صغار وشر رجال ويحكم إنها كلمة حق يراد بها باطل إنهم ما رفعوها إنهم يعرفونها ولا يعملون بها ولكنها الخديعة والمكيدة والوهن أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر القوم الذين ظلموا فجاءه عشرون ألفا من أصحابه ونادوه باسمه دون إمرة المؤمنين أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت وإلا قتلناك كما قتلنا عثمن فقال عليه السلام ويحكم أنا أول من أجاب إلى كتاب الله وأول من دعا إليه فكيف لا أقبله وإنما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم وليس العمل بالقرآن يريدون فقالوا ابعث إلى الأشتر يأتيك وقد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على عسكر معوية ليدخله ولاح له الظفر فبعث إليه فرجع على كره منه ووقع بينه وبين من أجاب إلى الحكومة من أصحابه ملاحاة على ما اختاروه من ترك الحرب وتتابع الناس على جانب رضى أمير المؤمنين بالتحكيم وكتبوا بينهم عهد الرضا به وسنذكر كيفيته إجمالا إن شاء الله تعالى وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

في تخويف أهل النهروان فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر وبأهضام هذا الغائط على غير بينة من ربكم ولا سلطان مبين معكم قد طوحت بكم الدار واحتبلكم المقدار وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فأبيتم علي إباء المخالفين المنابذين حتى صرفت رأيي إلى هواكم وأنتم معاشر أخفاء الهام سفهاء الأحلام ولم آت لا أبا لكم بجرا ولا أردت بكم ضرا

أقول الخطاب للخوارج الذين قتلهم بالنهروان وقد كان القضاء الإلهي سبق فيهم بما كان منهم من الخروج روي في صحيح الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وآله بينا هو يقسم قسما جاءه رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فقال اعدل يا محمد فقال عليه السلام قد عدلت فقال له ثانية اعدل يا محمد فإنك لم تعدل فقال عليه السلام ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل فقام عمر وقال يا رسول الله ائذن لي في ضرب عنقه فقال دعه فسيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر أحدكم إلى صلاته عند صلاتهم وصومه عند صومهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم

منهم رجل

منهم رجل اسود مخدج اليد احدى يديه كأنها ثدي امرأة او بضعة تدردر يقتلهم اولى الفريقين بالحق وفي مسند احمد عن مسروق قال قالت لي
عائشة انك من ولدي ومن احبهم الي فهل عندك علم من المخدج فقلت نعم قتله علي بن ابي طالب على نهر يقال لاعلاه تامرا ولاسفله النهروان
بين اخاقيق وطرفاء فقالت ابغني على ذلك بينة فاقمت رجالا شهدوا عندها بذلك قلت لها سألتك بصاحب القبر ما الذي سمعت
منه فيهم فقالت سمعته يقول انهم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم عند الله وسيلة فاما سبب خروج هؤلاء القوم
فهو انه عليه السلام لما قهره اصحابه على التحكيم واظهروا عنه الرضى به بعد ان حذرهم ووعظهم فلم ينفعوا كتبوا كتاب التحكيم واخذه الاشعث بن قيس
فطاف به على اصحاب معوية فرضوا به وطاف به على اصحاب علي فرضوا به حتى مر برايات عنزة وكان مع علي منهم بصفين اربعة آلاف
فارس فلما قرأ الكتاب عليهم قال فتيان منهم لا حكم الا لله ثم حملا على اصحاب معوية فقتلا فهما اول من حكم ثم مر على مراد ثم على رايات
بني راسب ثم على بني تميم وكل فرقة قرأه عليهم قالوا لا حكم الا لله لا نرضى ولا نحكم الرجال في دين الله فرجع الاشعث فاخبر عليا عليه السلام
بذلك فاستصغر امرهم وقال انهم قليلون فلما بلغهم امر الحكمين ما راعوا الا والناس ينادون من كل جانب لا حكم الا لله الحكم لله يا علي
لا لك وقد كنا اخطأنا حين رضينا بالحكمين فرجعنا الى الله وتبنا فارجع انت وتب الى الله كما تبنا والا برئنا منك فابى عليه السلام الرجوع وقال ويحكم
ابعد العهد نرجع فما نصنع بقوله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ثم لم تزل الخوارج الا تضليل التحكيم والطعن فيه ويبرؤن من علي وبريء
منهم ثم كان اجتماعهم بحروراء فبينما هم عند ذلك الحرورية فناظرهم بها فرجع منهم الفان ثم مضوا الى النهروان وكان اميرهم يومئذ عبد الله
الكواء وحين القتال عبد الله بن وهب الراسبي فسار اليهم فخطبهم وقال نحن اهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وعنصر الرحمة
ومعدن العلم والحكمة ايها القوم اني نذير لكم الفصل وروي انه لما قتلهم طلب المخدج فيهم طلبا شديدا فلم يجده فجعل يقول والله
ما كذبت ولا كذبت اطلبوا الرجل وانه لفي القوم فلم يزل يطلبه حتى وجده في وهدة من الارض تحت القتلى وهو رجل مخدج اليد كأنها
ثدي في صدره وعليها شعرات كسبال الهرة فكبر علي وكبر الناس معه وسروا بذلك الاهضام جمع هضم وهو المطمئن من الوادي والغائط
ما سفل من الارض وطوحت بكم اي توهتكم في اموركم ورمت بكم المرامي واحتبلكم اوقعكم في الحبالة والنكر المنكر ويروى بجرا والبجر الامر
العظيم والداهية ويروى هجرا وهو الساقط من القول ويروى عرا والعر والمعرة الاثم والعر ايضا داء يأخذ الابل في مشافرها ويستعار
للداهية واعلم ان حاصل هذا الفصل تحذير للقوم من الهلاك وهم على غير بينة من ربهم ولا حجة واضحة يحتجون بها على ما يدعونه حقا
ويقاتلون عليه وذلك مما يجب الحذر منه لانه خسران سعادة الدارين وانما سمينا الحجة نفسها سلطانا لان بها الغلبة والتسلط وهو
من باب الاستعارة وقوله قد طوحت بكم الدار كنى بالدار عن الدنيا وانما نسب هلاكهم او ابعادهم ورميهم المهالك اليها لان المهلك لهم والموجب لتيههم
انما هو اتباع اهوائهم الباطلة التي منشأها انما هو تحصيل امر دنيوي من مال وجاه ونحوه فكانت الدنيا هي التي رمت بهم المرامي
عن سبيل الله واخرجتهم عن طاعته وقوله واحتبلكم المقدار استعارة حسنة لاحاطة القدر لما نالهم عن قضاء الله بهم وهو كحبالة الصائد التي
يخرج للطائر منها اذا نزلت به وقوله وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة الى قوله الى هواكم تقرير للحجة عليهم وكأنه يقول لهم ان كان الحق هو عدم
الحكومة فلم طلبتموها وابيتم على اباء المخالفين المنابذين لما نهيتكم عنها حتى صرفت الى هواكم فيها وان كان الحق هو ايقاعها فلم شاققتموني
الان لما اوقعتها وجعلت لله علي بها عهدا وعلى التقديرين يلزمهم الخطأ وقوله وانتم معاشر اخفاء الهام سفهاء الاحلام الواو للحال و
العامل صرفت والاضافة في اخفاء وسفهاء غير محضة ولذلك صح كونهما وصفين لمعاشر وخفة الهام كناية عن رذيلة الطيش المقابلة
لفضيلة الثبات والسفه رذيلة مقابلة للحلم والثبات والحلم فضيلتان تحت ملكة الشجاعة ولما كانت لهاتين الرذيلتين نسبة الى القوة الغضبية
صح اضافتهما اليهما وقوله ولم آت لا ابا لكم نكرا ولا اردت بكم ضرا جرى مجرى الاعتذار اليهم واستدراجهم بتبيين فعله ونفي المنكر
عنه وعدم قصد الاساءة اليهم ليرجعوا عما نسبه اليهم وقوله لا ابا لكم كلمة اعتيدت في السنة العرب قال الجوهري يراد بها المدح وقال
غيره يراد بها الذم فان عدم اللحوق بأب يستلزم العار والسبة وقيل هي دعاء على المرء بان لا يكون له اب يعتزى اليه ويشد ظهره ونفي الاب
يستلزم نفي العشيرة له فكأنه دعاء بالذل وعدم الناصر والله اعلم **ومن كلام له عليه السلام** يجري مجرى الخطبة فقمت بالامر
حين فشلوا وتطلعت حين تقبعوا ونطقت حين تعتعوا ومضيت بنور الله حين وقفوا وكنت اخفضهم صوتا واعلاهم فوتا فطرت بعنانها
واستبددت برهانها كالجبل لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف لم يكن لاحد في مهمز ولا لقائل في مغمز الذليل عندي
عزيز حتى آخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله امره اتراني اكذب على
رسول الله صلى الله عليه وآله والله لانا اول من صدقه فلا اكون اول من كذب عليه فنظرت في امري فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي واذا الميثاق
في عنقي لغيري **اقول** التعتعة الاضطراب في الكلام عن الحصر والتطلع الاختيار وتعرفه والتقبع التقبض يقال قبع القنفذ اذا ادخل
راسه بين كتفيه والاستبداد الانفراد والرهان ما يراهن ويسبق عليه والهمز العيب وكذلك الغمز قال بعض الشارحين هذا الفصل
فيه فصول التقطها الرضي رحمه الله من كلام طويل له قاله بعد وقعة النهروان ذكر فيه حاله منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وآله الى آخر الفصل

انفظهم م

باعيبي

الأول قوله فقمت بالأمر حين فشلوا الى قوله برهانها هذا الكلام ورد في معرض افتخاره واثبات فضيلته على سائر الصحابة لغاية فقوله
فقمت بالامر حين فشلوا اشارة الى فضيلة شجاعته اي قمت بامر الله بين يدي رسوله وبعده في الحروب والمقامات الصعبة التي ضعفوا
عنها والاوقات التي فشلوا فيها وامره في ذلك ظ وقوله ونطقت حين تعتعوا اشارة الى ملكة الفصاحة المستتبعة لملكة العلم اي نطقت
في القضايا المبهمة والاحكام المشكلة والمناولات التي حصرت فيها بلغاؤهم فكنت تنطلق وتعتعهم عن ايضاحهم وعيهم وقوله وتطلعت
حين تقبعوا اشارة الى كبر الهمة في تحصيل ما ينبغي للانسان ان يحصله من تعرف الامور واخبارها والنظر في مصادرها ومواردها
وهي ملكة تحت الشجاعة ولما كان التطلع على الامر يحتاج الانسان فيه الى نحو من التطاول ومد العنق وتحديق العين ونحوه وكان تعرف
الامور واخبارها لا بد فيه من بعث رائد الفكر الذي هو عين النفس التي بها يبصر وتحديقه نحو الامور المعقولة وارسال المتخيلة
لتفتيش خزائن المحسوسات اشبه ذلك التطلع فاستعار له لفظ التطلع وكنى به عنه وقوله حين تقبعوا اي كان تعرفي للامور حين
قصورهم عن ذلك ولما كان التقبع يقابل مد العين والتطاول الى رؤية الاشياء المسمى تطلعا وكان قصور افكارهم وعدم اعتنائهم
للاشياء يقابل مد الفكر وتطاول الذهن الى معرفة الامور وكان تصور الفكر ايضا والقعود عن المعرفة يشبه التقبع كنى به عنه وقوله
ومضيت بنور الله حين وقفوا اشارة الى فضيلة العلم اي كان سلوكي لسبيل الحق على وفق العلم وهو نور الله الذي لا يضل من اهتدى
به وذلك حين وقفوا حائرين مترددين جاهلين بالقصد وكيفية سلوك الطريق وانما اثبت لنفسه هذه الفضائل وقرن كل فضيلة
له برذيلة فيهم يقابلها افضليته بالنسبة اليهم انه كان الغرض ثلاث وقوله وكنت اخفضهم صوتا واعلاهم فوتا كنى بخفض الصوت عن ربط
الجاش في الامور والثبات فيها والتصميم على فعل ما ينبغي من غير التفات الى الحوادث والموانع عن فعل ما هو خير ومصلحة فان كثرة
الاصوات وعلوها في الافعال التي هي مظنة الخوف دليل الفشل ولا شك ان من كان اشد في ذلك كان اعلى فوتا واشد سبقا
الى مراتب الكمال ودرجات السعادة ممن كان اضعف فيه قوله فطرت بعنانها واستبددت برهانها الضميران يعودان الى الفضيلة و
وان لم يجر لها ذكر لفظي فاستعار هيهنا لفظ الطيران للسبق العقلي لما يشترك فيه من معنى السرعة واستعار لفظي العنان والرهان
اللذين هما من متعلقات الخيل للفضيلة التي استكملها نفسه تشبيها لها مع فضائل نفوسهم بخيل الحلبة ووجه المشابهة ان الصحابة
رضي الله عنهم لما كانوا يقتنون الفضائل ويستبقون بها الى رضوان الله وسعادات الآخرة كانت فضائلهم التي عليها يستبقون كخيل
الرهان ولما كانت فضيلته ع اكمل فضائلهم وانها كانت بالنسبة الى فضائلهم كالفرس الذي لا يشق غباره حسن منه ان يستعير
لسبقه بها لفظ الطيران ويجري عليها لفظ العنان والرهان

الفصل الثاني قوله كالجبل لا تحركه العواصف الى قوله اخذ
الحق منه وهذا الفصل يحكي فيه قيامه باعباء الخلافة حين انتهائها اليه وجريه فيها على قانون العدل وموافقة الامر الالهي وقوله
لم يكن لاحد في مهمز ولا لقائل في مغمز اي لم يكن في عيب عاب به وقد راعى في هذه القرائن الاربع مع الاربع الاخيرة من الفصل
الاول السجع المتوازي وقوله الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له اعزازه للذليل اعتناؤه بحاله واهتمامه بامر ظلامته ومن اعتنى
بحال انسان فقد اعزه ثم جعل لاعزازه غاية هي اخذ الحق له وكذلك قوله القوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه فان ضعف
القوي هو قهره وتحت حكمه الى غاية يستوفي منه حق المظلوم فان قلت معنى من هاتين الغايتين ان نظره الى الذليل بعد استيفاء
حقه والى القوي بعد اخذ الحق منه لا يكون على سواء بل يكون التفاته الى القوي اكثر وذلك ليس من العدل قلت انه لما
لم يكن الغرض من الامر بمساواة النظر بين الخلق الا اخذ حق الضعيف من القوي وعدم التظالم بينهم لم يجب مساواة النظر بين الضعيف
والقوي الا من تلك الجهة ولم يكن اعزازه للقوي واكرامه في غير وجه التظلم منافيا للجواز انفراده بفضيلة توجب اعزازه من جهة
الدين ابقى

الفصل الثالث قوله رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله امره الى قوله من يكذب عليه قيل ذكر ذلك ع لما تفرس
في طائفة من قومه انهم يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبي ص من اخبار الملاحم في الامور المستقبلة وقد كان منهم من يواجهه بذلك كما روي
انه لما قال سلوني قبل ان تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة الا انبأتكم بناعقها وسائقها قام
اليه انس النخعي فقال اخبرني كم في راسي ولحيتي طاقة شعر فقال ع والله لقد حدثني حبيبي ان على كل طاقة شعر من راسك ملك
يلعنك وان على كل طاقة شعر من لحيتك شيطانا يغويك وان في بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله ص وكان ابنه سنان بن
انس قاتل الحسين ع يومئذ طفلا يحبو وسيأتي بعض تلك الاخبار فقوله رضينا عن الله قضاءه وسلمنا له امره قد عرفت ان
الرضا بقضاء الله والتسليم لامره باب من ابواب الجنة يفتحه الله لخواص اوليائه ولما كان ع سيد العارفين بعد رسول الله ص وكان
قلم القضاء الالهي قد جرى على قوم بالتكذيب له والتهمة فيما يقول لاجرم هو كان ع اولى الناس بلزوم باب الرضا وقوله اتراني
اكذب الى قوله عليه استنكار لما صدر منهم في حقه من التكذيب وابراد حجة لبطلان اوهامهم في حقه بصورة قياس الضمير
نتيجته وتقديره والله لانا اول من صدقه وكل من كان اول مصدق لرجل لم يكن اول مكذب له ينتج اني لا اكون اول مكذب له

[illegible]

نسخة

والادوار الهينة فقوله كالجبل تشبيه له في الثبات على الحق بالجبل فكما لا تحركه الرياح مع عواصفها كذلك هو لا تحركه عن سنن الحق والعدل زعازع الهوى ... والاتباع
[illegible]

في بيان خطبة خطبها في غزاة النعمان بن بشير

الفصل الرابع قوله فنظرت في امري الى آخره فيه احتمالات احدها قال بعض الشارحين انه مقطوع من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وانه كان معهودا اليه ان لا ينازع في امر الخلافة بل ان حصل له بالرفق والا فليمسك فقوله فنظرت فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي اي طاعتي لرسول الله صلى الله عليه وآله فيما امرني به من ترك القتال قد سبقت بيعتي للقوم فلا سبيل لي الى الامتناع منها وقوله واذا الميثاق في عنقي لغيري اي ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله وعهده الي بعدم المشاقة وقيل الميثاق ما لزمه من بيعة ابي بكر بعد ايقاعها اي فاذا ميثاق القوم قد لزمني فلم يمكني المخالفة بعده الاحتمال الثاني ان يكون ذلك في تضجره وتبرمه من تقلد اعباء الخلافة وتكلف مداراة الناس على اختلاف اهوائهم ويكون المعنى اني نظرت فاذا طاعة الخلق لي وانقيادهم علي قد سبقت بيعتهم لي واذا ميثاقهم قد صار في عنقي فلم اجد بدا من القيام بامرهم ولم يسعني عند الله الا النهوض بامرهم ولو لم يكن كذلك لتركت كما قال من قبل اما والله لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس اولها والاول اشهر بين الشارحين والله اعلم بالصواب

ومن خطبة له عليه السلام وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق فاما اولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداء الله فدعاؤهم الضلال ودليلهم العمى فما ينجو من الموت من خافه ولا يعطى البقاء من احبه **اقول** يحتمل ان يكون هذا الكلام فصلين احدهما قوله وانما سميت الشبهة الى قوله ودليلهم العمى والثاني الباقي فالفصل الاول اشارة الى علة تسمية الشبهة شبهة ثم الى بيان حال الناس فيها اما الاول فالشبهة عبارة عما يشبه الحق مما يحتج به اما في صورته او في مادته او فيهما معا ولما كان علة تسميتها شبهة هو ذلك التشبه فلذلك حصرها فيه واما الثاني فلان الناس اما اولياء الله او اعداء له اما اولياؤه فلما كانت نفوسهم مشرقة بنور اليقين مستضيئة بمصباح النبوة في سلوك الصراط المستقيم كانت تلك الانوار هداة لهم في ظلمات الشبهات وحرزهم عن الهوى في مهاوي الجهالات كما قال نعم نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار الآية وهو الهدى المأمور بلزوم سمته والسلوك له الى المطالب الحقة وهو المراد بقوله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداؤه فليس دعاؤهم الى ما يدعون اليه الا ضلالا عن القصد القويم والضلال المخلوع عن الطريق الحق وليس ما يعتمدونه دليلا يزعمون انهم يهتدون به الى السبيل الا شبهة هي في نفسها عمى لابصارهم عن ملاحظة نور الحق وطمس لاذهانهم عن استجابتهم عن اهتداء سلوك سبيل الله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور واما الفصل الثاني وهو قوله فما ينجو الى آخره فقصد ان القضية الاولى قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وقوله اينما تكونوا يدرككم الموت الآية وحاصله التذكير بهادم اللذات والتخويف بذكره والتنفير عن محبته ما لابد من زواله ليفزع السامعون الى العمل لما بعده ان اخذ التوفيق بازمة عقولهم فان خوفه ومحبة ضده وهو البقاء لا ينفعان في الخلاص منه لكونه ضروريا في الطبيعة ويحتمل ان يكون الكلام متصلا ويكون الفصل الثاني قد سبق له قبل الاول كلام يحسن تعلقه به وبالله التوفيق و

ومن خطبة له عليه السلام منيت بمن لا يطيع اذا امرت ولا يجيب اذا دعوت لا ابا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم اما دين يجمعكم ولا حمية تحمشكم اقوم فيكم مستصرخا واناديكم متغوثا فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي امرا حتى تكشف الامور عن عواقب المساءة فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام دعوتكم الى نصر اخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الاسر وتثاقلتم تثاقل النضو الادبر ثم خرج الي منكم جنيد متذائب ضعيف كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون

اقول يروى ان هذه الخطبة خطب بها في غزاة النعمان بن بشير التمر والسبب ان معوية بعث النعمان بن بشير في الفي فارس لارما [في الهامش: لعين صح] اهل العراق فاقبل حتى دنا من عين التمر وكان عاملها يومئذ من قبل علي عليه السلام مالك بن كعب الارحبي ولم يكن معه اذ ذاك سوى مائة رجل ونحوها و فكتب مالك اليه عليه السلام يعلمه الخبر فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اخرجوا هداكم الله الى مالك بن كعب اخيكم فان النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من اهل الشام ليس بالكثير فانهضوا الى اخوانكم لعل الله يقطع بكم طرفا من الكافرين ثم نزل فتثاقلوا فارسل الى وجوههم فامرهم بالنهوض فتثاقلوا ولم يجتمع منهم الا نفر يسير نحو ثلثمائة رجل فقام عليه السلام وقال الا اني منيت الفصل ويروى ان الدائرة كانت لمالك بمن معه على النعمان وجمعه منيت ابتليت ويحمشكم اي يغضبكم والمستصرخ المستجلب بصوته من ينصره والتغوث الصوت يستصرخ به وقيل هو قول [في الهامش: ايم صح] الرجل واغوثاه والثار الذحل والجرجرة ترديد صوت البعير في حنجرته عند عسفه والسرر داء يأخذ البعير في سرته يقال منه جمل اسر والنضو من الابل البالي من تعب السير والادبر الذي به دبر وهي القروح في ظهره وفي الفصل مطالب **الاول** قوله منيت بمن لا يطيع الى قوله دعوت وهو اظهار لعذر نفسه على اصحابه ليتبين لهم التقصير منهم ويقع عليهم لائمة عذره **الثاني** قوله لا ابا لكم الى قوله مرام وهو استنهاض لهم الى نصرة الله بسؤالهم عن سبب قعودهم عن نصرته والذب عن دينه سؤالا على سبيل الانكار للسبب وتنبيه لهم على الاسباب التي توجب اجتماعهم لنصرة الله والغضب له بسؤالهم عنها هل هي موجودة لهم ام لا سؤالا على سبيل الانكار ايضا انهم يدعون وجو

هو هي للدين الذي امروا بلزومه والاخلاص فيه كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء الآية ثم الحمية وهي ملكة تحت الشجاعة
وكذلك قوله اقوم فيكم الى قوله امر من الاسباب الباعثة لهم تنبيه على الاجتماع فان ذكر حال من استنصر اخاهم واستغاثته بهم مع ذكر حالهم في مقابلة
ذلك من تثاقلهم عن ندائه وعدم طاعتهم له ثم تنبيههم على خطائهم وتقصيرهم وقوله حتى تنكشف الامور عن عواقب المسائة ذكر لغاية
تثاقلهم عن دعوته وتنبيه بذكر استعقابه للمسائة على خطائهم فيه وكذلك قوله فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام عتاب وتوبيخ يبعث
طباع العرب على التناصف في النصرة اذ من شأنهم ثوران الطباع بمثل هذه الاقوال وقوله دعوتكم الى قوله الادبر استعار لفظ الجرجرة لكثرة
تململهم وقوة تضجرهم من ثقل ما يدعوهم اليه ولما كانت جرجرة الجمل الاسر اشد من جرجرة غيره لاجل شبه ما نسبه اليهم من التضجر بها و
كذلك تشبيهه تثاقلهم بتثاقل النضو الادبر وذكرهم ما دعاهم اليه من نصرة اخوانهم اعني اصحاب مالك بن كعب المذكور وجوابهم له بما
التبرم من ذلك في التثاقل ثم اردف ذلك بتصغير من خرج منهم من الجند ووصفه بالاضطراب والضعف وتشبيههم بمن يساق الى
الموت وهو ينظر في تثاقله واضطرابه وضعفه عن الحركة الى ما يساق اليه لشدة خوفه وفي ذلك ذم وتوبيخ بتشبيه طباعهم عما هي
عليه من التثاقل عن ندائه والتقصير في اجابة دعائه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في معنى الخوارج لما سمع قولهم لا حكم
الا لله فقال كلمة حق يراد بها باطل نعم انه لا حكم الا لله ولكن هؤلاء يقولون لا امرة وانه لا بد للناس من امير برّ او فاجر يعمل في امرته
المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الاجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتأمن به السبل ويؤخذ به للضعيف من
القوي حتى يستريح برّ ويستراح من فاجر وفي رواية اخرى انه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال حكم الله انتظر فيكم ثم قال اما الامرة
الفاجرة فيتمتع فيها الشقي الى ان تنقطع مدته وتدركه منيته **اقول** قوله كلمة حق يراد بها باطل هذه الكلمة رد لما اغتر به
الخوارج من حقية دعاء اصحاب معوية الى كتاب الله اي ان دعاءهم لكم الى كتاب الله كلمة حق لكن ليس مقصودهم بها كتاب الله بل غرض لهم باطل
وهو فتور الحرب عنهم وتفرق اهوائكم ونحوه مما لا يجوز ان يفعل **قوله** لا حكم الا لله تصديق لقولهم لكن لما عليه الكلمة في نفس الامر لا لما ارادوه
حقا من ظاهرها فان حصر الحكم ليس بحق على معنى انه ليس للعبد ان يحكم بغير ما نص كتاب الله عليه فان اكثر الاحكام الفروعية غير منصوص عليها
مع انها احكام الله بل تكون منتزعة بحسب الاجتهاد وسائر طرقها لمن كان اهلا لذلك ويجب على من ليس له اهلية الاجتهاد امتثالها ولما
تصور الخوارج تلك الكلمة بمعنى انه لا يصح حكم لمن يوجد في كتاب الله ولا يجوز امتثاله والعمل به لا جرم قال نعم لا حكم الا لله لكن هؤلاء القوم
يقولون لا امرة اي لما نفوا ان يكون لغير الله حكم نص عليه فقد نفوا الامرة لان استنباط الاحكام والنظر في وجوه المصالح من لوازم الامرة
التي هي حال الامير في رعيته ونفي اللازم سبب لنفي الملزوم ولما كانوا قد نفوا الامرة كذبهم بقوله ولا بد للناس من امير برّ او فاجر فكان جملة
الكلام في معنى شرطية متصلة هكذا اذا قالوا لا حكم الا لله كما تصوروه فقد قالوا بنفي الامرة لكن القول بنفي الامرة باطل فالقول بنفي الحكم
الا لله كما تصوروه باطل فقوله ولا بد للناس من امير في معنى استثناء نقيض تالي المتصلة وتقريره ان الانسان خلق ممنوا بمفارقة النفس الامارة
بالسوء ومحتاجا الى الجموع قوي في مدنية هي منابع الشر فاهواء الخلق لذلك مختلفة وقلوبهم متفرقة فكانت طبيعة نظام احوالهم في معاشهم
وبقائهم محوجة الى سلطان قاهر تأتلف برهبته الاهواء او تجتمع بهيبته القلوب وتنكف بسطوته الايدي العادية اذ في طباع الخلق من حب المغالبة
على ما آثروه والقهر لمن عاندوه ما لا ينكفون عنه الا بمانع قوي ورادع ملي وقد افصح المتنبي عن ذلك حيث يقول لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى يراق على جوانبه الدم والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم وهذه العلة المانعة من الظلم عند الاستقراء ترجع
للامور اربعة اما عقل زاجر او دين حاجز او عجز مانع او سلطان رادع والسلطان القاهر ابلغها نفعا لان العقل والدين ربما كانا مغلوبين
بدواعي الهوى فيكون رهبة السلطان اقوى ردعا واعم نفعا وان كان جائرا فانه روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا
خلاق لهم في الآخرة وروي بالرجل الفاسق وروي عنه انه قال الامام الجائر خير من الفتنة وكل لا خير فيه وفي بعض الشر خيار اي ان وجود
الامام وان كان جائرا خير من عدمه المستلزم لوجود الفتنة ووقوع الهرج والمرج بين الخلق اذ كان بوجوده صلاح بعض الامور وان
كان لا خير فيه ايضا من جهة ما هو جائر كما قال وكل لا خير فيه الا ان هيبته ووجوده بين الخلق مما يوجب الانزجار عن اثارة الفتن ويكون ذلك
خيرا وقع الوجود بوجوده ولا يحصل مع عدمه فوجوده مطلقا واجب وذلك معنى قوله لا بد للناس من امير برّ او فاجر وقوله يعمل في امرته المؤمن و
يستمتع فيها الكافر الضمير في امرته لما عاد الى الامير وكان لفظ الامير محتملا للبر والفاجر كان المراد بالامرة التي يعمل فيها المؤمن امرة الامير من حيث
هو بر والتي يستمتع فيها الكافر امرته من حيث هو فاجر وهذا اولى من قول بعض الشارحين ان الضمير يعود الى الفاجر فان امرة الفاجر
ليست مظنة تمكن المؤمن من عمله والمراد بعمل المؤمن في امرة البر عمله على وفق اوامر الله ونواهيه اذ ذلك وقت تمكنه منه والمراد
باستمتاع الكافر في امرة الفاجر انهماكه في اللذات الحاضرة التي يخالف فيها اوامر الله وذلك وقت تمكنه من مخالفة الدين وقوله
ويبلغ الله فيها الاجل اي في امرة الامير سواء كان برا او فاجرا وفائدة هذه الكلمة تذكير العصاة ببلوغ الاجل وتخويفهم به وقوله ويجمع به
الفيء الى قوله القوي الضمائر المجرورة كلها راجعة الى الامير المطلق اذ قد تحصل الامور المذكورة كلها من وجوده كيف كان برا او فاجرا ومما

يؤيد ذلك

ج
١٠

في النهي عن الهوى وطول الامل

ومما يؤيد ذلك ان اكثر الخلق متفقون على ان امراء بني امية كانوا فجارا اعدا رجلين او ثلثة كعثمان وعمر بن عبد العزيز وكان الفي يجمع بهم والبلاد تفتح في ايامهم والثغور الاسلامية محروسة والسبل امنة والقوي مأخوذ بالضعيف ولم يضر وجودهم شيئا في تلك الامور وقوله حتى يستريح بر ويستراح من فاجر غاية من الامور المذكورة اي غاية تصدهم بهذه الامور ان يستريح بر بوجودها ويستراح من تعدي الفاجر وبغيه وقيل ان لذات هذه الامور لا تزال تحصل بوجود الامير كان برا او فاجرا الى ان يستريح بر بموته ويستراح من فاجر بموته او بعزله واما الرواية الاخرى فمعنى الكلام فيها ظاهر وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** ان الوفاء توأم الصدق ولا اعلم جنة اوقى منه وما يغدر من علم كيف المرجع ولقد اصبحنا في زمان اتخذ اكثر اهله الغدر كيسا ونسبهم اهل الجهل فيه الى حسن الحيلة ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها مانع من امر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين **اقول** الجنة ما استترت به من سلاح ونحوه والقلب الحول الذي يكثر تحوله وتقلبه في خبايا الامور وتعرف وجوهها والانتهاز المبادرة الى الامر وافتراصه وقت الامكان والحريجة التحرج وهو التحرز من الحرج والاثم واعلم ان الوفاء ملكة نفسانية ينشأ من لزوم العهد كما ينبغي والبقاء عليه والصدق ملكة تحصل من لزوم الاقوال المطابقة وهما فضيلتان داخلتان تحت فضيلة العفة متلازمتان ولما كان التوام هو الولد المقارن لولد اخر في بطن واحد اشبهه الوفا لمقارنته الصدق تحت العفة فاستعار لفظه له ثم لما كانت فضيلة الوفاء مقابلة برذيلة الغدر وفضيلة الصدق مقابلة برذيلة الكذب وهي رذيلتا الغدر والكذب ايضا توامين تحت رذيلة الفجور المقابلة لفضيلة العفة **قوله** ولا اعلم جنة اوقى منه حكم ظاهر فان الوفاء وقاية تامة للمرء اما في اخرته فللاستتارة به من عذاب الله وهو اعظم محذور واما في دنياه فللاستتارة به من سب العار وما يلزم من عدم الوفاء من الغدر والكذب الملطخين لوجه النفس واذا علمت انه لا نسبة لشيء مما يجتن منه بالاسلحة وغيرها الى ما يتوقى بالوفاء علمت انه لا جنة اوقى من الوفاء وممادح الوفاء ومذام الغدر كثيرة قال الله تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يوفون بعهدهم اذا عاهدوا الاية وقال تعالى في معرض حمد الوفاء ومن اوفى بعهده من الله وقال ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ومن الخبر في ذم الغدر لكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة وقوله وما يغدر من علم كيف المرجع اقول العلم بكيفية المرجع الى الله تعالى والاطلاع على منازل السفر اليه وعلى احوال الاخرة التي هي المستقر صارف قوي عن ارتكاب الرذائل التي من جملتها الغدر وانما خص الغدر بنسبته اهله الى الجهل بامر المعاد لكونه في معرض مدح الوفاء والترغيب فيه **قوله** ولقد اصبحنا في زمان الى قوله الحيلة **اقول** انما اتخذ اهل الزمان الغدر كيسا ونسبهم كثير الى حسن الحيلة لان الفريقين بحد الغدر ولعدم تمييزهم بين الغدر والكيس فانه لما كان الغدر كثيرا ما يستلزم الدهاء والفطنة لوجه الحيلة و ايقاعها بالمغدور وكان الكيس ايضا عبارة عن الفطانة والذكاء وجودة الراي في استخراج وجوه المصالح التي تنبغي كانت بينهما مشاركة في استلزام مفهوميهما للتفطن والذكاء في استخراج وجه الحيلة وايقاع الاراء الا ان تفطن الغادر يستعمله في استنباط الحيلة وان خالفت القوانين الشرعية وفاتت المصالح الكلية في جنب مصلحة جزئية تخصه وتفطن الكيس انما يستعمله في ايقاع راي او حيلة تنتظم مصلحة العالم وتوافق القوانين الشرعية ولدقة الفرق بينهما استعمل الغادرون غدرهم في موضع الكيس ونسبهم الجاهلون الى حسن الحيلة كما نسب ذلك الى عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ونحوهما ولم يعلموا ان حيلة الغادر تخرجه الى رذيلة الفجور وانه لا حسن في حيلة جرت الى رذيلة وقوله ما لهم قاتلهم الله قد يرى الى اخره دعاء عليهم بقتال الله لهم بعد استفهام عن خوضهم في امره استفهاما على سبيل الانكار وقد علمت ان قتال الله كناية عن عداوته والبعد عن رحمته وظاهر ان الغدر يبعد المرء عن رحمة الله ثم اردف ذلك الدعاء بالاشارة الى انه لا فضيلة لهم فيما يفخرون به من الذكاء في استنباط وجوه الحيلة اذ كانت غايتهم الغدر والخيانة فان الحول القلب في الامور قد يرى وجه الحيلة عيانا الا انه يحول عن العمل بها مانع الله ونهيه عن ارتكابها لما يؤدي اليه من ارتكاب الرذائل الموبقة فيتركها راي عينيه اي حال ما هي مرئية له او بعد القدرة عليها خوفا من الله تعالى ثم يراها من لا يعتقد اثما في خرم قواعد الدين فيبادر اليها حال امكانها ولا يرى ذلك فضيلة بل الفضيلة الحقيقية لتاركها عن وازع الدين والاشارة بالحول القلب الى نفسه فان شيمته الكريمة كانت كذلك **ومن خطبة له عليه السلم** ايها الناس ان اخوف ما اخاف عليكم اثنتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسي الاخرة الا وان الدنيا قد ولت حذاء فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء اصطبها صابها الا وان الاخرة قد اقبلت ولكل منهما بنون فكونوا من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان كل ولد سيلحق بابيه يوم القيمة وان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل **اقول** الحذاء خفيفة مسرعة لا يتعلق احد منها بشيء والصبابة بقية الماء في الاناء والمقصود بهذا الفصل النهي عن الهوى وطول الامل في الدنيا فانهما من اشد اسباب الهلاك وكان الانحراف عنهما من اشد اسباب النجاة كما قال تعالى فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى واما من خاف مقام ربه

او في منه ر — الذم — بجهلهم — وعندهم — اهلهم — يلاحظه — فتبادر

في بيان اشارته الى اصحابه بالاستعداد لحرب اهل الشام

النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ثم انه لما ذكر باموور الآخرة فاعلم ان الهوى هو ميل النفس الامارة بالسوء الى مقتضى طباعها من اللذات
الدنيوية الى حد الخروج عن حدود الشريعة واما الامل فقد سبق بيانه ولما كانت السعادة التامة انما هي في مشاهدة حضرة الربوبية
ومجاورة الملأ الاعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر وكان اتباع النفس الامارة بالسوء في ميولها الطبيعية الى الانهماك في
لذاتها الفانية اشد مهلك جاذب للانسان عن قصد الحق وصاد له عن سلوك سبيله وعن الترقي في ملكوت السموات
الى حضيض جهنم كما قال سيد المرسلين ص ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكما قال حب الدنيا راس كل
خطيئة وقال الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما يقرب من احديهما يبعد من الاخرى لا جرم كان اخوف ما ينبغي ان يخاف من الامور المهلكة
اتباع الهوى واما الامل فمراده به ما ليس الا لما لا ينبغي ان يمد الامل فيه من المقتنيات الفانية وظاهر ان طول الامل فيها يكون مطابقا لاتباع الهوى
وبه يكون نسيان الآخرة لان طول توقع الامور المحبوبة الدنيوية يوجب دوام ملاحظتها ودوام ملاحظتها مستلزم لدوام اعراض النفس
عن ملاحظة احوال الآخرة وهو مستعقب لانمحاء ما تصور في الذهن منها وذلك معنى النسيان لها وبذلك يكون الهلاك الابدي والشقاء
الاشقى ولما كان ع هو المتولي لاصلاح حال الخلق في امور معاشهم ومعادهم كان الاهتمام بصلاحهم منوطا بهمته العلية فلا جرم نسب
الخوف عليهم الى نفسه **قوله** الا وان الدنيا قد ولت الى قوله صبابتها **اقول** الدنيا بالنسبة الى كل شخص مقدار عمره وتخفيفه
سرعة الاجفال لم يبق منها بالقياس اليه الا اليسير واطلاق الصبابة ههنا استعارة لبقيتها القليلة والقلة هي وجه تشبيهها بصبابة
الاناء ايضا وقوله الا وان الآخرة قد اقبلت لما نبه على ان الدنيا سريعة الاجفال اردف ذلك بالتنبيه على سرعة لحوق الآخرة واقبالها
وكل ذلك قطع للآمال الفانية وردع عن اتباع الهوى ومن آثار الصالحين اذا كان العمر في ادبار والموت في اقبال فما اسرع الملتقى
والموت هو دهليز الآخرة وقوله ولكل منهما بنون الى قوله يوم القيمة من لطائف كلامه فاستعار لفظ الابناء للخلق بالنسبة الى
الدنيا والآخرة ولفظ الاب لهما ووجه الاستعارة ان الابن لما كان من شأنه الميل الى والده اما ميلا طبيعيا او بحسب تصور المنفعة منه
وكان الخلق منهم من يريد الدنيا ومنهم من يريد الآخرة ويميل كل منهما الى مراده مع ما يحصل من طرف الدنيا للراغبين فيها مما يتوهمونه
لذة وخيرا وما يحصل من طرف الآخرة للراغبين فيها من اللذة والسعادة اشبه كل بالنسبة الى ما رغب فيه واستفاد منه الخير الابن
بالنسبة الى الاب فاستعير لفظه لتلك المشابهة ولما كان غرضه حث الخلق على السعي للآخرة والميل اليها والاعراض عن الدنيا قال
فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا ثم ذكر فائدة ما امرهم به بان يكونوا كذلك وهي ان كل ولد سيلحق بابيه يوم القيمة ونبه
الى ان ابناء الآخرة والطالبين لها والعاملين لاجلها مقربون في الآخرة لاحقون لمراداتهم فيها ولهم ما تشتهي انفسهم ولهم ما يدعون
نزلا من غفور رحيم واما ابناء الدنيا فان نفوسهم لما كانت مستغرقة في محبتها وناسية لطرف الآخرة ومعرضة عنها لا جرم كانت
يوم القيمة مغمورة في محبة الباطل مغلولة بسلاسل الهيئات البدنية والملكات الردية المتمكنة من جواهرها فهي لتعلقها بمحبة
الدنيا حيث لا تتمكن من محبوبها بمنزلة ولد لا تعلق له ولا مسكة الا بوالده ولا الف له الا هو ولا انس الا معه ثم حيل بينه وبينه مع
شدة تعلقه به وشوقه اليه واخذ الى اضيق الاحباس وبدل بالعز الهوان فهو في اشد وله وتيه واعظم حسرة وغم واما ابناء الآخرة ففي
حضانة ابيهم ونعيمه قد زال عنهم بؤس الغربة وشقاء اليتم وسوء الحضن فمن الواجب ان نعرف احوال الوالدين واتباع ابرهما وادرهما
شفقة واعظمهما بركة وما هي الا الآخرة فليكن ذوو العقل من ابناء الآخرة وليكن بر ابوا لديه متوسلا اليه باقوى الاسباب وامتنها
وقوله وان اليوم عمل الى قوله بلا عمل كنى باليوم عن مدة الحيوة وبغد عما بعد الموت وراعى المقابلة فقابل اليوم بالغد والعمل بلا عمل ولا حساب
بالحساب واليوم اسم ان وعمل قام مقام الخبر استغناء بالمضاف اليه عن المضاف اي اليوم يوم العمل ويحتمل ان يكون اسم ان ضمير الشان
واليوم عمل جملة من مبتدأ وخبر هي خبرها وكذلك قوله وغدا حساب ولا عمل وصدق هذين الحكمين ظاهر وفائدتهما التنبيه على وقت
العمل وعدمه ليبادروا الى العمل الذي به يكونون من ابناء الآخرة في وقت امكانه قبل مجيء الغد الذي هو وقت الحساب دون العمل وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلم وقد اشار اليه اصحابه بالاستعداد للحرب لاهل الشام بعد ارساله الى معوية جرير بن عبد الله البجلي ان استعدادي
لحرب اهل الشام وجرير عندهم اغلاق للشام وصرف لاهله عن خير ان ارادوه ولكن قد وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده الا مخدوعا
او عاصيا والرأي مع الاناة فارودوا ولا اكره لكم الاعداد ولقد ضربت انف هذا الامر وعينه وقلبت ظهره وبطنه فلم
ار فيه الا القتال او الكفر [بما انزل على محمد صلى الله عليه وآله] انه قد كان على الامة وال احدث احداثا واوجد للناس مقالا فقالوا ثم نقموا فغيروا **اقول**
وقد كان في ظن كثير من الصحابة بعد ولا بد على ان معوية لا يطيع له بامارات كثيرة ولذلك اشار عليه اصحابه بعد ارسال جرير
اليه بالاستعداد لحربه وروي ان جريرا لما اراد بعثه قال والله يا امير المؤمنين ما ادخرك من نصرتي شيئا وما اطمع لك في معوية
فقال ع قصدي حجة اقيمها ثم كتب معه اما بعد فان بيعتي بالمدينة لزمتك وانت بالشام لانه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر و
عمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار اذا اجتمعوا على رجل

فسموه اماما

في بيان الاشارة الى صحة الاستعداد لحرب اهل الشام

فتموه اما ما كان ذلك رضا فان خرج من امرهم خارج بطعن او بدعة ردوه الى ما خرج منه فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين
وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيرا وان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما
على ذلك حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان احب الامور الي فيك العافية الا ان تتعرض للبلاء
فان تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الي احملك
واياهم على كتاب الله فاما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرأ قريش
من دم عثمان واعلم انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يعرض فيهم الشورى وقد ارسلت اليك جرير بن عبد الله وهو
من اهل الايمان والهجرة فبايع ولا قوة الا بالله وربما جاء شيء من هذا الكتاب في كتبه عليه السلام الى معوية فاجابه معوية اما بعد فلعمري لو
بايعك القوم الذين بايعوك وانت بريء من دم عثمان كنت كابي بكر وعمر وعثمان ولكنك اغريت بعثمان وخذلت عنه الانصار فاطاعك
الجاهل وقوي بك الضعيف وقد ابى اهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى بين المسلمين و
لعمري ما حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير لانهما بايعاك ولم ابايعك وما حجتك على اهل الشام كحجتك على اهل البصرة لانهم
اطاعوك ولم يطعك اهل الشام فاما شرفك في الاسلام وقرابتك من النبي صلى الله عليه وآله وموضعك من قريش فلست ادفعه وكتب في اخر الكتاب
قصيدة كعب بن جعيل ارى الشام تكره اهل العراق واهل العراق لها كارهونا وقد ذكرنا بعضها قبل ويروى ان الكتاب الذي كتبه
عليه السلام مع جرير كانت صورته اني قد عزلتك ففوض الامر الى جرير والسلام وقال لجرير صن نفسك عن خداعه فان سلم اليك الامر
وتوجه الي فاقم انت بالشام وان تعلل بشيء فارجع فلما عرض جرير الكتاب على معوية تعلل بمشاورة اهل الشام وغير ذلك فرجع
جرير فكتب معوية في اثره على ظهر كتاب علي عليه السلام من ولاك حتى تعزلني والسلام وقوله الاستعداد التهيؤ للامر والخداع الاخذ
بالحيلة والاناة الاسم من التأني والرفق وارودوا امهلوا ونعمت الامر تفحصت عنه فقوله ان استعدادي الى قوله ان رادوا
المراد ان اهل الشام في زمان كون جرير عندهم هم في مقام التردد والتفكر في اي الامرين يتبعون وان لم يكن كلهم فبعضهم كذلك فلو
اعتدوا للحرب في ذلك الحال لبلغهم ذلك فاحتاجوا الى الاستعداد ايضا وتاهبوا للقتال فيصير الاستعداد سببا لغلق
الشام بالكلية وصرفا لمن يكون في ذهنه تردد في هذا الامر او في قلبه الميل الى بيعتنا ... قوله قد وقت الى قوله
عاصيا اي قد وقت له وقتا يصل الينا فيه لا يتخلف عنه الا لاحد مانعين اما خداع منهم له ومواعيد مختلفة بالجواب ليشتبه
امورهم في تلك المدة واما عصيانا منه ومخالفة فان قلت حصر تخلف جرير في هذين المانعين غير صحيح لجواز ان يتخلف لمرض او
لغرض اخر قلت الظاهر انه لم يقصد الحصر بنفسه وانما اراد الحصر بحسب غلبة الظن لنا بشيء من الامارات والقرائن الحالية ثم كلامه
ليس في الاسباب الاضطرارية التي من قبل الله تعالى فان ذلك امر مفروغ منه لا يحسن ذكره واما الموانع الاختيارية فاما منهم وغالب
الظن هو الخداع واما منه وغالب الظن انه العصيان اذ لا يتصور من مثل جرير فيما ارسل في هذا الامر المهم ان يعدل عنه الى شغل
خيثا لنفسه او لغيره الا ان يكون عاصيا وقوله والراي مع الاناة واي من جوامع الحكماء على صوابه فان اصابة المطالب والظفر
بها انما يتاتى غالبا مع التثبت والتأني في الطلب وذلك ان اناة الطالب هي مظنة فكره في الاهتداء الى تحصيل الوجه الالتي
والافيد والاسهل للمصلحة في تحصيل مطلوبه ولذلك اكد بعض الحكماء الامر بالتأني بقوله من لم يتثبت في الامور لم يعد
مصيبا وان اصاب فالغرض وان كان هو الاصابة الا انها وان حصلت من غير التأني كان مفرطا وثمرة التفريط غالبا الندامة وعدم
الاصابة والاصابة منه نادرة والنادر غير منتفع به ولا ملتفت اليه وقوله فارودوا ولا اكره لكم الاعداد لما نبههم على فضيلة
الاناة امرهم بها وان لم يامرهم بها مطلقا بل نبههم بقوله ولا اكره لكم الاعداد على امور ثلاثة احدها انه ينبغي لهم ان يكونوا على
تيقظ من هذا الامر حتى يكونوا حال الشروع فيه قريبين من الاستعداد الثاني ان لا يتوهم اعداؤهم فيهم الخلل والضعف
عن مقاومة اهل الشام فيدخلهم بسبب ذلك فشل وضعف عزيمة الثالث ذكره الشارح ابن ابي الحديد وهو لطيفة وان كان
كره الاستعداد الظاهر الان قوله ولا اكره لكم الاعداد تنبيه لهم على الاستعداد الباطن والتهيؤ في السر وربما كان غرض الشارح
بهذا الوجه ما يتوهم تناقضا وهو كونه قال شاورت وتركت الاستعداد ثم قال لاصحابه ولا اكره لكم الاعداد وقد علمت ان
تركه للاستعداد في ذلك الوقت واختياره تركه لا ينافي تنبيههم على عدم كراهيته ليكونوا منه على يقظة كما ذكرناه وقوله
ولقد ضربنا الى قوله او الكفر اقول استعار لفظ العين والانف والظهر والبطن التي حقائق في الحيوان للامر معوية في امر الخلافة
وخلاف اهل الشام له استعارة على سبيل الكناية فكنى بالعين والانف عن المهم من هذا الامر ومحاسن الصفات العين والانف
اعزها في الوجه وكنى بالضرب بهما عن قصده للمهم منه على سبيل الاستعارة ايضا وكنى بلفظ الظهر والبطن لظاهر
هذا الامر وباطنه ووجوه الراي فيه ولفظ التقليب لتصفح تلك الوجوه وعرضها على العقل واحدا واحدا وقوله فلم ار الا القتال

في بيان الإشارة الى أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام

او الكفر يعني ان ما اختاره بعد التقليب والتصفح لوجوه المصلحة في امر مخالفيه وهو قتالهم ونبه على حد اختياره له بقوله او الكفر
اي ان احد الامرين لازم اما القتال او الكفر وذلك انه ان لم يختر القتال لزمه تركه مستلزم للكفر لكن التزام الكفر منه محال فتعين
اختياره للقتال ومراده بالكفر الجحود فانه صرح بمثله فيما قبل حيث يقول وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم
فما وجدتني يسعني الا قتالهم او الجحود بما جاء به محمد ص فان قلت ما وجه الحصر في القتال والجحود مع ان ترك القتال ابدا
المجد ممكن قلت بيانه من وجهين احدهما قال الشارحون ان الرسول ص كان قد امره بقتال من خالفه لقوله امرت ان اقاتل
الناكثين والقاسطين والمارقين فلو ترك قتالهم مع ما عليه امر الاسلام من الخطر لكان قد خالف امر الرسول وظاهر ان مخالفة
مثله ع لاوامر الرسول لا يتصور الا عن عدم اعتقاد صحتها وذلك جحد به وكفر الثاني يحتمل ان يكون قد تجوز بلفظ
الجحود في التهاون بهذا الامر تعظيما له في نفوس السامعين ومن المجازات الشائعة وقوله انه كان [illegible] تنبيه على وجه
عذره عما نسبه اليه معوية وجعله سببا لعصيانه وهو الطلب بدم عثمن ونسبته له بذلك والمراد بالوالي عثمن والاحداث التي
احدثها هو ما نسب اليه من الامور التي انكروها عليه كما سنذكرها واوجد الناس مقالا اي جعل لهم بتلك الاحداث طريقا
الى القول عليه فقالوا ثم انكروا ما فعل فغيروه وازالوه فاما الاحداث المنقولة عنه فالمشهور منها بين اهل السير عشرة **الاولى**
توليته امور المسلمين من ليس اهلا من الفساق مراعاة للقرابة دون حرمة الاسلام كالوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر وسعيد بن العاص
حتى ظهرت عنه الامور التي اخرجه الكوفة منها بسببها وعبد الله بن ابي سرح مع قوة ظلمه وتظلم المصريين منه وهو الذي تمم المسلمون
مكاتبته بقتل محمد بن ابي بكر ونقل انهم ظفروا بالكتاب ولاجله عظم التظلم وكثر الجمع واشتد الحصار عليه **الثانية** رده للحكم بن ابي
العاص الى المدينة بعد طرد رسول الله ص له وبعد امتناع ابي بكر وعمر من رده فخالف في ذلك سنة الرسول ص وسيرة الشيخين وعمل
بدعواه مجردة من البينة **الثالثة** انه كان يؤثر اهله بالاموال العظيمة من بيت المال من غير استحقاق وذلك في صور منها انه دفع
الى اربعة نفر من قريش زوجهم بناته اربعمائة الف دينار ومنها اعطى مروان مائة الف دينار وروي خمس افريقية وذلك مخالف
لسنة الرسول ص ومن بعده من الخلفاء **الرابعة** انه حمى الحمى عن المسلمين بعد تسوية الرسول بينهم في الماء والكلاء **الخامسة**
انه اعطى من بيت مال الصدقة المقاتلة وغيرها وذلك مما لا يجوز في الدين **السادسة** انه ضرب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
وهو من اكابر الصحابة وعلمائها حتى كسر بعض اضلاعه وذلك ظلم ظاهر **السابعة** انه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت خاصة و
احرق المصاحف وابطل ما لا شك انه من القرآن المنزل وذلك مخالفة لله وللرسول ومن بعده **الثامنة** انه اقدم على عمار بن ياسر
بالضرب مع انه من اشرف الصحابة ومع علمه بما قال الرسول ص عمار جلدة ما بين عيني تقتله الفئة الباغية لا انالها الله شفاعتي
حتى اصابه الفتق ولذلك صار عمار مظاهرا لبعض المتظلمين منه على قتله وروي انه كان يقول قتلناه كافرا **التاسعة** اقدامه على ابي
ذر مع ثناء الرسول ص وصحبته له وقوله فيه ما اقلت الغبراء ولا اظلت الخضراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر حتى نفاه الى الربذة
العاشرة تعطيله الحد الواجب على عبيد الله بن عمر بن الخطاب فانه قتل الهرمزان مسلما بمجرد تهمة انه امر ابا لؤلؤة بقتل ابيه ثم لم يقد
به وقد كان علي ع يطلبه بذلك فهذه هي المطاعن المشهورة فيه وقد اجاب الناصرون لعثمن عن هذه الاحداث باجوبة مستحسنة
وهي مذكورة في المطولات من مظانها وانما ذكرنا هذه الاحداث واوردناها مختصرة لتعلق المتن بذكرها **ومن كلام
له عليه السلام** لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني الى معوية وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل امير المؤمنين ع واعتقهم فلما طالبه بالمال
خاس به وهرب الى الشام قبح الله مصقلة فعل فعل السادة وفر فرار العبيد فما انطق مادحه حتى اسكته ولا صدق واصفه
حتى بكته ولو اقام لاخذنا ميسوره وانتظرنا بماله وفوره **اقول** مصقلة هذا كان عاملا لعلي ع على اردشير خرة وبنو
ناجية قبيلة نسبوا انفسهم الى سامة بن لؤي بن غالب فدفعتهم قريش عن هذا النسب وسمتهم بني ناجية وهي امهم امرأة سامة واما سبب هربه
الى الشام فهو ان الحريث احد بني ناجية كان قد شهد مع علي ع صفين ثم استهواه الشيطان فصار من الخوارج بسبب التحكيم وخرج
هو واصحابه الى المدائن مفارقا لعلي ع فوجه اليهم معقل بن قيس في الفي فارس من اهل البصرة ولم يزل يتبعهم بالعسكر بعد العسكر حتى لحقهم
بساحل فارس وكان بها جماعة كثيرة من قوم الحريث وكان فيهم من اسلم عن النصرانية فلما راوا ذلك الاختلاف ارتدوا واجتمعوا عليه فزحف
اليهم معقل بمن معه فقتل الحريث وجماعة منهم وسبى من كان ادرك فيهم من الرجال والنساء ونظر فيهم فمن كان مسلما اخذ بيعته
وخلى سبيله واحتمل الباقين من النصارى وعيالهم معه وكانوا خمسمائة نفر حتى مروا بمصقلة فاستغاث اليه الرجال والنساء وبكوا وطلبوا
ان يعتقهم فاقسم ليتصدقن عليهم بذلك في اوقات مخصوصة فلما قدم معقل على علي ع واخبره القصة شكر سعيه وانتظر المال من مصقلة
فابطأ به فكتب اليه بالاستعجال او يقدم عليه فلما قرأ كتابه قدم عليه وهو بالكوفة فاقره اياما ثم طالبه بالمال فادى منه مائتي الف درهم
وعجز عن الباقي وخاف فلحق بمعوية فبلغ ذلك عليا ع فقال الفصل ولنرجع الى المتن فقبحه الله اي نحاه عن الخير والتبكيت كالتقريع والتلائمة

تركه مستلزم

الكفر هو

اهل مصر

انتهى

ثم بعث الى معقل [illegible] باعهم بخمسمائة الف درهم [illegible]

والوفود

والوفور مصدر وفر المال اي نما وزاد ويروى موفوره ومقصوده انه بعد ان قدم الدعاء على مصقلة بيان خطائه فانه اشار الى جهة الخطاء
وهي جمعه بين امرين متنافيين فحا لعرف وهما فعل السادة وذي المرقة والحمية حيث اشترى القوم واعتقهم مع الفرار الذي هو شيمة
العبيد ثم اكد ذلك بمثلين احدهما ما انطق مادحه حتى اسكته ويفهم منه معنيان احدهما ان يكون حتى بمعنى اللام اي انه لم
ينطق مادحه حتى يقصد اسكاته بهربه فان اسكات المادح لا يتصور قصده لو قصد الا بعد انطاقه وهو لم يتمم فعله الذي يطلب
به انطاق مادحه بمدحه بما الكرم والحمية والمروة ونحوها فكانه قصد اسكات مادحه بهربه فازرى عليه في ذلك وقال انه لم يطقه
بمدحه فكيف يقصد اسكاته بهربه وان كان العاقل لا يتصور منه قصد اسكات مادحه عن مدحه الا انه لاختياره الهرب المستلزم
لاسكات المادح صار كالقاصد له فنسبه اليه الثاني ان يكون المراد انه قد جمع بين غايتين متنافيتين انطاق مادحه بعد ولا اسرى
مع اسكاته بهربه فبل تمام انطاقه وهو وصف له بسرعة الحاقة لفضيلته برذيلته حتى كانه قصد الجمع بينهما وهذا كما تقول في وصف
سرعة تفرق الاحباب عن اجتماعهم ما اجتمعوا حتى افترقوا اي لسرعة افتراقهم كانهم قد جمعوا بين الاجتماع والافتراق الثاني
قوله ولا صدق واصفه حتى بكته والمفهوم منه كالمفهوم من الذي قبله وقوله وفاما الى آخره لما اشار الى خطائه ارد فه بما يصلح جوابا لما عسا
يكون عذرا له لو اعتذر وهو توهم التشديد عليه في امر باقي من المال حتى كان ذلك لوهم سبب هربه وفي بعض الروايات ولو
ولو اقام لاخذنا منه ما قدر عليه فان اعسر انظرناه فان عجز لم نأخذ بشيء والاول هو المشهور وبالله التوفيق **ومن خطبة له
عليه السلم** الحمد لله غير مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته ولا مأيوس من مغفرته ولا مستنكف عن عبادته الذي
لا تبرح له رحمة ولا تفقد له نعمة والدنيا دار مني لها الفناء ولاهلها منها الجلاء وهي حلوة خضرة وقد عجلت للطالب
والتبست بقلب الناظر فارتحلوا عنها باحسن ما بحضرتكم من الزاد ولا تسألوا فيها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ
اقول هذا الفصل ملتقط من خطبة طويلة له خطب بها يوم الفطر وهو غير منسوق الى آخر قوله نعمة وقوله والدنيا فصل طويل
من هذه الخطبة ينتظم بالفصل المتقدم وهو قوله اما بعد فان الدنيا قد ادبرت وهو فيها بعد هذا الفصل ولم نذكرها كراهية التطويل
ولنعد الى الشرح فنقول القنوط الياس والاستنكاف الاستكبار ومني لها اي قدر والجلاء بالفتح والمد الخروج عن الوطن والتبست
امتزجت والكفاف ما كف عن الناس اي اغنى عنهم من المال والبلاغ ما بلغ مدة الحيوة منه وكفى واعلم انه نبه على استحقاق الله تعالى للحمد
ودوامه باعتبار ملاحظة ست احوال فاشار الى الحالة الاولى بقوله غير مقنوط من رحمته مفسرا لقوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء ولقوله
لا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وهذه الحال مما يشهد باثباتها العقل اذا كان العبد عند اخذ العناية
الالهية بضبعه يعلم استناد جميع الموجودات كلها وجريها الى مدبر حكيم وانه ليس شيء منها خاليا عن حكمة فيستلمح من ذلك ان ايجاده
له واخذ العهد [illegible] بالعبادة ليس الا لينجذب الى موطنه الاصلي ومبدائه الاول [illegible] بالحمد المحقق والحمد المطلق عن نار الجحيم و
حجيم سعرت وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فلا ييأس من روح الله عند نزول امر واجب النزول به مما يعده شرا بل يكون برجائه
اوثق وقلبه بشمول العناية له اعلق فانه لا ييأس من روح الله الا الذين عميت بصائرهم عن اسراره تعالى فهم في طغيانهم يعمهون واولئك
هم الخاسرون واشار الى الحالة الثانية بقوله ولا مخلو من نعمته تفسيرا لقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وشيوع نعمته دائم لا انقطاع له تعالى التي تستلزم
طبايعها الحاجة اليه توجب لها فيض جوده فاستلزم ذلك وجوب تصريحها بلسان حالها ومقالها بالثناء المطلق عليه ودوام الشكر
له وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم واشار الى الحالة الثالثة بقوله ولا مأيوس من مغفرته تفسيرا لقوله
لقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وهي شهادة بشمول ستره وجميل عفوه وغفره لمن جذبت بعقله
ايدي شياطينه فخطر الى مهاوي الهلاك فعجز عن مقاومتها بعد ان كانت له مسكة بجناب الله فضعفت تلك المسكة عن ان
تكون منجاة له حال الجاذبية لهواه وان كان ذلك السلعفران [illegible] بحسب قوة تلك المسكة وضعفها والعقل مما يؤيد تلك بحكم بصحة
هذه الشهادة فان كل ذي علاقة بجناب الله يتخلص من التعذيب ان بعد خلاصه على ما نطق به البرهان في موضعه وذلك يستلزم
الاعتراف بالاحسان ودوام الثناء والحمد ثم اشار الى الرابعة بقوله ولا مستنكف عن عبادته تفسيرا لقوله تعالى لا يستنكفون عن عبادته ولا
يستكبرون وقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الآية وكونه تعالى غير مستنكف عن عبادته شاهد عظيم على كمال
عظمته وانه المستحق للعبادة دون ما عداه اذ هو المجتمع للكمال المطلق فلا جهة نقصان فيه الليها بنار فيكون سببا للاستنكاف والاستكبار
وغيره مع مجال السلوب الثلثة بعدها مسوقات على الحال وقوله الذي لا تبرح له رحمة ولا تفقد له نعمة اعتبار ان اخران يستلزمان في ملاحظتهما
وجوب شكره تعالى وحمده بقوله لا تبرح على دوام رحمة الله لعباده وقوله لا تفقد له نعمة كقوله ولا مخلو من نعمته ثم اعقب ذلك بالتنبيه على معائب
الدنيا للتنفير عنها فذكر وجوب الفناء لها ثم حذر بذكر العيب الاكثرها الذي يرغب مع ذكره وملاحظته من له ادنى بصيرة عن الركون
اليها والتعبير فيها انما هو مفارقتها الواجبة والجلاء عنها ثم اردف ذلك بذكر جهتين من جهات الميل اليها احداهما منسوبة الى القوة

الذائقة وهي حلاوتها والاخرى الى القوة الباصرة وهي خضرتها واطلاق لفظيهما مجاز كنى به عن جهات الميل اليها من باب اطلاق لفظ الجزء
على الكل وايراده لهذين الوصفين اللذين هما وصفا مدح في معرض ذمها كالتنبيه على اعتراض على ذمها الغرض ان يجيب عنه ولهذا اعقب ذكرهما
بما يصلح جوابا ويتنبه على ما يصرف عن الميل اليها من ما تبين الجهتين وهو كونها معجلة للطالب اذ كان من شأن العاجل ان ينتفع به حال الحياة
دون ما بعده خصوصا في حق من احب تلك العاجل ولم يلتفت الى ما سواه والدنيا كذلك كما اشار اليه بقوله والتبست بقلب الناظر وانما خص الناظر
لنفيد ذكر الخضرة التي هي من حظ النظر فمن عجلت له محبة والتبست بقلبه وكان لا بد من مفارقتها لم ينتفع بما بعدها بل يبقى في عذاب الفراق
منكوسا وفي ظلمة الوحشة محبوسا واليه اشار التنزيل الالهي من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها
مذموما مدحورا ثم انه نبه على معايبها امر بالارتحال عنها ولم يأمرهم مطلقا بل لا بد معه من استصحاب احسن الازواد اذ كانت الطريق المأمور بسلوكها
في غاية الوعارة مع طولها وقصر المدة فيتحتم الزاد فيها فلا ينفع الا المزاد الاقوى الابقى الذي لا يتطرق اليه فناء ولا يفهم من اعداء الله
لا ما يستر جنته من هذا الارتحال الحقيقي الحاصل لك من بعضها الى بعض ولا من الزاد المأكول المحبوب فان احسن ما بحضرتنا منه
ربما كان منهيا عنه بل المأمور به ارتحال اخروي بنية من تصور وسلوك طريق الآخرة فانك لما علمت ان الغاية من تلك البغية البشرية هي
الوصول الى حضرة الله ومشاهدة جلال كبريائه علمت من ذلك ان الطريق الى هذا المطلب هي آثار جوده وشواهد الآية وان القاطع لمراحل
تلك الطريق ومنازلها هو قدم عقلك مقتديا باعلامها الواضحة كلما نزل منها منزلا اعدته المعرفة به لاستجلاء اعلام منزل آخر
اعلى واكرم منه كما قال لتركبن طبقا عن طبق الى ان يستقر في مقعد صدق عند مليك مقتدر واذا تصورت معنى الارتحال وقد
علمت ان لكل ارتحال وسفر زادا علمت ان اكرم الزاد واحسنه في هذا الطريق ليس الا التقوى والاعمال الصالحة التي هي غذاء للعقول
ومادة حيوتها واليه الاشارة بقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واشار بقوله ما بحضرتكم الى ما يمكننا ان نأتي به من الاعمال الصالحة
في حيوتنا الدنيا ثم عقب الامر بالتزود بالنهي عن طلب الزيادة على ما يقوم به صورة البدن من متاع الدنيا اذ كان لما عنه امر كون
ينقطع به النفس مراحل طريقها فالزيادة على المحتاج اليه مما يحوج الراكب الى الاهتمام به والعناية بحفظه المستلزم لمحبته وكل ذلك مثقل
للظهر ومشغل عن الجهة المقصودة وذلك معنى قوله ولا تسألوا منها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ ولا تمدن اعينكم
فيها الى ما متع المترفون فتقصروا في الرحيل وتشتغلوا بطلب مثل ما شاهدتم وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام

عند عزمه على المسير الى الشام اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكابة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال اللهم انت الصاحب
في السفر وانت الخليفة في الاهل لا يجمعهما غيرك لان المستخلف لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا قال السيد الرضي
رضي الله عنه وابتداء هذا الكلام مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قفاه امير المؤمنين عليه السلام بابلغ كلام وتممه باحسن تمام من قوله ولا يجمعهما غيرك
الى آخر الفصل **اقول** روي انه عليه السلام دعا بهذا الدعاء عند وضعه رجله في الركاب متوجها الى حرب معاوية ووعثاء السفر مشقته واصله
المكان المتعب لكثرة رمله وغوص الارجل فيه والكآبة الحزن ويشتمل هذا الفصل على الالتجاء الى الله في خلاص طريقه المتوجه فيها بدءا
وعودا من الموانع الصارفة عن تمام المقصد وفي سلامة الاحوال المهمة التي تلتفت اليها النفس بها عن المشتغلات البدنية المعوقة عن عبادة الله
واعظمها احوال النفس ثم ما يصحبها من اهل ومال وولد ثم عقب ذلك بالاقرار بشمول عنايته وجميل رعايته وصحبته نظرا الى قوله تعالى وهو
معكم اينما كنتم اذ شأن الصاحب العناية بامور صاحبه وشأن الخليفة على الشيء العناية بذلك وحفظه مما يوجب له ضررا واستلزم جمعه
له بين هذين الحكمين وهما الخلافة والاستصحاب بقوله ولا يجمعهما غيرك كونه منزها عن الجهة والجسمية اذ كان اجتماعهما ممتنعا للاجسام
اذ لا يكون جسم مستصحبا مستخلفا في حال واحد واكد ذلك وبينه بقوله لان المستخلف لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا
فان قلت هذا الحصر انما يتم لو قلنا ان كل ما ليس بذي جهة هو واجب الوجود وهذا مذهب خاص فما وجه صحته مطلقا قلت الحصر صادق
على كل تقدير فانا على تقدير ثبوت امور مجردة عن الجسمية والجهة سوى الحق سبحانه فالمستحق للجمع بين هذين الامرين بالذات والاولى هو الله
تعالى وما سواه فبالعرض فيحمل الحصر على ذلك الاستحقاق ولنبحث عن فائدة الدعاء وسبب اجابته فانه قد عرض لبعض الاذهان شبهة فيقول
اما ان يكون المطلوب بالدعاء معلوم الوقوع لله او معلوم اللاوقوع وعلى التقديرين لا فائدة في الدعاء لان ما علم الله وقوعه وجب وما علم
عدمه امتنع فنقول في الجواب عن هذا الوهم ان كل كائن فاسد موقوف في وجوده وفساده على شرائط توجد واسباب تعد لا لاحدهما الا بمكن
بدونها كما علمت ذلك في مظانه واذا جاز ذلك فلعل الدعاء من شرائط ما يطلب به وهما وان كانا معلومي الوقوع لله وهو سببهما و
علتهما الاولى الا انه هو الذي ربط احدهما بالآخر فجعل سبب وجود ذلك الشيء الدعاء كما جعل سبب صحة المريض شرب الدواء وما لم يشرب
الدواء لم يصح واما سبب اجابته فقال العلماء هو توافي الاسباب وهو ان يتوافى سبب دعاء رجل مثلا فيما يدعو فيه وسائر اسباب وجود ذلك
الشيء معا عن الباري تعالى لحكمة الهية على ما قدر وقضى ثم الدعاء واجب وتوقع الاجابة واجب فان انبعاثنا للدعاء سببه من هناك و
يصير دعاؤنا سببا للاجابة وموافاة الدعا لحدوث الامر المدعو لاجله هما معلولا علة واحدة وقد يكون احدهما بواسطة الآخر وقد يتوهم

التي

والنفس والولد

ان السماويا

في بيان خطبة خطبها عند المسير إلى الشام

ج ١٠١

إن السماويات تنفعل عن الأرضيات وذلك أنا ندعو فيستجاب لنا وذلك باطل لأن المعلول لا يفعل في علته البتة وإذا لم يستجب الدعاء لداع وإن
كان يرى أن الغاية التي يدعو لأجلها نافعة فالسبب في عدم الإجابة أن الغاية التي نظنها نافعة ربما لا تكون نافعة بحسب مراده بل بحسب نظام الكل فلذلك
تتأخر إجابة دعائه أو لا يستجاب له وبالجملة يكون عدم الإجابة لفوات شرط من شروط ذلك المطلوب بحال الدعاء واعلم أن النفس الزكية
عند الدعاء قد يفيض عليها من الأول قوة تصير بها مؤثرة في العناصر فتطاوعها منصرفة على إرادتها فيكون ذلك إجابة للدعاء
فإن العناصر موضوعة لفعل النفس فيها واعتبار ذلك في أبداننا فإنا ربما تخيلنا شيئاً فتتغير أبداننا بحسب ما يقتضيه أحوال نفوسنا
وتخيلاتها وقد يمكن أن تؤثر النفس في غير بدنها كما تؤثر في بدنها وقد تؤثر في نفس غيرها وقد أشرنا إلى ذلك في المقدمات
وقد يستجيب الله لتلك النفس إذا دعت فيما تدعو فيه إذا كانت الغاية التي تطلبها بالدعاء نافعة بحسب نظام الكل وبالله التوفيق ومن

في ذكر الكوفة

ومن كلام له عليه السلام كأني بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكاظي تعركين بالنوازل وتركبين بالزلازل وإني
لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوءاً إلا ابتلاه الله بشاغل ورماه بقاتل **أقول** عكاظ بالضم اسم موضع بناحية مكة كانت
العرب تجتمع به في كل سنة ويقيمون به سوقاً مدة شهر ويتبايعون ويتناشدون الأشعار ويتفاخرون وفي ذلك يقول أبو
ذؤيب إذا بني القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الألوف فلما جاء الإسلام رفع ذلك والأديم العكاظي منسوب إليها لكثرة
ما كان يباع منه بها والأديم واحد وجمعه أدم وربما جمع على آدمة كرغيف وأرغفة والعرك الدلك والنوازل المصائب والخطوب
وههنا الشاهد حال المدينة التي هي الكوفة وبك هو خبر كان وتمدين وتعركين وتركبين في موضع النصب على الحال وتقدير
الخطاب كأني حاضر بك ومشاهد لحالك المستقبلة حال تجاذب أيدي الظالمين لأهلك بأنواع الظلم وهو المكنى عنه بمدها
وشبه ذلك بمد الأديم ووجه الشبه شدة ما يقع بهم من الظلم والبلاء كما أن الأديم مستحكم الدباغ يكون شديد المد ولفظ العرك
ملاحظة لشبهها بجلد المطايا وكذلك لفظ الزلازل ملاحظة لشبهها فيما يقع لهم من الظلم الموجب لاضطراب الحال بالأرض ذات
الزلازل ثم أشار إلى مشاهدة ثانية لما يقع لمن أرادهم بسوء وأوقع بهم ما أوقع من البلاء فأشار إلى كونهم جبابرة ثم إلى ابتلاء الله
بعضهم بشاغل في نفسه يحيره عن سوء أو بهم من حادث خارجي ورمي بعضهم بقاتل فأما المصائب التي ابتلي بها أهل الكوفة
والنوازل التي عركوا بها فكثيرة مشهورة في كتب التواريخ وأما الجبابرة الذين أرادوا بها سوءاً وطغوا فيها فأكثروا فيها الفساد
فصب عليهم ربك سوط عذاب وأخذهم بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فجماعة ممن ابتلي بشاغل فيها زياد روي أنه كان قد
جمع الناس في المسجد ليأمرهم بسب علي عليه السلام والبراءة منه ويبتليهم بذلك فيقتل من يعصيه فبينا هم مجتمعين إذ خرج حاجبه فأمرهم
بالانصراف وقال إن الأمير مشغول عنكم وكان في تلك الساعة قد رمي بالفالج ومنهم ابنه عبيد الله وقد أصابه الجذام ومنهم الحجاج

اصاب

وقد تولدت في بطنه الحيات واحترق دبره حتى هلك ومنهم عمر بن هبيرة وابنه يوسف فقد أصابهما البرص ومنهم خالد القسري
وقد ضرب وحبس حتى مات جوعاً وأما الذين رماهم الله بقاتل فعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير والمختار بن أبي عبيد الثقفي
ويزيد بن المهلب وأحوالهم مشهورة من رامها طالع التاريخ **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله كلما وقب ليل وغسق
والحمد لله كلما لاح نجم وخفق والحمد لله غير مفقود الإنعام ولا مكافأ الإفضال أما بعد فقد بعثت مقدمتي وأمرتهم
بلزوم هذا الملطاط حتى يأتيهم أمري وقد رأيت أن أقطع هذه النطفة إلى شرذمة منكم موطنين أكناف دجلة فأنهضهم
معكم إلى عدوكم وأجعلهم من أمداد القوة لكم قال السيد رضي الله عنه يعني بالملطاط ههنا السمت الذي أمرهم بلزومه وهو
شاطئ الفرات ويقال ذلك لشاطئ البحر وأصله ما استوى من الأرض ويعني بالنطفة ماء الفرات وهو من غريب العبارات
وعجيبها **أقول** روي أن هذه الخطبة خطب بها وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة متوجهاً إلى صفين لخمس بقين من شوال
سنة سبع وثلاثين ووقب الليل دخل وغسق أظلم وخفق النجم غاب ومقدمة الجيش أوله والشرذمة النفر اليسير والأكناف النواحي
ووطن البقعة واستوطنها اتخذها وطناً والأمداد جمع مدد وهو ما يمد به الجيش من الجند واعلم أنه قيد حمد الله باعتبارات تكررت فيها
ودوام حالين للمقصد وإن كان دوام الحمد لله لازماً في التقييد بالقيود المذكورة فوائد **الأول** قوله كلما وقب ليل وغسق تنبيه
على كمال قدرة الله تعالى في تعاقب الليل والنهار واستحقاقه دوام الحمد بما يلزم ذلك من ضروب الامتنان **الثاني** قوله
كلما لاح نجم وخفق وفيه تنبيه على ما يلزم طلوع الكواكب وغروبها من الحكمة وكمال النعمة كما سبقت الإشارة إليه **الثالث** الحمد
له حال كونه غير مفقود الإنعام وقد تكررت الإشارة إلى فائدة هذا القيد **الرابع** كونه غير تنبيه على كمال قدرة الله تعالى
في تعاقب الليل والنهار واستحقاقه دوام الحمد بما يلزم ذلك من ضروب الامتنان قوله تعالى كلما لاح نجم وخفق وفيه
تنبيه على ما يلزم طلوع الكواكب وغروبها من الحكمة وكمال النعمة كما سبقت الإشارة إليه الحمد له حال كونه غير مفقود
الإنعام وقد تكررت الإشارة إلى فائدة هذا القيد وقد تكررت هذه الإشارة إلى فائدة هذا القيد كونه غير مكافأ الإفضال

في بيان جملة من صفات الربوبية

الأفضال وفائدته التنبيه على أن أفضاله لا يمكن أن يقابل بجزاء إذ كانت القدرة على الحمد والثناء نعمة ثانية وقد سبق بيان ذلك أيضا
فاما قوله لما تبعه من احد في الاصل انه ع لما اراد التوجه الى صفين بعث مقدمته زياد بن النضر وشريح بن هانى في اثنى عشر الف فارس
مقدمة له وامرهم ان يلزموا شاطئ الفرات فاخذوا شاطئها من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغوا عانات فذلك معنى امره لهم
بلزوم الملطاط وهو سمت شاطئ الفرات واما هو فلما خرج من الكوفة انتهى الى المدائن فحذرهم ووعظهم ثم سار عنهم وخلف عليهم
عدي بن حاتم فاشخص منهم ثمانمائة رجل فسار بهم وخلف معهم ابنه زيدا فلحقه في اربعمائة رجل منهم فذلك قوله وقد رأيت
ان اقطع هذه النطفة اي الفرات الى شرذمة منكم موطنين اكناف دجلة وهم اهل المدائن فاما المقدمة فانه لما بلغهم انه سار على
طريق الجزيرة وان معوية خرج في جموع عظيمة لاستقباله كرهوا ان يلقوهم وبينهم وبين علي ع الفرات مع قلة عددهم فرجعوا حتى عبروا
الفرات من هيت ولحقوا به فصوب رأيهم في الرجوع اليه وباقي الكلام ظاهر **ومن خطبة له عم** الحمد لله الذي بطن خفيات
الأمور ودلت عليه أعلام الظهور وامتنع على عين البصير فلا عين من لم يره تنكره ولا قلب من اثبته يبصره سبق في العلو فلا شيء
اعلى منه وقرب في الدنو فلا شيء اقرب منه فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ولا قربه ساواهم به في المكان لم يطلع العقول
على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته فهو الذي تشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب ذي الجحود تعالى الله
عما يقول المشبهون به والجاحدون له علوا كبيرا **اقول** يقال بطنت الوادي دخلته وبطنت الامر علمت باطنه وفي هذا الفصل
مباحث جليلة من العلم الالهي وجملة من صفات الربوبية **اولها** كونه تعالى بطن خفيات الامور ويفهم منه معنيان احدهما
كونه داخلا في جملة الامور الخفية ولما كانت بواطن الامور الخفية اخفى من ظواهرها كان المفهوم من كونه باطنها انه اخفى منها عند
العقول الثاني ان يكون المعنى انه نفذ علمه في بواطن خفيات الامور اما المعنى الاول فبرهانه انك علمت ان الادراك اما حسي او عقلي
ولما كان الباري تعالى مقدسا عن الجسمية منزها عن الوضع والجهة استحال ان يدركه شيء من الحواس الظاهرة والباطنة ولما كانت
ذاته بريئة عن انحاء التركيب استحال ان يكون للعقل اطلاع عليها بالكنه فخفاؤه اذن على جميع الادراكات ظاهر وكونه اخفى الامور الخفية
واضح واما الثاني فقد سبق منا بيان انه عالم بالخفيات والسرائر **وثانيها** كونه تعالى قد دلت عليه اعلام الظهور وكنى باعلام الظهور
عن اياته واثاره في العالم الدالة على وجوده الظاهر في كل صورة منها كما قال وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد وهي كتابته المستعار
ووجه المشابهة ما بينهما من الاشتراك في الهداية والى هذه الاعلام الاشارة بقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى
يتبين لهم انه الحق واعلم ان هذا الطريق من الاستدلال هو طريق المليين وسائر فرق المتكلمين فانهم يستدلون اولا على حدوث
الاجسام والاعراض ثم يستدلون بحدوثها وتغيرها على وجود الخالق ثم بالنظر في احوال المخلوقات على صفاته واحدة واحدة مثلا
باحكامها واتقانها على كونه فاعلها عالما حكيما وبتخصيص بعضها بامر ليس للاخر على كونه مريدا ونحو ذلك وكذلك الحكماء الطبيعيون
يستدلون ايضا بوجود الحركة على محرك وبامتناع اتصال المحركات لا الى اول على وجود محرك اول غير متحرك ثم يستدلون من ذلك
على وجود مبدء اول واما الالهيون فلهم في الاستدلال طريق اخر وهي انهم ينظرون اولا في مطلق الوجود اهو واجب او ممكن و
يستدلون من ذلك على اثبات واجب ثم بالنظر في لوازم الوجوب من الوحدة الحقيقية على نفي الكثرة بوجه ما المستلزمة لعدم
الجسمية والعرضية والجهة وغيرها ثم يستدلون بصفاته على كيفية صدور افعاله عنه واحدا بعد اخر وظاهر ان هذه الطريق
اجل واشرف من الطريق الاولى وذلك لان الاستدلال بالعلة على المعلول اولى البراهين باعطاء اليقين لكون العلم بالعلة المعينة
مستلزما للعلم بالمعلول المعين من غير عكس ولما كان صدر الاية المذكورة اشارة الى الطريقة الاولى فتمامها اشارة الى هذه الطريقة و
هو قوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد قال بعض العلماء وانه طريقة الصديقين الذين يستشهدون به لا عليه اي يستدلون
بوجوده على وجود كل شيء انه هو منه ولا يستدلون عليه بوجود شيء بل هو اظهر وجودا من كل شيء فان خفي مع ظهوره فلشدة ظهوره
وظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره اذ كل ذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته فلها عدة السنة تشهد بوجوده وبالحاجة الى
تدبيره وقدرته لا يخالف شيء من الموجودات شيئا في تلك الشهادات ولا يختص بعدم الحاجات وقد ضرب العلماء الشمس
مثلا لنوره في شدة ظهوره فقالوا ان اظهر الادراكات التي تبنى عليها الوهم ادراكات الحواس واظهرها ادراك البصر و
اظهر مدرك للبصر نور الشمس المشرق على الاجسام وقد اشكل ذلك على جماعة حتى قالوا الاشياء الملونة ليس فيها الا الوانها
فقط من سواد ونحوه فاما ان فيها مع ذلك ضوءا يقارن اللون فلا فاذا اريد تنبيه هؤلاء على سهوهم فطريق التنبيه بالتفرقة التي تجدها
بين غيبة الشمس بالليل واحتجابها عن الملونات وبين حضورها بالنهار واشراقها عليها مع بقاء الالوان في الحالين فان التفرقة بين
المستضيء بها وبين المظلم المحجوب عنها جلية ظاهرة فيتعرف وجود النور اذن بعدمه ولو فرضت الشمس دائمة الاشراق على الجسم
الملون لا تغيب عنه لتعذر على هؤلاء معرفة كون النور شيئا موجودا زائدا على الالوان مع انه اظهر الاشياء وبه ظهورها ولو تصور لها

ببصره

في المكان

احدها

على الجسم

على الجسم الملون لا تغيب عنه لشدة تحقق هو لا معرفة كون النور شيئا موجودا زائدا على الالوان مع انه اظهر الاشياء وبه ظهورها ولو تصور
فقد نعم وتقدس عدمه او غيبته لانهدمت السموات والارض وكل ما انقطع نوره عنه ولادركت التفرقة بين الحالين وعلم وجوده
قطعا ولكن لما كانت الاشياء كلها في الشهادة متفقة والاحوال كلها على نهج واحد مطردة مستمرة كان ذلك سببا لخفائه فسبحان
من احتجب عن الخلق بنوره وخفي عليهم بشدة ظهوره **ثالثها** اشارة الى سلوب توجب ملاحظة تركيبها تعظيمه تعالى **احدها** كونه ممتنعا
على عين البصير اي لا يمتنع ان يدرك بحاسة البصر وصدق هذا السلب ظاهر بدليل هكذا البارئ تعالى هو غير جسم وغير ذي وضع وكل
ما كان كذلك فيمتنع رؤيته بحاسة البصر فينتج انه تعالى ممتنع الرؤية بحاسة البصر والمقدمة الاولى استدلالية والثانية ضرورية وقد استدل
عليها والمسئلة مستقصاة في الكلام والى ذلك اشار القرآن الكريم لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار **وثانيها** قوله فلا عين
من لم يره تنكره اي انه سبحانه مع كون البصير لا يدركه بحاسة بصره لا ينكره من جهة انه لا يبصره اذ كانت فطرته شاهدة بظهور وجوده
في جميع اثاره ومع ذلك لم يبق له سبيل الى انكاره من جهة عدم ابصاره اذ كان حظ العين ان يدرك بها ما صح ادراكه فاما ان ينفى بها
ما لا يدرك من جهتها فلا **وثالثها** قوله ولا قلب من اثبته يبصره اي من اثبته مع كونه مثبتا له بقلبه لا يبصره وانما اكد تعظيمه
بهذين السلبين الاخيرين لانهما يشتملان عند الوهم في مبدء سماعهما على منافاة وكذب الى ان يعتبره العقل على التصديق
بهما فكان الوهم يقول في جواب قوله فلا عين من لم يره تنكره كيف لا تنكر العين شيئا لا تراه وفي جواب السلب الثاني كيف يثبت القلب ما لم
يبصره فلما كان في صدق هذين السلبين ادعاج لاوهام السامعين مفزع لهم الى ملاحظة جلال الله سبحانه وتعظيمه وعظمته عما لا يجوز
عليه كان ذكرهما من احسن الذكر ويحتمل ان يريد بقوله ولا قلب من اثبته يبصره اي انه وان اثبته من جهة وجوده فيستحيل ان يحيط
به علما **ورابعها** كونه تعالى قد سبق في العلو فلا شيء اعلى منه وتفسيره ان العلو يقال بالاشتراك على معان ثلثة **الاول** العلو
الحسي المكاني كارتفاع بعض الاجسام على بعض **الثاني** العلو التخيلي كما يقال للملك الانساني انه اعلى الناس اي اعلاهم في الرتبة
المتخيلة كمالا **الثالث** العلو العقلي كما يقال في بعض الكمالات العقلية التي بعضها اعلى من بعض وكما يقال السبب اعلى من المسبب
اذا عرفت ذلك فنقول يستحيل ان يكون علوه تعالى بالمعنى الاول لاستحالة كونه في المكان ويستحيل ان يكون بالمعنى الثاني لتنزهه
سبحانه عن الكمالات الخيالية التي يصدق بها العلو الخيالي اذ هي كمالات اضافية تتغير وتتبدل بحسب الاشخاص والاوقات وقد يكون
كمالات عند بعض الناس ونقصانات عند اخرين كالدنيا بالنسبة الى العالم الزاهد وتنظر في قابلية الزيادة والنقصان ولا شيء
من كمال الاول الواجب سبحانه كذلك لتنزهه عن النقصان والتغير بوجه ما فبقي ان يكون علوه علوا عقليا مطلقا بمعنى انه لا رتبة فوق رتبته
بل جميع المراتب العقلية منحطة عنه ومبانية لما له تعالى على مراتب الكمال العقلي هو مرتبة العلية ولما كانت ذاته المقدسة هي مبدء كل موجود
حسي وعقلي وعلته التامة المطلقة لا يتصور النقصان فيها بوجه ما لا جرم كانت مرتبته اعلى المراتب العقلية مطلقا وله الفوق المطلق
في الوجود العاري عن الاضافة الى شيء وعن امكان ان يكون فوقه ما هو اعلى منه وذلك معنى قوله سبق في العلو فلا شيء اعلى منه
مستغرقة في علوه تعالى ومعنى العلو المطلق وفوائده لغيره ان يلحقه فيه **وخامسها** قربه في الدنو فلا شيء ادنى منه وقد اورد
القرب هيهنا مقابلا للبعد اللازم عن السبق في العلو فانه مستلزم للبعد عن الغير فيه واورد الدنو مقابلا للعلو وكما علمت ان العلو
يقال على المعاني الثلثة المذكورة بحسب الاشتراك فكذلك الدنو يقال على معان ثلثة مقابلة لها فيقال مكان فلان ادنى من مكان
فلان اذا كان اسفل منه وان كان يقال بمعنى القرب ايضا ويقال رتبة الملك الفلاني ادنى من رتبة السلطان الفلاني اذا كان
في مرتبته اقل منه ويقال رتبة المعلول ادنى من رتبة علته ويقال على معنى رابع فيقال فلان ادنى الى فلان واقرب اليه اذا كان خصيصا
به مطلعا على احواله اكثر من غيره والبارئ تعالى منزه عن ان يوصف بدنوه باحد المفهومات الثلثة الاولى بل المراد هو المفهوم الرابع فقربه في
دنوه اي بحسب علمه الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وبهذا الاعتبار هو اقرب كل
قريب وادنى كل دان كما قال تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وهو ادنى الى العبد من نفسه اذ نفس كل انسان لا تعرف نفسها
وهو سبحانه العالم بها الموجد لها فهو اذن القريب في دنوه الذي لا شيء اقرب منه وانما اورده بلفظ الدنو لتحصل المقابلة فتفزع
النفوس السليمة عند انكار الوهم لاجتماع القرب والبعد والعلو والدنو في شيء واحد الى توهم المقاصد بها وتطلع على عظمة الحق سبحانه
منها وقوله فلا استعلاؤه باعده من شيء من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان به تأكيد لرد الاحكام الوهمية بالاحكام العقلية فان الوهم
يحكم بان ما استعلى على الاشياء كان بعده عنها بقدر علوه عليها وما قرب منها فقد ساواها في امكنتها وذلك لكونه مقصود الحكم على المحسوسات
ونحن لما بينا ان علوه على خلقه وقربه منهم ليس علوا وقربا مكانيين بل بمعان اخرى لا جرم لم يكن استعلاؤه بذلك البعد على مخلوق فانه
مباعد له عن شيء منها ولم يكن منافيا للقرب بالمعنى الذي ذكرناه بل كان الاستعلاء والقرب مجتمعين له ولم يكن قربه منها ايضا موجبا
لمساواته لها في المكان عنادا للوهم وبتلك الاحكام المنافية في صفات الجلال ونعوت الكمال **وسادسها** كونه لم تطلع العقول على

في بيان خطبته عليه السلام عند غلبة اصحاب معوية على شريعة الفرات بصفين

تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته وبقيتهم من صفته معنيان احدهما شرح حقيقة ذاته والثاني شرح ما لها من صفات الكمال المطلق وظاهر ان العقول لم تطلع على حصر صفته وتحديدها بالمعنى الاول اذ لا حقيقة له ولا بالمعنى الثاني ايضا اذ ليس لما يعتبره العقول من كماله سبحانه نهاية تقف عندها فنكون قد حددته واما انه سبحانه مع ذلك لم يحجبها عن واجب معرفته فلانه تعالى وهب لكل نفس قسطا من معرفته هو الواجب لها بحسب استعدادها لقبول ما تقبله منه حتى نفوس الجاحدين له فانها ايضا معترفة بوجوده لشهادة اعلام الوجود وآيات الصنع له على نفس كل جاحد بصانع ووجدها عنه بحيث يحكم صريح عقلها وبديهتها بالحاجة لما يشاهد من تلك الآيات الى صانع حكيم فهو الذي تشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب كل من يجحده بان يجحده له انما هو اي اتبع وبه وهمه مع اقرار قلبه بالتصديق به وشهادة آيات الصنع وشواهد الآثار على صحة ذلك الاقرار واعلم ان الجحود على نوعين احدهما جحود تشبيه اذ المشبهون لله بخلقه وان اختلفوا في كيفية التشبيه باسرهم جاحدون له في الحقيقة وذلك ان المعنى الذي يتصورونه ويثبتونه الها هو ليس هو نفس الاله مع انهم ينفون ما سوى ذلك فكانوا نافين للاله الحق في المعنى الذي يتصورونه والثاني جحود من لم يثبت صانعا وكلا الفريقين جاحد له من وجه اما المشبهون فمثبتون له صريحا جاحدون له لزوما واما الآخرون فبالعكس اذ كانوا جاحدين له صريحا من الجهة التي تثبته العقلاء بها ومقرون به التزاما واضطرارا لذلك نزهه عن احوال الفريقين فقال تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علوا كبيرا وحكي ان زنديقا دخل على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فسأله عن دليل اثبات الصانع فاعرض عنه ثم التفت اليه وسأله من اين اقبلت وما قصتك فقال الزنديق اني كنت مسافرا في البحر فعصفت علينا الريح ذات يوم وتلعبت بنا الامواج من كل جانب فانكسرت سفينتنا فتعلقت بخشبة منها ولم تزل الامواج تقلبها حتى قذفت بها الى الساحل وسلمت عليها فقال له عليه السلام ارأيت الذي كان قلبك اذا انكسرت السفينة وتلاطمت عليكم امواج البحر فزعا اليه مخلصا في التضرع له طالبا للنجاة منه فهو الهك فاعترف الزنديق بذلك وحسن اعتقاده وبالجملة فاتفاق العقول على الشهادة بوجود الصانع سبحانه امر ظاهر وان خالطها غواشي الاوهام واليه الاشارة بقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالا على غير دين الله فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ولو ان الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فهنالك يستولي الشيطان على اوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى **اقول** المرتاد الطالب الضغث القبضة من الشيء واعلم ان مبدأ وقوع الفتن المؤدية الى خراب العالم وفسادها انما هو اتباع الهوى والآراء الباطلة والاحكام المبتدعة الخارجة عن اوامر الله وذلك ان المقصد من بعثة الرسل ووضع الشريعة انما هو نظام احوال الخلق في امر معاشهم ومعادهم فكان كل رأي ابتدع او هوى اتبع خارجا عن كتاب الله وسنة رسوله سببا لوقوع الفتنة وتبدد نظام الموجود في هذا العالم وذلك كاهواء البغاة وآراء الخوارج ونحوها وقوله فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق الى آخره اشارة الى سبب تلك الآراء الفاسدة ومبدأ تلك الاسباب على امتزاج المقدمات الحقة بالباطلة في الحجج التي يستعملها المبطلون في استعلام المجهول فبين ان السبب هو ذلك الامتزاج بشرطيتين متصلتين احديهما قوله فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ووجه الملازمة في هذه المتصلة ظاهر فان مقدمات الشبهة اذا كانت كلها باطلة ادرك طالب الحق وجه فسادها بادنى سعي ولم يخف عليه بطلانها واما استثناء نقيض تاليها فلانه لما خفي وجه البطلان فيها على طالب الحق لم يكن الباطل فيها خالصا من مزاج الحق فكان ذلك هو سبب الغلط واتباع الباطل لان النتيجة تتبع اخس المقدمتين والثانية قوله ولو ان الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين ووجه الملازمة ايضا ظاهر فان مقدمات الحجة التي استعملها المبطلون لو كانت كلها حقة مرتبة ترتيبا حقا لكانت النتيجة حقا فتنقطع السنتهم عن العناد فيه ومخالفته وقد حذفت كبرى هذين القياسين لانهما قياسا ضمير كما سنبين ثم اتى بالنتيجة او ما في معناها وهو قوله ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث اي من الحق والباطل فيمزجان ولفظ الضغث مستعار ومقصوده بذلك التصريح بلزوم الآراء الباطلة والاهواء المبتدعة لمزاج الحق بالباطل ولذلك قال فهنالك يستولي الشيطان على اوليائه اي تزين لهم اتباع الاهواء والاحكام الخارجة عن كتاب الله بسبب اغوائهم عن تمييز الحق من الباطل فيما سلكوه من الشبهة وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى اي من اخذت عناية الله بايديهم في ظلمات الشبهات وقادتهم فيها باقتباس نور الهداية عليهم الى تمييز الحق من الباطل واولئك عن النار مبعدون

ومن كلام له عليه السلام لما غلب اصحاب معوية على شريعة الفرات بصفين ومنعوهم من الماء قد استطعموكم القتال فاقروا على مذلة وتأخير محلة او رووا السيوف من الدماء ترووا من الماء فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين

عنه م

تم م

في التنفير عن الدنيا والأمر بالرحيل عنها

الا وان معوية قاد لمة من الغواة وعمس عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم اغراض المنية **أقول** اللمة بالتخفيف الجماعة القليلة وعمس بالتخفيف
والتشديد بمعنى ابهم ومنه عمس الليل اظلم والمحلة المنزلة وفي الفصل لطائف **الأولى** قوله قد استطعموكم القتال استعار لفظ الاستطعام
لتحرشهم بالقتال بمنعهم للماء ووجه الاستعارة استشهادهم للقتال وطلبهم له بمنع الماء الذي هو في الحقيقة اقوى جذبا للقتال من طلب
المأكول بالاقوال ولانهم لما حازوا الماء شبهوا في ذلك من طلب الطعام له ولما استلزم ذلك المنع طلبهم للقتال تعين ان يشبه ما طلبوه
بالطعام **الثانية** قوله فاقروا على مذلة وتاخير محلة الى قوله الماء امرهم باحد اللازمين عن منعهم الماء واستطعامهم القتال بهما اما
ترك القتال والقعود وانما اورد الكلام بصورة التخيير بين هذين اللازمين وان لم يكن مراده الا القتال لعلمه بانهم لا يختارون ترك
القتال مع ما يلزمه من الاقرار بالعجز والمذلة والاستسلام للعدو وتاخير المنزلة عن رتبة اهل الشرف والشجاعة وانما اورد الوصفين
اللازمين لترك القتال وهما الاقرار على المذلة وعلى تاخير المحلة ليستقبحهما عنده ويظهره لهم في صورة كريهة وانما جعل الري من الماء الذي
هو مشتهى اصحابه في ذلك الوقت لازما لتروية السيوف من الدماء التي يلزمها القتال ليريهم القتال في صورة محبوبة تميل
طباعهم اليها ونسبة التروي الى السيوف نسبة مجازية **الثالثة** قوله فالموت في حيوتكم مقهورين والحيوة في موتكم قاهرين من لطائف
الكلام ومحاسنه وهو جذب الى القتال بابلغ ما يمكن من البلاغة فجذبهم اليه بتصويره لهم ان الغاية التي عساهم يفرون من القتال
خوفا منها وهي الموت موجودة في الغاية التي عساهم يطلبونها من ترك القتال وهي الحيوة البدنية حال كونهم مقهورين وذلك لما
الموت لهم في الشدائد والاهوال التي تلحقهم من عدوهم لو قهرهم وهي عند العاقل اشد بكثير من موت البدن واقوى مقاساة فان
المذلة وسقوط المنزلة والهضم والاستنقاص عند ذي اللب موت ناقع منغص ويحتمل ان يكون مجازا في ترك عبادة الله بالجهاد فانه
موت بالنفس وعدم لحياتها برضوان الله وكذلك جذبهم ان الغاية التي تفرون اليها بترك القتال وهي الحيوة موجودة في الغاية
التي تفرون منها وهي الموت البدني حال كونهم قاهرين اما في الدنيا ففي وجهين احدهما الذكر الباقي الجميل الذي لا يموت ولا يفنى
الثاني ان طيب حيوتهم الدنيا انما يكون بنظام احوالهم بوجود الامام العادل وبقاء الشريعة كما هي وذلك انما يكون بالقاء انفسهم في
غمرات الحرب محافظة على الدين وموت بعضهم فيها ولفظ الموت مهمل يصدق بنسبته الى الكل وان وجد في البعض واما في الاخرة
فالبقاء الابدي بالمحافظة على وظائف الله والحيوة التامة في جنات عدن كما قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل
احياء عند ربهم يرزقون وفي القرينتين الاوليين السجع المتوازي وفي اللتين بعدهما السجع المطرف وفي اللتين بعدهما المقابلة **الرابعة**
قوله الا وان معوية ذكر للعدو برذيلتين ولاصحابه برذيلتين اما الاوليان فكونه قائد غواة وكونه قد لبس عليهم الحق بالباطل واراهم الباطل
في صورة الحق واما الاخريان فلكونهم غواة عن الحق وكونهم قد انقادوا للباطل عن شبهة حتى صار جهلهم مركبا والغرض من ذلك التنفير
عنهم وقوله حتى جعلوا نحورهم اغراض المنية غاية لاستتباع معوية من تلبيسه الحق عليهم وكنى بذلك عن تصديهم للموت ولفظ الغرض مستعار
لنحورهم ووجه المشابهة جعلهم لنحورهم بصدد ان تصيبها سهام المنية من الطعن والضرب والذبح ووجوه القتل فاشبهت ما ينصبه
الرامي هدفا وفي استعارة بالكناية كانه حاول ان يستعير للمنية لفظ الرامي وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ٢

الا وان الدنيا قد تصرمت وآذنت بانقضاء وتنكر معروفها وادبرت حذاء فهي تحفز بالفناء سكانها وتحدو بالموت
جيرانها وقد امر منها ما كان حلوا وكدر منها ما كان صفوا فلم يبق منها الا سملة كسملة الاداوة او جرعة كجرعة المقلة لو تمززها
الصديان لم ينقع فازمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدور على اهلها الزوال ولا يغلبنكم فيها الامل ولا يطولن
عليكم فيها الامد فوالله لو حننتم حنين الوله العجال ودعوتم بهديل الحمام وجأرتم جؤار متبتلي الرهبان وخرجتم الى
الله من الاموال والاولاد التماس القربة اليه في ارتفاع درجة عنده او غفران سيئة احصتها كتبه وحفظتها رسله لكان قليلا
فيما ارجو لكم من ثوابه واخاف عليكم من عقابه وتالله لو انماثت قلوبكم انمياثا وسالت عيونكم من رغبة اليه او رهبة منه دما ثم عمرتم
في الدنيا ما الدنيا باقية ما جزت اعمالكم عنكم ولو لم تبقوا شيئا من جهدكم انعمه عليكم العظام وهداه اياكم للايمان **أقول**
آذنت اعلمت وتنكر معروفها جهلها وحذاء سريعة خفيفة ويروى بالجيم اي مقطوعة الخير والعلاقة والحفز السوق الحثيث والحفز ايضا الطعن
والسملة بفتح الميم البقية من الماء في الاناء والمقلة بفتح الميم وسكون القاف حصاة يقسم بها الماء عند قلته يعرف بها مقدار ما يسقى كل
شخص والتمزز مصص الشراب قليلا قليلا والصديان العطشان ونقع ينقع اي سكن عطشه وازمعت الامر وازمعت عليه اي ثبت
عزمي على فعله والمقدور المقدر والذي لا بد من كونه والوله العجال جمع واله وعجول وهما من الابل التي فقدت اولادها و
هديل الحمامة نوحها والجؤار الصوت المرتفع والتبتل الانقطاع الى الله باخلاص النية وانماث الشئ تحلل وذاب واعلم ان مدار هذا
الفصل على امور ثلثة **احدها** التنفير عن الدنيا والتحذير منها والنهي عن تأميلها والامر بالرحيل عنها **الثاني** التنبيه على عظيم
ثواب الله وما ينبغي ان يرجى منه وليلتفت اليه ويقصد بالرحيل بالنسبة الى ما الناس فيه مما يتوهم خيرا في الدنيا ثم على عظيم عقابه وما

قلقلت تحركت عن مكانها … [illegible]

ورهبتم

والامد م

ينبغي ان يخاف منه **الثالث** التنبيه على عظم نعمة الله على الخلق وانه لا يمكن جزاؤها بابلغ المساعي واكثر الاجتهاد اما الاول فاشار بقوله الا وان الدنيا
قد تصرمت الى قوله فيها الامل قد علمت ان تصرمها هو تقضي احوالها الحاضرة شيئا فشيئا بالنسبة الى من وجد فيها في كل حين وان اتيانها
بالانقضاء هو اعلامها بما ليس حالها لانها المعتبرة انها لا تبقى لاحد فاما تنكر معروفها فمعناه تغيره وتبدله ومثاله ان الانسان اذا اصاب
لذة من لذات الدنيا كصحة او امن او مال وجاه ونحوه انس اليه وتوهم بقاءه له وكان ذلك معروفها الذي اسدته اليه وعرفه او الفه
منها ثم انه عن قليل يزول ويتبدل بضده فيصير بعد ان كان معروفا مجهولا وتكون الدنيا كالصديق تنكر في صداقته ومنحها بعد الفه
وقوله وادبرت حذاء اي لم يبق فيها ما لا تعلق بشيء منها مسرعة واستعار لفظ الادبار لانتقال خيراتها عمن انتقلت عنه بموت او غيره
ذلك من وجوه زوالها ملاحظة لشبهها بملك اعرض عن بعض رعيته بوجهه وماله وقوله فهي تحفز بالفناء سكانها وتحدو بالموت جيرانها
استعار لها وصفي السائق والحادي استعارة بالكناية ووجه المشابهة كونهم قاطعين لمدة العمر بالفناء والموت فهي مصاحبة لهم بذلك
كما يصحب السائق والحادي للابل بالسوق والحداء وانما رشح بالحفز الطعن فيكون قد تجوز بنسبته الى البلاء ملاحظة لشبه مصاحب
الدنيا بالرماح وكذا استعار لفظ الفناء والموت لآلة السوق والحداء ونزلهما منزلة الحقيقة ووجه المشابهة كون الموت هو السبب
في انتقال الانسان الى دار الآخرة كما ان الصوت والسوط مثلا اللذين هما آلتا الحداء والسوق هما اللذان بهما يحصل انتقال الابل
من موضع الى موضع وقوله وقد امر منها ما كان حلوا وكدر منها ما كان صفوا كقوله وتنكر معروفها اي ان الامور التي تنفع لذيذة
فيها ويجدها الانسان في بعض اوقاته صافية خلوة خالصة عن كدورات الامراض ومرارة التنغيص بالعوارض لكن يجدها في معرض
التغير والتبدل بالمرارة والكدر فما من شخص يخاطبه بما ذكرناه ويصدق عليه انه قد عرضت له من تلك اللذات ما استعقب صفوها
كدرا وحلاوتها مرارة اما من شباب ستبدل بكبر او غنى بفقر او عز بذل او صحة بسقم وقوله فلم يبق منها الا سملة الى قوله لم ينقع تقليل
وتحقير لما بقي منها لكل شخص شخص من الناس فان بقاء ما له على حسب بقائه فيها وبقاء كل شخص فيها يسير ووقته قصير واستعار لفظ
السملة لبقيتها وشبهها ببقية الماء في الاداوة وبجرعة المقلة ووجه الشبه ما اشار بقوله لو تمززها الصديان لم ينقع اي كما ان العطشان
الواجد لبقية الاداوة والجرعة لو مصصها لم ينقع عطشه كذلك طالب الدنيا المتعطش اليها الواجد لبقية عمره وللمسير من الاستمتاع فيه
بلذات الدنيا لا يشفي ذلك غليله ولا يسكن عطشه منها فالاولى اذن تعويد النفس الفطام عن شهواتها وقوله فازمعوا عباد الله
الرحيل عن هذه الدار لهم بعد تحقيرها والتنفير عنها بالازماع وتصميم العزم على الرحيل عنها بالالتفات الى الله والاقبال على قطع عقبات
الطريق اليه وهو الرحيل عن الدنيا وقوله المقدور على اهلها الزوال تذكير بما لا بد من مفارقتها ليخف الرغبة فيها ثم اعقب ذلك بالنهي
عن منازعة الامل في لذاتها فانه منسي للآخرة كما سبقت الاشارة اليه وذكر لفظ المغالبة تذكيرا بالانفة واستثارة للحمية من نفوسهم
ثم بالنهي عن توهم طول مدة الحياة واستبعاد الغاية التي هي الموت فان ذلك يقسي القلب فيورث الغفلة عن ذكر الله كما قال تعالى فطال
عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون واما الثاني فهو التنبيه على عظيم ثواب الله وعقابه فاعلم انه لما حقر الدنيا وحذر
منها وامر بالارتحال عنها اشار بعد ذلك الى ما ينبغي ان يعظم ويلتفت اليه ويرجى ويخشى وهو ثواب الله وعقابه فاشار الى تعظيمها
بتحقير الاسباب والوسائل التي يعتمد عليها العباد وهي غايات جهدهم بالنسبة الى ما ينبغي ان يرجى من ثوابه ويخشى من عقابه وتلك الاسباب
من شدة الحنين والوله الى الله والدعاء المستمر والتضرع المشبه لتبتل الرهبان هذه طرق العبادة وانما خص التشبيه بمتبتلي الرهبان
لشهرتهم بشدة التضرع وكذلك الخروج الى الله من الاموال والاولاد وهو اشد الزهد ورتب ذلك في صورة متصلة مقدمها قوله ولو حننتم
الى قوله ورسله وتاليها قوله لكان ذلك قليلا الى قوله من عقابه والناس مغفول له وخلاصة هذا المقصود بوجيز الكلام انكم لو اتيتم
بجميع اسباب التقرب الى الله الممكنة لكم من عبادة وزهد ملتمسين بذلك التقرب اليه في ان يرفع لكم عنده درجة او يغفر لكم سيئة احصتها
كتبه والواحه المحفوظة لكان الذي ارجوه لكم من ثوابه للمتقرب اليه في ان يرفع منزلته من حضرة قدسه اكثر مما يتصور المتقرب انه يصل اليه بتقربه
ولكان الذي اخاف من عقابه على المتقرب في غفران سيئة عنده اكثر من العقاب الذي يتوهم انه يدفعه عن نفسه بتقربه فينبغي لطالب
الزيادة في المنزلة عند الله ان يخلص بكليته في التقرب اليه ليصل الى ما هو اعظم مما يتوهم انه يصل اليه من المنزلة عنده ويبتغي للهارب
من ذنبه الى الله ان يخلص من هول ما هو اعظم مما يتوهم انه يدفعه عن نفسه بوسيلته اليه فان الامر في معرفة ما اعد الله لعباده الصالحين
من الثواب العظيم وما اعده لاعدائه الظالمين من العقاب الاليم اجل مما يتصوره عقول البشر ما دامت في عالم الغربة وان كان عقولهم في
ذلك الادراك متفاوتة ولما كانت نفسه القدسية اشرف نفوس الخلق في ذلك الوقت لاجرم نسب الثواب المرجو لهم والعقاب المخوف
عليهم الى رجائه هو وخوفه فقال ما ارجو لكم من ثوابه واخاف عليكم من عقابه وذلك لقوة اطلاعه من ذلك على ما لم يطلعوا عليه
واما الثالث وهو التنبيه على عظيم نعمة الله على العباد فنبه عليه ان كل ما اتوا به من الاعمال التي بذلوا جهدهم فيها في طاعة الله
وما عسى يمكنهم ان ياتوا به منها فهو قاصر عن مجازاة نعمه العظام وقد سبق بيان ذلك ورتب المطلوب في صورة شرطية متصلة ايضا

معتقها مركب من امور احدها قوله لو انماثت قلوبكم اى ذابت خوفا منه ووجدا منه وكنى بذلك عن افضل حال الخائف الراجي لربه في عبادته الثاني قوله وسالت عيونكم دما وهو كالاول الثالث قوله ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية اى مدة بقاء الدنيا وتاليها قوله وما جزت اعمالكم الى آخره وانعمه منصوب مفعول جزت وعملا في محل النصب عطفا عليه وانما افرد الهدى بالذكر وان كان من الانعم لشرفه انه هو الغاية المطلوبة من العبد بكل نعمة افيضت عليه فانه لم يخلق ولم يفض عليه انواع النعم الالهية الا لاجل ان يهتدي قلبه ويستعد نفسه لقبول صورة الهدى من واهبها فيمشي بها في ظلمات الجهل الى ربه ويجوز بها عقبات صراطه المستقيم واكد هذه المقدمة بالقسم البار وكذلك المقدمة السابقة وفائدة هذا التنبيه بعث الخلق على الشكر وتوفير الدواعي على الاجتهاد في الاخلاص لله حياء من مقابلة عظيم انعامه بالتقصير في شكره والتشاغل بغيره وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** يوم النحر في صفة الاضحية ومن تمام الاضحية استشراف اذنها وسلامة عينها فاذا سلمت الاذن والعين سلمت الاضحية وتمت وان كانت عضباء القرن تجر رجلها الى المنسك **اقول** الاضحية منسوبة الى الاضحى اذ كان ذبحها في ضحى ذلك اليوم وقيل انه مشتق منها واستشراف اذنها طولها وكنى بذلك عن سلامتها من القطع او نقصان الخلقة والعضباء مكسورة القرن وقيل القرن الداخل وكنى بجر رجلها الى المنسك عن عرجها والمنسك موضع النسك وهو العبادة والتقرب بذبحها واعلم ان المعتبر في الاضحية سلامتها عما ينقص قيمتها وظاهرات العمى والعور والهزال وقطع الاذن نشوية خلقها ونقصانات في قيمتها دون العرج وكسر القرن وفي فضل الاضحية اخبار كثيرة روي عن رسول الله ص قال ما من عمل يوم النحر احب الى الله عز وجل من اراقة دم وانها لتأتي يوم القيمة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الارض فطيبوا بها نفسا وروى عنه ص ان لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وبكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا وقد كانت الصحابة يتبالغون في اثمان الهدي والاضاحي ويكرهون المماكسة فيها فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله وروى ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله ص ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وسر ذلك ان الجيد القليل خير من الكثير الدون فثلث مائة دينار وان كان قيمة ثلثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم بل المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد ام قل واعلم انه ربما لاح من اسرار وضع الاضحية سنة باقية هو ان يدوم بها التذكر لقصة ابرهيم وابتلائه بذبح ولده وقوة صبره على تلك المحنة والبلاء المبين ثم يلاحظ من ذلك حلاوة ثمرة الصبر على المشاق والمكاره فيتأسى الناس به في ذلك مع ما في نحر الاضحية من تطهير النفس عن رذيلة البخل واستعداد النفس بها للتقرب الى الله تعالى وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** فتداكوا علي تداك الابل الهيم يوم وردها قد ارسلها راعيها وخلعت مثانيها حتى ظننت انهم قاتلي او بعضهم قاتل بعض لدي وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم فما وجدتني يسعني الا قتالهم او الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله فكانت معالجة القتال اهون علي من معالجة العقاب وموتات الدنيا اهون علي من موتات الآخرة **اقول** تداكوا دك بعضهم بعضا اى دقه بالضرب والهيم الابل العطاش والمثاني جمع مثناة وهي الحبل يثنى ويعقل به البعير واعلم ان قوله فتداكوا الى قوله لدي اشارة الى صفة اصحابه بصفين لما طال منعه لهم من قتال اهل الشام وكانت عادته منعهم من قتالهم لامرين احدهما انه كانت عادته في الحرب ذلك ليكون خصمه البادي فتركه الحجة والثاني انه كان يستخلص وجه المصلحة في كيفية قتالهم لا على سبيل شك منه في وجوب قتال من خالفه فانه ع كان مأمورا بذلك بل على وجه استخلاص وجه الرأي الاصلح او انتظارا لانجذابهم الى الحق ورجوعهم الى طاعته لحقن دماء المسلمين كما سيصرح به في الفصل الذي يلي ثم اكد وصفهم بالازدحام عليه بامرين احدهما تشبيهه بزحام الابل العطاش حين يطلقها رعاتها من مثانيها يوم ورودها الماء ووجه الشبه ما لهما من شدة الزحام الثاني غاية ذلك الزحام وهو ظنه ع ان يقتلوه او يقتل بعضهم بعضا وقوله وقد قلبت هذا الامر الى آخره اشارة الى بعض علل منعه لهم من القتال وهو تقليبه لوجوه الآراء في قتالهم حتى يتبين له ما يلزم في ترك القتال من الخطر وهو الكفر على ان في الامرين خطرا اما القتال ففيه بذل نفسه للقتل وهلاك جملة من المسلمين واما تركه ففيه مخالفة امر الله ورسوله المستلزمة للعقاب الاليم لكن قد علمت ان الدنيا لا قيمة لسعادتها ولا نسبة لشقاوتها الى سعادة الآخرة وشقاوتها عند ذوي البصائر [illegible] مثله ع فلذلك قال فكانت معالجة القتال اهون علي من معالجة العقاب وموتات الدنيا اهون علي من موتات الآخرة واستعار لفظ الموتات للاهوال والشدائد في الدنيا والآخرة لما بين الموت وبينها من المناسبة في الشدة **ومن كلام له عليه السلام** وقد استبطأ اصحابه اذنه لهم في القتال بصفين اما قولكم أكل ذلك كراهية الموت فوالله ما ابالي دخلت الى الموت او خرج الموت الي واما قولكم شكا في اهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوما الا وانا اطمع ان تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشوا

على ضلالها

إلى ضوئي فهو أحب إلي من أن أقتلها وإن كانت تبوء بآثامها **أقول** عشا إلى النار استدل عليها ببصر ضعيف وباء بآثامه أي رجع
به وهذا الفصل مناسب للذي قبله والسبب فيه أن أصحابه لما طال مكثهم عن قتال أهل الشام ألحوا عليه في طلبه حتى نسبه بعضهم إلى
العجز وكراهية الموت ونسبه بعضهم إلى الشك في وجوب قتال هؤلاء فأورد شبهة الأولين وهي قوله كل ذلك كراهية الموت ويروى
كراهية بالنصب على المفعول وسد مسد الخبر وأجاب عنها بقوله فوالله ما أبالي إلى قوله إلي وصدق هذه الدعوى المؤكدة بالقسم
البارز منه فإن العارف بمعزل عن تقية الموت خصوصاً نفسه القدسية كما سبق وفي نسبة الدخول على الموت والخروج إليه نسبة
مجازية تستلزم ملاحظة تشبيهه بحيوان مخوف ثم أورد الشبهة الثانية وهي قوله وأما قولكم شكاً في أهل الشام وأجاب عنها
بقوله فوالله ما دفعت الحرب إلى آخره وتقريره أن المطلوب الأول من الأنبياء والأولياء إنما هو اهتداء الخلق بهم من ظلمة الجهل و
استقامة أمورهم في معاشهم ومعادهم بوجودهم وإذا كان هذا هو المطلوب الذاتي له من طلب هذا الأمر والقتال عليه وكان
تحصيل المطالب كلما كان ألطف وأسهل من القتل والقتال كان أولى لاجرم كان انتظاره بالحرب ومدافعتها يوماً فيوماً إنما هو انتظار وطمع أن
يلحق به منهم من يجذب بالعناية الإلهية من هذه إلى الحق فيهتدي به في طريق الله ويعشو إلى ضوء علمه وكماله وكان ذلك أحب إليه من قتلهم
على ضلالهم وإن كان كل ضال إنما يرجع بإثمه إلى ربه ويكون رهين عمله كما قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا
تزر وازرة وزر أخرى **ومن كلام له عليه السلام** ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا و
أعمامنا ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم وصبراً على مضض الألم وجداً في جهاد العدو ولقد كان الرجل
منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون فمرة لنا من عدونا
ومرة لعدونا منا فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر حتى استقر الإسلام ملقياً جرانه
ومتبوئاً أوطانه ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضر للإيمان عود وايم الله لتحتلبنها دماً ولتتبعنها
ندماً **أقول** المنقول أن هذا الكلام صدر عنه يوم صفين حين أقر الناس بالصلح وأوله أن هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا
إلى حق ولا ليجيبوا إلى كلمة سواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر وحتى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب وحتى يجر ببلادهم الخميس
يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في نواحي أرضهم وبأعناء مشاربهم ومسارحهم وحتى تشن عليهم الغارات من كل فج عميق وحتى
يلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم في سبيل الله إلا جداً في طاعة الله وحرصاً على لقاء الله ولقد
كنا مع رسول الله ص الفصل كلمة سواء أي عادلة والمنسر خيل من المائة إلى المائتين ويقال بل الجيش ما يمر بشيء إلا اقتلعه والخميس الجيش
وتدعق تغار على أرضهم فتؤثر فيها بحوافرها وشن الغارة أثارها واللقم منهج الطريق والمضض حرقة الألم ويتصاولان يتحاملان
يتطاولان ويتخالسان ينتهز كل منهما فرصة صاحبه والمنون المنية والكبت الصرف والإذلال وجران البعير مقدم عنقه من مذبحه
إلى منحره وتبوء وطنه سكن فيه ومقصوده في هذا الفصل توبيخ أصحابه على ترك الحرب والتقصير فيه فقوله ولقد كنا إلى قوله
أوطانه بيان لفضله وكيفية صنيعه هو وسائر الصحابة في الجهاد بين يدي رسول الله صلعم لغرض قيام الإسلام وظهور أمر الله ليتبين
للسامعين تقصيرهم بالنسبة إلى ما كان أولئك عليه في جهادهم يومئذ فبدأ بذكر ما كانوا يلحقونه من الشدائد وأن أحدهم كان
يقتل أباه وولده طلباً لرضا الله ووثوقاً بعز دينه ثم لا يزيده ذلك إلا إيماناً وتسليماً لقضائه ومضياً على واضح سبيله وصبراً في طاعته
على مضض الآلام المتواترة وإن أحدهم كان يصاول عدوه يختطف كل روح صاحبه وتجوز بلفظ الكأس فيما يتجرعه الإنسان من
غصص الآلام حال القتل ونبه بقوله فمرة لنا ومرة لعدونا على أن إقدامهم على القتال يومئذ لم يكن عن قوة منهم على العدو ويقين
بغلبته بل مع غلبة العدو لهم وقهره ومرة منصوب على الظرف وتقديره فمرة الإدالة تكون لنا من عدونا ومرة تكون له منا وقوله فلما
رأى الله صدقنا إلى قوله النصر فيه تنبيه على أن الجود الإلهي لا بخل فيه ولا منع من جهته وإنما هو عام الفيض على كل قابل استعد
لرحمته وأشار برؤية الله صدقهم إلى علمه باستحقاقهم واستعدادهم بالصبر الذي أعدهم به وبإنزال النصر عليهم والكبت لعدوهم إلى
إفاضته على كل منهما ما استعد له وقوله حتى استقر الإسلام إلى قوله أوطانه إشارة إلى حصول غايتهم التي قصدوها بجهادهم العدو
وهي استقرار الإسلام في قلوب عباد الله واستعار لفظ الجران ورشح تلك الاستعارة بالإلقاء ملاحظة لشبهه بالبعير الذي أخذ
مكانه وكذلك استعار لفظ التبوء ونسبه إلى الأوطان تشبيهاً له بمن كان من الناس خائفاً متزلزلاً لا مستقر له ثم اطمأن واستقر في وطنه
واستعار لفظ الأوطان لقلوب المؤمنين وكنى بتبوئها وطانه عن استقراره فيها وقوله ولعمري لو كنا نأتي إلى قوله عود رجوع إلى المقصود
الأصلي وهو تنبيه أصحابه على تقصيرهم والمعنى لو قصرنا يومئذ كتقصيركم الآن وتخاذلكم لما حصل ما حصل من استقامة الدين
وكنى بالعمود للدين عن قوته ومعظمه كما تبرا بالاستعارة وكذلك باخضرار العود للإيمان عن نضارته في النفوس ولاحظ في الأولى
تشبيه الإسلام بالبيت ذي العمود وفي الثانية تشبيه الإيمان بالشجرة ذات الأغصان وقوله وايم الله لتحتلبنها دماً استعار لفظ

حلب الدم

طلب الذم لثمرة تقصيرهم وتخاذلهم عما يدعوهم اليه من الجهاد ولاحظ في تلك الاستعارة تشبيههم لتقصيرهم في افعالهم بالناقة التي
اصيب ضرعها بآفة من نفر يعلم صاحبها فيها والضمير المؤنث منهم يرجع في المعنى الى افعالهم وكذلك الضمير في قوله وليتبعنها انه مما فات
ثمرة التفريط الندامة وعقمها وندما منصوبان على التمييز وقد اتفق في هذا الفصل نوعان من التسجيع فاللقم والامم سجع متوازي وحوانه
واوطانه مطرف وكذلك عموده وعوده ودما وندما وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لاصحابه اما انه سيظهر عليكم بعدي
رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه الا وانه سيأمركم بسبي والبراءة
مني فاما السب فسبوني فانه لي زكاة ولكم نجاة واما البراءة فلا تتبرؤوا مني فاني ولدت على الفطرة وسبقت الى
الايمان والهجرة **اقول** رحب البلعوم واسع مجرى الحلق وبطن مندحق نائي بارز وفي هذا الفصل اخبار بما سيكون
لاصحابه من الابتلاء لتنبيه وفي الخطاب لاهل الكوفة وقوله اما يحتمل ان يكون المشددة وهو التقدير اما بعد انه كذا ويحتمل ان يكون
مخففة وهي ماء النافية دخلت عليها همزة الاستفهام والتقدير اما انه سيظهر واختلف في مراده بالرجل فقال اكثر الشارحين
المراد معاوية لانه كان بطينا كثير الاكل روي انه كان يأكل فيمل فيقول ارفعوا فوالله ما شبعت ولكن مللت وتعبت وكان ذلك
داء اصابه بدعاء الرسول صلى الله عليه وآله روي انه بعث اليه مرة فوجده يأكل فبعث اليه ثانية فوجده كذلك فقال اللهم لا تشبع بطنه وبعضهم
في وصف آخر وصاحب بطنه كالها وتبركان في اعانته معاوية وقيل هو زياد بن ابي سفيان وهو زياد بن ابيه وقيل هو الحجاج وقيل
المغيرة بن شعبة وظهوره عليهم بعد استعلاؤه وتأمره عليهم واكله ما يجد مع طلبه ما لا يجد كناية عن كثرة اكله وجعل ذلك
علامة له وقوله فاقتلوه اي لما هو عليه من الفساد في الارض ولن تقتلوه حكم لدني اطلع عليه وقوله الا وانه سيأمركم بسبي
الى آخره اشارة الى ما سيأمرهم به في حقه من السب والبراءة ووصيته لهم بما هو المصلحة اذن وفرق بين سبه والبراءة منه بان
رخص في سبه عند الاكراه عليه ولم يرخص في التبري منه وفي الفرق بينهما لطف وذلك ان السب من صفات القول اللساني
وهو امر يمكن ايقاعه من غير اعتقاده مع احتماله التعريض ومع ما يشتمل عليه من حقن دماء المامورين ونجاتهم بامتثال الامر به
واما التبرؤ فليس بصفة قولية فقط بل يعود الى المجانبة القلبية والمعاداة والبغض وهو المنهي عنه هيهنا فانه امر باطن يمكنهم
الانتهاء عنه ولا يلحقهم بسبب تركه وعدم امتثال الامر به ضرر وكانه لحظ فيها قوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن
من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب الآية وقوله في السب فانه لي زكاة ولكم نجاة اشارة الى اسباب ترخيصه في سبه اما نجاتهم
بسبه فظاهر واما كونه له زكاة فلوجهين احدهما ما روي في الحديث ان ذكر المؤمن بسوء هو زكوة له وذم بما ليس فيه زيادة
في جاهه وشرفه الثاني ان الطباع تحرص على ما تمنع منه وتلج عليه فالناس لما منعوا من ذكر فضائله والموالاة له والزموا سبه وبغضه
ازدادوا بذلك محبة له واظهارا لشرفه ولذلك لما انشر سبه بنو امية الف شهر على المنابر فما زاد ذكره على ذلك الا علوا ولا ازداد
الناس في محبته الا غلوا والمنقول ان الذي قطع سبه عمر بن عبد العزيز ووضع مكان سبه من الخطبة ان الله يامر بالعدل والاحسان
الآية ولذلك قال كثير بن عبد الرحمن يمدحه وليت فلم تشتم عليا ولم تخف بريا ولم تقبل اساءة مجرم وعنه قول الرضي الموسوي
يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من امية لبكيتك انت نزهتنا عن السب والشتم ولو كنت مجزيا لجزيتك غير اني اقول انك قد
طبت وان لم يطب ولم يزك بيتك وقوله فاني ولدت على الفطرة الى آخره تعليل لحسن الانتهاء عن البراءة منه ووجوبه واراد بالفطرة
فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي جبلتهم الى عالم الاجسام مأخوذا عليهم ميثاق العبودية والاستقامة على سنن العدل في سلوك صراط
المستقيم واراد بسبقه الى الاسلام والهجرة سبقه الى طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله فيما جاء به من الدين وصحبته له ومهاجرته معه مستقيما في كل
ذلك على فطرة الله لم يدنس نفسه بشيء من الملكات الرديئة مدة وقفه اما زمان صغره فللخبر المشهور كل مولود يولد على الفطرة
واما بعد بلوغه فلان الرسول صلى الله عليه وآله كان هو المتولي لتربيته وتزكية نفسه بالعلوم والاخلاق من اول وقته الى ان توفي صلى الله عليه وآله
كما اشرنا اليه قبل وكما سنذكره بعد كيفيته وكان قبوله واستعداده لانوار الله مما فطرت عليه نفسه وجبلت عليه طبيعته
حتى لم يلحقه في ذلك احد من الصحابة وظاهر ان من كان بهذه الصفة من خلفاء الله واوليائه كان التبرؤ منه تبرءا من الله ورسوله
فوجب الانتهاء عنه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** كلم به الخوارج اصابكم حاصب ولا بقي منكم آبر ابعد ايماني
بالله وجهادي مع رسول الله صلى الله عليه وآله اشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين فاوبوا شر مآب وارجعوا
على اثر الاعقاب اما انكم ستلقون بعدي ذلا شاملا وسيفا قاطعا واثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة قال الرضي رضي الله عنه
وقوله ولا بقي منكم آبر يروى بالراء من قولهم للذي يأبر النخل اي يصلحه ويروى آثر وهو الذي يأثر الحديث اي يرويه ويحكيه وهو اصح الوجوه
عندي كانه قال لا بقي منكم مخبر ويروى آبز بالزاء المعجمة وهو الواثب والهالك ايضا يقال له آبز **اقول** المروي في
السبب انه لما كتب عهد التراضي بين الحكمين بين علي ومعاوية اعتزلت الخوارج وتنادوا من كل ناحية لا حكم الا لله الحكم لله يا علي

اي يحكيه

الا ان الله قد امضى حكمه في معوية واصحابه ان يدخلوا الحنث حكمنا وقد كنا زللنا واخطأنا حين رضينا بالتحكيم وقد بان زللنا وخطأنا
وقد رجعنا الى الله وتبنا فارجع انت كما رجعنا وتب لله كما تبنا وقال بعضهم انك اخطأت فاشهد على نفسك بالكفر ثم تب منه حتى
نطيعك فاجابهم بهذا الكلام والحاصب ريح شديدة ترمي بالحصباء وهي صغار الحصى والآثر بالتحريك الاستبداد فدعا عليهم اولا
بريح يحصبهم ثم بالفناء غضبا من مقالتهم ثم اخذ في تقريعهم وانكار مقالتهم وطلبهم شهادته على نفسه بالكفر في صورة سؤال العقبة
تنبيههم على خطائهم في حقه ببيان غلطه على نفسه لو اجابهم الى ما سئلوا فان شهادة الانسان على نفسه بالكفر ضلال عن الحق
وعدم اهتداء في سبيل الله ثم اردف ذلك بامرين احدهما جذبهم بالغضب والقهر وامرهم بالرجوع الى الحق على اعقابهم اي من حيث
خرجوا من الحق وفارقوه والثاني اخبارهم بما سيلقون بعده من الذل الشامل والسيف القاطع وهو كناية عمن يقتلهم بعده
كالمهلب بن ابي صفرة وغيره وهذا الاخبار لغرض استفاءتهم اليه وجذبهم برذيلة غيره والاثرة التي يتخذها الظالمون فيهم
سنة اشارة الى ما ابتنا به الملوك والعمال عليهم من الفيء والغنائم واهانتهم وقد كانت دعوته استجيبت فيهم فانهم لم يزالوا
بعده في ذل شامل وقتل ذريع حتى افناهم الله تعالى واحوالهم في كيفية قتالهم وقتلهم ومن قتلهم مستوفى في كتاب الخوارج و
بالله التوفيق **وقال عليه السلم** لما عزم على قتال الخوارج وقيل له ان القوم قد عبروا جسر النهروان مصارعهم دون
النطفة والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة قال السيد يعني بالنطفة ماء النهر وهي افصح كناية عن الماء وان كان كثيرا جما
اقول خلاصة هذا الخبر انه لما خرج الى اصحاب النهر جاءه رجل من اصحابه فقال البشرى يا امير المؤمنين ان القوم عبروا
النهر لما بلغهم وصولك فابشر فقد منحك الله اكتافهم فقال له آلله انت رأيتهم قد عبروا فقال نعم فقال له والله ما عبروه ولن يعبروه
وان مصارعهم دون النطفة والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لن يبلغوا الاثلاث ولا قصر بوران حتى يقتلهم الله وقد خاب من افترى
قال ثم جاءه جماعة من اصحابه واحدا بعد اخر كلهم يخبره بما اخبره الاول فركب وسار حتى انتهى الى النهر فوجد القوم باسرهم قد
كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيولهم وجثوا على الركب وحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل وروي ان شابا من اصحابه
قال في نفسه حين حكم بما حكم من امرهم وسار الى النهر لئن صدق وحكمه والله لاكونن قريبا منه فان كانوا عبروا النهر لاجعلن
سنان رمحي في عينه ايدعي علم الغيب فلما وجدهم لم يعبروا نزل عن فرسه واخبره بما روى في نفسه وطلب منه ان يغفر له فقال ان الله
هو الذي يغفر الذنوب جميعا فاستغفره فاما حكمه بانه لا يفلت منهم عشرة ولا يقتل من اصحابه عشرة فروي انه قال لابي ايوب
الانصاري وكان على ميمنته لما بدأت الخوارج بالقتال احملوا عليهم فوالله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة فلما قتلهم
وجد المفلت منهم تسعة والمقتول من اصحابه ثمانية وهذان الحكمان من كراماته **وقال عليه السلم** لما قيل له يا امير المؤمنين
هلك القوم باجمعهم كلا والله انهم نطف في اصلاب الرجال وقرارات النساء كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون اخرهم لصوصا
سلابين **اقول** نجم طلع والسلاب المختلس وكلا ردع لقائل هذا حكمه بهلاكهم جميعا واشار بكونهم نطفا في اصلاب الرجال وقرارات
النساء الى انه لابد من وجود قوم منهم يقولون بمثل مقالتهم وانهم الان موجودون في الاصلاب والارحام بالقوة انهم نطف
برزت الى الارحام وكنى بالقرارات عنها ومنهم نطف بعد في الاصلاب ثم الحقهم احكاما اخبر به من انقراضهم منها انه سيقوم منهم
متسلسلون وعبر عمن يظهر منهم بالقرن استعارة مرشحا لتلك الاستعارة بقوله نجم وقطع لكونهما حقيقيين في النبات
وجعل لتراذلهم غاية هي كون اواخرهم لصوصا سلابين اي قطاعا للطريق واما الذين ظهروا بعده من رؤسائهم فجماعة كثيرة وذلك
ان التسعة الذين سلموا يوم النهر تفرقوا في البلاد فانهزم اثنان منهم الى عمان واثنان الى كرمان واثنان الى سجستان واثنان
الى الجزيرة وواحد الى تل موزون وقد كان بعضهم جماعة لم يظفر بهم فظهرت بدعتهم في اطراف البلاد بعد فكانوا نحو
من عشرين فرقة وكبارها ست **احدها** الازارقة اصحاب نافع بن الازرق وكان اكبر الفرق خرجوا من البصرة الى الاهواز وغلبوا عليها
وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في ايام عبد الله بن الزبير وكان مع نافع من امراء الخوارج عشرة عطية بن الاسود
الحنفي وعبد الله بن ماحوز واخواه عثمن والزبير وعمر بن عمير العنبري وقطري بن الفجاءة المازني وعبيدة بن هلال الشيباني وصخر التميمي
وصالح العبدي وعبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير في ثلثين الف فارس منهم فانفذ اليهم المهلب بن ابي صفرة ولم يزل في
حربهم هو واولاده تسع عشرة سنة الى ان فرغ من امرهم في ايام الحجاج ومات نافع قبل وقائع المهلب وبايعوا قطريا وسموه
امير المؤمنين **الثانية** النجدات رئيسهم نجدة بن عامر الحنفي وكان معه اميران يقال لاحدهما عطية وللاخر ابو فديك
ففارقاه بشبهة ثم قتل ابو فديك وصار لكل واحد منهما جمع عظيم وقتلا في زمن عبد الملك بن مروان **الثالثة**
البيهسية اصحاب ابي بيهس الهيصم بن جابر وكان بالحجاز وقتله عثمن بن حيان المزني بالمدينة بعد ان قطع يديه ورجليه وذلك
في زمن الوليد باشارة منه **الرابعة** العجاردة اصحاب عبد الكريم بن عجرد وتحت هذه الفرقة فرق كثيرة لكل منهم رئيس منهم

مشهور

مشهور الخامسة الاباضية اصحاب عبد الله بن اباض خرج في ايام مروان بن محمد فوجه اليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله فقتله السادسة
الثعالبة اصحاب ثعلبة بن عامر وتحت هذه الفرق ايضا فرق كثيرة ولكل منها رئيس مشهور وتفصيل رؤسائهم وفرقهم واحوالهم
ومن قتلهم مذكور في كتب التواريخ واما كون آخرهم لصوصا سلابين فاشارة الى ما كانوا يفعلونه في اطراف البلاد باصبهان
والاهواز وسواد العراق يعيثون فيها ونهب اموال الخراج وقتل من لم يدن بدينهم جهرا وغيلة وذلك بعد ضعفهم و
تفرقهم بوقائع المهلب وغيرها كما هو مذكور في مظانه **وقال عليه السلام** لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فاخطأه كمن طلب الباطل
فادركه يعني معوية واصحابه **اقول** نهى عن قتل الخوارج بعده واومى الى علة استحقاق القتل بانها طلب الباطل لا ترك
الباطل ليتبين انها منتفية في حقهم فينتفي لازمها وهو استحقاق القتل واشار الى ان الخوارج لم يطلبوا الباطل مع العلم بكونه
باطلا بل طلبوا الحق بالذات فوقعوا في الباطل بالعرض ومن لم يكن غرضه الا الحق لم يجز قتله وحسن الكلام يظهر في نفسه
متصله هكذا لو استحقوا القتل بسبب طلبهم الباطل لاستحقوه بسبب طلبهم للباطل من حيث هو باطل فلا يستحقون القتل و
فرق بين من يطلب الحق لذاته فيظهر عنده في صورة باطل وبين من يطلب الباطل لذاته فيظهرونه في صورة الحق حتى يدركه
فان الثاني هو المستحق للقتل دون الاول واومى بمن طلب الباطل فادركه الى معوية واعلم ان هذا نص منه عليه السلام بانهم كانوا طالبين
الحق وبيانه ان معظم رؤسائهم كانوا على غاية من المحافظة على العبادات كما نقل عن الرسول صلى الله عليه وآله حيث وصفهم فقال حتى ان
صلوة احدكم لتحتقر في جنب صلوتهم وكانوا مشهورين بالصلاح والمواظبة على حفظ القرآن ودرسه الا انهم بالغوا في التحري
وشدة الطلب للحق حتى عبروا عن فضيلة العدل فيه الى رذيلة الافراط فوقعوا في الفسق ومرقوا من الدين فان قلت كيف
نهى عن قتلهم قلت جوابه من وجهين احدهما انه عليه السلام انما نهى عن قتلهم بعده على تقدير ان يلزم كل منهم نفسه ويشتغل بها ولا
يعيث في الارض فسادا وهو انما قتلهم حيث افسدوا وافي زمانه وقتلوا جماعة من الصالحين كعبد الله بن خباب وشقوا بطن
امرأته وكانت حاملا ودعوا الناس الى بدعتهم ومع ذلك كان يقول لاصحابه حين سار اليهم لا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم
فبدؤوا ولم يشرع في قتلهم حتى بدؤوه بقتل جماعة من اصحابه الثاني انه يحتمل ان يقال انه انما قتلهم لانه امام عادل رأى الحق في
ذلك وانما نهى عن قتلهم بعده لانه علم انه لا يلي هذا الامر بعده من له ان يحكم الشرع بغير ان يقتل ويتولى امر الحدود ومن لا يعرف
مواضعها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما خوف من الغيلة وان علي من الله جنة حصينة فاذا جاء يومي
انفرجت عني واسلمتني حينئذ لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم **اقول** قد كان عليه السلام خوف من غيلة ابن ملجم لعنه الله مرارا وروى
ان الاشعث لقيه متقلدا سيفه فقال له ما يقلدك السيف وليس باوان حرب فقال اردت ان انحر به جزور القرية فاتى الاشعث
عليا عليه السلام فاخبره وقال قد عرفت ابن ملجم وفتكه فقال عليه السلام ما قتلني بعد وروى ان عليا عليه السلام كان يخطب مرة ويذكر اصحابه وابن ملجم
تلقاء المنبر فسمع وهو يقول والله لاريحنهم منك فلما انصرف علي الى بيته اتوا به ملببا فاشرف عليهم وقال ما تريدون فخبروه بما سمعوا
منه فقال ما قتلني بعد فخلوا عنه وان علي من الله جنة الفصل والغيلة القتل على غفلة والجنة ما استتر به من سلاح وطاش
السهم انحرف عن الغرض والكلم الجرح وكنى بالجنة عن عناية الله بحفظ اسباب حيوته في المدة الممكنة له في القضاء الالهي كناية
بالمستعار ووجه الاستعارة ان مع بقاء اسباب الحيوة محفوظة لا يؤثر في الانسان شيء من سهام المنية ابدا كما ان لابس الجنة محفوظ
بها من آثار السهام ونحوها ووصفها بالحصينة ترشيحا للاستعارة وكنى بها ايضا عن قوة ذلك الحفظ وكنى بيومه عن وقت ضرورة
موته وبانفراج الجنة عنه عن عدم بعض اسباب الحيوة المستلزم للحوق اسباب سهام الامراض وهو ترشيح للاستعارة ايضا ونسب اليها اسلامها
له ملاحظة لتشبيهها بمن يحفظه ثم يسلمه للقتل قوله عليه السلام لا يطيش السهم استعار لفظ السهم للامراض التي هي اسباب الموت وكنى بعدم طيشه
عن نكايته وحصول الموت عنه ولفظ الكلم للاثر الحاصل عن تلك الاسباب ووجه التشبيه في الاولى كونهما سببين للهلاك وفي الثانية
ما يستلزمانه من التألم ورشح الاولى بذكر الطيش والثانية بذكر البرء ومن الشعر المنسوب اليه في ذلك اي يومي من الموت افر ايوم
لم يقدر ام يوم قدر فيوم لم يقدر فلا ارهبه ويوم قد قدر لا يغني الحذر وهو في ذلك ملاحظ لقوله تعالى وما كان لنفس ان تموت
الا باذن الله كتابا مؤجلا ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
الا وان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها ولا ينجى بشيء كان لها ابتلي الناس بها فتنة فما اخذوه منها لها اخرجوا منه وحوسبوا عليه
وما اخذوه منها لغيرها قدموا عليه واقاموا فيه وانها عند ذوي العقول كفيء الظل بينا تراه سابغا حتى قلص وزائدا حتى
نقص **اقول** بينا اصله بين بمعنى التوسط فاشبعت الفتحة فحدثت الالف وقد تزاد ما فيقال بينما والمعنى واحد وتحقيق الكلام
هنا ان الظل دائر بين السبوغ والقلص والزيادة والنقصان وقلص الظل نقص وغرضه من هذا الفصل التحذير من الدنيا والتنبيه
على وجوب لزوم اوامر الله فيها واشار الى ذلك في اوصاف لها الاول كونه لا يسلم منها الا فيها ويحقق ذلك ان الدار الدنيا

في التحذير من الدنيا

والاخرة وقد علمت ان اسباب السلامة هي التوحيد والعبادة وسائر اجزاء الرياضة وشيء منها لا يمكن في الاخرة بل كلها اعمال متعلقة بالبدن فاذن لا يتحقق ما يلزمها من السلامة من الدنيا الا في الدنيا الثاني كونها لا يبقى شيء كان لها وفيها بما الى تمام الرياضة في الاقوال والافعال ويحذر من كل عمل وقوله ضده بالدنيا فان شيئا من ذلك لا حظ له في استلزام النجاة في الاخرة بل ربما كان سبب الهلاك فيها لان الاشتغال بمهمات الدنيا مضر للاخرة الثالث كونها قد ابتلى الناس بها فتنة وفتنة منصوب بالمفعول له ويحتمل ان يكون مصدرا سد مسد الحال ويحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ولنبحث عن معنى الابتلاء بالدنيا وكونها فتنة واعلم ان ليس المراد ان الله تعالى لا يعلم ما يؤول اليه احوال العباد وما يكون منهم بعد خلقهم وابتلائهم بالدنيا فانه تعالى العالم بما كان وما يكون قبل كونه كما قال تعالى وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين وقوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في السماء ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير بل الكشف عن حقيقة الابتلاء امر كان لما كان الانسان انما يكون انسانا بما خلق فيه من القوى الشهوية والغضبية وما يتبعهما وكان لهذه القوى ميول طبيعية الى حاضر اللذات التي تتوفر فيها مشتهياتها ولا ابتهاج لها الا بها ولا حظ لها من غيرها وكانت النفوس الانسانية بمخالطة لهذه القوى ومحبة لها ولاجلها في تصرفاتها غالب الاحوال الا من كانت تلك القوى في اكثر الخلق جاذبة لنفوسها الى مشتهياتها الطبيعية بالطبع وكانت تلك النفوس في اكثر الناس منقادة لقواها معرضة عن الاخرة مشغولة بحاضر ما وجدته من لذات الدنيا عن تصور ما وراءها ثم مع ذلك كان المطلوب منها ما يضاد ذلك وهو ترك حاضر الدنيا ومنازعة هذه القوى في مشتهياتها وجذبها عن التوجه بكليتها اليها لما تبلغه النفس في انفعالها عن ذلك الى امر لا يتصور في الدنيا الا بالاوصاف الحسية لتتركها هو وظيفة الانبياء عليهم السلام عن الخلق كانت ارادته تعالى لذلك الانسان مع ما هم فيه من منازعة الهوى فان اطاعوه هلكوا وان عصوه نجوا صورة امتحان فاشبه ذلك ما يفعله احدنا عند عبده اذا اراد مثلا اختبار صبره ومحنته فوهب له جميع ما يشتهيه ثم كلفه مع ذلك بتكاليف شاقة لا يتمكن من فعلها الا بالانفات عن مشتهياته وتنغيص عليه فلاجرم صدقت صورة الابتلاء والاختبار من الشخص الموجود وكذلك ظهر معنى كونها فتنة فان الفتنة الامتحان والاختبار وان فسرنا ها هنا الا بمعنى الضلال يعود الى جذبها للنفوس الى حاضرها عن سنن الحق الرابع كونهم ما اخذوه منها لها اخرجوا منه وحوسبوا عليه وهو تنبيه على وجوب قصد الاخرة من الدنيا ويتصرف فيه وتنفير ان يجعل الماخوذ منها المجرد التمتع بها بذكر وصفين احدهما وجوب مفارقة الماخوذ منها والاخراج منه والثاني الحساب عليه في الاخرة واعلم على راي المليين فظ قالوا ان الله تعالى قادر على حساب الخلق دفعة واحدة ولا يشغله كلام عن كلام كما قال وهو سريع الحساب اما الحكماء فقالوا ان لله الحساب معنى ونقرره بتقديم مقدمات الاولى ان كثرة الافعال وتكررها يوجب حدوث الملكات في النفوس والاستقراء التام يكشف عن ذلك ومن كان مواظبته على عمل من الاعمال اكثر كان رسوخ تلك الملكة الصادرة عن تلك الفعل في نفسه اقوى الثانية انه لما كان تكرر العمل يوجب حصول الملكة وجب ان يكون لكل عمل يفعله الانسان اثر في حصول تلك الملكة بل يجب ان يكون لكل جزء من اجزاء العمل الواحد اثر في حصول ما لها بوجه ما ويضرب لذلك مثال الاثقال لو فرضنا في سفينة سفينة عظيمة بحيث لو القي فيها مائة الف من فانها تغوص في الماء قدر شبر واحد ولو لم يكن فيها الا حبة واحدة من الحنطة فذلك القدر من الجسم الخفيف فيها يوجب غوصها في الماء بمقدار ما له من الثقل وان بلغ في القلة الى حيث لا يدركه الحس اذا عرفت ذلك فنقول ما من فعل من الخير والشر قليل ولا كثير الا ويفيد حصول اثر في النفس اما سعادة او شقاوة وعند هذا ينكشف سر قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكذلك لما ثبت ان الافعال انما تصدر بواسطة الجوارح من اليد والرجل وغيرها لاجرم كانت الايدي والارجل شاهدة على الانسان يوم القيامة بلسان حالها على معنى ان تلك الاثار النفسانية انما حصلت في جواهر النفوس بواسطة الافعال الصادرة عنها فكان صدور تلك الافعال من تلك الجوارح جاريا مجرى الشهادة على النفس بما اكتسبته بها اذا عرفت ذلك فنقول لما كانت حقيقة المحاسبة تعود الى تعريف الانسان ما له وما عليه من مال ونحوه وكان ما يحصل من النفوس من الملكات الخيرية والشريرة امورا مضبوطة في جوهرها محصاة عليها وانما ينكشف لها كثرة تلك الهيئات وتمكنها من ذواتها وتضررها في الان الذي ينقطع فيه علاقة النفس مع البدن اشبه ذلك ما يتبين للانسان عند المحاسبة مما له وعليه فلا جرم اطلق عليه لفظ الحساب وذلك اليقين والاطلاع هو المشار اليه بقوله قدموا عليه وليس المقصود ان ما يقدم عليه في الاخرة هو عين ما اخذ من الدنيا بل ما يترتب في اخذه من خير او شر فالذي بينا وله المحاملون منها المجرد التنعم بها فهو الذي يتمكن عنه هيئات السوء في جواهر نفوسهم فيعذبون عليها ويقيمون بها في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون الخامس كونها عند ذوي العقول كفيء الظل وتشبيهها بهذا الوصف على سرعة زوالها وانما خصص ذوي العقول بذلك لامرين احدهما ان المعتبر لزوالها غافل يحبه عقله دون هواه فلذلك نسب الى العقل الثاني ان حال ذوي العقول مرغوب فيه لمن سمعه ولما كان مقصوده تحذير السامعين من سرعة زوالها ليعملوا فيها لما بعدها نسب ذلك الى ذوي العقول فيه ليقتضي السامعون اثرهم ثم اشار الى وجه شبهها بالظل بقوله بينا تراه الى اخره اي انها يسرع زوالها كما يسرع زواله وهو

معنى الابتلاء بالدنيا

بيان معنى ان الحساب

معنى الحساب على رأي الحكماء

من التشبيها

من التشبيهات السائرة ومثله قول الشاعر الا انما الدنيا كظل غمامة اظلت يسيرا ثم خفت فولت

ومن خطبة له عليه السلم

فاتقوا عباد الله وبادروا آجالكم باعمالكم وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم وترحلوا فقد جد بكم واستعدوا للموت فقد اظلكم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لكم بدار فاستبدلوا فان الله لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى وما بين احدكم وبين الجنة او النار الا الموت ان ينزل به وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحرى بسرعة الاوبة وان قادما يقدم بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فتزودوا من الدنيا ما تحرزون به نفوسكم غدا فاتقى عبد ربه نصح نفسه قدم توبته غلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها فيا لها حسرة على كل ذى غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه ايامه الى شقوة نسأل الله سبحانه ان يجعلنا واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية ولا تحل به بعد الموت ندامة ولا كآبة

اقول المبادرة المسارعة والتشمير المهمل وحد به اى ولع به وحرى حقيق والتسويف فى الاصل ان يقول سوف افعل وهو كناية عن التمادى فى الامر والبطر تجاوز الحد فى الفرح والكآبة الحزن وحاصل هذه الموعظة التنفير عن الدنيا والترغيب فى الآخرة وما يكون وسيلة الى نعيمها والترهيب مما يكون سببا للشقاء فيها فقوله فاتقوا الله الى قوله باعمالكم فيه تنبيه على وجوب لزوم الاعمال الصالحة وحث عليها بالامر بمسابقة الآجال وعلى توقع سرعة الاجل واخطاره بالبال وهو من الجواذب القوية الى الله تعالى ونسب المسابقة الى الآجال ملاحظة لشبهها بالمراهن اذ كان يحوزها لهم حائلا بينهم وبين الاعمال الصالحة الشبيهة بما يتسابق عليه من رهن فقوله وابتاعوا ما يبقى الى قوله عنكم اشارة الى لزوم الزهد فى الدنيا والتخلى عن متاعها الفانى وان يشترى به ما يبقى من متاع الآخرة وقد عرفت غير مرة اطلاق لفظ البيع هنا وقيد المشترى بما يبقى والثمن بما يزول ليكون المشترى احب الى النفوس لبقائه وقوله فترحلوا فقد جد بكم امر بالترحل وهو قطع منزل منزل من منازل السفر الى الله تعالى فى مراتب السلوك لطريقه ونبه على وجوب الترحل بقوله فقد جد بكم اى فى السير الى آجالكم بقوة وذلك الجد يعود الى سرعة توارد الاسباب التى تعد المزاج للفساد وتقربه الى الآخرة ملاحظة لشبهها بسائق الابل ونحوها وقوله واستعدوا للموت فقد اظلكم الاستعداد له هو باستكمال النفوس كمالها الذى ينبغى حتى لا يبقى للموت عندها كثير وقع بل يكون محبوبا لكونه وسيلة الى المحبوب وهو لقاء الله والسعادة الباقية فى حضرة الملأ الاعلى ونبه بقوله فقد اظلكم على قربه واستلزم ذلك تشبيهه بالسحاب او الطير فاستعير له وصف الاظلال وقوله وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا تنبيه لهم على الالتفات الى منادى الله وهو لسان الشريعة والانتباه بندائه من مراقد الطبيعة وقوله واعلموا الى قوله فاستبدلوا تنبيه لهم على ان الدنيا ليست بدارهم ليلتفتوا عن الركون اليها ويتوقعوا الاخراج منها ثم امرهم بالاستبدال بها ليذكروا ان هنالك عوضا منها يجب ان يلتفت اليه وهو الدار الآخرة ونبه بقوله فان الله لم يخلقكم عبثا الى الآخرة على وجوب العمل لذلك التبديل فانهم لم يخلقوا الا لامر وراء ما هم فيه وقوله وما بين احدكم الى قوله ينزل به تعيين لما خلقوا له ووعدوا بالوصول اليه وانه لا حائل بينهم وبينه الا الموت قال بعض الشارحين وهذا الكلام مما يصلح متمسكا للحكماء فى تفسيرهم للجنة والنار فانهم لما قالوا ان الجنة تعود الى المعارف الالهية ولوازمها والنار تعود الى حب الدنيا والميل الى مشتهياتها وتمكن الهيئات الردية فى جوهر النفس وعشقها بعد المفارقة لما لا تتمكن من العود اليه كمن نقل عن مجاورة معشوقه والالتذاذ به الى موضع ظلمانى شديد الظلمة مع عدم تمكنه من العود اليه كما قال تعالى قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا الآية وكان ادراك لذة المعارف التامة والم النار بالمعنى المذكور معنى امرا يتحقق حال مفارقة هذا البدن اذ كان الانسان فى عالم الشهادة غير مدرك لما حصل فى نفسه وتمكن من الهيئات كعضو مفلوج غطى خدره على المه فاذا زال الخدر احس بالالم فكذلك النفس بعد الموت تدرك ما لها من لذة او الم كما هو لزوال الشواغل البدنية عنها قلت وهذا الكلام ايضا ظاهر على مذهب المتكلمين اذ جاء فى الخبر ان العبد يكشف له عند الموت عما يستحقه من جنة او نار ثم يؤجل ذلك الى قيام القيامة الكبرى وقوله وان غاية الى قوله المدة كنى بالغاية عن الاجل المعلوم للانسان ثم نبه على قصره وحقارته بامرين احدهما كونه تنقصه اللحظات اى النظرة وهو ظاهر فان كل جزء من الزمان فرض فقد مضى من مدة الانسان ونقص الثانى كونه تهدمه الساعة وكنى بالساعة عن وقت الموت والاشتات الآن الذى ينقطع فيه علاقة النفس مع البدن فغاية الاجل الانسانى وغايته التى هى ما تعلق عندها النفس فكنى بالهدم عن ذلك الانقطاع والانتهاء كناية بالمستعار وظاهر ان مدة هذا شأنها فى غاية القصر وقوله وان غائبا الى قوله الاوبة استعار الغائب للانسان باعتبار كون الدنيا عالم غربته ومحل سفره ومنزله الحقيقى انما هو منشأه وما اليه مرجعه وانما سمى الليل والنهار جديدان لتعاقبهما فليس احدهما مخلقا للآخر واستعار لفظ الحادى لهما باعتبار لزومهما من اعداد الانسان لاجله المشبه بصوت الحادى الذى يبعث الابل على سرعة سيرها وقربها من المنزل المقصود لها وظاهر ان من كان الليل والنهار حاديه فهو فى غاية سرعة الى الرجوع الى مبدأه ووطنه الاصلى وقال بعض الشارحين اراد بالغائب الموت وهو وان كان محتملا الا انه لا يطابقه لفظ الاوبة لان الموت لم يكن حتى يرجع وقوله وان

في بيان نبذ من صفاته

فادمًا الى قوله العترة اشار بالقادم بالفوز والشقوة الى الانسان حين قدومه على ربه بعد المفارقة فاما الفوز بالسعادة الباقية والحصول على الجنة والشقوة وسنه بذكر القدوم على ان هذا شانه فالواجب عليه ان يستعد بافضل عدة ليصل بها الى احسنهما الذي ويبتعد بها عن اكرهما عنده وقوله فتزودوا الى قوله عدا فصل نوع تفصيل افضل العدة وهو الزاد الذي يحرز الانسان به نفسه يوم القيمة من السقوط في نار حضيم وعليل حرها واشار بذلك الزاد الى تقوى الله وخشيته وقد علمت حقيقة الخشية والخوف ثم انهما يحصل في الدنيا واما كونه من الدنيا فلان الاثار الحاصلة للنفس من الحالات والملكات كالخشية والخوف وسائرما يتزوده وتستصحبه بعد المفارقة امور انما حصلت عن هذا البدن واستفيدت من الدنيا بواسطته والمشابهة التي لاجلها استعار لفظ الزاد هنا هو ما يشترك فيه الزاد المحسوس والتقوى من سلامة المتزود بهما كل منهما طريقه فالذي في المنازل المحسوسة من عذاب الجوع والعطش المحسوسين وهذا في المنازل المعقولة مراتب السلوك ومراحل السفر الى الله نعم من عذاب الجوع المعقول وقوله فاتقى عبد ربه الى قوله شهوته او لم يرد وروده بلفظ الماضي خالية عن العطف وهي بلاغة ترتيب المعنى في احسن صورة فالامر بالتقوى تفسير للامر بالزاد كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى والامر بنصيحة النفس بالنظر في مصالحها والتثور عليها ان تعمل ما هو الاولى بها من التمسك بحبل ود الله والوقوف عند نهاه والامر بتقديم التوبة وغلب الشهوة هو من جملة الامر بالنصيحة كالتفسير لها ومن لوازم التقوى ان يدفعهما واراد بتقديم التوبة على الورود بالتوبة الى كل وقت سيحضر وقوله فان اجله الى قوله شقوة حث على امتثال الاوامر السابقة الى التوبة وغيرها وتحذير من هجوم المنية على غفلة لما يستلزم ذلك من شدة الحسرة وطول الندم على التفريط وذلك ان ستر الاجل عن الانسان موجب للغفلة عنه فاذا انضاف الى ذلك خداع الامل الناشئ عن وساوس الشيطان في تزيينه المعصية وتسويفه التوبة مع كونه موكلا به وقرينا له كما قال سيد المرسلين صلعم ما من مولود الا ويولد معه قرين من الشيطان كانت الغفلة اشد والنسيان اكد واستعار لفظ الخداع لصورة من النفس الامارة بالسوء وهو قولها للانسان مثلا تمتع من شبابك واغتنم لذة العيش ما دمت في مهلة ومستقبل من عمرك وستلحق بالتوبة ونحو ذلك من الاضاليل فان هذه صورة خداع من الشيطان واما نسبة ذلك الى الامل فلان الامل هو عزم النفس على فعل تلك الامور وامثالها في مستقبل الاوقات عن توهم طول الحيوة واتباعها لما تفعله فيها من معصية وتوبة وذلك العزم من اسباب الانخداع للشيطان وغروره فلذلك نسب الخداع الى الامل مجازا وجعل غاية ذلك الخداع هو ان يهجم على الجهد وقع منيته حال ما هو في اشد غفلة عنها واشتغال بما يؤمله فيكون ذلك مستلزما لاعظم حسرة واكبر ندامة على ان يكون عمره عليه حجة شاهدة بلسان حاله على ما اكتسب فيه من الاثام فصار بعد ان كان وسيلة للسعادة سببا للشقاوة وقوله فقد نصب على الحال وحسرة على التمييز للمتعجب منه المدعو واللام في لها قبل للاستغاثة كانه قال يا للحسرة على الغافلين ما اكثرك وقيل بلام الجر فتحت لدخولها على الضمير والمنادي محذوف وتقديره يا قوم ادعوكم لها حسرة وان في موضع النصب بحذف الجار كانه قيل فغلام يقع عليهم الحسرة فقال على كون اعمارهم حجة عليهم يوم القيمة وقوله نسأل الله نعم الى قوله كابة ختم الخطبة وسأل الله الخلاص عن امور ثلثة **الاول** ان يخلصه من شدة الفرح بنعمة الدنيا فان ذلك من لوازم محبتها المستلزمة للهلاك الابدي **الثاني** ان لا تقصر به غاية عن طاعة ربه اي لا يقصر عن غاية من غايات الطاعة فيقال قصرت هذه الغاية بفلان اذا لم يبلغها **الثالث** ان لا يحل به بعد الموت ندامة ولا حزن وذلك سؤال الحسم لاسبابهما وهو اتباع الهوى في الدنيا والعدول عن طاعة الله وبالله العصمة

ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالا فيكون اولا قبل ان يكون اخرا و يكون ظاهرا قبل ان يكون باطنا كل مسمى بالوحدة غيره قليل وكل عزيز غيره ذليل وكل قوي غيره ضعيف وكل مالك غيره مملوك وكل عالم غيره متعلم وكل قادر غيره يقدر ويعجز وكل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها و يذهب عنه ما بعد منها وكل بصير غيره يعمى عن خفي الالوان ولطيف الاجسام وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ولا تخوف من عواقب زمان ولا استعانة على ند مثاور ولا شريك مكاثر ولا ضد منافر ولكن خلائق مربوبون وعباد داخرون لم يحلل في الاشياء فيقال هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن لم يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ ولا وقف به عجز عما خلق ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر بل قضاء متقن وعلم محكم وامر مبرم المأمول مع النقم المرهوب مع النعم **اقول** المثاور المواثب والداخر الذليل واوده الامر اثقله وذرأ خلق والمبرم المحكم وقد اشتملت هذه الخطبة على مباحث لطيفة من العلم الالهي يعز ان يطلع عليها الا المحققون فيه **الاول** الذي لم يسبق الى قوله باطنا اقول انه لما ثبت ان السبق والمقارنة والقبلية والبعدية امور تلحق الزمان لذاته وتلحق الزمانيات به وثبت انه تعالى منزه عن الزمان اذ كان من لواحق الحركة المتأخرة عن وجود الجسم المتأخر عن وجود الله سبحانه كما علم ذلك في موضعه لا جرم لم يلحق ذاته المقدسة وما لها من صفات الكمال

سعادتهم

نعوت الجلال

في بيان نبذ من صفاته

ج
١٠٢

وسابقاً عليه لكونه قادراً

ويفوت الجلال بشيء من لواحق الزمان فلم يجز اذن ان يقال مثلاً كونه عالماً قبل كونه قادراً وقبل كونه مريداً او كونه حياً قبل كونه عالماً
فلا كونه اولاً للعالم قبل كونه اخراله قبلية وسبقاً زمانياً فهي ان يقال ان القبلية والبعدية قد تطلق بمعان اخر كالقبلية بالشرف
والفضيلة والذات والعلية وقد بيّنا في الخطبة الاولى ان كل ما يلحق ذاته المقدسة من الصفات فاعتبارات ذهنية يخترعها
العقول عند مقايستها الى مخلوقاته وشيء من تلك الاعتبارات لا تتفاوت ايضاً بالقبلية والبعدية باحد المعاني المذكورة به
بالنظر الى ذاته المقدسة فلا يقال مثلاً هو المستحق لهذا الاعتبار قبل هذا الاعتبار وبعده والا لكان كاملاً اما بلا الزيادة و
النقصان بل استحقاقه بالنظر الى ذاته لما يصح ان يعتبر لها استحقاق واحد لجميعها دائماً فلا حال يفرض الا وهو يستحق فيه ان يعتبر
له الاولية والاخرية معاً استحقاقاً اولياً ذاتياً لا على وجه الترتب وان تفاوتت الاعتبارات بالنظر الى اعتباراتنا وهذا بخلاف
غيره من الامور الزمانية فان الجوهر مثلاً يصدق عليه كونه اولاً من العرض ولا يصدق عليه مع ذلك انه اخر حتى لو فرضنا عدم
جميع الاعراض وبقاء الجوهر بعدها لم يكن استحقاقه للاعتبارين معاً بل استحقاقه لاعتبار الاولية متقدم اذ كانت بعض حوادثه
سابقة على بعض ولا استحقاقية لهما لذاته بل بحسب بقاء اسبابه ولا العرض لما صدق عليه انه بعد الجوهر يصدق عليه انه قبله
باعتبار ما وخلاف المختلفين في اي الصفات اقدم مبني على سوء تصورهم لصانعهم سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً اذا عرفت
ذلك فنقول اولية هو اعتبار كونه مبدأ لكل موجود واخريته هو كونه غاية لكل ممكن وقد سبق معنى كونه ظاهراً وباطناً في الخطبة
التي اولها الحمد لله الذي بطن خفيات الامور **الثاني** كل مسمى بالوحدة غيره قليل مقصودة وهذه الكلمة انه تعالى لا يوصف بالقلة
وان كان واحداً وتقريره للشارح ان الواحد يقال بمعان والمشهور منها المتعارف بين الخلق كون الشيء مبدأ الكثرة يكون عاداً لها ومكيالاً
وهو الذي يلحقه القلة والكثرة الاضافيتان فان كل واحد بهذا المعنى فهو قليل بالنسبة الى الكثرة التي يصلح ان يكون مبدأ لها و
المتصور لاكثر اهل لغة لم يصدق هذا الاعتبار على الله بل ربما لا يتصور بعضهم كونه تعالى واحداً الا بهذا الوجه ولما كان تعالى منزهاً عن
بالقلة والكثرة لما يستلزمانه من الحاجة والنقصان اللازمين لطبيعة الامكان اثبت القلة لكل ما سواه فاستلزم اثباتها لغيره
في معرض المدح له نفيها عنه واستلزم ذلك تنزيهه تعالى عن الواحدية بالمعنى المذكور لاستلزام سلب اللازم سلب ملزومه وليس
اذا بطل كونه واحداً بهذا المعنى بطل كونه واحداً فانا بينا صدق الواحد عليه بمعان اخر في الخطبة الاولى وقد يفهم من هذا
انه لما نفى عنه القلة استلزم ذلك ان يثبت له الكثرة وهو من سوء الفهم وقلة العلم فان عدم القلة انما يستلزم ثبوت الكثرة عند
تعاقبهما على محل من شأنه قبولهما وربما قيل ان المراد بالقليل هنا الحقير وهو غير مناسب لذكر الوحدة وانما قال كل مسمى بالوحدة
ولم يقل كل واحد ليشعر بان قول الوحدة على الواحد عليه تعالى وعلى واحدية غيره قول بحسب اشتراك الاسم **الثالث** وكل عزيز غيره ذليل
اقول رسم العزيز بانه الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول ثم في كل واحد من هذه القيود الثلثة
كمال ونقصان فالكمال في قلة الوجود ان يرجع الى واحد ويستحيل ان يوجد مثله وليس ذلك الا لله سبحانه والكمال في النفاسة
وشدة الحاجة ان يحتاج كل شيء في كل شيء وليس ذلك على الكمال الا لله تعالى والكمال في صعوبة المنال ان لا يوصل الى حقيقته على
معنى الاحاطة بها وليس ذلك على الكمال الا لله تعالى فهو اذن العزيز المطلق الذي كل موجود سواه ففي ذل الحاجة اليه وحقارة
العبودية بالنسبة الى كمال عزته واما العزيز من الخلق فهو الذي توجد له تلك الاعتبارات لكن لا مطلقاً بل بقياسه الى من هو دونه
في الاعتبارات المذكورة فهو وان صدق عليه انه عزيز بتلك الاعتبارات الا انه في ذل الحاجة الى من هو اعلى رتبة منه وكمال
تلك الاعتبارات وكذلك من هو اعلى منه الى ان ينتهي الى العزيز المطلق الذي لا يلحقه ذل باعتبار ما فلذلك اثبت الذل لكل عزيز سواه
الرابع وكل قوي غيره ضعيف القوة تعود الى تمام القدرة ويقابلها الضعف ولما كان استناد جميع الموجودات الى تمام قدرته علمت
انه لا تام من قدرته فكل قوة وصف بها غيره فبالنسبة الى ضعف يقابلها لمن هو دونه واما قياسها بالنسبة الى من هو فوقه كان
ضعيفاً بالنسبة اليه وكذلك من هو فوقه الى ان ينتهي الى تمام قدرة الله فهو القوي الذي لا يلحقه ضعف بالقياس الى احد غيره
قوله وكل مالك غيره مملوك فان معنى المالك يعود الى القادر على الشيء الذي ينفذ مشيئته فيه باستحقاق دون غيره وغيره بانه
لما ثبت ان كل موجود سواه فهو في تصريف قدرته ومشيته انه استناد وجوده ثبت انه هو المالك المطلق الذي ليس له مملوك
بالقياس الى شيء اخر وان كل ما سواه فهو مملوك له وان صدق عليه بالعرف انه مالك بالقياس الى من هو دونه ثم لا يخفى علينا .
مما سلف ان قول القوي والمالك عليه وعلى غيره قول بحسب اشتراك الاسم عليه **الخامس** وكل عالم غيره متعلم لما ثبت ان علمه تعالى
بالاشياء على ما مر هنا التفصيل انما هو لذاته ولم يكن شيء منه مستفاداً من امر اخر وكان علم من سواه انما هو مستفاد بالتعلم من الغير
ثم الغير من الغير الى ان ينتهي الى علمه تعالى انفا بصور الخيرات لا جرم كان كل عالم سواه متعلماً وان سمي عالماً لما حصل له العلم لما كان هو
العالم المطلق الذي لا حاجة به في تحصيل العلم الى امر اخر **السادس** وكل قادر غيره يقدر ويعجز اقول قدرة الله تعالى تعود الى

انه تعالى لا يوصف بالقلة

كونه مصدراً للآثار فأما قدرة الغير فقد يراد بها قوة جسمانية منبثة في الأعضاء محركة لها نحو الأفاعيل الاختيارية بالفعل وما
يقابل القدرة بهذا المعنى هو عدمها عما من شأنه أن يقدر كما في حق الواحد منا وقد يراد بها اعتبار آخر أن يقابلها
إذا عرفت ذلك فنقول القادر المطلق على كل تقدير هو مستند كل مخترع وموجود اختراعاً ينفرد به ويستغني فيه عن معاونة
غيره وذلك إنما يتحقق في حق الله سبحانه فأما كل ما ينسب إلى القدرة سواه فهو وإن كان بالجملة ذا قدرة إلا أنها ناقصة لتناولها
بعض الممكنات فقط وقصورها عن البعض الآخر وعدم تناولها له إذ كانت لا تصلح للمخترعات وإن نسب إليه إيجاد شيء فلأنه فاعل
قريب وواسطة بين القادر الأول سبحانه وبين ذلك الأثر لا لأنه استقل به وتفرد به على ما علم في مظانه فكل قادر سواه فلأنه
يستحق العجز وعدم القدرة بالنسبة إلى ما يمكن تعلق قدرته به من سائر المخترعات والممكنات وإنما يستحق القدرة من وجوده
نعم فهو إذن الفاعل المطلق الذي لا يعجزه شيء عن شيء ولا يستعصي على قدرته شيء **السابع** وكل سميع غيره يصم عن لطيف
الأصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها أقول حس السمع في الحيوان عبارة عن قوة تنفذ من الدماغ إلى الأذن في عصبة
نابتة منه إلى الصماخ مبسوطة عليه كجلد الطبل وهذه العصبة آلة هذه القوة والصوت هيئة تحصل في الهواء عن تموجه بحركة
شديدة إما من قرع يحصل من اصطكاك جسمين صلبين فينضغط الهواء بينهما وينفلت بشدة وإما من قلع شديد فيلج الهواء بين
الجسمين المنفصلين الصلبين ويحصل عن السببين تموج الهواء على هيئة مستديرة كما يفعل وقوع الحجر في الماء فإذا انتهى ذلك
التموج إلى الهواء الذي في الأذن تحرك ذلك الهواء الراكد حركة مخصوصة بهيئة مخصوصة فتنفعل العصبة المفروشة على الصماخ
عن تلك الحركة وتدركها القوة السامعة هناك فهذا الإدراك يسمى سماعاً إذا عرفت ذلك فاعلم أن إدراك هذه القوة للصوت
يكون على قرب وبعد وحد من القوة والضعف مخصوص فإنه إن كان الصوت ضعيفاً أو بعيداً لحد لم يحصل بسببه تموج
الهواء فلم يصل إلى الصماخ فلم يحصل السماع وذلك معنى قوله يصم عن لطيف الأصوات ويذهب عليه ما بعد منها فإن قلت
لم خصص اللطيف بالصمم عنه والبعيد بالذهاب عليه قلت يشبه أن يكون لأن البعيد في مظنة أن يسمع وإنما يفوته بسبب
عدم وصول الهواء الحامل له إليه وأما الخفي فلما لم يكن من شأنه أن تدركه القوة السامعة شبه عجزها عن إدراكه بالصمم
فاستعير لفظه له وأما إن كان الصوت في غاية القوة والقرب فربما أحدث الصمم وذلك لشدة قرعه للصماخ وتفريق اتصال
الروح الحامل لقوة السمع عنه بحيث يبطل استعدادها لتأدية القوة إلى الصماخ وكل ذلك من نقصان الحيوان وضعفه و
لما كان الباري تعالى منزهاً عن الجسمية ولواحقها لا جرم كانت هذه اللواحق من الصمم عن لطيف الأصوات وذهاب بعيدها
والصمم من كبيرها مخصوصة بمن له تلك القوة المذكورة والسمع المخصوص فكل سامع غيره فهو كذلك واستلزم ذلك في معرض مدحه تنزيهه
سبحانه عنها وإن ليس سميعاً بالمعنى المذكور وقد نطق القرآن بإثبات هذه الصفة له فهو سميع بمعنى أنه لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن
خفي فيسمع السر والنجوى بل ما هو أدق من ذلك وأخفى حمد الحامدين ودعاء الداعين وذلك هو السميع الذي لا يتطرق إليه الحدثان إذ لم يكن بآلة وأذان
الثامن وكل بصير غيره يعمى عن خفي الألوان ولطيف الأجسام أقول خفي الألوان مثلاً كاللون في الظلمة واللطيف قد يكون بمعنى عديم اللون
كما في الهواء وقد يكون بمعنى رقيق القوام كالجوهر الفرد عند المتكلمين وكالذرة واللطيف بالمعنيين غير مدرك للحيوان وإطلاق لفظ
العمى مجاز إذ كان عبارة إما عن عدم البصر مطلقاً أو عن عدمه عما من شأنه أن يبصر ولا واحد من هذين الاعتبارين بموجود للبصير غير الله
فلم يكن عدم إدراكها عمى حقيقياً بل لكون العمى من أسباب عدم الرؤية أطلق لفظه عليه إطلاقاً لاسم السبب على المسبب وهذا الحكم في معرض
مدحه تعالى يستلزم تنزيه بصره عن لواحق العمى ومظنته إذ كان سبحانه منزهاً عن معروض العمى والبصر ومتعالياً عن أن يكون إدراكه بحدقة
وأجفان وانطباع الصور والألوان وإن كان يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وإذ ليس بصيراً بالمعنى المذكور فهو
البصير باعتبار أنه مدرك لكمال صفات المبصرات وذلك الاعتبار أوضح وأجلى مما يفهم من إدراك البصر القاصر على ظواهر المرئيات
التاسع وكل ظاهر غيره باطن أقول ظهور الأشياء هو انكشافها للحس وللعقل انكشافاً بيناً ويقابله بطونها وهو خفاؤها
عن أحدهما ولما ثبت أنه تعالى منزه عن الجسمية ولواحقها علم كونه منزهاً عن إدراك الحواس ولما قام البرهان على أنه تعالى بريء عن أنحاء
التراكيب الخارجية والعقلية وجب تنزه ذاته المقدسة عن اطلاع العقول عليها فعلم من هذا الترتيب أنه لا يشارك الأشياء في معنى
ظهورها وقد وصف نفسه بالظاهر فيجب أن يكون ظهوره عبارة عن انكشاف وجوده في جزئيات آثاره كما قال تعالى سنريهم آياتنا
في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق وإن كانت مشاهدة الحق له على مراتب متفاوتة ودرجات متصاعدة كما أشار إليه
بعض محرري السالكين ما رأينا شيئاً إلا ورأينا الله بعده فلما ترقوا عن تلك المرتبة درجة من المشاهدة والخلوص قالوا ما رأينا
شيئاً إلا ورأينا الله فيه فلما ترقوا قالوا ما رأينا شيئاً إلا ورأينا الله قبله فلما ترقوا قالوا ما رأينا شيئاً سوى الله والأولى مرتبة الفكر
والاستدلال عليه والثانية مرتبة الحدس والثالثة مرتبة المستدلين به لا عليه والرابعة مرتبة الفناء في ساحل عزته وكبريائه

بيان معنى الظهور في الله

الوحدة المطلقة محض وفاعلها كل شئ واذا عرفت معنى ظهوره علمت ان شيئا من الممكنات لا يكون له الظهور المذكور فانه وان كان لبعض الاشيا
في عقل او حس الا انه ليس في كل عقل وفي كل حس اذ كل مطلع على شئ فالذي خفي عنه اكثر مما اطلع عليه فكل ظاهر غيره فهو باطن بالقياس
اليه وهو تعالى الظاهر لكل شئ وفي كل شئ لكونه مبدأ كل شئ ومرجع كل شئ **العاشر** وكل باطن غيره فهو ظاهر وقد علمت معنى البطون
للممكنات وظهورها وعلمت ايضا مما سبق ان كونه باطنا يقال بمعنيين احدهما انه الذي خفي قدسه لما نعز عن اطلاع العقول عليه والثاني
انه الذي بطن جميع الاشياء بعلمه ونفذ فيها علمه ثم علمت ان الظاهر المقابل للمعنى الاول واما المقابل للثاني فهو الذي لم يطلع الا على ظواهر
الاشيا لم يكن له اطلاع على بواطنها يقال فلان ظاهر وظاهري اذا عرفت ذلك فنقول ان كل باطن غيره سوا كان المراد بالبطون
خفاء المقصود او نفوذ العلم في البواطن فهو ظاهر بالقياس اليه تعالى ظهورا بالمعنى الذي يقابله اما الاول فلان كل ممكن وان خفي
على بعض العالمين لم يخف على غيره وان خفي على الكل ظاهر في علمه تعالى ويمكن الظهور في علم غيره فليس اذن بخفي مطلقا وهو تعالى الباطن
الذي لا ابطن منه وكل باطن غيره فهو ظاهر بالقياس اليه واما الثاني فلان كل عالم وان جل قدره فلا احاطة له ببعض المعلومات
وهو قاصر عن بعضها وبعضها غير ممكن له وهو تعالى الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السما ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر وكل ظاهر بالقياس اليه وفي بعض النسخ وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر ومعنى القضيتين ان كل ممكن ان كان
ظاهرا منكشفا للعقل او الحس لم يوصف مع ذلك بانه باطن كالشمس مثلا وان كان باطنا خفيا عن العقل والحس لم يوصف مع ذلك
بانه ظاهر وهو تعالى الموصوف بانه الباطن الظاهر معا وفي هذه النسخة نظر فانا انما اثبتنا كونه تعالى ظاهرا وباطنا معا باعتبارين وفي
بعض الممكنات ما هو كذلك كالزمان مثلا فان كل عاقل يعلم بالضرورة وجود الزمان وان خفيت حقيقته على جمهور الحكما واضطربت عليه اقوال
العلماء وكذلك العالم فليس اذن كل ظاهر غيره غير باطن ولا كل باطن غيره غير ظاهر والله اعلم **الحادي عشر** لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان
ولا تخوف من عواقب زمان ولا استعانة على ند مثاور ولا شريك مكاثر ولا ضد منافر اقول انه تعالى لا يفعل لغرض ومن كان كذلك كان منزها عن خصوصيات هذه الاغراض اما الاول فبرهانه انه لو فعل لغرض لكان
وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه تعالى اما ان يكونا على سواء او لا والاول باطل والا لكان حصول الغرض له ترجيحا من غير مرجح
والثاني باطل لانهما اذا لم يستويا كان حصول الغرض معتبرا في كماله فيكون بدونه ناقصا تعالى الله عن ذلك لا يقال لم لا يجوز ان يكون الغرض
بالنسبة الى الخالق متساويا وبالنسبة الى العبد راجحا اذ غرضه الاحسان الى الغير لانا نقول غرض الاحسان الى الغير وعدمه ان كانا بالنسبة اليه على سواء عاد حديث
الرجحان بلا مرجح وان كان احدهما اولى عاد حديث الكمال والنقصان واذا عرفت انه تعالى لا يفعل لغرض وكل ما ذكره عليه السلام في هذا الفصل
من تشديد سلطان وتقوية او تخوف عاقبة زمان او استعانة على ند وشريك وضد اغراض علل صدق قوله انه لم يخلق شيئا مما خلقه
لشئ من هذه الامور وهذا تنزيه عن طريق نفي الغرض المطلق واما تنزيهه تعالى عن خصوصيات هذه الاغراض فلان تشديد السلطان انما
يحتاج اليه ذو النقصان في ملكه ولما كان تعالى هو الغني المطلق في كل شئ صدق انه تعالى لا غرض له فيما خلق واما التخوف عن عواقب
الزمان فلان التضرر والانتفاع ولواحقهما من الخوف والرجاء ونحوهما انما هي من لواحق الممكنات القابلة للنقصان والكمال وما هو
في معرض التغير والزوال ولما ثبت تنزيهه تعالى عن الانفعال عن شئ لم يتصور ان يكون احد هذه الامور غرضا له وكذلك الاستعانة على
الند والضد والشريك فان الاستعانة هي طلب العون من الغير وذلك من لوازم الضعف والعجز والخوف وانه لا عجز فلا استعانة ولا
ند ولا شريك ولا ضد وكذلك نقول لا ند ولا شريك ولا ضد فلا استعانة والغرض تنزيهه سبحانه عن صفات المخلوقين وخواص
المحدثين وقوله لكن خلائق مربوبون وعباد داخرون اي بل خلائق خلقهم بمحض جوده وهو فيضان الخير عنه على كل قابل بقدر ما يقبله
من غير بخل ولا منع وتعويق وبذلك الاعتبار كان كل شئ مربوبا له وهو رب كل شئ وكل عبد ذليل وهو مالكه ومولاه . وقوله لم
يحلل في الاشيا فيقال هو فيها كائن اشارة الى صفة السلب وكونه المحل وللناس في تنزيهه تعالى عن المحل كلام طويل والمعقول من الحلول
عند الجمهور قيام موجود بموجود على سبيل التبعية له وظاهر ان الحلول بهذا المعنى على واجب الوجود محال لان كونه تبعا للغير يستلزم
حاجته اليه وكل محتاج ممكن قال افضل المتاخرين نصير الدين الطوسي ابقاه الله والحق ان حلول الشئ في الشئ لا يتصور الا اذا
كان الحال بحيث لا يتعين الا بتوسط المحل وانه لا يمكن ان يتعين واجب الوجود بغيره فاذن يستحيل حلوله في غيره اذا عرفت ذلك فنقول
لما كان الكون في المحل والنائي عنه والمباينة له امورا انما يقال على ما يصح حلوله فيه ويحله وكان هو تعالى منزها عن الحلول وجب ان يمتنع
عليه اطلاق هذه الامور فاذن ليس هو بحال في الاشياء فليس هو بكائن فيها وان ليس بكائن فيها فليس بنائي عنها ولا مباين لها وقوله
لم يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ الاعيا انما يقال للذي له اعضا من الحيوان وانه ليس تعالى بجسم ولا ذي له جسمانية لم يلحقه بسبب
فعله اعيا وانما قال ما ابتدأ ليكون سلب الاعيا عنه ابلغ اذ ما ابتدئ من الافعال يكون المشقة فيه اتم وتدبيره يعود الى تصرفه
لجميع الذوات والصفات دائما تصريفا كليا وجزئيا على وفق حكمته وعنايته ونحوه قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض ولم يعي بخلقهن وقوله ولا وقف به عجز عما خلق اشارة الى كمال قدرته وان العجز عليه محال وقد سبق بيانه وقوله ولا ولجت

اى بترجيح ... [illegible]

عن كل شئ

في بيان خطبة خطبها لاصحابه في اليوم الذي كان مساؤه ليلة الهرير

اي تنزيه له اعلم
عن الشبهة ثم

عليه شبهة فيما قضى وقدر اشارة الى كمال علمه ونفي الشبهة انما تدخل على العقل في الامور المعقولة الصرفة غير المحسوسة وتبرو ذلك انك علمت ان الوهم لا يصدق حكمه الا في المحسوسات فاما الامور المعقولة الصرفة فحكمه فيها كاذب فالعقل حال استعماله وجه الحق فيها يكون معارضا بالاحكام الوهمية فاذا كان المطلوب غامضا فربما كان في الاحكام الوهمية ما يشبه بعض اسباب المطلوب فتصوره النفس بصورته وتعتقده مبدأ منتجا للباطل في صورة الحق المطلوب لشبهه به ولما كان الباري تعالى منزها عن القوى البدنية وكان علمه لذاته لم يجز ان يعرض لقضائه وقدره شبهة ويدخل عليه فيه شك لكونهما عوارضها وقد عرفت معنى القضاء والقدر فيما سبق وقوله بل قضاء متقن وعلم محكم اي بريء من فساد الشبهة والغلط وقوله وامر مبرم اشارة الى قدره الذي هو تفصيل قضائه المحكم وظاهر ان تفصيل الحكم لا يكون الا محكما وقوله المأمول مع النقم المرهوب مع النعم اقول منبع هذين الوصفين هو كمال قدرته وعموم فيضه وانه لا غرض له وانما الجود المطلق والهبة لكل ما يستحقه ولما كان العبد حال حلول نقمته به قد يستعد بالاستغفار والشكر لافاضة الغفران ورفع النقمة فيفيضها عليه مع بقاء كثير من نعمه لديه كان تعالى مظنة الامل والفزع اليه مما الم وابقاء ما ابقى حتى انه تعالى هو المفيض لصورة الامل واليه اشار بقوله ثم واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وكل حال فاضت نعمته لما كان العبد قد يستعد بالغفلة للاعراض عن شكرها كان تعالى في تلك الحال اهلا لان يفيض عليه بوادر نقمته ويسلبها فكان هو المأمول مع النقم المرهوب مع النعم فهو المستعان به عليه وهو الذي لا مفر منه الا اليه ومن عداه فحلول نقمته غير مجامع للامل رحمته وقيام نعمته معاند لشمول رهبته فلا المأمول ولا المرهوب في كلا الحالين سواه وبالله العصمة والتوفيق

ومن كلام له عليه السلام كان يقول لاصحابه في بعض ايام صفين معاشر المسلمين استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وعضوا على النواجذ فانه انبى للسيوف عن الهام واكملوا اللأمة وقلقلوا السيوف في اغمادها قبل سلها والحظوا الخزر واطعنوا الشزر ونافحوا بالظبى وصلوا السيوف بالخطى واعلموا انكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله فعاودوا الكر واستحيوا من الفر فانه عار في الاعقاب ونار يوم الحساب وطيبوا عن انفسكم نفسا وامشوا الى الموت مشيا سجحا عليكم بهذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان كامن في كسره قد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم

اقول المشهور ان هذا الكلام قاله لاصحابه في اليوم الذي كان مساؤه ليلة الهرير وروي انه قاله في اول اللقاء بصفين وذلك في صفر سنة سبع وثلثين استشعرت الشيء اتخذته شعارا وهو ما يلي الجسد من الثياب والجلباب الملحفة والسكينة الثبات والوقار والنواجذ اقاصي الاضراس ونبا السيف اذا رجع في الضريبة ولم يعمل واللأمة بالهمزة الساكنة الدرع وبالمد والتخفيف مع تضعيف الميم جميع الات الحرب والقلقلة التحريك والخزر بفتح الزاي ضيق العين وصغرها وكذلك تضييقها والنظر بمؤخرها عند الغضب والطعن الشزر ان يكون الى الضرب على غير استقامة بل يمينا وشمالا والظبى جمع ظبة وهو طرف السيف والمنافحة التناول باطراف السيوف والاعقاب جمع عقب وجمع عقب وهو العاقبة والسجح اي سهلا والسواد اهل الكثير والرواق بيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد وثبجه وسطه والكسر جانب الخباء والنكوص الرجوع والصمد القصد ولن يتركم اي ينقصكم واعلم ان الاوامر منه مشتملة على تعليم الحرب والمقاتلة وهي كيفية يستلزم الاستعداد بها افاضة النصر لا محالة **فاولها** الامر باستشعار خشية الله كما يلزم الشعار الجسد وهو استعارة كما سبق وفائدة هذا الامر الصبر على الحرب والثبات جميع امور الباقية او خشية الله مستلزمة لامتثال اوامره ولذلك قدمه **الثاني** الامر باتخاذ السكينة جلبابا تنزيلا للثبات لها لملازمتها منزلة الملحفة في شمولها للبدن والشمول هو وجه الاستعارة وفائدة هذا الامر طرد الفشل وارهاب العدو فان الطيش والاضطراب يستلزمان الفشل وطمع العدو **الثالث** الامر بالعض على النواجذ وفائدته ما ذكره وهو ان ينبو السيف عن الهامة وعلته ان العض على النواجذ يستلزم تصلب العضلات والاعصاب المتصلة بالدماغ فيقاوم ضربة السيف ويكون نكايته فيه اقل والضمير في قوله فانه يعود الى المصدر الذي دل عليه عضوا كقولك من احسن كان خيرا له وقال بعض الشارحين عض النواجذ كناية عن تسكين القلب وطرد الرعدة وليس المراد حقيقته قلت هذا وان كان محتملا لو قطع عن التعليل الا انه غير مراد هاهنا لانه يضيع تعليله بكونه انبى للسيوف عن الهام **الرابع** الامر باكمال اللأمة وكمال الدرع البيضة والسواعد ويحتمل ان يريد باللأمة جميع الات الحرب وما يحتاج اليه فيه وفائدته شدة التحصن **الخامس** الامر بقلقلة السيوف في الاغماد وفائدته سهولة جذبها حال الحاجة فان طول مكثها في الاغماد يوجب صدأها وصعوبة مخرجها حال الحاجة **السادس** الامر بلحظ الخزر وذلك من هيئات الغضب فان الانسان اذا نظر من غضب عليه نظره خزرا وفائدته امور احدها احماء الطبع واستثارة الغضب والثاني ان النظر بكلية العين الى العدو امارة الفشل ومن عوارض الطيش والخوف وذلك يوجب طمع العدو الثالث ان النظر بكليتها اليه يوجب له التفطن والحذر واخذ الاهبة والتحرز والنظر خزرا استغفال له ومظنة الاخذ على غرة **السابع** الامر بالطعن الشزر وذلك ان الطعن يمينا وشمالا يوسع المجال على الطاعن ولان اكثر المناوشة للخصم في الحرب يكون عن يمينه وشماله **الثامن** الضرب باطراف السيوف وفائدته ان مخالطة العدو والقرب الكثير منه يشغل عن التمكن من ضربه **التاسع** الامر بوصل السيوف

البهام

في بيان قضية سقيفة بني ساعدة

ج ۱۲

بالخطى وله فائدتان احديهما ان السيف ربما يكون قصيرا فلا ينال الغرض به فاذا اضاف اليه مد اليد والخطوات بلغ به المراد وفيه قول الشاعر
اذا قصرت اسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فنضارب وقول الآخر نصل السيوف اذا قصرن بخطونا يوما ونلحقها اذا لم تلحق
وقيل لرجل ما اقصر سيفك فقال اطوله بخطوة الثانية ان التقدم في الحرب الى العدو والتقدم اليه بخطوات في حال المكافحة يكسر توهم الضعف
في عدوه ويلقي في قلبه الرعب ويداخله الرهبة واليه اشار حميد بن ثور الهلالي ووصل الخطا بالسيف والسيف بالخطا اذا ظن
ان المرء ذا السيف قاصر ثم لما اراد تاكيد تلك الاوامر في قلوبهم وان يزيدهم اوامر اخرى ردف ذلك بامرين احدهما ان الله تعالى
يراهم وينظر كيف يعملون وذلك قوله واعلموا انكم بعين الله والباء هنا كهي في قولك انت مني بمرأى ومسمع الثاني تذكيرهم بكونهم مع
ابن عم رسول الله ص تنبيها لهم على فضيلته وان طاعته كطاعة رسول الله ص وحربه كحربه كما هو المنقول عنه حربك يا علي حربي ليثبتوا على قتال
عدوهم كما ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله **العاشر** الامر بمعاودة الكر وذلك عند التحرف للقتال والانحياز الى الفئة وان
يستحيوا من الفرار ثم نبههم على قبحه بامرين احدهما انه عار في الاعقاب اي انه عار في عاقبة امركم وسبة باقية خلفكم والعرب تتعير بالفرار
كثيرا الثاني كونه نارا يوم الحساب اي يوجب استحقاق النار وهو من كبائر المعاصي وجعله نارا مجاز اطلاقا لاسم غايته عليه وهو بذكر
لهم بوعيده تعالى ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير **الحادي عشر**
قوله وطيبوا عن انفسكم نفسا وهو تسهيل للموت عليهم الذي هو غاية ما يلقونه من الشدائد في الحرب بالبشارة بما هو اعظم واجل
من الحيوة الدنيا المطلوبة بترك القتال وهو ما اعد لهم من الثواب الباقي وهذا كما يقول احدنا للمنفق ماله مع حسنه له طب نفسا
عما ذهب منك فان الصدقة مضاعفة لك عند الله وتجده خيرا واعظم اجرا ونفسا منصوب على التمييز واشار بها الى النفس المدبرة
لهذا البدن وبالاولى الى الشخص الزائل بالقتل **الثاني عشر** الامر بالمشي الى الموت سجحا اي مشيا سهلا لا تكلف فيه ولا تخشع
فان المتكلف سريع الفرار وهو امر لهم بالمشي الى غاية ما يخافون من القتال ليوطنوا نفوسهم عليها وليتفرغوا للحرب ذمر الغادة من
يستفز الشجاع بمثل ذلك فيسارع الى داعيتها لما يتصوره فيه من جميل الذكر وحسن الاحدوثة وروى سمحا والمعنى واحد وقوله عليكم
بالسواد الاعظم الى قوله الجبن اقول لما شحذهم بالاوامر المذكورة عين مقصدهم واشار بالسواد الاعظم الى اهل الشام مجتمعين وبالرواق
المطنب الى مضرب معاوية وكان معاوية اذ ذاك في مضرب عليه قبة عالية باطناب عظيمة وحوله من اهل الشام مائة الف كانوا تعاهدوا ان لا
ينفرجوا عنه حتى يقتلوا وعين لهم وسط الرواق واغراهم به بقوله ان الشيطان كامن في كسره واراد بالشيطان معاوية وقيل عمرو بن العاص وذلك
ان الشيطان لما كان عبارة عن شخص يضل الناس عن سبيل الله وكان معاوية في اصحابه كذلك عنده عليه السلام لا جرم اطلق عليه لفظ الشيطان وقد
سبقت الاشارة الى معنى الشيطان ويحتمل ان يريد الشيطان ولما كانت محال الفساد هي مظنة ابليس وكان المضرب قد ضرب على غير
طاعة الله كان محلا للشيطان فلذلك استعار له لفظ الجلوس في كسره وقوله وقد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا كناية عن تردد معاوية
وانتظاره لامرهم ان جبنوا وثب وان شجعوا نكص وهرب وعن الشيطان على سبيل استعارة الوثبة والنكوص واليد والرجل ويكون تقديم يده
للوثبة كناية عن تزيينه لاصحاب معاوية الحرب والمعصية وتاخيره للنكوص الرجل كناية عن تهيئته للفرار اذا التقى الجمعان كما حكى الله سبحانه عنه فلما
تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم الاية فان قلت فما معنى نكوص الشيطان على راي من فسره بالقوة الواهمة ونحوها قلت
لما كانت وسوسته تعود الغاية الى النفس صورة ما يحكم بحسنها فقط دون امر اخر كما حكى الله تعالى عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا
ان دعوتكم الاية كان نكوصه يعود الى اعراض الوهم عند عض الحرب ومشاهدة المكروه عن ذلك الحكم ورجوعه عنه وهو معنى قوله اني ارى
ما لا ترون وذلك ان الوهم اذن يحكم بالهرب والاندفاع عن المخوف بعد ان كان قد زين الدخول فيه فيكون اذن قوله اني اخاف الله
والله شديد العقاب موافقة لحكم العقل فيما كان يراه من طاعة الله بترك المعصية بالحرب وكل ذلك من تمام اغراء اصحابه باهل الشام
وتنبيههم على ان باعثهم في الحرب ليس الا الشيطان وانه لا غرض له الا فتنتهم ثم الرجوع والاعراض عنهم **الثالث عشر** امرهم
بقصد عدوهم مؤكدا له بتكريره اي الصمد الصمد والصمد القصد الى غاية ان يظهر لكم نور الحق بالنصر واستعار لفظ العمود للحق الظاهر عن الصبح
للمشاركة بينهما في الوضوح والجلاء فالصبح للحس والحق للعقل ولفظ التجلي ترشيح الاستعارة كنى به عن ظهوره ووضوحه والمعنى الى ان
ينفتح لكم ان الحق معكم بظفركم بعدوكم وقهره اذ الطالب لغير حقه سريع الانفعال قريب الفرار في المقاومة وقوله وانتم الاعلون الاية
تسكين لنفوسهم او بشارة بالمطلوب بالحرب وهو العلو والقهر كما بشر الله تعالى به الصحابة في قتال المشركين وتثبيت لهم على الصبر في طاعة من
فان حزب الله هم الغالبون وقوله ولن يتركم اعمالكم تذكير لهم بجزاء الله لهم اعمالهم في الآخرة وتبشير لهم بذلك على لزوم العمل له وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام قالوا لما انتهت الى امير المؤمنين عليه السلام انباء السقيفة بعد وفاة رسول الله ص قال ما قالت الانصار قالوا
قالت منا امير ومنكم امير قال فهلا احتججتم عليهم بان رسول الله ص وصى بان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم قالوا وما في هذا من الحجة
عليهم فقال عليه السلام لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية بهم ثم قال فماذا قالت قريش قالوا احتجت بانها شجرة الرسول ص فقال احتجوا بالشجرة

واضاعوا الثمرة **اقول** الانباء التي بلغته هي اخبار ما جرى بين الانصار والمهاجرين من المشاجرة في امر الامامة وايقاعهم
البيعة لابي بكر وخلاصة القصة انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة وهي صفة كانوا يجتمعون
بها فخطبهم سعد بن عبادة ومدحهم في خطبته واغراهم بطلب الامامة فقال ان لكم سابقة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب ان رسول الله صلى الله عليه وآله
لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن فما آمن به من قومه الا قليل والله ما كانوا يقدرون ان يمنعوه ولا يدفعوا عنه ضيما
حتى اراد الله بكم خير الفضيلة وساق اليكم الكرامة ورزقكم الايمان به والاقرار بدينه فكنتم اشد الناس على من تخلف عنه منكم واثقله
على عدوه من غيركم حتى استقاموا لامره وذلت لاسيافكم العرب انجز الله لنبيكم الوعد وتوفاه وهو عنكم راض فشدوا ايديكم بهذا الامر
فانتم احق الناس به فاجابوه جميعا ان وفقت واصبت ولم نعد وان نوليك هذا الامر وانتهى الخبر ابا بكر وعمر فجاءا مسرعين الى السقيفة فتكلم
ابو بكر وعمر فجاءا مسرعين الى السقيفة فتكلم ابو بكر فقال للانصار الم تعلموا انا معاشر المهاجرين اول الناس اسلاما ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليه وآله
وانتم انصار الدين ووزراء رسول الله صلى الله عليه وآله واخواننا في كتاب الله وانتم المؤثرون على انفسهم واحق الناس بالرضا بقضاء الله والتسليم لما ساق
الله الى اخوانكم وان لا يكون انتقاض هذا الدين على ايديكم وانا ادعوكم الى بيعة ابي عبيدة او عمر فكلاهما قد رضيت لهذا الامر فقال عمر وابو
عبيدة ما ينبغي لاحد من الناس ان يكون فوقك انت صاحب الغار ثاني اثنين وامرك رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلوة فانت احق بهذا الامر فقالت
الانصار نحن انصار الدار والايمان لم يعبد الله علانية الا عندنا وفي بلادنا ولا عرف الايمان الا من اسيافنا ولا جمعت الصلوة الا في مساجدنا
فنحن اولى بهذا الامر فان ابيتم فمنا امير ومنكم امير فقال عمر هيهات لا يجتمع سيفان في غمد ان العرب لا ترضى ان تؤمركم ونبيها من غيركم فقال
الحباب بن المنذر نحن والله احق بهذا الامر فقد دان لهذا الامر باسيافنا من لم يكن يدين له وان لم يرضوا اجليناكم عن بلادنا انا جذيلها
المحكك وعذيقها المرجب ان شئتم لنعيدنها جذعة والله لا يرد علي احد ما اقول الا حطمت انفه بالسيف هذا فقام بشير بن سعد الخزرجي
وكان حسد سعد بن عبادة ان تصل اليه هذا الامر وكان سيدا في الخزرج وقال انا لم نرد بجهادنا واسلامنا الا وجه ربنا لا عرضا من
الدنيا وان محمدا رجل من قريش وقومه احق بميراث امره واتقوا الله ولا تنازعوهم معشر الانصار فقام ابو بكر فقال هذا عمر وابو عبيدة بايعوا
ايهما شئتم فقال له هذا عمر وابو عبيدة بايعوا ايهما شئتم فقالا لا والله لا نتولى هذا الامر غيرك ولانت احق به ابسط يدك فبسط يده فبايعاه وبايعه
بشير بن سعد وبايعه الاوس كلهم وحمل سعد بن عبادة وهو مريض فادخل منزله وقيل انه بقي ممتنعا من البيعة حتى مات بحوران في طريق الشام
ولنرجع الى المتن فنقول اما الخبر الذي رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله حجة عليهم فهو صحيح اخرجه مسلم والبخاري في مسنديهما
عن انس قال مر ابو بكر والعباس بمجلس من مجالس الانصار في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يبكون فقالا ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله
فدخلا على الرسول فاخبراه بذلك فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله معصبا على راسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثنى
عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم فاما
وجه احتجاجه بهذا الخبر فهو في صورة شرطية متصلة تستثني فيها نقيض تاليها وتقريرها لو كانت الامامة حقا لهم لما كانت الوصية بهم
لكنها بهم فليست الامامة لهم بيان الملازمة ان العرف قاض بان الوصية والشفاعة ونحوهما انما يكون الى الرئيس في حق المرؤوس من غير عكس
واما بطلان التالي فللخبر المذكور واما قوله احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة فاشار بالثمرة اما الى نفسه واهل بيته فانهم ثمرة الغصن المورق
المثمر لتلك الشجرة ولما استعير لفظ الشجرة لقريش استعار لفظ الثمرة لنفسه وقد عرفت فرعيته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكونه ثمرة واضاعتهم
لها اهمالهم له من هذا الامر ويحتمل ان يريد بالثمرة التي اضاعوها سنة الله الموجبة في اعتقاده استحقاقه لهذا الامر وظ كونها ثمرة الرسول
صلى الله عليه وآله واهمالهم لها تركهم العمل بها في حقه وهو كلام في قوة احتجاج له على قريش مثل ما احتجوا به على الانصار وتقديره انهم ان
كانوا اولى من الانصار لكونهم شجرة رسول الله فنحن اولى لكوننا ثمرة وللثمرة اختصاص بالمثمر من وجهين احدهما القرب ومزيته ظاهرة و
الثاني ان الثمرة هي المطلوبة بالذات من الشجرة وغرسها فان كانت الشجرة معتبرة فبالاولى اعتبار الثمرة وان لم يلتفت الى الثمرة فبالاولى
لا التفات الى الشجرة ويلزم من هذا الاحتجاج احد امرين اما بقاء الانصار على حجتهم لقيام هذه المعارضة او كونه احق بهذا الامر وهو المطلوب
والله اعلم بالصواب **ومن كلام له عليه السلام** لما قلد محمد بن ابي بكر مصر فملكت عليه وقتل وقد اردت تولية مصر هاشم بن عتبة
ولو وليته اياها لما خلى لهم العرصة ولا انهزم الفرصة بلا ذم لمحمد بن ابي بكر ولقد كان الي حبيبا وكان لي ربيبا **اقول** كان عليه السلام
ولى محمد بن ابي بكر مصر فلما اضطرب الامر عليه بعد صفين وقوي امر معوية طمع في مصر وقد كان عمرو بن العاص بايعه على ان يكون معه
في قتال علي ويكون مصر له طعمة فبعثه اليها بعد صفين في ستة آلاف فارس وقد كان فيها جماعة عظيمة ممن يطلب بدم عثمن وكانوا
يزعمون ان محمدا قتله فانضافوا الى عمرو وكان معوية كتب الى وجوه اهل مصر اما الى شيعته فبالترغيب واما الى اعدائه فبالترهيب وكتب
محمد بن ابي بكر الى علي بالقصة يستمده بالمال والرجال فكتب اليه يعده بذلك فجعل محمد يدعو اهل مصر لقتال عمرو فانتدب معه
منهم اربعة آلاف رجل فوجه منهم الفين مع كنانة بن بشر لاستقبال عمرو وبقي هو في الفين فابلى كنانة في ذلك اليوم بلاء حسنا وقتل

بعسكر عمرو

من عسكر عمرو خلقا كثيرا ولم يزل يقاتل حتى قتل هو ومن معه فلما قتل تفرق الناس عن محمد واقبل عمرو يطلب محمدا فهرب منه متخفيا فالتجأ
الى خربة فاختفى فيها فدخل عمرو فسطاطه وخرج معاوية بن خديج الكندي وكان من امراء جيش عمرو في طلب محمد فظفر به وقد كاد يموت عطشا
فقدمه فضرب عنقه ثم اخذ جثته فحشاها في جوف حمار ميت واحرقه وقد كان علي عليه السلام وجه لنصرته مع مالك بن كعب الى مصر نحوا من الفي رجل فصار
بهم خمس ليال وورد الخبر الى علي عليه السلام بقتله واخذ مصر فجزع عليه جزعا ظهر اثره في وجهه ثم قال رحم الله محمدا كان غلاما حدثا وقد كنت اردت
الفصل والنهض لكنها اول الشيء والفرصة لنهضته وهي ما امكنك من نفسك وانما اراد تولية هاشم لقوته على هذا الامر وكثرة تجاربه وهاشم
هذا ابن عتبة بن ابي وقاص الذي كسر رباعية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد وكلم شفته وكان هاشم من شيعة علي عليه السلام والمخلصين وكان شهد معه حرب صفين
وابلى فيه بلاء حسنا واستشهد بين يديه بها وقوله لما خلى لهم العرصة اي عرصة الحرب كما فعل محمد وظن انه يجوز انفراده ولو ثبت لثبت معه الناس
وقتل كريما وقوله ولو انهزم الفرصة كناية بالفرصة عن مصر اي ولم يمكنهم منها ولها كما تمكنوا مع محمد وقوله بلا ذم لمحمد اي لست في مدحي
لهاشم ذاما لمحمد ونبه على براءته من استحقاق الذم بوجهين الاول انه كان لي حبيبا وظاهره لا يحب الا مرضيا لله ورسوله بريئا من العيوب
الفاضحة وقد كان محمد رضي الله عنه من نساك قريش وعبادها الثاني انه كان ربيبا له وذلك مما يستلزم محبته وعدم ذمه فاما كونه ربيبا
فلأن ام محمد هي اسماء بنت عميس وكانت تحت جعفر بن ابي طالب هاجرت معه الى الحبشة فولدت له عبد الله بن جعفر وقتل عنها يوم مؤتة فتزوجها
ابو بكر فاولدها محمدا ثم لما مات عنها تزوجها علي عليه السلام فكان محمد ربيبه ونشأ على ولائه منذ صبا وكان علي عليه السلام يحبه ويكرمه ويقول محمد ابني من ظهر
ابي بكر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في ذم اصحابه كم اداريكم كما تدارى البكار العمدة والثياب المتداعية كلما
حيصت من جانب تهتكت من آخر كلما اطل عليكم منسر من مناسر اهل الشام اغلق كل رجل منكم بابه وانجحر انجحار الضبة في جحرها والضبع
في وجارها الذليل والله من نصرتموه ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل انكم والله لكثير في الباحات قليل تحت الرايات واني
لعالم بما يصلحكم ويقيم اودكم ولكني والله لا ارى اصلاحكم بافساد نفسي اضرع الله خدودكم واتعس جدودكم لا تعرفون الحق
كمعرفتكم الباطل ولا تبطلون الباطل كابطالكم الحق **اقول** البكار جمع بكر وهو الفتى من الابل والعمدة هي التي انشدخ سنامها
لثقل الحمل والحوص الخياطة وتهتكت تخرقت واطل اشرف والمنسر بكسر الميم وفتح السين والعكس القطعة من الجيش من المائة الى المائتين وقد
سبق وانجحر الضب دخل جحره وهو في بلية وبيت الضبع وجاره والافوق من النصل السهم لا فوق له ولا نصل والباحة ساحة الدار والاود الاعوجاج
واضرع اذل واتعس اهلك وهذا الفصل يشتمل على توبيخ اصحابه لتقاعدهم عن النهوض معه الى حرب اهل الشام وذكر وجوه التوبيخ **الاول**
حاجتهم الى المداراة الكثيرة وليس ذلك من شيم الرجال ذوي العقول بل من شأن البهائم ومن لا عقل له وشبههم في حاجتهم الى المداراة بشيئين
احدهما بالبكار التي قد انهكها حملها ووجه الشبه بينها وبينهم هو قلة صبرهم وشدة استيفائهم وفرارهم من التكليف بالجهاد واستغنامهم
كما تشتد جرجرة البكر العمد وفراره من معاودة الحمل الثاني بالثياب المتداعية وهي التي يتبع ما لم يتخرق منها ما انخرق في مثل حاله ووجه
الشبه ما ذكره وهو قوله كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر اي كما ان الثياب المتداعية كذلك فكذلك اصحابه كلما اصلح حال بعضهم ومعهم
للحرب فسد بعض آخر عليه **الثاني** شهادة حالهم عليهم بالجبن والخوف وهو قوله كلما اطل الى قوله وجارها وكنى باغلاق كل منهم بابه عن عدم
تعرضه لبعض جيوش الشام منهم عن فرارهم من القتال وكراهيته سماعهم للحرب وشبههم في ذلك الخوف والفرار بالضبة والضبع حين ترى الصائد
او امرا تخافه وانما خص الاناث لانها اولى بالمخافة من الذكران **الثالث** وصفهم بالذلة وقلة الانتفاع بهم فنبه على وصف الذل بقوله الذليل
والله من نصرتموه فانه انما يكون ذليلا لكونهم كذلك ويحتمل ان يشير بذلك الى سوء آرائهم في التفرق والاختلاف ثم بالغ في ذلك بحصر الذل كله
منحصرا بهم فيمن نصروه ونبه على قلة الانتفاع بهم بقوله ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل استعار لهم من اوصاف السهم اردأها وكنى بذلك
عن عدم قابليتهم ونكايتهم في العدو كما لا فائدة في الرمي بالسهم الموصوف **الرابع** وصفهم بالكثرة في المجامع والاندية مع قلتهم في الحرب وتحت
الالوية وذلك يعود الى الذم بالجبن ايضا والغار بيرقات قلة الاجتماع في الحرب التفرق عنه من لوازم الخوف وكما ان مقابل هذا الوصف وهو
الاجتماع والكثرة في الحرب مع القلة في غيره مدح كما قال ابو الطيب ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا فبالحري
ان كان هذا الوصف ذما كما قال عويف القوافي لستم اقل الناس عند لوائهم واكثرهم عند الذبيحة والقدر وقوله واني لعالم الى قوله اودكم
اراد انه لا يصلحهم الا السياسة بالقتل ونحوه كما فعل الحجاج حين ارسل المهلب الى الخوارج روي انه نادى في الكوفة من تخلف عن المهلب بعد ثلث
فقد احل دمه وقتل جماعة فخرج الناس الى المهلب يهرعون وكما يفعله كثير من الملوك وقوله ولكني لا ارى اصلاحكم بافساد نفسي اي انه لم يكن
ليستحل من دماء اصحابه ما يستحل ملوك الدنيا من رعيتهم اذا ارادوا ابقاء ملكهم ولو بفساد دينهم لانه يلزم من اصلاحهم بالقتل اذ كان اصلاحهم
بذلك سببا لفساد نفسه بلزوم آثامهم لها ولما كان من الواجب في الحكمة ان يكون اصلاح الانسان للغير فرعا على صلاح نفسه والا لم يتصور
من مثله ان يفعل فعلا يستلزم فساد نفسه وان اشتمل على وجه من المصلحة فان قلت الجهاد بين يدي الامام العادل واجب ولما ان يحمل عليه
فلم لا يجبرهم بقتلهم قلت الجواب من وجهين احدهما انه ليس كل واجب يجب في تركه القتل كالحج الثاني لعله لو شرع في عقوبتهم بالقتل على تركه

في ذم اهل العراق

الجهاد معه لتفرقوا عنه الى خصمه او سلموه اليه واتفقوا على قتله وكل هذه مفاسد اعظم من تقاعدهم عن دعوته لهم في بعض الاوقات وقوله
اصرع الله الى الخيرة دعا عليهم بالذل وهلاك الحظ ثم نبههم على علة استحقاقهم لدعائه وهي الجهل ثم ما يناسبه من ظلم انفسهم اما الجهل فعدم
معرفتهم للحق كمعرفتهم الباطل واراد به هنا ما يلزمهم من اوامر الله واراد بمعرفتهم الباطل معرفتهم باحوال الدنيا وباطلها والاشتغال بها عن اوامر الله
ويحتمل ان يشير به الى ما يعرض لبعضهم من الشبهة الباطلة في قتال اهل القبلة فيوجب لهم التوقف والتخاذل عن الحرب فيكون مكاثرين معرفتهم
للباطل والحق تنبيها على قوة جهلهم المركب وهو اشد الجهل وغايته توبيخهم بكونهم عن منتهى الجهل فالبسيط هو عدم معرفتهم للحق والمركب هو
تصديقهم بالباطل واما الظلم فهو ابطالهم للحق وذلك اشارة الى تقاعسهم عن طاعة الله ونقصانهم عن سماع مناديه واجابته وعدم ابطالهم
للباطل اشارة الى عدم انكارهم للمنكر من انفسهم وغيرهم وبالله التوفيق **وقال عليه السلم** في سحرة اليوم الذي ضرب فيه ملكتني عيني وانا جالس
فسنح لي رسول الله صلعم فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من امتك من الاود واللدد فقال ادع عليهم فقلت ابدلني الله بهم خيرا لي منهم وابدلهم بي
شرا لهم مني **اقول** السحرة السحر الاعلى واما كيفية قتله عم فمذكور في التواريخ وقوله ملكتني عيني استعارة حسنة وتجوز في التركيب اما الاستعارة
فلفظ الملك للنوم ووجه الاستعارة دخول النائم في غلبة النوم وقهره ومنعه له ان يتصرف في نفسه كما يمنع الملك العبد من التصرف في امره
واما التجوز ففي العين وفي الاسناد اليها اما الاول فاطلاق لفظ العين على النوم لما بينهما من الملابسة اذ انطباق الجفون من عوارضهما واما الثاني
فاسناد الملك الى النوم المتجوز فيه بلفظ العين والواو في قوله وانا للحال وقوله فسنح الى الخيرة اراد بالسنح حضور صورة رسول الله صلعم في لوح خياله
كما علمت وشكايته منهم وجواب الرسول له فيستلزم امرين احدهما انه عم كان في غاية الكرب من تقصيرهم في اجابته ودعوته الى الجهاد حتى
انتهت الحال الى قتله الثاني عدم رضا رسول الله صلعم عنهم وقوله ابدلهم بي شرا لهم مني لا يستلزم ان فيه شرا كما قدمنا بيانه وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلم في ذم اهل العراق اما بعد يا اهل العراق فانما انتم كالمرأة الحامل حملت فلما اتمت املصت ومات قيمها و
طال تأيمها وورثها ابعدها اما والله ما اتيتكم اختيارا ولكن جئت اليكم سوقا ولقد بلغني انكم تقولون يكذب قاتلكم الله
فعلى من اكذب اعلى الله فانا اول من آمن به ام على نبيه فانا اول من صدقه كلا والله ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من اهلها ويل امه
كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء ولتعلمن نبأه بعد حين **اقول** املصت اسقطت والايم التي لا بعل لها واللهجة اللسان والقول الفصيح
وهذا الكلام صدر عنه بعد حرب صفين وفيه مقصودان الاول توبيخهم على تركهم للقتال بعد ان شارفوا النصر على اهل الشام وتحاكمهم الى
التحكيم وابرز هذا المقصود في تشبيههم بالمرأة الحامل وذكر لها اوصافا خمسة وهي وجوه الشبه بينها وبينهم فالحمل تشبيه لاستعدادهم وتعبئتهم للحرب
والاتمام يشبه مشارفتهم للظفر والاملاص تشبيه رجوعهم عن عدوهم بعد طمعهم في الظفر به وذلك رجوع غير طبيعي كالحامل ولا معتاد لها ثم موت
القيم بامورها وهو زوجها وطول تأيمها وذلك يشبه عدم طاعتهم له الجاري مجرى موته عنهم وطول ضعفهم لذلك ودوام عجزهم وذلتهم بعد
رجوعهم لتفرقهم الى خوارج وغيرهم فان موت قيم المرأة مستلزم لضعفها ودوام عجزها وذلتها ثم كونها قد استحق ميراثها البعيد منها لعدم
ولدها وزوجها وذلك يشبه من حالهم اخذ عدوهم الذي هو ابعد الناس عنهم ما لهم من البلاد واستحقاقه ذلك بسبب تقصيرهم عن مقاومته
وبهذه الوجوه من الشبه اشبهوا المرأة المذكورة وتم توبيخهم من هذه الجهة ثم اخبرهم على وجه التضجر من حاله معهم بانه لم يأتهم ايثارا للمقام بينهم
ولكن سوقا قدريا اضطره الى ذلك وصدق فانه لم يكن خروجه من المدينة التي هي دار الهجرة ومفارقته منزل رسول الله صلعم وقبره الى الكوفة الا
لقتال اهل البصرة وحاجته الى الاستنصار باهل الكوفة عليهم اذ لم يكن جيش الحجاز وافيا بمقاتلتهم ثم اتصلت تلك الفتنة بفتنة اهل الشام
فدامت حاجته الى المقام بينهم وروي ولا جئتكم شوقا بالشين المعجمة والمقصود الثاني توبيخهم على ما بلغه من تكذيبهم له فيما ينبئهم على
ذلك برد احكام اوهامهم الفاسدة في حقه وذمهم بجهلهم وقصور افهامهم عما يفيده من الحكمة وهو قوله ولقد بلغني انكم تقولون يكذب
صوبوا دعواهم المقولة وقد كان مما عده من منافقي اصحابه اذا اخبر عن امور ستكون وكانت ثم اخبر عنها واسند ذلك الى رسول الله صلعم بقوله
فيما بينهم شكا فيه فبلغه ذلك كاخباره عن قصة الخوارج وما يكون منهم وعن ذي الثدية وانه سيقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين
ونحو ذلك من الامور الغريبة التي تستنكرها طباع العوام ولا يعقل سرها الا العالمون بل كانوا يكذبونه بحضرته روي انه لما قال لو
كسرت لي الوسادة لحكمت بين اهل التورية بتوريتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في
بر او بحر او سهل او جبل ولا سماء ولا ارض الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي اي شيء انزلت قال رجل من تحت المنبر يا لله وللدعوى الكاذبة
وكذلك لما قال سلوني قبل ان تفقدوني اما والله لتشغرن الفتنة الصماء برجلها وتطأ في خطامها يا لها فتنة شبت نارها بالحطب الجزل
مقبلة من شرق الارض رافعة ذيلها داعية ويلها بدجلة او حولها ذاك اذا استدار الفلك قلتم مات او هلك باي واد سلك فقال
قوم من تحت منبره لله ابوه ما افصحه كاذبا وكأنها اشارة الى الفعل المشار وقابل دعواهم بامرين احدهما الدعاء عليهم بقتال الله لهم وقد
علمت ان قتاله يعود الى مقته وابعادهم عن رحمته الثاني الحجة ونبه بها ان الذي اخبركم به من هذه الامور انما هو عن الله وعن رسوله فلو
كذبت فيه لكذبت اما على الله وهو باطل لاني اول من آمن به واول مؤمن به لا يكون اول مكذب له او على نبيه وهو باطل لاني اول من صدقه

ولا معتادا للعناد لكان الاملاص امرا غير طبيعي

ما قال له بعض منافقي اصحابه

في بيان صفات المدعو والمدعو له وانواع المدعو

ح
٢٣

واتبع ملته وقوله كلا والله لصدق دعواهم بعد الحجة كانه قال فاذن دعواكم على الكذب فيما اخبركم به باطلة وقوله ولكنها لهجة غبتم عنها
ولم تكونوا من اهلها يريد به بيان منشأ دعويهم الفاسدة لتكذيبه وذلك كون ما يقوله ويخبر به من الامور المستقبلة ونحوها طورا
وراء عقولهم الضعيفة التي هي بمنزلة اوهام سائر الحيوان ولايسع فهمهم اسرارها باهل واشار باللهجة الى تلك الاقوال واسرارها وبغيبتهم
عنها الى غيبة عقولهم عن ادراكها ومعرفة امكانها في نحو مثله او الى غيبتهم عنها عند القاء الرسول صلى الله عليه وآله قوانينها الكلية اليه وتعليمه لابوابها
وتفصيل ما اتصل منها له وظاهر انه لما كانت عقول اولئك وامثالهم مقهورة تحت سلطان اوهامهم وكان الوهم مكذبا ومنكرا لمثل هذه
الاحكام لاجرم لم تنهض عقولهم لتصديقه فيها ولم تجوز اطلاعه عليها بل تبعت اوهامهم في الحكم بتكذيبه وحاله في ذلك بحضرة
من حال رسول الله صلى الله عليه وآله مع منافقي قومه وقوله ويل امه فالويل في الاصل دعاء بالشر وخبره واضافته الى الام دعاء عليها ان تصاب باولادها
وقيل انها تستعمل للرحمة وقيل تستعمل للتعجب واستعظام الامر وقوله كيلا بغير ثمن اشارة الى ما يفيضه عليهم من الاخلاق الكريمة والحكم
البالغة التي لا يريد بها جزاء ولا ثمنا ثم لا يفهمونها ولا يجذبون بها انفسهم لكون نفوسهم غير مستعدة لقبولها فليس لها اذن من تلك
الانفس وعاء يقبلها واستعار لفظ الكيل وكنى به عن كثرة ما يلقيه اليهم منها وهو مصدر استغنى به عن ذكر فعله فعلى هذا يحتمل ان يكون
ويل امه دعاء بالشر على من لم يفقه مقاله ولم يقتبس الحكمة منه والضمير لاتباع تلك او فت وان لم يجر لذكرهم ذكر بل لانه يعود اليه لكنه
موجود في كل شخص منهم وكانه قال ويل لامهم ويحتمل ان يكون ترحما لهم فان الجاهل مرحوم ويحتمل ان يكون تعجبا من قوة جهلهم
او من كثرة كيله للحكم عليهم مع اعراضهم عنها وقوله ولتعلمن نباءه بعد حين اقتباس لهذه الاية المفصحة عن مقصوده اي ولتعلمن نبأ
جهلكم واعراضكم عما امركم به والقيه اليكم من الحكم والاراء الصالحة وينكشف لهم ثمرة ذلك بعد حين واشار بالحين اما الى مدة الحياة
الدنيا وثمرة افعالهم اذن الندامة والحسرة على ما فرطوا في جنب الله حيث لا ينفع الا الاعمال الصالحة وذلك حين نزول الموت بهم وغواشي
ابدانهم وتطرح نفوسهم علائقها بالموت واما الى مدة حيوة هواى ستعلمون عاقبة فعلكم هذا بعد مفارقتي لكم والعاقبة اذن ابتلاؤهم
بمن بعده من بني امية وغيرهم بالقتل والذل والصغار وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** علم فيها الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله
اللهم داحي المدحوات وداعم المسموكات وجابل القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك ونوامي
بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والفاتح لما انغلق والمعلن الحق بالحق والدافع جيشات الاباطيل و
الدامغ صولات الاضاليل كما حمل فاضطلع قائما بامرك مستوفزا في مرضاتك غير ناكل عن قدم ولا واه في عزم واعيا لوحيك
حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبس القابس واضاء الطريق للخابط وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن
والاثام اقام موضحات الاعلام ونيرات الاحكام فهو امينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك بالحق
ورسولك الى الخلق اللهم افسح له مفسحا في ظلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك اللهم واعل على بناء البانين بناءه و
اكرم لديك منزلته واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضي المقالة ذا منطق عدل وخطبة فصل اللهم اجمع بيننا وبينه
في برد العيش وقرار النعمة ومنى الشهوات واهواء اللذات ورخاء الدعة ومنتهى الطمأنينة وتحف الكرامة **اقول** المدحوات المبسوطات
والمسموكات المرفوعات ودعمها حفظها بالدعامة وجبل خلق والفطرات جمع فطرة وهي الخلقة والدمغ كسر عظم الدماغ وجيشات جمع جيشة
من جاشت القدر اذا ارتفع غليانها واضطلع بالامر قوي على حمله والقيام به من الضلاعة وهي القوة والاستيفاز الاستعجال والنكول
الرجوع والقدم التقدم والوهي الضعف ووعى الامر فهمه والقبس شعلة النار واورى ذكى اشعل وقد اشتملت هذه الخطبة على ثلثة فصول
الاول في صفات المدعو وتمجيده وهو الله سبحانه **الثاني** في صفات المدعو له وهو النبي صلى الله عليه وآله **الثالث** في انواع المدعو به وذلك هو
الترتيب الطبيعي فبدء بتمجيد الله فهو باعتبارات ثلثة **احدها** كونه داحي المدحوات اي باسط الارضين السبع وظاهر كونها مدحوات فان كل
طبقة منها اذا اعتبرت كانت مبسوطة فاما صدق البسط على جملة الارض مع انها كرة وشهادة ظاهر قوله والارض بعد ذلك دحيها وذلك
وقوله والارض مددناها فهو باعتبار طبقاتها وقد يصدق عليها البسط باعتبار سطحها البارز من الماء الذي يتصرف عليه الحيوان
فانه في الاوهام سطح مبسوط وان كان عند الاعتبار العقلي محدبا واليه الاشارة بقوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والله جعل
لكم الارض بساطا **الثاني** داعم المسموكات اي حافظ السموات ان تقع على الارض فان قلت قد قال في الخطبة الاولى بلا عمد تدعمها
ثم جعلها هنا مدعومة وهو خلف الجمع قلت لم ينف هناك الا كونها مدعومة بعمد فهذا الاينافي كونها مدعومة بغير العمد وقد بينا هناك
ان الدعامة التي تقوم بها السموات قدرته تعالى **الثالث** كونه جابل القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها اي خالق النفوس على خلقها
عليه من الهيئة والاستعداد للسلوك سبيلي الخير والشر واستحقاق الشقاوة والسعادة بحسب القضاء الالهي كما قال تعالى ونفس وما سويها
فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وقوله وهديناه النجدين اي الهمناه معرفة سلوك طريقي الخير و
الشر واهل العرفان كثيرا ما يعبرون عن النفس بالقلب فشقيها مبتدا والقلوب اي خالق شقي القلوب وسعيدها على فطراتها المكونة

صفات ...

في بيان صفات المدعو والمدعو له وانواع المدعو به

في اللوح المحفوظ فمن اخذت العناية الالهية بزمام عقله على وفق ما كتب له فاعدته لقبول الهداية لسلوك سبيل الله فهو السعيد
ومن لحقته حبائل القضاء الالهي فخطفته الى مهاوي الهلكة فذلك هو الشقي البعيد واليه الاشارة بقوله تعالى فمنهم شقي وسعيد
الاية وقوله واجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك بعض مطلوباته من هذا الدعاء وشرائف
صلواته ما عظم من رحمته وكمال جوده على النفوس المستعدة لها ونوامي بركاته ما زاد منها **الفصل الثاني** ذكر للنبي
احدا وعشرين وصفا على جهات استحقاق الرحمة من الله وزيادة البركة المدعو بها **الاول** كونه عبد الله وظاهر كون العبودية جهة
لاستحقاق الرحمة **الثاني** كونه رسولا له والرسالة نوع خاص من الاستعباد توجب مزيد الرحمة والشفقة **الثالث** كونه خاتما
لما سبق من انوار الوحي والرسالة بنبوته وما جاء من الدين الحق وظ كون ذلك جهة استعداد ومتمم لقبول الرحمة وقد جاء الكمال
الرابع كونه فاتحا لما انغلق من سبيل الله قبله وطريق جنته وحضرة قدسه بانه رأس الشرائع فقد فتح ما انغلق من السبيل الشرعي وكيفيته
هداية الخلق فيها **الخامس** كونه قد اظهر الحق بالحق والاول هو الدين وما يدعو اليه والثاني فيه اقوال فقيل هو المعجزات
اذ بسببها تمكن من اظهار الدين وقيل الحرب والخصومة يقال فلان حاق فلانا فحقه اي خاصمه فغلبه وقيل هو البيان اي
اظهر الدين بالبيان الواضح واقول الاشبه انه اراد اظهر الحق بعضه ببعض وكل جزئي من الحق حق وذلك ان الدين لم يظهر بعضه
واتمامه الاسلام على خمس ثم كثرت فروعه وهو الاصل يظهر الفرع وظ كون اظهاره الحق جهة لاستحقاقه الرحمة **السادس** كونه
دافعا لجيشات الاباطيل اي لثوران فتن المشركين وابتغائهم لاطفاء انوار الله ولفتنتهم الشائعة التي كانت معتادة من الغارات
وحروب بعضهم لبعض فان كل ذلك امور باطلة على غير قانون عدلي من الله وذلك الدفع من جهات قبول الرحمة **السابع** كونه دامغا صولات
الاضاليل وهو قريب من السادس استعار لفظ الدمغ لهلاك الضلال بالكلية ببركة مقدمه صلى الله عليه وآله ووجه الاستعارة
كون الدمغ مهلكا للانسان فاشبه ما اهلاك الباطل ومحاه من افعال الرسول صلى الله عليه وآله والضلال هنا الانحراف عن طريق الله الى الاثم عن
الجهل بها واستعار لفظ وصف الصولات له ملاحظة لشبه المنحرفين عن سبيل الله الى الفساد في قوة انحرافهم وشدة فسادهم بالفحل
الصائل **الثامن** كونه حمل الرسالة فقام بما كلف به وقوي عليه وقائما على الحال وكذلك المصوبات بعده وهي مستوفزا غير
ناكل وكذلك محل لا واهي وواعيا وحافظا وماضيا وفي قوله كما حمل لطف اي صل عليه صلاة مناسبة مشابهة لتحميلك له
الرسالة وقيامه بها لان الجزاء من الحكيم العدل يكون مناسبا للفعل المجزي ولاجل كونها جهة استحقاق طلب مناسبتها
التاسع كونه عاملا في رضا الله بامتثال اوامره **العاشر** كونه غير ناكل عما ينبغي قدمه فيه عن طاعة الله **الحادي عشر** كونه ماضي العزيمة
في القيام بامر الله غير واهن فيه **الثاني عشر** كونه واعيا لوحيه ضابطا له قوي النفس على قبوله **الثالث عشر** كونه حافظا للعهد الماخوذ
عليه من تبليغ الرسالة واداء الامانة وقد سبق بيان معنى العهد في الخطبة الاولى **الرابع عشر** كونه ماضيا على نفاذ امره
في العالم وجذب الخلق الى سلوك سبيله **الخامس عشر** ما انتهى اليه من الغاية باجتهاده في رضا الله وهو كونه
اورى قبس القابس اي اشعل انوار الدين وقدح زناد الافكار حتى اظهر انوار العلوم منها للمقتبسين واستعار لفظ القبس
لنور العلم والحكمة ولفظ الوري لاظهار الرسول لتلك الانوار في طريق الله وقد سبق وجه الاستعارة **السادس عشر**
كونه اضاء الطريق للخابط فالطريق هي طريق الجنة والحضرة الالهية واضاءته لها باظهار تلك الانوار وبيانها بتعليم كيفية سلوكها
والارشاد اليها والخابط هو الجاهل الذي فقد الحكمة الالهية ارشاده حيث كان يخبط في ظلمات الجهل **السابع عشر**
كونه قد هديت به القلوب الى موضحات الاعلام اي الادلة الواضحة على الحق ونيرات الاحكام هي المطالب الحقة الواضحة اللازمة
من تلك الادلة بعد ما كانت القلوب فيه من خوضات الفتن والاثام اللازمة عما اجترحته من السيئات وذلك من ثمرة **الثامن عشر**
كونه امين الله اي على وحيه ورسالته والمامون تاكيد للامانة وقد عرفت معنى الامانة **التاسع عشر** كونه خازن علمه المخزون
اي علوم الله الغيبية التي لا تنال اهل لحملها كل البشر المشار اليها بقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
العشرون كونه شهيد يوم الدين كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اي شاهدا يوم القيمة
على امته بما علم منهم من خير وشر فان قلت ما حقيقة هذه الشهادة وما فائدتها مع ان الله تعالى عالم الغيب والشهادة قلت اما
حقيقتها فيعود الى اطلاعه صلى الله عليه وآله على افعال امته وبيان ذلك انك علمت فيما سلف ان للنفوس القدسية الاطلاع على
الامور الغائبة والانتقاش بها مع كونها في جلابيب من ابدانها فكيف بها اذا فارقت هذا العالم والجسم المظلم فانها اذن تكون مطلعة
على جميع افعال امتها ومشاهدة لها من خير او شر واما فائدتها فقد علمت ان اكثر احكام الناس وهمية والوهم منكر للاله على الوجه
الذي هو الحق حتى انه ينكر كونه عالما بجزئيات افعال العباد ودقائق خطرات اوهامهم وظ ان ذلك الانكار يستلزم عدم المبالاة
بفعل القبيح والانهماك في الامور الباطلة التي نهى الله تعالى عنها فاذا ذكرهم ان عليهم شهداء ورقباء وكتابا لما يفعلون مع صدق كل

ذيل بالحسن

ذلك ما حسن تأويل كان ذلك مما يعين العقل على كسر النفس الأمّارة بالسوء وقهر الأوهام الكاذبة وبردع النفس عن متابعة الهوى ثم لا بد لكل رسول من امناء على دينه وحفظة لهم لدهم شهداء ايضا على من بعده الى قيام الساعة واذا كان معنى الشهادة يعود الى اطلاع الشاهد على ما في ذمة المشهود عليه وعلمه بحقيقته وفائدتها حفظ ما في ذمة المشهود عليه وتخوفه ان يجحده او لم يوصله الى مستحقه ان يشهد عليه الشاهد فيفضحه ويُنتزع منه على اقبح وجه وكان هذا المعنى والفائدة قائمين في شهادة الانبياء عليهم السلام اذ بها تحفظ اوامر الله وتكاليفه التي هي حقوقه الواجبة ويحصل الخوف للمقصرين فيها بذكر شهادة الرسل عليهم بالتقصير فيفتضحوا في محفل القيامة ويستوفى منهم جزاء ما كلفوا به فقصروا فيه بالعقاب الأليم لا جرم ظهر معنى كونهم شهداء الله على خلقه **الحادي والعشرون** كونه مبعوثا بالحق وهو الدين الثابت المبلغ نفعه وثمرته في الآخرة ثم اعاد ذكر كونه رسول الله الى خلقه وانما كرره لانه الاصل في باقي الاوصاف وظاهر ان كل هذه الاوصاف جهات استحقاق الرحمة والبركة وافاضة الصلوات الالهية على نفسه القدسية **الفصل الثالث** في تفصيل المطلوب من هذا الدعاء وهو قوله اللهم افسح له مفسحا في ظلك وطلب امورا **احدها** ان تفسح له مفسحا في ظله اي مكانا متسعا في حضرة قدسه وظل جوده ولفظ الظل مستعار للجود ووجه المشابهة راحة المستظل بالظل من حر الشمس فاشبهها راحة الملتجئ الى جود الله المستظل به من حرارة جهنم وسعيرها واليه الاشارة بقوله في ظل ممدود **الثاني** ان تجزيه مضاعفات الخير من فضلك اي يضاعف له الكمالات من نعمك وقد علمت ان مراتب استحقاق نعم الله غير متناهية **الثالث** ان تعلي على بناء البانين بناءه ويحتمل ان يريد ببنائه ما شيده من الدين فيكون اعلاؤه المطلوب هو اتمام دينه واظهاره بعده على الاديان كلها ويحتمل ان يريد به ما شيده من الملكات الخيرية واستحقه من مراتب الجنة وقصورها **الرابع** ان يكرم لديه منزلته وهو انزاله المنزل المبارك الموعود وقل رب انزلني منزلا مباركا **الخامس** ان يتم له نوره وهو اما النور الذي بعث به وانما تمامه انتشاره في قلوب العالمين واما النور الذي في جوهره واتمامه زيادة كماله **السادس** ان يجزيه عن بعثته قبول شهادته ومرضي مقالته ومقبول الجزاء وذا منطق نصب على الحال و قبول شهادته كناية عن تمام الرضى عنه اذ من كان مقبول الشهادة مرضي القول فلا بد وان يكون بريئا من جهات الرذائل المسخطة او كناية عن كونه مستغرقا في مشاهدة انوار الحق وغيرها بريئة عن كدر الاغاليط وشوائب الاوهام وكذلك رضى اقواله في شفاعته وغيرها وكونه ذا منطق عدل اي لا يجور فيه عن الحق وخطبة فصل اي مميزة للحق فاصلة له من الباطل وكل هذه الاعتبارات وان اختلفت مفهوماتها ترجع الى مطلوب واحد وهو طلب زيادة كماله الاتم وقربه من الله تعالى وقوله اللهم اجمع الى آخره سأل الله ان يجمع بينه وبين الرسول في امور **احدها** برد العيش والعرب يقول عيش بارد اذا كان لا كلفة فيه من حرب وخصومة وهو في الآخرة يعود الى ثمرات الجنة التي لم يمحضها كدر الاتعاب **الثاني** قرار النعمة اي مستقرها وهو الجنة وحضرة رب العالمين **الثالث** منى الشهوات وهو ما تتمناه النفس من المشتهيات وتهواه من اللذات بنعيم الابد **الرابع** رخاء الدعة ومنتهى الطمأنينة اي اتساع سكون النفس بلذة مفارقة البدن بالملأ الاعلى وامنها من مزعجات الدنيا وراحتها من متاعبها **الخامس** تحف الكرامة وهي ثمرات الجنة ولطائفها التي بنيت وسائر ما اعد لتحف اوليائه الابرار مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

ومن كلام له عليه السلم

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة قالوا لما اخذ مروان بن الحكم اسيرا يوم الجمل فاستشفع بالحسن والحسين عليهما السلم الى امير المؤمنين فكلماه فيه فخلى سبيله فقالا له يبايعك يا امير المؤمنين فقال الم يبايعني بعد قتل عثمن لا حاجة لي في بيعته انها كف يهودية لو بايعني بيده لغدر بسبته اما ان له امرة كلعقة الكلب انفه وهو ابو الاكبش الاربعة وستلقى الامة منه ومن ولده يوما احمر **اقول** السبة الاست والامرة بالكسر الولاية والكبش للقوم رئيسهم ولما امتنع من بيعة مروان نبه على سبب امتناعه من ذلك وهو انه مظنة الغدر وذلك قوله انها كف يهودية اذ من شأن اليهود الخبث والمكر والغدر ثم فسر ذلك لكنايته بقوله لو بايعني بيده لغدر بسبته وذكر السبة اهانة له لان الغدر من اقبح الرذائل فنسبته الى السبة اولى والعرب تسلك مثل ذلك في كلامها قال المتوكل يوما لابي العيناء الى متى تمدح الناس وتذمهم فقال ما احسنوا واساؤا ثم قال يا امير المؤمنين ان الله تعالى رضي فمدح فقال نعم العبد انه اواب وسخط فذم فقال عتل بعد ذلك زنيم والزنيم ولد الزنا ثم ذكر ما سيكون من امر مروان بثلثة امور **احدها** انه سيصير امير المسلمين ونبه على قصر مدة امارته بتشبيهها بلعقة الكلب انفه ووجه الشبه هو القصر وكانت مدة امرته اربعة اشهر وعشرا وروي ستة اشهر وانما خصه بلعقة الكلب لانه في معرض الذم والبحث عنه ما هو في قوله اما انه سيظهر عليكم **والثاني** انه سيكون ابا للاكبش الاربعة وكان له اربعة ذكور لصلبه وهم عبد الملك وولي الخلافة وعبد العزيز وولي مصر وبشر وولي العراق ومحمد وولي الجزيرة ويحتمل ان يريد بالاربعة اولاد عبد الملك وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام كلهم ولي الخلافة ولم يلها اربعة اخوة الا هم **الثالث** الخبر بما يصدر عنه ومن ذريته من الفساد في الارض وما يلقى الناس منهم من القتل وانتهاك الحرمة وكنى عن قتلهم للناس وشدائد ما يلقون منهم بالموت الاحمر ومن لسان العرب وصف الامر الشديد بالاحمر ولعله لكون الحمرة وصف الدم كنى به عن القتل ويروى يوما احمر وهو كناية عن وقع

في بيان خطبة خطبها في بيعة عثمن

مرهم ووصفه ما جرت كنايته عن شدته وفساد بني امية ودمارهم للاسلام واهله مشهود وفي كتب التواريخ مسطور **ومن كلام له عليه السلم**
في بيعة عثمن لقد علمتم اني احق بها من غيري والله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن فيها جور الا علي خاصة التماسا لاجر ذلك
من زخرفه وفضله وزهدا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه **اقول** الزخرف الزينة ويقال الذهب والزبرج النقش والزينة
بالحلية ايضا وقوله لقد علمتم اني احق بها يشير الى ما علموه من وجه استحقاقه للخلافة وهو استجماعه للفضائل الداخلية والخارجية
والضمير في بها للخلافة وهو اما ان يعود الى ذكرها في فصل تقدم متصلا بهذا الفصل او لشهرتها وكون الحديث فيها قرينة معينة
لها كما قال قبل لقد تقمصها وقوله والله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين اى لاتركن المنافسة في هذا الامر مهما سلمت امور المسلمين من
الفتنة وفيه اشارة الى ان غرضه من المنافسة في هذا الامر هو صلاح حال المسلمين واستقامة امورهم وسلامتهم عن الفتن وكان لهم
عن سلف من الخلفاء قبله استقامة امر وان كانت لا تبلغ عنده كمال استقامتها لو ولي هو هذا الامر فلذلك اقسم ليسلمن ذلك الامر ولا
ينازع فيه اذ لو نازع فيه لثارت الفتنة بين المسلمين وانشقت عصا الاسلام وذلك ضد مطلوب الشارع وانما تعين عليه النزاع
والقتال عند خوف الفتنة وقيامها فان قلت السؤال من وجهين الاول ما وجه منافسته في هذا الامر مع انه منصب يتعلق بامور
الدنيا وصلاحها مع ما اشتهر عنه من الزهد فيها والاعراض عنها وذمها ورفضها الثاني كيف سلم هيهنا خوف الفتنة ولم يسلم
لمعوية وطلحة والزبير مع قيام الفتنة في حربهم قلت الجواب عن الاول ان منصب رسول الله صلعم ليس منصبا دنياويا وان كان متعلقا
باصلاح احوال الدنيا لكن لا لكونها دنيا بل لانها مضمار الاخرة ومزرعتها والغرض من اصلاحها انما هو نظام احوال الخلق في معاشهم و
معادهم فمنافسته في هذا الامر على هذا الوجه من الامور المندوب اليها اذا اعتقد ان غيره لا يغني غناءه في القيام به فضلا ان يقال
القيام به فضلا ان يقال انها لا تجوز وعن الثاني ان الفرق بين الخلفاء الثلثة وبين معوية في اقامة حدود الله والعمل بمقتضى
اوامره ونواهيه ظاهر وقوله ولم يكن فيها جور الا علي خاصة تظلم من عدلهم بها عنه ونسبة لهم الى الجور وذم من استخفها في انظارهم فاوصلوها
اليه من ساير الخلفاء وخاصة نصب على الحال وقوله التماسا لاجر ذلك الى الاخرة والتماسا مفعول له والعامل لاسلمن اي التمس ثواب
الله وفضله بتسليمي وصبري وكذلك قوله وزهدا مفعول له وفيه ايماء الى ان مقصود غيره من طلب هذا الامر والمنافسة فيه ليس الا الدنيا
وزخرفها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** لما بلغه اتهام بني امية له بالمشاركة في دم عثمن اولم ينه امية علمها بي عن قرفي
اوما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي ولما وعظهم الله به ابلغ من لساني انا حجيج المارقين وخصيم المرتابين على كتاب الله تعرض الامثال
وبما في الصدور تجازى العباد **اقول** قرفني بكذا اى اتهمني به ونسبه الى ووزع كف وحجيجهم محاجهم والخصيم المخاصم وقوله اولم
ينه اوما وزع استفهام من عدم انتهائهم عن نسبته الى دم عثمن مع علمهم بحاله وقوته في الدين وعصمته عن دم حرام فضلا عن مثل عثمن
استفهاما على سبيل الانكار عليهم والتعجب منهم ونسبتهم الى الجهل لجهلهم بما نسبه حاله وسابقته في الاسلام الى امثالها مما قرفوه به و
قوله ولما وعظهم الله به ابلغ من لساني تعذير لنفسه في عدم ردعهم عن الغيبة وامثالها اى اذا كان وعظ الله لهم مع كونه ابلغ من كلامي
لا يردعهم فكلامي بطريق الاولى وزواجر كتاب الله كقوله ان بعض الظن اثم وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه
ميتا الاية وقوله والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ونحوه من القران كثير واطلق لفظ
وعظه مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقوله انا حجيج المارقين اى الخوارج او كل من خرج عن دين الله وخصيم المرتابين اى الشاكين
في نسبة هذا الامر الي وقيل المنافقين الشاكين في صحة الدين وقوله على كتاب الله تعرض الامثال الى اخره اشارة الى الحجة التي يحج بها
ويخاصم وتقريرها ان تعلق هذا المنكر به اما من جهة اقواله وافعاله او اعتقاداته وارادته والثلثة باطلة فتعلق هذا المنكر به ونسبته اليه
باطلة بيان الحصر ان هذه الجهات هي جهات صدور المنكر عن الانسان بيان بطلان الاول والثاني انه ان كان قد حصل في اقواله و
افعاله ما يشبه الامر بالقتل او فعله فاوقع في نفوس الجهال شبهة القتل نحو ما روي عنه لما سئل عن قتل عثمن الله قتله وانا معه او كنت خلفه
في داره يوم قتل عن الخروج فينبغي ان يعرض ذلك على كتاب الله تعالى فانه عليه تعرض الامثال والاشباه فان دل على كون شيء من ذلك
قتلا فليحكم به والا فلا ولن يدل ابدا فليس لهم ان يحكموا بالقتل من جهة قول وفعل واما بطلان الثالث فلان علم ما في القلوب الى
الله وهو المجازي بما فيها من خير او شر وليسوا مطلعين على ما هنالك حتى يحكموا بالقتل من جهتها فاذا حكمهم بتعلق هذا المنكر به باطل و
بالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** رحم الله امرءا سمع حكما فوعى ودعي الى رشاد فدنا واخذ بحجزة هاد فنجا راقب
ربه وخاف ذنبه قدم خالصا وعمل صالحا اكتسب مذخورا واجتنب محذورا ورمى غرضا واحرز عوضا كابر هواه وكذب
مناه جعل الصبر مطية نجاته والتقوى عدة وفاته ركب الطريقة الغراء ولزم المحجة البيضاء اغتنم المهل وبادر الاجل وتزود
من العمل **اقول** الحجزة معقد الازار والمراد الفئة الحافظة والغراء البيضاء واعلم ان هذا الفصل يشتمل على سؤاله الرحمة لعبد
استجمع ما ذكر من الامور وهي عشرون وصفا **الاول** ان يسمع الحكم فيعيه والحكم الحكمة ووعاؤه لسامعها وحفظها فيلتزم امر متعلقها

وتعلمها

وتعليمها وهي اتم من العلمية والعملية وغايتها اي فهمها كالقيت اليه **الثاني** كونه ذا دعي الى رشاد ذنا من الداعي اليه واجاب دعاؤه والرشاد
بعوالي ما يهتدي به ويرشد الى طريق معاشه ومعاده من العلوم والاعمال التي وردت بها الشريعة **الثالث** ان ياخذ بحجزة هاد فينجو اي
يكون في سلوكه لسبيل الله مقتديا باستاذ مرشد عالم متحصل بما ذكر واستعار لفظ الحجزة لاثر الاستاذ وسنته ووجه المشابهة كون
مهتدى المقتدي لانما استنه شيخه في مضايق طريق الله وظلماتها ينجو به كما يلزم السالك لطريق مظلم اذا سلكه مثل الحجزة احترازا سلك
تلك الطريق وصار دليلا فيها ليهتدى به ويخوض لنيه في ظلماتها وبين اهل السلوك خلاف انه هل يفتقر المريد الى الشيخ في سلوكه
ام لا واكثرهم يرى وجوبه ويفهم من كلامه وجوب ذلك ويحتمل منها ذكر يتبع الموجب له اذ كان لسان العارفين ومنتهى طبقاتهم و
ظاهر ان طريق المريد مع الشيخ اقرب الى الهدى ومنه وبدونه اطول واقرب الى الضلال عنها فلذلك قال فنجا اي ان النجاة معلقة
به وقد ذكرنا ما احتج به الفريقان في كتاب مصباح العارفين **الرابع** ان يراقب ربه واعلم ان المراقبة احدى ثمرات الايمان و
هي رتبة عظيمة من رتب السالكين قال رسول الله صلى الله عليه وآله اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال تعالى افمن هو قائم على كل
نفس بما كسبت وقال ان الله كان عليكم رقيبا قال الامام الغزالي وحقيقتها انها حالة للنفس يثمرها نوع من المعرفة وتثمر اعمالا
في الجوارح والقلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به واما العلم المثمر لها فهو العلم بان الله تعالى مطلع على الضمائر
والسرائر قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلوب مكشوف له كظاهر البشرة للخلق بل هو اشد فهذه المعرفة اذا استولت على
القلب ولم يبق فيها شبهة فلا بد ان تجذبه الى مراعاة الرقيب والموقنون بهذه المعرفة منهم الصديقون ومراقبتهم التعظيم والاجلال
واستغراق القلب بملاحظة ذلك الجلال والانكسار تحت الهيبة والعظمة بحيث لا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير اصلا وهي
مراقبة مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعة كانت
كالمستعمل لها فلا تصلح لغيرها ولا تحتاج الى تدبير في ضبطها على سنن السداد ومن نال هذه الرتبة فقد يغفل عن الخلق حتى لا
يبصرهم ولا يسمع اقوالهم ومثل هذا من يحضر في خدمة ملك عظيم فان بعضهم قد لا يحس بما يجري في حضرة الملك من استغراقه
بهيبته ومن يشغله امر مهم يفكر فيه وروي ان يحيى بن زكريا عليهما السلام مر بامراة فدفعها على وجهها فقيل له لم فعلت فقال ما ظننتها
الا جدارا الثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب بعض اطلاع الله تعالى على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل
بقيت قلوبهم على الاعتدال متسعة للتلفت الى الاقوال والاعمال الا انها مع مدارستها للعمل لا تخلو عن المراقبة وقد غلب الحياء
من الله على قلوبهم فلا يقدمون ولا يحجمون الا عن تثبت فيمتنعون عن كل امر فاضح في القيامة اذ يرون الله تعالى مشاهدا لاعمالهم في الدنيا
كما يرونه في القيامة ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج ان يراقب جميع حركاته وسكناته ولحظاته وجميع اختياراته ويرصد كل خاطر
يبدو له فان كان الهيا يعجل مقتضاه وان كان شيطانيا بادر الى قمعه واستحيا من ربه ولام نفسه على اتباع هواه فيه وان شك
فيه توقف الى ان يظهر له بنور الله سبحانه من اي جانب هو كما قال عليه السلام الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ولا يهمل
شيئا من اعماله وخواطره وان قل ليسلم من مناقشة الحساب فقد قال الرسول صلى الله عليه وآله ان الرجل ليسئل عن كحل عينيه وعن فت الطين باصبعه
وعن لمسه ثوب اخيه **الخامس** ان يخاف ذنبه واعلم ان الخوف ليس مما هو ذنب بل من المعاقب على الذنب لكن لما كان الذنب
سببا موجبا لسخط المعاقب وعقابه نسب المخوف اليه وقد سبق منا بيان حقيقتي الخوف والرجاء **السادس** ان يقدم خالصا
ان يكون حركاته كلها خالصة لله من قول وعمل وخاطر بريئة عن الالتفات الى غيره فيها وقد سبق معنى الاخلاص في الخطبة الاولى
السابع ان يعمل صالحا وصلاح العمل الاتيان به كما امر به وهو نوع مما تقدم **الثامن** ان يكتسب مذخورا وهو امر بالاتيان بما امرت
الشريعة باكتسابه وتنبيه على وجوب السعي فيه بانه ينبغي ذخرا ليوم الفاقة اليه **التاسع** ان يجتنب محذورا وهو امر باجتناب ما نهت
الشريعة عنه وتنبيه على وجوب اجتنابه بكونه محذورا يستلزم العقاب في الآخرة **العاشر** ان يرمي غرضا اي يجد في اعراض الدنيا
عن درجة الاعتبار وهو اشارة الى الزهد والتخلي عن موانع الرحمة **الحادي عشر** ان يحرز عوضا اي يدخر في جوهر نفسه ملكات
الخير ويوجه سره الى مطالعة انوار كبرياء الله ويحرز ما يفاض عليه من الحسنات ويثبتها شكرا فانعم العوض من متاع الدنيا
واعراضها الفانية **الثاني عشر** ان يكابر هواه اي يطوع نفسه الامارة بالسوء بالاعمال الدينية ويراقبها في كل خاطر يلقيه
الى نفسه ويقابلها بكسره وقمعه **الثالث عشر** ان يكذب مناه اي يقابل ما يلقيه اليه الشيطان من الاماني ويعده بها
بالتكذيب ثم الطمع له بتجويز عدم نيلها ويحسم مادة ذلك بالمراقبة فان الوساوس الشيطانية يتبع بعضها بعضا ومن اشاراته الى
ذلك بالكرم والمنى فانها بضائع النوكى اي الحمقى **الرابع عشر** ان يجعل الصبر مطية نجاته والصبر هو مقاومة النفس لئلا
تنقاد الى مقابح اللذات ولما علمت ان الانقياد في سلكها الى اللذات القبيحة هو سبب الهلاك في الآخرة علمت ان مقاومتها
ودفعها عنها هو سبب النجاة هناك وقد استعار لفظ المطية للصبر ووجه المشابهة كون لزومه سببا للنجاة كما ان ركوب المطية والهرب

مثلها سبب النجاة من العذاب **الخامس عشر** ان يجعل التقوى عدة وفاته ولما كان التقوى قد يراد بها الزهد وقد يراد بها الخوف من الله
المستلزم للزهد كما علمت وكانت العدة هو ما استعد به الانسان للقاء الحوادث وكان الموت اعظم حادث يسبق الى الانسان
من احوال الآخرة كان التقوى عدة للموت اذ كان المتقى مشغول السر بعظمة الله وهيبته عن كل حال تلحقه فلا يكون للموت عنده كبير
وقع ولا عظيم كرب قد يراد بالتقوى مطلق الايمان وبالوفاة ما بعدها مجازا والظاهر كون الايمان عدة واقية من عذاب الله
السادس عشر ان يتنكب الطريقة الغراء وهو ان يسلك الى الله نعم الطريقة الواضحة المستقيمة وهي شريعته **السابع عشر**
وان يلزم المحجة البيضاء والفرق بين هذا الامر والذي قبله ان الاول مركوب الطريقة الغراء والثاني امر بلزومها وعدم مفارقتها
وانها كانت واضحة الا انها طويلة كثيرة المخاوف ومسالكها ابدا محاربة للشيطان وهو في معرض ان يستمر لمعنها **الثامن عشر**
ان يغتنم المهل اي ايام مهلته وهي حياته الدنيا واغتنامه العمل فيها قبل يوم الحساب **التاسع عشر** ان يبادر الاجل اي سابقه
الى العمل قبل ان يسبقه فيقطعه عنه **العشرون** ان يتزود من العمل وهو الامر بما يتبادر اليه من اتخاذ العمل زادا وقد سبق
وجه استعارة الزاد له وقد راعى عليه السلام في كل مرتبتين من هذا الكلام السجع المتوازي وجعل الصلة ثلثا والاخر ثلثا وعطف
كل قرينة على مشاركتها في الحرف الاخير منها وحذف حرف العطف من الباقي ليتميز ما بينها بشيء منها عن غيره وكل ذلك بلاغة **ومن**
كلام له عليه السلام ان بني امية ليفوقونني تراث محمد صلى الله عليه وآله تفويقا والله لئن بقيت لهم لانفضنهم نفض
اللحام الوذام التربة ويروى التراب الوذمة وهو على القلب قوله ليفوقونني اي يعطونني من المال قليلا قليلا كفواق
الناقة وهي الحلبة الواحدة من لبنها والوذام جمع وذمة وهي الحزة من الكرش والكبد تقع في التراب فتنفض **اقول**
استعار لفظ التفويق لعطيتهم له المال قليلا ووجه المشابهة هو قلة ما يعطونه منه مع كونه في دفعات كما يعطي الفصيل ضرع
امه ليدره ثم يدفع عنها لتحلب ثم يعاد اليها لتدر وتراث محمد اشارة الى الفيء الحاصل ببركة محمد صلى الله عليه وآله وهو التراث للتقوى
المكتسب عنه [illegible] ما ثم اقسم ان بقي لبني امية ليحرمنهم التقدم في الامور واستعار لفظ النفض لابعادهم عن ذلك وشبه نفضه لهم
بنفض القصاب القطعة من الكبد والكرش من التراب اذا اصابته وهذه الرواية هو الحق والثانية سهو من النقلة وقد ورد
عنه هذا الكلام بزيادة ونقصان في رواية اخرى وذلك ان سعيد بن العاص حيث كان امير الكوفة من قبل عثمان بعث اليه بصلة فقال
والله لا يزال غلام من غلمان بني امية يبعث الينا ما افاء الله على رسوله بمثل قوت الارملة والله لئن بقيت لانفضنها نفض القصاب
الوذام التربة **ومن كلمات كان يدعو بها** اللهم اغفر لي ما انت اعلم به مني فان عدت فعد علي بالمغفرة اللهم اغفر لي
ما رأيت من نفسي ولم تجد له وفاء عندي اللهم اغفر لي ما تقربت به اليك بلساني ثم خالفه قلبي اللهم اغفر لي رمزات
الالحاظ وسقطات الالفاظ وشهوات الجنان وهفوات اللسان **اقول** الرأي الوعد والرمزات جمع رمزة وهي الاشارة
بالعين او الحاجب او الشفة والسقطات من الشيء رديه والهفوة الزلة وقد سأل الله سبحانه في جميع هذا الفصل المغفرة ومغفرة
الله للعبد تعود الى ستره عليه ان يقع في مهاوي الهلكة في الآخرة او يكشف مقابحه لاهل الدنيا فيها وكل ذلك يعود الى توفيقه
لاسباب السعادة وجذبه بها عن متابعة الشيطان في المعاصي قبل صدورها منه او قبل صيرورتها ملكات تحجبه بنفسه والمطلوب
غفرانه امور **الاول** ما الله اعلم به منه مما هو عند الله معصيته وسيئة في حقه وهو لا يعلمها فيفعلها ثم طلب تكرار مغفرة الله لما
يعاوده ويتكرر منه كذلك واذا تصورت معنى المغفرة تصورت كيف تكرارها **الثاني** ما وعد من نفسه ان يفعله لله ثم لم يوف به
وما ههنا مصدرية ولا شك ان مطال النفس بفعل الخير وعدم الوفاء به انما يكون عن خاطر شيطاني يجب ان يستغفر الله ليلبسه
ستره وبعث الدواعي الجاذبة عن متابعة الشيطان الجاذب له **الثالث** شوب النفس ما يتقرب به من الاعمال الى الله بالرياء والسمعة
ومحبة الشهرة بالقربة البر يقصد غيره بها ولا شك ان ذلك شرك خفي جاذب عن الترقي في درجات العلى ويحتاج الى تدارك
الله بالمغفرة والجذب عنه قبل تمكنه من النفس **الرابع** الاشارة باللحظ وهو الايماء الخارج عن حدود الشريعة كما يفعل عند
التنبيه على شخص ليعاب ويضحك منه ونظائر ذلك عن خواطر شيطانية ينبغي ان يسأل الله نعم دفع اسبابها وستر النفس عن
التدنس بها **الخامس** سقطات الالفاظ والردي من القول هو ما تجاوز حدود الله وخرج بها الانسان عن مستقيم صراطه
السادس شهوات القلوب فمن روى بالشين المعجمة فالمراد جذب القوة الشهوية للنفس اي مشتهياتها ومن روى بالسين فسهوات
القلب خواطره التي لا يشعر بتفصيلها اذ لا خالفت اوامر الله وقد تستتبع حركة بعض الجوارح الى فعل خارج عن حدود الله ايضا وذلك
وان كان لا يوجب اثرا في النفس ولا يؤاخذ به الا انه ربما يقوى بقوة اسبابه وكثرتها فينقطع العبد عن سلوك سبيل الله كما في
حق المنهمكين في لذات الدنيا المحجوبين لها فان احدهم ربما رام التنبيه بمن يصلي الفرض فيصلي الصلوة الواحدة مرتين او مرارا
ولا يتنبه على ركعاتها وسجداتها وغير ذلك مما يجذب العبد عن الاسباب الموجبة له **السابع** هفوات اللسان

اى الزلل

اى لولا الحاصل من قبله وما دلت عليه خاطر شيطانى وغفرة بتوقف لغفلة ونفذ هواه واعلم ان الشيعة لما اوجبوا عصمته عليه السلام عن المعاصى حملوا طلبه
لمغفرة هذه الامور على وجهين احدهما وهو الادق ان طلبه لغفرانها انما هو على تقدير وقوعها منه فكانه قال اللهم ان صدر عنى
شئ من هذه الامور فاغفره لى وقد علمت انه لا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد من جزئيها فلا يلزم من صدق كلامه صدق
شئ منها حتى يحتاج الى المغفرة الثانى انهم حملوا ذلك على تأديب الناس وتعليمهم كيفية الاستغفار من الذنوب وعلى التواضع
والاعتراف بالعبودية وان البشر فى مظنة التقصير والاساءة واما من لم يوجب عصمته فالامر معه ظاهر وبالله التوفيق **ومن كلام
له عليه السلام** قاله لبعض اصحابه لما عزم على المسير الى الخوارج فقال له يا امير المؤمنين ان سرت فى هذا الوقت خشيت ان لا
تظفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال عليه السلام اتزعم انك تهدى الى الساعة التى من سار فيها صرف عنه السوء و
تخوف الساعة التى من سار فيها حاق به الضر فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن عن الاستعانة بالله فى نيل المحبوب
ودفع المكروه وينبغى فى قولك للعامل بامرك ان يوليك الحمد دون الله لانك بزعمك انت هديته الى الساعة التى
نال فيها النفع وامن فيها الضر ثم اقبل عليه السلام على الناس فقال ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما يهتدى به فى بر او بحر فانها تدعو
الى الكهانة المنجم كالكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر فى النار سيروا على اسم الله **اقول** حاق به احاط وتوبيخه
كذا بعطيه اياه ويجعله اولى به وروى ان المشير عليه بذلك كان عفيف بن قيس اخا الاشعث بن قيس وكان يتعاطى علم النجوم واعلم
ان الذى يلوح من سر نهى الحكمة النبوية عن تعلم النجوم امران **احدهما** اشتغال متعلمها بها واعتماد كثير من الخلق السامعين لاحكامها
فيما يرجون ويخافون عليه فيما يسنده الى الكواكب والاوقات والاشتغال بالفزع اليه والى ملاحظة الكواكب عن الفزع الى الله
والغفلة عن الرجوع اليه فيما يهم من الاحوال وقد علمت ان ذلك يضاد مطلوب الشارع اذ كان غرضه ليس الا دوام التفات الخلق
الى الله وتذكرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم اليه **الثانى** ان الاحكام النجومية اخبارات عن امور سيكون وهى تشبه الاطلاع على
الامور الغيبية واكثر الخلق من العوام والنساء والصبيان لا يتميزون بينها وبين علم الغيب والاخبار به فكان تعلم تلك الاحكام والحكم
بها سببا لضلال كثير من الخلق وموهنا لاعتقاداتهم فى المعجزات اذ الاخبار عن الكائنات منها وكذلك فى عظمة بارئهم ويشككهم فى عموم
صدق قوله تعالى قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقوله ان الله عنده علم الساعة
وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت فالمنجم اذا حكم لنفسه بانه يصيب
كذا فى وقت كذا فقد ادعى ان نفسه تعلم ما تكسب غدا وباى ارض تموت وذلك عين التكذيب للقرآن وكان هذين الوجهين هما
المقتضيان لتحريم الكهانة والسحر والعزائم ونحوها واما مطابقة لسان الشريعة للعقل فى تكذيب هذه الاحكام فبيانها ان اهل
النظر اما متكلمون فاما معتزلة او اشعرية اما المعتزلة فاعتمادهم فى تكذيب المنجم على احد امرين احدهما ان الشريعة كذبته وعندهم
ان كل حكم شرعى فيشتمل على وجه عقلى وان لم يعلم عين ذلك الوجه والثانى مناقشته فى ضبطه الاسباب ما اخبر عنه من كون او فساد
واما الاشعرية فهم وان قالوا انه لا مؤثر الا الله وزعم بعضهم انهم خلصوا بذلك من اسناد التأثيرات الى الكواكب الا انهم لا مانع على
مذهبهم ان يجعل الله تعالى اتصال نجم بنجم او حركته علامة على كون كائن او فساده وذلك مما لا يبطل على المنجم قاعدة فيرجعون ايضا الى بيان
عدم احاطته باسباب كون ما اخبر عنه ومناقشته فى ذلك واما الحكماء فاعلم انه قد ثبت فى اصولهم ان كل كائن فاسد فى هذا
العالم فلا بد له من اسباب اربعة فاعلى ومادى وصورى وغائى اما السبب الفاعل القريب فالحركات السماوية والذى هو اسبق منها
فالمحرك لها اما ان ينتهى الى الجود الالهى المعطى لكل قابل ما يستحقه واما السبب المادى فهو القابل لصورته وتنتهى القوابل الى القابل
الاول وهو مادة العناصر المشتركة بينها واما الصورى فصورته التى يقبلها مادته واما الغائى فهى التى لاجلها وجد واما الحركات
السماوية فان من الكائنات ما يحتاج فى كونه الى دورة واحدة للفلك ومنها ما يحتاج الى جملة من ادواره واتصالاته واما القوابل
للكائنات فقد تقرر عندهم ايضا ان قبولها لكل كائن معين مشروط باستعداد معين له وذلك الاستعداد يكون بحصول صورة
سابقة عليه وهكذا قبل كل صورة صورة معدة لحصول الصورة بعدها وكل صورة منها ايضا تستند الى الاتصالات والحركات الفلكية
ولكل استعداد معين زمان معين وحركة معينة واتصال معين يخصه لا يفى بدركها القوة البشرية اذا عرفت ذلك فنقول الاحكام
النجومية اما ان تكون جزئية واما كلية اما الجزئية فان يحكم مثلا بان هذا الانسان يكون من حاله كذا وكذا وظاهرات مثل
هذا الحكم لا سبيل الى معرفته اذ العلم به انما هو من جهة اسبابه اما الفاعلية فان يعلم ان الدورة المعينة والاتصال المعين سبب لملك
هذا الرجل البلد المعين مثلا وانه لا سبب فاعلى له الا هو والاول باطل لجواز ان يكون السبب غير ذلك الاتصال او هو مع غيره
اقصى ما فى الباب ان يقال انما كانت هذه الدورة وهذا الاتصال سببا لهذا الكائن لانها كانت سببا لمثله فى الوقت السابق
لكن هذا ايضا باطل لان كونها سببا للكائن السابق لا يجب ان يكون لكونها مطلق دورة واتصال بل لعله ان يكون لخصوصية

واستغنى

والكاهن

قال هذا الكلام لبعض اصحابه لما عزم المسير الى اصحابه

كون تلك المعينة التي لا تعود بعينها فيما بعد ذلك الوقت لا يمكن الاستدلال بحصولها على كون هذا الكائن لان المؤثرات المختلفة لا يجب تشابه
آثارها والثاني ايضا باطل لان العقل يجزم بانه لا اطلاع له على انه لا يقتضي لذلك الكائن من الاسباب الفاعلية الا الاتصال المعين وكيف وقد
ثبت ان من الكائنات ما يفتقر الى اكثر من اتصال واحد وحدوده واحدة او اقل واما القابلية فان يعلم ان المادة قد استعدت لقبول
مثل هذا الكائن واستجمعت جميع شرائط قبوله الزمانية والمكانية والسماوية والارضية وظاهر ان الاحاطة بذلك مما لا يفي به القوة البشرية
واما الصورية والغائية فان يعلم ما يقتضيه استعداد مادة ذلك المعين وقبولها من الصورة وما يستلزمه من الشكل والمقدار وان
يعلم ما غاية وجوده وما اعدته العناية له وظاهر ان الاحاطة بذلك غير ممكنة للانسان واما احكامهم الكلية فكان يقال كلما حصلت الدورة
الفلانية كان كذا والمنجم انما يحكم بذلك الحكم من جزئيات من الدورات تشابهت آثارها فظنها متكررة ولذلك يعدل لو ان المحقق
القول عليهم الى دعوى التجربة وقد علمت ان التجربة تعود الى تكرر مشاهدات يضبطها الحس والعقل يحصل منها حكما كليا كالحكم
بان كل نار محرقة فانه لما امكن العقل استثبات الاحراق بواسطة الحس امكنه الجزم الكلي بذلك فاما التشكلات الفلكية والاتصالات
الكوكبية المقتضية لكون ما يكون فليس شيء منها يعود بعينه كما علمت وان جاز ان يكون تشكلات وعودات متقاربة الاحوال
ومتشابهة الا انه لا يمكن الانسان ضبطها ولا الاطلاع على مقدار ما بينها من المشابهة والتفاوت وذلك ان حساب المنجم مبني على
قسمة الزمان بالشهور والايام والساعات والدرج والدقائق واجزائها وتقسيم الحركة بازائها ورفع بعضها بنسبة عددية وكل هذه
امور غير حقيقية وانما تؤخذ على سبيل التقريب فقصى ما في الباب ان التفاوت فيها لا يظهر في المدد المتقاربة لكنه يشبه ان يظهر
في المدد المتباعدة ومع ظهور التفاوت في الاسباب كيف يمكن دعوى التجربة وحصول العلم الكلي الثابت الذي لا يتغير باستمرار
اثرها على وتيرة واحدة ثم لو سلمنا انه لا يظهر تفاوت اصلا الا ان العلم بعود مثل الدورة لا يقتضي بمجرده العلم بعود مثل الاثر
السابق لتوقف العلم بذلك على عود امثال القابلية للاثر السابق من الاستعداد وسائر اسبابه العلوية والسفلية وعلى ضبطها فان
العلم التجربي انما يحصل بعد حصر ما يتعلق عودها وتكررها وكل ذلك مما لا سبيل للقوة البشرية الى ضبطه فكيف يمكن دعوى التجربة
اذا عرفت ذلك فنقول قوله اتزعم الى قوله الضر استثبات لما في العادة من بعثه الاحكاميون كما ادعاه المنجم المشير بعدم المسير في تلك
الوقت وقوله فمن صدقك بهذا الى قوله الضر الزامات له على ما يعتقده تنفر بها عن قبول احكام المنجم والاعتقاد فيه اوّلها ان
من صدقك فقد كذب القرآن ووجه التكذيب ما ذكرناه الثاني كون مصدقه يستغني عن الاستعانة بالله في نيل محبوبه ودفع مكروهه
اي يفزع اليه في كل امر يهم به ويجعله عمدة له فيعرض عن الفزع الى الله كما سبق الثالث انه ينبغي للعامل ان يوليه الحمد دون ربه
وعلل هذا الالزام بقياس ضمير من الشكل الاول صورته انك تزعم انك تهدي الى ساعة النفع والضر وكل من زعم ذلك فقد اهل نفسه لاستحقاق
الحمد من مصدقه دون الله فينتج انه قد اهل نفسه لاستحقاق الحمد من مصدقه دون الله والكبرى من المخيلات وقد يستعملها
الخطيب للتنفير عن بعض الامور التي يقصد النهي عنها وقوله ايها الناس الى قوله بحر او بر تحذير عن تعلمها لما ذكرناه واستثنى من ذلك
تعلمها للاهتداء بها في السفر واعلم ان الذي ذكرناه ليس الا بيان ان الاصول التي يبني عليها الاحكاميون وما يخبرون به في المستقبل اصول
غير موثوق بها فلا يجوز الاعتماد عليها في تلك الاحكام والجزم بها وهذا لا ينافي كون تلك القواعد مهذبة بالتقريب كقسمة الزمان
وحركة الفلك بالسنة والشهر واليوم ماخوذا عنها حساب يبنى عليه مصالح دينية كمعرفة اوقات العبادات كالصوم والحج ونحوهما او دنيوية
كآجال المداينات وسائر المعاملات وكمعرفة الفصول الاربعة ليعمل في كل منها ما يليق به من الحراثة والسفر واسباب المعاش وكمعرفة
قوانين تترتب من اوضاع الكواكب وحركاتها يقتدى بقصدها وعلى سمتها المسافر في بر او بحر فان ذلك القدر غير محرم بل لعله
من الامور المستحبة لخلو المصالح المذكورة عن وجوه المفاسد التي تشتمل عليها الاحكام كما سبق ولذلك من الله سبحانه على عباده
بخلق الكواكب في قوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقوله ولتعلموا عدد السنين والحساب وقوله فانها
الى آخره تعليل للنفير عن تعلمها وتنفير عنها بقياس موصول تستنتج منه ان المنجم في النار وعلى تقدير تفصيله فالنتيجة الاولى
كون المنجم كالساحر وهي مع قوله والساحر كالكافر وهذه النتيجة مع قوله والكافر في النار ينتج المطلوب وهو ان المنجم في النار والقياسان
الاولان من قياس المساواة وقد علمت انه عند الانحلال الى الحدود المرتبة في القياس المنتج لان موضوع الكبرى جزء من محمول الصغرى
فليس الاوسط بمشترك فهو معدول عن وجهه الى وقوع الشركة في بعض الاوسط ولذلك يستحق ان يفرد باسم ويجعل لتحليله قانون
يرجع اليه في امثاله وقد سبق مثله في الخطبة الاولى واذا حمل على القياس الصحيح كان تقديره والمنجم يشبه الكاهن المشبه للساحر
ومشبه الكاهن المشبه للساحر مشبه للساحر فينتج ان المنجم يشبه الساحر وهكذا في القياس الثاني المنجم يشبه الساحر المشبه للكافر ومشبه
الساحر المشبه للكافر يشبه الكافر فالمنجم يشبه الكافر والكافر في النار فالمنجم كذلك وهو القياس الثالث ونتيجته فاما بيان معنى الكاهن و
الساحر والاشارة الى وجوه التشبيهات المذكورة فاعلم انا قد اشرنا في المقدمة الى امكان وجود نفس تقوى على الاطلاع فما سيكون

وعلى التقدير

في ذم النساء

وعلى التصرفات العجيبة في هذا العالم فتلك النفس إن كانت كاملة خيّرة مجذوبة من الله تعالى مبعوثة داعية إلى سلوك سبيله وما يقرّب إليه فهي نفوس الأنبياء والأولياء ذوي المعجزات والكرامات وإن كانت ناقصة شريرة منجذبة عن تلك الجهة وغير طالبة لتلك المرتبة بل مقتصرة على رذائل الأخلاق وخسائس الأمور كالتكهن ونحوه فهي نفوس الكهنة والسحرة واعلم أن أكثر ما تظهر قوة الكهانة ونحوها من قوى النفوس في أوقات الأنبياء وقبيل ظهورهم وذلك أن الفلك إذا أخذ في التشكل بشكل يتم به في العالم حادث عظيم عرض من مبادئ ذلك الشكل ومقابلته أحداث في الأرض شبيهة بما يريد أن يتم ولكنها تكون غير تامة ثم لا تزال تتشبه بها غير تام فإذا استكمل ذلك الشكل في الفلك وتم وجد في العالم ما يقتضيه في أسرع زمان لسرعة تبدل أشكال الفلك فتظهر تلك القوة التي يوجبها ذلك الشكل في شخص واحد أو شخصين أو أكثر على حسب ما يقتضيه العناية الإلهية وتستوعب في ذلك الشخص تلك القوة على الكمال فأما من قرب من ذلك الشكل ولم يستوفه فإنه يكون ناقص القوة بحسب بعده من الشكل ويظهر ذلك النقصان بظهور النبوة المقصودة من ذلك الشكل فيتبين قصور القوى المتقدمة على النبي والمتأخرة عنه ونقصانها عن ذلك التمام فأما صفة الكاهن من أصحاب تلك القوى فإن صاحب قوة الكهانة إذا أحس بها من نفسه تحركت إليها بالإرادة ليكملها فيستعين بها في أمور حسية ويتبعها في علامات تجري مجرى الفال والزجر وطرق الحصى وربما استعان بالكلام الذي فيه سجع وموازنة أو بحركة عنيفة من عدو وحثيث كما يحكى عن كاهن من الترك وكما نقل إلي من شاهد كاهنا كان في زماننا وتوفي منذ عشرين سنة يكنى بأبي بكر عمر وكان بناحية من ساحل البحر يقال لها قلهات وأنه كان إذا سئل عن أمر يستغرق بحركة رأسه تحريكا يقوى ويضعف بحسب الحاجة وأجاب عقيب ذلك وقيل إنه كان قد يستعين في بعض الأخبار عن تلك الحركة والغرض من ذلك اشتغال النفس عن المحسوسات فتداخل نفسه ويقوى بها ذلك الأثر ويحس في نفسه عن تلك الحركة ما ينعقد في لسانه وربما صدق الكاهن وربما كذب وذلك لأنه لما تم نقصه بأمر مباين لكماله غير داخل فيه فيعرض له الكذب ويكون غير موثوق به وربما ألحقه الكذب خوفا من كساد بضاعته فيستعمل الزرق ويخبر بما لا أثر له في نفسه ويضطر إلى التخمين وقد حاموه متفاوتة بحسب قربهم من الأفق الإنساني وبعدهم منه وبعد قبولهم للأثر العلوي وتمييزهم عن الأنبياء بالكذب وما يدعونه من المحال فإن اتفق أن يلزم أحدهم الصدق فإنه لا يتجاوز قدره في قوته وربما يؤول إلى التصديق بأول أمر يلوح من النبي ويعترف بفضله كما روي عن طليحة وسواد بن قارب ونحوهما من الكهنة في زمان الرسول صلى الله عليه وآله إذا عرفت ذلك فنقول أما قوله فإنها تدعو إلى الكهانة أي أنها تدعو المنجم في آخر أمره إلى أن يصير نفسه كالكاهن في دعوى الأخبار عما سيكون ثم أكد كونها داعية إلى التنكير بتشبيهه بالكاهن واعلم أن الكاهن يتميز عن المنجم بكون ما يخبر به من الأمور الكائنة إنما هو عن قوة نفسانية له ولا ريب أن ذلك أدعى إلى فساد أذهان الخلق وإغوائهم لزيادة اعتقادهم فيه على المنجم وأما الساحر فيتميز عن الكاهن بأن له قوة على التأثير في أمر خارج عن بدنه آثارا خارجة عن الشريعة مؤذية للخلق كالتفريق بين الزوجين ونحوه وتلك زيادة شر آخر على الكاهن أدعى إلى فساد أذهان الناس وزيادة اعتقادهم فيه وانفعالهم عنه خوفا ورغبة وأما الكافر فيتميز عن الساحر بالبعد الأكبر عن الله تعالى وعن دينه وإن شاركه في أصل الانحراف عن سبيل الله وكان مدار الضلال والفساد في الأرض مشتركا بين الأربعة لأنه مقول عليهم بالأشد والأضعف فالكاهن أقوى في ذلك من المنجم والساحر أقوى من الكاهن والكافر أقوى من الساحر ولذلك التفاوت جعل الكاهن أصلا في التشبيه للمنجم لزيادة فساده عليه ثم ألحقه به وجعل الساحر أصلا للكاهن والكافر أصلا للساحر لأن التشبيه ينبغي أن يكون المشبه به أقوى في الوصف الذي فيه التشبيه وأحق به وقد لاح من ذلك أن وجه التشبيه الكل هو ما يشتركون فيه من العدول والانحراف عن طريق الله بالتنجيم والكهانة والسحر والكفر وما يلزم من ذلك من صد كثير من الخلق عن سبيل الله وإن اختلفت جهات هذا العدول بالشدة والضعف كما بيناه ولما فرغ من تنفير أصحابه عن تعلم النجوم وقبول أحكامها وغسل أذهانهم من ذلك بالتخويف المذكور أمرهم بالمسير إلى الحرب وروي أنه سار في تلك الساعة إلى الخوارج وكان منه ما علمت من الظفر بهم وقتلهم حتى لم يفلت منهم غير تسعة نفر ولم يهلك من رجاله غير ثمانية نفر كما سبق بيانه وذلك يستلزم خطأ ذلك المنجم وتكذيبه في مقاله وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان نواقص الحظوظ نواقص العقول فأما نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين منهن كشهادة الرجل الواحد وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الأنصاف من مواريث الرجال فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر **أقول** لما كانت واقعة الجمل وما اشتملت عليه من هلاك جمع عظيم من المسلمين منسوبا إلى رأي امرأة أراد أن ينبه على وجوه نقصان النساء وأسباب نقصهن وذكر نقصانهن من وجوه ثلاثة **أحدها** كونهن نواقص الإيمان وأشار إلى جهة النقص فيه بقعود إحداهن عن الصلاة والصوم أيام الحيض ولما كان الصوم والصلاة من كمال الإيمان ومتممات الرياضة كان قعودهن عن الارتياض بالصوم والصلاة في تلك الأيام

نقصاناً لايمانهن واتمام وقت الشريعة التكاليف عنهن بالعبادتين المذكورتين لكونهن في حال مستقذرة لا يناسب اهل صاحبها للوقوف بين يدي الملك الجبار وتعقل للصوم وجه اخر وهو انه يزيد الحائض الضعيفة ضعفاً بخروج الدم واسرار الشريعة ادق واجل ان يطلع عليها عقول سائر الخلق **الثاني** كونهن نواقص حظ واشار الى جهة نقصانه بان ميراثهن على النصف من ميراث الرجال كما قال تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين والذي يلوح من سر ذلك كثرة المؤنة على الرجل فهو اصل التصرف وكون المرأة من شأنها ان تكون مكفولة محتاجة الى قيم هو لها كالخادم **الثالث** كونهن نواقص عقول ولذلك سبب من داخل وهو نقصان استعداد امزجتهن وقصورهن عن قبول تصرف العقل كما يقبله مزاج الرجل كما نبه عليه بقوله فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى فانه نبه على ضعف القوة الذاكرة فيهن ولذلك جعل شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد ولهن سبب عارض من خارج وهو قلة معاشرتهن لاهل العقل والتصرفات وقلة رياضتهن لقواهن الحيوانية بلزوم القوانين العقلية في تدبير امر المعاش والمعاد ولذلك كانت احكام القوى الحيوانية فيهن اغلب على احكام عقولهن فكانت المرأة ارق وابكى واحسد والج وابغى واجزع واوقح واكذب وامكر واقبل للمكر واذكر لمحقرات الامور ولكونها بهذه الصفة اقتضت الحكمة الالهية ان يكون عليها حاكم ومدبر تعيش بتدبيره وهو الرجل فقال تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم ولشدة قبولها وقلة طاعتها للعقل مع كونها مشتركة وداعية الى نفسها اقتضت ان تستر وجهها بالستر والخدر وقوله فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر تنبيه على جهة نقصانهن وقد علمت ان النقصان يستلزم الشر لا جرم نفر عنهن فامر اولا بالخشية من شرارهن وهو يستلزم الامر بالحرب منهن وعدم مقاربتهن فاما خيارهن فانه امر بالكون منهن على حذر ويفهم من ذلك انه لا بد من مقاربتهن وكان الانسان انما يحتاج الى مقاربة الخيرة منهن فينبغي ان يكون معها على تحرز وتثبت في سياستها وسياسة نفسه معها اذ لم تكن الخيرة منهن خيرة الا بالقياس الى الشريرة ثم نهى عن طاعتهن بالمعروف كيلا يطمعهن في المنكر واشار به الى طاعتهن فيما يشرن به ويأمرن مطلقاً وان كان معروفاً صواباً وفيما يطلبنه من زيادة المعروف والاحسان اليهن واكرامهن بالزينة ونحوها فان طاعة رأيهن فيما يشرن من معروف تدعوهن الى الشور بما لا ينبغي والتسلط على الامر به فان فعل فليفعل لانه معروف لا لانه مقتضى رأيهن وزيادة اكرامهن من مقويات دواعي الشهوة والشر فيهن حتى ينتهي بهن الطمع الى الاقتراح وطلب الخروج الى المواضع التي يرى فيها زينتهن ونحو ذلك اذ العقل مغلوب فيهن بدواعي الشهوات وفي المثل المشهور لا تعط عبدك كراعاً فيأخذ ذراعاً وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم عيد فالتفت الى صفوف النساء فقال معاشر النساء تصدقن فاني رأيتكن اكثر اهل النار عدداً فقالت واحدة منهن ولم يا رسول الله فقال لانكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير وتمكث احداكن شطر عمرها لا تصوم ولا تصلي **ومن خطبة له عليه السلام** ايها الناس الزهادة قصر الامل والشكر عند النعم والورع عن المحارم فان عزب ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم ولا تنسوا عند النعم شكركم فقد اعذر الله اليكم بحجج مسفرة ظاهرة وكتب بارزة العذر واضحة **اقول** عزب ذهب وبعد واعذر اظهر عذره ومسفرة مشرقة واعلم ان قوله ايها الناس الى قوله عند المحارم تفسير للزهد وقد رسمه بثلثة لوازم له **الاول** قصر الامل ولما علمت فيما سلف ان الزهد هو اعراض النفس عن متاع الدنيا وطيباتها وقطع الالتفات الى ما سوى الله تعالى وظاهر ان ذلك الاعراض مستلزم لقصر الامل في الدنيا اذ كان الامل انما يتوجه نحو مأمول والملتفت الى الدنيا كيف يتصور طول امله لشيء منها **الثاني** الشكر على النعمة وذلك ان العبد بقدر التفاته عن اعراض الدنيا يكون محبته لله واقباله عليه واعترافه بالحق بالآية وذلك ان الشكر حال للقلب يثمرها العلم بالمشكور وهو في حق الله ان يعلم انه لا منعم سواه وان كل منعم يقال في العرف فهو واسطة مسخرة من نعمته وتلك الحال تثمر العمل بالجوارح **الثالث** الورع وهو لزوم الاعمال الجميلة والوقوف على حدود الله عن التورط في محارمه وهو ملكة تحت العفة وقد علمت ان الوقوف على التورط في المحارم ولزوم الاعمال الجميلة لازمة للالتفات عن محاب الدنيا ولذاتها المنهي عن الميل اليها وهذا التفسير ايضاً مستلزم للامر به وقوله بعد ذلك فان عزب عنكم الى اخره يحتمل معنيين احدهما وهو الظاهر انه ان بعد عليكم وشق استجماع هذه الامور الثلثة فالزموا منها الورع والشكر وكانه رخص لهم في طول الامل وذلك انه قد يتصور طوله فيما ينبغي من عمارة الارض لغرض الاخرة ولان قصر الامل لا يتصور الا عن غلبة الحزن من الله تعالى على القلب والاعراض بالكلية عن الدنيا وذلك في غاية الصعوبة فلذلك نبه على لزوم الشكر والورع ورخص في طول الامل وعبر عن الورع بالصبر اذ كان لازماً للورع وهما تحت ملكة العفة ثم نبههم بذكر الغلبة عن مقاومة الهوى ونبههم بذكر النسيان على لزوم التذكر الثاني يحتمل ان يكون لما فسر الزهد باللوازم الثلثة في معرض الامر بلزومها قال بعد هذا ان صعب عليكم لزوم الشكر والثناء لله ولزوم الاعمال الجميلة فاعدلوا الى امور اسهل منها فرخص لهم في طول الامل المذكور ثم نهى لتذكر

لنعم الله

فتذكر احديهما

في ذم صفة الدنيا

لنعم الله بحيث لا ينسى بالكلية ويلتفت عنها عوضا عن دوام الحمد والثناء ثم في الصبر عند المحارم وعند الانفعال لغلبة دواعي الشيطان عوضا
من لزوم الاعمال الجميلة عندها فان الصبر عند شرب الخمر مثلا عند حضورها اهون على الطبع من الصوم عن شيء من المباحات ولزوم
شيء الاعمال الجميلة وتوكيد فقد اعذر الى الاخرة تاكيدا لما سبق من امره بالزهد وجذب اليه واشار بالحجج الى الرسل لقوله تعالى رسلا مبشرين
ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولفظ الحجج مستعار ووجه المشابهة انه لما كان ظهور الرسل قاطعا السنة حال
الظالمين لانفسهم في محفل القيمة عن ان يقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى اشبه الحجة القاطعة
فاستعير لفظها له وباسفارها وظهورها الى اشراق انوار الدين عن نفوسهم الكاملة على نفوس الناقصين وهو استعارة ايضا واشار
بر بعده من الكتب الى ظهور اعذار الله الى خلقه بتخويفهم وترغيبهم وارشادهم الى طريق النجاة واسناد الاعذار الى الله تعالى استعارة من
الافعال المخصوصة التي يبدي بها الانسان عذره لافعال الله واقواله التي عرف خلقه فيها صلاحهم واشعرهم فيها بلزوم العقاب لهم لو لم
ينتفعوا بها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في ذم صفة الدنيا ما اصف من دار اولها عناء واخرها فناء في حلالها
حساب وحرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها واتته ومن ابصر
بها بصرته ومن ابصر اليها اعمته قال السيد ره واذا تامل المتامل قوله ع ومن ابصر بها بصرته وجد تحته من المعنى العجيب
والغرض البعيد ما لا يبلغ غايته ولا يدرك غوره لاسيما اذا قرن اليه قوله ع ومن ابصر اليها اعمته فانه يجد الفرق بين ابصر بها
وابصر اليها واضحا نيرا عجيبا باهرا صلوات الله وسلامه عليه **اقول** العناء التعب وقد ذكر للدنيا في معرض ذمها و
التنفير عنها اوصافا عشرة **الاول** كون اولها عناء وهو اشارة الى ان الانسان من لدن ولادته في تعب وشقاء ويكفي في الاشارة
الى متاعب الانسان فيها ما ذكره الحكيم برزويه في صدر كتاب كليلة ودمنة في معرض تطويع نفسه بالصبر على عيش النساك اوليست
الدنيا كلها اذى وبلاء او ليس الانسان ينقلب في ذلك من حين يكون جنينا الى ان يستوفي ايامه فانا قد وجدنا في كتب الطب
ان الماء الذي يقدر منه الولد السوي اذا وقع في رحم المرأة اختلط بمائها ودمها وغلظ ثم الريح تمخض ذلك الماء والدم حتى تتركه
كالرائب الغليظ ثم تقسمه في اعضائه لاناء ايامه فان كان ذكرا فوجهه قبل ظهر امه وان كان انثى فوجهها قبل بطن امها وذقنه على ركبتيه
ويداه على جنبيه مقبض في المشيمة كانه مصرور ويتنفس من متنفس شاق وليس منه عضو الا كانه مربوط وفوقه حر البطن وتحته
وهو منوط بمعاء من سرته الى سرة امه ومنها يمص ويعيش من طعام امه وشرابها فهو بهذه الحالة في الغم والظلمات والضيق حتى اذا كان
يوم ولادته سلط الله الريح على بطن امه وقوي عليه التحريك فتصوب راسه قبل المخرج فيجد من ضيق المخرج وعصره ما يجده صاحب الرهق
فاذا وقع على الارض فاصابته ريح او مسته يد وجد من ذلك من الالم ما لم يجده من سلخ جلده ثم هو في الوان من العذاب ان جاع فليس
له استطعام وان عطش فليس له استسقاء او وجع فليس له استغاثة مع ما يلقى من الرفع والوضع واللف والحل والدهن والمسح اذا انيم على ظهره
لم يستطع تقلبا فلا يزال في اصناف هذا العذاب ما دام رضيعا فاذا افلت من ذلك اخذ بعذاب الادب فاذيق منه الوانا وفي الحمية من
الادواء والاوجاع والاسقام فاذا ادرك فهم المال والاهل والولد والشره والحرص ومخاطرة الطلب والسعي وكل هذا ينقلب معه فيه اعداؤه
الاربعة المرة والبلغم والدم والريح والسم المميت والحيات اللادغة مع خوف السباع والناس وخوف البرد والحر ثم الوان عذاب الهرم لمن
بلغه **الثاني** كون اخرها فناء وهو تنفير عنها بذكر غايتها وهو الموت وما يستتبعه من فراق الاهل والاحبة والاشراف على الاهوال العظيمة
المعضلة **الثالث** كونها في حلالها حساب وهو اشارة الى ما يظهر في صحيفة الانسان يوم القيمة من الاثار المكتوبة عليه مما خاض فيه من
مباحات الدنيا وتوسع فيه من الماكل والمشارب والمناكح والمراكب وما يظهر في لوح نفسه من محبة ذلك فيعوقه عن اللحوق بالمجردين
عنها الذين لم يتصرفوا فيها تصرف الملاك فلم يكتب عليهم في شيء منها ما يحاسبون عليه واليه اشارة سيد المرسلين صلى الله عليه واله
ان الفقراء ليدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وان فقراء امتي ليدخلون الجنة سعيا وعبد الرحمن يدخلها حبوا وما
ذاك الا لكثرة محاسبة الاغنياء وتعويقهم بثقل ما حملوا من محبة الدنيا وقنياتها عن اللحوق بدرجة المخفين منها وقد عرفت كيفية
الحساب **الرابع** كونها في حرامها عقاب وهو تنفير عما يوجب العقاب من الاثام بذكره **الخامس** كونها من استغنى فيها فتن اي كانت
محبته لما اقتنى فيها سببا لفتنته وضلاله عن سبيل الله كما قال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة **السادس** كونها من افتقر فيها حزن وظ
ان الفقير الطالب للدنيا عند فقد الواجد لها في غاية المحنة والحزن على ما يفوته منها وخاصة ما يفوته بعد حصوله له **السابع** من ساعاها
فاتته واقوى اسباب هذا الفوات ان تحصيلها اكثر ما يكون بمنازعة اهلها عليها ومجاذبتهم اياها وقد علمت ثوران الشهوة والغضب
والحرص عند المجاذبة للشيء وقوة منع الانسان له وتجاذب لحاق للشيء وعزته عندهم سبب لتفويت بعضهم له على بعض وفيه تنبيه
على وجوب ترك الحرص عليها والاعراض عنها اذ كان فواتها اللازم عن شدة السعي في تحصيلها مكروها للساعين **الثامن** كونها من
قعد عنها واتته وهو ايضا جذب الى القعود عنها وتركها وان كان الغرض من اتيانها كما يفعله اهل الزهد الظاهري المشوب بالرياء

الزهق

في بيان الخطبة الغراء

وقد علمت ان الزهد الظاهري مطلوب بعينه للشارع اذ كان وسيلة الى الزهد الحقيقي كما قال الوسوسة الرياء قنطرة الاخلاص وقد راعى في القرآن السجع المتوازي **التاسع** من ابصر بها بصرته اي من جعلها سبب هدايته وبصره استفادمنها البصر والهداية وذلك انك علمت ان مقصود الحكمة الالهية من خلق هذا البدن وما فيه من الآلات والمنافع انما هو استكمال النفس باستخلاص العلوم الكلية وفضائل الاخلاق من تصفح جزئيات الدنيا ومقايسة بعضها الى بعض كالاستدلال بحوادثها وعجائب مخلوقات الله فيها على وجوده وحكمته وجوده وتحصيل الهداية بها الى اسرار ملكه فكانت سببا مادّيا لذلك فلاجل ذلك صدق انها تبصر من ابصر بها **العاشر** ومن ابصر اليها اعمته اي من مدّ اليها بصر بصيرته ونظر اليها بعين قلبه محبة وعشقا اعمت عين بصيرته عن ادراك انوار الله والاهتداء لكيفية سلوك سبيله والى الاشارة بالنهي في قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه وقد ظهر الفرق بين قوله من ابصر بها ومن ابصر اليها ومدح السيد لهذا الفصل مدح في موضعه **ومن خطبة له عليه السلام** وهي من الخطب العجيبة وتسمى الغراء اعلم ان في هذه الخطبة فصولا **الفصل الاول** قوله الحمد لله الذي علا بحوله ودنا بطوله مانح كل غنيمة وفضل وكاشف كل عظيمة وازل احمده على عواطف كرمه وسوابغ نعمه واومن به اولا باديا واستهديه قريبا هاديا واستعينه قاهرا قادرا واتوكل عليه كافيا ناصرا واشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله ارسله لانفاذ امره وانهاء عذره وتقديم نذره **اقول** الحول القوة والطول الفضل والمنة والعظيمة والازل الشدة والنذر الانذار وقد اثنى على الله تعالى في هذا الفصل باعتبارات ثمانية من نعوت جلاله **الاول** كونه عليا وقد علمت ان ليس المراد به العلو المكاني لتقدسه تعالى عن الجسمية كما سبق فالمراد العلو المعقول له باعتبار كونه مبدأ كل موجود ومرجعه فهو العلي المطلق الذي لا اعلى منه في وجود وكمال رتبة وشرف كما سبق بيانه ولما كان ذلك باعتبار الحقه بالقياس الى كل موجود صدر عن قدرته وقوته لا جرم جعل الحول له مبدأ هو حول له **الثاني** كونه دانيا بطوله ولما عرفت ان معنى الدنو والقرب في حقه تعالى ليس مكانيا ايضا كان اعتبار اخر يعقل لنا له من قرب افاضة نعمه على قوابلها وقربه من ابصار البصائر في صورة نعمة فجعلها منها ولذلك جعل طوله مبدء لدنوه **الثالث** كونه مانح كل غنيمة وفضل **الرابع** كونه كاشف كل عظيمة وازل وهما اشارة الى كل نعمة صدرت عنه على قابلها مبدؤها جوده ورحمته سواء كانت وجودية كالصحة والمال والعقل وغيرها او عدمية كدفع البأساء والضراء والى الاشارة بقوله وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم الاية وقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض وقوله احمده الى قوله نعمه تنبيه للسامعين على سبب استحقاقه لاعتبار الحمد وهو كرمه قال بعض الفضلاء الكريم هو الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء ولم يبال كم اعطى ولا لمن اعطى وان رفعت الى غيره حاجة لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى من لاذ به والتجأ ويغنيه عن الوسائل والشفعاء فمن اجتمعت له هذه الاعتبارات حقيقة من غير تكلف فهو الكريم المطلق وليس ذلك الا الله نعم قلت والاجمع الامنع في رسم هذا الاعتبار يعود الى فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع وتعويق على كل من يقدر ان يقبله بقدر ما يقبله وعواطف كرمه هي نعمه واثاره الخيرية التي تعود على عباده مرة بعد اخرى وسوابغ نعمه نعمه السابغة التي لا تضيق بها عن قبول قابليها وقوله واومن به اولا باديا نصب اولا باديا على الحال واشار بهذين الوصفين الى الجهة التي هي سبب الايمان اذ كان منه باعتبار كونه اولا هو مبدأ لجميع الموجودات وكونه باديا هو كونه ظاهرا في العقل في جميع اثاره وباعتبار ظهوره مع كونه مبدأ لكل موجود واولا له يجب الايمان به والتصديق بالهيته وقوله واستهديه قريبا هاديا فاستهداؤه طلب الهداية منه وقربه هو دنوه بجوده من قابل فضله وهدايته هبته الشعور لكل ذي ادراك بما هو اليق به لمطلبه دون ما ليس اليق به وظ انه باعتبار هذين الوصفين مبدء لطلب الهداية منه وقوله واستعينه قاهرا قادرا استعانته طلب المعونة منه على ما ينبغي من طاعته وسلوك سبيله والقاهر هو الذي لا يجري في ملكه بخلاف حكمه نفس بل كل موجود مسخر تحت حكمه وقدرته وحقير في قبضته والقادر هو الذي اذا شاء فعل واذا لم يشأ لم يفعل وان لم يلزم انه لا يشاء فلا يفعل وانه لم يلزم انه لا يشاء فلا يفعل كما سبق بيانه وظ انه باعتبار هذين الوصفين مبدء للاستعانة وقوله اتوكل عليه كافيا ناصرا التوكل كما علمت يعود الى اعتماد الانسان فيما يرجوه ويخافه على غيره والكافي باعتبار كونه معطيا لكل قابل من خلقه ما يكفيه استحقاقه من منفعة ودفع مضرة والناصر هو باعتبار اعطائه النصر لعباده على اعدائهم بافاضة هدايته وقوته وظاهر انه تعالى باعتبار هذين الوصفين سبب فتوكل عباده عليه والقاء مقاليد امورهم اليه وقوله واشهد الى اخره تقرير للرسالة وتعيين لاغراضها وذكر منها ثلثة **احدها** انفاذ امره والضمير في الثلثة لله وانفاذ امره اجراؤه لاحكامه على قلوب الخلق ليعرفوا ما يعبدونه **الثاني** انهاء عذره ومعنى ايصال اعذاره الى الخلق وقد سبق بيان وجه استعارة العذر **الثالث** تقديم نذره وهو التخويفات الواردة على السنة الرسل عليهم السلام

الى الخلق قبل

الى الخالق وقيل القائد الجاذب لهم الى لزوم طاعته وظاهر كون الثلثة اعراضا للبعثة ۞ **الفصل الثاني** قوله اوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الامثال ووقت لكم الآجال والبسكم الرياش وارفغ لكم المعاش واحاط بكم الاحصاء وارصد لكم الجزاء واثركم بالنعم السوابغ والرفد الروافغ وانذركم بالحجج البوالغ واحصاكم عددا ووظف لكم مددا في قرار خبرة ودار عبرة انتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها ۞ **اقول** الرياش اللباس الفاخر وقيل الغنى بالمال وارصد اعد والرفد جمع رفدة وهي العطية والروافغ الواسعة الطيبة وهذا الفصل مشتمل على الوصية بتقوى الله وخشيته والانجذاب اليه باعتبار امور **الاول** ضرب الامثال والامثال التي ضربها الله لعباده في القرآن كثيرة منها قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم الى قوله لا يرجعون والاشارة بهذا المثل الى من كان قد طلب اظهار المعجزات من الرسول صلى الله عليه وآله فلما ظهرت لهم لم يقبلوها ورجعوا الى ظلمة جهلهم فهم صم عن سماع دواعي الله باذان قلوبهم بكم عن مناجاة الله باسرارهم عمي عن مشاهدة انوار الله بابصار بصائرهم فهم لا يرجعون عن عنادهم في غيهم وكفرهم ومنها قوله او كصيب من السماء الى قوله قاموا وهو مثل شبه فيه القرآن بالمطر النازل من السماء وشبه ما في القرآن من الوعد والوعيد بما في المطر من الرعد والبرق وشبه تباعد المنافقين عن الاصغاء الى القرآن وتغافلهم عن سماع الوعظ بمن يجعل اصابعه في اذانه خوف الصواعق وقوله يكاد البرق الى آخره اشارة الى من كان يرق قلبه لسماع الوعظ البالغ اذا قرع سمعه ويميل الى التوبة ويتجلى عن قلبه بعض الظلمة فاذا رجعوا الى قرنائهم اشاروا عليهم بالعود الى دينهم وبذلوا لهم الجهد في النصيحة وخوفوهم بالعجز فتضعف قصودهم وتظلم عليهم شبهات الباطل فتغطي ما كان ظهر لهم من نور الحق وكذلك باقي امثال الله في كتابه الكريم ۞ **الثاني** قوله ووقت لكم الآجال اي كتبها بقلم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ كل الى اجل مسمى ثم يرجع اليه فيحاسبه باعلانه واسراره فبالحري ان يتقيه ويعمل للقائه ۞ **الثالث** كونه قد البسهم الرياش وهو اظهار للمنة عليهم كما قال يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى الآية ليذكروا انواع نعمه فيستحيوا من مجاهرته بالمعصية ۞ **الرابع** كونه قد ارفغ لهم المعاش اي اطاب معايشهم في الدنيا كما قال تعالى ورزقكم من الطيبات وهو كالثالث ۞ **الخامس** احاطته بهم احصاء كقوله تعالى لقد احصيهم وعدهم عدا اي احاط بهم علمه واحصاء منصوب على المصدر من غير لفظ فعله او على التمييز وظاهر ان علم العصاة بانه لا يشذ احد منهم عن احاطة علمه جاذب لهم الى تقواه ۞ **السادس** كونه قد ارصد لهم الجزاء كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون ۞ **السابع** ايثاره لهم بالنعم السوابغ والرفد الروافغ كقوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ۞ **الثامن** انذارهم بالحجج البوالغ وهي رسله ومواعظه وسائر ما جذب به عباده الى سلوك سبيله وهو حجة على عصاته ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ۞ **التاسع** احصاؤه لعددهم كقوله تعالى واحصى كل شيء عددا ۞ **العاشر** توظيفه لهم المدد وهو كتوقيته لهم الآجال وانما كرر وصف الاحصاء والعد في هذين الوصفين ايضا لان الوهم كثيرا ما ينكر احاطته تعالى بالجزئيات مع عدم تناهيها فيكون ذلك مشبها على النفس توقيت الآجال لكل شخص شخص ويقدح في امر المعاد والعقوبات اللازمة لكل آحاد الخلق بحسب كل ذرة من الاعمال الطالحة فكررهما طردا للوهم وكسرا لحكمه وذكر توقيت الآجال من اشد الجواذب عن الدنيا الى الله وقوله في قرار خبرة ودار عبرة اي محل اختبار الله لخلقه ومحل عبرتهم اي اتعاظهم اذهانهم فيما يجري فيها من آيات العبرة وآثار القدرة والاستدلال بها على وحدانية مبدعها كما سبقت الاشارة الى معنى الاختبار والاعتبار وكذلك قوله فانتم فيها مختبرون وعليها محاسبون قد سبقت الاشارة اليه في قوله الا وان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها وفي هذين القرينتين مع السجع المتوازي نوع من التجنيس بين خبرة وعبرة والاختلاف بالحرف الاول ۞ **الفصل الثالث** قوله فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا رَدِغٌ مَشْرَعُهَا يُونِقُ مَنْظَرُهَا وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا غُرُورٌ حَائِلٌ وَضَوْءٌ آفِلٌ وَظِلٌّ زَائِلٌ وَسِنَادٌ مَائِلٌ حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا وَأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ وَمُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ وَثَوَابِ الْعَمَلِ وَكَذَلِكَ الْخَلَفُ يَعْقُبُ السَّلَفَ لَا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَاماً وَلَا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَاماً يَحْتَذُونَ مِثَالاً وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً إِلَى غَايَةِ الِانْتِهَاءِ وَصَيُّورِ الْفَنَاءِ ۞ **اقول** الرنق الكدر والردغ الوحل والتراب المختلط بالماء ويونق يعجب ويوبق يهلك وخدع غرور وخداع غير مستغفلة للاذهان والحائل المتنقلة المتحولة وقمصت الدابة رفعت يديها وطرحتهما وعجنت برجليها وقنصت صادت واقصدت اصابت المقصد والاوهاق جمع وهق بالفتح وهو الحبل والضنك الضيق واقلع عن الشيء امتنع منه والاخترام الموت دون المدة الطبيعية وارعوى كف وحد وفلان يفعل فعله ارسالا جمع رسل بالفتح وهو القطيع من الغنم يتبع القطيع وصيور الامر ما يرجع اليه منه ومدار هذا الفصل على التنفير عن الدنيا بذكر معايبها وما يؤول اليه وذكر لها اوصافا ۞ **الاول** كونها رنقا مشربها وهو كناية عن كدر لذاتها بشوائب المصائب من الهموم والاحزان والاعراض والامراض ۞ **الثاني** كونها ردغا مشرعها ومشرعها محل الشروع في تناولها والورد

ورجع

في نسخة
وذكر لها معايبها

في بيان الخطبة الغراء

في استعمالها وكونه رنقا وصف للطريق المحسوس استعير له ووجه المشابهة كون طريق الانسان في استعمال الدنيا والتصرف فيها ذات
مزالق ومزال اقدام مشوبة بالخطر لا يثبت فيها الاقدم عقل قد مجرة في ضبط قواه وقهر سطوة شيطانيته كان الطريق ذات الوحل كذلك
وهو من اللطائف اشار اليه الثالث كونها موبق منظرها ويوبق مخبرها وهو اشارة الى اعجابها لذوي الغفلة بزينتها الحاضرة مع
هلاكهم باختيارها ونفوذهم لحلاوتها وغرض الالتذاذ بها الرابع كونها غرورا حائلا يروى بفتح الغين وضمها ومعنى الاول انه
غرور اي يغر الخلق بزخارفها فيتوهمون بقاءها ثم تنتقل عنهم وتحول ومن روى بالضم جعلها نفسها غرورا والغرور يطلق على ما
يغتر به حقيقة عرفية الخامس كونها ضوءا افلا استعار لفظ الضوء لما يظهر منها من الحسن في عيون الغافلين يقال على فلان ضوء
اي له منظر حسن او لما ظهر لهم من وجوه مسالكها فاهتدوا به الى تحصيلها ومداخلها ومخارجها وعلى التقديرين فهو ضوء
افل لا يدوم ولفظ الافول ايضا مستعار السادس وظل زائل استعار لفظ الظل لما ياوي اليه الانسان من نعيمها فيستظل
به من حرارة بؤسها وظ كونه زائلا السابع كونه سنادا مائلا استعارة ايضا للفظ السناد فيما يعتمد الغافلون عليه من قنياتها
وخيراتها التي لا اصل لها ولا ثبات بل هي كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وذكر الميل ترشيح للاستعارة
الثامن كونها تغر الناس بضوئها وظلها وبهجة منظرها الى غاية ان يستأنس بها من كان نفرة منها لعقله نافرا عنها ويطمئن اليها
من كان بمقتضى فطرته منكرا لها حتى اذا كان ذلك منه طوعا لها فعلت به افعال العدو الجحود ونسب اليها من الافعال
امورا احدها قمصها بالارجل واستعار لفظ القمص لامتناعها على الانسان حين حضور اجله كانها تدفعه برجلها
ولينته عنه كما تفعل الدابة ورشح بذكر الارجل وانما جمع لاعتبار اليدين مع الرجلين وذكره بلفظ الرجلين لان القمص
اليها انسب الثاني قنصها له باحبلها وهو كناية عن تمكن حبائل محبتها والهيئات الرديئة المكتسبة منها في عنق نفسه كناية بالمستعار
الثالث كونها اقصدته له باسهمها واستعار لفظ الاسهم للامراض واسباب الموت واقصادها كناية عن اصابتها بالمستعار الاوصاف
الرامي تنزيلا للدنيا منزلته الرابع كونها علقته حبال المنية وحبالها استعارة لما يجذب به الى الموت من سائر اسبابه ايضا
وكذلك لفظ القائد استعارة كنى بها عن انتسابه المريض في حبال عرضه الحاصل فيها الى الامور المذكورة من ضنك المضطجع وهو
القبر ووحشة المرجع وهو اشارة الى ما يجده النفوس الجاهلة عند رجوعها من وحشة فراق ما كان محبوبا لها في الدنيا وما كانت الفته
من منزل واهل ومعتد وهي استعارات الاوصاف السابقة تنزيلا للدنيا منزلته ومعاينة المحل اي مشاهدة الاخرة التي هي محل الجزاء و
ثواب العمل اي جزاءه من خير وشر وقوله وكذلك الخلف الى اخره اي على الاحوال المذكورة للدنيا مضى الخلق يتبع خلفهم من سلف
منهم لا المنية تقصر عن اخترام نفوسهم ولا الباقون منهم يرجعون عما هم عليه من ارتكاب الجرائم فيها والغرور بها بل يقتدون بامثالهم
الماضين في ذلك ويمضون عليه اتباعا الى غاية مسيرهم مطايا الابدان ومصيرهم وهو الفناء والعرض على الملك الديان وقد
راعى ايضا السجع المتجانس في قوله يونق ويوبق ونافرها وناكرها وقمصت وقنصت والاختلاف بحرف وسط وبالله التوفيق الفصل
الرابع في الاشارة الى ما يلحق الناس بعد الموت من احوال القيامة تذكيرا لهم قوله حتى اذا تصرمت الامور وتقضت الدهور وازف
النشور اخرجهم من ضرائح القبور واوكار الطيور واوجرة السباع ومطارح المهالك سراعا الى امره مهطعين الى معاده رعيلا صموتا
قياما صفوفا ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلة قد ضلت الحيل وانقطع الامل
وهوت الافئدة كاظمة وخشعت الاصوات مهينمة والجم العرق وعظم الشفق وارعدت الاسماع لزبرة الداعي الى فصل الخطاب
ومقايضة الجزاء ونكال العقاب ونوال الثواب اقول تصرمت تقضت وازف دنا والضرائح جمع ضريح وهو الشق في
وسط القبر واوكار الطيور اعشاشها والاوجرة جمع وجار وهو بيت السبع مهطعين مقبلين ورعيلا مجتمعين واللبوس ما يلبس
والضرع الخضوع والانكسار وكاظمة ساكنة والهينمة صوت خفي والجم العرق بلغ الفم فصار كاللجام والشفق الاشفاق وهو
الخوف والزبرة الانتهار والمقايضة المعاوضة والنكال تنويع العقوبة واعلم انه قد تطابقت السنة الانبياء والرسل عليهم السلم
على القول بالمعاد الجسماني ونطق به الكتاب العزيز كقوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم
ترهقهم ذلة الاية ونحوه واتفق المسلمون على القول به واما الحكماء فالمشهور من مذهبهم منع المعاد الجسماني بناء على ان المعدوم لا يعاد
بعينه لامتناع عود اسبابه باعيانها من الوقت والدورة الفلكية المعينة وغيرهما وربما قال بعض حكماء الاسلام بجواز عود المثل
وربما قال بعضهم ظاهر الشريعة في امر المعاد الجسماني واثبات السعادة والشقاوة البدنية مع الروحانية وقال الرئيس ابو علي بن
سينا في كتاب الشفاء ما هذه حكايته الفاظه يجب ان يعلم ان المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل الى اثباته الا من طريق
الشريعة وتصديق خبر النبوة وهو الذي للبدن عند البعث وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج ان تعلم وقد بسطت
الشريعة الحقة التي اتانا بها سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه واله حال السعادة والشقاوة اللتين بحسب البدن ومنه ما هو مدرك

في بيان الخطبة الغراء

يا فصل في القرني ليس البرهان وقد صنف قسم النبوة وهو السعادة والشقاوة البالغتان الثابتتان بالقياس الى الانفس وان كانتا لا وهما
متفاوتتان بحسب تفاوتها الانسان نوع من العلل والحكماء الالهيون رغبتهم في اصابة هذه السعادة اعظم من رغبتهم في اصابة السعادة البدنية
بل كانهم لا يلتفتون الى تلك وان اعطوها ولا يستعظمونها في جنب هذه السعادة التي هي مقارنة الحق الاول واعلم ان الذي ... هاهنا
صريح في اثبات المعاد الجسماني ولو اجمله فقوله اخرجهم من ضرائح القبور واوكار الطيور واوجرة السباع ومطارح المهالك اشارة الى جمع الاجزاء
ابدان الناس بعد تشذبها وتفرقها فيخرج من كان قبر من ضريح قبره ومن كان اكيل طير او سبع او مقبولا في مط... المهالك من معركة الحرب
او غيرها اخرجه من ذلك المكان وجمع اجزاءه والف بينها فان قلت اذا اكل انسان انسانا واغتذى به صارت اجزاء بدنه اجزاء
البدن الآكل فكيف يمكن اعادتهما لان تلك الاجزاء في اي بدن منهما اعيدت لزم نقصان الاخر وبطلانه ... ذهب محققو المتكلمين ان
في كل بدن واحد اجزاء اصلية باقية من اول العمر الى اخره لا تتغير ولا تتبدل واجزاء فضلية فاذا اعيد يوم القيمة فما كان اصليا
من اجزاء البدن الماكول فهو فضلي لبدن الآكل فيرد اليه من غير ان ينقص من الاجزاء الاصلية للآكل شيء ولا عبرة بالفاضلة وبه
وباقي الفضلي غني عن البيان وقال بعض الفضلاء انه ربما احتملت هذه الالفاظات ان يسلط عليها من التاويل ما يناسب مذهب
القائلين بالمعاد الروحاني فقوله حتى اذا تصرمت الامور اي احوال كل واحد من الخلق في الدنيا وقوله وتقضت الدهور اي انقضت
مدة كل شخص منهم وقوله وازف النشور اي دنا انتشار كل واحد في عالم الاخرة من قبور الابدان وقوله اخرجهم من ضرائح القبور استعار لفظة
القبور للابدان وضرائحها ترشيح للاستعارة ووجه المشابهة ان النفس تكون منغمسة في ظلمة البدن وكدر الحواس متوحشة عن
عالمها كان المقبور متوهم لظلمة القبر ووحشته منقطع عن الاهل والمال وضمير المخرج يعود الى الله في صدر الخطبة وقوله واوكار الطيور
فاعلم ان العارفين واهل الحكمة كثيرا ما يستعيرون لفظ الطير واوصافه للنفس الناطقة والملائكة كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله
عليه واله في قوله حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش ويقول يا اهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي والرفرفة
انما يكون لذي الجناح من الطير وكما جاء في التنزيل الالهي في وصف الملائكة اولي اجنحة مثنى وثلث ورباع وكما اشار اليه ابو علي في قصيدته
التي اولها هبطت اليك من المكان الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع واشار بالورقاء الى النفس الناطقة وكما اشار اليه في رسالته المسماة
برسالة الطير بقوله برزت طائفة تقتنص فصبوا الحبائل ورتبوا الشرك وهيؤوا الطعم وتواروا في الحشيش وانا في سرب طير ونحوه ووجه
المشابهة في هذه الاستعارة ما اشترك فيه النفس والطير من سرعة التصرف والانتقال اما انتقال العقلي والطير بانتقال حسي واذا ...
لفظ الطير للنفس فبالحري ان يستعار ... لوكر للبدن لما بينهما من المشاركة وهو كونهما مسكنا الاستعمال منها وقوله واوجرة السباع
استعارة للابدان ايضا والسباع اشارة الى النفوس المطيعة لقواها الغضبية التي شأنها محبة الغلبة والانتقام كما ان السبع كذلك وقوله
ومطارح المهالك اشارة الى الابدان ايضا فانها مطارح مهالك الغافلين الذين اتبعوا الشهوات على ابدانهم وقوله سراعا الى امره نصب
على الحال بقوله اخرجهم وكذلك ما بعد من المنصوبات وامره هو حكم قضائه الازلي عليهم بالرجوع اليه وعودهم الى مبدأهم وسرعتهم اليه اشارة
الى قرب وصولهم وهو في ان انقطاع علاقة النفس مع البدن وهو على غاية من السرعة وقوله مهطعين الى معاده اشارة الى اقبال النفوس
بوجوهها على محل عودها وما اعد لها فيه من خير وشر وقوله رعيلا اشارة الى اجتماعهم في حكم الله وقبضته ومحل الاستحقاق لثوابه وعقابه
وقوله صموتا ان لا السنة لهم اذ ذاك ينطقون بها ويحتمل ان يكون استعارة كناية عن خضوعهم وانقيادهم في ذل الحاجة وهيبة الجلال وقوله
قياما صفوفا فقيامهم استعارة لاستشعار النفوس هيبة سلطنته وقيامها بتصور كما لها على ساق العبودية وقدر الامكان وصفوفا استعارة
لانتظامهم ادرتب في سلك علمه نعم اذ الكل بالنسبة الى علمه على سواء كما يستوي الصف المحسوس ويحتمل ان يكون الصف استعارة لترتبهم في القرب
الى الله ثم منازلهم منه عنده وقوله ينفذهم البصر اشارة الى علمه تعالى بهم وقوله ويسمعهم الداعي فالداعي هو حكم القضاء عليهم بالعود واسماعه
عمومه لكل ذلك الحكم لهم بحيث لا يمكن ان يخرج عنه منهم احد وقوله عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلة اشارة الى حالهم التي يخرجون
من الاجداث عليها من فقد الامكان وعوق الحاجة والخوف في قبضة الله وهو كقوله تعالى يوم يدع الداع الى شيء نكر خشعا ابصارهم يخرجون
من الاجداث وقوله قد ضلت الحيل اي حيل الدنيا فلا حيلة لهم في الخلاص مما هم فيه كما كانوا يتخلصون بحيل الدنيا من بعض شرورها
وانقطع الامل اي املهم فيها لامتناع عودهم اليها وانقطاع طمعهم في ذلك وقوله وهوت الافئدة كاظمة اي سقطت النفوس في حضيض
الذل والفاقة الى رضا الله وعفوه ولفظ الكظم مستعار كما سبق وقوله وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وهو اشارة الى
سؤالهم بلسان حالهم عفو الله ورحمته على وجه الذلة والضعف ورق العبودية في ملاحظة جلال الله وقوله والجم العرق وعظم الشفق
استعار لفظ العرق وكنى به عن غاية ما يخرج النفس من كرب الم الفراق وهيبة الله وعدم الانس بعد الموت اذ غاية الخائف المتاع ان
يعرق ويشفق من نزول العقاب به ونسبة الالجام الى العرق نسبة مجازية وقوله وارعدت الاسماع لزبرة الداعي اشارة الى ما يجده
النفس عند تيقنها المفارقة واستعار لفظ الزبرة لقهر حكم القضاء للانفس على مرادها قهرا لا يمكن معه من الجواب بالامتناع وفصل الخطاب

في بيان الخطبة الغراء

هو امضاء احكام الله على نفوس عباده عند الرجوع اليه بتوفيته ما لها واستيفاء ما عليها ومقابلته الجزاء معا وصفها بما انت به اعلم من المكان
الرتبة فبنكال العقاب واما من الملكات الفاضلة فبنوال الثواب فهو بكل بقدر استعداده وقبوله واعلم ان العدول الى المجازات و
الاستعارات عن حقائق الالفاظ والى التاويل عن الظواهر انما يجوز خصوصا في كلام الله وكلام رسوله واوليائه اذا عضده دليل
عقلى يمنع من اجراء الكلام على ظاهره ولما اعترف القوم بجواز المعاد الجسمانى تقليدا للشرع بعينه ولم يقم دليل عقلى يمنع منه لم يمكننا الجزم
اذن بصحة هذه التاويلات وامثالها والله الموفق والمعين **الفصل الخامس** في تنبيه الخلق على اوصاف خلقهم المنافية
لما هم عليه من التخيير والاعراض عما خلقوا لاجله لعلهم يتذكرون بقوله عباد مخلوقون اقتدارا ومربوبون اقتسارا ومقبوضون
احتضارا ومضمنون اجداثا وكائنون رفاتا ومبعوثون افرادا ومدينون جزاء ومميزون حسابا قد امهلوا في طلب المخرج
وهدوا سبيل المنهج وعمروا مهل المستعتب وكشفت عنهم سدف الريب وخلوا لمضمار الجياد وروية الارتياد واناة المقتبس
المرتاد في مدة الاجل ومضطرب المهل **اقول** القسر القهر والجبر والاجداث القبور واحدها جدث والرفات الفتات من العظم
ونحوه ومدينون مجزيون والمستعتب المسترضى والسدف جمع سدفة وهى ظلمة الليل والريب الشبه والشكوك والارتياد وذكر من تلك الاوصاف
ثلثه عشر وصفا **الاول** كونهم مخلوقين اقتدارا اى خلقهم ليس لهم وانهم بل بقدرة مستقلة عن مشاركة الغير وذلك مما يقتضيهما
له **الثانى** كونهم مربوبين اقتسارا اى ليس ملكه اياهم عن اختيار منهم حتى يكون لهم الخيرة في معصيته وطاعته **الثالث** كونهم مقبوضين
احتضارا اى مستحضرين بالموت مقبوضين به الى حضرة جلال الله **الرابع** كونهم من شانهم ان يضمنوا الاجداث **الخامس** من شانهم
ان يصيروا رفاتا **السادس** من شانهم ان يبعثوا افرادا كما قال تعالى وكلهم اتيه يوم القيمة فردا اى مجردا عن استصحاب غيره من اهل ومال
السابع انهم مدينون جزاء ومن شانهم ذلك الجزاء مصدر نصب بغير فعله **الثامن** ان من شانهم ان يميزوا حسابا اى يحصون
عددا كقوله تعالى لقد احصيهم وعدهم عدا وحسابا ايضا مصدر منصب عن غير فعله **التاسع** كونهم قد امهلوا في طلب المخرج اى انما
امهلوا في الدنيا لطلب خلاصهم وخروجهم من ظلمات الجهل وورطات المعاصى الى نور الحق ومنبع الجود **العاشر** كونهم قد هدوا
سبيل المنهج اى الهموا باصل فطرهم ودلوا بالاعلام الواضحة من الانبياء والشرائع على الطريق الى حضرة قدس الله والجنة **الحادى عشر**
كونهم قد عمروا مهل المستعتب لما كان من طلب استعتابه ويقصد رجوعه عن غيه يمهل ويدارى طويلا امهله الله سبحانه لخلقه مدة اعمارهم
ليرجعوا الى طاعته ويعملوا صالحا تشبيها بذلك فنزلت منزلته ومهل نصب على المصدر لان التعمير امهال **الثانى عشر** كونهم قد كشفت
عنهم سدف الريب اى زال عن ابصار بصائرهم ظلم الشكوك والشبهات والجهالات بما وهبه لهم من العقول وايدهم من بعثة الرسل **الثالث
عشر** كونهم قد خلوا المضمار الجياد اى تركوا في الدنيا التي هى مضمار انفسهم بازواد التقوى ولما استعار لفظ المضمار رشح بذكر الجياد اذ شرف المضمار
ان يحل به جياد الخيل وفيه تنبيه لهم على ان يكونوا من جياد مضمارهم وقد سبق وجه الاستعارة ومعنى التضمير في قوله الا وان اليوم المضمار
وغدا السباق وكذلك خلوا لروية الارتياد اى ليتفكروا في طلب ما يخلصون به الى الله تعالى من شاطاعاته وكذلك ليتانوا اناة المقتبس
لانوار الالهية الطالب لاقتباسه بها في مدة اجالهم ومحل اضطرابهم في مهلتهم وتحصيلهم لما ينبغى لهم من الكمالات ومن ملك من عبيده
هذه الحالات وافاض عليهم ضروب هذه الانعامات فكيف يليق باحدهم ان يجاهره بالعصيان او يجاسر ان يقابله بالكفران ان الانسان
لكفور مبين **الفصل السادس** في التنبيه على فضل موعظته وتذكيره ومدحها بالبلاغة والتعريض بعدم القلوب الحاملة لها
ثم الحث على التقوى بقوله فيا لها امثالا صائبة ومواعظ شافية امثالا ومواعظ نصب على التمييز وصواب الامثلة مطابقتها للممثل
به وشفاء الموعظة تاثيرها في القلوب بازالة مرض الجهل والرذائل الخلقية ورجوع المتعظ بها منيبا الى ربه وقوله لو صادفت قلوبا زاكية
واسماعا واعية واراء عازمة والبابا حازمة فزكاء القلوب استعدادها لقبول الهداية وقربها من ذلك ووعى الاسماع فهم القلوب عنها
وانما وصفها بالوعى لانها ايضا قابلة لقشور المعانى مؤدية لها الى قوة الحس ثم الخيال وعزم الاراء توجيه الهمة الى ما ينبغى والثبات على
ذلك وحزامة الالباب جودة راى العقول فيما تختاره وظاهر ان هذه الثلثة هى اسباب نفع الموعظة وقوله فاتقوا الله الى قوله مقامه
امر بتقوى الله تقية كتقوى من استجمع جميع هذه الاوصاف **احدها** تقية من سمع فخشع اى تقية من استعد قلبه لسماع الموعظة فخشع
منها الله **الثانى** تقية من اقترف فاعترف اى اكتسب الذنوب فاعترف بها وتاب الى الله **الثالث** تقية من وجل اى خاف ربه فاقلقه
خوفه فعمل اى فالتجاء الى الاعمال الصالحة لينجو بها **الرابع** تقية من حاذر اى عقاب ربه فبادر الى طاعته **الخامس** تقية من ايقن
اى بالموت ولقاء ربه فاحسن اى فاحسن عمله فاحسن عمله واخلص له **السادس** تقية من عبر اى رئى بالعبر وذكر بها فاعتبر اى
جعلها سببا لعبوره منها ذهنه الى العلم بما ينبغى له **السابع** وحذر اى من سخط الله وعقابه فانذجر اى فرجع عن معصيته **الثامن**
تقية من اجاب اى اجاب داعى الله فاناب اى رجع اليه بسره وامتثل امره **التاسع** تقية من راجع فكره وعقله فتاب اى فاستعان به
على شياطينه وقهر نفسه الامارة بالسوء وتاب من متابعتها **العاشر** تقية من اقتدى اى بانبياء الله واوليائه وصلحائهم الذين تولاهم فاحتذى

في بيان الخطبة الغراء

اى حذا حذوهم في جميع احوالهم وطلب مقصدهم وعقل فعلهم **الحادي عشر** تقية من اُرى اى رأى الحق فاظهرت بعين بصيرته .
طريق الله وسبيله فرأى اى تعرفها واسرع طالبا اى سلك له ونهى وتجانبها هاربا من ظلمات جهله وثمراته فافاد ذخيرة اى فاستفاد
سلوكها وطاعته لرتبة في ذلك ذخيرة لمعاده واطاب سريرته عن نجاسات الدنيا وعمر بما يكتسبه في سلوكها من الكمالات
المستعدة معاده واستظهر زادا ليوم رحيله من دنياه واستعد بتوجيه سبيله التي هو سالكها ومسافر فيها ولحال حاجته وموطن
فاقته فان كل مرتبة من الكمالات حصلت للانسان فهى تعده لرتبة اعلى منها لو لم يحصلها لظهرت له حاجته في الآخرة الى قبل منها
حيث لا يجد اليها سبيلا وكذلك قوله قدم اى مما استظهر به زادا امامه اى تلقاء وجهه التي هو مستقبلها ومنتهيا اليها لدار مقامه اى الآخرة
وقوله فاتقوا الله جهة ما خلقكم له اى باعتبار ما خلقكم له ولما كان ما خلقهم له انما هو عرفانه والوصول اليه كان المعنى اجعلوا تقواكم
الله نظرا الى تلك الجهة والاعتبار لا للرياء والسمعة وجهة منصوب على الظرف ويحتمل ان يكون مفعولا به لفعل مقدر اى واقصدوا
بتقويكم جهة ما خلقكم وقوله واحذروا منه كنه ما حذركم من نفسه اى اسلكوا في حذركم منه حقيقة ما حذركم من نفسه بما توعد
به وذلك الحذر انما يحصل بالبحث عن حقيقة الحذر ومعنه والسالكون الى الله في تصور ذلك على مراتب متفاوتة وقوله واستحقوا
منه ما اعد لكم بالتنجز لصدق ميعاده اى استحقاق ما وعد به الله تعم من جزيل الثواب مما يحصل بالاستعداد له وهو امر بالاستعداد له و
الاستعداد يحتاج الى اسباب فذكرها عليه السلم في امرين احدهما التنجز لصدق ميعاده والتنجز طلب انجاز الوعد وقضائه وذلك انما هو
بالاقبال على طاعته كما قال تعم وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار الاية ونحوها والثاني الحذر من
اهوال معاده وذلك باجتناب مناهيه والارتداع بزواجره ونواهيه منها قوله جعل لكم اسماعا اعلم ان في هذا الفصل فصلين **الفصل
الاول** في تذكير عباد الله بضروب نعمته عليهم والتنبيه على غاياتها ثم التذكير بحال الماضين من الخلق والتنبيه على الاعتبار
بهم وهو في معرض الامتنان وذلك قوله جعل لكم اسماعا لتعي ما عناها وابصارا لتجلو عن عشاها واشلاء جامعة لاعضائها ملائمة
لاحنائها في تركيب صورها ومدد عمرها بابدان قائمة بارفاقها وقلوب رائدة لارزاقها مجللات نعمه وموجبات مننه وحواجز
عافيته وقدر لكم اعمارا سترها عنكم وخلف لكم عبرا من آثار الماضين قبلكم من مستمتع خلاقهم ومستفسح خناقهم ارهقتهم المنايا دون
الآمال وشذبهم عنها تخرم الآجال لم يمهدوا في سلامة الابدان ولم يعتبروا في انف الاوان فهل ينتظر اهل بضاضة الشباب الا حواني
الهرم واهل غضارة الصحة الا نوازل السقم واهل مدة البقاء الا آونة الفناء مع قرب الزيال وازوف الانتقال وعلز القلق والم المضض
وغصص الجرض وتلفت الاستغاثة بنصرة الحفدة والاقرباء والاعزة والقرناء فهل دفعت الاقارب او نفعت النواحب وقد غودر
في محلة الاموات رهينا وفي ضيق المضجع وحيدا قد هتكت الهوام جلدته وابلت النواهك جدته وعفت العواصف آثاره ومحا
الحدثان معالمه وصارت الاجساد شحبة بعد بضتها والعظام نخرة بعد قوتها والارواح مرتهنة بثقل اعبائها موقنة بغيب انبائها
لا تستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيئ زللها اولستم ابناء القوم والآباء واخوانهم والاقرباء تحتذون امثلتهم وتركبون
قدتهم وتطؤون جادتهم فالقلوب قاسية عن حظها لاهية عن رشدها سالكة في غير مضمارها كان المعنى سواها وكان الرشد
في احراز دنياها **اقول** عناها اهمها والعشى ظلمة تعرض للعين بالليل والاشلاء جمع شلو وهو العضو وهو ايضا القطعة من اللحم
وكنى به عن الجسد والحنو الجانب والارفاق المنافع ويروى بارماقها والرمق بقية الروح والخلاق النصيب والخناق بالكسر حبل يخنق
به والارهاق الاعجال والتشذيب التفريق ومهد الامر مخففا ومشددا اى هيأه وانف الاوان اوله والبضاضة امتلاء البدن وقوته و
الهرم الكبر وغضارة العيش وآونة جمع اوان كازمنة جمع زمان والزيال المزايلة وازف قرب والعلز كالرعدة يأخذ المريض والحريض
ان يتلع ريقه على هم وحزن والحفدة الاعوان وغودر ترك والنهكه اخلقه وابلاه والمعالم الآثار التي يستدل بها للتأمل والنخرة
البالية والاعباء الاثقال والقدة بكسر القاف والدال المهملة الطريقة وروى بضم القاف والذال المعجمة والاول اصح ولنرجع
الى المعنى فقوله جعل لكم الى قوله باوقاتها تذكير بنعمة الله تعم بخلق الابدان وما تشتمل عليه من المنافع ففائدة الاسماع ان تعي ما
ما خلقت لاجله وفائدة الابصار ان يدرك بها الانسان عجائب مصنوعات الله تعم فيحصل له منها عبرة ولفظ العشا يحتمل ان يكون
مستعارا لظلمة الجهل العارض لابصار القلوب حتى يكون التقدير لتجلو عشا قلوبها وح فادراك البصر المحصل عبرة يحصل
للقلب به جلاء لذلك العشا فصح اسناد الجلاء الى الابصار ويحتمل ان يكون مستعارا لعدم ادراكها ما يحصل منه العبرة
اذ كانت فائدتها ذلك فاذا لم يحصل منها ذلك الادراك كانت كبصر صاحبه العشا ووجه المشابهة عدم الفائدة ونسبة الجلاء
اليها بوجود الادراك المفيد عبرة عنها وهو استعارة ايضا وعن ليست بزائدة لان الجلاء يستدعي مجلوا عنه فكرر المجلو
واقامه مقام المجلو عنه فكانه قال لتجلو عن قواها عشاها واما فائدة البدن واعضائه فقد اشرنا اليه فيما مضى مفصلا وقوله
قائمة بارفاقها اى ان كل بدن قائم في الوجود بحسب ما عين له من ضروب المنافع وقوله وقلوب رائدة الى قوله سترها عنكم اظهار

من الخطبة الغراء

فتجلوا

في بيان الخطبة الغراء

لمنة الله تعالى على عباده بخلقه لهم وهدايته لنفوسهم لا رتياد ارزاقهم التي بها قوام حيوتها الدنيا وتمكنها من اصلاح معادها ثم باعتبار كونهم في حلالا
نعم وسوابغها فمنها ستره عليهم قبائح اعمالهم ان تظهر وهواجس خواطرهم بعضهم لبعض بحيث لو اطلع كل على ما في ضمير صاحبه من الغل و
الحسد وتمنى زوال نعمته لا فنى بعضهم بعضا وخرب نظام وجودهم وموجبات منته نعمة التي تجب وجب ان يمن بها ومن نعوى بفيح الجبيم
فالمراد بالمنن اذن النعم وموجباتها ما سقط منها وافيض على العباد وهواجز عافيته ما منع منها عوائل الامراض والمضار المنة وغيرها واتما
ذكر سر كمية الاعمار في معرض المنة لانه من النعم العظيمة على العبد انكان اطلاع الانسان على كمية عمره مما يوجب اشتغال خاطره بخوفه
من الموت من عمارة الارض ويبطل بسببه نظام هذا العالم وقوله وخلف لكم عبرا وجه من من الله نعم فان ابقاءه لاحوال الماضين وما
خلفوه عبرة للاحقين سبب عظيم لجذبهم عن دار الغرور ومهاوى الهلاك الى سعادة الابد ومستمتع خلاقهم ما استمتعوا به مما كان نصيبا
لكل منهم في مدة بقائه من متاع الدنيا ومستفسح خناقهم محل الفسحة لاعناقهم من ضيق حبائل الموت واغلال الجحيم وذلك المستفسح
هو مدة حيوتهم ايضا ثم ادرف ذلك بوصف حال الماضين في غرورهم وذكر اعجال الموت لهم عن بلوغ امالهم وتشذيبهم باخترامهم
عنها وتنبيه على وجوب تقصير الامل والاستعداد للموت وكلف نبههم بقوله لم يمهد والى قوله الا وان على تقصير الماضين في اصلاح
معادهم حيث امكنهم ذلك في سلامة ابدانهم واول زمانهم ليحصل لهم بذلك لتذكر نفرة عن حال السابقين وانزعاج عن الغرور
الى الاستعداد بالتقوى والاعمال الصالحة ثم استفهمهم عما ينتظر الشباب بشبابهم غير حوانى الهرم واهل الصحة بصحتهم من غير الاسقام
والمعمرون بطول اعمارهم غير الفناء استفهاما على سبيل الانكار لما ينتظرونه غير هذه الامور وتقريعا على ذلك الانتظار فسيفر عنه
بذكر غايات ثم التي حصره فيها واعلم ان ذلك ليس انتظارا حقيقيا لكن لما كان المنتظر الامر والمترقب له تاركا في احواله لما يعنيه من الاشتغال
الى غاية ان يصل اليه ما ينتظره وكانت غاية الشباب ان يجئ ظهور الهرم وغاية الصحيح ان ينتهم وغاية المعمر ان يفنى اشبه تركهم للعمل و
عبادة الله الى غايات تهم المذكورة الانتظار لها فاستعير له لفظ الانتظار ثم كنى عن شدة حال المفارق في سكرات الموت باوصاف تعرض
له كالارق والقلق والغم والخوف والغصص بالريق والتلفت للاستغاثة بالاعوان والاقرباء والاعزة ثم نبه بقوله وهل دفع الاقارب
اذ نفعت النواحب اى البواكى على ان ما ينفع عند نزول الموت من تلك الاحوال لا ينفع في دفعه قريب ولا حبيب على طريق الاستفهام و
الانكار وقوله فقد غودر الجملة في محل النصب على الحال والعامل نفعت ان لم ينفعه البكاء حال ما غودر في محل الاموات بالاوصاف الكريهة
نفيرا عن احواله وحيدا الى الخلاص من اهوالها بالعمل ... والاخلاص له رهينا اى مقيما اوهرهنا بذنوبه وموثوقا بها ونصبه على الحال
وكذلك وحيدا وموضع قوله فقد هتكت وباقى الافعال المعطوفة عليه والهوام الدبابات المتولدة من جيفة وغيرها وقوله والارواح مرتهنة بثقل
اعبائها اشارة الى اشتغال النفوس وانحطاطها الى الجنبة السافلة بثقل ما حملته من الاوزار واكتسبته من الهيئات الرديئة وما يتحقق عينيته
من الابناء هناك هو الاخبار من الاحوال اللاحقة بها بعد الموت من خير او شر فانها ينقطع عينيتها عن اهل الدنيا وابناء ما خلفته من اللواحق
الدنيوية فانها ينقطع بعد الموت عينيتها وانقطاعها عنها والاول اولى وقوله لا تستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من شئ زللها اى لا
يطلب منها زيادة من العمل الصالح ولا يقال من شئ زللها ويرضى عنها كقوله نعم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين وذلك لعدم آلة العمل
وامتناع الرجوع اليه وعدم تمكنها من نزع ما صار في عنقها من اطواق الهيئات البدنية كما قال نعم قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما
تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وقوله ولستم ابناء القوم والابناء واخوانهم والاقرباء اى اوليس فيكم من هو
اب لاحد اولئك وابن له واخوه اوقريبه وهو تنبيه للسامعين على وجه العبرة فانه لما شرح حال الماضين في الموت وما بعده نبههم
على انهم امثالهم في كل تلك الاحوال ليرجعوا الى تقوى الله الذى هو سبب النجاة من تلك الاهوال وقوله يحتذون مثلهم اى تقتدون
بهم في افعالهم وتسلكون مسالكهم في غرورهم ونحوه كما قال نعم حكاية انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون وقوله فالقلوب
قاسية عن حظها اى لا استعداد لها لقبول حظها الذى ينبغى لها طلبه عن رشدها غافلة عن طلب هدايتها سالكة في غير مضمارها والمضمار
المضمار هيهنا هو الشريعة واوامر الله وسلوكها لغيره ارتكابها المناهى الله وريا ضتها بالاعمال الصالحة التى هى طريق الجحيم وقوله كان المعنى
سواها وكان الرشد في احراز دنياها في ذكر اعراض القلوب وغفلتها عن المواعظ وانهماكها في تحصيل الدنيا وجمعها الذى جذبت
عنه وحذرت منه **الفصل الثاني** في التذكير بامر الصراط والتحذير من اهواله والحث على التقوى وذلك قوله واعلموا
ان مجازكم على الصراط ومزالق دحضه واهاويل زلله وتارات اهواله فاتقوا الله تقية ذى لب شغل التفكر قلبه وانصب الخوف
بدنه واسهر التهجد غرار نومه واظمأ الرجاء هواجر يومه وظلف الزهد شهواته واوجف الذكر بلسانه وقدم الخوف لامانه
وتنكب المخالج عن وضح السبيل وسلك اقصد المسالك الى النهج المطلوب ولم تفتله فاتلات الغرور ولم تعم عليه مشتبهات
الامور ظافرا بفرحة البشرى وراحة النعمى في انعم نومه وامن يومه وقد عبر معبر العاجلة حميدا وقدم زاد الاجلة سعيدا و
بادر من وجل واكمش في مهل ورغب في طلب وذهب عن هرب وراقب في يومه غده ونظر قدما امامه فكفى بالجنة ثوابا

في عباده

لها ثمرات ... يكن سعيا بالقلب بها او ان الرشد التعويل ... البيتنا مرتحصيل الدنيا

وبعد الاوكف

في بيان الخطبة الغراء

وتولا لا وكفى بالنار عقابا ووبالا وكفى بالله منتقما ونصيرا وكفى بالكتاب حجيجا وخصيما اوصيكم بتقوى الله الذي اعذر بما انذر واحتج
بما نهج وحذركم عدوا نفذ في الصدور خفيا ونفث في الاذان نجيا فاضل واردى ووعد فمنى وزين سيئات الجرائم وهون
موبقات العظائم حتى اذا استدرج قرينته واستغلق رهينته انكر ما زين واستعظم ما هون وحذر ما امن **اقول**
المزلق الموضع الذي لا تثبت عليه قدم والدحض الزلق والتهجد العبادة بالليل والغرار النوم القليل واوجف اسرع والمخالج
الامور المشغلة الجاذبة وانكش امضى عزمه ومضى قدما لم يعرج واعلم ان الصراط الموعود به في القران الكريم حق يجب الايمان به وان
اختلف الناس في حقيقته وظاهر الشريعة والذي عليه جمهور المسلمين ومن اثبت المعاد الجسماني يقتضي انه جسم في غاية الدقة و
الحدة ممدود على جهنم وهو طريق الى الجنة يجوزه من اخلص لله ومن عصاه سلك عن جنبتيه احد ابواب جهنم واما الحكماء فقالوا
حقيقته وما يقال في صفته انه كالشعر والدقة فهو ظلم بل التشبيه بالشعرة اليه كنسبتها الى الخط الهندسي الفاصل بين الظل والشمس
الذي ليس من احدهما فهو كالخط الذي لا عرض له اصلا وحقيقته هو الوسط الحقيقي بين الاخلاق المتضادة كالسخاوة بين التبذير
والبخل والشجاعة بين التهور والجبن والاقتصاد بين الاسراف والتقتير والتواضع بين التكبر والمهانة والعفة بين الشهوة والخمود و
العدالة بين الظلم والانظلام فالاوساط بين هذه الاطراف المتضادة هي الاخلاق المحمودة ولكل واحد منها طرفان تفريط وافراط
هما مذمومان وكل واحد منها غاية البعد بين طرفيه وليس من طرف الزيادة ولا من طرف النقصان قالوا وتحقيق ذلك ان كمال
الانسان في التشبه بالملائكة وهم منفكون عن هذه الاوصاف المتضادة وليس في امكان الانسان الانفكاك عنها بالكلية فغايته التباعد
عنها الى الوسط تباعدا شبيها بالانفكاك عنها فالشيء كانه لا بخيل ولا مبذر فالصراط المستقيم هو الوسط الحق الذي لا ميل له الى احد
الجانبين ولا عرض له وهو ادق من الشعر ولذلك قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل وروي عن
الصادق وقد سئل عن قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال يقول ارشدنا للزوم الطريق المؤدي الى محبتك والمبلغ دينك المانع من
ان نتبع اهواءنا فنعطب او ناخذ باراءنا فنهلك وعن الحسن العسكري الصراط صراطان صراط في الدنيا وصراط في الاخرة فاما الصراط
المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل الى شيء من الباطل والصراط الاخر هو طريق المؤمنين الى
الجنة لا يعدلون عن الجنة الى النار ولا الى غير النار سوى الجنة والناس في ذلك متفاوتون فمن استقام على هذا الصراط وتعود
سلوكه مر على صراط الاخرة مستويا ودخل الجنة امنا اذا عرفت ذلك فنقول مزالق الصراط كناية عن المواضع التي هي مظان انحراف
الانسان عن الوسط بين الاطراف المذمومة وتلك المواضع هي مظان الشهوات والميول الطبيعية واهاويل زلاته هي ما يستلزم العبور
الى احد طرفي الافراط والتفريط من العذاب العظيم في الاخرة وتارات اهواله تكراره ذلك تارة بعد اخرى وقوله فاتقوا الله عباد الله الى اخره
بتقوى الله تقية من استجمع اوصافا اربع الاول احدها تقية من شغل التفكر قلبه اي في امر معاده عن محبة الدنيا وباطلها **الثاني** و
انصب الخوف بدنه اي اتعبه واتحله خوف الله تعالى وما اعد للعصاة من الاهوال **الثالث** واسهرت العبادة غرار نومه اي لم تتركه لينوم **الرابع**
واظمأ الرجاء هواجر يومه اي اظماه رجاء ما اعد الله لاوليائه الابرار عوضا من الطيبات هذه الدار وظماؤه في هواجر يومه كناية عن كثرة صيامه
في اشد اوقاته حرارة وانما جعل الهواجر مفعولا اقامة للظرف مقام المظروف وهو من وجوه المجاز **الخامس** وظلف الزهد شهواته استعار
لفظ الاطفاء للزهد وهو من اوصاف الماء ونسبته الى النار نسبة الزهد الى الشهوات فلاحظ الشبه بين الشهوات والنار في تاثيرهما المؤذي
وبين الزهد والماء فيما يلزمه من كون الاعراض عن الدنيا يستتبع خمود الشهوات ودفع مضراتها كما يفعله الماء بالنار **السادس** واسرع
الذكر الى لسانه اي لتعوده اياه وارمانه فيه **السابع** وقدم الخوف لامانه اي خوف ربه فعمل مخلصا له ليامن عذابه **الثامن** وتنكب
المخالج اي عدل عن الامور المشغلة الى واضح سبيل الله **التاسع** وسلك اقصد المسالك اي اولاها بالقصد الى النهج الواضح و
الطريق المطلوب لله من خلقه وهو سبيله المستقيم فان للناس في سلوك سبيل الله مذاهب كثيرة ولكن احبها اليه واولاها بالقصد الى
طريقه الموصل اليه **العاشر** ولم تفتله فاتلات الغرور اي لم تهلكه غفلة لانه في لذات الدنيا عن ربه اذا لم يغفل عن طاعته **الحادي
عشر** ولم تعم عليه مشتبهات الامور اي لم تظلم في وجهه شبهة على حق فيشتد عليه وجه تخليصه **الثاني عشر** ظافرا بفرحة
البشرى اي بشرى الملائكة يومئذ بشريكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار **الثالث عشر** وراحة النعمى والراحة في متاع
الدنيا ومتاعبها بنعمى الاخرة وبنعيم الله في الاخرة الجنة **الرابع عشر** في انعم نوم في اطيب راحته واطلق لفظ النوم على
الراحة في الجنة مجازا اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه **الخامس عشر** وامن يومه اي امن او فاته واطلق لفظ اليوم على مطلق
الوقت مجازا اطلاقا لاسم الجزء على الكل **السادس عشر** قد عبر معبر العاجلة اي الدنيا حميدا اي محمود الطريقة **السابع
عشر** وقدم زاد الاجلة سعيدا اي عمله للاخرة فحصل على السعادة الابدية وحميدا وسعيدا حالان **الثامن عشر**
وبادر من وجل الى الاعمال الصالحة من وجل خوف الله **التاسع عشر** واسرع في مهل الى طاعة ربه ايام مهلته وهي حيوته

كيفية الصراط الذي على جهنم

في بيان الخطبة الغراء

الدنيا **العشرون** ورغب في طلب اى كان طلبه لله عن رغبة له **الحادى والعشرون** وذهب عن هرب اى كان ذهابه عما يبعد عن الله
عن هرب من خوف الله وفي كل قرينة من هذه العشر السجع المتوازي **الثاني والعشرون** وراقب في يومه غده اى توقع في ايام حيوته محو
آخرته **الثالث والعشرون** ونظر قدما امامه اى لم يلتفت في نظره عن قصد الله الى غيره ثم نبه بقوله فكفى بالجنة ثوابا ونوالا
على وجوب السعى لها دون غيرها ثم بكون النار وبالا وعقابا على وجوب الهرب منها دون غيرها وكفى بالله منتقما ونصيرا على وجوب
الاقتصار على خشيته والاستعانة به وبقوله وكفى بالكتاب حجيجا اى محتجا وخصيما على وجوب الانفعال عنه وملاحظة شهادته في الاخرة
على من لم يتبعه ونسب الاحتجاج والخصام الى الكتاب مجازا والمنصوبات بكفى على التمييز وقوله اوصيكم بتقوى الله عود الى الحث على تقوى
الله باعتبار امور ثلثة **احدها** اعذاره الى الخلق بما انذرهم من العقوبات **الثاني** احتجاجه عليهم بما اوضح بالدلائل والبينات **الثالث**
تحذيره لهم ابليس عدوه وقد سبق معناه في الخطبة الاولى وذكر له اوصافا هي كونه نفث في الصدر وخفيا والاشارة به الى النفس الامارة
بالسوء وتجوز بلفظ الصدر وهي القلوب اطلاقا لاسم المكان على المتمكن وكونه نفث في الآذان نجيا وهو اشارة الى ما تلقيه شياطين
الانس بعضهم الى بعض من زخرف القول وغروره وقد سبق ذلك في الخطبة الاولى وكونه اضل اى جذب عن طريق الحق واردى اى فاوقعهم
في قرار الجحيم ووعد ومنى اى بلوغ الامال الكاذبة وزين سيئات الجرائم اى قبائح المعاصي وهون موبقات العظائم اى ما يهلك من عظيم
الذنوب وتهوينه لها بمثل تمنية التوبة ومساعدة العقل له بقوله ان الله غفور رحيم وبمثل الاقتداء بالغير الذي هو اولى بالعفة مثلا
او اكثر قدرا في الدنيا وسائر اوصاف الوساوس كما عرفت حقيقتها وقوله حتى اذا استدرج قرينته واستغلق رهينته فقرينته هي
النفس الناطقة باعتبار موافقته وهي رهينته باعتبار احاطة الذنوب بها من قبله كما يستغلق الرهن بما عليه من المال ولفظ الرهينة
مستعار واستدراجها ترتيبه حالا بعد حال وتعويدها طاعته وقوله انكر ما زين الى اخره اشارة الى غايته من وسوسته وتعوده من
النفس الامارة بالسوء الى موافقتها الحكم العقلي في قبح ما كانت امرتها واستعظام خطره ومساعدتها على التحذير منه بالامتناع من خشية بعد
ان كانت حثت عليه وزينته وتومن منه وذلك اما عند التوبة وقهر العقل لها او عند معاينة المكروهات الجزئية من العقوبات والالام
اما في الدنيا وبعد المفارقة والحصول في عذاب الجحيم بسبب الانهماك في زينته من الباطل وذلك ان النفس اذا فارقت البدن حملت معها
القوة المتوهمة فتدرك ما يلحقها من تبعات العقوبات كعذاب القبر وما يتنوع منه كما سبقت الاشارة اليه وقد يتصور ذلك من شياطين
الانس في تزيينه الجرائم واما من الشيطان الظاهر فظاهر **الفصل الخامس** في صفة خلق الانسان وفي هذا الفصل فصلان قوله
أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام وشغف الأستار نطفة دهاقا وعلقة محاقا وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ثم منحه
قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا ويقصر مزدجرا حتى إذا قام اعتداله واستوى مثاله نفر مستكبرا
وخبط سادرا ماتحا في غرب هواه كادحا سعيا لدنياه في لذات طربه وبدوات أربه ثم لا يحتسب رزية ولا يخشع تقية فمات في
فتنته غريرا وعاش في هفوته يسيرا لم يفد عوضا ولم يقض مفترضا دهمته فجعات المنية في غبر جماحه وسنن مراحه فظل
سادرا وبات ساهرا في غمرات الآلام وطوارق الأوجاع بين أخ شقيق ووالد شفيق وداعية بالويل جزعا ولادمة للصدر قلقا
والمرء في سكرة ملهثة وغمرة كارثة وأنة موجعة وجذبة مكربة وسوقة متعبة ثم أدرج في أكفانه مبلسا وجذب منقادا
سلسا ثم ألقي على الأعواد رجيع وصب ونضو سقم تحمله حفدة الولدان وحشدة الإخوان إلى دار غربته ومنقطع
زورته حتى إذا انصرف المشيع ورجع المتفجع أقعد في حفرته نجيا لبهتة السؤال وعثرة الامتحان وأعظم ما هنالك بلية
نزول الحميم وتصلية الجحيم وفورات السعير لا فترة مريحة ولا قوة حاجزة ولا موتة ناجزة ولا سنة مسلية بين أطوار الموتات
وعذاب الساعات إنا بالله عائذون **اقول** اعلم ان مدار هذا الفصل على وصف حال الانسان من مبدء عمره بالتفصيل وبيان
نعم الله عليه في اطوار الخلقة وتبكيته بمقابلة نعمه بالكفر والغفلة في متابعة الشيطان وتذكيره بما يكون غايته من حيوته الدنيا
وهو الموت وما يتبعه من احوال الميت بين اهله واقاربه وحالهم معه وما يكون بعد الموت من العذاب في القبر والسؤال والحساب وسائر
ما ينفر طبعه منه ويوجب له الالتفات الى اصلاح معاده وتذكيره به مبدأ اسئلة يذكروا ويخشى والشغف بالغين المعجمة جمع شغاف بالفتح وهو
غلاف القلب والدهاق المفرغة والمحاق الناقصة واليافع الغلام المرتفع والسادر اللاهي الذي لا يهتم بشيء والماتح الجاذب للدلو
من البئر والبدوات الخطرات التي تبدو اي تظهر للخاطر ودهمه بالكسر اي غشيه وغبر الشيء بقيته وجماحه سعيه في ركوب هواه والسنن
ثانيا والمحير واللادم ضارب الصدر والكارثة موجبة لشدة الغم والابلاس اليأس والرجيع من الابل المتردد في الاسفار والنضو الذي قد
اهزلته وحفدة الولدان اعوانهم والحشدة بفتح الحاء والشين المجتمعون والمتفجع المتوجع وفي تفصيل هذا الفصل نكت الاولى ام للاستفهام
وهو استفهام في معرض التقريع للانسان وامره باعتبار حال نفسه وكان لما خلقه على جنبات نعم الله عليه مع كفرانه لها وكان ام معادلا
لهمزة الاستفهام قبلها والتقدير اليس فيما اظهره الله لكم من عجائب مصنوعاته عبرة ام هذا الانسان وتنقله في اطوار خلقته وحالاته

يوم نشوره

في بيان الخطبة الغراء

يوم نشوره كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وفي بعض النسخ او هذا والمعنى واحد اعلم ان في ملاحظة خلقة الانسان وما جمع فيها من
لطائف الاسرار عبرة تامة حتى كان عالما مختصرا كما اومأنا اليه قبل كما وسيأتي الثانية قبل اول احوال تكون الانسان زبدية المني
وانتفاخ يظهر فيه فيموا بدو اول ما يتكون فيه وغشاء الروح بفعل الملك المصور ثم تحدث ريح من قبل الطبيعة فتثقب ثقبا اما
فوهات العروق بحيث اذا انخلقت محسوسة صارت عروقا ثم تنبسط النطفة في اقطارها وتحدث في الغشاء ثقبا موازية
لثقب العروق التي في الرحم تنفتح عند الحيض ويحصل لجميعها مجار في الغشاء المذكورة تؤدي الى مجرى واحد نافذ الى عمق النطفة
مؤديا الى باطنه الدم في عرقين او عروق النفس في عرقين فاذا انخلقت هذه المجاري منصت النطفة الغذاء من فوهات تلك
العروق ونفذت في الصفاق دم يستحيل عن قريب الى جواهرها التي وحدث لها خطوط لها مبادي دموية ونقطة اولى هي القلب
ثم لا تزال الدموية تزداد في النطفة حتى تصير علقة وتكون مثل الرغوة في الاكثر لستة ايام وابتداء الخطوط الحمر والنقطة بعد ثلثة
ايام اخرى ثم بعد ستة ايام وهو الخامس عشر من حين العلوق تنفذ الدموية في الجميع فتصير علقة وبعد ذلك باثني عشر يوما تصير
لحما وتتميز قطعة لحم هي المضغة وتتميز الاعضاء الرئيسة وتمتد رطوبة النخاع ثم بعد تسعة ايام ينفصل الراس عن المنكبين والاطراف عن
الضلوع والبطن بتميز الحس في بعضهم ويخفى في بعض حتى يحس به بعد اربعة ايام اخرى تمام الاربعين فيصير جنينا وقد يتم ذلك
في ثلثين يوما وقد يتم في خمس واربعين يوما وقيل العدل في ذلك ان خمسة وثلثون يوما فيتحرك في سبعين يوما ويولد في مائتين
وعشرة ايام وذلك سبعة اشهر واذا كان الاكثر خمسة واربعين يوما فيتحرك في تسعين يوما ويولد في مائتين وسبعين يوما
وذلك تسعة اشهر فهذه اشارة الى تنقله في ظلمات الرحم بتدبير الملك المقدر وواسطة الملك المصور ولو كشف الغطاء لرئيا
هذا التخطيط والتصوير يظهر عليه شيئا فشيئا مع انا لا نرى المصور ولا الة فسبحان المقدر على ما يشاء الثالثة تمام وصف العلقة
بالحاق لانها لا تنقض عليها بعد صورة شخص الانسان فهي بعد محففة الرابعة الولد ما دام يرضع فهو رضيع وبعده وليد فاذا
ارتفع قبل يافع فاذا طرشار به فهو غلام فاذا ادرك فهو رجل للرجولية ثلثة حدود الشباب وهو الى تمام النمو وبعده الكهولة وبعدها
الشيخوخة الخامسة ذكر الحفظ للقلب واللفظ للسان والحظ للبصر بيان لفوايد ما ذكرنا من تلك الفوايد ومقصودها وهو
ان يفهم الانسان معتبرا اي يستنبط من شواهد الاء الله دلايل جلاله وسائر نعوت جلاله ويعبر فيها اي استكمال الفضائل النفسانية
ويقصر مزدجرا اي يكف عما لا ينبغي من موبقات الاثام وعن الخوف فيما لا يعنيه مزدجرا عنها السادسة قوله حتى اذا تام اعتداله واستوى مثاله
نفر مستكبرا الى اخر الاوصاف ربما يعترض فيقال ان كثيرا من الناس لا يكون بهذه الصفة ح لا تصدق عليهم هذه الاحكام فجوابه ان
اشارته الى الانسان المطلق الذي هو في قوة البعض لا الانسان العام وذلك ان الاوصاف المذكورة اذا صدقت على المطلق على بعض الناس
وذلك البعض هم العصاة المراد بهذه الاوصاف والتوبيخ بها لهم وفيه تنبيه للباقين على وجوب دوام شكر الله والبقاء على امتثال اوامره
ونواهيه السابعة ما يخاف في غرب هواه لما استعار لفظ الغرب لهواه الذي يملاء به صحايف اعماله من الماثم كما يملاء ذو الغرب
غربه من الماء رشح تلك الاستعارة بذكر المتح الثامنة المنصوبات العشر من نطفة وعلقة وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ومنها
ومزدجرا ومستكبرا وسادرا وماتحا وكادحا وعزيزا مبلسا ومنقادا وسلسا ودجيع وهب وضوسهم ونحبا كلها احوال والعامل في
كل حال ما يليه من الافعال وسعيا اما مفعول به والعامل كادحا او مصدر استغني عن ذكر فعله وبسلم صفة ظرف محذوف فيمت
مقامه اي زمانا يسيرا وروي يسيرا فعلى هذا يكون حالا وجزعا وقلقا ونفسه مفعول له واستعار اسم العاجم على الروايات الثابتة ووجه
المشابهة ان صاحب الزلة يقوده هواه الى هواته كما يقاد الابل الى ما يكرهه التاسعة لم يفد عوضا اي لم يستفد في الدنيا عوضا مما
يفوته منها في الاخرة والعوض الذي ضيعه هو الكمال لان الخلق ليستفيدها وفرضت عليه والجذبة المكربة اي جذب الملائكة للروح
كما قال تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم الاية وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال
ان المؤمن اذا احضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة ارجعي
الى ربك راضية مرضية الى روح الله وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة وبعث بها الى عليين
وان الكافر اذا احضر اتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة ارجعي ساخطة مسخوطا عليك الى
هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وكان لها نشيش ويطوى عليها ذلك المسح ويذهب بها الى سجين واعلم ان تلك
الجذبة تعود الى ما يجده الميت حال النزع وهو عبارة عن الم يتنزل بنفس الروح يستغرق جميع اجزائه المنتشرة في اعماق البدن فليس هو كسائر ما
يجده الروح المختص ببعض الاعضاء كعضو شاكته شوكة ونحوه لاختصاص ذلك بموضع واحد فالم النزع يهجم على النفس بنفس الروح ويستغرق جميع اجزائه
وهو المجذوب من كل عرق وعصب وجزء من الاجزاء ومن اصل كل شعرة وبشرة الانسان من بدنه بجذب فمن كل عرق من عرق فقد يمثل
ذلك بجرة شوك كانت داخل البدن ثم جذبت منه فهي الجذبة المكربة ولما كان موت كل عضو من البدن عقيب الامراض التي ربما طالت بجا

نقدمسند

فتلك هي السوقة المتعبة **الحادي عشر** قوله رجيع وصب نضو سقم استعاله وصف الجمل فالرجيع باعتبار كونه قد تردد في اطوار المرض وتواترت عليه كما يتردد الجمل في السفر مرة بعد اخرى ولفظ النضو باعتبار نحوله من السقم كما ينحل الاسفار الجمل **الثانية عشر** قوله اضد في حجره بجنبا لبهتة السؤال الى اخره **اقول** القول بعذاب القبر وسؤال منكر ونكير حق روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لعمر بن الخطاب كيف بك اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويبحثان القبر بانيابهما فيتلتلانك ويزلزلانك فيقولان لك من ربك ومن نبيك وما دينك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي عقلي الان قال صلى الله عليه وآله نعم قال اذن اكفيكهما وفي وصفهما عنه صلى الله عليه وآله انهما ملكان اسودان ازرقان احدهما منكر والاخر نكير واعلم ان الايمان بما جاء من ذلك على ثلث مراتب **احدها** وهو الاظهر الاسلم ان تصدق بانها موجودة وان هناك ملكين على الصورة المحكية وحيات وعقارب تلدغ الميت وان كنا لا نشاهدها اذ لا تصلح هذه العين لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالاخرة فهو من عالم الملكوت كما كانت الصحابة يؤمنون بنزول جبرئيل وكان النبي صلى الله عليه وآله يشاهده وان لم يكونوا يشاهدونه وكان جبرئيل لا يشبه الناس فكذلك منكر ونكير وفعلهما والحيات والعقارب في القبر ليس من جنس حيات عالمنا فتدرك بعين اخرى **المقام الثاني** ان يتذكر ما قد يراه النائم من صورة شخص هائل يضربه او يقتله او حية تلدغه وقد يتألم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وينزعج من مكانه كل ذلك يدرك من نفسه ويشاهده ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حوله شخصا ولا حية والحية موجودة في حقه متخيلة له ولا فرق بين ان يتخيل عدوا وحية او يشاهده **المقام الثالث** ان تعلم ان منكرا ونكيرا وسائر احوال القبر غايته الايلام واللوم في حقه ليس هو الشخص المشاهد ولا الحية بل ما يحصل فيه من العذاب فان النفس العاصية اذا فارقت البدن حملت القوة المتخيلة معها ولم يتجرد عن البدن متنزهة عن الهيئات البدنية والاخلاق الردية المهلكة من الكبر والرياء والحسد والحقد والحرص وغيرها وهي عند الموت عالمة بمفارقة البدن متوهمة لنفسها الانسان الذي مات وعلى صورته كما كان في الرؤيا يتخيل ويتوهم بدنها مقبورة ويتخيل الالام الواصلة اليها عن كل خلق ردي على سبيل العقوبة الحسية لها كما قررته الشريعة الحقة وانغرس في الاذهان عنها على صورة شخص منكر هائل الصورة يعنفه في السؤال ويبهته بسوء منظره وهول اصواته وبحثه فيتلجلج لسانه فيضربه ويعذبه وعلى مثال ذلك ان كانت النفس سعيدة تخيلت اللذات الحاصلة لها من كل خلق حسن وعمل صالح قد تمثل في صورة ملائكة وفق ما كانت تعتقد مما كان وصف لها من صور اشخاص بهية تدخل عليهم وتتلقاهم بالبشارة كمبشر وبشير وسائر الملائكة الذين يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ومن فسحة القبر والروح والريحان وتشاهد ما وعدت فيه فهذا عذاب القبر وثوابه واليه الاشارة بقول الرسول ص القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار فان قلت لم جعل اول داخل على الانسان في قبره سواء كان سعيدا او شقيا ملكين وليكن ثلثة او واحدا مثلا قلت قال بعض العلماء انه لما كانت السعادة والشقاوة الحاصلتين للنفس انما يحصل من جهة قوتين نظرية وعملية بها جعل ما يكتسب عن كل واحدة منهما ملكا فان كان المكتسب جهلا مركبا ورذائل اخلاق فمنكر ونكير وان كان علما ومكارم فمبشر وبشير والله اعلم باسرار شريعته واعلم انك متى تصورت معنى ثواب القبر وعذابه في المقامات تصورت معنى ثواب الجنة وعذاب النار **الثالث عشر** لا فترة مريحة ولا قوة حاجزة يجري مجرى آيات الوعيد الناطقة بالتخليد وهي مخصوصة بالكفار الذين لا سكنة لنفوسهم بعالم الملكوت ونحوه قوله نعم ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون واما انه ليس لهم قوة حاجزة فلان القوة الحاجزة بينهم وبين العذاب مفقودة في حقهم وهي التمسك بالله تعالى وبحبله والالتفات الى عالم الغيب والملاء الاعلى واما عدم الموتة الناجزة فلان الانسان غير قابل للفساد كما علم ذلك في موضعه واما سلب السنة عنهم اشارة الى شدة الالم وما يلحقونه من الم العذاب لما ان الالم الشديد يستلزم عدم النوم فلا سلوة اذن بين حالات سكرات العذاب واطلاق لفظ الموتات مجاز في شدة العذاب اطلاقا لاسم الغاية على ما يصلح غاية له وقد لاحظ في اكثر هذا الفصل التسجيع المتوازي وبالله التوفيق **الفصل الثاني** قوله عباد الله اين الذين عمروا فنعموا وعلموا ففهموا وانظروا فلهوا وسلموا فنسوا امهلوا طويلا ومنحوا جميلا وحذروا اليما ووعدوا جسيما احذروا الذنوب المورطة والعيوب المسخطة اولي الابصار والاسماع والعافية والمتاع هل من مناص او خلاص او معاذ او ملاذ او فرار او محار ام لا فانى تؤفكون ام اين تصرفون ام بماذا تغترون وانما حظ احدكم من الارض ذات الطول والعرض قيد قده متعفرا على خده الان عباد الله والخناق مهمل والروح مرسل في فينة الارشاد وراحة الاجساد ومهل البقية وانف المشية وانظار التوبة وانفساح الحوبة قبل الضنك والمضيق والروع والزهوق وقبل قدوم الغائب المنتظر واخذة العزيز المقتدر **اقول** وقد تقدم في الامر خلصه منه المناص الملجا والمحار المرجع وافك صرف وقيد قده مقدار قامته والعفر التراب والمتعفر المترب والفينة الحين وانف الشيء اوله والحوبة الحاجة والمسكنة والضنك الضيق وفي هذا الفصل فوائد **الاولى** التنبيه والتقريع على كفران جملة من نعم الله فمنها ان عمرهم فنعموا وعلمهم ففهموا وانظرهم وسلمهم

من الآفات وأمهلهم طويلا ومنحهم الجميل وحذرهم أليم العذاب ووعدهم وعدا حسنا ومن كفرانهم لتلك النعم أن اشتغلوا بلذات الدنيا عن
أوامره ولهوا عن الالتفات إليه ونسوا ما ذكرهم به وغاموا إليه الثانية التحذير من الذنوب الموقعة في موارد الهلكة وأنواع العذاب
ثم من العيوب المحيطة بنفوسهم وهي اكتساب رذائل الأخلاق الثالثة تنبيه أولي الأبصار والأسماع والعافية والمتاع في الدنيا على أنه لا
مناص أي من أمر الله ولا خلاص أي من عذابه لمن حصل فيه وكذلك لا معاذ ولا ملاذ منه لمن استعد له ولا فرار أي من حكمه ولا مرجع أي
بعد الموت وإنما خص أولي الأبصار والأسماع والعافية لكونهم أهل التكاليف لتنبيهه والعقول داخلة في إشارته إما بالأبصار والأسماع
مجازا أو في العافية وإنما خص أولي المتاع لأن أهل الاستمتاع بالدنيا هم المحجوبون عنها من جهة باشتغالهم بمتاعها عن سلوك سبيل
الله وهل استفهام عن الأمور المذكورة على سبيل الإنكار لها ثم استفهمهم عن وقت صرفهم وعن مكان ذلك على سبيل التقريع لهم ثم عما
يعتذرون به بعد بقاء الشيء في تركه أو أمر على سبيل الإنكار للأعذار أيضا وأم معادلة لهل الاستفهامية الرابعة التذكير بأمر القبر
وتعفير الخد فيه بما هو منفور عنه طبعا وفيه تنبيه على وجوب الانتهاء عن الاستكثار من قينات الدنيا وجنابها لوجوب مفارقتها
وأنه لا نصيب للميت في تحصيلها منها إلا مقدار قامته وهو كناية عن قبره الخامسة التنبيه على وقت العمل في الأحوال التي يمكنهم فيها وكنى
بالآن عن زمان الحيوة الدنيا وبالخناق عما تؤخذ به أعناق النفوس إلى بارئها وهو الموت كناية بالمستعار ووجه المشابهة كون كل واحد
منهما مكروها يقاد به إلى مكروه ورشح الاستعارة بذكر الإهمال وكنى به عن مدة الإمهال في الحيوة الدنيا وكنى أراد بإرسال الروح إهمالها
ويكون ذلك الإرسال في حيز الإرشاد أي في زمان إرشاد النفوس وطلبها لما تستعد به من الكمال للقاء الله وروي الأرشاد أي
إرشاد النفوس إلى سبيل الله وجهة السعادة الأبدية وكذلك مهل البقية أي بقية الأعمار السادسة قوله وأنف المشية أي وأول الأوان
للنفوس وذلك أنه ينبغي أن يكون أول زمان الإنسان وأول ميول قلبه إلى طاعة الله والانقياد لأوامره ليكون ما يرد على لوح نفسه من
الكمالات المسعدة في الآخرة واردا على لوح صاف عن كدر الباطل وإنه متى عكس ذلك فجعل أول ميوله وإرادته للمعاصي اسودت وجه نفسه
بملكات السوء فلم يكد يقبل بعد ذلك الاستضاءة بنور الحق فكان من الأخسرين أعمالا السابعة إنظار التوبة إمهال الله للعصاة لعلهم
ولما كان غرض العناية الإلهية سوق كل ناقص إلى كماله حسن أن يعبر عن بقاء العاصي بإنظاره للتوبة الثامنة وانفساح الحوبة أي سعة
زمان العمل الخالص في الآخرة والإخلاص فيه بما يكفي فيها أو في ملاذ نفسه فلعلك أن كل حاجة فوقها الإنسان في الدنيا فقد لا يكون في محل الضرورة
والضيق الكلي منها وإن كانت في محل الضرورة لكنها في مظنة أن يرجى زوالها بخلاف الحاجة والضرورة في الآخرة إلى صالح الأعمال فإنها
لا يمكن زوالها بعد المفارقة ولا متسع للعمل إلا في الدنيا وكانت أهلها منها في شدة ضرورة وأضيق حال وأقبح صورة وأشار بالضنك والضيق
إلى مخصاصة الإنسان في أغلال الهيئات البدنية وسجن جهنم وبالروع والزهوق إلى الفزع الأكبر من أهوال الموت وما بعده التاسعة
الغائب المنتظر كناية عن الموت وقد ومه بقدومه ولما استعار لفظ الغائب له باعتبار تشبيهه بمسافر منتظر رشح تلك الاستعارة بلفظ القدوم
العاشرة أخذة العزيز المقتدر وجذب الأرواح بحكم قدرة الله العزيز الذي لا يجحف إذلال قاهر المقتدر الذي لا امتناع له لقدرته
فادروا بالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في ذكر عمرو بن العاص عجبا لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن في دعابة وأني امرؤ تلعابة
أعافس وأمارس لقد قال باطلا ونطق آثما أما وشر القول الكذب إنه ليقول فيكذب ويعد فيخلف ويسأل فيلحف ويسأل
فيبخل ويخون العهد ويقطع الإل فإذا كان عند الحرب فأي زاجر وآمر هو ما لم تأخذ السيوف مآخذها فإذا كان ذلك كان أكبر
مكيدته أن يمنح القرم سبته أما والله إني ليمنعني من اللعب ذكر الموت وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة إنه لم يبايع معاوية حتى
شرط له أن يؤتيه أتية ويرضخ له على ترك الدين رضيخة **أقول** تبع الشيء ظهر وسميت أم عمرو النابغة لشهرتها بالفجور وتظاهرها به
والدعابة المزاح والتلعابة كثير اللعب لثناء المبالغة والمعافسة المداعبة والممارسة المعالجة بالمصارعة والقرص ونحوه والإل القرابة والسبة
سوءة والأتية العطية والرضخ والرضيخة كذلك العطية واعلم أن في هذا الفصل ثلاثة فصول الأول ذكره دعوى عمرو في حقه من كونه لعابا مزاحا
كثير المعالجة والمصارعة وذكره هذه الدعوى مصدرة بالتعجب من صدورها في حقه مخبرا بالكذب لمدعيها والرد لها وذلك قوله عجبا
إلى قوله ونطق آثما وباطلا وصف للمصدر وآثما حال والنابغة كنية من عادة العرب النسبة إلى الأم إذا كانت مشهورة بشرف أو خسة أو نسبا
ونحوهما واعلم أنه قد كان يصدر عنه المزاح بالقدر المعتدل الذي لا يخرج به إلى حد رذيلة الإفراط فيه فمن ذلك ما روي أنه كان راكبا
يوما على دابة من الأرض وكان أبو هريرة جالسا معه وأخذ منه لقمة وحذف بنواة فالتفت إليه أبو هريرة فتبسم فقال أبو هريرة هذا الذي
أخرك عن الناس فقد علمت أن ذلك من توابع حسن الخلق ولين الجانب فهو إذن فضيلة وليس برذيلة والمدعي لعمرو إنما هو وصوله في ذلك
إلى حد الإفراط الذي يصدق عليه أنه لعب وهزل وروي أنه كان يقول لأهل الشام إنما أخرنا عليا لأن فيه هزلا لا حد معه ونحوه ما كان
يقوله أبوه العاص لرسول الله صلى الله عليه وآله إنه ساحر ومن أشبه أباه فما ظلم وتكذيبه له وإنما هو فيما ادعاه من الخروج إلى اللعب وأما أصل المزاح فلم ينكره
وكيف وقد كان يصدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما روي أنه قال يوما لعجوز إن العجائز لا يدخلن الجنة فبكت فتبسم وقال إن الله يجعلهن شوابا ثم

يخلعون الجنة واهل الجنة شباب جرد مرد وان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وكان يقول اني امزح ولا اقول الا حقا الثاني قوله اما وشر
القول الى قوله سلبته ويشتمل على ذكر ما اجتمع في هذا المدعي من الرذائل التي توجب فسقه وسقوط دعواه لقوله تعم يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق بنبأ فتبينوا الاية وذكر من تلك الرذائل خمسا الاولى الكذب ونبه على كونه شر القول وانه معصية مطلقة في الدين والدنيا اما الدين
فللمنقول والمعقول اما المنقول فقول الرسول صلعم الكذب رأس النفاق واما المعقول فلان الوجدان شاهد بان الكذب مما يسود لوح
النفس ويمنعها ان ينتقش بصور الحق والصدق ويفسد المنامات والالهامات واما الدنيا فلانه سبب عظيم لخراب البلاد وقتل النفوس
وسفك الدماء وانواع الظلم ولذلك اتفق اهل العالم من ارباب الملل وغيرهم على تحريمه وادعى المعتزلة قبحه بالضرورة وهو رذيلة
مقابلة للصدق داخلة تحت رذيلة الفجور الثانية الخلف في الوعد الثالثة الغدر في العهد وخيانته وهما رذيلتان مقابلتان
للوفاء والامانة داخلتان تحت رذيلة الفجور ايضا والغدر يستلزم رذيلة الخبث وهو طرف الافراط من فضيلة الذكاء وهما يستلزمان الكذب ايضا
الرابعة قطع الرحم وهي رذيلة الافراط من فضيلة صلة الرحم وحقيقتها عدم مشاركة ذوي اللحمة في الخيرات الدنيوية وهي رذيلة تحت الظلم
مستلزمة للبخل الخامسة رذيلة الجبن وهي طرف التفريط من فضيلة الشجاعة ونبه عليها بقوله فاذا كان عند الحرب فاي زاجر
وآمر هو الى قوله سبته وعنى تنبيهه على دناءة همته ومهانة نفسه اذ كان علو الهمة وشهامة النفس لا يعتريه من فزع الاقران الى التخلص من الموت
باقبح فعل يكون من كشف سوءته وبقاء ذلك سبة في عقبه على مر الدهور والدناءة والمهانة رذيلتان تحت الجبن وقوله فاي
زاجر وآمر هو استفهام على سبيل التعجب والمبالغة في امره وبقيه وذكره في معرض الذم هنا وان كان من المادح لغرض ان يردفه برذيلة
ليكون ذلك خارجا مخرج الاستهزاء فيكون ابلغ وقعا في النفوس واشد غارا عليه اذ كان الامر والنهي في الحرب مما يحسن ممن يشتهر
بالشجاعة والاقدام الا ممن يأمر وينهى فاذا اشتد القتال فر فرار الحمار من السبع واجتهد في البقاء ولو بافحش معرة فان عدم الامر والنهي
والقول بمثل هذا اليق واولى من وجودهما وكان ابا الطيب حكى صورة حاله اذ قال واذا ما خلا الجبان بارض طلب الطعن وحده
والنزالا واما صورة هذه الرذيلة منه فروي ان عليا عم حمل عليه في بعض ايام صفين فلما ايقن انه قاتله القى نفسه عن فرسه وكشف
سوءته مواجها له عم فلما راى ذلك منه غض بصره عنه وانصرف عمرو مكشوف العورة ونجا بذلك فصار مثلا لمن يدفع عن نفسه مكروها
بارتكاب المذلة والعار ومنه يقول ابو فراس ولا خير في دفع الاذى بمذلة كما ردها يوما بسوءته عمرو وروي مثل ذلك لبسر بن ارطاة معه
فانه حمل بسر عليه فسقط بسر على قفاه ورفع رجليه فانكشفت عورته فصرف عم وجهه عنه فلما قام سقطت البيضة عن راسه فصاح اصحابه
يا امير المؤمنين انه بسر بن ارطاة فقال ذروه لعنه الله فلقد كان معوية اولى بذلك منه فضحك معوية وقال لا عليك يا بسر ارفع طرفك
ولا تستحي فلك بعمرو اسوة وقد اراك الله منه وواراه منك فصاح فتى من اهل الكوفة ويلكم يا اهل الشام اما تستحيون لقد علمكم
عمرو كشف الاستاه ثم انشد افي كل يوم فارس ذو كريهة له عورة وسط العجاجة بادية يكف لها عنه علي سنانه ويضحك منها في الخلاء
معوية بدت امس من عمرو فقنع راسه وعورة بسر مثلها حذو حاذية فقولا لعمرو وابن ارطاة ابصرا سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية ولا
تحمدا الا الحياء وخصاكما هما كانتا والله للنفس واقية ولولاهما لم تنجوا من سنانه وتلك بما فيها عن العود ناهية وكان بسر ممن يضحك من عمرو
فصار ضحكة ايضا الثالث بيانه خبر فساد مدعى عمرو في حقه وهو مستند المنع وذكر فيه امرين احدهما يرجع اليه وهو انه دائم الذكر للموت
والتفكر في احوال المعاد والوجدان شاهد بان المستكثر من اخطار الموت عليه يكون ابدا قصير الامل وجلا من الله متوقعا لهجوم الموت
عليه مشغولا بذلك عن الالتفات الى حظ الشهوات من اللعب ونحوه فكيف يتصور اللعب ممن هذه حاله الثاني يرجع الى حال عمرو وهو
انه ممن نسي الآخرة وظاهر ان نسيانها مستلزم للكذب وسائر وجوه خداع ابناء الدنيا عنها بالمكر والحيلة وما لا ينبغي من مناهي الله
ومن كانت هذه حاله كيف يوثق بقوله ثم نبه بقوله لم يبايع معوية الخ على بعض لوازم نسيان الآخرة وهو اخذه لبيعته وفيئا له مع
الامام الحق الذي يخرج به عن ربقة الدين عوضا وثمنا وذلك لعطية هي مصر كما سبقت الاشارة اليه وبالله العصمة والتوفيق ومن

خطبة له عليه السلام وَاَشْهَدُ اَنْ لا اِلٰهَ اِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ الاَوَّلُ لا شَيْءَ قَبْلَهُ وَالاٰخِرُ لا غَايَةَ لَهُ لا تَقَعُ الاَوْهَامُ
لَهُ عَلٰى صِفَةٍ وَلا تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلٰى كَيْفِيَّةٍ وَلا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْعِيضُ وَلا تُحِيطُ بِهِ الاَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ **اقول**
هذا الفصل يشتمل على اثبات ثماني صفات من صفات الجلال الاولى الوحدانية مؤكدة بنفي الشركاء وذلك قوله لا شريك له
وقد اشرنا الى معتمد البرهان العقلي على الوحدانية ولما لم تكن هذه المسئلة مما يتوقف اثبات النبوة عليها جاز الاستدلال فيها بالسمع
كقوله تعم لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله والهكم اله واحد لا اله الا هو الثانية اثبات كونه اولا غير مسبوق بالغير الثالثة اثبات
كونه آخرا غير منته وجوده الى غاية يقف عندها وقد سبق البحث عنهما مستقصى ونفي قبلية شيء له والغاية عنه تأكيد لهما الرابعة من
السلوب انه لا تلحقه الاوهام فيقع منه على صفة وقد علمت فيما سبق ان الاوهام لا تصدق بحكمها الا فيما كان محسوسا او متعلقا بمحسوس فاما
الامور المجردة من علائق المادة والوضع فالوهم ينكر وجودها اصلا فضلا ان يصدق في اثبات صفة لها وانما الحاكم باثبات صفة له

ج ٢٤

الفصل الثالث وقد علمت ان ما يثبته منها ليست حقيقة خارجية بل امورا اعتبارية تحدثها عقولنا عند مقايسته الى الغير ولا يفهم من هذا
انه ثبت له صفة بل معناه ان الاوهام لا تصدق وحكمها في وصفه تعالى الخامسة كونه تعالى لا يوصف بالكيفية بكون عليها وبيان ذلك يبتنى
معنى الكيفية فنقول انها عبارة عن هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها قسمة ولا نسبة لما بينا انه تعالى ليس له صفة تزيد على
ذاته وهي محل لها استحال ان تعقد القلوب منه على كيفية السادسة كونه تعالى لا ينال بالتجزئة والتبعيض وهو اشارة الى نفي
الكمية عنه اذ كانت التجزئة والتبعيض من لواحقها وقد علمت ان الكم من لواحق الجسم والباري تعالى ليس بجسم وليس بكم فليس بقابل
للتبعيض والتجزئة ولان كل قابل لهما منفعل عن غيره والمنفعل عن الغير ممكن على ما مر السابعة كونه تعالى لا تحيط به الابصار وهو
كقوله تعالى لا تدركه الابصار وهذه المسئلة مما اختلف فيها علماء الاسلام وقد سبق بيانها الكلام وخلاصته ان المدرك بحاسة
البصر بالذات انما هو الالوان والاضواء وبالعرض المتلون والمضيء ولما كان اللون والضوء من خواص الجسم وكان منزها عن
عن الجسمية ولواحقها وجب كونه منزها عن الادراك بحاسة البصر الثامنة كونه تعالى لا تحيط به القلوب والمراد ان العقول البشرية
قاصرة عن الاحاطة بكنه ذاته المقدسة وقد سبق تقرير ذلك وبالله التوفيق قوله فاتعظوا عباد الله بالعبر النوافع واعتبروا بالاى

منها

السواطع وازدجروا بالنذر البوالغ وانتفعوا بالذكر والمواعظ فكان قد علقتكم مخالب المنية وانقطعت منكم علائق الامنية
ودهمتكم مفظعات الامور والسياقة الى الورد المورود وكل نفس معها سائق وشهيد سائق يسوقها الى محشرها وشاهد
يشهد عليها بعملها اقول الاى جمع اية والساطع المرتفع والنذر جمع نذير ومفظعات الامور شدائدها والورد الورود

ومن خطبة له عليه السلام

وفي هذا الفصل فوائد الاولى الامر بالاتعاظ بالعبر النوافع واسم العبرة حقيقة في الاعتبار وقد يطلق مجازا فيما يعتبر به
ويحتمل ان يراد ههنا اطلاقا لاسم الحال على المحل وللاتعاظ سبب حقيقة وثمرة اما سببه فالنظر في اثار الماضين وتدبر
قصصهم وتصرف قضاء الله وقدره لاحوالهم وهو الاعتبار اما حقيقته فالخوف الحاصل في نفس المعتبر من اعتباره وتأثره عن
ان يلحقه ما لحقهم اذ هو مثلهم واولى بملاحقهم واما ثمرته فالانزجار عن مناهي الله واجابة داعيه والانقياد لسلوك سبيله
الثانية الامر بالاعتبار بالاى السواطع وهو اردافه للامر بالاتعاظ بالامر بسببه واراد بالاى ايات اثار الله وعجائب مصنوعاته
او ايات القرآن العزيز والسنة النبوية واستعار لها لفظ السطوع ووجه المشابهة ظهور اشراق انوار الحق منها على مرايا قلوب عباد
الله كاشراق نور الصبح وسطوعه وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول واعتباره بها انتقال الذهن منها في مقام النظر والاستدلال
كما سلف بيانه الثالثة الامر بالازدجار بالنذر البوالغ وهو امر بغاية هذه الاتعاظ والنذر زواجر الله ووعيده انها البالغة حد
الكمال في التخويف والزجر عند اعتبارها الرابعة الامر بالانتفاع بالذكر والمواعظ وهو امر بتحصيل ثمرة الذكر والموعظة عنها
وختم هذه الاوامر بذكر الانتفاع ترغيبا وجذبا للنفوس الى الذكر وقبول المواعظ الخامسة التخويف والتذكير بالموت وما يتبعه
ليبادروا الى امتثال الاوامر السابقة فقوله فكان قد علقتكم مخالب المنية استعار لفظ المخالب للمنية استعارة بالكناية
ورشح بذكر العلوق ملاحظا في ذلك تشبيه المنية بالسبع الذي يهجم ويتوقع افتراسه وكان مخففة من كان واسمها ضمير
الشان ويحتمل ان يكون ان الناصبة للفعل دخلت عليها كاف التشبيه وقوله وانقطعت عنكم علائق الامنية اشارة الى ما ينقطع
عن الميت بانقطاع امله من مال وجاه وسائر ما كان يتعلق به امله من علائق الدنيا ومتاعها وقوله وقد دهمتكم مفظعات
الامور اشارة الى ما يهجم على الميت من سكرات الموت وما يتبعها من عذاب القبر واهوال القيامة (الاخرة) وقوله والسياقة الى الورد المورود
فالسياقة هي السوقة المتعبة التي سلف ذكرها والورد المورود هو المحشر وقوله وكل نفس معها سائق وشهيد اقتباس للاية
وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فالسائق الذي يسوقها الى المحشر هو حكم القضاء الالهي واسباب الموت القريبة
الحاكمة على النفس برجوعها الى معادها فان كانت من اهل الشقاوة فيا لها من سوقة متعبة وحثيثة مزعجة وسيق الذين كفروا
الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم الايات وان كانت من اهل السعادة ساقها سائق
رؤوف سوقا لطيفا ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها
وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين واما الشاهد عليها بعملها فقد سبقت الاشارة اليه
وبالله التوفيق منها في صفة الجنة درجات متفاضلات ومنازل متفاوتات لا ينقطع نعيمها ولا يظعن مقيمها ولا يهرم
خالدها ولا ييأس ساكنها اقول اعلم ان ثمار الجنة هي المعارف الالهية بالنظر الى وجه الله ذي الجلال والاكرام والسعادة

بيان طريق السعادة

في الوصول الى نيل هذه الثمرة على مراتب متفاوتة ودرجات متفاضلة فالاولى مرتبة من اوتي الكمال في حدس القوة
النظرية حتى استغنى عن معلم بشري رأسا واوتي مع ذلك ثبات قوته المفكرة واستيفائه وهمه منقادا تحت قلم العقل
فلا يلتفت الى العالم المحسوس بما فيه حتى يشاهد العالم المعقول بما فيه من الاحوال ويثبتها في اليقظة فيصير العالم وما يجري

وفي بيان بعض اوصاف الحق

فيه ممثلا في نفسه فيكون لقوته النفسانية تؤثر في عالم الطبيعة حتى ينتهي الى درجة النفوس السماوية وتلك هي النفوس القدسية
اولات المعارج وهم السابقون اولئك المقربون وهم افضل النوع البشري واحقهم باعلى درجات السعادة في الجنة المرتبة الثانية
مرتبة من له الامران الاولان دون الثالث اعني التاثير في عالم الطبيعة وهذه مرتبة اصحاب اليمين وتحتها مراتب فاحدها
مرتبة من له استعداد طبيعي لاستكمال قوته النظرية دون العملية الثانية مرتبة من استكسب ذلك الاستكمال في قوته النظرية
اكتسابا بالتكلف دون تهيؤ طبيعي ولا حصة له في امر القوة العملية الثالثة مرتبة من ليس له تهيؤ طبيعي ولا اكتساب تكلفي في
قوته النظرية وله ذلك التهيؤ في قوته العملية الرابعة مرتبة من له تكلف في اصلاح الاخلاق واكتساب الملكات الفاضلة
دون تهيؤ كذلك اذا عرفت ذلك فاعلم ان للمقربين البالغين في الملكات الشريفة لذات عظيمة في الجنة فقد فازوا بنعيم الابد
والسرور الدائم في حضرة جلال رب العالمين في مقعد صدق عند مليك مقتدر غير محجوبين عن لذاتهم لهم فيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين وهم فيها خالدون كما قال تعالى لا يطلق فيهما جزء عن عوارض الابدان وشوائب المواد مجرد عن مزاحمة القوى المتغالبة
المضادة المؤدية الى الهرم والموت مكحلين بانوار الساطعة ينظرون الى ربهم بوجوههم المفارقة واما اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب
اليمين ولهم لذات دون الوصول الى مرتبة السابقين وقد يخالط لذات هؤلاء شوب من لذات المقربين كما اشير اليه في التنزيل
الالهي في وصف شراب الابرار ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ولكل من المراتب كمال يخصه ودرجة من السعادة في
الجنة تخصه كما قال هم درجات عند الله وقال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال لهم غرف مبنية
من فوقها غرف تجري من تحتها الانهار واذا عرفت ذلك فلنرجع الى المتن فنقول اما قوله لا ينقطع نعيمها فلقوله تعالى اما الذين
سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ وقوله ان هذا لرزقنا ما له من
نفاد ولان الكمال الذي يحصل للانسان فاستحق به سعادة في الجنة ملكات ثابتة في جوهره لا تزول ولا تتغير ومهما دام استحقاق
القابل والجواد الله ونعمته وجب دوام ذلك الجود وفيض تلك النعمة اذ هو الجواد المطلق الذي لا بخل من جهته ولا منع واما قوله ولا يظعن
مقيمها فلقوله تعالى لهم جنات النعيم خالدين فيها ابدا وقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين
فيها لا يبغون عنها حولا ولان النعيم الابدي مطلوب بالذات غير ممنوع منه فلا يكون مهروبا عنه بالذات واما قوله ولا يهرم خالدها
ولا ييأس ساكنها اي لا تصيبه بؤس فلان الهرم مستلزم للتعب والنصب كذلك البؤس عن الضعف وهذه اللوازم منفية عن اهل الجنة
لقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب
وبانتفاء هذه اللوازم ينتفي عنهم ملزومها وهو الهرم وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** وفيها فصول **الاول** قوله قد علم
السرائر وخبر الضمائر له الاحاطة بكل شيء والغلبة لكل شيء والقوة على كل شيء اقول هذا الفصل يشتمل على بعض اوصاف الحق سبحانه
الاول كونه عالما بالسرائر وهو كقوله يعلم سركم ونجواكم **والثاني** كونه خبيرا بالضمائر وهو قريب من المرادف للعالم بالسرائر فان
الخبير هو الذي لا يعزب عنه الاخبار الباطنة ولا تضطرب نفس ولا تسكن الا ويكون عنده خبرها وذلك بعينه هو العالم مضافا
الى السرائر والخفايا الباطنة وان كان مطلق العلم اعم **والثالث** كونه محيطا بكل شيء وهو اشارة الى علمه بكليات الاشياء و
جزئياتها وعليه اتفاق جمهور المتكلمين والحكماء اما المتكلمون فظ واما المحققون من الحكماء فملخص كلامهم اجمالا في كيفية علمه تعالى
انه يعلم ذاته بذاته ويتحد هناك المدرك والمدرك والادراك ولا يتعدد الا بحسب الاعتبارات العقلية التي يحدثها العقول
البشرية واما المعلول الاول الاقرب منه فيكون باعيان ذواتها ويتحد هناك المدرك والادراك ولا يتعددان الا بالاعتبار العقلي وبعينها
المدرك واما المعلولات البعيدة كالماديات والمعدومات التي من شانها امكان ان توجد في وقت وتتعلق بموجود فيكون بارتسام
صورها المعقولة في المعلولات القريبة التي هي المدركات لها اولا وبالذات وكذا الى ان ينتهي الى ادراك المحسوسات بارتسامها في
الات مدركاتها فاعلم وذلك لان الموجود الحاضر حاضر والمدرك للحاضر مدرك لما يحضر معه فانه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في
السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر لكون ذوات معلوله الاقرب مرتسمة بجميع الصور وهي التي يعبر عنها تارة بالكتاب المبين
وتارة باللوح المحفوظ ويسمى عندهم عقولا فعالة **الرابع** كونه غالبا لكل شيء **الخامس** كونه قويا على كل شيء وهما اشارتان الى وصفه
بكونه تعالى تاما على كل مقدور وان القوة عليها والغلبة لها من تمام القدرة ويفهم من الغالب زيادة على القوي ويعود الى معنى القاهر وقد
سبق بيانه واما بيان صدق هاتين القضيتين فبيانه انه تعالى مبدأ كل موجود وان كل ممكن مفتقر في سلسلة الحاجة اليه وقد فرغ من
ذلك في الكتب الكلامية **الفصل الثاني** قوله فليعمل العامل منكم في ايام مهله قبل ارهاق اجله وفي فراغه قبل اوان شغله وفي
متنفسه قبل ان يؤخذ بكظمه وليمهد لنفسه وقدمه وليتزود من دار ظعنه لدار اقامته فالله الله عباد الله فيما استحفظكم من كتابه
واستودعكم من حقوقه فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى ولم يدعكم في جهالة ولا عمى قد سمى اثاركم وعلم اعمالكم وكتب

في بيان علمه تعالى اجمالا

اجالكم

ج ۱۴

في بيان الخطبة المشتملة في المواعظ والنصائح

في المواعظ والنصائح

اجالكم وانزل عليكم الكتاب تبيانا وعمر فيكم نبيه ازمانا حتى اكمل له ولكم فيما انزل من كتابه دينه الذي رضي لنفسه وانهى اليكم على لسانه محابه من الاعمال ومكارهه ونواهيه واوامره فالقى اليكم المعذرة واتخذ عليكم الحجة وقدم اليكم بالوعيد وانذركم بين يدي عذاب شديد فاستدركوا بقية ايامكم واصبروا لها انفسكم فانها قليل في كثير الايام التي تكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة ولا ترخصوا لانفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة ولا تداهنوا فيهجم بكم الادهان على المعصية عباد الله ان انصح الناس لنفسه اطوعهم لربه وان اغشهم لنفسه اعصاهم لربه والمغبون من غبن نفسه والمغبوط من سلم له دينه والسعيد من وعظ بغيره والشقي من انخدع لهواه وغروره واعلموا ان يسير الرياء شرك ومجالسة اهل الهوى منساة للايمان ومحضرة للشيطان جانبوا الكذب فانه مجانب للايمان الصادق على شفا منجاة وكرامة والكاذب على شرف مهواة ومهانة ولا تحاسدوا فان الحسد ياكل الايمان كما تاكل النار الحطب ولا تباغضوا فانها الحالقة واعلموا ان الامل يسهي العقل وينسي الذكر فاكذبوا الامل فانه غرور وصاحبه مغرور **اقول** الفصل الى آخره شروع في الموعظة والمشورة ولما قدم الاشعار بان الله تعالى عالم بما في الصدور وغالب على كل مقدور امرهم بعده بالعمل واراد الاعمال الصالحة المطلوبة بالتكاليف الشرعية وان يجعلوها همهم والثبات اقدامهم على الصراط المستقيم المامور بسلوكه ثم تلطف بالجذب الى العمل بتذكيرهم بانهم في ايام مهلة وفراغ ومتنفس خناق ثم يمكنهم فيه العمل وان الذي يعملونه من الصالحات هو زاد لهم في سفرهم الى الله والى دار اقامتهم وان وراء هذه المهلة ادراك اجل يعقبه شغل باهوال الآخرة واخذ بالكظم وكنى به عن عدم التمكن من العمل اذ لم تكن الآخرة دار عمل ثم ابتدأ الناس وحذرهم ان يخالفوا فيما امرهم بحفظه وهو كتابه وعنى بحفظه تدبر ما فيه والمحافظة على العمل باوامره ونواهيه وهي حقوقه التي استودعهم اياها ثم علل ذلك بتنبيههم على الله نعم لم يخلقهم عبثا خاليا عن وجه الحكمة بل خلقهم ليستكملوا الفضائل النفسانية بواسطة الآلات البدنية ولم يتركهم سدى في وجودهم مهملين بل ضبط آثارهم واعمالهم وكتب آجالهم في كتابه المبين واللوح المحفوظ الحاكم يوم الدين ونظم وجودهم برسول كريم عمره فيهم وكتاب اوضح لهم فيه السبيل التي لسلوكها خلقهم واكمل لهم ولنبيه دينهم الذي ارتضى لهم وما اهلهم له من الكمالات المسعدة في الآخرة كما قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وبلغهم على لسانه ما احب لهم من الخيرات الباقية وكره لهم من الشرور المشقية في الآخرة كما اشتملت عليه اوامره ونواهيه وابان لهم فيه الاعذار واوضح فيه الحجج وضمنه بالوعيد والتخويف بين يدي عذاب شديد واستعار لفظ اليدين للعذاب وكنى ببين يديه عن الوقت المتقدم على عذاب الآخرة المشابه له ووجه المشابهة ان الانذار بالمخوف يكون من ذي سطوة وباس شديد فكانه نزل العذاب الشديد منزلة المعذب فاستعار اليدين وجعل الانذار والتخويف متقدما بين يديه وذلك من الجواذب اللطيفة ثم عاد الى امرهم باستدراك بقية وقتهم في الدنيا وان يصبروا لها انفسهم اي يلزموا انفسهم فيها الصبر على الاعمال الصالحة وفي لفظ الاستدراك اشعار بتقدم تفريط منهم في جنب الله ولذلك قال فانها قليل في كثير الايام التي تكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة وانما قال لها لان كل وقت يستحق ان يوقع فيه ما ينبغي من الافعال فصدق عليها ان تلك الفعل لها **قوله** ولا ترخصوا لانفسكم الى قوله المعصية **اقول** ليس المقصد بالرخصة هنا الشرعية ما يتسامح اهل الاديان فيه مع نفسه من تنويع الماكل والمشارب والمناكح والخروج فيها الى ما لا ينبغي في نفس الامر دينا وقلة تامل وحيلة تخيل انها جائزة في الشريعة ويروج بها اتباع لهواه ونحو الاجتماع في السماع لغير اهله وحضور مجالس الفساق ومعاشرة الظالمين والضابط الكلي في هذا الباب هو توسع الانسان في الامور المباحة واستيفاؤه حده فان من فعل ذلك شارف المكروه ثم ربما تخطا الى الاعتياد في فعله فقادته شهوته الى فعله فاستوفى حده فشارف المحظور وذلك ان العقل اذا اطاع النفس الامارة بالسوء فيما تامر به مرة ومرة لم يبق له نفار عما تقوده اليه لوقوع الانس به وظاهر ان ارتكاب بعض ماموراتها يجر الى ارتكاب بعض فيؤدي ذلك الى تجاوز الحدود الشرعية وعبورها الى الوقوع في حبائل الشيطان والتهور في المحظورات التي هي مهاوي الهلاك ولذلك ما ورد في الخبر من رتع حول الحمى اوشك ان يقع فيه وقد شبه العارفون القلب بالحصن والشيطان بعدو يريد ان يدخله ولم يمكن دفع ذلك العدو والتحفظ منه الا بضبط ابواب ذلك الحصن التي منها الدخول اليه وحراستها وهي ابواب كثيرة كسائر المحرمات ومساهلة النفس في التوسع في المباحات والدخول في الامور المشتبهة من اعظم تلك الابواب يعد دخول الشيطان منه اسهل وهو عليه اقدر ولذلك قال فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة ويهجم بكم الادهان على المعصية ومذاهب الظلمة مسالكها وطرقها العادلة عن العدل وقد روي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فراى عليه معاليق كل شيء فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه هي الشهوات التي اصيب بهن قلوب بني آدم فقال هل لي فيها شيء قال نعم ربما شبعت فشغلناك عن الصلوة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املأ بطني من طعام ابدا فقال ابليس لله علي ان لا انصح مسلما ابدا وقوله ولا تداهنوا اي لا تسالموا الظلمة وتساهلوهم في السكوت عما تروه من منكراتهم فيهجم بكم الادهان على المعصية اي اذا انستم بمشاهدة المعاصي والفتم تكرارها كنتم بذلك بعضا وربما ساقكم ذلك الى فعل المنكر ومشاركتهم فيه وقوله عباد الله الى آخره اخبارات في معنى الاوامر والنواهي فاوامره ونواهي صريحة مشتملة على جواذب الى طاعة الله ولزوم دينه فالاول ان انصح الناس لنفسه اطوعهم لربه وبيانه انه لما كان غرض النصح انما هو جلب الخير والمنفعة

في بعض المباحات وضعف

في بيان الخطبة المشتملة على المواعظ والنصائح

الى المنصوح وكان اجل خير ومنفعة هو السعادة الباقية الابدية ومشاهدة الحضرة الربوبية وكانت تلك السعادة انما تنال بطاعة الله نعم فكل من
كانت طاعته له اتم كانت سعادته اتم فكان هو انصح الناس لنفسه بمبالغته في طاعته الثاني قوله وان اغشهم لنفسه اعصاهم لربه وهو ظاهر مما قررناه
فانه لما كانت غاية الغش انما هو جلب الشر والمضرة الى المغشوش وكان اعظم شر وضرر يلحق العبد هو الشقاوة الابدية في قرار الجحيم وكانت تلك
انما يحصل للانسان عليها بمعصية الله نعم فكل من كانت معصيته اتم كانت شقاوته اتم فكان هو اغش الناس لنفسه بمبالغته في معصيته
وحاصل القضية الاولى الامر بالطاعة اتم ما يمكن والثانية النهي عن المعصية اتم ما يمكن ورغب في الطاعات بذكر نصيحة النفس لما ان النصيحة
محبوبة ونفر عن المعصية بذكر غشها الثالث قوله والمغبون من غبن نفسه والمراد من غبنها بالمعصية المستلزمة لدخول النار فكان
الانسان بما صنع شيطانه خادع لنفسه وقد بخسها ما تستحقه من ثواب الله ولما كانت السعادة الاخروية اعظم ما يتنافس فيه لا جرم كان
اعظم مغبون من لم يفز بها فلذلك حصر المغبون فيه على طريق المبالغة وهو يرجع الى معنى النهي عن المعصية ونفر عنها بذكر غبن النفس
الرابع قوله والمغبوط من سلم له دينه والغبطة ان يتمنى الانسان مثل ما للغير من حال او مال مع قطع النظر عن تمني زوال تلك الحال
عمن هي له وبهذا القيد يتميز عن الحسد والقضية ظاهرة تأملها فانه لما كان من سلم دينه فائزا بالسعادة الكبرى الباقية مع كونها
اجل ما يغبط به ويتنافس فيه لا جرم كان هو اعظم مغبوط ولذلك حصر المغبوط فيه مبالغة ورغب في المحافظة على الدين بكون من سلم
له مغبوطا الخامس قوله والسعيد من وعظ بغيره وقد صارت هذه القضية في معنى المثل اي السعيد في الاخرة من اعتبر حال غيره فشاهد
بعين بصيرته مصير الظالمين فخاف عاقبتهم وتذكر مآل المتقين فنال [illegible] وسلك مسالكهم رغب في الاتعاظ بالغير بذكر استلزامه
للسعادة السادس والشقي في الاخرة من انخدع لهواه وغروره ونفر عن اتباع الهوى بذكر الخداع والغرور السابع التنبيه على ان يسير
الرياء شرك وقد سبق منا بيان ان الرياء في العبادة وان قل التفات مع الله الى غيره وادخال له في القصد بالعمل والطاعة وذلك في الحقيقة
شرك خفي انغلقت عليه ابواب القلوب الثامن قوله ومجالسة اهل الهوى منساة للايمان ومحضرة للشيطان اراد باهل الهوى الفساق
المنقادين لدواعي انفسهم الى الشهوات الخارجين عن حدود الله ونفر عن مجالستهم بانها محل للامرين احدهما نسيان الايمان وهو ظاهر فان اهل الهوى
لما هم مشغولون بذكر ما هم فيه من لعب ولهو خائضون في اصناف الباطل وانواع مجالستهم عن رغبة مظنة الغفلة عن ذكر الله والانجذاب الى ما هم
عليه عن الاعمال الصالحة وتلك اركان الايمان وقواعده وقد علمت ان كثرة الغفلات عن الشيء تؤول الى نسيانه وامحائه عن لوح الخيال والذكر
وربما يجوز في مطلق الغفلة عن اوقات العبادة والذكر بالنسيان تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه الثاني كونها محلا لحضور الشيطان وقد علمت
معنى الشيطان وان كل محل عصي الله فيه فهو محضر للشيطان وموطن له التاسع الامر بمجانبة الكذب ونفر عنه بقوله فانه مجانب للايمان و
[illegible] ومعنى المجانبة كون كل منهما في جانب فان كانت الاعمال الصالحة داخلة في مسمى الايمان فالصدق من جملتها ومضاد الصدق
مضاد للايمان واحد الضدين مجانب للاخر فالكذب مجانب للايمان وان لم يكن كذلك قلنا ان الكذب من اعظم الرذائل الموبقة والايمان اعظم
الفضائل المنقذة وبين الفضائل والرذائل منافاة ذاتية فالكذب مناف للايمان ومجانب له ويحتمل ان يكون معنى مجانبته له كونه غير
لائق ان يجامعه في محل واحد [illegible] مناسب الجملة كونه ليس منه في شيء وقد بينا ما يشتمل عليه الكذب من المضار المهلكة ثم اردف ذلك
بالترغيب في الصدق بكون الصادق على شفا منجاة اي مشارف النجاة وكرامة او محلهما وهو الجنة اذ الصدق باب من ابوابها ثم بالتنفير عن الكذب
بكون الكاذب على شرف مهواة ومهانة اي هوى وهوان او محلهما وهو حضيض الجحيم لانه موصل الهوان اذ الكذب باب من ابوابها ومن انتهى الى
الباب فقد شارف الدخول وعن الرسول صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فانه يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى
يكتب عند الله كذابا وعليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله
صديقا وقال صلى الله عليه وسلم الكذب رأس النفاق وهو ظاهر فان مدار النفاق على المصانعة بالقول الغير المطابق لما في نفس الامر وهو حقيقة
الكذب العاشر النهي عن الحسد وقد اتفق ارباب القلوب على انه من اعظم ابواب الشيطان التي يدخل بها على القلب وهو احد العوارض
الردية للنفس ويتولد من اجتماع البخل والشره في النفس واعني بالشره [illegible] طباعها بمضار تقع بالناس ويكره ما يوافقهم وان كانوا
ممن لا يرونه ولم يسيئوا اليه وقد علمت ان من هذه صفته سخط للقضاء من الله عز وجل وذلك انه مضاد لارادته اذ هو تعالى المتفضل على البرية
بالخير المطلق للكل وقد رسم الحسد بانه اغتمام الانسان بخير يناله غيره من حيث لا مضرة منه عليه منه وقد يوجد الحسد ممن له نفع ما من المحسود
ويسمى الحسد البالغ واما تعليله وجوب تركه بانه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فاعلم ان العلماء قد اتفقوا على ان الحسد مضر بالنفس
والجسد اما بالنفس فلانه يذهب اهلها ويشغلها بالاهتمام بامر المحسود حتى لا يتفرغ للتصرف فيما يعود نفعه عليها بل وينسى ما حصلت
عليه من الملكات الخيرية التي هي الحسنات المنقوشة في جوهرها ويضمحل على طول نفوذ الحسد واشتغال الفكر فيه وطول الحزن والهم لان
نعم الله على عباده اكثر من ان تحصى فاذا كان الحسد بها دائما انقطع وقت الحاسد عن تحصيل الحسنات واما بالجسد فلانه يعرض له عند
حدوث هذه الاعراض للنفس طول السهر وسوء الاغتذاء ويعقب ذلك رداءة اللون وسوء السحنة وفساد المزاج اذا عرفت ذلك فنقول انه قد

فقد اعتبر طريقتهم

استغفار

استعار هيهنا لفظ الأكل لكون الحسد ذاهبا بما في النفس من الخير التي هي الحسنات ومانعا من صيرورتها ملكات وذلك بسبب اشتغالها
في حال المحسود واشتغالها بحسده فشبه ذلك باكل النار الحطب ووجه الشبه ما يشترك فيه الحسد والنار من افناء الحسنات والحطب و
استهلاكهما **الحادي عشر** النهي عن التباغض وتعليله ذلك بانها الحالقة واعلم انه لما كان امر المعاش لا ينتظم الا بالتعاون والتناصر
وكان التعاون انما يتم بالالفة وكان اقوى اسباب الالفة هو المودة والمواخاة بين الخلق كانت المودة من المطالب المهمة للشارع
ولذلك اخا رسول الله صلى الله عليه وآله بين اصحابه لتخلص محبتهم وتصفو الفتهم ويحصل بينهم التعاون والتناصر والاتحاد في الدين وقال عليه السلام
المرء كثير باخيه ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له فلذلك كان التباغض بينهم منهيا عنه مكروها في الشريعة
لما يستلزمه من التقاطع بينهم وعدم تعاونهم وتناصرهم وبسبب ذلك تتخطف كلا منهم ايدي حاسديه وتتحكم فيه اهواء اعاديه
فلم تسلم له نعمة ولا تصفو له مدة بل يكون بذلك بواره واضمحلال النوع وهلاكه ولذلك قال عليه السلام فانها الحالقة واصل هذا اللفظ
مستعار مما يحلق الشعر كالموسى ونحوها الذي هو من اسباب التبرح صار مثلا وقد وقع هيهنا موقعه من الاستعارة ووجه المشابهة ان
الموسى مثلا كما انها سبب لحلق الشعر واستيصاله كذلك التباغض سبب لاستيصال الخلق بعضهم بعضا **الثاني عشر** التنبيه
على مضار الامل للدنيا تنفيرا عنه والامر بتكذيبه المستلزم للنهي عنه فاما مضاره **فاحدها** انه يوجب سهو العقل اي عما هو
الاولى بالانسان في معاشه ومعاده وهو ظاهر فان الامل ابدا مشغول الفكر بما يامله ويرجوه وفي كيفية تحصيله وكيفية العمل
به بعد حصوله وشغله بذلك يستلزم اعراضه عن غيره اذ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه **الثاني** انه ينسي الذكر اي ذكر الله
ثم ذكر الموت من احوال الآخرة وذلك باستغراقه فيما يامله من احوال الدنيا كما مر **الثالث** انه غرور وصاحبه مغرور ويروى
بفتح الغين من غرور وصاحبها ووجه الفتح ان الامل ليس هو نفس الغفلة عن الذكر وغيره بل مستلزم لها فلذلك صدقت نسبة الغرور
اليه ووجه الضم انه مجاز من باب اطلاق اسم اللازم على ملزومه واما تكذيبه فبتذكر الموت ودوام اخطاره بالبال وملاحظة
المرجع والمعاد وانما سمى رد الامل تكذيبا له لان النفس حال توقعها للمأمول تكون حاكمة حكما وهميا ببلوغه ونيله فاذا
رجعت الى صرف العقل وملاحظة الموت وجواز الانقطاع به عن بلوغ ما رجته كان تجويزها ذلك مكذبا لما حكم به الوهم
من الاحكام ورادا له وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** وفيها فصول **الفصل الاول** في صفات المتقين
وهو قوله عباد الله ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه واعد القرى
ليومه النازل به فقرب على نفسه البعيد وهون الشديد نظر فابصر وذكر فاستكثر وارتوى من عذب فرات سهلت
له موارده فشرب نهلا وسلك سبيلا جددا قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به فخرج
من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى وصار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر طريقه وسلك
سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل
ضوء الشمس قد نصب نفسه لله سبحانه في ارفع الامور من اصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع الى اصله مصباح
ظلمات كشاف عشوات مفتاح مبهمات دفاع معضلات دليل فلوات يقول فيفهم ويسكت فيسلم قد اخلص لله
فاستخلصه فهو من معادن دينه واوتاد ارضه قد الزم نفسه العدل فكان اول عدله نفي الهوى عن نفسه يصف
الحق ويعمل به لا يدع للخير غاية الا امها ولا مظنة الا قصدها قد امكن الكتاب من زمامه فهو قائده وامامه يحل
حيث حل ثقله وينزل حيث كان منزله **اقول** القرى الضيافة والفرات الصادق العذوبة والنهل الشرب في اول الورد
والجدد الارض المستوية والسرابيل القمصان والمنار الاعلام والغمار جمع غمرة وهي الزحمة من كثرة الناس والماء ونحوه والعشوات
جمع عشوة وهي ركوب الامر على جهل به والعشوة بالغين المعجمة هي الغطاء والمبهمة الامر الملتبس والمعضلات الشدائد وذكر من
صفاتهم التي هي سبب محبة الله لهم اربعين وصفا وقد علمت ان محبة الله تعود الى افاضته الكمالات النفسانية على نفس العبد
بحسب قربه بالاستعداد لها الى جوده فمن كان استعداده اتم كان استحقاقه اوفى فكانت محبة الله له اكمل **فالاول** من تلك
الاوصاف كونه اعانه الله على نفسه اي افاضه قوة على استعداد يقوى بها عقله على قهر نفسه الامارة بالسوء **الثاني** ان يستشعر الحزن
اي يجعله شعارا له والمراد الحزن على ما فرط في جنب الله واكتسب من الاثم فانه من جملة ما اعد به المعونة الالهية لاستشعاره و
يستعد به لكمال اعلى **الثالث** تجلبب الخوف وهو اتخاذه جلبابا واستعار لفظ الجلباب وهو الملحفة للخوف من الله والخشية
من عقابه ووجه المشابهة ما يشتركان فيه من كون كل منهما شاملا به وهو ايضا معونة من الله للعبد على تحصيل السعادة و
الرابع نتيجة مصباح الهدى في قلبه وهو اشارة الى شروق انوار المعارف الالهية على مرآة سره وهو ثمرة الاستعداد بالحزن
والخوف ولذلك عطفه بالفاء واستعار لفظ المصباح لنور المعرفة لما يشتركان فيه من كون كل منهما سببا للهدى وهو استعارة

ان من احب عباد الله صح

في صفة المتقين

لفظ المحسوس من المعقول **الخامس** كونه اعدّ القرى ليومه اى النازل به استعار لفظ القرى للاعمال الصالحة واراد باليوم النازل به يوم القيمة واستلزم
الاستعارة تشبيهه لذلك اليوم بيوم الضيف وبيوم القرى للضيف المتوقع نزوله ووجه المشابهة ان القرى كما يتبيض به وجه القارى عند ضيفه
ويخلص به من ذمه ويكسبه المحمدة والثناء منه كذلك الاعمال الصالحة في ذلك اليوم تكون سببا لخلاص العبد من اهواله وتكسبه رضاء
الحق سبحانه والثواب الجزيل منه **السادس** وقرّب على نفسه البعيد وجهين احدهما ان يشير بالبعيد الى رحمة الله فانها بعيدة من غير مستحقها
والمستحق لقبولها قريبة ممن حسن عمله وكل قوله فالعبد اذا راض بالاعمال الصالحة نفسه واعدها قرّبها يومه كانت رحمة الله على غاية من
القرب منه كما قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين الثاني يحتمل ان يريد بالبعيد امله الطويل في الدنيا ويقربه على نفسه بتقصيره
له بذكر الموت وفقد بلوغه كما سبق **السابع** كونه قد هوّن الشديد ويحتمل ايضا معنيين احدهما ان يريد بالشديد اهوال الاخرة وعذاب
الجحيم وتهوينه لها بالاعمال الصالحة واستشراق انوار الحق وحظ كونها مهونة شديد عذاب الله الثاني ان يريد بالشدايد شدايد الدنيا
من الفقر والاهتمام بالمصائب التي تنزل بهن من الظلم وفقد الاحبة والاقرباء ونحو ذلك وتهوينه لذلك تسهيله على خاطره واستحقاره
في جنب ما يتصوره من الفرحة بلقاء الله وما اعدّ له من الثواب الجزيل في الاخرة كما قال تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا
انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون **الثامن** كونه نظر اى تفكر في ملكوت السموات
والارض وما خلق الله من شيء فابصر اى فشاهد الحق سبحانه في عجائب مصنوعاته بعين بصيرته **التاسع** وذكر فاستكثر اى ذكر ربه
ومعاده فاستكثر من ذكره حتى صار الذكر ملكة له وتجلى المذكور في اطوار ذكره لمرآة سره والاستكثار من الذكر باب عظيم من ابواب
الجنة **العاشر** كونه ارتوى من عذب فرات شبه العلوم والكمالات النفسانية التي تفاض على العارف بالماء الزلال فاستعار له
لفظ العذب ورشح تلك الاستعارة بذكر الارتواء وقد سبق وجه هذه الاستعارة مرارا **يا** كونه سهلت له موارده الفايزون بقصب
السبق في طرق الله لا يتفكرون عن تاييد الهي بخاصية من جبلتهم بها سرعة الاستعداد لقبول الكمالات الموصلة اليه اذا عرفت ذلك عرفت
ذلك فقول موارد تلك الكمالات من العلوم والاخلاق هي معادنها ومواطنها المنتزعة منها وهي النفوس الكاملة التي يهتدي بها ويؤخذ عنها
انوار الله كالانبياء ومقصد تلك الموارد ايضا على بدايع صنع الله الذي يرد بها ذهن العبد وتكتسب بها الملكات الفاضلة وسهولة تلك
الموارد لهم هو سرعة قبولهم لاخذ الكمالات عنها بسهولة باذهان صافية تهيئاتها العناية الالهية لقبولها وتيسيرها لذلك **يب** فشرب
نهلا اى اخذ تلك الكمالات سابقا اليها كثيرا من ابناء نوعه ومنفردا بما فيها لسهولة موردها عليه وهي الفاظ مستعارة لاخذه لها وسبقه
اليها ملاحظة لشبهه بشارب السوابق من الابل الى الماء **يج** كونه قد سلك سبيلا جددا اى سبيل الله الواضح المستقيم العدل بين طرفي التفريط
والافراط **يد** كونه قد خلع سرابيل الشهوات اكثر الاوصاف لسائقه اشار فيها الى تحصيل العلم والاستعداد له واشار بهذا الوصف الى
طرف الزهد واستعار لفظ السرابيل للشهوات ووجه المشابهة تلبس صاحبها كما يتلبس بالقميص ورشح بلفظ الخلع وكنى به عن طرح كل اسباب
الشهوة والتنازع عنها فيما يخرج به عن حد العدل **يه** وتخلى من الهموم الا هما واحدا اى من هموم الدنيا وعلائق احوالها وطرح كل
مقصود عن مقصده الا هما واحدا انفرد به وهو الوصول الى حاصل عزة الله وتوجه سره الى مطالعة انوار كبريائه واستشراقها وهو تمام
الزهد الحقيقي وحظ كونه منفردا عن غيره من ابناء نوعه **يو** فخرج عن صفة العمى اى عن الجهل بما حصل عليه من فضيلة العلم والحكمة وعن مشاركة
اهل الهوى في افراطهم وتجورهم اذ هو على حاق الوسط من فضيلة العفة **يز** فصار من مفاتيح ابواب الهدى فابواب الهدى هي
طرقه وسبله المعدة لقبول من اهتدى وقد وقف عليها العارفون ودخلوا منها الى حضرة جلال الله ووقفوا على مراحلها ومنازلها ومخاوفها
فصاروا مفاتيح لما انغلق منها على اذهان الناقصين ومصابيح بينها للنفوس الجاهلين ولفظ المفتاح مستعار للعارف ووجه المشابهة
يح ومغاليق ابواب الردى فابواب الردى هي اطراف التفريط والافراط والمسالك التي يخرج منها عن حد الله المردى سلوكها في قرار
الجحيم والعارف لما سد ابواب المنكرات التي يسلكها الجاهلون ولزم طريق العدل لا جرم اشبه المغلاق الذي يكون سببا لسد الطريق
ان يسلك فاستعير لفظه له وفي القرينتين مطابقة فالمغاليق بازاء المفاتيح والردى بازاء الهدى **يط** قد ابصر اى بنور بصيرته طريقه
اى المامور بسلوكها والمجذوب بالعناية الالهية اليها وهي صراط الله المستقيم **ك** وسلك سبيله اى لما ابصر السبيل سلكها اذ كان
السلوك هو المقصد الاول **كا** وقد عرف مناره اى ما كان للسالك الى الله قد يستقيم به طريق الحق اتفاقا وذلك كسلوك من استكمل
قوته النظرية بالعلوم وقد يكون سلوكه سببا لاستكماله فالسالك كما قد عرف بالبرهان مناره اى اعلامه المقصودة في طريقه التي هي سبب
هدايته وهي القوانين الكلية العلمية ويحتمل ان يريد بالمنار ما يقصده بسلوكه وهو حضرة جلال الله وملائكته المقربون **كب**
قد قطع غماره واشار بالغمار الى ما كان مغمورا فيه من مشاق الدنيا وهمومها والناس لم يتسبب فقدها ومجاذبة اهلها لها فان العارف
بمعزل عن ذلك والناس لم يتسبب به **كج** واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها اراد باوثق العرى وامتن الحبال سبيل الله ودوامه
استعارة ووجه المشابهة ان العروة كما تكون سببا للنجاة لمن يتمسك بها وكذلك الحبل وكان اجودها ما ثبت ومتن ولم ينفصم كذلك طريق الله الموصلة

اليه يكون

في بيان الخطبة المشتملة على المواعظ والنصائح

اليه يكون توثيقه والتمسك باوامره سببا للنجاة من اهوال الآخرة وهو عروة لا انفصام لها واوامره احبال لا انقطاع لها واليها الاشارة بقوله
تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها **كد** فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس اي وكان متمسكه
باوامر الله ونواهيه ومجاهدته في سبيله فقد استشرقت اتم انوار اليقين فصار شاهدا بعين بصيرته عالم الملكوت رائيا بها الجنة والنار عين
اليقين كما يرى بصره الظاهر نور الشمس في الوضوح والجلاء **كه** قد نصب نفسه لله سبحانه في ارفع الامور من اصدار كل وارد عليه وتصيير
كل فرع الى اصله اي لما كمل في ذاته نصب نفسه لارفع الامور من هداية الخلق وافاضته لقوانين طريق الله فصار كالمصباح يقتبس منه انوار
العلم فهو لكونه مليا بما ترتها قايم باصدار الاجوبة عن كل ما ورد عليه من الاسولة التي اشتبه امرها على الاذهان وان يرد كل فرع من فروع العلم الى
اصله المتشعب عنه **كو** كونه مصباح ظلمات اي يهتدي به الناس من في ظلمات الجهل الى الحق ولفظ المصباح مستعار له كما سبق **كز** كونه
كشاف عشوات اي موضحا لما اشكل امره وركب فيه الجهل من الاحكام الملتبسة متميزا وجه الحق منها ومن روي العين البغيضة فالمراد كشاف غطية الجهالات
عن ابصار البصائر **كح** وكذلك كونه مفتاح مبهمات اي فاتحا لما انغلق على اذهان الخلق واستبهم وجه الحق فيه من الاحكام **كط** كونه دفاع معضلات
اي يدفع كل حيرة في معضلة من معضلات الشرع صعب على الطالبين تميز وجه الحق فيه ويحجبهم مبينا له عن التردد في مهاوي الجهل **ل** و
كذلك كونه دليل فلوات واستعار لفظ الفلوات لموارد السلوك وهي الامور المعقولة ووجه المشابهة ان الفلوات كما لا يهتدي لمسالكها
الا الادلاء الذين اعتادوا سلوكها وضبطوا مراحلها ومنازلها حتى كان من لا قايد له منهم لا يهتدون بيتيه فيها ويكون حمله معطر فيها سببا
لهلاكه كذلك الامور المتصورة المعقولة لا يهتدي لطريق الحق فيها الا من اختار العناية الالهية بتصحيحه فالتفت بزمام عقله الى سنا د رشد يهديه
سبيل الحق منها ومن لم يكن كذلك حتى حاد عن طريق الحق فيها خبط في ظلمات الجهل خبط عشواء وسلكت به شياطينه ابواب جهنم والعارفون هم
ادلاء هذا الطريق والواقفون على مطارحها ومنازل السلامة فيها يعبرون بصائرهم **لا** كونه يقول فيفهم وذلك لشاهد نفسه عن الحق من غير شبهة تعتريه
فيما يقول ولا اختلاف عبارة عن جهل بالمقول **لب** كونه يسكت فيسلم اي من خطر القول ولما كانت فايدة القول الافهام والافادة وفايدة السكوت
السلامة من آفات اللسان وكان كلا منهما في معرض المدح لا جرم ذكرهما مع فايدتيهما والمقصود ان العارف يستعمل كلا من القول والسكوت في موضعه
عند الحاجة اليه فقط **لج** كونه قد اخلص لله فاستخلصه وقد عرفت ان الاخلاص لله هو التفرد البعيد عن كل خاطر سواه عن درجة الاعتبار
واستخلاص الحق للعبد هو اختصاصه من بين ابناء نوعه بالرضى عنه وافاضة انواع الكمال عليه وادناؤه الى حضرة قدسه وانفراده بمناجاته وذات
الاخلاص سبب استخلاصه كما قال تعالى واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا **لد**
فهو من معادن دينه استعار لفظ المعادن له ووجه المشابهة اشتراكهما في كون كل منهما اصلا ينتزع منه الجوهر فمن المعادن انواع الجواهر المحسوسة
ومن نفس العارف جواهر العلوم والاخلاق وساير ما اشتمل عليه دين الله **له** كونه من اوتاد ارضه استعار لفظ الوتد ووجه المشابهة كون كل منهما
سببا لحفظ ما يحفظ به فبالوتد يحفظ الموتود وبالعارف يحفظ نظام الارض واستقامة امور هذا العالم وقد سبق مثله في الخطبة الاولى ووتد
بالتعدي مبدا ارضه **لو** كونه قد الزم نفسه العدل فكان اول عدله نفي الهوى عن نفسه لما كان العدل ملكة تنشا عن الملكات الثلث وهي الحكمة والعفة
والشجاعة وكان العارفون قد راضوا انفسهم بالعبادة وغيرها حتى حصلوا على هذه الملكات الخلقية لا جرم كان بعيد حصولها قد الزم نفسه
العدل ولما كان العدل في القوة الشهوية بان يصيرها عفيفا لا خامد الشهوة ولا فاجرا اصعب من العدل على ساير القوى لكثرة موارد الشهوة وميلها الى الاسنان
الطرف الافراط ولذلك كان اكثر المناهي الواردة في الشريعة هي موارد الشهوة لا جرم كان مقتضى المدح ان يبدا بذكر نفي الهوى عن نفسه وكان
السالك اول ما يبدا في تكميل القوة العملية باصلاح القوة الشهوية فيقف عند حدود الله ولا يتجاوزها في ماكول ومنكوح او كسب ونحوه
لز كونه يصف الحق ويعمل به اي يتبع قول الحق بعمله فان التخلف في القول عند الخلق قبيح ومع الله اقبح ولذلك عاتب الله المؤمنين بقوله يا ايها
الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وكانوا قالوا لو نعلم احب الاعمال الى الله لفعلناه في سبيل الله فيما فيه رضاه فلما كان
يوم احد لم يثبتوا واكد عتابه بشدة مقته لخلفهم وعدم مطابقة اقوالهم لافعالهم **لح** كونه لا يدع للخير غاية الا امها اي لا يترك من جزئيات ما يرتضا
العارف شرع فيها اجمالا قد كرا انه طالب لكل غاية خيرية لا يقنع ببعض الحق ويقف عنده بل يبتغيها في غيره ويستقصي غاياته **لط** و
كذلك هو قاصد لكل مظنة له ومظنته كل محل امكن ان يتنزع منه ويستفيده كالاولياء ومجالس الذكر وغيرها **م** كونه قد امكن الكتاب
من زمام امره فهو قائده الى الآخرة فتمكينه الكتاب كناية عن انقياده لما اشتمل عليه من الاوامر والنواهي واستعار لفظ الزمام لعقله ووجه المشابهة
ما يثيره كاد ينده من كون كل منهما الزمام لانقياد وهي استعارة لفظ المحسوس للمعقول وكذلك استعار لفظ القائد للكتاب لكونه جاذبا بزمام
عقله الى جنبه واخذه مانعا عن الانحراف عنها وكذلك لفظ الامام لكونه مقتديا به وقوله يحل حيث حل ثقله وينزل استعار وصفي الحلول والنزول
اللذين هما من صفات المسافر وكنى بحلوله حيث حل عن لزوم اثره والعمل بمقتضاه ومنا ثقته له في طريق سفره الى الله بحيث لا ينفك عنه وجودا
وعدما وبالله التوفيق **الفصل الثاني** قوله واخر قد تسمى عالما وليس به فاقتبس جهائل من جهال وضاليل من ضلال
ونصب للناس اشراكا من حبال غرور وقول زور قد حمل الكتاب على آرائه وعطف الحق على اهوائه يؤمن من العظائم ويهون كبير

في صفات بعض الفساق

الجرائم يقول قف عند الشبهات وفيها وقع ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان لا يعرف باب
الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه فذلك ميت الاحياء اقول وهذا الفصل من صفات بعض الفساق في مقابلة الموصوف
السابق وخصص من يسمى عالما وليس بعالم بالذكر في معرض الذم لانه اشد فسادا واقوى افسادا للذين لتعدي فساده من نفسه الى غيره وذكر
له اوصافا الاول كونه قد يسمى عالما وليس بعالم طلبا للرياسة وتحصيل الدنيا وهذا الصنف من الناس كثير والعلماء فيهم مغمورون الثاني
كونه قد اقتبس جهائل من جهال واضاليل من ضلال والجهائل جمع جهالة واراد الجهل المركب وهو الاعتقاد الغير المطابق لما في نفس الامر
وهذا الوصف احد اسباب الاول ونسبة الاقتباس الى الجهل نسبة مجازية لما ان الجهل يشبه العلم في كونه مستفادا على وجه التعلم والتعليم و
الاضاليل من لوازم الجهالات وهو الانحراف عن سواء السبيل وانما قال من جهال وضلال ليكون اثبات الجهل والضلال له آكد فان
تلقفهما عن الجهال الضلال واعتقادهما اثبت وارسخ في النفس من تلقي الجهالات الثالث كونه نصب للناس اشراكا من حبائل غرور و
قول زور واستعار لفظ الاشراك والحبائل لما ينصبه علماء السوء للناس من الاقوال الباطلة والافعال المزخرفة ووجه المشابهة
ما تشترك فيه الشرك من الحبال وغيره وسائر ما يجذب به الخلق من اقوالهم وافعالهم في كونها محصلة للغرض فالشرك للصيد وغرور هؤلاء
لقلوب الخلق ورشح ذلك الاستعارة بذكر النصب الرابع قد حمل الكتاب على آرائه اي جاهل تفسير كتاب الله تعم مذاهب مختلفة ويكفيك
منها ما تعتقده المجسمة من ظواهر المتشرعة بتجسيم الصانع جلت قدرته وتفسيرهم الكتاب على ما اعتقدوه من باطلهم الخامس وعطف الحق
على اهوائه من فسر الفاظ القرآن على حسب عقيدته الفاسدة وآرائه الباطلة فقد عطف الحق على هواه اي جعل كل هوى له حقا يتبع
بتاويل ما ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن السادس كونه يؤمن الناس من العظائم ويهون كبير الجرائم اي يسهل
على الناس امر الآخرة في موضع يحتاجون فيه الى ذكر وعيد الله وتذكيرهم باليم عقابه كما يخطئ الجاهلون ويعرضون عن اوامر الله تعالى ونواهيه
فاذا حضروا مجالس جهال الواعظين والزهاد توسلوا الى استجلاب قلوبهم وتشييد مناصبهم باجتماعهم عليهم بان ذكروا لهم مواعيد الله
كقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا ونحوه يهونون عليهم بذلك عظيم الوعيد واهوال الآخرة ويصغر عندهم جرائمهم التي ارتكبوها في جنب ما
تصوروه من الوعد الكريم وتيا مع ذلك ميل طباعهم الى المشتهيات الخارجة عن حدود الله فيتعدوا واما اقترفوه ولا كذلك العالم اذ من شانه ان
يستعمل كلا من آيات الله الوعد والوعيد في موضعها ليبقى السامعون بين خوف ورجاء فلا ينهمكوا في اللذات الفانية اتكالا على الوعد ولا
يقنطوا من رحمة الله نظرا الى الوعيد السابع يقول اقف عند الشبهات اي اذا انتهيت الى امر فيه شبهة لا اقدم عليه وفيها وقع وذلك لجهله بمواقع
الشبهة وغيرها الثامن يقول اعتزل البدع اي ما يبتدع من الامور المخالفة لقوانين الشريعة وبينها اضطجع كنى باضطجاعه بين البدع عن تورطه
فيها كانه بها مستغرقا وذلك لجهله باصول الشريعة وكيفية تفريعها التاسع فالصورة صورة الانسان والقلب قلب حيوان اراد بالحيوان
غير الانسان كما هو مختص في العرف واطلق على قلبه انه قلب حيوان كالحمار ونحوه لما بينهما من المناسبة وهو عدم صلاحيتهما لقبول المعارف والعلوم
مع ميلهما الى الشهوات العاشر كونه لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه اي لا يعرف بجهله قانون الهدى فيتبعه الى الحق فيسلكه
ولا وجه دخوله في الباطل فيعرض عنه وذلك ان الجاهل الجهل المركب ملحاد عن سبيل الله وجزم بما اعتقده من الباطل امتنع مع ذلك الجزم
ان يعرف باب الهدى وجهة الدخول اليه فامتنع منه اتباعه ولما اعتقد ان ما جزم به من الباطل هو الحق امتنع ان يعرف مبدا دخوله في الجهل
وهو باب العمى فامتنع منه ان يصد عنه ثم حكم بعد تلك الاوصاف انه ميت الاحياء اما كونه ميتا فلان الحيوة الحقيقية التي تطلب لكل عاقل
والتي وردت الشرائع والكتب الالهية بالامر بتحصيلها هي حيوة النفس باستكمال الفضائل التي هي سبب السعادة الباقية وقد علمت ان الجهل
المركب هو الموت المضاد لتلك الحيوة فالجاهل بالحقيقة ميت واما انه ميت الاحياء فلانه في صورة الحي الفصل الثالث قوله
فاين تذهبون وانى تؤفكون والاعلام قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة فاين يتاه بكم بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم
وهم ازمة الحق واعلام الدين والسنة الصدق فانزلوهم باحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش ايها الناس خذوها عن خاتم النبيين
صلى الله عليه وآله انه يموت من مات منا وليس بميت ويبلى من بلي منا وليس ببال فلا تقولوا بما لا تعرفون فان اكثر الحق فيما
تنكرون واعذروا من لا حجة لكم عليه وانا هو الم اعمل فيكم بالثقل الاكبر واترك فيكم الثقل الاصغر وركزت فيكم راية الايمان ووقفتكم
على حدود الحلال والحرام والبستكم العافية من عدلي وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي واريتكم كرائم الاخلاق من نفسي فلا
تستعملوا الراي فيما لا يدرك قعره البصر ولا تتغلغل اليه الفكر اقول تؤفكون تصرفون والتيه الضلال والعمه الحيرة والتردد
وعترة الرجل اقاربه من ولده وولد ولده وادانى بني عمه والهيم الابل العطاش اعلم انه لما قدم المتقين بصفاتهم والفاسقين بصفاتهم كان
في ذكرهما تنبيه على وضعي طريقي الحق والباطل ولوازمهما فاتبع ذلك عقيبها بالتنبيه على كونهم في ضلال وتيه وعمى عن الحق ثم بالتخويف
والتبكيت والتذكير بكتاب الله وعترة رسوله ليلزموا سمتهم ويسلكوا بهم طريق اهل التقوى ويفيئوا عن ضلالهم الى اقتباس انوار الحق
من اهله فقوله فاين تذهبون الى قوله منصوبة سؤال عما يذهبون اليه وعن وقت صرفهم عن ذلك الحق سؤال على سبيل الانكار لما هم عليه

اعلام

من الطريق

من الطريق الجائرة والواو في قوله والاعلام للحال واشار بالاعلام الى ائمة الدين ووضوحها ظهورها بينهم ووجودهم فيهم ثم اردف ما انكره من ذهابهم
والتعجب منه بتفسيره فقال فاين يتاه بكم وكيف تعمهون وتنبه به الى ان الذهاب الذي سئلهم عنه هو ذهابهم في الضلال وحيرة الجهل والتردد
في التيه وتبين منه ان قوله وانى تؤفكون اى تنصرفون عن نهجكم وذهابكم في الضلالة وقوله وبينكم عترة نبيكم الواو للحال ايضا والعامل
تعمهون او يتاه بكم وكذلك الواو في قوله وهم ازمة الحق والمعنى كيف يجوز ان يتيهوا في ظلمات الجهل مع ان فيكم عترة نبيكم واراد بعترته اهل بيته
واليه الاشارة بقول الرسول صلعم خلفت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض واستعار لهم
لفظ الازمة ووجه المشابهة كونهم قادة للخلق الى طريق الحق كما يقود الزمام الناقة الى الطريق وكذلك استعار لهم لفظ الالسنة ووجه المشابهة
كونهم تراجمة الوحي الصادقة كما ان اللسان ترجمان النفس ويحتمل ان يريد بكونهم السنة الصدق انهم لا يقولون الا صدقا وقوله فانزلوهم
باحسن منازل القرآن فاعلم ان للقرآن منازل الاولى القلب وهو فيه بمنزلتين احديهما منزلة الاكرام والتعظيم والثانية منزلة التصور
فقط من دون تعظيم الثالثة منزلته في الوجود اللساني بالتلاوة الرابعة منزلته في الدفاتر والكتب واحسن منازله هي الاولى فالمراد اذن
الوصية باكرامهم ومحبتهم وتعظيمهم كما يكرم القرآن بالمحبة والتعظيم وقوله وردوهم ورود الهيم العطاش ارشاد لهم الى اقتباس العلوم والاخلاق
منهم اذ كانوا معادنها ولما كانت العلماء والائمة تشبه بالينابيع والعلم يشبه بالماء العذب وعادتها العطشان حسن منه ان يامرهم بورودهم
وان يشبه الورود المطلوب منهم بورود الابل العطاش وقوله ايها الناس الى قوله ببال لما كان عليه السلام في معرض ذكر الفائدة فكانها قد تقدم
ذكرها فلذلك حسن ايراد الضمير في قوله خذوها وان لم يسبق لها ذكر واشارة النبي بهذه الكلمة تفسيرها بقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين ولما اتفقت عليه كلمة العلماء ونطقت به البراهين العقلية ان اولياء الله لا يموتون
ولا يبلون وان بليت اجسادهم قال بعض الشارحين فيما لا يعنيه قوله ويبلى من بلي منا نص جلي على ان اجساد الاولياء تبلى وهذا بخلاف
ما يعتقده الناس من ان اجسادهم باقية الى يوم القيمة بحالها قلت الاعتقاد المذكور لبعض الناس انما نشأ من قول الرسول صلعم في قتلى بدر
زملوهم بكلومهم ودمائهم فانهم يحشرون يوم القيمة واوداجهم تشخب دما وقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء
الآية وليس ولا واحد منهما يدل على ان الاجساد لا تموت ولا تبلى اما الخبر فليس مقتضاه انها تبقى صحيحة تشخب دما الى يوم القيمة بل ذلك
مما يشهد ببطلانه الحس بل يحمل على انها كما تعاد يوم القيمة تعاد مجروحة تشخب جراحها وما كهيئتها يوم موتها واما الآية فالذي اجمع عليه
علماء المفسرين ان الحيوة المذكورة فيها هي حيوة النفوس وهو ظاهر في سياقها وفيها عن ابن عباس رضه قال قال رسول الله صلعم لما اصيب اخوانكم
باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طيور خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا
طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله عز
وجل انا ابلغهم عنكم فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا الآية فاذن لا منافاة بين كلامه ع وما ورد في القرآن والخبر ومقصوده بهذه الكلمة
تقرير فضيلتهم وانهم اولياء باقون عند ربهم في ظل كرامته وقوله فلا تقولوا بما لا تعرفون تنبيه على الرجوع الى العترة العارفين بما ينبغي
ان يقال وقوله فان اكثر الحق فيما تنكرون تاكيد للامر بالتثبت في الاقوال والنهي عن التسرع اليها والجاهل قد ينكر الحق اذا خالف طبعه
او بما عنده فيها او سبق اعتقاد ضده اليه لشبهة او تقليد فنبه على ان اكثر الحق فيما ينكرونه لئلا يتسرعوا الى القول من غير علم ولذلك ذكر
هذه القضية مرتبة بفاء التعليل وقوله واعذروا من لا حجة لكم عليه وهو انا طلب العذر منهم فيما لحقهم من عذاب الله بسبب تقصيرهم فان الضرر
اللاحق لهم قد انذروا به وتوعدوا عليه وقصر هو عليه السلام في تذكيرهم بتلك الوعيدات والانذارات مع كون ذلك ماخوذا عليه من الله تعالى
فكانت حجتهم عليه قائمة ولما كان له عذر لكنه بلغ وحذر وقد اعذر من انذر وانما ذكرهم بسلب الحجة عنهم في ذلك ليتذكروا خطاءهم
ولعلهم يرجعون وقوله الم اعمل فيكم الى قوله من تفصيل تفصيل لما جاءهم به من الجواذب الى الله فاعذر اليهم بها واتى بلفظ الاستفهام على سبيل
التقرير والتبكيت والثقل الاكبر كتاب الله واشار بكونه اكبر الى انه الاصل المتبع المقتدى به والثقل الاصغر الائمة من ولده عليهم السلام وركز
فيهم راية الايمان عن سنته المتبعة وطريقته الواضحة في العمل بكتاب الله وسنة رسوله كنى براية لاستعارة ووجه المشابهة كون طريقته يهتدى بها
الى سلوك سبيل الله كما يهتدى بالاعلام والرايات امام الجيش وغيره ولفظ الركز ترشيح للاستعارة كنى به عن ايضاحها لهم وتوقيفه على
حدود الحلال والحرام وتعريفهم اياها واراد بالعافية السلامة عن الاذى الحاصل من ايدي الظالمين واستعار لفظ اللباس لها ووجه
الاستعارة ان العافية تشمل المعافى كالقميص وكذلك استعار لفظ الفرش المعروف لكونه اذا وطيت قواعده يستراح به كالفراش وقوله
وارتبكم كرائم الاخلاق من نفسي اي اوضحتها لكم وشاهدتموها مني متكررة وقوله فلا تستعملوا الراي الى آخره نهي لهم عن الاشتغال بالخوض
في صفات الله والبحث عن ذاته بغير قانون واسناد مرشد بل بحسب الراي والتخمين فان تلك الدقائق لما كانت لا ساحل لها ولا غاية يقف
الفكر عندها ولا تتغلغل في اعماقها وكانت مع ذلك في غاية العسر والدقة وكثرة الاشتباه كان نهيه لهم عن الاشتغال بها مؤديا الى الخبط
وافتراق المذاهب وتشتت الكلمة والاشتغال بذلك عن الانتظام في سلك الدين والاتحاد فيه كما عليه من ينتسب الى العلم بعده وكل ذلك.

وكذلك المنار ونصبها قيام الائمة منهم

في توبيخ الأمة على اختلاف آرائهم في الدين

ضد مطلوب الشارع فإن الألفة والاتحاد في الدين من أعظم مطالبه ويحتمل أن يريد مطلق دقائق العلم وتفريع الفقه على غير قانون
من إمام هدى بل الرأي عن أدنى وهم منها حتى يظن الظان أن الدنيا معقولة على بني أمية تمنحهم درّها وتوردهم صفوها ولا يرفع
عن هذه الأمة سوطها ولا سيفها وكذب الظان لذلك بل هي مجّة من لذيذ العيش يتطعمونها برهة ثم يلفظونها جملة
أقول معقولة محبوسة والمجّة الفعلة من مجّ الشراب إذا قذفه من فيه والبرهة المدة من الزمان فيها طول ولفظ كنا الفناء من فيه
وهذا الكلام من فصل يذكر فيه حال بني أمية وطول مدتهم وبلاء الخلق بهم فقوله يظن الظان إلى قوله سيفها غاية من غايات
طول عناء الناس واستعار معقولة للدنيا أيضا فأحدها كونها معقولة ووجه الاستعارة ملاحظة شبهها بالناقة في كونها
محبوسة في أيديهم كما تحبس الناقة بالعقال الثاني كونها ذات درّ تمنحهم إياه ووجه الاستعارة أيضا تشبيهها بالناقة في كون ما فيها
من فوائدها وخيرها مهيّأة لهم ومصبوبة عليهم كما تبذل الناقة درّها الثالث كونها توردهم صفوها وتسند الإيراد
إليها مجاز ويجوز بالسوط والسيف فيما يفيد الأمر معهم من العذاب والقتل ونحوه استعارة للفظ السبب في المسبب قوله وكذب
الظان لذلك إلى آخره ردّ لما عساه يظن من ذلك بتحقير ما حصلوا عليه من الأمر لذنبهم به وتحقير مدته واستعار لذلك
لفظ المجّة وكنّى بكونها مطعومة لهم عن قلة زمانها مدة إمرتهم وبكونها ملفوظة عن زوال الإمرة عنهم وأكد ذلك الزوال بقوله
جملة أي بكليتها وهي كناية بالمستعار تشبيهها لها باللقمة التي لا يمكن إساغتها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
أما بعد فإن الله سبحانه لم يقصم جبّاري دهر قط إلا بعد تمهيل ورخاء ولم يجبر عظم أحد من الأمم إلا بعد أزل وبلاء
وفي دون ما استقبلتم من عتب واستدبرتم من خطب معتبر وما كل ذي قلب بلبيب ولا كل ذي سمع بسميع ولا كل ذي ناظر
ببصير فيا عجبا وما لي لا أعجب من خطاء هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقتصّون أثر نبي ولا يقتدون بعمل
وصيّ ولا يؤمنون بغيب ولا يعفّون عن عيب يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر
عندهم ما أنكروا مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم وتعويلهم في المبهمات على آرائهم كأن كل امرئ منهم إمام نفسه قد أخذ
منها فيما يرى بعرى ثقات وأسباب محكمات **أقول** القصم بالقاف الكسر والأزل بفتح الهمزة الضيق والشدة واقتص أثره تبعه
ومقصود هذا الفصل توبيخ الأمة على اختلاف آرائهم في الدين واستبداد كل منهم بمذهب يجب ويبدي في المسائل الفقهية ونحوها
مع وجوده بينهم وإعراضهم عن مراجعته مع علمهم بفضله بذلك فقوله أما بعد إلى قوله ببصير صدر الخطبة وكالمقدمة لهم من خوف
هذه الخطيئة تنبيه أنهم إنما يستبدون بآرائهم من دون مراجعته عن كثير منهم على التعلم والاستفادة وتجنب الراحة من تحمل كلفة
التحرز من الغلط فيه ومشقة الطلب فلذلك خوّفهم من حال الجبابرة وأن نصيبهم بترك قواعد الدين إلى آرائهم المفرقة
فالمستعد والكل للهلاك بقوله إنه لم يقصم جباري دهر إلا بعد إمهالهم ورخائهم فإنهم إذا أمهلوا وانغمسوا فيما هم فيه من الرخاء
والترف أعرضوا عن الآخرة ونسوا ذكر الله تعالى فاستعدوا بتركهم لقوانين الدين التي بها نظام العالم للهلاك ونحوه قوله تعالى
وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكذلك قوله ولم يجبر عظم أحد من الأمم
إلا بعد أزل وبلاء كنى بجبران العظم عن قوتهم بعد الضعف كناية بالمستعار ومصداق هذه القضية ظ فإن أحدا من الأمم المتغيرة
لأنبيائهم أو لملوكهم في إظهار دين أو طلب ملك لن يصلوا إلى مطلوبهم إلا بعد قوتهم وتضاعفهم وتظاهر بعضهم ببعض ومنام
بلاء وأزل بلاء بحيث يستعدون بذلك للفزع إلى الله تعالى فيهيئ قلوبهم لقبول الأعز ويعد نيتها باجتماع عزائمها لقبول صورة النصر
وفيه تنبيه على وجوب الاتحاد في الدين وعدم تشتت الآراء فيه فإن ذلك يدعو إلى التحزب والتفرق ويدخل عليهم الوهن والضعف
وكل ذلك ضد مطلوب الشارع كما سبق ويحتمل أن يكنّى بقوله لم يقصم جباري دهر عن جباري وقته كمعاوية وأصحابه وبقوله لم يجبر
أحدا من الأمم إلا بعد أزل وبلاء عن أصحابه فنبههم بالكلمة الأولى على أن أولئك الجبارين وإن طالت مدتهم وقويت شوكتهم
فإنما ذلك إملاء من الله لهم ليستعدوا وأبدا للهلاك وبالكلمة الثانية على أنكم وإن ضعفتم وابتليتم فذلك إعداد الله [illegible]
أن ينصره ثم عقب ذلك بتوبيخهم على الاختلاف وتشعب الآراء والمذاهب في الدين لما أن ذلك يؤدي إلى طول محنتهم وضعفهم
عن مقاومة عدوهم وقوله وفي دون ما استقبلتم من عتب أي من عتابي لكم واستدبرتم من خطب أي من الأهوال التي كنتم ترون
من المشركين في مبدأ الإسلام حيث كنتم قليلين وأمرتم أن يثبت الواحد منكم لعشرة منهم ثم أيدكم الله بنصره بالتأليف بين قلوبكم
وجبر عظمكم بمن أسلم ودخل في دينكم وذلك أي معتبر فيه أي عبرة فإنكم لو لم تتحدوا في الدين وتتفقوا سواء رأيه ذلك النصير
واختلفت آراؤكم في ذلك لوقفت كاختلافها الآن وكنتم إذن على غاية من الكثرة لم تغن عنكم كثرتكم شيئا فكأنه قال فيجب من ذلك
الاعتبار أن لا تفترقوا في الرأي وأن تتحدوا في الدين وترجعوا إلي في أصوله وفروعه وقوله فما كل ذي قلب بلبيب إلى
قوله ببصير أراد بذي القلب الإنسان وظاهر أن الإنسان قد يخلو عن اللب وأراد باللب العقل والذكاء واستعمالها فيما ينبغي على الوجه

ج

ام لهم اعين يبصرون بها.

الذي ينبغي وبالجملة فما للبيب من ينتفع بعقله فيما خلق لاجله وكك لسميع ولبصير هما اللذان يستعملان سمعهما وبصرهما في استفادة العبرة
واصلاح امر المعاد ونحوه قوله تعالى لهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اذان يسمعون بها وقوله فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور وفائدة هذه الكلمات تحريك النفوس الى الاعتبار كيلا يبعد التدارك له عند لبيب ولا سميع ولا بصير وقوله يا عجبا الى اخره
اردف تعجبه بما يصلح جواب سؤال مقدر عما يتعجب منه فكانه فهم من تقديره ذلك لسؤال التعجب لسؤال عن تعجبه المستلزم لتبرم وتضجره
كان السائل قال وم تتعجب وعلام هذا التبرم والاسف فقال وما لي لا اعجب من خطا هذه الفرق الفصل ثم شرع في تفصيل الخطايا و
المذام التي كان اجتماعها فيهم سببا للتعجب منهم فاشار الى تركهم لما ينبغي ثم اردفه بذكر فعلهم لما لا ينبغي وقدم على الكل ذكر اختلاف
حججهم في دينهم وذلك هو الاصل الذي نشأت عنه اكثر هذه الرذائل فاما تركهم لما ينبغي ففي صور احدها تركهم لاقتصاص اثر
نبيهم فانهم لو اقتصوا اثره لما اختلفوا اذ لا اختلاف فلم يقتصوا اثر نبيهم الثانية تركهم الاقتداء بعمل الوصي وهو اشارة الى نفسه
وهذا اقطع لاعذارهم فان الاختلاف في الدين قد يعرض عن ضرورة وهي عدم اصابة الكل الحق مع عدم الشارع الذي يرجع اليه في
التوقيف على اسرار الشريعة فاما اذا كان الموقف موجودا بينهم كمثله ع امتنع ان يقعوا في تلك الضرورة فيعتذروا بها في الاختلاف
الثالث تركهم الايمان بالغيب اي التصديق به ولما ينبغي اعتقاده وللمفسرين في تفسير الغيب اقوال احدها عن ابن عباس هو ما جاء
به من عند الله الثاني عن عطاء هو الله سبحانه الثالث عن الحسن هو الدار الاخرة والثواب والعقاب والحساب الرابع مثل
يؤمنون بظهر الغيب كقوله تعالى يخشون ربهم بالغيب اي لا يحفظون شرايط الايمان في غيبة بعضهم على بعض الخامس عن ابن عيسى
الغيب ما غاب عن الحواس مما يعلم بالدليل السادس عن الاخفش يؤمنون بما غاب عنهم انه من متشابهات القران الرابع تركهم العفة عن
عيب وهو اشارة الى الغيبة وظاهرها تجوز وعبور الى طرف الافراط من فضيلة العفة واما فعلهم لما لا ينبغي فامور احدها انهم يعملون في
الشبهات اي لا يتوقفون فيما اشتبه عليهم امره ولا يبحثون عن وجه الحق فيه بل يعملون فيه بما قادهم اليه الهوى الثاني كونهم يسيرون في
الشهوات لما لحظ مشابهة ميل قلوبهم الى شهواتها الدنيوية وانهماكهم فيها قاطعين مراحل الاوقات بالتلذذ لسلوك السائر في الطريق
ونحوها استعار لذلك السلوك لفظ السير الثالث كون المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر ما انكروا اي ان المعروف والمنكر تابعان لارادتهم
وميولهم الطبيعية فما انكرته طباعهم كان هو المنكر بينهم وان كان معروفا في الشريعة وما اقتضته طباعهم وما لت اليه كان هو المعروف
بينهم وان كان منكرا في الدين والواجب ان يكون ارادتهم وميولهم تابعة لنواميس الشريعة في اتباع ما كان فيها معروفا وانكار ما كان فيها
منكرا الرابع كون مفزعهم في المعضلات الى انفسهم وتعويلهم في المبهمات الى ارائهم وهو كناية عن كون احكامهم في كل ما يرد عليهم من مشكلات
الدين وشبهه من احكام تابعة لاهوائهم لا يجرونها على قانون شرعي يعرف حتى اشبهت نفوسهم الامارة بالسوء التي هي منبع الاهواء الخالفة
للشريعة الائمة التي يرجع اليهم في استفادة الاحكام فكل منهم ياخذ عن نفسه اي يتمسك فيما يراه ويحكم به باراء كانها عنده عرى وثيقة
الا تنفصل من تمسك بها واسباب محكمات اي نصوص جلية ظواهرها واضحة لا اشتباه فيها وقد عرفت معنى الحكم ولفظ العرى مستعار
وقد سبق وجه الاستعارة وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم
واعتزام من الفتن وانتشار من الامور وتلظ من الحروب والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور على حين اصفرار من ورقها واياس من
ثمرها واغورار من مائها قد درست اعلام الهدى وظهرت اعلام الردى فهي متجهمة لاهلها عابسة في وجه طالبها ثمرها الفتنة
وطعامها الجيفة وشعارها الخوف ودثارها السيف فاعتبروا عباد الله واذكروا تيك التي اباؤكم واخوانكم بها مرتهنون وعليها
محاسبون ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود ولا خلت فيما بينكم وبينهم الاحقاب والقرون وما انتم اليوم من يوم كنتم
في اصلابهم ببعيد والله ما اسمعهم الرسول ص شيئا الا وها انا ذا مسمعكموه وما اسماعكم اليوم بدون اسماعهم بالامس ولا
شقت لهم الابصار ولا جعلت لهم الافئدة في ذلك الاوان الا وقد اعطيتم مثلها في هذا الزمان ووالله ما بصرتم بعدهم شيئا
جهلوه ولا اصفيتم به وحرموه ولقد نزلت بكم البلية جائلا خطامها رخوا بطانها فلا يغرنكم ما اصبح فيه اهل الغرور فانما هو
ظل ممدود الى اجل معدود **اقول** الفترة ما بين زماني الرسالة والهجعة النومة والاعتزام العزم وروي اعترام الفتن بالراء المهملة اي
كثرتها وروي اعتراض من اعترض الفرس في الطريق اذا مشى عرضا من غير قصد وتلظت الحرب تلهبت والتجهم العبوس والاحقاب جمع حقب
بضم الحاء والقاف وهو الدهر والبطان حزام القتب وصورة هذا الفصل تذكيرهم بنعمة الله تعالى التي نقلت ما كانوا فيه من بؤس وهي
بعثة الرسول ص وما استلزمته من الخيرات ليعتبروا فيشكروا ويخلصوا التوجه الى الله تعالى فاشار اولا الى النعمة المذكورة ثم اردفها بالاحوال
المذمومة التي تبدلت بتلك النعمة الجسيمة وعد منها امورا احدها الفترة من الرسل وظاهر خلو الزمان عن رسول فيه يستلزم وجود
الشرور ووقوع الهرج والمرج وتلك احوال مذمومة ملحوظة في تلك الزمان بها من الذم بمقدار ما لحق زمان وجود الرسول صلى الله عليه واله من
المدح الثاني طول الهجعة من الامم وكنى بالهجعة عن الغفلة في امر المعاد وسائر المصالح التي ينبغي الثالث الاعتزام من الفتن اما على الرواية

فيما جاء به كل سنتي بيان لكونهم اختلفوا

الاقوال في تفسير الغيب

الاولى فنسبة العزم الى الفتن مجاز كنى به عن وقوعها بين الخلق المشتبه لفصل هنا آباؤهم وعلى الرواية الثانية اى على كثرة من الفتن وعلى الرواية الثالثة
فالمعترات الفتن لما كانت تهيج وتقع على غير قانون شرعي ولا نظام مصلحي ولذلك سميت فتنة لاجرم اشبهت المعترض في الطريق من الحيوان الماشي
على غير استقامة ولذلك استعير لها لفظ الاعتراض **الرابع** وعلى انتشار من الامور اى تفرق امور الخلق واحوالهم وجريان افعالهم على قانون
عدلي **الخامس** التلظي من الحروب وقد سبق تشبيه الحرب بالنار فلذلك اسند اليها التلظي على سبيل الاستعارة وكنى بها عن هيجانها
ووجودها بينهم زمان الفترة **السادس** والدنيا كاسفة النور والحال اى كاسف نورها ونور الدنيا كناية عن وجود الانبياء وما يأتون به من الشرائع
وما ينتج عنهم من الاولياء والعلماء كناية بالاستعارة ووجه المشابهة ما يستلزم النور ووجود الانبياء والشرائع من الاهتداء بهما ورشح تلك
الاستعارة بذكر الكسوف وعبر به عن عدم ذلك النور منها ملاحظة لشبهها بالشمس **السابع** ظاهرة الغرور اى كل قد اغتر بها وانهمك
في مشتبهاتها وخدعته بخوادعها **الثامن** كونها على حين اصفرار من ورقها واياس من ثمرها واغورار من مائها استعار لفظ الثمرة
والورق لما عساهم من زينتها ولفظ الاصفرار لتغير تلك الزينة عن العرب في ذلك الوقت وعدم طلاوة عيشهم اذن وخشونة مطاعمهم كما يذهب
حسن الشجرة باصفرار ورقها فلا يلتذ بالنظر اليها وعنى بالاياس من ثمرها انقطاع امال العرب اذن من الملك والدولة وما يستلزم من
الحصول على طيبات الدنيا وكذلك استعار لفظ الماء لمواد متاع الدنيا وطرق لذاتها ولفظ الاغورار لعدم تلك المواد من ضعف التجارات و
المكاسب وعدم التمليك للامصار وكل ذلك لعدم النظام العادل بينهم وكلها استعارات بالكناية ووجه الاستعارة الاولى ان الورق كما انه
زينة للشجرة وبه كماله كذلك لذات الدنيا وزينتها [حياة الدنيا] ووجه الثانية ان الثمرة كما انه مقصود الشجرة غالبا وغايتها كذلك متاع الدنيا والانتفاع به
هو مقصودها المطلوب منها لاكثر الخلق ووجه الثالثة ان الماء كما انه مادة الشجرة به حياتها وقيامها في الوجود كذلك مواد تلك اللذات
هي المكاسب والتجارات والصناعات وقد كانت العرب خالية من ذلك ووجوه باقي الاستعارات ظاهرة **التاسع** دروس اعلام الهدى وكنى
باعلام الهدى عن ائمة الدين وكتبه التي بها يهتدى لسلوك سبيل الله وبدروسها عن موت اولئك وعدمهم كناية بالاستعارة كما سبق **العاشر** ظهور اعلام
الردى وهم ائمة الضلال الداعين الى النار **الحادي عشر** كون الدنيا متجهمة لاهلها عابسة في وجوه طالبيها وكنى بذلك عن عدم صفائها فان
طيب العيش في الدنيا انما يكون مع وجود نظام العدل والنصفة بين اهلها وعدم النظام وذلك في زمان الفترة مفقود بين العرب وهو كناية بالاستعارة
ووجه المشابهة ما يلزم المستعار عنه وله من عدم تحصيل المطلوب منهما **الثاني عشر** كون ثمرها الفتنة اى غاية سعيهم فيها على خبط في ظلمات جهلهم
انما هو الفتنة اى الضلال عن سبيل الله والتيه في ظلمات الباطل وغاية كل شيء هو مقصوده فتشبه الثمرة التي هي مقصود الشجرة فلذلك استعير لها
لفظها **الثالث عشر** وطعامها الجيفة ويحتمل ان يكون لفظ الجيفة هنا مستعارا لطعام الدنيا ولذاتها ووجه المشابهة انه لما كانت الجيفة
عبارة عما انتن وتغير من جثة حيوان ونحوها مما تخبث اكله وتنفر الطبع عنه كذلك طعام الدنيا ولذاتها في زمان الفترة اكثر ما يكون من
النهب والغارة والسرقة ونحوهما مما يخبث تناوله شرعا وينفر العقل منه ويأباه كرام الاخلاق فاشبه ما يحصل من متاعها اذن الجيفة في خبثها وسوء
مطعمها وان كان احد الخبيثين عقليا والآخر حسيا فاستعير لفظها له ويحتمل ان يكنى بالجيفة عما كانوا ياكلون في الجاهلية من الحيوان غير مزكى ومما
حرمه القرآن الكريم من ذلك في قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله والمنخنقة والموقوذة اى المضروبة بالخشب حتى تموت
ويبقى الدم فيها فيكون اطيب كما زعم المجوس والمتردية اى التي تردت من علو فماتت فان كل ذلك اذا مات فكثيرا ما يتعفن ويؤكل فيصدق
ان طعامهم كان الجيفة **الرابع عشر** كون شعارها الخوف **الخامس عشر** كون دثارها السيف استعار لفظ الشعار للخوف والدثار
للسيف ووجه الاستعارة الاولى ان الخوف وان كان من العوارض القلبية الا انه كثيرا ما يستتبع اضطراب البدن وانفعاله بالرعدة فيكون شاملا
لمشمول ما تحته الاولى شعارا ووجه الثانية ان الدثار والسيف يشتركان في مباشرة المدثور والمضروب من فوقهما وقوله فاعتبروا عباد الله
شروع في المقصود فقوله واذكروا تيك اشارة الى وجه العبرة من قبائح الاعمال اى تلك الاعمال التي كانت عليها اباؤكم واخوانكم زمان الفترة
وزمان دعوة الرسول لكم وقوله فهم بها مرتهنون اى محبوسون في سلاسل الهيئات البدنية واغلال ما اكتسبوا منها ومحاسبون عليها
وقوله ولعمري الى قوله ببعيد الحاق بهم بابائهم في تشبيه زمانهم بزمانهم وتقارب ما بين الزمانين وتشبيه احوالهم بحالهم في امور احدها
ان اولئك كانوا اباءكم ولم يبعد زمان الاب وحاله ببعيد الحاقهم باباءهم من حال الابن فما ياتي وبعد **الثاني** ان الرسول صلعم لم يسمعهم
شيئا الا واسمعتكم اياه فلا فرق بينكم وبينهم من هذه الجهة **الثالث** انه لا تفاوت بين اسماعكم واسماعهم **الرابع** ان ساير الامور الا التي
التي كانت لاولئك فاكتسبوا بها كمالا وانتم اكتسبوا حاصلة لكم ايضا **الخامس** انكم لم تعلموا شيئا كان اباؤكم جهلوه حتى يكون ذلك سببا
للفرق بينكم وبينهم **السادس** ولا اصفيتم من الدنيا بشيء لم يكن لابائكم مثله وغرضه من الحاقهم بابائهم في هذه الاحوال امران احدهما التنفير عن حال
من سبق من العاصين بمخالفة اوامر الله نعم الثاني الجذب والترغيب في حال من سبق ممن اطاع الله والرسول فانه اذا حصلت المشابهة بينهم وبين
السابقين والمتشابهات يتحدان في اللوازم كان من تشبه بسابق في عصيانه لزمه ما لزمه من اليم العقاب ومن تشبه في طاعته وانقياده لله لزمه
ما لزمه من الوصول الى جزيل الثواب فقوله ولقد نزلت بكم البلية تنبيه بان يكون انذارا بابتلاء الخلق بدولة بني امية وملوكها وقوله جائلا

حطامها

خطامها كناية بالاستعارة عن خطرها وصعوبة حال من يركن إليها فإنها لما كانت دولتها خارجة عن نظام الشريعة جارية على وفق الأوهام كان الراكن إليها على خطر في دينه ونفسه كما أن من ركن إلى الناقة التي جال خطامها أي لم يثبت في وجهها وأرخي خطامها فركبها كان على خطرات تصرعه فيهلك ثم أردف ذلك بالنهي عن الاغترار بما أصبح فيه أهل الغفلة من متاع الدنيا وطيباتها ونفّر عنه باستعارة لفظ الظل له ووجه المشابهة ما يشتركان فيه من كونه ممدوداً وينتهي عند أجل ويزول به وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

الحمد لله المعروف من غير رؤية والخالق من غير روية الذي لم يزل دائماً قائماً إذ لا سماء ذات أبراج ولا حجب ذات أرتاج ولا ليل داج ولا بحر ساج ولا جبل ذو فجاج ولا فج ذو اعوجاج ولا أرض ذات مهاد ولا خلق ذو اعتماد مبتدع الخلق ووارثه والشمس والقمر دائبان في مرضاته يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد قسم أرزاقهم وأحصى آثارهم وأعمالهم وعدد أنفاسهم وخائنة أعينهم وما تخفي صدورهم من الضمير ومستقرهم ومستودعهم من الأرحام والظهور إلى أن تتناهى بهم الغايات هو الذي اشتدت نقمته على أعدائه في سعة رحمته واتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته قاهر من عازّه ومدمّر من شاقّه ومذلّ من ناواه وغالب من عاداه من توكل عليه كفاه ومن سأله أعطاه ومن أقرضه قضاه ومن شكره جزاه عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا وتنفسوا قبل ضيق الخناق وانقادوا قبل عنف السياق واعلموا أنه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ

أقول الأرتاج الأغلاق والساجي الساكن والفجاج الأتساع والفج الواسع ودائبان مجدّان في سيرهما وعازّه غالبه والمناواة المعاداة وقد تضمن هذا الفصل باعتبارات إضافية للحق سبحانه في معرض تمجيده **فالأول** كونه تعالى معروفاً من غير رؤية وقد سبق معنى معرفته تعالى ومراتبها وبيان كونه منزهاً عن الرؤية بحاسة البصر **الثاني** كونه تعالى خالقاً من غير روية وقد سبق أيضاً بيانه في قوله في الخطبة الأولى بلا روية أجالها **الثالث** كونه لم يزل دائماً وذلك لكون وجوب وجوده مستلزماً لاستحالة عدمه أزلاً وأبداً **الرابع** كونه قائماً يجوز أن يريد به معنى الدائم الباقي ويجوز أن يريد به القائم بأمور العالم والمدبر له وفيه على هذا الوجه أقوال **الأول** عن ابن عباس رضي الله عنه كونه عالماً بالخلق بما كانوا وضابطاً لأحوالهم **الثاني** قيامه توكيله الحفظة عليهم وهو المشار إليه بقوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت **الثالث** القائم على الشيء هو الحافظ له والمدبر لأمره **الرابع** هو المجازي بالأعمال **الخامس** هو القاهر لعباده المقتدر عليهم وقوله إذ لا سماء إلى قوله ذو اعتماد إشارة إلى تقرير اعتبار أوليته فيأتيه بذاته سبقه لكل ممكن ووجوده منفرداً لقول الرسول صلى الله عليه وآله كان الله ولا شيء فأما الحجب ذات الأرتاج فيحتمل أن يريد بها السماوات على ظاهر الشريعة وأنه تعالى في السماء فأشبهت الحجب له فأطلق له لفظها عليها وكونها ذات أرتاج كناية عن عدم التمكن من فتحها والدخول فيها كناية بالاستعارة وقال بعض الفضلاء أراد بها الهيئات البدنية ومحبة الدنيا والظلمات الحاصلة للنفس الحاجبة لها عن مشاهدة أنوار جلال الله حتى كأنها أقفال عليها كما قال تعالى أم على قلوب أقفالها وقوله ولا خلق ذو اعتماد أي ذو قوة وبطش **السادس** كونه مبتدع الخلق أي مخترعه على غير مثال سبق **السابع** كونه وارثه أي كما أنه مبدأه فهو مآله ومرجعه وذلك إشارة إلى كونه دائماً قائماً لم يزل ولا يزال **الثامن** كونه إله الخلق وهو اعتبار بحسب القياس إلى عبادتهم له واستعباده إياهم **التاسع** كونه رازقهم وهو اعتبار له بالقياس إلى إفاضته سائر نعمه عليهم **احدها** كون الشمس والقمر دائبين في مرضاته أي على وفق إرادته والحكمة المطلقة والنظام الكلي وذكرهما في معرض تمجيده لكونهما من أعظم آيات ملكه وقوله يبليان كل جديد نسب الإبلاء إليهما لكون حركاتهما من الأسباب المعدّة لحدوث الحوادث في هذا العالم وتغيراته وكذلك قوله ويقربان كل بعيد وفيه جذب إلى ذكر المعاد والعمل له فكونهما يبليان كل جديد منبه على عدم الثقة والاعتماد على ما يروق ويعجب من حسن الأبدان وجدتها وكل ما يجد ويتجدد من قينات الدنيا ولذاتها والوثوق وحولها فيما يبلى وكونهما يقربان البعيد تنبيه مع ذلك على الحذر مما يستبعده أهل الغفلة من الموت والفناء في صحة أبدانهم وسلامتهم في حبوتهم الدنيا **العاشر** كونه تعالى قسم أرزاقهم كقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا أي وهب لكل من الخلق ما كتب له في اللوح المحفوظ **الحادي** عشر كونه أحصى ما ذكر إلى قوله من الأرحام والظهور أي أحصى كل ذلك منهم بقلم القضاء الإلهي في الألواح المحفوظة وإليه الإشارة بقوله تعالى والله يعلم أعمالكم وقوله وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين وقوله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وقوله وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وقوله إلى أن تتناهى بهم الغايات أي يعلم كل أحوالهم من حين ابتدائهم إلى أن يقف كل عند غايته المكتوبة له من خير أو شر **الثاني عشر** هو الذي اشتدت نقمته على أعدائه في سعة رحمته واتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته وأشار بذلك إلى كماله بالنسبة إلى ملوك الدنيا مثلاً فإن أحدهم في حال غضبه على عدوه لا يتسع لرحمته ولا رحمة غيره وكذا في حال رحمته لأوليائه لا يجتمع معها غضبه عليهم ولما ثبت أنه تعالى هو الغني المطلق المنزه عن صفات المخلوقين وأنه المعطي لكل قابل ما يستحقه من غير توقف في وجوده على أمر من ذاته وكان أعداء الله مستعدون ببعدهم عنه لقبول سخطه وشدة نقمته في الآخرة لا جرم أولاهم ذلك وإن كانوا في الدنيا في سعة رحمته وشمول نعمته وكذا أولياؤه لما استعدوا للقبول رحمته وشمول نعمته أفاضها عليهم فهم في حضرة قدسه على غاية من البهجة والسعادة وضروب الكرامة وإن كانوا بأجسادهم في ضروب من العذاب وشقاوة الفقر والتشكي في الدنيا وذلك لا يملكه إلا

ووارثه مالك الخلق

حليم لا تشغله غضب عن رحمته عدل حكيم لا تمنعه رحمته عن انزال عقوبته سبحانه ليس الا هو **الثالث عشر** قاهر من عاداه انه تعالى قاهر
باعتبار انه قاصم ظهور الجبابرة من اعدائه فيقهرهم بالموت والاذلال كفرعون اذ قال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى وهو الذي
لمحق هذه الاعتبار مطلقا اذ كل موجود فهو مسخر تحت قدرته مقهور تحت قهره عاجز في قبضته **الرابع عشر** ومقدمه من شاقه **الخامس عشر** ومذل
من ناواه **السادس عشر** وغالب من عاداه فمن شاق الله اتباع غير سبيله من بعد ما تبين للمنحرف الهدى ومناواة الاعراض عن اوامره
واتباع الشهوات فانه لا يزيح هواه فاضته لصورة لحاجته الى غيره **السابع عشر** كافي من توكل عليه **الثامن عشر** ومعطي
من ساله **التاسع عشر** وقاضي من اقرضه **العشرون** ومجازي من شكره وهذه الاعتبارات تعود الى حرف واحد وهو ان العبد
اذا استعد بحسن التوكل والسؤال والصدقة والشكر لنعم الله وجب في جود الله وحكمته افاضة كفايته فيما توكل عليه فيه وكفايته من الكمالات
افاضة تامة عليه ومن رفع النقصانات دفعها عنه ثم اعطاؤه ما سال اذا استعد للقبول ثم اداؤه عن قرضه اضعافا ثم جزاؤه على
شكره بزيادة انعامه واطلق لفظ القرض لما يعطي الفقير مجازا كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي برا من جهات الزكاة
والتمعز خالصا لوجه الله فيضاعفه له اضعافا كثيرة ووجه المناسبة كون الفقراء اهل الشوعيا له فكان المعطي هو الله تعالى وقوله
عباد الله الى آخره شروع في التشوير والموعظة فقوله زنوا انفسكم من قبل ان توزنوا تنزل النفوس في الدنيا اعتبار اعمالها وضبطها بميزان
العدل اي مراعاة استقامتها على حاق الوسط من طرفي الافراط اللذين هما ككفتي الميزان مهما رجحت احديهما الى النقصان الاثم والخسران

والتفريط

قايم واما الميزان الاخروي فاما على راي المتكلمين وظاهر الشريعة فظ واما على راي محققي السالكين من الصوفية فقد اشار اليه الامام
الغزالي رضه كاف في بيانه فقال ان تعلق النفس بالجسد كالحجاب لها عن حقائق الامور وبالموت ينكشف الغطاء كما قال تعالى فكشفنا عنك
غطاءك فبصرك اليوم حديد ومما ينكشف لها تأثير اعماله فيما يقربه الى الله تعالى ويبعده عنه ومقادير تلك الآثار وان بعضها اشد تأثيرا
من بعض وفي قدرة الله تعالى ان يجري شيئا يعرف الخلق به في لحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة الى تأثيرها في التقريب والابعاد
فحد الميزان ما به يتميز الزيادة والنقصان وان اختلف مثاله في العالم المحسوس فمنه الميزان المعروف ومنه القبان والاصطرلاب لحركات
الفلك والمسطرة لمقادير الخطوط والعروض لمقادير حركات الاصوات فهذه كلها امثلة للميزان الحقيقي وهو ما يعرف به الزيادة و
النقصان وهو موجود فيها باسرها وصورته تكون للحس عند التشكيك وللخيال بالتمثيل وقوله وحاسبوها قبل ان تحاسبوا محاسبة

بيان ميزان الحساب

النفس ضبط الانسان على نفسه اعمالها الخيرية والشرية ليزكيها بما ينبغي لها ويعاقبها على فعل ما لا ينبغي وهي باب عظيم من ابواب المرابطة في
سبيل الله فان للعارفين في سلوك سبيل الله ومرابطتهم مع انفسهم مقامات خمسة **الاولى** المشارطة ثم المراقبة ثم المحاسبة ثم
المحاسبة ثم المعاتبة المجاهدة والمعاقبة وضربوا لذلك مثالا فقالوا ينبغي ان يكون حال الانسان مع نفسه كحال التاجر مع شريكه اذا سلم
اليه مالا ليتجر به فالعقل هو التاجر في طريق الآخرة ومطلبه وربحه تزكية النفس اذ بذلك فلاحها كما قال تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب
من دسيها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة فالعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وكما
ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل
يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظايف ويأمرها بسلوك طريق الحق ويرشدها اليها ويحرم عليها سلوك غيرها كما
يشترط التاجر على شريكه **الثانية** ان لا يغفل عن مراقبتها لحظة فلحظة عند خوضها في الاعمال ويلاحظها بالعين الكالئة والى
مقام المراقبة الاشارة بقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقوله صلى الله عليه وآله اعبد الله
كانك تراه وقد سبق بيان حقيقة المراقبة ولا بد منها فان الانسان لو غفل عن نفسه واهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع رأس المال
كالعبد الخائن اذا انفرد بمال سيده **الثالثة** ثم بعد الفراغ من العمل ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط فان هذه تجارة
ربحها الفردوس الاعلى فتدقيق الحساب في هذا اهم من التدقيق في ارباح الدنيا لحقارتها بالنسبة الى نعيم الآخرة فلا ينبغي ان يهمل من
انفاسها في ذرة من حركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة من انفاس العمر جوهرة نفيسة

محاسبة النفس

لا عوض لها يمكن ان يشتري بها كنز من كنوز الآخرة لا يتناهى ... وينبغي للانسان ان يخلو عقيب فريضة كل صبح مع نفسه بالوصية ويقول
اي نفس ليس لي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني رأس مالي ووقع الياس من التجارة وطلب الربح وهذا يوم جديد قد امهلني الله فيه
وهو صاحب لبضاعة وربحها ولو توفاني لقلت رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت فاحسبي انك رددت فاياك وتضييع هذا
اليوم والغفلة فيه واعلمي ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه يفتح للعبد في كل يوم وليلة اربع وعشرون
خزانة مصفوفة فيفتح له فيها خزانة فيراها مملوة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والاستبشار بمشاهدة
تلك الانوار ما لو قسم على اهل النار لادهشهم عن الاحساس بالالم ويفتح له خزانة اخرى فيراها سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه
ظلامها وهي الساعة التي عصى الله تعالى فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة

وصية الانسان لنفسه في كل صباح

ليس فيها

في بيان الخطبة الأشباح

ليعوضها بها ما ينبغي وما يسوؤه وهي الساعة التي نام فيها او غفل في شيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها وبيان له من الغبن الفاحش ما ينال
من قدر على ربح كثير ثم ضيعه والبه الاشارة بقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن وقال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس
قد فاته ثواب المحسنين وهو اشارة الى الغبن والحسرة يوم شدة ثم يستانف وصية الاعضاء السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج
واليد والرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لها في التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم
وانما تتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء ويوصي كل عضو بما ينبغي له وينهاه عما لا ينبغي له ويرجع في تفصيل تلك الاوامر
والنواهي الى مراسم الشريعة ثم يشترط عليها ان خالفت ذلك عاقبها بالمنع من شهواتها وهذه الوصية قد تكون بعد العمل وقد تكون
قبله للتحذير كما قال تعالى فاعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه الثاني بعد المجاهدة والمعاقبة وهو بعد المحاسبة اذا رأى نفسه قد قارفت
معصية فينبغي ان يعاقبها بالصبر عن امثالها ويضيق عليها في موردها وما يعود اليها من الامور المباحة وان رآها توانت وكسلت عن
شيء من الفضائل وورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الطاعات جبرا لما فات روي ان ابن عمر اخر صلوة المغرب
حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين الخامس توبيخ النفس ومعاتبتها وقد علمت ان لك نفسا امارة بالسوء ميالة الى الشر وقد امرت
بتقويمها وتسليسلها للقهر الى عبادة ربها وخالقها ويمنعها عن شهواتها ولذاتها المالوفة فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك
وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة واللائمة كانت نفسك هي النفس اللوامة وسبيل المعاتبة ان تذكر النفس عيوبها وما هي عليه من الجهل
والحمق وما بين يديها من خطر الموت وما تؤول اليه من الجنة والنار وما عليه اتفاق كلمة اولياء الله الذين هم بتسليمها سادات الخلق
ورؤساء العالم من وجوب سلوك سبيل الله ومفارقة معاصيه وتذكيرها بآيات الله واحوال الصالحين من عباده فهذه مجامع المرابطة
ومرابطاتها واما حسابها الاخروي فقد سبقت الاشارة اليه وقوله وتنفسوا من قبل ضيق الخناق استعار لفظ التنفس لتحصيل الراحة
والبهجة في الجنة بالاعمال الصالحة في الدنيا المستلزمة لها كما يستلزم النفس راحة القلب من الكرب واستعار لفظ الخناق من الحبل
المخصوص للموت ووجه المشابهة ما يستلزمه ضيق الخناق والموت من عدم التمكن والتصرف والعمل اي انتهزوا الفرصة للعمل قبل
تعذره بزوال وقته وضيقه وقوله وانقادوا قبل عنف السياق اي انقادوا لاوامر الله الى طاعته قبل السوق العنيف وهو سوق ملك
الموت بالجذبة المكربة كما سبق وقوله واعلموا انه من لم يعن على نفسه الى اخره اي من لم يعنه الله على نفسه واعانته له هو اعداد العناية
الالهية لنفسه الناطقة ان تقبل السوانح الخيرية وتأييدها بها على النفس الامارة بالسوء لتقوى بتلك السوانح على قهرها وعلى
الانزجار عن متابعتها والانجذاب الى ما تدعوها اليه من الشهوات فانه متى لم يكن لها ذلك الاستعداد والقبول لم ينفعها وعظ ولم
يقبله اذ لا قبول بدون استعداد للقبول وفي ذلك تنبيه على وجوب الاستعانة بالله في احوال النفس ودفع الشيطان عنها وبالله
التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم تعرف بخطبة الاشباح** وهي من جلائل خطبه وكان سائل سأله ان يصف الله تعالى حتى كانه
يراه عيانا فغضب لذلك وقال الخطبة روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال خطب امير المؤمنين ع
هذه الخطبة على منبر الكوفة وذلك ان رجلا اتاه فقال له يا امير المؤمنين صف لنا ربنا لنزداد له حبا وبه معرفة فغضب ونادى الصلوة جامعة
فاجتمع الناس حتى غص المسجد باهله فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ص ثم خطبها واعلم ان في
الخطبة فصولا **الفصل الاول** قوله الحمد لله الذي لا يفره المنع ولا يكديه الاعطاء والجود اذ كل معط منتقص سواه وكل
مانع مذموم ما خلاه هو المنان بفوائد النعم وعوائد المزيد والقسم عياله الخلائق ضمن ارزاقهم وقدر اقواتهم ونهج
سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه وليس بما سئل باجود منه بما لم يسئل الاول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء
قبله والاخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده والرادع اناسي الابصار عن ان تناله او تدركه ما اختلف عليه دهر
فيختلف منه الحال ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه اصداف البحار من
فلز اللجين والعقيان ونثارة الدر وحصيد المرجان ما اثر ذلك في جوده ولا انفد سعة ما عنده ولكان عنده من ذخائر
الانعام ما لا تنفده مطالب الانام لانه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله الحاح الملحين **اقول** الاشباح الاشخاص
ويفره يزيد ماله وفورا ويمنه ويكديه ينقص خيره وتنفست عنه انفرجت والفلز ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض والعقيان
الذهب الخالص والمرجان صغار اللؤلؤ والحاح في سؤاله اذا دام عليه وقد شرع في وصف الله سبحانه باعتبارات له الى ثلاثة **الاول**
انه لا يزيد بما يجود ويمنع من فضله **الثاني** ولا ينقصه عطاؤه وجوده ثم رفع حكم الوهم عليه سبحانه بدخوله في عموم المنتقصين بالعطايا
بقوله اذ كل معط منتقص سواه وكذلك نزهه عن الدخول في زمرة المذمومين بمنعهم ما في ايديهم عن طالبه بقوله وكل مانع مذموم
ما خلاه فكانت هاتان القضيتان مؤكدتين للاوليين وبرهانهما ان التزيد بالمنع والتنقص بالاعطاء انما يطلق في حق من ينتفع
ويتضرر بالزيادة والنقصان والانتفاع والتضرر على الله تعالى محال فالتزيد والتنقص عليه محال ولانهما يقتضيان عليه الحاجة والامكان وذلك

ان/

بتقويمها ح

عن ربها ح

والموفر

الخلق ن ل

في حكايته

في مباحث الخطبة الاشباح

مقد وانه غير متناهية وتنبيه بقوله اذ على جهة العرف بينه وبين خلقه انما ينقص المعطي من خلقه لحاجته الى ما يعطيه وانقطاع غيره وانما
استحق المانع منهم الذم دونه سبحانه لكون ما يصدر عنه من منع واعطاء مضبوطا منوطا بنظام الحكمة والعدل دون غيره من المانعين فان
غالب منعهم يكون عن شح وهو مطاع متبع واعلم ان صدق الكلية في المنقضين والعلم بالعطاء ظاهر واما في المذمومين بالمنع فتحقيقه ان كل
مانع للمال فهو انما يمنعه خوف الفقر ونحوه وظاهر ان الخائف من الفقر في الدنيا محب لها وهو بمعزل عن عباد الله المتوكلين عليه الزاهدين
في متاع الدنيا وقنياتها واذا كان العبد مامورا بان يكون من هؤلاء وفي زمرتهم فبالحري ان يكون مستحقا للذم على ما يمنعه من
ماله فيكون حجابا لوجهه عن النظر الى وجه الله الكريم وصدق الكلية اذن ظاهر وفي ادعية زين العابدين يا من لا يزيده كثرة العطاء
الا كرما وجودا وفيه سر لطيف فانه لما كان جوده سبحانه غير متوقف الا على وجود الاستحقاق وكانت كل نعمة صادرة عنه معدة لمحلها
ومهيئة له لقبول نعمة اخرى كانت كثرة عطائه مستلزمة لكثرة الاعداد المستلزم لزيادة الجود الثالث انه المنان بفوائد النعم والمنة
تذكير المنعم للمنعم عليه بنعمته والتطاول عليه بها كقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم في غير موضع من كتابه وهي صفة
مدح للحق سبحانه وان كانت صفة ذم للخلق والسبب الفارق كون كل منعم سواه فيحتمل ان يتوقع لنعمته جزاء ويستفيد كما لا يعود اليه
مما افاده وان يتوقع الذكر ويفرح ممن يثني بل بنعمته ويتوقع لها جزاء ان يمن بها لما يستلزمه المن من التطاول والكبر وتوقع الجزاء والحاجة
اليه مع التطاول والكبر مما لا يجتمعان في العرف اذ التطاول والكبر انما يليقان بالغني عن ثمرة ما تطاول به ولان التطاول مما يتاذى
به المنعم عليه فيبطل بذلك استعداد نفس المنعم لقبول نعمة الله وجزائه ولذلك ورد النهي عن المنة في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى فجعلهما سببا لبطلان الصدقة اي عدم استحقاق ثوابها وفوائد النعم ما افادها وعوائد المزيد والقسم عطاء دفعا
الثامن كون الخلائق عياله ضمن ارزاقهم وقدر اقواتهم واستعار لفظ العيال للخلق بالنسبة الى ربهم ووجه المشابهة ان عيال الرجل هو
من جمعهم لتكفيهم ويصلح حالهم كذلك الخلق انما خلقهم وجمعهم تحت عنايته ليصلح احوالهم في معاشهم ومعادهم وكذلك استعار لفظ الضمان
في الحكمة الالهية من وجود ما لا بد منه في تدبير اصلاح حالهم من الاقوات والارزاق ونفذ بها اقواتهم اعطاء كل ما كتب له في اللوح المحفوظ
من زائد وناقص الخامس كونه نهج سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه وذكر اولا ما يصلح حالهم في الدنيا وهو ضمان الارزاق
وتقدير الاقوات ثم اردفه بما هو سبب صلاح حالهم في الاخرة من نهج السبيل وايضاحه واشار به الى ايضاح الشريعة لطريق السالكين الراغبين
في النظر الى وجهه الكريم والطالبين لما عنده من النعيم المقيم السادس كونه ليس بما سئل باجود منه بما لم يسئل ويستلزم بيان هذا
الوصف اشارة لطيفة وهو ان فيضان ما صدر عنه سبحانه له اعتباران احدهما بالنظر الى جوده وهو من تلك الجهة غير مختلف في جميع
الموجودات بل نسبتها اليه على سواء وبذلك الاعتبار فلا يقال هو بكذا اجود منه والا لاستلزم ذلك ان يكون بعض الاشياء ابخل والبها
احوج فيلزم النقصان تعالى الله عن ذلك الثاني بالنظر الى الممكن نفسه والاختلاف الواقع في القرب والبعد الى جوده انما هو من تلك
الجهة فكل ممكن كان اتم استعدادا واقبل للوجود واقل شرطا ومعاندا كان اقرب الى جوده اذا عرفت ذلك فاعلم ان السائل وان حصل
له ما سال من الله تعالى دون ما لم يسئل فليس منعه ما لم يسئله لعزته عند الله وليس بينه وبين ما سئل بالنسبة الى جود الله تعالى فرق وتفاوت
بل انما خص بما سئل لوجوب جوده له عند تمام قبوله له بسؤاله دون ما لم يسئله ولو سئل ما لم يسئله واستحق وجوده لما كان في الجود
الالهي بخل به ولا منع في حقه وان عظم خطره وجل قدره ولم يكن له اثر نقصانا في خزائن ملكه وعموم جوده والى هذا اشار علي بن موسى الرضا وقد
سئل عن الجواد فقال ان لسؤالك وجهان ان اردت المخلوق فالذي يؤدي ما افترض الله عليه والبخيل الذي يمنع ما افترض الله عليه وان اردت الخالق
فهو الجواد ان اعطى وان منع لانه ان اعطى اعطى من له وان منع منع من ليس له فقوله له وليس له اشارة الى ان الجود الالهي انما يهب ويتوقف
في هبته على وجود المستحق وقد نزهه بهذا الوصف عن صفة الخلق اذ كان من شانهم ان يكونوا بما سئلوا اجود منهم بما لم يسئلوا لكون
اسهل عليهم ومن شان السائل ان لا يسئلهم ما هو اعز عندهم ولذلك كانوا بما سئلوا اجود السابع الاول الذي لم يكن له قبل فيكون
شيء قبله الثامن والاخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده وقد اشرنا الى هذين الوصفين فيما سلف ونزيدهما بيانا فنقول الاولية
والاخرية اعتباران اضافيان تحدثهما العقول لذاته المقدسة وذلك انك اذا لاحظت ترتيب الوجود في سلسلة الحاجة اليه سبحانه وجدته
تعالى بالاضافة اليها اولا اذ كان انتهاؤها في سلسلة الحاجة الى غناه المطلق فهو اول بالعلية والذات والشرف ولذا ليس بذي مكان
فالتقدم بالمكان منفي عنه والزمان متاخر عنه اذ هو من لواحق الحركة المتاخرة عن الجسم المتاخر عن علته فلم يلحقه القبلية الزمانية فضلا
ان تسبق عليه فلم يكن شيء قبله مطلقا لا من الزمانيات ولا من غيرها واذا اعتبرته بالنظر الى ترتيب السلوك ولاحظت مراتب السالكين ومنازل
عرفانه وجدته اخرا اذ هو اخر ما ترتقي اليه درجات العارفين ومعرفته هي الدرجة القصوى والمنزل الاخر ولان كل موجود
سواه فهو ممكن العدم فله من ذاته ان لا يستحق وجودا فضلا ان يستحق الاخرية والبعدية المطلقة وهو تعالى الواجب لذاته فهو المستحق
لبعدية الوجود واخريته لذاته وبالقياس الى كل موجود فاذن هو الاول المطلق الذي لا شيء قبله والاخر المطلق الذي لا شيء بعده التاسع

في بيان الخطبة الاشباح

١٥
ج

الرابع انا بينا ان الاشياء عن ان ثنا له او نذكره وقد سبق ان القوة الباصرة انما تتعلق بذي وضع وجهة والباري تعالى منزه عنهما فيستحيل
ان يدرك بحاسة البصر ووهم فهو مما يدل النقصان عن قبول الادراك العاشر كونه لم يختلف عليه دهر فيختلف عليه الحال لما كان
الزمان سببا للتغيرات واختلاف الاحوال وكان ذاته سبحانه منزهة عن لحوق الزمان كانت منزهة عن تغير الاحوال الجارية على الزمانيات
واختلافها الحادي عشر ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال لما كان من شأن ذي المكان جواز ان ينتقل عن مكانه وكان سبحانه
منزها عن المكان واله لزمه النقصان اللازم للامكان لاجرم انه لم يجز عليه الانتقال الثاني عشر كونه لو وهب ما تنفست عنه معادن
الجبال وضحكت عنه اصداف البحار من فلز اللجين والعقيان الى قوله مطالب الانام انما عدد هذه الاشياء في معرض المدح له تعالى لكونها
اعظم ما يفتخر عليه الانسان ويهتم به واجل ما يتنافس فيه ابناء الدنيا بينهما على كمال قدرته وعدم تناهي مقدوراته وسبق
انه انما يأتي بجميع مثل ذلك جود المحتاجين الذين يتنافسون عليه الانتفاع والتضرر واستعار لفظ الضحك للاصداف ووجه الشبه
انفتاح الصدفتين واستعارتهما عن اللؤلؤ التشبيه في بدوه باسنان الانسان حال ضحكه وعن لحمة الشبه للسان في رقته طرفه ولطافة
ومن صادف الصدفة عند فتحها وجدها كالانسان يضحك في كل استعار لفظ الحصيد لصغار اللؤلؤ ملاحظة لشبهه بما يحصد من — شاهده
الحنطة وغيرها واعلم ان الصدف وان كان حيوانا ذو حس وحركة الا ان له شبها بالنبات ولحوقا به من جهة انه ذو عرق في الارض يتغذى
به وقد اجمل ما يخرج من معادن البر والبحر لمبهم الشامعين بينهما وقوله لان الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله الحاح الملحين
انما كان هذا علة لعدم تاثير جوده بجميع ما يعظم قدره ونقصان خزائنه باخراجه منها لان الجواد الذي شأنه ما ذكر انما كان كذلك لكونه
ليس من شأنه ان يلحقه النفع والضرر والنقص بل هم غيره منتاهية واستعار لفظ الغيض لعدم ملاحظة لشبهها بالماء الذي له مادة فانه
لا ينقص بالنزح ومن روي يغضبه فلان الغضب من لواحق المزاج والباري تعالى منزه عنه فيتنزه عن لواحقه وكذلك البخل رذيلة مكتسبة
من البدن والمزاج تبعث اليهما الحاجة والنقصان من لا يتزيد ولا ينتقص فلا يؤثر في ملكه ان يهب الدنيا لمن سألها **الفصل الثاني**
قوله فانظر ايها السائل فما دلك القرآن عليه من صفته فأتم به واستضئ بنور هدايته وما كلفك الشيطان علمه مما ليس — فائتم به
في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وائمة الهدى اثره فكل علمه الى الله سبحانه فان ذلك منتهى حق
الله عليك واعلم ان الراسخين في العلم هم الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره
من الغيب المحجوب فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه
رسوخا فاقتصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام
لتدرك منقطع قدرته وحاول الفكر المبرأ من خطر الوساوس ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته وتولهت القلوب اليه لتجري
في كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتنال علم ذاته ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب
متخلصة اليه سبحانه فرجعت اذ جبهت معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ولا تخطر ببال اولي الرويات خاطرة من
تقدير جلال عزته الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله وارانا من ملكوت قدرته
وعجائب ما نطقت به آثار حكمته واعتراف الحاجة من الخلق الى ان يقيمها بمساك قوته ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته وظهر — صنعته
في البدائع التي احدثها آثار صنعته واعلام حكمته فصار كل ما خلق حجة له ودليلا عليه وان كان خلقا صامتا فحجته بالتدبير
ناطقة ودلالته على المبدع قائمة فاشهد ان من شبهك بتباين اعضاء خلقك وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك
لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ولم يباشر قلبه اليقين بانه لا ند لك وكانه لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين اذ يقولون تالله — اليقين
ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين كذب العادلون بك اذ شبهوك باصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين باوهامهم
وجزؤك تجزئة المجسمات بخواطرهم وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم فاشهد ان من ساواك بشيء من خلقك
فقد عدل بك والعادل كافر بك بما تنزلت به محكمات آياتك ونطقت به شواهد حجج بيناتك وانك انت الله الذي لم تتناه — بك ص
في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفا ولا في رويات خواطرها محدودا مصرفا **اقول** الاقتحام الدخول في الامر بشدة
والسدد جمع سدة وهي الابواب والحجب وجاب البلاد اي قطعها والسدف جمع سدفة وهي الظلمة والجبه الرد واحتذى عليه اي سلك
مسلكه والحقاق جمع حق وهو اطراف عظام المفاصل والعادل الجاعل لله عديلا والقريحة قوة الفكر وقصد بهذا الفصل تاديب الخلق
في وصفهم لله سبحانه وتعليمهم كيفية السلوك في مدحه والثناء عليه بما هو اهله وان كان الخطاب للسائل اذ هو السبب في هذه الخطبة
وذلك على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جارة فارشده في ذلك الى كتاب الله وامره ان يجعله اماما يقتدى به ويستضئ بانواره
في سلوك سبيل الله وكيفية وصفه فان اولى ما وصف به تعالى هو ما وصف به نفسه وامره بان يكل علم ما لم يجده مفروضا عليه علمه
في كتاب الله او في سنة رسوله وآثار ائمة الهدى القائمين مقامه في ايضاح الدين وحفظه الى علم الله تعالى وهو المراد بالتفويض وذلك

في بيان الحظبة الأشباح

تنبيه

ان ائمة الهدى اعلم بوجوه تشبيهه تعالى الى خلقه وبما بينها سبب ثلاث الاعتبارات من الالفاظ وبعيدها فيطلق عليه وتفرقه عن طلب ذلك والبحث عنه
باشارته الى انه تكليف للشيطان وظان طلب ما وراء احد وذلك الشريعة التي نهت عن تجاوزها انما هو بسبب وسوسة الشيطان وحرص الطبع
على ما يمنع منه ثم اعلم ان ذلك هو منتهى حق الله عليه ومطلوب منه ولما كان مطلوب الشارع حين وضع الشريعة ونفرت قواعدها
هو جمع قلوب العالم على قانون واحد واتخاذهم فيه بحيث لا يفترقوا في اعتقادهم لئلا يكون ذلك الافتراق سببا لضعف الدين
وعدم صغائهم على تشبيهه كما سبق بيانه لا جرم وجب في الحكمة ان يحرم عليهم الخوض فيما وراء ذلك لتثبت قواعد الدين في
قلوبهم وترسخ ولا يخرج بهم البحث عن ما وراءها الى اطراحها وفساد اعتقاد كثير من الخلق ولغيرها مما وقلما اذ لم يكن فيهم من يستعد
لقبول ما وراء تلك الظواهر الا الفرد النادر وان كنا نعلم انه كان ثم ازاعلم من احد استعداد القبول شيء من اسرار الشريعة وثق
بان يحمله الفاه اليه كعلي ع دون ابي هريرة وامثاله ثم وصف له بعد ذلك الراسخين في العلم الممدوحين في القرآن الكريم بقوله تعالى
لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك الآية وقوله والراسخون في العلم يقولون آمنا وفسر معنى الرسوخ فقال
هم الذين اغناهم الله عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول
ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا انما اشار الى السدد المضروبة وحجب الغيوب فلننظر الى
ما كشف عنه بعض علماء الصوفية منها واشار اليه الخبر عن سيد المرسلين صلى الله عليه واله ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو
كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره ولما ثبت ان الله تعالى متجلي لذاته بذاته فالحجاب لا بد وان يكون بالنسبة الى المحجوب

هيهنا ز

بيان اقسام المحجوبين على طريق الصوفية

فاقسام المحجوبين ثلثة فمنهم من حجب بمجرد ظلمة ومنهم من حجب بمجرد نور ومنهم من حجب بنور مقرون بظلمة وتحت كل قسم من هؤلاء اقسام كثيرة
لا تحصى فيكفينا الاشارة الى اصولها فنقول **القسم الاول** المحجوبون بمجرد الظلمة وهؤلاء هم الملحدة الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وهم
صنفان فصنف منهم طلبوا للعالم سببا فاحالوه على الطبع وقد علمت ان الطبع صفة جسمانية مظلمة خالية عن المعرفة والادراك وصنف
منهم لم يتفرغوا لذلك ولم ينتبهوا لطلب السبب بل تشاغلوا بانفسهم وعاشوا عيش البهائم فكانوا محجوبين بكدورات نفوسهم وشهواتهم
المظلمة ولا ظلمة اشد من الهوى ولذلك قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال النبي ص الهوى ابغض اله عبد على وجه الارض
وتحت هؤلاء فرق كثيرة لا حاجة الى ذكرها **القسم الثاني** المحجوبون بنور مقرون بظلمة وهم ثلثة اصناف فصنف منهم
منشأ ظلمتهم الحس وصنف منهم منشأها الخيال وصنف منهم منشأها مقايسات عقلية فاسدة فالاولون طوائف **الاولى** عبدة الاوثان فانهم علموا على سبيل
الجملة ان لهم ربا واوجبوا ايثاره على انفسهم واعتقدوا انه اعز وانفس من كل شيء ولكنهم حجبوا بظلمة الحس عن ان يجاوزوا العالم المحسوس
في اثبات ربهم فاتخذوا من انفس الجواهر كالفضة والذهب والياقوت اشخاصا مصورة باحسن صورة وجعلوها الهة فهؤلاء محجوبون
بنور العز والجلال من صفات الله لكنهم وضعوها في الاجسام المحسوسة فصارت حجبهم انوارا مكدرة بظلمة الحس اذ الحس ظلمة بالاضافة
الى عالم المعقولات **الثانية** طائفة ترقوا عن رتبة الاحجار فكانوا ادخل من عبدة الاوثان في ملاحظة الانوار كما يحكى عن قوم من اقاصي
الترك ليس لهم ملة ولكن يعتقدون ان لهم ربا هو اجمل الاشياء فاذا راوا انسانا في غاية الجمال او فرسا او شجرا عبدوه وقالوا هو ربنا
فهؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس ايضا **الرابعة** طائفة ترقوا عن هؤلاء وقالوا ينبغي ان يكون الرب نورانيا في صورته ذا سلطان
في نفسه مهيبا لا يطاق القرب منه ولم يترقوا عن درجة المحسوس فعبدوا النار اذ وجدوها بهذه الصفات فهؤلاء محجوبون بنور السلطنة
والبهاء وكل ذلك من انوار الله مع ظلمات الحس **الخامسة** طائفة ترقوا عن ذلك فزعموا ان النار يطفى ويقهر فلا يصلح للالهية بل ما يكون
بهذه الصفات ولكن يكون بحيث يتصرف فيه ويكون مع ذلك موصوفا بالعلو وكان المشهور بينهم علم النجوم واضافة التاثيرات اليها فعبدوا
النجوم فمنهم عبدة المشتري ومنهم عبدة الشعرى وغيرهم فهؤلاء محجوبون مع ظلمة الحس بنور الاستعلاء والاشراق وهي من انوار الله تعالى
السادسة طائفة ترقوا عن هؤلاء فقالوا وان وجب ان يكون الرب بالصفات المذكورة الا انه ينبغي ان يكون اكبر الكواكب فعبدوا الشمس
فهؤلاء محجوبون مع ظلمة الحس بنور الكبرياء والعظمة مع بقية الانوار **السابعة** طائفة ترقوا عن ذلك فقالوا ان الشمس لا تتفرد
بالنور بل لغيرها انوار والاله لا يجوز ان يكون له شريك في نورانيته فعبدوا النور المطلق على كل نور وزعموا انه اله العالم والخيرات
كلها منسوبة اليه ثم راوا في العالم شرورا فلم يستحسنوا اضافتها الى ربهم تنزيها له فجعلوا بينه وبين الظلمة منازعة واحالوا العالم
الى النور والظلمة وهؤلاء الثنوية **الصنف الثاني** المحجوبون ببعض الانوار مقرونة بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا الحس واثبتوا
وراء المحسوس امرا لكنهم لم يهتدوا الى مجاوزة الخيال فعبدوا موجودا قاعدا على العرش واخسهم رتبة المجسمة ثم اصناف الكرامية وارفعهم
درجة من نفى الجسمية وجميع عوارضها الا الجهة فخصصوه بجهة فوق وهؤلاء لم يثبتوا موجودا غير محسوس ولا متخيل حتى نزهوه
عن الجهة **الصنف الثالث** المحجوبون بانوار الهية مقرونة بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا الها سميعا بصيرا متكلما
عالما قادرا منزها عن الجهات لكن فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح بعضهم فقال كلامه صوت مثل كلامنا
مناسبا لهم ز

وربما ترقى

في بيان الخطبة الأشباح

١٥ ج

وربما ترقى بعضهم فقال لا بل هو كحديث انفسنا فلا صوت ولا حرف ولذلك اذا حقق القول عليهم رجعوا الى التشبيه في المعنى وان انكروه
لفظا اذ لم يدركوا كيفية اطلاق هذه الالفاظ في حق الله فهؤلاء ايضا محجوبون بجمل من الانوار مع ظلمات المقايسات العقلية القسم الثالث
المحجوبون بمحض الانوار وهم اصناف لا تحصى لكن نذكر منهم ثلثة اصناف الاول الذين عرفوا معاني هذه الثلاثة وعرفوا ان بين اطلاق اسمائها
على الله تعالى وبين اطلاقها على البشر فتحاشوا من تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات فقالوا ان ربنا رب السموات والارض
لن ندعو من دونه الها وهو الرب المنزه عن هذا المفهوم الظاهر وهو محرك السموات ومدبرها الصنف الثاني الذين عرفوا ان في السموات
ملائكة كثيرة وان محرك كل سماء منها موجود آخر يسمى ملكا وان هذه السموات في ضمن فلك يتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة
واحدة فالرب تعالى هو المحرك للفلك الاقصى منها المشتمل عليها الصنف الثالث الذين ترقوا عن هؤلاء وقالوا ان تحريك الاجسام
الفلكية من الملائكة يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له ويكون الرب تعالى هو المحرك للكل بطريق الامر فهؤلاء كلهم محجوبون بانوار محضة
ونفتتهم عما وراءها ووراء هؤلاء صنف رابع تجلى لهم ان هذا المطاع موصوف بصفة الوحدة المطلقة والكمال البالغ وكشفت عنهم
حجب المقايسات والاعتبارات الى غيرهم لواصلون فمنهم من احرق ذلك التجلي في تلك الانوار جميع ما ادركه بصره بالكلية وبقي ملاحظا
لرتبة الحق فيها فانمحقت فيه المبصرات دون المبصر ومنهم من تجاوز هؤلاء وهم خواص الخواص فاحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال
فانمحقوا وتلاشوا في انفسهم فلم يبق لهم التفات الى انفسهم وملاحظة لفنائهم عن انفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وهؤلاء هم الواصلون كما
سبقت الاشارة اليه وينتهي الكل الى حجاب الامكان الذي يهلك فيه كل موجود ولا يبقى الا وجه الله ذي الجلال والاكرام اذا عرفت ذلك
فنقول السدد المضروبة وحجب الغيب التي اشار اليها هي درجات الانفعالات في مفهومات صفات الله تعالى ومراتب عرفانه ومعرفة ملائكته
ومراتبهم وكمالاتهم وتشابه الانوار التي حجب بها اهل القسم الثالث والراسخون الذين اشار اليهم في كلامه الواقفون في المرتبة الرابعة
وهم الذين اقتصروا في صفات الله تعالى وملائكته وعالم غيبه على ما وقفتهم الشريعة عليه على سبيل الجملة كما وصل اليه افهامهم لرسوخه
وعقلوا في وصفه تعالى بصفات الكمال ونعوت الجلال انه ليس على حد وصف البشر بها ورسخ في اذهانهم ما تصوروه اجمالا لو يصل لكنه
مطابقا ومن اعدته العناية الالهية لقبول التفصيل وصل اليه بقي هنها بحث لطيف وهو انه لما كان التكليف في نفس الامر انما هو على قدر
العقول وتفاوت مراتبها ولذلك قال صلى الله عليه واله بعثت لاكلم الناس على قدر عقولهم كان كل عقل قوي على رفع حجاب من حجب الغيب وقصر
عما وراءه واعترف به وبالعجز عنه فذلك تكليفه وهو من الراسخين فعلى هذا الرسوخ ليس مرتبة واحدة هي تقليد ظواهر الشريعة واعتقاد حقيتها
فقط بل تقليدها مرتبة اولى من مراتب الرسوخ وما وراءها مراتب غير متناهية بحسب مراتب السلوك وقوة السالكين على رفع حجب الانوار التي
اشرنا اليها وكلامه لا ينافي ما قلناه بل يصدق ذلك عليه فان قوله وسمى ترك التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا صادق ايضا
على من قطع جملة من منازل السلوك وعجز عما وراءها فوقف نفسه عن التعمق فيه والبحث اذ لا يكلف بما لا يفي به قوته وقوله فاقتصر على ذلك
اي على ما نطق به الكتاب العزيز ودلت عليه السنة النبوية وارشد اليه ائمة الهدى وقوله ولا تقدر عظمة الله تعالى على قدر عقلك فتكون
من الهالكين فالمقدر لعظمة الله بقدر عقله هو المعتقد ان عقله قدره واحاط به علما وهو تصغير لعظمة الله بحسب عقله الضعيف وعظمته
تعالى اعظم واجل من ان يضبطها عقل بشري وانما منشأ ذلك الحكم لمن حصل له هو الوهم الحاكم بمثلية الله تعالى لما ادركه من الاجسام والجسمانيات
وذلك في الحقيقة كفر لاعتقاد غير الصانع صانعا وضلال عن طريق معرفة الله وهو مستلزم للهلاك في تيه الجهل واعلم ان في احالته تعالى
المعرفة على الكتاب والسنة وبيان الائمة دلالة على ان مقصوده ليس ان يقتصر على ظاهر الشريعة فقط بل يتبع انوار القران والسنة وآثار ائمة الهدى
وقد وقع في القران الكريم والسنة وكلام الائمة من الاشارات والتنبيهات على منازل السلوك ووجوب الانتقال في درجاتها ما لا يحصى
كثرة ونبهوا على كل مقام اهله واخفوه من غير اهله اذ كانوا اطباء النفوس كما ان الطبيب يرى ان بعض الادوية لبعض المرضى ترياق وشفاء
وذلك الدواء بعينه لشخص آخر سم وهلاك كذلك كتاب الله والواضعون لمقاصده من الانبياء والاولياء يرون ان بعض الاسرار الالهية شفاء لبعض
الصدور فيلقونها اليهم وربما كانت تلك الاسرار باعيانها لغير اهلها سببا لضلالهم وكفرهم اذا القيت اليهم فاذن مقصوده تعالى قصر كل عقل
على ما هو الاولى به وما يحتمله والجمع العظيم المخاطبون هم اصحاب الظاهر الذين يجب قصرهم عليه والله اعلم وقوله هو القادر الذي اذا ارتمت الى آخره
اشارة الى اعتبارات أخر جليلة في وصفه تعالى نبه فيها على ان غاية استقصاء العقول وتعمقها وغوصها طالبة لتفصيل صفات كماله و
نعوت جلاله ان تقف خاسئة وترجع حسيرة معترفة بالعجز والقصور فقوله اذا ارتمت الى قوله ردعها شرطية متصلة في قوة شرطيات
اربع مقدمها ثمانية وتاليها واحد فالمقدمة الاولى قوله اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته وارتماؤها استرسالها وجدها في الطلب
والتفتيش ومنقطع قدرته منتهاها والمقدمة الثانية قوله وحاول الفكر المتبرء عن خطرات وساوس الشيطان ومشوائب الاوهام ان تقع عليه
فتكيف ذاته وحيثياتها بكل ما ينبغي لها من الكمالات في عميقات غيوب ملكوته اي اسرار عالم الغيب العميقة المقدمة الثالثة قوله وتولهت
القلوب اليه لتجري في كيفية صفاته المقدمة الرابعة قوله وغمضت مداخل العقول اي دقت مواقع دخولها حيث لا تبلغه

في بيان الخطبة الاشباح

الصفات اى نهت العقول الى حد انها لا تعتبر مع انها ملاحظة ذات الحق صفة له بل يخلف كل خاطر وكل اعيتا من صفة وغيرها من ملاحظة وقد
يسال علم ذاته بالكنه وقوله ردعها هو تالى هذه الشرطيات وردعها هو ردها خاسئة حسيرة وتسبب ذلك في كل من هذه المدركات هو ضلها
قاصرة عن ادراك ما تطلبه من هذه المطالب العظيمة فالاوهام لقصورها عن ادراك ما ليس بمحسوس ولا متعلقا بالمحسوس وردع الفكرات
بقع عليه والقلوب تنحري في كيفية صفاته فتحدها ويحصرها لخلقها قاصرة عن الاحاطة بما لا نهاية له اذ كانت صفات الكمال ونعوت
الجلال كلك وردع العقول ان يحيط بكنه ذاته لخلقها قاصرة عن ادراك كنه ما ليس بذي حد وتركيب فكان مستند ذلك الردع هو فقد
فلذلك قدم على الشرطية اعتبار كونه قادرا افعال هو القادر الذي من شانه كذا وقوله وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلصة اليه
سبحانه الجملة في موضع الحال والعامل ردعها واستعار لفظ السدف لظلمات الجهل بكل معنى غيبي من صفات جلاله وطبقات حجبها
اى ردعها عن تلك المطالب حال ما هي قاطعة لمهاوي ظلمات الظلمات ووجه الاستعارة ما يشتركان فيه من عدم الاهتداء او متخلصة حال
ايضا والعامل اما تجوب او ردعها وتخلصها اليه توجهها بكليتها في طلب ادراكه وقوله فرجعت اذ جبهت الى قوله عز تعظمه حال والعامل
رجعت وجود الاعتساف شدة جولانها في تلك المنازل وظاهر ان جور الاعتساف عبرتا فع في تحصيل ما لا يمكن واولو الرويات اصحاب الفكر
اى رجعت معترفة بامرين احدهما انه لا ينال كنه معرفته والثاني ان الفكر لا يقدر جلال عزته اى لا يحيط بكمال خبرا وظاهر ان صدق
هذه الاحكام للنفس موقوف على دوام افكارها في طلب هذه المعارف وعجزها عنها وقوله الذي ابتدع الخلق على غير مثال الى قوله فلم
ان الصنائع البشرية انما يحصل بعد ان يرتسم في الخيال صورة المصنوع بل وكل فعل لا يصدر الا عن تصور وصغر وكيفية وتلك
التصورات تارة يحصل عن امثلة للمصنوع ومقادير له خارجية يشاهدها الصانع ويحذو حذوها وتارة يحصل بمحض الالهام والاختراع
كما يفاض على اذهان كثير من الاذكياء صورة شكل لم يسبق الى تصوره فيتصوره ويبرز تصوره الى الخارج وكيفية صنع الله للعالم وحده سبحانه
منزهة عن الوقوع على احد هذين الوجهين اما الاول فلانا بينا انه لا قبل له فلا قبل لمصنوعاته فلا امتثال لامثلة اى عمل مثله ولا مقدار
احتذى حذوه واما الثاني وان سمي الفاعل على وفقه مخترعا لكن التحقيق يشهد بانه انما فعل على وفق ما حصل في ذهنه من الشكل
والهيئة وهما مستفادان من الصانع الاول جلت عظمته فكان في الحقيقة فاعلا على غير مثال سابق مختذيا بالمقدار غيره وعلم الاول تعالى
على النحو المذكور من حصول صورة مساوقة للمعلوم في ذاته كما تحققته من قبل فاذن فعله بمحض الابداع والاختراع على بعد ما يكون عن
حد ومثال وقوله وارانا من ملكوت قدرته الى قوله معرفته ملكوت قدرته ملكها وانما نسبه الى القدرة لان اعتبار ما مبداء الوجود كله
هي مبداء الملكية واثار حكمته ما صدر عنها من الافعال والاحكام والنفياد كل ناقص الى كماله واستعار لفظ النطق للسان حال اثاره ونعم
المفصحة عن كمال الحكمة العجيبة بتمام النظام وحسن الترتيب ووجه المشابهة ما اشترك فيه النطق وحال مصنوعاته من ذلك الافصاح والانباء
واعتراف عطف على عجائب والى ان متعلق بالحاجة وما في قوله فما دلنا هي المفعول الثاني لارانا اى وارانا من اعتراف الخلق لحاجتهم الى
ان يقيمهم في الوجود بمساك قدرته التي بها تمسك السموات والارض ان تزولا وما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته وقوله على معرفته متعلق
بدلنا اى ما دلنا على معرفته فلزمت قيام الحجة له بالضرورة وقوله وظهرت في البدايع الى قوله فاتمه استعار لفظ الاعلام لما يدل على حكمة
الصانع في فعله من الاتقان والاحكام واعلامات كل ما ظهرت فيه اثار حكمة الله فهو ناطق بربوبيته وكمال الوهيته فبعض ناطق بلسان حاله
ومقاله كالانسان وبعض بلسان حاله فقط اذ لا عقل له ولا لسان كالجماد والنبات والضمير المضاف اليه في قوله الحجة يحتمل عوده الى الله
ويحتمل ان يعود الى الخالق الصامت وقد علمت ان الساكين في سماع هذا النطق من اثار الله ومشاهدة في مصنوعاته على درجات ومنازل
متفاوتة كما اشرنا اليه غير مرة وقوله واشهد ان من شبهك الى قوله برب العالمين التفات الى خطاب الله تعالى على طريق قوله مالك يوم
الدين اياك نعبد والمشبه به في الحقيقة هو الخلق وانما جعل المشبه به موتبا بين اعضائهم وتلاحم حقاق مفاصلهم لانه في معرض ذم
المشبه والتنبيه على وجوه اغلاطهم وتباين الاعضاء وتلاحمها من لوازم المشبه به وهما مستلزمان للتركيب واجتماع المفردات المستلزم
لظهور الحاجة الى المركب والجامع ويمتنع على محل يظهر حاجته ان يتشبه به الصانع المطلق البرئ عن الحاجة بوجه ما وقد منهما المجرايهما مجرى
الاوسط في لزوم التركيب للمشبه به فيظهر بعد براءة الله عن التشبه به وان كان التقدير من شبهك بخلقك في اعضائهم المتباينة المتلاحمة
والذي يقال من وجه الحكمة في احتجاب المفاصل هو انها لو خلقت ظاهرة عارية عن الاغشية ليبست رباطاتها وقست فيتعذر تصرف الحيوان
بها كما هو الان وانها كانت معرضة للافات المفسدة لها وغير ذلك من خفي تدبيره ولطيف حكمته وقد شهد على المشبه لله بخلقه
بامرين احدهما انه لم يعرفه والثاني انه لم يتيقن تنزيهه عن المثل والقران والبرهان مصدق فان الشاهد في الموضعين اما القران فانه نبه
عليه بقوله وكانه لم يسمع تبرء التابعين من المتبوعين اذ يقولون الاية وحده الاستدلال على المطلوب الاول ان المشبهة وعبدة الاصنام
ينكشف لهم في الاخرة انهم كانوا ضالين في تشبيه اصنامهم برب العالمين فيترتب دليل هكذا المشبهة ضالون من جهة تشبيههم الله
بخلقه وكل من كان كذلك فليس بعارف له واما البرهان فلان الله سبحانه لما انفدس عن ان يشبه مخلوقا في شيء كان المشبه له بخلقه والمكيف

لا بكيفية

في شرح خطبة الاشباح

١٥

له بكيفية يحويها وهم غير عارف به بل منعوت بكلام آخر هو في الحقيقة غير الاول واما ما صدر في الفقرة الثانية فلان المشبه لله ضال عن معرفة ما هو
مشبه له وكل من كان كذلك فليس بمنزه له عن الند والمثل وصدق الاولى ظاهر من الابتداء واما الثانية فلانه لو كان منزها له عن الند يكون مشبها
له لما كان ضالا من تلك الجهة لكنه ضال فيها فليس بمنزه له مطلقا واما البرهان العقلي فلان الند والمثل هو الشبيه وكلاهما في المشبه ونفي
الآية تنفير عن مذهب التشبيه منكرة تبرؤ التابعين ممن اتبعوه وشبهوا ابرؤا لفهم وندامتهم على تفريطهم في ذلك وحسرتهم على الرجعى الى الدنيا
الاعمال والاعتقادات الصالحة واعترافهم بانهم كانوا بتشبيههم في ضلال مبين وقوله كذب العادلون الى قوله عقولهم تكذيب للعادلين به
واشار الى تفصيل جهة كونهم عادلين والى سبب ذلك وهو الوهم وقد علمت ان منشأ التشبيه هو الوهم اذ كان حكمه لا يرتفع عن المحسوسات
وما يتعلق بها فان حكم في المجردات يحكم ببدنه المحسوسة من الاجسام والحقها احكام المحسوس ولذلك لم يرتفع المشبهة لله عن تشبيهه
بالاصنام والاشخاص كالاصنام الاجسام كصورة الانسان واعضائه وكل غير عبدة الاوثان من سائر فرق المشبهة حتى كان غاية تنزيه به
من تنزيهه منهم ان توهم في جهة فوق وقد علمت ان الجهة والكون فيها من عوارض الاجسام المخلوقة فكانوا على خلفهم قد نحلوه حلية
المخلوقين وصفاتهم باوهامهم الفاسدة فبعضهم من اثبت له اعضاء من يد وساق وعين ووجه وسائر ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية
حملا على ظاهرها ومنهم من تجاسر على وصف هيئته فقال انه مجوف الاعلى مصمت الاسفل وانه قطط الشعر الى غير ذلك من هذيانهم كفرهم
تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وتجزئته بخواطرهم تجزئة المجسمات هو اثباتهم له الاعضاء المذكورة وذلك عن تقليدهم على الخلقة
المختلفة القوى بغرائز عقولهم الجامدة منا بغير الاوهام الفاسدة وتقليد من سلف من آبائهم فان الاعضاء انما تولدت وتكملت بواسطة
قوى طبيعية ونباتية وحيوانية وغيرها وهي قوى مختلفة بحقائقها ومتضادة في افعالها محتاجة الى الجامع والمركب وذلك مستلزم للامكان
الذي تنزه قدس الصانع ان يتطرق اليه بوجه وقوله فاشهد ان من ساواك بشيء من خلقك الى قوله بيناتك شهادة ثابتة على من
شبهه وجعل له مثلا بالكفر واشارة الى برهانها بقياس من الشكل الاول واسند بيان كبراه الى كتاب الله ونصوص آيات المحكمة وبيانه
الانبياء وشواهد حججهم هي تلك الآيات اي حججهم الشاهدة هي كقوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا
وقوله أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون لا شريك لك [illegible] ذلك واما
المقدمة الاولى فلان الشبيه هو المثل والعديل وقد علمت ان البرهان العقلي مما يشهد بصدق هذه الشهادة فان المشبه لله بخلقه مع
براءته عن شبهه بالغير اذا اعتقد ان الذي يشير اليه بوهمه هو صانع العالم فقد اعتقد غير الصانع صانعا وذلك عين الكفر والضلال
وقوله وانك انت الله الذي لم تتناه في العقول الى قوله مصرفا شهادة ثانية هي خلاصة الشهادتين الاولتين متضمنة من تناهيه في العقول
المشبهة فكانها اي احاطتها بحقيقته وما لها من صفات الكمال ونعوت الجلال بحيث لا يكون وراءها وراء كنهه شيء آخر وتنبيه في هذه
الشهادة على ما يلزم من ذلك التناهي من كونه ذا كيفية تكيفه بها القوى المتخيلة لتستثبتها العقول ومهاب تفكيرها تحيط بها من كونه محدودا
اذ كانت الحقائق انما تدرك بكيفها من حدودها وقوله مصرفا اي محكوما في ذاته بالتجزئة والتحليل والتركيب كان من شأن المحدود
ذلك ولما كانت هذه اللوازم باطلة لتنزهه عن الكيفية والاجزاء والتركيب كان ملزومها وهو التناهي في العقول باطلا

الفصل الثالث منها

قدر ما خلق فاحكم تقديره ودبره فالطف تدبيره ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته ولم يقصر دون الانتهاء الى غايته
ولم يستصعب اذ امر بالمضي على ارادته فكيف وانما صدرت الامور عن مشيته المنشئ اصناف الاشياء بلا روية فكر آل اليها
ولا قريحة غريزة اضمر عليها ولا تجربة افادها من حوادث الدهور ولا شريك اعانه على ابتداع عجائب الامور فتم خلقه واذعن لطاعته واجاب
الى دعوته لم يعترض دونه ريث المبطئ ولا اناة المتلكئ فاقام من الاشياء اودها ونهج حدودها ولاءم بقدرته بين متضادها ووصل
اسباب قرائنها وفرقها اجناسا مختلفات في الحدود والاقدار والغرائز والهيئات بدايا خلائق احكم صنعها وفطرها على ما اراد
وابتدعها **اقول** [illegible] واذعن خضع وذل والريث البطء وكذلك الاناة والتلكؤ التباطؤ عن الامور والتوقف فيها والاود الاعوجاج
وبدايا جمع بدية وهي الخلقة العجيبة وقوله قدر ما خلق فاحكم تقديره اشارة الى ان كل مصنوع قدره في الوجود وفعل وفق حكمته بحيث
لو زاد على ذلك المقدار او نقص منه لاختلت مصلحة ذلك المقدور وتغيرت منفعته وقوله ودبره فالطف تدبيره ايجاده على وفق المصلحة
ولطفه في ذلك تصرفه في جميع الذوات والصفات تصرفات كلية وجزئية من غير شعور غيره بذلك قوله ووجهه لوجهته الى قوله الى
غايته اي الهم كلا ويسره لما خلق له وما كتب له في اللوح المحفوظ فلم يتجاوز مرسوم تلك المنزلة المعلومة له اي لم يعبرها ولم يقصر دونها اذ لا يتغير
التغير في علمه سبحانه وانه محال وقوله ولم يستصعب الى امره بالمضي على ارادته اي لما امر المخلوق بالتوجه الى وجهته على وفق ارادة الله وقدرته
الحكمة الالهية كلا الى غايته لم يمكن تخلفه واستصعابه عن ذلك الامر وامره له اشارة الى توجيه اسبابه بحسب القضاء الالهي عليه
وقوله وكيف وانما صدرت الامور عن مشيته اي وكيف يستصعب ثم اشار الى علة عدم استصعابه وسرعة طوعه وانقياده بذكر علته وهو
استناد جميع الآثار الى المشيئة اذ كل اثر فهو واجب عن مؤثره والكل منتهٍ في سلسلة الحاجة الى ارادته واجب عنها وقد علم ذلك في العلم الالهي وقوله

في كيفية خلقة السماء وما فيها

الخطبة

لمشيئ اصناف الاشياء التي تقوله عجائب الامور ونقدس في الاولى بيان ان الروية والفكر والتجربة مما يلحق الانسان ويخصه وان الباري
سبحانه منزه عن شيء منها في كيفية ابداع مخلوقاته واما الغرائب فمنزه عنه ببرهان الوحدانية كما سبقت الاشارة اليه بعينه وفي نحو
الغريزة قوة الفكر للعقل وقوله فاتم خلقه واذعن لطاعته واجاب الى دعوته مخلوق فانه من جهة جوده بافادتها ما ينبغي لها فان نقص
بشيء منها عن كمال فلعدم استعداده وقوله اذ لبث واذعانه بلسان قدر الحاجة والامكان وتصويرها لقدرته واجابته الى دعوته
كونه في الوجود عن قوله كن وقوله لم يعترض دونه ريث المبطئ ولا اناة المتلكئ تنزيه لفعله تعالى وامره ان يعرض في طاعة الاشياء له شيء من هذه
الكيفيات اذ كل شيء في قهره وعلى غاية من السرعة الى اجابة امره ولما كان مع انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وفي قوله كن هيئة
ما ينبغي لذلك لما مر من ما بعد الاجابة امره بالكون في الوجود ويجب عنه فكيف يمكن ان يعرض له في اجابة الامر بطوء وتلكؤ بل يكون كلمح البصر كما قال تعالى وما
امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ويحتمل ان يكون ذلك تنزيها له تعالى ان يعرض له من جهة ما هو فاعل شيء من هذه الكيفيات فان البطوء والاناة والتلكي من
من عوارض الحركة التي هي من عوارض الجسم اعراضها فيمن يفعل بالآلة وتشتد حركته وتضعف وقد علمت تنزيه الله تعالى عن جميع ذلك و
قوله فاقام من الاشياء اودها الى قوله والهيئات القائمة اي اقام اودها الاعوجاج كل شيء باعداده لما ينبغي له وافاضة كماله ونهج لحدودها
على الوجوه بين هو ابتدا حد لكل شيء وجهته وغايته نهايته وملائمة بين متضاداتها كجمعه العناصر الاربعة على تضاد كيفياتها في مزاج
واحد وقوله ووصل اسباب قرائنها اشارة الى ان الموجودات الا عن شيئا نفترن بها من هيئة او شكل او غريزة ونحوها وقرائن
الشيئين لا محالة مستلزمة لاقتران اسبابهما وانفصالها الا بصلة فتمام الموجود وبنا اسبابه وذلك الوصل مستند الى كمال قدرته فهو
مسبب الاسباب وقال بعض الشارحين اراد بالقرائن النفوس على هذا يحتمل ان يكون معنى وصله لاسبابها هدايتها الى اعتداده وما هو الاولى بها
معاشها ومعادها وسوقها الى ذلك المفهوم من قول القائل وصل الملك اسباب فلان اذا انعم عليه ووصله الى بره وانعامه والاول اظهر وقوله
وفرقها اجناسا مختلفات في الحدود والاقدار والغرائز والهيئات الاربعة بالاجناس والحدود ما اصطلح عليه قوم في عرفهم بل ما اختلف بالامور المذكورة
كلها او بعضها فهو مختلف الجنس لغة وحد الشيء منتهاه وما يحيط به والاقدار المقادير والاشكال البعض والغرائز القوى النفسانية والاخلاق
والهيئات والصفات وان حملنا الحدود على ما هو المتعارف كان حسنا فان حكمة الخالق سبحانه اقتضت تمييز بعض الموجود عن غيرها بحدودها
وحقايقها وبعضها باشكالها وهيئاتها وبعضها بمقاديرها وغرائزها واخلاقها كما يقتضيه نظام الوجود واحكام الصنع وحكم الارادة الالهية وقوله
بدايا خلائق احكم صنعها وفطرها على ما اراد وابتدعها اي هي بدايا اي عجائب مخلوقات احكم صنعها على وفق ارادته وبالله التوفيق منها
في صفة السماء ونظم بلا تعليق رهوات فرجها ولاحم صدوع انفراجها ووشج بينها وبين ازواجها وذلل للهابطين بامره والصاعدين
باعمال الخلق حزونة معراجها وناداها بعد اذ هي دخان فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتتاق صوامت ابوابها واقام رصدا
من الشهب الثواقب على نقابها وامسكها من ان تمور في خرق الهواء بايده وامرها ان تقف مستسلمة لامره وجعل شمسها آية
مبصرة لنهارها وقمرها آية ممحوة من ليلها فاجراهما في مناقل مجراهما وقدر مسيرهما في مدارج درجهما ليميز بين الليل والنهار
بهما وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما ثم علق في جوها فلكها وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها ورمى مسترقي
السمع بثواقب شهبها واجراها على اذلال تسخيرها من ثبات ثابتها ومسير سائرها وهبوطها وصعودها ونحوسها وسعودها اقول
الرهوات جمع رهوة وهي الفرجة المتسعة وايد قوته وبايده هاهنا وما يحرك وناط علق والصدوع الشقوق ووشج بالتشديد اي
شبك والحزونة الصعوبة والاشراج جمع شرج بالفتح وهي عرى العيبة التي تخاط بها وتقفل ويطلق ايضا على حروفها التي تخاط والارتتاق
الالتصاق والنقاب جمع نقب بفتح النون وهو الطريق في الجبل والدراري الكواكب المضيئة وهذا الفصل يشتمل على كيفية خلق السماء
فقوله ونظم بلا تعليق الى قوله انفراجها يقتضي بظاهره ان السماء كانت ذات فرج وصدوع وهذا على راي المتكلمين ظاهر فان الاجسام لما كانت
عندهم مركبة من الاجزاء التي لا تتجزى كانت قبل تاليفها ذات فرج وصدوع واما على راي غيرهم فقالوا يحتمل امرين احدهما انه لما كانت
السموات مركبة من اجزاء وكانت بين اجزاء كل مركب مباينة لولا المركب المؤلف استعار لفظ الرهوات والفرج لما يتصور من المباينة بين
اجزاء السماء عند قطع النظر عن صانعها ومركبها سبحانه ونظامه لرهوات فرجها افاضته لصورها على قوابلها حق بمقتضى حكمته منتظما ملائم
ملائم الصدوع والفرج والثاني يحتمل ان يشير بالفرج الى ما بين اطباق السموات من التباين ونظمه لرهواتها وملاحمه صدوعها خلقها اكرا
متماسة لا خلاء بينها ونبه على كمال قدرة الله تعالى بقوله بلا تعليق فان الاوهام حاكمة بان السماء وهي واقفة في خلا كما يقف الحجر في الهواء وذلك
منشاء حيرتها ونهيها لحركتها ثابتك لقول الى التعجب الاستعظام وقوله ووشج بينها وبين ازواجها اراد بازواجها نفوسها التي هي الملائكة
السماوية بمعنى قرائنها وكل قرين زوج اي ربط ما بينها وبين نفوسها بقبول كل جرم سماوي لنفسه التي لا يقبلها غيره وقوله وذلل للهابطين
بامره الى قوله انفراجها قد سبقت الاشارة الى ان الملائكة ليست اجساما كسائر الحيوانات فاذن ليس هبوطها وصعودها الهبوط والصعود
المحسوسين والا لكان الباري جل قدسه على اوهام المتوهمين في جهة اليه يصعد وعنه ينزل فاذن هو استعارة لفظ النزول من الجهة

واحدة

مبرة

فروجها

سيرهما

بها زينتها من

المحسوسة

في صفة السماء وكيفية خلقها

المستمر الى سفال التنزل المعقول من سماء الجود الالهي الى اراضي المواد القابلة للافاضات العالية وبذلك المعنى يكون هبوط الملئكة عبارة عن ايصالها
الكمال لما دونها كما له متوسطة بينه وبين شيء عدوه وجده وهم المرسلون من الملئكة بالوحي وغيره وكذلك الصاعدون باعمال الخلق هم
الملئكة ايضا واما معنى الصعود بها فيعود الى كونها منقوشة في ذوات الصاعدين بها وقد لاح فيما سبق ان علمه تعالى بمعلولاته البعيدة كالزمانيات
والمعدومات التي من شأنها ان توجد في وقت وتتعلق بزمان يكون بارتسام صورها المعقولة في تلك الالواح وهو ايضا مستعار كلفظ
الهبوط للمعنى الذي ذكرناه من ارتقاء النفوس الى الالواح المحفوظة فاما الانفراج الذي ذلل حزونته لهم وسهل عليهم سلوكه فيعود الى عدم حجبها
ومنعها لنفوذ علوم الملئكة باعمال الخلائق وما يجري في هذا العالم وكان الجسم المتصدع لا يمنع نفوذ جسم آخر فيه من حيث هو متصدع
والوصول الى ما وراءه كذلك السماء لا تحجب علوم الملئكة ان تتعلق بما في هذا العالم من الموجودات فجرت مجرى المتفرج من الاجسام فاطلق عليه لفظ
الانفراج وقد تسهله لهم ونزل ذلك الانفراج لهم هو كونها غير مانعة بوجه ما لجريان علوم الملئكة المقربين في هذا العالم وقوله وناداها بعد اذ هي
دخان فالتحم عرى اشراجها وفتق بعد الارتتاق صوامت ابوابها فيه احتمالان الاول انك قد علمت فيما سبق ما يمكن كون السماء من دخان
فاما نداؤه لها فاشارة الى امره لها بالانبيات والكون في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين واما التحامها
فاعتبار تركيبها بانضمام جزئيها الصوري الى جزئها القابل كما يلتحم طرفا العيبة بتشريج عراها وافتتاق صوامت ابوابها بعد ذلك الارتتاق
هو جعلها اسبابا للنزول رحمته ومدبرات تنزل بواسطة حركاتها على هذا العالم انواع رحمة الله فكانت حركاتها اشبه بالابواب اذ هي ابواب
رحمته ومفاتيح جوده الثاني ان العرب تقول لكل ما علاك فهو سماؤك فعلى هذا يحتمل ان يكون المراد بالسماء ما هو اعم من السماء المعهودة و
قوله وناداها اشارة الى سماء السحاب وكونها دخانا هو كونها بخارا قبل الانعقاد تشبيه الدخان فاستعير له لفظه والتحام عرى اشراجها
اشارة الى التحام تلك الاجزاء البخارية وانعقادها سحابا وافتتاق صوامت ابوابها هو انزال المطر منها كما قال تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء
منهمر وقوله واقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها له معنيان احدهما ان يكون استعار لفظ النقاب لكونها بحيث لا يمنع تعلق العلوم
بما وراءها من الاجسام والمجردات وقد سبق معنى الشهب واقامتها رصدا الثاني ان يكون استعار لفظ الرصد لهذه الشهب المحسوسة ووجه
الاستعارة ذلك الرصد والحرس لحفظ الفروج والابواب يكون سر ذلك ووجه الحكمة فيه ان العرب كانت تعتقد ان الشياطين
تصعد الى السماء فتسترق السمع من الملئكة ثم تلقيه الى الكهنة والسحرة ونحوهم فلما ان ورد الشرع والنهي عن التكهن ونحوه لما بينا فيه من صرف
اذهان الخلق وصرف قلوبهم عن غرض الشريعة الى الوحي لهم ان هذه الشهب التي تنقض انما جعلت رجوما للشياطين من استرق السمع فكل
من استمع منهم رمي بشهاب منها وحجبت السموات عنهم فلا يصلون اليها ليتقرر في اذهان الخلق انقطاع مادة الكهانة ونحوها فيسلوا عنها ثم
يكون ذلك كسرا لاوهامهم التي بينا انها شياطين النفوس ومنعا لها وبالله التوفيق وقوله وامسكها ان تمور في خرق الهواء بايده وامرها
ان تقف مستسلمة اي حفظها عن ان تحركها الريح المتخرقة فيها لجنبيا وذهابا وحكمت الحكمة الالهية عليها بالاستقرار وانقياد القدرة والامر الاول
الى حكم القضاء والامر الثاني اشارة الى اعتبار القدرة وقوله وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها وقمرها آية ممحوة من ليلها كقوله تعالى وجعلنا
الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وكونهما آيتين اي دلالتين على كمال قدرته ونقل عن ائمة التفسير في ابصار آية
النهار ومحو آية الليل وجوه **احدها** ان ابصار آية النهار هو بقاء الشمس بحالها وتمام ضيائها في كل حال ومحو آية الليل هو اختلاف
احوال القمر في اشراقه ومحاقه بحيث لا يبقى ليلتين على حالة واحدة بل كل ليلة في منزل بزيادة او نقصان **الثاني** ما نقل ان ابن الكوا سئل
عليا عن اللطخ الذي في وجه القمر فقال ذلك محو آية الليل **الثالث** عن ابن عباس الآيتين هما ظلمة الليل وضياء النهار والتقدير وجعلنا
الليل والنهار ذوي آيتين فقوله فمحونا آية الليل اي لم نجعل للقمر نورا من ذاته بل من ضوء الشمس وجعلنا آية النهار كون الشمس مضيئة بذاتها
من هنا الابتداء الغاية لبيان الجنس بمجموعها وجعل وقيل زائد من آنات ليلها وقوله فاجراهما في مناقل مجراهما وقدر مسيرهما في مدارج درجهما
التي قد دسيرهما فيما هي بروجهما ومنازلهما والتشار الى مفهومات الدرج والبروج والمنازل ومواقيت الناس قسموا دور الفلك الذي هو مسير الكواكب
باثني عشر قسما وسموا كل قسم برجا وقسموا كل برج ثلاثين وسموا تلك البروج اسماء الحمل الثور الجوزا السرطان الاسد السنبله
الميزان العقرب القوس الجدي الدلو الحوت والشمس تسير كل برج منها في شهر واحد والقمر يسير كل برج منها في ازيد
من يومين وينقص من ثلثة ايام واما منازل القمر فثمانية وعشرون واسماؤها الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة
الهنعة النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة
النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية الفرغ المقدم الفرغ المؤخر الرشاء والقمر يكون
كل يوم في منزل منها وكل في فلك يسبحون ذلك تقدير العزيز العليم وقوله ليميز بين الليل والنهار الى قوله بمقادير هما اي بمقادير سيرهما
وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى وقوله ثم علق في جوها فلكها لما اشار اولا الى تركيبها اشار الى الحاق ازهارها في احيائها وهو المشار
اليه بتعليق فلكها في جوها فان قلت فقد قال اولا بلا تعليق ثم قال هيهنا وعلق فما وجه الجمع قلت التعليق المنفي في سلبه والثاني

كل قسم درجة وسموا

في صفة الملائكة وبدائع الخلق البديع

باعتبار ما تراه بانها غير معلقة بجسم من فوقها وبالثابت انه علقها في جوها بقدرته فلا منافاة واراد بالفلك اسم الجنس وهو اجسامها المستديرة
التي نصبت عليها هذا الاسم وقوله وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها كقوله تعالى وزينا السماء الدنيا بمصابيح وفي مسترقي السمع بثواقب
شهبها كقوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب وقد تقدم بيانه وانما اعاد ذكر الشهب هنا لانه ذكر اولا انه اقامها رصدا وذكر هنا انه جعلها رصدا له اي لمن يرى
مسترقي السمع بها وقوله واجراها على اذلال تسخيرها كقوله تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره والاذلة ذلة الامكان والحاجة الى الايجاد والتدبير
واما الثابت والسائر منها فالسائر هي الكواكب السبعة زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ويسمى الشمس والقمر بالنيرين والخمسة
الباقية بالمتحيرة لان لكل واحد منها استقامة ثم وقوفا ثم رجوعا ثم وقوفا ثانيا ثم عودا الى الاستقامة وليس للنيرين غير الاستقامة وباقي
الكواكب التي على السماء غير هذه السبعة يسمى بالثوابت وفلكها الثامن وكل واحد من السبعة يتحرك حركة مخصوصة تخالف حركة الاخر فاما صعودها
وهبوطها فصعودها طلبها لشرفها وشرف الشمس في الدرجة التاسعة عشر من الحمل وشرف القمر في الدرجة الثالثة من الثور وشرف زحل
في الحادية والعشرين من الميزان وشرف المشتري في الخامسة عشر من السرطان وشرف المريخ في الثامنة والعشرين من الجدي وشرف الزهرة في
السابعة والعشرين من الحوت وشرف عطارد في الخامسة عشر من السنبلة وشرف الراس في الثالثة من الجوزا وشرف الذنب في الثالثة من
القوس وبرج الشرف كله شرف الا ان تلك الدرجات اقوى فما دام الكوكب متوجها الى قوة الشرف فهو في الازدياد والصعود فاذا جاوزها اخذ في
الانتقاص والهبوط وهبوط كل كوكب يقابل شرفه وصعوده ونحوسها وسعودها فاما زحل والمريخ فنحسان اكبرهما زحل والمشتري والزهرة
سعدان اكبرهما المشتري وعطارد سعد مع السعود ونحس مع النحوس والنيران سعدان من التثليث والتسديس نحسان من المقابلة والتربيع
والمقارنة والراس سعد والذنب والكيد نحسان ومعنى سعودها ونحوسها كونها اسبابا لصلاح حال شيء من الاشياء من احوال
هذا العالم وبالله التوفيق **منها** في صفة الملائكة عليهم السلام ثم خلق سبحانه لاسكان سمواته وعمارة الصفيح الاعلى من ملكوته خلقا بديعا من
ملائكته فملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم فتوق اجوائها وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس وسترات
الحجب وسرادقات المجد ووراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الاسماع سبحات نور تردع الابصار عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها
انشاهم على صور مختلفات واقدار متفاوتات اولي اجنحة تسبح جلال عزته لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه ولا يدعون انهم يخلقون
شيئا معه مما انفرد به بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون جعلهم فيما هنالك اهل الامانة على وحيه وحملهم الى المرسلين
ودائع امره ونهيه وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته وامدهم بفوائد المعونة واشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة
وفتح لهم ابوابا ذللا الى تماجيده ونصب لهم منارا واضحة على اعلام توحيده لم تثقلهم موصرات الاثام ولم ترتحلهم عقب الليالي والايام ولم
ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم ولا قدحت قادحة الاحن فيما بينهم ولا سلبتهم الحيرة ما لاق
من معرفته بضمائرهم وسكن من عظمته وهيبة جلالته في اثناء صدورهم ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم منهم من هو
في خلق الغمام الدلح وفي عظم الجبال الشمخ وفي قترة الظلام الابهم ومنهم من خرقت اقدامهم تخوم الارض السفلى فهي كرايات بيض قد نفذت
في مخارق الهواء وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية قد استفرغتهم اشغال عبادته ووصلت حقائق الايمان
بينهم وبين معرفته وقطعهم الايقان به الى الوله اليه ولم تجاوز رغباتهم ما عنده الى ما عند غيره قد ذاقوا حلاوة معرفته وشربوا بالكاس
الروية من محبته وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم ولم ينفد طول الرغبة اليه مادة
تضرعهم ولا اطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم ولم يتولهم الاعجاب فيستكثروا ما سلف منهم ولا تركت لهم استكانة الاجلال
نصيبا في تعظيم حسناتهم ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم ولم تجف لطول المناجاة اسلات
السنتهم ولا ملكتهم الاشغال فتنقطع بهمس الجؤار اليه اصواتهم ولم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم ولم يثنوا الى راحة التقصير رقابهم
ولا تعدو على عزيمة جدهم بلادة الغفلات ولا تنتضل في هممهم خدائع الشهوات قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم ويمموه عند
انقطاع الخلق الى المخلوقين برغبتهم لا يقطعون امد غاية عبادته ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته الا الى مواد من قلوبهم غير منقطعة
من رجائه ومخافته لم تنقطع اسباب الشفقة منهم فينوا في جدهم ولم تاسرهم الاطماع فيؤثروا وشيك السعي على اجتهادهم ولم يستعظموا ما مضى
من اعمالهم ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم ولم يفرقهم سوء التقاطع ولا
تولاهم غل التحاسد ولا تشعبتهم مصارف الريب ولا اقتسمتهم اخياف الهمم فهم اسراء ايمان لم تفكهم من ربقته زيغ ولا عدول ولا ونى ولا
فتور وليس في اطباق السموات موضع اهاب الا وعليه ملك ساجد او ساع حافد يزدادون على طول الطاعة بربهم علما وتزداد عزة ربهم
في قلوبهم عظما **اقول** الصفيح السطح والفجاج الطرق الواسع والجو المكان المتسع العالي والفجوة الفرجة والزجل الاصوات والسرادق ما ينشر
الذي يمد فوق البيت والرجيج الزلزلة والاضطراب لاسماع تصم وخاسئة متحيرة والاخبات التذلل والاستكانة وذللا سهلة والموصرات
المثقلات والعقب جمع عقبة وهي النوبة من التعاقب والنوازع بالعين المعجمة المفسدة وبالمهملة الفتنة والاحن جمع احنة وهي الحقد ولاق

لصق

في صفة الملائكة وبديع خلقهم

الصفوف جمع نثي وهي ايضا عطف الشيء والوترة الغلبة والتغطية والدلج جمع دلجة وهي الثقال والشنة الغالية وفترة الظلام سواده والابهم الذي
لا يهتدى فيه والنخوم جمع نخم بفتح الناء وهي منتهى الارض وحدودها والريح الهفافة الساكنة الطيبة والوشيجة عروق الشجرة والرتق جمع
ربقة وهي الحلقة من الحبل والدؤوب الجد في العمل والاسلة طرف اللسان والجار رفع الصوت بالدعاء ونحوه والهمس الخفي من الصوت
والانضلال الرمي بالسهم واستهتر بالامر اعجبه وتظاهر به وشيك الشيء مرتهنه والنزع الازالة والاستحواذ على الشيء الاحاطة به والغلبة عليه
واخياف الهمم مختلفاتها واحدها اخيف والحفد السرعة واعلم ان هذا الفصل يشتمل على وصف الملائكة الذين هم اشرف الموجودات الممكنة
بكمال العبودية لله اذ كان في معرض تمجيده ووصف عظمته وقد سبق ذكر انواع الملائكة واسكانهم اطباق السموات وبينا مقاصده
بقدر الامكان ولنشر ههنا الى ما يختص بهذا الموضع من المباحث **الاول** ثم خلق سبحانه الى قوله من ملائكته يحتمل ان يشير بالصفيح
الاعلى الى الفلك التاسع وهو العرش لكونه اعظم الاجرام واعلاها وسكانه الملائكة المدبرون له ويحتمل ان يريد به محل عبادة الملائكة
من حضرة جلال رب العالمين وعالم الملكوت ومقعدهم الصدق من معرفته فان خلقهم انما كان لعمارة ذلك المحل وهو البيت المعمور
بجلال الله وعبادتهم له ولما كانوا من اشرف الموجودات كانوا من الخلق البديع التام المعجب **الثاني** فملأهم فروج فجاجها وحشا
فتوق اجوائها استعار لفظ الفروج والفجاج والفتوق لما يتصور بين اجزاء الفلك من التباين لولا الملائكة الذين هم ارواح الافلاك
وبها قام وجودها وبقاء جواهرها محفوظة بها وجه المشابهة ظ ورشح تلك الاستعارة بذكر الملء والحشو واما فجاجها وفروجها فاستعار
الى ما يعقل بين اجوائها واجوائها المنتظمة من التباين لولا الناظم لها بوجود الملائكة فيكون حشو تلك الفروج بالملائكة كناية عن نظامها
بوجودها وجعلها مدبرة لها **الثالث** وبين فجوات تلك الفروج الى قوله المجد استعار لفظ الزجل لكمال عبادتهم كما ان كمال الزجل
في رفع صوته بالتضرع والتسبيح والتهليل وكذلك لفظ الحظائر لمنازل الملائكة من عالم الغيب ومقامات عباداتهم ووجه كونها حظائر
القدس لطهارتها وبراءتها عن نجاسات الجهل والنفس الامارة بالسوء وكذلك استعار لفظ سترات الحجب والسرادقات لما نبهنا عليه من حجب
النور التي حجبت بها عن الاذهان ولتجردهم عن المواد والاوضاع المحسوسة ووجه المشابهة كونهم محجوبين بذلك عن رؤية الابصار والاوهام
كون تلك الحجب سرادقات المجد لكمال ذواتهم وشرفهم بها على من دون تلك الحجب **الرابع** ووراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الى قوله
استعار لفظ الرجيج لعبادات الملائكة كما استعار لفظ الزجل ورشح استعارة الرجيج بقوله تستك منه الاسماع وكنى به عن كمال عباداتهم
ويحتمل ان يشير بذلك الزجل والرجيج الى ما يسمعه الانبياء من اصوات الملائكة كما علمت كيفيته في سماع الوحي وبيناه في المقدمة واشار
بسبحات النور التي وراء ذلك الرجيج الى جلال وجه الله وعظمته فتنزيهه ان يصل اليه ابصار البصائر وبه يكون ذلك وراء رجيجهم الى ان
معارفهم لا تتعلق به كما هو بل وراء علومهم وعباداتهم اطوار اخرى من جلاله تقصر معارفهم عنها وتردع ابصار البصائر عن ادراكها فترجع
حسيرة متحيرة واقفة عند حدودها وكنايات انها من الادراك **الخامس** انشاءهم على صور مختلفات الى قوله عزته اختلاف صورهم كناية
عن اختلافهم بالحقائق وتفاوت اقدارهم وتفاوت مراتبهم في الكمال والقرب منه ولفظ الاجنحة مستعار لقواهم التي بها حصلوا على المعارف
الالهية وتفاوتها بالزيادة والنقصان كما قال تعالى اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع كناية عن تفاوت ادراكهم لجلال الله وعلومهم بما ينبغي
بما ينبغي له ولذلك جعل الاجنحة هي التي تسبح جلال عزته فان علمهم بجلاله منزه عما لا ينبغي لكرم وجهه ولا يناسب جلال عزته **السادس** ولا
ينتحلون الى قوله لا يبتدعون اي لا ينسبون بعض مصنوعاته الى قدرهم وان كانوا وسائط فيها ولا يدعون انهم يقدرون على شيء منها الا باذنه
لهم بل غايتهم في اضافة الجود على مستحقه وما لم يجعله وصفا لهم فيه بل انفراده به اثر في ابداعه فلا يدعون القدرة عليه استقلالا
ذلك لكمال معارفهم لاقدارهم ونسبتهم الى بارئهم وقد اكرمهم الله تعالى بالتقدس عن النفوس الامارة بالسوء التي هي مبدأ مخالفة امره والخروج
عن طاعته **السابع** جعلهم فيما هنالك الى قوله وتخييره اي في مقاماتهم من حضرة قدسه وقد سبقت الاشارة الى كل ذلك في الخطبة الاولى
الثامن وعصمهم الى قوله مرضاته منشأ الشكوك والشبهات والزيغ عن سبيل الله هو معارضة النفس الامارة للعقل وجذبها له
الى طرف الباطل والملائكة مبرؤون عنها فكانوا معصومين ممنوعين مما تقود اليه وتأمر به من الزيغ والانحراف عن قصد الله وامدادهم
بفوائد المعونة زيادتهم في كمالاتهم على غيرهم ودوام ذلك بدوام وجوده **التاسع** واشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة استعار لفظ
التواضع والاستكانة لحالهم من الاعتراف بذل الحاجة والامكان الى وجوده والانقهار تحت عظمته اي جعل ذلك الاعتراف شعارا
لذواتهم او من الشعور وهو الادراك **العاشر** وفتح لهم ابوابا ذللا الى تماجيده الابواب وجوه معارفهم الالهية
التي بها يهتدون الى تمجيده وهي ابوابهم ووسائلهم الى تنزيهه وتعظيمه ووجه كونها سهلة حصولها لهم بدون اكتساب عن طرق
متوعرة بتراكم الشكوك والشبهات ومنازعات الاوهام والخيالات كما عليه علومنا **الحادي عشر** ونصب لهم منارا واضحة
على اعلام توحيده قيل استعار المنار الواضحة للوسائط من الملائكة المقربين بينهم وبين الحق سبحانه او احبار وعن الملائكة السماوية
ولفظ الاعلام لصور المعقولات في ذواتهم المستلزمة لتوحيده وتنزيهه عن الكثرة ووجه المشابهة ان المنار والاعلام كما تكون وسائط

الانضلال ر

انهم وسائط

الزيغ ر

الذلل ر

في صفة الملائكة وابحاث المبدعات

في حصول العلم بالمطلوب كذلك الملائكة المقربون والمعارف الحاصلة بواسطتهم يكونون وسائط في الوصول الى المطلوب الاول المحرك
الكل عز سلطانه الثاني عشر لم تشغلهم موصرات الآثام لما لم يكن النفوس الامارة بالسوء موجودة لهم استلزم عدمها
نفي آثارها عنهم من الآثام والتردد الثالث عشر ولم ترتحلهم عقب الليالي والايام اي لم يستنزلهم تعاقب الزمان ويحيلهم
عن الوجود وذلك لتجردهم وبراءة المجردات عن لحوق الزمان تحيلهم عن الوجود لتجردهم وبراءة المجردات عن لحوق الزمان والتغيرات
الحادثة بسببه الرابع عشر ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم عزيمة ايمانهم ما
لزموا انفسهم من التصديق بمبدعهم وما ينبغي له ومعاقد يقينهم اعتقاداتهم اليقينية واعتراك الشكوك والظنون ومثارة
الاوهام والخيالات وعلوم الملائكة المجردين مبرأة عنها ولفظ الرمي مستعار لانبعاثات النفوس الامارة بالسوء والقائها الخواطر
الفاسدة الى النفس المطمئنة ومن ذوي النوازع بالعين المهملة فهو ترشيح للاستعارة وكذلك استعار لفظ الاعتراك لاختلاط
الظنون والاوهام على القلوب وجولانها في النفوس ووجه المشابهة ظاهر الخامس عشر ولا قدحت قادحة الاحن فيما
بينهم اي لم تثر بينهم الاحقاد شيئا من التردد كما تثير القادحة النار ووجهها لبراءتهم عن قوى الغضب والشهوة السادس عشر ولا
سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم الى قوله صدورهم لما كانت الحيرة تردد العقل في اي الامرين اولى بالطلب والاختيار
وكان منشأ ذلك هو معارضات الوهم والخيال للعقل حيث لا وهم ولا خيال فلا حيرة تخالط معارفهم وتزيل هيبة عظمته
من صدورهم والهيبة كناية عن استشعار عظمته ولفظ الصدور مستعار لذواتهم السابع عشر ولم يطمع فيهم الوساوس
فيقترع برينها على فكرهم وقد تقدم تفسير الوسوسة وفاعل الطمع ههنا اما مضمر على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه اي اهل الوساوس وهم الشياطين او يكون الفاعل هو الوساوس واسناد الطمع اليه مجازا كقوله تعالى واخرجت
الارض اثقالها واخرجت الارض اثقالها ورينها غاشية الشكوك اللازمة عنها على وجوه عقولهم وابصار ذواتهم التي بها ينظرون
الى وحيد ربهم وانتفاؤها عنهم لانتفاء اسبابها وهي النفوس الامارة الثامن عشر منهم من هو في خلق الغمام الى قوله
الاسهم هذا التقسيم يعود الى جنس الملائكة فاما الاوصاف السابقة فكانت خاصة بسكان السموات منهم وقد وردت في
الشريعة بان في الغمام ملائكة تسبح الله وتقدسه وكذلك في الجبال والاماكن المظلمة وهم من الملائكة الارضية وقد علمت ما قيل
فيها في الخطبة الاولى التاسع عشر ومنهم من خرقت اقدامهم تخوم الارض السفلى الى قوله لمشاهيه يشبه ان يكون هذا القسم
من الملائكة السماوية واستعار لفظ الاقدام لعلومهم المحيطة باقطار الارض السفلى ومنتهاها ووجه المشابهة كون العلوم
قاطعة للمعلوم وسارية فيه وواصلة الى نهاياته كما ان الاقدام تقطع الطريق وتصل الى الغاية منها وشبهها بالرايات البيض النافذة
في مخارق الهواء من وجهين احدهما في البياض فان البياض لما استلزم الصفاء عن الكدر والسواد كذلك علومهم صافية من
كدورات الباطل وظلمات الشبه الثاني في نفوذها في اجزاء المعلوم كما تنفذ الرايات في الهواء واشار بالريح التي تحبس الاقدام (التي تحبسها)
على حيث انتهت من الحدود الى حكمة الله التي اعطت كل ما يستحقه وقصرت كل موجود على حده ووقوفها الى لطف تصرفها وجرايتها
في المصنوعات العشرون قد استفرغتهم اشغال عبادته الى قوله وشيجة خيفته اي لم يجعل لهم فراغا لغيرها وقد علمت ان
محركات الملائكة السماوية لاجرام الافلاك الجارية لها مجرى الابدان بحركة ارادية عشقية للتشبه بالملائكة المتوسطة بينها وبين الحق
سبحانه في كمال عبادتهم لله وتلك الحركات الدائمة الواجبة مستفرغة لهم عن الاشتغال بغيرها كما قال يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وحقائق الايمان تصديقهم الحق بوجوده عن مشاهدة وجودهم وكونهم فيما سببا الارادة معرفته التامة والدوام عليها وابرازها ما في
قوتهم من الكمال بها الى الفعل فان التصديق بوجود الشيء الواجب تحصيله اقوى الاسباب الباعثة على طلبه وفضائل الايمان والتصديق
الحق اليقيني بوجوده وسيلة جامعة بينهم وبين معرفته والاستكمال بها وقاطعة لهم الى الوله اليه والعشق له ومبادئ الرغبات على
ما عنده دون غيره ولما استعار لفظ الذوق لتعقلاتهم ولفظ الشرب لما تمكن في ذواتهم من عشقه وكمال محبته رشح الاستعارة
الاولى بذكر الحلاوة وكنى بها عن كمال ما يجدونه من اللذة بمعرفته كما يلتذ ذائق الحلاوة بها والثانية بذكر الكاس الروية اذ من كمال
الشرب ان يكون بكاس روية اي من شانها ان تروي وكنى بها عن كمال معرفتهم والتشبه الى غيرهم وكذلك رشح استعارة لفظ الوشيجة
بذكر سويدا قلوبهم اذ كان عن كمال تمكن العوارض القلبية كالمحبة والخوف ان يبلغ الى سويدائه واشار بوشيجة خيفته الى العلاقة
المتمكنة من ذواتهم لخيفته وهي كمال علمهم بعظمته ولفظ الخيفة مستعار كما سبق لانها دهم في ذل الامكان عند اعتبار عزته وجلاله
الحادي والعشرون فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم تجوز بانحناء الظهور في كمال خضوعهم في عبادتهم وهو اطلاق لاسم المسبب
على السبب الثاني والعشرون ولم ينفد طول الرغبة اليه مادة تضرعهم لما كان من شان احدنا اذا رغب في امر الى بعض الملوك
وفزع فيه اليه بالتضرع والخدمة ان ينقطع تضرعه بانقطاع مادته ومادة دواعي نفسه الى الطلب وميولها وانقطاعها باستيلاء

الملال غ/

الملال على نفسه وضعفها عن تحمل المشقة ومطلوبه وتصوره لامكان نيله وانقطاعه اما باياسه منه او باعطائه مراده وكانت مادة تضرعهم
وعباداتهم له تعم على التقديرين بريئة عن القواطع اما من ذواتهم فلان الكلال والملال من عوارض المركبات العنصرية واما مطلوبهم فلانه
كمال معرفة الله تعالى وتصورهم لعظمة ذلك المطلوب وعلمهم ان درجات الوصول اليه غير متناهية لاجرم سلب عنهم في معرض مدحهم
انقطاع مادة تضرعهم المستلزم لذلك سلب انقطاع تضرعهم وعباداتهم له الثالث والعشرون ولا اطلق عليهم عظيم الزلفة لديه
ربق خشوعهم لما كان من قرب من السلطان مثلا من شانه ان يقوى نفسه ويخف هيبته فيه وكان ذلك لنقصان هو ملك ملوك
الدنيا وكونه مكتسبا لها وتصور المتقرب اليهم مشابهته لهم وامكان وصوله الى ما وصلوا اليه وكان سلطان الله لا يتناهى عظمة وعزة
وعرفانا لم يتصور من العارف المتقرب اليه ان يخف هيبته او ينقص خشوعه وعبادته بل كلما ازدادت معرفته به ازدادت عظمته
في نفسه اذ كان يقطع في سلوكه عظمة الله تعالى بعد عرفانه به فكلما عبر منزلا من منازل المعرفة علم عظمة خالقه فكل عقد يفنيه
بنيانه وعلم نقصانه فكمل خشوعه وصدق خضوعه واستعار لفظ الربق لما احصلوا فيه من الخشوع الرابع والعشرون ولم
يتولهم الاعجاب الى قوله حسناتهم اي لم يستول عليهم والاعجاب هو استعظام الانسان نفسه عما يتصور انه فضيلة له ومنشا ذلك
الحكم هو النفس الامارة فيتوهم الانسان ان تلك الفضيلة حصلت له عن استحقاق وجب له بسعيه وكده مع قطع النظر عن واهب النعم
ومفيضها والملائكة السماوية مبرؤون عن الاوهام واحكامها عارفون في اول اليه دوام مطالعة الائه والاستكانة تحت جلال عزته فلا
يستكثرون ما سلف منهم من عبادته ولا يستعظمون ما صدر عنهم من خير الخامس والعشرون ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤبهم
فقد ثبت ان الملائكة السماوية مبرأة من الفترات لاجرامها حركة لا يتخللها سكون ولا يكلها ويفترها اعياء وتعب وبيان ذلك بالبرهان
اصول ممهدة في مواضعها واما بالقران فلقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقد سبق السادس والعشرون ولم تغض
رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم الغاض القصير عن الشيء العدول عنه وقد سبق ان رغبات الملائكة السماوية وشوقها الى الكمالات اللائقة بها دائمة
ثابتة فكانت لذلك دائمة الرجاء لها من واهبها ولفظ الغيض مستعار كما سبق السابع والعشرون ولم تجف لطول المناجات
اسلات السنتهم طول مناجاتهم يعود الى توجيه وجوههم دائما اليه واستعار لفظ الالسنة ورشح بذكر الاسلات ملاحظة للتشبيه بما يحدث
في مناجاتنا وكنى بعدم جفاف السنتهم عن عدم فتورهم وعدم لحوق الكلال والاعياء لهم وظاهر انه لا السنة لهم مثيرة لهم فلا جفاف
الثامن والعشرون ولا ملكتهم الى قوله اصواتهم اي لم تضعفهم العبادة فتنقطع اصواتهم فتضعف فيخفى ما لتضرع اليه وهو تنزيه لهم عن
الاحوال البشرية والعوارض البدنية من الضعف والاعياء وكلال الاعضاء عند كثرة الاشغال وفوتها وقد مر ان الملائكة السماوية لا يجوز
عليها شيء من تلك العوارض واستعار لفظ الاصوات كما استعار لفظ الالسنة التاسع والعشرون ولم يختلف في مقادم الطاعة مناكبهم الى
قوله رقابهم استعار لفظ المقادم من ريش الطائر وهي عشر في كل جناح لما سبق وجوبه من طاعة الله وكانت امام عباداته كمعرفته في التوجه اليه ولفظ
المناكب وهي اربع ريشات بعد القوادم في كل جناح لذواتهم ووجه المشابهة ان المناكب تالية للقوادم وعلى نظامها وترتيبها لا يخالف صفوفها
ونسقها كذلك الملائكة لا تختلف ذواتهم واجرامهم في سلوك ما امروا به من عبادة ربهم ومعرفته بل صافون لا يخالف بعضهم بعضا في استقامة
طريقهم اليه ولا يخرجون عن نظام ترتيبه لهم في التوجه اليه كما اشار اليه في الخطبة الاولى وصافون لا يتزايلون وكذلك استعار لفظ الرقاب
ولفظ الثني كناية لم يلتفتوا الى الراحة من تعب العبادة في اوامره والمقصود نفي الاحوال البشرية عنهم من التعب والراحة لكونهما من توابع هذه
الابدان الثلاثون لا تعدو الى قوله الشهوات قد عرفت معنى الغفلة فيما سبق والبلادة هي طرف التفريط من فضيلة الذكاء وكلاهما من عوارض
هذا البدن وبواسطته وكذلك الشهوات والملائكة السماوية بريئة عنها فلم يجز ان يطرء على قصودهم لما توجهوا له غفلة ولا بلادة حتى يكون
ذلك سببا لاعراضهم عن التوجه فيه ولم يجز ان ترمي الشهوات هممهم بسهام خدايعها ولفظ الانتضال مستعار لتوارد جواذب الشهوة
على النفس الناطقة مع كونها موذية لها ومردية في قرار الجحيم الحادي والثلاثون قد اتخذوا الى قوله رغبتهم اشارة بيوم فاقتهم الى حال حاجتهم
في الاستكمال الى جوده وان كان ذلك دائما فهو ذخرهم الذي اليه يرجعون وكذلك الاشارة بقوله عند انقطاع الخلق الى المخلوقين الى
حال الحاجة ايضا فانه انما يكون ذخرا لهم لتوجههم اليه فيما يحتاجون وانما يحقق قصدهم له برغبتهم حال الحاجة اليه الثاني والثلاثون
لا يقطعون الى قوله ومخافته لما كانت غاية عبادتهم الوصول الى كمال معرفته وكانت درجات المعارف الالهية غير متناهية لم يكن
قطعهم لتلك الغاية ممكنا ولما كانوا مستغرقين في محبته عالمين بكمال عظمته وان ما يرجونه من تمام جوده اشرف المطالب وانجح المكاسب وبما
يخشى من انقطاع جوده ونزول حرمانه اعظم المهالك والمعاطب لاجرم دام رجاؤهم له وخضوعهم في رق الحاجة اليه والفزع من حرمانه وكان
ذلك الرجاء والخوف هو مادة استهتارهم بلزوم طاعته التي يرجون اليها من قلوبهم فلم ينقطع استهتارهم بلزومها الثالث والثلاثون
لم ينقطع اسباب الشفقة عنهم فينوا في جدهم الشفقة الاسم من الاشفاق اي لم ينقطع اسباب خوفهم له واسباب حاجتهم الى القيام في الوجود الى الاستكمال
بجوده فان الحاجة الفقر ونسبته الى الغير في مطلوب يستلزم الخوف منه في عدم قضائه ويوجب الاقبال على الاستعداد بجوده بلزوم طاعته وحاجتهم السبب

في صفة الارض ودحوها على الارض

ودائمة فجدهم في عبادته دائم فالتواني فيه مفقود **الرابع والثلثون** ولم يأسرهم الى قوله اجتهادهم سلب لبعض صفات البشر عنهم فان كثيرا من العابدين قد يصرفهم عن الاجتهاد في طاعة الله سبحانه ظهور شيء من كمالات الدنيا وزينتها فيؤثرونها قريبا من السعي في تحصيله على ما يستبعدونه من تحصيل السعادة الاخروية الباقية وقد عرفت ان ذلك من جواذب الشهوات والغفلة عما وراء هذه الدار والملائكة مبرؤون عن الشهوات وما يلزمها من اسر الاطماع الكاذبة لهم ولفظ الاسر استعارة لقود الاطماع الى ما يطمع فيه **الخامس والثلثون** ولم يستعظموا ما مضى من اعمالهم الى قوله وجلهم معنى هذه الشرطية انهم لو استعظموا ذلك لكان رجاؤهم لثواب عبادتهم عظيما فكان لقوته ماحيا لاشفاقهم وخوفهم منه وهذا كما ان الانسان اذا عمل لبعض الملوك عملا يستعظمه فانه يرى في نفسه استحقاقا وتمام جزاء له ويجد التطاول به والدالة عليه فيهون ذلك ما يجده من خوفه وكلما ازداد استعظاما لخدمته ازداد اعتقاده في قربه من الملك قوة وبمقدار ذلك ينقص خوفه ويقل هيبته لكن الملائكة خائفون ابدا كما قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم والملائكة من خيفته فينتج انهم لا يستعظمون سالف عباداتهم **السادس والثلثون** ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم اي في اثباته واستحقاقه كمال العبادة وذلك لعدم سلطانه عليهم وهو سلب لبعض احوال البشر وكذلك قوله ولم يفرقهم الى قوله اخياف الهمم تنزيه لهم عن امور من عوارض البشرية احدها سوء التقاطع وهو كتقاطع المتعادين وتباينهم لما يتبع الغضب والشهوة الثاني غل الحسد وقد علمت ان الحسد رذيلة نفسانية تنبعث عن البخل والشره ومنبعهما النفس الامارة الثالث تشعب مصارف الريب لهم والريب الشكوك والشبه ومصارفها هي الامور الباطلة التي تنصرف اذهانهم اليها عن الشبه وتلك الشبه والشكوك انفسها وتشعبها لهم انقسامها بحيث يذهب كل واحد من شبهه الى باطل وقد علمت ان منشأ الشكوك والشبهات هو الوهم والخيال ولما كانوا مبرئين عن النفوس الامارة وجب تنزيههم عن هذه الامور الثلثة الرابع لما كان معبودهم واحدا وهو غاية مطلوبهم كانت هممهم فيه واحدة فلم يلتفتوا الى شيء آخر ولم يفترقوا فيها **السابع والثلثون** وهم اسراء الايمان الى قوله ولا فتور استعار لفظ الاسر ورشح بذكر الربقة ونزههم عن ان يجذبهم عن الايمان احد الامور الاربعة وقد سبق وجه تنزيههم عنها **الثامن والثلثون** وليس في اطباق السموات الى قوله عظما المراد ان السموات مملوة بالملائكة فبين ساجد لوجه ربه وبين ساع مجد في امره واعلم ان في السماء ملائكة مباشرة لتحريكها وملائكة على رتبة من اولئك هم الآمرون لهم بالتحريك فليشبه ان يكون كنى بالساجدين منهم الى الآمرين والمتحركين كناية عن كمال عبادتهم كناية بالسجود ويكون الاشارة بالساعين المسرعين الى المتولين للتحريك فاما زيادتهم بطول الطاعة علما بربهم فلما ثبت ان حركاتهم انما هو شوقية للتشبه بملائكة اعلى رتبة منهم في كمالهم بالمعارف الالهية وظهور ما في ذواتهم بالقوة الى الفعل وزيادة عزة ربهم عندهم عظما بحسب زيادتهم معرفتهم له بما تعبدوا له كما نبهنا عليه فيما قبل وبالله التوفيق **منها**

في صفة الارض ودحوها على الماء كبس الارض على مور امواج مستفحلة ولجج بحار زاخرة تلتطم اواذي امواجها وتصطفق متقاذفات اثباجها وترغو زبدا كالفحول عند هياجها فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها وسكن هيج ارتمائه اذ وطئته بكلكلها وذل مستخذيا اذ تمعكت عليه بكواهلها فاصبح بعد اصطخاب امواجه ساجيا مقهورا وفي حكمة الذل منقادا اسيرا وسكنت الارض مدحوة في لجة تياره وردت من نخوة بأوه واعتلائه وشموخ انفه وسمو غلوائه وكعمته على كظة جريته فهمد بعد نزقاته ولبد بعد زيفان وثباته فلما سكن هيج الماء من تحت اكنافها وحمل شواهق الجبال الشمخ البذخ على اكتافها فجر ينابيع العيون من عرانين انوفها وفرقها في سهوب بيدها واخاديدها وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها فسكنت من الميدان لرسوب الجبال في قطع اديمها وتغلغلها متسربة في جوبات خياشيمها وركوبها اعناق سهول الارضين وجراثيمها وفسح بين الجو وبينها واعد الهواء متنسما لساكنها واخرج اليها اهلها على تمام مرافقها ثم لم يدع جرز الارض التي تقصر مياه العيون عن روابيها ولا تجد جداول الانهار ذريعة الى بلوغها حتى انشأ لها ناشئة سحاب تحيي مواتها وتستخرج نباتها الف غمامها بعد افتراق لمعه وتباين قزعه حتى اذا تمخضت لجة المزن فيه والتمع برقه في كففه ولم ينم وميضه في كنهور ربابه ومتراكم سحابه ارسله سحا متداركا قد اسف هيدبه تمريه الجنوب درر اهاضيبه ودفع شآبيبه فلما القت السحاب برك بوانيها وبعاع ما استقلت به من العبء المحمول عليها اخرج به من هوامد الارض النبات ومن زعر الجبال الاعشاب فهي تبهج بزينة رياضها وتزدهي بما البسته من ريط ازاهيرها وحلية ما سمطت به من ناضر انوارها وجعل ذلك بلاغا للانام ورزقا للانعام وخرق الفجاج في آفاقها واقام المنار للسالكين على جواد طرقها فلما مهد ارضه وانفذ امره اختار آدم خيرة من خلقه وجعله اول جبلته واسكنه جنته وارغد فيها اكله واوعز اليه فيما نهاه عنه واعلمه ان في الاقدام عليه التعرض لمعصيته والمخاطرة بمنزلته فاقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه فاهبطه بعد التوبة ليعمر ارضه بنسله وليقيم الحجة به على عباده ولم يخلهم بعد ان قبضه مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته ويصل بينهم وبين معرفته بل تعاهدهم بالحجج على السن الخيرة من انبيائه ومتحملي ودائع رسالاته قرنا فقرنا حتى تمت بنبينا محمد صلى الله عليه وآله حجته وبلغ المقطع عذره ونذره وقدر الارزاق فكثرها وقللها وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي

ودينها ر

وشموخ انفه ر

سمطت ر

من اراد ميسورها

في صفة الأرض ودحوها على الأرض

من أراد تمليكه وتعسيره وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها وبسلامتها طوارق آفاتها وبفرج أفراحها غصص أتراحها وخلق الآجال فأطالها وقصرها وقدمها وأخرها ووصل بالموت أسبابها وجعله خالجا لأشطانها وقاطعا لمرائر أقرانها عالم السر من ضمائر المضمرين ونجوى المتخافتين وخواطر رجم الظنون وعقد عزيمات اليقين ومسارق إيماض الجفون وما ضمنته أكنان القلوب وغيابات الغيوب وما أصغت لاستراقه مصائخ الأسماع ومصائف الذر ومشاتي الهوام ورجع الحنين من المولهات وهمس الأقدام ومنفسح الثمرة من ولائج غلف الأكمام ومنقمع الوحوش من غيران الجبال وأوديتها ومختبأ البعوض بين سوق الأشجار وألحيتها ومغرز الأوراق من الأفنان ومحط الأمشاج من مسارب الأصلاب وناشئة الغيوم ومتلاحمها ودرور قطر السحاب في متراكمها وما تسفي الأعاصير بذيولها وتعفو الأمطار بسيولها وعوم بنات الأرض في كثبان الرمال ومستقر ذوات الأجنحة بذرى شناخيب الجبال وتغريد ذوات المنطق في دياجير الأوكار وما أوعبته الأصداف وحضنت عليه أمواج البحار وما غشيته سدفة ليل أو ذر عليه شارق نهار وما اعتقبت عليه أطباق الدياجير وسبحات النور وأثر كل خطوة وحس كل حركة ورجع كل كلمة وتحريك كل شفة ومستقر كل نسمة ومثقال كل ذرة وهماهم كل نفس هامة وما عليها من ثمر شجرة أو ساقط ورقة أو قرارة نطفة أو نقاعة دم ومضغة أو ناشئة خلق وسلالة لم تلحقه في ذلك كلفة ولا اعترضته في حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة ولا اعتورته في تنفيذ الأمور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة بل نفذهم علمه وأحصاهم عدده ووسعهم عدله وغمرهم فضله مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله اللهم أنت أهل الوصف الجميل والتعداد الكثير إن تؤمل فخير مأمول وإن ترج فأكرم مرجو اللهم وقد بسطت لي فيما لا أمدح به غيرك ولا أثني به على أحد سواك ولا أوجهه إلى معادن الخيبة ومواضع الريبة وعدلت بلساني عن مدائح الآدميين والثناء على المربوبين المخلوقين اللهم ولكل مثن على من أثنى عليه مثوبة من جزاء أو عارفة من عطاء وقد رجوتك دليلا على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة اللهم وهذا مقام من أفردك بالتوحيد الذي هو لك ولم ير مستحقا لهذه المحامد والممادح غيرك وبي فاقة إليك لا يجبر مسكنتها إلا فضلك ولا ينعش من خلتها إلا منك وجودك فهب لنا في هذا المقام رضاك وأغننا عن مد الأيدي إلى سواك إنك على كل شيء قدير

أقول كبسها أغاصها في الماء بقوة والمور التردد في الحركة ومستفحلة صائلة والتلاطم التراد والأواذي جمع آذي وهو ما عظم من موج البحر والاصطفاق التراد والأثباج جمع ثبج وهو معظمها وعواليها وجمح الفرس إذا غلب صاحبه فلم يملكه والارتماء التقاذف والتراد والكلكل الصدر والمستخذي الخاضع والتمعك التمرغ واصطخاب أمواجه غلبتها وأصواتها والساجي الساكن والحكمة ما أحاط من اللجام بحنك الدابة والدحو البسط والتيار الموج والنخوة الكبر والنزق والبأو الفخر وشمخ بأنفه تكبر والغلواء تجاوز الحد وكعمته سددت فاه والكظة شدة البطنة وهمد سكن وخمد والنزق الخفة والطيش ولبد لصق بالأرض ساكنا والزيفان التبختر والبذخ الغالية والعرنين على الأنف عند ملتقى الحاجبين والسهوب جمع سهب وهو الفلاة الواسعة والبيد جمع بيداء وهي الفلاة أيضا والأخدود الشق في الأرض والجلاميد الصخور والشناخيب رؤوس الجبال والشم العالية والصيخود الصخرة الصلبة وأديمها سطحها وتغلغله دخوله في أعماقها والتسرب الدخول في السرب والجوبة الفرجة وجراثيم الأرض أعاليها وما اجتمع منها وأرض جرز لا إنبات بها لانقطاع الماء عنها والروابي عوالي الأرض والقزع قطع السحاب الواحدة قزعة والكفة بالضم ما استطال من السحاب وما استدار بالكسر والوميض اللمعان والكنهور العظيم من السحاب والرباب الغمام الأبيض والسح الصب وأسف دنا من الأرض لثقله والهيدب ما تهدب منه إلى الأرض أي تدلى ومريه تستخرج ما فيه من الماء والدرر جمع درة بالكسر وهي كثرة اللبن وسيلانه والأهاضيب جمع هضاب وهو جمع هضب وهو حلبات القطر بعد القطر والشآبيب جمع شؤبوب وهو الرشقة القوية من المطر والبرك الصدر والبواني ما يلي الصدر من الأضلاع وبعاع السحاب ثقله بالمطر والعبء الثقل وجبلة جرداء لا نبت بها وتزدهي تتكبر والريط جمع ريطة وهي الأزاهير وسمطت زينت بالسمط وهو العقد ومن روى شمطت بالشين المعجمة أراد خلطت والجبلة الخلقة وعزائمه بكذا نفذه والعقابيل بقايا المرض والترح الحزن والغصة والخلج الجذب والانتزاع والأشطان جمع شطن وهي الحبال والمرائر جمع مريرة الحبال اللطيفة الفتل والتخافت المسارة والرجم بالظن القول عنه والغيابة ظلمة قعر البئر ومصائخ الأسماع خروقها والإصاخة التسمع والولائج المداخل والأكمام جمع كم بالكسر وهو غلاف الطلع والمنقمع محل الانقماع وهو الانزواء ولحاء الشجرة قشرها والأفنان الأغصان والأمشاج النطفة المختلطة بالدم وتعفو تمحو وشناخيب الجبال رؤوسها وذراها أعاليها والتغريد تمديد صوت الطائر والدياجير جمع ديجور وهو الظلام والسدفة الظلمة وذر الشارق طلع ورجع الكلمة جوابها والنقاعة نقرة يجتمع فيها الدم واعتورته أحاطت به والعارفة المعروف والخلة الفقر وانعشه أنهضه من عثرته واعلم أن هذا الفصل يشتمل على فصول

الفصل الأول في تمجيد الله تعالى باعتبار خلقه للأرض في الماء وجملة من أحوالها وهو إلى قوله وحوات طرقها وفيه أبحاث

البحث الأول في الاستعارات والتشبيهات وأبحاث لفظية **الأول** استعاره

ح

وأوديتها

نسمة ومثقال كل ذرة

ولا اعتورته

ذخائر

في صفة الأرض ودحوها على الأرض

لفظ الكبس بخافه لها غائصًا معظمها في الماء كما يغوص بعض الزق المنفوخ ونحوه بالاعتماد عليه **الثاني** استعارة لفظ الاستفحال للموج
مع ملاحظة المشابهة بما اشتمل عليه الموج والفحل من الاضطراب والهيجان والصولة **الثالث** تشبيهه بالفحول الهائجة ووجه الشبه ما يظهر على رؤوس الموج
عند اضطرابه وغليانه من رغوة الزبد كما يظهر من فم الفحل عند هياجه **الرابع** استعار لفظ الجماح لحركة الماء على غير نسق واضطرابه
لا يملك معه نفسه كما يجمح الفرس **الخامس** استعار اوصاف الناقة من الكلكل والكاهل للارض ورشح تلك الاستعارة بالوطي
والتمعك وانما خص الصدر والكاهل لقوتهما وكنى بالجموع عن الخاضع بالناقة **السادس** استعار الماء لفظ الاستخذاء والقهر ولفظ
الحكمة والانقياد والاسر وكنى بها عن الخاضع بحيث صار بل فهو كالفرس حيث اتى الحكمة والانقياد والاسر وكنى بها الى الذل اضافة
ما تسبب الى المسبب **السابع** استعار لفظ النخوة والبأو والشموخ الانف والغلواء والنزق والزيفان والوثبات للماء في هيجانه ونزوه
اضطرابه ملاحظة لشبهه بالانسان المتجبر المتبختر في حركاته لعزته وتكبره وزهوه **الثامن** استعار لفظ الاكتاف للارض ووجه
المشابهة كون الارض محلا لحمل ما يثقل من الجبال كما ان كتف الانسان وغيره محل لحمل الاثقال **التاسع** استعار لفظ العرنين
والانف لاعالي رؤوس الجبال كناية عن الحاقها بالانسان **العاشر** كنى بالتغلغل والتسرب عما يتوهم من نفوذ الجبال في الارض
ودخولها فيها واستعار لفظ الخياشيم لتلك الاسراب المتوهمة ولما جعل للجبال انوفا جعل لتلك الاسراب المتوهم فيها من الجبال انها خياشيم
الحادي عشر استعار لفظ الركوب للجبال والاعناق للارض كناية عن الحاقها بالقاهر والمقهور **الثاني عشر** استعار لفظ
الوجدان والذي يعقد للجبل وكناية عن الحاقها بالانسان الذي يحصل الوسيلة الى مطلوبه **الثالث عشر** الضميران في تغلغلها
وركوبها للجبال والضمير في خياشيمها يعود الى الارض وباقي الضمائر ظاهر **الرابع عشر** تجوز في اسناد لفظ الاحياء
والاستخراج الى السحاب اذ المخرج هو الله تعالى **الخامس عشر** كنى بعدم النوم عن عدم اخفاء وميض البرق في السحاب كناية بالشعاع
السادس عشر استعار لفظ الهدب لقطرات المطر المتصلة يتلو بعضها بعضا ملاحظة لشبهها بالخيوط المتدلية **السابع
عشر** استعار لفظ الدرر والاهاضيب وهي الحلبات للغمام كناية عن الحاقها بالناقة **الثامن عشر** اسند المري الى الجنوب مجازا
او لان لها سببية ما في نزول الغيث وانما خص الجنوب لانها في اكثر البلاد حارة رطبة اما الحرارة فلانها تأتي من الجهة المسخنة
بمقارنة الشمس واما الرطوبة فلان البحار اكثرها جنوبية والشمس تفعل فيها بقوة وتثير عنها ابخرة تخالط الرياح واذا كان كذلك كانت
الجنوب اولى بالذكر من غيرها من وجهين احدهما انها اكثر استصحابا للابخرة فلذلك كان السحاب اكثر انعقادا معها ومصاحبة لها الثاني انها
لحرارتها تفتح المسام ولرطوبتها ترخي فكان ادرار المطر عنها اكثر **التاسع عشر** استعار لفظ البرك البواني للسحاب واسند اليه
العشرون
الالقاء كناية عن الحاقه بالجمل الذي اثقله الحمل فهي بصدره الى الارض نسبة الابتهاج والازدهاء والتبرج الى الارض ذات الازاهير مجازا
ملاحظة لشبهها بالمرأة المتبرجة بما عليها من فاخر الملبوس وجميل الثياب **البحث الثاني** ان مقتضى الكلام ان الله خلق الماء قبل
الارض ثم دحاها فيه وسكن بها مستفحل امواجه وهذا مما يشهد به البرهان العقلي فان الماء لما كان حاويا للاكثر الارض كان سطحه
الباطن المماس لسطحها الظاهر مكانا لها وظاهر ان للمكان تقدما ما باعتبار ما على المتمكن فيه وان كان اللفظ يعطي تقدم خلق الماء على
خلق الارض تقدما زمانيا كما هو المنقول عند الشارعين **البحث الثالث** انه اشير الى كونها مدحوة في القرآن الكريم ايضا والارض
بعد ذلك دحاها مع ان الارض كرة كما ثبت بيانه في علم الهيئة فلا بد من التأويل وقد بيناه في قوله اللهم داحي المدحوات وقد
ورد في الخبر ان الارض دحيت من تحت الكعبة قال بعض العارفين الاشارة بالكعبة الى كعبة وجود واجب الوجود التي هي مقصد وجوه
المخلصين التي جعلت هذه الكعبة في عالم الشهادة مثالا لها ودحوها من تحتها عبارة عن وجودها عن ذلك المبدأ **البحث الرابع**
الاشارة الى خلق الجبال فيها وكونها سببا لسكونها وللناس في تكوين ما تكون من الجبال فيها وجوه احدها انه قد يكون عن بخار تكاثف
ميلانها الثاني قد يكون عن زلزلة فصلت قطعة على ناحية فارتفعت الثالث قد يكون عن رياح جمعت بهبوبها ترابا فتراكم وعلا الرابع
فقد تكون لعمارات تراكمت فخربت فاما كونها اسبابا لسكون الارض فقد سبقت الاشارة اليه في الخطبة الاولى واعلم ان البرهان
مطابق على الشهادة بسكونها كما اشير اليه في مظانه **البحث الخامس** في تفجيره ينابيع العيون في الجبال وغيرها وقد اشار
العلماء الى سببه فقالوا ان الادخنة والابخرة ما يحتبس منها تحت الارض وفيه ثقب فتخرج فيها هواء وبخار ومياه فقد تتوارد
الابخرة والهواء فيصير ماء فما له قوة ومدد تتفجر عيونا وتجري على الولاء لعدم مدخل الهواء بين الخارج وما يتصل به ويتبعه
وما لا مدد له من العيون يركد وما له مدد الا ان اجزاءه مبددة والارض واهية لا تحتاج الى منافذ تتحصل منه القنوات
وماء الآبار ايضا من قبيل ما له مدد لكنه لم يجد سبيلا الى احد الجوانب لعدم رخاوة ارضه فخالف القنوات وانما خص الجبال
بتفجير العيون منها لان العيون اكثر ما تتفجر من الجبال والاماكن المرتفعة وذلك لشدة احتقان الابخرة تحتها بالنسبة الى سائر
الاماكن الهابطة الرخوة فان الارض اذا كانت رخوة نفضت البخار عنها فلا يكاد يجتمع منه قدر ما يعتد به ولان هذا التخصيص دل

في بيان صفة الارض

على حكمة الصانع وعنايته بالخلق وهو في معرض تمجيده وتعديد الائه **البحث السادس** انه اعد الهواء لساكنها واعلم انه سبحانه كما جعل
الهواء عنصرا لابدان الحيوان وارواحه البدنية كذلك جعله مددا يصل الى الارواح ويكون علة لصلاحها وبقائها بالتعديل وذلك
التعديل يكون بفعلين احدهما الترويح والثاني التنقية اما الترويح فهو تعديل مزاج الروح الحار اذا افرط بالاحتقان في الاكثر فان الهواء
الذي يحيط بنا ابرد بكثير من ذلك المزاج فاذا وصل اليه باستنشاق الرية ومن مسام منافس النبض وصدمه وخالطه منعه عن الاستحالة
الى النارية الاحتقانية المؤدية الى سوء مزاج يزول به عن الاستعداد لقبول التاثير النفساني الذي هو سبب الحيوة واما التنقية فهي
باستصحابه عند رد النفس لما سلمته اليه القوة المميزة من البخار الدخاني الذي نسبته الى الروح نسبة الخلط الفضلي الى البدن فكما
ان التعديل هو بورود الهواء على الروح عند الاستنشاق فالتنقية بصدوره عنه عند رد النفس وذلك ان الهواء المستنشق انما
يحتاج اليه في تعديله اول وروده لكونه باردا بالفعل فاذا استحال بكيفية الروح بالتسخن لطول مكثه بطلت فائدته فاستغني
عنه فيحتاج الى هواء جديد يدخل ويقوم مقامه فدعت الضرورة الى اخراجه لاخلاء المكان لمعاقبه وليندفع معه فضول جوهر الروح
فهذا معنى قوله عم واعد متنسما لساكنها واعلم ان اعداده لتنفس الحيوان اعم مما ذكرنا فانه ايضا معد لنشو الامزجة المعدنية والنباتية
والحيوانية التي يحتاج الانسان في بقائه اليها وكونه عنصرا لها ومعتبرا في بقائها وعند ملاحظة هذه المنافع عن الهواء يظهر سر
اثر نعمة الله به **البحث السابع** في اخراجه عم اهل الارض اليها بعد تمام مرافقها كما قال تع والارض مددناها والقينا فيها رواسي
وانبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين والاشارة باهلها المخرجين اليها ادم واعلم ان اول
انتفاعهم بها ان جعلها فراشا لهم صالحا للسكنى عليها كما قال تع الذي جعل لكم الارض فراشا ولكونها فراشا شرائط **احدها** ان تكون
ساكنة ليصح الاستقرار عليها والتصرف فيها بحسب الاختيار وموافقة الصلاح دون كونها متحركة **الثاني** ان تكون خارجة من الماء
وذلك ان الانسان وغيره من الحيوان البرية لا يمكنه ان يعيش في الماء فاقتضت عناية الحق سبحانه بالحيوان ابراز بعضها من الماء
ليعيش فيه فيتصرف عليه **الثالث** ان لا يكون في غاية الصلابة كالحجر والا لكان النوم والمشي عليها مولما ولما امكن
لينبت فيها انواع النبات والاشجار وايضا لكانت تسخن في الصيف كثيرا وتبرد كثيرا في الشتاء فما كانت تصلح لسكنى الحيوان ولما
كان يتعذر حفرها وتركيب بعضها ببعض **الرابع** ان لا يكون في غاية الرخاوة كالماء وغيره من المايعات التي يغوص فيه
الانسان **الخامس** انه سبحانه لم يخلقها في غاية الشفافية واللطافة فانها ان كانت مع ذلك جسما سيالا كالهواء لم تمكن
من الاستقرار عليه وان كان جسما ثابتا صقيلا براقا احترق الحيوان وما عليها بسبب انعكاس اشعة الشمس عليها كما يحترق القطن
اذا قرب من المرايا المحاذية للشمس والبلور ولكنه خلقها غبراء ليستقر النور على وجهها فيحصل فيها نوع من السخونة وخلقها كثيفة
لئلا ينعكس الاشعة منها على ما فيها فتحرقه فصارت معتدلة في الحر والبرد تصلح ان تكون فراشا ومسكنا للحيوان **المنفعة الثانية** خلق الجبال
فيها وتفجيرها بالماء كما سبقت الاشارة اليه **المنفعة الثالثة** ما يتولد فيها من المعادن والنبات والحيوان وفي انواع كل
من هذه الموجودات واختلاف اصنافه والوانه وروايحه وطعومه ولينه وصلابته وملاسته وخشونته ما لا يحصى من المنافع التي
يحتاج اليها الانسان في بقائه وصلاح حاله **المنفعة الرابعة** كونها اصلا لبدن الانسان وذلك ان الماء لرقته ورطوبته
لا يحفظ التشكل والتصوير فاذا خلط بالتراب حصل له قوام واستمساك وحصل قبول الاشكال والتخطيط كما قال تع اني خالق
بشرا من طين **المنفعة الخامسة** قبولها الحيوة بعد الموت كما قال تع واية لهم الارض الميتة احييناها **البحث الثامن**
في تمجيده عم باعتبار انشائه للسحاب الرعد والنطق وجه الحكمة فيه وفي اصله وفي حيوة الارض به اما وجه الحكمة في
انشائه فكونه مادة لما ينبت في الارض الجرز مما هو قوام بدن الحيوان وغذاء له كما اشار اليه عم بقوله ثم لم يدع جرز الارض التي
تقصر مياه العيون والانهار عنها ولا تجد جداول الارض ذريعة الى بلوغها الى قوله وجعل ذلك بلاغا للانام وتنقا للانعام
ونحوه قوله تع اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون **البحث التاسع**
في تمجيده باعتبار تخريقه للفجاج في افاقها اي اطرافها لتواسعه في نواحيها كما قال تع وجعل لكم فيها فجاجا سبلا لعلكم تهتدون
ثم باعتبار اقامته المنار للسالكين فيها والاشارة بالمنار اما بالنجوم كما قال تع وعلامات وبالنجم هم يهتدون او الى الجبال **الفصل
الثاني** في تمجيده عم باعتبار خلقه لادم واختياره له واتمام نعمته عليه ومقابلته بالعصيان ومقابلة الله عصيانه بقبول توبته واهباطه الى الارض
واكرام ذريته بعده ببعثة الانبياء منهم واليهم ومنته بنبيهم معيشتهم واجالهم بالقلة والكثرة وابتلائهم بذلك وهو من قوله فلما مهد
ارضه وانفذ امره الى قوله عم قاطعا لمرائر اقرانها واعلم ان الكلام في قصة ادم عم قد سبق في الخطبة الاولى مستوفى فلا نعيده ونقول
في هذا الكلام فوائد **الفائدة الاولى** معنى قوله مهد ارضه اي جعلها مهادا كقوله تع الم نجعل الارض مهادا وجعلها مهدا كقوله
تع جعل لكم الارض مهدا وعلى التقدير الاول اذ انه لما خلقها بحيث تسهل على العباد ان ينتفعوا بها بالقعود والقيام والزراعة و

الهواء

الى الحيوان

جعل ه

الى ذر

في بيان صفة الأرض

وسائر جهات الصنعة وانفذ امره في خلق آدم خلفه بعد ذلك وعلى التقدير الثاني يكون لفظ المهد استعارة لما ملاحظة للتشبيه بمهد الصبي في كونه محل الراحة والنوم **الفائدة الثانية** قوله وانفذ امره اي في ايجاد مخلوق فائدته وتمامها الحكم على الغالب بالتمام باختيار نوع الانسان الذي هو تمام دائرة الوجود فقال له كن فكان **الفائدة الثالثة** قوله خيرة من خلقه نصب على الحال ويحتمل النصب على المصدر فيشهد كونه خيرة الله من خلقه قوله تعالى ان الله اصطفى آدم وقوله ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وبيان هذا التكريم من وجهين احدهما قال ابو يزيد البسطامي ان انواع كرامات الله تعالى في حق البشر غير متناهية كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها هذا على سبيل الاجمال اما التفصيل فمن وجوه **الاول** انه سبحانه يمطر كل ساعة على المتوكلين مطر الكفاية كما قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه **الثاني** انه يمطر كل ساعة على المطيعين مطر المودة كما قال تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا **الثالث** انه يمطر على المجتهدين مطر الهداية كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا **الرابع** انه يمطر على الشاكرين مطر الزيادة كما قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم **الخامس** انه يمطر على المتذكرين مطر التبصرة كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون الثاني ان التكريم لآدم وذريته اما باحوال داخلة في الانسان او خارجة عنه والداخلة فيه اما بدنية او غيرها اما البدنية التي اكرم بها فامور **الاول** الصورة الحسنة كما قال تعالى وصوركم فاحسن صوركم **الثاني** حسن القامة والتعديل كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وذلك ان الشيء كلما كان اكثر علوا وارتفاعا كان اشرف في نوعه فان احسن الاشجار اعلاها امتدادا **الثالث** انه اكرمه بتمكينه من القيام والقعود والاستلقاء والانبطاح والاضطجاع وذلك انه تعالى ركب الخلق على اصناف اربعة احدها ما يشبه القائمين كالاشجار وثانيها ما يشبه الراكعين كالبهائم وثالثها ما يشبه الساجدين كالحشرات التي تدب على وجوهها وبطونها ومنها ما يشبه القاعدين كالجبال ثم انه سبحانه خلق الانسان قادرا على جميع هذه الهيئات ومكنه من ذكره على جميع هذه الاحوال كما قال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم واما الاحوال التي اكرم بها غير بدنية فامور احدها الروح التي هي محل العلم باشرف الموجودات وهو الله تعالى كما قال ونفخت فيه من روحي وشرفه بما اضافه روحه اليه وبعقله الشريف تميز عن سائر الموجودات في هذا العالم الثاني العقل وشرفه من وجوه **الاول** روي ان الله تعالى اوحى الى داود اذا رايت عاقلا فكن له خادما **الثاني** قول الرسول صلى اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب واعلم ان للعقل بداية ونهاية وكلاهما يسميان عقلا اما الاول فهو القوة المهيئة للعلوم الكلية الضرورية كما للطفل وهو المشار اليه بقول النبي صلى الثاني العقل المستفاد وهو المشار اليه بقوله صلى لعلي ع اذا تقرب الناس الى خالقهم بابواب البر فتقرب انت اليه بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة **الثالث** العلم والحكمة التي هي ثمرة العقل كما قال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب وسماه حياة ونورا فقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس اما التكرمة الخارجة عنه فامور **احدها** انه خلق ما سواه منفعة له فقال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فرش الارض وجعل السماء سقفا محفوظا وجعل ما يخرج من الارض رزقا وما ارسله من السحاب من الماء مادة له لذلك كما قال تعالى وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار واكرمه بخلق الشمس والقمر والنجوم كما قال وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وقوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقال ولتعلموا عدد السنين والحساب واكرمه بخلق الانعام فجعل منها غذاءه وملبوسه وراحته وجماله وزينته فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون الى قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون **الثاني** روي عن امير المؤمنين ع في تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم قال بالدعوة الى الجنة كما قال والله يدعو الى دار السلام **الثالث** انه اكرمهم بتخيير قلوبهم لمعرفته والسنتهم لشهادته وابدانهم لخدمته فشرفهم بتكليفه وبعث الانبياء اليهم من انفسهم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ثم جعل آدم والانبياء من ذريته اكرم عباده لديه بخصائصهم بالنبوة والرسالة كما قال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض ثم فضل اولي العزم منهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ثم فضل بعضهم على بعض وهو الخليل والكليم والروح والحبيب فقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس ثم فضل محمدا صلى على الكل فقال وكان فضل الله عليك عظيما وجعله غاية طينتهم وخاتمهم كما قال ولكن رسول الله وخاتم النبيين **الفائدة الرابعة** قوله وجعله اول جبلته اشارة الى ان آدم اول شخص تكون في الوجود من نوع الانسان وقوله والخاطرة عنه لمن اي عند الله وكونه مستحقا للقرب منه وقوله موافاة لسابق علمه اشارة الى ان وقوعه في الوجود بعد دعوى ضابط العلم والقضاء الالهي السابق **الفائدة الخامسة** قوله فاهبطه بعد التوبة من قال ان المراد بآدم نوع النفوس البشرية وقد ثبت انه حادث والشخص الاول منها

في صفة الارض وحال ساكنيها

قبل

قال: ثم التوبة قبل الاحتياط هي التوبة بالقوة المعلومة لله من قضائه اولاد آدم اي تأسيسي لبية اصحاب نفوسهم من درجات عرفانه والتفات وجوههم
الى عمارة الارض والاشتغال بالحرث والنسل والانبياء عليهم السلام يرجعون عن المباحات الى ما هو الاولى والاهم من عبادة الله ومطالعة انوار
كبريائه ويعدون ما رجعوا عنه ذنوبا ورجوعهم عنه توبة كما قال النبي صلى الله عليه وآله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة والمبني للتوبة
المستغفر منه الاشتغال عنه بتدبير امور الارض وعمارتها والاشتغال له بدل التبتل عن الخلوة بالله واستشراق انوار قدسه **الفائدة السادسة**
قوله وليقيم الحجة به على عباده الذين بعث آدم حجة عليهم اهله واولاده الموجودون في زمانه والمنقول انه مات عن اربعين ولدا او من بلغته سنته
منهم بعد وفاته والمنقول ان الله تعالى انزل من الاحكام تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم في احد وعشرين ورقة وهو اول كتاب كان
في الدنيا اجرى الله عليه الالسنة كلها **الفائدة السابعة** قوله ولم يخلهم بعد ان قبضه مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته اي من حجة
ربوبيته فانها تمت عليهم في كيفية تخليقهم وخلق ما يستدلون عليه به من صنعه كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى
يتبين لهم انه الحق الآية وغيرها من الآيات وانما يكون بعثة الانبياء مؤكدة لتلك الحجج مذكرة للغافلين عنها بها ومنبهة على وجودها
وموصلة بينهم وبين معرفته بما جاءت به من الكتب المنزلة والسنن بالتبشير وقوله بلغ المقطع عذره ونذره اي اعذاره الى الخلق (التشعيرة ر)
وانذاره لهم بلغ الغاية ومقطع كل شيء غايته **الفائدة الثامنة** تقديره الارزاق تقسيمه لها واعطاء كل مخلوق ما كتب له في اللوح
المحفوظ منها من قليل وكثير وضيق وواسع ومتيسر ومتعسر ومعاقبة الاضداد عليهم من تنغيص سعة الغنى بلواحق الفقر والفاقة كما قد
يلحقها الانسان في ملكه فاصبح محتاجا الى الفلس وكذلك الحاقه السلامة في النعم بطوارق الآفات من غرق او حرق او غصب ظالم وغلبة
غاشم وكذلك سعة الارزاق وفرح افراحها وتكديرها بغصص احزانها واتراحها ثم خلقة الآجال متفاوتة بالطول والقصر والتقدم
والتأخر **الفائدة التاسعة** تقديره للموت متصلا باسبابها ولما كان الاجل عبارة عن وقت ضرورة الموت وكانت اسباب حلول
تلك الاوقات هي بعض الامراض او القتل مثلا لاجرم صدق ان الموت الذي هو عبارة عن مفارقة الارواح لاجسادها متصلا بتلك الاسباب
واستعار لفظ الخلج وهو الجذب للموت ورشح بذكر الاشطان ووجه المشابهة ما يستلزمه الموت من قرب الاجل كما يستلزم الجاذب من
قرب المجذوب اليه فقد صار الموت جاذبا للاجل بالحبال كما يجذب بها الانسان ما يريد واما كونه قاطعا للمرائر اقرانها فاستعار لهم
لفظ المرائر للاسباب العلاقة بين اقران الآجال وهم المتقاربون في الزمان الواحد الذي تتصل بهم الاجل وتلك الاسباب كالصداقة
والاخوة وسائر اسباب العلاقة بين الناس وظاهر كون الموت قاطعا لتلك المرائر **الفائدة العاشرة** انه تعالى جعل ما منه الله من نعم الارزاق
وتقديرها بالكثرة والقلة والضيق والسعة صورة ابتلاء من الله للشكر من الاغنياء والصبر من الفقراء وقد اشرنا في قوله الا ان الدنيا
دار لا يسلم منها الا فيها الى ان المراد بالابتلاء من الله معاملته تعالى لعباده معاملة المبتلين المختبرين لانه سبحانه عالم الخفيات والسرائر
بلا تفاوت وفي حقيقة الاختبار حقيقة الا انا نريد هاهنا بيانا فنقول ان العبد اذا تمكن في خاطره ان ما يفعله الله من افاضة نعمه عليه او حرمانه
لها ابتلاء لشكره او صبره فشكر او صبر حصل من شكره او صبره على ملكات فاضلة في نفسه فيستعد بها لمزيد الكمال وتمام النعمة كما قال تعالى لئن
شكرتم لازيدنكم وقال وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
واولئك هم المهتدون واما التحقيق في امثال هذه القسمة من ضيق رزق وسعته او طول اجل او قصره ومعاقبة شدة لرخاء وحزن لفرح فهو
ان لكل واحد من هذه الامور اسباب قد تخفى على من تعرض له ولا بد من انتهائها الى قضاء الله فما عد منها خيرا فهو داخل في الارادة
الكلية للخير المطلق بالذات وما عد منها شرا فداخل في القضاء الالهي بالعرض كما علم ذلك في مظانه وبالله التوفيق

الفصل الثالث

في تمجيده سبحانه باعتبار كونه عالما بالاشياء وعد من جزئياتها جملة هي من قوله عالم السر من ضماير المضمرين الى قوله وناشئة خلق وسلالة
ولنشر الى ما عساه يشكل من الفاظه **الاول** خواطر رجم الظنون لما كان الخاطر الظني للانسان يتعلق بمظنون لا محالة بعد ان لم
يكن اشبه تعلقه به الرجم وهو الرمي بالحجر ونحوه فاستعير لفظه له وانما خص الظن بذلك دون العلم لان كثيرا ما يظن ما لا يجوز ظنا غير
مطابق وكما يظن بعض الناس ما يقبح منه ويصل اليه بسببه اذى وان لم يكن صدقا فكان اشبه الاشياء برميه بالحجر المستلزم للاذاة
الثاني عقد عزيمات اليقين ما انعقد في النفس من العزم عن يقين **الثالث** ومسارق ايماض الجفون لما اشبه شعاع البصر
البرق في وميضه واختفائه عند فتح الجفون وطبقها استعار لفظ الوميض لبروزه ولفظ المسارق لمخارجه **الرابع** استعار لفظ الاكنان (الوميض)
للقلوب بالنسبة الى ما اخفته من الاسرار ولفظ الغيابات للغيوب ووجه المشابهة كون القلوب حافظة كالبيوت وكون الظلمات مانعة
من ادراك المبصرات كما تمنع الغيوب ذلك فيما فيها **الخامس** مصائف الذر ومشاتي الهوام بيوتها واشهرها الصيفية والشتوية من بطن
الارض او اوقاتها لها من حر الصيف وبرد الشتاء ورجع الحنين من المولهات ترديد صوت الثكلى في بكائها وحنينها الى من فقدته **السادس**
ولائج غلف الاكمام انما حسنت الاضافة هنا لان كل كم غلاف ولا ينعكس فجاز تخصيص العام بالاضافة الى بعض جزئياته **السابع**
محط الامشاج محل نزول النطف من الاصلاب ومساربها ومجاريها الاوعية التي تنشر فيها المني والاخلاط التي تتولد عنها **الثامن** وما نشأ

في انه لابد لكل مطلوب

التاسع استعار لفظ القوم لدخول عروق النبات في بطونها اي ما تشربه وتدّخره من التراب واستعار لفظ الذيول لما اخذ الارض منها في
نواحي الارض لملاحظة شبهها بالماء ودوى بنات الارض بنفد الكباء وهي الهوام التي تنشأ في الرمل وتغوص فيه وتشبه الحلكة وهي دويبة
كالعظاءة دون الشبر صفراء ملساء تستعملها العرب للسمنة وكنوع من الحياة وغيرها **العاشر** وتعرّبه في لغات المنطق استعار لفظ المنطق
للطير ونحو المشابهات مدلول تعرّبها معلوم لله فاشبه النطق المفيد من الانسان **الحادي عشر** ما اوعته الاصداف كاللؤلؤ
والمرجان وما حضنت عليه امواج البحار من لؤلؤ وحيوان وغيرها لفظ الحضن مستعار للامواج ملاحظة لتشبيهها بالحواضن في انطباقها
على البيض والفراخ **الثاني عشر** سبحات النور ما نزّه منه عن كدر الظلمة ولفظ النور مستعار للمعارف وجلال الله والضمير في قوله
عليها يرجع الى الارض وقرارها النطفة مستقرّها من الارحام ولفظ القرار مستعار لمحل الحيض والمضغة الولد في بعض اطوار خلقته
كما عرفناه قبل وناشية الخلق ما ينشأ من خلق فانه **الثالث عشر** المجهد في ذلك كلمة الى قوله ولا فترة الكلفة كون الفعل
مستلزما للفاعل نوع مشقة وذلك المشقة اما لضعف قوة الفاعل بضعف الته او قصور علمه عن فتور ما يفعل والباري تعالى منزّه
عن هذه الامور لاستلزامها الحاجة وكذلك العارضة من عوارض موانع العلوم ونفوذها يستلزم وجود الفاعل والمثل وقد تنزّه قدس
الحق عنها واما الملالة فالمفهوم انصراف النفس عن الفعل بسبب تحلل الارواح الدماغية وضعفها عن العمل والعارض اخر لها وقد
علمت انها من لواحق الاجسام وكذلك الفترة والباري منزّه عنها **الرابع عشر** قوله بل نفذهم علمه الى قوله وعرّهم فضله اثبت
كل واحدة من هذه القرائن الاربع مقابلة للاربع التي نفاها فنفاذ علمه فيهم مقابل لما نفاه من لحوق الكلفة في علمه بهم واحصائه لهم
بعدّه مقابل لاعراض العارضة في حفظ خلقه ووسع عدله لهم مقابل لنفي الملالة عنوان الملالة في تنفيذ اموره وتدبير خلقه فانه
لو كان معنى عدله فيهم وضعه لكل موجود في مرتبته وتعيينه له ما يستحقه من زيادة ونقصان مضبوطا بنظام الحكمة واعراض الملالة في
سبب الاختلال نظام الفعل وقوله وعرّهم فضله مقابل لنفي الفترة فان فتور الفاعل عن الفعل مانع عن تتمة فعله وتمام وجوده
وقوله مع تقصيرهم عن كنه ما هو اهله تنبيه على حقارة عبادتهم في جنب عظمته واستحقاقه لما هو اهله لئلا يستكثروا شكرهم وثناءهم
ولا يشتكروا شيئا من طاعاتهم وبالله التوفيق **الفصل الرابع** في تمجيده خطابا له ودعاء وطلبا لجزاء ما سبق من ثنائه
عليه بالاوصاف الجميلة وهو رضاه عنه واغناؤه عن غيره وفيه اشارات **الاولى** قوله انت اهل الوصف الجميل والتعداد الكثير اشارة
الى انه تعالى بحسب استحقاقه الوصف باشرف طرفي النقيض كان اهل الوصف الجميل وباعتبار تعدد ثنائه وحمده بالنظر الى كل جزئي من
جزئيات نعمه هو اهل التعداد الكثير **الثانية** وقد بسطت لي فيما لا امدح به غيرك ولا اثني به على احد سواك اشارة الى توفيقه
له في شكره والثناء عليه بالاوصاف الجميلة التي لا يستحقها حقيقة الا هو ولا ينبغي الا هو ان تطلق الا له ومعنى هذا الاذن اما الهام
حسن شكر المنعم ومدحه اذ لا منعم في الحقيقة الا هو فلا يستحق التمجيد المطلق الا هو ومخاطبته له بايجاب الشكر كقوله تعالى واشكروا لله
ان كنتم اياه تعبدون وفي قوله تعالى ومن آناء الليل فسبّح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله وسبّحوه بكرة واصيلا واستعار لفظ المعادن
للخالق ووجه المشابهة معدن الشيء كان مظنة المطلوب منها كذلك الخالق ارباب النعم الفائضة مظان خيبة طالبها من ايديهم فهو مانعها
وكذلك مواضع الريبة اي الشك في منعهم وعطائهم لها ولذلك فسّره بقوله وعدلت بي عن مدائح الآدميين والثناء على المربوبين
المخلوقين **الثالثة** قوله دليلا نصب على الحال والمفعول والمراد برجائه دليلا على ذخائر الرحمة ورجاؤه ان يشوقه ويهديه الى وجوه
الاستعداد الى رحمته وينبّه عليه تنبيها للالتفات اليه عن كل خاطر سواه فان كل خاطر سوى الحق سبحانه ذنب في حق مثله عليه السلام
ولفظ الذخيرة والكنوز مستعار لجوده **الرابعة** قوله هذا مقام من افردك بالتوحيد اشارة الى مقامه بين يديه بهذا الذكر والتوحيد
وهو توطئة لذكر مطلوبه واستنزال رحمة الله ثم قال وحق فاقة الى ما قد ذكر وجه استحقاقه لجوده اولا وفقر سدّ ذلك الفاقة على فضله
اذ لم تكن فاقته امرا يتوقى بمكن المخلوقين الاتيان به ثم اردف بذكر مطلوبه وهو رضا الله واغناؤه عن سواه وظاهر ان حصولها مستلزم
نجاة الله عليه لا عليه من ذخائر رحمته وكنوز مغفرته وبالله العصمة والتوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما اريد على البيعة بعد
قتل عثمان دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وان الآفاق قد
اغامت والمحجة قد تنكرت واعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ولم اصغ الى قول القائل وعتب العاتب وان تركتموني فانا
كاحدكم ولعلي اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم وانا لكم وزيرا خير لكم مني اميرا **اقول** حاصل هذا الفصل انه لا بد
لكل مطلوب على امرين تعزز وتمنع والحكمة في ذلك ان الطالب له يكون بذلك ارغب فيما يطلب فان الطبع حريص على ما منع سريع النفرة
عما سورع الى اجابته فاراد التمنع عليهم ليقوى رغبتهم اليه فانهم لم يصل اليه هذا الامر الا بعد اضطراب في الدين في قتل عثمان والجرأة
على الله فاحتاج في تقويم الخلق وردّهم الى قواعد الحق ان يزدادوا فيه رغبة بهذا الكلام ومثله فقال دعوني والتمسوا غيري اشارة
انه ينبئهم بعد هذا التمنع على ان هاهنا امورا مختلفة يريد ان ينكرها عليهم ويقاوم ببعضهم فيها بعضا وينبههم على اصلاح وجعل

في بيان فضيلته وورود الترجمة منه

ع ١
ح

استقبالك الامور الصعبة ولا استقاله من هذا الامر فقال فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان لا تقوم له القلوب اي لا تصبر ولا تثبت عليه العقول بل تنكره وتاباه لمخالفته الشريعة ومظانه نظام العالم وذلك الامر هو ما كان يعلمه من اختلاف الناس عليه بعضهم من الناكثين والقاسطين والشبهات الباطلة كشبهة معوية واهل البصرة لدم عثمن وكشبهة الخوارج عليه في الرضا بالتحكيم ونحو ذلك وهو المكنى عنه بالوجوه والالوان كناية بالمستعار وقوله وان الافاق قد اغامت والمحجة قد تنكرت استعار لفظ الغيم لما غشي افاق البلاد وانظار القلوب المتحيرة العارضة لها من ظلمات الظلم والجهل ووجه المشابهة ما تستلزمه هذه الظلمات من توقع نزول الشرور منها كما يتوقع نزول المطر والصواعق من الغيم واشار بالمحجة الى واضح طريق الشريعة وتنكرها جهل الناس بها وعدم سلوكهم لها وقوله واعلموا الى قوله عتب العاتب لما تمنع عليهم وعلم صدق رغبتهم فيه شرع في تقرير ما يريد ان يفعله تقريرا لما عليهم مع تمنع دون الاول فاعلمهم انه على تقدير اجابتهم الى هذا الامر لا يركب بهم الا ما يعلم من امر الشريعة ولا يصغي الى قول قائل خالف امر الله تقتضيه هواه ولا عتب عاتب عليه في انه لم يفضله او لم يرضه بما يخالف ما يعلم من الشريعة اذ القائل والعاتب في ذلك مفتر على الله وعاتب عليه ولقد روي عنه عليه السلم بما وعدهم به من ذلك كما ستذكره في قصة اخيه عقيل لما استماحه صاعا من بر او شعير فحمى له حديدة وقربها منه فان عقيل فقال له ثكلتك الثواكل ايأن من حديدة حماها انسانها للعبة ولا تأن من نار احماها جبارها لغضبه لفظ الركوب مستعار لاستوائه على ما يعلم وقوله وان تركتموني الى اخره اي كنت كاحدكم في الطاعة لاميركم بل لعلي اكون اطوعكم له اي لقوة علمي بوجوب طاعة الامام وانما قال لعلي لانه على تقدير ان يولوا احدا يخالف امر الله لا يكون اطوعهم له بل اعصاهم واحتمال تولينهم لمن لم يكن قائما بما طاعته وتلزم طاعته له فاتي بحسن ايراد لعل والواو في قوله وانا للحال ووزيرا واميرا حالان والعامل ما تعلق بهما الجار والمجرور والوزير اللغوي هو المعين والظهير الحامل للوزر من يظاهره ويتقلده وظاهر انه كان وزير المسلمين ومقصده لهم والخيرية هنا تعود الى سهولة الحال عليهم في امر الدنيا فانه اذا كان اميرا لهم حملهم على ما يكره طباعهم من الصابرة في الحروب والتسوية في العطايا ومنعهم ما يطلبونه مما فيه للشريعة ادنى منع ولا كذلك اذا كان وزيرا لهم فان خط الوزير ليس الا المشورة والراي الصالح والمعاضدة في الحروب وقد يختلف في راي بحيث لا يتمكن من الزام العمل به وانما كان هذا التمنع دون الاول لان قوله ان اجبتكم فيه اطماع لهم بالاجابة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** اما بعد ايها الناس فانا فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترئ عليها احد غيري بعد ان ماج غيهبها واشتد كلبها فاسألوني قبل ان تفقدوني فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة الا انبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من اهلها قتلا ومن يموت منهم موتا ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الامور وحوازب الخطوب لاطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسئولين وذلك اذا قلصت حربكم وشمرت عن ساق وكانت الدنيا عليكم ضيقا تستطيلون ايام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم ان الفتن اذا اقبلت شبهت واذا ادبرت نبهت ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات يحمن حوم الرياح يصبن بلدا ويخطين بلدا الا ان اخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني امية فانها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها واصاب البلاء من ابصر فيها واخطأ البلاء من عمي عنها وايم الله لتجدن بني امية لكم ارباب سوء بعدي كالناب الضروس تعذم بفيها وتخبط بيدها وتزبن برجلها وتمنع درها لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم الا نافعا لهم او غير ضائر بهم ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار احدكم منهم الا مثل انتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى نحن اهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الاديم بمن يسومهم خسفا ويسوقهم عنفا ويسقيهم بكاس مصبرة لا يعطيهم الا السيف ولا يحلسهم الا الخوف فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لو يرونني مقاما واحدا ولو قدر جزر جزور لاقبل منهم ما اطلب اليوم بعضه فلا يعطونني **اقول** فقأت عينه عورتها وماج اضطرب والغيهب الظلمة والكلب الشر والكلب داء معروف والفئة الطائفة وناعقها الداعي لها والمناخ بالضم محل البروك وحوازب الخطوب ما حزب منها اي اصاب والتقلص التقبض وشبهت اشتبهت واوقعت الشبهة وحام الطائر دار والخطة الحال والامر والناب الناقة المسنة والضروس التي تعض حالبها والعذم العض وهو الاكل بجفاء والزبن الدفع وشوهاء جمع شوهاء وهي قبيحة المنظر ومنه ما يسا خسفا اولاه ذلا والعنف شدة السوق ويحلسهم اي يلبسهم الحلس وهو الكساء تحت برذعة البعير والجزر القطع ومنه سميت الجزور لما يجزر من الابل ومقصود هذا الفصل التنبيه على فضيلته وشرفه وفتنة بدو على رذيلة بني امية بذكر فتنتهم وما يكون منهم لبشدة انتقامهم وتقوى الرغبة اليه من وجهين احدهما باخباره عما سيكون والثاني بذكر الشرور من غيره فقوله فانا فقأت عين الفتنة اشارة الى فتنة اهل البصرة وغيرها واستعار لها لفظ العين لانها اشرف عضو في الوجه وبها تصرف الشخص وحركته ورشح الاستعارة بذكر الفقا وكنى به عن زوال فتنتهم بسيفه وقوله ولم يكن ليجترئ عليها احد غيري اي ان الناس كانوا لا يجترئون على قتال اهل القبلة ويخافون من ذلك الحرج والاثم ولا

في بيان فضيلته وتهديد لبني امية

اذا تبعوا
يعلمون كيفيته فقالوا لهم هل يتبعون مدبرهم وهل يجهزون على جريحهم وهل تسبى ذراريهم وتقسم اموالهم ام لا حتى اقدم عليه السلام
على قتلهم وفقاء عينها فسكنت بعد هياجها ومبدء ذلك حرب عايشة وقد صرّح عليه السلام بذلك في الفاظ اخرى فقال اما بعد فانا
فقأت عين الفتنة شرقيها وغربيها ومنافقها ومارقها لم يكن ليجترئ عليها غيري ولو لم اكن لما قوتل اصحاب الجمل ولا اصحاب صفين
ولا اصحاب النهر ويحتمل ان يكون المراد فقأت عين اهل الفتنة فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويكون فقأ عينه كناية
عن قتلهم وروي ان جمعا من المتوقفين عن الحرب كالاحنف بن قيس وجماعة معه وكثير ممن تورّع عنها تحرّجا عن انشاء ظلمات الشبهة عن تلك الفتن
في اذهان الناس فجعلوا ان خلاف طلحة وخروج عايشة كان حقا او باطلا فكان ذلك سببا لاضطرابهم وقتالهم وقتلهم وكنى
باشتداد كلبها عن شدة ما وقع منها من الشرور وكلب اهلها حرصهم على القتل والقتال كناية بالمستعار في الموضعين و
قوله فاسئلوني الى قوله ومن يموت موتا تعرّض للاسؤلة عما سيكون ولم يكن ليجترئ على ذلك احد غيره من بين سائر الصحابة
والتابعين ولو ادعى غيره ذلك لكذبه العيان وفضحه الامتحان وروي ان قتادة دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال
سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو اذ ذاك غلام حدث السن فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى
فسألوه فانقطع فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له بم عرفت ذلك فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا
لقال قال نملة وذلك ان النملة تقع على الذكر والانثى كالحمامة والشاة وانما يميز بينهما بعلامة التأنيث فانظر الى هذا
المجيب بعينه كيف انقطع عن سؤال يمكن الفطن ان يجيب عنه بادنى سعي فكيف به اذا سئل عن الامور المستقبلة التي لا يستند لها
من عالم الغيب الا من ايد بقوة الهية تكشف لنور بصيرته معها حجب الاسرار وقد بيّنا فيما سبق وجه تمكنه من الاخبار عما سيكون
وكيفية ذلك واراد بالناعقة الفئة واستعار اوصاف الابل ورغائها واصحابها من الناعق والقائد والسائق والمناخ و
الركاب والرحال للفئة المهتدية والضالة ومن يهديهم ويضلهم ملاحظة لشبههم بالابل في الاجتماع والانقياد لقائد و
داع والضمير في اهلها يعود الى الفئة وقوله ولو قد فقدتموني الى قوله المسئولين كراية الامور ما يكرهون منها وحوازب
الخطوب ما يصيبهم من الامور العظيمة المهمة واطراق السائلين لحيرتهم في عواقب تلك الخطوب وما يكون منها وكيفية الخلاص
وفشل كثير من المسئولين اي جبنوا عن ردّ الجواب لجهلهم بعواقبها وما يسئلون عنه منها وقوله وذلك اذا في اطراق السائلين
وفشل المسئولين وقوله اذا قلصت حربكم تفسير لكراهة الامور النازلة بهم واستعار لفظ التقليص والتشمير عن ساق الحرب
ووجه الاستعارة تشبيهها بالمجد في الامر الساعي فيه وكما انه اذا اراد ان يتوجه قلّص ثيابه وشمّرها عن ساقه لئلا تعوقه
وتعيقه واجمع عليه كذلك الحرب في كونها مجمعة على النزول بهم واللحوق لهم والواو في قوله وضاقت للعطف على شمّرت وموضع
تستطيلون النصب على الحال وقوله حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم اي الذين يبقون من بني امية في دينهم واعمارهم ويفتح
الله لهم بهلاكهم وزوال دولتهم وقوله ان الفتن اذا اقبلت شبّهت اي يكون في مبدئها مشتبهة بالحق في اذهان الخلق
واذا ادبرت نبّهت الاذهان على كونها فتنة بعد وقوع الهرج والمرج بين الناس واضطراب امورهم بسببها واكثر ما يكون ذلك عند
ادبارها كانقضاء الدول مثلا الذي يعرف به عامة الخلق كونها فتنة وضلالا عن سبيل الله اكثر ما يكون في آخرها فيكون
موذنا بزوالها وعلامة مبشرة وقوله ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات تفسير له اي لا يعرف في مبدأ الحال كونها فتنة وتشبه
لكونها حقا ودعاة هدى فاذا انقضت عرفت انها عن الحق بمعزل وان دعاتها كانوا دعاة ضلالة وقوله يحمن حوم الرياح استعار
لها لفظ الحوم ملاحظة لشبهها في دورانها الموهوم ووقوعها عن قضاء الله من دعاة الضلال ببلد دون بلد بالطائر والريح وكذلك
شبهها بحومها وكذلك لفظ الخطاء وقوله الا ان اخوف الفتن عندي الى آخره شروع في تعيين ما يريد ان يخبر به وهو بعض ما تعرض
للسؤال عنه وانما كانت هذه الفتن اخوف الفتن لشدتها على الاسلام واهله وكثرة بلوى اهل الدين فيها بالقتل وانواع
الاذى ويكفي في عظم تلك الفتنة هتكهم حرمة رسول الله صلعم وقتل الحسين ع وذريته وهتك حرمة الاسلام بهدم الكعبة وحرقها
وقتل ابن الزبير وسب علي ع على منابرهم سنة وما انتشر من البلاء وعم بتوليتهم الحجاج ودماء المسلمين الى غير ذلك من منكراتهم المسطورة
في التواريخ واشار بكونها فتنة عمياء الى ذلك واستعار لفظ العمى لها لجريانها على غير قانون حق كالاعمى المضطرب في حركاته في غير جهة
او لكونها لا يسلك فيها سبيل الحق كما لا يهتدي الاعمى العمياء وكذلك لفظ المظلمة وقوله عمّت خطتها لكونها ولاية عامة وخصّت
بليتها اي باهل التقوى وشيعة علي ع ومن بقي من الصحابة والتابعين الذين هم اعيان الاسلام وقوله اصاب البلاء من ابصر فيها
واخطاء من عمي عنها اي من اهتدى لكونها فتنة كان فيها في بلاء من نفسه ومنهم اما في نفسه فبالحزن الطويل من مشاهدة
المنكر واما منهم فلان المتقي العالم يكونهم ائمة ضلال معرض عنهم وغير داخل في نصرتهم الباطل وكان من شانهم تتبع من هذا
حاله بالاذى والقتل فكان البلاء به احق واما من لم يهتد لكونها فتنة بل كان في عمى الجهل عنها فهو منقاد لدعوتهم

الخلق

على نهج

الباطلة

في بيان فضيلة ورذالة بني امية

١٦
ج

البالطلة منساق بحث رايات ضلالهم جار على وفق اوامرهم فكان سالما من بلائهم ثم اردف ذلك بالقسم انه ليجدنهم الناس ارباب سوء لهم وشبههم
في اضرارهم بالناب الضروس تعذم بفيها واشار الى وجه الشبه باوصاف فكدمها وعضها وخبطها بيدها وزبنها برجلها ومنعها درها اشار
الى جميع حركاتها المؤذية وهي تشبيه حركاتهم في الخلق بالاذى والقتل ومنع الرفد والاستحقاق من بيت المال ثم اردف ذلك بذكر
غايتين من حركاتهم الشريرة وبلائهم للناس احديهما انهم لا يتركون من الاذى والقتل الا احد رجلين اما نافع لهم سالك مسلكهم
او من لا يضرهم بانكار منكر عليهم ولا يخافونه على دولتهم من سائر العوام والسوقة الثانية ان لا يكون انتصارهم مثل انتصار العبد من سيده
والصاحب ممن استصحبه اى كما لا يمكن العبد ان ينتصر من سيده والتابع المستصحب الذى من شأنه الضعف وعدم الاستقلال بنفسه
ممن يستصحبه كذلك لا يمكن بقية هؤلاء ان ينتصروا من بنى امية اصلا ويحتمل ان يريد هناك ما يشبه الانتصار من الغيبة ونحوها كما قال
عليه السلام في موضع اخر كذلك لا يمكن بقية هؤلاء ان ينتصروا من بنى امية اصلا ويحتمل ان يريد هناك ما يشبه الانتصار من الغيبة
ونحوها كما قال في موضع اخر ويكون نصرة احدكم كنصرة العبد من سيده اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه ثم اردف ذلك بذكر
فتنتهم وانها مشتملة على فتن واحدة تأتى شوهاء مخشية وقطعا كقطع الليل المظلم ومن روى فتنهم بلفظ الجمع فاراد جزئيات شرورهم في دولتهم
واستعار لفظ الشوهاء لقبحها عقلا وشرعا ووجه المشابهة كونها منفورا عنها كما ان قبيحة المنظر كذلك وكذلك استعار لفظ القطع
لورودها عليهم دفعات كقطع الخيل المقبلة في الغارة والحرب واشار بكونها جاهلية الى كونها على غير قانون عدلى كما ان حركات اهل
الجاهلية كانت كذلك ولذلك قال ليس فيها منار هدى ولا علم يرى اى ليس فيها امام عدل ولا قانون حق يقتدى به وقوله نحن اهل البيت
منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة اى انا ناجون من اثامها ولا ندخل فيها ولا ندعو الى مثلها وليس المراد انا سالمون من اذاهم غير داعين
فيها الى الحق بشهادة دعوة الحسين ع الى نفسه وقتله واولاده وهتك ذريته ويحتمل ان يريد انا بمنجاة من اثامها ولسنا فيها بدعاة
معكم والحسين ع لم يكن داعيا مبتعثا من نفسه للدعوة وانما كان مدعوا الى القيام من اهل الكوفة ومجيبا لهم وقوله ثم يفرجها الله
كتفريج الاديم الى قوله الا الخوف اشارة الى زوال دولتهم بظهور بنى العباس عليهم وقتلهم واستيصالهم وتتبعهم لاشلائهم وحصول الفرج منهم
لبقية الابرار من عباد الله المقصودين باذاهم كما يفرج الجلد اى يشق عما فيه من اللحم واولئك هم بنوا العباس من الذل والهوان واذاقوهم كاس
العذاب طعوما مختلفة واردوهم حياض الموت الوانا شتى كما هو مذكور في كتب التواريخ ولفظ الكاس والتصبير والعطية مستعار وكذلك
لفظ التحليس ووجه المشابهة جعلهم الخوف شعارا لهم كما ان حلس البعير كذلك وقوله حتى تود قريش الى اخره اشارة الى غاية هذه الفرقة
المتغلبة من قريش على هذا الامر ان حالهم في التزلزل والضعف عن مخاديمهم ينتهى الى ان يحبوا رؤيته مقاما واحدا مع انه ابغض الخلق
اليهم ليقبل منهم ما يطلب اليوم بعضه من نصرتهم له واتباعهم لامره وانقيادهم لهداه ويمنعونه اياه وكنى عن قصر ذلك المقام المتمنى
له بقوله ولو قدر جزر الجزور وصدق ذلك في هذا المخبر فان ارباب السير نقلوا ان مروان بن محمد اخر ملوك بنى امية قال يوم الزاب وهو بين يديه
عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس مارا في صف خراسان لوددت ان على بن ابى طالب تحت هذه الرايات بدلا من هذا الفتى والقصة
مشهورة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** فتبارك الله الذى لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن الاول الذى لا غاية
له فينتهى ولا اخر له فينقضى **اقول** تبارك تفاعل مشتق من البروك المستلزم للمقام في موضع واحد والثبات فيه وقيل من البركة وهو
الزيادة وبالاعتبار الاول يكون اشارة الى عظمته باعتبار دوام بقائه واستحقاقه قدم الوجود لذاته وبقاء وجوده لا عن استفتاح ولا انقطاع وبالاعتبار
الثانى اشارة الى فضله واحسانه ولطفه وهدايته ونحوها مما يثنى عليه وقوله الذى لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن كقوله في صدر
الخطبة الاولى الذى لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الا انه ابدل الغوص هنا بالحدس والحدس في اللغة الظن وفي اصطلاح العلما
لما كان الفكر عبارة عن حركة الذهن منتقلا من المطالب الى المبادى ثم منها الى المطالب كان الحدس عبارة
عن جودة هذه الحركة الى اقتناص الحد الاوسط من غير طلب وتجشم كلفة وهو مقول بحسب التشكيك وهو بجميع اعتباراته وباعلى درجاته
قاصر عن نيل ذات الحق تعالى كما سبق وقوله الاول الى اخره فقد تقدم تفسير اوليته واخريته غير مرة وبالله التوفيق **منها** قوله فاستودعهم
في افضل مستودع واقرهم في خير مستقر تناسختهم كرائم الاصلاب الى مطهرات الارحام كلما مضى سلف قام منهم بدين الله
خلف حتى افضت كرامة الله سبحانه الى محمد صلى الله عليه وآله فاخرجه من افضل المعادن منبتا واعز الارومات مغرسا
من الشجرة التى صدع منها انبياءه وانتجب منها امناءه عترته خير العتر واسرته خير الاسر وشجرته خير الشجر نبتت في حرم
وبسقت في كرم لها فروع طوال وثمرة لا تنال فهو امام من اتقى وبصيرة من اهتدى سراج لمع ضوؤه وشهاب سطع نوره وزند برق
لمعه سيرته القصد وسنته الرشد وكلامه الفصل وحكمه العدل ارسله على حين فترة من الرسل وهفوة عن العمل وغباوة
من الامم اعملوا رحمكم الله على اعلام بينة فالطريق نهج يدعو الى دار السلام وانتم في دار مستعتب على مهل وفراغ والصحف منشورة

المضروبهم
منهم الآمر
لينتصروا
البيت
يفرجها
حدس
بعد
منهم
امام

في انّ من مضى منهم قام خلف

والايام جارية والابدان صحيحة والالسن مطلقة والتوبة مسموعة والاعمال مقبولة **اقول** النسخ النقل وافضت انتهت والارومة الاصل
والصدع الشق وعترة الرجل نسله ورهطه الادنون واسرته قومه وبسقت طالت والزند العود الاعلى يقدح به والنهج الواضح وقوله واستودعهم
الى قوله خلف اشارة الى الانبياء عليهم السلام القائمين بدين الله واعلم ان دين الله واحد بعث جميع الانبياء لتسليك الخلق اياه وله اصول
وفروع فاصوله الطرق الى معرفته والاستكمال بها وجماع مكارم الاخلاق في معاشهم ومعادهم وهذه الامور هي المراد من الشرع وهو اصل (ونظام امر الخلق)
لا يخالف فيه نبي نبيا فاما الاختلافات الواقعة في الشرائع فهي امور جزئية بحسب مصالح جزئية تتعلق بوقت الرسول المعين وحال الخلق
المرسل اليهم يوقع عليها ذلك الاصل وتكون كالمشخصات له والعوارض التي تختلف بها الطبيعة الواحدة النوعية وافضل مستودع استودعهم
فيه حظائر قدسه ومنازل ملائكته وخير مستقر اقرهم فيه ومحل كرامته في مقعد صدق عند مليك مقتدر وتناسخ الاصلاب لهم
الى مطهرات الارحام نقلهم اليها نطفا وكرائم الاصلاب ما كرم منها وتحوط الاصلاب بحيث يمثلهم ان توصف بالكرم ومطهرات الارحام ما طهر منها
وحق لما استعد منها لانتاج مثل هذه الامزجة وقبولها ان تكون طاهرة من كدر الفساد والتشبه بطهرون اصول الانبياء من طرف
الاباء والامهات عن الشرك ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله نقلنا من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الزكية ويحتمل ان يريد بافضل
مستودع وخير مستقر في مبدا امرهم اصلاب الاباء وارحام الامهات ويكون قوله تناسخهم تفسيرا له وبيانا وقوله كلما مضى منهم سلف قام
بدين الله منهم خلف اشارة الى ضرورة وجود الانبياء عند الحاجة اليهم على التعاقب وقد سبقت الاشارة اليه وقوله حتى افضت كرامة الله
الى محمد صلى الله عليه وآله الى قوله امناؤه اشارة الى غاية سلسلة الانبياء عليهم السلام وكنى بكرامة الله عن النبوة واستعار لفظ المعادن والمنابت
والمغرس لطينته النبوة وهو مادته العنصرية التي استعدت لقبول مثله ووجه الاستعارة ان تلك المادة منشأ لمثله كما ان الارض معادن الجواهر
ومغرس الشجر الطيب وعنى ان اصلا سمح بمثله افضل المعادن واعز الاصول وقيل اراد بذلك مكة شرفها الله تعالى وقيل بيته وقبيلته ثم ميزه بما
به اخص واشرف فقال من الشجرة التي صدع منها انبياءه فاستعار لفظ الشجرة لصنف الانبياء وكما ان الشجرة اشرف من طينتها كل صنف
الانبياء اشرف من قوابل صورهم ووجه الاستعارة هو ما كنى بالانصداع عنه من تفرع اشخاص الانبياء عن صنفهم كما يتفرع اغصان الشجرة منها
وامناءه اى على رسالته وقوله عترته خير العتر واسرته خير الاسر بيان لعترته لما عرفت انها اخص واقرب من الاسرة ومصداق فضيلة عترته
قوله صلى الله عليه وآله سادة اهل المحشر سادة اهل الدنيا انا وعلي وحسن وحسين وحمزة وجعفر ووجه فضيلة اسرته قوله صلعم ان
الله اصطفى من العرب واصطفى من معد بني النضر كنانة واصطفى هاشما من بني النضر واصطفاني من بني هاشم وقوله صلى الله عليه وآله قال (مصداق)
لي جبرئيل يا محمد قد طفت الارض شرقا وغربا فلم اجد فيها اكرم منك ولا اكرم بيتا اكرم من بني هاشم وقوله صلى الله عليه وآله نبع لقريش
برهم لبرهم وفاجرهم (لفاجرهم) وقوله وشجرته خير الشجر قيل اراد بالشجرة الموضعين ابرهيم وقيل اولاد هاشم وعلاقته بقريته قوله نبتت في حرم واراد
مكة ورشح تلك الاستعارة بوصف الانبات والبسوق وكنى بالكرم الذي فيه عن زكاة اصلها وما استلزم من الفضل وكنى بالفروع عن نسله
صلى الله عليه وآله وذريته وسائر النجباء من بني هاشم وبوصفهم بالطول عن بلوغهم في الشرف والفضل الغاية البعيدة وهو ترشيح للاستعارة
وكنى بالثمر عن العلوم والاخلاق المنتفع بها عنه وعن الائمة من امته وبكونها لا تنال عن شرفها وعن غموض اسرارها اى انها لشرفها وعلوها
لا يمكن ان يتطاول فيها ولغموض اسرارها لا تصل الاذهان اليها وقوله فهو امام من اتقى الى قوله لمع استعار لفظ البصيرة والسراج والشهاب
والزند له ص ووجه الاستعارة كونه سببا لهداية الخلق كما ان هذه الامور اسباب لذلك ورشح استعارة السراج بلمعان الضوء والشهاب بسطوع
النور والزند ببرقه اللمع ويحتمل ان يكون وجه استعارة الزند هو كونه مثيرا لانوار العلم والهداية وقوله سيرته القصد اى طريقته العدل
والاستواء على الصراط المستقيم وعدم الانحراف الى احد طرفي الافراط والتفريط وسنته الرشد اى سلوك طريق الله عن هداية وكلامه الفصل
اى الفاصل بين الحق والباطل كقوله تعالى انه لقول فصل وحكمه العدل الواسط بين رذيلتي الظلم والانظلام وقوله ارسله على حين فترة من
الرسل وهفوة من العمل اى زلة عنه وغباوة من الامم اى جهل منهم وعدم فطنة لما ينبغي وقد سبق بيان الفترة وقوله اعملوا رحمكم الله على اعلام
بينة استعار لفظ الاعلام للائمة الدين وما بايديهم من مصابيح الهدى وكنى بكونها بينة عن وجودها وظهورها بين الخلق وقوله والطريق
نهج يدعو الى دار السلام فالطريق الشريعة ونهجه وضوحها في زمانه وقرب العهد بالرسول ص وظاهر كون الشريعة داعية الى الجنة واسناد
الدعوة الى الطريق مجاز اذ الداعي هو ناهج الطريق وواضعها وقوله وانتم في دار مستعتب اى دار الدنيا التي يمكن ان تستعتبوا فيعتبوا اى يطلبوا
رضا الله بطاعته فيرضى عنكم وعلى مهل اى امهال وانظار وفراغ من عوائق الموت وما بعده وقوله والصحف منشورة الى آخره الواو
للحال والمراد صحائف الاعمال واقلام الحفظة على الخلق اعمالهم وفائدة التذكير بهذه الامور التنبيه على وجوب العمل معها وتذكر
اضدادها مما لا يمكن معه العمل ولا ينفع الندم من الموت وطي الصحف وجفاف الاقلام وفساد الابدان وخرس الالسنة وعدم سماع
التوبة كما قال تعالى فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** بعثه
والناس ضلال في حيرة وحاطبون في فتنة قد استهوتهم الاهواء واستزلتهم الكبرياء واستخفتهم الجاهلية الجهلاء حيارى

في زلزال

في معنى الظاهر والباطن

في ذلك الزلزال من الامر وبلاء من الجهل فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة ومضى على الطريقة ودعا الى الحكمة والموعظة. **اقول** الفصل لتقرير فضيلة الرسول صلعم والواو في والناس للحال اي في حال ما هم ضالون عن سبيل الله خبر من ام وما ذا متبعون وحاطبون في فتنة اي كانت حركاتهم على غير نظام في ضلال البدع ومن روى حاطبون فهو استعاره ووجهها كونهم يجمعون في ضلالهم وفتنتهم ما اتفق من اقوال وافعال كما يجمع الحاطب ومنه المثل حاطب ليل لمن جمع الغث والسمين والحق والباطل في اقواله وقوله قد استهوتهم الاهواء اي جذبتهم الآراء الباطلة الى مهاوي الهلاك والى نفسها واستزلتهم الكبرياء اي قادتهم الى الزلل والخطل عن طريق العدل و اقتفاء آثار الانبياء في التواضع ونحوه واستخفتهم الجاهلية الجهلاء فطارت بهم الى ما لا ينبغي من الغارات والقتال في الارض فكانوا ذوي خفة وطيش ولفظ الجهلاء تاكيد للاول كما يقال ليل اليل ووتد واتد وقوله حيارى في زلزال من الامر وبلاء من الجهل اي لا يهتدون لجهلهم الى مصالحهم فهو منشأ اضطراب امورهم وبلائهم بالغارات وسبي بعضهم بعضا وقتلهم وقوله فبالغ الى آخره مضيه على الطريقة سلوكه لسبيل الله من غير انحراف ودعوته الى الحكمة والموعظة هي دعوته الى سبيل الله بهما امتثالا لقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فالدعوة بالحكمة الدعوة بالبرهان وبالموعظة الدعوة بالخطابة وقد سبقت الاشارة الى ذلك في المقدمات والله ولي التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الاول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده والظاهر فلا شيء فوقه والباطن فلا شيء دونه

اقول اثنى على الله سبحانه باعتبارات اربعة الاولية والآخرية والظاهرية والباطنية واكد كل واحد منها بما له فكمال الاولية بسلب قبلية شيء عنه وكمال الآخرية بسلب بعدية كل شيء له والظاهرية بسلب فوقية شيء له والباطنية بسلب شيء دونه والمراد بالظاهر هنا الغالب فلذلك حسن تاكيده بسلب فوقية الغير له وبالباطن الذي بطن خفيات الامور علما وهو بهذا الاعتبار اقرب الاشياء اليها فلذلك حسن تاكيده بسلب شيء هو دونه اي ما هو اقرب اليها منه وحصلت المقابلة بين الداني والعالي ويحتمل ان يريد بالظاهر البين ويكون معنى قوله فلا شيء فوقه اي لا شيء يوازيه في وجوده ويحجبه عن معرفة خلقه ويريد بالباطن الخفي ومعنى فلا شيء دونه اي في الخفاء وقد سبق بيان هذه الاعتبارات الاربعة غير مرة وبالله التوفيق **منها** في ذكر الرسول صلعم مستقره خير مستقر ومنبته اشرف منبت في معادن الكرامة ومماهد السلامة قد صرفت نحوه افئدة الابرار وثنيت اليه ازمة الابصار دفن به الضغائن واطفأ به النوائر والف به اخوانا وفرق به اقرانا اعز به الذلة واذل به العزة كلامه بيان وصمته لسان **اقول** المماهد جمع ممهد والميم زائدة وثنيت الابل صرفت والضغائن الاحقاد والنوائر جمع نائرة وهي العداوة والمخاصمة والاقران الاخوان المفترقون واشار بمستقره الى مكة وكونها خير مستقر لكونها ام القرى ومقصد خلق الله ومحل كعبته ويحتمل ان يريد محله من جود الله وعنايته وظاهر كونه خير مستقر واستعار لفظ المنبت والمعادن وقد مر بيان وجه استعارتهما ومماهد السلامة محال التوطئة لها وهي كناية عن مكة والمدينة وما حولها فانها محل عبادة الله والخلوة بها التي هي مهاد السلامة من عذابه وانما كانت كذلك لكونها دار القشف الخالية عن المشتهيات والقينات الدنيوية ويحتمل ان يريد بمماهد السلامة ما تقلب فيه ونشأ عليه من مكارم الاخلاق الممهدة للسلامة من سخط الله وفي قوله وقد صرفت نحوه افئدة الابرار تنبيه على ان الصارف هو لطف الله وعنايته بهم بالالتفات بقلوبهم الى محبته للاستضاءة بانواره وهداه ولما استعار لفظ الازمة للابصار ملاحظة لشبهها بها في الابل رشح تلك الاستعارة بذكر الثني وكنى بذلك عن التفات الخلق اليه بابصارهم ونظرهم اليه بالمحبة والتعظيم ثم استعار لفظ الدفن لاخفاء الاحقاد بسبب دينه ان كانت ظاهرة مجاهرا بها ولفظ الاطفاء لازالة العداوة بين العرب بالتاليف بين قلوبهم كما قال تعالى في اظهار المنة على عباده واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا والاقران المفرق بهم هم المتعاونون على الشرك وقوله اعز به الذلة اي ذلة الاسلام واهله واذل به العزة اي عزة الشرك واهله وبين كل قرينتين من هذه الستة مقابلة ومطابقة فقابل الفرقة بالتاليف وبالذلة الاعزاز وبالعزة الاذلال وقوله وكلامه بيان اي لما اشكل من احكام كتاب الله كقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم وقوله وصمته لسان استعار لفظ اللسان لسكوته ووجه المشابهة ان سكوته صلى الله عليه وآله مستلزم للبيان من وجهين احدهما انه كان يسكت عما لا ينبغي من القول فيعلم الناس السكوت عن الخوض فيما لا يعنيهم الثاني ان الصحابة كانوا اذا فعلوا فعلا على سنن عاداتهم فسكت عنهم ولم ينكره عليهم علموا بذلك انه على حكم الاباحة فكان سكوته عنهم في ذلك بيانا له واشبه سكوته عند ذلك اللسان المعرب عن الاحكام وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام ولئن امهل الله الظالم فلن يفوت اخذه وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه وبموضع الشجا من مساغ ريقه اما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ليس لانهم اولى بالحق منكم ولكن لاسراعهم الى باطل صاحبهم وابطائكم عن حقي ولقد اصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها واصبحت اخاف ظلم رعيتي استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا واسمعتكم فلم تسمعوا ودعوتكم سرا وجهرا فلم تستجيبوا ونصحت لكم فلم تقبلوا اشهود كغياب وعبيد كارباب اتلو عليكم الحكم فتنفرون منها واعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها واحثكم على جهاد اهل البغي فما اتي على آخر قولي حتى اراكم متفرقين ايادي سبا ترجعون الى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم اقومكم غدوة وترجعون الي عشية كظهر الحنية عجز

في [illegible] أهل الكوفة

المقوّم وأعضل المقوّم أيها الشاهدة أبدانهم الغائبة عنهم عقولهم المختلفة أهواؤهم المبتلى بهم أمراؤهم صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه
وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني
رجلا منهم يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث واثنتين صم ذوو أسماع وبكم ذوو كلام وعمي ذوو أبصار لا أحرار صدق عند اللقاء ولا
إخوان ثقة عند البلاء تربت أيديكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر والله لكأني بكم فيما
إخال لو حمس الوغى وحمي الضراب قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها إني لعلى بينة من ربي ومنهاج من نبيي وإني
لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطا انظروا إلى أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم
في ردى فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا ولقد رأيت أصحاب
محمد صلى الله عليه وآله فما أرى أحدا يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا قد باتوا سجدا وقياما يراوحون بين جباههم
وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى
تبل جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب ورجاء للثواب **أقول** المرصاد الطريق يرصد بها
والرصد الراقب والشجا الغصص باللقمة وغيرها والحث السوق الشديد وأعضل أشكل والحنية القوس ومني ابتلي وتربت أصابت
التراب دون الخير وإخال أحسب والوغى الحرب وأصله من الأصوات وحمس اشتد والسمت الطريقة ولبد الطائر لصق بالأرض فقوله ولئن
أمهل الله الظالم إلى قوله ريقه في معرض التهديد لأهل الشام بأخذ الله لهم وعدم فوتهم والتزامهم بالرصد على جميع حركاتهم وعلى مجاز طرقهم
التي هم سالكوها حذرا لا وعلى موضع الشجى من مساغ ريقهم وهو الحلق وفي ذكر الشجى وكون الله بالرصد تنبيه على أن الله تعالى في مظنة أن يجب
الظالم ليعفو بأنه عنه إطلاعه على ظلمه كما قال تعالى أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف ثم أردف ذلك بالقسم لبيان ليظهرن
أصحاب معاوية عليهم تنفيرا لهم إلى منافسهم ثم نفى ما عساه يتوهمه أنه علة غلبتهم لهم كيلا يتخاذلون بسبب ذلك وهو قوله ليس لأنهم أولى
بالحق منكم وأردفه بتعيين السبب الحق في ذلك وهو قوله لكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم أي أمره الباطل وإبطائكم عن حقي إذ كانت النصرة
باجتماع الكلمة وطاعة الإمام لا باعتقاد حقية أمره مع التخاذل عنه ثم أردف ذلك بتوبيخهم وتنفيرهم عما هم عليه من مخالفة أمره بقوله
ولقد أصبحت الأمم إلى قوله رعيتي لأن شأن الرعية الخوف من سلاطينها فإذا كان حاله مع رعيته بالعكس كانت الأئمة عليهم بعصيانهم
دون جورهم عليه وأما الشفقة فيهم فكأنهم في محل ظلم نفسه ولقد أشفق عليه السلام منهم في مواطن كثيرة كيوم التحكيم إذ قالوا له إن لم ترض فعلنا
وفعلنا بك كما فعلنا بعثمان ونحو ذلك ثم أردف وجوه تعصيتهم ببيان ما فعل في حقهم من الأيادي الجميلة والهداية إلى وجوه المصالح من
استنفاره لهم لجهاد عدوهم وحفظ بلادهم وإسماعهم لدعوته إلى مصالحهم سرا وجهرا ونصيحته لهم بالوجوه الصائبة من آرائه وهو كقوله تعالى حكاية
عن نوح قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا إلى قوله إسرارا ثم شبههم
بالغياب مع شهادتهم وبالأرباب مع كونهم عبيدا ووجه التشبيهات الغائبة في مشاهدة الموعظة دون الغائب عنها وهو سماعها والانتفاع
بها فإذا لم يسمعوا كانوا كالغائب عنها في عدم الانتفاع بها وأما الثانية فلأنهم رعية من شأنهم التعبد لأوامر إمامهم ثم إنهم لتعززهم و
شموخهم كبرا وعدم طاعتهم كالأرباب الذين من شأنهم أن يأمروا ولا يأتمروا ثم وبخهم بنفارهم عما يتلو عليهم من الحكم ونفرهم عن موعظته
البالغة ثم وأهل البغي إشارة إلى أهل الشام وأيادي سبا مثل يضرب في شدة التفرق فضربه لتفرقهم عن مجالس الذكر وهما
لفظان جعلا اسما واحدا كمعدي كرب وسبا قبيلة من أولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وأصل المثل أن هذه القبيلة كانت
بمأرب فلما أن وقت انفتاح سد مأرب وأن طريفة الكاهنة ذلك الأمر وعرفته الفتنة إلى عمرو بن عامر الملقب بمزيقياء فباع أمواله
بمأرب وارتحل إلى مكة فأصابت هؤلاء الحي وكانوا لا يعرفونها ففزعوا إلى الكاهنة فأخبرتهم بما سيقع وقالت إنه مفرق بيننا و
فاستشاروها في أمرهم فقالت من كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد فكانت أزد عمان
ثم قالت ومن كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على أزمات الدهر فعليه بالأراك من بطن مر فكانت خزاعة ثم قالت ومن كان منكم يريد
الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الأوس والخزرج ثم قالت ومن كان منكم يريد الخمر والخمير و
الملك والتأمير ويلبس الديباج والحرير فليلحق ببصرى وعوير وهما من أرض الشام فكان الذين يسكنونها آل جفنة من غسان
ثم قالت ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الأرزاق والدم المهراق فليلحق بأرض العراق فكان منهم آل جذيمة
الأبرش ومن كان بالحيرة وآل محرق فضربت العرب بتفرقهم في البلاد هذا المثل وسار فيمن يتفرق بعد اجتماع ثم لما كانت المخادعة
هي الاشتغال عن المصلحة قال يتخادعون أي إذا رجعوا من مجلس وعظه أخذ كل منهم يشغل صاحبه عن تذكر الموعظة ويشغله بغير
ذلك من الأحاديث وإن لم يكن عن قصد خداع بل نفع منهم صور المخادعة وتقويمه لهم بالغداة إصلاح أخلاقهم بالحكم والمواعظ و
رجوعهم إليه عشية كظهر الحنية أي معوجين كظهر القوس وهو تشبيه للمعقول من اعوجاجهم وانحرافهم عن جميل الأخلاق بالمحسوس

اتى

بيان

ابن ميثم

وقوله عم

وقوله عجز المقوم اشارة الى نفسه واعتراف بعجزه عن تقويمهم واعضل المقوم اى اشكل امرهم واعيته ادواؤهم علاجا ثم عاد الى ندائهم وتنبيههم
بذكر معايبهم ليتفطنوا لها فوصفهم بشهادة الابدان مع غيبة العقول ثم باختلاف الاهواء ثم بكونهم ممن ابتلى بهم امراؤهم ثم نبه على
رذيلتهم من مخالفة امره مع كونه مطيعا لله وما عليه خصومهم من طاعة امامهم مع كونه عاصيا لله وجعل ذلك مقابلة بينهم ليظهر
الفرق فيشتد ركهم للغيرة ثم اردفه بتحقيرهم وتفضيل عدوهم عليهم في الباس والنجدة واستقامة الحال فاقسم انه ليود ان يصارفه معوية
بهم صرف الدينار بالدرهم وذلك قوله يا اهل الكوفة الى قوله رجلا منهم ثم اردف ذلك ببيان ما ابتلى به منهم واشار الى خمس خصال و
انما قال بثلث واثنتين لتناسب الثلث وكون الثنتين من نوع اخر فالثلث الصم مع كونهم ذوى اسماع والبكم مع كونهم ذوى كلام
والعمى مع كونهم ذوى ابصار وجمعه لهذه الثلث مع اضدادها هو سبب التعجب منهم والتوبيخ لهم واراد بها عدم انتفاعهم في مصالحهم
الدينية ونظام امور دولتهم بالة السمع واللسان والعين فان من لم ينتفع بسمعه وبصره عبرة ومن لم يكن كلامه فيما يعنيه كان كفاقد
هذه الالات في عدم الانتفاع بها بل كان فاقدها احسن حالا منه لان وجودها اذا لم يفد منفعة اكسب مضرة فلا منها عادمها
واما الثنتان فكونهم لا احرار صدق عند اللقاء اى انهم عند اللقاء لا يصدق حربهم ولا تنفع نجدتهم من مخالطة الجبن والتخاذل
والفرار للحر الخالص من شوب الرذائل والمطاعن ثم كونهم غير اخوان ثقة عند البلاء اى ليسوا ممن يوثق باخوتهم في الابتلاء بالنوازل
ثم عاد الى الدعاء عليهم على وجه التضجر منهم وتشبيههم بالنعم فقوله تربت ايديكم دعاء بعدم اصابة الخير وقوله يا اشباه الابل غاب
عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب ذكر للتشبيه والمشبه به ووجه الشبه ثم اردفه بذكر رذيلة يظنها منهم بامارات انها هي
تفرقهم عنه على تقدير اشتداد الحرب مشبها انفراجهم عنه بانفراج المرأة عن قبلها اى رجعوا الى الانفة وتسليم المرأة لقبلها وانفراجها عنه اما وقت الولادة
او وقت الطعان ثم عاد الى ذكر فضيلته لتستيقن قلوبهم وينبوا لفهمها والبينة التي هو عليها من ربه ايات الله وبراهينه الواضحة على وجوده
والتفقه بما هو عليه من سلوك سبيله وهو كقوله تعالى قل انى على بينة من ربى والمنهاج من نبيه طريقه وسنته والطريق الواضح الذي
هو عليه سبيل الله وشريعة دينه والتقاطه له لفظا لتتبعه وتميزه على طريق الضلال بالسلوك له ثم اردف فضيلته بالامر باعتبار اهل
البيت ولزوم سمتهم واقتفاء اثرهم واشار الى جهة وجوب اتباعهم بكونهم يسلكون بهم سبيل الهدى لا يخرجون عنه ولا يردونهم الى
ردى الجاهلية والضلال القديم وفيه ايماء الى ان اتباع غيرهم يؤدى الى ذلك وقوله فان لبدوا اى ان سكنوا واحتبوا لزوم البيوت على طلب
امر الخلافة والقيام فيه فتابعوهم في ذلك فان سكونهم قد يكون لمصلحة يغيب علمها عن غيرهم وان نهضوا الى ذلك فانهضوا معهم ثم
نهاهم عن ان يسبقوا فيضلوا اى ان تقدمتموهم فيه فان متقدم الدليل شانه الضلال عن القصد وان لا يتاخروا عنهم فيهلكوا
اى لا يتاخروا عن متابعتهم في اوامرهم وافعالهم بالمخالفة لهم فيكونوا من الهالكين في تيه الجهل وعذاب الاخرة والامامية تخص ذلك
بالاثنى عشر من اهل البيت عليهم السلم وقوله ولقد رايت اصحاب رسول الله ص الى اخره مدح لخواص الصحابة وذكر مكانهم من خشية الله
ودينه ترغيبا في مثل تلك الفضائل وحركا بقوله فما ارى احدا يشبههم ما عساه يدرك السامعين من الغيرة على تلك الفضائل
ان يختصوا بها دونهم وذكر من ممادحهم اوصافا **احدها** الشعث والاغبرار وهو اشارة الى قشفهم وتركهم زينة الدنيا ولذاتها **الثاني**
بياتهم سجدا وقياما واشار به الى احيائهم الليل بالصلوة وهو كقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما **الثالث** مراوحتهم بين
جباههم وخدودهم وقد كان احدهم اذا تعبت جبهته من طول السجود راوح بينها وبين خده **الرابع** وقوفهم على مثل الجمر من ذكر معادهم
واشار به الى قلقهم ووجدهم من ذكر المعاد واهوال يوم القيمة كما يقلق الواقف على الجمر مما يجده من حرارته **الخامس** كان بين اعينهم
ركب المعزى من طول سجودهم ووجه المشابهة ان محال سجودهم من جباههم كانت قد اسودت وماتت جلودها وقست كما ان ركب
المعزى كذلك **السادس** انهم كانوا اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل جيوبهم ومن روى جباههم فلان في حال سجودهم ممكن ومادوا كما
يميد الشجر بالريح العاصف خوفا من عقابه تعالى ورجاء لثوابه فتارة يكون ميدانهم وقلقهم عن خوف الله وتارة يكون عن ارتياح و
اشتياق الى ما عنده من عظيم ثوابه وهو كقوله تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم**
والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرما الا استحلوه ولا عقدا الا حلوه وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا دخله
ظلمهم ونبا به سوء رعيهم وحتى يقوم الباكيان باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه وحتى تكون نصرة احدكم من احدهم
كنصرة العبد من سيده اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه وحتى يكون اعظمكم فيها عناء احسنكم بالله ظنا فان اتاكم
الله بعافية فاقبلوا وان ابتليتم فاصبروا فان العاقبة للمتقين **اقول** نبا به المنزل اذا لم يوافقه والعناء التعب واشار
في هذا الفصل الى بني امية فاقسم لا يزالون ظالمين وحذر الغير للظلم به وذكر لظلمهم غايات **احدها** انهم لا يدعون محرما الا
استحلوه والمعظم كبائر المحرمات الظلم وقتل النفس وما لهم فيهما مشهور فما ظنك بغيرهما ومعنى قوله استحلوه استعملوه كاستعمال
الحلال في عدم التحرج والتاثم به **الثانية** ان لا يدعوا عقدا الا حلوه اى من عقود الاسلام التي نظم بها امر العالم من قوانين الشرع

في شناعة عمل أهل الكوفة

وضوابطه وحمله كناية عن حزم تلك القواعد بحيث لا يفها الثالثة انه لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا ادخله ظلمهم وهو كناية عن عموم عدوانهم وبغيهم على جميع الخلق من البدو والحضر وقوله ونبا به سوء رعيهم اى نجب نو رعيهم لاهله تبوءهم عنه الرابعة ان يقوم الباكيان باكي يبكي لدينه وباكي يبكي لدنياه الخامسة وحتى يكون نصرة احدكم من احدهم كنصرة العبد من سيده ذكر المشبه والمشبه به ثم اشار الى وجه الشبه بقوله اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه العاشرة وحتى يكون اعظمكم فيها عناء احسنكم بالله ظنا وانما كان كذلك لان حسن الظن بالله اشد الناس بعدا منهم وتوكلا عليه فيكونون عليه اشد كلبا وله اقوى طلبا فكان منهم اكثر تعبا ثم اردف ذلك بامر من اتته العافية ان يقبلها ويشكر الله عليها ثم اراد العافية من الابتلاء بشرورهم لبعض الناس او بقيام عدل يخلص من بلائهم وامر من ابتلى بهم بالصبر على ما ابتلى به ووعده على ذلك بحسن العاقبة لازما للتقوى والصبر كما قال تعالى والعاقبة للمتقين هذا آخر المجلد الثاني من كتاب ابن ميثم فليسه ١٢٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ومن خطبة له عليه السلام نحمده على ما كان ونستعينه من امرنا على ما يكون ونسأله المعافاة في الاديان كما نسأله المعافاة في الابدان أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وان لم تحبوا تركها والمبلية لاجسامكم وان كنتم تحبون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سبيلا فكانهم قد قطعوه وامّوا علما فكانهم قد بلغوه وكم عسى المجرى الى الغاية ان يجري اليها حتى يبلغها وما عسى ان يكون بقاء من له يوم لا يعدوه وطالب حثيث يحدوه في الدنيا حتى يفارقها ولا تنافسوا في عز الدنيا وفخرها ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها فان عزها وفخرها الى انقطاع وزينتها ونعيمها الى زوال وضراءها وبؤسها الى نفاد وكل مدة فيها الى انتهاء وكل حي فيها الى فناء اوليس لكم في آثار الاولين وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر ان كنتم تعقلون او لم تروا الى الماضين منكم لا يرجعون والى الخلف الباقين لا يبقون او لستم ترون اهل الدنيا يمسون ويصبحون على احوال شتى فميت يبكى وآخر يعزى وصريع مبتلى وعائد يعود وآخر بنفسه يجود وطالب للدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وعلى اثر الماضي ما يمضي الباقي الا فاذكروا هاذم اللذات ومنغص الشهوات وقاطع الامنيات عند المساورة للاعمال القبيحة واستعينوا الله على اداء واجب حقه وما لا يحصى من اعداد نعمه واحسانه اقول الرفض الترك والسفر المسافرون وامّوا قصدوا ويعدوه يتعداه ويحدوه يسوقه والمساورة المواثبة فقوله نحمده الى قوله في الابدان خصص الحمد بما كان لان الشكر على النعمة مترتب على وقوعها والاستعانة على ما يكون لان طلب العون على امر هو بصدد ان يفعل ثم سال المعافاة في الاديان كما سالها في الابدان لان لها سقما هو في الحقيقة اشد وقيل لاعرابي ما تشتكي قال ذنوبي فقيل ما تشتهي قال الجنة فقيل الا ندعو لك طبيبا فقال الطبيب امرضني وسمعت عصمة العابد البصري رجلا يقول ما اشد العمى على من كان بصيرا فقال له يا عبد الله غفلت عن مرض الذنوب واهتممت بمرض الاجساد وعمى القلب عن الله اشد والمعافاة فيها بامداد العناية

عباد الله

الذم

مزدجر

عشيرة

الالهية

الا الصحة ببقائها سليمة وبتداركها بالمدد تبيين بحدبهم الى التوبة ثم اردف ذلك بالراي الصالح والوصية الناصحة برفض الدنيا وتنفر عنها بذكر معايبه احملها تركها لكم ومن اكبر المصالح ترك محبوب لا بد من مفارقته وكما استدرج النفس واستعطافها كي لا تنفد مفارقته دفعة مع تمكن محبته من جوهرها فيصعب كمن نقل من معشوقه الى موضع ظلماني شديد الظلمة **لما كان** كونها مبلية للاجسام وان احبوا تجديدها واملاؤها بالامراض والهرم ومن شان الموذي ان يجتنب لا ان يحب اصلا صرح ثم اردف ذلك بتمثيلهم في الكون بها فمثلهم في الكون بالسفر ومثلها بسبيلهم سالكوه ومن سلك سبيلا فكانهم قطعوه فالمشبه .... بسرعة سيرهم وقرب الاخرة منهم وقطع منازل الاعمار والمشبه به قاطع ذلك السبيل اي من سلك سبيلا اشبه في سرعة سيره من قطعه ثم لما كان لا بد لكل طريق سلك من غاية مقصد فمن سلك سبيلا فكانهم بلغوا تلك الغاية اي اشبه في قرب وصولها من بلغها وهو تخويف بالموت وما بعده وتحقير لمدة البقاء في الدنيا والمقام فيها واكد ذلك بقوله وما عسى المجري الى الغاية ان يجري اليها حتى يبلغها اي اجراؤه اليها بسيره يجري في بعض النسخ وكم عسى والتقدير وكم يرجو الذي يجري الى غاية من اجزاء اليها حتى يبلغها وهو استفهام في معنى التحقير لما يرجوه من مدة الجري وهي مدة الحيوة الدنيا ومفعول المجري محذوف والتقدير المجري مركوبه ولما لم يكن الغرض الا ذكر الاجراء لا جرم حذف المفعول وقد يجيء لازما وكذلك قوله وما عسى ان يكون مقام من له يوم لا يعدوه الى قوله يفارقها اي وما يرجى ويؤمل ان يكون من تلك البقاء وكان هنا تامة وهو في الموضعين استفهام على سبيل التحقير لما يرجى من البقاء في الدنيا والانكار على المؤمل الراجي له وعني بالطالب الحثيث الموت واسند اليه الطلب مجازا واستعار له لفظ الحادي وقد علمت وجه هذه الاستعارة وكنى بذلك الحد وعما يتوهم من سوق اسباب الموت للبدن اليه وقوله فلا تنافسوا الى قوله الى فناء نهي عن اعتبار شيء من احوالها خيرها وشرها فمن خيرها عزها وفخرها وزينتها ونعيمها ونهى عن المنافسة فيه والاعجاب به واما شرها فضراؤها وشدائدها نهى عن الجزع منها وعلل وجوب الانتهاء عما نهى عنه بانقطاع وزوال لما كان من شانه الزوال والانقطاع فمن الواجب ان لا ينافس فيه ولا يعجب به وان علم ان نعماها وان لا يجزع من وجوده وان عد ضرا وقوله وليس لكم في اثار الماضين الى قوله لا يبقون تذكرة لهم باثار السابقين لهم والماضين من ابائهم على سبيل الاستفهام عن حصول العبرة لهم بهم استفهام انكار عليهم ان لا ينتفعوا وامر ذلك عبرة على تقدير انهم عقلاء كما يزعمون ذلك ثم تنبيه لهم على وجه الاعتبار والاتعاظ وهو عدم رجوع الماضي منهم وعدم بقاء الباقي فان ذلك محل العبرة ثم تنبيه لهم على ما يرون من احوال اهل الدنيا المختلفة ليستدلوا على عدم بقائها باختلاف احوالها وعلى انها لا تصلح قرارا فاهلها ميت يبكي ولاخر يعزى واخر صريع مبتلى بالامراض والاسقام واخر يعوده مشغول الخاطر به واخر في النزع والاحتضار والسالم من تلك الامور طالب للدنيا والموت من ورائه طالب له غافل عما يراد به وليس الله بغافل عنه ثم لا بد له من ان يمضي على اثر من مضى وان طال بقاؤه وما في بعض النسخ مصدرية وانما قدم الميت في اصناف اهل الدنيا لان ذكره اشد موعظة واستعار لفظ الجود للمحتضر ووجه المشابهة انه يجود بنفسه ويسلمها كما يسلم الجواد ما يعطيه من ماله ثم امرهم بذكر الموت ووصفه بلوازمه المنفرة عنه وهي كونه هادما للذات الدنيوية ومنغصا لشهواتها وقاطعا للامنيات فيها وعين لهم وقت ذكره وهو عند توثبهم الى الاعمال القبيحة ليكون ذكره زاجرا لهم عنها ثم امرهم بالرغبة الى الله في طلب معونته على اداء واجب حقوقه التي كلفنا القيام بها والمواظبة عليها واداء ما لا يحصى من نعمه بدوام شكرها والاعتراف بها ملاحظين لجلال كبريائه باعتبار كل جزئي منها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الناشر في الخلق فضله والباسط فيهم بالجود يده نحمده في جميع اموره ونستعينه على رعاية حقوقه ونشهد ان لا اله غيره وان محمدا عبده ورسوله ارسله بامره صادعا وبذكره ناطقا فادى امينا ومضى رشيدا وخلف فينا راية الحق من تقدمها مرق ومن تخلف عنها زهق ومن لزمها لحق دليلها مكيث الكلام بطيء القيام سريع اذا قام فاذا انتم النتم له رقابكم واشرتم اليه باصابعكم جاءه الموت فذهب به فلبثتم بعده ما شاء الله حتى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم نشركم فلا تطمعوا في غير مقبل ولا تياسوا من مدبر فان المدبر ان تزل به احدى قائمتيه وتثبت الاخرى فترجعا حتى تثبتا جميعا الا ان مثل ال محمد صلى الله عليه واله كمثل نجوم السماء اذا خوى نجم طلع نجم فكانكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع واراكم ما كنتم تاملون **اقول** مرق خرج من الدين ونفي مللك ومكيث البطيء المتاني وخوى النجم سقط للمغيب والصنيعة النعمة وهذا الفصل يشتمل على اعلامهم بما يكون بعده من امر الائمة وتعليمهم ما ينبغي ان يفعل الناس معهم ويبشرهم بظهور امام من ال محمد عقيب اخر وعدهم بتكامل صنائع الله فيهم بما يأملونه من ظهور امام منتظر فقوله الحمد لله الى قوله حقوقه شكر له باعتبار امرين احدهما نشره لفضله في خلقه الثاني بسطه فيهم بالجود يده ويده نعمته مجاز اطلاق اسم الجارحة وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب فان كون الجود مبدا للنعمة والنشر والبسط وان كانا حقيقة في الاجسام الا انهما من الاستعارات الشائعة التي قاربت الحقيقة ثم اكد ذلك الحمد بتعميمه باعتبار كل حال من رخاء وشدة اذ الشاكر لا بد له من نعمة يحمد فانه اذا صبر جميل يستلزم ثوابا جزيلا كما قال نعم ودبر العقابين الاية وكانت اسباب النعم نعم وما يحمد على ما

طلع نجم

خطبة مشتملة على ذكر الملاحم

ما الحق من نعائه طلب منه المعونة على رعاية واجب حقوقه واستعار لفظ الصادع للرسول ووجهها انه شق بامر الله بيضة الشرك وقلوب المشركين فاخرج ما كان فيها من الكفر والجهل ونطق بذكره نعم فادعها ايادة فادى ما امر به امينا عليه وقبض الله اليه مرشدا له الى حضرة قدسه ومنازل الابرار من ملائكته وصا دعا وناطقا وامينا ووشيد احوال واشار بقوله ان الحق التي خلفها رسول الله صلعم الى كتاب الله وسنته واشار بتقدمها والتخلف عنها الى طرفي الافراط والتفريط من فضيلة الاستقامة عليها اى ان من كان تحتها الاحقابها فهو على حاق الوسط من الفضائل ومن تقدمها كان على طرف الافراط وقد تعدى في طلب الدين واغلى فيه على جهل تحرف منه كما فعلت الخوارج ومن تخلف عنها كان على طرف التفريط والتقصير مهلك في طرق الضلال والحيرة ولفظ الراية مستعار ووجه المشابهة كون الكتاب والسنة مقصدين لنا نتبعهما ونقتدي بهما في سبيل الله كما ان الراية كذلك واشار بدليلها الى نفسه استعارة ووجهها ان الامام مظهر ومبين لاحكام الكتاب والسنة وما خفي منهما للسالكين الى الله كما يرفع الراية حاملها لنا تبعه ليقتدوا به ثم اشار الى صفات ذلك الدليل وكنى بقوله مكيث الكلام عن تروّيه وتثبته في اقواله وما يشير به ويحكم وبقوله بطىء القيام عن تأنيه وتحركه في وجوه المصالح الى حين استثباته الرأى الاصلح ووجه المصلحة وبقوله سريع اذا قام عن مبادرته الى وجوه المصلحة وانتهاضه لغرض ثم اخذ يذكرهم بمؤنته وكنى بقوله النتم له رقابكم عن خضوعهم لطاعته وانقيادهم لامره وبقوله واشرتم اليه بالاصابع عن اشتهاره فيهم وتعيينه وتعظيمهم له واشار الى انه اذا تم الاسلام به توفي بقوله فلبثتم بعده ما شاء الله الى انهم يخلون عن امام يجمعهم مدة والاشارة الى مدة بني امية وبقوله حتى يطلع الله لكم الى قوله نشركم الى انه لا بد لهم بعد تلك المدة من شخص يجمعهم ويطلع ظهوره وتعيينه للرياسة بعد اختفاء فقيل هو الامام المنتظر وقيل هو قائم بني العباس بعد انقضاء دولة بني امية وقوله فلا تطمعوا في غير مقبل اى من لم يقبل على طلب هذا الامر ممن هو اهل وقع متعين له واثر تركه الى الخلوة بالله فلا تطمعوا فيه فان له بالله شغلا عن كل شيء وقيل المراد بغير المقبل من انحراف عن الدين بارتكاب منكر فانه لا يجوز الطمع في ان يكون اميرا لكم وروى فلا تطعنوا في غير مقبل اى من اقبل عليكم من اهل البيت طالبا لهذا الامر وهو اهل له فكونوا معه وكنى بالطعن في عينه عن دفعه عما يريد وقوله ولا تيأسوا من مدبر الى قوله فتثبتا جميعا اراد ان من ادبر عن طلب الخلافة ممن هو اهل لها فلا ينبغي ان يحصل الاياس من عوده واقباله على الطلب فلعله انما ادبر عن ذلك لاختلال بعض الشرائط التي يتعين عليه معها القيام وكنى عن اختلال بعض احواله من قلة ناصر ونحوه بزوال احدى قائمته وبثبات الاخرى عن وجود بعض شرائط كثبات اهليته للطلب وبعض انصار معه وبقوله فترجعا حتى تثبتا عن تكامل شرائطه قيامه ولا يناقي النهي عن الياس هاهنا النهي عن الطمع في غير المقبل لجواز ان نهى عن الطمع فيه حال اعراضه وادباره عن الطلب لاختلال بعض شرائطه والنهي عن الاياس منه لجواز حصول شرائط القيام فيه وتكاملها وقوله الا ان مثل آل محمد صلعم الى قوله طلع نجم فتبين للائمة من آل محمد قالت الامامية هم الاثنا عشر من اهل البيت وشبههم بالنجوم ووجه التشبيه امران احدهما انهم يستضاء بانوار هداهم في سبيل الله كما يستضيء الساري بالنجوم في سفره ويهتدي بها الثاني ما اشار اليه بقوله كلما خوى نجم طالع طلع نجم وهو كناية عن كونهم كلما خلا منهم سيد قام سيد والامامية يستدلون بهذا الكلام منه عم على انه لا يخلو زمان من وجود قائم من اهل البيت يهدي في سبيل الله وقوله فكانكم الى اخره اشارة الى منة الله عليهم بظهور الامام المنتظر واصلاح احوالهم بوجوده ووجدت له عم في اثناء بعض خطبه في اقتصاص ما يكون بعده فصلا يجري مجرى الشرح لهذا الوعد وهو ان قال يا قوم اعلموا علما يقينا ان الذي يستقبل قائمنا من امر جاهليتكم ليس دون ما استقبل الرسول من امر جاهليتكم وذلك ان الامة كلها يومئذ جاهلية الا من رحم الله فلا تعجلوا فيعجل الخرق بكم واعلموا ان الرفق يمن وفي الاناة بقاء وراحة والامام اعلم بما ينكر ولعمري لينزعن عنكم قضاة السوء وليقبضن عنكم المراضين وليعزلن عنكم امراء الجور وليطهرن الارض من كل غاش وليعملن فيكم بالعدل وليقومن فيكم بالقسطاس المستقيم وليتمنّن احياؤكم لامواتكم رجعة الكرة عما قليل فتعيشوا اذن فان ذلك كائن لله انتم باحلامكم كفوا السنتكم وكونوا من وراء معايشكم فان الحرمان سيصل اليكم وان صبرتم واحتسبتم واستيقنتم انه طالب وتركم ومدرك اثاركم واخذ بحقكم واقسم بالله قسما حقا ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

ومن خطبة له عليه السلام

يشتمل على ذكر الملاحم الاول قبل كل اول والاخر بعد كل اخر باوليته وجب ان لا اول له وباخريته وجب ان لا اخر له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان ايها الناس لا يجرمنكم شقاقي ولا يستهوينكم عصياني ولا تتراموا بالابصار عند ما تسمعونه مني فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة ان الذي انبئكم به عن النبي صلى الله عليه وآله ما كذب المبلغ ولا جهل السامع لكاني انظر الى ضليل قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان فاذا فغرت فاغرته واشتدت شكيمته وثقلت في الارض وطأته عضت الفتنة ابناءها بانيابها وماجت الحرب بامواجها وبدا من الايام كلوحها ومن الليالي كدوحها فاذا اينع زرعه وقام على ينعه وهدرت شقاشقه وبرقت بوارقه عقدت رايات الفتن المعضلة واقبلن كالليل المظلم والبحر الملتطم هذا وكم يخرق الكوفة

انتهازه

ومقاربه

من قاصف

16
ج

خطبة مشتملة على ذكر الملاحم

من قاصف ويمرّ عليها من عاصف وعن قليل تلتفّ القرون بالقرون ويحصد القائم ويحطم المحصود **أقول** يجرهتكم يجيء عليكم
واستهواه أماله والضليل الكثير الضلال ونعق صاح وفحص الطائر الأرض برجله بحثها والضواحي البارزة وكوفان اسم للكوفة و
فغر فوه انفتح وفلان شديد الشكيمة إذا كان قوي النفس أبيّا والكلوح تكشّر في عبوس والكدح فوق الخدش وأينع الزرع نضج والحطم
الدقّ ومضمون هذا الفصل بعد توحيد الله تحذير السامعين من عصيانه وعن التغافل بتكذيبه فيما ينبئهم فيما كان يخبرهم به من الأمور
المستقبلة فقوله الأول والآخر قد مضى تفسيرهما وقوله فأوّليته وجب أن لا أوّل له لما أراد بأوّليته كونه مبدأ لكل شيء وبآخريته كونه
غاية ينتهي إليها كل شيء في جميع أحواله كان بذلك الاعتبار يجب أن لا يكون له أوّل هو مبدؤه ولا آخر يقف عنده وينتهي ووصف
شهادته بأنها التي يوافق السرّ الإعلان فيها والقلب اللسان كناية عن خلوصها عن شائبة النفاق والجحود بالله ثم أيّها الناس حذّرهم
من شقاقه وعصيانه وأن يكذبوه فيما يقول وهو تهديد لمن ضعفت عين بصيرته عن إدراك فضله وإمكان الإخبار بما سيكون من مثله
ثم أسند ما يريد أن يخبر به من ذلك وما أخبر به إلى النبي صلى الله عليه وآله ليكون ذلك شهادة لصدقه وأكّد ذلك بتنزيهه صلى الله عليه وآله
وتنزيه السامع يعني نفسه من الكذب فيما بلّغ عن ربّه وفيما سمع هو منه وقد بيّنا كيفية أخذه لهذه العلوم عنه في المقدّمات وقوله كأنّي
أنظر إلى ضلّيل قد نعق بالشام من جملة إخباراته بما سيكون والضليل قيل إنه أشار به إلى السفياني في الرجال وقيل إنه إشارة إلى معاوية فإن
مبدأ ملكه بالشام ودعوته بها وانتهت غاراته إلى نواحي الكوفة وإلى الأنبار في حياته كما عرفت ذلك من قبل وكنّى بفحصه براياته عن بلوغه
إلى الكوفة ونواحيها كناية بالمستعار ملاحظة لشبهه بالقطاة المتخذة مفحصا وكذلك فغرت فاغرته كناية عن إقدامه للناس كناية بالمستعار أيضا ملاحظة
لشبهه بالأسد في اقتحام فريسته واشتداد شكيمته كناية عن قوة رأسه وشدّة بأسه وأصله أنّ الفرس الجموح قويّ الرأس يحتاج إلى قوة الشكيمة
وشدّتها وكذلك ثقل وطأته كناية عن شدّة بأسه في الأرض على الناس والأشبه أنه أشار إلى عبد الملك فقد عرفت أحواله وثقل وطأته في الأرض
فيما سبق واستعار لفظ العضّ للفتنة ووجه المشابهة ما يستلزمه من الشدة والألم ورشّح تلك الاستعارة بذكر الأنياب وأنيابها
الفتنة أهلها وكذلك استعار لفظ الموج للحرب وكنّى به عن الاختلاط الواقع فيها من القتل والأهوال وللأيام لفظ الكلوح وكنّى به عن شدّة
ما يلقى فيها من العيش المكدّر وكذلك لفظ الكدوح استعارة لما يلقى فيها من المصائب لتشبيهه بها ولفظ الزرع استعارة للأعمال ولفظ الإيناع
كناية عن بلوغ غاية أفعاله ولفظ الشقاشق والبروق استعارة لحركاته الهائلة وأقواله المخوفة تشبيها بالسحاب ذي الشقاشق والبروق
وقوله عقدت رايات الفتن المعضلة أي أنّ هذه الفتنة إذا قامت ثارت فتن كثيرة بعدها يكون فيها الهرج والمرج وشبّه تلك
الفتن في إقبالها بالليل المظلم ووجه المشابهة كونها لا يهتدى فيها للحق كما لا يهتدى في ظلمة الليل لما يراد وبالبحر الملتطم في عظمها و
خلطها الخلائق بعضهم ببعض وانقلاب قوم على قوم بالمحق لهم والهلاك كما يلتطم بعض أمواج البحر ببعض ثم أشار إلى ما يلحق الكوفة بسبب تلك الفتنة
بعدها من الوقائع والفتن وقد وقع فيها وفي أخباره وقائع جمّة وفتن كثيرة كفتنة الحجاج والمختار بن أبي عبيدة وغيرهما واستعار لفظي
القاصف والعاصف من الريح لما يمرّ بها من ذلك ويجري على أهلها من الشدائد وقوله وعن قليل تلتفّ القرون بالقرون أي عن
قليل يلحق قرن من الناس بقرن وكنى بالتفاف بعضهم ببعض عن اجتماعهم في بطن الأرض واستعار لهم لفظ الحصاد والحطم لمشابهتهم الزرع بحصد
قائمه ويحطم محصوده فكنى بحصدهم عن موتهم أو قتلهم وبحطم محصودهم عن فنائهم وتفرّق أوصالهم في التراب واعلم
أنه ليس في اللفظ دلالة واضحة على أنّ المراد بالضليل المذكور معاوية بل يحتمل أن يريد به شخصا آخر يظهر فيما بعد بالشام كما قيل إنه السفياني
الدجال وإن كان الاحتمال الأول أغلب على الظن وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يجري هذا المجرى وذلك يوم يجمع الله فيه الأوّلين
والآخرين لنقاش الحساب وجزاء الأعمال خضوعا قياما قد ألجمهم العرق ورجفت بهم الأرض فأحسنهم حالا من وجد لقدميه موضعا
ولنفسه متّسعا **أقول** أشار باليوم إلى يوم القيامة ونقاش الحساب المناقشة والتدقيق فيه وقد عرفت كيفية ذلك اليوم فيما
سبق ونحوه قوله تعالى يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم الآية وخضوعا كقوله تعالى خشّعا أبصارهم وقياما كقوله تعالى يوم يقوم الناس
لربّ العالمين وهما كنايتان عن كمال براءتهم من حولهم وقوتهم إليه وتيقّنهم أن لا سلطان إلا لسلطانه وألجمهم العرق بلغ منهم مكان اللجام وهو كناية
عن بلوغهم الغاية من الجهد إذ كانت غاية التاعب أن يكثر عرقه وقوله ورجفت بهم الأرض كقوله تعالى يوم ترجف الأرض والجبال إذا رجّت الأرض
رجّا وبسّت الجبال بسّا قال بعضهم المراد بالأرض الراجفة والمرتجّة أرض القلوب عن نزول خشية الله عليها وشدّة أهوال يوم القيامة وقال
آخرون إن ذلك صرف للكلام عن ظاهره من غير ضرورة فلا يجوز إذ كل ما أخبر أيضا ونحوه من جزئيات أحوال القيامة أمور ممكنة والقدرة
الإلهية وافية بها وقوله فأحسنهم حالا من وجد لقدميه موضعا ولنفسه متّسعا قيل المراد به من وجد قبل لطف الله موضعا من معرفة
الله تعالى وعبادته ومن وجد لنفسه متّسعا في حظائر قدس الله وسعة جنته وظاهر أنّ أولئك أحسن الخلق حالا يوم القيامة وحمله على ظاهره
موافقة لظاهر الشريعة ممكن **منها** فتن كقطع الليل المظلم لا تقوم لها قائمة ولا تردّ لها راية تأتيكم مزمومة مرحولة يحفزها
قائدها ويجهدها راكبها أهلها قوم شديد كلبهم قليل سلبهم يجاهدهم في الله سبحانه قوم أذلة عند المتكبرين في الأرض مجهولون

النواحي
لتشكر

في يوم القيمة ومنافثات اهلها

مقيم في السماء معروفون قوله تلك بالبصرة عند ذلك من جيش من نقم الله لا رهج له ولا حس وسيبتلي اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر
اقول يجفرها يحفرها من خلف والكلب الشره والاذلة جمع ذليل والرهج الغبار والحس الصوت الخفي وقد نبه في هذا الفصل على ما
سيقع بعده من الفتن وخص منها فتنة صاحب الزنج بالبصرة وشبه تلك الفتن بقطع الليل المظلم ووجه الشبه ظاهر ولا تقوم لها قائمة اي
لا يمكن مقابلتها بما يقاومها ويدفعها وانما انث لكون القائمة في مقابلة الفتنة وقيل لا ينبث لها قائمة فرس واستعار لفظ الزمام
والرحل والحزم والقائد والراكب وصفهما ملاحظة لشبهها بالناقة وكنى بالزمام والرحل عن تمام اعداد الفتنة وتهيئها كما ان كمال
الناقة للركوب ان تكون مزمومة مرحولة وبقائدها عن اغوائها وبراكبها عن منشئها المتبوع فيها وبحفزها وجهدها عن سرعتهم فيها و
اهلها اشارة الى الزنج وقط شدة كلبهم وقلة سلبهم اذ لم يكونوا اصحاب حرب وعدة وخيل كما يعرف ذلك من قصتهم المشهورة وكما سنذكر
طرفا منها فيما سينقل من كلامه في فصل اخر وقد وصف مقاتليهم في الله بكونهم اذلة عند المتكبرين وكونهم مجهولين في الارض اي للنسلطن
من ابناء الدنيا المشهورين بينهم بها وكونهم معروفين في السماء هو اشارة الى كونهم من اهل العلم والايمان يعرفهم ربهم بطاعتهم وتعرفهم
ملائكته بعبادتهم ثم اردف ذلك باخبار البصرة مخاطبا لها والخطاب لاهلها بما سيقع بها من فتنة الزنج وظاهر انه لم يكن لهم غبار ولا
اصوات اذ لم يكونوا اهل خيل ولا قعقعة لجم فاذن لا رهج لهم ولا حس وظاهر كونهم من نقم الله للعصاة وان عمت الفتنة اذ ليست تخص العقوبة
المتاركة بقوم بعضهم كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقوله وسيبتلي اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر قيل
فالموت الاحمر اشارة الى قتلهم بالسيف من قبل الزنج او من قبل غيرهم ووصفه بالحمرة كناية عن شدته وذلك ان اشد الموت ما كان
بسفك الدم واقول قد فسره بعد هلاكهم من قبل الغرق كما نحكيه وهو ابيض في غاية الشدة لاستلزامه زهوق الروح وكذلك وصف الاغبر
لان اشد الجوع ما اغبر معه الوجه وغيرت البشرة الصافية لقلة مادة الغذاء او ان قلة لذلك سمي اغبر وقيل لانه يلصق بالغبراء وهي
الارض ونحن نشير الى هذه القصة في فصل من خطبة خطب بها عند فراغه من حرب البصرة وفيها وهي خطبة طويلة حكينا منها فصلا
يتعلق بالملاحم من ذلك فصل يتضمن حال غرق البصرة فعند فراغه من ذلك الفصل قام اليه الاحنف بن قيس فقال له يا امير المؤمنين
ومتى يكون ذلك قال يا ابا بحر انك لن تدرك ذلك الزمان وان بينك وبينه لقرونا ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا
اخوانهم اذا هم رأوا البصرة قد تحولت اخصاصها دورا واجامها قصورا فالهرب الهرب فانه لا بصيرة لكم يومئذ ثم التفت عن يمينه فقال
كم بينكم وبين الابلة فقال له المنذر بن الجارود فداك ابي وامي اربعة فراسخ فقال له صدقت فوالذي بعث محمدا واكرمه بالنبوة وخصه
بالرسالة وعجل بروحه الى الجنة لقد سمعت منه كما تسمعون مني ان قال يا علي هل علمت ان بين التي تسمى البصرة والتي تسمى الابلة اربعة
فراسخ وقد يكون في التي تسمى الابلة موضع اصحاب العشور يقتل في ذلك الموضع من امتي سبعون الفا شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء
بدر فقال له المنذر يا امير المؤمنين ومن يقتلهم فداك ابي وامي قال يقتلهم اخوان الجن وهم جيل كانهم الشياطين سود الوانهم منتنة ارواحهم
شديد كلبهم قليل سلبهم طوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم اذلة عند المتكبرين من اهل ذلك الزمان مجهولون
في الارض معروفون في السماء تبكي السماء عليهم وسكانها والارض وسكانها ثم هملت عيناه بالبكاء ثم قال ويحك يا بصرة ويلك يا بصرة من جيش
لا رهج له ولا حس قال له المنذر يا امير المؤمنين وما الذي يصيبهم من قبل الغرق مما ذكرت وما الويح وما الويل فقال هما بابان فالويح باب
الرحمة والويل باب العذاب يا ابن الجارود نعم ثارات عظيمة منها عصبة يقتل بعضها بعضا ومنها فتنة تكون بها اخراب منازل وخراب ديار
وانتهاك اموال وقتل رجال وسبي نساء يذبحن ذبحا يا ويل امرهن حديث عجيب منها ان يستحل بها الدجال الاكبر الاعور الممسوح العين اليمنى
والاخرى كانها ممزوجة بالدم لكانها في الحمرة علقة ناتئ الحدقة كهيئة حبة العنب الطافية على الماء فيتبعه من اهلها عدة من قتل بالابلة من
الشهداء اناجيلهم في صدورهم يقتل من يقتل ويهرب من يهرب ثم رجف ثم قذف ثم خسف ثم مسخ ثم الجوع الاكبر ثم الموت الاحمر وهو الغرق
يا منذر ان للبصرة ثلاثة اسماء سوى البصرة في الزبر الاولى لا يعلمها الا العلماء منها الخريبة ومنها تدمر ومنها المؤتفكة يا منذر والذي
فلق الحبة وبرئ النسمة لو اشاء لاخبرتكم بخراب العرصات عرصة عرصة متى تخرب ومتى تعمر بعد خرابها الى يوم القيمة وان عندي من ذلك علما جما
وان تسئلوني تجدوني به عالما لا اخطئ منه علما ولا وادبا ولقد استودعت علم القرون الاولى وما كان الى يوم القيمة فقام اليه رجل
فقال يا امير المؤمنين اخبرني من اهل الجماعة ومن اهل الفرقة ومن اهل السنة ومن اهل البدعة فقال ويحك اذا سألتني فافهم عني ولا عليك ان
تسأل احدا بعدي اما اهل الجماعة فانا ومن اتبعني وان قلوا وذلك الحق عن امر الله وامر رسوله واما اهل الفرقة فالمخالفون لي ولمن اتبعني
وان كثروا واما اهل السنة فالمتمسكون بما سنه الله ورسوله لا العاملون برأيهم واهوائهم وان كثروا وقد مضى الفوج الاول وبقيت افواج
وعلى الله فصمها واستيصالها عن جدبة الارض وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ايها الناس انظروا الى الدنيا نظر الزاهدين
فيها الصادفين عنها فانها والله عما قليل تزيل الثاوي الساكن وتفجع المترف الآمن لا يرجع ما تولى منها فادبر ولا يدرى ما هو آت
منها فينتظر سرورها مشوب بالحزن وجلد الرجال فيها الى الضعف والوهن فلا تغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم

مِنْها رَحِمَ اللّهُ امْرَءاً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ **أقول** صدف اعرض وثوى بالمكان اقام به والجبلة المصدية والجلد القوة وحاصل الفصل تزهيد الدنيا والتحذير منها فامرهم ان ينظروا اليها نظر الزاهدين فيها المعرضين عنها امرهم بتركها واحتقارها الا بمقدار الضرورة الى ما تقوم به الضرورة ثم اردفه بذكر معايبها المنفرة **فالاول** ازالتها للمقيم بها المطمئن اليها ركونا اليه منها **الثاني** فجيعتها للمترف المنعم بها الذي هو عندها بما منها حتى امن فيها فيسلبه ما ركن اليه وامن عليه **الثالث** كونها لا يرجع ما تولى عنها فادبر من شباب وصحة ومال وعمر ونحوه **الرابع** كونها لا ابد ربح ما هو آت من مصائبها فينتظر ويحذر نفسه **الخامس** شوب سرورها بالحزن اذ كان سرورها لا يبعد في كل اوان فوت مطلوب وفقد محبوب **السادس** انتهاء قوة اهلها وجلدهم الى الضعف كما قال تعالى ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة وذلك قد نقض بعض الصالحين في الدنيا فقال العيش مشوب ينقضه يتسابقه الهرم محتوم بعدم مستعقب بندم فهل يجوز التنافس فيه ثم نهى عن الاغترار بكثرة ما يعجبهم منها وعلل حسن ذلك لانتهاء ما يعجبهم منها فان المنافسة انما ينبغي ان يكون باقيا للانسان حيث كان وكان واشار بقليل ما يصحبهم منها الى الكفن ونحوه ثم دعا الى تفكر فاده فكره عبرة اى انتقال ذهن الى ما هو الحق من وجوب ترك الدنيا والعمل للآخرة فافاده ذلك الانتقال ادراكا للحق ومشاهدة تبصره له ثم اردفه بتشبيه وجود متاع الدنيا الحاضر بعدمه تنبيها على سرعة الحوق عدمه لوجوده فكان وجوده شبيه بان لم يكن لسرعة زواله وكذلك تشبيه عدم الآخرة الآن وما يلحق فيها من الثواب والعقاب بوجودها الدائم اى كانها لسرعة وجودها ولحوقها لم تزل موجودة ونبه بقوله وكل معدود منقض على انقضاء مدد الاعمار لكونها معدودة بالايام والساعات والانفاس وقوله وكل متوقع آت وكل آت قريب دان في صورة الضرب الاول من الشكل الاول ونتيجته فكل متوقع قريب دان والاشارة به الى الموت وما بعده

منها الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَنْ لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللّهِ لَعَبْداً وَكَلَهُ اللّهُ إِلَى نَفْسِهِ جَائِراً عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الْآخِرَةِ كَسِلَ كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ وَكَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ **أقول** حصر العالم فيمن عرف قدره واراد بقدره مقداره من ملك الله ومحله من الوجود ولما كان عرفانه بذلك مستلزما لمعرفته بنسبته الى المخلوقات الله رب العالمين وانه اى شيء هو منها ولاى شيء وجد لاجرم كان هو العالم اللازم لطريق السالك لما امر به غير المتعدى طوره المرسوم له في كتاب ربه وسنن انبيائه وقوله وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره لما كان العالم مستلزما لمعرفة القدر كان معرفة عدم القدر مستلزما لعدم العلم وهو الجهل لان نقيض اللازم يستلزم نقيض الملزوم وقوله وكفى بذلك الجهل اشارة الى توبته واستلزامه للعذاب وقوله وان من ابغض الرجال الى الله الى قوله قصد السبيل قد سبق بيانه وقوله سائرا بغير دليل كنى بالدليل عن ائمة الهدى والمرشدين الى الله ويدخل في ذلك الكتاب والسنة فان من سار في معاملة الله او لعباده بغير دليل منهما كان من الهالكين وقوله ان دعى الى حرث استعار لفظ الحرث لاعمال الدنيا واعمال الآخرة ووجه المشابهة كونها مستلزمة للمكاسب الاخروية والدنيوية كان الحرث كذلك ثم شبه ما عمل له من حرث الدنيا بالواجب عليه في مبادرته اليه ومواظبته عليه وشبه ما قصر فيه من حرث الآخرة بالساقط عنه فرضه في تكاسله وقعوده عنه مع ان الامر منه ينبغي ان يكون بالعكس وبالله التوفيق

منها وَذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى وَأَعْلَامُ السُّرَى لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ وَلَا الْمَذَايِيعِ الْبُذُرِ أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ أَيُّهَا النَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللّهَ تَعَالَى قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ قال السيد اما قوله كل مؤمن نومة فانما اراد به الخامل الذكر القليل الشر والمساييح جمع مسياح وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم والمذاييع جمع مذياع وهو الذي اذا سمع لغيره بفاحشة اذاعها ونوه بها والبذر جمع بذور وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه **أقول** النومة كثير النوم وروى نومة بسكون الواو وهو الضعيف ويكفأ الاناء يقلبه لوجهه وكنى بالنومة عن خامل الذكر بين الناس المشتغل بربه عنهم كما فسره ع بقوله ان شهد لم يعرف وان غاب لم يفتقد واشار باولئك الى كل مؤمن كذلك واستعار لهم لفظ المصابيح والاعلام لكونهم اسباب الهداية في سبيل الله وقد سبق ذلك وقوله ليسوا بالمساييح الى قوله ضراء نقمته ظ وقد فسر السيد مشكله وقوله ايها الناس الى قوله الاناء بما فيه اخبار بما سيكون من فساد اهل الزمان وما يكون فيه من الفتن وترك الدين كما سبق من اشاراته وشبه قلبهم للزمان بقلب الاناء بما فيه ووجه الشبه خروج الاسلام عن كونه منتفعا به لتعطيلهم للعمل به كما يخرج ما في الاناء الذي كب عن الانتفاع واحسن بهذا التشبيه فان الزمان للاسلام كالاناء للماء واشار الى ان ذلك ليس بظلم بقوله ان الله قد اعاذكم من ان يجور عليكم في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ان ذلك ابتلاء منه يبتلى به عباده كما قال تعالى ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين فمن صبر نفعه صبره ومن كفر فعليه كفره وقد عرفت معنى ابتلاء الله لخلقه وفائدته فلا وجه لاعادته وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية اما بعد فان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله وليس احد من العرب

في بيان بعض صفات محمد ص

يقرأ كتاباً ولا يدّعي نبوّة ولا وحياً فقاتل بمن أطاعه من عصاه يسوقهم إلى منجاتهم ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته إلّا هالكاً لا خير فيه حتى أراهم منجاتهم وبوّأهم محلّتهم فاستدارت رحاهم واستقامت قناتهم وأيم الله لقد كنت من ساقتها حتى تولّت بحذافيرها واستوسقت في قيادها ما ضعفت ولا جبنت ولا خنت ولا وهنت وأيم الله لأبقرنّ الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته **اقول** لنشرح ما انفردت هذه الرواية من الزيادة على الفصل المتقدم فالحسير الذي أعيا في طريقه والرجا قطعة من الارض تستدير وترتفع على ما حولها واستوسقت اجتمعت وانتظمت ... جبنت فقوله فقاتل بمن أطاع من عصاه معناه ظاهر وقوله ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم أي يسارع إلى هدايتهم وتسليكهم لسبيل الله كيلا ينزل بهم الساعة على عمى منهم عن صراط الله فيقعوا في مهاوي الهلاك وقوله يحسر الحسير ويقف الكسير إلى قوله لا خير فيه إشارة إلى وصفه بالشفقة على الخلق في حال أسفارهم معه في الغزوات ونحوها أي أنه كان يسير في أخراهم ويتفقد المنقطع منهم عن عياء أو انكسار مركوب فلا يزال يلطف به حتى يبلغه أصحابه إلّا ما لا يمكن إيصاله ولا يرجى قال بعض الشارحين كنى بالحسير والكسير عمّن عجز ووقف قدم عقله في الطريق إلى الله لضعف في عين بصيرته واعوجاج في الزاد ذاكر وبقيا معه عليه لتلحقه إلى غايته عن أخذه له بوجوه الحيل والجواذب إلى الدين حتى يوصله إلى ما يمكن من العقيدة المرضية والأعمال الزكية التي هي الغاية من طريق الشرع المطلوب سلوكها وقوله إلّا هالكاً لا خير فيه أراد به من كان مأيوساً من رشده لعلمه بأن نفوسهم غير ممكن كأبي لهب وأبي جهل ونحوهما وقوله فاستدارت رحاهم استعار لهم لفظ الرحا لاجتماعهم وارتفاعهم على غيرهم كارتفاع القطعة من الارض عمّا حولها من التراب ونحوه وقوله واستوسقت في قيادها إشارة إلى طاعة من أطاع من العرب وانقياده للإسلام واستعار لفظ الاستياق والقياد ملاحظة لتشبيههم بالإبل المجتمعة لسائقها والمنتظمة في قياده لها واستعار لفظ الخاصرة للباطل ورشّح تلك الاستعارة بذكر البقر ملاحظة لتشبيهه بالحيوان المبتلع ما هو عزيز فيه منه وكنى به عن تمييز الحق منه وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله شهيداً وبشيراً ونذيراً خير البرية طفلاً وأنجبها كهلاً وأطهر المطهّرين شيمة وأجود المستمطرين ديمة فما احلولت لكم الدنيا في لذّاتها ولا تمكّنتم من رضاع أخلافها إلّا من بعد ما صادفتموها جائلاً خطامها قلقاً وضينها قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السدر المخضود وحلالها بعيداً غير موجود وصادفتموها والله ظلّاً ممدوداً إلى أجل معدود فالأرض لكم شاغرة وأيديكم فيها مبسوطة وأيدي القادة عنكم مكفوفة وسيوفكم عليهم مسلّطة وسيوفهم عنكم مقبوضة ألا إنّ لكل دم ثائراً ولكل حق طالباً وإنّ الثائر في دمائنا كالحاكم في حق نفسه وهو الله الذي لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب فأقسم بالله يا بني أمية عمّا قليل لتعرفنّها في أيدي غيركم وفي دار عدوّكم ألا إنّ أبصر الأبصار ما نفذ في الخير طرفه ألا إنّ أسمع الأسماع ما وعى التذكير وقبله أيها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متّعظ وامتاحوا من صفو عين قد روّقت من الكدر عباد الله لا تركنوا إلى جهالتكم ولا تنقادوا إلى أهوائكم فإنّ النازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار ينقل الردى على ظهره من موضع إلى موضع لرأي يحدثه بعد رأي يريد أن يلصق ما لا يلتصق ويقرّب ما لا يتقارب فالله الله أن تشكوا إلى من لا يشكي شجوكم ولا ينقض برأيه ما قد أبرم لكم إنّه ليس على الإمام إلّا ما حمّل من أمر ربّه الإبلاغ في الموعظة والاجتهاد في النصيحة والإحياء للسنّة وإقامة الحدود على مستحقّيها وإصدار السهمان على أهلها فبادروا العلم من قبل تصويح نبته ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستثار العلم من عند أهله وانهوا غيركم عن المنكر وتناهوا عنه فإنما أمرتم بالنهي بعد التناهي **اقول** الشيمة الخلق واحلولى حلا والخلف جمع خلف ضرع الناقة والوضين حزام الهودج والمخضود الذي لا شوك فيه والماتح الجاذب للدلو من البئر وشغر الكلب رفع إحدى رجليه ليبول والترويق التصفية والجرف المكان يأكله السيل وهار أصله هائر وهو المنهدم نقلت من الثلاثي إلى الرباعي كشائك وشاكي والشجو الهم والحزن وصوح النبت يبس وقوله حتى بعث الله محمداً ص إلى قوله من بعد ما صادفتموها مدح له بالقوة في الدين وتوبيخ لمحبّي الدنيا وجامعيها بعده وهو غاية الفصل السابق كأنه ذكر فيه ما كانوا عليه من سوء الحال والفسق والفقر ومنّ عليهم بذكر هذه الغاية الحسنة لتلك الأحوال ووصفه بأوصاف أحدها كونه شهيداً أي على الخلق بأعمالهم يوم القيامة كما قال تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً وقد عرفت كيفية هذه الشهادة الثاني وبشيراً للخلق بما أعدّ لهم من الثواب العظيم الثالث ونذيراً لهم بما أعدّ للعصاة من العذاب الأليم ونظم هذه الأوصاف قوله تعالى إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً والثلاثة أحوال الرابع خير البرية طفلاً ولما علمت أنّ الأفضلية إنما هي بالأعمال الصالحة والتشديد لسلوك سبيل الله وكان هو ص منذ صباه وطفوليته أفضل الخلق في لزوم ذلك لا جرم كان خير الناس طفلاً الخامس وأنجبها كهلاً ولما كانت النجابة مستلزمة لكرم الخصال والتقاط الفضائل وتتبّعها وكان هو ص في كهوليته وقوته متتبّع كل فضيلة لا جرم كان أنجبهم كهلاً وطفلاً وكهلاً منصوبان على الحال أيضاً السادس كونه أطهر المطهّرين شيمة ولما كانت منهم مكارم الأخلاق الطاهرة وكل خلق عدل فمنه مكتسب لا جرم كان أطهر الشيمة وأكرم الخلائق السابع أجود المستمطرين ديمة استعار له وصف السحاب المرجو منه نزول الديمة وهي المطر الذي لا رعد فيه ولا برق ورشّح بلفظ الديمة وكنى بذلك عن غاية جوده وكرمه وقد كان ص إذا أمسى ورد إلى البيت فلا يجد فيه شيئاً من فضة أو ذهب إلّا تصدّق به ولم يبت في بيته منه شيء وشيمة وديمة تمييزان

وقوله فما

في بعض مقاصد بني امية

١٧ خ

وقوله فما احلولت لكم الدنيا في لذاتها الى قوله من بعده الخطاب لبني امية وتخويفهم وهو تبكيت لهم بتذكيرهم لذة الدنيا وامتناعهم بها وتمكنهم
منها بعد الرسول صلى الله عليه وآله وتذكيرهم بحال الفتهم تشبيه في ذلك واستعار لفظ الاخلاف وكنى به عن وجوه مكاسب الدنيا ولذاتها ورشح تلك
الاستعارة بذكر الرضاع وكنى به عن تناولهم لها ولفظ الخطم لتشبيهها بالناقة وقوله وصادفتموها الى قوله غير موجود استعار لها لفظ الخطام
والوضين ورشحهما بالقلق والجولان وكنى بذلك عن مصادفتهم للدنيا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله غير منظومة الحال ولا مضبوطة على ما ينبغي لضعف
ولاتها على اصلاح حالها كما ان الناقة قلقة الحزام وجائلة الخطام غير منظومة الآلة ولا مضبوطة الحالة فهي بعرض ان تنثني وتنصرف
على غير استقامة فتهلك راكبها ثم ذكر رذيلة القوم فشبه حرامها بالسدر المخضود معهم ووجه التشبيه ان نواهي الله ووعيده على فعل المحرمات
تجري مجرى الشوك للسدر في كونها مانعة منه كما يمنع شوك السدر جانبه من تناول ثمرته ولما كان بعض الامة قد طرح اعتبار النواهي و
الوعيد جانبا عن نفسه وفعل ما حرم عليه جرى ذلك عنده مجرى تناوله للسدر الخالي عن الشوك في استهنائه له وتناوله واقدامه عليه
وكون حلالها بعيدا غير موجود اي بين اولئك المشار اليهم وحائلا وقلقا حالان وقوله وصادفتموها والله الى قوله ممدود واستعار لفظ
الظل لها ورشح بالممدود وكنى بذلك عن زوالها بعد حين بتقلبها لهم ثم استعار لفظ الشاغرة للارض وكنى به عن خلوها لهم يقال الى نفي
الامر بفلان شاغرا برجله اذا لم يكن له طالب ولا حام يحميه وكنى ببسط ايديهم فيها عن قدرتهم على التصرف واراد بالقادة الخلفاء وببسط
سيوفهم على القادة حروبهم وحكمهم عليهم وبقبض سيوف القادة عدم تمكنهم منهم وقوله الا ان لكل دم ثائرا الى قوله من هرب تهديد بالله
لبني امية وتخويف باخذه وعقابه وبيان ذلك الكلمات ظاهر والصدق فانه تعالى هو الثائر لكل دم معصوم والطالب به ان عدم طالبه وضعف
ولما كان دم مثلهم عليهم السلام وسائر الصحابة ممن عصمه دينه ومنع منه وجوبه يجري مجرى الحق الثابت لله تعالى في كونه يطلب به ولا يهمله
الحاكم المطلق لا جرم استعار لفظ الثائر وانما قال كالحاكم لان اطلاق لفظ الحق لله تعالى ليس بحقيقة اذ الحق من شأنه ان ينتفع باخذه
ويتضرر بتركه والباري منزه عن ذلك فلما جرى ذلك الدم مجرى الحق لزم مشابهته الحاكم في استيفاء الحق ووصفه تعالى بانه لا يعجزه مطلوب ولا
يفوته هارب في معرض التهديد لهم باخذه وقوته ثم اردف ذلك بالقسم البار مخاطبا لبني امية لتعرفنها اي الدنيا وامرتها في يد غيرهم من
اعدائهم وذلك يخط الصدق بانتقالها الى بني عباس ثم شرع بعده في التنبيه على الفكر في تحصيل السعادة الباقية والخير الدائم وعلى
قبول الوعظ والتذكر فاشار الى ان ابصر الابصار ما نفذ في الخير طرفه واسمع الاسماع ما وعى التذكير وقبله واراد بطرف البصر العقل
وسمعه استعارة لحس البصر والسمع على معنى ان افضل ابصار البصر وسماع السمع ما عاد على المبصر والسامع بالفائدة المطلوبة منهما وهي
تحصيل الكمالات النفسانية من العلوم والاخلاق ولما قدم ذلك امام مقصوده امر الناس بعده الى قبول قوله والاستصباح بنوره
واستعار لنفسه لفظ المصباح ورشح بذكر الشعلة والاستصباح واستعار لفظ العين ورشح بذكر الصفو والترويق والمتح ووجه الاستعارة الاولى
كونه مقتدى كالمصباح ووجه الثانية كون العلم المستفاد منه مادة الحياة الابدية كما ان ماء العين مادة الحياة الدنيوية وكنى بترويقها
من الكدر عن رسوخه فيما علم بحيث لا يتطرق اليه فيه شبهة تكدر يقينه وامرهم بالاهتداء به واخذ العلوم عنه ثم اتبع ما امر به
بالنهي عن الجهل والركون اليه ثم عن الانقياد للاهواء الباطلة المخرجة عن كرائم الاخلاق الى رذائلها وعن حق المصالح الى باطلها وذكر
فانه لتنازل بهذا المنزل اراد المنزل المشير الذي على التصحيح لهم عن جهل منه بوجوه المصالح وذلك انه كان يرى الرأي الصالح ويشير عليهم
به فاذا اخذ بعض الى بعض فما كان من ذلك فيه مشقة عليهم من جهاد ومواظبة على عمل شاق اشار منافقوهم المبغضون المدعون لاهليتهم
لمقامه بعكس ما رأى فيه واشاروا وردوهم عنه الى ما يوافق اهواءهم ويلائم طباعهم امتدادا الى الدين واشار الى ما نزل نفسه منزلة
المشير الناصح مع ان كل ما يشير به عن هوى متبع وجهل فهو على شفا جرف هار واستعار لفظ الجرف للآراء الفاسدة الصادرة فانها
لم تبن على نظام العقل ولم ترخص فيها الشريعة فكانت منهارة لا يبنى عليها الا ما كان بصدد ان ينهار وكان المشير بها واقفا على شفا جرف
هار ونهايتها بها دنيرى في نار جهنم او في الهلاك الحاضر يقال لمن فعل فعلا على غير اصل او يتوقع له منه عقوبة مثلا انه على شفا جرف هار
ونحوه قوله تعالى امن اسس بنيانه على شفا جرف هار الاية وقوله ينقل الردى على ظهره من موضع لما كان الردى على الهلاك وكان الرأي
الفاسد يستلزم الهلاك للمشار عليه وللمشير كان المشير على الخلق به عن هوى عن الناقل للهلاك من شخص الى غيره والقسم على من يشير
عليهم به وهو في معرض التنفير عنه وقوله الرأي بعد رأي يريد ان يلصق ما لا يلتصق ذكر غاية تنقله من موضع الى اخر فانه نقله للركي
يستلزم ان ينقله ورأي ورأي بالواو وعلى هذا يكون كلاما مستانفا والتقدير انه يجيب رأي بعد رأيه ليلصق ما لا يلتصق واستعار
لفظ الالصاق للصلح اي يريد ان يصلح بينكم وبين اعدائكم فتلك مرة لا يصلح ووجه المشابهة كون الخصمين في طرفين يجمعهما الصلح ويوجد
لهما الاتحاد كما يجمع الالصاق بين الملتصقين ويحتمل ان يريد ان يلصق بكم من الاراء الفاسدة ما لا ينبغي ان يلتصق بكم وكذلك قوله ويقرب
ما لا يتقارب عنى به عليكم ما بينكم وبينهم من البعد والافتراق وذلك امر لا يتقارب وبينهم من هذا ان من كان ينهاهم عن الركون الى
استشارته كان يخذلهم عن الحرب بذكر الصلح بينهم وبين معاوية والدخول فيه ثم حذرهم الله وعقابه في ان يشكوا الى ما يشكي عزمهم وذلك

في مبدء الأمر شرع الإسلام

ان المشتكى اليه المستشار اذا لم يشاكي الشاكي همه ولم يكن اهلا للنصائح مثل ذلك الامر المشكوك فيه الا وان كان معروفا بجودة الرأي وسر
ذلك ان الاهتمام بالامر يبعث على اعمال الفكر على الاستقصاء في تفتيش وجوه الآراء والصالحة فيه فيكون مظنة ان يستخرج منها اصلحها
وانفعها وان كان دون غيره في جودة الرأي بخلاف الخلي لعدم الباعث على طلب الاصلح وادوم فهم ونبههم عن ان ينقص رأيه العام
ما فقدا برمه فوتهم من الرأي الصائب في الحرب ثم اردفه ببيان ما يجب على الامام مما هو مكلف به بالنسبة الى رعيته وفائدة ذلك
الاعذار اليهم فيما لهم عليه ما لم يستوفوا اليه من تقصيره غير كونه الى الحق في الرأي ونحوه وذكروا امورا خمسة الابلاغ في موعظة العباد ثم
الاجتهاد في النصيحة لهم ثم الاحياء لسنة الله ورسوله فيهم ثم اقامة الحدود التي يستحقونها بجنايتهم ثم اصدار السهمان على اهلها و
السهمان جمع سهم وهو النصيب المفروض من المسلم من بيت المال ثم لما سبق نهيه عن الركون الى الجهل امرهم بالمبادرة الى العلم من قبل
تصوح نبته واستعار لفظ النبت ورشح بذكر التصوح وكنى به عن عدمه بموت اهله وقوله ومن قبل ان تشتغلوا بانفسكم اي تبطل حصتها من
شرف العلم الذي يستنزل بهم من بغي امة يريد معانا منها ومستثيرا العلم ما استثيره منه واستخرج واهله هو ... في معناه ثم امرهم بالانتهاء
عن المنكر ثم نهى عنهم فان النهي عن الشيء بعد الانتهاء عنه هو النهي المستمر المطابق لمقتضى الحكمة اذ كان انفعال الطباع عن مثل هذه
الافعال والاقتداء بها اقوى واسرع منها عن سماع القول خصوصا اذا خالفه فعل القائل وذلك امر ظاهر شهدت به العقول السليمة
والتجارب وتواطئت عليه الآراء والشرائع والبلاء الشاعر: لا تنه عن خلق وتأتي مثله، عار عليك اذا فعلت عظيم

ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي شرع الاسلام فسهل شرائعه لمن ورده واعز اركانه على من غالبه فجعله امنا
لمن علقه وسلما لمن دخله وبرهانا لمن تكلم به وشاهدا لمن خاصم به ونورا لمن استضاء به وفهما لمن عقل ولبا لمن تدبر
وآية لمن توسم وتبصرة لمن عزم وعبرة لمن اتعظ ونجاة لمن صدق وثقة لمن توكل وراحة لمن فوض وجنة لمن صبر فهو ابلج
المناهج واوضح الولائج مشرف المنار مشرق الجواد مضيء المصابيح كريم المضمار رفيع الغاية جامع الحلبة متنافس السبقة شريف
الفرسان التصديق منهاجه والصالحات مناره والموت غايته والدنيا مضماره والقيامة حلبته والجنة سبقته منها
في ذكر النبي صلى الله عليه وآله حتى اورى قبسا لقابس وانار علما لحابس فهو امينك المأمون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك
بالحق رحمة اللهم اقسم له مقسما من عدلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك اللهم اعل على بناء البانين بناءه واكرم
لديك نزله وشرف عندك منزلته وآته الوسيلة واعطه السناء والفضيلة واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا نادمين و
لا ناكبين ولا ناكثين ولا مفتونين ولا مضلين وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم الا انا كررناه هاهنا لما في الروايتين من
الاختلاف **منها** في خطاب اصحابه وقد بلغتم من كرامة الله لكم منزلة تكرم بها جيرانكم ويعظمكم من لا فضل لكم عليه ولا
يد لكم عنده ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة ولا لكم عليه امرة وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون وانتم
لنقض ذمم آبائكم تأنفون وكانت امور الله عليكم ترد وعنكم تصدر واليكم ترجع فمكنتم الظلمة من منزلتكم
والقيتم اليهم ازمتكم واسلمتم امور الله في ايديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات وايم الله لو فرقوكم تحت
كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم **اقول** الابلج الواضح المشرق والولائج بطانة الرجل وخاصته والمضمار محل تضمير الخيل
للسباق والحلبة خيل تجمع من مواضع متفرقة للسباق وقد تطلق على مجمعها والسبقة وما يستبق عليه من الخطر وقد حمد الله
سبحانه باعتبار ما انعم به من وضع شريعة الاسلام للعقول لتسلك بها اليه واشار بتسهيل شرائعه الى موارد العقول من اركانه وتسهيله
لها ايضاح قواعده وخطابا بانه بحيث يفهمها الفصيح والالكن وشاركه الغبي في ورود مناهلها الفطن الذكي واعزاز اركانه حمايتها و
دفعها على من قصد هدمها واطفاء نوره مغالبة من المشركين والجاهلين ثم مدح الاسلام باوصاف اسندها الى مقتضيه وشارعه
سبحانه ونعم احدها جعله امنا لمن علقه وكونه امنا لمن تعلق به في الدنيا من القتل وفي الآخرة من العذاب الثاني وكونه
سلما لمن دخله اي مسالما وفي الاول ملاحظة لتشبيهه بالحرم باعتبار دخوله وفي الثاني ملاحظة لتشبيهه بالغالب من الشجعان
باعتبار مسالمته ومعنى مسالمة الاسلام له كونه يحقنون الدم معززا على ما كان يملكه فكان الاسلام مسالما له وصالحه لكونه
يقتضي ما يؤذيه بعد دخوله فيه الثالث كونه برهانا لمن تكلم به اي فيما هو برهان الرابع كونه شاهدا لمن خاصم به والشاهد
اعم من البرهان لتناوله للجدل والخطابة الخامس كونه نورا يستضاء به فاستعار له لفظ النور وصرح بذكر الاستضاءة ووجه
المشابهة كونه مقتديا به في طريق الله الى جنته السادس كونه فهما لمن عقل ولما كان الفهم عبارة عن جودة تهيئ الذهن لقبول
ما يرد عليه كان الدخول في الاسلام ورياضة النفس بقواعده واركانه سببا عظيما لتهيئة الذهن لقبول الانوار الالهية وفهم الآيات
لاجرم اطلق عليه لفظ الفهم مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب السابع كونه لبا لمن تدبر ولما كان اللب هو العقل اطلق عليه
لفظ العقل وان كان سببا له كالمجاز الاول واراد العقل بالملكة وما فوقه من مراتب العقل فان الاسلام وقواعده اقوى

ولا ضالين

اماؤكم وتوصل

بها جيرانكم

يفهمها

يقتضي

الاسبا

في اوصاف الاسلام

الثامن

الاسباب الحصول العقل بعواقبه كونه اثرا لمن توسم واراد من تفرس طرق الخير ومقاصده فان الاسلام اثر وعلامة لذلك المتفرس
اذا اهتدى بها فقد وقع في طريق الهدى التاسع كونه تبصرة لمن عزم واراد من عزم على امر وقصده فان الاسلام تبصرة
لكيفية فعله على الوجه الذي ينبغي العاشر كونه عبرة لمن اتعظ وذلك ظ فان الاسلام نعم المعبر بنفس المتعظ الى حضرة قدس
الله بما فيه من احوال الماضين وتصرف الزمان بهم الحادي عشر كونه نجاة لمن صدق الرسول صلعم فيما جاء به فان دخوله في الاسلام
سبب نجاته من سيوف الله في الدنيا وعذابه في الاخرة واطلق عليه اسم النجاة اطلاقا لاسم المسبب على السبب الثاني عشر
كونه ثقة لمن توكل اي هو سبب ثقة المتوكلين على الله لاشتماله على الوعد الكريم وبه يكون استعداده للتوكل الثالث عشر
كونه راحة لمن فوض اي من ترك البحث والاستقصاء في الدلائل والتمسك باحكام الاسلام ودلائل القرآن والسنة المتداولة
بين اهله وفوض امره اليه استراح بذلك التفويض وقيل بل المراد ان فيه الندب الى تفويض الامور الى الله وعلم ما لم يعلم منها
وترك التكاليف به وذلك راحة وقيل بل المراد ان المسلم اذا كمل اسلامه وفوض امره الى الله كفاه الله جميع اموره واراحه من
الاهتمام بها الرابع عشر كونه جنة لمن صبر اي صبر على العمل بقواعده واركانه وظ كونه جنة من عذاب الله ولفظ الجنة مستعار
الخامس عشر ابلج المناهج ومناهج الاسلام طرقه واركانه الذي يصدق على من سلكها انه مسلم وهي الاقرار بالله ورسوله و
التصديق بما ورد به الشريعة كما يفسره هو به وظ كونها ابوار واضح الهدى السادس عشر كونه واضح الولايج واضح البواطن و
الاسرار لمن نظر اليه بعين الاعتبار السابع عشر كونه مشرق المنار ومنار الاسلام الاعمال الصالحات التي يقتدي بها السالكون
كالعبادات الخمس ونحوها وظ كونه مشرقة غالبة على غيرها من العبادات السالفة الثامن عشر كونه مشرق الجواد وهو قريب
من ابلج المناهج التاسع عشر كونه مضيء المصابيح وكنى بها عن علماء الاسلام وائمة كتابه بالشعاع ورشح بذكر الاضاءة وكنى
بها عن ظهور العلم عنهم واقتداء الخلق بهم ويحتمل ان يريد بالمصابيح ادلة الاسلام كالكتاب والسنة العشرون كونه كريم المضمار
ومضمار الاسلام الدنيا كما سنذكره ولا شك في كونها كريمة باعتبار اقتباس الانوار منها العبور بها الى الله تعالى ولفظ
المضمار مستعار لها وقد سبق بيانه الحادي والعشرون كونه رفيع الغاية ولما كانت غاية الوصول الى حضرة رب العالمين التي هي
جنة المأوى لا جرم كان رفيع الغاية اذ لا غاية ارفع منها واعلى مرتبة الثاني والعشرون كونه جامع الحلبة واستعار لفظ الحلبة لمجمع
فانها حلبة الاسلام كما سنبينه ووجه الاستعارة كونها محل الاجتماع بها للسباق الى حضرة الله التي هي الجنة كاجتماع الخيل للسباق
الى الرهن الثالث والعشرون كونه متنافس السبقة ولما كانت سبقة الجنة كانت اشرف ما يتنافس فيها الرابع والعشرون كونه
شريف الفرسان واستعار لفظ الفرسان لعلماء الدين فهم فرسان العلوم ورجالها ملاحظة لشبهه بالفرس الجواد الذي لا
يجاري راكبه الخامس والعشرون المتصدق منها جد وهي الى اخره تفسيرها اهل تفسيره من منهاجه مناره وغاياته ومضماره وحلبته
وسبقته وانما جعل الموت اي غايته القريبة التي هي باب الوصول الى الله تعالى ويحتمل ان يريد بالموت الشهوات فانها غاية قريبة
للاسلام ايضا وكذلك استعار لفظ السبقة للجنة لكونها الثمرة المطلوبة الغاية من الدين كما ان السبقة غاية سعي المتراهنين منهما
في ذكر الرسول صلعم حَتّى اَوْرى قَبَساً لِقابِسٍ وَاَنارَ عَلَماً لِحابِسٍ فَهُوَ اَمِينُكَ المَأمُونُ وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ
نِعْمَةً وَرَسُولُكَ بِالحَقِّ رَحْمَةً اَللّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ وَاجْزِهِ مُضاعَفاتِ الخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ اَللّهُمَّ اَعْلِ عَلى بِناءِ
البانِينَ بِناءَهُ وَاَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ وَآتِهِ الوَسِيلَةَ وَاَعْطِهِ السَّناءَ وَالفَضِيلَةَ وَاحْشُرْنا فِي زُمْرَتِهِ
غَيْرَ خَزايا وَلا نادِمِينَ وَلا ناكِبِينَ وَلا ناكِثِينَ وَلا ضالِّينَ وَلا مَفْتُونِينَ قال السيد رضه وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم
الا انا كررناه ههنا لما في الروايتين من الاختلاف **اقول** القبس الشعلة واورى اشعل والحابس الواقف بالمكان والنزل ما
يهيا للنزيل من ضيافة ونحوها والسناء الرفعة والزمرة الجماعة من الناس والناكب المنحرف عن الطريق فقوله حتى اورى الى قوله لحابس غاية
لكلام مدح فيه النبي صلعم وذكر جهاده واجتهاده في الدين للغاية المذكورة واستعار لفظ القبس لانوار الدين الشعلة لتقتبس منها
نفوس الخلايق انوار الهدى وكذلك استعار لفظ العلم واسند اليه تنويره ويفهم منه امران احدهما انه اظهر انوارا جعلها اعلاما يهتدى
بها في سبيل الله من حبسته ظلمة الحيرة والتبست عن سلوكها فهو واقف على ساق الحيرة كقوله تعم واذا اظلم عليهم قاموا وكنى بتلك
الاعلام عن ايات الكتاب والسنن الثاني ان يكون المراد بالاعلام ائمة الدين وتنويره لها تنوير قلوبهم بما ظهر عن نفسه القدسية
من الكمالات والعلوم وقوله فهو امينك المامون اي على وحيك وشهيدك يوم الدين اي على خلقك وبعيثك نعمة اي مبعوثك
اليهم نعمة عليهم لهدايتهم الى جنتك ورسولك بالحق رحمة لعبادك ان يقعوا في مهاوي الهلاك بسخطك وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين ثم اردفه بالدعاء له صلعم فدعا الله ان يقسم له مقسما من عدله ولما كان مقتضى عدل الله ان يبلغ نفسا هي محل الرسالة اقصى ما
استعدت له من درجات الكمال وبعدها بذلك لكمال العلى دعا له ان يقسم له نصيبا وافرا من عدله بعده بها الدرجات من ثواب الوصول

الفرس م

موت م

لذلك

الناس م

في نعمة الله والتوبيخ على التقصير في حقه

العير المتناهية وقوله واجزه مضاعفات الخير من فضلك تمام دعائه بما يستحقه فدعا له بان يفضل عليه بزيادة من فضله عوضا
لما يستحقه من الخيرات وقوله اللهم اعل على بناء البانين بناءه دعاء لتشييد ما بناه من قواعد الدين على ما بنوا البانين للشرائع من الرسل
قبله واراد ما بناه لنفسه من مراتب الكمال ولفظ البناء مستعار ثم دعاء ان يكرم لديه نزله ما هيأه له من الثواب الجزيل وان يشرف مقامه في حضرة
قدسه وان يؤتيه ما يتوسل به اليه ويقربه منه وهو ان يكمل استعداده لما هو التام القوة على الوصول اليه وان يعطيه الرفعة والشرف والفضيلة
وان يحشرنا في زمرته على احوال غير خازين ولا نادمين على التفريط في جنب الله والتقصير في العمل بطاعته ولا ناكبين
منحرفين عن سبيله الى احد طرفي التفريط والافراط ولا ناكثين لعهوده ومواثيقه التي واثق بها خلفاءه ان يعبدوه ويخلصوا له الدين ولا ضالين
عن سواء السبيل العدل ولا مفتونين بشبهات الاباطيل وبالله التوفيق **ومنها** في خطاب اصحابه وقد بلغتم من كرامة الله منزلة
تكرم بها اماؤكم وتوصل بها جيرانكم ويعظمكم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة ولا
لكم عليه امرة وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون وانتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون وكانت امور الله في ايديهم و
يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات وايم الله لو فرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم **اقول** صدر هذا الفصل
بتذكيرهم المنزلة التي اكرمهم الله بها من الاسلام والهداية والايمان وما نالوا من المنزلة من الفضل حتى عظمت حرمتها اماؤهم وجيرانهم وان كانوا
غير مسلمين وعظمهم من لا فضل لهم عليه ولا يد لهم عنده وهابهم من لا يخاف سطوتهم وذلك ان سبب ذلك كله هو كرامة الله لهم بالاسلام و
الهداية للايمان ثم لما قرر نعمة الله عليهم اردف ذلك بالتوبيخ لهم على التقصير في اداء واجب حقه واشار الى تركهم لبعض مسببات كفران
نعمته وهو عدم انكارهم لما يرون من نقض عهود الله وسكوتهم عليها وعدم غضبهم كالراضين بذلك واراد بذلك بغي البغاة وخروج الخوارج
وسائر المنكرات التي وقعت من اهل الشام وغيرهم مخالفة فيها امر الله ونكثوا بيعته التي هي عهد من عهود الله عليهم فان السكوت على مثل ذلك
مع التمكن من ازالته وانكاره بالجهاد منكر هم راكبوه والواو في قوله وانتم للحال اي وانتم مع ذلك تأنفون لنقض ذمم آبائكم فكان يجب منكم بطريق
الاولى ان تأنفوا لعهود الله ان تنقض وذممه ان تخفر ثم ذكرهم تفريطهم وتفاديهم في الامور التي كان الله سبحانه فرضها اليهم وجعلهم
موردها ومصدرها من امور الاسلام واحكامه والتسلط به على سائر الناس وتمكينهم الظلمة في منزلتهم تلك من الاسلام واراد بالظلمة
معوية وقومه وتمكينهم لهم تخاذلهم عنهم والقاؤهم اليهم ازمة الامور بذلك ولفظ الازمة مستعار والامور التي سلموها اليهم اعمال بلاد
الاسلام كل ذلك بالتقصير عن مجاهدتهم وعملهم بالشبهات عملهم على وفق ارائهم الفاسدة واراءهم الباطلة التي يتوهمونها حججا فيما يعملون
وسيرهم في الشهوات قطع اوقاتهم بالانهماك في مقتضيات الشهوة وقوله وايم الله الى آخره تحذير لهم وانذار بما سيكون من بني امية من جمع الناس
في بلائهم وشرورهم وعموم فتنتهم وكنى باليوم عن مدة خلافتهم التي كانت شر الاوقات على الاسلام واهله وانما نسب التفريق اليهم والجمع
الى الله تقريرا لما سينزل بهم من قدرته من ابتلاء الخلق بهم فانهم لو فرقوهم في اطراف البلاد لم يغنهم ذلك التفريق عن لحوق قدر الله لهم ولم يمنعهم
من نزوله بجميعهم بما يراد لهم من الابتلاء بدولة بني امية وشرورها واحوال دولتهم مع الخلق خصوصا الصالحين من عباد الله ظاهر وبالله
العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** في بعض ايام صفين وقد رايت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة
الطغام واعراب اهل الشام وانتم لهاميم العرب ويآفيخ الشرف والانف المقدم والسنام الاعظم ولقد شفى وحاوح صدري
ان رايتكم باخرة تحوزونهم كما حازوكم وتزيلونهم عن مواقفهم كما ازالوكم حسا بالنصال وشجرا بالرماح تركب اولاهم اخراهم كالابل
الهيم المطرودة ترمى عن حياضها وتذاد عن مواردها **اقول** الجولة الدولة والانحياز ذل والطغام اوغاد الناس واللهاميم جمع لهموم
وهو الجواد من الناس واليآفيخ جمع يافوخ وهو اعلى الدماغ والوحاوح جمع وحوحة وهو صوت معه بحح يصدر عن المتألم والحس الاستيصال
والنصال جمع نصل للسيف والشجر الطعن وتذاد تساق وتطرد وفي هذا الفصل تبكيت لاصحابه بانحيازهم عن عدوهم وتقريع ثم
تحسين واغراء كيلا يعاودوا الى الفرار وذلك قوله وقد رايت الى قوله اهل الشام وقد تخاذلكم عنهم حتى حازكم اراذل اهل الشام مع انكم اهل
الشرف وسادات العرب واستعار لفظ اليآفيخ لهم اذ كانوا بالنسبة الى العرب في علوهم وشرفهم كاليافوخ بالنسبة الى الابدان وكذلك استعار لفظ
الانف والسنام ووجه المشابهة عزهم وشرفهم ككرم الانف ونفاذه وحسن الوجه به بالنسبة الى باقي الاعضاء وكعزة السنام وعلوه بالنسبة
الى باقي الاعضاء وكعزة السنام وعلوه بالنسبة الى باقي اعضاء الجمل ثم اردف ذلك التبكيت والتذكير بالرذيلة بذكر فضيلتهم التي ختموا
بها وهي حوزهم لعدوهم بالاخرة كحوزهم لهم اولا وازالتهم عن مواقفهم كما ازالوهم وحسهم استيصالا وطعنا بركب مقدمتهم تاليهم واولهم اخرهم
ليثبتوا على مثل هذه الافعال في مثل تلك المواقف وعد ذلك شفاء لوحاوح صدره وكنى بالوحاوح عما كان يجده من الالم بسبب انفهاد
امرهم وغلبة عدوهم وشبههم في تضعضعهم وركوب بعضهم لبعض مولين بالابل العطاش التي اجتمعت على الحياض لتشرب ثم طردت
ورميت عنها بالسهام وذيدت عن مواردها فان طردها على تلك الاجتماع يوجب لها ان يركب بعضها بعضا ويقع بعضها على بعض وبالله
التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** وهي من خطب الملاحم الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه والظاهر لقلوبهم بحجته خلق الخلق من غير

روية اذ كانت

في الحمد لله باعتبارات خمسة

١٧ ج

روية إذ كانت الرويات لا تليق إلا بذوي الضمائر وليس بذي ضمير في نفسه خرق علمه باطن غيب السترات وأحاط بغموض عقائد السريرات

أقول حمد الله تعالى باعتبارات خمسة أحدها اعتبار تجليه لخلقه بخلقه وقد علمت غير مرة أن تجليه لخلقه بخلقه وقد علمت غير مرة
أن تجليه يعود إلى الجلاء معرفته من مصنوعاته لقلوب عباده حتى أشبه كل ذرة من مخلوقاته مرآة ظهر فيها لهم فمنهم من يشاهده ومن على
قدر قبولهم لمشاهدته وتفاوت تلك المشاهدة بحسب تفاوت أشعة أبصار بصائرهم فمنهم من يرى الصانع أولا ومنهم من لا يرى مع الصانع غيره
الثاني الظاهر لقلوبهم بحجته أي لوائح وجوده لقلوب منكريه بأوهامهم وألسنتهم بقيام حجته عليهم بذلك وهي أحكام الصنع وإتقانه في أنفسهم
وإن احتاجوا إلى التنبيه كقوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون وكذلك في ملكوت السموات والأرض كقوله تعالى أولم ينظروا في ملكوت السموات و
الأرض وما خلق الله من شيء الآية وهو قريب من الثاني الثالث خلقه الخلق بلا روية وفكر في كيفية خلقه وأشار إلى برهان سلب الروية عنه
بقوله إذ كانت الرويات لا تليق إلا بذوي الضمائر أي بذي قلب وحواس بدنية وليس هو بذي ضمير في نفسه والقياس من الشكل الثاني وتقريره
كل روية فلذي ضمير ولا شيء من واجب الوجود بذي ضمير فينتج أنه لا شيء من الروية لواجب الوجود سبحانه والمقدمتان جليتان لما سبق غير مرة
الرابع كون علمه خارقا للباطن غيب السترات وهو إشارة إلى نفوذه في كل مستتر وغائب بحيث لا يحجبه ستر ولا يستره حجاب الخامس كونه محيطا علمه
بغموض عقائد السريرات أي بما دق من عقائد أسرار القلوب كقوله تعالى يعلم السر وأخفى **فصل منها** في ذكر النبي صلى الله عليه وآله اختاره من شجرة الأنبياء ومشكاة
الضياء وذؤابة العلياء وسرة البطحاء ومصابيح الظلمة وينابيع الحكمة **أقول** الذؤابة ما تدلى من الشعر ونحوه وبطحاء مكة البسيط وأرضها
وسرة الوادي أشرف موضع فيه وفي الفصل استعارات الأولى الشجرة لصنف الأنبياء ووجه المشابهة كون ذلك الصنف ذا أصل وفرع
فرعهم أشخاص الأنبياء وثمرة العلوم والكمالات النفسانية كما أن الشجرة ذات غصون وثمرة الثانية لفظ المشكاة لآل إبراهيم ووجه المشابهة
أن هؤلاء قد ظهرت منهم الأنبياء وسطع من بينهم ضياء النبوة ونور الهداية كما يظهر نور المصباح من المشكاة الثالثة لفظ الذؤابة ونسبه
أن نسبه إلى قريش ووجه المشابهة علوهم في أغصان الشرف والعلو عن باقيهم كعلو ذؤابة الشعر على الرأس الرابعة سرة البطحاء وأشار به
إلى اختياره من أفضل بيت في مكة الخامسة استعارة لفظ المصابيح للأنبياء أيضا ووجه المشابهة ما قد مر غير مرة كونهم مصابيح ظلمات الجهل
السادسة استعارة لفظ الينابيع ووجه المشابهة فيضان العلم والحكمة عنهم كفيضان الماء عن ينابيعه **منها** طبيب دوار بطبه قد أحكم
مراهمه وأحمى مواسمه يضع من ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمي وآذان صم وألسنة بكم متتبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن
الحيرة لم يستضيئوا بأضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة فهم في ذلك كالأنعام السائمة والصخور القاسية قد انجابت
السرائر لأهل البصائر ووضحت محجة الحق لخابطها وأسفرت الساعة عن وجهها وظهرت العلامة لمتوسمها ما لي أراكم أشباحا بلا أرواح
وأرواحا بلا أشباح ونساكا بلا صلاح وتجارا بلا أرباح وأيقاظا نوما وشهودا غيبا وناظرة عمياء وسامعة صماء وناطقة بكماء راية
ضلال قد قامت على قطبها وتفرقت بشعبها تكيلكم بصاعها وتخبطكم بباعها قائدها خارج من الملة قائم على الضلة فلا يبقى
يومئذ منكم إلا ثفالة كثفالة القدر أو نفاضة كنفاضة العكم تعرككم عرك الأديم وتدوسكم دوس الحصيد وتستخلص المؤمن
من بينكم استخلاص الطير الحبة البطينة من بين هزيل الحب أين تذهب بكم المذاهب وتتيه بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب ومن
أين تؤتون وأنى تؤفكون فلكل أجل كتاب ولكل غيبة إياب فاستمعوا من ربانيكم وأحضروه قلوبكم واستيقظوا إن هتف بكم وليصدق
رائد أهله وليجمع شمله وليحضر ذهنه فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة وقرفه قرف الصمغة فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه وركب
الجهل مراكبه وعظمت الطاغية وقلت الداعية وصال الدهر صيال السبع العقور وهدر فنيق الباطل بعد كظوم وتواخى الناس
على الفجور وتهاجروا على الدين وتحابوا على الكذب وتباغضوا على الصدق فإذا كان ذلك كان الولد غيظا والمطر قيظا وكان
أهل ذلك الزمان ذئابا وسلاطينه سباعا وأوساطه أكالا وفقراؤه أمواتا وغار الصدق وفاض الكذب واستعملت
المودة باللسان وتشاجر الناس بالقلوب وصار الفسوق نسبا والعفاف عجبا ولبس الإسلام لبس الفرو مقلوبا **أقول** المواسم المسامير
التي تكوى وانجابت انكشفت والمتوسم المتفرس والضلة الضلال والعكم بكسر العين العدل والبطينة الممتلئة والغياهب الظلم وتؤفكون
تصرفون والفنيق الفحل المكرم وكظوم الجمل سكوته عن الجرة فقوله طبيب دوار بطبه كناية عن نفسه كناية بالاستعارة فإنه طبيب مرضى الجهل ورذائل
الأخلاق وكونه دوارا بطبه تعرضه لعلاج الجهال من ذاته ونصب نفسه لذلك واستعار لفظ المراهم لما عنده من العلوم ومكارم الأخلاق
ولفظ المواسم لما يتمكن منه من إصلاح من لا ينفع فيه الموعظة والتعليم بالجلد وسائر الحدود فهو كالطبيب الكامل الذي يعد المراهم والأدوية
والمكاوي لمن لا ينفع فيه المراهم يضع كل واحد من أدويته ومواسمه حيث الحاجة إليه من قلوب عمي تنفتح عما هو بإعدادها لقبول أنوار العلم والهداية
لسلوك سبيل الله ومن آذان صم يعدها لقبول المواعظ وتجوز بلفظ الصم في عدم انتفاع النفس بالموعظة من جهتها حتى كالصماء إطلاقا لاسم
الملزوم على لازمه إذ كان الصم يستلزم ذلك العدم ومن ألسنة بكم يطلقها بذكر الله والحكمة وأطلق لفظ البكم مجازا في عدم المطلوب منها
بوجودها وهو التكلم بما ينبغي فإنها لفقدها ذلك المطلوب كالبكم وقوله متتبع صفة لطبيب ومواضع الغفلة ومواطن الحيرة كناية عن قلوب الجهال الجهلة

١٦ في بعض صفات النبي

ولذلك اشار اليهم بانهم لم يستضيئوا باضواء الحكمة اي لم يكتسبوا شيئا من العلوم والاخلاق ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة التي تثقب بشرار
العجب كما يقدح بالزناد للنار وقوله فهم في ذلك اي في عدم استضاءتهم باضواء الحكمة كالانعام السائمة والصخور القاسية ووجه المشابهة
بينهم وبين الانعام استواؤهم في الغفلة والانخراط في سلك الشهوة والغضب دون اعتبار شيء من حظ العقل وعدم التقييد به كالانعام
السائمة وبينهم وبين الصخور قساوة قلوبهم وعدم لينها وخشيتها من ذكر الله واياه اشار تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد
قسوة وقوله قد انجابت السرائر لاهل البصائر اشارة الى انكشاف ما يكون بعده لنفسه القدسية ولمن تفرس ما يكون من ملوك بني امية وعموم
ظلمهم من اولي التجارب والفطن السليمة ويحتمل ان يريد بالسرائر اسرار الشريعة وانكشافها لاهلها وقوله ووضحت محجة الحق لخابطها اشارة
الى وضوح الشريعة وبيان طريق الله وفائدته التنبيه الجاذب الى اتباع الدين وسلوك سبيل الله وانه لا عذر للخابطين في جهالاتهم بعد وضوح
دين الله وقوله واسفرت الساعة عن وجهها اي بدت مقبلة ولما كان وجه الشيء اول ما يبدو منه وينظر كنى به عما بدا من امر الساعة وهو قيام
الفتن وافنيا لها وقوله وظهرت العلامة لمتوسمها اي علامة قيام الساعة وهي الفتن المتوقعة المنتشرة من بني امية ومن بعدهم وذكره
لاستعداد الساعة وظهور علاماتها تهديد بالموت وترغيب في العمل لها وقوله مالي اراكم اشباحا بلا ارواح شبههم في عدم انتفاعهم بالعقول وعدم تحريك
المواعظ والتذكير لهم بالجمادات الخالية من الارواح كما قال تعالى كانهم خشب مسندة وقوله وارواحا بلا اشباح قيل فيه وجوه الاول ان ذلك مع
مقابلة اشارة الى تقسيمهم اي ان منهم من هو شبح بلا ارواح كما سبق ومن كان له روح وفهم فلا قوة له بامر الحرب ولا نهضة معه فهو روح
خلت عن بدن فهم في طريق تفريط وافراط الثاني قيل كنى بذلك عن عدم نهضة بعضهم الى الحرب فبعض اذا دعوا اليه كما لا يقوم البدن
بدون الروح ولا الروح بدون البدن الثالث قال بعضهم اراد انهم اذا خافوا ذهلت عقولهم وطارت البابهم فكانوا كالاجسام بلا ارواح وان
امنوا تركوا الاهتمام بامورهم وضيعوا الفرص ومصالح الاسلام حتى كانهم في ذلك ارواح لا تعلق لها بما يحتاج الاجسام اليه وقوله
ونساكا بلا صلاح اشارة الى من تزهد منهم فزهده ظاهري ليس عن صلاح سريرته وقيل اراد من تزهد منهم عن جهل فانه وان عمل الا ان
اعماله لما لم تكن عن علم كانت ضائعة وواقعة على غير الوجه المرضي والمامور به كما روي عن الرسول ص الزاهد الجاهل مسخرة الشيطان وقوله
وتجارا بلا ارباح اشارة الى من يتاجر منهم بالاعمال الفاسدة وهو يعتقد كونها قربة الى الله مستلزمة لثوابه وليس كذلك ولفظ التجار والربح
مستعاران ووجه الاستعارة بين ظ وقوله وايقاظا نوما كنى بنومهم عن نوم نفوسهم في مراقد الطبيعة وعما هم فيه من الغفلة فهم بهذا الاعتبار
ايقاظ العيون نوم العقول وقوله وشهودا غيبا اي شهودا بابدانهم غيبا بعقولهم عن التفطن لمقاصد الله والتلقي لانواره من الموعظة
والاوامر الالهية وقوله وناظرة عميا اراد وعيونا ناظرة عميا اي عن تصفح آثار الله للعبرة بها والانتفاع في امر الاخرة فهي تشبه العمى في
عدم الفائدة بها وقوله وسامعة صما اي واذانا سامعة للاصوات صما عن نداء الله والنافع من كلامه فهي تشبه الصم في عدم الفائدة
المقصودة وقوله وناطقة بكما اي والسنة ناطقة بكما عن النطق بما ينبغي فاشبهت البكم ولفظ العمى والصماء والبكم مستعار لمشابهتها
المذكورة وقد راعى في ذلك التضاد في الالفاظ واراد ذوي عيون واذان والسنة بالصفات المذكورة اي خالية عن الفائدة وقوله
راية ضلالة لما شبههم وايقظهم بالتوبيخ والتقريع والتنقيص القى اليهم ما ينبغي ان يحذروا منه وياخذوا اهبتهم له من ظهور الفتن المتوقعة
لبني امية وكنى عن ظهورها بقوله راية ضلالة والنقاب بهذه الراية ضلالة وكنى بقيامها على قطبها عن اجتماع اهلها على قائد الفتنة وقيمهم
فيها وكنى بالقطب عنكما ثبيرا لسفعا وتفرقها وتشعبها انتشارها في الافاق وقوله فمن اخرى عنها ثم استعار لفظ الكيل لاخذ الظلم
اهلاكهم زمرة زمرة ملاحظة لشبهها بالكيال في اخذه لما يكيل جملة جملة ورشح بلفظ الصاع وكذلك استعار لفظ الخبط لايقاع السيف
الاحكام الجائرة فيهم على غير قانون ديني ولا نظام حق لشبهها بالبكرة النفور من الابل التي تخبط ما تلقاه بيدها ورشح الاستعارة
بذكر الباع ولم يقل بيدها لان ذكر الباع ابلغ في التعبير عن قوة الخبط وقوله قائدها خارج عن الملة اي خارج عن الدين والشريعة فاسق
عن امر الله قائم على الضلة اي مقيم على الضلالة وقوله فلا يبقى يومئذ منكم الا ثفالة كثفالة القدر واستعار لفظ الثفالة لمن كنى به عمن
لا خير فيه من الارذال ومن لا ذكر له ولا شهرة وشبه ثفالة القدر في كونهم غير معتبرين ولا ملتفت اليهم وكذلك نفاضة العكم
وهو ما يبقى في اسفل العدل من اثر الزاد او الحنطة ونحوها ثم استعار لفظ العرك لتقليب الفتن لهم ورميهم وتذليلهم بها كما يدلك
ويلين الاديم وكذلك استعار لفظ الدوس لاهانتهم لهم وشدة امتهانهم اياهم بالبلاء وشبه ذلك بدوس الحصيد من الحنطة ونحوها
وهو ظاهر ثم اشار الى استقصاء اهل تلك الضلالة على المؤمنين واستخلاصهم لهم لايقاع المكروه بهم وشبه ذلك الاستخلاص باستخلاص
الطير الحبة السمينة الممتلية من الفارغة المهزولة وذلك ان الطير يرتاح بمنقاره سمين الحب من مهزوله فيخلي عن المهزول منه ثم اخذ يسالهم
على سبيل التهكم والتقريع لهم بقيامهم على غوايتهم فسالهم عن غاية اخذ مذاهب الضلال وعما تتيه بهم ظلم الجهالات اليه من المطالب
وعما تخدعهم اوهامهم الكواذب جاذبة لهم اليه منكرا عليهم مطلوبا اخر غير الله تعالى من طريق غير شريعته ثم سالهم عن الجهة التي يؤتون
منها اي من اين انكم هذه الامراض وهو يعلم ان الداخل انما دخل عليهم من جهلهم لكن هذا وجه من البلاغة وذكرها انه يشبه تجاهل العارف

القسم الاول النبه على النظر في العواقب فاتمه ح

التهكم

هو كقوله

وهو كقوله تعالى فاين تذهبون وكذا قوله فانى يؤفكون اى متى يكون انصرافكم عما انتم عليه من الغفلة وقوله ولكل اجل كتاب ولكل غيبة اياب تهديد
بالاشارة الى قرب الموت وانهم بمعرض ان ياخذهم على غفلتهم فيكونوا من الاخسرين اعمالا ثم امرهم باستماع الموعظة منه والربانى العالم علم
الربوبية المتبحر فيه ثم باحضار قلوبهم وهو التفاتهم باذهانهم الى ما يقول ثم بالاستيقاظ من نوم الغفلة عند هتفه بهم وندائه لهم وليصدق
رائد اهله مثل نزله هاهنا على مراده واصله لا يكذب رائد اهله فاستعار لفظ الرائد للفكر ووجه المثل ان الرائد لما كان هو الذى يبعثه القوم
لطلب الكلاء والماء واشبه الفكر فى كونه مبعوثا من قبل النفس فى طلب مرعاها وماء حياتها من العلوم وسائر الكمالات فكنى به عنه واهله
على هذا البيان هو النفس فكانه قال فليصدق فكاركم ومتخيلاتكم نفوسكم وصدقها اياها تصرفها على حسب اشارة العقل فيما تقوله
وتشير به دون التفاتها الى مشاركة الهوى فان الرائد اذا ارسلته النفس عن مشاركة ميل شهواتها كذبها ودلها بغرور ويحتمل ان
يريد بالرائد اشخاص من حضر عنده فان كلا منهم له اهل وقبيلة يرجع اليهم فامرهم ان يصدقهم امرهم بتبليغ ما سمع على الوجه الذى
ينبغى والنصيحة به والدعوة اليه كما يرجع طالب الكلاء والماء اذا وجدهما الى قومه فيبشرهم به ويحملهم اليه وقوله وليجمع شمله اى ما تفرق وتشعب
من خواطره فى امور الدنيا ومهماتها وليحضر ذهنه اى يوجهه الى ما اقول وقوله ولقد فلق لكم الامر فلق الخرزة اى وضح لكم امر ما جهلتموه
من الدين واحكام الشريعة وقيل امر ما سيكون من الفتن وشق لكم ظلمة الجهل عنه كما يشق باطن الخرزة لثقبها وقرفه قرف الصمغة اى القى
اليكم علمه بكليته والنصيحة فيه حتى لم يدخر عنكم شيئا من ذلك كما يقرف الصمغة فارقها يقال تركته على مثل مقرف الصمغة اذا لم تترك
له شيئا لان الصمغة تقتلع من شجرها حتى لا يبقى عليها علقة وقوله فعند ذلك متصل بقوله من بين هزيل الحب اى فعند ما تفعل
بكم تلك الفتن ورايات الضلال ما تفعل قد اخذ الباطل ماخذه اى استحكم وثبت واخذ مقاره وكنى بركب الجهل مراكبه اى كان
ذلك وقت حملته ملاحظة لتشبيهه بالمستعد للغارة قد ركب خيله وكنى بمراكبه عن الجهال وقوله وعظمت الطاغية اى الفتنة
الطاغية التى تجاوزت فى عظمها الحد والمقدار وقلت الراعية اى رعاة الدين واهله الذين يحمون حوزته اى الفرقة الراعية وذوى
الداعية الى الله وقوله وصال الدهر صيال السبع العقور استعار وصف الصيال للدهر ملاحظة لشبهه بالسبع ووجه الاستعارة كونه
مبدءا قويا لتلك الشرور الواقعة فاشبه السبع الضارى العقور فى شدة صياله ثم استعار لفظ الفنيق للباطل ورشح الاستعارة
بذكر الهدير والكظوم ووجه المشابهة ظهور الباطل واكرام اهله وتمكنهم من الامر والنهى كالفحل المكرم ذى الشقشقة وعنى بالهدير
ظهورهم وتمكنهم وبالكظوم خفاء الباطل وخموله قبل فى زمان ظهور الحق وقوته وقوله وتواخى الناس على الفجور اى كان اتصالهم
ومحبة بعضهم لبعض على الفجور واتباع الاهواء وتهاجروا على الدين اى من احسوا منه قوة فى دينه هجروه ورفضوه فهجرهم والتحاب على الكذب
داخل تحت التواخى على الفجور والتباغض على الصدق داخل تحت التهاجر على الدين والغرض تعداد ذلك تنفيرا للسامعين عن تلك الرذايل
وتخويفهم بوقوعها وقوله فاذا كان ذلك كان الولد غيظا اى اذا حدث ذلك شغل كل امرئ بنفسه و[illegible] بها فيكون الولد الذى هو اعز
محبوب غيظا لوالده اى من اسباب حزنه وغيظه واطلق لفظ الغيظ عليه اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقوله والمطر قيظا جعل وقوع المطر
قيظا من علامات تلك الشرور وهو ايضا مما يعد شرا لانه لا يثير نباتا ولا يقوم عليه زرع ويفسد الثمار والغلات وكانه كنى به عن انقلاب احوال
الخير شرورا وقوله وكان اهل ذلك الزمان الى قوله امواتا اهل كل زمان ينقسمون الى ملوك واكابر واوساط وادانى فاذا كان زمان
العدل كان اهله فى نظام سلكه فيفيض عدل الملوك على من يليهم ثم بواسطتهم على من يليهم حتى ينتهى الى ادانى الناس واذا كان زمان
الجور فاض الجور كذلك فكانت السلاطين سباعا ضارية مفترسة لكل ذى سمن وكان اهل ذلك الزمان واكابره ذئابا ضارية على اوساط
الناس وكانت الاوساط اكالا لهم وكانت الفقراء امواتا لانقطاع مادة حياتهم ممن هو اعلى منهم رتبة وتجوز بلفظ الاموات عن غلبة الشدة
والبلاء لكون الموت غاية ذلك اطلاقا لاسم السبب الغائى على مسببه ثم استعار لفظ الغيض لقلة الصدق والفيض لظهور الكذب وكثرته
ملاحظة لشبههما بالماء واستعمال المودة باللسان اشارة الى النفاق وهو التودد بالقول مع التباعد بالقلوب وعقدها على البغض والحسد
واستعار لفظ التشاجر بالقلوب ملاحظة لشبهها بالرماح فكما ان الرمح يشتجر به فكذلك قلوب بعضهم تعقد على هلاك بعض والطعن فيه
بانواع المهلكات وكذلك لفظ النسب للفسوق ووجه المشابهة كون الفسق بينهم بوصلة هو سبب التواصل والتزاور والتحاب كما ان النسب
كذلك وصار العفاف عجبا لقلته وعوزه وندرته بينهم ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا من احسن التشبيه والمشبه والمشبه به هاهنا هو
لبس الفرو ووجه الشبه كونه مقلوبا وبيانه انه لما كان الغرض من الاسلام ان يكون باطنا ينتفع به القلب ويظهر فيه منفعته فقلب المنافقون
غرضه واستعملوه بظاهر السنتهم دون قلوبهم اشبه قلبهم له لبس الفرو اذ كان اصله ان يكون حمله فى المنفعة الحيوان الذى هو لباسه
فاستعمله الناس مقلوبا وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** كُلُّ شَىْءٍ خَاشِعٌ لَهُ وَكُلُّ شَىْءٍ قَائِمٌ بِهِ غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ وَعِزُّ كُلِّ
ذَلِيلٍ وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ
مُنْقَلَبُهُ لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ

اى انقضت مدته

في توحيد الله وتنزيهه وجلاله

ولا يسبقك من طلبت ولا يفلتك من أخذت ولا ينقص سلطانك من عصاك ولا يزيد في ملكك من أطاعك ولا يرد أمرك من سخط
قضاءك ولا يستغني عنك من تولى عن أمرك كل سر عندك علانية وكل غيب عندك شهادة أنت الأبد فلا أمد لك وأنت المنتهى
فلا محيص عنك وأنت الموعد فلا منجا منك الا اليك بيدك ناصية كل دابة واليك مصير كل نسمة سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك وما
أصغر عظمه في جنب قدرتك وما أهول ما نرى من ملكوتك وما أحقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك وما أسبغ نعمك في الدنيا
وتعظيمه وما أصغرها في نعم الآخرة **أقول** هذا الفصل من أشرف الفصول المشتملة على توحيد الله وتنزيهه وإجلاله واللهف الحزن والملهوف
المظلوم يستغيث والأبد الدائم والأمد الغاية وحاص عن الشيء عدل وهرب والمحيص المهرب وفيه اعتبارات ثبوتية وسلبية أما الثبوتية
فعشرة الأول خشوع كل شيء له والخشوع هاهنا بحسب اشتراك اللفظ إذ الخشوع من الناس يعود إلى تطامنهم وخضوعهم لله ومن الملائكة دؤبهم
في عبادتهم ملاحظة لعظمته ومن سائر الممكنات انفعالها عن قدرته وخضوعها في رق الإمكان والحاجة إليه والشرك وإن كان لا يستعمل في
جميع مفهوماته حقيقة فقد بينا أنه يجوز استعماله مجازا فيها بحسب القرينة وهي هاهنا إضافته إلى الكل أو لأنه في قوة المتعدد كقوله تعالى إن الله وملائكته
يصلون على النبي فكأنه قال الملك خاشع له والبشر خاشع له وهذا الاعتبار يستلزم وصفه تعالى باعتبارين أحدهما كونه عظيما والثاني كونه
غنيا أما العظيم فينقسم إلى ما يكبر حاله في النفس ولكن يتصور أن يحيط بكماله العقول ويقف على كنه حقيقته وإلى ما يمكن أن يحيط ببعض
العقول وإن فات أكثرها وهذان القسمان إنما يطلق عليهما لفظ العظمة بالإضافة وقياس كل إلى ما دونه فيما هو عظيم عنه وإلى ما لا يتصور
أن يحيط به العقل أصلا وذلك هو العظيم المطلق الذي جاوز حدود العقول أن يقف على صفات كماله ونعوت جلاله وليس هو إلا الله تعالى
وأما الغني فسنذكره الثاني قيام كل شيء به واعلم أن جميع الممكنات إما جواهر أو أعراض وليس شيء منها يقوم بذاته في الوجود أما الأعراض فظاهر
لظهور حاجتها إلى المحل الجوهري وأما الجواهر فلأن قوامها في الوجود إنما يكون بقيام عللها وينتهي إلى الفاعل الأول جلت عظمته فهو
إذن الفاعل المطلق الذي به قوام كل موجود في الوجود وإذ ثبت أنه تعالى غني عن كل شيء في كل شيء وثبت أنه به قوام كل شيء ثبت أنه القيوم المطلق
إذ مفهوم القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره فكان هذا الاعتبار مستلزما لهذا الوصف الثالث كونه تعالى غنى كل فقير ويجب أن يحمل الفقر على
ما هو أعم من الفقر المتعارف وهو مطلق الحاجة ليتم التمجيد كما أن الغنى هو سلب مطلق الحاجة وإذ ثبت أن كل ممكن فهو مفتقر في طرفيه
في سلسلة الحاجة إليه وأنه تعالى المقيم له في الوجود ثبت أنه رافع حاجة كل موجود بل كل ممكن وهو المراد بكونه غنى له وإطلاق عليه تعالى لفظ
الغنى وإن كان الغني به مجاز إطلاقا لاسم السبب على المسبب الرابع كونه عز كل ذليل وقد سبق أن معنى العزيز هو الخطير الذي يقل
وجود مثله وتشتد الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه فما اجتمعت فيه هذه المفهومات الثلاثة سمي عزيزا وسبق أيضا أن هذه المفهومات
مقولة بالزيادة والنقصان على ما تصدق عليه وأنه ليس الكمال في واحد منها إلا الله سبحانه وفي مقابله الذليل وثبت أنه تعالى عز كل موجود
لأن كل موجود سواه إنما يتحقق فيه هذه المفهومات الثلاثة منه سبحانه لأنه الناظم لسلسلة الوجود والواضع لكل من الموجودات في رتبته من
النظام الكلي فمنه عز كل موجود وكل موجود ذليل في رق الإمكان والحاجة إليه في إفاضة المفهومات الثلاثة عليه فهو إذن عز كل ذليل وإطلاق
لفظ العز عليه كإطلاق لفظ الغنى الخامس وقوة كل ضعيف القوة تطلق على كمال القدرة وعلى شدة الممانعة والدفع ويقابلها الضعف وهما
مقولان بالزيادة والنقصان على من يطلقان عليه وإذ ثبت أنه تعالى مستند جميع الموجودات والمفيض على كل قابل ما يستعد له ويستحقه فهو المعطي
لكل ضعيف عادم القوة من نفسه كماله وقوته فمنه قوة كل ضعيف بالمعنيين المذكورين لها وروي أن الحسن قال واعجبا لنبي الله لوط إذ
قال لقومه لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد أتراه أراد ركنا أشد من الله تعالى والإطلاق لفظ القوة عليه كإطلاق لفظ الغنى أيضا السادس
كونه مفزع كل ملهوف أي إليه ملجأ كل مضطر في ضرورته حال خوف وحزن وظلم كما قال تعالى وإذا مسكم الضر فإليه تجأرون وإذا مسكم الضر في
البحر ضل من تدعون إلا إياه فكل مفزع وملجأ غيره فللمضطر لا لكل مضطر مجازا لا حقيقة وإضافي لا حقيقي وهذا الاعتبار يستلزم كمال
القدرة لله لشهادة فطرة ذي الضرورة بنسبة جميع أحوال وجوده إلى جوده ويستلزم كمال العلم لشهادة فطرته باطلاعه على ضرورته وكونه
سميعا بصيرا وخائفا ومجيبا للدعوات وقيوما ونحوها من الاعتبارات السابع كونه من تكلم سمع نطقه الثامن من سكت علم سره وهما تبيان
إلى وصفي السميع العليم ولما كان السميع يعود إلى العالم بالمسموعات استلزم الوصفان إحاطته بما أظهر العبد وأبداه وما أسره وأخفاه في حال
نطقه وسكونه وقد سبقت الإشارة إلى ذلك التاسع ومن عاش فعليه رزقه العاشر ومن مات فإليه منقلبه وهما إشارتان إلى كونه
تعالى مبدأ للعباد في وجودهم وما يقوم به عاجلا ومنتهى لهم وغاية لهم آجلا فإليه رجوع الأحياء منهم والأموات وبه قيام وجودهم حال
الحياة والممات الحادي عشر من الاعتبارات السلبية لم ترك العيون فنخبر عنك وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب كقوله إياك
نعبد وهذا الالتفات وعكسه يستلزم شدة عناية المتكلم بالمعنى المنتقل إليه وحسنه معلوم في علم البيان واعلم أن هذا الكلام لا بد
فيه من تجوز أو إضمار وذلك أنا إن جعلنا الرائي هو العيون كما عليه اللفظ ويصدق حقيقة لزم إسناد قوله فنخبر إليها مجازا لكون الإخبار
ليس لها وإن راعينا عدم المجاز لزم أن يكون التقدير لم ترك العيون فنخبر عنك أربابها أو لم تراك أرباب العيون فنخبر عنك فيلزم الإضمار وبلزوم

الغارض بينه وبين المجاز لكن قد علمت في مقدمات اصول الفقه انهما سيان في المرتبة وغرض الكلام تنزيهه تعالى عن وصف المشبهة وتنجيم
واخبارهم عنه بالصفات التي من شانها ان يخبر عنها الراؤن عن مشاهدة حسية مع اعترافهم بان اخبارهم ذلك من غير رؤية ولما كان الاخبار
عن المحسوسات ومما من شانه ان يحس بما يصدق اذا استند الى الحس لا جرم استلزم سلبه لرؤية العيون له سلب الاخبار عنه من جهتها
وكذب الاخبار عنه بما لا يعلم الا من جهتها وبخبره وان كان في صورة الاثبات الا انه منفي لنفي لازمه وهي رؤية العيون له اذ كان الاخبار من جهتها
يستلزم رؤيتها ونصبه باضمار ان عقيب الفاء في جواب النفي والكلام في تقدير شرطية متصلة صورتها لو صح اخبار العيون عنك لكانت
قد رأتك لكنها لم ترك فلم تصح ان تخبر عنك فاما قوله بل كنت قبل الواصفين من خلقك فتعليل لسلب الرؤية المستلزم لسلب الاخبار
عنها بقياس ضمير تقديره بل كبراه وكل من كان قبل واصفيه لم يروه فلم يخبروا عنه وهذه الكبرى من المظنونات المشهورات في بادي النظر
هي كما علمت من مواد قياس الخطيب وان كانت اذا تعقبت لم توجد كلية اذ ليس كلما وجد قبلنا بطل اخبارنا عنه ويمكن حمل هذا القول
على وجه التحقيق وهو ان نقول المراد بقبليته تعالى للواصفين قبلية وجوده بالعلية الذاتية وهي بهذا الاعتبار مستلزمة لتنزيهه تعالى
عن الجسمية ولواحقها المستلزم لامتناع الرؤية المستلزم لكذب الاخبار عنه من وجه المشابهة الحسية الثاني عشر كونه لم يتخلق لوحشة وهو
اشارة الى تنزيهه عن الطبع المستوحش والمستأنس وقد سبق بيان ذلك في الخطبة الاولى الثالث عشر كونه لا استعملهم لمنفعة اي لم يكن خلقه لهم
لمنفعة تعود اليه وقد سبق بيان ان جلب المنفعة ودفع المضرة من لواحق المزاج المنزه قدس الله تعالى عنه الرابع عشر كونه لا يسبقك من طلبت اي
لا يفوتك هربا الخامس عشر كونه لا يفلتك من اخذت اي لا يفلت منك بعد اخذه فحذف حرف الجر وعدى الفعل بنفسه كما قال تعالى واختار موسى قومه
وهذان الاعتباران يستلزمان كمال ملكه وتمام قدرته واحاطة علمه اذ اي ملك فرض فقد يتخوف من بعد الهارب ويفلت من اسره المأخوذ بحيلة
ونحوها السادس عشر كونه لا ينقص سلطانه من عصاه السابع عشر كونه لا يزيد في ملكه من اطاعه وهما تنزيه له تعالى عن احوال ملوك الدنيا
اذ كان كمال السلطان احدهم بزيادة جنوده وكثرة مطيعيه وقلة المخالف والعاصي له ونقصان ملكه بعكس ذلك وهو سبب التسلط اعدائه
عليه وطمعهم فيه فاما سلطانه تعالى فلما كان لذاته وكمال قدرته مستوليا وهو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويذل
من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير لم يتصور خروج العاصي بمعصيته عن كمال سلطانه حتى يؤثر في نقصانه ولم يكن لطاعة الطائع تاثير
في زيادة ملكه الثامن عشر كونه لا يرد امرك من سخط قضاءك يريد بالامر هنا القدر النازل على وفق القضاء الالهي وهو تفصيل القضاء
كما بيناه وهذا الاعتبار يستلزم تمام قدرة الله وكمال سلطانه اذ كان ما علم وجوده فلا بد من وجوده سواء كان محبوبا للعبد او مكروها
له كما قال تعالى ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان
يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وانما خص المتسخط للقضاء بالعجز عن رد الامر اذ كان من شانه ان لو قدر لرد القدر التاسع عشر كونه لا يستغني
عنك من تولى عن امرك اراد بالامر هاهنا الظاهر وهو اوامره عباده بطاعته وعبادته وظاهر ان من تولى عن امر الله فهو اليه اشد فقرا وانقص
ذاتا ممن تولى امره وهذا الاعتبار يستلزم كمال سلطانه وغناه المطلق العشرون كل سر عندك علانية الحادي والعشرون وكل غيب عندك
شهادة وهذان الاعتباران يستلزمان كمال الاحاطة وعلمه بجميع المعلومات ولما كانت نسبة علمه تعالى الى المعلومات على سواء لا جرم استوى
بالنسبة اليه السر والعلانية وانصفات الستر والغيب انما يطلقان بالقياس الى مخفي عنه وغائب عنه وهي القلوب المحجوبة بالطبيعة واستار
الهيئات البدنية والارواح المستولي عليها نقصان الامكان الحاكم عليها بجهل احوال ما هو اكمل منها وكل ذلك مما تنزه قدسه تعالى عنه الثاني
والعشرون انت الابد فلا امد لك اي انت الدائم فلا غاية لك ينقطع عندها وجودك وذلك لاستلزام وجوب وجوده امتناع عدمه اولا واخرا
بالغاية وقال بعض الشارحين اراد انت ذو الابد كما قيل انت خال اي ذو خال من الخيلاء وهو الكبر واقول تعريف ذلك انه لما كان الازل
والابد لازمين لوجود الله تعالى اطلق الابد على وجوده مجازا للمبالغة في الدوام كان احدهما هو بعينه الاخر كقولهم انت الطلاق في المبالغة
في البينونة الثالث والعشرون وانت المنتهى فلا محيص عنك الرابع والعشرون وانت الموعد فلا منجا منك الا اليك اما انه تعالى المنتهى
والموعد فلقوله تعالى وان الى ربك المنتهى وقوله الى الله مرجعكم جميعا والمنتهى في كلامه هو الغاية وقد سبق بيان انه تعالى غاية الكل ومرجعه
واما انه لا معدل عنه ولا ملجأ منه الا اليه فاشارة الى الضرورة لغائية كقوله تعالى وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه الخامس والعشرون بيدك
ناصية كل دابة اي في ملكك وتحت تصريفك فذلك كقوله تعالى ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها وانما خصت الناصية لحكم الوهم بانه تعالى
في جهة فوق فيكون اخذه بالناصية ولانها اشرف ما في الدابة فسلطانه تعالى على الاشرف يستلزم القهر والغلبة وتمام القدرة السادس
والعشرون واليك مصير كل نسمة وقد سبق انه تعالى منتهى الكل واليه مصيره وقوله سبحانك ما اعظم ما نرى من خلقك الى قوله تنزيه
وتقديس لله تعالى عن احكام الاوهام على صفاته بتشبيهه بمدركاتها وتعجب في معرض التمجيد من عظم ما يشاهد من مخلوقاته كاطباق
الافلاك والعناصر وما تركب عنها ثم من حقارة هذه العظمة بالقياس الى ما غيره العقول من ملكوته وما يمكن في كمال قدرته
من الممكنات الغير المتناهية وظاهر ان نسبة الموجود الى الممكن في العظم والكثرة يستلزم حقارته وصغره ثم من هول ما وصلت اليه العقول من

بحجب

ذلك د

في فضيلة الملائكة

عظمة ملكوته ثم من حقارة نعم الدنيا بالقياس الى ما غاب عنها وحجبت عن ادراكه باستار القدرة وحجب العزة من الملاء الاعلى وسكان حظائر القدس
وحال العالم العلوي ثم من شيوع نعمة الله تعالى على عباده في الدنيا وحقارة تلك النعم بالقياس الى النعمة التي اعدها لهم في الاخرة وظاهر
ان الدنيا اذا اعتبرت الى نعم الاخرة في الدوام والكثرة والشرف كانت بالقياس اليها في غاية الحقارة وبالله التوفيق **منها** من ملائكة
اسكنتهم سمواتك الى اخره في هذا الفصل فصول **الاول** قوله من ملائكة اسكنتهم سمواتك ورفعتهم عن ارضك هم اعلم
خلقك بك واخوفهم لك واقربهم منك لم يسكنوا الاصلاب ولم يضمنوا الارحام ولم يخلقوا من ماء مهين ولم يتشعبهم ريب
المنون وانهم على مكانهم منك ومنزلتهم عندك واستجماع اهوائهم فيك وكثرة طاعتهم لك وقلة غفلتهم عن امرك لو عاينوا
كنه ما خفي عليهم منك لحقروا اعمالهم ولزروا على انفسهم ولعرفوا انهم لم يعبدوك حق عبادتك ولم يطيعوك حق طاعتك
اقول المهين الحقير والتشعب الانقسام والتفريق والمنون الدهر وريبه ما يكره من حوادثه والمكانة المنزلة وكنه الشيء نهاية حقيقته
وزرى عليه عتب فعله واعلم ان من في صدد هذا الفصل لبيان الجنس وذلك انه لما شرع في بيان عظمة الله تعالى وجعل مادة ذلك
التعظيم تعديد مخلوقاته وذكر الاشرف فالاشرف منها فذكر الملائكة السماوية واشار الى فضيلتهم باوصاف الاول كونهم اعلم خلق الله به
وهو ظاهر اذ ثبت ان كل مجرد كان علمه ابعد عن منازعة النفس الامارة بالسوء التي هي مبدا الغفلة والسهو والنسيان كان اكمل معارفه وعلومه
ممن عداه ولان الملائكة السماوية وسائط لغيرهم في وصول العلم وسائر الكمالات الى الخلق فكانوا كالاستاذين لمن عداهم وظاهر ان الاستاد
اعلى درجة من التلميذ وقد عرفت في الخطبة الاولى ان المعارف مقولة بحسب التشكيك الثاني كونهم اخوف له وذلك لكونهم اعلم بعظمة
الله وجلاله وكل من كان اعلم بذلك كان اخوف واشد خشية اما الاولى فلما مر واما الثانية فلقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
حصر الخشية في العلماء وبحسب تفاوت العلم بالشدة والضعف يكون تفاوت الخشية بهما الثالث كونهم اقرب منه والمراد القرب المكاني
لتنزهه تعالى عن المكان بل قرب المنزلة والرتبة منه وظاهر ان من كان اعلم به واخوف منه كان اقرب منزلة عنده لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقيكم الرابع من سلب النقصانات البشرية عنهم كونهم لم يسكنوا الاصلاب ولم يضمنوا الارحام ولم يخلقوا من ماء مهين ولم يختلف
عليهم حوادث الدهر ووجه كون هذه الامور الاربعة نقصانات تلزم الحيوان العنصري لاستلزامها التغير ومخالطة الحال المستقذرة و
معاناة الاسقام والامراض وسائر الهيئات البدنية المانعة عن التوجه الى الله فكان سلبها عمن لا يجوز عليه كالمدح وقوله وانهم على مكانهم
منك الى اخره لما بين عظمة الملائكة بالنسبة الى من عداهم شرع في المقصود وهو بيان عظمة الله تعالى بالنسبة اليهم وحقارتهم على عظمهم بالقياس
الى عظمته وكبريائه اي انهم مع كونهم على هذه الاحوال التي توجب لهم العظمة والاجلال من قرب منزلتهم منك وكمال محبتهم لك وعزوفهم في
انوار كبريائك عن الالتفات الى غيرك لو عرفوا كنه معرفتك لصغرت في اعينهم اعمالهم وعلموا ان لا نسبة لعبادتهم الى عظمتك وجلال وجهك
ولما كان كمال العبادة ومطابقتها للامر المطاع بحسب العلم بعظمته وكانت ذات الحق سبحانه اعظم من ان يطلع عليها بالكنه ملك مقرب او
نبي مرسل لا جرم كانت عبادة الملائكة بحسب معارفهم القاصرة عن كنه حقيقته فكل من كانت ثم كانت عبادته من دونه مستحقرة في جانب
عبادته حق لو زادت معارفهم به وامكن اطلاعهم على كنه حقيقته لزادت عبادتهم وكانت اكمل فاستحقروا ما كانوا فيه وعابوا انفسهم بقصور
الطاعة والعادة والعبادة عما يستحقه كماله المطلق وعبر بقلة الغفلة عن عدمها في حقهم مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان كل
معدوم قليلا ولا ينعكس وجعل قلة الغفلة في مقابلة كثرة الطاعة ويحتمل ان يريد بقلة الغفلة قوة معرفة بعضهم بالنسبة الى بعض
مجازا ايضا اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه اذ كانت قلة الغفلة مستلزمة لقوة المعرفة وزيادتها وقد سبق ذكر انواع الملائكة السماوية وغيرهم
وذكر نكت من احوالهم في الخطبة الاولى **الفصل الثاني** قوله سبحانك خالقا ومعبودا بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا وجعلت
فيها مأدبة مشربا ومطعما وازواجا وخدما وقصورا وانهارا وزروعا وثمارا ثم ارسلت داعيا يدعو اليها فلا الداعي اجابوا
ولا فيما رغبت رغبوا ولا الى ما شوقت اليه اشتاقوا اقبلوا على جيفة قد افتضحوا باكلها واصطلحوا على حبها ومن عشق شيئا
اعشى بصره وامرض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع باذن غير سميعة قد خرقت الشهوات عقله واماتت الدنيا قلبه و
ولهت عليها نفسه فهو عبد لها ولمن في يديه شيء منها حيثما زالت زال اليها وحيثما اقبلت اقبل عليها لا يزدجر
من الله بزاجر ولا يتعظ منه بواعظ وهو يرى الماخوذين على الغرة حيث لا اقالة ولا رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون وجاءهم
من فراق الدنيا ما كانوا يامنون وقدموا من الاخرة على ما كانوا يوعدون فغير موصوف ما نزل بهم اجتمعت عليهم سكرة الموت و
حسرة الفوت ففترت لها اطرافهم وتغيرت لها الوانهم ثم ازداد الموت فيهم ولوجا فحيل بين احدهم وبين منطقه وانه لبين اهله
ينظر ببصره ويسمع باذنه على صحة من عقله وبقاء من لبه يفكر فيم افنى عمره وفيم اذهب دهره ويتذكر اموالا جمعها اغمض
دهره ويتذكر اموالا جمعها اغمض في مطالبها واخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها قد لزمته تبعات جمعها واشرف على
فراقها تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ويتمتعون بها فيكون المهنا لغيره والعبء على ظهره والمرء قد غلقت رهونه بها فهو يعض.

نعم
لزروا
عليهم
معرفتهم
خلقت هم
يعض د
زالت هم

حازها

يده ندامةً على ما اصحر له عند الموت من امره ويزهد فيما كان يرغب فيه ايام عمره ويتمنى ان الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط سمعه فصار بين اهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه يردد طرفه بالنظر في وجوههم يرى حركات السنتهم ولا يسمع رجع كلامهم ثم ازداد الموت التياطاً به فقبض بصره كما قبض سمعه وخرجت الروح من جسده فصار جيفةً بين اهله قد اوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه لا يسعد باكياً ولا يجيب داعياً ثم حملوه الى مخطٍّ من الارض واسلموه فيه الى عمله وانقطعوا عن زورته **اقول** المادبة بضم الدال وفتحها الطعام يصنع ويدعى اليه والوله التحير لشدة الوجد والحيرة واغمض اي تساهل في مطالبها وتساهل في وجوه اكتسابها ولم يحفظ دينه ولم يتقها عما يلحق من اثم وعقاب والمهنأ المصدر من هنؤ بالضم وهنئ بالكسر والعبء الحمل واصحر انكشف ورجع الكلام جوابه وترديده والالتياط الالتصاق والمخط موضع الخط كناية عن القبر يخط اولاً ثم يحفر ويروى بالخاء ومخط القوم منزلهم وفي هذا الفصل نكت الاولى ان خالقاً ومعبوداً حالان انتصبا عما في سبحانك من معنى الفعل اي اسبحك خالقاً ومعبوداً واشار بذلك الى وجوب تنزيهه في هذين الاعتبارين اعني اعتبار كونه خالقاً للخلق ومعبوداً لهم عن الشركاء والانداد فانه لما فرضناه انفرد بالابداع والخلق واستحق بذلك لتفرده تفرده بعبادة الكل له وجب تنزيهه عن مساوٍ له في الاعتبارين الثانية قوله بحسن بلائك عند خلقك خلقت داراً الجار والمجرور متعلق بخلقت ولفظ الدار مستعار للاسلام ولفظ المادبة للجنة والداعي هو الرسول صلى الله عليه وآله وقد جمعها الخبر في بعض امثاله صلى الله عليه وآله ان الله جعل الاسلام داراً والجنة مادبةً والداعي اليها محمداً ووجه الاستعارة الاولى ان الاسلام يجمع اهله ويحميهم كالدار ووجه الثانية ان الجنة مجمع الشهوات ومنبع اللذات كالمادبة ويحتمل ان يريد بالدار الآخرة باعتبار كونها مجمعاً ومستقراً والمادبة فيها الجنة والمثوبات الثمانية ثمرات لتلك المادبة وظاهر ان وجود الاسلام والجنة والدعوة اليها بلاءٌ حسن من الله لخلقه وقد عرفت معنى ابتلائه نعمه وقال بعض الشارحين ان قوله بحسن بلائك متعلق بسبحانك او بمعبود وهو بعيد الثالثة قوله فلا الداعي اجابوا الى قوله بواعظ شرح لحال العصاة الذين لم يجيبوا داعي الله وبيان لعيوبهم عرفهم في حب الباطل من الدنيا وفائدته اما للمنتهين اللازمين لاوامر الله المجيبين لدعوته فتنفيرهم عن الركون الى هؤلاء والوقوع فيما وقعوا فيه واما لهؤلاء فتنبيههم من مراقد غفلاتهم بذكر كثير من عيوبهم لعلهم يرجعون واستعار لفظ الجيفة للدنيا ووجه المشابهة ان لذات الدنيا وقنياتها في نظر العقلاء واعتبار الصالحين منفور عنها ومهروب منها ومستقذرة كالجيفة والى ذلك اشار الواصف لها

وما هي الا جيفةٌ مستحيلةٌ عليها كلابٌ همهن اجتذابها فان تجتنبها كنت سلماً لاهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها

ويمكن اخذ معنى البيت الثاني في وجه الاستعارة المذكورة وكذلك استعار لفظ الافتضاح للاشتهار باقتنائها وجمعها والخروج عن شعار الصالحين ووجه الاستعارة انه لما كان الاقبال على جمع الدنيا والاشتغال بها عن الله من اعظم الكبائر والمساوي في نظر الشارع والسالكين لطريق الله وكان الافتضاح عبارة عن انكشاف المساوي المتعارف قبحها لاجرم اشبه الاشتهار بجمعها وانكشاف الحرص عليها الافتضاح ويمكن ان يصدق الافتضاح ههنا حقيقةً وكنى باكلها عن جمعها وتجوز بلفظ الاصطلاح في التوافق على محبتها اطلاقاً لاسم الملزوم على لازمه فان الاصطلاح عبارة عن التراضي بعد التغاضب ويلزمه الاتفاق على الاحوال وقوله ومن عشق شيئاً اعشى بصره وامرض قلبه كبرى قياس دل على صغراه قوله واصطلحوا على حبها لان الاصطلاح على محبة الشيء يستلزم شدة محبته وهو العشق ونتيجته ان المذكورين في معرض الذم قد اعشت الدنيا ابصارهم وامرضت قلوبهم واستعار لفظ البصر لنور البصيرة ملاحظةً لشبه المعقول بالمحسوس ولفظ العشا لظلمة الجهل ملاحظةً للشبه بالظلمة العارضة للعين بالليل واسناد الاعشاء الى الدنيا يحتمل ان يكون حقيقةً لما يستلزم حبها من الجهل والغفلة عن احوال الآخرة ويحتمل ان يريد بالبصر حقيقته ويكون لفظ العشا مستعاراً لعدم استفادتهم بابصارهم عبرةً بصرفهم عن حب الدنيا الى ملاحظة احوال الآخرة ويؤيده قوله فهو ينظر بعين غير صحيحة وكنى بعدم صحتها عما يلزم العين غير الصحيحة من عدم الانتفاع بها في تحصيل الفائدة وكذلك استعار لفظ المرض للآراء الاكبر وهو الجهل استعارةً لفظ المحسوس للمعقول وقوله فهو يسمع باذن غير سميعة كنى بذلك عن عدم افادتها عبرةً من المواعظ والزواجر الالهية كما سبق وكذلك استعار لفظ التخريق لتفرق عقله في مهمات الدنيا ومطالبها ووجه الاستعارة ان العقل اذا استعمل فيما خلق لاجله من اتخاذ الزاد ليوم المعاد واقتباس العلم والحكمة من تصفح جزئيات الدنيا والاستدلال بها على وجود الصانع وما ينبغي له ونحو ذلك مما هو كماله المستعد له في الآخرة فانه يكون منتظماً منتفعاً به واما ان استعمل فيما لا ينبغي من جمع متفرقات الدنيا وتوزيع الهمة في تحصيل جزئياتها وضبطها حتى يكون ابداً في الحزن والاسف على فوات ما فات وفي الخوف من زوال ما يحصل وفي الهمة والحرص على جمع ما لم يحصل بعد فانه يكون كالثوب المخرق الذي لا ينتفع به صاحبه ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله من جعل الدنيا اكبر همه فرق الله عليه همه وجعل فقره بين عينيه الحديث وكذلك نسبة ذلك التخريق الى الشهوات اذ كان زمام عقله بيد شهوته فهي تفرقه وتمزقه على حسب تفرقاتها وميولها الى انواع المشتهيات وكذلك استعار لفظ الاماتة للقلب ووجه المشابهة خروجه عن الانتفاع به الانتفاع الحقيقي الباقي كالميت والضمير في قوله عليها يعود الى الدنيا

لسانه

سلماً لها

شيئاً

في بيان فضيلة الملائكة

سمي موتهن على نفسها بنفسه وكنى بالتولد عن شدة المحبة لها واطلقه مجازا تسمية للشئ بما هو من غاياته وكذلك استعار لفظ العشق له
لكون محبتها والحرص لتحصيلها متصرفا بحسب تصرفها وفعالها في حركاته حيث دارت فان كانت في يده اقبل عليها بالعمارة والحفظ وان
زالت عنه انتصب الى تحصيلها وخدمة من كانت في يده لغرضها فهو في ذلك كالعبد لها بل احسن حالا كما قال ع في موضع اخر عبد
الشهوة اذل من عبد الرق اذ الباعث لعبد الرق على الخدمة والانقياد قد يكون قهرا والباعث لعبد الشهوة طبيعي وشتان ما هما
الرابعة قوله وهو يرى الماخوذين على الغرة فالواو في قوله وهو للحال وهو شروع في وصف نزول الموت بالغافلين عن الاستعداد
له وما وراءه من احوال الاخرة وكيفية فجئ الموت لارواحهم من مستقرها لهم الى الاخرة وكيفية احوالهم مع اهليهم واخوانهم معه وهو
وصف لا مزيد عليه في وضوحه وبلوغه وفائدته تذكيرا لغافلين باهوال الموت وتنبيههم من غفلتهم في اثناء الحال بل انه على وجوب العمل للتثبيت
للسالكين الى الله على ما هم عليه ومراده بقوله ما كانوا يجهلون لا الموت فانه معلوم لكل احد بل تفصيل سكراته واهواله وما كانوا يامنون
اشارة الى الموت وما بعده فان الغافل حال انهماكه في لذات الدنيا لا يعرض له خوف الموت بل يكون في تلك الحال امنا منه وقوله
فغير موصوف ما نزل بهم اي لعسر ذلك مما يمكن استقصاؤه بوصف بل غايته التمثيل كما ورد في التوراة ان مثل الموت كمثل شجرة شوك
ادرجت في بدن ابن ادم فتعلقت كل شوكة بعرق وعصب ثم جذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وابقى ما ابقى واستعار لفظ
الولوج لما يتصور من فراق المحبوبة لعضو عضو فاشبه ذلك دخول جسم في جسم اخر وكذلك استعار لفظ العب للاثام التي يحملها النفس
ورشح بذكر الظهر استعارة لفظ المحسوس للمعقول الخامسة قوله والمرء قد غلقت رهونه بما اشرنا الى مثال الحصول المرء في تبعات ما جمع
وارتباطه عن الوصول الى كماله وامتناع انتقاله الى سعادته بعد الموت وقد كان يمكنه فكاكها بالتوبة والاعمال الصالحة فاشبه ما جمع من
الهيئات الرديئة في نفسه عن اكتساب الاموال اذ ارتهنت بها ما على الرهن من المال وقال البعض الشارحين واراد انه لما اشفى على
الفراق صارت الاموال التي جمعها مستحقة لغيره ولم يبق بيده تصرف فاشبهت الرهن الذي يغلق على صاحبه فخرج عن كونه مستحقا
لصاحبه وصار مستحقا للمرتهن وهذا وان كان محتملا الا انه يتسع تضييع فائدة قوله بها لان الضمير يعود الى الاموال المجموعة وهو
اشارة الى المال الذي تعلق الرهن به فلا يكون هو نفس الرهن وقوله وهو يعض يده كناية عما يلزم ذلك من الاسف والحزن والندم
على تفريطه في جنب الله حيث ينكشف له حال الموت انقطاع سببه من الله وفوت ما كان يتوهم بقاءه عليه مما اشتغل به عن ربه حيث
يتحسر على ذلك التفريط كما قال تعالى ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين ويتمنى هداية الله فيقول لو
ان الله هداني لكنت من المتقين او الرجعة الى الدنيا لامتثال ما فرطت فيه من الاوامر الالهية فيقول حين يرى العذاب لو ان لي كرة
فاكون من المحسنين وكما قال تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا وقد تنبه ع في هذا الكلام على
ان الة النطق تبطل من الانسان حال الموت قبل الة السمع والبصر بقوله فحيل بين احدهم وبين منطقه وانه لبين اهله ينظر ببصره
ويسمع باذنه على صحة من عقله ثم نبه على بطلان الة السمع بعدها وقبل الة البصر وان الة البصر تبطل مع المفارقة بقوله حتى
خالط سمعه الى قوله يرى حركات السنتهم ولا يسمع رجع كلامهم وذلك لعلة باسرار الطبيعة وليس كلاما مطلقا بل في بعض الناس
واغلب ما يكون ذلك فيمن تعرض الموت الطبيعي لا لانه والا فقد تعرض افة لقوة البصر والة قبل الة السمع والة النطق و
الذي يلوح من اسباب ذلك انه لما كان السبب للعام القريب للموت هو انطفاء الحرارة الغريزية عن فناء الرطوبة الاصلية
التي منها خلقنا وكان فناء تلك الرطوبة عن عمل الحرارة الغريزية فيها بالتجفيف والتحليل وقد يعينها على ذلك الاسباب الخارجية
من الاهوية واستعمال الادوية المجففة وسائر المجففات كان كل عضو ايبس من طبيعته وابرد اسرع الى البطلان واسبق الى
الفناء اذا عرفت ذلك فنقول اما ان الة النطق اسرع فسادا من الة السمع فلان الة النطق مبنية على الاعصاب المحركة ومركبة
منها والة السمع من الاعصاب المفيدة للحس واتفق الاطباء على ان الاعصاب المحركة ايبس وابرد لكونها منبعثة من مؤخر الدماغ
دون الاعصاب المفيدة للحس فان جلها منبعث من مقدم الدماغ فكانت لذلك اقرب بطلانا ولان النطق اكثر شرائطا من السماع لتوقفه
مع الالة وسلامتها على الصوت وسلامة مخارجه ومجاري النفس والاكثر شروطا اسرع الى الفناء واما بطلان الة السمع قبل البصر
فلان منبت الاعصاب التي هي محل القوة السامعة اقرب الى مؤخر الدماغ من منابت محل القوة الباصرة فكانت ايبس وابرد
واقبل لانطفاء الحرارة الغريزية ولان العصب المفروش على الصماخ الذي تنبث فيه قوة السمع احتاج ان يكون مكشوفا غير
مستور عن سبيل الهواء بخلاف العصب الذي هو الة البصر فكانت لذلك اصلب وانه لا صلب ايبس واسرع فسادا هذا مع
مع انه قد يكون ذلك لتحلل الروح الحامل للسمع قبل الروح الحامل للبصر ولغير ذلك والله اعلم واما سبب النفرة الطبيعية من
الميت والتوحش من قربه فحكم الوهم على المتخيلة بمحاكاة حاله في نفس المتوهم وعزل العقل في ذلك حتى ان الجاهل بالميت في موضع
منفرد ويتخيل ان الميت يجذبه اليه ويصيره بحالة مثل حالته المنفور عنها طبعا السابعة قوله واسلموه الى عمله اشارة الى

بلا عذر

في البطلان

الموضع

[illegible]

في تأويل بدل السماء والأرض

كل ثواب وعقاب اخروي يفاض على النفس بحسب استعدادها باعمالها السابقة الحسنة والسيئة فعمل الانسان هو النافع له ايضا
له حين لا ناصر له ولما كان مبدأه ع في هذا الكلام الى الانذار والتخويف لاجرم ذكر اسلامهم له الى عمله لان الاسلام انما يكون
الى العدو فلما حاول ان ينفر عن قبح الاعمال نبه على ان عمل الانسان القبيح يكون كعدو قوي عليه يسلمه اليه

الفصل الثاني قوله حتى اذا بلغ الكتاب اجله والامر مقاديره والحق آخر الخلق باوله وجاء من امر الله ما يريده من تجديد خلقه
اماد السماء وفطرها وارج الارض وارجفها وقلع جبالها ونسفها ودك بعضها بعضا من هيبة جلالته ومخوف سطوته واخرج
من فيها فجددهم بعد اخلاقهم وجمعهم بعد تفرقهم ثم ميزهم لما يريده من مسائلتهم عن خفايا الاعمال وخبايا الافعال و
جعلهم فريقين انعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء فاما اهل الطاعة فاثابهم بجواره وخلدهم في داره حيث لا يظعن النزال
ولا تتغير بهم الحال ولا تنوبهم الافزاع ولا تنالهم الاسقام ولا تعرض لهم الاخطار ولا تشخصهم الاسفار واما اهل المعصية
فانزلهم شر دار وغل الايدي الى الاعناق وقرن النواصي بالاقدام والبسهم سرابيل القطران ومقطعات النيران في عذاب
قد اشتد حره وباب قد اطبق على اهله في نار لها كلب ولجب ساطع وقصيف هائل لا يظعن مقيمها ولا يفادى اسيرها
ولا تفصم كبولها لا مدة للدار فتفنى ولا اجل للقوم فيقضى **اقول** الرج والرجف الاضطراب الشديد ويروى ارجها بغير
همزة وهو الاشهر ونسفها قلعها من اصولها وبثها ودك بعضها بعضا تصادمت وتنوبهم تعودهم والخطر الاشراف على الهلاك وشخص
خرج من منزله الى آخر واشخصه غيره والكلب الشدة والجلب واللجب الصوت والقصيف الصوت الشديد والكبول الاغلال واحدها كبل وفصمها
كسرها واشار بقوله حتى اذا بلغ الكتاب اجله الى غاية الناس في موتهم وهو بلوغ الوقت المعلوم الذي يجمع له الناس وهو يوم القيمة
واراد بالامر القضاء ومقاديره وتفاصيله من الآثار التي توجد على وفقه كما سبق بيانه ولحوق الخلق باوله اشارة الى تساويهم في الموت وتساويهم
فيه كما نطقت الشريعة به وتجديد الخالق بعثهم واعادتهم واما امادة السماء وشقها وارجاج الارض ونسف الجبال فظاهر الشريعة الناطق
بخراب هذا العالم ناطق به واما من زعم بقاءه فربما عدلوا الى التاويل والذي يحتمل ان يقال في ذلك وجوه احدها ان القيمة لما كانت
عندهم عبارة عن موت الانسان ومفارقة نفسه لهذا البدن ولما يدركه بواسطته من الاجسام والجسمانيات ووصوله الى مبدئه الاول
كان عدمه عن هذه الاشياء مستلزما لغيبوبتها عنه وعدمها وخرابها بالنسبة اليه وعليه انه اذا انقطع نظره عن جميع الموجودات سوى
مبدئه الاول جلت عظمته انها قد عدمت وتفرقت وكذلك اذا انقطع نظره عن عالم الحس والخيال ومتعلقاتهما من الاجسام والجسمانيات
واتصل بالملأ الاعلى فبالحري ان يتبدل الارض والسموات بالنسبة اليه فيصير عالم الاجسام والجسمانيات ارضا له وعالم المفارقات سماءه
الثاني ان هذه الموجودات المشار اليها لما كانت مقهورة بلجام الامكان في قبضة القدرة الالهية كان ما نسب اليها من الانشقاق والانفطار
والارجاج والنسف وغيرها امورا ممكنة في نفسها وان امتنعت بالنظر الى الاسباب الخارجية فعبر عما يمكن بالواقع مجازا وحسنه في العربية
معلوم وفائدته التهويل بما بعد الموت والتخويف للعصاة بتلك الاهوال الثالث قالوا يحتمل ان يريد بالارض القوابل للجود الالهي استعداده
فعلى هذا امادة السماء عبارة عن حركاتها وانصباب انوار كواكبها التي هي اسباب معدة لقوابل هذا العالم وانفطارها افاضتها الجود بسبب تلك
تلك المعدات على القوابل وارجاج الارض اعداد المواد لاعادة امثال هذه الابدان ولنوع آخر بعد فناء النوع الانساني وقلع الجبال و
نسفها ودقها اشارة الى زوال موانع الاستعدادات لنوع آخر ان كان او لاعادة ابناء هذا النوع استعارة وجهها ان الارض بنسف الجبال تستوي
سطحها وتعتدل فكذلك قوابل الجود تستعد وتعتدل لان يفاض عليها صورة نوع آخر او صور اخرى لابناء هذا النوع الرابع قالوا يحتمل
ان يريد بالسماء سماء الجود الالهي وبالارض عالم الانسان فعلى هذا يكون امادة السماء عبارة عن ترتيب كل مستحق لقابله في القضاء الالهي وفطرها
عبارة عن الفيض وارجاج الارض وارجافها عن الهرج والمرج الواقع بين ابناء نوع الانسان وقلع جبالها ونسفها ودك بعضها بالبعض عبارة
عن اهلاك الجبابرة والمعاندين للناموس الالهي وقتل بعضهم بعضا كل ذلك باسباب قهرية مستندة الى هيبة جلال الله وعظمته واخراج من فيها
وتجديدهم اشارة الى ظهور ناموس آخر وتجديده لهذا الناموس والمتبع له من قوم آخرين كنوع جديد وتمييزهم فريقين منعم عليهم ومنتقم
منهم طائفتان المستعدين لاتباع الناموس الشرعي والقائلين به هم المنعم عليهم المثابون والتاركين له المعرضين عنه هم المعاقبون فاما صفة
الفريقين وما اعد لكل منهم بعد الموت فعلى ما نطق به الكتاب العزيز ووصفته هذه الالفاظ الكريمة وعلى تقدير التاويلات السابقة لمن
عدل عن الظواهر فثواب اهل الطاعة جوار ربهم وملاحظة الكمال المطلق له وخلودهم في داره بقاؤهم في تلك النعمة غير خائفين عليهم الفناء
كما تطابق عليه الشرع والبرهان وكونهم غير ظاعنين ولا متغيري الاحوال ولا فزعين ولا ينالهم سقم ولا خطر ولا يشخصهم سفر فلان
كل ذلك من لواحق الابدان والكون في الحيوة الدنيا بحيث زالت عوارضها ولواحقها واما جزاء اهل المعصية فانزالهم شر دار
وهي جهنم التي هي ابعد بعيد عن جوار الله وغل ايديهم الى اعناقهم اشارة الى قصور قواهم العقلية عن تناول ثمار المعرفة واقتران النواصي
بالاقدام اشارة الى انتكاس رؤوسهم عن مطالعة انوار الحضرة الالهية والباسهم سرابيل القطران استعار لفظ السرابيل للهيئات البدنية

ثم فرقهم ثم ميز
لهم
ولهب ص
عبارة ص
المنتقم منهم

المتمكنة من جواهر نفوسهم ووجه المشابهة اشتمالها عليها وتمكنها منها كالسرابيل للبدن ونسبتها الى القطران اشارة الى شدة استعدادهم للعذاب وذلك ان اشتعال النار فيما يمسح بالقطران شديد ونحوه قوله تعالى سرابيلهم من قطران وكذلك مقطعات النيران اشارة الى تلك الهيئات التي تمكنت من جواهر نفوسهم ونسبتها الى النار لكونها ملبوس اهلها فهي منها كما قال تعالى قطعت لهم ثياب من نار ولما كان سبب الخروج من النار هو الخروج الى الله من المعاصي بالتوبة والرجوع الى تدبر الآيات والعبر النوافع وكان البدن وحواسه ابواب الخروج الى الله فبعد الموت تغلق تلك الابواب فلاجرم ينبغي للكفار ورا طبق تلك الابواب في شدائد حرارة ذلك العذاب ولهب النار وعجيجها واصواتها الهائلة استعار الاوهام النار المحسوسة المستلزمة للهيبة والخوف حسا للنار المعقولة التي هي في الحقيقة اشد نعوذ بالله منها وانما عدل الى المحسوس للغفلة عن صفات تلك النار وعدم تصور اكثر الخلق لها الا من هذه الاوصاف المحسوسة وكونها لا يظعن مقيمها كناية عن التخليد وذلك في حق الكفار ولفظ الاسير والمدينة استعارة وكذلك لفظ الكبول استعارة لقيود الهيئات الردية المتمكنة من جواهر نفوس الكفار وكما لا ينفصم القيد الوثيق من الحديد كذلك لا ينفك المكبل بها كذلك النفوس المقيدة بالهيئات الردية البدنية عن المشي في سبيل جلال الله وعظمته والنزول في جنان حظائر قدسه ومقامات صفيائه ولما كان الاجل مقدارا لفترة البدن لم يكن لهم بعد موتهم اجل اذ لا ابدان بعد الابدان ولا خلاص من العذاب للزوم الملكات الردية لاعناق نفوسهم وتمكنها منها فهذا ما عساه يتأوله او يعبرون به عن الاسرار التي يدعونها تحت هذه العبارات التي وردت الشريعة بها لكنك قد علمت ان العدول الى هذه التأويلات وامثالها مبني على امتناع المعاد البدني وذلك قاصر لورود الشريعة بها نصوصا لا يجوز العدول عنه ونصوصا لا تحتمل التأويل واذا حملنا الكلام على ما وردت به الشريعة فهذا الكلام منه من افصح ما يوصف به حال القيامة والمعاد والتعرض لشرحه يجري مجرى ايضاح الواضحات وبالله التوفيق **منها** في ذكر النبي صلى الله عليه وآله قد حقر الدنيا وصغرها واهونها وهونها وعلم ان الله زواها عنه اختيارا وبسطها لغيره احتقارا فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها عن نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا او يرجو فيها مقاما بلغ عن ربه معذرا ونصح لامته منذرا ودعا الى الجنة مبشرا وخوف من النار محذرا نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة **اقول** الرياش اللباس والفضل اقتصاص لحال الرسول صلى الله عليه وآله وصفاته الحميدة ليبني عليها مادح نفسه بعد تحقيره للدنيا وتصغيرها وتهوينها اشارة الى ما كان يجذب الخلق اليها من ذكر مذامها وتعديد معايبها واهوانه بها اشارة الى زهده فيها وعلمه بان زواه الله اياها عنه اختيارا اشارة الى ان زهده فيها كان عن علمه باختيار الله له ذلك وهو من اسباب زهده وهو مصلحة له يستعد نفسه بذلك لكمال النبوة والقيام باعباء الخلافة الارضية وبسطها لغيره احتقارا لها وعلى الرواية الثانية فقد عرفت معنى الاختيار من الله تعالى له عن تركه فكان اعراضه عنها بقلبه واماتة ذكرها عن نفسه ومحبته ان تغيب زينتها عن عينه لئلا يتخذ منها رياشا ولا يرجو فيها مقاما جذبا بالعناية الالهية له الى الالتفات اليها الى الكمالات المعلومة له وعن ان يختلط محبتها عن مقام الذي وضعته العناية الالهية بنظام العالم بسببه ثم اعقب ذلك بذكر ثلاثة احوال هي ثمرة النبوة التي هي ثمرة الزهد المشار اليه وهي تبليغ رسالة ربه اعذارا الى خلقه ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين والنصح لهم انذارا بالعذاب الاليم في عاقبة الاعراض عن الله ودعاؤه الى الجنة مبشرا من سلك سبيل الله ونهجه المستقيم بما اعد لهم فيها من النعيم المقيم ثم عقب اقتصاص تلك المدائح بالاشارة الى فضيلة نفسه منه في معرض المفاخرة بينه وبين مشاجريه كمعوية فاشار الى فضيلته من جهة اتصاله بالرسول صلى الله عليه وآله اذ كان من البيت الذي هو شجرة النبوة ومحط الرسالة ومعدن العلم وينبوع الحكمة بافضل مكان بعد الرسول صلى الله عليه وآله كما ستوضحه بيان فضايله ولفظ الشجرة والمعادن والينابيع مستعار كما سبق واذا كان من تلك الشجرة كما علمت ولكل غصن من الشجرة قسط من الثمرة بحسب قوته وقربه من الاصل وعناية الطبيعة به علمت مقدار فضيلته ونسبتها الى الرسول صلى الله عليه وآله وقوله بعد ذلك ناصرنا ومحبنا الى آخره ترغيب في نصرته ومحبته وجذب الى اهلها بالوعد برحمة الله وافاضته بركاته وتنفير عن عداوته وبغضه وخذلانه بالوعيد بسطوة الله ولعل ذلك هو غايته هنا من ذكر فضيلته وبالله التوفيق والعصمة

ومن خطبة له عليه السلام ان افضل ما توسل به المتوسلون الى الله سبحانه الايمان به وبرسوله والجهاد في سبيله فانه ذروة الاسلام وكلمة الاخلاص فانها الفطرة واقام الصلوة فانها الملة وايتاء الزكوة فانها فريضة واجبة وصوم شهر رمضان فانه جنة من العقاب وحج البيت واعتماره فانهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب وصلة الرحم فانها مثراة في المال ومنسأة في الاجل وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة وصدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء وصنائع المعروف فانها تقي مصارع الهوان افيضوا في ذكر الله فانه احسن الذكر وارغبوا فيما وعد المتقين فان وعده اصدق الوعد واقتدوا بهدي نبيكم فانه افضل الهدي واستنوا بسنته فانها اهدى السنن وتعلموا القرآن فانه احسن الحديث وتفقهوا فيه فانه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور واحسنوا تلاوته فانه انفع القصص وان العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله بل الحجة عليه اعظم والحسرة له الزم وهو عند الله الوم **اقول** ذروة الشيء اعلاه والملة الدين والجنة الوقاية

الواضحة

عناصر

عذوناسه

الاعرس

بانها

ورمضان

في وجه فضيلة الجهات

ومنها تحضيضان بفتح الضاد بعيلان والرحض الغسل والثراة المكثرة وهي محل الكثرة المال والثرة غير والمنساة محل النسا وهو التاخير والافاضة في الذكر الاندفاع فيه والهدى ضد الاضلال وهو مصدر وقد شارع في هذا الفصل الى ان افضل الوسائل الموصلة الى الله سبحانه هو الايمان الكامل فالايمان بالله هو التصديق بوجوده وهو اشارة الى اصل الايمان ثم له لواحق وكمالات احدها التصديق برسوله وانما قدمه على سائر العبادات لانه اصل لها الا نفع بدونه لثانيها الجهاد في سبيله وقد عرفت فضائل الجهاد فيما سلف واشار الى وجه فضيلته بكونه ذروة الاسلام واستعار لفظ الذروة له ملاحظة لشبهه في العلو والرفعة في الاسلام بالسنام للبعير وانما قدمه على الصلوة لكون سالكه على يقين من لقاء الله وقوة من التصديق بما جاء به الرسول حيث يلقي نفسه الى التهلكة الحاضرة التي ربما يغلب على ظنه او يتيقنها ولانه الاصل الاعظم في جمع العالم على الدين الثالث كلمة الاخلاص وهي كلمة التوحيد المستلزمة لنفي الشركاء والانداد وهي معنى الاخلاص ولذلك اضيفت اليه ووجه فضيلتها كونها فطرة الله التي فطر الناس عليها فان العقول السليمة البريئة عن شوائب العلائق البدنية وعوارض التربية شاهدة ومقرة بما اخذ عليها من العهد القديم من توحيد صانعها وبراءته عن الكثرة واطلق عليها اسم الفطرة وان كانت الفطرة عليها مجازا اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم الرابع اقام الصلوة وانما جعلها الملة وان كانت بعض اركان الدين لانها الركن القوي من اركانه فاطلق عليها ذلك للفظ اطلاقا لاسم الكل على الجزء مجازا واعلم ان للصلوة فضائل واسرارا يجب التنبه عليها اما فضيلتها فقد ورد فيها اخبار كثيرة بعد تاكيد القران الكريم للامر بها كقوله ص الصلوة عمود الدين من تركها فقد هدم الدين وقوله مفتاح الجنة الصلوة وقوله في فضل اتمامها ان الرجلين من امتي يقومان في الصلوة وركوعهما وسجودهما واحد وانما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض وقوله اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار وقوله من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر الله له ذنوبه واما اسرارها فينقسم الى عامة والى خاصة واما العامة فقد بيناها فيما سلف في ذكر الحج في الخطبة الاولى السر العام لجميع العبادات وهي كونها متممة للغرض الثاني من اغراض العارف من الرياضة ومعينة على تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وتمرينها على موافقتها واذ لاح لك هذا السر فقد علمنا ان جميع الايات والاخبار الواردة في فضلها يرجع معناها اليه ككونها عن الفحشاء والمنكر في قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذ كان سببها القوة الشهوية اذا خرجت عن حكم العقل فاذا كانت الصلوة هي التي توجب دخولها تحت حكم العقل والعقل ناه عن الفحشاء والمنكر فقد كانت الصلوة هي السبب في الانتهاء فكانت ناهية فظهر ايضا معنى كونها عماد الدين اذ قال بني الاسلام على خمس فكل منها عماد بحسبه انطه من اخل بها فقد هدم بنيانه الذي يصعد به الى الله وكذلك كونها مفتاح الجنة اذ بها ينفتح باب من ابواب الوصول الى الله ولذلك ظهر التفاوت الذي يشير اليه ص في صلوة الرجلين من امته فانه اذا كانت فائدة الصلوة هو الالتفات الى الله تعالى بقمع الشيطان وكان احد الرجلين في صلوته خاشعا لخشية الله مستحضرا لعظمته والاخر غافلا عن هذه الجهة قد صرف الشيطان وجه قلبه الى غير القبلة فاين احدهما من الاخر وكذلك ما اشار اليه من التخويف لمن يحول وجهه في الصلوة فانها نهي عن الغفلة عن الالتفات الى الله وملاحظة عظمته في حال الصلوة فان الملتفت يمينا وشمالا ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة انوار كبريائه ومن كان كذلك فيوشك ان تدوم تلك الغفلة عليه فيحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلة عقليته للامور العلوية وعدم اكرامه بشيء من العلوم المقربة الى الله وكذلك غفران ذنب المصلي بسبب عدم حديث نفسه بشيء من الدنيا فانه في تلك الحال ملتفت الى الله تعالى غافل عن غيره والالتفات اليه روح العبادة وخلاصتها ولذلك قال ص انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك المذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وعن عائشة قالت كان رسول الله ص يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلا بالله عن كل شيء وكان علي ع اذا حضر وقت الصلوة يتململ ويتزلزل ويتلون فيقال له ما لك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارضين فابين ان يحملنها واشفقن منها وكان علي بن الحسين ع اذا حضر للوضوء اصفر لونه فيقول اهله ما هذا الذي يعتاد لك عند الوضوء فيقول ما تدرون بين يدي من اقوم وكل ذلك اشارة الى استحضار عظمة الله والالتفات اليه حال العبادة والانقطاع عن غيره واما ما يخصها من الاسرار فقد علمت ان الصلوة ليس الا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود اما الذكر فلانه محاورة ومناجاة لله تعالى وغايتها استلزام الالتفات اليه وتذكر ما يجذب القوى الشيطانية تحت قياد العقل وشبهه نعودها بذلك وهو المقصود من القراءة والاذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء وليس المقصود منه الحروف والصوت امتحانا للسان بالعمل وان حصلت الغفلة فان تحريك اللسان بالهذيان خفيف على اللسان لا كلفة فيه من حيث هو عمل وسنبين حال الذكر وفضيلته وفائدته في موضع اليق به ان شاء الله تعالى واما الركوع والسجود والقيام والقعود فالغرض منها التعظيم لله تعالى المستلزم للالتفات اليه وذكره اذ لو جاز ان يكون معظما لله بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يعظم صنما موضوعا بين يديه وهو غافل عنه يؤيد ذلك ما روي عن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا في الصلوة فلا صلوة له وقال ع ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها فبما عرفت ان الاصل من اركانها هو الالتفات الى الله تعالى فاعلم ان الالتفات اليه يستلزم للتاكيد للتذكر والتفهم

الزعوية ل

في اسرار بعض العبادات

لان الالتفات اليه تعالى انما يتم بملاحظة كبريائه وعظمته وملاحظة العظمة ليس الا بالفكر الذي هو عين البصيرة وحدقة العقل الانساني ثم ان التذكر والتفهم
مستلزم للتعظيم فان ملاحظة عظمة الله اعظم من ان لا يعظمها العارف بها والتعظيم مستلزم للخوف والرجاء فانا نجد عند ملاحظة عظمة ملك من
ملوك الدنيا وجدانا ضروريا انا نستشعر عن مكالمته ومحاورته ويلزمه معه السكون والخضوع وربما يتبع ذلك رعدة البدن وتلعثم
اللسان ومنشأ كل ذلك الخوف الحادث عن تصور عظمته فكيف بتصور جبار الجبابرة ومالك الدنيا والآخرة وكذا الرجاء فانا عند
تصور عظمة الله نتصور ان الكل منه وذلك باعث على رجائه خصوصا وقد تأكد ذلك بالآيات الواردة في باب الخوف والرجاء وكذا يستلزم
الحياء لان المتصور لعظمة الله لا محالة لا يزال مستشعرا تقصيره ومتوهما ذنبا وذلك الاستشعار والتوهم يوجب الحياء من الله سبحانه الخامس ايتاء
الزكوة وهي ركن قوي من اركان الدين واشار الى وجه فضيلتها بكونها فريضة واجبة قال قطب الدين الراوندي اراد بالفريضة السهم المقطع
من المال للفقراء المستحقين المسمى زكوة فقال وهو عرف شرعي لان الفريضة بمعنى الواجب فان كل العبادات الواجبة كذلك ولان الفرض و
الواجب بمعنى فيكون قوله فريضة واجبة تكرارا او فوق ما ذكره وجه حسن وهو اشارة الى بعض اسرارها كما نبينه ولهذه العبادة مع السر
العام الشامل لجميع العبادات وهو الالتفات الى الله تعالى ومحبته اسرار منها الاول ان المراد بكلمة الشهادة التوحيد المطلق وافراد المعبود
بالتوحيد والتوحيد لا يتم الا بان لا يبقى للموحد محبوب سواه فان المحبة لا تحتمل الشركة والتوحيد باللسان قليل الفائدة في الباطن وانما يمتحن
درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يانسون بها وينفرون عن الموت فامتحنوا بتصديق
دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو معشوقهم كما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ولما
فهم الناس هذا المعنى انقسموا اقساما فطائفة اخلصوا واحبوا معشوقهم ووفوا بعهده فبذلوا اموالهم ولم يدخروا منها شيئا حتى قيل لبعضهم
كم يجب من الزكوة في مائتي درهم فقال اما على العوام فبحكم الشرع خمسة دراهم واما علينا فيجب بذل الجميع ومنهم من نقص عن هذه المرتبة وامسكوا
اموالهم وراقبوا مواقيت الحاجة ومواسم الخيرات وجعلوا قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن
الحاجة الى وجوه البر وهؤلاء لا يقتصرون على واجب الزكوة كالنخعي والشعبي ومجاهد وقيل للشعبي هل في المال حق سوى الزكوة فقال نعم اما
سمعت قوله تعالى وآتى المال على حبه ذوي القربى الآية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون ولم يجعلوا ذلك مخصوصا باية الزكوة بل هو
داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته بما يفضل عن مال الزكوة ومنهم من اقتصر على اداء
الواجب من الزكوة من غير زيادة ولا نقصان وهي ادون الرتب وقد اقتصر جميع العوام على ذلك لجهلهم بسر البذل وبخلهم بالمال وضعف حبهم للآخرة
ويلزم السر تطهير ذوي الاموال عن رذيلة البخل فانها من المهلكات قال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه و
كونه مهلكا انه انما يحصل عن محبة المال وقد علمت ان الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما يقرب من احديهما يبعد من الاخرى فكانت محبة
المال صارفة عن التوجه الى الله مبعدة منه وذلك يستلزم الهلاك الاخروي وانما تزول هذه الرذيلة بتعود البذل اذ حب الشيء لا ينقطع
الا بقهر النفس على مفارقته بالتدريج حتى يصير ذلك عادة فالزكوة بهذا المعنى طهورة اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته
بقدر بذله وفرحه واستبشاره بصرفه في جنب الله طاعة ومحبة له ومثل هذا العطاء حذف كل محبوب عداه عن نفسه السر الثاني شكر النعمة
فان لله على العبد نعمة في نفسه وشكرها العبادات البدنية ونعمة في ماله وشكرها العبادات المالية وليس احد اخس وابعد عن رحمة الله
ممن ينظر الى الفقير قد ضيق عليه في الرزق واضطر اليه فلم يسمح نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى على ما اغناه عن السؤال واحوج غيره اليه بعشر ماله
او بربع عشره السر الثالث يتعلق باصلاح المال وتدبير احوال اهلها وهو ان جعل الله هذا الفرض في اموال الاغنياء شركة للفقراء لان يسد
بها خلتهم والى هذا اشارة بكونه فريضة واجبة وفي هذا السر امران احدهما ان يكون ذلك عونا لهؤلاء على عبادة الله كي لا يشتغلوا بالطلب عنها
الثاني ان يكسر همهم عن حسد اهل الاموال والسعي بالفساد في الارض فلا ينتظم امر المدينة وتكون قلوبهم ساكنة الى ذلك القدر يعلمون انه
مستمد من الله نعم بالدعاء في حفظه منا لتقدم اهل الاموال بجاذبيتهم اليه فيتم بذلك امر المشاركة والمعاونة والانس والمحبة الموجبات للالفة
الموجبة لنظام العالم وقوام امر الدين وبقاء نوع الانسان الى اجله السادس صوم شهر رمضان وتخصيصه بكونه جنة من العقاب دون
ساير العبادات لكونه اشدها وقاية منه وبيان ذلك انه يستلزم قهر اعداء الله التي هي الشياطين المطيفة بالانسان فان وسيلة الشيطان
هي الشهوات وانما تقوى الشهوة بمنشئها الاكل والشرب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه
بالجوع وقال صلى الله عليه وآله لعايشة داومي قرع باب الجنة فقالت بماذا قال بالجوع فكان الصوم على الخصوص اشد قمعا للشيطان واسد لمسالكه و
تضييق مجاريه ولما كان العقاب انما يلحق الانسان ويتفاوت في حقه بالشدة والضعف بحسب تفاوت قربه من الشيطان وبعده وكانت هذه
العبادة ابعد تبعيد عن الشيطان كان بسببها العبد بعيدا عن العقاب فلذلك خصت بكونها وقاية منه واعلم ان هذه العبادة وان كانت
عدمية الا انها ليست عدما صرفا بل عدم ملكة تحرك من الطبيعة تحريكا شديدا يتبعه صاحبه انه على جملة من الامر ليس هو [illegible] وسبب
ما ينويه من ذلك وانه التقرب الى الله سبحانه كما هو غاية للسر العام للعبادات السابع حج البيت واعتماره وقد سبقت منا الاشارة الى اسراره

كما بيناه

اليهم

في خطبته

في اسرار بعض العبادات

في الخطبة الاولى والذي ذكره هيهنا كونهما ينفيان الفقر ويغسلان الذنب تجمع فيه بين منفعة الدنيا ومنفعة الاخرة اما منفعة الدنيا فكونهما
ينفيان الفقر وذلك بسبب التجارة الحاصلة في موسم الحج وقيام الاسواق بمكة واما منفعة الاخرة لكونهما يغسلان الذنب عن لوح النفس
كما علمته في اسرار العبادات وهي المنافع المشار اليهما في القرآن الكريم بقوله ليشهدوا منافع لهم قال اكثر المفسرين هي منافع الدنيا من التجارة
وهو المنقول عن سعيد بن جبير وابن عباس في رواية ابي رزين عنه ومنهم من جعلها عامة في منافع الدنيا والاخرة كالتجارة والثواب وهو المنقول
عن مجاهد وابن عباس في رواية عطا عنه الثامن صلة الرحم وذكر من فوائدها امرين احدهما كونها مثراة في المال وذلك من وجهين احدهما
ان العناية الالهية قسمت لكل حي قسطا من الرزق ينال به مدة الحيوة الدنيا ونقوم به صورة بدنه فاذا اعدت شخصا من الناس
للقيام بامر جماعة وكفلته بامدادهم ومعونتهم وجب في العناية ارزاقهم على يده وما يقوم بامدادهم بحسب استعداده لذلك سواء كانوا ذوي
ارحام او مرحومين في نظره حتى لو نوى قطع احد منهم فربما نقص ما له بحسب قدر ذلك المقطوع وذلك معنى كونه مثراة للمال الثاني ان
صلة الرحم من الاخلاق الحميدة التي يستمال بها طباع الخلق فواصل رحمه مرحوم في نظر الكل فيكون ذلك سببا لامداده ومعونته من
ذوي الامداد والمعونات كالملوك ونحوهم فكانت صلة الرحم مظنة لزيادة المال والثاني كونه منساة للاجل وهو من وجهين احدهما
ان صلة الرحم توجب تعاطف ذوي الارحام وتوازرهم ومعاضدتهم لواصلهم فيكون عن اذى الاعداء ابعد وفي ذلك مظنة تاخيره وطول
عمره الثاني ان مواصلة ذوي الارحام توجب تعلق هممهم ببقاء واصلهم وامداده بالدعاء ويكون دعاؤهم له وتعلق هممهم ببقائه من شرائط
بقائه وانسأ اجله فكانت مواصلتهم منساة في اجله التاسع صدقة السر وذكر من فوائدها كونها تكفر الخطيئة وانما خصها بذلك مع ان
سائر العبادات كذلك لكونها ابعد عن الرياء ومخالطة ما لا يراد به وجه الله تعالى فكان الاخلاص فيها لله اتم فكانت اولى بالتقريب من الله و
محو الخطيئة العاشر صدقة العلانية وذكر من فوائدها انها تدفع ميتة السوء وبيان ذلك ان صدقة العلانية تستلزم الشهرة بفعل
الخيرات وتوجب الذكر الجميل للمتصدق ولما كانت ميتات السوء كالحرق والغرق والقتل والصلب ونحو ذلك من الاحوال الشنيعة التي
تكثر نفرة الناس عن الموت عليها وكان قليلا ما يقع شيء منها بقصد من الناس لمن احبوه واشتهر بالرحمة واستجلاب قلوب الفقراء بالصدقة
والايثار فلاجرم كانت تلك الصدقة مظنة لدفع ميتات السوء الحادي عشر صنايع المعروف وذكر من فوائدها انها تقي مصارع الهوان وتقريره قريب
مما قبله اذ كان اصطناع المعروف مستلزما لتالف قلوب الخلق وتمامعا لهم على محبة المصطنع فقلما يقع مع ذلك تسليمه في مصرع هوان ثم لما فرغ
من تعداد كمالات الايمان امرها بما يؤكدها في القلوب ويثبته وهي امور احدها الاندفاع في ذكر الله وهو من مؤكدات الايمان بمرور ورغب فيه بكونه
احسن الذكر وذلك لما يستلزمه من الحصول على الكمالات المسعدة في الاخرة والوصول الى الله كما ستبين فائدته وفضيلته في موضع التوبة الثاني
الرغبة فيما وعد المتقين من ثواب الاخرة وانواعه وهو ايضا من مؤكدات طاعته والعمل له ولما كان الخلف في خبره تعالى محالا كان وعده اصدق الوعود
الثالث الاقتداء بهدي النبي صلى الله عليه وآله الرابع اتباع سنته ولما كان افضل الانبياء كانت سنته اشرف السنن والاقتداء به واتباع سنته اهدى
الطرق الى الله الخامس تعلم القرآن وظاهر كونه من مؤكدات الايمان بالله ورسوله واستعار لفظ الربيع ووجه المشابهة كون القرآن جامعا
لانواع العلوم الشريفة والاسرار العجيبة اللطيفة التي هي منتزه القلوب كما ان زمن الربيع محل الازهار الرائقة التي هي مستمتع النظر ومطرح السرور
السادس الاستشفاء بنوره وظاهر كونه شافيا للقلوب من ظلمة الجهل السابع حسن تلاوته وذلك لان حسن تلاوته مظنة تفهم معانيه و
تدبرها وبحسن تلاوته تظهر فائدته ويحصل منفعة قصصه وانما يكون انفع القصص اذا تلي حق تلاوته كما سبق بيانه ثم اكد الاوامر المذكورة
بالاعمال التي عددها فنبه على انه ينبغي ان يعمل على وفق العلم بالتنبيه على نقصان العالم الذي لا يعمل بعلمه فسوى ما بينه وبين الجاهل العادل
عن سواء سبيل الله ووجه التسوية اشتراكهما في ثمرة الجهل وهو الجور عن قصد السبيل وفي عدم الانتفاع بفائدة العلم وثمرته وهي الاعمال
الصالحة ثم جعل حال العالم اخس بثلثة اوجه احدها ان الحجة عليه اعظم لان للجاهل ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين وليس للعالم
ذلك وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله انه قال العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن ادم وعلم في القلب فذلك العلم النافع اي الذي
يستلزم الطاعة بالعمل الثاني ان الحسرة له الزم وذلك ان النفوس الجاهلة غير عالمة بمقدار ما يفوتها من الكمال بالتفصيل فاذا فارقت
ابدانها فهي وان كانت محجوبة عن ثمار الجنة وما اعد الله فيها للاولياء العلماء الا انها لما لم تجد لذتها ولم تطعم حلاوة المعارف الالهية
لم تكن لها كثرة حسرة عليها ولا اسف على التقصير في تحصيلها بخلاف العارف بها العالم بنسبتها الى اللذات الدنيوية فانه بعد المفارقة
اذا علم وانكشف له ان الصارف له والمانع عن الوصول الى حضرة جلال الله هو تقصيره في العمل بما علم مع علمه بمقدار ما فاته من الكمالات واللذات
كان اسفه وحسرته على ذلك اشد الحسرات وجرى ذلك مجرى من علم قيمة جوهرة وثمينة تساوي جملة من المال ثم اشتغل عن تحصيلها ببعض
لعبه حتى فاتته فيعظم حسرته عليها وندمه على التفريط فيها بخلاف الجاهل بقيمتها الثالث انه يكون عند الله الوم واشد ذنبه اللائمة لبعد
المفارقة مجاز في انقطاع لسان حاله عن العذر في معصيته عن علم وانما يكون الوم لان اقدام العالم على المعصية التي علم قبحها انما يكون عن نفس
في غاية الانقياد للنفس الامارة بالسوء والطاعة لابليس وجنوده طاعة يفضل على طاعة الجاهل وانقياده لقيام الصارف في حق العالم وهو

في ذم الدنيا وتزهيدها

علم بقبحها وتزيغ الداعي اليها عليه وعدم الصارف فهي حق الجاهل ولاشك ان اشد به الابتهاج لاشد به الانقياد ولا ملبس خصوصا مع العلم بما يستلزمه منها بعد من الهلاك وظاهر ان كون اللوم عند الله وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلم** اما بعد فاني احذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتحببت بالعاجلة وراقت بالقليل وتحلت بالامال وتزينت بالغرور لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة حائلة زائلة نافدة بائدة اكالة غوالة لا تعدو اذا تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها والرضا بها ان تكون كما قال الله تعالى كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا لم يكن امرؤ منها في حبرة الا اعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطنا الا منحته من ضرائها ظهرا ولم تطله فيها ديمة رخاء الا هتنت عليه مزنة بلاء وحري اذا اصبحت له منتصرة ان تمسي له متنكرة وان جانب منها اعذوذب واحلولى امر منها جانب فاوبى لا ينال امرؤ من غضارتها رغبا الا ارهقته من نوائبها تعبا ولا يمسي منها في جناح امن الا اصبح على قوادم خوف غرارة غرور ما فيها فانية فان من عليها لا خير في شيء من ازوادها الا التقوى من اقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه كم من واثق بها قد فجعته وذي طمانينة اليها قد صرعته وذي ابهة قد جعلته [حقيرا] وذي نخوة قد ردته ذليلا سلطانها دول وعيشها رنق وعذبها اجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام واسبابها رمام حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ملكها مسلوب وعزيزها مغلوب وموفورها منكوب وجارها محروب الستم في مساكن من كان قبلكم اطول اعمارا وابقى اثارا وابعد امالا واعد عديدا واكثف جنودا تعبدوا للدنيا اي تعبد واثروها اي ايثار ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ولا ظهر قاطع فهل بلغكم ان الدنيا سخت لهم نفسا بفدية او اعانتهم بمعونة او احسنت لهم صحبة بل ارهقتهم بالقوادح واوهقتهم بالقوارع وضعضعتهم بالنوائب وعفرتهم للمناخر ووطئتهم بالمناسم واعانت عليهم ريب المنون فقد رايتم تنكرها لمن دان لها واثرها واخلد اليها حين ظعنوا عنها لفراق الابد هل زودتهم الا السغب او احلتهم الا الضنك او نورت لهم الا الظلمة او اعقبتهم الا الندامة افهذه تؤثرون ام اليها تطمئنون ام عليها تحرصون فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها فاعلموا وانتم تعلمون [بانكم تاركوها] وظاعنون عنها واتعظوا فيها بالذين قالوا من اشد منا قوة حملوا الى قبورهم فلا يدعون ركبانا وانزلوا [الاجداث] فلا يدعون ضيفانا وجعل لهم من الصفيح اجنان ومن التراب اكفان ومن الرفات جيران فهم جيرة لا يجيبون داعيا ولا يمنعون ضيما ولا يبالون مندبة ان جيدوا لم يفرحوا وان قحطوا لم يقنطوا جميع وهم احاد وجيرة وهم ابعاد متدانون لا يتزاورون وقريبون لا يتقاربون حلماء قد ذهبت اضغانهم وجهلاء قد ماتت احقادهم لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم استبدلوا بظهر الارض بطنا وبالسعة ضيقا وبالاهل غربة وبالنور ظلمة فجاؤوها كما فارقوها حفاة عراة قد ظعنوا عنها باعمالهم الى الحيوة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين **اقول** الحبرة السرور والفجعة الرزية وغوالة اي تاخذ على غرة واوبى امرض والغضارة طيب العيش وقوادم الطير مقاديم ريش جناحه واوبقه اهلكه والابهة العظمة ورنق كدر ورمام بالية منقطعة والمحروب مسلوب المال واوهقتهم عقدتهم بالامر اعنتاله واثقله والقوارع الداهية الشديدة وضعضعتهم اذلتهم والمناسم اخفاف الابل والسغب الجوع والاجنان جمع جنن جمع جنة وهي الستر واعلم ان مدار هذا الفصل على التحذير من الدنيا والتنفير عنها بذكر معايبها وفيه نكت فالاولى استعار لفظ الحلاوة والخضرة المتعلقين بالذوق والبصر لما يروق منها ويلتذ النفس ووجه المشابهة المشاركة في الالتذاذ بهما وانما خص متعلق هذين الحسين لاكثرية الالتذاذ بواسطتهما دون سائر الحواس الثانية وصف الدنيا بكونها محفوفة بالشهوات وفي الخبر حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات قال اصحاب المعاني وفي ذلك تنبيه على ان النار هي الدنيا ومحبتها بعد الفناء فهو سبب عذابها قلت ان ذلك غير مفهوم من كلامه واما معنى الخبر فجاز ان يراد فيه النار المعقولة فيكون قريبا مما قالوا وجاز ان يراد النار المحسوسة ويكون المعنى على التقديرين ان النار انما تدخل بالاثم الذي في مشتهيات الدنيا ولذاتها والخروج في استعمالها عما ينبغي فكانها الذات محفوفة ومحاطة بالشهوات لا يدخل اليها الا منها وارادوا بالعاجلة اللذات الحاضرة التي مالت القلوب الى الحيوة الدنيا بسببها فاشبهت المرأة المتحببة بما لها وجمالها فاستعير لها لفظ التحبب وكذلك قوله راقت بالقليل اي اعجبت بزينتها القليلة بالنسبة الى متاع الاخرة كمية وكيفية وكذلك تحليها بالامال الكاذبة المنقطعة وتزينها بما هو في نفس الامر غرور وباطل فانه لولا الغرور والغفلة عن عاقبتها لما زانت في عيون طالبيها الثالثة استعار لها اوصاف الحبائل الخدوع وهي كونها غرارة وغوالة اي كثيرة الاستغفال لاهلها والخداع لهم ووصف السبع العقور لكونها اكالة لهم وكنى بالاولين عن كونها كالمخادع في كونها سببا لغفلتهم عما خلقوا لاجله بالاشتغال بها والانهماك في لذاتها وبالاكالة عن كونها كالسبع في افنائها بالموت وحطمهم تحت التراب الرابعة معنى قوله لا تعدو الى قوله مقتدرا ان غاية صفاتها للراغبين فيها والراضين بها وموافقتها لهم لا يتجاوز المثل وهو ان تزهر في عيونهم وتروقهم محاسنها ثم عن قليل تزول عنهم فكانها لم تكن كما هو معنى المثل المضروب لها في القران الكريم واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء الاية الخامسة كنى بالعبرة عن الحزن المعاقب للسرور وتخصيص البطن بالسراء والظهر بالضراء

في احوال ملك الموت

ويحتمل امرين احدهما ان يريد بطن المجن وظهره وذلك من العادة في حال الحرب ان يلقى الانسان ظهر المجن وفي حال السلم ان يلقى المجن فيكون بطنه اليه
تجري المثل بمن يخرج عن حق المنكرين والمخاصمين بعد سلم فقيل قلب له ظهر المجن كما قال علي لابن عباس في بعض كتبه اليه قلبت لابن عمك ظهر المجن فكذلك
استعمل هيهنا لقاءها للمرء ببطنها في اقبالها عليه ولقائه منها ظهرا في ادبارها عنه ومحاربتها له الثاني يحتمل ان يريد بطنها وظهرها وذلك
ان العادة فيمن يلقى صاحبه بالبشر والسرور ان يلقاه بوجهه وبطنه ومن يلقاه بالتنكير والادبار ان يلقى بظهره موليا عنه فاستعير ذلك للدنيا
وعبر به عن اقبالها وادبارها **السادسة** وانما خص منها بالجناح لان الجناح محل التغير بسرعة فنبه به على سرعة تغيراتها وانما خص الخوف
بالقوادم من الجناح لان القوادم هي رأس الجناح وهي الاصل في سرعة حركته وتغيره وهو في مساق ذمها والتخويف منها فحسن ذلك التخصيص
ومراده انه وان حصل فيها امن فهو في محل التغير السريع والخوف اليه سريع لتخصيصه بالقوادم السابعة لا خير في شيء من ازوادها الا التقوى استثنى
ما هو المقصد من خلق الدنيا ووجود هذا النوع فيها وهو التقوى الموصل الى الله سبحانه وانما كان من ازواد الدنيا لانه لا يمكن تحصيله
الا فيها وقد سبقت الاشارة اليه في قوله فتزودوا من الدنيا ما تحرزون به انفسكم غدا وظاهر انه لا خير فيما عداه من ازوادها لفنائه ومضرته
في الاخرة الثامنة من اقل منها استكثر مما يؤمنه اي من الزهد فيها وقد عرفت كيفية الامان من عذاب الله ومن استكثر منها استكثر مما
يوبقه وهو ملكات السوء الحاصلة عن حب قيناتها وملذاتها الفانية الموجبة للهلاك بعد مفارقتها وزوالها التاسعة استعار لفظ
العذب والحلو للذاتها ولفظي الاجاج وهو الملح والصبر لما يشوب لذاتها من الكدر بالامراض والتغيرات ووجه الاستعارات الاشتراك
في الالتذاذ والايلام العاشرة استعار لفظ الغذاء وكنى به عن لذاتها ايضا ولفظ السمام له ووجه الاستعارة ما يستعقب الانهماك في
لذاتها من الهلاك في الاخرة كما يستعقبه شرب السم والسمام جمع سم ثم اعقب التحذير منها بالتنبيه على مصارع السابقين فيها ممن كان
اطول اعمارا واشد بأسا من تغيراتها وتنكرها لهم مع شدة محبتهم وتعبدهم لها والسؤال على سبيل الانكار عن دوام سرورها وحسن
صحبتها اياهم وصرح بعده بالانكار فقوله بل ارهقتهم بالفوادح واستعار لها لفظ الارهاق والتضعضع والتعفير والوطي واعان ريب
المنون عليهم واسند اليها افعال الاحياء ملاحظة تشبهها بالمرءة المتزينة لخداع الرجال عن انفسهم واموالهم ونحو ذلك الحادي عشر لما
فرغ من ذمها والتنفير عنها بتعديد مذامها استفهم السامعين على سبيل التقريع لهم عن ايثارهم لها بعد هذه المذام واطمينانهم اليها وحرصهم
عليها ثم عاد الحكم منها مجملا بقوله بئست الدار لمن لم يتهمها اي لم يعتقد نصحها وانها ممضوة بالذات فركن اليها فانها بذلك الاعتبار
مذمومة في حقه اذ كانت سبب هلاكه في الاخرة فاما المتهم لها بالخديعة والغرور فانه يكون فيها على وجل منها عاملا لما بعدها فكانت
محمودة له اذ كانت سبب سعادته في الاخرة ثم شرع في الامر بالعمل على وفق العلم بمفارقتها وذلك ان ترك العمل للاخرة انما يكون للاشتغال
بالدنيا فالعالم بضرورة مفارقتها له وما اعد لتارك العمل من العذاب الاليم اذا نبه على تلك الحال كان ذلك صارفا له عنها ومستلزما
للعمل لغيرها واكد التنبيه على مفارقتها بالتذكير باحوال المفارقين لها بعد مفارقتها المضادة للاحوال المعتادة للاحياء التي الفوها
واستراحوا اليها اذ كان من عادتهم اذا حملوا ان يسموا ركبانا واذا نزلوا ان يسموا ضيفانا واذا تجاوروا ان يجيبوا داعيهم ويمنعون عنهم
الضيم وان يفرحوا ان جادهم الغيث ويقنطوا ان اخطئوا منه وان يتزاوروا ويتدانوا ويحلموا عند وجود الاضغان ويجهلوا عند تمام
الاحقاد ويخشوا ويرجوا فسلبت عنهم تلك الصفات وعرفوا باضداد تلك السمات الثانية عشر تجاوزها كما فارقوها اي نسبة مجيئهم
اليها ووجودهم منها يوم مفارقتهم لها ووجه التشبيه كونهم حفاة عراة وهو كناية عن الفقر منها ودل على ذلك استشهاده بالاية الكريمة وموضع
قوله قد ظعنوا عنها النصب على الحال كما انتصب حفاة عراة والعامل فارقوها ولا يعتد برسله بعد جاؤها وان قدر مثل الحال بين لبست
قال الامام الوبرى قراءتهم من الدنيا ان خلقوا منها ومجيئهم اليها ان دفنوا فيها قال الله تعالى هو الذي خلقكم من تراب ثم قلت وكانت
الحامل لهذا الامام على هذا التأويل انه لو كان مراده بمجيئهم اليها هو دخولهم فيها حين الولادة مع انه في ظاهر الامر هو المشبه ومفارقتهم هي
المشبه به لانعكس الغرض اذ المقصد تشبيه المفارقة بالمجيء وذلك يستلزم كون المشبه هو المفارقة والمشبه به هو المجيء لكن ينبغي ان يعلم ان
المشابهة اذا حصلت بين الشيئين في نفس الامر جاز ان يجعل احدهما اصلا والاخر فرعا وجاز ان يقصد اصل المساواة بينهما من دون
ذلك فحمله هنا على الوجه الثاني اولى من التعسف الذي ذكره فاما الايات فالتي فيها ايات الجنس فلا تدل على المفارقة والانفصال وبالله
التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ذكر فيها ملك الموت وتوفيه الانفس هل تحس به اذا دخل منزلا ام هل تراه اذا توفى احدا
بل كيف يتوفى الجنين في بطن امه ايلج عليه من بعض جوارحها ام الروح اجابته باذن ربها ام هو ساكن معه في احشائها
كيف يصف الهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله **اقول** هذا الفصل من خطبة طويلة ذكره في معرض التوحيد والتنزيه لله تعالى
عن اطلاع العقول البشرية على كنه وصفه فقدم التنبيه بالاستفهام على سبيل الانكار عن الاحساس به في دخوله منازل المتوفين
وذلك قوله هل تحس به الى قوله احدا ونبه باستنكار الاحساس به على انه ليس بجسم اذ كان كل جسم من شأنه ان يحس باحدى الحواس
الخمس ثم عن كيفية توفيه للجنين في بطن امه وهو استفهام من قبيل تجاهل العارف بالنسبة اليه وذلك قوله بل كيف يتوفى الجنين

ذم الدنيا وغرورها

قوله في احشائها وجعل الحق من هذه الاقسام في الوسط وهو لجانبها بانه ربها ينبغي للجاهل في محل الحيرة متردد دائم لما بين ان ملك
الموت لا يتمكن الانسان من وصفه نبه على عظمة الله سبحانه بالنسبة اليه وانه اذا عجز الانسان على وصف مخلوق مثله فبالاولى ان يعجز عن
صفة خالقه ومبدعه الذي هو ابعد الاشياء عنه مناسبة وتقدير البيان بذلك لتنبيه ان العبد عاجز عن صفة مخلوق مثله فهو من
صفة خالقه لو ذلك المخلوق ومبدعه اشد عجزا والنثر اشارة مضيفة الى حقيقة الموت الى ما عسانا يلوح من وصف ملك الموت اذ نثم نعم
اما حقيقة الموت فاعلم ان الذي نطقت به الاخبار وشهد به الاعتبار ان الموت ليس الا عبارة عن تغير حال وهو مفارقة الروح لهذا
البدن الجاري مجرى الالة الذي تصغر وان الروح باقية بعده كما شهدت به البراهين العقلية من مظانها والاثار النبوية المتواترة
ومعنى مفارقتها له هو انقطاع تصرفها فيه لخروجه عن حد الانتفاع به فما كان من الامور المدركة لها تحتاج في ادراكه الى آلة
فهي متعطلة عنه بعد مفارقتها البدن الى ان تعاد الروح في القبر او يوم القيامة وما كان مدركا لها لنفسها من غير آلة فهو باق معها
يتنعم به ويفرح او يحزن من غير حاجة الى هذه الالة في بقاء تلك العلوم والادراكات الكلية لها هناك وقد ضرب للمفارقة
التي سميناها بالموت مثالا فقيل كما ان بعض اعضاء المريض تتعطل بحسب فساد المزاج يقع فيه او بحسب شدة تعرض لتلك الاعضاء
فتمنع نفوذ الروح فيها فتكون النفس مستعملة لبعض الاعضاء دون ما استعصى عليها منها فكذلك الموت عبارة عن استعصاء جميع
الاعضاء كلها وتعطلها وحاصل هذه المفارقة يعود الى سلب الانسان عن هذه الاعضاء والالات والقينات الدنيوية من الاهل
والمال والولد ونحوها ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء عن الانسان او يسلب هو عنها اذ كان المولم هو الفراق وقد يحصل ذلك
بنهب مال الرجل وسبي ذريته وقد يحصل بسلبه ونفيه عن ماله واهله فالموت في الحقيقة هو سلب الانسان عن امواله بازعاجه
الى عالم اخر فان كان له في هذا العالم شيء يانس به ويستريح اليه فيفقد عظم خطره عنده يعظم تحسره عليه في الاخرة ويصعب شقاؤه في
مفارقته ويكون سبب عظم خطره عنده ضعف تصوره لما اعد للابرار المتقين في الاخرة مما يحتقر في القليل منه اكثر نفائس الدنيا
فاما ان كانت عين بصيرته مفتوحة حتى لا يفرح الا بذكر الله ولم يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه
وقطع علايقه وعوائقه الشاغلة له عنه ووصل اليه وانكشف له هناك ما كان يدركه من السعادة بحسب الوصف انكشاف مشاهدة كانتباه
المستيقظ من نوم صورة ما راه في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا اذا عرفت ذلك فاعلم ان ملك الموت عبارة عن الروح المتولي
لافاضة صورة العدم على اعضاء هذا البدن والحال مفارقة النفس له ونعله هو المتولي لافاضة صورة الوجود عليها لكنه باعتبار
الاول يسمى ملك الموت ثم لما كانت النفوس البشرية انما تدرك المجردات ما دامت في هذا العالم وتستثبتها بان تستصحب
القوة المتخيلة معها فتحاكي ما كان محبوبا منها للنفس ومستبشرا بلقائه بصورة بهية كتصور جبرئيل في صورة دحية الكلبي
وغيره من الصور البهية الحسنة وما كان مستكرها مخوفا منفورا من لقائه بصورة هائلة لا جرم اختلف رؤية الناس لملك الموت فمنهم
من يراه على صورة بهية وهم المستبشرون بلقاء الله الذين قلت رغبتهم في الدنيا ورضوا بالموت ليصلوا الى لقاء محبوبهم
وقرة اعينهم لكونه وسيلة اليه كما روي عن ابرهيم عليه السلام انه لقي ملكا فقال له من انت فقال انا ملك الموت فقال اتستطيع ان تريني
الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم اعرض عني فاعرض عنه فاذا هو شاب فذكر من حسنه وثيابه وطيب ريحه فقال
يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن من البشرى الا حسن صورتك لكان حسبه ومنهم من يراه على صورة قبيحة هائلة المنظر وهم الفجار
الذين اعرضوا عن لقاء الله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها كما روي عن ابرهيم عليه السلام ايضا انه قال لملك الموت فهل تستطيع
ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر فقال لا تطيق ذلك فقال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت اليه فاذا هو
رجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان فغشي على ابرهيم عليه السلام ثم افاق وقد عاد
ملك الموت الى حالته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا هذه الصورة لكفته وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام وَاُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَاِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا وَغَرَّتْ
بِزِينَتِهَا دَارُهَا هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا لَمْ يُصْفِهَا اللّٰهُ
لِاَوْلِيَائِهِ وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى اَعْدَائِهِ خَيْرُهَا زَهِيدٌ وَشَرُّهَا عَتِيدٌ وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ
فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ وَعُمُرٍ يَفْنَى فَنَاءَ الزَّادِ وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ
وَاسْاَلُوهُ مِنْ اَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَاَلَكُمْ وَاَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ اٰذَانَكُمْ قَبْلَ اَنْ يُدْعَى بِكُمْ اِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي
قُلُوبُهُمْ وَاِنْ ضَحِكُوا وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَاِنْ فَرِحُوا وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ اَنْفُسَهُمْ وَاِنِ اغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ
ذِكْرُ الْاٰجَالِ وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْاٰمَالِ فَصَارَتِ الدُّنْيَا اَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْاٰخِرَةِ وَالْعَاجِلَةُ اَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْاٰجِلَةِ وَاِنَّمَا
اَنْتُمْ اِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللّٰهِ مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ اِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ وَسُوءُ الضَّمَائِرِ فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ وَلَا تَبَاذَلُونَ وَلَا

في التحذير والدنيا

ح

توادّون ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه ويقلقكم اليسير من
الدنيا يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم وقلة صبركم عمّا زوي منها عنكم كانها دار مقامكم وكأن
متاعها باق عليكم وما يمنع احدكم ان يستقبل اخاه بما يخاف من عيبه الا مخافة ان يستقبله بمثله قد تصافيتم
على رفض الآجل وحب العاجل وصار دين احدكم لعقة على لسانه صنيع من قد فرغ من عمله واحرز رضا سيده
اقول يقال لهذا منزل قلعة بضم القاف اى لا يصلح للاستيطان والنجعة بضم النون طلب الكلاء واللعقة [illegible]
واللعقة بالضم اسم لما تأخذه الملعقة وفي الفصل نكت الاولى التحذير من الدنيا والاستدراج الى تركها بذكر معايبها
وذلك من اول الفصل الى انقطاع السير فاشار اولا الى انها لا تصلح للاستيطان وطلب الكلاء وكنى بذلك عما ينبغي ان يطلب من الخير
الباقي فيه التي هي محل الامن والسرور الدائم وثانيا الى ان زينتها سبب لاستغفال الخلق والاغترار بها سبب لاستحسانها فان
قلت فقد جعل الزينة سببا للغرور والغرور سببا للزينة وذلك دور قلنا انما جعل الزينة سببا للاغترار والغرور سببا
لاستحسانها وعدم التنبه لمعايبها فلا دور وثالثا انها هانت على ربها اى لم تكن العناية الالهية اليها بالذات فلم تكن خيرا محضا
بل كان كل ما فيها مما يعد خيرا مشوبا بالشر بل هو وذلك بحسب الممكن فيها وزهادة خيرها بالنسبة الى خير الآخرة الثابتة الدائمة
باوامر احدها ان يجعلوا فرائض الله عليهم من جملة ما يطلبونه منه والغرض ان تصير محبوبة لهم كمحبتهم لما يسألونه من مال وغيره
فيواظبوا على العمل بها الثاني ان يسألوه اداء حقه عنهم وذلك بالاعانة والتوفيق والاعداد لذلك كما سألهم اداء حقه والغرض منه
ان يصير الاداء مهما لهم محبوبا اليهم ونحوه في الدعاء المأثور اللهم انك سألتني من نفسي ما لا املكه الا بك فاعطني منها ما يرضيك
عني الثالث ان يسمعوا داعي الموت آذانهم اى يقصدون سماع كل لفظ يخوف الموت وذلك بالجلوس مجالس الذكر ومحاضرة

واهوالها

الزاهدين في الدنيا وفائدة ذكر الموت تنغيص اللذات الدنيوية كما قال عليه السلام اكثروا ذكر هادم اللذات الثالثة شرح حال الزاهدين في
الدنيا ليهتدي من عساه يجذب بحبل الله الى كيفية طريقتهم فيقتدي بهم فذكر لهم اوصافا الاول انهم تبكي قلوبهم وان ضحكوا وذلك
اشارة الى دوام حزنهم لملاحظتهم الخوف من الله فان ضحكوا مع ذلك فمعاملة مع الخلق الثاني انهم يشتد حزنهم وان فرحوا وهو قريب
مما قبله الثالث انهم يكثر بغضهم لانفسهم فيتركون الالتفات اليها بالزينة وقطعها فيما تدعوهم اليه من متاع الحيوة الدنيا الحاضرة
وان غبطهم غيرهم بما قسم لهم من رزق الرابعة تعنيف السامعين على ما هم عليه من الاحوال المضرة في الآخرة وذلك بالغفلة عن ذكر الاجل واستعظامهم
للآمال الكاذبة وغيرها من الاحوال المذكورة الى آخر الفصل ومحل تدركونه وتحرمونه ويفوتكم النصب على الحال وقلة صبركم عطف على
وجوهكم اى حتى يتبين ذلك القلق في وجوهكم وفي قلة صبركم عما غيب عنكم منها وقوله وما يمنع احدكم ان يستقبل اخاه الى آخره اى ما يمنع احدكم
من لقاء اخيه بعيبه ولا يمنعه عليه الا الخوف منه ان يلقاه بمثله لمشاركته اياه فيه كما صرح به في قوله تصافيتم على رفض الآجل الى آخره
واستعار لفظ اللعقة لما ينطق به من شعار الاسلام والدين كالشهادتين ونحوهما من دون ثبات ذلك في القلب ورسوخه والعمل على وفقه و
صنيع نصب على المصدر اى صنعتم صنيعا مثل صنيع من احرز رضا سيده بقضاء امره ووجه التشبيه الاشتراك في الترك والاعراض عن
العمل وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر نحمده على آلائه كما نحمده على
بلائه ونستعينه على هذه النفوس البطاء عما امرت به السراع الى ما نهيت عنه ونستغفره مما احاط به علمه واحصاه كتابه علم غير
قاصر وكتاب غير مغادر ونؤمن به ايمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود ايمانا نفى اخلاصه الشرك ويقينه الشك ونشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل لا يخف ميزان
توضعان فيه ولا يثقل ميزان ترفعان منه اوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاد زاد مبلغ ومعاد منجح دعا
اليها اسمع داع ووعاها خير واع فاسمع داعيها وفاز واعيها عباد الله ان تقوى الله حمت اولياء الله محارمه والزمت قلوبهم
مخافته حتى اسهرت لياليهم واظمأت هواجرهم فاخذوا الراحة بالنصب والري بالظماء واستقربوا الاجل فبادروا العمل وكذبوا
الامل فلاحظوا الاجل فبادروا العمل وكذبوا الامل فلاحظوا الاجل ثم ان الدنيا دار فناء وعناء وغير وعبر فمن الفناء ان الدهر
موتر قوسه لا تخطي سهامه ولا تؤسى جراحه يرمي الحي بالموت والصحيح بالسقم والناجي بالعطب آكل لا يشبع وشارب لا
ينقع ومن العناء ان المرء يجمع ما لا يأكل ويبني ما لا يسكن ثم يخرج الى الله لا مالا حمل ولا بناء نقل ومن غيرها انك ترى المرحوم
مغبوطا والمغبوط مرحوما ليس ذلك الا نعيما زل وبؤسا نزل ومن عبرها ان المرء يشرف على امله فيقتطعه حضور اجله فلا
امل يدرك ولا مؤمل يترك فسبحان الله ما اغر سرورها واظمأ ريها واضحى فيها لا جاء يرد ولا ماض يرتد فسبحان الله

فيئها
يرتد

ما اقرب الحي من الميت للحاقه به وابعد الميت من الحي لانقطاعه عنه انه ليس شيء بشر من الشر الا عقابه وليس شيء بخير من الخير
الا ثوابه وكل شيء من الدنيا سماعه اعظم من عيانه وكل شيء من الآخرة عيانه اعظم من سماعه فليكفكم من العيان السماع

في ذمّ الدنيا

من الديهم

ومن الخطبة واعلموا انّ ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير ممّا نقص من الآخرة وزاد في الدنيا فكم من منقوص رابح ومزيد خاسر
انّ الذي أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه وما أحلّ لكم أكثر ممّا حرّم عليكم فذروا ما قلّ لما كثر وما ضاق لما اتّسع قد تكفّل
لكم بالرزق وأمرتم بالعمل فلا يكوننّ المضمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم عمله مع انّه والله لقد اعترض الشكّ ودخل
اليقين حتّى كأنّ الذي ضمن لكم قد فرض عليكم وكأنّ الذي فرض عليكم قد وضع عنكم فبادروا العمل وخافوا بغتة الأجل
فانّه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق ما فات اليوم من الرزق رجي غداً زيادته وما فات أمس من العمر لم يرج اليوم
رجعته الرجاء مع الجائي واليأس مع الماضي فاتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ الّا وأنتم مسلمون **أقول** لا تؤسى اى لا تداوى
ولا ينقع لا يسكن عطشه واضحى برز للشمس وفي الخطبة لطائف الاولى انّه صدّر الخطبة بحمد الله ثمّ باعتبار احدهما وصله بحمد
حامديه بما افاضه نعمه عليهم كما قال لئن شكرتم لازيدنّكم وسرّه انّ العبد يستعدّ بشكر النعمة الثاني وصله النعم التي يفيضها على عباده
بافاضة الاعتراف بها على اسرار قلوبهم وقد علمت انّ الاعتراف بالنعم هو حقيقة الشكر فظهر اذن معنى وصله النعم بالشكر وانّ الشكر و
التوفيق له نعم اخرى كما سبقت الاشارة اليه في الخطبة الاولى ويحتمل ان يريد الشكر منه نعم لعباده الشاكرين كما قال نعم والله شاكر عليم وقال
ان وصله نعمه بشكره في نهاية التفضّل والانعام فانّ الاحسان المتعارف يستتبع الشكر من المحسن اليه فامّا من المحسن فذلك تفضّل لا
مرتبة اعلى الثانية انّه تعالى مستوجب بين حمده على النعماء وحمده على البلاء تنبيهاً منه على وجوب ذلك لانّ النعمة قد تكون بلاء من الله
كما قال ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة والبلاء منه ايضاً نعمة يستحقّ به الثواب الاجل وسبب النعمة نعمة وبهذا الاعتبار يجب الشكر على البلاء ايضاً
كما يجب على النعماء اذ الكلّ نعمة الثالثة نبّه على وجوب استعانته تعالى على النفوس وذكر ما لاجله الاستعانة عليها وهو كونها بطاءً عمّا امرت به
من سائر التكاليف وذلك لحاجة النفوس الى مقاومة الطبيعة سراعاً الى ما نهيت عنه من المعاصي وذلك لموافقتها مقتضى الطبيعة الرابعة نبّه
على وجوب طلب المغفرة من الله لكلّ ذنب صغير وكبير بما احاط به علمه واحصاه كتابه المبين ولوحه المحفوظ خبر بل الامين علمه احاط بكلّ شيء
وكتاب غير مغادر لشيء الخامسة انّما خصّ ايمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود اى وقف على ما وعد به المتّقون بعين الكشف لكونه اقوى
درجات الايمان فانّ من الايمان ما يكون بحسب التقليد ومنه ما يكون بحسب البرهان وهو علم اليقين واقوى منه الايمان بحسب الكشف والمشاهدة
وهو عين اليقين وذلك هو الايمان الخالص بحسب الاخلاص فيه يكون نفيه للشرك وبحسب يقينه يعني اعتقاد انّ الامر كذا مع اعتقاد انّه لا يمكن ان
يكون الّا كذا يكون نفي الشكّ وقد علمت مدرّجاً من اهل هذه المرتبة السادسة كون الشهادتين تصعدان القول وترفعان العمل وذلك انّ
اخلاص الشهادتين اصل لقبول الاقوال والاعمال الصالحة لا يصلح بصعدها الى الله قول او عمل لا يكونان اصلاً له واشار الى ذلك بقوله لا يخفّ
ميزان توضعان فيه ولا يثقل ميزان ترفعان منه وقد اشرنا الى معنى الوزن فيما سبق وسنزيده بياناً ثمّ نعم السابعة اراد بكون تقوى الله
هي الزاد اى الزاد الذي ما لزاد المبلغ وان بها المعاذ اى المعاذ المنجح ولذلك وردها نعمة الثامنة اراد باسمع داعٍ اسمع الداعين اسماعاً وتبليغاً
وهو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واراد بخير واعٍ السامعين الى دعاء الله الذين هم افضل القوابل الانسانية التاسعة وصف ما يستلزمه تقوى الله من امّاد
في اوليائه ووصف الليالي بالسهر والهواجر بالظماء لكونهما ظرفين فالليالي للقيام للصلوة والنهار للصوم فكان من باب اطلاق صفة
المظروف على الظرف وهو كقولهم نهاره صائم وليله قائم واخذهم الراحة اى في الآخرة بالنصب اى بتعب الابدان من القيام والري من عين
تلك جيلاً ما استعاد به الظماء والقضاء والنار في مبادروا ولاحظوا في التعليل انّ استقرار الاجل مستلزم للعمل له والمبادرة وكذا
تكذيب الامل وانقطاعه ملازم لملاحظة الاجل العاشرة ذكر مذامّ الدنيا اجمالاً وهو كونها دار فناء وعناء وغير وعبر ثمّ اخذ في ذلك الاجمال
بتفصيل كلّ جملة وذلك الى قوله ولا مؤمّل بمتروك استعار لفظ الايتار لانكار الدهر ورشّح بذكر القوس ووجه الاستعارة انّ الدهر كما يرب
بمصائبه المستندة الى القضاء الالهي التي لا تتغيّر كما يرمي الرامي الذي لا يخطى وكذلك استعار لفظ الجراح لنوائب الدهر لاشتراكهما في الايلام
ورشّح بذكر عدم المداواة وكذلك استعار لفظ الآكل والشارب ملاحظاً للشبع والري ووجه المشابهة كونه باقياً على الخلق فيفنيهم كما يأتي
الآكل والشارب المذكوران على الطعام والشراب فيفنيانهما واراد بالمرحوم الذي يرى مغبوطاً اهل المسكنة والفقر الذي يتبدّل فقرهم
بالغنى فيغبطون وبالمغبوط الذي يرى مرحوماً اهل الغنى المتبدّلين به فقراً بحسب تصاريف الدهر ونعيمه واتى بمحلّ الرحمة وقوله ليس ذلك الّا
نعيماً زلّ اى عن المغبوطين وبؤساً نزل بهم الحادية عشر نسب الغرور الى سرورها والظماء الى ريّها والضحى الى فيئها وكنى بلفظ التحجب
عن استتمام لذّاتها وبغتتها عن الركون الى قنياتها والاعتماد عليها وخبرها انّ النسبات سرورها وفيئها هي الصوارف عن العمل للآخرة و
الملفتات عن الاقبال على الله فكان سرورها اقوى سبب للغرور بها وريّها وفيئها اقوى الاسباب لظماء ضمنهم فيها من شرّ الابرار وازحب
لا برار الى حرّ الجحيم فلهذه النسبة حسنت اضافة الغرور والظماء والضحى الى سرورها وريّها وفيئها وقوله لا جاءٍ يردّ اى من فات الدهر
كالموت والقتل ونحوهما ولا ماضٍ يرتدّ اى من الاموات والفائت من القنيات الثانية عشر قوله انّه ليس شيء بشرّ من الشرّ الا عقابه الى
قوله سماعه يحتمل ان يريد الشرّ والخير المطلقين ويكون ذلك للمبالغة اذ يقال للامر الشريف هذا اشدّ من الشدّ يد واجود من الجيد

ويحتمل

في ذم الدنيا

ويحتمل ان يريد شر الدنيا وخيرها فان اعظم شر في الدنيا مستحقر في عقاب الله واعظم خير فيها مستحقر بالنسبة الى ثواب الله ثم اكد ذلك باعظمية احوال الاخرة بالنسبة الى احوال الدنيا ومصداق كلامه ان اعظم شر يتصوره الانسان بالسماع ويستهوله فيستنكره ممن يفعله صورة القتل والجراح فاذا وقع في مثل تلك الاحوال وشاهدها واضطر الى المخاصمة والمحاربة سهل عليه ما كان يستصعبه منها وهان في عينه ذلك الروع والخوف وكذلك لا يزال الانسان يتخوف المثول بين يدي الملوك ويتصور عظمتهم وبطشهم الى ان يتصل الى مجالسهم فانه يجد من نفسه زوال ذلك الخوف فكانت مشاهدة ما كان يتصوره شرا عظيما اهون عنده من وصفه والسماع له وكذلك حال الخيرات فان الانسان لا يزال يحرص على تحصيل الدرهم والدينار وغيرهما من سائر مطالب الدنيا فيكون قلبه مشغولا بتحصيله فرحا بانتظار وصوله فاذا وصل اليه هان عليه وهو امر وجداني واما احوال الاخرة فالذي يسمع من شرورها وخيراتها انما يلاحظها بالنسبة الى خيرات الدنيا وشرورها وربما كانت في اعتبار اكثر الخلق اهون من خيرات الدنيا وشرورها لقرب الخلق من المحسوس وقرب الدنيا منهم وبعدهم دون الاخرة مع قيام البرهان العقلي على ضعف الاحوال الحاضرة من خير وشر بالقياس الى احوال الاخرة فلذلك كان عيان احوالها اعظم من سماعها واذا كانت الحال كذلك فينبغي ان يكتفي من العيان بالسماع ومن الغيب بالخبر حيث لا يمكن الاطلاع على الغيب ومشاهدة العيان لتلك الاحوال في هذا العالم ثم نبه على افضلية الاخرة بان ما زاد فيها مما يقرب الى الله نعم فان استلزم نقصان الدنيا من بذل مال وجاه خير من العكس وبيان هذه الخيرية كون خيرات الدنيا في معرض الزوال مشوبة بالاوجاع والاوجال وكون تلك باقية على كل حال مع كونها في نهاية الكمال ضرب المثل بالكثرة المنقوص من الدنيا الرابح في الاخرة وهم اولياء الله واحباؤه الذين اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وبالكثرة المزيد الخاسر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ثم اكد الحث على سلوك طريق الاخرة ببيان اتساعها بالنسبة الى طريق الدنيا فقال ان الذي امرتم به اوسع من الذي نهيتم عنه وذلك ظ فان كبائر ما نهينا عنه حسن القتل و في الحلم والعفو والعقوبة التي هي من اشرف الاخلاق المحمودة سعة عنه ثم الظلم وفي العدل والانصاف على تناول الامور المباحة التي هي اكثر واوسع سعة عنه ثم الكذب الذي هو راس النفاق وعليه يبتني خراب العالم وفي المعاريض والصدق الذي هو يبتني عمارة العالم مندوحة عنه ثم الزنا ولا شك ان في سائر وجوه النكاحات مع كثرتها وسلامتها عن المفاسد اللازمة عن الزنا سعة عنه ثم شرب الخمر التي هي ام الخبائث ومنشأ كثير من الفساد وفي تركها الى ما يقاربها في افعالها التي تدعي كونها محمودة من سائر الاشربة وغيرها معدل عنها وسعة وكذلك قوله وما احل لكم اكثر مما حرم عليكم فان الواجب والمندوب والمباح والمكروه يصدق على جميعها اسم الحلال وهي اكثر من الحرام الذي هو قسم واحد من الاحكام ثم لما نبه على [illegible] وجه المصلحة في ترك الملاهي والمحرم اردف ذلك بالامر بتركها الا ان العقل اذا لاحظ طريقا مخوفا واحدا بين طرق كثيرة امنة اقتضى العدول عن المخوف لعموم السلامة الثالثة عشرة بالنهي عن ترجيح طلب الرزق على الاشتغال بما افترض الله وعلى ان الاشتغال بها اولى بكون الرزق مضمونا فالسعي في تحصيله يجري مجرى تحصيل الحاصل ثم اردف ذلك بما يجري مجرى التوبيخ للسامعين على ترجيحهم طلب الرزق على الاشتغال بالفرائض فاستعار ذلك منهم عن اعراض الشك لهم فيما يثقوه من تكفل الله سبحانه بارزاقهم ووعده وضمانه لهم بقوله وفي السماء رزقكم وما توعدون [illegible] جوده وقد علمت ان الجد في طلب الرزق يستند الى ضعف التوكل على الله وهو مستند الى ضعف اليقين فيه وسوء الظن به وذلك يستلزم استناد العبد الى نفسه وتوكله عليها وجعلهم في طلب الرزق كان يفعل المضمون له مفروضا طلبه عليه والمفروض عليه طلبه موضوعا عنه مبالغة في ذم احتفالهم بغير ما فرض الله عليهم واشتغالهم عنها بطلب الدنيا الرابعة عشرة تنبيه على وجوب المحافظة على العمر بالعمل فيه للاخرة وعلى اولوية مراعاته بالنسبة الى مراعاة طلب الرزق بكون العمر لا يرجى من رجعته ما يرجى من رجعة الرزق فان العمر في تقض وتنقص وما فات منه غير عائد بخلاف الرزق فانه يرجى زيادته وجبران ما نقص منه في الماضي ولما كان العمر الذي من شانه ان لا يعود ما فات منه ظرفا للعمل ويفوت بفواته وجب تدارك العمل بتداركه وقوله الرجاء مع الجائي بريد الرزق والياس مع الماضي بريد العمر وهو مؤكد لما قبله الخامسة عشرة اندختم بالامر اقتباسا من نور القران ونحو هذا لا قتبا انما كان الكلام في معرض جذب السامعين الى العمل الذي هو سبب تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة الذي هو جزء من الرياضة وكان التقوى عبارة عن الزهد في الدنيا الذي حقيقته حذف الموانع الداخلية والخارجية عن القلب الذي هو الجزء الثاني من الرياضة وكان الاسلام هو الدين الحق المركب من ذينك الجزئين لا جرم حسن ايراد الاية المشتملة على الامر بالتقوى والموت على الاسلام بعد الامر بالعمل ليكون ذلك امرا بكمال الدين واتمامه وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء

اللّهمّ قد انصاحت جبالنا واغبرّت أرضنا وهامت دوابّنا وتحيّرت في مرابضها وعجّت عجيج الثّكالى على أولادها وملّت التّردّد في مراتعها والحنين إلى مواردها اللّهمّ فارحم أنين الآنّة وحنين الحانّة اللّهمّ فارحم حيرتها في مذاهبها وأنينها في موالجها اللّهمّ خرجنا إليك حين اعتكرت علينا حدابير السّنين وأخلفتنا مخايل الجود فكنت الرّجاء للمبتئس والبلاغ للملتمس ندعوك حين قنط الأنام ومنع الغمام وهلك السّوام ألّا تؤاخذنا بأعمالنا ولا تأخذنا بذنوبنا وانشر علينا رحمتك بالسّحاب المنبعق والرّبيع المغدق

في الاستسقاء

والنبات الموتى بعثا وايلا يحيى به ما قد مات وترد به ما قد فات اللهم سقيا منك محيية مروية تامة عامة طيبة مباركة هنيئة
مريعة زاكيا نبتها ثامرا فرعها ناضرا ورقها تنعش بها الضعيف من عبادك وتحيي بها الميت من بلادك اللهم سقيا منك تعشب
بها نجادنا وتجري بها وهادنا وتخصب بها جنابنا وتقبل بها ثمارنا وتعيش بها مواشينا وتندى بها اقاصينا وتستعين
بها ضواحينا من بركاتك الواسعة وعطاياك الجزيلة على بريتك المرملة ووحشك المهملة وانزل علينا سماء مخضلة مدرارا
هاطلة يدافع الودق منها الودق ويحفز القطر منها القطر غير خلب برقها ولا جهام عارضها ولا قزع ربابها ولا شفان
ذهابها حتى يخصب لامراعها المجدبون ويحيى ببركتها المسنتون فانك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وانت
الولي الحميد قال السيد ره تفسير ما في هذه الخطبة من الغريب قوله انصاحت جبالنا اي تشققت من المحول يقال انصاح الثوب
اذا انشق وانصاح النبت وصاح وصوح اذا جف ويبس وقوله وهامت دوابنا اي عطشت والهيام العطش وقوله حدابير السنين
جمع حدبار وهي الناقة التي انضاها السير فشبه بها السنة التي فشا فيها الجدب قال ذو الرمة حدابير ما تنفك الا مناخة على
الخسف او نرمي بها بلدا قفرا وقوله ولا قزع ربابها القزع القطع الصغار من السحاب المتفرقة وقوله ولا شفان ذهابها فان تقديره
ولا ذات شفان ذهابها والشفان الريح الباردة والذهاب الامطار اللينة فحذف ذات لعلم السامع به واقول اغبرت
وادلهمت والمخائل جمع مخيلة للسحابة التي ترجى المطر والمنبجس الجاري والمنبعق والمنبجس السحاب المنصب بشدة والربيع هنا المطر والسقيا
بالضم الاسم من السقي والمريع المخصب والنجاد جمع نجد وهو المرتفع من الارض والضواحي النواحي البارزة اي اهل نواحينا والمرملة قليلة
المطر والمخضلة الرطبة والودق القطر والجهام المظلم الذي لا ماء فيه والخلب التي يكذب نظن منها والمسنتون الذين اصابتهم
شدة السنة واعلم انه شبه بقوله مدعوك ان لا تؤاخذنا باعمالنا ولا تاخذنا بذنوبنا على ان للذنوب والاعمال الخارجة عن
اوامر الله تاثيرا في رفع الرحمة وستر لك ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من قبله وانما يكون ذلك بحسب عدم الاستعداد وقلته
وكثرته وكذا ان المصلين على الدنيا المرتكبين لمحارم الله معرضون عنه غير متلقين لآثار رحمته بل مستعدون لضد ذلك اعني
سخطه وعذابه بحسب استعدادهم بالانهماك في محارمه والجور عن سبيله ومن كان كذلك لا تناله بركة ولا يفاض عليه اثر رحمة
ونصب نجادا ووهادا على الحال والعامل انشر واراد بالسماء المخضلة هنا السحاب العرب تقول كل ما علاك فهو سماؤك ومعنى انزاله
ارساله ماطرا ودرارا ويحتمل ان يريد بالسماء المطر نفسه ونحوه انزل علينا الغيث وقد اقتبس من القرآن الكريم ختام هذا الفصل
ايضا ووجه مناسبته للابتداء ظ وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ارسله داعيا الى الحق وشاهدا على الخلق
فبلغ رسالات ربه غير وان ولا مقصر وجاهد في الله اعداءه غير واهن ولا معذر امام من اتقى وبصر من اهتدى **اقول**
الواهن الضعيف والمعذر بالتشديد المقصر واعلم ان الاوصاف التي ذكرها للنبي ص ظاهرة وقد سبقت الاشارة اليها غير مرة
فاما كونه اماما من اتقى فلانه قدوة اهل التقوى اليه في كيفية سلوك سبيل الله التي هي التقوى وقد استعار لفظ البصر له ووجه
المشابهة كونه سببا لاهتداء الخلق الى سبيل الرشاد كما يهتدي صاحب البصيرة في طريقه المحسوس وبالله التوفيق **منها** ولو تعلمون
ما اعلم مما طوي عنكم غيبه اذن لخرجتم الى الصعدات تبكون على اعمالكم وتلتدمون على انفسكم ولتركتم اموالكم
لا حارس لها ولا خالف عليها ولهمت كل امرئ منكم نفسه لا يلتفت الى غيرها ولكنكم نسيتم ما ذكرتم وامنتم ما حذرتم
فتاه عنكم رايكم وتشتت عليكم امركم لوددت ان الله فرق بيني وبينكم والحقني بمن هو احق بي منكم قوم والله ميامين
الراي مراجيح الحلم مقاويل بالحق متاريك للبغي مضوا قدما على الطريقة واوجفوا على المحجة فظفروا بالعقبى الدائمة
والكرامة الباردة اما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال ياكل خضرتكم ويذيب شحمتكم ايه ابا وذحة قال
السيد ره الوذحة الخنفساء وهذا القول يومي به الى الحجاج وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره **اقول**
الصعدات جمع صعيد وهو وجه الارض والالتدام ضرب الوجه ونحوه وراي ميمون مبارك وقدما بضم القاف والدال
اي تقدموا ولم ينثنوا والوجيف ضرب من السير فيه قوة والوذحة كما قيل انها كنية للخنفساء ولم ينقل ذلك في المشهور من كتب اللغة
وانما المشهور انها القطعة من بعر الشاة تنعقد على اصواف اذنابها وتتعلق بها وهذا الفصل من خطبة له بالكوفة يستنهض
فيها اصحابه الى حرب الشام ويتبرم من تقاعدهم عن صوته فنبههم اولا على جهلهم بما سيقع من الفتن في الاسلام مما غاب عنهم
علمه وعلمه هو من الله ورسوله بحيث لو تصوروا ما علمه منها لاحتال كل منهم في الخلاص لنفسه ولهاموا على وجه الارض باكين
من تقصيرهم في اعمالهم على وفق اوامر الله التي بها يكون نظام العالم الى الابد الامن من تلك الفتن لو فعلوها ولكنهم نسوا ما ذكروا
به من آيات الله وامنوا المحذر به فضلت عنهم آراؤهم الصالحة التي يكون بها نظام امورهم فاستعقب ذلك تشتت امورهم وغلبة
العدو على بلادهم وقيل اراد بما طوي عنهم وعلمه هو ما يلقى المقصرون من اهوال الآخرة والاول انسب لسياق الكلام ثم عقب

ذلك

ذلك بالتبرء منهم وطلب فراقهم واللحاق باخوانه من اولياء الله عباد ركى الاراء ثقال الحلوم لا يستخفهم جهل الجهال ملازمى الصدق ونصيحة
من شانهم ترك البغى على انفسهم وغيرهم مضوا على الطريقة الحميدة سالكين للمحجة الله غير ملتفتين عنها فوصلوا الى الصواب الدائم
والنعيم المقيم وقرينة الظفر تخصص العقبى بالثواب والعرب تصف النعمة والكرامة بالبرد ثم بين لهم بعض ما سيلحقهم من الفتن العظيمة مما
طوى عنهم غيبه وهى فتنة الحجاج بن يوسف بن الحكم بن ابى عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن الاحلاف وقوم من ثقيف وكان
ضعيف العين دقيق الصوت ذيالا اى طويل الذيل يسحبه تجبرا ميالا اى يكثر التمايل كبرا واخبر انه ياكل خضرتهم وكنى بها عما
عليه من الابهة وسلامة النفوس والاموال وحسن الاحوال وعبر باكله لها عن ازالته لذلك وتغييرها الى اضدادها ولفظ الاكل مستعار
لذلك ووجه الاستعارة ظ وكذلك استعار الشحمة لثرائهم وقوتهم ووصف الاذابة لافناء ذلك بالقتل والاهانة ومصداق ذلك
المشهور من فعله باهل العراق كما سبق بيانه فى ذكر الكوفة ثم قال ايه ابا وذحة وكلمة ايه اسم من اسماء فعل الامر يستدعى بها الحديث المعهود من الغير
ان سكنت وان نونت كانت لاستدعاء قول وفعل ما وقيل التسكين للوقف والتنوين للدرج فاما تلقيبه عليه السلام له بابى وذحة
فروى فى سبب ذلك انه كان يوما يصلى على سجادة له فدبت اليه خنفساء فقال نحوها عنى فانها وذحة من وذح الشيطان وروى انه قال
قاتل الله قوما يزعمون ان هذه من خلق الله فقيل له فما هى فقال من وذح ابليس وكانه شبهها بالوذحة المتعلقة بذنب الشاة فى
حجمها او شكلها فاستعار لها لفظها ونسبتها الى ابليس لاستقذاره اياها واستنكاره لصورتها او لانها تشوشت فى الصلوة
وروى ابو على بن مسكويه انه نحاها بقضيبه وقال لعنك الله وذحة من وذح الشيطان ونقل بعض الشارحين ووجد بالدال الجيم
وكنى بذلك عن كونه سفاكا للدماء قطاعا للاوداج وفيه بعد **ومن كلام له عليه السلام** فلا اموال بذلتموها للذى
رزقها ولا انفس خاطرتم بها للذى خلقها تكرمون بالله على عباده ولا تكرمون الله فى عباده فاعتبروا بنزولكم منازل
من كان قبلكم وانقطاعكم عن اوصل اخوانكم **اقول** مدار هذا الفصل على التوبيخ بالبخل بالاموال والانفس وفى قوله
للذى رزقها وخلقها اسناد راجح حسن فان البخيل مما ينتفع بذلك الملاحظة امر احدهما خوف الفقر والثانى انه كثيرا ما يتوهم
الاستغناء ان لا مستحق للمال الا هو فيكون ذلك وامثاله عذرا لهم مع انفسهم فى عدم البذل وكذلك الشحيح بنفسه انما يشح بها
خوف الموت وان لا يكون له من هذه الحياة عوض يساويها فاذا اعلم ان بذل المال لرازقه اياه بعد ان يكون حسن الظن برازقه
عذره فى البخل لعلمه بتعويضه خيرا منه وبانه احق منه انه كان المملوك وما يملك لمولاه وكذلك يزول عذر الشحيح بنفسه لعلمه ان الطالب
لبذلها هو الاحق بها وانه القادر على ان يوصله الى ما هو خير له من هذه الحيوة الفانية وفى انقطاع ما ينبه وهو تنبيه على رذائل البخل
بالمال والنفس يكون سهولة بذلهما فى سبيل الله وقوله تكرمون بالله على عباده اى تعززون وتشرفون على الخلق بانكم اهل طاعة الله
وعباده ثم لا تكرمون فيما يدعوكم اليه ولا تجيبون داعيه فى اكرام عباده والالتفات الى فقرائهم باليسير مما رزقكم ثم امرهم باعتبار
نزولهم منازل الماضين وانقطاعهم عن اوصل اخوانهم تنبيها لهم على انهم امثالهم فى اللحاق بمن سلف والانقطاع عمن يبقى
وروى عن اصل اخوانكم اى اقربهم اصلا اليكم وفائدة هذا الاعتبار تذكر الموت والعمل لما بعده **ومن كلام له عليه السلام**
انتم الانصار على الحق والاخوان فى الدين والجنن يوم البأس والبطانة دون الناس بكم اضرب المدبر وارجو طاعة المقبل فاعينونى
بمناصحة جلية من الغش سليمة من الريب فوالله انى لاولى الناس بالناس **اقول** الجنن جمع جنة وهى ما استترت به من
سلاح وبطانة الرجل خاصته وقد اشتمل هذا الفصل على استمالة طباع اصحابه الى مناصحته فى الحرب فمدحهم بكونهم من اهل
الدين ثم بالشجاعة ثم باعلامه انهم من اهل خاصته الذين يعتمد عليهم فى ضرب المدبر وطاعة المقبل وطلب منهم الاعانة بمناصحة
صافية سليمة من الشك فى صحتها منه وانه اولى بالامر من غيره فلذلك اقسم انه كذلك وقد سبق بيانه **ومن كلام له عليه السلام**
وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا فقال عليه السلام ما بالكم امخرسون انتم فقال قوم منهم يا امير المؤمنين ان سرت سرنا
معك فقال عليه السلام ما بالكم لا سددتم لرشد ولا هديتم لقصد افى مثل هذا ينبغى لى ان اخرج انما يخرج فى مثل هذا رجل ممن ارضاه
من شجعانكم وذوى باسكم ولا ينبغى لى ان ادع الجند والمصر وبيت المال وجباية الارض والقضاء بين المسلمين والنظر فى
حقوق المطالبين ثم اخرج فى كتيبة اتبع اخرى اتقلقل تقلقل القدح فى الجفير الفارغ وانما انا قطب الرحا تدور على
وانا بمكانى فاذا فارقته استحار مدارها واضطرب ثفالها هذا لعمر الله الرأى السوء والله لولا رجائى الشهادة عند
لقائى العدو ولو قد حم لى لقاؤه لقربت ركابى ثم شخصت عنكم فلا اطلبكم ما اختلف جنوب وشمال **اقول** الكتيبة
الجيش والقدح السهم قبل ان يراش والجفير كالكنانة اوسع منها والثفال الجلد الذى يوضع عليه الرحى ليسقط عليه الدقيق وحم
الامر قدر ومدار هذا الفصل على الدعاء عليهم مصدرا بالاستفهام عن حالهم القبيحة التى هم عليها من محل الفتنة على سبيل الانكار عليهم
ثم عقبه باستنكاره من خروجه بنفسه الى الحرب منكرا لذلك ايضا ثم على الاشارة الى من ينبغى ان يخرج عوضا له ثم بين وجه المفسدة فى خروجه

في الصلح بين الأمير ومعوية

بنفسه وهو تركه للمصالح التي عددها مما يقوم به امر الدولة ونظام العالم وخروجه على الوجه المذكور وقطع فيه ذلك وشبه خروجه معهم بالقدح في الجفير ووجه الشبه انه كان قد نفذ الجيش قبل ذلك واراد ان يجهز من بقي من الناس في كتيبة اخرى فشبه نفسه في خروجه في تلك الكتيبة وخروجه مع نفر لا كثرة عندهم ولا غناء بالقدح في الجفير الفارغ في كونه يتقلقل ومن العرب من يقال للسهم اذا مشى في حاجة ثم عاد منها من هوده وهو ترك المهام التي لا يقوم الا به وترك المهام الفلاني ومشى يتقلقل على كذا ثم استعار لنفسه لفظ القطب ملاحظة لدوران الاسلام ومصالحه عليه كما تدور الرحى على قطبها وذلك هو وجه الاستعارة واستلزم ذلك تشبيهه الاسلام واهله بالرحى واشار انه ان فارقها بخروجه الى الحروب اضطربت كاضطراب الرحى وخروجها عن مدارها واستحارته عن الحركة المستديرة التي يستقيم بها ثم بين وجه المفسدة في رأيهم حكم برداءته واكد ذلك بالقسم البار ثم اقسم انه لولا رجاؤه لقاء الله بالشهادة في لقاء العدو لو قدر له ذلك لفارقهم غير متاسف عليهم ولا طالب للعود اليهم ابدا تبرما من سوء صنيعهم وكثرة مخالفتهم لأوامره وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** تالله لقد علمت تبليغ الرسالات واتمام العدات وتمام الكلمات وعندنا اهل البيت ابواب الحكم وضياء الامر الا وان شرائع الدين واحدة وسبله قاصدة من اخذ بها لحق وغنم ومن وقف عنها ضل وندم اعملوا ليوم تذخر له الذخائر وتبلى فيه السرائر ومن لا ينفعه حاضر لبه فعازبه عنه اعجز وغائبه اعوز واتقوا نارا حرها شديد وقعرها بعيد وحليتها حديد الا وان اللسان الصالح يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه من لا يحمده **اقول** صدر الفصل بذكر فضيلته وهي علمه بكيفية تبليغ الرسالات واداءها وعلمه باتمام الله ما وعد به المتقين في دار القرار فتمام وعده ان لا خلف فيه وتمام اخباره ان لا كذب فيها وتمام اوامره ونواهيه اشتمالها على المصالح الخالصة والغالبة وهكذا ينبغي ان يكون اوصياء الانبياء وخلفاؤهم في ارض الله وعباده ثم اردف ذلك بالاشارة الى فضل اهل البيت عاما واراد بضياء الامر انوار العلوم التي ينبني عليها الامور والاعمال الدينية والدنيوية وما ينبغي ان يهتدي به الناس من جهة كونهم من قوانين الشريعة وما يستقيم به نظام الامر من قوانين السياسات وتدبير المدن والمنازل ونحوها اذ كان كل امر شرع فيه على غير ضياء من الله ورسوله او احد اهل بيته وخلفائهم الراشدين فهو محل الشبهة والزيغ عن سبيل الله ثم استعار لفظ الشرائع وهي موارد الشاربة لاهل البيت ووجه الاستعارة كونهم موارد لطلاب العلم كما ان الشرائع موارد طلبة الماء وكونها واحدة اشارة الى انها قواعد كلية لا تختلف في الدين بل لما علموا اسراره لم تختلف كلمتهم فيه فكلهم كالشريعة الواحدة وكذلك استعار لهم لفظ السبل ووجه المشابهة كونهم موصلين الى المطالب على بصيرة وقصد كما توصل الطريق الواضح وقوله من اخذ بها لحق اي من اخذ عنهم واقتدى بهم لحق بالسابقين من سالكي سبيل الله وندم على تفريطه بتخلفه وقيل اراد بشرائع الدين وسبله قوانينه الكلية فان اي قانون عمل به منها فانه مستلزم لثواب الله فهي واحدة في ذلك وموصل الى الجنة من غير جور ولا عدول وذلك معنى كونها قاصدة والاول اظهر لكونه في معرض ذكر فضيلتهم ولما كان غرض الخطيب من ذكرها فضيلته قبول قوله شرع في الامر بالعمل ليوم القيمة والذخائر الاعمال الصالحة ومعنى قوله ومن لا ينفعه حاضر لبه الى قوله اعوز ان عنى لحال حضور عقولكم فانها ان لم ينفعكم الان كانت اعوز واعجز عن نفعكم اذا عزبت عند حضور الموت ومقاساة اهواله وما بعده من احوال الاخرة ثم اكد التخويف بمناقشة الحساب بالتخويف بالنار واراد بحليتها من الحديد ما اعد فيها للعصاة من الاغلال والاصفاد والمقامع والسلاسل التي تشبه الحلية وقوله الا وان اللسان الى اخره تنبيه لهم على طلب الذكر الجميل من الناس بالعفة وتهوين المال وقد سبقت الاشارة الى هذا في قوله اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض **ومن خطبة له عليه السلام** وقد قام رجل من اصحابه فقال نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد فصفق باحدى يديه على الاخرى ثم قال هذا جزاء من ترك العقدة اما والله لو اني حين امرتكم بما امرتكم حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا فان استقمتم هديتكم وان اعوججتم قومتكم وان ابيتم تداركتكم لكانت الوثقى ولكن بمن والى من اريد ان اداوي وانتم دائي كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم ان ضلعها معها اللهم قد ملت اطباء هذا الداء الدوي وكلت النزعة باشطان الركي ابن القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه وقرؤوا القرآن فاحكموه وهيجوا الى الجهاد فولهوا وله اللقاح الى اولادها وسلبوا السيوف اغمادها واخذوا باطراف الارض زحفا زحفا وصفا صفا بعض هلك وبعض نجا لا يبشرون بالاحياء ولا يعزون عن القتلى مره العيون من البكاء خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء صفر الالوان من السهر على وجوههم غبرة الخاشعين اولئك اخواني الذاهبون فحق لنا ان نظمأ اليهم ونعض الايدي على فراقهم ان الشيطان يسني لكم طرقه ويريد ان يحل دينكم عقدة عقدة ويعطيكم بالجماعة الفرقة فاعقلوها فاصدفوا عن نزغاته واقبلوا النصيحة ممن اهداها اليكم على انفسكم **اقول** الضلع بفتح الضاد وسكون اللام الميل والهوى والداء الدوي الشديد وصف بما هو من لفظه والدوي اسم فاعل من دوي اذا مرض والنزع الاستقاء والركي جمع ركية وهي البئر ومره جمع امره وهي العين التي فسدت اي عبوا عنها وسني له كذا احسنه وسهله وعقلت عليه كذا اي

وشرابها صديد

بكم

اين

بالموتى

ونفثاته

واعقلوها

حاشية

في الصلح بين علي ومعوية

عليه السلام وكان هذا الكلام منه عليه السلام بصفين حين امرهم بالحكومة بعد ان نهاهم عنها والسبب في ذلك ان معوية لما احس بالعجز وظفر علي عليه السلام به ليلة الهرير
راجع عمرو بن العاص في الراي فقال اني خبأت لك رأيا لمثل هذا الوقت وهو ان تأمر اصحابك برفع المصاحف على الارماح ويدعون منها
الى المحاكمة الى كتاب الله فانهم ان فعلوا افترقوا وان لم يفعلوا افترقوا وكان الاشتر صبيحة تلك الليلة قد اشرف على الظفر فلما اصبحوا
رفعوا المصاحف والمصحف الكبير بالجامع الاعظم على عشرة ارماح وهم يستغيثون معاشر المسلمين الله في اخوانكم في الدين حاكمونا الى كتاب
الله الله في النساء والبنات فقال اصحاب علي عليه السلام اخواننا واهل دعوتنا استقالونا واستراحوا الى كتاب الله فالرأي التنفيس عنهم فنفس
من هذا الراي فقال انها كلمة حق يراد بها باطل كما سبق القول فيه فافترق اصحابه فريقين منهم من راى بالرأي الاصرار على الحرب ومنهم
من راى ترك الحرب والرجوع الى الحكومة وكانوا اكثرين فاجتمعوا اليه فقالوا ان لم تفعل قتلناك كما قتلنا عثمن فرجع الى قولهم وامر الاشتر بالكف
عن الحرب ثم كتبوا كتاب الصلح وطافوا به في اصحابه واتفقوا على الحكومة فخرج بعض اصحابه من هذا الامر فقالوا لو كنت نهيتنا عن الحكومة
ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد وهذا ابدال علي انك شاك في امر نفسك فصفق باحدى يديه على الاخرى فعل النادم
غضبا من قولهم وقال هذا جزاء من ترك العقدة اي عقدة الامر الذي عقده واحكمه وهو الراي في الحرب والاصرار عليها والذي كان امرهم
به هو البقاء على الحرب وهو المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا من الظفر وسلامة العاقبة وقومتكم اي بالقتل والضرب ونحوه وكذلك معنى قوله
تداركتكم وقوله لكانت الوثقى اي الفعلة المحكمة وقوله ولكن بمن اي بمن كنت ستعين عليكم والى من اي الى من ارجع في ذلك وقوله اريد
ان اداوي بكم اي اريد ان اداوي ما بي من بعضكم ببعض وانتم دائي فاكون في ذلك كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم ان ضلعها معها وهذا
مثل تضربه العرب لمن يستعين في اصلاح امر من يريد اصلاحه وميله الى المستعان عليه يقال لا تنقش الشوكة بالشوكة فان ضلعها معها
يقول ان استعانتي ببعضكم في اصلاح بعض كنقش الشوكة ووجه المشابهة ان طباع بعضكم يشبه طباع بعض ويميل اليها كما تشبه الشوكة الشوكة
وتميل اليها فربما انكسرت معها في العضو واحتاج الى منقاش آخر ثم رجع الى الشكاية الى الله واراد بالداء الدوي ما هم عليه من عصيانه
ومخالفة امره وتثاقلهم عن صوته وبالاطباء نفسه فان داء الجهل وما يستلزمه اعظم من سائر الادواء المحسوسة وفضل اطباء النفوس على
اطباء الابدان وهي استعارة تكاد ان تكون حقيقة وكذلك استعارة لفظ النزع له مثل ضربه لنفسه معهم فكأنهم عن المصلحة في قعر بئر عميق وقد
كل هو منهم حين يمد اليهم اشطانها ثم اخذ في السؤال عن اخوانه من اكابر الصحابة الذين سبق لواحدهم في نصرة الدين واعرضوا عن الدنيا وسفهائها
على سبيل التوجع لفقدهم وهذا كما يقول احدنا اذا وقع في شدة اين اخي اين عمي ثم تصفهم بالاوصاف الحميدة ترغيبا للسامعين في مثل حالهم و
ازدراء عليهم حيث لم يكونوا بهذه الاوصاف وذلك بطريق المفهوم وقوله اولادها نصب باسقاط الجار اذ الفعل وهو قوله ولهوا غير متعد الى
مفعولين بنفسه وفي الخبر لا تولهوا الوالدة بولدها وتولههم لها بركوبهم اياها عند خروجهم للجهاد وقوله واخذوا باطراف الارض اي اخذوها
باطرافها وزحفا زحفا وصفا صفا مصدران مؤكدان بمثليهما فاما مقام الحال وقوله لا يبشرون بالاحياء ولا يعزون عن القتلى اي كانوا
في تلك الحال غير ملتفتين لحياتهم ولا راغبين ومحافظين على حياتهم حتى يبشرون بسلامتهم او يجزعون لموتهم فيعزون عليه بل مجردون للجهاد في
سبيل الله ولعلهم يفرحون بقتل من يقتل منهم في سبيله وان كان ولدا لوالده او بالعكس وانما كان السهر موجبا لصفرة اللون لانه يهيج الحرارة
ويفسد السحنة ويجفف البدن ويكثر فيه المرة والصفرة من توابع ذلك لا سيما في الابدان النحيفة كما عليه اهل المدينة ومكة والحجاز وغيرهم
الخاشعين فصفة الزاهدين الخائفين من الله لعدم تحليهم بالدنيا واستعار لفظ الظماء للشوق اليهم ملاحظة لشبههم بالماء في شدة
الحاجة اليه فنزل الشوق اليهم والحاجة الى لقائهم منزلة العطش الى الماء فاعطاه لفظه واراد بعقدة الدين ما احكم منه من القوانين والقواعد
ويحل الشيطان لها تزيينه ترك قانون قانون وسنة الاجتماع عقدة عقدها الشارع لما سبق فيها من المصالح واكدها فكانت الفرقة
حلا لتلك العقدة ونزغات الشيطان حركاته بالافساد ونفثاته القاؤه الوسوسة في القلوب مرة بعد اخرى وعمي عن اهدائه اليهم النصيحة بنفسه
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام للخوارج** وقد خرج الى معسكرهم وهم مقيمون على انكار الحكومة فقال عليه السلام اكلكم شهد معنا
صفين فقالوا منا من شهد ومنا من لم يشهد قال فامتازوا فرقتين فليكن من شهد صفين فرقة ومن لم يشهدها فرقة
حتى اكلم كلا بكلامه ونادى الناس فقال امسكوا عن الكلام وانصتوا لقولي واقبلوا بافئدتكم الي فمن نشدناه شهادة
فليقل بعلمه فيها ثم كلمهم عليه السلام بكلام طويل من جملته ان قال الم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكرا و
خديعة اخواننا واهل دعوتنا استقالونا واستراحوا الى كتاب الله سبحانه فالراي القبول منهم والتنفيس عنهم فقلت لكم هذا
امر ظاهره ايمان وباطنه عدوان واوله رحمة وآخره ندامة فاقيموا على شانكم والزموا طريقتكم وعضوا على الجهاد بنواجذكم
ولا تلتفتوا الى ناعق نعق ان اجيب اضل وان ترك ذل وقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وان القتل ليدور بين الاباء
والابناء والاخوان والقرابات فما نزداد على كل مصيبة وشدة الا ايمانا ومضيا على الحق وتسليما للامر وصبرا على مضض
الجراح ولكنا انما اصبحنا نقاتل اخواننا في الاسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل فاذا طمعنا في خصلة

في كيفية الصلح بينهما

يلمّ الله بها شعثنا ونتدانى بها الى البقية فيما بيننا رغبنا فيها وامسكنا عما سواها **أقول** التنفيس التفريج واكثر هذا الفصل ظاهر وما سبق وقوله هذا امر ظاهره ايمان اي رفع اولئك للمصاحف وطلبهم للحكومة فان ظاهره منهم الاجتهاد في الدين بالرجوع الى كتاب الله وباطنه منهم عدوان اي حيلة للظلم والغلبة واوله رحمة منكم لهم برجوعكم الى قولهم ولحوقه ندامة لكم عند تمام الحيلة عليكم فاقيموا شأنكم اي ما كنتم عليه من الاجتهاد في الحرب والناعق اشارة الى الطالب للحكومة وادوا المشير عليهم بذلك لرأيه هو عمرو بن العاص ولفظه في اوصاف ابليس وقوله بعد ذلك لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله الى قوله ومضض الجراح استدراج لهم بشرح حاله وحال الصحابة وحيث كانوا في الجهاد مع الرسول كذلك على الحالة التي شرحها لعلهم يتأسون بالماضين فيها وقوله ولكنا انما اصبحنا نقاتل اخواننا في الاسلام الى آخره تنبيه على اعتراض عساهم يقولونه وجواب عنه وهو انهم يقولون انما فعل اخواننا السابقون ما فعلوا لتيقنهم بما هم عليه من الدين الحق وتيقنهم ضلال الكفار والمحاربين لهم فاما نحن فانما نقاتل بعضنا بعضا فكيف يجوز لنا قتل قوم مسلمين استسلموا الينا ودعونا الى المحاكمة الى كتاب الله فاجاب بما معناه انا انما نقاتل في مبدأ الامر ومنتهاه دعوة الى الاسلام ورغبة في رسوخ قواعده ففي المبدأ قاتلنا لتحصيل ماهيته في الوجود وفي الثاني قاتلنا لحفظ ماهيته وبقائها وحيث دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل ما دخل فاذا طمعنا في خلة نحوزه يجمع الله بها تفرقنا ونتقارب بها الى ما بقي فيما بيننا من الاسلام والدين رغبنا فيها وقاتلنا طمعا في تحصيلها وكان يعني بالخصلة رجوع محاربيه الى طاعته واتفاقهم عليه وهذا الكلام في قوة صغرى قياس ضمير احتج عليهم به وتقديرها انكم حين قلت لكم ان رفعهم للمصاحف خدعة منهم اجبتموني بهذا الجواب وتقدير الكبرى وكل من اجاب بهذا الجواب فليس له ان ينكر الحكومة اذ كان قد رضي بها فينتج انه ليس لهم ان يأبوا الحكمة وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** قاله لاصحابه في وقت الحرب وأيّ امرئ منكم احسّ من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ورأى من احد من اخوانه فشلا فليذبّ عن اخيه بفضل نجدته التي فضل بها عليه كما يذبّ عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله انّ الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب انّ اكرم الموت القتل والذي نفس ابن ابي طالب بيده لالف ضربة بالسيف اهون من ميتة على الفراش **أقول** بعد تمام شجاعته والتدبيب للذبّ وقدامهم في هذا الفصل بمساعدة بعض لبعض في الحرب ومنع بعضهم عن بعض منعا صادقا كما يمنع عن نفسه وبذلك يكون انعقاد الاجتماع ويتعاونون بحيث يكون الجميع كنفس واحدة وبذلك يكون الظفر والغلبة واشار الى ذوي النجدة بذكر فضيلة تخصهم دون من يذبون عنه استثارة لحميتهم وتعظيما لهم وقوله ان الموت طالب حثيث الى قوله ان اكرم الموت القتل تسهيل للقتل والموت بذكر انه لا بد منه وتسهيل الحرب عليهم واما ان اكرم الموت القتل في سبيل الله وذلك لاستلزامه للذكر الجميل في الدنيا والثواب الدائم في الاخرى ثم اكد ذلك بالقسم لالف ضربة بالسيف اهون من ميتة على الفراش وصدق ذلك ظاهر في حق من نظر الى الدنيا بعين الاعتبار في جنب نعيم الابد في الاخرة والذكر الجميل في الدنيا وحصلت له ملكة الشجاعة وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** وكأني انظر اليكم تكشّون كشيش الضباب لا تأخذون حقا ولا تمنعون ضيما قد خلّيتم والطريق فالنجاة للمقتحم والهلكة للمتلوّم **أقول** كشيش الضباب صوت جلودها بعضها بالبعض عند الازدحام والتلوّم الانتظار والتوقف واشار بهذا الكلام الى ترسيخ خوفهم غلبة من العدو وبعضهم الحرب بحيث يتضعضعون ويأخذون في الهرب الخفي فلا ينتفع بهم في اخذ حق او دفع ضيم ووصف الكشيش مستعار لهم باعتبار هيئاتهم في الحيد عن العدو والهرب منه وهو وجه الشبه بكشيش الضباب وقوله قد خليتم والطريق اي وطريق الآخرة فالنجاة للمقتحم اي مقتحمها والمبادر الى سلوكها والهلكة للمتوقف عن ذلك والطريق منصوب على المفعول معه **ومن كلام له عليه السلم** في حض اصحابه على القتال فقدّموا الدارع واخّروا الحاسر وعضّوا على الاضراس فانّه انبى للسيوف عن الهام والتووا في اطراف الرماح فانّه امور للاسنّة وغضّوا الابصار فانّه اربط للجأش واسكن للقلوب واميتوا الاصوات فانّه اطرد للفشل وراياتكم فلا تميلوها ولا تخلّوها الّا بايدي شجعانكم والمانعين الذمار منكم فانّ الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفّون براياتهم ويكتنفونها حفافيها ووراءها وامامها لا يتأخرون عنها فيسلموها ولا يتقدّمون عليها فيفردوها اجزأ امرؤ قرنه وآسى اخاه بنفسه ولم يكل قرنه الى اخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن اخيه وايم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآخرة وانتم لهاميم العرب والسنام الاعظم انّ في الفرار موجدة الله والذلّ اللازم والعار الباقي وانّ الفارّ لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه من الرائح الى الله كالظمآن يرد الماء الجنّة تحت اطراف العوالي اليوم تبلى الاخبار اللّهمّ فان ردّوا الحقّ فافضض جماعتهم وشتّت كلمتهم وابسلهم بخطاياهم انّهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام ويندر السواعد والاقدام وحتى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر ويرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب وحتى يجرّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في نواحر ارضهم وباعنان مساربهم ومسارحهم قال السيد رضي الله عنه الدعق الدقّ اي تدقّ الخيول بحوافرها ارضهم ونواحر ارضهم متقابلاتها يقال منازل بني فلان تتناحر اي تتقابل **أقول** هذا الكلام قاله بصفين وامور اشدّ حركة ونفوذا والحاسر لا درع له والاضطراب عند الخوف والذمار ما وراء الرجل مما يجب

والمنع م

فان القتل

يصعقون م

ولا تجعلوها عليها م

لئن م والله لانا اشوق الى لقائهم منهم الى ديارهم

عليه نمايه

في الصلح والتحكيم

عليه حمايته وخصها بالثنى جانباه ولهاميم العرب اجوادهم والوجدة الغضب وتسليم الهلكة والعوالي جمع عالية الرمح وهو ما
دخل منه الى ثلثه والنسيم النفس والعكر القطعة من الجيش وكذلك الخميس الجيش والنواحر جمع ناحرة وهى اخر ليلة من الشهر مع يومها
كانها تنحر الشهر المستقبل ويكون مراده بنواحر ارضهم اقاصيها واعنان مساربهم اطرافها وما اعترض منها ومساربهم مراعيهم واحدها
مسربة وقد امرهم في مصلحة الحرب وكيفيتها بنظام امور منها هي فاولها الامر بتقديم الدارع وتأخير الحاسر والمصلحة فيه ظاهرة الثاني
العض على الاضراس وحكمته ما سبق في قوله معاشر المسلمين استشعروا الخشية وفي قوله لابنه محمد بن الحنفية تزول الجبال ولا
تزل وقد كرره هنا ايضا الثالث الالتواء في اطراف الرماح وعلته ما ذكروه وهو ان التواء الاسنان مع الرمح حال الارسال كان ارمى
بها اشد وذلك لحركة صدر الاسنان بعد الالتواء مع حركته بها حين الارسال فكانت حركته اشد واقوى نفوذا الرابع غض الابصار و
فائدته ما ذكر من كونه اربط لاضطراب الخافق واسكن وتعضد ذلك مد البصر الى القوم فانه مظنة الخوف والفشل وعلامة لهما عند
العدو الخامس اماتة الاصوات وفائدته مرابطة طرد الفشل اذ كانت كثرة اللغط والصياح علامة الخوف للصائح وذلك مستلزم
لطمع العدو وفيه جرأة عليه السادس قوله ورايتكم فلا تميلوها فان امالتها مما يطمع به العدو وتشويشها واضطراب حال منطمع وتقديم
ولانها اذا اميلت تغيب عن عيون الجيش فربما لا يهتدي كثير منهم للوجه المطلوب السابع ولا تخلوها وسيفسره هو الثامن ولا تجعلوها
الى قوله منكم وذلك لانها اصل نظام العسكر وعليها يدور وبها يقوى قلوبهم ما دامت قائمة فيجب في ترتيب الحرب ان يكون حاملها اشجع القوم
وقوله فان الصابرين الى قوله فيغرونها تخصيص لمن يحفظ الراية ويحفها بوصف الصبر على نزول الحقائق اى الشدائد الحقة المتيقنة
التى لا شك في نزولها كي يبادروا الى حفظها والاحاطة بها رغبة في تلك المحمدة وبين بقوله لا يتأخرون عنها الى قوله فيفردونها معنى
التخلية التى نهاهم عنها وقوله فيسلموها ويفردونها نصب الفعلان باضمار ان عقيب الفاء في جواب النفي التاسع قوله اجزأ امرء قرنه وآسا
اخاه بنفسه فعلان ماضيان في معنى الامر والتقدير وليجز كل امرء قرنه وهو خصمه وكفوه في الحرب اى ليقاومه وليواس اخاه بنفسه
في الذب عنه ولا يترك قرنه اعتمادا على اخيه في دفعه فيجتمع على اخيه قرنه وقرن اخيه ثم ذكر وجه عدم الفائدة في الفرار اذ كانت غاية الفرار
السلامة من الموت وهو لا بد منه كقوله تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا واستعار لفظ
سيف الاخرة للموت ووجه المشابهة كونهما مبطلين للحيوة وانما كان سيف الاخرة لانها غايته ثم مدحهم باوصاف يستقبح معها الفرار
وهي كونهم اجواد العرب والسنام الاعظم واستعار لهم لفظ السنام لمشاركتهم اياه في العلو والرفعة ثم اكد تقبيح الفرار بذكر معايبه ثلثة وانه لا فائدة
فيه اما معايبه فكونه يستلزم غضب الله فان الفار من الجهاد في سبيله عاص لامره والعاصي له مستحق لغضبه وعقابه ثم كونه مستلزما
للذل اللازم والعار الباقي في الاعقاب وهو ظ واما انه لا فائدة فيه فلان الفار لا يزيد في عمره لفراره اذ علمنا بفراره انه لم يبلغ اجله لكنه
له مكان بقاؤه في مدة الفرار من عمره لا زيادة فيه ولا له يوما في القضاء الالهي لا يحجز بينه وبينه فرار وفيه تخويف بالموت وقوله من رائح
الى الله كالظمآن يرد الماء استفهام عمن يسلك سبيل الله ويروح اليه كما يروح الظمآن استفهاما على سبيل العرض لذلك الرواح ووجه
الشبه القوة في السير والسعي الحثيث واشار بقوله الجنة تحت اطراف العوالي الى ان مطلوبه الرواح الى الله بالجهاد وجذب اليه بذكر
الجنة وخصها بجعلها تحت لان دخول الجنة غاية من الحركات بالرماح في سبيل الله وتلك الحركات انما هي تحت العوالي وقد اطلق لفظ
الجنة على تلك الافعال التي هي غايتها مجازا تسمية باسم غايتها ثم اعقب ذلك بالدعاء الله على محاربيه ان ردوا دعوته الحق بالتفريق
والاهلاك ثم حكم بانهم لم يزولوا عن مواقفهم دون ما ذكره على سبيل التهديد والوعيد لهم والطعن الدراك المتدارك وكنى بخروج النسيم
منه عن كونه يخرق الجوف والامعاء بحيث يتنفس المطعون من الطعنة وروى النسم ورواه القتيبي بالقاف والشين المعجمة وهو اللحم والشحم وهو
بعيد وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** في التحكيم إنّا لم نحكّم الرجال وإنّما حكّمنا القرآن وهذا القرآن إنّما هو خطّ
مسطور بين الدفّتين لا ينطق بلسان ولا بدّ له من ترجمان وإنّما ينطق عنه الرجال ولمّا دعانا القوم الى أن نحكّم بيننا القرآن
لم نكن الفريق المتولّي عن كتاب الله وقال سبحانه فإن تنازعتم في شيء فردّوه الى الله والرسول فردّه الى الله أن نحكم بكتابه وردّه
الى الرسول أن نأخذ بسنّته فاذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن أحقّ الناس به وإن حكم بسنّة رسول الله فنحن أولاهم
به وأمّا قولكم لم جعلت بينكم وبينهم أجلاً في التحكيم فإنّما فعلت ذلك ليتبيّن الجاهل ويتثبّت العالم ولعلّ الله أن يصلح
في هذه الأمّة ولا تؤخذ بأكظامها فتعجل عن تبيّن الحقّ وتنقاد لأوّل الغيّ إنّ أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحقّ
أحبّ إليه وإن نقصه وكرثه من الباطل وإن جرّ إليه وزاده فأين يتاه بكم ومن أين أتيتم استعدّوا للمسير الى قوم حيارى
عن الحقّ لا يبصرونه وموزعين بالجور لا يعدلون به جفاة عن الكتاب نكب عن الطريق ما أنتم بوثيقة يعلق بها ولا زوافر
يعتصم إليها لبئس حشّاش نار الحرب أنتم أفّ لكم لقد لقيت منكم برحاً يوماً أناديكم ويوماً أناجيكم فلا أحرار صدق عند
النداء ولا إخوان ثقة عند النجاء **اقول** هذا الفصل من كلام له بعد سماعه لامر الحكمين وخدعة عمرو بن العاص لابي موسى

القلب م

الهدنة امر هذه م

فائدة م

عز م

في التحكيم وما يتعلق به

كرثه الامر اشتد عليه وأوزع له بكذا فهو مونع اذا اغرى به وقولك ينتشا بيدا لكاف جمع ناكب وهو العادل عن الطريق كما ذل وبزل
ونوافر الرجل انصاره وعشيرته والحشاش جمع حاش وهو موقد النار وكذلك الحشاش بكسر الحاء وتخفيف الشين كنايم ونوام ونيام وقيل
هو ما يحش به النار اى يوقد والبرح لسكون الراء الشديد هو الاذى يقال لقيت منه برحا بارحا وروى ترحا وهو الحزن وهذا الفصل
من قوله الى قوله او كلام هو جواب له عن شبهة التحكيم للخوارج عن امره بالحرب بعد ان رضى بالتحكيم وتقدير الشبهة انك رضيت بتحكيم
رجلين في هذا الامر وعاهدت على ذلك وكل من رضى بامر وعاهد عليه فليس له ان ينقض عهده فقدح في صغرى هذه الشبهة بقوله
انا لم نحكم الرجال الى لكونهما رجالا وانما حكمنا القرآن لما كان القرآن لا بد له من ترجمان يبين مقاصده ودعانا القوم الى حكم
القرآن لم نكن نحن الفريق المتولي عن كتاب الله المتولي عنه لعدم امره تعالى بالرجوع اليه والى رسوله في الكتاب والسنة فيما اشتبه امره بقوله
فان تنازعتم الآية فاذا حكم بالصدق عن علم بكتابه فنحن احق الناس به اى وكلاهم بانتباعه وكلاهم بان ينص على كون الامر لنا كما في
قوله نعم وان طائفتان من المؤمنين الى قوله حتى تفيء الى امر الله وظاهر كون اولئك بعد عقد الامامة قد بغاة عليه فوجب بنص الكتاب
قتالهم وكذلك الآيات الدالة على وجوب الوفاء بالعهود والعقود وكان هو اولى بالحق الذي يجب قتالهم عليه فكان الحاكم لهم المخطئا مخالفا
لكتاب الله غير عامل به فوجب مخالفته وان حكم بسنة رسول الله فنحن اولى الناس برسول الله للقرابة وللعمل بسنته لموافقتها الكتاب ونصه على
وجوب متابعة الامام العادل فكان الحاكم لغيره مخالفا للسنة ايضا فصارت خلاصة هذا الجواب انا لم نرض بتحكيم الرجلين لكونهما رجلين
لينفذ بحكمهما بكتاب الله الذي هما ترجمان عنه وهو الحاكم الذي دعانا الخصم اليه وحيث خالفاه لم يجب علينا قبول قولهما وقوله واما قولكم
الى قوله لاول الغي فتقدير سؤال الخوارج مع جوابه وذلك انهم حين اتفقوا على التحكيم كتبوا كتاب الصلح وضربوا للحكمين اجلا مدة
صورة الكتاب هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب ومعوية بن ابي سفيان قاضى علي بن ابي طالب على اهل العراق ومن كان معه من شيعته
من المؤمنين والمسلمين وقاضى معوية بن ابي سفيان على اهل الشام ومن كان من شيعته من المؤمنين والمسلمين انا ننزل عند حكم الله تعالى
وكتابه ولا يجمع بيننا الا اياه وان كتاب الله سبحانه بيننا من فاتحته الى خاتمته نحيي ما احيى القرآن ونميت ما امات القرآن فان وجد
الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعاه وان لم يجداه اخذا بالسنة العادلة غير المفرقة والحكمان عبد الله وعمرو بن العاص وقد اخذ الحكمان
من علي ومعوية ومن الجندين انهما امنان على انفسهما واموالهما واهلهما والامة لهما انصار وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين
من الطائفتين عهد الله ان يعمل بما يقضيان عليه مما وافق الكتاب والسنة وان الامن والموادعة ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين
الى ان يقع الحكم وعلى كل واحد من الحكمين عهد الله ليحكمن بين الامة بالحق لا بما يهوى واجل الموادعة سنة كاملة فان احب الحكمان
ان يعجلا الحكم عجلاه وان توفي احدهما فلامير شيعته ان يختار مكانه رجلا لا يألو الحق والعدل وان توفي احد الاميرين كان نصب غيره
الى اصحابه ممن يرضون امره ويحمدون طريقته اللهم انا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة واراد فيها الحادا وظلما وشهد فيه من
اصحاب علي عشرة ومن اصحاب معوية عشرة فذلك معنى الاجل في التحكيم وتقرير هذا السؤال انك حين رضيت بالتحكيم لم ضربت بينك وبين
بينهم اجلا وما الحكمة في ذلك فاجاب انما فعلت ذلك ليتبين الجاهل اى وجه الحق ويتثبت العالم اى في امره بحيث يخلص من الشبهة ورجا ان يصلح
هذه الامة بعد الصلح وقوله ولا تؤخذ باكظامها فيعجل الى حرفه فعبر باخذ الكظم على الاخذ بعنفه وعلى غرة وقوله ان القوم لما اخذوا الاول شبهته
عرضت من رفع المصاحف وهو اول الغي ولم يتثبتوا في امرهم شبهوا من اخذ بمجرى نفسه فلم يتمكن من الاستراحة الى التنفس فاستعير وصف
الكظم لهم وقوله ان افضل الناس الى قوله وزاده جذب الى الحق ولا انتهى الى الغاية المذكورة وتنفير عن الباطل وان استلزم الغاية المذكورة
بذكر الافضلية عند الله وقوله من الباطل متعلق باحب اليه وقوله وان نقصه وكرثه اعتراض بينهما والحكم في هذه القضية الصدق اذ كان ملازم
الحق اتقى الخلق والاتقى الافضل عند الله نعم كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم وقوله فاين يتاه بكم يريد الى اي غاية يكون هذا التيه
التيه الذي اخذتم فيه وفيه تنبيه على ان ذلك التيه فعل الغير بهم ومن اين اتيتم اى من اى وجه دخلت عليكم الشبهة وتشبيه هذا السؤال
بما هل العارف اذ كان يعلم وجه الداخل عليهم ثم اعقب ذلك لتحتيتهم بالامر بالمسير الى اهل الشام ووصفهم بالحيرة عن الحق والعمى عنه
والاغراء بالجور عن طريق الله بحيث لا مثل بالجور عندهم ويجافوه الطباع عن فهم كتاب الله ونبوّ الافهام عنه وعدلهم عن طريقه كل ذلك
اغراء بهم وقوله ما انتم بوثيقة اي يعرفونه ويثقون الى آخره وهو عتاب لهم وتضجر منهم على قلة طاعته وقوله يوما اناديكم اى ادعوكم الى النصرة
واستنبعث بكم يوما اناجيكم اى اسارّكم واجادلكم على تقصيركم وقوله فلا احرار عند النداء لان الحر من شأنه اجابة الداعي والوفاء بالوعد
ولستم كذلك ولا اخوان ثقة عند النجاء لان اخا الثقة اذا ناجيته وعوتب من اخيه انعتب واذا احوج واعتذر اليه رجع الى صفاء الاخوة
لكان وثاقها ولستم من ذلك في شيء وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما عوتب على التسوية في العطاء اتأمروني ان
اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا اطور به ما سمر سمير وما ام نجم في السماء نجما لو كان المال لي لسويت بينهم
فكيف وانما المال مال الله الا وان اعطاء المال في غير حقه وجهه وغير اهله تبذير واسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا

عهده

لكنه

لكن

ويضعه في الآخرة ويكرمه في الناس ويهينه عند الله ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير اهله الا حرمه الله شكرهم وكان لغيره
ودهم فان زلت به النعل يوما فاحتاج الى معونتهم فشر خليل والأم خدين **اقول** لا اطور به اي لا اقربه والسمير الدهر يقال
لا افعله ما سمر سمير اي الدهر كله وكذلك لا افعله ما سمر ابنا سمير اي ابناه الليل والنهار والخدين
الصديق والتسوية في العطاء من سنة الرسول صلى الله عليه وآله وكان ابو بكر كذلك على تلك السنة فلما فضل من بعدهما اهل السابقة والشرف في العطاء
على غيرهم اعتاد المفضلون بذلك الى زمانه عليه السلام ولما كان سالكا مسالك الرسول صلى الله عليه وآله ومقتفيا اثر سنته لم يمكنه الا التسوية وطلب المفضلون
ما فاتهم من التفضيل عنده ولا ينبسط هذا الامر فقال الكلام فقوله اتأمروني ان اطلب النصر بالجور جواب لمن اشار عليه بالتفضيل وكان المشير
قال له ان فضلت هؤلاء كانوا معك فقاتلوهم ونصروك فاجابهم بذلك والجور العدول عن سبيل الله بالتفضيل حيث كان خارجا عن
سنة الرسول صلى الله عليه وآله ثم اقسم لا يقرب التفضيل ابدا وان المال لو كان له لكان من العدل ان يسوي بينهم فيه فكيف والمال لله ولهم ووجه ذلك ان
التسوية هي العدل الذي يجتمع به النفوس على النصرة وتأتلف هممهم على مقاومة العدو وفي التفضيل المستلزم لانكسار قلوب المفضولين
مع كثرتهم فلو كان المال له مع كونه بطباع البشرية المائلة الى تخصيص دون تخصيص لهوى منهم فكيف والمال لله الذي تساوي نسبة الخلق
اليه وما لهم الذي فرضه الله لهم على سواء وهو كالاعتذار الحاسم لمادة الطمع في التفضيل ثم نبه على قبح وضع المال في غير اهله وعلى غير
وجهه وغير اهله هم غير المعروفين لهم وغير حقه الذي لم يفرضه الشارع واشار الى وجوه المفاسد ففي غير اهله تبذير وفي غير وجهه
اسراف وعرفت انهما طرفا الافراط من فضيلة السخاء وقوله يرفع صاحبه في الدنيا اي يحصل له السبب بذكر الكرم بين العوام والجاهلين
من لا يعرف حقيقته ويضعه في الآخرة اذ كان سببا على رذيلة وكذلك يكرمه عند الناس ويهينه عند الله واما حكمه بان الواضع لماله في غير حقه
وعند غير اهله محروم شكرهم ولغيره ودهم على تقدير وقوع الزلة منه التي يحتاج فيها الى مساعدتهم فيقاعدون عنه فذلك مما يحصل للاشقى
وربما بلغ التجربة واما سر ذلك فيحتمل ان يكون لانهم لما كانوا غير اهل لوضع المعروف لم يكونوا اهلا للاعتراف به اما لجهلهم وغفلتهم ولاعتقادهم
ان المسدي اليهم غير اهل لشكرهم وانهم على مرتبته واحق بالمال منه واكثر ما يكون عدم الشكر من هؤلاء لنظر كل منهم الى ان غيره من المسدى
اليه من غير اهل وانه هو احق فيرى نفسه دائما مبخوس الحظ من باذل المعروف فلا يزال متسخطا عاتبا عليه ذاما للزمان وقح لا يحقق غرضه
ببعض البذل فاذا اصابه من غيره ادنى معروف ولم يصبه بل لم يسمع مدح احد وشكر الناس له ساعد على مدحه واظهر فضله وقال الذي يضع
المعروف في اهله فيكون ذلك كالمستنهض لهمة الباذل وكالمزري عليه والمغاير له وكنى بزلة النعل عن خطائه وعثاره في المصائب وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام ايضا للخوارج فان ابيتم الا ان تزعموا اني اخطأت وضللت فلم تضللون عامة امة محمد صلى الله عليه وآله بضلالي
وتأخذونهم بخطائي وتكفرونهم بذنوبي سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم وتخلطون من اذنب بمن لم يذنب
وقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وآله رجم الزاني ثم صلى عليه ثم ورثه اهله وقتل القاتل وورث ميراثه اهله وقطع السارق
وجلد الزاني غير المحصن ثم قسم عليهما من الفيء ونكحا المسلمات فاخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم واقام حق الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم
من الاسلام ولم يخرج اسماءهم من بين اهله ثم انتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه وسيهلك في صنفان
محب مفرط يذهب به الحب الى غير الحق ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحق وخير الناس في حالا النمط الاوسط فالزموه
والزموا السواد الاعظم فان يد الله على الجماعة واياكم والفرقة فان الشاذ من الناس للشيطان كما ان الشاذ من الغنم للذئب الا من دعا الى
هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه وانما حكم الحكمان ليحييا ما احيا القرآن ويميتا ما امات القرآن واحياؤه الاجتماع
عليه واماتته الافتراق عنه فان جرنا القرآن اليهم اتبعناهم وان جرهم الينا اتبعونا فلم آت لا ابا لكم بجرا ولا ختلتكم عن امركم
ولا لبسته عليكم انما اجتمع رأي ملئكم على اختيار رجلين اخذنا عليهما ان لا يتعديا القرآن فتاها عنه وتركا الحق وهما
يبصرانه وكان الجور هواهما فمضيا عليه وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة بالعدل والصمد للحق سوء رأيهما وجور حكمهما

اقول البجر الشر والامر العظيم والختل الخداع بغيره والصمد القصد وهذا الفصل مشاجرة مع الخوارج وهو منع لشبهتهم التي بها كفروا
اصحابه وصورتها انكم ضللتم بالتحكيم وكل ضال كافر ينتج انكم كفار فقوله فان ابيتم الى قوله وضللت يجري مجرى تسليم جدلي لما منعه
اولا في الفصول السابقة من صغرى شبهتهم وبين ان التحكيم لم يكن منه خطأ ولا ضلالا فكانه يقول وهب اني اخطأت كما زعمتم فقوله
فلم تضللون عامة امة محمد بضلالي منع لصغرى هذه الشبهة وقوله وتكفرونهم بذنوبي الى قوله بمن لم يذنب منع للكبرى فكانه يقول وهب
انكم ضللتموهم بضلالي فلم تكفرونهم وتقتلونهم بسبب تكفيرهم المذنب وغير المذنب وقوله وقد علمتم الى قوله من بين اهله استشهاد عليهم بفعل
بفعل الرسول صلى الله عليه وآله فيمن اخطأ وانه لم يكفرهم بذنوبهم بل اجرى عليهم احكام الاسلام ولم يسلبهم اسمه وهذا الاستشهاد يجري مجرى ذكر
مستند المنع والزاني الذي رجمه هو المحصن ولم يمنعه سخطه فرجمه ضد في الاسلام عليه ولحوق احكامه من الصلاة عليه وتوريث
ماله لاهله وكذلك الباقون من اهل الكبائر من الامة لم يمنعهم ذلك من اجراء احكام الاسلام عليهم وصدق اسمه المنافي للصد والكفر

عليهم.

ملك / خليل

الكرم

بها

في اخباره عن الملاحم بالبصرة

عليهم وضمير الاثنين في نكحا الى السارق والزاني اي لم يمنعهم استحقاق القتل والجلد من حصتهما من الفيء ولكن نكاح المسلمات وضمائر الجمع في قوله فاخذهم
الله بذنوبهم الى قوله بين اهله راجعة الى كل من جرى ذكره من المذنبين والكلام المذكور حكاية لحالهم والضمير في اهله يرجع الى الاسلام ثم لما فرغ من
بيان غلطهم ذمهم ونبههم الى الانفعال عن الشيطان اذ كانت وساوسه مبادي الاغلاط والشبه ثم عقب ذلك بالاخبار عن هلاك من سلك
طرفي الافراط في حبه او بغضه لخروجهما عن الحق والعدل الى الباطل والجور وافراط الحب ان جعل الها كالمنسوب الى النصيرية ونحوهم من
الغلاة وافراط البغض ان نصب له الكفر كالمنقول عن الخوارج وجعل خير الناس فيه حالا النمط الاوسط في المحبة وهم اهل العدل فيه
النمط الاوسط الجماعة من الناس امرهم واحد وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط يلحق بهم التالي ويرجع اليهم الغالي فالتالي هو
هو المقصر الواقف في طرف التفريط والغالي هو العابر الى طرف الافراط وامر بلزوم ذلك النمط ولزوم طريقه السواد الاعظم اي اكثر المسلمين
المتفقين على راي واحد ورغب في لزوم طريقهم بان يد الله على الجماعة فيجوز بلفظ اليد في قدرة الله وحسن اسناده للجماعة اذ كانوا امنع وابعد
عن الانفعال للعدو وآمن من الغلط والخطاء لكثرة آرائهم وانما فيها فلا تكاد تتفق على امر الا مصلحة فيه مع كثرتها واختلافها وحذر
من الفرقة والشذوذ عن الجماعة بان الشاذ من الناس اي المنفرد المستبد برايه للشيطان اي محل تطرق الشيطان لانفراده وشبه ذلك بالشاذ
من الغنم ووجه الشبه كون انفراده محلا لتطرق الهلاك اليه باستغواء الشيطان له كان الشاة المنفردة في مظنة الهلاك لانفرادها وحلها
للذئب ثم امر بقتل من دعا الى هذا الشعار وهو مفارقة الجماعة والاستبداد بالراي وقوله ولو كان تحت عمامتي هذه مبالغة في الكلام كنى بها
عن اقصى القرب من عناية اي ولو كان ذلك الداعي الى هذا الحد من عنايتي به وقيل اراد ولو كان ذلك الداعي انا وقوله وانما حكم الحكمان
اعتذار عن شبهة التحكيم واسند اليهما لفظي الاحياء والاماتة مجازا باعتبار كونهما في الاجماع عليه والعمل به مظهرين للمتفق وقاتلين كما يقال
ميت الشيء ومبطل حياته وقوله فلم آت لا ابا لكم بجرا الى آخره لما بين وجه عذره في التحكيم انكر ان يكون فعله ذلك مشتملا على فساد اوخداع
لهم او تلبيسا عليهم في التحكيم من غير اتفاق منهم ومراجعتهم بل انما كان ذلك عن اجتماع آرائهم على اختيار حكمين اخذت عليهما الشرائط
المعدودة في كتاب الصلح وفي نسبته اختيار الحكمين الى ملائهم ونسبته اخذ العهد عليهما في اتباع الكتاب الى نفسه او الى جماعة هو احدهم
تنبيه على ان اخذ العهد عليهما كان منه او تشريكه دون تعيينهما للحكومة لما نقل انه كان غير راض بنصب ابي موسى تابعا عنه وانما اكره
على ذلك وكان ميله واختياره في ذلك لابن عباس وتلخيص الكلام انا انما رضينا بالحكمين بشرط ان يعملا بكتاب الله والمشروط بشرط
عدم عند عدم ذلك الشرط فحيث خالفا الشرط عمدا بعد ان سبق استيثاقنا عليهما سوء رايهما وخبث مخالفتهما وانتصب سوء رايهما لانه
مفعول به عن سبق وبالله التوفيق والعصمة **ومن كلام له عليه السلام** وهو مما كان يخبر به عن الملاحم بالبصرة يا احنف كاني به وقد سار
بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل يثيرون الارض باقدامهم كانها اقدام النعام يومي
بذلك الى صاحب الزنج ثم قال ويل لسكككم العامرة والدور المزخرفة التي لها اجنحة كاجنحة النسور وخراطيم كخراطيم
الفيلة من اولئك الذين لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم انا كاب الدنيا لوجهها وقادرها بقدرها وناظرها بعينها
اقول الملحمة الوقعة العظيمة وهذا الفصل من خطبة له عليه السلام بالبصرة بعد وقعة الجمل ذكرنا منها فصولا فيما سبق والخطاب مع الاحنف
بن قيس لانه كان رئيسا ذا عقل وسابقة في قومه وكان اسمه صخر بن قيس بن معوية بن حصين بن عباد بن مرة بن عبيد بن تميم وقيل اسمه
الضحاك وكنيته ابو بحر وبسببه كان اسلام بني تميم حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يجيبوا فقال لهم الاحنف انه يدعوكم الى مكارم الاخلاق
وينهاكم عن ملائمها فاسلموا واسلم الاحنف وشهد مع علي عليه السلام صفين ولم يشهد الجمل مع احد الفريقين والضمير في قوله كاني به لصاحب
الزنج واسمه علي بن محمد علوي النسب والجيش المشار اليه هم الزنج ووقائعهم بالبصرة مشهورة واخبارهم وبيان احوالهم وتفصيل وقائعهم
يشتمل عليها كتاب مفرد في نحو من عشرين كراسة فليطلب عليها من هناك واما وصف ذلك الجيش بالاوصاف المذكورة فلان
الزنج لم يكونوا اهل خيل ولا اجناد من قبل حتى يكون بالاوصاف المشار اليها واثارتهم التراب باقدامهم كناية عن كونهم حفاة
في الاغلب مشققي الاقدام فهي من اعتياد الحفا ومباشرة الارض كالخشب ونحوه فكانت مظنة اثارة التراب عوضا من حوافر
الخيل ووجه شبهها باقدام النعام ان اقدامهم في الاغلب قصار عراض منتشرة الصدور ومفرقات الاصابع فهي من عرضها لا
يتبين لها طول فاشبهت اقدام النعام في بعض تلك الاوصاف ثم اخبر بالويل لحال البصرة ودورها المزخرفة من اولئك واستعار
لدورها لفظ الاجنحة واراد بها القطايات التي تعمل من الاخشاب والبواري بارزة عن السقوف كالوقاية للمشارف والحيطان
عن آثار الامطار وهي لشبه الاشياء في هيئتها وصورتها وصنعها باجنحة كبار الطير كالنسور وكذلك استعار لفظ خراطيم الفيلة
لميازيبها التي تعمل من الخوص على شكل خرطوم الفيل وتطلى بالقار ويكون نحوا من خمسة اذرع او ازيد تدلى من السطوح حفظا
للحيطان من اذى السيل وهي اشبه الاشياء في صورتها بخراطيم الفيلة واما وصفه لهم بانه لا يندب قتيلهم ولا يفقد
غائبهم فقال بعض الشارحين ان ذلك وصف لهم بشدة الباس والحرص على الحرب والقتال وانهم لا يبالون بالموت ولا ياسفون

على من فقد

على من نفيد منهم والقول والاشبه ان ذلك لكونهم لا اصول لهم لا كثرهم من ام اولاد وعبيد فى ذلك من عاد تهم ان ينوح ويندب بخيلة او بفقد ولا اهل غائبة لكون اكثرهم غرباء عن البصرة ممن قتل منهم لا يكون له من يبكيه ومن غاب لا يكون له من يفقده وقوله ما كانت الدنيا لو جمعها اشارة الى نفسه فيها وتنبيه على فضيلته يقال كببت فلانا لوجهه اذا تركته ولم التفت اليه وقادرها بقدرها اى معامل لها بمقدارها وما كان مقدارها حقيرا عنده كان التفاته اليها ايضا حقيرا بحسب هذه الغاية فيها وكذلك ناظرها بعينها يعتبرها بالعين التى ان تعتبر بها الدنيا من كونها غرارة غدارة خائلة الى غير ذلك من اوصافها وانها مزرعة الآخرة وطريق اليها غير مطلوبة لذاتها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** يومى به الى وصف الاتراك كانى اراهم قوما كان وجوههم المجان المطرقة يلبسون السرق والديباج ويعتقبون الخيل العتاق ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشى المجروح على المقتول ويكون المفلت اقل من الماسور فقال له بعض اصحابه لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السلام وقال للرجل وكان كلبيا يا اخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذى علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه وتعالى بقوله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام من ذكر او انثى وقبيح او جميل وسخى او بخيل وشقى او سعيد ومن يكون للنار حطبا او فى الجنان للنبيين مرافقا فهذا علم الغيب الذى لا يعلمه احد الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه صلى الله عليه وآله فعلمنيه ودعا لى بان يعيه صدرى وتضطم عليه جوانحى **اقول** المجان بالفتح جمع مجن بكسر الميم وهو الترس والمطرقة بفتح الراء والتخفيف التى تطبق وتخصف كطبقات النعل يقال اطرقت بالجلد اذا البست والسرق بفتح السين والراء شقق الحرير واحدتها سرقة قال ابو عبيد هى البيض منها وهو فارسى معرب اصله سره اى جيد كالاستبرق الغليظ من الديباج ويعتقبون الخيل يحتبسونها ويرتبطونها واستحرار القتل وحره اى اشتد واعلم انه من عادته اذا اراد الاخبار عن امر سيكون فانه يصدره بقوله كانى كما سبق من اخباره عن الكوفة كانى بك يا كوفة وكقوله كانى به وقد نعق بالشام ونحو ذلك ان مشاهدته بعين بصيرته لما افيض على نفسه القدسية من انوار الغيب على سبيل الالهام بواسطة الاستاد المرشد صلى الله عليه وآله تشبه المشاهدة بعين البصر فى الجلاء والظهور الخالى عن الشك فلذلك حسن حرف التشبيه وضمائر الجمع فى الفصل تعود الى الاتراك وشبه وجوههم بالترس المطرقة ووجه الشبه فى تشبيهها بالترس الاستدارة والعظم والانبساط وفى كونها مطرقة الخشونة والغلظة وهو تشبيه للمحسوس بالمحسوس واما وصفهم بمراعاة لبس السرق والديباج واعتقاب الخيل فاعتبار احوال الترك تشهد بصدقه واما اخباره عن استحرار القتل الى الغاية المذكورة حين ظهورهم فمما تصدقه التواريخ بالوقايع المشهورة بينهم وبين العرب وغيرهم من المسلمين فى ايام عبد الله بن الزبير وفى ايام قتيبة بن مسلم ويكفى فى صدق ذلك الى الغاية المذكورة ما شهدناه من وقايع التتار مع المسلمين وقتلهم اياهم بالعراقين وخراسان وغيرها من البلاد فاما جوابه عليه السلام للكلبى ان ذلك ليس بعلم غيب انما هو تعلم من ذى علم وتحديده للمعلومات بعلم الغيب الذى لا يعلمها الا الله سبحانه فحق وصدق وقد نبهنا على الفرق بين علم الغيب والاخبار عن المغيبات فى المقدمات لكن ينبغى ان يعلم ان التعلم الحاصل له من قبل الرسول ليس على سبيل ان كل ما القى اليه صور جزئية ووقايع جزئية بل معناه هو اعداد نفسه القدسية على طول الصحبة من حيث كان طفلا الى ان توفى الرسول صلى الله عليه وآله لهذه العلوم بالرياضة التامة وتعليم كيفية السلوك واسباب تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة حتى استعدت نفسه الشريفة للانتقاش بالامور الغيبية وانتقشت فيها الصور الكلية فامكنه الاخبار عنها وبها ولذلك قال ودعا لى بان يعيه صدرى وتضطم عليه جوانحى اى يضبطه قلبى ويشتمل عليه وكنى بالجوانح عن القلب لاشتمالها عليه ولو كانت تلك العلوم صورا جزئية لم يحتج الى مثل هذا الدعاء فان فهم الصور الجزئية وضبطها والاخبار عنها ممكن لكل الصحابة من العوام وغيرهم وانما الصعب المحتاج الى الدعاء بان يعيه الصدر ويستعد الاذهان لقبوله هو القوانين الكلية وكيفية انشعابها وتفصيلها واسباب تلك الامور المعدة لادراكها حتى اذا استعدت النفس بها امكن ان تنتقش بالصور الجزئية من مفيضها كما سبق

ومن كلام له عليه السلام فى ذكر المكاييل والموازين عباد الله انكم وما تاملون من هذه الدنيا اثوياء مؤجلون ومدينون مقتضون اجل منقوص وعمل محفوظ فرب دائب مضيع ورب كادح خاسر قد اصبحتم فى زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان فى هلاك الناس الا طمعا فهذا اوان قويت عدته وعمت مكيدته وامكنت فريسته اضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر الا فقيرا يكابد فقرا او غنيا بدل نعمة الله كفرا او بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا او متمردا كان باذنه عن سمع المواعظ وقرا اين خياركم وصلحاؤكم واين احراركم وسمحاؤكم واين المتورعون فى مكاسبهم والمتنزهون فى مذاهبهم اليس قد ظعنوا جميعا عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنغصة وهل خلقتم الا فى حثالة لا تلتقى بذمهم الشفتان استصغارا لقدرهم وذهابا عن ذكرهم فانا لله وانا اليه راجعون

بذلك

بالعوس

اينهم

الاشارة اليه

فيه

كلام لأبي ذر

ظهر الفساد فلا منكر مغير ولا زاجر مزدجر أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه وتكونوا أعز أوليائه عنده هيهات لا يخدع الله
عن جنته ولا تنال مرضاته إلا بطاعته لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به **أقول** أقويا جمع
قوي على فعيل وهو الضعيف والذاب المجد في العمل والكادح العامل والتوم الصمم والحثالة الثفل وكنى بالردي من كل شيء وقد نفر
عن الدنيا بذكر عدة من معايبها أحد فكونهم فيها ضيفانا واستعار لهم لفظ الضيف لكل لما يأملون منها وعدة الاستعارة مشابهتهم
للضيف في تأجيل الإقامة وانقطاع وقته وقرب رحيله ومؤجلون ترشيح للاستعارة الثانية كونهم مديونون فيها واستعار لفظ الدين باعتبار
وجوب الفرائض المطلوبة منهم وعهد الله المأخوذ عليهم أن يرجعوا إليه طاهرين عن نجس الملحدين ورشح بذكر المقتضين لما أن شأن المدين
ان يقتضى فيه الدين ثم لما ذكر كونهم مؤجلين ومديونين كرر ذكر الأجل بوصف النقصان ولا شك في نقصانه لا ينبغي وذكر الأمل الذي
في الصدر وصالحه هو الذي المقتضي منهم بوصف كونهم محفوظا عليهم ليجذب بنقصان الأجل إلى العمل ويحفظ العمل إلى إصلاحه والإخلاص فيه
وأجل وعمل خبران حذف مبتداؤهما أي أجلكم أجل منقوص وعملكم عمل محفوظ ونبه بقوله فرب دائب مضيع ورب كادح خاسر أن العمل
وإن قصد فيه الصلاح أيضا إلا أنه قد يقع على وجه الغلط فيحصل به الانحراف عن الدين وضلال عن الحق فيضيع العمل ويخسر الكادح كأرباب
الخوارج ونحوهم وربما دخل الكادح في قوله تعالى هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا
وذلك ككدح أهل الكتاب ونحوهم وقوله قد أصبحتم إلى قوله قربا إلا شكاية للزمان وذم له وهو كقوله أنا قد أصبحنا في زمن كنود
ودهر عنود وذلك لأخذ الزمان في التبعد عن وقت ظهور الشريعة وطراوتها وجرأة الناس على هتك الدين وارتكاب مناهي الله وكذلك
طمع الشيطان في هلاكهم أي في هلاك دينهم الذي يكون غايته هلاكهم في الآخرة وأشار إلى أن ذلك الوقت هو أوان قوة عدته وعموم مكيدته
وإمكان عمله فما ظنك بزماننا هذا وما بعده واستعار لفظ الفريسة للطاوعين للشيطان والمنفعلين عنه ووجه الاستعارة بلوغه منهم مراده
وقصر بغيتهم لغايته هلاكهم لاستلام فريسته وقوله اضرب بطرفك إلى قوله وقرا شرح لما أجمله أولا من إدبار الخير وإقبال الشر وكفر
الغني تركه وإعراضه عن شكر نعم الله سبحانه عليه وقوله بخل بحق الله به تعلق بالبخل أي أن البخيل بقصد بخله بحق الله على مستحقه توفير المال والزيادة
فيه وقوله أين خياركم إلى قوله وقد أمهم سؤال عن باب تجاهل العارف منبها لهم على ما صاروا إليه من الفناء وفراق الدنيا وعلى أنهم لم
يبق فيهم من أولي الأعمال الصالحة أحد لعلهم يرجعون إلى لزوم الأعمال الصالحة واللذة بالأحرار الكرماء والمتورعون في مكاسبهم
الملازمون للأعمال الجميلة فيها من التقوى والسماحة وإخراج حقوق الله والمتنزهون في مذاهبهم المتنعفون عن ولوج أبواب المحارم والشبهات
في مسالكهم وحركاتهم وقوله أليس إلى قوله المنغصة سؤال على سبيل التقرير لما نبههم عليه من فراق الدنيا ودناءتها بالنسبة إلى عظيم
ثواب الآخرة وتنغيصها بالآلام ونحوها حتى قال بعض الحكماء أن كل لذة في الدنيا فإنما هي خلاص من ألم وقوله وهل خلفتم إلى قوله عن
ذكرهم سؤال على سبيل التقرير لما ذكر أيضا واستعار لفظ الحثالة لرعاع الناس ومهمهم وقوله لا يلتقي بذمهم الشفتان أي أنهم أحقر من أن تشتغل
الإنسان بذمهم وانتصب ستصغارا وذهابا على المفعول له وحسن اقتباس الفرات منها لما أن هذه الحال التي الناس عليها من فقد
خيارهم وبقاء شرارهم مصيبة لحقتهم ومن آداب الله للصابرين على نزول المصائب أن يسلموا أنفسهم وأحوالهم إليه فيقولوا عندها إنا لله وإنا
إليه راجعون كما قال سبحانه وبشر الصابرين الآية ثم حكم على سبيل التوجع والأسف بظهور الفساد وبقي المنكر المغير للفساد المزدجر عند تنبيههم
على أنهم وإن كان فيهم من ينكر ويزجر إلا أنه لا يغير ما ينكره ولا يزدجر عن مثله وذلك من قبائح الأعمال والرذائل وقوله أفبهذا أي بأعمالكم هذه
المدخولة وتقصيركم ومجاورة الله الوصول إليه والمقام معه في جنته التي هي مقام الطهارة عن نجاسات الهيئات البدنية ومقام تنزيه ذات
الله نعم وطهارتها عن اتخاذ الشركاء والأنداد وهو استفهام على سبيل الإنكار وذلك عقبه بقوله هيهات الى آخره ولما كان ذلك يجري
مجرى الزهد الظاهر مع النفاق في الباطن أعني أعمالهم المدخولة من إنكار المنكر وارتكابهم نبههم على أن فعلهم كخداع الله عن جنته وصرح
بأن الله لا يخدع لعلمه بالسرائر وأنه لا تنال الأبطاعة أي الطاعة الحقيقية الخالصة دون الظاهرة ثم ختم بلعن الآمرين بالمعروف مع تركهم
للعمل به والناهين عن المنكر المرتكبين له لأنهم منافقون مفترون بذلك الحق يفتكهم والنفاق مستلزم اللعن والبعد عن رحمة الله
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لأبي ذر لما أخرج إلى الربذة يا أبا ذر إنك غضبت لله فارج من غضبت له
إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك في أيديهم ما خافوك عليه واهرب منهم بما خفتهم عليه فما أحوجهم إلى ما
منعتهم وما أغناك عما منعوك وستعلم من الرابح غدا والأكثر حسدا ولو أن السموات والأرض كانتا على عبد رتقا ثم اتقى
الله لجعل الله له منهما مخرجا لا يؤنسنك إلا الحق ولا يوحشنك إلا الباطل فلو قبلت دنياهم لأحبوك ولو قرضت منها لأمنوك **أقول**
أبو ذر اسمه جندب بن جنادة وهو من بني غفار قبيلة من كنانة وأسلم بمكة ولم يشهد بدرا ولا الخندق لأنه حين أسلم رجع إلى بلاد قومه فأقام حتى
مضت هذه المشاهد ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يتولى عليا وأهل بيته وهو الذي قال الرسول صلى الله عليه وآله في حقه ما أقلت الغبراء ولا
أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر وروى ابن المعز عنه قال رأيت أبا ذر آخذا بحلقة باب الكعبة وهو يقول أنا أبو ذر الغفاري من لم

العمل ـه

ومن كلام بعض الحكماء في الدنيا إن كل لذة في الدنيا فإنما هي خلاص من ألم

مرضاته ـه

عليه ـه

بعرفني

بعرفني فانا جندب صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله سمعت رسول الله ص يقول مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق وكان قد اخرجه عثمان الى الربذة وهى موضع قريب الى المدينة واختلف في سبب اخراجه فروى عن زيد بن وهب انه قال قلت لابي ذر رضه وهو بالربذة ما انزلك هذا المنزل قال اخبرك اني كنت بالشام في ايام معوية فذكرت قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله الاية فقال معوية هذه نزلت في اهل الكتاب فقلت بل فينا وفيهم فكتب معوية الى عثمن يشكوني في ذلك فكتب الى ان اقدم على فقدمت عليه فانثال الناس على كانهم لم يعرفوني فشكوت ذلك الى عثمن فخيرني فقال انزل حيث شئت فنزلت الربذة وهذا قول من نزه عثمن عن ظلم ابي ذر ونفيه انه كان خرج الى الربذة باختياره وقيل انه كان يغلظ القول في انكار ما يراه منكرا وفي حق عثمن ويقول لم يبق اصحاب محمد على ما عهد ونفر بهذا القول وامثاله عنه فاخرجه لذلك وخطابه ع لابي ذر ليقف بالقول الثاني فقوله انك غضبت لله شهادة له ان انكاره لما ينكره انما هو قصد به وجه الله تعالى وقوله ان القوم خافوك على دنياهم اي امر الخلافة بالتقية عنهم وخفتهم على دينك باجتناب مواخذتهم واخذ عطائهم على غير السنة وقوله فاترك الى قوله منعوك اي اترك لهم دنياهم وانج بدينك فما احوجهم الى دينك واغناك عن دنياهم وقوله ستعلم من الرابح غدا والاكثر حسدا الى يوم القيمة وذلك لكون تارك الدنيا اربح من المقبل عليها واكثرية الحسد من لواحق كثرة الربح وقوله ولو ان السموات الى قوله مخرجا بشارة له بخلاصه مما هو فيه من ضيق الحال بسبب الاخراج وشرطه في ذلك تقوى الله اشارة الى قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال ابن عباس قرء رسول الله ص ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيمة ولما كون التقوى عند استشعارها سببا قاطعا لطمع المتقي من الدنيا وفنائها وهو مستلزم للراحة من مجاذبة النفس الامارة بالسوء والوقوع في شبهات الدنيا وهو هي في استلزام الخلاص من غمرات الموت وشدائد يوم القيمة اظهر وكنى ع بالغاية المذكورة وهي رتق السموات والارض على العبد عن غاية الشدة مبالغة لتبيين فضل التقوى ثم امره بالاستيناس بالحق وحده والاستيحاش من الباطل وحده واكد الحصر في الموضعين بقوله وحده تنفيرا عن ان يستوحش من حق ما فيتركه وينفر عنه وان صعب شق على النفس او يستأنس بباطل ما فيفعله او يسكت عليه وان لذها ونبه على علة بغضهم واخافتهم له وهو عدم مشاركتهم في دنياهم والانفراد بالانكار وغلظة القول عليهم وكنى بالقرض من الدنيا عن الاخذ وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** ايتها النفوس المختلفة والقلوب المتشتتة الشاهدة ابدانهم والغائبة عنهم عقولهم اظأركم على الحق وانتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الاسد هيهات ان اطلع بكم سرار العدل او اقيم اعوجاج الحق اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك فيامن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك اللهم اني اول من اناب وسمع واجاب لم يسبقني الا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلوة وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل فتكون في اموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الخائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الامة **اقول** اظاركم اعطفكم ووعوعة الاسد صوته وسرار العدل ما اختفى منه والنهمة الحرص على الدنيا وقد اتى بالنفوس بصفة الاختلاف اي اختلاف الاهواء والقلوب المتشتتة المتفرقة عن مصالحها وما خلقت لاجله واراد بغيبة عقولهم ذهولها عن رشدها واصابة وجه الحق بانصرافها عن دعائه الى ما ينبغي عنده وشبه نفارهم بنفور المعزى من صوت الاسد ووجه التشبيه شدة نفارهم عن الحق ثم استبعد اظهاره للعدل واقامة الدين بمثلهم على ما هم عليه من قلة طاعتهم ثم عقب ذلك باستشهاد الله سبحانه على ان قصده بمنافسته في امر الخلافة لم يكن في سلطان ولا لفضل حطام دنيوي ولكن للغاية التي ذكرها من رد معالم الدين وهي الاثار التي يهتدي بها وكذا ساير ما عدده من المصالح ثم تلا ذلك استشهاد باستشهاده على انه اول من اناب اي رجع الى الله تعالى عما لعله كان يعد في حقه ذنبا وسمع اي اطاع الله واجاب اي داعي الله ثم استثنى سبق الرسول ص له الى الدين بالصلوة وذلك مما هو معلوم من حاله وانما يقول خصمه انه حين تبع الرسول ص كان طفلا لا اعتداد باسلامه وسيذكر ذلك في موضعه من الخطبة المسماة بالقاصعة وغرضه من هذا الاستشهاد مع ما بعده من الاشارة الى الرذايل التي ينبغي ان يكون الامام منزها عنها تقرير فضيلته وتنبيه على ان فيه من الفضائل ما يقابل تلك الرذايل سيعدها وينفيها عن الامام والوالي لامور المسلمين والاشارة الى وجوه المفاسد اللازمة عنها وتذكيرهم بما علموه من ذلك بقوله وقد علمتم الى اخره اما البخيل فلشدة حرصه على ما في ايدي الناس من الرعية وقد عرفت ما يستلزمه من نفارهم عنه وعدم انتظام الاحوال واما الجاهل فلانه بجهله بقوانين الدين وتدبير امور العالم ضال وضلال الجاهل يستلزم اضلال من اقتدى به وذلك ضد مقصود الشارع واما الجافي فلان جفاءه يستلزم التفرق والانقطاع عنه وذلك ضد الالفة والاجتماع المطلوب للشارع واما الخائف من الدول فيختص بعنايته من يخافه دون غيره وذلك ظلم لا ينتظم معه نظام العالم واما المرتشي في الحكم فالظاهر ذهابه بالحقوق والوقوف فيها على الحيف دون المقاطع الحقة فترى احدهم لا ما اذا اراد فصل قضية دافع بها طويلا وصعب الحق وعرض من يجوضه واشار بالصلح بين الخصمين مع ظهور الحق لاحدهما وكانت غايته من ذلك تخويف صاحب الحق من فوات الجميع الى

الصلاح والرضى ببعض حقه مع انه قد يأخذ منه رشوة وايضا وربما كانت في المعاملة رشوة المبطل منهما وهو في ذلك جبل بحرمانهما من عما ناهم والله المستعان
على ما يصفون واما المعطل للسنة فلتضييعه قوانين الشريعة واهمالها المستلزم لفساد النظام في الدنيا والهلاك الدائم في الاخرى وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام نحمده على ما اخذ واعطى وعلى ما ابلى وابتلى الباطن لكل خفية الحاضر لكل سريرة العالم بما تكن الصدور
وما تخون العيون ونشهد ان لا اله غيره وان محمدا نجيبه وبعيثه شهادة يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان **اقول** الضمير
في قوله نحمده يعود الى اسم الله في كلام سابق لم يذكر وقد علم شكر الله نعم على اخذه وعطائه وعلى بلائه بالخير وابتلائه بالشر وتنبيه بذلك على
وجوب شكر الله في طوري السراء والضراء وحالتي الشدة والرخاء فاما وصفه له بالباطن والحاضر والعالم فقد سبق شرحه غيره مرة وقصدا في
الوصفين الاولين قوله نعم يعلم السر واخفى وقصدا في الاخير قوله ثم يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وكذلك سبقت الاشارة الى سر
الشهادتين ونجيبه وبعيثه منتجبه ومبعوثه فعيل بمعنى مفعول وقوله شهادة يوافق فيها الى اخره اي شهادة خالصة من النفاق والرياء و
بالله التوفيق **منها** فانه والله الجد لا اللعب والحق لا الكذب وما هو الا الموت اسمع داعيه واعجل حاديه فلا يغرنك سواد الناس
من نفسك وقد رايت من كان قبلك ممن جمع المال وحذر الاقلال وامن العواقب طول امل واستبعاد اجل كيف نزل به الموت
فازعجه عن وطنه واخذه من مامنه محمولا على اعواد المنايا يتعاطى به الرجال حملا على المناكب وامساكا بالانامل اما رايتم الذين
يأملون بعيدا ويبنون مشيدا ويجمعون كثيرا اصبحت بيوتهم قبورا وما جمعوا بورا وصارت اموالهم للوارثين وازواجهم لقوم
آخرين لا في حسنة يزيدون ولا من سيئة يستعتبون فمن اشعر التقوى قلبه برز مهله وفاز عمله فاهتبلوا هبلها واعملوا للجنة
عملها فان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام بل خلقت لكم مجازا لتزودوا منها الاعمال الى دار القرار فكونوا منها على اوفاز وقربوا
الظهور للزيال **اقول** التشبيد التعلية والاهتبال الاغتنام في الامر المستعجل الحكم وهبلها مصدر مضاف الى الضمير لتقوى مؤكد للفعل اي احكموا
احكامها والاوفاز جمع وفزة وهي العجلة والضمير في قوله فانه اما ان يرجع الى مذكور سابق والى معنى كلامه وهو التحذير والانذار وكذلك
في قوله وما هو الا الموت يحتمل ان يعود الى ملفوظ به سابق ويحتمل ان يعود الى المعنى بالتحذير منه والانذار به اي وما الذي احذركم
مهجوم عليكم الا الموت واسمع واعجل محلهما النصب على الحال من معنى الاشارة وقوله فلا يغرنك الى قوله وامن العواقب اي فلا يغرنك من نفسك
الامارة بالسوء ووسوستها واستغفالها لك عن ملاحظة الموت برؤية سواد الناس اي كثرتهم اذ كثيرا ما يرى الانسان الميت محمولا فيتداركه من
ذلك رقة وروعة فيعارضه الوسواس الخناس ويامره باعتبار كثرة المتبقين له من الناس وان يجعل نفسه من الاحياء الكثيرين بملاحظة شبابه وصحته
ويامره باعتبار اسباب موت ذلك الميت من القتل وسائر الامراض وباعتبار زوال تلك الاسباب في حق نفسه وبالجملة فيبعد في اعتباره وعن
الموت بكل حيلة فنهى السامعين عن الانخداع للنفس بهذه الخدعة واسند الغرور الى سواد الناس لانه مادته ثم نبههم بقوله وقد رايت
الى قوله يستعتبون على كذب تلك الخدعة بتمثيل هذه والواو في قوله وقد والحال ومن في قوله من جمع بدل البعض من الكل من قوله من كان
قبلك والمعنى انه كما نزل باولئك الموت وازعجهم عن اوطانهم فكذلك انتم وقوله طول امل نصب على المفعول له اي فعلوا ذلك لاجل طول الامل
ويحتمل ان يكون مصدرا سد مسد الحال ويحتمل ان يكون ظرفا والعامل امن وقيل هو بدل من قوله من كان قبلك اي رايت طول
امل من كان قبلك ويروى بطول امل واعواد المنايا النعوش ويتعاطى به الرجال اي يتداوله الحاملون له بعضهم الى بعض والخطاب
بالكاف لنوع المخاطب والتخصص على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جارة وقوله اما رايتم استفهام على سبيل التقرير وانما كانوا لا يستطيعون زيادة في
حسنة ولا استعتابا من سيئة لان محل الاعمال هي الدنيا دون ما بعدها وقوله فمن اشعر التقوى قلبه اي من اتقى تقوى حقيقية وبرزت تقوى تنزه
اي ظهرت عليه آثار الرحمة الالهية من السكينة والوقار والحلم والاناة عن التسرع الى مطالب الدنيا وعلت رتبته في الاخرة وفاز عمله فيها بالجزاء
الاوفى ثم امرهم باحكام التقوى اي ان يتقوا الله تقوى حقيقية فانها التي يستحق بها الثواب الدائم وان يعملوا للجنة عملها الذي تستحق به ثم نبههم
على وجوب العمل للجنة بالتبرع بما لاجله خلقت الدنيا وانها لم تخلق دارا قامة بل طريقا يعبر بها الى الاخرة كما يعبر المسافرون ويتزودون
منها الاعمال الصالحة الموصلة الى الجنة وامرهم ان يكونوا فيها مستعجلين في قطع عقباتها ومتعجلين في الارتحال عنها الا انه لما كان التواني فيها يستلزم الالتفات
الى لذاتها والغفلة عن المقصد الحق واستعار لفظ الظهور وهي الركوب لمطايا الاخرة وهي الاعمال الصالحة وتقريبها للزيال هو الاعتناء
بالاعمال المقربة الى الاخرة المستلزمة للبعد من الدنيا والاعراض عنها ومفارقتها **ومن خطبة له عليه السلام** وانقادت له
الدنيا والاخرة بازمتها وقذفت اليه السموات والارضون مقاليدها وسجدت له بالغدو والاصال الاشجار الناضرة وقدحت له
من قضبانها النيران المضيئة وآتت اكلها بكلماته الثمار اليانعة **اقول** المقاليد المفاتيح جمع مقلد بكسر الميم واليانع من الثمار المدرك
وهذا الفصل يشتمل على تمجيد الله سبحانه واظهار عظمة سلطانه فانقياد الدنيا والاخرة له بانتهاء دخولهما في ذل الامكان والحاجة اليه
وقوله وقذفت اليه السموات والارضون مقاليدها كقوله تعالى له مقاليد السموات والارض قال ابن عباس ومقاتل المراد مفاتيح السموات
والارض بالرزق والرحمة وقال الليث المقلاد الخزانة ومقاليد السموات والارض خزائنهما اقول لفظ القذف مجاز في تسليمها وانقيادها بما

السلح

الوبا

كيف

الحاجة

الحاجة والامكان الى قدرته مع جميع ما هى سبب فى وجوده فى هذا العالم مما هو رزق ورحمة للخلق وكنى بلفظ المفاتيح على راى ابن عباس عن الاسباب المعدة للارزاق والرحمة وتلك الاسباب كحركات السموات واتصالات بعض الكواكب ببعض وكاستعدادات الارض للنبات وغيره ووجه الاستعارة ان هذه الاسباب باعدادها المواد الى ما تفيض تفتح بها خزائن الجود الالهى كما تفتح الابواب المحسوسة بمفاتيحها وكلها مسلمة الى حكمه وجريانها بمشيئته وعلى قول الليث فلفظ الخزائن استعارة فى موادها واستعداداتها ووجه الاستعارة ان تلك المواد واستعداداتها تكون فيها بالقوة والفعل جميع الحوادث من الارزاق وغيرها كما يكون فى الخزائن ما يحتاج اليه وسجود الاشجار له انقيادها لما ضربه له وللاصال لخضوعها وقولها تحت قدرته وحاجتها الى جوده ونسب قدح النيران اليها لما انها السبب المادى وان كان القادح حقيقة هو فعال السبب القابل على القريب وجعل ذلك له تعالى لانه الفاعل الاول وقوله وانت الى اخره مقادير بكلماته اوامره واحكام قدرته المعبر عنها بقوله كن واطلاق الكلمات عليها استعارة وجهها نفوذ تلك الاحكام فى المحكومات كنفوذ الاوامر القولية فى المامورات واراد بتمام الثمار دخولها طوعا فى الوجود المعبر عنه بقوله فيكون وبالله التوفيق والعصمة

منها وكتاب الله بين اظهركم ناطق لا يعيا لسانه وبيت لا تهدم اركانه وعز لا تهزم اعوانه **اقول** هذا الفصل كانه فى معرض التوبيخ على ترك اوامر الله ومخالفة احكامه ويشبه ان يكون الواو للحال كانه يقول تفعلون كذا وكتاب الله بين اظهركم ناطق وكونه بين اظهركم كناية عن وجوده بينهم مع ان من شانه ان يسند اليه واستعار لفظ الناطق للكتاب باعتبار ان المكتوب يعبر عن المقصود كما ان الناطق كذلك ولفظ اللسان وانه لا يعيا ترشيح للاستعارة كنى بها عن بيان الكتاب على مرور الاوقات ويحتمل ان يريد باللسان نفسه مجازا اذ كان هو لسانا ناطقا الذى لا يفتر ولا يقصر عن بيان مقاصده وكذلك استعار لفظ البيت باعتبار كونه حافظا للحافظين والعاملين به كما يحفظ البيت اهله واركانه قواعده الكلية التى يبنى عليها نظام العالم من الاوامر والنواهى والمواعظ والحكم وتلك القواعد لا تكاد تنهدم فى وقت من الاوقات اذ الحكم الكلية صالحة لجميع الاوقات وكونه عزا مجاز اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان حفظه والعمل به مستلزما للعز الدائم الذى لا يعرض له ذل واعوانه هم الله وملائكته ورسله واولياؤه واولئك اعوان لا خوف عليهم ولا انهزام لجمعهم من امره وبالله التوفيق

عليه

منها ارسله على حين فترة من الرسل وتنازع من الالسن فقفى به الرسل وختم به الوحى فجاهد فى الله المدبرين عنه والعادلين به **اقول** فقفى به اتبع به من قبله وغرض الفصل الثناء على الرسول صلعم فقوله ارسله الى قوله الالسن بيان لبعض امارات النبوة فان منها الزمان المتطاول الذى تندرس فيه الشريعة السابقة والقوانين التى بها نظام العالم ويحتاج الخلق الى قوانين مجددة لنظام احوالهم ويجب بعثة رسول وكان الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة وعشرين سنة ومنها تنازع الالسن واختلاف الخلق فى الاراء والمذاهب وقلة الاتفاق على قانون شرعى جامع لهم فقوله وقفى به الرسل كقوله تعالى وقفينا من بعده بالرسل وقوله وختم به الوحى كقوله وخاتم النبيين وهذا الختام مستفاد من الشريعة وليس للعقل فى الحكم بانقطاع الرسل فيما بعد مجال بل ذلك من الامور الممكنة عنده والمدبرون عن الله المعرضون عن اتباع اوامره ونواهيه والعادلون به الجاعلون له عديلا وهو الند والمثل كالمشركين تعالى عما يقولون علوا كبيرا ونسبة المجاهدة الى الله تعالى استعارة ووجهها انه تعالى رضى بجهاد محمد صلعم المشركين كما يرضى المجاهد بنفسه واعوانه مجاهدة وبالله التوفيق

منها وانما الدنيا منتهى بصر الاعمى لا يبصر مما وراءها شيئا والبصير ينفذها بصره ويعلم ان الدار وراءها فالبصير منها شاخص والاعمى اليها شاخص والبصير منها متزود والاعمى لها متزود **اقول** الشاخص الاول الذاهل والمسافر والشاخص الثانى الذى يرفع بصره الى الشىء ويمده اليه وهذا الفصل مع قلة الفاظه يشتمل على لطائف فالاولى ان الدنيا منتهى بصر الاعمى شيئا واستعار لفظ الاعمى للجاهل كقوله تعالى لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ووجه الاستعارة ان الجاهل لا يدرك بعين بصيرته الحق كما ان الاعمى من المبصرات واشار بقوله لا يبصر مما وراءها شيئا الى جهله باحوال الموت وما بعده من سعادة الاخرة وشقاوتها فان قلت انه اثبت للاعمى العمى واثبت انه يبصر الدنيا وذلك نوع مناقضة قلت انه لما اراد بالاعمى اعمى البصيرة وهو الجاهل استعارة لم يكن فى اثبات البصر الحسى له ونظر الدنيا به مناقضة ويحتمل ان يريد ببصيرته ايضا بصر بصيرته استعارة ويكون منتهى بصر بصيرة الجاهل التصرف فى احوال الدنيا وكيفية تحصيلها والتمتع بها دون ان يتعداه غيره الى ما وراءها من احوال الاخرة الثانية قوله والبصير ينفذها بصره استعار لفظ البصير للعالم ونفوذ بصره كناية عن ادراكه ما وراء الدنيا من احوال الاخرة وعلمه انها دار القرار الثالثة قوله فالبصير منها شاخص اى راحل قد جعلها طريقا له الى الاخرة والاعمى اليها شاخص اى متطلع اليها بعين بصيرته ووهمه وان كان اعمى عن مصالحه الحقيقية وعن فنائها وطرقها المخوفة وفى هذه الكلمة مع التى قبلها من اقسام البديع التجنيس التام والمطابقة بين الاعمى والبصير الرابعة قوله والبصير منها متزود اى متخذ للتقوى والاعمال الصالحة فى سفره الى الله تعالى والاعمى لها متزود اى متخذ لذاتها وقيناتها زادا للعمل قطعها مدة عمره فجعل ذلك هو الزاد الحقيقى والكمال الذى ينبغى له وهى فى البديع كالتى قبلها وبالله التوفيق

فانها لا يدرك

منها واعلموا انه ليس من شىء الا ويكاد صاحبه يشبع منه ويمله الا الحيوة فانه لا يجد فى الموت راحة وانما ذلك بمنزلة الحكمة التى هى حياة للقلب الميت وبصر للعين العمياء وسمع للاذن الصماء ورى للظمان وفيها الغنى كله والسلامة كتاب الله تبصرون به وتنطقون به وتسمعون به وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض ولا يختلف فى الله ولا يخالف بصاحبه عن الله قد اصطلحتم على الغل فيما بينكم ونبت المرعى

وتنطقون

في كلام التوبيخ

على دينكم تصافيتم على حب الامال وتعاديتم في كسب الاموال لقد استهام بكم الخبيث وتاه بكم الغرور والله المستعان على نفسي وانفسكم

أقول لقد ترون آثار الماضين ما سوءه واجمع مصدرا للغل الغش والحقد وقد استعفى الحياة ما تشبع منه ويمل ثم علل عدم ملال الحيوة بفقد الراحة في الموت قال بعض الشارحين ان فقدان الراحة في الموت مخصوص باهل الشقاوة في الآخرة فاما اولياء الله وعباده الصالحون فلهم في الموت الكبرى كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله وقال بعضهم بل يحمل على العموم مراعاة لظاهر الكلام وذلك من وجهين احدهما ان الموت يفوت متجر الآخرة وينقطع الاستعداد لكمال اشرف مما حصل عليه الميت وان كان وليا فلا جرم لا يجد الراحة التي تحصل بما يفوته من غايات الكمال الثاني ان النفوس البشرية لما لم يكن معارفها ضرورية ولم تتمكن ما دامت في هذه الابدان من الاطلاع على ما بعد الموت من سعادة او شقاوة فالحريّ بها ان لا تضبطها راحة بتصورها في الموت قال وذلك لا ينافي الخبر اذ ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله اما على الوجه الاول فلان الراحة الحاصلة من الكمال الفائت بالموت لا تحصل له وان حصل على راحة ما بحسب طاعته السابقة واما على الثاني فلان المؤمن لا يجد له ما دام في الدنيا راحة في الموت وذلك لا ينافي ان يحصل له الراحة عند لقاء الله كما نقل ان الحسن عليه السلام لما ان حضرته الوفاة بكى فقال له اخوه الحسين عليه السلام ما لي اراك تكاد تجزع مع يقينك بانك تقدم حيث تقدم على جدك وابيك فقال نعم يا اخي لا شك في ذلك الا انني سالك مسلكا لم اسلكه من قبل واقول ان كان مراده بقوله لا يجد في الموت راحة اي في نفس الموت مع قطع النظر عن غيره من احوال الآخرة فالحق قول من عمم فقدان الراحة في حق الجميع اذ الموت من حيث هو موت لا راحة فيه لاحد من الناس كافة وان كان مراده فقدان الراحة في الموت وما بعده فالحق التخصيص باهل الشقاوة الدائمة فان شدة محبة الحيا ونقصانها منها وشدة بحسب شقوتهم بذوي الراحة في الآخرة ونقصانها وذلك عند اعتبار اهل الدنيا المقبلين عليها بالكلية واهل الآخرة المقبلين عليها بالكلية ومن بينهم من طبقات السالكين وقوله وانما ذلك اي الامر الذي هو احق بان لا يمل ولا يشبع منه بمنزلة الحكمة اي ما كان بمنزلة الحكمة والحكمة في لسان الشريعة هي العلم النافع في الآخرة وقد يطلق على ما هو اعم منه ثم ذكر لها اوصافا الاول انها حيوة للقلب الميت وقد مر ان القلب في عرف العارفين هي النفس الانسانية واستعار للحكمة لفظ الحيوة ووجه المشابهة كون الحيوة بها وجود القلب وبقاؤه كما ان الحكمة بها بقاء الانسان وسعادته في الدارين وكذلك استعار لفظ الميت للقلب الجاهل باعتبار انه غير مطلع على وجوه مصالحه ومفاسده في الدارين وغير مهتد لانتفاع او دفع ضرر كالميت الثاني استعار لفظ البصر للحكمة ووصف العمياء للعين الجاهل ثم يجوز ان يكون لفظ العين ايضا استعارة في بصيرة الجاهل ويجوز ان يكون المراد حقيقة ووجه الاستعارة الاولى ان بالحكمة يبصر الانسان مقاصده ويهتدي وجوه مصالحه الدنيوية والاخروية كما يهتدي البصير بعينه وجوه مسالكه ومقاصده ووجه الثانية ان بصيرة الجاهل لا تهتدي لتلك الوجوه كما لا تهتدي العين العمياء الى شيء ووجه الثالث ان بصر الجاهل تابع لبصيرته فاذا لم تهتد بصيرته وقصرت فلا تنتهي الى حس البصر وغيره ما يعمله بتصوره كما كانت تلك التصرفات غير نافعة في الاكثر بل قد يكون مضارة لا جرم اشبهت عينه الباصرة التي وقع بها سوء ذلك التصرف العين العمياء فاستعير لها لفظها وكذلك استعار لفظ السمع ولفظ الصماء للاذن ووجه الاستعارات ما سبق فان المراد بالسمع ادراك البصيرة والاذن يحتمل ان يراد بها البصيرة استعارة او الاذن المحسوسة وكذلك استعار لفظ الري للحكمة ولفظ الظمآن للجاهل ووجه الاول ان الحكمة تملأ النفس وتجد بها شفاء لها من داء الجهل كما يملأ الماء جوف الظمآن وينقع غلته ويشفي من الم الظماء ووجه الثانية ان الجاهل ملحق الم الجهل ويكون سببا للموت في الآخرة كما يلحق الظمآن الم الظماء الثالث ان فيها الغنى كله والسلامة واراد بالغنى عن النفس غنى كل شيء وكما لها بها فان غاية الحكمة الوصول الى الحق سبحانه والغرق في بحار معرفته وفي ذلك غنى العارفين عن كل شيء واراد بالسلامة سلامة النفوس من عذاب الجهل اذ ثبت في اصول الحكمة انه السبب الاكبر في الهلاك الاخروي وقوله كتاب الله خبر مبتدأ ما اخبر ان الذي وما كان بمنزلة الحكمة خبر اول لمبتدأ محذوف تقديره وهو كتاب الله ويحتمل ان يكون عطف بيان لما كان بمنزلة الحكمة وذكر له اوصافا الاول قوله تبصرون به اشارة الى اشتمال الكتاب على الحكمة ووجه تبصرهم بها فان ابصار الجاهلين لمقاصدهم الدنيوية والاخروية لما فيه من الحكمة الثاني وكذلك تنطقون به الثالث وتسمعون به الرابع قوله ينطق بعضه ببعض اي بعضه يبين بعض كالمبين المفسر للمجمل والمقيد المبين للمطلق والمخصص المبين للعام الخامس ويشهد بعضه على بعض اي يستشهد ببعضه على ان المراد بعض آخر وهو قريب مما قبله السادس قوله ولا يختلف في الله اي لما كان مدار الكتاب على بيان القواعد الكلية التي بها يكون صلاح حال نوع الانسان في معاشه ومعاده وكانت غاية ذلك الجذب الى الله سبحانه والوصول الى جواره لم يكن فيه لفظ يختلف في الدلالة على هذه المقاصد بل كله متطابق الالفاظ على مقصود واحد وهو الوصول الى الحق سبحانه بتنظيف الطهارة عن نجاسات هذه الدار وان تعددت الاسباب الموصلة الى ذلك المقصود السابع قوله ولا يخالف بصاحبه عن الله اي لا يجوز بالمهتدين بانواره في سلوك سبيل الله عن الغاية الحقيقية وهو الله سبحانه وقوله قد اصطلحتم الى آخره توبيخ للسامعين على ارتكاب رذائل الاخلاق واستعار لفظ الاصطلاح لسكوتهم عن انكار بعضهم على بعض ما يشهد عنه من المنكر كالغش والحقد والحسد واشتراكهم في ذلك الرذائل وتوكه ونبت المرعى على دمنكم ضرب مثلا للمتصالحين في الظاهر مع غل القلوب فيما بينهم وقد

مطابقة المثل ان ذلك الصلح سريع الزوال لا اصل له كما تسرع جفاف النبات في الدمن وقوله رضا منهم على حب الاموال اشارة الى وجه الصلح
الذي ذكره وعلل ذلك بسخط حرمنا العطف منا وقوله وتغاديتم في كسب الاموال اشارة الى وجه العلل الذي اشار اليه اما الاول فلان الجامع كلنا
في الظلم هو ما يؤمل كل من صاحبه من الانتفاع به او دفع شره فيما هو بصدده من المأمولات الدنيوية وان انطوى له على غل كما هو المشاهد
في زماننا واما الثاني فلان الاجتهاد والتعادي وان غلب ما يكون على تجاذب اموال الدنيا وقنياتها وقوله لقد استهام بكم الخبيث
اى اشتد عشقه لكم ولازمكم واراد بالخبيث ابليس وذلك تنبيه على ما يظهر منهم من اثار وسوسته وملازمته لهم لما ينهون عنه و
كذلك قوله وتاه بكم الغرور اى شغلكم فهمتم في استغفاله لكم عن سواء سبيل الله والغرور هو الشيطان كما قال تعالى ولا يغرنكم بالله
الغرور ثم ختم بالاستعانة بالله تعالى له ولهم على النفوس الامارة بالسوء اما في حقه ففي دوامها مقهورة لعقله واما في حقهم فقهرها
وقمعها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** وقد شاوره عمر في الخروج الى غزو الروم بنفسه وقد توكل الله لاهل
هذا الدين باعزاز الحوزة وستر العورة والذي نصرهم وهم قليل لا ينتصرون ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون حي لا يموت
انك متى تسر الى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة دون اقصى بلادهم ليس بعدك مرجع
يرجعون اليه فابعث اليهم رجلا محربا واحفز معه اهل البلاء والنصيحة فان اظهر الله فذاك ما تحب وان تكن الاخرى
كنت ردءا للناس ومثابة للمسلمين **اقول** ذلك حين خرج قيصر الروم في جماهير اهلها الى المسلمين وانزوى خالد بن الوليد
فلازم بيته وصعب الامر على ابي عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وغيرهما من امراء سرايا الاسلام وحوزة كل شيء بيضته وجمعته وكنفه
حفظه والمحرب بكسر الميم الرجل صاحب حروب وحفزه اى دفعه وحفزه ضمه الى غيره واظهر الله على فلان نصر عليه والردء العون
والمثابة المرجع وقوله وقد توكل الله الى قوله لا يموت صدر لهذه النصيحة والراى نبه على وجوه التوكل على الله والاستناد اليه فهذا
وخلاصتها انه ضمن اقامة هذا الدين واعزاز حوزة اهله وكنى بالعورة عن هتك الستر في النساء ويحتمل ان يكون استعارة لما يظهر عليهم
من الذل والقهر لو اصيبوا فضمن سبحانه ستر ذلك باضافة النصر عليهم وهذا الحكم من قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا
وقوله والذي نصرهم الى اخر الفصل احتجاج في هذه الخطابة تنبيه ان يكون تمثيلا وتلخيصه ان الذي نصرهم حال قلتهم حي لا يموت
فهو ينصرهم حال كثرتهم فاصل التمثيل هو حال قلتهم وفرعه حال كثرتهم وحكمه النصر وعلة ذلك الحكم هو حياته الباقية التي لا
يعتريها موت وقوله انك متى تسر الى اخره نفس الراى وخلاصة المشورة نهيه عن خروجه بنفسه ووجه هذا الراى تجويز النكبة له انها
عند ملاقاة العدو ومع انه يومئذ ظهر المسلمين الذين يلجؤن اليه فلو انكسر لم يبق لهم كانفة تقوم بحفظهم ولا جمع يستندون اليه ثم
باخراج من يقوم مقامه من اهل النجدة ممن عرف بكثرة الوقائع والحروب فيكون على بصيرة في امر الحرب وان يضم اليه اهل البلاء اى المختبرون
في النصيحة والمجربون في الوقائع ثم استنتج من هذا الراى نتيجة ان نصر الله المسلمين فذاك الذي يحب وان تكن الاخرى اى الانكسار
وعدم الانتصار كان للمسلمين ظهر يستندون اليه ومثاب يأوون اليه **ومن كلام له عليه السلام** وقد وقعت مشاجرة بينه
وبين عثمان فقال المغيرة بن الاخنس لعثمان انا اكفيكه فقال امير المؤمنين عليه السلام يا ابن اللعين الابتر والشجرة التي لا اصل
لها ولا فرع انت تكفيني فوالله ما اعز الله من انت ناصره ولا قام من انت منهضه اخرج عنا ابعد الله نواك ثم ابلغ جهدك
فلا ابقى الله عليك ان ابقيت **اقول** هذه المشاجرة كانت في زمن ثوران الفتنة على عثمان في خلافته وكان الناس يستسفرونه
اليه والابتر كل امر انقطع من الخير اثره والنوى القصد الذي ينويه المسافر من قرب وبعد والنوى لغة في النأي وهو البعد وقد ذم المغيرة
بسقوط الاصل ولعنه واستعار لتبيينه لفظ الشجرة وكنى بنفي اصلها وفرعها عن سقوط بيته وقدمائه وحقارته في الناس ثم استفهم عما
ادعى من الكفاية له استفهاما على سبيل الانكار والاستحقار له واقسم ان الله لا يعز من هو ناصره وانما يعز الله من نصره اولياء الله واهل
عنايته ومن لم يعزه الله من نهضته كقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ثم دعا عليه بما
الله مقصده وقوله ابلغ جهدك اى غاية الاذى فلا ابقى الله عليك ان ابقيت اى لا رعاك ولا رحمك ان راعيتني يقال ابقيت على فلان اذا
راعيته ورحمته **ومن كلام له عليه السلام** لم تكن بيعتكم اياي فلتة وليس امري وامركم واحدا اني اريدكم لله وانتم تريدونني
لانفسكم ايها الناس اعينوني على انفسكم وايم الله لانصفن المظلوم ولاقودن الظالم بخزامته حتى اورده منهل الحق وان كان كارها
اقول الفلتة الامر يقع بغير تدبر ولا روية والخزامة الحلقة من الشعر في انف البعير يقاد بها وقوله لم تكن بيعتكم اياي فلتة انها لما كانت
عن تدبر واجتماع راى منكم لم يكن لاحدكم بعدها ان يخالف او يندم عليها وفيه تعريض ببيعة ابي بكر حيث قال عمر فيها كانت بيعة ابي بكر
فلتة وقى الله شرها وقوله وليس امري وامركم واحدا اشارة الى الاختلاف بين حركاته ومقاصدهم ثم بين الفرق بقوله اني اريدكم لله
اى انما اريد طاعتكم لاقامة دين الله واقامة حدوده وانتم تريدونني لانفسكم اى لحظوظ انفسكم من العطاء والتقريب وسائر منافع الدنيا

ثم لما دعاهم بتلك الدعوة وطلب منهم الاعانة على نفسهم بين الطاعة له وامتثال اوامره فاقسم لينصفن المظلوم وليقودن الظالم بخزامته واستعار لفظ القود في تذليل الظالم واذعانه للحق وتشبيه بذكر الخزامة وكذلك استعار لفظ المنهل للحق ووجه الاستعارة مكونه موردا يشتفى به الظلوم كما يشتفى به العطشان وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في معنى طلحة والزبير والله ما انكروا على منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا هم تركوه ودما هم سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم نصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم وان اول عدلهم للحكم على انفسهم وان معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس علي وانها للفئة الباغية فيها الحمأ والحمة والشبهة المغدفة وان الامر لواضح وقد زاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه عن شغبه وايم الله لأفرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا يعبون بعده في حسي **اقول** النصف النصفة والطلبة بكسر اللام المطلوب والحمأ الطين الاسود المنتن كما قال تعالى من حمأ مسنون ويروى الحما بالف مقصورة والحمة بضم الحاء وتخفيف الميم وفتحها السم للعقرب والمغدفة بالدال والفاء المظلمة يقال اغدف الليل اذا اشتد ظلامه وتروى المغدقة بفتح الدال الخفية واصله ان المرأة تغدف وجهها بالقناع وزاح الباطل انحرف ونصاب اصله ومقره ولافرطن لاملأن والشغب بالتسكين المشاغبة وتهييج الشر والماتح بنقطتين من فوق المستقي وبنقطتين من تحت الذي يملأ الدلو في البئر والعب الشرب والحسي بكسر الحاء وسكون السين الماء الذي يشربه الرمل فينتهي الى الارض صلبة تحفظه ثم يحفر عنه فيستخرج واعلم ان قوله والله الى قوله ولا لبس علي قد تقدم تفسيره في قوله الا ان الشيطان قد ذمر حزبه في فصل قبله برواية اخرى فلا حاجة الى اعادته واما قوله وانها للفئة الباغية فيها الحما والحمة فقال بعض الشارحين في تعريف الفئة بالالف واللام تنبيه على انه كان عنده علم من الرسول صلى الله عليه وآله انه ستبغي عليه فئة من غير تعيين لها فلما خرجت هذه الفئة علمها بامارتها وقد سبق ايضا تفسير الحما والحمة على بعض الروايات واما على هذه الرواية فاستعارة للغل والفساد الذي في صدور هذه الفئة ووجه الاستعارة استلزامه لتكدير الاسلام واثارة الفتنة بين المسلمين كما تكدر الحماة الماء وتخبثه واستلزامه للاذى والقتل كما يستلزم سم العقرب واشار بالشبهة المغدفة الى شبهتهم في الطلب بدم عثمان واستعار لها وصف الظلمة لعدم اهتداء اكثر الخلق فيها حتى قتلوا بسببها كما لا يهتدى في الليل المظلم وقوله وان الامر لواضح الى قوله شغبه نفي لتلك الشبهة عن نفسه ولا بيته وان الحق واضح في حاله لا اصل للباطل فيه ولا لسان ينعب به ولفظ اللسان استعارة والشغب ترشيح لها وباقي الفصل قد تقدم تفسيره في الفصل المذكور **منها** فاقبلتم الي اقبال العوذ المطافيل على اولادها تقولون البيعة البيعة قبضت كفي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجاذبتموها اللهم انهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي والبا الناس علي فاحلل ما عقدا ولا تحكم لهما ما ابرما وارهما المساءة فيما املا وعملا ولقد استثبتهما قبل القتال واستانيت بهما امام الوقاع فغمطا النعمة وردا العافية **اقول** العوذ جمع عوذة وهي الناقة المسنة والمطافيل جمع مطفل بضم الميم وهي قريبة العهد بالنتاج والتاليب التحريص وابرمت الامر احكمته واستثبتهما بالثاء المثلثة طلبت رجوعهما ويروى بالتاء من التوبة واستانيت انتظرت وهذا الفصل احتجاج على الزبير ومن تابعهما على نكث بيعته فقوله فاقبلتم الى قوله فجاذبتموها يجري مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل الاول وتلخيصها انكم اجتهدتم علي في طلب البيعة حتى بايعتكم واخذت عهودكم وتقدير الكبرى وكل من اجتهد كم الى تلك الغاية فيجب عليه الوفاء بعهده والصغرى مسلمة منهم وبرهان الكبرى الكتاب يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم الاية وقد شبه اقبالهم عليه طالبين للبيعة باقبال المسنات من النوق على اطفالها ووجه التشبيه شدة الاقبال والحرص على متابعته وخص المسنات لانها اقوى حنة على اولادها ونصب البيعة على الاغراء وفائدة التكرير في الاغراء تاكيد الامر الدال على شدة الاهتمام بالمامور به وقال بعض الشارحين فائدة التكرار دلالة المنصوب الاول على تخصيص الامر الاول بالحال ودلالة الثاني على تخصيص الامر الثاني بالاستقبال اي خذ البيعة في الحال وخذها للاستقبال قال وكذلك في قوله الله الله اي اتقوا الله في الحال واتقوه في الاستقبال واقول ان ذلك غير مستفاد من اللفظ باحدى الدلالات وقوله اللهم الى قوله على شكايته الى الله منهما في امور ثلثة قطع رحمه وظلمهما له بمطالبتهما له بغير حق اما عندهم ثم نكث بيعته ثم تهيج الناس على قتاله وقوله فاحلل دعاء عليهما بامور ثلثة ان يحل ما عقدا من العزوم الفاسدة التي فيها هلاك المسلمين وان لا يحكم ما ابرماه من الاراء في حربه وان يريهما المساءة في امالهما واعمالهما اي عكس اغراضهما فيهما واستجابة دعائه ظاهرة بقتلهما وقوله ولقد استثبتهما الى قوله الوقاع اظهار لعذره من الناس في حقهما قبل وقاع الحرب بما ينبغي في حقهما واستعطافه لهما في الرجوع الى الحق واستيناته لهما في نكث البيعة وقوله فغمطا الى اخره بيان لجوابهم عن اعذاره اليهم وهو مقابلتهم نعمة الله اي قسمها من البغي بالاحتقار لها وعدم النظر عليها اذ كان احد الاسباب الباعثة لهما على منافرته هو التسوية بينهم وبين غيرهم في العطاء وكذلك مقابلتهم السلامة والعافية من بلاء الحرب والشقاق وهلاك الدين والنفس في عاقبته بردهما لها والاصرار على الحرب والمنابذة من غير نظر في عاقبة امرهما وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يومي فيها الى ذكر الملاحم يعطف الهوى على الهدى اذا عطفوا الهدى على الهوى ويعطف الرأي على القرآن اذا عطفوا القرآن على الرأي **اقول** الاشارة في هذا الفصل الى وصف الامام المنتظر في اخر الزمان الموعود به في الخبر والاثر فقوله يعطف

ذلك

بدعته

ثم

والشريعة

في الصفا المسطورة

الهوى على الهدى اي يرد النفوس الحائرة عن سبيل الله المنغمرة لظلمات اهوائها عن طرقها الفاسدة ومذاهبها الحائدة الى سلوك سبيله واتباع
انوار هداه وذلك اذا ارتدت تلك النفوس عن اتباع انوار هدى الله في سبيله الواضح الى اتباع اهوائها في اخر الزمان وحين ضعفت الشريعة
وانمحت اثار الحق والهدى موزونة لك وكذا قوله ويعطف الراى على القران اذا عطفوا القران على الراى اي يرد عن راى اهواء غيره الى القران فيحملهم
على ما وافقه منها دون ما خالفه وذلك اذا اول الناس القران وحملوه على ارائهم وردوه الى اهوائهم كما عليه اهل المذاهب المتفرقة من فرق
الاسلام كل على ما يميل اليه وكل يزعم ان الحق الذي يشهد به القران هو ما رآه وانه لا حق وراءه سواه وبالله التوفيق **منها** حتى تقوم الحرب
بكم على ساق باديا نواجذها مملوة اخلافها حلوا رضاعها علقما عاقبتها الا وفي غد وسيأتي غد بما لا تعرفون ياخذ الوالي من غيرها
عمالها على مساوي اعمالها وتخرج له الارض افاليذ كبدها وتلقي اليه سلما مقاليدها فيريكم كيف عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب
والسنة **اقول** اخلاف الناقة حلمات ضرعها واما الافاليذ جمع الجمع لفلذة وهي القطعة من الكبد وجمعها فلذ فقوله حتى تقوم الحرب
بكم على ساق على قوله عاقبتها كناية عن غاية تخاذلهم عن طاعته في امر الحرب ولقاء العدو كانه يقول انكم لا تزالون متخاذلين متقاعدين حتى يشتد
الامر ويقوم بكم الحرب على ساق وقيامها على الساق كناية عن بلوغها الغاية في الشدة وقوله تواجدها كناية عما يستلزمه من الشدة والاذى
وهو من اوصاف الاسد عند غضبه لانه حاول ان يستعير لها لفظ الاسد فاتى بوصفه وقال بعض الشارحين بدو النواجذ في الضحك اي
تبلغ بكم الحرب الغاية كما ان غاية الضحك ان تبدو النواجذ وهي اقصى الاضراس وكنى بذلك عن اقبالها قلت هذا وان كان محتملا الا ان
الحرب مظنة اقبال الغضب لا اقبال الضحك فكان الاول انسب وكذا قوله مملوة اخلافها استعارة لوصف الناقة لحال استعداد الحرب
استكمالها عدتها وعددها كما استكمال ضرع الناقة اللبن وقوله حلوا رضاعها استعارة لوصف المرضع لها وكنى بحلاوة رضاعها عن
اقبالها الى اهل النجدة في اول الحرب عليها فكل منهم يحب ان يتاجر فيها ويستحلي مقابلتها كما يستحلي الراضع لبن امه وكذا استعار لفظ العلقم
لعاقبتها ووجه الاستعارة المشابهة بين المرارتين الحسية والعقلية والمقصود ان لا تغتروا بما ترونه باديا من مملوة وحلوا وعلقما احوال والمرفوعات بعد
كل منها فاعلموا انما ينفع عاقبتها عن علقمها مع انه اسم صريح لقيامه مقام اسم الفاعل كانه قال مرة عاقبتها وقوله الا وفي غد اخبار عن بعض
الامور التي ستكون وقوله شيئا غد بما لا تعرفون المراد به تعظيم شان الموعود بمجيئه وبيان تفضيله بعلم ما جاوزه وهو جملة اعتراضية
كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم فقوله وانه لقسم اعتراض وقوله ياخذ الوالي من غيرها عمالها يشبه
ان يكون قد سبقه ذكر طائفة من الناس ذات ملك وامرة فاخبر ان الوالي من غير تلك الطائفة ويومي به الى الامام المنتظر ياخذ عمالها
على مساوي اعمالها اي يواخذهم بذنوبهم وقوله وتخرج الارض افاليذ كبدها استعار لفظ الكبد لما في الارض من الكنوز والخزائن وجمعها
مشابهة الكنوز للكبد في العزة والخفاء ورشح بذكر الافاليذ وقد عد ذلك في الخبر المرفوع ومن لفظه وقاءت له الارض افلاذ كبدها وفسره بعضهم
بقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وبذلك حاما كيفية ذلك الاخراج قال بعض المحققين هو اشارة الى ان جميع ملوك الارض تسلم اليه مقاليد
ما لكها طوعا او كرها وتحمل اليه الكنوز والذخائر واسند الاخراج الى الارض مجازا لان المخرج اهلها واستبعد ان تكون الارض بنفسها هي المخرجة
لكنوزها ولا لاهل النظر ان يقولوا ان المخرج يكون هو ما شئتم ويكون ذلك من معجزات الامام ولا مانع وقوله ويلقي اليه سلما مقاليدها اسند
ايضا لفظ الالقاء الى الارض مجازا لان الملقي للمقاليد مسالما هو اهل الارض وكنى بذلك عن طاعتهم وانقيادهم اجمعين لاوامره وتحت حكمه
وسلما مصدر سد مسد الحال ثم اخبر انه سيريهم عدل سيرته وانه يحيي ميت الكتاب والسنة ولفظ الميت استعارة لما ترك منهما فانقطع اثره
والانتفاع به كما ينقطع اثر الميت فان قلت قوله فيريكم يدل على ان المخاطبين يدركون المخبر عنه ويرون عدله مع انكم قلتم انه يكون في اخر الزمان
فكيف وجه ذلك قلت خطاب الحاضرين من الامة كالعام لكل الامة وذلك كسائر خطابات القران الكريم مع الموجودين في عصر الرسول فانه
يتناول الموجودين الى يوم القيمة ثم يخرج المخاطبون بدليل العادة اذ من عادتهم ان لا تمتد اعمارهم الى وقت ظهوره فيبقى الموجودون في زمانه
وبالله التوفيق **منها** كاني به قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان فعطف عليها عطف الضروس وفرش الارض
بالرؤوس قد فغرت فاغرته وثقلت في الارض وطأته بعيد الجولة عظيم الصولة والله ليشردنكم في اطراف الارض حتى لا يبقى منكم الا قليل كالكحل
في العين فلا تزالون كذلك حتى تؤوب الى العرب عوازب احلامها فالزموا السنن القائمة والاثار البينة والعهد القريب الذي عليه باقي
النبوة واعلموا ان الشيطان انما يسني لكم طرقه لتتبعوا عقبه **اقول** نعق الغراب ونعق الراعي بغنمه بالعين والغين صاح وفحص المطر
التراب قلبه والفحص البحث وكوفان اسم للكوفة وضواحيها البارزة والضروس الناقة السيئة الخلق تعض حالبها وفغرت فاغرته انفتح فوه واكد
الفعل بذكر الفاعل من لفظه ويسني يسهل والعقب بكسر القاف مؤخر القدم وقيل واخبر في هذا الفصل انه سيظهر رجل بهذه الصفات قال بعض
الشارحين هو عبد الملك بن مروان وذلك انه ظهر بالشام حين جعله ابوه الخليفة من بعده وسار لقتال مصعب بن الزبير الى الكوفة بعد
ان قتل مصعب المختار بن ابي عبيدة الثقفي فالتقوا بارض مسكن بكسر الكاف من نواحي الكوفة ثم قتل مصعبا ودخل الكوفة فبايعه اهلها وبعث
الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن الزبير بمكة فقتله وهدم الكعبة وذلك سنة ثلث وسبعين من الهجرة وقتل خلقا عظيما من العرب في وقايع عبد

كلام في حرمة الغيبة

الرحمن بن الاشعث ورمى الناس بالحجاج بن يوسف وفيها لفضل لطايف الاولى اطلاق لفظ التيق لظهورا وامره ودعوته بالشام مجازا وكذلك استعار

لفظ الفحص لتقليبه اهل الكوفة بعضهم على بعض ونفضه لحالاتهم التي كانوا عليها ثم شبه عطفه وحمله عليها بعطف الناقة الضروس ووجه الشبه

شدة الغضب في الحنق والاذى الحاصل منهما الثانية فرشه الارض بالرؤس كناية عن كثرة قتله فيها وذلك مما يشهد به التواريخ وفغرفيه استعار قلة به

لبعض اوصاف السبع الضاري كناية عن شدة اقدامه على القتل واقباله على الناس بشدة الغضب والاذى وكذلك ثقل وطاته كناية عن الارض

كناية عن شدة باسه وتمكنه في الارض الثالثة بعد جولته كناية عن اتساع ملكه وجولان خيله ورجاله في البلاد البعيدة وبعيد

عظيم حالان ومن دوني بالوقع فيهما خبر مبتداء محذوف اوابعد لما فرغ من صفات الغاشم بين لهم ما سيفعله معهم من التشريد

والطرد في اطراد البلاد وكذلك بالقسم لينا ودلك اشارة الى ما فعله عبد الملك ومن ولي الامر من ولده في بابي الصحابة

والتابعين واحوالهم معهم في الانقباض والاختفاء والطرد والقتل ظاهرة وشبه البقية منهم بالغثاء الذي يكون في العين من الكحل

ووجه التشبيه الاشتراك في القلة الخامسة اخبرهم انهم لا يزالون كذلك اي بالحال الموصوفة مع عبد الملك ومن بعده من اولاده حتى

تعود الى العرب عوازب احلامها اي ما كان ذهب من عقولها العملية في نظام احوالهم والعرب هم بنو العباس ومن معهم من العرب ايام

ظهور الدولة كقحطبة بن شبيب الطائي وابنيه حميد والحسن وكبني زريق ابي طاهر بن الحسين واسحق بن ابراهيم المصعبي وعدادهم في

خزاعة وغيرهم من العرب من شيعة بني العباس وقيل ان ابا مسلم اصله عربي وكل هؤلاء مستضعفين مقهورين مقهورين في دولة   كما قوى

بني امية لم ينهض منهم ناهض الى ان اقام الله نعمه عليهم ما كان عزب عنهم من حميتهم فغاروا للدين وللمسلمين من جور بني مروان واقاموا

الامر وازالوا تلك الدولة فان قلت ان قوله يؤيد بذل على ان انقطاع تلك الدولة بظهور العرب وعود عوازب احلامها وعبد الملك

مات وقامت بنوه بعده بالدولة ولم يزل الملك عنه بظهور العرب فاين غاية الغاية قلت ان تلك الغاية ليست غاية لدولة عبد

الملك بل غاية من كونهم لا يزالون مشردين في البلاد وذلك لا ينفيها وان كان اصله من عبد الملك الا انه استمر في زمن اولاده الى

حين انقضاء دولتهم فكانت غاية ما ذكر وقال بعض الشارحين في الجواب ان ملك اولاده ملكه وما زال الملك عن بني مروان حتى ثابت

الى العرب عوازب احلامها وهذا جواب من لم يتدبر كلامه ولم يتتبع الفاظ الفضل حتى يعلم ان هذه الغاية لا شئ منه فيلحقها

به ثم امرهم بلزوم سنن الله ورسوله القائمة فيهم من بعده واثاره البينة فيهم وعهده القريب منهم وتبينه وحجة عليهم ذلك الامر في الحال وعند

نزول تلك الشدايد بهم اي اذا نزل بكم منه ما وصفت فلتكن وظيفتكم لزوم ما ذكرت ثم نبههم على ما في سهولة المعاصي وفي تسهيل نفوسهم

الامارة بالسوء عليهم طرق المحارم من الحذر وهو ان تنقاد لها النفوس الغافلة فتضلها عن سبيل الله ويقودها الضلال الى الهلاك

الاخروي وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** وقت الشورى لن يسرع احد قبلي الى دعوة حق وصلة رحم وعائدة كرم فاسمعوا

قولي وعوا منطقي عسى ان تروا هذا الامر من بعد هذا اليوم تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى يكون بعضكم ائمة

لاهل الضلالة وشيعة لاهل الجهالة **اقول** هذا من جملة كلام قاله لاهل الشورى وقد ذكرنا طرفا من اخبارها فقوله لن يسرع

احد الى قوله تنفير لهم بفضيلته ليسمع قوله ولذلك قوله فالبعد فاسمعوا قولي وعوا منطقي وذكر فضائل ثلثا الدعوة الى الحق الذي

لن يسبقه احد اليها الاسرعة وهي تمام العدل لانه وصلة الرحم وعائدة الكرم وهما فضيلتان تحت ملكة العفة وللدلالة امرهم باستماع قوله والتنبيه

على عاقبة امرهم الخلافة وما يقع فيها من الهرج والمرج بعدهم بناء على ما حضر من الخبط والاختلاط فيها فكانه يقول اذا كان حال هذا

الامر هذه الحال من الخبط ونحاذبة من لا يستحقه او التغلب على اهله فعسى ان تروه بعد هذا اليوم بحال يختصم الناس فيها السيوف   يستخفه

وتخان فيه العهود وهو اشارة الى ما علم من حال البغاة والخوارج عليه والناكثين لعهده بعده فقوله حتى يكون بعضهم ائمة لاهل

الضلالة وشيعة لاهل الجهالة غاية للتغالب على هذا الامر واشار بالائمة الى طلحة والزبير وباهل الضلالة الى اتباعهم وباهل الجهالة

الى معوية ورؤساء الخوارج وسائر امراء بني امية وبشيعة اهل الجهالة الى اتباعهم وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم**

في النهي عن غيبة الناس وانما ينبغي لاهل العصمة والمصنوع اليهم في السلامة ان يرحموا اهل الذنوب والمعصية ويكون الشكر هو الغالب

عليهم والحاجز لهم عنهم فكيف بالعائب الذي عاب اخاه وعيره ببلواه اما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو اعظم من الذنب الذي عابه

به وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله فان لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو اعظم منه وايم الله لئن لم يكن   ولك

عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرائته على عيب الناس اكبر يا عبد الله لا تعجل في عيب عبد بذنبه فلعله مغفور له ولا تامن على نفسك

صغير معصية فلعلك معذب عليه فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه وليكن الشكر شاغلا له على معافاته مما ابتلى به غيره **اقول**   احد

اهل العصمة هم الذين اعانهم الله سبحانه على قهر نفوسهم الامارة بالسوء حتى صارت اسيرة في ايدي نفوسهم العاقلة فحصلوا امن ذلك   امعانا فانه

على ملكة ترك الذنوب والانزجار عن ولوج ابواب المحارم واولئك هم الذين اصطنع الله اليهم السلامة من الانحراف عن سبيله والوقوع

الوقوع في مهاوي الهلاك فينبههم اولا على ما ينبغي لهم وهو ان يرحموا اهل الذنوب وحصول تلك الرحمة منهم باعتبارهم حال العصاة وقوم

في مهاوي

كلام في الغيبة

في مهاوي الهلاك ومن عادة عباد الله الرحمة لمن يرونه في مهالكه بانقاذه واعانته على الخروج منها وان يكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم وذلك
باعتبارهم عند مشاهدة اهل المعاصي لما انعم الله به عليهم من اعانته لهم على قهر شياطينهم التي هي مواد الذنوب وقوله فكيف بالعائب شرع في تنبيه
من هو دون اهل العصمة ممن يرتكب كبيرة او صغيرة على ما ينبغي له من ترك الغيبة فكانه قال فهذا هو ما ينبغي لاهل العصمة فكيف يليق بغيرهم
ممن يعيب اخاه ويعيره ببلواه بل ينبغي لمثله ان يترك الغيبة ويشكر الله بالطريق الاولى وذلك باعتبار ستر الله عليه من ذنوبه ما هو اعظم
مما عير اخاه به وذلك نعمة الله يجب شكره عليها واشار بموضع ستر الله عليه الى النعمة المصطنعة عنده وهي تاهيله واعداده له والاستفهام على
سبيل الانكار اخذ بتعجب من ذم العائب لاخيه من ذنب وهو في صورة تحتاج عليه في ارتكابه لهذا الذنب وذلك قوله وكيف يذمه
الى قوله ما عند الله فكانه يقول لا يجوز لاحد ان يعيب اخاه لانه اما ان يكون ذا ذنب قد ركب العائب مثله او اكبر منه او اصغر فان كان
ذا ذنب قد ركب مثله واكبر كان له في عيبه لنفسه شغل عن عيب غيره وان كان ارتكب اصغر منه فهو ممنوع على نفسه بجرأته على الغيبة وقصده
عنه لانها من الكبائر وانما قال هي اكبر عند الله اما مبالغة او لان المفاسد التي تشتمل عليها ارتكاب سائر المنهيات جزئية ومفسدة
الغيبة كلية لانه لما كان من المقاصد المهمة للشارع اجتماع النفوس على هم واحد وطريقة واحدة وهي سلوك سبيل الله بسائر وجوه الاوامر
والنواهي ولن يتم ذلك الا بتعاونهم وتصافي بواطنهم واجتماعهم على الالفة والمحبة حتى يكونوا بمنزلة عبد واحد في طاعة مولاه ولن
يتم ذلك الا بنفي الضغائن والاحقاد والحسد ونحوه وكانت الغيبة من كل منهم لاخيه مثيرة لضغنه ومستدعية منه مثلها في حقه لاجرم
كانت ضد المقصود الكلي للشارع فكانت مفسدة كلية ولذلك اكثر الله تعالى ورسوله من النهي عنها كقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا حتى
استعمل ما يفهم منه العائب من عرض اخيه لفظ اللحم وزاده تنفيرا وتكريها بصفة الميت فقال ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا وقال ص اياكم
والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل يزني فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وعنه ص مررت ليلة اسري بي
فرأيت قوما يخمشون وجوههم باظافيرهم فسألت جبرئيل عنهم فقال هؤلاء الذين يغتابون الناس وفي حديث البراء بن عازب خطبنا رسول الله ص
حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال الا لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فمن تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه
في جوف بيته ثم نهى عن الاستعجال والتسرع الى العيب ونبه على وجوب ذلك الاحتمال باحتمال ان يكون الذنب الذي يعيب اخاه به مغفورا وان كان
كبيرا وذلك لاحتمال ان يكون خالصا للمتمكن من جوهر نفسه ونهى عن ان يامن على نفسه صغير معصيته يرتكبها لاحتمال ان يعذب عليها لصيرورتها
ملكة متمكنة من جوهر نفسه ثم عاد الى الامر بالكف عن العيب باعتبار ما يعلم الانسان من عيب نفسه وان يكون الشكر لله دابه على السلامة من التورط
في مورد الهلكة الذي سلكه صاحب الذنب وابتلاه الله به واعلم ان تعريف الغيبة يعود الى ذكر الانسان بما يكره نسبته اليه مما يعد نقصانا
في العرف ذكرا على سبيل قصد الانتقاص والذم سواء كان ذلك لنقصان عدم كمال بدني كالعور والعمى او نفساني كالجهل والشره والظلم او عدم
كمال من خارج كسقوط الاصل ودناءة الاباء واحترزنا بالقيد الاخير في تعريفها وهو قصد الانتقاص عن ذكر العيب للطبيب مثلا او لاستدعاء
الرحمة من السلطان في حق الزمن والاعمى بذكر نقصانهما ثم الغيبة قد تكون باللسان وهي الحقيقية وقد تكون بالاشارة وغيرها من سائر
ما يعلم به انتقاص حيث والتنبيه على عيبه وتسمى غيبة مجازا لقيامها مقام الغيبة ولها اسباب غائية احدها شفاء الغيظ فان الانسان
كثيرا ما يشفي غيظه بذكر مساوي من غاظه الثاني المباهاة والتفاضل كما يقول من يتعاطى الانشاء والشعر كلام فلان ركيك وشعره بارد
الثالث اللعب والهزل وترجية الوقت فيذكر غيره بما يضحك الحاضرين الرابع ان يستشعر من غيره انه سيذمه عند السلطان مثلا فيقصده
بذكر مساويه ليسقط شهادته عنده عليه وقد تكون لها غايات اخر وقد وردت الرخصة في غيبة الفاسق المتجاهر بفسقه كالخمار والمخنث
العشار الذي ربما يفتخر بعيبه ولا يستحي منه قال النبي ص من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له لكن تركها الى السكوت اولى وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام ايها الناس من عرف من اخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه اقاويل الرجال اما انه قد يرمي
الرامي وتخطئ السهام ويحيك الكلام وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد اما انه ليس بين الحق والباطل الا اربع اصابع فسئل
عليه السلام عن معنى قوله هذا فجمع اصابعه ووضعها بين اذنه وعينه ثم قال الباطل ان تقول سمعت والحق ان تقول رأيت **اقول**
احاك الكلام يحيك اذا عمل واثر وكذلك حاك ويروى يحيل ان يبطل ولا يصيب هذا الفصل نهي عن التسرع الى التصديق بما يقال في حق
مستور الظاهر المشهور بالصلاح والتدين من العيب القادح في دينه وهو نهي عن سماع الغيبة بعد نهيه عنها نفسها واليها الاشارة بقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ثم نبه على جواز الخطاء على المتسرعين
الى الغيبة بالمثل فقال اما انه قد يرمي الرامي وتخطئ السهام ووجه مطابقة هذا المثل ان الذي يرمى بعيب قد يكون بريئا منه فيكون الكلام
في حقه غير مطابق ولا صائبا كما لا يصيب السهم الذي يرمى به فيخطئ الغرض وعلى الرواية بالكاف ويحيك الكلام اي ان السهم قد يخطئ
فلا يؤثر والكلام يؤثر على كل حال وان لم يكن حقا فانه يسود العرض ويلوثه في نظر من لا يعرفه وقوله وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد
يجري مجرى التهديد به وتحقير ثمرة ذلك القول الكاذب لانه لا يبقى من مال او جاه ونحوهما بالنسبة الى عظم عقوبة الله وغضبه الباقي فان

الانتهاء آه

يحيل ا-

في الفرق بين الحق والباطل

سمعه وشهادته مستلزمان لعقيبه المستلزم لعقوبته وقوله اما انه ليس بين الحق والباطل الا اربع اصابع فتفسير الفعل المذكور وتفسير
ذلك الفعل هو قوله الباطل ان يقول سمعت والحق ان يقول رأيت ثم ههنا لطيفتان فالاولى ان قوله الباطل ان يقول سمعت ليس
كلية حتى يكون كل ما سمعه باطلا فان الباطل والمسموع مهملتان الثانية ان الحق ليس هو قوله رأيت بل المرئي له والباطل هو قوله سمعت
بل القول المسموع له وانما قوله رأيت وسمعت اخبار عن وصول المرئي والمسموع الى بصره وسمعه فاقام قوله الخبرين مقام المخبر عنهما مجازا
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** وليس لواضع المعروف في غير حقه وعند غير اهله من الحظ فيما اتى الا محمدة اللئام وثناء
الاشرار ومقالة الجهال ما دام منعما عليهم ما اجود يده وهو عن ذات الله بخيل فمن اتاه الله مالا فليصل به القرابة وليحسن
منه الضيافة وليفك به الاسير والعاني وليعط منه الفقير والغارم وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب
فان فوزا بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة ان شاء الله **اقول** لما كان لواضع المعروف سواء كان في
اهله او غير اهله ثناء من الناس ومدح له بالكرم والبذل لكان مما تميز به وضعه في غير اهله عن وضعه في اهله ان الاول انما يحصل
به لواضعه الحمد من لئام الناس اي سفلة الاصول والسفهاء والاشرار والجهال لعدم معرفتهم بوضع الاشياء في مواضعها التي
هي مقتضى العقل الذي به نظام امور الدنيا وقوام نوع الانسان في الوجود مع انه في الحقيقة وعند اولي الالباب العارفين بمواقع
المعروف بخيل في جنب الله تعالى واما الثاني فيحصل له الحمد من الكل في الدنيا لحمده مطابقة للحق مع الثواب الجزيل في الاخرى فلاجرم
اشار الى الاول بقوله فليس لواضع المعروف الى قوله وهو عن ذات الله بخيل وقوله ما اجود يده متعلق بمقالة اي ذلك هو الامر
الذي يقولونه ما دام منعما عليهم وانما قيد بهذا القيد لان الجاهل قد يعتقد ان ما يسدي اليه حق له فربما دام حمده ما دام ذلك
الانعام لكن ينقطع بانقطاعه واما الجاهل الشرير فكثيرا ما يعتقد ان ما يسدى اليه لشره وخوف اذاه فربما يشكر المنعم ما دام منعما حتى اذا
انقطع انعامه جعل شره عوض شكره استجلابا لذلك الانعام المنقطع واستعادة له واما الثاني فنبه اولا على مواضع المعروف وامر
بوضعه فيها وذكر منها خمسة الاول صلة الرحم الثاني حسن الضيافة الثالث فك الاسير وهو العاني وانما اختلف اللفظ والرابع اعطاء
الفقير والغارم وهو من عليه دين الخامس الحقوق الواجبة على اهلها كالزكوة والمستحبة كالصدقات والنوائب الحادثة لا
من المصادرات والنائبات التي يبتلى بها الانسان من ايدي الظالمين والسنتهم والانفاق في ذلك من الحقوق الواجبة على الانسان
والفضائل الخلقية تحت فضيلة الكرم والاشارة الى ذلك بقوله فمن اتاه الله الى قوله ابتغاء الثواب ونبه بقيد الغاية على المعقول
له على ان الانفاق في هذه الوجوه انما يكون وضعا للمعروف في موضعه اذا قصد به وجه الله تعالى فاما اذا قصد به الرياء والسمعة فهو وان
عد في ظاهر الشرع مجزيا الا انه غير مجز ولا مقبول في باطنها ثم اشار بقوله فان فوزا بهذه الخصال الى اخره الى ما تميز به وضع المعروف في
اهله وهو مكارم الدنيا من الذكر الجميل بين الناس والجاه العريض ودرك فضائل الآخرة وهي درجات الثواب الجزيل الموعود ولاولي
الفضائل النفسانية وانما نكر الفوز لان تنكيره يفيد نوع الفوز فقط الذي يحصل باي شخص كان من اشخاصه وهذا وان كان حاصلا
مع الالف واللام لتعريف تلك الطبيعة الا ان ذلك التعريف مشترك بين تعريف الطبيعة والمعهود الشخصي وموهم ان الفوز شخصي ولذلك كان الاتيان
به منكرا افصح وابلغ وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في الاستسقاء الا وان الارض التي تقلكم والسماء التي تظلكم مطيعتان
لربكم وما اصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجعا لكم ولا زلفة اليكم ولا لخير ترجوانه منكم ولكن امرتا بمنافعكم فاطاعتا و
اقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا ان الله يبتلي عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزائن
الخيرات ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سببا لدرور الرزق
ورحمة الخلق فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين فرحم الله امرأ استقبل
توبته واستقال خطيئته وبادر منيته اللهم انا خرجنا من تحت الاستار والاكنان وبعد عجيج البهائم والولدان راغبين
في رحمتك وراجين فضل نعمتك وخائفين من عذابك ونقمتك اللهم فاسقنا غيثك ولا تجعلنا من القانطين ولا تهلكنا
ولا تهلكنا بالسنين ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا يا ارحم الراحمين اللهم انا خرجنا اليك نشكو اليك ما لا يخفى عليك
حين الجأتنا المضايق الوعرة واجاءتنا المقاحط المجدبة واعيتنا المطالب المتعسرة وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة اللهم
انا نسألك ان لا تردنا خائبين ولا تقلبنا واجمين ولا تخاطبنا بذنوبنا ولا تقايسنا باعمالنا اللهم انشر علينا غيثك وبركتك
ورزقك ورحمتك واسقنا سقيا نافعة مروية معشبة تنبت بها ما قد فات وتحيي بها ما قد مات نافعة الحيا كثيرة المجتنى
تروي بها القيعان وتسيل البطنان وتستورق الاشجار وترخص الاسعار انك على ما تشاء قدير **اقول** اقلع عن خطيئته
اذا رجع عنها وتاب والمثاور النوائب والتلهف القرحي والتلهف والواجم الذي اشتد حزنه حتى سكت عن الكلام والنافعة المروية والقيعان
جمع قاع وهو المستوي من الارض والبطنان جمع بطن وهو المنخفض من الارض واعلم انا بينا فيما سبق ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع

وقاع

شرف مـ

تحملكم

اليك

المثاوب

من جهة وانما

من جهته وانما يكون منع الكمالات في هذه الجهة بعدم الاستعدادات لها فكل مستعد لامر ملاق له وفائض عليه اذا عرفت ذلك فاعلم انه
عليه السلام صدّر هذا الفصل بتنبيه العباد على وجوب الاستعداد لرحمة الله التي ترتفع عنهم بحبس المطر ونبّه في قوله الا وان الارض الى قوله
وثنا قد مبتته فنبههم ولا في ذلك لتصل على ان الارض التي هي كالام للنبات والزرع والسماء التي هي كالاب مطيعتان لربهما واشار بانهما
الى السحائب والى السموات لكونها محركاتها اسبابا معدة لكل ما في هذا العالم من الحوادث واشار بطاعتهما الى دخولهما تحت حكم القدرة
الالهية واشار بقوله وما اصبحتا الى قوله ترجوانه منكم الى لطيفة وهي ان الحوادث الحادثة في هذا العالم من العنايات ليست مقصودة
بالذات لها فيكون ذلك منها لاجل توجع للناس ولا لاجل تقرب ومنزلة بينهم وبينها ولا لخير ترجوانه منهم كما هو المتعارف من منافع
الناس بعضهم لبعض لان السموات والارض غنية عنها لكن لما كانت السموات متحركة دائما طلبا لكمالاتها اللائقة بها من الهها جل
وعلا ومسخرة بامره عرض عن هذه الحركات والاتصالات اعداد الارض لقبول النبات والزرع ووجود الحيوانات التي هي ارزاقها وبها
قوام وجودها فكانت مصالح هذه الحيوانات اذن منوطة بتلك الحركات وجارية على وفقها باذن المدبر الحكيم سبحانه والى ذلك اشار
بقوله ولكن الى قوله فقاما وعرضه مما سبق الى الذهن ان يقرع النفوس عظمة الله سبحانه ودات الاذعان وان اسبابها منسوبة اليه ومنه
حتى تتوجه النفوس اليه بالاقلاع عن الذنوب التي هي حجب لها عن افاضة الرحمة عليها منه ثم بيّن بعده ان الله سبحانه انما يفعل ما يفعل
من نقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزائن الخيرات عن الخلق عند اعمالهم السيئة ابتلاء لهم كقوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع
ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين وقد علمت معنى ابتلائه لهم ثم بيّن غاية العناية الالهية من ذلك الابتلاء رفع
حجب النفوس التي هي الذنوب والمعاصي واستعدادها بذلك لقبول رحمة الله بالتوبة والاقلاع منها والازدجار عنها والتذكر للمبدأ
الاول ولتثبت عظمته وما اعدّ لاوليائه الابرار في دار القرار ولاعدائه الاشرار في دار البوار ثم بيّن لهم ان الله سبحانه جعل الاستغفار سببا
لدرور الرزق والرحمة ولما كان الاستغفار هو طلب غفر الذنوب وسترها على العبد ان يفتضح بها وذلك مما يكون بمحوها من لوح نفسه
لا جرم كان المستغفر المخلص ماحيا لخطيئته باستغفاره عن لوح نفسه وبذلك يكمل استعداده لافاضة رحمة الله عليه في الدنيا بانزال البركات
وفي الاخرة برفع الدرجات والى ذلك الاشارة بالشاهد العدل لقوله تعالى فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الاية
وقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض الاية وقوله ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم
من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقوله وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ثم دعا لمن استقبل توبته وشرع في
الاستعداد بها ولمن استقال خطيئته اي طلب الاقالة من الالزام بعاقبتها وثمرتها وهو العقاب عليها والمؤاخذة بها ولمن واثب منيته وعاجلها
قبل ادراكها له بالتوبة كل ذلك تنبيه على الاستعداد وطلبه منهم اذ لا يتم المطلوب بدونه ولفظ الاقالة استعارة ووجهها ان المخطئ كالعاقد
والملتزم لعقاب حروبي ملتذه عاجلا لما علم من استلزام تلك اللذة المنهي عنها للعقاب فهو يطلب الاقالة من هذه المعاقدة كما يطلب المشتري
الاقالة من البيع وقوله اللهم الى اخره لما قدم الامر بالاستعداد لرحمة الله رجع الى استنزالها عليهم فتكلف الدعاء وما عادته ان يقدم بين
يدي الملوك من الكلام المرقق للطباع والموجب للعطف والرحمة فذكر الخروج من تحت الاستار والاكنان التي ليس من شانها ان يفارق
الا لضرورة شديدة وكذلك عجيج البهائم والولدان ولطفوا بها الى قوله بالبكاء وذكر الغاية من ذلك وهي الرغبة في رحمته والرجاء لفضل
نعمته والخوف من عذابه ونقمته وهذه جهات للمساعي البشرية ثم سأل بعد ذلك المطالب وهي السقيا وعدم الهلاك بالجدب وان لا يؤاخذهم بافعال
السفهاء من المعاصي المبعدة عن رحمته كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ثم عاد الى ذكر شكوى الجدب بذكر اسبابها الحاملة عليها
ليكون اقوم للعذر والمقاحط اماكن القحط او سني القحط وظاهر كون الجوع والعري وسائر المسببات عن القحط فتنة ارفق للقلوب ثم براد
بها ثم عاد الى طلب اجابة دعائه وقوله ولا تخاطبنا بذنوبنا ولا تقابلنا باعمالنا اي لا تجعل فعلك بنا مقابلا لاعمالنا السيئة ومشابها
لها وسيئة مثلها ثم عاد الى طلب انواع ما طلبه منه سبحانه واتم ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي الى اخره وهو ظاهر وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
بعث رسله بما خصهم به من وحيه وجعلهم حجة له على خلقه لئلا تجب الحجة لهم بترك الاعذار اليهم فدعاهم بلسان الصدق الى سبيل
الحق الا ان الله قد كشف الخلق كشفة لا انه جهل ما اخفوه من مصون اسرارهم ومكنون ضمائرهم ولكن ليبلوهم ايهم احسن عملا فيكون
الثواب جزاء والعقاب بواء اين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا ان رفعنا الله ووضعهم واعطانا وحرمهم
وادخلنا واخرجهم بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى ان الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح
الولاة من غيرهم **اقول** هذا الفصل منافرة بينه وبين جمع من الصحابة الذين كانوا ينازعونه الفضل والبواء المكافاة وقوله بعث رسله
الى قوله سبيل الحق كقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولسان الصدق هو لسان الشريعة الناطقة
من مصباح النبوة المشتعل عن نور الحق سبحانه وسبيل الحق هو الطريق الموصلة اليه فهم انه تطابقت على الهداية اليها السنة الرسل والانبياء
وصدّر الفصل بذلك لاشتماله على فضيلة الانبياء لينبه على فضيلة نفسه وقوله الا ان الله الى قوله بواء كلام يجري مجرى التهديد لمن نازعه

العزيز ل

المعاصي لـ

منهم

ان سر

في منافرة بينه وبين جمع من الصحابة

لاطلاع الله على اسرارهم وان ما كلفهم به انما هو ابتلاء منه لهم ايهم احسن عملا وقد عرفت معنى ابتلاء الله لخلقه مرارا واراد بالكشف الاختبار
والابتلاء ايضا ثم عقب ذلك بالاستفهام عن الذين زعموا انهم افضل منه وذلك ان قوما من الصحابة كان منهم من يدعي الافضلية في فن
من العلم فمنهم من كان يدعي انه افرض ومنهم من كان يدعي انه اقرأ ومنهم من كان يدعي انه اعلم بالحلال والحرام ورووا افرضكم زيد بن ثابت
واقرأكم ابي ورووا مع ذلك اقضاكم علي وذلك الاستفهام على سبيل الانكار عليهم ولذلك اردفه بالتكذيب لهم فيما ادعوه من الافضلية
ثم ان كان ما رووه حقا مع ان القضاء يحتاج الى جميع ما ادعوه بفضيلة لهم ثبت انه افضلهم لاستجماعه ما تفرق فيهم من الفضائل فيهم
وان لم يكن حقا مع ان انوار فضائله مستطيرة في افاق الصحف فقد ظهر فضله عليهم وذلك وجه التكذيب لهم ثم اشار الى العلة الحاملة
لهم على الكذب فيما ادعوه وهو قوله ان رفعنا الله اي رفع درجاتنا في الدنيا والاخرة على الكافة ووضعهم دوننا وان وما بعدها نصب على المفعول
له واعطانا اي الملك والنبوة وحرمهم ذلك كله وادخلنا بعنايته الخاصة بنا فيما اعطانا واخرجهم من ذلك وقوله بنا يستعطى الهدى وبنا يستجلى
العمى فاستعار لفظ العمى للجهل ورشح بذكر الاستجلاء ولما كانوا عليهم السلام المعدين لاذهان الخلق لقبول انوار الله والمرشدين لنفوسهم الى
سبيل الله لا جرم كان بهم يستعطى الهدى من الله اذ بواسطة دعوتهم يفاض على النفوس هداها وبواسطة اعطائهم القوانين الشرعية الكلية و
الجزئية يستجلى الجهل من اذهان الجهلاء وهو كناية عن الاستعداد ايضا وقوله ان الائمة من قريش الى اخره لفظ النص المشهور عن الرسول صلعم الائمة من
قريش وتخصيصه بذلك بهذا البطن من هاشم اما على مذهب الشيعة فهو نص يجب اتباعه كما يجب اتباع نص الرسول صلعم لاعتقادهم عصمته واما
على مذهب الباقين من المسلمين فواجب الاتباع ايضا لقوله عليه الصلوة والسلام انه مع الحق وان الحق معه يدور حيث دار ومراده بذلك البطن
اما على مذهب الاثني عشرية فنفسه مع الاحد عشر من ولده بنص كل منهم على من بعده مع كونهم معصومين واما على مذهب الباقين من الامامية
فكل منهم يحمل هذا الكلام على من اعتقد امامته لا تصلح على سواهم اي لا يكون لها صلاح على يد غيرهم منها اثروا عاجلا واخروا اجلا و
تركوا صافيا وشربوا اجنا كاني انظر الى فاسقهم وقد صحب المنكر فالفه وبسئ به ووافقه حتى شابت عليه مفارقه وصبغت به خلائقه
ثم اقبل مزبدا كالتيار لا يبالي ما غرق او كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرق اين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى والابصار اللامحة
الى منار التقوى اين القلوب التي وهبت لله وعوقدت على طاعة الله ازدحموا على الحطام وتشاحوا على الحرام ورفع لهم علم الجنة والنار
فصرفوا عن الجنة وجوههم واقبلوا الى النار باعمالهم دعاهم ربهم فنفروا وولوا ودعاهم الشيطان فاستجابوا واقبلوا اقول بسئ به الفه
واستانس به واعلم ان ضمير الجمع في اثروا واخروا وما بعدهما ضمائر مهملة يصدق اطلاقها على الجماعة وان كان المعني بها بعضهم وهذا الكلام يصدق
على من تخلف من الناس الى زمانه ممن هو غير متفق الطريقة وان كان معدودا من الصحابة بالظاهر كالمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم و
معوية ونحوهم من امراء بني امية ممن اثر عاجل الدنيا ولذاتها وعليه واخر اجل ثواب الاخرى فنبذه وراء ظهره وترك ما وعد به من تلك اللذات الصافية منه
عن كدورات الدنيا والعلائق البدنية الى اللذات الوهمية الاجنة لشوب الاعراض والامراض والتغير والزوال واستعار لفظ الاجن للذات الدنيا
ملاحظة لتشبيهها بالماء الذي لا يسوغ شربه لتغير طعمه ورشح بذكر الشرب وقوله كاني انظر الى فاسقهم يحتمل ان يريد فاسقا معينا كعبد الملك
بن مروان ويكون الضمير عائدا الى بني امية ومن تابعهم ويحتمل ان يريد مطلق الفاسق اي من يفسق من هؤلاء فيما بعد ويكون بالصفات التي
ذكرها من صحبة المنكر والفه وموافقته لطبعه الى غاية عمره وكنى عن تلك الغاية بشيب المفارق وصبغت به خلائقه اي صار المنكر ملكة له وخلقا
واستعار لفظ الازباد تشبيها له بالبحر الطامي ووجه التشبيه كونه عند غضبه لا يحفل بما يفعله في الناس من المنكرات كما لا يحفل البحر بمن غرق
فيه وكذلك تشبيهه في المنكرات والظلامات بوقع النار في الحطب ووجه الشبه كونه لا يبالي بتلك الحركات كما لا يبالي النار بما احرقته ثم اخذ
يسئل عن العقول المستكملة بانوار الله واستعار لفظ مصابيح الهدى اما للائمة الدين او لقوانينه الكلية والاستصباح بها الاقتداء بها وعن الابصار
اللامحة لمنار التقوى اي الناظرة الى اعلام التقوى واستعارة لفظ المنار كاستعارة لفظ المصابيح ثم عن القلوب التي وهبها اهلها لله اي جعلوا
همهم مطالعة انوار كبريائه والتوجه الى كعبة وجوب وجوده وعوقدت على طاعة الله اي اخذ خلفاء الله عليهم العهد بطاعته والمواظبة عليها
ثم عاد الى ذم الباقين وتوبيخهم بازدحامهم على حطام الدنيا واستعار لفظ الحطام لمقتنيات الدنيا ووجه الاستعارة سرعة فنائها وفسادها
كما يسرع فساد ما يبس من النبت اليابس وتكسره وبتشاحهم على الحرام اي كل واحد يشاح صاحبه على الحرام ويبخل به عليه واشار بعلم الجنة الى قانون الشريعة الهادي
الى الجنة وبعلم النار الى الوساوس المزينة لقينات الدنيا والعلم الاول بيد الدعاة الى الله وهم الرسول صلعم ومن بعده من اولياء الله من اهل بيته
والثاني بيد ابليس وجنوده من شياطين الانس والجن الداعين الى النار ثم ذمهم بصرفهم وجوههم عن الجنة واقبالهم باعمالهم
على النار حين رفع العلمين من قبل الدعاة وانما قال واقبلوا باعمالهم ولم يقل بوجوههم كما قال فصرفوا وجوههم لان اقبالهم بوجوه نفوسهم على لذات
الدنيا واشتغالها بها يستلزم صرفها عن الاعمال الموصلة الى الجنة وذلك يستلزم اعراضها عن الجنة ثم لما كانت الغاية التي يطلبها الانسان من لذاتها
هو الحصول على لذاتها وكانت النار لا تنال الا بالاعمال الموصلة الى تلك الغاية لزوما عرضيا لم تكن النار غاية ذاتية فلذا اقبلوا بوجوههم عليها بل كان
اقبالهم عليها باعمالهم اذ كانت هي المستلزمة لها ثم اخبر في معرض الذم عن مقابلتهم لدعاء ربهم لهم بالنفار عنه ولدعاء الشيطان لهم باستجابتهم له وعندو

ولا يصلح الولاة من غيرهم صح

اقبالهم

في ذم الدنيا ومعايبها

بلغ ... الجزء

وانما لم يبنه وفي قوله دعا الى الجنة تنبيه ان الداعي لعلم الجنة هو الله بايدي خلفائه والداعي لعلم النار هو الشيطان بايدي اوليائه وبالله التوفيق **ومن**
خطبة له عليه السلام أيها الناس إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا مع كل جرعة شرق وفي كل أكلة غصص لا تنالون منها نعمة إلا
بفراق أخرى ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره إلا بهدم آخر من أجله ولا تجدد له زيادة في أكله إلا بنفاد ما قبلها من رزقه ولا يحيى له أثر ولا
يتجدد له جديد إلا بعد أن يخلق له جديد ولا تقوم له نابتة إلا وتسقط منه محصودة وقد مضت أصول نحن فروعها فما بقاء فرع بعد ذهاب
أصله **أقول** الغرض الهدف وغرض هذا الفصل ذم الدنيا وتنفيرها بذكر معايبها ليخف الراغبون فيها وينصرفوا الى ما وراءها من الامور الباقية
فاستعار لهم لفظ الغرض ووجه الاستعارة كونهم مقصودين بسهام المنية من الامراض والاعراض كما يقصد الغرض بالسهام واسند الانتضال
الى المنايا مجازا لان الفاصل لهم بالامراض هو فاعلها بهم فكان المجاز ههنا في الافراد والتركيب ثم كنى بالجرعة والاكلة عن لذات الدنيا وبالشرق
والغصص عما في كل منها من شوب الكدر ولزوم اللذات لها طبعا من الامراض والمخاوف وسائر المنغصات لها وقوله لا تنالون منها نعمة الا بفراق اخرى
فيه لطف وهو اشارة الى ان كل نوع من نعمة فانما يتجدد شخص منها ويلتذ به بعد مفارقة مثله كلذة اللقمة مثلا فانها تستدعي فوت اللذة
باختها السابقة وكذلك لذة ملبوس شخصي او مركوب شخصي وسائر ما يعد نعمة دنيوية يلتذ بها فانها انما تحصل بعد مفارقة ما سبق من
امثالها بل واعم من ذلك فان الانسان لا يتهيأ له الجمع بين الملاذ الجسمانية في وقت واحد بل ولا اثنين منها فانه حال ما يكون اكلا لا يكون
مجامعا وحال ما هو في لذة الاكل لا يكون بلذة بمشروب ولا حال ما يكون خاليا على فراش وثير يكون راكبا للتنزه ونحو ذلك وبالجملة لا
يكون مشغولا بنوع من الملاذ الجسمانية الا وهو تارك لغيره وما استلزم مفارقة نعمة اخرى لا يعد في الحقيقة نعمة ملتذا بها وكذلك قوله ولا يعمر
معمر منكم الى قوله اجله لان السرور بالبقاء الى يوم معين لا يصل اليه الا بعد انقضاء ما قبله من الايام المحسوبة من عمره فاذا قدم من عمره يوما فيكون
لذته في الحقيقة ببقائه مستلزمة لقربه من الموت وما استلزم القرب من الموت فلا لذة فيه عند الاعتبار وكذلك قوله ولا تجدد له زيادة
في اكله الا بنفاد ما قبلها من رزقه اي من رزقه المعلوم انه رزقه وهو ما وصل الى جوفه مثلا فان ما لم يصل جاز ان يكون رزقا لغيره وقد علمت
ان الانسان لا ياكل لقمة حتى يفنى ما قبلها فهو اذن لا يتجدد له زيادة في اكله الا بنفاد رزقه السابق وما استلزم نفاد الرزق لم يكن لذيذا في الحقيقة
وروي اكله ويحتمل ان يريد انه اذا تجدد لرجل رزق فتوجه فيها طالبا له كان ذلك التوجه مستلزما الانصراف عما قبلها من الجهات وانقطاع
رزقه من جهتها واللفظ مهمل يصدق ولو في بعض الناس فلا يجب الكلية وكذلك قوله ولا يحيى له اثر الا مات له اثر واراد بالاثر الذكر والفعل
فان كان ما يعرف به الانسان في وقت ما من فعل محمود او مذموم او ذكر حسن او قبيح ويحيى له بين الناس يموت منه ما كان معروفا به قبله من
الاثار وينسى وكذلك لا يتجدد له من جديد زيادات بدنه ونقصانه واوقاته الا بعد ان يخلق له جديد يبطل بدنه ومعاقبة شيخوخته شبابه ومستقبل
اوقاته لسالفها وكذلك لا يقوم له نابتة الا بعد ان تسقط منه محصودة واستعار لفظ النابتة لمن ينشأ من اولاده واقربائه ولفظ المحصودة
لمن يموت من ابائه واهله ولذلك قال وقد مضت اصول يعني الاباء ونحن فروعها استفهم على سبيل التعجب عن بقاء الفرع بعد ذهاب اصله
وقد صرح ابو العتاهية بهذا المعنى حيث قال: كل حياة الى ممات وكل ذي جدة يحول كيف بقاء الفروع يوما وقد ذوت قبلها الاصول
منها وما احدثت بدعة الا ترك بها سنة فاتقوا البدع والزموا المهيع ان عوازم الامور افضلها وان محدثاتها شرارها **أقول** المهيع
الطريق الواسع والعوازم جمع عوزم وهي العجوز المسنة والمراد بالبدعة كل ما احدث مما لم يكن على عهد الرسول صلعم وقد اشتمل هذا الفصل على
ترك البدعة وبرهان استلزام احداث البدعة لترك السنة ان عدم احداث البدع سنة لقوله صلعم كل بدعة حرام فكان احداثها مستلزما لترك
تلك السنة ثم على امرهم بتقوى البدع اي خشية عواقبها ثم بلزوم الطريق الواضح وهي سبيل الله وشريعته واراد بعوازم الامور اما قدمها وهو ما كان
عليه عهد النبوة واما جوازمها وهي المقطوع بها دون المحدثات منها التي هي محل الشبهة والشك ويرجح الاول المقابلة بمحدثاتها وحيث وصفها
بكونها شرارا لكونها محل الشبهة وخارجة عن قانون الشريعة فكانت مستلزمة للهرج وانواع الشرور وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام**
وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة وهو دين الله الذي
أظهره وجنده الذي أعده وأمده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث ما طلع ونحن على موعود من الله والله منجز وعده وناصر جنده ومكان
القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه فإن انقطع النظام تفرق وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا والعرب اليوم وإن
كانوا قليلا فهم كثيرون بالإسلام عزيزون بالاجتماع فكن قطبا واستدر الرحى بالعرب وأصلهم دونك نار الحرب فإنك إن شخصت
من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك إن
الأعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا هذا أصل العرب فإذا اقتطعتموه استرحتم فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك فأما
ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما يكره وأما ما ذكرت من عددهم
فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة **أقول** اختلف الناقلون لهذا الكلام في الوقت الذي قاله لعمر فيه
فقيل انه قاله في غزاة القادسية وهو المنقول عن المدائني في كتاب الفتوح وقيل في غزاة نهاوند وهو نقل محمد بن جرير الطبري فاما وقعة

الا مات له اثر

له جديد

زيادة

ما له

يرجح

الخرز

في كلام مع عمر في غزوة القادسية

القادسية فكانت سنة اربع عشرة للهجرة واستشار عمر المسلمين في خروجه فيها بنفسه فاشار عليه علي عليه السلام بالرأي المسطور فاخذ عمر به ورجع عن عزم المسير بنفسه وامر سعد بن ابي وقاص على المسلمين ويروى في تلك الواقعة ان رستم امير العسكر من قبل يزدجرد اقام بريدا من الرجال الواحد منهم الى جانب الآخر من القادسية الى المداين كلما تكلم رستم بكلمة اداها بعضهم الى بعض حتى يصل الى سمع يزدجرد وقصص الواقعة مشهور في التواريخ واما وقعة نهاوند فانه لما اراد عمر ان يغزو العجم وجيوش كسرى قد اجتمعت بنهاوند استشار اصحابه فاشار عثمان عليه بان يخرج بنفسه بعد ان يكتب الى جميع المسلمين من اهل الشام واليمن والحرمين والكوفة والبصرة يأمرهم بالخروج واشار علي عليه السلام بالرأي المذكور وقال اما بعد فان هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه الفصل فقال عمر هذا الرأي وقد كنت احب ان اتابع عليه فاشيروا علي برجل اوليه ذلك الثغر فقالوا انت افضل رأيا فقال اشيروا علي به واجعلوه عراقيا فقالوا انت اعلم باهل العراق وقد وفدوا عليك فرأيتهم وكلمتهم فقال اما والله لاولين امرهم رجلا يكون غدا اول الاسنة قيل ومن هو فقال النعمان بن مقرن فقالوا هو لها وكان النعمان يومئذ بالبصرة فكتب اليه عمر فولاه امر الجيش ولنرجع الى المتن فقوله بحذافيره اي باسره وقوله ان هذا الامر الى قوله للاجتماع صدر الكلام اورده ليبني عليه الرأي فقرر فيه اولا ان هذا الامر اي امر الاسلام ليس نصره بكثرة ولا خذلانه بقلة ونبه على صدق هذه الدعوى بانه دين الله الذي اظهره وجنوده هي جنده الذي اعده وامده بالملائكة والناس حتى بلغ هذا المبلغ وطلع في آفاق البلاد حيث طلع ثم وعدنا بموعود وهو النصر والغلبة والاستخلاف في الارض كما قال وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الاية وكل وعد من الله فهو منجز لعدم الخلف في خبره وقوله وناصر جنده يجري مجرى النتيجة اذ من جملة وعده نصر جنده وجنده هم المؤمنون فالمؤمنون منصورون على كل حال سواء كانوا قليلين او كثيرين ثم شبه مكان القيم بالامر بمكان الخيط من العقد ووجه التشبيه هو قوله يجمعه ويضمه الى قوله ابدا فكذلك وقوله لم يجتمع بحذافيره ابدا وذلك انهم عند فساد نظامهم بقتل الامام مثلا يقع بهم طمع العدو وظفره فيكون ذلك سبب شتاتهم ثم رفع عنه الشبهة في عدم الحاجة الى اجتماع كل العرب في هذه الواقعة وذلك لكثرتهم بالاسلام واستقبال الدولة وعزتهم باجتماع الرأي واتفاق القلوب الذي هو خير من استحقاق كثرة الاشخاص واراد بالكثرة القوة والغلبة مجازا اطلاقا لاسم مظنة الشيء على الشيء وقوله فكن قطبا شروع في الرأي الخاص بعمر فاشار عليه ان يجعل نفسه مرجعا للعرب تؤول اليه وترد عليه واستعار له لفظ القطب ولهم لفظ الرحا ورشح بالاستدارة ويكون ذلك عن جعل العرب ردءا له وحيطة له وملاذا قال واصلهم دونك نار الحرب لانهم ان سلموا وغنموا فذلك الذي ينبغي وان انهزموا كان هو مرجعا لهم وسندا يقوي ظهورهم بخلاف شخوصه معهم فانهم ان ظفروا فذلك وان انهزموا لم يكن لهم ظهر يلجأون اليه كما سبق بيانه وقوله فانك ان شخصت الى قوله بين يديك بيان للمفسدة في خروجه بنفسه من وجهين احدهما ان الاسلام كان في ذلك الوقت غضا وقلوب كثير من العرب ممن اسلم غير مستقرة بعد فاذا انضاف الى من لم يسلم منهم وعلموا خروجه وتركه للبلاد كثر طمعهم وهاجت فتنتهم على الحرمين وبلاد الاسلام فيكون ما تركه وراءه اهم عنده مما استقبله ويطلبه ويلتفي عليه العورات من كل جهة الثاني ان الاعاجم اذا خرج اليهم بنفسه طمعوا فيه وقالوا المقالة فكان خروجه محرضا لهم على القتال وهم اشد عليه كلبا واقوى فيه طمعا وقوله فاما ما ذكرت من مسير القوم الى اخره فهو انه قال له ان هؤلاء الفرس قد قصدوا المسير الى المسلمين وقصدهم اياهم دليل قوتهم وانا اكره ان يغزونا قبل ان نغزوهم فاجابه بانك ان كرهت ذلك فان الله تعالى لها اشد كراهية واقدر على التغيير والادالة وهذا الجواب يعود على حرف وهو ان مسيرهم الى المسلمين وان كان مفسدة الان لكن خروجه بنفسه فيه مفسدة اكبر واذا كان كذلك فينبغي ان يدفع العظمى ويكل دفع المفسدة الاخرى الى الله تعالى فانه كان لها مع كراهيته لها اقدر على ازالتها وقوله واما ما ذكرت من عددهم الى اخره فهو ان عمر ذكر كثرة القوم وعددهم فاجابه عليه السلام بتذكير قتال المسلمين في صدر الاسلام فانه كان من غير كثرة وانما كان بنصر الله ومعونته فينبغي ان يكون الحال الان كذلك وهو يجري مجرى التمثيل كما اشرنا اليه في المسودة الاولى وبوعد الله تعالى المسلمين بالاستخلاف في الارض وتمكين دينهم الذي ارتضى لهم وتبديلهم بخوفهم امنا كما هو مقتضى الاية

ومن خطبة له عليه السلام

فبعث محمدا صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج عباده من عبادة الاوثان الى عبادته ومن طاعة الشيطان الى طاعته بقرآن قد بينه واحكمه ليعلم العباد ربهم اذ جهلوه وليقروا به بعد اذ جحدوه وليثبتوه بعد اذ انكروه فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير ان يكونوا راوه بما اراهم من قدرته وخوفهم من سطوته وكيف محق من محق بالمثلات واحتصد من احتصد بالنقمات وانه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء اخفى من الحق ولا اظهر من الباطل ولا اكثر من الكذب على الله ورسوله وليس عند اهل ذلك الزمان سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا انفق منه اذا حرف عن مواضعه ولا في البلاد شيء انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر فقد نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته فالكتاب يومئذ واهله منفيان طريدان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو فالكتاب واهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم ومعهم وليسا معهم لان الضلالة لا توافق الهدى وان اجتمعا فاجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة كانهم ائمة الكتاب وليس الكتاب امامهم فلم يبق عندهم منه الا اسمه ولا يعرفون الا

الا خطه

إلا خطه وزبره ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة وسموا صدقهم على الله فرية وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة وإنما هلك
من كان قبلكم بطول آمالهم وتغيب آجالهم حتى نزل بهم الموعود الذي ترد عنه المعذرة وترفع عنه التوبة وتحل معه القارعة
والنقمة أيها الناس إنه من استنصح الله وفق ومن اتخذ قوله دليلا هدي للتي هي أقوم فإن جار الله آمن وعدوه خائف
وإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظم فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له وسلامة الذين يعلمون ما قدرته
أن يستسلموا له فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الأجرب والبارئ من ذي السقم واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا
الذي تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه فالتمسوا ذلك من عند
أهله فإنهم عيش العلم وموت الجهل هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدين
ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق **أقول** الأوثان الأصنام وزبره كتبه ومثلوا بفتح الميم والثاء
أي نكلوا والاسم المثلة بضم الميم وسكون الثاء والقارعة الشديدة من شدائد الدهر ومدار هذا الفصل على بيان بعثة الرسول
وبيان غاية البعثة والسبب المعد للوصول إلى تلك الغاية ثم بيان غاية تلك الغاية والإشارة إلى البعثة بقوله فبعث إلى قوله بالحق و
أشار إلى غايتها بقوله ليخرج إلى قوله إلى طاعته وقد علمت أن طاعته بسلوك الصراط المستقيم في الدنيا وهو اتباع الدين القيم والعدل
عن طاعة الشيطان التي هي بالخروج إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط فأشار إلى سبب تلك الغاية بقوله بقرآن قد بينه وأحكمه وذلك
اشتمال القرآن الكريم على الجواذب الإلهية إلى طاعة الله وسلوك صراطه المستقيم وأشار إلى غاية تلك الغاية أعني غاية طاعة الله
بقوله ليعلم العباد إلى قوله أنكروه وهي مسائل من أمهات العلم الإلهي فالأولى معرفتهم له بعد جهلهم والثانية الإقرار به بعد
جحدهم له وإثباتهم له بعد إنكارهم إياه والمعنى واحد وإن اختلفت العبارات وهو التصديق بوجوده إلا أن يحمل الإقرار على اللسان
والجحد به ويحمل الإثبات والإنكار على إثباته بالقلب ليحصل الإنكار به وجحد بتغاير المعنيين وأشار بتجليه سبحانه في الكتاب إلى ظهوره لهم
في تذكيرهم وتنبيههم بما أراهم من عجائب مصنوعاته وعجائب قدرته وبما خوفهم به من وعيده وتذكيرهم أنه كيف محق من محق من القرون الماضية
بالعقوبات واحتصد من احتصد منهم بالنقمات كل ذلك للظهور والجلاء من غير رؤية له إذ تعالى عن إدراك الحواس وقال بعض الفضلاء
يحتمل أن يريد بتجليه في كتابه ظهوره في عجائب مصنوعاته وممكناته ويكون لفظ الكتاب مستعارا في العالم ووجه المشابهة كونه
محلا قابلا لآثار الصنع المختلفة وعجائب الصور المنقوشة فيه كما أن الكتاب محل لنقش الحروف كل ذلك من غير رؤية بحاسة البصر له
تعالى عليه وتقدس عن ذلك وقوله سيأتي إلى قوله المنكر إخبار عن زمان يأتي بعده بالصفات المذكورة وقد رأيناه ورأته قرون قبلنا
فإن خفاء الحق وظهور الباطل عليه أمر ظاهر وكون الحق لا شيء أخفى منه والباطل لا شيء أظهر منه على سبيل المبالغة وكذلك لا أكثر من
الكذب على الله وعلى رسوله روي عن شعبة وكان إمام المحدثين أنه قال تسعة أعشار الحديث كذب وعن الدارقطني ما الحديث الصحيح
إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود وقوله وليس عند أهل إلى آخره قدم تفسيره في الفصل الذي يتم من يتصل الحكم بين الأمة وليس له
بأهل ونبذ حملة الكتاب له إعراضهم عن تدبره وما فيه والعمل به وتناسي حفظته إيضا منهم عن أوامره ونواهيه وتغافلهم عن اتباعها
وقوله فالكتاب إلى قوله وإن اجتمعا فأهل الكتاب الملازمون للعمل به وحيث كان أهل ذلك الزمان المشار إليه غير ملتفتين إلى الكتاب
كانوا أيضا غير ملتفتين إلى أهله ومن يعمل به بل مؤذون لهم فيما يخالفونهم فيه مما يقتضيه أحكام الكتاب ويوجبه اتباعه فكان إعراضهم
عنهم إبعادا لهم ونفيا وطردا والطريق الذي اصطحب فيه الكتاب وأهله هو طريق الله الواحد وصدق إذن أنهما لا يؤويهما مؤو من أهل
ذلك الزمان الآثم إلا إذا وافقا غرضه لكن ذلك ليس للكتاب وللعامل به بل لموافقتهما الغرض وكونهما في الناس أي بوجودهما
وكونهما ليسا فيهم لعدم اتباعهما والتقاء فائدتهما فأشبها ما ليس بموجود وكانت فائدة الموجودان ينتفع به وكذلك معهم بالمصاحبة
الاتفاقية في الوجود وليسا معهم لأن ضلالهم لا تجامع هدى الكتاب وأهله فكانا متضادين لهم وإن اجتمعا في الوجود وقوله فاجتمع
القوم على الفرقة أي اتفقوا على مفارقة الاجتماع وما عليه الجماعة أما في وقته فكالخوارج والبغاة وأما فيما سيتصل من الزمان
بعده فكالآخذين بالآراء والمذاهب المتفرقة المحدثة في الدين والإجماع على الفرقة يلازم الافتراق عن الجماعة وقوله كأنهم
أئمة الكتاب تشبيه لهم بالأئمة في الجرأة على مخالفة ظواهره والاختلاف فيه وتغييره على حسب أغراضهم إذ شأن الإمام مع المأموم
ذلك مع أنه إمامهم الذي يجب أن يتبعوه ويقتفوا أثره وإذ خالفوه ونبذوه وراء ظهورهم فلم يبق معهم من مسكتهم به إلا اسمه وعلم
خطه وزبره دون اتباع مقاصده وقوله ومن قبل ما مثلوا بالصالحين إشارة إلى زمن بني أمية الكائن قبل زمن من يخبر عنهم وتمثيل
بني أمية بالصالحين من الصحابة والتابعين وحملهم لهم على المكروه ونسبتهم له إلى الكذب على الله وجعلهم في الحسنة عقوبة السيئة
ظاهر منهم ووصفه لمن يأتي في ذلك الزمان بالأوصاف المذكورة لا ينافي وصف من قبلهم من بني أمية بتلك الأوصاف وما
مع الفعل في حكم المصدر ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من قبل وقوله وإنما هلك إلى آخره تنبيه على وجوب تقصير الآمال في الدنيا

الله م

ئ ر صادق

الاقرار به

في بعثة الرسول وغايتها

لا يستلزم طلبها الهلاك الاخروي واشار الى القرون الماضين من قبل واراد الهلاك الاخروي وجعل سبب هلاكهم طول امالهم والتي
الموجب للاستغراق في محبة لذاتها المبعدة عن الله تعالى مع تغيب اجالهم عنهم اي غفلتهم وقلة فكرهم فيها وعدم علمهم بتعينها فان الاستغراق بالامل
موجب للاقلاع عن الانهماك في اللذات الحاضرة ومنغصاتها وقوله حتى نزل بهم الموعود الى الاخرة ذكر غاية لطول امالهم والموعود هو الموت
وترد عنه المعذرة اي لا تقبل فيه معذرة معتذر وترفع عنه التوبة اي يبعد بها حين نزوله كقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون
السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار وتحل معه القارعة اي تنزل بمن نزل به الشدائد على الاهوال
وتتبعها العقوبات الاخروية ثم عاد الى الراي الصالح للسامعين فانبههم ونبههم على وجوب استنصاحه اي اتخاذه ناصحا في قبول
اوامره ونواهيه واتخاذ قوله دليلا الى المطالب المهمة فان استنصاحه يستلزم التوفيق واتخاذه دليلا يستلزم الهداية التي هي اقوم الطرق
ثم نبه على حسن جوار الله بالامن الذي هو غاية الجوار وعلى قبح عداوته بما يترتب عليه من الخوف الذي هو غاية عداوة الملوك خصوصا الجبار
الجبابرة ومالك الدنيا والاخرة واراد بجواره القرب منه بالطاعة وبعداوته البعد عنه بالمعصية ومخالفة اوامره ولا شك في كون الاول امنا
من اهوال الاخرة وفي كون الثاني في محل الخوف والخطر وقوله وانه لا ينبغي لمن عرف الى اخره ارشادهم الى التواضع لله ولمن ارشد الخلق فيه
ونهي عن التكبر عليهم والنفار عن قبول الحق منهم وخاطب من يعرف عظمة الله لاختصاره نفسه عند ملاحظته لنفسه ونسبتها الى جلال
الله فهو اسرع انفعالا واحقر في نفسه ان يتكبر على الله وبنبه على حسن التواضع لمن يذكر عظمته ورفعة للعالمين بعظمته فانه لما كان هو العظيم
المطلق وكل عظمة ورفعة لعظيم فمستفادة من جوده والقرب منه وكانت العادة جارية من الملوك في حق من يتواضع لهم ويوفيهم حقهم من
الاجلال والاكرام وحسن الانقياد ان يرفعوه ويعظموه فبالحري ان يكون رفعة المتواضع للملك المطلق والعظيم المطلق لازمة عن التواضع
له وكما ان العادة جارية منهم بسلامة من يسلم لهم عن معرفته بانقياده لهم فبالحري ان يكون سلامة المستسلم لله عن العلم بجلالته وقدرته وسلطانه
سلطانه لازمة عن استسلامه له واذا اشتهم بالتواضع لله ولاوليائه نبههم الى قبول الحق منهم وعدم النفار منه التشبيه بنفار الصحيح من
الاجرب والبارئ من السقم ووجه الشبه هو شدة النفار ثم عاد الى تنفيرهم عن ائمة الضلال وذلك بتنبيههم على انهم ليسوا عارفين
بالرشد المعرفة الصحيحة ولا اخذين بميثاق الكتاب ولا ممسكين به الاخذ والتمسك التام ما لم يعرفوا اولئك الضالين وانما شرط معرفتهم
للرشد بمعرفتهم لتاركه لان المعرفة التامة للرشد بل لكل شيء تستدعي معرفة ما عليها من الشكوك والشبهات التي هي سبب التشكيك فيها
وترك العمل على وفقها ولما كان الرشد وهو الحق الذي هو عليه هو وتابعوه وكان التاركون له الذين هم مخالفوه وخصومه في الامر من ائمة
الضلال لاجرم كان من تمام معرفة الحق في بدء والرشد الذي يدعوا اليه معرفة خصومه وانهم على خصومه شبهة انازعوا فيها طالب الحق
معرفة طريق الرشد فسلكها ونفر عمن نكب وكذلك شرطه لاخذهم بميثاق الكتاب والعمل بما فيه بمعرفتهم لمن نقضه من خصومه اي الخصم
بما يعمل به تم منه لا يتم منهم الا ان يعرفوا شبهة ناقضه وهو العامل بخلاف حكمه عمدا وفق الكتاب لشبهة حتى اذا اطلعوا على كيفية فسادها
وضلاله بها اخذوا بميثاق الكتاب على بصيرة وعلموا انه ناقض له فنفروا عنه وكذلك شرطه لتمسكهم بالكتاب ولزومهم ميثاقه بمعرفتنا بذلك
وانه ضال لحصول الثقة عند فهم التمسك به وبما كان لزومهم ميثاقه وغاية كل ذلك التنفير عن ائمة الضلال بمعرفتهم ومعرفة ما هم عليه
من الشبه والتبري منهم ثم نعد ان تنبه على تلك المعرفة امر بالتماسها عند اهلها والاشارة بهم الى نفسه واهل بيته عليهم السلام واستعار لهم
وصف عيش العلم اي حيوته وموت الجهل ووجه الاستعارة الاولى انهم يكون وجود العلم والانتفاع به كما يكون بالحياة التي الانتفاع بروح
الثانية انهم يكون عدم الجهل وعدم التضرر به كما يكون بموت التضرر وعدمه وعدم مضرته وقوله هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم اي بين لكم
منطقهم بالحكمة وسيرتهم على وفقها على كمال نفوسهم بالعلوم وصمتهم عن منطقهم فان الصمت المنطبق اللسن ذي الحكمة العزيزة وقتا وفيه
وحالة تكون قرائن دالة على حسن منطقه وعلمه بما يقول وكذلك ظاهرهم عن باطنهم وقوله لا يخالفون الدين اشارة الى لزومهم لاوامر الله
وطريق شريعته ولا يختلفون فيه اشارة الى اتفاقهم على احكامه عن كمال علومهم به فانه لما كان طريقها واحدا واتفقوا على معرفته وجب
ان لا يختلفوا فيه ولا يضل احدهم عن حكم من احكامه حتى يخالف صاحبه فيه وقوله فهو بينهم شاهد صادق اي شاهد يستدلون
به على الاحكام والوقائع التي تلزمهم ويعبر لهم لا يكذب من حيث هو شاهد وصامت ناطق لكونه حروفا واصواتا وانما ينطق بالسنتهم فهو
بمنزلة الناطق والقطان استعارة وجهها الافادة مع النطق به وعدمها مع السكوت عنه كافادة الناطق وعدم افادة الصامت

ومن كلام له عليه السلام في ذكر اهل البصرة كل واحد منهما يرجو الامر له ويعطفه عليه دون صاحبه لا يمتان الى الله بحبل
ولا يمدان اليه بسبب كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه وعما قليل يكشف قناعه به والله لئن اصابوا الذي يريدون لينتزعن
هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا قد قامت الفئة الباغية فاين المحتسبون وقد سنت لهم السنن وقدم لهم الخبر ولكل
ضلة علة ولكل ناكث شبهة والله لا اكون كمستمع اللدم يسمع الناعي ويحضر الباكي ثم لا يعتبر **اقول** المثنى في قوله كلاهما الى طلحة و
الزبير الضب الحقد والعلل والمحتسبون طالبوا الاجر والثواب واللدم ضرب الصدر بما لبس فعل الحزين والضمير في منهما راجع الى

عنها

على الطريق التي هي اقوم

لينتزعن

طلحة والزبير

لما فيه والزبير الامارة لا الخلافة وذلك حين خرجا الى البصرة مع عائشة ويعطفه اليه يجذبه الى نفسه ويزعم انه احق به من صاحبه وقوله لا يمتان الى الله
بسبب اى لا يجدان لهما نسبة الى الله تعالى يوجب لهما بقاء الامر لهما وهلاك المسلمين فيما بينهم وقوله كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه في صدره وقوله
عما قليل يظهر وينكشف واستعار لفظ القناع لظاهر الشأن الباطن وذلك مثل يضرب لمن يبدأ في صاحبه ويظهر له الصداقة مع حسده
وعقوقه له في الباطن والعرب تضرب بالضب المثل في العقوق فيقال اعق من ضب وذلك انه ربما يأكل حسوله ثم اقسم لئن اصابوا بغيتهم
لينزعن هذا وليأتين عليه اى يبغي كل منهم في قتل صاحبه وهذا مما لا شك فيه فان العادة جارية بعدم قيام الامرين معا وسره
ان الطباع البشرية متساوية على الكمال ويتفاوت ذلك الشأن بحسب تفاوت في حصور قوته وضعفه ولا شيء في نفوس طالبي الدنيا
اعظم من الملك خصوصًا في نفس من يعتقد انه يقدر على تحصيل الآخرة فيه ايضًا فان تحصيل الدنيا والآخرة هي اكمل الكمالات المطلوبة
للانسان ولا شيء يقاوم هذا المطلوب في النفوس فهي تسعى في تحصيله بكل ممكن من قتل الولد والوالد والاخ ولذلك قيل الملك عقيم وقد نقل
عن هذين الرجلين الاختلاف قبل اصابتهما بغيتهما وقبل وقوع الحرب فاختلفا في الاحق بالتقدم في الصلوة فاقامت عائشة محمد بن طلحة
وعبد الله بن الزبير يصلي هذا يومًا وهذا يومًا الى ان ينقضي الحرب ثم ان عبد الله بن الزبير ادعى ان عثمن نص عليه بالخلافة يوم الدار واحتج على ذلك
باستخلافه له في الصلاة واحتج تارة بنص صريح ادعاه وطلب طلحة ان يسلم الناس عليه بالامرة وادلى اليها بالتميمية وادلى الزبير اليها باختها
اسماء فامرت الناس ان يسلموا عليهما بالامرة واختلفا في تولي القتال فطلبه كل واحد منهما اولا ثم نكل عنه واحوالهم في ذلك ظاهرة فقوله قد قامت
الفئة الباغية اشارة اليهم وهم الناكثون الذين نقل فيما سبق فيهم الخبر امرت ان اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين وقوله اين المحتسبون
وقد سنت لهم السنن اى اين طالبوا الثواب من الله بعد وضوح الطريق وروى فاين المحتسبون وقوله وقدم لهم الخبر اى اخبرهم الرسول صلى الله عليه وآله
فيهم بما فيه وما كثر فيها الحرج لان يحذروا هؤلاء وان يكونوا ممن اخبر عنهم وقوله ولكل ضلة علة اى لكل خروج عن سبيل الله علة ولشأن خروج
هذه الفرقة عن الدين فتلك العلة هي البغي والحسد ولكل ناكث شبهة تغطي عين بصيرته عن النظر الى وجه الحق كطلبهم بدم عثمن
وقوله والله لا اكون الى آخره اقسم انه لا يكون كك اى انه بعيد سماع لغلبة هؤلاء وجلبهم عليه ويهددهم اياه لانبائهم عنهم ويصبر لهم حتى
يوافوه فيكون في الغرور لكن يستمع الضرب والبكاء الذي هو مظنة الخطر ثم لا يصدق وحتى يجيء لمشاهدة الحال ويحضر الباكي وقد كان
الاولى به ان يكتفي بذلك السماع لظهوره ودلالته ويأخذ في الاستعداد للعدو والهرب منه **ومن كلام له عليه السلام** قبل موته
ايها الناس كل امرئ لاق ما يفر منه في فراره والاجل مساق النفس والهرب منه موافاته كم اطردت الايام ابحثها عن مكنون هذا الامر
فابى الله الا اخفاءه هيهات علم مخزون اما وصيتي فالله لا تشركوا به شيئا ومحمد ص فلا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين واوقدوا
هذين المصباحين وخلاكم ذم ما لم تشردوا حمل كل امرئ منكم مجهوده وخفف عن الجهلة رب رحيم ودين قويم وامام عليم غفر الله لي
ولكم انا بالامس صاحبكم وانا اليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم ان تثبت الوطأة في هذه المزلة فذاك وان تدحض القدم فانا كنا في افياء
اغصان ومهاب رياح وتحت ظل غمام اضمحل في الجو متلفقها وعفا في الارض مخطها وانما كنت جارا جاوركم بدني اياما وستعقبون مني
جثة خلاء ساكنة بعد حراك وصامتة بعد نطوق ليعظكم هدوي وخفوت اطرافي وسكون اطرافي فانه اوعظ للمعتبرين من المنطق
البليغ والقول المسموع وداعيكم وداع امرئ مرصد للتلاقي غدا ترون ايامي ويكشف عن سرائري وتعرفونني بعد خلو مكاني وقيام
غيري مقامي **اقول** اطردت الايام صيرتها طريدة لي وشرد الجمل ذهب لوجهه وقد دحضت القدم زلقت واضمحل فني والمخط الاثر وهذا
الفصل محل الوعظ والاعتبار فابتدأ بالناس ونبههم على الخوف من هذا الموت المنفور منه طبعًا وحسن بقوله في فراره فانه لما كان الانسان دائمًا فارًا من
الموت ومتوقيا له وكان لابد منه لا جرم كان حصول لقائه له في فراره والاجل قد يراد به غاية الحيوة الدنيا كما قال تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
وقد يراد به المدة المضروبة للانسان وهي مدة عمره واياه عنى هيهنا بقوله والاجل مساق النفس فان مدة بقائها في هذا البدن هو مساقها الى غايتها
لا محل فرارها وقوله والهرب منه موافاته فانه في غاية اللطف وذلك ان الفار من الموت مثلا بالحركات والعلاجات ونحوها يستلزم حركاته في
ذلك فناء الاوقات وتصرمها وتقطع تلك الاوقات مستلزم للملاقاة والموافاة فاطلق لفظ الموافاة على الهرب مجازا اطلاقا لاسم اللازم على
الملزوم وقوله كم اطردت الايام اى صيرتها طريدة لي اتبع بعضها بعضًا بالبحث وتعرف مكنون هذا الامر الذي وقع له من القتل وذلك المكنون
هو وقته المعين بالتفصيل ومكانه فان ذلك مما استاثر الله تعالى بعلمه كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وقوله وما تدري نفس باي ارض تموت
وان كان قد اخبره الرسول ص بكيفية قتله مجملا كما روى عنه انه قال ستضرب على هذه واشار الى هامته فيخضب منها هذه واشار الى لحيته وعنه
انه قال اتعلم من اشقى الاولين قال نعم عاقر الناقة فقال اتعلم من اشقى الآخرين قال لا قال من يضربك هيهنا فيخضب هذه واما بحثه فهو عن
تفصيل الوقت والمكان ونحوهما من القرائن المشخصة وذلك البحث اما بالسؤال من الرسول ص مدة حياته وكثيرا ما كان يسأله او بالفحص والتفرس
من قرائن احواله في سائر اوقاته مع الناس فابى الله الا ان يخفي عنه تلك الحال هيهات اى بعد ذلك العلم فهو علم مخزون ثم شرع في الوصية
مبتدءا بالاهم فالاهم فالاول هو الاخلاص لله بالاعراض عن كل ما سواه ويجب ذلك لزوم اوامره ونواهيه سابرها ما نطق به كتابه العزيز والثاني لزوم سنته

في الموت وأحوال الانسان فيه نقله

محمد صلى الله عليه وآله وعدم اهمالها وانما قدم اسم الله ومحمد لما بيّنا ان الواجب في علم البيان تقديم الاهم ثم اكد القول في الامر باتباع التوحيد
المطلق والسنة النبوية واستعار لهما لفظ العمودين ورشح بذكر الاقامة ولفظ المصباحين ورشح بذكر الايقاد ووجه الاستعارة الاولى ان مدار
الاسلام ونظام امور المسلمين في معاشهم ومعادهم على توحيد الله ولزوم ما جاء به رسوله كما ان مدار الخيمة وقيامها بالعمد ووجه الثانية
ان توحيد الله والاقتداء بما جاء به رسوله مستلزمان للهداية في طريقه من ظلمات الجهل فاءذا الى جواره في جنات النعيم وهو المطلوب
الحقيقي كما يهدي المصباح في الظلام على الطريق الى المطلوب وقوله وخلاكم ذم اي عداكم وهي كلمة تجري مجرى المثل اي عند لزومكم لتوحيد الله
وسنة رسوله لا ذم عليكم واول من قالها قصير مولى جذيمة حين حث عمرو ابن اخت جذيمة على طلب ثاره من الزباء فقال له عمرو وكيف لي بذلك
والزباء امنع من عقاب الجو فقال قصير اطلب الامر وخلاك ذم وقوله ما لم تشردوا اي ما لم تتفرقوا استثناء من نفي لحوق الذم لهم اي وقد اهتديتم حين اجتنبا
فنادمتم قد بين الامر الذين يتوجه عليهما التكليف بيّن لهم بقوله حمّل كل امرئ منكم الى قوله الجهلة ان التكليف بذلك يتفاوت بكل
امرئ من العلماء واهل الانتباه وممن هو بصدد العلم يحمل مجهوده وطاقته بالتنبيه على الادلة وتعليمها واما الجهال كالنساء
واهل البادية والزنج ونحوهم من اهل الغباوة فتكليفهم دون ذلك وهو بالمحسوس من الغبائات دون الامر بالتفكر في مقاصدها
ثم ذكر وصف الرحمة للرب لما يستلزم ذكر التخفيف عن الجهلة في التكليف ودين قويم لا عوج فيه ولا زيغ عن القصد الحقيقي وامام عليم
اشارة الى الرسول العالم بكيفية سلوك طريق الله ومراحلها ومنازلها والهادي فيها بما يقتضيه حكمته من القول والعمل الى نفسه لكونه
وارث علمه وسالك مسالكه ورب خبر مبتدأ محذوف تقديره وذلك المكلف رب رحيم ويجوز ان يكون فاعلا لفعل بعينه تقديره حمل
وخففنا اي يحملكم رب كقوله نعم يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال ثم ختم الوصية بالدعاء لهم وله وبطلب المغفرة ثم نبّه بالتنبيه لهم على وجوه
الاعتبار وهو تصرف حال الاشخاص بحسب الازمان فقد كان بالامس صاحبهم في الحرب ومنازع الاقران وصاحب الامر والنهي فيهم واليوم
عبرة لهم بحال المصرع وضعفه عن الحركة وعند المفارقة لهم بالموت وكل هذه التغيرات محل الاعتبار يجب التنبيه لها واراد بعدا ما حقيقة
ان كان قد غلب على ظنه موته في تلك الواقعة او ما يتصل من الزمان وان بعد وهذا ارجح لقوله ان ثبتت الوطأة في هذه المزلة اي ان
يكن لي ثبات في الدنيا وبقاء في هذه المزلة اي محل الزوال عن الحيوة فذلك المرجو وكنى بثبات الوطأة عما ذكرناه وبدحض القدم عن
عدم ذلك بالموت وقوله في جواب الشرط فانا كنا في افياء اغصان الى قوله مخطها اي وان يمت فانا كنا في كذا وكنى بالامور المذكورة عن
احوال الدنيا وملذاتها وبقائه فيها ومتاعه بها وقيل استعار لفظ الاغصان للاركان من العناصر ولفظ الافياء لما استريح به النفوس
من تركيبها في هذا العالم ووجه الاستعارة الاولى ان الاركان في مادتها كالاغصان للشجرة ووجه الثانية ان الافياء محل الاستراحة واللذة كما
ان الكون في هذا البدن حين صحة التركيب واعتدال المزاج من هذه الاركان كذلك وكذلك استعار لفظ مهاب الرياح للابدان ولفظ الرياح للارواح
النفحات الالهية عليها في هذه الابدان ووجه الاولى قبول الابدان لنفحات الجود كقبول مهاب الرياح لها استعارة لفظ المحسوس للمعقول ووجه
الثانية ظاهر مما ذكر وكذلك لفظ الغمام للاسباب العلوية من الحركات السماوية والاتصالات الكوكبية والارزاق المفاضة على الانسان في هذا
العالم التي هي سبب بقائها او وجهها الاشتراك في الافاضة والسببية وكنى بظلها عما يستراح اليه منها كما يقال فلان يعيش في ظل فلان اي في
عليته وعنايته وكنى باضمحلال ملتقفها في الجو عن تفرق الاسباب العلوية للبقاء وفنائها وبعفاء مخطها في الارض عن فناء آثارها
في الابدان والضمير في ملتقفها يعود الى الغمام وفي مخطها يعود الى مهاب الرياح وقوله فانما كنت جارا جاوركم بدني اياما فيه تنبيه على
ان نفسه القدسية كانت متصلة بالملأ الاعلى ولم يكن لها ميل الى البقاء في الدنيا ومجاورة اهلها فيها فكانت مجاورته لهم ببدنه فقط
وايضا فان المجاورة من عوارض الجسمية فيحتمل ان يكون ذلك تنبيها منه على وجود امر اخر غير البدن وهو النفس وكنى بالايام عن مدة حيوته
الدنيا وقوله وستعقبون اي تعقبون في غائب امري مني جثة خالية لا روح بها ولا حراك فقد افترقت من تلك المعاني المعهودة لكم من
العقل والنطق والقوة فهي متبدلة بالحركة السكون وبالنطق السكوت ثم نادى الى امرهم بالاتعاظ بتلك الهيئة وخفوت الاطراف وسكون
الاطراف بالموت وقوله فانه اوعظ للمعتبرين من النطق البليغ صادق الحسن والفصاحة كلام حق فان الطباع اكثر انفعالا واعتبارا عن مشاهدة
ما فيه العبرة من الوصف له بالقول المسموع ولو بلغ عبارته ثم اخذ في توديعهم فقوله وداعيكم انشاء الاحب وقوله وداع امرئ مرصد
للتلاقي اي معد ومهيئا للقاء الله وقوله غدا ترون ايامي الى اخره تذكير لهم بفضيلته وتنبيه عليها لينبعث منهم على اتباعه والنافلون
عن فضله ومحله بينهم اذا فارقهم وولي امرهم الظالمون بعده فلا بد ان ينكشف لهم ما كان مغطى عن اعين بصائرهم من لزومه القصد في سبيل
الله ويعرفون من انه وفضله حين مشاهدة المنكرات ممن يقوم مقامه خلفا في الناس وان وقفا تعرجه وحرصه على هذا الامر لم يكن
لنيل دنيا الا لاقامة سنن العدل ورضا الله تعالى **ومن خطبة له عليه السلام** يومي فيها الى الملاحم وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمالاً طَعْناً فِي
مَسالِكِ الْغَيِّ وَتَرْكاً لِمَذاهِبِ الرُّشْدِ فَلا تَسْتَعْجِلُوا ما هُوَ كائِنٌ مُرْصَدٌ وَلا تَسْتَبْطِئُوا ما يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِما إِنْ أَدْرَكَهُ
وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ وَما أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَباشِيرِ غَدٍ يا قَوْمِ هذا إِبّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ وَدُنُوٍّ مِنْ طَلْعَةِ ما لا تَعْرِفُونَ أَلا وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَها مِنّا

بخطه

كمن فلا ذم لحقكم الآن نشردوا اي تفرقوا فما انتم عليه ثم الآن كان نظامهم بلزوم امر

وصف فئة ضالة

يسرى فيها بسراج منير يحتذونها على مثال الصالحين ليحل فيها ربقا وتعتق رقا وتصدع شعبا وتشعب صدعا فى سترة عن الناس لا يبصر القائف اثره ولو تابع نظره ثم ليشحذن فيها قوم شحذ القين النصل تجلى بالتنزيل ابصارهم ويرمى بالتفسير فى مسامعهم ويغبقون كاس الحكمة بعد الصبوح **اقول** اثان النبى بكسر الهمزة وتشديد الباء وفتحها الربق بكسر الراء وسكون الباء حبل فيه عدة عرى يشد به البهم والصدع الشق والشعب صلاحه والشحذ التحديد والقين الحداد والغبوق الشرب بالعشى والصبوح الشرب بالغداة فقوله واخذوا يمينا وشمالا الى قوله الرشد اشارة الى من ضل من فرق الاسلام عن طريق الهدى التى عليها الكتاب والسنة وسلكوا طرفى الافراط والتفريط منها كما قال ع فيما قبل اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هى الجادة وقد سبق تفسير تلك مستوفى ومسالك الغى اطراف الرذائل من الفضائل التى عددناها كالحكمة والعفة والشجاعة والعدالة وما تحتها ومذاهب الرشد هى تلك الفضائل وطعنا وتركا مصدران قاما مقام الحال وقوله فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد فتلك الاستعجال اشارة الى ما كانوا فيه يتوقعونه من الفتن التى اخبر الرسول ص من وقوعها فى المستقبل وكانوا فى اكثر الوقت يسألونه عنها فقال لا تستعجلوا ما هو كائن اى لا بد من وقوعه وهو مرصد معد ولا تستبطئوا ما يجئ به الغد اى من الفتن والوقايع وقوله فكم من مستعجل الى قوله لم يدركه ذم للاستعجال والاستبطاء لهذا المدعو كقوله عسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وما اقرب اليوم من تباشير غد اى من البشرى بعد كقوله غد ما غد ما اقرب اليوم من غد وكقوله وان غدا للناظرين قريب ثم اخذ فى تقريب ذلك الموعود من الفتن فقال هذا ابان كل موعود يريدون دنو ظهور ما لا تعرفون من تلك الامور بالتفصيل وقوله الا وان من ادركها منا اى من ادرك تلك الفتن من اهل بيته الائمة الاطهار يسرى فيها بسراج منير واستعار لفظ السراج لكمال نفسه التى استضاء بها فى طريق الله من العلوم والاخلاق الفاضلة ولفظ المنير ترشيح وهو اخبار عن معرفة الحق وتميزه من الباطل وان تلك الفتن لا توقع له شبهة ولا تأثير لها فى عقيدته الصادقة الصافية بل يتصرف فيها منقادا لانوار الله على صراط المستقيم لا يلويه عنه ملو بل يقتفى فيه اثر ابائه من الصالحين ويلزم مكارم الاخلاق فيحل ما انعقد فيها واشكل على الناس من الشبه ويطلق ربق الشك من اعناق نفوسهم او يفك فيها الاسير فيطلق اسرهم ويعتقهم ويصدع ما انشعب والتام من ضلال يمكنه صدعه ويشعب ما انصدع من امر الدين ما امكنه شعبه فى سترة عن الناس لا يبصر القائف اثره ولو تابع اليه نظره وما زالت ائمة اهل البيت عليهم السلم معروفين فى الناس لا يعرفهم الا من عرفوه انفسهم حتى لو تعرفهم من لا يريدون معرفته لهم لم يعرفهم ولست اقول لم يعرفوا اشخاصهم بل لا يعرفون انهم اهل الحق والاحقون بالامر وقوله ثم ليشحذن فيها قوم اى فى اثناء ما يأتى تشحذ اذهان قوم وتعد لقبول العلوم والحكمة كما يشحذ الحداد النصل ولفظ الشحذ مستعار لاعداد الاذهان ووجه الاستعارة الاشتراك فى الاعداد التام النافع وهو مصوغ فى مسائل الحكمة والعلوم كمضى النصل فيما يقطع به وهو وجه التشبيه المذكور ثم اخذ فى تفسير ذلك الشحذ والاعداد فقال تجلى بالتنزيل ابصارهم اى بتعلم القرآن الكريم وحفظه ومدارسته وتدبره ابصار بصائرهم لادراك الحكمة واسرار العلوم وذلك ان التنزيل الالهى عليها ويرمى بالتفسير فى مسامعهم اى يلقى اليهم تفسيره على وجهه من امام الوقت ثم عبر عن اخذهم الحكمة ومواظبتهم على تلقفها بعد استعدادهم لها بالغبوق والصبوح ولفظ الصبوح والغبوق مستعاران لكونهما حقيقيين فى الشرب المخصوص المحسوس وهؤلاء المشار اليهم بالاستعداد للحكمة واخذها هم علماء الامة من حاء منهم قبلنا ومن فى آخر الزمان من المتبعين لكمالات النفوس السالكين لسبيل الله المرتضين فى نظره ونظر الائمة من ولده بعده **منها** وطال الامد بهم ليستكملوا الخزى ويستوجبوا الغير حتى اذا اخلولق الاجل واستراح قوم الى الفتن واشتالوا عن لقاح حربهم لم يمنوا على الله بالصبر ولم يستعظموا بذل انفسهم فى الحق حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء حملوا بصائرهم على اسيافهم ودانوا لربهم بامر واعظهم حتى اذا قبض الله رسوله ص رجع قوم على الاعقاب وغالتهم السبل واتكلوا على الولائج ووصلوا غير الرحم وهجروا السبب الذى امروا بمودته ونقلوا البناء عن رص اساسه فبنوه فى غير موضعه معادن كل خطيئة وابواب كل ضارب فى غمرة قد ماروا فى الحيرة وذهلوا فى السكرة على سنة من آل فرعون من منقطع الى الدنيا راكن او مفارق للدين مباين **اقول** الامد الوقت والاشتيال الرفع والوليجة البطانة وهى خاصة الرجل من اهله وعشيرته ورص الاساس احكامه ما نوا عرفوا وهذا الفصل يستدعى كلاما منقطعا قبله لم يذكره الرضى ره قد وصف فيه فئة ضالة قد استولت وملكت واملى لها الله سبحانه وتعالى بطال الامد بهم ليستكملوا الخزى كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وقوله حتى اذا اخلولق الاجل اى صار خلقا وهو كناية عن بلوغهم غاية مدتهم المكتوبة بقلم القضاء الالهى فى اللوح المحفوظ وقوله واستراح قوم الى الفتن اشارة الى من يعتزل الوقائع التى ستقع فى آخر الزمان من شيعة الحق وانصارهم ومن يستريح اليها اى يجعل فى اشتغال القوم بعضهم ببعض راحة له فى الانقطاع والعزلة والخمول واشتيالهم عن لقاح حربهم رفعهم لانفسهم عن الخوض فيها واستعار لفظ اللقاح بفتح اللام لاثارة الحرب بملاحظة شبهها بالناقة وقوله لم يمنوا جواب قوله حتى اذا اخلولق والضمير فى يمنوا قال بعض الشارحين انه عائد الى العارفين الذين تقدم ذكرهم فى الفصل السابق بقوله حتى اذا الفى هؤلاء السلم الى هذه الفئة الضالة عجزوا واستراحوا من منابذتهم الى فتنهم منهم نهض الله اولئك الذين حضهم بحكمته واطلعهم على اسرار العلوم فنهضوا ولم

في وصف فئة ضالة ومآلها

يمنوا على الله تعالى بالصبر في طاعته وفي نوائبه بالنصر اي بنصرهم له ولم يستعظموا ما بذلوه من نفوسهم في طلب الحق حتى اذا وافق القدر الذي هو وارد
القضاء وتفصيله لانقطاع مدة هذه الفتنة وارتفاع ما كان يشمل الخلق من بلائها حمل هؤلاء العارفون بصائرهم على اسيافهم وهو معنى
لطيف يريد انهم اظهروا عقائدهم وقلوبهم للناس وكشفوها وجردوها مع تجريد سيوفهم فكانهم حملوها على سيوفهم فترى في غاية الجلاء والظهور
كما ترى السيوف المجردة ومنهم من قال اراد بالبصائر جمع بصيرة وهي الدم فكانه اراد طلبوا ثارهم والدماء التي سفكها اهل الفتنة فكانت
تلك الدماء المطلوب ثارها محمولة على اسيافهم المجردة للحرب واشار بواعظهم الى الامام القائم واقول يحتمل ان يريد بالضمير في يمنوا وما
بعده القوم الذين اسرهم احوال الفتنة واشتاقوا الى لقاح الحرب في ذلك ثم لم يفعلوا ذلك الا لانه لم يؤذن لهم في القيام حين اسرهم
والقائم السابق لهذه الفتنة ولم يتمكنوا من مقاومتهم لعدم قيام القائم بالامر فكانوا حينئذ مسالمين صابرين على مضض من الم المكر الذي
يشاهدونه غير مستعظمين لبذل انفسهم في نصرة الحق لو ظهر من يكون لهم ظهيرا ويجاوزون الصبر حتى اذا ورد القضاء الالهي بانقطاع مدة
بلاء هذه الفتنة وظهور من يقوم بنصر الحق ودعا اليه حمل هؤلاء بصائرهم على اسيافهم وقاموا لربهم بامر من يقوم فيهم واعظا ومخوفا
وداعيا وهذا الحمل يرجحه عود الضمير الى الاقرب وهم القوم وقوله حتى اذا قبض الله رسوله الى اخره هذا الفصل منقطع عما قبله لانه
صريح ذكر غاية الانفصال عن حال حيوة الرسول صلى الله عليه وآله وحال الناس قبله وبعده ومعه ولعل في الكلام المتقدم شيء من ذلك اللهم الا
ان يحمل من طال الامد بهم في الكلام المتقدم على من كان من اهل الضلال قبل الاسلام حتى اذا اخلولق اجلهم واستراح قوم منهم
الى الفتن والوقايع بالنهب والغارة واشتاقوا الى لقاح حربهم اي عدوا انفسهم لها كما تعد الناقة نفسها بتشول ذنبها للقاح فاذاه
ب فعمروا ثم سالموا ويكون الضمير في قوله لم يمنوا راجعا الى المذكورين للصحابة في هذه الخطبة حين قام الرسول صلى الله عليه وآله فيهم وفيهم الجهاد ولم
يمنوا على الله بصبرهم معه ولا في نصرة الحق ولم يستعظموا بذل انفسهم له حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء بدولة الجاهلية
والكفر حمل هؤلاء الذين لم يمنوا على الله بصبرهم بصائرهم اي ما كانوا يخفونه من الاسلام في اوله على سيوفهم اي كشفوا عقائدهم
كما سبق القول فيه ودانوا لربهم وثاروا بهم من الكفار ودانوا لربهم بامر واعظهم وهو الرسول صلى الله عليه وآله ويصلح قوله حتى اذا قبض الله رسوله غاية
لذلك الكلام على هذا التاويل وقوله رجع قوم على الاعقاب الى اخره اما على المذاهب الامامية فاشارة الى عدول الصحابة بالخلافة
عنه وعن اهل بيته الى الخلفاء الثلاثة واما على مذهب من صحح امامة الخلفاء الثلاثة فيحتمل ان يريد بالقوم الراجعين على الاعقاب
من خرج عليه في زمن خلافته من الصحابة كمعاوية وطلحة والزبير وغيرهم وزعموا ان غيره احق بها منه ومن اولاده والرجوع على الاعقاب
كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الانقياد للشريعة واوامر الله ورسوله ووصيته باهل بيته وغيلة السبل لهم كناية عن اشتباه طرق الباطل
بالحق واستراق طرق الباطل لهم واهلاكها اياهم وهي الشبه المستلزمة للاراء الفاسدة كما يقال في العرف اخذته الطريق الى مضيق وهي
مجاز في المفرد والمركب اما في المفرد فلان سلوكهم لسبيل الباطل لما كان عن غير علم منهم بكونه باطلا ناسب الغيلة فاطلق عليه لفظها واما
في المركب فلان اسناد الغيلة الى السبل ليس حقيقة اذ الغيلة من فعل العقلاء واتكالهم على الولائج اعتماد كل من راى منهم رايا فاسدا
على اهله وخواصه في نصرة ذلك الراي ووصلوا غير الرحم اي غير الرسول صلى الله عليه وآله وتركهم السبب الذي امروا
بمودته ولزومه وهم اهل البيت عليهم السلام وتلك كونهم سببا لمن اهتدى بهم في الوصول الى الله سبحانه قال الرسول صلى الله عليه وآله خلفت فيكم الثقلين كتاب
الله وعترتي اهل بيتي حبلان ممدودان من السماء الى الارض لن يفترقا حتى يردا على الحوض واستعار لهم لفظ الحبل والسبب في اللغة
الحبل وامرهم بمودتهم كما في قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقوله ونقلوا البناء عن رص اساسه فبنوه في غير موضعه
اشارة الى العدول بامر الخلافة عنه وعن اهل بيته الى غيرهم وصلة غير الرحم خروج عن فضيلة العدالة الى رذيلة الظلم وعدم مودة
اولى القربى رذيلة التفريط من تلك الفضيلة الداخلة تحت العفة وكذلك نقل البناء عن موضعه دخول في رذيلة الظلم ثم وصفهم وصفا
اجماليا بكونهم معادن كل خطيئة اي انهم مستعدون لفعل كل خطيئة ومهيئون لها فهم مظانها ولفظ المعادن استعارة وكذلك
ابواب كل ضارب في غمرة واستعار لفظ الابواب لهم باعتبار ان كل من دخل في غمرة جهالة او شبهة يثير بها فتنة واستعان بهم فتحوا
له ذلك الباب وساعدوه وحسنوا له رايه به فكانهم بذلك ابواب الى مراده الباطل يدخل منها وقوله قد ماروا في الحيرة اي
ترددوا في امرهم فهم حائرون لا يعرفون جهة الحق فيقصدونه وذهلوا اي غابت اذهانهم في سكرة الجهل فهم على سنة من ال فرعون
وطريقته وانما ذكر السنة لانه يريد بها مشابهتهم في بعض طرائقهم وال فرعون اتباعه وقوله من منقطع الى الدنيا الى اخره تفصيل
لهم باعتبار كونهم على سنة من ال فرعون فمنهم المنقطع الى الدنيا المنهمك في لذاتها المكب على تحصيلها ومنهم المفارق للدين المباين
له طالما يكن له دينا والمنفصلة مانعة الخلو بالنسبة الى المشار اليهم ويحتمل ان يريد مانعة الجمع ويشير بمفارق الدين الى من ليس
براكن الى الدنيا كالكثير ممن يدعي الزهد مع كونه جاهلا بالطريق فتراه يتقشف من الدنيا ويحسب انه على شيء مع انه جاهل بكيفية
سلوك سبيل الله يعتقده شيئا وشيئا الا عنها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** واستعينه على مداحر الشيطان ومزاجره

في الاستعانة بالله في ما يدحر الشيطان

٢٠

والاعتصام من حبائله ومحاتله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونجيبه وصفوته، لا يوازى فضله ولا يجبر فقده، أضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة والجهالة الغالبة والجفوة الجافية، والناس يستحلون الحريم ويستذلون الحليم، يحيون على فترة ويموتون على كفرة. ثم إنكم معشر العرب أغراض بلايا قد اقتربت، فاتقوا سكرات النعمة واحذروا بوائق النقمة، وتثبتوا في قتام العشوة واعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها وظهور كمينها وانتصاب قطبها ومدار رحاها، تبدو في مدارج خفية وتؤول إلى فظاعة جلية، شبابها كشباب الغلام وآثارها كآثار السلام، تتوارثها الظلمة بالعهود، أولهم قائد لآخرهم وآخرهم مقتد بأولهم، يتنافسون في دنيا دنية ويتكالبون على جيفة مريحة، وعن قليل يتبرأ التابع من المتبوع والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء، ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف والقاصمة الزحوف، فتزيغ قلوب بعد استقامة وتضل رجال بعد سلامة، وتختلف الأهواء عند هجومها وتلتبس الآراء عند نجومها، من أشرف لها قصمته ومن سعى فيها حطمته، يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة، قد اضطرب معقود الحبل وعمي وجه الأمر، تغيض فيها الحكمة وتنطق فيها الظلمة، وتدق أهل البدو بمسحلها وترضهم بكلكلها، يضيع في غبارها الوحدان ويهلك في طريقها الركبان، ترد بمر القضاء وتحلب عبيط الدماء، وتثلم منار الدين وتنقض عقد اليقين، تهرب منها الأكياس وتدبرها الأرجاس، مرعاد مبراق كاشفة عن ساق، تقطع فيها الأرحام ويفارق عليها الإسلام، بريها سقيم وظاعنها مقيم.

أقول: المداحر جمع مدحر وهي الأمور التي يدحر بها أي يطرد، ومحاتله محال غروره التي يحتال بها على الناس ويوهمهم أنها نافعة، والبوائق جمع بائقة وهي الداهية، والقتام بفتح القاف الغبار، والعشوة بكسر العين الأمر الملتبس يركبه الإنسان على غير بيان ووضوح، والفظاعة مجاوزة الأمر الشديد الحد والمقدار، والسلام بكسر السين الحجارة الصم واحدها سلمة بكسر اللام، والمريحة المنتنة، ويتزايلون يتفارقون، ونجومها طلوعها، وأشرف لها أي انتصب لدفعها، والتكادم التعاض بأدنى الفم، والعانة القطيع من حمر الوحش، والمسحل المبرد، والمسحل أيضاً طرف شكيمة اللجام المدخلة في فم الفرس، والوحدان جمع واحد، والعبيط الخالص الطري. وصدر هذا الفصل بالاستعانة بالله تعالى على ما يدحر الشيطان ويزجر به، وذلك هو العبادات والأعمال الصالحة المستلزمة لطرده وزجره، وبطلب العون على الاعتصام من حبائله وهي الشهوات واللذات الدنيوية، واستعار لها لفظ الحبائل وهي أشراك الصائد لمشابهتها إياها في استلزام الحصول فيها للبعد عن الله واستلزامه الحصول في العذاب. ومن مادح الرسول صلى الله عليه وآله كونه نجيباً لله أي مختاراً، وروي نجيبه وصفوته له من خلقه، لا يوازى فضله أي لا يحصل مثله في أحد إذ كان كماله في قوتيه النظرية والعملية غير متمثل لأحد من الخلق، ومن كان كذلك لم يجبر فقده لاستحالة قيام مثله من الناس وإن لا مثل له فيهم فلا جبران لفقده. وقوله: أضاءت به البلاد بعد الضلالة، أي ضلالة الكفر، ووصفها بالظلمة لعدم الاهتداء فيها للحق، والوصف مستعار، وكذلك وصف الإضاءة به مستعار لاهتداء الخلق به في معاشهم ومعادهم، وإسناد الإضاءة إلى البلاد مجاز، والجهالة الغالبة على أكثر الخلق وإرادة الجهل بالطريق إلى الله تعالى وبكيفية نظام المعاش بما بينه هو، وكشف دثر بعينه، والجفوة الجافية يريد غلظة العرب وما كانوا عليه من قساوة القلوب وسفك الدماء، ووصفها بما اشتق منها مبالغة في تأكيدها، وأراد بالجفوة القوية، والناس يستحلون الحريم الواو للحال والعامل أضاءت، ويستذلون الحليم من عادة العرب إلى الآن استذلال من يعقل منهم ويحلم عن الغارة والنهب وإثارة الفتن واستهضامه ونسبته إلى الجبن والضعف، ويحيون على فترة، أي على حالة انقطاع الوحي والرسل، وتلك حال انقطاع الخير وموت النفوس بداء الجهل، ويموتون على كفرة، وهي الفعلة من الكفر لا على كل فترة حيث لا هادي لهم، ثم أخذ في إنذار السامعين باقتراب حوادث الوقائع المستقبلة التي يرمون بها كما يرمى الغرض بالسهام، واستعار لفظ الغرض لهم. ولما كانت الحادثات كثيرة مبيرة لقوم وإهلاكهم مثلاً بحسب عدد دهم لذلك كان أكبر الأسباب المعدة لها هي الغفلة عن ذكر الله بالانهماك في نعم الدنيا ولذاتها، استعار للغفلات لفظ السكرات، ثم أمر باتقائها وحذر من بوائق النقمات بسبب كفران النعم، ثم أمر بالتثبت والتبين على الروايتين عند اشتباه الأمور عليهم وظهور الشبهة المثيرة للفتن كشبهة قتل عثمان التي نشأت منها وقائع الجمل وصفين والخوارج، واستعار لفظ القتام لذلك الأمر المشتبه، ووجه المشابهة كون ذلك الأمر مما لا يهتدى فيه كما لا يهتدى القائم في القتام عند ظهوره ونهوضه، واعوجاج الفتنة إتيانها على غير وجهها، ولفظ الجنين يحتمل أن يكون حقيقة، أي عند طلوع ما اجتن منها وخفي عليكم، وكذلك كمينها أي ما كمن منها، ويحتمل أن يكون استعارة، وعنى بقطبها من تدور عليه من البغاة المنافرين استعارة، والانتصاب قيامه لذلك الأمر، وكذلك استعار لفظ الرحى لها، ومدارها على من تدور عليه من انتصاب ذلك القطب وعسكره الذين تدور عليهم الفتنة، ثم أخبر أنها تبدأ في مدارج خفية وأراد بالمدارج مبادئها من تدبير القائم فيها وتعقده على ثارتها، وكان هذا إشارة إلى فتنة بني أمية فقد كان مبدؤها شبهة قتل عثمان ولم يكن أحد من الصحابة يتوهم حصول مثل هذه الفتنة، وإنما كانوا علموا من الرسول صلى الله عليه وآله حدوث وقائع وفتن غير معينة الأزمان ولا من يثيرها ويكون قطباً لها، فخفاء مداركها كتمان معاوية وطلحة والزبير وغيرهم لأمورهم وما عزموا عليه من إقامة الفتنة والطمع في الملك والخلافة، ولذلك قال: تبدو في مدارج خفية وتؤول إلى فظاعة جلية، وهي الطمع إلى الأمور الفظيعة الواضحة بعد الخفاء، واستعار لفظ الشباب لقيامها وظهورها في الناس، ووجه المشابهة السرعة في الظهور، ولذلك أكده بالتشبيه

في الاستعانة بالله

ذلك الظهور وتشبيه العلامة اي في السرعة ومع سرعتها لها آثار في هدم الاسلام كآثار الحجارة الصلبة في الجلد ووجه الشبه اشتدادها اللين وانقطاع المسلمين
كانشقاق الحجر مما يقع عليه بالرض والكسر واشار بالظلمة التي يتوارثونها الى بني امية بعهد الاول منهم الى آخرهم وذكر توريث اولهم لآخرهم الى الدنيا والدخول
في الظلم والضلالة واثارة تلك الفتن واستعار لفظ القود لهيئة الاول منهم اسباب الملك لمن بعده واقتداء آخرهم باولهم في ذلك وضمير المفعول
في يتوارثونها يرجع الى تلك الفتنة ثم اشار الى صفة حالهم في اثارة تلك الفتن وتوارثها وهي انما فتنة في الدنيا الدنية في نظر العقلاء و
استعار لفظ التكالب لتجاذب بعضهم لبعض عليها كالتجاذب بين الكلاب على الميتة واستعار لها لفظ الجيفة ورشح بذكر المرجم للتنفير عنها
ووجه كونها مستقذرة لا ذي طالبها مهروبا منها للعقلاء كالهرب من الجيفة المنتنة والانزواء عنها ثم اخبر بانقضائها عن قليل وكنى عن ذلك
بتبرؤ التابع من المتبوع والقائد من المقود اي يتبرأ كل من الفريقين من الآخر كما قال تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقوله وقالوا
ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا وذلك التبرؤ وقيل عند ظهور الدولة العباسية فان العادة جارية بتبرؤ الناس من الولاة
المعزولين خصوصا عند الخوف ممن تولى عزل اولئك وقتلهم فيتباينون بالبغضاء اذ لم تكن الفتهم ومحبتهم الا لغرض دنيوي زائل و
يتلاعنون عند اللقاء وقيل ذلك يوم القيامة وقوله عن قليل الى قوله عند اللقاء جملة اعتراضية مؤكدة بها معنى تعجبه منهم فكانه قال انهم
على تكالبهم عليها عن قليل يتبرأ بعضهم من بعض وذلك داع لهم الى ترك التكالب عليها وقوله ثم ياتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف وكان
هذه الفتنة هي فتنة التتار اذ البادرة فيها على العرب وقال بعض الشارحين بل ذلك اشارة الى الملحمة الكائنة في آخر الزمان كفتنة الدجال
وكنى عن اهوالها واضطراب امر الاسلام فيها بكونها رجوفا اي كثيرة الرجف وطالعها مقدماتها واوائلها وكنى بقصمها عن اهلاك
الخلق فيها واستعار لها لفظ الزحوف ملاحظة لشبهها بالرجل الشجاع كثير الزحف في الحرب الى اقرانه اي يمشي اليهم قدما ثم شرع في بيان
افعال تلك الفتنة بالناس من ازاغة قلوب قوم عن سبيل الله تعالى بعد استقامتها عليه وضلال رجال اي هلاكهم في الآخرة بالمعاصي
بعد سلامة منها واختلاف الاهواء عند ارادة الله هجومها والتباس الآراء الصحيحة بالفاسدة على الناس فلا يعرفون وجه المصلحة من غيره من
يطلع الى مقاومتها وسعى في دفعها هلك واستعار لفظ التكادم اما لمغالبة مثيري هذه الفتنة بعضهم لبعض ومغالبتهم لغيرهم وشبه ذلك
بتكادم الحمر في العانة ووجه التشبيه المغالبة مع الاباء اي خلعهم ربق التكليف من اعناقهم وكثرة غفلتهم عما يراد بهم في الآخرة واستعار الحبل
لما كان ابرم من دولة الاسلام واستعار لفظ الحبل للدين وكنى باضطرابه عن عدم استقرار قواعد الدين عند ظهور اول هذه الفتنة وعمى
وجه هذا الامر اي عدم الاهتداء الى وجه المصلحة واشار بالحكمة التي تغيض فيها الى الحكمة الخلقية التي عليها مدار الشريعة وتغيضها واستعار لفظ
الغيض لعدم ظهورها والانتفاع بها وينطق فيها الظلمة بالامر والنهي وما يقتضيه آراؤهم الخارجة عن العدل واستعار لفظ المسحل لما تؤذى به العرب
واهل البادية ووجه المشابهة اشتراك المبرد وشكيمة اللجام وما تؤذى به العرب من هذه الفتنة في الايذاء فكانها شجاع ساق عليهم فدقهم بشكيمة
فرسه او نحو ذلك وكذلك استعار لفظ الكلكل لما يلقاهم من البلاء منها ملاحظة لشبهها بالناقة تبرك على الشيء فتسحقه وقوله يضيع في غبارها
الوحدان ويهلك في طريقها الركبان كناية عن عظمها اي لا يقاومها احد ولا يخلص منها الوحدان ولا الركبان ولفظ الغبار مستعار للقليل اليسير
من حركة اهلها اي ان القليل من الناس اذا ارادوا دفعها هلكوا في غبارها من دون ان يدخلوا في غمارها واما الركبان فكنى بهم عن الكثير من
الناس فانهم يهلكون في طريقها وعند خوضها وقيل اراد بالوحدان فضلاء الوقت اذ يقال فلان واحد وقته وبالغبار الشبهة التي تغطي الحق
عن اعينهم ويكون الركبان كناية عن الجماعة اهل القوة واذا كان هؤلاء يهلكون في طريقها اي عند الخوض لعزلتها فكيف بغيرهم وكنى بمرها بقضائها
عن القتل والاسر ونحوهما وظاهر كون الواردات الموذية الثابتة واردة عن القضاء الالهي معلومة الكون وكذلك استعار وصف الحلب لها ملاحظة
لشبهها بالناقة وكنى بثلمها عن سقط الدعاة فيها ومنار الدين اعلامه وهم علماؤه ويحتمل ان يريد قوانينه الكلية وثلمها عبارة عن قتل العلماء
وهدم قواعد الدين وترك العمل به وعقد اليقين هو الاعتقاد الموصل الى علم اليقين والى عين اليقين وهو اعتقاد الشريعة وايصاله الى
جوار الله تعالى والقرب منه ونقضه هو ترك العمل على وفقه ونبذه والاكياس الهاربون منها هم العلماء واهل العقول السليمة وكل هذه الاشارات
معلومة من فتنة من ذكرنا وظاهر كونهم ارجاسا لنفوس يرجس الشيطان انجاسها بالهيئات البدنية والملكات الرديئة انجاس لا بد ان يحكم
الشريعة وكنى عن شدتها وكونها محل المخاوف بوصفي المرعاد والمبراق مستعارين ملاحظة لشبهها بالسحابة كثيرة البرق والرعد وبوصف
كشفها عن ساق عن اقبالها مجردة كالمشمر للحرب ولا رحمة وظاهر كونها ينقطع منه الارحام ويفارق عليها الاسلام واشار ببريها الى من يتنفل في
هذه الدولة انه ذو صلاح برئ من المعاصي والآثام مع كونه ليس كذلك اذ من الظاهر ان السالم في هذه الفتنة من عصمه الله قليل بل اقل من القليل
ولعله عند الاستقراء لا يوجد واشار بظاعنها الى من يعتقد انه متخلف عنها وغير داخل فيها وظاهر كونه غير منحرف عنها ويحتمل ان يريد بالظاعن من
ارتحل عنها خوفا الا ينجو منها والله الموفق **منها** بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ يُخْتَلُونَ بِعَقْدِ الْأَيْمَانِ وَبِغُرُورِ الْإِيمَانِ فَلَا تَكُونُوا
أَنْصَابَ الْفِتَنِ وَأَعْلَامَ الْبِدَعِ وَالْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ وَاقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ وَلَا تَقْدَمُوا
عَلَيْهِ ظَالِمِينَ وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَةَ وَسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ

لُعَقَ الْحَرَامِ

عند ظهورها

معقودة

ومقتضى

على القدوم

اقول يقال

فيه أبحاث من العلم الإلهي

٢٠ ج

أقول يقال طلّ دم فلان فهو مطلول إذا أهدر وهم يطلبونه ويختلون يخدعون والعقود جمع عقد وهي اسم لما انعقد عليه المعتقد مرة فقوله بين قتيل إلى
قوله مستجير يريد به يكون صفة حال المتمسكين بالدين في زمان الفتنة الأولى وقوله يختلون إلى قوله بعقود الإيمان صفة حال أصحاب هؤلاء
المقتولين أي أنهم يخدعون بإعطاء الأقسام والعهود الكاذبة وذلك كخداع الحسين عليه السلام عن نفسه وأصحابه وروي يختلون بالبناء للفاعل
فيكونون وصف حال أهل الفتنة وأتباعهم ثم أخذ في نهي السامعين أن يكونوا أنصاراً للفتن التي يدركونها وأعلاماً للبدع أي رؤساء
لهم فيها ويقتدى بهم كما يشار إلى الأعلام البيّنة ويقتدى بها وفي الخبر كن في الفتنة كابن لبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب وقوله و
اقدموا على الله مظلومين ليس المراد منه الأمر بالانظلام فإن ذلك طرف التفريط من فضيلة العدالة وهي رذيلة بل المراد أنكم إذا كانت لكم مكنة
من الظلم فلا تظلموا ولو استلزم ترك الظلم انظلامكم وهو كسر للنفوس عن رذيلة الظلم خصوصاً نفوس العرب فإنها أكثر ميلاً إلى الظلم و
امنع عن قبول الانظلام والانفعال عن عدوان استلزم الظلم كما أشار إليه العربي ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومدارج الشيطان طرقه وهي الرذائل التي يجتنبها ويتفقدها وكذلك مهابط العدوان محالّه التي يهبط فيها وهي من طرق الشيطان أيضاً ولعق الحرام
كناية عن تناول ما يكتسبه الإنسان من الدنيا ومتاعها على غير الوجه الشرعي ونبّه باللعق على قلّتها وحقارتها بالنسبة إلى متاع الآخرة ونبّه على رجوع
الانتهاء وعمّا نهى عنه بقوله فإنكم بعين من حرّم عليكم إلى آخره يقال فلان من فلان بمرأى ومسمع وبعين منه إذا كان مطلعاً على أمره أي فإن الله
حرّم عليكم المعصية وأوجب عليكم طاعته مطّلع عليكم وعالم بما تفعلون وذلك ردع لهم من النهي المجرد ولفظ العين مجاز في العلم **ومن خطبة**
له عليه السلام الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على أزليته وباشتباههم على أن لا شبه له لا تستلمه المشاعر ولا تحجبه
السواتر لافتراق الصانع والمصنوع والحادّ والمحدود والرب والمربوب الأحد لا بتأويل عدد والخالق لا بمعنى حركة ونصب والسميع
لا بأداة والبصير لا بتفريق آلة والشاهد لا بمماسة والبائن لا بتراخي مسافة والظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة بان من الأشياء
بالقهر لها والقدرة عليها وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع إليه من وصفه فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه ومن عدّه فقد أبطل
أزله ومن قال كيف فقد استوصفه ومن قال أين فقد حيّزه عالم إذ لا معلوم ورب إذ لا مربوب وقادر إذ لا مقدور **أقول** المشاعر
الحواس إذ هي محل الشعور وحمد الله تعالى باعتبارات من أوصافه وفي الفصل أبحاث من العلم الإلهي الأول الإشارة إلى وجوده تعالى الواجب وللناس في
إثباته طريقان أحدهما إثبات وجوده بالنظر في نفس الوجود وقسمته إلى أقسامه ونقرر بهذه الطريقة أن يقال لا شك في وجود موجود
فذلك الموجود إن كان واجب الوجود فهو المطلوب وإن كان ممكناً افتقر إلى مؤثر بناء على أن العلة المحوجة إلى المؤثر هي الإمكان وذلك المؤثر
إن كان ممكناً افتقر إلى غيره ولزم الدور أو التسلسل وكلاهما باطلان أما الأول فلأنه لو افتقر كل واحد من الأمرين إلى الآخر باعتبار واحد لزم تقدم كل
منهما على المتقدم على نفسه فيلزم تقدمه على نفسه بمراتب وأما الثاني فلأنه لو كانت سلسلة من علل ومعلولات لا نهاية لها في الوجود لكانت
مجموعها ممكناً لافتقاره إلى الأجزاء التي هي غيره فمجموعها علة تامة فهي إما نفسه وهو محال بالبديهة أو أمر داخل فيه وهو باطل لأن العلة التامة
للمركب علة أولاً للأجزاء وإلا لتوقف على علة أجزائه فلم تكن علة تامة له بل هي مع علة أجزائه هف وإذا كانت علة المركب علة أولاً للأجزاء لزم أن يكون
كون ذلك الجزء المؤثر في المجموع مؤثراً في نفسه أولاً وفي علله السابقة فيلزم تقدمه على نفسه بمراتب غير متناهية وذلك باطل بالبديهة فبقي أن يكون
المؤثر في ذلك المجموع إما أمراً خارجاً عنه أو ما تركب من الداخل والخارج عنه لكن القسم الثاني أيضاً باطل لأن الداخل لما كان جزءاً من العلة المركبة
فله تقدم عليها فهي متقدمة على مجموع الممكنات فلما تقدم عليه وعلى أجزائه فجزؤها كذلك فله تقدم على نفسه وعلى علله وهو باطل فبقي الأول لكن
الموجود الخارج عن كل الممكنات لا يكون ممكناً بل واجب الوجود وهو المطلوب وهذه طريقة الإلهيين الذين يستدلون به على مخلوقاته ويسمونه
برهان اللم وأما الطريق الثانية فهي الاستدلال بالنظر في المخلوقات وطبائعها وإمكانها وتكثرها وقبولها للتغير والتركيب على مبادئها ثم على
المبدأ الأول جلت عظمته وهي طريقة الطبيعيين وهي التي أشار إليها عليه السلام بقوله الدال على وجوده بخلقه والمتكلمون فرعوا هذه الطريق إلى أربع طرق
أحدها أنهم استدلوا بحدوث هذه الذوات على إمكانها وبإمكانها على حاجتها إلى موجد ومؤثر وهي طريقة الأشعري وأبي الحسين البصري والثانية
من المتكلمين الثانية استدلوا بحدوث هذه الذوات فقط على وجود محدث لها من غير نظر إلى الإمكان فقالوا الأجسام محدثة وكل محدث محدث
والمقدمة الأولى استدلالية والثانية عند بعضهم بديهية الثالثة استدلالهم بإمكان الصفات وذلك أن بينوا أن الأجسام الفلكية والعنصرية
متماثلة ثم قالوا رأينا بعضها قد اختص بصفات ليست للآخر فذلك التخصيص ليس للجسمية ولا للوازمها وإلا لوجب في كل جسم ذلك ولا لعارض
من عوارضها لأن الكلام في تخصيص ذلك العارض كالكلام في الأول ويلزم التسلسل ولا للطبيعة كما يقول بعض الناس لأنها لا تفعل في المادة
البسيطة كالنطفة مثلاً فعلاً مختلفاً فبقي أن يكون ذلك التخصيص لمدبر حكيم وهو مرادنا بالصانع الرابعة الاستدلال بحدوث الصفات وهو
ظاهر وتقرير هذه الطرق ومثالها وعليها في الكتب الكلامية وينبغي أن يخص المتكلم قوله على وجوده بخلقه بالطريقة الأولى والثالثة فإنه جعل
الحدوث دليلاً على الأزلية البحث الثاني في أزليته وبيانه ما ذكره بقوله وبمحدث خلقه على أزليته ونقرر بهذه الدلالة أنه قد ثبت في
موضعه أن جميع المحدثات صادرة عن قدرته ومنتهية عنده فلو كان هو محدثاً لكان محدثاً لنفسه وهو باطل بالضرورة البحث الثالث أنه لا مثل

في العلم الإلهي وبعض صفات الله

لعدم الشبيه واليه الاشارة بقوله وباشتباههم على انه لا شبيه له واذا اشتباههم في الحاجة الى المؤثر والمدبر وتقرير هذه الطريق ان يقول انه
كان نعم غنيا عن المؤثر فلا شبيه له في الحاجة اليه لكن المقدم حق فالتالي مثله وقيل اراد اشتباههم في الجسمية والجنس والنوع والاشكال
والمقادير والالوان ونحو ذلك اذ ليس داخلا تحت جنس لبراءته عن التركيب المستلزم للامكان ولا تحت النوع لافتقاره في التخصيص بالعوارض
الى غيره ولا بذي مادة لاستلزامها التركيب ايضا فليس بذي شبيه في شيء من الامور المذكورة والاول اعم في التشبيه البحث الرابع ان
المشاعر لا تستلمه وبيانه ان استلام المشاعر مستلزم للجسمية وللاعراض القائمة بها واذ قد تنزه قدسه نعم عن الجسمية ولواحقها فقد
تنزه عن ادراك المشاعر ولمسها البحث الخامس ان السموات لا تحجبه وبيانه ان الحجاب والستر من لواحق ذي الحيز والجسمية واذ تنزه قدسه
عنها فقد تنزه عن الحجب والستر المحسوسين وقوله لافتراق الصانع والمصنوع الى قوله والمربوب تعليل راجع الى الجمل المتقدمة كلها
اي كان لكل من الصانع والمصنوع صفات تخصه ويتميز بها وهي التي يتبرء بها عن الاخر فالمحدودية والحدوث والاشتباه والملموسية
بالمشاعر والحجب بالستواتر من لواحق الامور الممكنة المصنوعة وما ينبغي لها ويليق بها والوجود الازلي الذي لا شبيه له المنزه عن المشاعر
والحجب والستواتر من لواحق الصانع الاول الواجب وهو الذي ينبغي له ويليق به وبعض ذلك ما سبق من صفات الممكنات واراد بالحاد
المحدود والنهايات وهو الصانع واعتبار الصانع غير اعتبار الرب لدخول المالكية في مفهوم الربوبية دون الصنع البحث السادس في وحدانيته
وقد سبق برهانها واراد بقوله ليس بمعنى العدد ان وحدانيته ليس بمعنى كونه مبدأ لكثرة معدودة كما يقال انه في اول العدد واحد وقد علمت
فيما سبق ان الواحد يقال بالاشتراك اللفظي على معان عدة عرفتها وعرفت اطلاق الواحد عليه نعم باي معنى هو وانه لا يجوز ان يكون مبدأ
للعدد بل هو نعم واحد بمعنى انه لا ثاني له في الوجود وبمعنى انه لا كثرة في ذاته بوجه لا ذهنا ولا خارجا وبمعنى انه لم يفته من كماله شيء بل كل
ما ينبغي ان يكون له فهو له بالذات والفعل البحث السابع في كونه نعم خالقا منزها عن الحركات والمتاعب وقد عرفت ايضا ذلك في الخطبة الاولى
وهو كونهما من لواحق الاجسام المنزه قدسه عنها البحث الثامن كونه سميعا لا باداة اي لا بسمع وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى البحث التاسع
كونه بصيرا لا بتفريق الالة وتفريقها اما عبارة عن نعت القوة الباصرة وتوزيعها على المبصرات وهذا المعنى على قول من جعل الابصار بالة
الشعاع الخارج من العين المتصل بسطح المرئي ظاهر فان توزيعه واضح من توزيع الالة على قول من يقول ان الادراك يحصل بانطباع صورة المرئي
في العين ومعنى التفريق على القول الثاني هو تقليب الحدقة وتوجيهها مرة الى هذا المبصر ومرة الى ذاك كما يقال فلان مفرق الهمة والخاطر
اذا وزع فكره على حفظ اشياء متباينة ومراعاتها كالعلم وتحصيل المال وظاهر تنزيهه نعم عن الابصار بالة الحس لكونها من توابع الجسمية ولواحقها
البحث العاشر كونه نعم شاهدا اي حاضرا لا بمماسة شيء والمراد تنزيهه في حضوره عن مماثلة حضور الجسماني المستلزم للقرب المستلزم لمماسة الاجسام
وتقاربها من اين فهو نعم الحاضر بعلمه عند كل شيء والشاهد لكل شيء من غير قرب ولا مماسة ولا اين مطلقا لتنزهه عن الجسمية ولواحقها
البحث الحادي عشر انه نعم مباين للاشياء لا بتراخي مسافة اي ان مباينته للاشياء ليست هي التميز بالوضع ولا الاين بل بذاته فقط وقد سبق
تقرير ذلك في الخطبة الاولى ايضا البحث الثاني عشر انه الظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة وذلك ان الظاهر من الاجسام ما كان منها مرئيا بحاسة
البصر والباطن منها ما كان لطيفا اما لصغر حجمه او لطافة قوامه كالهواء وظهوره نعم وبطونه منزه عن هاتين الكيفيتين وقد شرحنا هذين
الوصفين غير مرة البحث الثالث عشر كونه بائنا من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها الى قوله البينونة ذكر في بينونته نعم من مخلوقاته ما ينبغي له
من الصفات وفي بينونتها منه ما ينبغي لها فالذي ينبغي له كونه قاهرا لها غالبا عليها ومستوليا وكونه قادرا على ايجادها واعدامها والذي
ينبغي لها كونها خاضعة في ذل الامكان والحاجة لعزته وقهره وراجعة في وجودها وكمالاتها الى وجوده وبذلك حصل التباين بينها وبينه
البحث الرابع عشر تنزيهه عن الصفات الزائدة بالقياس الذي ذكره بقوله من وصفه فقد حده ومن حده فقد عده وقد تقرر هذا القياس بعينه في
الخطبة الاولى بانه نعم راى ابلغ تحقيق غير انه قال هناك ومن اشار اليه فقد حده وقال هاهنا ومن وصفه فقد حده لكن المراد بوصفه هنا هو
اشارة الوهم اليه واشتباه انه بكيفيات وصفات فيكون معنى العبارتين واحدا وقوله ومن عده فقد ابطل ازله اذ لما كان عده عبارة عن جعله
مبدأ لكثرة معدودة او عن كونه ذا اجزاء معدودة وكان ذلك من لواحق الممكنات والمحدثات الغير المستحقة للازلية بالذات لا جرم كان
من عده باحد الاعتبارين مبطلا لازله الذي يستحقه لذاته البحث الخامس عشر تنزيهه ان يسال عنه بكيف لانها سؤال عن الكيفية والصفة
وهو معنى قوله فقد استوصفه وقد بينا تنزيهه نعم عن الكيفيات والصفات البحث السادس عشر تنزيهه عن السؤال عنه باين وذلك لانها
سؤال عن الحيز والجهة اللذين هما من لواحق الاجسام وقد بينا تنزيهه نعم عن الجسمية وما ينبغي لها فليس هو سبحانه في مكان وهو في كل
مكان بعلمه واحاطته البحث السابع عشر كونه نعم عالما اذ لا معلوم الى قوله مقدور وقد علمت معنى علمه وربوبيته وقدرته وعلمت ان
الاشارة باذ الى اعتبار تقدمه بذاته على معلوماته ومعلولاته وقطع النظر عنها عند ذلك الاعتبار انه لا معلوم في الوجود سوى ذاته اذ انه ولا مربوب
ولا مقدور موجود هناك بل هي ولحقيقة التاخر عن ذلك الاعتبار سواء كانت بعد ذلك محدثة كلها كما عليه المتكلمون او بعضها كما عليه
الاوائل والله الموفق والغرض هاهنا قد طلع طالع ولمع لامع ولاح لائح واعتدل مائل واستبدل الله بقوم قوما وبيوم يوما

في وحدة الصانع

وانتظارنا

وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر وتمام الائمة قوام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من
انكرهم وانكروه ان الله قد خصكم بالاسلام واستخلصكم له فذلك لانه اسم سلامة وجماع كرامة اصطفى الله منهجه وبين حججه من ظاهر
علم وباطن حكم لا تفنى غرائبه ولا تنقضي عجائبه فيه مرابيع النعم ومصابيح الظلم لا تفتح الخيرات الا بمفاتيحه ولا تكشف الظلمات
الا بمصابيحه قد احمى حماه وارعى مرعاه فيه شفاء المشتفي وكفاية المكتفي **اقول** العرفاء جمع عريف وهو النقيب وهو دون الرئيس
واشار بطلوع الطالع الى ظهور الامر والخلافة عليه وانتقالها اليه وبلوغ اللامع الى ظهوره اما من حيث هو حق له وسطوع انوار العدل بينها
اليه وبلوح اللائح الى ما يجيء من انتقالها اليه من الفتن والحروب الموعودة التي لاحت اماراتها يومئذ وقال بعض الشارحين المراد بالثلثة
معنى واحد وهو انتقال الخلافة اليه فقوله واعتدل مائل فالمائل الخلافة فيمن كان قبله في نظره اذ كان يعتقد انه اولى بها وان
العدل ان يكون فيه واعتدال تلك المائل بانتقالها اليه واستبدل الله بقوم اي من سبق عليه قوما اي موالينا تبعوه وبيوم يوما كنا
عن زمانهم وقوله وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر اشارة الى ما كان يتوقعه من انتقال هذا الامر اليه واراد بالغير تغيرات الدهر و [بزمانهم]
تقلبات الاحوال فان قلت اليس هو المطلق للدنيا فاين هذا القول من طلاقها ثلثا قلت انه طلقها من حيث هي دنيا ولم يردها لذاتها
ولم يطلقها من حيث يعمر بها الاخرة بانكار المنكرات واظهار العدل واقامة عمود الدين وحراسته فان طلبه لها انما كان لذلك كما
سبق في قوله لابن عباس بذي قار وهو يخصف نعله وشبه انتظاره للغير بانتظار المجدب للمطر ووجه الشبه شدة التوقع واشتياق
ويمكن ان يلاحظ في وجه الشبه لواحق الامرين المنتظرين اذ من لواحق ما انتظره هو عن الغير وانتقال الامر اليه شمول العدل وظهور
الحق في موارده المشبه لوقع المطر في الارض المجدبة واستلزامه للخير والبركة ثم شرع في تعريف حال الائمة وما نصبوا له وقوله لا يدخل
الجنة الا من عرفهم وعرفوه معناه ان اهل كل عصر لا يدخلون الجنة الا بمعرفة امامهم ومعرفته لهم واراد الائمة من ولده عليهم السلام ومعرفتهم
معرفة حقهم ولانهم وصدق امامتهم وبيان الحصر من وجهين احدهما ان دخول الجنة لا يمكن لاحد من هذه الامة الا باتباع الشريعة
ولزوم العمل بها ولا يمكن الا بمعرفتها ومعرفة كيفية العمل بها ولا يمكن ذلك الا ببيان صاحب الشريعة والقائم بها وارشاده وتعليمه
وذلك لا يمكن الا بمعرفة المأموم للامام وحقية امامته وصدقه ولانه لزوم معرفة الامام للمأموم ليهديه فاذن دخول الجنة مستلزم لمعرفة
الامام للمأمومين ومعرفتهم له الثاني ان معرفة هؤلاء الائمة على ابيه كما هو المشهور المنقول عنه ومعرفة حقية امامتهم وصدق ولانهم
ركن من اركان الدين فلا يدخل الجنة الا من اقر به ومن عرفهم كذلك وجبت معرفتهم له بذلك فان قلت فنحن نرى كثيرا من شيعة هؤلاء
الائمة ومحبيهم لا تعرفهم الائمة ولا يرون اشخاصهم قلت لا يشترط في معرفتهم لمحبيهم ومعرفة محبيهم لهم المعرفة الشخصية العينية بل الشرط
المعرفة على وجه كلي وهو ان يعلموا ان كل من اعتقد حق امامتهم واهتدى بما انتشر من هدايتهم فهو ولي لهم ومقيم لهذا الركن من الدين فيكونوا
عارفين بمن يتولاهم على هذا الوجه ومن يتولاهم عارفا بهم لمعرفة حقية ولايتهم واعتقاد ما يقولون وان لم يشترط المشاهدة والمعرفة الشخصية
واما انه لا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه فهو ايضا حق وذلك لان دخول الجنة مستلزم لمعرفتهم على الوجه الذي قررناه ومنحصر فيه
فكل واحد واحد ممن يدخل الجنة عارف بهم وذلك يستلزم انه لا واحد ممن يدخل الجنة بمنكر لهم لان معرفتهم وانكارهم مما لا يجتمعان
في ملزوم واحد اذا عرفت ذلك فنقول ان من انكرهم فانكروه لا يجوز ان يكون اعم ممن يدخل النار اما اولا فللخبر المشهور من مات ولم
يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية دل الخبر على ان انكارهم مستلزم للميتة الجاهلية المستلزمة لدخول النار واما ثانيا فلانه لو كان اعم
لصدق على بعض من يدخل الجنة فبعض المنكر لهم يدخل الجنة فينعكس بعض من يدخل الجنة منكر لهم وقد بينا انه لا واحد ممن يدخل الجنة
بمنكر لهم هف وكذلك لا يجوز ان يكون اخص والا لصدق على بعض من يتولاهم ويعترف بصدق امامتهم انه يدخل النار لكن ذلك باطل
لقول الرسول صلى الله عليه وآله يحشر المرء مع من احب ولقوله لو احب احدكم حجرا لحشر معه دل الخبر على ان محبة الانسان لغيره مستلزمة لحشره معه وقد
ثبت انهم عليهم السلام الى الجنة يحشرون فكذلك من احبهم واعترف بحقية امامتهم ودخول الجنة مع دخول النار مما لا يجتمعان فثبت انه لا واحد
ممن يحبهم ويعترف بحقهم يدخل النار فقد ظهر انه صدق هذه الكلية ايضا ووجه الحصر فيها انه لحق في اظهار منة الله تعالى عليهم بالقرآن
الكريم وتخصيصهم به من بين الكتب واستحقاقهم له واعدادهم لقبوله من بين الامم ثم نبه على بعض اسباب اكرامه تعالى لهم به اما من جهة اسمه
فلانه مشتق من السلامة بالدخول في الطاعة واما من معناه فمن وجوه احدها انه مجمع كرامة من الله لخلقه لان مدار جميع اياته على هداية
الخلق الى سبيل الله القائدة الى الجنة الثاني ان الله تعالى اصطفى منهجه وهو طريقته الواضحة المؤدية للسالكين بها الى رضوان
الله الثالث انه تعالى بين حججه وهي الادلة والامارات ومن للتمييز والتقسيم هنا تقسيم الحجج الى ظاهر علم واشار به الى ظواهر الشريعة واحكامها
الفقهية وادلة تلك الاحكام وباطن حكم واشار به الى ما يشتمل عليه الكتاب العزيز من الحكمة الالهية واسرار التوحيد وعلم الاخلاق و
السياسات وغيرها الرابع انه لا تفنى غرائبه واراد بالغرائب هنا ايات الحكمة وبراهينه الغائبة اي القاطعة وعدم فنائها اشارة اما الى
ثباتها واستقرارها على طول المدة وتغير الاعصار واما الى كثرتها عند البحث والتفتيش عنها الخامس ولا تنقضي عجائبه وذلك انه

ذلك بهم

ليقتدى بهم

في صفة مطلق الضال ومذمة عمر

كلما تأمله الانسان استخرج منه بفكره لطايف معجبة من انواع العلوم لم يكن عنده من قبل السادس فيه مرابيع النعم واستعار لفظ المرابيع وهي الامطار التي في زمن الربيع فيحيي الارض وتنبت الكلأ لما يحصل عليه الانسان من النعم ببركة القران ولزوم اوامره ونواهيه وحكمه وادابه اما في الدنيا فالنعم التي تحصل ببركته لحامليه من القراء المعتبرين وغيرهم ظاهرة الكثرة واما بالنسبة الى الاخرة فما يحصل عليه فيقتبسوا انواره من الكمالات المسعدة في الاخرة من العلوم والاخلاق الفاضلة اعظم نعمة واتم فضل ووجه الاستعارة ظاهر السابع ان فيه مصابيح الظلم واستعار لفظ المصابيح لقوانينه وقواعده الهادية الى الله في سبيله كما يهدي المصباح في الطريق المظلمة الثامن انه لا يفتح الخيرات الا بمفاتيحه واراد الخيرات الحقيقية الباقية واستعار لفظ المفاتيح لمناهجه وطرقه الموصلة الى تلك الخيرات ووجه الاستعارة كونها اسبابا موصلة اليها كما ان المفاتيح اسباب موصلة الى الخيرات الخزائن مثلا التاسع ولا ينكشف الظلمات الا بمصابيحه واراد ظلمات الجهل وبالمصابيح قوانينه كما سبق استعارة العاشر كونه قد احمى حماه اي هيأه وعرضه لان يحمى كما يقال اقتلت فلانا واضربته اذا هيأته للقتل وعرضته للضرب واستعار لفظ الحمى لحفظه وتدبره والعمل بقوانينه ووجه الاستعارة ان بذلك يكون حفظ الشخص وحراسته اما في الدنيا فمن ايدي كثير من الظالمين لاحترامهم حملة القران ومفسريه ومن يتعلق به واما في الاخرة فلحمايته حفظته ومتدبريه والعامل به من عذاب الله كما يحمي الحمى من يلوذ به ونسبة الاحماء اليه مجاز اذ المعرض لان يتدبر ويعمل به هو الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وحملته وقيل اراد بحماه محارمه واحماه اي منع منواهيه وزواجره ان يستباح محارمه وهو اخص مما قلناه اولا الحادي عشر وكذلك ارعى مرعاه اي هيأه لان يرعى واستعار لفظ المرعى للعلوم والحكم والاداب التي يشتمل عليها القران ووجه المشابهة ان هذه مرعى النفوس الانسانية وغذاؤها الذي به يكون نشوؤها العقلي ونماؤها الفعلي كما ان المرعى المحسوس من النبات والعشب غذاء للابدان الحيوانية التي بها يقوم وجودها الثاني عشر فيه شفاء المستشفي اي طالب الشفاء منه اما في الابدان فبالتعوذ به مع صدق النية فيه وسلامة الصدر ورد واما في النفوس فلشفائها به من امراض الجهل الثالث عشر وكفاية المكتفي واراد بالمكتفي طالب الكفاية اما من الدنيا فلان حملة القران الطالبين به المطالب الدنيوية هم اقدر الناس على الاحتيال به في تحصيل مطالبهم وكفاياتهم بها واما في الاخرة فلان طالب الكفاية مما يكفيه تدبر القران ولزوم مقاصده في تحصيل مطلوبه منها وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

وهو في مهلة من الله يهوي مع الغافلين ويغدو مع المذنبين بلا سبيل قاصد ولا امام قائد **اقول** هذا الفصل يشتمل على صفة مطلق الضال واشار بالمهلة الى مدة عمره المضروبة له من الله تعالى ويهوي مع الغافلين الى سقوطه وانخراطه في سلكهم بسبب جهله وغفلته عما يراد به واستعار لفظ الهوي لذلك الانخراط وذلك لمنافقته ووجه المشابهة ان المنهمك في مجاذب الغفلة ومسالك الجهل ينحط بها عن درجة اهل السلامة ويهوي في مهابط الهلاك وهي الرذايل المبعدة عن الله تعالى كما ان الهاوي من علو كذلك ويغدو مع المذنبين لموافقته لهم فيما هم فيه ومسارعته الى المعاصي من غير ان يسلك سبيلا قاصدا للحق ويتبع اماما يقوده اليه من استاد مرشد وكتاب او سنة وبالله التوفيق **منها** حتى اذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم واستخرجهم من جلابيب غفلتهم استقبلوا مدبرا واستدبروا مقبلا فلم ينتفعوا بما ادركوا من طلبتهم ولا بما قضوا من وطرهم اني احذركم ونفسي هذه المنزلة فلينتفع امرؤ بنفسه فانما البصير من سمع فتفكر ونظر فابصر وانتفع بالعبر ثم سلك جددا واضحا يتجنب فيه الصرعة في المهاوي والضلال في المغاوي ولا يعين على نفسه الغواة بتعسف في حق او تحريف في نطق او تخوف من صدق فافق ايها السامع من سكرتك واستيقظ من غفلتك واختصر من عجلتك وانعم الفكر فيما جاءك على لسان النبي الامي صلى الله عليه وآله مما لا بد منه ولا محيص عنه وخالف من خالف ذلك الى غيره ودعه وما رضي لنفسه وضع فخرك واحطط كبرك واذكر قبرك فان عليه ممرك وكما تدين تدان وكما تزرع تحصد وما قدمت اليوم تقدم عليه غدا فامهد لقدمك وقدم ليومك فالحذر الحذر ايها المستمع والجد الجد ايها الغافل ولا ينبئك مثل خبير ان من عزائم الله في الذكر الحكيم التي عليها يثيب ويعاقب ولها يرضى ويسخط انه لا ينفع عبدا وان اجهد نفسه واخلص فعله ان يخرج من الدنيا لاقيا ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها ان يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته او يشفي غيظه بهلاك نفسه او يعر بامر فعله غيره او يستنجح حاجة الى الناس باظهار بدعة في دينه او يلقى الناس بوجهين او يمشي فيهم بلسانين اعقل ذلك فان المثل دليل على شبهه ان البهائم همها بطونها وان السباع همها العدوان على غيرها وان النساء همهن زينة الحيوة الدنيا والفساد فيها ان المؤمنين مستكينون ان المؤمنين مشفقون ان المؤمنين خائفون **اقول** الجلباب الملحفة والوطر الحاجة والجدد الطريق الواضح واستنجح الحاجة استقضاها وحاصل هذا الفصل صفة غاية الغافلين عن احوال الاخرة المشتغلين بطلب الدنيا وفاعل كشف ضمير يعود الى اسم الله تعالى فيما سبق من الكلام وقد علمت ان للنفس جهتين جهة تدبر احوال البدن بما لها من القوة العملية وجهة استكمالها بقوتها النظرية التي تلقى بها من العاليات كمالها وعلمت ان بعد رجوعها عن حد العدل في استكمال قوتها العملية تنقطع عن الجهة الاخرى وتكتنفها الهيئات

البدنية فتكون في غطية منها وجلابيب من الغفلة عن الجهة الاخرى بالانصباب الى ما يقتضيه ثم بعد خبر في الدنيا ويحتجب بها في هذه الجهة وتمكن تلك الهيئات البدنية منها يكون بعدها عن بارئها ونزولها في دركات الجحيم عن درجات النعيم وبالعكس كما قال صلى الله عليه وآله الدنيا والاخرة ضرتان بقدر ما تقرب من احديهما تبعد من الاخرى وظاهر ان بالموت تنقطع تلك الغفلة وتنكشف تلك الحجب فيومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى ويكون ما اثبته له يومئذ من تعلق تلك الهيئات بنفسه وحطها له عن درجات الكمال وما شاهده من السلاسل والاغلال هو جزاء معصيتهم المنكشف لهم ولفظ الجلابيب مستعار لفظ المحسوس للمعقول ووجه المشابهة حجب الغفلة لاعينهم عن الشعور بانوار الله كحجب الوجه بالجلباب والمدبر الذي استقبلوه هو العذاب الاخروي والاهوال التي كانت غائبة عنهم والمقبل الذي استدبروه هو ما كانوا فيه من مأمولاتهم وامولهم الدنيوية وظاهر انهم لم ينتفعوا اذن بما ادركوا من طلباتهم الدنيوية ولا بما قضوا من اوطارهم وحاجاتهم الحاضرة فيها ثم عاد الى التحذير من هذه المنزلة اي الحالة التي هؤلاء الموصوفون عليها من الغفلة فانها مقام صعب ومنزلة قديم وشرك نفسه في التحذير لانه ادخل في جذب نفوس السامعين الى طاعته ثم امر كلا بالانتفاع بنفسه وشرح كيفية الانتفاع بشرح حال البصير لانه لا ينتفع بنفسه الا البصير وذكر امورا فالاول ان يتفكر فيما يسمعه من كلام الله ورسوله والمواعظ البالغة فانه لا ينتفع بها بدون الفكر كما علمت الثاني ان ينظر بعين حسه وبصيرته فتوجه الى المقاصد الثانية فيبصرها ويدرك بعقله منها العبرة الثالث ان ينتفع بما يدركه من العبرة وذلك بالعمل على وفق ما علم وادرك الرابع ان يسلك الصراط المستقيم الذي هو سبيل الشريعة وهو الجدد الواضح ويجتنب فيه العدول والانحراف فانه يخرج عنه ولو باليسير يصرع في مهواة ويضل في مغواة وقد نبهنا فيما سلف على ذلك بالمثل الذي ضربه النبي صلى الله عليه وآله حيث قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط ابواب مفتحة وعليها ستور مرخاة وعلى رأس الصراط داع يقول جوزوا ولا تعرجوا قال فالصراط هو الدين وهو الجدد الواضح هنا والداعي هو القرآن والابواب المفتحة محارم الله وهي المهاوي والمغاوي هنا والستور المرخاة هي حدود الله ونواهيه ثم نهى ان يعين الانسان على نفسه الغواة باحد امور ان يتعسف في حق اي لا يحملهم على مر الحق وصعبه فان الحق لمرارته وصعوبته يتعذر قبولها منهم من بعض فالاستقصاء فيه على غير اهله يوجب لهم النفرة عمن يقوله ويأمرهم والعداوة له والقول فيه ويحتمل ان يريد بالتعسف في الحق التكلف في العمل به مع نوع من التقصير منه فان الغواة هم تاركوا الحق فاذا وجدوا ركيكا فيه ومتكلفا للعمل به مقصرا طمعوا في الامنية للباطل فكان قد اغراهم على نفسه بذلك وكذا اذا انسوا منه الكذب والتحريف في القول والتخوف من الصدق كان ادعى لهم من الطمع في انفعاله بالباطل وادخاله فكان معينا لهم على اغواء نفسه بذلك ثم عاد الى امر السامع باوامر احدها الافاقة من سكرة الجهل والتيقظ من الغفلة في الدنيا ولفظ السكرة مستعار ووجه المشابهة كون الغفلة مستلزمة لترك اعمال العقل كما ان السكر كذلك الثاني بالاختصار من العجلة واراد بالعجلة سرعة الحركة في طلب الدنيا والاهتمام بها وباختصارها تخفيف تلك الحركة وتقليلها الثالث باعمال الفكر فيما دار على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وكثرة من ذكر الموت وعرض النفوس على دياناتها واعمال الفكر في ذلك يستلزم النظر في حال الموت وما بعده والاعتبار بما لا بد منه ولا محيص عنه من ذلك الرابع بمخالفة من خالف ذلك ونظر في غيره مما عنده من احوال الدنيا وزينتها وان يدع ذلك المخالف وما رضي لنفسه من التعوض بالامور الفانية عن الامور الباقية وما يستلزم ذلك من الشقاوة الاخروية الخامس ان يضع الفخر ويحط الكبر وقد سبق بيان ما في الكبر من الآفات والفخر مستلزم للكبر اذ كل مفتخر متكبر وملازمه السادس ان يذكر قبره لان في ذكره عبرة تامة وقوله فان عليه ممرك تنبيه له على وجوب الذكر له فان السالك لطريق لا بد له من سلوكها اذا كان فيها منزل موحش مظلم وجب الاستعداد له بحمل الضوء للاستنارة فيه والانسان في سلوكه لطريق الاخرة لا بد له من المرور بالقبر واحكام الشارع اكثرية ثم نبهه بالمثلين المشهورين كما تدين تدان على وجوب حسن المعاملة مع الله سبحانه لان حسن جزائه بقدر حسن معاملة العبد وقبحه بقبحها وكذلك قوله كما تزرع تحصد ولفظ الزرع مستعار لما يفعله الانسان فيكسب بنفسه ملكة خيرية او شرية وكذلك لفظ الحصد للحصول على ما تثمره تلك الآثار وتستلزمه من ثواب وعقاب ووجه الاستعارة بين ظ وقوله وما قدمت اليوم تقدم عليه غدا ظاهر فان الهيئات النفسانية التي هي ثمرات الافعال المستلزمة للسعادة او الشقاوة وان كانت مستصحبة للنفس مقترنة بها في الدنيا ايضا الا انها لا تنكشف لها الا بعد المفارقة كما سبق بيانه فتكون حالة الانكشاف بمنزلة من قدم على امر لم يكن معه واذا كان كذلك فينبغي للانسان ان يمهد لقدمه اي يوطئ موضع قدمه في الاخرة بطيب الاعمال ويقدم صالحها اليوم فيما منه ثم عاد الى التحذير من حيث هو مستمع للموعظة والامر بالجد في العمل لما بعد الموت والتيقظ من الغفلة ونبهه باقتباس الآية على ان الواعظ الخبير باحوال طريق الاخرة واهوالها ولا يخبرك بحقائق الامور كالعارف بها ثم عاد الى التحذير من بعض الكبائر التي نص القرآن المجيد انها مستلزمة للعقاب لا محالة والذكر الحكيم هو القرآن وقد سبق بيان معنى العزائم منه وقيل هو اللوح المحفوظ واسم ان انه لا ينفع والضمير في انه ضمير الشان وفاعل ينفع ان يخرج ولا فيها نصب على الحال واراد ان من نصوص الله سبحانه التي هي في محكم كتابه العزيز التي باعتقادها والعمل على وفقها يثبت ويرضى وبتركها يعاقب ويسخط انه لا ينفع عبدا خروجه من الدنيا لاقيا ربه باحد الخصال المذكورة وان اجهد نفسه في العمل واخلص فيها احدها الشرك بالله تعالى وقد سبق منا بيان درجاته الشرك وتفاوت قوته وضعفه يكون قوة العقاب وضعفه والنص الدال على مضرته المستلزم لعدم نفعه قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وقوله

في التفكر في صفات الله وكلامه

فيما افترض عليهم من عباداته بمشقة اشد انواع الشرك بالرياء في العبادة لا اتخاذ الاوثان وهذه الآفة تلحق النفس تارة من غلبة الجهل عليها واستيلاء
الغفلة وترك النظر في المعرفة والتوحيد وتارة من غلبة الشهوة كما تلحق بعض المرائين في عباداته لطلب الدنيا الثانية ان يشفي غيظه بهلاك نفس
وفي نسخة بفتنه ونفس اعم من ذلك الهلاك تارة في الدنيا كما يستلزمه السعي بالنميمة الى الملوك ونحوه وفي الآخرة باكتساب الآثام المستلزم
لشفاء الغيظ والنص فيه قوله تعم ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية وهذه الآفة تلحقها بواسطة القوة الغضبية الثالثة ان يقر
بامر فعله غيره بامر فعله ذلك الغير فيستلزم اهلاكه وذلك فيدخل فيمن يسعى في الارض فسادا والنص عليه قوله انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الآية وروى بعض الشارحين يعر بالعين المهملة قال ومعناه ان يلطخ
غيره بامر قد فعله هو فيكون غيره منصوبا مفعولا به والعامل يعر تقديرا لعر يعر عرا اي عابه ولطخه فعلى هذا يكون داخلا في جملة الفاسقين و
الكاذبين والموذين للمؤمنين بغير ما اكتسبوا وهذه الآفة تلحق النفس لشركة من الشهوة والغضب الرابعة ان يستنجح حاجة الى الناس باظهار بدعة
في دينه كشاهد الزور لغاية يصل اليها والمرتشي في الحكم والقضاء الخامسة ان يلقى الناس بوجهين ويمشي فيهم بلسانين اي يلقى كلا من الصديقين
مثلا بغير ما يلقى به الآخر ليفرق بينهما او بين العدوين ليضري بينهما وبالجملة ان يقول بلسانه ما ليس في قلبه فيدخل في زمرة المنافقين ووعيد
المنافقين في القرآن ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ومطابقة ذلك من العقل ان من انتقش لوح نفسه بهيئات السوء ولم يمحها
بالتوبة الحقة فهو من اصحاب النار وقوله اعقل ذلك من المثل واحمل عليه ما يشبهه فان المثل دليل على شبهه ذلك المثل قوله ان البهائم الى قوله
الفساد فيها فقوله ان البهائم همها بطونها اشارة الى ان الانسان المتبع لشهوته بمنزلة البهيمة في اتباع قوته الشهوية والاهتمام بالطعام والشراب
دون المطالب الحقيقية وقوله ان السباع همها العدوان على غيرها اشارة الى ان متبع القوة الغضبية بمنزلة السبع في اتباعها ومحبة الاستعلاء والانتقام
والغلبة على الغير وقوله وان النساء همهن زينة الحيوة الدنيا والفساد فيها اشارة الى ان النساء مشتبهة للقوتين الشهوية ولما كان همهن زينة
الحيوة الدنيا والغضبية ولما كان همهن الفساد في الدنيا فالتابع لشهوته وغضبه لاحق بالنساء في ذلك ثم لما حصر منابع الشر في قوتي الشهوة
والغضب ذكر المؤمنين بصفات ثلث كل منها يستلزم كسر تينك القوتين وهي الاستكانة لله والخضوع له ثم الاشفاق من غضبه ثم الخوف من
عقابه وظاهر كون كل واحد من هذه الصفات جاذبا لهم عن طرف الافراط في القوتين والخروج عن حد العدل فيهما وغاية هذا المثل التنفير عن
طاعة الشهوة والغضب للتنبيه على ان الخارج فيهما عن حد العدل الى ما لا ينبغي اما ان يشبه البهيمة او السبع او المرأة وكل منها مما يرغب العاقل
عنه وهو الذام بعقليته فانظر الى ما اشتمل عليه هذا الكلام من الاشارة اللطيفة التي يشهد عليه بمشاهدة الحق كما هو واذا اعتبرت ذلك
وامثاله من الحكم البالغة ونظرت الى انه لم يرجع فيه الى مطالعة كتاب واستفادة بحث علمت انه فيض رباني بواسطة اعداد سيد البشر والانسان
المرشد صلى الله عليه وآله قال الشارح الفاضل عبد الحميد بن ابي الحديد ره انما رمز بباطن هذا الكلام الى الرؤساء يوم الجمل لانهم حاولوا
ان يشفوا غيظهم باهلاكه واهلاك غيره من المسلمين وعيروه عليه السلم بامر هم فعلوه وهو التأليب على عثمن وحصره واستنجحوا حوائجهم الى
اهل البصرة باظهار البدعة والفتنة ولقوا الناس بوجهين ولسانين لانهم بايعوه واظهروا الرضا به ثم نكثوا به من وجه آخر فجعل ذنوبهم
هذه بمنزلة الشرك في انها لا تغفر الا بالتوبة قال وهذا معنى قوله اعقل فان المثل دليل على شبهه وبالله التوفيق **ومن خطبة له ع**
وناظر قلب اللبيب به يبصر امده ويعرف غوره ونجده داع دعا وراع رعى فاستجيبوا للداعي واتبعوا الراعي قد خاضوا بحار الفتن
واخذوا بالبدع دون السنن وارز المؤمنون ونطق الضالون المكذبون نحن الشعار والاصحاب والخزنة والابواب ولا
تؤتى البيوت الا من ابوابها فمن اتاها من غير ابوابها سمي سارقا **اقول** الامد الغاية وغوره ونجده منخفضه ومرتفعه و
ارز بتقديم الراء اي انقبض واجتمع وناظر قلب اللبيب عين بصيرته وظاهر انه يبصر بها طريقه وغايته التي هي متوجه اليها ومطلوبه
منها وغوره طريقاه الخير والشر وهما النجدان في قوله تعم وهديناه النجدين وعبارة القرآن المجيد احسن وهذه العبارة انسب الى
المعنى فان الغور هو المنخفض المستفل انسب الى ان يعبر به عن رذيلة النازلين في دركات الجحيم من النجد واشار بالداعي الى الرسول ص وما
جاء به القرآن الكريم والسنة وبالراعي الى نفسه والامر بالاستجابة للاول والاتباع للثاني فظاهر وجوب الاستجابة لله ورسوله لقوله تعم يا ايها
الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فيجب اتباع من اوجب اتباعه وقوله قد خاضوا بحار الفتن يحتمل ان يكون التفاتا الى صفة
قوم معهودين للسامعين كمعوية واصحاب الجمل والخوارج ويحتمل ان يكون منقطعا عما قبله متصلا بكلام لم يحكه الرضي رض والى هذا ذهب
بعض الشارحين قال وهو ذكر قوم من اهل الضلال قد كان اخذ في ذمهم وعيبهم ولفظ البحار مستعار لما عظم من الفتن والحروب وقد
عرفت وجه الاستعارة فيها ورشح بذكر الخوض والبدعة قد يراد بها ترك السنة وقد يراد بها امر آخر يفعل مع ترك السنة وهو الاظهر
في العرف ثم التفت الى ذكر فضيلته فاستعار لفظ الشعار لنفسه واهل بيته ووجه المشابهة ملازمتهم للرسول ص واختصاصهم به كما
يلزم الشعار الجسد ثم ذكر كونهم اصحابا له ثم كونهم خزنة علمه كما نقل عن الرسول ص هو خازن علمي وفي رواية عيبة علمي وقيل خزنة الجنة
على معنى ان من جاء يوم القيمة بولايتهم دخل الجنة والا فلا ولفظ الخزنة على التقديرين مستعار ووجه المشابهة تصرفهم بمنع العلم

وعطائه

منهما ص

اي اعقل ما اقول به لك م

والعصمة م

ومخلد

واعطائه او بمنع الجنة بسببهم ولعطائها كان الخازن للشيء كذلك ثم كونهم الابواب اي ابواب العلم قال صلى الله عليه وآله انا مدينة العلم وعلي بابها واولوية
الجنة على الاستعارة الشائعة وقوله ولا تؤتى البيوت الا من ابوابها وذلك لوجوه احدها العادة الجارية على وفق الحكمة الثاني النص
وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله الثالث العرف ومن اتاها من غير ابوابها سمي سارقا والتقبيح العرفي يستلزم النهي ومراده ان
من طلب العلم والحكمة واسرار الشريعة فليرجع الينا وبالله التوفيق **منها** فيهم كرائم الايمان وهم كنوز الرحمن ان نطقوا صدقوا
وان صمتوا لم يسبقوا فليصدق رائد اهله وليحضر عقله وليكن من ابناء الآخرة فانه منها قدم واليها ينقلب فالناظر بالقلب
العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله ان يعلم أعمله عليه ام له فان كان له مضى فيه وان كان عليه وقف فان العامل بغير علم كا
كالسائر على غير الطريق فلا يزيده بعده عن الطريق الا بعدا عن حاجته والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح فلينظر ناظر
اسائر هو ام راجع واعلم ان لكل ظاهر باطنا على مثاله فما طاب ظاهره طاب باطنه وما خبث ظاهره خبث باطنه وقد قال الرسول صلى الله
عليه وآله ان الله يحب العبد ويبغض عمله ويحب العمل ويبغض بدنه واعلم ان لكل عمل نباتا وكل نبات لا غنى به عن الماء والمياه
مختلفة فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته وما خبث سقيه خبث غرسه وامرت ثمرته **اقول** الاشارة الى فضائل اهل البيت
فالاولى فيهم كرائم الايمان اي نفائسه المستلزمة لاستدامة القرب من الله تعالى كالاخلاق الفاضلة والاعتقادات الحقة المطابقة لما
عليه الامر نفسه الثانية وهم كنوز الرحمن اي خزائن علمه وسائر ما امر به من مكارم الاخلاق الثالثة ملازمة منطقهم للصدق والرابعة اختصاصهم
بالحكمة التي لا يتمكن غيرهم من النطق بها والسبق اليها حال سكوتهم فهم ان نطقوا فبحكمة وان صمتوا فالحكمة ووضع الصمت في موضعه وانما
ذكر هذه الفضائل لنفسه واهل بيته جذبا الى سماع قوله ودعوته الى الله ولذلك عقب بالمثل فليصدق رائد اهله واشار به الى من
يحضرنا طلبا للاختيار فليصدق ومن يغيب امره اننا اهل الحق وينابيع العلوم والحكمة والادلاء الى الله كما يصدق الرائد لطلب الكلاء
والماء اهله مبشرا بهما وليحضر عقله لما يقوله ليعرف صحة ما ادعيناه ثم شرع فيما ينبغي ان يقوله امثاله وهو التنبيه على احوال الآخرة وان يكون
العاقل من ابنائها وتجوز باستعارة النبوة ههنا قوله فانه منها قدم واليها ينقلب اي كان الابن ينقلب عن الام واليها وكذلك وجوه كل
الانسان مبدأه الحضرة الالهية وعنها ينقلب واليها يعود فينبغي ان يكون من ابنائها بالرغبة فيها والتولية اليها والعمل لها ثم نبه العاقل
ذا الفكر السليم الناظر بعين بصيرته على ما ينبغي له ان يبدأ به في حركاته وسكناته وهو ان يتفقد احوال نفسه فيما يهم به وليبعث في طلبه
ويتركه ويعلم ان تلك الخواطر والحركات مقربة له من الله تعالى فيكون له فينبغي ان يمضي فيها او مبعدة له عنه ومستلزمة لسخطه فيكون عليه
فيقف عنها ثم شبه الجاهل في حركاته وسكناته بالسائر على غير طريق واشار الى وجه التشبيه بقوله فلا يزيده بعده عن الطريق الا بعدا عن حاجته
اذ كان بعده عن مطلوبه بقدر بعده عن طريق ذلك المطلوب وشبه العامل بالعلم في سلوكه وقربه من مطلوبه ونفره بذلك المنبه
عن الجهل وزاد في التنفير بقوله فلينظر ناظر اسائر هو ام راجع فانه اذا علم انه سائر وجب ان يعلم كيف يسير ويشتعل مصباح العلم من الضلال
والصرعة في مهاوي الهلاك وقوله واعلم ان لكل ظاهر باطنا الى قوله ويبغض بدنه فاعلم ان هذه القضية الكلية صادقة وذلك انه لما صدر
عن الجود الالهي عالما الغيب والشهادة وان شئت عالم الخلق والامر وان شئت العالم الروحاني والجسماني اقتضت الحكمة الالهية كون عالم
الشهادة طريقا للنفوس البشرية الى عالم الغيب ولولاها لتعذر السفر الى الحضرة الالهية وانسد طريق الترقي الى الله فكان جميع ما ظهر في عالم
الشهادة مثالا مناسبا لامر باطن من عالم الغيب هو الطريق اليه والدليل عليه غير ان المعهود من كلامه هنا تخصيص تلك الكلية
بامر فلعله اما ان يشير بالظاهر الى اشخاص الناس او الى عالم الظاهر والباطن اشارة الى الاخلاق واعمال القلوب وما في الامزجة
المختلفة من الخير والشر وقيل اشارة الى ما يختفي من الثواب والعقاب في الآخرة وقد دل الاستقراء والقياس على ان حسن الصورة او
حسن الاعمال الظاهرة التي تبدو من الانسان حسن الاخلاق طيب العشرة مستقيم السيرة وعلى ان قبحها سوء الاخلاق شرها اما الاستقراء
فظ واما القياس فلان حسن الاخلاق وقرب النفس من الاستقامة على طلب الحق مقتضى قرب المزاج من الاعتدال وكذلك حسن الصورة
فيترتب قياس هكذا الحسن الصورة معتدل المزاج وكل معتدل المزاج حسن الاخلاق فحسن الصورة حسن الاخلاق وان شئت هكذا معتدل
المزاج حسن الصورة ومعتدل المزاج حسن الاخلاق والقضيتان اكثريتان فان بعض حسن الصورة قبيح الباطن وبعض خبيث الظاهر حسن
الباطن ولذلك استشهد بما رواه عن الرسول ص فان الله يحب العبد من حيث صورته الحسنة لكونها مقتضى الحكمة الالهية والنسبة الى الوجود
من القبيحة التي هي النسبة الى العدم الذي هو الشر المحض ويبغض عمله من جهة ما هو شر وكذلك يحب العمل الحسن الباطن الطيب ويبغض بدنه القبيح لنسبته
الى العدم الذي هو شر وانما النص في دلالة الظاهر على الباطن فما نطق به القرآن الكريم والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج
الا نكدا اي عسرا مشؤوما قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر بالارض العذبة الزكية
وبالارض السبخة المالحة فشبه فيه المؤمن الذي اذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به فبان اثره عليه بحسن الاعمال وطيبها بالبلد الطيب
اذ كان البلد الطيب يمرع ويخصب ويحسن اثر المطر عليه وشبه الكافر الذي يسمع القرآن فلا يؤثر فيه اثرا محمودا بالبلد الخبيث اذ كان لا يمرع

فيه ذكر خلقة الخفاش

ولا يحصى ولا يتبين اثر المطر فيه واما البغض والحب فقد علمت انهما يعودان في الله سبحانه الى ارادته وكراهته فما كان خيرا محضا او الخير غالب عليه
فهو مراد له بالذات وما كان شرا محضا او غالبا فهو مراد له بالعرض مكروه له بالذات وقوله واعلم ان لكل عمل نباتا استعار لفظ النبات
لزيادة الاعمال ونموها ورشح تلك الاستعارة بذكر الماء وكنى به عن المادة القلبية للاعمال ووجه المشابهة ان الحركات في العبادة انما
انما تكون بالميول القلبية والنيات كما ان حركة النمو للنبات انما تكون بالماء وقال ان لاختلاف المياه في الحلاوة والملوحة سبب لاختلاف
استعداد النبات لطيب الغارس والثمار فما طاب سقيه اي نصيبه من الماء طابت غرسته وما خبث خبثت ثمرته فكذلك ما يشبه النبات وهي الاعمال يكون
طيب ثمارها وهي ثمار الجنة وانواع لذاتها بحسب طيب مادتها من الاخلاص لله وخبثها بحسب خبث مادتها من الرياء وحب الشهرة وتكون ثمرتها آثام الثمار
اذ لا امر بها فاما من عذاب النار وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يذكر فيها بديع خلقة الخفاش الحمد لله الذي انحسرت الاوصاف
عن كنه معرفته وردعت عظمته العقول فلم تجد مساغا الى بلوغ غاية ملكوته هو الله الحق المبين احق وابين مما تراه العيون
لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها ولم تقع عليه الاوهام بتقدير فيكون ممثلا خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير
ولا معونة معين فتم خلقه بامره واذعن لطاعته فاجاب ولم يدافع وانقاد ولم ينازع ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما ارانا
من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام القابض لكل حي وكيف عشيت اعينها
عن ان تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدي به في مذاهبها وتتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها وردعها بتلألؤ ضيائها
عن المضي في سبحات اشراقها واكنها في مكامنها عن الذهاب في بلج ائتلاقها فهي مسدلة الجفون بالنهار على حداقها وجاعلة الليل
سراجا تستدل به في التماس ارزاقها فلا يرد ابصارها اسداف ظلمته ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته فاذا القت الشمس
قناعها وبدت اوضاح نهارها ودخل اشراق نورها على الضباب في وجارها اطبقت الاجفان على مآقيها وتبلغت بما اكتسبته
من المعاش في ظلم لياليها فسبحان من جعل الليل لها نهارا ومعاشا والنهار سكنا وقرارا وجعل لها اجنحة من لحمها تعرج
بها عند الحاجة الى الطيران كانها شظايا الآذان غير ذوات ريش ولا قصب الا انك ترى مواضع العروق بينة اعلاما لها
جناحان لما يرقا فينشقا ولم يغلظا فيثقلا تطير وولدها لاصق بها لاجئ اليها يقع اذا وقعت ويرتفع اذا ارتفعت
لا يفارقها حتى تشتد اركانه ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه فسبحان البارئ لكل شيء على غير مثال
خلا من غيره **اقول** الخفاش مفرد جمعه خفافيش وهو من الخفش وهو ضعف البصر خلقة والحسر الكلل وردعت كفت والمساغ
المسلك وسبحات اشراقها جلالته وبهاؤه والبلج جمع بلجة وهو اول ضوء الصبح وقد يكون مصدرا والائتلاق اللمعان والاسداف مصدر
اسدف الليل اظلم وغسق الدجنة ظلام الليل ووضح النهار ضوؤه ووجار الضبع بيته والشظايا القطع وقد حمد الله تعالى باعتبارات الاول
انحسار الاوصاف عن كنه معرفته ولما كانت ذاته تعالى بريئة من انحاء التراكيب لم يمكن العقول ادراكها بشيء من الاوصاف بالكنه وقد سبق
ذلك مرارا الثاني ردع عظمته العقول عن بلوغ غاية ملكوته وذلك ان ظاهر الادراك للاشياء بحقائقها انما يتم بادراك حقائق عللها واذا استلزمت
عظمته وارتفاعه عن ادراك العقول ردعها عن معرفة كنهه فظاهر انها لا تجد مسلكا الى غاية ملكوته وما عليه نظام الوجود الاعلى والاسفل كما هو
الثالث قوله هو وهو المطلق وهو الذي لا يكون هويته موقوفة على غيره ومستفادة منه فان كل ما كان مستفادا من الغير فما لم يعتبر غيره لم يكن هو ولم
يكن هو هو المطلق وكل ما كان هو هو لذاته فسواء اعتبر غيره او لم يعتبر فهو هو لكن كل ممكن فوجوده من غيره فكل ما كان وجوده من غيره فخصوصية وجوده
وتعينه من غيره وهو الهوية فاذن كل ممكن فهويته من غيره فلا يكون هو هو لذاته لكن المبدأ الاول هو هو لذاته فلا يكون من غيره فلا يكون
ممكنا فهو واجب لذاته فاذن واجب الوجود هو الذي لذاته هو هو بل نقول انه هو لبراءته عن التركيب المستلزم للامكان الرابع تعقيبه لذكر الهوية
باسم الله وذلك لانه لما كانت تلك الهوية والخصوصية عديمة الاسم لا يمكن شرحها الا بلوازمها واللوازم منها اضافية ومنها سلبية واللوازم
الاضافية اشد تعريفا والاكمل في التعريف هو اللازم الجامع لنوعي الاضافة والسلب وذلك هو كون تلك الهوية الها فان الاله هو الذي ينسب
اليه غيره ولا ينسب هو الى غيره فانتساب غيره اليه اضافي وعدم انتسابه الى غيره سلبي فلا جرم عقب ذكر الهوية بما يدل على ذلك اللازم لا كليته في
التعريف من غيره ليكون كالكاشف لما دل عليه لفظ هو وفيه سر وهو انه لما عرف تلك الهوية بلازمها وهو الالهية نبه على انه لا جزء لتلك
الهوية والا لكان لعد ولعدل الى التعريف باللازم الخامس ذكر الحق وهو الثابت الوجود فانه لما اشار الى الهوية وشرح اسمها عقب ذلك
بالاشارة الى كونها حقا موجودا وجودها عند العقول احق وابين مما ترى العيون وذلك ظاهر فان العلم بوجود الصانع جلت عظمته فطري
للعقول وان احتاج الى تنبيه ما والعلوم التي مستندها الحس قد يقع الخلل فيها بسبب ما يقع للوهم من اشتباه المحسوسات وعدم ضبطها او بسبب
تقصير الحس في كيفية الاداء لصورة المحسوس فكانت المعقولات الصرفة احق بالادراك للعقل لها وابين السادس ان العقول لم تبلغه بتحديد فيكون
مشبها وهذا شانه لطيفة تدل على كمال علمه وذلك انك علمت في المقدمات ان العقول اذا قويت على الاتصال بالامور المجردة وكانت القوة
المتخيلة بحيث تقوى على استخلاص الحس المشترك عن الضبط عن الحواس الظاهرة فان النفس والحال هذه اذا توجهت لاقتناص امر معقول وانجذبت

القوى

في مخاطبته مع اهل البصرة

القوى المذكورة بما لو فيها انتقشت تلك المعقولات ثم انها تستعين في ضبط ذلك الامر بالقوة المتخيلة فتحاكيه بما يشبهه من الصور المحسوسة ثم تحطها الى خزانة
الخيال فيصير مشاهدا مثلا مثلا اذا عرفت ذلك فنقول لو كان الباري تعالى مما تدركه العقول وتشبهه بحد وصفة لكان ما يستثبتها له على التحول لكون
فيلزم ان يكون مشبها بغيره من الاجسام والجسمانيات ليثبت صورته عند الذهن وقد نزه قدس الله عن التشبيه بشي منها الشايع وكذلك
لم تقع الاوهام عليه فتقدره فيكون ممثلا اذ الوهم لا يدرك الا المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات ولا بد له في ادراك ذلك المدرك من بعث المتخيلة
على تشبيهه بمثال من الصور الجسمانية فلو وقع عليه وهم لمثله في صورة حسية حتى ان الوهم انما يدرك نفسه في مثال من صورة وحجم ومقدار
الثابتين خلقه الخلق من غير مثال الى غير ذلك من معين وقد سبق ابحاثه بيانه في الخطبة الاولى وغيرها وتمام خلقه بامره وبلوغه الى غايته في الكمال الممكن
له لما ثبت بالبراهين العقلية ان كل ما امكن لشي وصل اليه من الجود الالهي المنزه عن البخل والمنع من جهته ولذلك غاية لطاعته وخول الخلق القدرة
الالهية وكل الخاتمة من غير مدافعة وانقياده من غير منازعة ثم شرع في مقصود الخطبة وهو حمد الله ثم باعتبار بعض لطائف صنعته وعجائب
خلقته والتنبيه على غوامض حكمته في خلقه هذا الحيوان المخصوص وبداء بالتعجب من مخالفتها في قبض الضياء الابصار منها مع بسطها سائر
ابصار الحيوانات واعداده لانبساط النبات ونموه وغيره ثم من بسط الظلام لابصارها مع قبضه لسائر الابصار ثم نبه على العلة الطبيعية لذلك
وهو عشا اعينها وضعفها ان تستمد من نور الشمس المضيئة نورا تهتدي به والذي ذكر في علة ذلك الضعف هو افراط التحلل في الروح الحامل
للقوة الباصرة من هذا الحيوان اذا لقي حر النهار فيصيبه لذلك التحلل ضعف فيحتاج معه الى التعوض عما يتحلل فيرجع من العضو الباصر
منها طلبا لبدل ما يتحلل فيستكمل الى الليل يقرب لليل لمكان برده وضعف حرارة النهار فيعود الابصار ووصفه بهذه الخاصية منها وكيفية
حالها فيها الى قوله ظلم لياليها وصف لا مزيد على فصاحته وقوله وتتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها في غاية الفصاحة ومعارفها
ما عرفته من مذاهبها ووجوه تصرفاتها وتتصل عطف على قوله تستمد ولما اسدال الجفون اليها على حدقها فلان تحلل الروح الحامل
للقوة الباصرة سبب للنوم ايضا فيكون ذلك الاسدال ضربا من النوم وكثيرا ما يلحق كثيرا من الحيوان وسببه ما ذكرناه واستعار لفظ القناع للشمس
ملاحظة لشبهها بالمرأة ذات القناع وكنى بالقائه عن بروزها من حجاب الارض ثم ثنى بتسبيح الله وتعظيمه باعتبار امر آخر منها على سبيل التعجب
وهو خلق اجنحتها من لحم بلا ريش ولا قصب كسائر اجنحة الطير بل من عروق ورق بسيطة وتقبضه على مفاصل مخصوصة من غير رقة توجب
له الانشقاق عند الطيران ولا غلظ يوجب له الثقل ثم ثنى بعجب حال الحامع ولدها وذلك انه يلصق بها فيرتضعها ولا يفارقها في حال
وقوعها وطيرانها حتى يشتد ويمكنه الطيران والتصرف بنفسه وذلك امر يخالف عادة سائر الحيوان وهو محل التعجب ثم ختم الفصل بتسبيح
الله تعالى باعتبار خلقه لكل شي من غير مثال سبق من غيره ومن الامثال العامة قيل للخفاش لماذا لا جناح لك قال لاني تصوير مخلوق قيل
فلماذا لا تخرج نهارا قال حياء من الطيور يريد ان المسيح صوره وان اليه الاشارة بقوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ
فيها فتكون طيرا باذني وفي الطير عجائب لا تهتدي لها العقول بل وفي كل ذرة من ذراته مبدع غاية ومكونه لطائف واسرار كالنحل والبعوض
والنمل تعجز عن ادراكها واستقصاء اوصافها الباب الالباب وحكمة الحكماء فسبحانه ما اعظم شانه وابهر برهانه **ومن خطبة له عليه السلام**
خاطب بها اهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم فمن استطاع عند ذلك ان يعتقل نفسه فليفعل فان اطعتموني فاني حاملكم ان شاء الله
على سبيل الجنة وان كان ذا مشقة شديدة ومذاقة مريرة واما فلانة فادركها راي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين
ولو دعيت لتنال من غيري ما اتت الي لم تفعل ولها بعد حرمتها الاولى والحساب على الله **اقول** عقل نفسه اي ضبطها وحبسها
والضغن الحقد والمرجل القدر والقين الحداد ذلك يقتضي انه سبق منه قبل هذا الفصل ذكر فتن وحروب تقع بين المسلمين وجب على من ادركها
ان يحبس نفسه على طاعة الله دون مخالطتها والدخول فيها وسبيل الجنة هو الدين القيم وقد شرط حمله لهم عليه بالطاعة له اذ لا راي لمن لا يطاع
ونبه على ان من الدين الحق ما هو ذو مشقة شديدة ومذاقة مريرة كالجهاد وكل سائر التكاليف منها مشقة ومرارة وفلانة كناية عن عايشة و
ادراك راي النساء لها خروجها الى البصرة وقد علمت ان راي النساء يرجع الى افن وضعف وفي الخبر لا يفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة وجاء انهن ناقصات
عقل ودين كما سبق بيان حال الحقد واما الضغن فقد نقل له اسباب منها ما كان بينها وبين فاطمة بسبب تزويج الرسول صلى الله عليه وآله بها عقيب
موت خديجة ام فاطمة واقامتها مقامها ومن المعلوم المعتاد ما يقع بين المرأة وابنة زوجها من غيرها من الكدر وكان سبب البغض من المرأة لبنت
الزوج حركة المتخيلة فانه البنت مقام الام التي هي ضرة لها وتشبيهها بها فيقيمها مقام الضرة وتتوهم فيها العداوة والبغضاء ثم منشاء ذلك
الخيال ويتقوى باسباب اخرى فيتاكد البغض خصوصا ان كان الزوج اكرام لبنته كما هو المنقول عن الرسول صلى الله عليه وآله في حق فاطمة واما من جهة البنت
فلتخيلها انها ضرة امها وتوهمها بسبب ذلك بغضها لها فلها بغض للام باعتبار البنت لا على الزوج يتاكد ذلك بالميل المنقول عن الرسول صلى الله عليه وآله
في حق عايشة وايثارها على سائر نسائه والنفوس البشرية خصوصا نفوس النساء تغيظ مادون ذلك فكيف بذلك منه صلى الله عليه وآله ولا شك
في تعدي ذلك الحقد من بعلها علي عليه السلام فان النساء كثيرا ما يحصل بسببهن الاحقاد في قلوب الرجال وعن بعض الحكماء اذا رأيت في الدنيا
خصومة ليست بسبب امرأة فاحمد الله تعالى فانها امر عجيب كثيرا ما كانت فاطمة تشكو الى بعلها من عايشة ومنها ما كان من امر قذف عايشة وتفل

لسائر الحيوان ع

على الله



في وصف الايمان والمراد به

ان عليا عم كان من المشيرين بطلاقها تنزيها لعرض الرسول صلعم من اقوال المنافقين وقال له لما استشاره ان هي الا شسع نعلك وقال سل الخادم وخوفها
فان اقامت على الجحود فاضربها وبلغها كل ذلك الكلام وسمعت ضغنا من الغير مما جرت عادة الناس ان ينقلوه في مثل هذه الوقائع ونقل
اليها النساء ان عليا وفاطمة سرا بذلك فتفاقم الامر وغلظ ثم لما نزلت براءتها وصالحها الرسول صلعم ظهر منها ما جرت العادة بظهوره ممن انتصر
بعد ظلمه وينتصر بعد غلبه من بسط اللسان والتبجح بالبراءة من العيب وفلتات القول في اثناء ذلك وبلغ ذلك عليا وفاطمة عم ومنها كون
النبي صلعم سد باب ابي بكر من المسجد وفتح باب صهره ومنها بعثه اباها بسورة براءة ثم اخذها منه ودفعها الى علي عم الى غير ذلك من الاسباب
الجزئية التي تشهد بها قرائن الاحوال ولا تكاد تتبين بالاقوال فان كل ذلك مما يثير الاحقاد ويؤكد الاضغان وقوله ولو دعيت لتنال من غيري
الى اخره كلام حق لكان الباعث لها في حقه دون غيره وقوله ولها بعد حرمتها الاولى وجبا عند اراده في الكف عن اذاها بعد استحقاقها
للاذى في نظره وحرمتها بنكاح رسول الله صلعم وكونها زوجته له وقوله والحساب على الله تنبيه على ان ما سامحها في الدنيا بما فعلت فان
الله تعالى هو المتولي لحسابها في الاخرة ولعل هذا الكلام منه عم قبل اظهارها للتوبة وعلمه بذلك لانه في معنى اظهار الوعيد لها من الله

منها سبيل ابلج المنهاج انور السراج فبالايمان يستدل على الصالحات وبالصالحات يستدل على الايمان وبالايمان يعمر العلم وبالعلم
يرهب الموت وبالموت تختم الدنيا وبالدنيا تحرز الاخرة وبالقيمة تزلف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين وان الخلق
لا مقصر لهم عن القيمة مرقلين في مضمارها الى الغاية القصوى **اقول** ازلفت قدمت وقربت والارقال ضرب من الخبب
ومقصر له عن كذا اي لا محبس ومبدا الفصل في وصف الايمان والمراد بالايمان التصديق القلبي بالتوحيد وبما جاء به الرسول صلعم ولا شك
في كونه سبيلا ابلج واضح المسلك الى الجنة انوار السراج في ظلمات الجهل ولفظ السراج مستعار والصالحات هي الاعمال الصالحات من
العبادات ومكارم الاخلاق التي وردت بها الشريعة وظاهر كونها معلولات الايمان وثمرات له يستدل بوجوده في قلب العبد على [illegible]
لها استدلالا بالعلة على المعلول ويستدل بصدورها من العبد على وجود الايمان في قلبه استدلالا بالمعلول على العلة واما قوله
فبالايمان يعمر العلم فلان الايمان بالتفسير المذكور اذا اعتضد بالبرهان كان علما وهو روح العلوم ويطلق اسم الايمان عليه مع ثمراته
وهي الاعمال الصالحة لانها من كماله ولا تمام له ولا منفعة بدونها فان العلم اذا لم يعتضد بالعمل فهو قليل الفائدة في الاخرة بل لا ثمرة
له فهو كالخراب الغير الصالح للاقتناء فكما لا يصلح الخراب للسكنى فكذلك العلم الخالي من الاعمال الصالحة ولذلك قال عم في موضع اخر
العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل واما قوله وبالعلم يرهب الموت فلان العلم بالله تعالى وغاية خلقه للانسان
وملاحظة نسبة الدنيا الى الاخرة والعلم باحوال المعاد يستلزم ذكر الموت ودوام ملاحظته وذلك مستلزم لرهبته والعمل له ولما بعده
وقوله وبالموت تختم الدنيا ظاهر اذ الدنيا عبارة عما فيه الانسان قبل الموت من التصرفات البدنية وقوله وبالدنيا تحرز الاخرة اشارة الى ان الدنيا
محل الاستعداد لتحصيل الزاد ليوم المعاد وفيها يحصل كمال النفوس الذي تحرز به سعادة الاخرة وقد سبق بيانه وقوله وبالقيمة تزلف الجنة
للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين اشارة لطيفة قد ذكرناها غير مرة وهو ان بالموت وطرح جلباب البدن تتبين ما للانسان وما عليه مما قدم من
خير او شر وان كانت ثمرة ذلك حاصلا للنفس في الدنيا الا ان التنبه لذلك انما يحصل لها بعد طرح البدن واليه الاشارة بقوله
تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ولفظ الازلاف والبروز يشهد بذلك
لان فيه معنى الظهور اي ظهور الادراك اذن وقوله وان الخلق لا مقصر لهم عن القيمة الى اخره كلام في غاية الحسن مع غزارة الفائدة وهو
اشارة الى انه لا بد لهم من ورود القيمة ومضمارها مدة الحيوة الدنيا وهو لفظ مستعار ووجه المشابهة كون تلك المدة محل استعداد النفوس
للسباق الى حضرة الله كما ان المضمار محل استعداد الخيل للسباق وقد سبق بيان ذلك في قوله الا وان اليوم المضمار وغدا السباق ومرقلين حال واراد
كنا به عن سيرهم المتوهم في مدة اعمارهم الى الاخرة وسرعة حثيث الزمان بهم في اعمارهم وبالغاية القصوى هي السعادة والشقاوة
الاخروية **منها** قد شخصوا من مستقر الاجداث وصاروا الى مصائر الغايات لكل دار اهلها لا يستبدلون بها ولا ينقلون عنها
وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لخلقان من خلق الله تعالى لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق وعليكم بكتاب الله فانه
الحبل المتين والنور المبين والشفاء النافع والري الناقع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستعتب
ولا تخلقه كثرة الرد وولوج السمع من قال به صدق ومن عمل به سبق وقام اليه عليه السلام رجل فقال اخبرنا عن الفتنة وهل سالت
عنها رسول الله صلعم فقال عم لما انزل الله سبحانه الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون علمت ان الفتنة لا تنزل بنا
ورسول الله صلعم بين اظهرنا فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي اخبرك الله بها فقال يا علي ان امتي سيفتنون من بعدي فقلت يا رسول
الله او ليس قد قلت لي يوم احد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة فشق ذلك علي فقلت لي ابشر فان
الشهادة من ورائك فقال لي ان ذلك لكذلك فكيف صبرك اذن فقلت يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن
البشرى والشكر وقال يا علي ان القوم سيفتنون باموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويامنون سطوته ويستحلون حرامه

بالشبهات

صفة اهل القبور في القيمة

ما لشبهات الكاذبة والاهواء الساهية فيستحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع فقلت يا رسول الله فباي المنازل انزلهم عند ذلك ابمنزلة ردة ام بمنزلة فتنة فقال بمنزلة فتنة **اقول** قصد بهذا الفصل صفة حال اهل القبور في القيمة ومصائر الغايات الجنة والنار وظاهر ان لكل دار منهما اهلا لا يستبدلون بها ويجب ان يعنى باهل النار الكفار ليتم قوله لا يستبدلون ولا ينتقلون عنها فان العصاة من اهل القبلة وان صح انهم يعذبون لكن ثبت انهم ينتقلون عنها وقوله وان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الى قوله من رزق حث عليهما من بذكر كونهما خلقين من خلق الله واعلم ان اطلاق لفظ الخلق على الله استعارة لان حقيقة الخلق انه ملكة نفسانية يصدر عن الانسان بها افعال خيرية او شرية واذ قد تنزه قدسه تعالى عن الكيفيات والهيئات لم يصدق هذا اللفظ عليه حقيقة لكن لما كان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من الاخلاق الفاضلة اشبه ما تعتبره له تعالى من صفات الكمال ونعوت الجلال التي ينسب اليها ما يصدر عنه من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والافعال الخيرية التي بها نظام العالم وبقاؤه وحكمته وقدرته وجوده وعنايته وعدم صاحبيهما يتغايرون من الاخلاق الفاضلة التي تصدر عنها الافعال الخيرية والشرية فاستعير لها لفظ الاخلاق واطلق عليه فاما كونهما لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق فلان كثيرا من ضعفاء الاعتقاد العقلى يمنعهم عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر توهم احد الامرين وخصوصا ترك نهى الملوك من المنكرات ثم شرع في الحث على لزوم كتاب الله باوصاف نبه بها على فضيلته الاول الحبل المتين ولفظ الحبل مستعار له ووجه المشابهة كونه سببا لنجاة المتمسك به من الهوى في دركات الجحيم كالحبل في نجاة المتمسك به وقد مر ذكر المتانة الثاني كونه نورا مبينا ولفظ النور ايضا استعارة له باعتبار الاهتداء به الى المقاصد الحقيقية في سلوك سبيل الله الثالث كونه الشفاء النافع اي من الم الجهل وكذلك الرى النافع اي للعطشان من ماء الحيوة الابدية كالعلوم والكمالات الباقية الرابع كونه عصمة للمتمسك ونجاة للمتعلق ومعناه كالذي سبق في كونه حبلا الخامس لا يعوج فيقام اذ ليس هو كسائر الالات المحسوسة السادس ولا يزيغ فيستعتب اي يطلب منه العتبى والرجوع الى الحق كما يفعله سائر الحكام من الناس السابع كونه ولا تخلقه كثرة الرد اي الترديد في الالسنة وولوج الاسماع وهو من خصائص القرآن الكريم فان كل كلام نثرا ونظما اذا كثر تداوله ترمجه الاسماع واستهجن الا القرآن الكريم فانه لا يزال غضا طريا يزداد على طول التكرار في كل الاعصار محبة في القلوب وحسنا ولذلك يلوح من سر ذلك كثرة اسراره وغموضها التي لا يطلع عليها الا الافراد مع كونه في غاية من فصاحة الالفاظ وعذوبة المسمع فاما ما حكاه من سؤال الرسول ص وجواب الرسول له فقد روى كثير من المحدثين عنه ع عن النبي ص انه قال ان الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علي جهاد المشركين قال فقلت يا رسول الله وما هذه الفتنة التي كتب علي فيها الجهاد قال فتنة قوم يشهدون ان لا اله الا الله واني رسول الله وهم مخالفون للسنة فقلت يا رسول الله فعلام اقاتلهم وهم يشهدون كما اشهد قال على الاحداث في الدين ومخالفة الامر فقلت يا رسول الله انك كنت وعدتني بالشهادة فاسال الله ان يعجلها لي بين يديك قال فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين اما اني وعدتك الشهادة وستشهد تضرب على هذه فتخضب هذه فكيف صبرك اذن فقلت يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر هذا موطن شكر قال اجل اصبت فاعد للخصومة فانك مخاصم فقلت يا رسول الله لو بينت لي قليلا فقال ان امتي ستفتن من بعدي فتتاول القرآن وتعمل بالرأي وتستحل الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال فكن حلس بيتك حتى تقلدها فاذا قلدتها جاشت عليك الصدور وقلبت لك الامور فقاتل حينئذ على تاويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فليست حالهم الثانية دون حالهم الاولى فقلت يا رسول الله فباي المنازل هؤلاء المفتونين بمنزلة فتنة ام بمنزلة ردة فقال بمنزلة فتنة يعمهون فيها الى ان يدركهم العدل فقلت يا رسول الله ايدركهم العدل منا ام من غيرنا قال بل منا فبنا فتح وبنا يختم وبنا الف الله بين القلوب بعد الفتنة فقلت الحمد لله على ما وهب لنا من فضله واعلم ان في هذا الفصل غريبة ينبه عليه سوى قوله ليس هذا من مواطن الشكر فانك علمت فيما سلف ان الصبر والشكر من ابواب الجنة والمقامات العالية للسالكين الى الله تعالى لكن علمت ان مقام الشكر ارفع من مقام الصبر ولما كان هو عليه السلم سيد العارفين بعد سيد المرسلين ص لاجرم كان اولى من صدر عنه هذه الاشارة فاما اخبار الرسول ص بان الناس سيفتنون باموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويامنون سطوته وسائر ما اخبر به الى قوله بالبيع فكل ذلك مشاهد في زماننا وقبله بقرون واما كون ذلك منزلة فتنة لا منزلة ردة فلبقائهم على الاقرار بالشهادتين وان ارتكبوا من المحارم ما ارتكبوا لشبهة غطت على اعين ابصارهم وبالله التوفيق **ومن خطبة له ع**

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره وسببا للمزيد من فضله ودليلا على آلائه وعظمته عباد الله ان الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين لا يعود ما قد ولى منه ولا يبقى فيه سرمدا ما فيه اخر فعاله كاوله متشابهة اموره متظاهرة اعلامه فكانكم بالساعة تحدوكم حدو الزاجر بشوله فمن شغل نفسه بغير نفسه تحير في الظلمات وارتبك في الهلكات ومدت به شياطينه في طغيانه وزينت له سيئ اعماله فالجنة غاية السابقين والنار غاية المفرطين اعلموا عباد الله ان التقوى دار حصن عزيز والفجور دار حصن ذليل لا يمنع اهله ولا يحرز من لجأ اليه الا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا

في صفة أهل القبور في القيامة

وباليقين تدرك الغاية القصوى عباد الله الله الله في أعز الأنفس عليكم وأحبها إليكم فإن الله قد أوضح لكم سبيل الحق وأنار طرقه
فشقوة لازمة أو سعادة دائمة فتزودوا في أيام الفناء لأيام البقاء فقد دللتم على الزاد وأمرتم بالظعن وحثثتم على
المسير فإنما أنتم كركب وقوف لا تدرون متى تؤمرون بالسير ألا فما يصنع بالدنيا من خلق للآخرة وما يصنع بالمال من عما
قليل يسلبه وتبقى عليه تبعته وحسابه عباد الله إنه ليس لما وعد الله من الخير مترك ولا فيما نهى عنه من الشر مرغب
عباد الله احذروا يوما تفحص فيه الأعمال ويكثر فيه الزلزال وتشيب فيه الأطفال اعلموا عباد الله أن عليكم رصدا من أنفسكم
وعيونا من جوارحكم وحفاظ صدق يحفظون أعمالكم وعدد أنفاسكم لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ولا يكنكم منهم
باب ذو رتاج وإن غدا من اليوم قريب يذهب اليوم بما فيه ويجيء الغد لاحقا به فكأن كل امرئ منكم قد بلغ من الأرض
منزل وحدته ومخط حفرته فيا له من بيت وحدة ومنزل وحشة ومفرد غربة وكأن الصيحة قد أتتكم والساعة قد غشيتكم
وبرزتم لفصل القضاء قد زاحت عنكم الأباطيل واضمحلت عنكم العلل واستحقت بكم الحقائق وصدرت بكم الأمور مصادرها
فاتعظوا بالعبر واعتبروا بالغير وانتفعوا بالنذر **أقول** الشول النوق التي جف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها
سبعة أشهر الواحدة شائلة على غير قياس والارتباك الاختلاط وحمة العقرب إبرتها وهي محل سمها والرتاج الغلق وقد حمد الله تعالى
باعتبارات أحدها جعله الحمد مفتاحا لذكره في عدة سور الثاني كونه سببا للمزيد من فضله والمراد بالحمد هنا الشكر لقوله تعالى ولئن
شكرتم لأزيدنكم وقد عرفت إعداده لزيادة النعم الثالث وسيلا على الآلاء لاختصاص الشكر بمولي النعم وقدم عظمته لاختصاص مستحقها
ذلك لذاته هو سبب لكل نعمة ولأن الحمد لا ينبغي إلا له ثم أخذ في الموعظة فنبه السامعين على فعل الدهر بالماضين ليتذكروا أنهم
أمثالهم ولاحقون بهم فينتهوا عن غيهم ويعملوا لما بعد الموت ثم نبه على حال الزمان في تقضيه بأن كل وقت مضى منه لا يعود وأن كل وقت منه
لأهل ومتاع من الدنيا إنما يكون في الوجود بوجود ذلك الوقت وظاهر أنه ينقضي بتقضيه ولا يبقى سرمدا ما فيه وأن آثاره متشابهة
آخرها كأولها أي يوجد ما يكون بإعداد وقت منه بوجود ذلك الوقت وينقضي بانقضائه فحاله دائما على نهج واحد وكذلك قوله
متشابهة أموره فإنه كما كان ولا يبعد قوما للفقر وقوما للغنى وقوما للضعة وقوما للرفعة وقوما للوجود وآخرين للعدم كل هو
آخر وقوله متظاهرة أعلامه أي الأمارات على شيمته وطبيعته وأفعاله التي يعامل الناس بها فإنك تجدها متعاضدة يتبع بعضها بعضا
ونسبة هذه الأمور إلى الدهر جريا على ما في أوهام الخلق وإن كان الفاعل هو الله تعالى وإنما الدهر الإعداد كما سبق ثم نبه على قرب الساعة وشبه حدوها
أي سوقها لهم بسوق الزاجر للنوق في حثه لها وقد عرفت كيفية ذلك التشبيه ووجه الاستعارة فيه في قوله وإن الساعة من ورائكم تحدوكم
ووجه الشبه هو السرعة والحث وإنما خص الشول من النوق لخلوها من الأثقال فيكون سوقها أعنف وأسرع ولما نبههم على قربها وانها لاحقة بهم
نبههم على وجوب شغل كل بنفسه إذ كان المشتغل بغير نفسه غير محصل لنور يهتدي به في ظلمات طريق الآخرة بل إنما على أغطية
غشيته من الهيئات البدنية اكتسبها عما اشتغل به من متاع الدنيا والعمل لها وعلمت أن تلك الأغطية مغشية لنور البصيرة فلا جرم يتحير في
تلك الظلمات ويرتبك في مهالك تلك الطريق ومغاويها وتمد به شياطينه وتمده نفسه الأمارة في طغيانه وتزين له سيئ أعماله ثم ذكر
غايتي وجود الإنسان فخص الجنة بالسابقين والنار بالمفرطين وقد كان ذكر الجنة كافيا في الجذب إليها والنار كافيا في الجذب عنها فقرن ذكر
الجنة بفضيلة السبق وذكر النار برذيلة التفريط ليقوى الباعث على الطلب بشرف الغايتين والهرب من خستهما وأيضا فلأن السبق والتفريط
علتان للوصول إلى غايتيهما المذكورتين فيهدي إلى طلب أحدهما والهرب من الأخرى بذكر سببيهما ثم عاد إلى التنبيه على فضيلة التقوى
واستعار له لفظ الدار الحصينة التي تعز من تحصن بها ووجه الاستعارة كونها محصنة للنفس مما في الدنيا من الرذائل الموبقة المفضية إلى
كثير من الهلكات الدنيوية وأما في الآخرة فمن ثمرات الرذائل وملكات السوء المستلزمة للعذاب الأليم ثم على رذيلة الفجور وهو طرف الإفراط
من فضيلة العفة واستعار لفظ الدار بعينه لكونها حصنا ذليلا ووجه الاستعارة كونه مستلزما لضد ما استلزمه التقوى ويجب أن يخص
التقوى هنا بفضيلة القوة البهيمية وهي العفة والزهد لمقابلة الفجور للعفة ثم نبه على فضيلة أخرى للتقوى وهي كونها قاطعة لحمة الخطايا
ولفظ الحمة مستعار لها باعتبار كونها سببا مستلزما للأذى في الآخرة كما يستلزم إبرة العقرب وسمها الأذى ومن روى حمة مشددة
أراد شدة الخطايا وبأسها لأن حمة الحر معظمه وظاهر كون التقوى قاطعا لبأس الخطايا وماحيا للآثار ولما أشار إلى كون التقوى حاسما للـ
خطايا وكان بذلك إصلاح القوة العملية أشار إلى اليقين لأن إصلاح القوة النظرية سبب لبلوغ الغاية القصوى فإن الإنسان
إذا حصل على كمال القوة النظرية باليقين وعلى كمال القوة العملية بالتقوى بلغ الغاية القصوى من الكمال الإنساني ثم عقب بتحذير الناس
من الله تعالى في أعز نفس عليهم وأحبها إليهم وفي الكلام إشارة إلى أن للإنسان نفوسا متعددة وهي باعتبار مطمئنة وأمارة بالسوء ولوامة
وباعتبار عاقلة وشهوية وغضبية والإشارة إلى الثلث الأخيرة وأعزها النفس العاقلة إذ هي الباقية بعد الموت ولها الثواب وعليها العقاب
وفيها الوصية فقصد التحذير غاية حفظ كل نفس مما يوبقها في الآخرة وذلك بالاستقامة على سبيل الله ولذلك قال فقد أوضح لكم سبيل

الحق وأبان

تدرك
من ه
برزتم
على
العرب
الحث
يحصل
بذكرهم
غايتهما
بلغ

فيه تنبيه على فضيلة الرسول

لنحو ذا بان طوفه ودوّت اثارها وتردى بالآيات والنذر ثم نبه على غايتي سبيل الحق وسبيل الباطل بقوله فشقوة لازمة او سعادة دائمة ثم عاد الى الحث على اتخاذ الزاد بعد ان ذكر التقوى منبهًا على ان الزاد هو التقوى كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وايام البقاء والحال التي بعد الموت وذلك لتمام على الزاد في الاية التي علمه الله تعالى بها عليه وامرهم بالظعن كقوله تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الاية وقوله ففروا الى الله وبالجملة فكل امر بالاعراض عن الدنيا والتنفير عنها فهو مستلزم للحث على الظعن والامر بالمسير عن الدنيا بالقلوب لان الظعن هنا هو قطع درجات المعارف والاعمال في سبيل الله وصراطه المستقيم والمسير فيها ويحتمل ان يريد بالحث على المسير حث الليل والنهار بتعاقبهما على الاعمار فيهما سائقان حثيثان تعنيفًا فيجب التنبيه لسوقهما على اتخاذ الزاد لما يسوقان اليه وقوله وانما انتم كركب الى اخره فوجه التشبيه ظاهر فالاذنات هو النفس والمطايا هي الابدان والقوى النفسانية والطريق هي العالم الحسي والعقلي والسير الذي ذكره قبل الموت هو تصرف النفس في العالمين لتحصيل الكمالات المسعدة وهي الزاد لغاية السعادة الباقية واما السير الثاني الذي هم وقوف ينتظرونه فلا يدرون متى يؤمرون به فهو الرحيل الى الاخرة من دار الدنيا وطرح البدن وقطع عقبات الموت والقبر اذ الانسان لا يعرف وقت ذلك وقد تبين لك من سر هذا الكلام ان قوله وامرتم بالظعن مع قوله لا تدرون متى تؤمرون بالمسير غير متنافيين كما ظنه بعضهم ثم اخذ في تزهيد الدنيا والتنفير عنها بمنكرات الانسان غير مخلوق لما لا يعنيه ومقتضى العقل ان يعمل الانسان لما خلق له وفي تزهيد المال بما يكثر ما يلبه عن قليل بالموت ويبقى الحساب عليه وتبعاته من عقاب وهيئات الحاصلة بسبب محبته وجمعه والتصرف الخارج عن العدل فيه ولا سيما الفتنة ثم عقب بالترغيب في وعد الله بانه ليس منه متروك اي ليس منه عوض وبدل في الانفاس والتنفير عما نهى الله عنه بكونه لا مرغب فيه اي ليس فيه مصلحة ينبغي ان يجعلها العاقل غاية مقصودة له اذ هو تعالى اعلم بالمصالح فلا يليق بجوده ان ينهى العبد عما فيه مصلحة راجحة ثم عقب بالتحذير من يوم الوعيد ووصفه بالصفات التي باعتبارها يجب الخوف منه والعمل وهي فحص الاعمال فيه ونقاش الحساب عليه كقوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون وظهور الزلزال كقوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وتشيب الاطفال كقوله تعالى يومًا يجعل الولدان شيبًا واعلم ان هذه الصفات في يوم القيمة ظاهرة في الشريعة وقد سلك التاويل عليها بعض من تحذلق فقال اما الفحص عن الاعمال فيرجع الى احاطة اللوح المحفوظ بها وظهورها للنفس عند مفارقتها للبدن او الى تنقاش النفوس بها كما تقدم شرحه كقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا الاية واما ظهور الزلزال فيحتمل ان يريد التغير الذي لا بد منه والاضطراب العارض للبدن عند مفارقة النفس والتشويش لها ايضًا على ما تقدم من الاشارة الى ان الدنيا هي مقبرة النفوس ولحد اتها واما تشيب الاطفال فكثيرًا ما يكنى بذلك عن غاية الشدة يقال هذا امر تشيب فيه النواصي ويهرم فيه الاطفال اذا كان صعبًا ولا اصعب على النفس من حال المفارقة وما بعدها ثم عقب بالتحذير من المعاصي بالتنبيه على الرصد القريب الملازم واشار بالرصد الى الجوارح كما قال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا الاية والشهادة هنا بلسان الحال والنطق فان كل عضو لما كان مباشر الفعل من الافعال كان حضور ذلك العضو وما صدر عنه في علم الله تعالى بمنزلة الشهادة القولية بين يديه واكد في الله واشار بحفاظ الصدق الى الكرام الكاتبين وقد سبقت الاشارة الى ذلك في الخطبة الاولى وظاهر كونهم لا يستر منهم ساتر ثم بالتحذير بتقريب غد وكنى به عن وقت الموت ثم ببلوغ منزل الوحدة وكنى به عن القبر ووصفه بالاوصاف الموحشة المنفرة المستلزمة للعمل الحلول لما بعدها ثم بالصيحة وهي الصيحة الثانية ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون والنفخة الثانية ونفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم بالقيمة الكبرى والورود لفصل القضاء وهو حال تحقق في كل نفس ما لا بد لها منه من دوام عذاب او دوام نعيم بحكم القضاء الالهي وذلك بعد زوال الهيئات الباطلة الممكنة الزوال من النفوس التي استكمالها ومحوها بعالمها واضمحلال العلل الباطلة للنفوس واستحقاق الحقايق بالخلائق ورجوع كل الى حقيقة ما قدم ثم عاد الى الموعظة الجامعة الكلية فامر بالاتعاظ بالعبر وكل ما يفيد تنبيهًا على احوال الاخرة فهو عبرة وبالاعتبار بالعبر وهي جمع عبرة فعلة من التعبر واعتبارها طريق الاتعاظ والازدجار ثم بالانتفاع بالنذر يرجع نذير وهو اعم من الانسان بل كل امر افاد تخويفًا بامور الاخرة فهو نذير والانتفاع بحصول الخوف عنه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم وانتقاض من المبرم فجاءهم بتصديق الذي بين يديه والنور المقتدى به ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن اخبركم عنه الا ان فيه علم ما ياتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم **اقول** الهجعة النومة والمبرم الحبل المحكم الفتل ومقصود الفصل التنبيه على فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله والفترة الزمان بين الرسولين وكنى بالهجعة من الامم عن غفلتهم في مراقد الطبيعة وبعدهم عما خلقوا لاجله في مدة زمان الفترة واشار بالمبرم الى ما كان الخلق عليه من حسن انتظام الحال بالشرايع السابقة وابرام امورهم بوجودها وانتقاض ذلك النظام بتغير الشرايع واضمحلالها والذي صدقه بين يديه هو التورية والانجيل كما قال تعالى ومصدقًا لما بين يديه من الكتاب وكل امر منتظر قريبًا منه يقال انه جاء بين يديه واستعار لفظ النور للقرآن ووجه الاستعارة ظاهر ثم امر باستنطاقه وعنى بذلك الاستنطاق باستماع ما عنده من لسان الكتاب والسنة وكرر ما ذكرهم به عساها تشتكوا امره باستنطاقه بقوله فلن ينطق ونبه على ما فيه من علم الاولين والاخبار عن القرون الماضية وعلم ما يأتي من الفتن واحوال القيمة وان فيه دواء دائهم وذلك الداء هو الرذائل المنقضية وعلل الدين الذي هو

في صفة رسول ص وزمان الفترة

الفضائل العلمية والعملية التي اشتمل عليها القرآن الكريم ونظام ما بينهم اشارة الى ما اشتمل عليه من القوانين الشرعية والحكمة السياسية التي بها نظام العالم
واستقامة امور ... **منها** فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا وادخله الظلمة ترحة واولجوا فيه نقمة فيومئذ لا يبقى لهم في السماء
عاذر ولا في الارض ناصر اصفيتم بالامر غير اهله واوردتموه غير ورده وسينتقم الله ممن ظلم ماكلا بماكل ومشربا بمشرب من مطاعم العلقم ومشارب
الصبر والمقر ولباس شعار الخوف ودثار السيف وانما هم مطايا الخطيئات وزوامل الآثام فاقسم ثم اقسم لتنخمنها امية من بعدي
كما تلفظ النخامة ثم لا تذوقها ولا تطعم بطعمها ابدا ما كر الجديدان **اقول** الترحة الحزن والمقر المر والزاملة الجمل يستظهر به
الانسان في حمل متاعه وتنخمت النخامة لفظتها وسياق الكلام الاخبار عن حال بني امية وما يحدث في دولتهم من الظلم وكنى ببيت المدر والوبر
عن البدو والحضر وعن استحقاقهم عند فعلهم ذلك للتغير وزوال الدولة بعدم العاذر في السماء والناصر في الارض ثم عقب بتوبيخ الناس
على اصفائهم بامر الخلافة غير اهله والخطاب عام مخصص بالعقل بمن هو راض به ولذ معونته وذريته وتابعي الحق من تقاعد عن القيام معه في ماله لانه
القعود عن ردع الظالم وفيه انه مستلزم لقوته ويجري مجرى نصرته واعانته على ظلمه وان لم يقصد القاعد عنه ذلك ثم اخبر ان الله سينتقم منهم
وماكلا ومشربا منصوبان بفعل مضمر والتقدير يبدلهم ماكلا بماكل واستعار لفظ العلقم والصبر والمقر لما يتجرعونه من شدائد القتل و
اهوال العدو ومرارات زوال الدولة وكذلك لفظ الشعار للخوف ورشح بذكر اللباس ولفظ الدثار للسيف ووجه الاستعارة الاولى ووجه
الثانية ملازمة الخوف لهم كملازمة الشعار للجسد وافاد بعض الشارحين انه انما خص الخوف بالشعار لانه باطن في القلوب والسيف بالدثار
لانه ظاهر في البدن كما ان الشعار ما كان يلي الجسد والدثار ما كان فوقه واستعار لهم لفظ المطايا والزوامل ووجه الاستعارة حملهم للآثام وفي
ملفظها تما اشارة الى ترجيح حركاتهم وتصرفاتهم على غير قانون شرعي فيكون خطيئة وانما ثم اقسم لتنخمنها امية من بعده فاستعار لفظ التنخم
لزوال الخلافة عنهم فكانهم قاذفوها وقذفوها من صدورهم ملاحظة لشبهها بالنخامة وكنى بعدم ذوقها وتطعمها عن عدم رجوعها اليهم وما كر
بمعنى المدة والجديدان الليل والنهار وكنى بذلك وهو اخبار منه عما سيكون وقد روي عن الرسول ص انه اخبر ان بني امية تملك الخلافة بعده مع
ذم منه لهم نحو ما روي عنه في تفسير قوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونحوه قال المفسرون انه
راى بني امية ينزون على منبره نزو القردة وهذا اللفظ تفسير الاية وساءه ذلك ثم قال الشجرة الملعونة بنو امية وبنو المغيرة وروي عنه انه
قال اذا بلغ بنو ابي العاص ثلثين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعباده خولا وكما روي عنه في تفسير قوله ليلة القدر خير من الف شهر
قال الف شهر يملك فيها بنو امية ونحو قوله ابغض الاسماء الى الله الحكم والهشام والوليد الى غير ذلك **ومن خطبة له عليه السلام** ولقد
احسنت جواركم واحطت بجهدي من ورائكم واعتقتكم من ربق الذل وحلق الضيم شكرا مني للبر القليل واطراقا عما ادركه البصر و
شهده البدن من المنكر الكثير **اقول** حاطته بجهده من ورائهم اشارة الى حفظه وحراسته لهم واعتاقهم من ربق الذل وحلق الضيم مما يتم
من عدوهم واعزازهم وبين انه فعل على شكره للقليل من برهم اي مقدار انقطاعهم لله في طاعته واطراقه عن كثير منكرهم مما شاهده منهم بالتجسس
والعفو فان قلت فكيف يجوز له ان يسكت عن انكار المنكر مع مشاهدته له قلت يحتمل ان ذلك منه على عدم التمكن من ازالته بالعنف والقهر ويجوز
ان يستلزم ذلك مفسدة اكبر مما هم عليه من المنكر وظاهر انهم غير معصومين ومحال ان ينتظم دولة او يتم ملك بدون الاحسان الى المحسنين
من الرعية والتجاوز عن بعض المسيئين وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** امره قضاء وحكمة ورضاه امان ورحمة يقضي بعلم
ويعفو بحلم اللهم لك الحمد على ما تاخذ وتعطي وعلى ما تعافي وتبتلي حمدا يكون ارضى الحمد لك واحب الحمد اليك وافضل
الحمد عندك حمدا يملأ ما خلقت ويبلغ ما اردت حمدا لا يحجب عنك ولا يقصر دونك حمدا لا ينقطع عدده ولا يفنى مدده فلسنا
نعلم كنه عظمتك الا انا نعلم انك حي قيوم لا تاخذك سنة ولا نوم لم ينته اليك نظر ولم يدركك بصر ادركت الابصار واحصيت
الاعمال واخذت بالنواصي والاقدام وما الذي نرى من خلقك ونعجب له من قدرتك ونصفه من عظيم سلطانك وما تغيب عنا منه
وقصرت ابصارنا عنه وانتهت عقولنا دونه وحالت ستور الغيوب بيننا وبينه اعظم فمن فرغ قلبه واعمل فكره ليعلم كيف اقمت عرشك
وكيف ذرات خلقك وكيف علقت في الهواء سمواتك وكيف مددت على مور الماء ارضك رجع طرفه حسيرا وعقله مبهورا وسمعه
والها وفكره حائرا **اقول** امره حكمه وقدرته الالهية وكونه قضاء كونه حتما لا يرد وكونه حكمة كونه على وفق الحكمة الالهية والنظام
الاكمل ورضاه يعود الى علمه بطاعة العبد له على وفق امره ونهيه وقوله يقضي بعلم اعادة لمعنى قوله امره قضاء وحكمة يجري مجرى التفسير له
وقوله يعفو بحلم فالعفو يعود الى الرضا بالطاعة بعد تقدم الذنب انما يتحقق العفو مع تحقق القدرة على العقاب اذ العاجز لا يسمى عفوا
فلذلك قال ويعفو بحلم ثم عقب بخطاب الله بالاعتراف بحمده والحمد له باعتبار ضروب من السراء والضراء اشارة الى حمده على كل حال وهي
الاخذ والاعطاء والعافية والابتلاء ثم باعتبار كيفيته وهو كونه ارضى الحمد لله واحبه اليه وافضله عنده اي اشده وقوعا على الوجه اللائق
المناسب لعظمته ثم باعتبار كميته وهو كونه يملأ ما خلق ويبلغ ما اراد ثم باعتبار غايته وهو كونه لا يحجب عنه ولا يقصر دونه ثم باعتبار مادته
وهو كونه لا ينقطع عدده ولا يفنى مدده وقد يكون التفصيل في القول في بعض المواضع ابلغ وقعا في النفوس واللذ وقد يكون الاجمال والاختصار

بمشرب ماكلا

الخيم

لتنخمنها

عن الامية

الزيابية

عليك

النفع والبلغ

في الاعتراف بالعجز عن ادراك كنهه

انفع وابلغ ثم شرع في الاعتراف بالعجز عن ادراك كنه عظمته وفي بيان تحير معرفته الممكنة للخلق وهي اما بالصفات الحقيقية او الاعتبارات السلبية
او الاضافية واشار الى الاعتبارات الثلثة فكونه حيا قيوما اشارة الى الصفات الحقيقية وقد عرفت انها تستلزمان الوجود والقيوم
هو القائم بذاته المقيم لغيره وكل قائم بذاته فهو موجود واجب الوجود وكونه لا تاخذه سنة ولا نوم ولا ينتهي اليه نظر عقلي و بصري ولا
يدركه بصر اعتبارات سلبية وكونه مدركا للابصار محصيا للاعمال اخذا بالنواصي والاقدام اي محيط القدرة بها اعتبارات اضافية
ثم اشار الى استحقار ما عدده مما ادركه بالنسبة الى ما لم يدركه من عظيم ملكوته ما في قوله وما الذي نرى ... على سبيل الاستحقار لما
استفهم عنه وما الثانية والتي في قوله وما يغيب عنا منه بمعنى الذي محلها الرفع بالابتداء وخبره اعظم والواو فيها للحال ثم عقب بالحكم
على من فرغ قلبه واعمل فكره ليصل الى كنه معرفته وعلم كيفية نظامه للعالم الاعلى والاسفل برجوع كل من الالات ادراكه حسيرا مقهورا عن
ادراك ما كلفه وقد ذكرنا من ذلك ما سبقت الاشارة الى براهين هذه الاحكام عند ذكره وبالله التوفيق **منها** يدعي بزعمه انه يرجو الله
كذب والعظيم ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله فكل من رجا عرف رجاؤه في عمله وكل رجاء الا رجاء الله فانه مدخول وكل
خوف محقق الا خوف الله فانه معلول يرجو الله في الكبير ويرجو العباد في الصغير فيعطي العبد ما لا يعطي الرب فما بال الله عز
وجل يقصر به عما يصنع بعباده اتخاف ان تكون في رجائك له كاذبا او تكون لا تراه للرجاء موضعا وكذلك ان هو
خاف عبدا من عبيده اعطاه من خوفه ما لا يعطي ربه فجعل خوفه من العباد نقدا وخوفه من خالقهم ضمارا ووعدا وكذلك
من عظمت الدنيا في عينه وكبر موقعها من قلبه اثرها على الله فانقطع اليها وصار عبدا لها ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كاف لك
في الاسوة ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها وكثرة مخازيها ومساويها اذ قبضت عنه اطرافها ووطئت لغيره اكنافها وفطم من
رضاعها وزوي عن زخارفها وان شئت ثنيت بموسى كليم الله اذ يقول رب اني لما انزلت الي من خير فقير والله ما سأله
الا خبزا يأكله لانه كان يأكل بقلة الارض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه
وان شئت ثلثت بداود صاحب المزامير وقارئ اهل الجنة فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ويقول لجلسائه ايكم
يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها وان شئت قلت في عيسى بن مريم فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن وكان ادامه
الجوع وسراجه بالليل القمر وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها وفاكهته وريحانه ما تنبت الارض للبهائم ولم تكن
له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يذله دابته رجلاه وخادمه يداه فتأس بنبيك الاطيب الاطهر
صلى الله عليه وآله فان فيه اسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى واحب العباد الى الله المتأسي بنبيه والمقتص لاثره قضم الدنيا قضما
ولم يعرها طرفا اهضم اهل الدنيا كشحا واخمصهم من الدنيا بطنا عرضت عليه الدنيا فابى ان يقبلها وعلم ان الله ابغض شيئا
فابغضه وحقر شيئا فحقره وصغر شيئا فصغره ولو لم يكن فينا الا حبنا ما ابغض الله وتعظيمنا ما صغر الله لكفى به شقاقا
لله ومحادة عن امر الله ولقد كان صلى الله عليه وآله يأكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه
ويركب الحمار العاري ويردف خلفه ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة لاحدى ازواجه غيبيه
فاني اذا نظرت اليه ذكرت الدنيا وزخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه
لكيلا يتخذ منها رياشا ولا يعتقدها قرارا ولا يرجو فيها مقاما فاخرجها من النفس واشخصها عن القلب وغيبها عن البصر و
كذلك من ابغض شيئا ابغض ان ينظر اليه وان يذكر عنده ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله ما يدلك على مساوي الدنيا
وعيوبها اذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله اكرم الله محمدا بذلك ام اهانه فان
قال اهانه فقد كذب والعظيم وان قال اكرمه فليعلم ان الله قد اهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن اقرب
الناس منه فتأسى متأس بنبيه واقتص اثره وولج مولجه والا فلا يأمن الهلكة فان الله تعالى جعل محمدا صلى الله عليه وآله
علما للساعة ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة خرج من الدنيا خميصا وورد الآخرة سليما لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله واجاب
داعي ربه فما اعظم منة الله عندنا حين انعم علينا به سلفا نتبعه وقائدا نطأ عقبه والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى
استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل الا تنبذها عنك فقلت اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى **اقول**
المدخول الذي فيه شبهة وريبة وكذلك المعلول الغير الخالص والضمار الذي لا يرجى من الموعود والمقتص للاثر التابع له والقضم الاكل
باطراف الاسنان والهضيم الخميص لقلة الاكل والمحادة والمعاداة والرياش الزينة والدرعة الدراعة واغرب اي تباعد ومساق الكلام
يقتضي ذم من يدعي رجاء الله ولا يعمل له وتنبيهه ان رجاءه ليس بخالص ثم يكذبه وبيان تقصيره في العمل فقوله يدعي بزعمه انه يرجو الله
ذكر صورة الدعوى الخالية او الفالية وقوله كذب والعظيم رد لتلك الدعوى مؤكدا بالقسم البار وانما قال والعظيم دون الله
لان ذكر العظمة هنا انسب للرجاء وقوله ما باله الى قوله عرف رجاؤه في عمله قياس من الشكل الثاني بين فيه انه غير راج والتخصيصات هنا

اذ كان هي موجود
لمن م
سبحانه م
ورسوله
عني م

في بيان العجز عن ادراك كنهه

المدعي للرجاء غير راج ومراده ان الرجاء التام الذي يجتهد في العمل له ولذلك قال الا رجاء الله فانه مدخول فتنبه بان فيه دخلا على وجوده الا انه
غير خالص وبيان الدليل ان كل من رجا امرا من سلطان او غيره فانه يخدمه لتمام وسائله ويبالغ في طلب رضاه ويكون عمله له بقدر قوة رجائه
له وخلوصه ويرى هذا المدعي للرجاء غير عامل فيستدل بتقصيره في الاعمال الدينية على عدم رجائه الخالص في الله وكذلك قوله وكل
خوف محقق الا خوف الله فانه معلول توبيخ للسامعين في رجاء الله تعالى مع تقصيرهم في الاعمال الدينية وتقدير الاستثناء الاول مع المستثنى
منه وكل رجاء لراج يعرف في عمله اي يعرف خلوص رجائه فيما يرجوه الا رجاء الراجي لله فانه غير خالص وروى وكل رجاء الا رجاء الله فانه
مدخول والتقدير وكل رجاء محقق او خالص لتطابق الكلمتين على مساق واحد وينبه على الاضمار في الكلية الاولى قوله في الثانية
محقق فانه يفسر المضمر هنالك وقوله يرجو الله في الكبير الى قوله يعطي الرب في قوة قياس ضمير صغراه قوله يرجو الى قوله الصغير وتقدير كبراه
وكل من كان كذلك فينبغي ان يعطي الله الذي هو اولى من رجائه والعمل له ما لا يعطي المخلوقين الذين هم عباده والصغرى مسلمة فان
الحس يشهد بان كثيرا من اعمال الخلق لما يرجونه بعضهم من بعض بالنسبة الى اعمالهم لما يرجونه من الله تعالى واما الكبرى فبيانها ان المقرر في
الفطرات ان المرجو الكبير يستدعي ما يناسبه مما هو وسيلة اليه كمية وكيفية وقوله فيعطي العبد ما لا يعطي الرب نقض للكبرى وقوله
فما بال الله الى قوله بعباده توبيخ وتشنيع على من خالف العمل بالنتيجة المذكورة وقوله تخاف الى قوله موضعا استفسار عن علة التقصير المذكور
في الرجاء لله والعمل له بالنسبة الى رجاء العباد والعمل لهم استفسارا على سبيل الانكار وتقريعا على ما عساه يدعي من احدى العلتين المذكورتين
وهما خوف الكذب في رجاء الله او ظنه غير اهل للرجاء والامر الاول خطاء عظيم لزم عن التقصير في معرفة الله والثاني كفر صراح وانما خصص
هاتين العلتين بالذكر لانهما المشهورتان في عدم رجاء الخلق بعضهم لبعض او ضعفه وانتفاؤهما في حق الله تعالى ظاهر فانه تعالى الغني المطلق الذي
لا بخل فيه ولا منع من جهته فان العبد اذا استعد بقوة الرجاء له والعمل لما يرجوه منه وجبت افاضة الجود عليه بما يرجوه فلا يكذب
رجاؤه وهو نعم الموضع التام له وقوله وكذلك ان هو خاف الى قوله بعطي ربه قياس ضمير استثنائي بين فيه قصور خوف الخائف
من الله بالنسبة الى خوفه من بعض عبيده والضمير في عبيده لله وفي خوفه للخائف ويحتمل عوده الى العبد والملازمة في الشرطية ظاهرة و
كبرى القياس استثناء عين المقدم لينتج عين التالي وقوله فجعل الى قوله وعدا توبيخ وتشنيع على من لزمه ذلك الاختلاج وانه من القبيح
المشهور ان يجعل الانسان خوفه من عبد مثله نقدا حاضرا وخوفه من خالقه وعدا غير حاضر وقوله وكذلك من عظمت الدنيا الى
اخره اشارة الى علة ايثار الناس للحياة الدنيا على ما عند الله تعالى وعدمهم وانقطاعهم اليها وصيرورتهم عبيدا لها وذكر جزء العلة القريبة
وهو عظمة الدنيا في اعينهم وتمام هذه العلة خفاء ما تصوروه من الوعد الاخروي بالنسبة الى الدنيا وعلة هذه العلة الذات
العاجلة كما هي وعنونة اللذات الموعودة وتصورها الضعيف بحسب الوصف الذي غايته ان يوجب انها تشابه ما وعد
به لما حضر لهم الان فلذلك كانت العاجلة اعظم في نفوسهم واكبر وقعا في قلوبهم ولذلك اثروها وانقطعوا اليها فاستعبدتهم
وغاية هذا التوبيخ التنفير عن الدنيا والجذب عنها الى الرغبة فيما عند الله ولذلك عقب بالتنبيه على ترك الدنيا من الرسول
وسائر الانبياء والمرسلين الذين هم القدوة للخلق واعراضهم عنها وعلى كونهم محل الاسوة الكافية لهم في ذلك وهو كقوله تعالى لقد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة الاية والدليل التام على ذمها وعيبها وكثرة مساويها ومخازيها واشار بقوله اذ قبضت عنه اطرافها
الى مقدمة من مقدمات الدليل على حقارتها وخستها وذلك الى قوله وخادمه بيده وقبض اطرافها عنه كناية عن منعها عنه
بالكلية لعدم استعداده لها وقبوله اياها وتوطئة جوانبها لغيره كناية عن اعطائه اياها وتذليلها له كالملوك واستعار لفظ العظم
لمعرضها وكذلك لفظ الرضاع لها ملاحظة لمشابهتها للام وله بالابن ووجه المشابهة ظاهر والذي ذكره والله ما اسال الاخيرة هو تفسير
الاية كما نقله المفسرون ايضا وصفاق بطنه هو الجلد الباطن وشفيفه ما رق منه فلم يحجب البصر عن ادراك ما وراءه ولشدة
لحمه نفرته واستعار لفظ المزامير لاصوات داود ولفظ الادام للجوع والسراج للقمر والظلال لمشارق الارض ومغاربها والفاكهة
والريحان لما تنبت الارض والدابة للرجلين والخادم لليدين ووجه الاولى مشاركة صوته للزمار وهي الالة التي يزمر بها في الحسن
وروي ان الوحش والطير كانت تقع عليه حال القراءة في محرابه لاستغراقها في لذة صوته ونغمته ووجه الثانية قيام تلك النعمة
بالجوع كقيام العام بالادام ووجه الثالثة مشاركة القمر للسراج في الضوء ووجه الرابعة استتاره عن البرد بالمشارق والمغارب كاستتاره
بالظلال ووجه الخامسة التذاذ ذوقه وشمه بما تنبت الارض كالتذاذ غيره بالفاكهة والريحان ووجه السادسة والسابعة قيام
انتفاعه برجليه ويديه كقيامه بالدابة والخادم وبالجملة فحال الانبياء المذكورين سلام الله عليهم اجمعين في التقشف وترك
الدنيا والاعراض عنها ظاهر معلوم بالتواتر فاما كون داود قاري اهل الجنة كما ورد في الخبر فلان كل امر حسن ينسب الى الجنة في
العرف اولانه مع حسنه جاذب الى الجنة وداع الى الله تعالى ولما وصف حالهم عاد الى الامر بالتاسي بالرسول صلعم لانهم المامورون بوجوب
الاقتداء به وطيبه الاسوة الكافية لمن تاسي به ولا ترافي عهدها ممن سبق وحث على التاسي به بكونه المتاسي المقتص لاثره

احب العباد

في التأسي بالنبي في ترك الدنيا

احب الخصال الى الله وذلك من قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ثم عاد الى اقتصاص من حاله صلى الله عليه وآله في ترك الدنيا
والاقتصار منها على قدر الضرورة ليتبين ما يكون فيه التأسي به وحكى عن ذلك بعضها ثم كنى عن عدم التفاته اليها بعد اعراضه عنها
طرفه وعن كونه اقل الناس شبعا فيها ولتفاته الى كلها وشبرها بكونه اخمصهم خاصرة وبطنا روى عنه انه كان اذا اشتد جوعه
يربط حجرا على بطنه ويسميه المشبع مع ملكه قطعة واسعة من الدنيا وروى انه ما شبع آل محمد من لحم قط وان فاطمة وبعلها وبنيها
كانوا يصومون على اقراص من الشعير كانوا يعدونها لافطارهم وربما آثروا بها السائلين وطووا ما بقي ليتهم فعلوا ذلك ثلث ليال
طووا في ايامها حتى كان ذلك سبب نزول سورة هل اتى في حقهم كما هو المشهور في التفاسير واما قوله وعرضت عليه فابى ان يقبلها
فكما روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال عرضت على كنوز الارض ودفعت لي مفاتيح خزائنها فكرهتها واخترت الدار الآخرة وقوله وعلم ان الله
ابغض شيئا الى قوله فصغره فبغض الله له هو عدم ارادته لها لانها ليست دار اوليائه واشارة الى انها مقصود وجودها بالعرض وتحقيرها وتصغيرها
بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة ثم نفر عن محبتها بعد ان اشار الى بغض الله لها وتصغيره اياها بجملة اعتراضية بالحض منها فيا لها قياس هكذا ان فلو
معا بينا محبتنا لما ابغض الله وتعظيمنا لما صغره وكل محبته وتعظيم كذلك فكفى به شقاقا لله ومحادة عن امره فينتج ان قل بنا فيا لها من الفتيا
بكفينا في شقاق الله ومحادته ثم اردف ذلك بتمام اوصافه في ترك الدنيا والتكلف لها فقوله ولقد كان يأكل على الارض ويجلس جلسة العبيد
كما روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال انما انا عبد آكل اكل العبيد واجلس جلسة العبيد وغاية ذلك هو التواضع وكذلك غاية خصف نعله بيده
وترقيع ثوبه بيده وركوبه الحمار العاري وارداف خلفه اما امره بتغييب التصاوير فمحافظة من حركة الوسواس الخناس وكان الانبياء عليهم السلام
كانوا اسيرين النفس الامارة بالسوء وقاهرين لشياطينهم كانوا ايضا محتاجين الى مراعاتهم ومراقبتهم وتفقد احوال نفوسهم في كل لحظة
وطرفة فانها كاللصوص الخادعين للنفوس المطمئنة متى اهملت وغفل عن قهرها والتحفظ منها عادت الى طباعها وقوله فاعرض عن
الدنيا بقلبه الى قوله ان تذكر عنده اشارة الى الزهد الحقيقي وهو حذف الموانع الداخلة النفسية عن النفس وما قبله من الاوصاف اشارة
الى زهده الظاهري وهو حذف الموانع الخارجية عنه ثم عاد الى التذكير بالقدوة الصالحة والدليل على حقارة الدنيا وخستها فاعاد ذكر
هو وخاصته من اهل بيته مع عظيم زلفته ورفعة منزلته عند الله وازوائها عنه ولما ذكر تلك المقدمة شرع في الاستدلال بقوله فلينظر ناظر الى
قوله اقرب الناس اليه وهو بقياس شرطي متصل مقدمه حملية وتاليه قضية شرطية منفصلة والحجة اذا كان محمد صلى الله عليه وآله جاع في الدنيا مع خاصته
وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته عنده فلا يخلو فعله بذلك اما ان يكون اكرامه او اهانة له والقسم الثاني ظاهر البطلان لانه اذا
ثبت انه صلى الله عليه وآله اخص خواص الله واذا كان احقر ملك في الدنيا لا يقصد باحد من خاصته اذا كان مطيعا له الاهانة فكيف يقصد ذلك
من جبار الجبابرة ومالك الدنيا والآخرة حكيم الحكماء ورحيم الرحماء في حق احق خواصه واشدهم طاعة له ولا حيل وضوح ذلك اقتصر على تكذيب
من قال به وكذبه بالقسم الثاني واما القسم الاول وهو انه اكرمه بذلك فمن المعلوم ان الشيء اذا كان عدمه اكراما وكمالا كان وجوده نقصا واهانة
فكان وجود الدنيا في حق غيره وازوائها عنه مع قربه منزلته اهانة لذلك الغير وذلك يستلزم حقارتها ويبعثها العاقل عن طلبها لتفاده عنها ثم عاد
الى الامر بالتأسي به صلى الله عليه وآله في ترك الدنيا تاكيدا لما سبق بعد بيان وجوه التأسي وهو امر في صورة الخبر مع زيادة تنبيه على ان السبيل اليها سبيل الهلكة
فمن لم يتأس بالنبي صلى الله عليه وآله في احواله في الدنيا وخالفه في الميل الى شيء منها لم يأمن الهلكة اذ قد عرفت ان حب الدنيا رأس كل خطيئة وهي
الجاذبة عن درجات ارباب النعيم الى دركات دار الجحيم وقوله فان الله جعل محمدا الى قوله داعيا ربه صورة احتجاج على قوله والا فلا يأمن الهلكة ونفر عنه
ان الله تعالى جعله علما للساعة وامارة على قربها ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة والمطلع على احوال الآخرة ثم خرج من الدنيا بهذه الاحوال المستلزمة
للنفار عنها والبغض لها والحذر منها فلو لم يكن الركون اليها وارتكاب ضد هذه الاحوال منها مظنة الهلكة لما نفر البنية ثم هو لم
يركن اليها لكنه نفر عنها فكانت مظنة الهلكة فوجب التأسي به في النفار عنها والا لم يأمن غير المتأسي به الهلكة وقد روي علما للساعة بكسر العين
وهو مجاز اطلاقا لاسم المسبب على السبب اذ هو صلى الله عليه وآله سبب للعلم بالساعة وكنى بوضع الحجر على الحجر عن البناء ثم عقب بتعظيم منة الله تعالى على
الناس حين انعم عليهم به سلفا يتبعونه وقائدا يقتفون اثره واردف ذلك بذكر بعض احواله التي تأتي به عليه السلام فيها من ترك الدنيا والاعراض
عن الاستمتاع بها الى غاية ترقيع مدرعته حتى استحيا من راقعها وحكاية قول من قال له الا تنبذها فلبيها وهو ابن الحسن وقوله فعند الصباح يحمد القوم
السرى مثل يضرب لمحتمل المشقة ليصل الى الراحة فاصله ان القوم يسيرون في الليل فيحمدون غب ذلك اذا قرب المنزل اذا اصبحوا وحظ المقصود
لما وقر النفس لمبادئ الاعراض عنها عند وصولها بالملأ الاعلى بسبب تلك الرياضة الكاملة واشراق انوار العالم العلوي عليها التي عندها تحمد
عواقب الصبر على مكاره الدنيا وترك لذاتها ومعاناة شدائدها فالمطابقة ظاهرة في اللغة موقعها وروي انه سئل عليه السلام رقعت قميصك فقال يخشع
له القلب ويقتدي بها المؤمنون ومما نقل في زهده عليه السلام ما رواه احمد في مسنده عن ابي النوار بياع الكرابيس بالكوفة قال جاء في علي بن ابي طالب عليه السلام الى
السوق ومعه غلام له وهو خليفة فاشترى مني قميصين وقال لغلامه اختر ايهما شئت فاخذ احدهما واخذ علي الآخر ثم لبسه ومد يده فوجد
كمه فاضلة فقال اقطع الفاضل فقطعه ثم كفه وذهب وروى احمد ايضا قال لما ارسل عثمن الى علي وجده مؤتزرا بعباءة محتجزا بعقال وهو

فيه ذكر ممادح النبي صلعم

هناء بعيره اى عنجه بالقطران وهو الهناء والاخبار فى ذلك كثيرة والله الموفق

ومن خطبة له عم

بعثه بالنور المضيء والبرهان الجلي والمنهاج البادي والكتاب الهادي اسرته خير اسرة وشجرته خير شجرة اغصانها معتدلة وثمارها متهدلة مولده بمكة وهجرته بطيبة علا بها ذكره وامتد بها صوته ارسله بحجة كافية وموعظة شافية ودعوة متلافية اظهر به الشرائع المجهولة وقمع به البدع المدخولة وبين به الاحكام المفصولة فمن يبتغ غير الاسلام دينا تتحقق شقوته وتنفصم عروته وتعظم كبوته ويكن مآبه الى الحزن الطويل والعذاب الوبيل واتوكل على الله توكل الانابة اليه واسترشده السبيل المؤدية الى جنته القاصدة الى محل رغبته اوصيكم عباد الله بتقوى الله وطاعته فانها النجاة غدا والمنجاة ابدا رهب فابلغ ورغب فاسبغ ووصف لكم الدنيا وانقطاعها وزوالها وانتقالها فاعرضوا عما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها اقرب دار من سخط الله وابعدها من رضوان الله فغضوا عنكم عباد الله غمومها واشغالها لما قد ايقنتم به من فراقها وتصرف حالاتها فاحذروها حذر الشفيق الناصح والمجد الكادح واعتبروا بما قد رأيتم من مصارع القرون قبلكم قد تزايلت اوصالهم وزالت ابصارهم واسماعهم وذهب شرفهم وعزهم وانقطع سرورهم ونعيمهم فبدلوا بقرب الاولاد فقدها وبصحبة الازواج مفارقتها لا يتفاخرون ولا يتناسلون ولا يتزاورون ولا يتحاورون فاحذروا عباد الله حذر الغالب لنفسه المانع لشهوته الناظر بعقله فان الامر واضح والعلم قائم والطريق جدد والسبيل قصد

اقول اسرته اهله والمتهدلة المتدلية وطيبة اسم للمدينة سماها به رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كان اسمها يثرب وروى [illegible] سماها خبثة والمتلافية التي تتلافى ما فسد والكبوة العثرة والوبيل المهلك والكدح السعي والعمل وخلاصة الفصل ذكر ممادح النبي صلعم ثم الموعظة الحسنة والتنفير عن الدنيا والنور المضيء نور النبوة والبرهان الجلي المعجزات والايات الموضحة لنبوته والمنهاج البادي هو شريعته ودينه الواضح والكتاب الهادي القرآن الهادي الى سبيل الجنة وظاهر كون اسرته خير الاسر ولفظ الشجرة مستعار لاصله وظاهر كون قريش افضل العرب ولفظ الاغصان مستعار للاشخاص من بيته صلعم كعلي واولاده وزوجته واعمامه واخوته واعتدال هذه الاغصان تقاربهم في الفضل والشرف وثمارها مستعار لفضائلهم العلمية والعملية وتهدلها كناية عن ظهورها وكثرتها وسهولة الانتفاع بها وذكر مولده بمكة وهجرته بالمدينة في معرض مدحه لشرف مكة بالبيت العتيق وشرف المدينة باهلها حيث آووه ونصروه وحين هاجر اليها فعلا بها ذكره وانتشر فيها صيته وامتدت دعوته ولانه هاجر اليها وهي بلد مجدب قليل الخصب ضعيف الاهل مع غلبة خصومه وقوة المشركين عليه في ذلك الوقت ثم انه مع ذلك علا بها ذكره وانتشر فيها صيته فكان ذلك من آيات نبوته والحجة الكافية ما جاء به من الآيات التي قهر بها اعداء الله والموعظة الشافية ما اشتمل عليه القرآن العظيم والسنة الكريمة من الوعد والوعيد وضرب الامثال والتذكير بالقرون الماضية والآراء المحمودة الجاذبة للناس في ارشاد الطرف الى جناب ربهم وكونها شفاء للقلوب من ادواء الجهل والدعوة المتلافية فانه استدرك بها ما فسد من نظام الخلق وتلافى بها ما هلك من قلوبهم واسود من الواح نفوسهم والشرائع المجهولة طرائق دينه وقوانين شريعته التي لم يكن ليهتدى اليها الا بظهوره والبدع ما كانت عليه اهل الجاهلية من الآثام والفساد في الارض والاحكام المفصولة ما فصله وبينه لنا من احكام دين الاسلام الذي من ابتغى غيره دينا ضل عن سواء طريق النجاة فتحققت شقوته في الآخرة وانفصمت عروته اي انقطع ما تمسك به للنجاة في يده فعظمت عثرته في سفره الى الآخرة وكان مرجعه الى الحزن الطويل على ما فرط في جنب الله ومصيره الى العذاب المهلك في دار البوار ثم انشأ يتوكل على الله توكل المنيب اليه اي الملتفت بقلبه عن غيره المسلم بجميع امره اليه وطلب له الارشاد الى سبيله القاصدة الى جنته التي هي محل الرغبة اليه ثم عقب بالموعظة فبدء بالوصية بتقوى الله وطاعته واطلق عليها لفظ النجاة مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب المادي لكونها معدة للافاضة النجاة من عذاب يوم القيامة وقيل النجاة الناقة التي ينجى عليها فاستعار لفظها للطاعة لانها كالمطية ينجو بها المطيع من العطب ولفظ المنجاة اذ هي محل النجاة دائما والضمير في رهب ورغب لله اي فابلغ في وعيده واسبغ الترغيب فاتم ووصف الدنيا بالاوصاف الموجبة للرغبة عنها ثم امر بالاعراض عن زينتها وعلل حسن ذلك الاعراض بقلة ما يصحب الانسان منها الى الآخرة والمراد الاعراض بالقلب الذي هو الزهد الحقيقي وانما قال لقلة ذلك ولم يقل لعدمه لان السالكين لا بد ان يستصحبوا منها شيئا وهو ما يكتسبه احدهم من الكمالات الى الآخرة لكن القدر الذي يكتسبه المترفون من الكمالات اذا قصدوا باموالهم وسائر زينة الحيوة الدنيا الوصول الى الله نعم قليل نزر ومع ذلك فهم في غاية الخطر من مزلة القدم في كل حركة وتصرف بخلاف اهل التقشف الذين اقتصروا منها على مقدار الضرورة البدنية ويحتمل ان يريد بالقليل الذي يصحبهم منها كالكفن ونحوه وانما كانت اقرب دار من سخط الله وابعدها من طاعة الله لان الميل فيها الى اللهو واللعب والاستمتاع بزينتها المستلزم لسخط الله اغلب من الانتفاع بها في سلوك سبيل الله وقوله فغضوا اي فكفوا عن انفسكم الغم لاجلها والاشتغال بها لما تيقنتم من فراقها لان الغم انما ينبغي ان يوجد بحصول ما يبقى ثم حذر منها حذر الشفيق على نفسه الناصح المجد الكادح لها ثم حذر في الامر بالاعتبار بما هو مشاهد من مصارع القرون الماضية واحوالها الخالية من تفرق اوصالهم وزوال اسماعهم وابصارهم الى سائر ما عدده من الاحوال التي نزلت بهم واستبدلوها من احوالهم الدنيوية التي كانوا عليها ثم حذر منها حذر الغالب لنفسه الامارة بالسوء والناظر بعين عقله مقابح شهوته المانع لها عن التعدي الى حد الافراط من فضيلة العفة فان امر الدنيا والآخرة واضح لمن اعتبر

خالفها وعلم

كلام مع بعض اصحابه

خالها وعلم الشريعة الهادي الى الحق قائم والطريق الى الله سهل مستقيم قاصدا اي فلا تكن امركم عليكم غمة

ومن كلام له عليه السلام

لبعض اصحابه وقد سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وانتم احق به فقال عليه السلام يا اخا بني اسد انك لقلق الوضين ترسل في غير سدد ولك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة وقد استعلمت فاعلم اما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الاعلون نسبا والاشدون بالرسول صلى الله عليه وآله نوطا فانها كانت اثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين والحكم الله والمعود اليه القيمة ودع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل وهلم الخطب في ابن ابي سفيان فلقد اضحكني الدهر بعد ابكائه ولا غرو والله فيا له خطبا يستفرغ العجب ويكثر الاود حاول القوم اطفاء نور الله من مصباحه وسد فواره من ينبوعه وجدحوا بيني وبينهم شربا وبيئا فان ترتفع عنا وعنهم محن البلوى احملهم من الحق على محضه وان تكن الاخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون

اقول الوضين بطان القتب وحزام السرج والقلق الاضطراب والذمامة بالكسر الحرمة ويروى ماتة الصهر اي وسيلته والمصاهرة والنوط التعلق والاثرة بالتحريك الاستبداد والاستيثار والحجرة بفتح الحاء الناحية والجمع حجرات بفتح الجيم وسكونها وهلم تستعمل بمعنى تعال كقوله هلم الينا وقد تستعمل بمعنى هات كما هي هاهنا ويتعدى كما قال نعم هلم شهداءكم ولا غرو اي لا عجب والاود الاعوجاج والجدح بالجيم بعد الحاء الخلط والتحويض والتكدير والشرب بالكسر الحظ من الماء والوبيء ذو الوباء المرض فاما جوابه للاسدي فانه يقال للرجل اذا لم يكن ذا ثبات في عقله وامور بحيث يسأل عما لا يعنيه او يضع سؤاله في غير موضعه ويستعجل انه قلق الوضين واصله ان الوضين اذا قلق اضطرب القتب فلم يثبت فظاهر حال من لا يثبت في مقاله وحركاته فضرب مثلا له وكذلك قوله وترسل في غير سدد اي تتكلم في غير موضع الكلام لا على استقامة وهذا تاديب له وقوله ولك بعد الى قوله استعلمت ابتداء للعذر في حسن جوابه فان للمصاهرة حقا وللسائل على المسؤول حق الارشاد والسؤال فاما كونه صهرا فلان زينب بنت جحش زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت اسدية وهي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة وامها اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فهي بنت عمة رسول الله قالوا والمصاهرة المشار اليها هي هذه ونقل القطب الراوندي ان عليا عليه السلام كان متزوجا لا معنى له اذ ليس كل ما لم يبلغنا من حالهم لا يكون حقا في نفسه الى ان لا يصل الى غيرنا وقوله اما الاستبداد شروع في الجواب والضمير في انها يعود الى معنى الاثرة في الاستبداد والقوم الذين شحوا عليها فعند الامامية من تقدم عليه في الامامة وعند غيرهم قريبا قالوا المراد بهم اهل الشورى بعد مقتل عمر وقوله والحكم الله والمعود اليه اي المرجع في يوم القيمة في معنى التظلم والتشكي والمعود مبتدأ وخبره القيمة فاما البيت فهو لامرئ القيس واصله انه تنقل في احياء العرب بعد قتل ابيه فنزل على رجل من جديلة طيء يقال له طريف فاحسن جواره فمدحه واقام معه ثم انه خاف ان لا يكون له منعة فتحول عنه ونزل على خالد بن سدوس بن اصمع النبهاني فاغارت بنو جديلة طيء وهو في جوار خالد فذهبوا بابله فلما اتاه الخبر ذكر ذلك لخالد فقال له اعطني رواحلك الحق عليها فارد عليك ابلك ففعل فركب خالد في آثار القوم حتى ادركهم فقال يا بني جديلة اغرتم على ابل جاري قالوا ما هو لك بجار قال بلى والله وهذه رواحله فرجعوا اليه فانزلوه عنهن وذهبوا بهن وبالابل فقال امرؤ القيس القصيدة التي اولها البيت فدع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل والنهب هنا ما ينهب وحجراته جوانبه وحديث الثاني مبتدأ والاول خبره وما للتنكير وهي التي اذا دخلت على اسم زادته ابهاما كقوله لامر ما جدع قصير انفه والمعنى دع ذكر الابل فانه مفهوم ولكن حديث الرواحل حديث ما اي حديث مبهم لا يدرى كيف هو وذلك انه قيل ان خالدا هو الذي ذهب بالرواحل فكان عنده لبس في امرها فاما استشهاده به فالمروي في استشهاده النصف الاول من البيت ووجه مطابقته لما هو فيه ان السابقين من الائمة وان كانوا قد استبدوا بهذا الامر فحديثهم مفهوم اذ لهم الاحتجاج بالقدم في الاسلام والهجرة وقرب المنزلة من الرسول وكونهم من قريش فدع ذكرهم وذكر نهبهم لهذا المقام فيما سبق ولكن هات ما نحن فيه الآن من خطب معوية بن ابي سفيان والخطب هو الحادث الجليل واراد هات ذكر خطبه فحذف المضاف للعلم به واشار به الى الاحوال التي ادت الى ان كان معوية منازعا له في هذا الامر مع بعده عنه حتى صار قائما عند كثير من الناس مقامه وقوله فلقد اضحكني الدهر بعد ابكائه اشارة الى غبنه ممن تقدم عليه في هذا الامر وضحكه بعد ذلك تعجب مما حكمت به الاوقات واضطرابها ثم قال ولا عجب اي ذلك امر يجل عن التعجب ثم اخذ في استعظامه فقال يا له خطبا يستفرغ العجب اي يفنيه حتى صار كلا عجب وهو من باب الاغراق والمبالغة كقول ابن هانئ سرت في الميدان يوم طرادهم فعجبت حتى كدت لا اتعجب ويحتمل ان يكون قوله ولا غرو والله اي لا انظر الا الى حقيقة الدنيا وتصرف احوالها فيكون قوله بعد ذلك فيا له استئنافا لاستعظام هذا الامر وكونه يكثر الاعوجاج ظاهر فان كل امر فيه بعد عن الشريعة ازداد الامر به اعوجاجا وقوله حاول القوم الى قوله ينبوعه فالقوم قريش ومصباح انوار الله خاصة الرسول صلى الله عليه وآله من اهل بيته وكذلك ينبوعه استعار لهم باعتبار كونهم معدنا لهذا الامر ولوازمه ووجه الاستعارتين ظاهر ويدل انهم حاولوا ازالة هذا الامر عن مستقره ومنعه من الاحق به وهو بيت الرسول صلى الله عليه وآله ثم استعار لفظ الشرب لوجه ذلك الامر ولفظ الجدح للكدر الواقع بينهم والمجاذبة لهذا الامر واستعار وصف الوبيء له باعتبار كونه سببا للهلاك والقتل بينهم وقوله فان ترتفع الى آخره اي فان يجتمعوا علي وترتفع بيني وبينهم هذا ابتلينا به من هذه المحن والاخرى اسلك بهم محض الحق وان تكن الاخرى البقاء على ما هم عليه فلا اسف عليهم واقتبس الآية المشتملة

فدع ء ل

فان تر

هنا له

بعير ل

في بني اسد ... بن ابي ... لم يبلغنا ... الا كانت ...

ودع ء ل

استعارة

كلام مع بعض اصحابه

على نادب بنفسه ونوطنها على ترك الاسف عليهم ان لم يومنوا وعلى تهديدهم ووعيدهم باطلاع الله على اعمالهم السيئة **ومن خطبة له ع**

الحمد لله خالق العباد وساطح المهاد ومسيل الوهاد ومخصب النجاد ليس لأوليته ابتداء ولا لأزليته انقضاء هو الاول لم يزل والباقي بلا اجل خرت له الجباه ووحدته الشفاه حد الاشياء عند خلقه لها ابانة له من شبهها لا تقدره الاوهام بالحدود والحركات ولا بالجوارح والادوات لا يقال له متى ولا يضرب له امد بحتى الظاهر لا يقال مم والباطن لا يقال فيم لا شبح فيتقضى ولا محجوب فيحوى لم يقرب من الاشياء بالتصاق ولم يبعد عنها بافتراق لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة ولا كرور لفظة ولا ازدلاف ربوة ولا انبساط خطوة في ليل داج ولا غسق ساج يتفيأ عليه القمر المنير وتعقبه الشمس ذات النور في الكرور والافول وتقليب الازمنة والدهور من اقبال ليل مقبل وادبار نهار مدبر قبل كل غاية ومدة وكل احصاء وعدة تعالى عما ينحله المحددون من صفات الاقدار ونهايات الاقطار وتأثل المساكن وتمكن الاماكن فالحد لخلقه مضروب والى غيره منسوب لم يخلق الاشياء من اصول ازلية ولا من اوائل ابدية بل خلق ما خلق فاقام حده وصور ما صور فاحسن صورته ليس لشيء منه امتناع ولا له بطاعة شيء انتفاع علمه بالاموات الماضين كعلمه بالاحياء الباقين وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الارضين السفلى **اقول** الساطح الباسط والمهاد الارض والوهاد جمع وهدة وهي المكان المطمئن والنجاد جمع نجد وهو المكان المرتفع والازدلاف التقدم والربوة ما ارتفع من الارض والساجي الساكن وتفيؤ القمر ذهابه ومجيئه حالتي اخذه في التزايد واخذه في التنقص الى المحاق ومجد موثل وبيت موثل اصيل قديم وقد اشتملت الخطبة من علم التوحيد على مباحث قدم الحمد لله باعتبارات الاول قوله خالق العباد الى قوله النجاد اشارة الى كونه مبدأ لجميع الموجودات وبيانه ان لفظ العباد يشتمل على من في السموات ومن في الارض لقوله تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا ويندخل في ذلك الاجسام الفلكية لكونها اجساما للملائكة وسطح المهاد اشارة الى خلق الارض وجعلها مهادا لما خلق من الحيوان ومسيل الوهاد ومخصب النجاد اشارة الى ايجاده لسائر ما ينتفع به الخلق في الدنيا اذا عرفت ذلك فقد اشتملت هذه الالفاظ على ايجاده لجميع الموجودات الممكنة وقد ثبت ان خالق جميع الموجودات الممكنة لا يكون ممكنا فاستلزم ذلك كونه تعالى واجب الوجود الثاني من الاعتبارات السلبية كونه تعالى لا ابتداء لاوليته اي لا حد لكونه اولا للاشياء تقف عنده اوليته وينتهي به والا لكان محدثا فكان ممكنا فلم يكن واجب الوجود هف الثالث ولا انقضاء لازليته اي لا غاية ينتهي عندها وينقضي والا لقبل العدم فلم يكن واجب الوجود هذا خلف وقوله هو الاول لم يزل والباقي بلا اجل تاكيد للاعتبارين الثاني والثالث بعبارة الاثبات الرابع خرت له الجباه ووحدته الشفاه وهو اشارة الى كمال الوهيته واستحقاقه للعبادة الخامس انه لا يشبهه شيء اذ كل شيء ما عداه محدود ويقدره العقل والوهم ويشير اليه بحد وبحيطان به منها ولا شيء منه تعالى كذلك اذ كل وهم قدره بحد او بحركة او جارحة او اداة كما هو مقتضى الوهم في ادراكه لما يدركه فقد ضل ضلالا بعيدا عن تصوره وقد سبقت الاشارة الى ذلك السادس انه منزه عن لحوق الزمان فلا يسال عنه بمتى وعن غاية الزمان فلا يضرب له امد بحتى السابع كونه ظاهرا ومع غاية ظهوره لا مادة له ولا اصل يستفاد منه فلا يقال انه مم هو موجود الثامن كونه باطنا ومع غاية بطونه وخفائه لا حيز له فيقال فيم بطن وخفي كسائر الخفيات من الاجسام والجسمانيات وقد سبق بيان كونه تعالى باطنا وظاهرا غير مرة التاسع كونه ليس بشخص فيلحقه التغير والانقضاء العاشر ولا محجوب فيحويه الحجاب اذ التشخص للشاطر والحجاب من لواحق الاجسام التي تنزه قدسه عنها الحادي عشر من الاعتبارات الاضافية كونه تعالى قريبا من الاشياء لا بالالتصاق الثاني عشر كونه بعيدا منها لا بالافتراق وقد عرفت معنى قربه وبعده في الخطبة الاولى ولما كان الالتصاق والافتراق من لواحق الاجسام الاجرام تنزه قربه وبعده من الاشياء عنهما الثالث عشر كونه لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة الى قوله وادبار نهار مدبر اشارة الى احاطة علمه بكل المعلومات وشخوص اللحظة مد البصر بلا حركة جفن وكرور اللفظة رجوعها والازدلاف الى الربوة التقدم اليها والربوة المتقدمة اي في النظر والبادرة عند مد العين فانّ الربى اول ما يقع في العين من الارض والضمير في عليه للغسق وقوله وتعقبه الشمس بجد وتحدى الثانية كقوله تعالى نوفيهم الملائكة وروي يعقبه والضمير المنصوب فيه للقمر وقوله من اقبال ليل متعلق بتقليب والمعنى ان الشمس تعاقب القمر فتطلع عند افوله وتطلع عند افولها الرابع عشر كونه قبل كل غاية ومدة وكل احصاء وعدة لانه تعالى خالق الكل ومبدؤه فوجب تقدمه وقبليته الخامس عشر تنزهه وتعاليه عما وصفه به المشبهة والمنعوت الحكم اوهامهم في جنابه المقدس من صفات المقادير كالاقطار والنهايات والجوانب واضافة البيوت وتقديرها والاستقرار في المساكن وسائر ما هو حد محدود ولواحق متعلقها فذوات الاحياز فان كل تلك الحدود مضروبة لخلقه ومنسوبة اليهم السادس عشر كونه خالقا فانه صانعه عنه من غير اصول ازلية ولا اوائل ابدية اي ولا ثابتة معه وسابقة ومعنى هذا الكلام انه لم يخلق ما خلق على مثال سبق يكون اصلا لا اول له يحتذيه وقيل معناه انه ليس لما خلق اصل ازلي ابدي خلق منه من مادة وصورة كما زعمه الفلاسفة وروي ولا من اوائل ابدية وقوله بل خلق ما خلق فاقام حده اي بل هو المخترع لا فاقام حده وهي من المقادير والاشكال

وفيه ذكر ان الشيخين ليسا باولى منه

والنهايات والاجال والغايات على وفق الحكمة الالهية وكذلك صوره ما صور فاحسن صوره اى ابدعه على وفق الاحكام والاتقان السابع عشر كونه
ليس لغيره منه امتناع اشارة الى كمال قدرته واحاطة علمه الثامن عشر كونه لا انتفاع له بطاعة عبد شيء لان الانتفاع من لوازم الحاجة الممتنعة
عليه وهو اشارة الى وصف الغنى التاسع عشر كون علمه تعالى بالاموات الماضين كعلمه بالاحياء الباقين وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في
الارضين السفلى وهو اشارة الى ان علمه غير مستفاد من غيره ولا يلحقه تغير وتجدد فلا يتجدد له علم لم يكن بل علمه تعالى ازلي ابدي تام
لا يلحقه نقصان نسبة جميع الممكنات اليه على سواء وقد علمت تحقيقه في المباحث الالهية في مظانها وبالله التوفيق **منها** ايها
المخلوق السوي والمنشأ المرعي في ظلمات الارحام ومضاعفات الاستار بدئت من سلالة من طين ووضعت في قرار مكين
الى قدر معلوم واجل مقسوم تمور في بطن امك جنينا لا تحير دعاء ولا تسمع نداء ثم اخرجت من مقرك الى دار لم تشهدها
ولم تعرف سبل منافعها فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي امك وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك وارادتك هيهات
ان من يعجز عن صفات ذي الهيئة والادوات فهو عن صفات خالقه اعجز ومن تناوله بحدود المخلوقين ابعد **اقول**
السوي المستوي والمرعي المعتنى بامره والخطاب للانسان ونبهه بكونه سويا مرعيا على وجود خالقه الحكيم اللطيف وقد عرفت
كيفية تخليق الانسان وتطويره شيئا فشيئا الى حال كماله ووضعه وكل ذلك منقلبة في حالاته واطوار خلقته وباستفهامه عمن هداه
لاجترار الغذاء من ثدي امه وعرفه عند الحاجة مواضع طلبه وهي الاثداء اي على وجود خالق هداه الى جميع حاجاته نبه هذا الكلام
من العلم بالصانع امر مركوز في النفوس وان احتاج الى ادنى تنبيه وما وراء ذلك من معنى صفات الكمال ونعوت الجلال وامور لا نطلع عليها
العقول البشرية بالكنه وانما نطلع منها على اعتبارات ومقايسات له الى خلقه ويحتاج فيها الى الدليل والبرهان وقد اشرنا الى ذلك
من قبل ونبه على بعد ادراكها والعجز عنها بقوله هيهات الى قوله والادوات اي من يعجز عن صفات نفسه في حال تخليقه والاطلاع
على منافع جوارحه واعضائه مع كونها محسوسة مشاهدة له فهو عن صفات خالقه التي هي ابعد الاشياء عنه مناسبة اعجز وعن ادراكه
بالمقايسة والتشبيه بحدود المخلوقين وصفاتهم ابعد وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما اجتمع الناس اليه وشكوا
ما نقموه على عثمان وسالوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم فدخل على عثمان فقال ان الناس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم
والله ما ادري ما اقول لك ما اعرف شيئا تجهله ولا ادلك على امر لا تعرفه انك لتعلم ما نعلم ما سبقناك الى شيء فنخبرك
عنه ولا خلونا بشيء فنبلغكه وقد رايت كما راينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله صلى الله عليه واله وما ابن ابي قحافة
ولا ابن الخطاب باولى بعمل الحق منك وانت اقرب الى رسول الله صلى الله عليه واله وشيجة رحم وقد نلت من صهره ما لم ينالا
فالله الله في نفسك فانك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهل وان الطرق لواضحة وان اعلام الدين لقائمة واعلم ان
افضل عباد الله عند الله امام عادل هدي وهدى فاقام سنة معلومة وامات بدعة مجهولة وان السنن لنيرة لها اعلام
وان البدع لظاهرة لها اعلام وان شر الناس عند الله امام جائر ضل وضل به فامات سنة ماخوذة واحيا بدعة متروكة
واني سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور
كما تدور الرحى ثم يرتبط في قعرها واني انشدك الله ان تكون امام هذه الامة المقتول فانه كان يقال
يقتل في هذه الامة امام يفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة ويلبس امورها عليها ويبث الفتن فيها فلا يبصرون الحق من
الباطل يموجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا فلا تكونن لمروان سيقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السن وتقضي العمر
فقال له عثمان كلم الناس في ان يؤجلوني حتى اخرج اليهم من مظالمهم فقال عليه السلام ما كان بالمدينة فلا اجل فيه وما
غاب فاجله وصول امرك اليه **اقول** استسفروني اتخذوني سفيرا اي رسولا والوشيجة عروق الشجرة والسيقة بتشديد
الياء ما يسوقه العدو في الغارة من الدواب وجلال السن علوه وحاصل الكلام استعتابه باللين من القول فاثبت له منزلة من العلم
اي باحكام الشريعة والسنن المساواة لهم في زمان الرسول صلى الله عليه وآله والظهور على كل ما ظهر عليه منها من مرئي ومسموع والصحبة المماثلة
لصحبته وذكر ان الشيخين ليسا باولى منه بعمل الحق ثم فضله عليهما بقرب الوشيجة من رسول الله صلى الله عليه وآله والمصاهرة من دونهما ولفظ
الوشيجة مستعار لما بينه وبينهم من القرابة فاما كونه اقرب وشيجة منهما فلكونه من ولد عبد مناف دونهما ثم حذره الله وعقب
التحذير بتنبيهه على انه غير محتاج الى تعليم فيما يراد منه ووضوح طريق الشريعة وقيام اعلام الدين ثم بتنبيهه على فضيلة الامام العادل
بالصفات المذكورة وعلى قيام اعلام السنن وقيام اعلام البدع ليقتدي بتلك ويتنكب عن هذه ثم على حال الامام الجائر يوم القيامة بما
نقل من الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وآله ثم ناشده الله تعالى وحذره ان يكون الامام المقتول في هذه الامة وقد كان الرسول ص
اخبر بذلك بهذه العبارة التي نقلها بعد قوله يقال او بما يناسبها ثم نهاه ان يكون سيقة لمروان بن الحكم اي يصرفه حسب مقاصده
بعد بلوغه معظم السن وتقضي عمره وقد كان مروان من اقوى الاسباب الباعثة على قتل عثمان وكان يعكس الاراء التي يشار على عثمان

كما صحبنا

الفتن

بن قيس على عليه السلام وغيره مع كونه بغيضا الى المغيرة بن شعبة من الصحابة وكونه طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وقوله في جوابه ما كان ما نقمته فالجوا[...] الى آخره كلام جزل حاسم لما عساه يكون مما طلبه من طلب التأجيل لأن الحاضر لا معنى لتأجيله والغائب لا عذر في تأخيره بعد بلوغ امر البيعة وعطاه وزيادة من اموال بيت المال على عثمان وجعله وقد سبق في الفصول المتقدمة من امر عثمان مع الصحابة وما نقموه عليه ما فيه كفاية وبالله التوفيق

فيه ذكر عجائب خلقة الطاووس

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس ابتدعهم خلقا عجيبا من حيوان وموات وساكن وذي حركات وأقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما انقادت له العقول معترفة به ومسلمة له ونعقت في أسماعنا دلائله على وحدانيته وما ذرأ من مختلف صور الأطيار التي أسكنها أخاديد الأرض وخروق فجاجها ورواسي أعلامها من ذوات أجنحة مختلفة وهيئات متباينة مصرفة في زمام التسخير ومرفرفة في مخارق الجو المنفسح والفضاء المنفرج كونها بعد اذ لم تكن في عجائب صور ظاهرة وركبها في حقاق مفاصل محتجبة ومنع بعضها بعبالة خلقه أن يسمو في السماء خفوفا وجعله يدف دفيفا ونسقها على اختلافها في الأصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه ومنها مغموس في لون صبغ قد طوق بخلاف ما صبغ به ومن أعجبها خلقا الطاووس الذي أقامه في أحكم تعديل ونضد ألوانه في أحسن تنضيد بجناح أشرج قصبه وذنب أطال مسحبه اذا درج الى الأنثى نشره من طيه وسما به مطلا على رأسه كأنه قلع داري عنجه نوتيه يختال بألوانه ويميس بزيفانه يفضي كافضاء الديكة ويؤر بملاقحة أر الفحول المغتلمة في الضراب أحيلك من ذلك على معاينة لا كمن يحيل على ضعيف اسناده ولو كان كزعم من يزعم أنه يلقح بدمعة تسفحها مدامعه فتقف في ضفتي جفونه وأن أنثاه تطعم ذلك ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب تخال قصبه مداري من فضة وما أنبت عليها من عجيب داراته وشموسه خالص العقيان وفلذ الزبرجد فان شبهته بما أنبتت الأرض قلت جنى جني من زهرة كل ربيع وان ضاهيته بالملابس فهو كموشي الحلل أو كمونق عصب اليمن وان شاكلته بالحلي فهو كفصوص ذات ألوان قد نطقت باللجين المكلل يمشي مشي المرح المختال ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه ضاحكا لجمال سرباله وأصابيغ وشاحه فاذا رمى ببصره الى قوائمه زقا معولا بصوت يكاد يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجعه لأن قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية وله في موضع العرف قنزعة خضراء موشاة ومخرج عنقه كالابريق ومغرزها الى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية أو كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال وكأنه متلفع بمعجر أسحم الا أنه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه أن الخضرة الناضرة ممتزجة به ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم في لون الأقحوان أبيض يقق فهو ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق وقل صبغ الا وقد أخذ منه بقسط وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه فهو كالأزاهير المبثوثة لم تربها أمطار ربيع ولا شموس قيظ وقد يتحسر من ريشه ويعرى من لباسه فيسقط تترى وينبت تباعا فينحت من قصبه انحتات أوراق الأغصان ثم يتلاحق ناميا حتى يعود كهيئته قبل سقوطه لا يخالف سالف ألوانه ولا يقع لون في غير مكانه واذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه أرتك حمرة وردية وتارة خضرة زبرجدية وأحيانا صفرة عسجدية فكيف تصل الى صفة هذا عمائق الفطن أو تبلغه قرائح العقول أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين وأقل أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه والألسنة أن تصفه فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون فأدركته محدودا مكونا ومؤلفا ملونا وأعجز الألسن عن تلخيص صفته وقعد بها عن تأدية نعته وسبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجة الى ما فوقهما من خلق الحيتان والفيلة ووأى على نفسه ألا يضطرب شبح مما أولج فيه الروح الا وجعل الحمام موعده والفناء غايته

أقول نعقت صاحت والأخاديد شقوق الأرض وشعابها والفجاج جمع فج وهي الطريق بين الجبلين والعبالة امتلاء الجسد ونسقها نظمها ويختال يتبختر والخيلاء والزيفان التبختر ويميس يتمايل والأر النكاح والحركة فيه والملاقحة الالقاح والمغتلمة الشديدة الشبق والقلع الداري الشراع المنسوب الى دارين وهي جزيرة من سواحل القطيف من بلاد البحرين يقال ان الطيب كان يجلب اليها من الهند وهي الآن خراب لا عمارة بها ولا ساكن وفيها آثار قديمة وعنجه عطفه والنوتي ربان السفينة وضفتي جفونه جانباها والمنبجس المنفجر والمداري جمع مدرى وهي خشبة ذات أطراف كأصابع محددة الرؤوس ينقى بها الطعام ودارات الخطوط المستديرة والعقيان الذهب والفلذ جمع فلذة وهي القطعة والزبرجد قيل هو الزمرد وقيل يطلق على الجنس والجنى وقيل بمعنى المجني وهو الملتقط والعصب برود تعمل باليمن والمضاهاة المشابهة والحمش الدقاق ونطقت في اللجين أي شدت فيه ورصعت والوشاح سير ينسج من أديم ويرصع بالجواهر فتجعله المرأة على عاتقيها الى كشحيها وزقا صاح والمعول الصارخ والديكة الخلاسية هي المتولدة بين الدجاج الهندي والفارسي ونجمت ظهرت والظنبوب حرف الساق والصيصية الهنة التي في مؤخر رجل الديك والقنزعة الشعر المجتمع في موضع من الرأس والوسمة بكسر السين وسكونها شجر العظلم يختضب به والأسحم الأسود والتلفع التلحف واليقق خالص البياض ويأتلق يلمع والبصيص البريق وتترى [...]

فيه فضل العزلة ولزوم البيت

من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل اي فان الاجتماع على الحق المكروه اليكم كالحرب مثلا خير لكم من الافتراق في الباطل المحبوب عندكم
كمتاع الدنيا ثم تمم النهي عن الفرقة وقال فان الله لم يعط احدا بالفرقة خيرا لا من الماضين ولا من الباقين ولما كان الخير في الاجتماع
والالفة والمحبة حتى يصير الناس كرجل واحد ويتم نظام العالم بذلك كان في الفرقة اضداد ذلك وكذلك ما روي عن الرسول صلى الله عليه وآله
من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وقد سبق بيان فضيلة الاجتماع ثم اعاد النهي عن تعييب الناس
بذكر معايبهم وغيبتهم من عسى ان يستحي من نفسه بان لكل عيبا ينبغي ان يشتغل به وطوبى فعلى من الطيب والواو منقلبة عن ياء وقيل
هي اسم شجرة في الجنة وعلى التقديرين مبتدأ وثم تنبيه على فضل العزلة ولزوم البيت للاشتغال بطاعة الله والبكاء على الخطيئة و
الندم عليها وقوله وكان من نفسه في شغل الى آخره ما ذكره ثمرة العزلة واعلم ان الناس قد اختلفوا في ان العزلة افضل ام المخالطة
ففضل جماعة من مشاهير الصوفية والعارفين العزلة منهم ابرهيم بن ادهم وسفيان الثوري وداود الطائي والفضيل بن عياض وسليمان
الخواص وبشر الحافي وفضل الاخرون المخالطة ومنهم الشعبي وابن ابي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وابن عيينة وابن المبارك واحتج
الاولون بالنقل والعقل اما النقل فقوله صلى الله عليه وآله لعقبة بن عامر الجهني لما ساله عن طريق النجاة فقال ليسعك بيتك امسك عليك
دينك وابك على خطيئتك وقيل له صلى الله عليه وآله اي الناس افضل فقال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره
وقال صلى الله عليه وآله يحب الله التقي النقي الخفي واما العقل فهو ان في العزلة فوائد مطلوبة لله لا توجد في المخالطة فكانت اشرف منها الفراغ لعبادة
الله والتذكر لها والاستيناس بمناجاته والاستكشاف لاسراره في امور الدنيا والآخرة من ملكوت السموات والارض ولذلك كان
رسول الله صلى الله عليه وآله يتعبد بجبل حراء ويعتزل به حتى اتته النبوة واحتج الاخرون بالقران والسنة اما القران فقوله تعالى والف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته
اخوانا وقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ومعلوم ان العزلة تنفي تالف القلوب وتوجب تفرقها واما السنة فقوله صلى الله عليه
وآله من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وما روي ان رجلا اتى جبلا ليتعبد فيه فجاء به اهله الى رسول الله صلى الله عليه وآله فنهاه
عن ذلك وقال له ان صبر المسلم في بعض مواطن الجهاد يوما واحدا خير له من عبادة اربعين سنة واقول ان كلا الاحتجاجين صحيح لكن ليس افضلية
العزلة مطلقا ولا افضلية المخالطة مطلقا بل كل في حق بعض الناس بحسب مصلحته وفي بعض الاوقات بحسب ما يشتمل عليه من المصلحة واعلم ان من اراد
ان يعرف مقاصد الانبياء عليهم السلام في اوامرهم ونواهيهم فينبغي ان يعرف طرفا من قوانين الاطباء ومقاصدهم من العبارات المطلقة لهم فانه
كما ان الاطباء هم المعالجون للابدان بانواع الادوية والعلاجات لغاية بقائها على صلاحها او رجوعها الى العافية من الامراض البدنية
كذلك الانبياء عليهم السلام ومن يقوم مقامهم فانهم اطباء النفوس والمبعوثون لعلاجها من الامراض النفسانية كالجهل وسائر رذائل الاخلاق
بانواع الكلام من الاداب والمواعظ والنواهي والضرب والقتل وكما ان الطبيب قد يقول الدواء الفلاني نافع من المرض الفلاني ولا يعني به
في كل الامزجة بل في بعضها كذلك الانبياء والاولياء اذا اطلقوا القول في شيء انه نافع كالعزلة مثلا فانهم لا يريدون انها نافعة لكل انسان
وكما ان الطبيب قد يصف لبعض المرضى دواء ويرى شفاءه فيه ويرى ان ذلك الدواء بعينه لمريض آخر كالسم القاتل وبعد الخير بعينه كذلك الانبياء
قد يرون ان بعض الامور دواء لبعض النفوس فيقتصرون عليه وقد يرون ان بعض الاوامر علاج لبعض النفوس كالامر بالعزلة والحث عليها
لبعض الناس وقد يرون ان ذلك العلاج بعينه مضر لغير تلك النفس فيامرونها بضد ذلك كالامر بالمخالطة والمعاشرة واكثر ما يحسن ذو
العزلة لمن بلغ رتبة من الكمال في قوتيه النظرية والعملية واستغنى عن مخالطة كثير من الناس لان اكثر الكمالات الانسانية من العلوم
والاخلاق انما تحصل بالمخالطة خصوصا اذا كان ذلك الانسان اعني المامور بالعزلة خاليا عن عائلة يحتاج ان يتكسب لهم واكثر ما يحسن ذو
المخالطة والاجتماع لتحصيل الالفة والاتحاد بالمحبة وللاتحاد غايتان كليتان احدهما حفظ اصل الدين وتقويته بالجهاد والثانية
تحصيل الكمالات التي بها نظام امر الدارين لان اكثر العلوم والاخلاق تستفاد من العشرة والمخالطة كما بيناه وبالله التوفيق **ومن كلام
له عليه السلام** في معنى الحكمين فاجتمع رأي ملائكم على ان اختاروا رجلين فاخذنا عليهما ان يجعجعا عند القران ولا يجاوزاه
وتكون السنتهما معه وقلوبهما تبعه فتاها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما والاعوجاج دأبهما وقد سبق استثناؤنا
عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحق سوء رأيهما وجور حكمهما والثقة في ايدينا لانفسنا حين خالفا سبيل الحق واتيا بما
لا يعرف من معكوس الحكم **اقول** هذا الفصل من خطبة خطبها بعد ما انعدم امر الحكمين والاجماع تصميم العزم وجعجعا حبسا نفسهما على
القران والخطاب لمن انكر عليه رضاه بالتحكيم بعد الرضا به وقد حكى فيه اجماع رأي جماعتهم على اختيار الرجلين وهما ابو موسى الاشعري
وعمرو بن العاص واخذه عليهما ان يحبسا نفسهما على العمل بالقران ولا يجاوزاه وتكون السنتهما وقلوبهما معه والملازمة القلوب على
الميول الى ارادته مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب كقوله تعالى فقد صغت قلوبكما وذلك هو شرط رضاه عليه السلام بالتحكيم ثم حكى خروجهما مما
اشترط عليهما وتيههما عن الكتاب وتركهما الحق مع ابصارهما له وخروجهما عن فضيلة العدل بحسب الهوى الى رذيلة الجور والاعوجاج عن
طريقة الحق وقوله وقد سبق استثناؤنا اعاده لذكر سبق الشرط في الحكم بالعدل وسوء رأيهما منصوب لانه مفعول سبق وقوله والثقة في

خطبة في أول خلافته بعد مقتل عثمان

ابيه بيننا الا نفسنا اي تاتي ببرهان وتعذر من امرنا وليس بلازم لنا حكمهما لانهما خالفا الشرط واتيا بما لا يعرف من الحكم المعكوس وقد حكينا فيما سبق طرفا من حال التحكيم وخداع عمرو بن العاص لابي موسى الاشعري وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** لا يَشغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ وَلا يُغَيِّرُهُ زَمانٌ وَلا يَحويهِ مَكانٌ وَلا يَصِفُهُ لِسانٌ وَلا يَعزُبُ عَنهُ عَدَدُ قَطرِ الماءِ وَلا نُجومِ السَّماءِ وَلا سَوافي الرّيحِ في الهَواءِ وَلا دَبيبُ النَّملِ عَلَى الصَّفا وَلا مَقيلُ الذَّرِّ في اللَّيلَةِ الظَّلماءِ يَعلَمُ مَساقِطَ الأوراقِ وَخَفِيَّ طَرفِ الأحداقِ وَأشهَدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ غَيرَ مَعدولٍ بِهِ وَلا مَشكوكٍ فيهِ وَلا مَكفورٍ دينُهُ وَلا مَجحودٍ تَكوينُهُ شَهادَةَ مَن صَدَقَت نِيَّتُهُ وَصَفَت دِخلَتُهُ وَخَلَصَ يَقينُهُ وَثَقُلَت مَوازينُهُ وَأشهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ المُجتَبى مِن خَلائِقِهِ وَالمُعتامُ لِشَرحِ حَقائِقِهِ وَالمُختَصُّ بِعَقائِلِ كَراماتِهِ وَالمُصطَفى لِكَرائِمِ رِسالاتِهِ وَالمُوَضَّحَةُ بِهِ أشراطُ الهُدى وَالمَجلُوُّ بِهِ غِربيبُ العَمى أيُّها النّاسُ إنَّ الدُّنيا تَغُرُّ المُؤَمِّلَ لَها وَالمُخلِدَ إلَيها وَلا تَنفَسُ بِمَن نافَسَ فيها وَتَغلِبُ مَن غَلَبَ عَلَيها وَايمُ اللهِ ما كانَ قَومٌ قَطُّ في غَضِّ نِعمَةٍ مِن عَيشٍ فَزالَ عَنهُم إلّا بِذُنوبٍ اجتَرَحوها لِأنَّ اللهَ لَيسَ بِظَلّامٍ لِلعَبيدِ وَلَو أنَّ النّاسَ حينَ تَنزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وَتَزولُ عَنهُمُ النِّعَمُ فَزِعوا إلى رَبِّهِم بِصِدقٍ مِن نِيّاتِهِم وَوَلَهٍ مِن قُلوبِهِم لَرَدَّ عَلَيهِم كُلَّ شارِدٍ وَأصلَحَ لَهُم كُلَّ فاسِدٍ وَإنّي لَأخشى عَلَيكُم أن تَكونوا في فَترَةٍ وَقَد كانَت أُمورٌ مَضَت مِلتُم فيها مَيلَةً كُنتُم فيها عِندي غَيرَ مَحمودينَ وَلَئِن رُدَّ عَلَيكُم أمرُكُم إنَّكُم لَسُعَداءُ وَما عَلَيَّ إلّا الجُهدُ وَلَو أشاءُ أن أقولَ لَقُلتُ عَفا اللهُ عَمّا سَلَفَ **أقول** هذه الخطبة خطب بها بعد مقتل عثمن في اول خلافته والدخلة بالكسر والضم باطن الشيء والمعتام المختار وعقائل الشيء نفائسه واشراط الهدى علاماته والغربيب الاسود والمخلد اليها المسلم اليها المؤمن ولا تنفس لا تضن وتبخل وغض النعمة طريها وصدر الخطبة بالاشارة الى اعتبارات توحيدية الاول انه لا يشغله شأن عن شأن وذلك لان الشغل عن الشيء اما القصور او الالتفات الى العلم وقد ثبت انه تعالى عالم محيط بكل معقود ومعلوم فاذن لا يشغله مفقود عن مفقود ولا معلوم عن معلوم وتقرير ذلك بين المتكلمين في الكتب الكلامية والحكمية الثاني لا يغيره زمان واذ ثبت انه تعالى خالق الزمان ولا زمان يلحقه فلا تغير يلحقه بتغيره ولانه واجب الوجود ولا شيء من المتغير في ذاته او صفاته بواجب الوجود فلا شيء منه يلحقه التغير الثالث ولا يحويه مكان لبراءته عن الجسمية ولواحقها وكلما كان كذلك فهو بريء عن المكان ولواحقه فينتج انه بريء من المكان ولواحقه الرابع ولا يصفه لسان اي لا يعبر اللسان عن حقيقته وصفته وبيان ما هو ذلك انه تعالى منزه عن عوارض التراكيب فمحال ان يقع العقول على حقيقته وصفته فكيف باللسان الذي هو المعبر عنها الخامس ولا يعزب عنه عدد قطر الماء الى قوله الاحداق وهو اشارة الى احاطة علمه المقدس بكليات الامور وجزئياتها وهذه مسئلة عظيمة حارت فيها العقول وقد اشرنا اليها في المختصر الموسوم بالقواعد الالهية ثم عقب هذا التنزيه بالشهادة بكلمة التوحيد وذكر لها من احوال الشهود بوحدانيته عليها الاول كونه غير معدول به اي لا عديل له ولا مثل الثاني ولا مشكوك فيه اي في وجوده فان ذلك ينافي الشهادة بالوحدانية الثالث ولا مكفور دينه لان الجحود لدينه يستلزم النقصان في معرفته فكان الاعتراف به كمال المعرفة والشهادة بوحدانيته الرابع ولا مجحود تكوينه اي ايجاده للموجودات وكونه بانيا لها ثم عقب وصف المشهود له بالحال تلك الشهادة باوصاف الشاهد بها باعتبار شهادته وهي كونه صادق النية في تلك الشهادة اي باعتقاداتها وصافي الدخلة اي نقي الباطن من الرياء والنفاق وخالص اليقين بوجود المشهود له وكمال وحدانيته من الشكوك والشبهات فيه وثقيل الموازين بكمال تلك الشهادة والقيام بحقوقها من سائر الاعمال الصالحة واردفها باختها وذكر للمشهود بعبديته ورسالته اوصافا احدها كونه مجتبى من الخلائق ومصطفى منهم وذلك يعود الى اكرامه باعداد نفسه لقبول انوار النبوة الثاني والمختار لشرح حقائقه اي لايضاح ما خفي من الحقائق الالهية والشرعية التي بينها الثالث المختص بنفائس كراماته وهي الكمالات النفسانية من العلوم ومكارم الاخلاق التي افاضها عليه ومعها على تكميل الناقصين الرابع والمصطفى لكرائم رسالاته اي لرسالاته الكريمة وتعديدها باعتبار تعداد نزول الاوامر عليه فان كل امر منها تبليغه الى الخلق رسالة كريمة الخامس الموضحة به اعلام الهدى وهي قوانين الشريعة وكلمات الكتاب السادس والمجلو به غربيب العمى واستعار لفظ الغربيب لشدة ظلمة الجهل ولفظ الجلاء لزوال تلك الظلم بانوار النبوة ثم ايه بالناس ونبههم على معايب الدنيا ومذامها منها انها تغر المؤمل لها والراكن اليها وذلك ان المؤمل لبعض مطالبها لا يزال يتجدد له امارات خيالية على مطالب وهمية وانها ممكنة التحصيل نافعة فتوجب له مد الامل وقد يخترم دون بلوغها وقد ينكشف بطلان تلك الامارات بعد العناء الطويل ومنها انها لا تنفس على من نافس فيها ولا تحبها بل تسمح به لطالب وترميه بغرائب من النوائب ومنها انها تغلب على من غلب عليها اي في ملكها واخذها بالغلبة فتغريه وتقهره وتغلبه والاوصاف المذكورة التي من شانها ان تكون للعدو القوي الداهي وهي كونها تغر المؤمل لها وتغلب مغالبها ولا تبقى على محبها مستعارة ووجه المشابهة استلزام الكون فيها والاغترار بها ومحبتها والتملك لها الهلاك فيها وعنها في الاخرة كما يستلزم الغرور بالعدو والداهي الذي لا يحب احدا والركون اليه الهلاك ثم اخذ في التنبيه على وجوب شكر المنعم واستدراكها بالفزع الى الله واقسم ان زوالها عنهم ليس الا بذنوب اجترحوها وذلك اشارة الى ان الذنوب بعد

لزوال النعم

لزوال النعم وحلول النقم لانهم لو استحقوا اصابة النعم مع الذنوب لكان منعهم اياها منعا للمستحق لمستحقه وذلك عين الظلم وهو من الجود الالهي محال
كما قال تعالى بظلام للعبيد وإلى المعنى الاشارة بقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم اى يستعدوا للتغيير بالمعاصي وقوله ولو ان الناس
الى قوله لكل فاسد اشارة الى ان الفزع الى الله بصدق النية ووله القلب وتحيره وذهوله عن كل شيء سوى الله بعد الاستعداد التام لافاضة المطالب
سواء كانت عود نعمة او استحداثها او زوال نقمة او استنزالها على عدو ورد الشارد اى من النعم واصلاح الفاسد اى من شتات الاحوال وقوله
واني لاخشى ان تكونوا في فترة كنى بالفترة عن امر الجاهلية كناية بالمجاز اطلاقا لاسم الظرف على المظروف واى اخشى ان يكون احوالكم احوال
الجاهلية في التعصب الباطل بحسب الاهواء المختلفة وقوله وقد كانت امور الى قوله محمودين قالت الامامية تلك الامور التي مالوا فيها
هي تقديمهم عليه من سبق من الائمة وقال غيرهم هي حركاتهم وميلهم عليه في تقديم عثمن وقت الشورى واختيارهم له وما جرى فيها من الاقوال
والافعال وقوله ولئن رد عليكم امركم اى صلاح احوالكم واستقامة سيرتكم التي كنتم عليها في زمن الرسول صلى الله عليه وآله انكم لسعداء عند الله في
الدنيا وما علي الا الجهد اى في عود ذلك الامر عليكم وقوله ولو اشاء ان اقول لقلت يفهم منه انه لو قال لكان مقتضى قوله نسبة من
تقدم عليه الى الظلم له وتخطئتهم في التقدم عليه وذكر معايب تنقصه ووجوب التوقف في نظره ونقل تمام الكلام ونكتي بلا اقول فلم اكن مهملا للقول
وقوله عفا الله عما سلف اشارة الى مسامحته لهم بما سبق منهم اذ العادة جارية بان يقول الانسان مثل ذلك فيما تسامح بغيره من الذنوب
واحسن العبارات في ذلك لفظ القرآن الكريم فيقتبس في الكلام وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** قاله لذعلب اليماني وقد سأله
هل رأيت ربك فقال أفأعبد ما لا ارى فقال وكيف تراه قال لا تراه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق
الايمان قريب من الاشياء غير ملامس بعيد منها غير مباين متكلم لا بروية مريد لا بهمة صانع لا بجارحة لطيف لا يوصف بالخفاء
كبير لا يوصف بالجفاء بصير لا يوصف بالحاسة رحيم لا يوصف بالرقة تعنو الوجوه لعظمته وتجب القلوب من مخافته **اقول**
تعنو تخضع وتجب القلوب تخفق والفصل فصل شريف من التوحيد والتنزيه فقوله عليه السلام أفأعبد ما لا ارى استفهام على سبيل الانكار
لعبادة ما لا يدرك وفيه ازراء على السائل وقوله لا تدركه العيون الى آخره تنزيه له عن الرؤية بحاسة البصر وشرح لكيفية الرؤية الممكنة
ولما كان تعالى منزها عن الجسمية ولواحقها من الجهة وتوجيه البصر وادراكه بها اثبت الرؤية له بحسب ما يمكن لبصيرة العقل الاول منزهة
عن تلك واثبت له هذه فقال لا تدركه العيون الى قوله بحقائق الايمان اركانه وهي التصديق بوجود الله ووحدانيته وسائر صفاته
واعتبارات اسمائه الحسنى وعد من جملتها اعتبارات يذكرها احدها كونه قريبا من الاشياء ولما كان المفهوم من القرب المطلق الملامسة
والاتصال وهما من عوارض الجسمية نزه قربه تعالى عنها فقال غير ملامس فاخرجت هذه القرينة ذلك عن حقيقته الى مجازه وهو اتصاله
بالاشياء وقربه منها بعلمه المحيط وقد عرفت الثاني كونه بعيدا ولما كان البعد يستلزم المباينة وهي ايضا من لواحق الجسمية نزهه عنها
بقوله غير مباين وقد سبق بيان ذلك مرارا فكان بعده عنها اشارة الى مباينته بذاته الكاملة عن مشابهة شيء منها الثالث كونه
متكلما بلا روية وكلامه يعود الى علمه بصور الاوامر والنواهي وسائر انواع الكلام عند قوم والى المعنى النفساني عند الاشعري والى خلقه
الكلام في جسم عند المعتزلة وقوله بلا روية تنزيه له عن كلام الخلق لكونه تابعا للافكار والتروي الرابع كونه مريدا بلا همة تنزيه لارادته
عن مشابهة ارادتنا في سبق العزم والهمة لها الخامس صانع بلا جارحة وهو تنزيه لصنعه عن صنع المخلوقين لكونه بالجارحة التي هي من لواحق الجسمية
السادس كونه لطيفا لا يوصف بالخفاء واللطيف يطلق ويراد به رقيق القوام ويراد به صغير الحجم المستلزم للخفاء وعديم اللون من الاجسام و
المحكم من الصنعة وهو تعالى منزه عن اطلاقه باحد هذه المعاني لاستلزامه الجسمية والامكان فبقي اطلاقه عليه باعتبارين احدهما تصرفه في الذوات
والصفات تصرفا خفيا بفعل الاسباب المعدة لها لافاضة كمالاتها والثاني جلالة ذاته وتنزيهها عن قبول الادراك البصري السابع رحيم لا يوصف
بالرقة تنزيه لرحمته عن رحمة احدنا لاستلزامها رقة الطبع والانفعال النفساني وقد سبق بيان كونه رحيما الثامن كونه عظيما تخضع
الوجوه لعظمته اذ هو الاله المطلق لكل موجود وممكن فهو العظيم المطلق الذي ينفرد باستحقاق ذل الكل وخضوعه له ووجيب القلوب
واضطرابها من هيبته عند ملاحظة كل منها ما يمكن له من تلك العظمة **ومن كلام له عليه السلام** في ذم اصحابه احمد الله على ما قضى
من امر وقدر من فعل وعلى ابتلائي بكم ايتها الفرقة التي اذا امرت لم تطع واذا دعوت لم تجب ان امهلتم خضتم وان حوربتم خرتم وان اجتمع
الناس على امام طعنتم وان اجئتم الى مشاقة نكصتم لا ابا لغيركم ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم الموت او الذل لكم فوالله
لئن جاء يومي وليأتيني ليفرقن بيني وبينكم وانا لصحبتكم قال وبكم غير كثير لله انتم اما دين يجمعكم ولا حمية تشحذكم اوليس
عجبا ان معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء وانا ادعوكم وانتم تريكة الاسلام وبقية الناس الى المعونة
او طائفة من العطاء فتفرقون عني وتختلفون علي انه لا يخرج اليكم من امري رضا فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه وان احب ما انا
لاق الي الموت قد دارستكم الكتاب وفاتحتكم الحجاج وعرفتكم ما انكرتم وسوغتكم ما مججتم لو كان الاعمى يلحظ او النائم يستيقظ واقرب
بقوم من الجهل بالله قائدهم معاوية ومؤدبهم ابن النابغة **اقول** الخور الضعف ويحتمل ان يكون من الخوار وهو الصياح والجبن جبنتم و

تتمة [illegible] البلاغة

ودعيتم ونكص حج على عقبه والقالي المبغض والطغام اوغاد الناس والتريكة بيضة النعام ومحبة الفا من فيه وقد احمد الله تعالى على ما قضى وقدر
ولما كان القضا هو الحكم الالهي بما يكون قال على ما قضى من الامر لان الامر اعم ان يكون فعلا ولما كان القدر هو تفصيل القضا وايجاد الاشيا
على وفقه قال وقدر من فعل وقوله وعلى ابتلائي بكم تخصيص لبعض ما قضى وقدر وقوله ايها الفرقة الى قوله نكصتم شرح لوجوه الابتلاء بهم و
خاصلها يعود الى مخالفتهم له في جميع ما يريد منهم مما ينتظم به حالهم وقوله الى مشاقة اي المشاقة عدو وقوله لا ابا لغيركم دعاء بالذل
لغيرهم وفيه نوع تلطف لهم والاصل لا اب والالف مزيدة اما لاستثقال توالي اربع حركات فاشبعوا الفتحة فانقلبت الفا او لانهم قصدوا الاضافة
واتوا باللام للتاكيد ثم استهم ان جاء يومهم اي قد يومه لبعزلي بينهم وبينه وهو يشعر بالملال منهم بعزله وانشغاب امورهم بعده وقوله و
ليا بتني حشو لطيف واي به موكدة لان اتيان الموت امر محقق وكانه يريد بها ما يقتضيه ان من الشك لحسنت هذه الحشوة بعدها
ثم اخذ في التضجر منهم واخبرهم انه لصحبتهم مبغض وانه غير كثير بهم لان الكثرة انما تراد للمنفعة فحيث لا منفعة فكانه لا كثرة وقوله لله انتم
جملة اسمية فيها معنى التعجب من حالهم ومثله لله ابوك ولله درك ثم اخذ في استفهامهم عما يدعونه انه موجود فيهم وهو الدين والحمية
والانفة ومن شان الدين ان يجمع على انكار المنكر والحمية ان تبعث وتثير القوة الغضبية انفة من العدو واستفهامها على سبيل العتب
والانكار عليهم وقوله اوليس عجبا الى قوله وتختلفون على استفهام للتقرير التعجب من حاله معهم في تفرقهم عنه حتى عند الدعوة الى
العطاء ومن حال معوية مع قومه في اجتماعهم عليه من غير معونة ولا عطاء فان قلت المشهور ان معوية انما استجلب من العرب
بالاموال والرغائب فلم قال فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء قلت ان معوية لم يكن يعطي جنده على وجه المعونة والعطاء المفروض بين
الجند وانما كان يعطي رؤساء القبائل من اليمن والشام الاموال الجليلة ليستعبدهم بها واولئك الرؤساء يدعون اتباعهم من العرب فيطيعونهم
فصاروا اذن انما يتبعونه على غير معونة وعطاء واما هو ع فانه كان يقسم بيوت الاموال بالسوية بين الاتباع والرؤساء على وجه الرزق
والعطاء ولا يرى لشريف على مشروف فضلا وكان اكثر من يتقاعد عن نصرته من الرؤساء لما يجدونه في انفسهم من المساواة بينهم وبين
الاتباع واذا احس الاتباع بذلك تخاذلوا ايضا متابعة لرؤسائهم والمعونة هي ما يطلق للجند في وقت الحاجة لترميم اسلحتهم واصلاح
دوابهم وهو خارج عن العطاء المفروض شهرا فشهرا واستعارتهم لفظ التريكة ووجه المشابهة انهم خلف الاسلام وبقية اهله كالبيضة التي
تتركها النعامة وقوله انه لا يخرج الى قوله فترضونه اي انه لا يخرج اليكم من امري امر من شانه ان يرضى به او يسخط منه فترضونه وتجتمعون
عليه بل لا بد لكم من التفرق والخلاف عليه ثم نبههم على سوء صنيعهم معه بان احب الاشيا اليه الموت وقد لاحظ هذه الحال
ابو الطيب فقال كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان تكن امانيا تمنيتها لما تمنيت ان ترى صديقا فاعيا او عدوا
مداجيا وقوله فقد دارستكم الكتاب الى قوله مججتم اشارة الى وجوه الامتنان عليهم وهي مدارستهم الكتاب اي تعليمه ومفاتحتهم الحجاج
اي محاورتهم وتعريفهم وجوه الاحتجاج وتعريفهم ما انكروه اي الامور المجهولة لهم وتسويغهم ما مجوه واستعار وصف التسويغ اما للاعطائهم
لهم العطايا والارزاق التي كانوا يحرمونها من يد غيره لو كان كمعوية واما لادخاله العلوم في افواه اذهانهم وكذلك لفظ المج اما لحرمانهم
من غيره او لعدم العلوم عن اذهانهم وبنو انهم عنها فكانهم القوها لعدم حصولها للاساغة ووجه الاستعارة ظاهر وقوله لو كان الاعمى
الى قوله يستيقظ اشارة الى انهم جهال لا يلحظون باعين بصائرهم ما افادهم من العلوم وغافلون لا يستيقظون من سنة غفلتهم بما ايقظهم
به من المواعظ واستعار لفظ الاعمى والنائم مستعار والقوم في قوله واقرب بقوم هم اهل الشام وهو تعجب من شدة قربهم من الجهل بالله
اذ كان قائدهم في الطريق معوية ومؤدبهم ابن النابغة اي عمرو بن العاص وهو بينهم المنافقين واهل العدو والخداع واذا كان الرئيس
القائد والمؤدب في تلك الطريق من الجبل والفجور بحال الرجلين المشار اليهما فما اقرب تابعهما من البعد عن الله والجهل به واقرب صيغة
التعجب وفاعله هم معوية جملة اسمية محلها الجر صفة لقوم وفصل بين الموصوف والصفة بالجار والمجرور كما في قوله تعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون
ومن اهل المدينة مردوا على النفاق فجملة مردوا الرفع صفة لمنافقون وفصل بينهما بقوله ومن اهل المدينة والغرض من ذكرهم ووصفهم بما
وصف التنفير عنهم **ومن كلام له عليه السلام** لرجل من اصحابه وقد ارسله يعلم له علم قوم من جند الكوفة همّوا باللحاق بالخوارج وكانوا
على خوف منه فلما عاد اليه الرجل قال له امنوا فقطنوا ام جبنوا فظعنوا فقال الرجل بل ظعنوا يا امير المؤمنين فقال بعدا لهم كما بعدت
ثمود اما لو اشرعت الاسنة اليهم وصبت السيوف على هاماتهم لقد ندموا على ما كان منهم ان الشيطان اليوم قد استفلهم وهو غدا متبرئ
منهم ومتخل عنهم فحسبهم بخروجهم من الهدى وارتكاسهم في الضلال والعمى وصدهم عن الحق وجماحهم في التيه **اقول** قطنوا اقاموا وبعدت
بالكسر هلكت واشرعت الرمح سددته وصوبته نحو من تريد ضربه واستفلهم اي طلب منهم التفرق والهزيمة وزينها لهم والفل الفرق
والانهزام والارتكاس الرجوع في الشيء منقلبا والفصل مشتمل على السؤال عن ظعنهم واقامتهم وعلتهما وهما الامن والجبن ثم على الدعاء
عليهم بالهلاك وانتصب بعدا على المصدر ثم على ما لو فعل لكان سببا لندمهم على ما فعلوا وهو الهجوم عليهم بالقتل والاذلال على
ما كان منهم من اللحوق باولياء الشيطان ثم على علة لحوقهم لهم وهي استفلال الشيطان لهم وتفريقه لجماعتهم وروي استفزهم اي استخفهم

ورو[ي] استفلهم

ودوي استقبلهم اي تقبلهم ورضي عنهم وهي اقوى لقرينة قوله وهو غدا متبرئ منهم ومتخل عنهم اي تارك لهم فان التبري في مقابلة استقبالهم
وذلك كقوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الى قوله اني بريء منكم وقوله تحسبهم بخروجهم من الهدى اي يكفيهم ذلك عذابا وشرا
والباء في بخروجهم زائدة كهي في قوله تعالى وكفى بالله شهيدا وارتكاسهم في الضلال والعمى رجوعهم الى الضلال القديم وعمى الجهل
الذي كانوا عليه بعد خروجهم منه بهدايته وصدهم عن الحق بالخروج عن طاعته وجماحهم في تيه الجهل والهوى بعد الاستقرار في ربقة
العلم والعقل ولفظ الجماح مستعار لخروجهم عن فضيلة العدل الى رذيلة الافراط منها كما سبق والعلو في طلب الحق الى حد الجور عن الصراط
المستقيم وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** روي عن نوف البكالي قال خطبنا بهذه الخطبة امير المؤمنين عليه السلام بالكوفة وهو
قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف وفي رجليه نعلان من ليف وكان
جبينه ثفنة بعير فقال الحمد لله الذي اليه مصاير الخلق وعواقب الامر نحمده على عظيم احسانه ونير برهانه ونوامي فضله وامتنانه حمدا
يكون لحقه قضاء ولشكره اداء والى ثوابه مقربا ولحسن مزيده موجبا ونستعين به استعانة راج لفضله مؤمل لنفعه واثق
بدفعه معترف له بالطول مذعن له بالعمل والقول ونؤمن به ايمان من رجاه موقنا واناب اليه مؤمنا وخنع له مذعنا واخلص
له موحدا وعظمه ممجدا ولاذ به راغبا مجتهدا لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركا ولم يلد فيكون موروثا هالكا ولم
يتقدمه وقت ولا زمان ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان بل ظهر للعقول بما ارانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم
فمن شواهد خلقه خلق السموات موطدات بلا عمد قائمات بلا سند دعاهن فاجبن طائعات مذعنات غير متلكئات
ولا مبطئات ولولا اقرارهن له بالربوبية واذعانهن له بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه ولا مسكنا لملائكته ولا
مصعدا للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه جعل نجومها اعلاما يستدل بها الحيران في مختلف فجاج الاقطار لم يمنع ضوء
نورها ادلهمام سجف الليل المظلم ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس ان ترد ما شاع في السموات من تلألؤ نور القمر
فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج ولا ليل ساج في بقاع الارضين المتطأطئات ولا في يفاع السفع المتجاورات وما
يتجلجل به الرعد في افق السماء وما تلاشت عنه بروق الغمام وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف
الانواء وانهطال السماء ويعلم مسقط القطرة ومقرها ومسحب الذرة ومجرها وما يكفي البعوضة من قوتها وما تحمل من
الانثى في بطنها والحمد لله الكائن قبل ان يكون كرسي او عرش او سماء او ارض او جان او انس لا يدرك بوهم ولا يقدر بفهم
ولا يشغله سائل ولا ينقصه نائل ولا ينظر بعين ولا يحد باين ولا يوصف بالازواج ولا يخلق بعلاج ولا يدرك بالحواس
ولا يقاس بالناس الذي كلم موسى تكليما واراه من آياته عظيما بلا جوارح ولا ادوات ولا نطق ولا لهوات بل ان كنت صادقا
ايها المتكلف لوصف ربك فصف جبرئيل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس مرجحنين متولهة
عقولهم ان يحدوا احسن الخالقين وانما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والادوات ومن ينقضي اذا بلغ امد حده بالفناء
فلا اله الا هو اضاء بنوره كل ظلام واظلم بظلمته كل نور اوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي البسكم الرياش واسبغ عليكم
المعاش فلو ان احدا يجد الى البقاء سلما او لدفع الموت سبيلا لكان ذلك سليمان بن داود ع الذي سخر له ملك الجن
والانس مع النبوة وعظيم الزلفة فلما استوفى طعمته واستكمل مدته رمته قسي الفناء بنبال الموت فاصبحت الديار
منه خالية والمساكن معطلة وورثها قوم آخرون وان لكم في القرون السالفة لعبرة اين العمالقة واين الفراعنة وابناء
الفراعنة اين اصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين واطفؤا سنن المرسلين واحيوا سنن الجبارين واين الذين
ساروا بالجيوش وهزموا بالالوف وعسكروا العساكر ومدنوا المدائن **اقول** نقل الجوهري في الصحاح ان نوفا البكالي
بفتح الباء وتخفيف الكاف كان صاحب علي ع ونقل عن ثعلب انه منسوب الى بكالة قبيلة وقال القطب الراوندي وهو منسوب الى بكال
وبكيل وبكال شيء واحد وهو اسم حي من همدان قال وبكيل اكثر وقال الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد والصواب غير ما قالاه
وانما هو بكال بكسر الباء من حمير فمنهم هذا الشخص وهو نوف بن فضالة صاحب علي ع والاقوال محتملة واما جعدة بن هبيرة فهو ابن
اخت امير المؤمنين ع ام هاني بنت ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم وابوه هبيرة بن ابي وهب بن عمرو بن عائذ بن مخزوم وهو
صحابي وثفنة البعير واحدة الثفنات وهي ما يقع على الارض من اعضائه والخنوع الخضوع ويتعاوره يختلف عليه وموطدات
ممهدات والتلكي التوقف والطواعية الطاعة والفجاج الطرق بين الجبال والادلهمام شدة الظلمة والسجف الستور والحندس
بكسر الحاء الليل شديد الظلمة والسفع الجبال والسفعة سواد مشرب بحمرة وهو لون الجبال فيها لاكثر واليفاع المرتفع من الارض
والجلجلة صوت الرعد وتلاشى اضمحل والانواء جمع نوء وهو سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين في المغرب مع الفجر
وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته كل ليلة الى ثلاثة عشر يوما وهكذا كل نجم منها الى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فان

وابناء العمالقه

عمران بن

في عجز البشر عن وصف كماله

لها اربعة عشر يوما ومرجحنين مائلين الى جهة تحت وارتماش المتباس وانطعة الماكلة فقوله الحمد لله الى قوله الا وهو الحمد لله باعتبار كونه
منتهى جميع اثاره في عالمي الخلق والامر انتهاء في وثبتها بالصنع والابداع وانتهاء في لحوقها لانه غاية ومطلوب لسالكين وهو
الباقي بعد كل شيء فيها باعتبار وجوب وجوده فهو مستحق للبقاء لذاته وهي الممكنة والمستحقة للفناء باعتبار كونه ممكنا لها ولما
كان الحمد قد يكون لاداء حق ما سبق من النعمة وقد يكون لاستزادة منها كان قوله نحمده الى قوله ازاء اشارة الى ما سبق من انواع
نعم الله وهي عظيم احسانه بالخلق ولا مجاد على وفق الحكمة والمنفعة ثم باثاره بها انه في متقن صنعه ومحكمه وعلى لسنة رسله لسلوكنا
في صراطه المستقيم الى جنات النعيم وهدايتنا اليها ثم بافاضته لوامع فضله وامتنانه بكفايتنا في حيوتنا الدنيا ثم بافاضته
اسباب معاشنا ومعادنا وكان قوله والى ثوابه الى قوله موجبا نظر اشارة الى ما يستزاد منها وهو القرب من ثوابه الاخروي
لاستكمال النفس بذلك وحسن مزيد من نعمه الحاضرة كما قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم ثم اردف ذلك بالشكر وطلب المعونة استعانة
بالصفات المعدودة الى قوله القول فان استعانته من هذه صفته تكون اقرب الاستعانات الى اجابة المستعان بالعون لقوتها
باستجماعها فوق الرجاء والامل له تعالى وحسن اليقين في قدرته على بذل النفع ودفع الضرر والشكر والاذعان بالطاعة العلمية و
القولية ثم اردف ذلك بالاقرار بالايمان الكامل وهو ايمان من استكمل الاوصاف المعدودة انفا وهي معاد المطالب العالية
منه حال اليقين التام بابتداء فضلها والرجوع اليه عن جميع المرطان في سائر المهمات حال الايمان به والخضوع حال انقياده لعزته
ثم الاخلاص له حال توحيده ثم تعظيمه حال تمجيده واللوذ به حال الرغبة اليه والاجتهاد فيها وتلك ذلك الايمان كامل ثم اخذ
في تنزيهه تعالى باعتبارات سلبية واضافية هي غاية الواصفين منها انه لم يكن له والد فيكون له شريك في العز اذ العادة ان يكون
والد الغير عزيزا ومنها انه لم يلد فيكون موروثا هالكا وهو تنزيه له عن صفات البشر اذ العادة ان الاباء يهلكون فيرثهم اولادهم و
برهانهما انهما من لواحق الحيوانية المستلزمة للجسمية المنزه قدسه عنها ومنها انه لم يتقدمه وقت ولا زمان والا لوقف جزء الزمان
واذ كان خالق الوقت والزمان فبالحري ان يتقدمهما ومنها انه لم يتعاقب عليه الزيادة والنقصان لان الزيادة والنقصان من لواحق الممكن
لاستلزامهما للامكان المنزه قدسه عنه ومنها انه ظهر للعقول في علامات التدبير وهي الاحكام والاتقان في مصنوعاته الموجودة على وفق
المتغير المستلزم
القضاء المحكم فمن جملتها خلق السموات كقوله تعالى ان في خلق السموات والارض لايات وقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض قد
مر بيان كونهما بلا عمد وقيامهما بلا استناد في الخطبة الاولى ودعائه من حكم سلطان القدرة الالهية عليهن واجابتهن دخولهن في الوجود
عن ذلك الحكم وطوعهن واذعانهن من غير تلكؤ ولا تباطؤ في اجابتهن خضوعهن في رق الحاجة والامكان لواجب وجوده
وسلطانه وقوله ولولا اقرارهن الى قوله والعمل الصالح من خلقه كلام حق فان الاقرار بالربوبية له راجع الى شهادة لسان حال الممكن بالحاجة
الى الرب والانقياد لحكم قدرته وظاهر انه لولا امكانها وانفعالها عن قدرته وتدبيره لم يكن فيها عرش ولم يكن اهلا لقبول تدبير احوال
الملائكة وسكناها ولم تكن قابلة لصعود الملائكة بالكلم الطيب والاعمال الصالحة للخلق وقد سبقت الاشارة الى بيان الصعود بالاعمال و
عنها في الخطبة الاولى بحسب الامكان ولفظ الدعاء والاقرار والاذعان مستعارة ويحتمل ان يكون حقائق نظرا الى ان لها ارواحا
مدبرة عاقلة وقوله وجعل نجومها الى قوله الاقطار اشارة الى بعض غايات وجود النجوم وقد سبق بيان ذلك وقوله لم يمنع الى قوله
والقمر استعار لفظ السجف والجلابيب للساتر من سواد الليل ووجه الاستعارة ما وخص القمر بالذكر لكونه من الايات العظيمة والمقابلة
بين الضياء والظلمة مقابلة العدم والملكة وكل منهما يوجد بوجود سببه ويعدم بعدم سببه فلا يكون رفع احدهما بالاخر وظاهر
اذن ان نور القمر والنجوم لا يمنعه من الوجود والتحقق ظلمة الليل بل يتعاقبان بحسب تعاقب سببيهما المنتهية الى قدرة الصانع الحكيم
جلت قدرته وقوله فسبحان الى قوله في بطنها تنزيه له بحسب احاطة علمه بحسب كليات الاشياء وجزئياتها والمتطامنات مهابط الارض
تمام
الامض يتجلجل به الرعد اشارة الى تسبيحه في قوله تعالى ويسبح الرعد بحمده وذلك التسبيح يعود الى شهادة ما به من لسان حال ذلك الصوت على كمال
قدرة مسخر السحاب والمعدل للصوت وقد عرفت سببه وما تلاشت عنه بروق الغمام اي ما لم ينكشف للابصار باضاءتها واقتصر
ومؤلفدم
ذلك على ما اضاءته لان العلم بما اشرف تعلقه الا بعد كما يتضمن المخلوقين دون ما تضيء لان ذلك كلي له وانما اضاف العواصف
الى الانواء لان العرب تضيف الاثار العلوية من الرياح والامطار والحر والبرد اليها ثم عاد الى حمده تعالى باعتبار تفرده في الوجود على سائر
مخلوقاته وقد عرفت ما يقال في الكرسي والعرش ثم نزهه تعالى باعتبارات سلبية الاول انه لا يدرك بوهم الثاني انه لا يقدر بفهم اي
لا يحد بفهم والفهم من صفات العقل وقد مرت الاشارة الى عجز العقول والاوهام عن وصفه تعالى الثالث ولا يشغله سائل للاحاطة علمه
وقدرته وقد سبق بيانه ايضا الرابع ولا ينقصه نائل لان النقصان يوجب حوزه للحاجة وقد تنزه قدسه تعالى منها الخامس كونه لا
يبصر بعين اي ان ادراكه ليس بحاسة البصر وان كان بصيرا لذلك لتنزه قدسه عن الحواس السادس ولا يحد باين اي لا تحده العقول
بالامكنة وتحيط به باعتبارها لبراءته عن التحيز وهو نفي الكمية المتصلة عنه السابع ولا يوصف بالازواج وهو نفي الكم المنفصل عنه

في عجز القوة البشرية عن وصف كماله

سمى ليس به اشتباه وتعالى ذاته من لا يخلق بعلاج تنزيه لصنعه عن وساطة الالة والحيلة كما مر ولم يصحبه الصنايع التاسع ولا يدرك بالحواس
لتخصيص ادراكها بالاجسام وكيفياتها وتنزيه له عن الجسمية ولواحقها العاشر ولا يقاس بالناس تنزيه له عن التشبيه بخلقه في كل الامور كما توهمه
اهل التجسيم الحادي عشر كونه متكلما بلا اخبار حروف ولا لهوات وهو تنزيه له عن حال البشرية وعلمت في المقدمات كيفية سماع الانبياء
للوحي فاما قوله واراه من اياته عظيما فقيل اراد اياته في كلامه لئلا يصير من قوله تكليما وقوله بلا جوارح اعتراض بين عبرتها سببا الذي راه من تلك
الايات ما روي انه كان يسمع الصوت من جهاته الست ليس على حد سماع البشر من جهة مخصوصة وله دوي كوقع السلاسل العظيمة على
الحصا الاصم وفي هذه الكيفية سر لطيف وكونه يسمع من الجهات الست اشارة الى ان الكلام كان يأتيه فينتقش في لوح خياله لا من جهة
بل نسبة الجهات الست اليه على سواء في عدم سماعه منها فلا جرم قيل يسمعه من الجهات الست وهو اولى من ان يقال يسمع لا من جهة مبعدا لذلك
عن اوهام الخلق فاما كونه كوقع السلاسل في القوة فاشارة الى عظمته بالنسبة اليه فشبهه باشد الاصوات جرسا وقيل اراد بها الايات التسع
كانشقاق البحر وقلب العصا ثعبانا وغيرهما ثم نبه على عجز القوة البشرية عن وصف كماله بقوله بل ان كنت صادقا الى قوله احسن
الخالقين وهي صورة قياس من الشكل الثاني متصل نبه به على عجز من يدعي وصف ربه كما هو وتقديره ان كنت صادقا ايها المتكلف
لوصف ربك في وصفه فصف بعض خلقه وهو جبرئيل وميكائيل وجنود ملائكة المقربين وينتج باستثناء نقيض تاليه لكنك
لا يمكنك وصف هؤلاء بالحقيقة فلا يمكنك وصفه تعالى بيان الملازمة ان وصفهم اذا كان ممكنا لوصف بعض اثاره اسهل عليك
واما بطلان التالي فلان حقيقة جبرئيل وميكائيل وسائر الملائكة المقربين غير معلومة لاحد من البشر ومن عجز عن وصف بعض اثاره
فهو عن وصفه اعجز وحجرات القدس مقار الطهارة عن الهيئات البدنية والتعلقات الخالية عن شوائب النفس الامارة بالسوء واستعار
لفظ المرجحنين لخضوعهم تحت سلطان هيبته وعظمته وتولهم عقولهم حيرتها وتشتتها عن درك حقيقته بحيث تقف عند عظمته ثم
نبه على ما بعد ذلك من حقيقة الوصف وهو ذو الهيئات والالات التي يحيز بها ويحيط بها الاوهام من جهتها وما لجهة الفنا فيتقضى
اذا بلغ امد حده وتنقضي الاوهام على ذلك الحد وتخلله الى اجزائه فتطلع على كنهه منها ثم عقب ذلك التنزيه بتوحيده ونفي الكثرة عنه
في قوله اضاء بنوره كل ظلام فالظلام اما محسوس فاضاءه بانوار الكواكب او معقول وهو ظلام الجهل فاضاءه بانوار العلم والشرايع وقوله
واظلم بنوره كل نور اذ جميع الانوار المحسوسة او المعقولة لغيره مضمحلة في نور علمه وظلام بالنسبة الى ضياء براهينه في جميع مخلوقاته
الكاشفة عن وجوده وكمال جوده ثم شرع في الموعظة وبدأ بالوصية بتقوى الله باعتبار سلب مزيد مما سبب البقاء في الحيوة الدنيا وهما الملبوس
والمطعوم ويحتمل ان يريد بالمعاش سائر اسباب البقاء وثنى بذكر انه لا سبيل الى البقاء ودفع الموت تخويفا به واحتج عليه بقياس شرطي
متصل لو ان احدا يجد سبيلا الى دفع الموت لوجده سليمان ع وتقدير الاستثناء لكنه لم يجده فلن يجده احد بعده اما الملازمة فلان
سليمان كان اقوى سلطانا واجد في نظام الاسباب الحاكم على ملك الجن والانس مع النبوة وعظم الزلفة عند الله فكان اولى من يقدر
لو كان يمكن دفعه واما بطلان التالي فلانه لما استوفى طعمته واستكمل مدته رمته قسي الفناء بنبال الموت فلو وجد احد بعد الله دفعه عن نفسه فقوله فلو ان احدا يجد
الى قوله سبيلا هو مقدم الشرطية وقوله لكان ذلك الى قوله **منقول قوله** هو التالي وقوله الذي الى قوله الزلفة بيان لوجه
الملازمة وقوله فلما استوفى الى قوله وقوم اخرون هو بيان بطلان التالي ولفظ القسي والنبال استعارة لمرامي الامراض واسبابها التي هي
نبال الموت ووجوهها ظاهر ثم شرع في التنبيه على الاعتبار باحوال القرون السالفة واستفهم عن قرب تنبيها على فنائهم واستفهاما على قيامهم
ذا سنتها ما على سبيل التقرير والعمالقة اولاد لاوذ بن ارم بن سام بن نوح وكان لهم الملك باليمن والحجاز وما تاخم ذلك من الاقاليم فمن اولاده عملاق
طسم وجديس وكانا لغة ولما ملك تغلب عملاق بن لاوذ بن طسم فلما ملكهم عملاق بغى واكثر العبث والفساد في الارض حتى كان يطاء العرس
ليلة هدائها الى بعلها وان كانت بكرا افتضها قبل وصولها اليه ففعل ذلك بامراة من جديس فغضب لها اخوها وتابعه قومه على الفتك
بعملاق وحي طسم واهل بيته فصنع اخوها طعاما ودعا عملاق الملك اليه ثم وثب به وبطسم فاتى على رؤسائهم ونجا منهم رياح بن مرة فصار
الى ذي جيشان بن تبع الحميري ملك اليمن فاستغاث به واستنجده على جديس فسار الى بني جديس وهو في حمير فاتى جو وهي قصبة اليمامة فاستاصلهم
جديسا وخرب اليمامة فلم يبق لجديس باقية ولا لطسم الا اليسير منهم ثم ملك بعد طسم وجديس وبار بن اميم بن لاوذ بن ارم بولده واهله فنزل
ما بعض وبار وهي المعروفة الان برمل عالج فبغوا في الارض حينا ثم افناهم الله ثم ملك بعد وبار عبد ضخم بن اسف بن لاوذ فقتلوا بالطائف
حينا ثم بادوا واما الفراعنة فهم ملوك مصر فمنهم الوليد بن ريان فرعون يوسف ومنهم الوليد بن مصعب فرعون موسى ومنهم فرعون
الاعرج الذي غزا بني اسرائيل واخرب بيت المقدس واما اصحاب مدائن الرس فقيل انهم اصحاب شعيب النبي ع وكانوا عبدة اوثان ولهم مواشي
وابار يسقون منها والرس بئر عظيمة جدا انخسفت بهم وهم حولها وقيل الرس قرية باليمامة كان يسكنها قوم من بقايا ثمود فبغوا فاهلكوا
وقيل الرس اصحاب الاخدود وهو الاخدود وقيل الرس نهر عظيم في اقليم الباب والابواب مبدأه من [illegible] طرار وينتهي الى نهر
الكر فيختلط به حتى يصب في بحر الخزر وكان هناك ملوك اولو باس وقدرة فاهلكهم الله ببغيهم والله اعلم منها قد لبس للحكمة

٢٠٣ ع

بتقوى الله

رشيد

دخل ل

صمم ل

ذ ل

اصنام

في بيان مواعظ لبعض اصحابه

جُنّتها وأخذها بجميع أدبها من الإقبال عليها والمعرفة بها والتفرغ لها فهي عند نفسه ضالته التي يطلبها وحاجته التي يسأل عنها فهو مغترب
إذا اغترب الإسلام وضرب بعسيب ذنبه وألصق الأرض بجرانه بقية من بقايا حجته خليفة من خلائف أنبيائه ثم قال عليه السلام أيها الناس
إني قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ بها الأنبياء أممهم وأديت إليكم ما أدت الأوصياء إلى من بعدهم وأدبتكم بسوطي
فلم تستقيموا وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا لله أنتم أتتوقعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم السبيل ألا إنه
قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً وأقبل منها ما كان مدبراً وأزمع الترحال عباد الله الأخيار وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى
بكثير من الآخرة لا يفنى ما ضر إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين أن لا يكونوا اليوم أحياء يسيغون الغصص ويشربون
الرنق قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق أين عمار
وأين ابن التيهان وأين ذو الشهادتين وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة ثم ضرب
بيده إلى لحيته فأطال البكاء ثم قال أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه وتدبروا الفرض فأقاموه أحيوا السنة
وأماتوا البدعة دعوا للجهاد فأجابوا ووثقوا بالقائد فاتبعوه ثم نادى بأعلى صوته الجهاد الجهاد عباد الله ألا وإني معسكر في يومي
هذا فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج قال نوف وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف ولقيس بن سعد في عشرة آلاف ولأبي أيوب الأنصاري
في عشرة آلاف ولغيرهم على أعداد أخر وهو يريد الرجعة إلى صفين فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله فتراجعت العساكر
فكنا كالأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان **أقول** جران صدره وعسيب ذنبه طرفه واستوسق الأمر انتظم واجتمع
وأزمع صمم عزمه والرنق بالسكون الكدر وأبرد أرسل وأوه ساكنة الواو مكسورة الهاء كلمة توجع والاختطاف والتخطف
الأخذ بسرعة والإشارة إلى العارف منكم وقال بعض الإمامية الإشارة إلى الإمام المنتظر وليس بواضح من هذا الكلام ولفظ الجنة مستعار لاستعداد
للحكمة بالزهد والعبادة الحقيقيين والمواظبة على العمل بأوامر الله ووجه الاستعارة أن بذلك الاستعداد يأمن إصابة سهام الهوى وثورات
دواعي الشهوات القائدة إلى النار كما يأمن لابس الجنة من أذى الضرب والجرح وأخذه لها بجميع أدبها من الإقبال عليها والمعرفة بها أي بقدرها
والتفرغ لها عن العلائق الدنيوية بالزهد من جملة الاستعداد لها أيضاً واستعار لها لفظ الضالة لذلك كان إنشاده لها وطلبه كما تطلب الضالة من
الإبل والبهائم الإشارة بقوله عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن وقوله فهو مغترب إذا اغترب الإسلام إشارة إلى إخفائه نفسه وإيثاره العزلة عند اغتراب
الإسلام وضعفه وظهور البدع والمنكرات كما أشار إليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ واستعار لفظ العسيب
الذنب والجران ملاحظة لشبهه بالبعير البارك وكنى بذلك عن ضعفه وقلة نفعه فإن البعير أقل ما يكون نفعه حال بروكه وقوله بقية من
بقايا حجته إلخ صفته إذ العلماء والعارفون حجج الله في الأرض على عباده وظاهر كونه خليفة من خلفاء أنبيائه لقوله صلى الله عليه وآله العلماء ورثة الأنبياء وقوله
أيها الناس إلى قوله تستوسقوا تذكير بوعظه لهم وإعذار إليهم بأداء ما كلف به في حقهم مما كلفت به الأنبياء مع أممهم والأوصياء
إلى من بعدهم ومعاتبة لهم وتوبيخ على عدم استقامتهم واجتماعهم على أوامره مع تأديبه لهم بالضرب والتحذير بالزواجر وقوله لله أنتم إلى قوله السبيل
استفهام لهم عن توقعهم إماماً هادياً مرشداً غيره استفهاماً على سبيل الإنكار لوجود سبيل لذلك الإمام وأكد ذلك الإنكار المفهوم من
الاستفهام بقوله ألا إنه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً أي من الخير وصلاح أهلها وأقبل منها ما كان مدبراً أي من الشرور التي أدبرت بمقدم
الرسول صلى الله عليه وآله وظهور الإسلام وأزمع الترحال عباد الله الأخيار المتوقع فيهم إمام كسلمة عليه السلام في الهداية لسبيل الله وإزماعهم للترحال كناية عن
انقضاء الزمان لفنائهم من الدنيا والرحيل عنها ثم استعار لفظ البيع لتعويضهم بالقليل الفاني من متاع الدنيا الكثير الباقي من متاع
الآخرة ثم أخذ في التذكير بمن مضى بالموت وعدم الحياة عن إخوانه من الصحابة الذين قتلوا بصفين وزهدهم في تلك الحياة بكونها محل
تجرع الغصص وشرب الكدر من الآلام والأعراض ومشاهدة المنكرات ونبه بما عدد في تلك الحياة على ما لهم بعد عدمها من الفائدة وهي
لقاء الله وتوفيته لأجورهم على الأعمال الصالحة وحلولهم في دار الأمن أي الجنة بعد خوفهم من فتن الضلال ثم أخذ في الاستفهام عمن ركب طريق
الحق ومضى عليه مستصحباً للاستفهام على سبيل التوجع لفقدهم والتوحش لفراقهم ثم عن أعيان أكابرهم فذكر عمار بن ياسر وفضله في الصحابة
مشهور وأبوه عربي قحطاني وأمه أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي ولدت عماراً فأعتقه أبو حذيفة فمن هنالك كان عمار مولى لبني مخزوم و
أسلم هو وأمه سمية قديماً وعذبهما بنو مخزوم في الله فأعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه مع اطمئنان قلبه بالإيمان فنزلت فيه إلا من أكره وقلبه مطمئن
بالإيمان وهاجر إلى أرض الحبشة وصلى إلى القبلتين وهو من المهاجرين الأولين وشهد بدراً والمشاهد كلها وأبلى بلاءً حسناً ثم شهد اليمامة
فأبلى فيها أيضاً ويومئذ قطعت أذنه وعن ابن عباس في قوله تعالى أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس أنه عمار بن
ياسر وعن عائشة أنها قالت ما من أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أشاء أن أقول فيه إلا قلت إلا عمار بن ياسر فإني سمعته صلى الله عليه وآله يقول إنه
ملئ إيماناً إلى أخمص قدميه وعنه صلى الله عليه وآله عمار جلدة ما بين عيني تقتله الفئة الباغية لا أنالها الله شفاعتي وغيره من بعض فضائله رضي
الله عنه وأما ابن التيهان بياء مشددة مفتوحة بنقطتين من تحت ويروى بحذفه تحتهما ساكنة وهو من الأنصار وكنيته أبو الهيثم واسمه مالك بن

في وصف القرآن وفضائله

٣٠٢
ج

وقيل بل اسم ابيه عمرو بن الحرب وهو التيهان كان احد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا والمشهور انه ادرك صفين مع علي عم وقتل بها وتوفي في زمان الرسول صم واما ذو الشهادتين فكنيته ابو عمارة واسمه خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمي الانصاري من الاوس جعل رسول الله شهادته بشهادة رجلين لقصته مشهورة وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد وكانت راية بني خطمة من الاوس يوم الفتح بيده وشهد صفين مع علي عم فلما قتل عمار قاتل هو حتى قتل معه ونظراؤهم من اخوانه اي الذين قتلوا بصفين معه من الصحابة كابن بديل وهاشم بن عتبة وتعاقدهم على المنية اتفاقهم على المقاتلة الى غاية ان يقتلوا وروى تعاهدوا والفجرة الذين حملت رؤوسهم اليهم امراء الشام ثم اخذ في التشكي والتوجع على فقدهم ثم الى فضائلهم التي هي غاية الشريعة المطلوبة منهم بها وهي تلاوة القرآن واحكامه بفهم معانيه والتدبر للغرض اي فهم ما لاجله العبادات واقامتها والمواظبة عليها نظرا الى اسرارها واحياء السنن للتوبة واماتة البدع اهلها واجابتهم للدعوة الى الجهاد لاقامة الدين ووثوقهم لليه في سبيل الله يعني نفسه واتباعهم له ولو راح الى الله الخروج الى الجهاد الذي هو سبيله الموصلة اليه والى ثوابه وقيس بن سعد الخزرجي صحابي كنيته ابو عبد الملك روى عن رسول الله صم احاديث وابوه سعد من رؤساء الخزرج وهو سعد بن عبادة الذي حاولت قوما قامته خليفة بعد رسول الله صم وكان قيس هذا من كبار شيعة علي ومحبيه وشهد حروبه كلها وكان مع الحسن ابنه ونقم عليه صلحه لمعوية واما ابو ايوب الانصاري فهو خالد بن سعد بن كعب الخزرجي من بني النجار شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد وعليه نزل رسول الله صم لما خرج من بني عمرو بن عوف حين قدم المدينة مهاجرا فلم يزل عنده حتى بني مسجده ومساكنه ثم انتقل اليها وشهد مع علي مشاهده كلها الجمل وصفين وكان على مقدمته يوم النهروان وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله المعروف من غير رؤية والخالق من غير منصبة خلق الخلائق بقدرته واستعبد الارباب بعزته وساد العظماء بجوده وهو الذي اسكن الدنيا خلقه وبعث الى الجن والانس رسله ليكشفوا لهم عن غطائها وليحذروهم من ضرائها وليضربوا لهم امثالها وليبصروهم عيوبها وليهجموا عليهم بمعتبر من تصرف مصاحها واسقامها وحلالها وحرامها وما اعد الله سبحانه للمطيعين منهم والعصاة من جنة ونار وكرامة وهوان احمده الى نفسه كما استحمد الى خلقه وجعل لكل شيء قدرا ولكل قدر اجلا ولكل اجل كتابا **اقول** المنصبة التعب حمد الله باعتبار كونه معروفا بآيات آثاره عند العقول المعترفة المنزهة عن ادراك البصر لجميع لواحقها ثم باعتبار كونه خالقا وموجدا للخلق المنزه عن المتاعب اللازمة لها اللاحقة للجسمية التي من شأنها الضعف والتعب والعجز ثم نبه على انشائه الخلائق والنعم الفائضة الى قدرته ليعتبر السامعون نسبتهم اليه وباعتبار استعباده الارباب على كمال عزته المطلق الواجبي المستلزم لخضوع كل موجود في ذل الامكان والحاجة اليه وبسيادته للعظماء على كمال عظمته وجوده الواجبي المطلق المستلزم لفقر كل اليه وخضوعه له ثم نبه باسكانهم الدنيا وبعثه رسله الى الجن والانس منهم كما قال يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي الآية على كمال لطفه بخلقه وحكمته في ايجادهم الدنيا وغايته ذلك ان يكشفوا لهم ما يغطي بحجب الدنيا عن اعين بصائرهم من احوال الآخرة وما خلقوا لها وان يحذروهم بالقصد من ضر الدنيا وعواقبها ويضرب الامثال بنبيها كما في القرآن الكريم انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه الآية وامثالها وان يبصروهم عيوبها وان يهجموا عليهم بما في تضاعيفها من العبرة وهي الهجوم الكشف ما احل وحرم على طريق الابتداء به وحلالها عطف على تصرف ويحتمل ان يكون عطفا على اسقامها باعتبار ان الحلال والحرام من تضاريف الدنيا وبيانه ان كثيرا من المحرمات التي كانت حلالا من قبله وبالعكس فذلك تابع لمصالح الخلق بمقتضى تصاريف الاوقات والاحوال التي هي تصاريف الدنيا وقوله وما اعد الله عطف على معتبر او على عيوبها اي يبصروهم ما اعد الله للمطيعين والعصاة الى آخره وقوله احمده الى نفسه كما استحمد الى خلقه اي احمده حمدا يليق بكيفيته والكيفية على الوجه الذي طلب الحمد لنفسه من خلقه وقوله جعل لكل شيء قدرا كقوله تعالى قد جعل الله لكل شيء قدرا اي مقدارا من الكيفية والكمية ينتهي اليه وحدا يقف عنده ولكل قدر اجلا اي لكل مقدار وقت يكون انقضاؤه فيه وفناؤه ولكل اجل كتابا اراد بالكتاب العلم الالهي المعبر عنه بالكتاب المبين واللوح المحفوظ المحيط بكل شيء وبتدبير كل شيء وبالله التوفيق **منها** في ذكر القرآن فالقرآن آمر زاجر وصامت ناطق حجة الله على خلقه اخذ عليه ميثاقهم وارتهن عليه انفسهم اتم نوره واكرم به دينه وقبض نبيه صم وقد فرغ الى الخلق من احكام الهدى به فعظموا منه سبحانه ما عظم من نفسه فانه لم يخف عنكم شيئا من دينه ولم يترك شيئا رضيه او كرهه الا وجعل له علما باديا وآية محكمة تزجر عنه او تدعو اليه فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد واعلموا انه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم وانما تسيرون في اثر بين وتتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم قد كفاكم مؤنة دنياكم وحثكم على الشكر وافترض من ألسنتكم الذكر واوصاكم بالتقوى وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه فاتقوا الله الذي انتم بعينه ونواصيكم بيده وتقلبكم في قبضته ان اسررتم علمه وان اعلنتم كتبه قد وكل بكم حفظة كراما لا يسقطون حقا ولا يثبتون باطلا واعلموا انه من يتق الله يجعل له مخرجا من الفتن ونورا من الظلم ويخلده فيما اشتهت نفسه وينزله منزل الكرامة عنده في دار اصطنعها لنفسه ظلها عرشه ونورها بهجته وزوارها ملائكته ورفقاؤها رسله ثم بادروا المعاد وسابقوا الآجال فان الناس يوشك ان ينقطع بهم الامل ويرهقهم الاجل ويسد عنهم باب التوبة فقد اصبحتم في مثل ما سأل

من دينه فيعلم
يترك شيئا
وسخطه فيما بقي واحد

في وجوه تحصل بها تقوى الله وخشيته

اليه الرجعة من كان قبلكم وانتم بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم وقد اذنتم منها بالارتحال وامرتم فيها بالزاد واعلموا انه ليس لهذا
الجلد
الرقيق صبر على النار فارحموا نفوسكم فانكم قد جربتموها في مصائب الدنيا افرايتم جزع احدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تدميه والرمضا
تحرقه فكيف اذا كان بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان اعلمتم ان مالكا اذا غضب على النار حطم بعضها بعضا لغضبه واذا زجرها
بعضا
توثبت بين ابوابها جزعا من زجرته ايها اليفن الكبير الذي قد لهزه القتير كيف انت اذا التحمت اطواق النار بعظام الاعناق ونشبت
الجوامع حتى اكلت لحوم السواعد فالله الله معشر العباد وانتم سالمون في الصحة قبل السقم وفي الفسحة قبل الضيق فاسعوا في فكاك
رقابكم من قبل ان تغلق رهائنها اسهروا عيونكم واضمروا بطونكم واستعملوا اقدامكم وانفقوا اموالكم وخذوا من اجسادكم فجودوا
بها على انفسكم ولا تبخلوا بها عنها فقد قال الله سبحانه ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه
له وله اجر كريم فلم يستنصركم من ذل ولم يستقرضكم من قل استنصركم وله جنود السموات والارض وهو العزيز الحكيم واستقرضكم وله
خزائن السموات والارض وهو الغني الحميد وانما اراد ان يبلوكم ايكم احسن عملا فبادروا باعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره رافق
بهم رسله وازارهم ملائكته واكرم اسماعهم عن ان تسمع حسيس نار ابدا وصان اجسادهم ان تلقى لغوبا ونصبا ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم اقول ما تسمعون والله المستعان على نفسي وانفسكم وهو حسبنا ونعم الوكيل **اقول** اليفن الشيخ الكبير
والقتير الشيب ولهزه خالطه والجوامع جمع جامعة وهي الغل لجمعها الايدي الى الاعناق واللغوب التعب وقد وصف القران الكريم بالصفة
المتضادة لاختلاف الاعتبارات فالامر مع الزاجر واطلاقهما عليه مجاز من باب اطلاق اسم السبب على المسبب اذ الامر والناهي هو الله تعالى والصامت
مع الناطق واطلاق لفظ الناطق عليه مجاز اذ الناطق هو المتكلم به من باب اسم المتعلق على المتعلق وكونه حجة الله على خلقه لاشتماله على
وعدهم ووعيدهم وبيان غاية وجودهم والمطلوب منهم والاعذار اليهم ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وانه خلاصة ما بعث به
الرسول ص وقد بعث رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولانه اقوى المعجزات التي بها لتحقيق نبوة الرسول ص
على الخلق في صدقه وقوله اخذ عليهم ميثاقه الضمير في اخذ لله وفي ميثاقه للكتاب ذلك الاخذ هو حملهم وبعثهم الى الوجود الى ان يعملوا
بما اشتمل عليه الكتاب من مطالب الله الحقة وهو ما اشار اليه القران الكريم واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم الاية والتقدير
اخذ عليهم ميثاقا بما فيه وقوله وارتهن عليه انفسهم اي جعل انفسهم رهنا على العمل بما فيه والوفاء به فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن
اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما واتم به نوره اي نور هدايته للخلق والنور المتمم هو نور النبوة وهو المشار اليه بقوله تعالى
بافواههم
يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره واطفاؤه بما كانوا يقولون من كونه ص معلم مجنون وساحر كذاب وكون القران
اساطير الاولين اكتتبها وكذلك اكرم به دينه وقوله وقبض نبيه الى قوله به كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم الاية واحكام الهدى بيان طرقه وكيفية سلوكها
وتثبيتها في قلوب المؤمنين ثم امر بتعظيم الله سبحانه ونعم ما يقال عظمت منه ما عظم من فلان كما يقال عظمته وما هنا مصدرية اي عظموه كتعظيمه لنفسه
اي اطلبوا المناسبة في تعظيمكم له كتعظيمه نفسه ثم اشار الى مصر وجوب تعظيمنا له وهو قوله لم يخف عنكم شيئا من دينه بل كشفه للناس
بينه باجمعه بقدر الامكان ولم يترك شيئا من مرضيه ومكارهه الا نصب عليه علما ظاهرا واية واضحة من كتابه يشتمل على امر بها بوضعه او زجر
عما يكرهه وقوله فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد اشارة الى ان المرضي له من الاحكام والمسخوط فيما مضى هو المرضي والمسخوط
فيما بقي من الاوقات والمستقبل من الزمان وحكمه في كونه مرضيا او مسخوطا واحد في جميع الاوقات لا يتغير ولا ينقص فيه ابتداء الى
ان وقع شيء من الاحكام الثابتة بالقياس والراي لا يجوز كما سبق بيان مذهبه في ذلك وقوله فانه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من
كان قبلكم الى قوله قبلكم تاكيد وتقرير لما سبق اي ان ما سخطه ونهى عنه الصحابة مثلا فلن يرضى عنكم بفعله فليس لكم ان تجوزوه
وتحلوه باجتهاد وكذلك ما رضيه لهم وامرهم به فلن يسخط عليكم بفعله حتى تحرموه باجتهادكم ويحتمل ان يريد بقوله فرضاه فيما بقي
وسخطه فيما بقي واحد
واحد اي فيما بقي من الاحكام الجزئية التي لم يدل النص عليها بالمطابقة بل يحتاج الى اجتهاد في تحقيق الحاقها بالمنصوص واردافها بحكم
النصوص ومعنى وحدة رضاه وسخطه فيها ان الحكم المطلوب والمكروه فيها واحد لا يجوز الاختلاف فيه حتى يحكم احد المجتهدين
في الشيء الواحد بالحل ويحكم الاخر فيه بالحرمة ويختلف الفتاوى في تلك القضية اما مخطوطا او مرضيا ويكون ذلك نهيا منه
عن الاختلاف في الفتيا كما علمت ذمه لذلك فيما سبق من الفصول ويكون قوله واعلموا انه لن يرضى عنكم الى قوله قبلكم في معنى النهي
عن رفع الاحكام الشرعية بالاجتهاد والقياس كما قررناه وقيل معناه النهي عن الاختلاف في الفتيا ايضا اي انه لن يرضى عنكم بالاختلاف
الذي سخطه ممن كان قبلكم كما اشار اليه تعالى بقوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وكذلك لن يسخط عليكم بالاتفاق
والاجتماع المرضي ممن كان قبلكم وقيل بل المراد انه لن يرضى عنكم بشيء سخطه من كان قبلكم من الاعتقادات الباطلة في المسائل
الالهية ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم من الاعتقادات الحقة فيها ويكون ذلك مختصا بالاصول دون الفروع
وقوله وانما تسيرون في اثر بين الى قوله قبلكم اشارة الى ان الادلة واضحة وقد تداولها الاولون قبلكم فانتم تتكلمون بها وترددونها

في التنبيه على التقوى والتوبة الى الله

ج ٣ م

ويرجع القول المرفوضة وقوله تعالى كفا كم مؤنة دنياكم كقوله نعم وآتاكم من كل ما سألتموه ولمّا كان كفاية اما بخلقها وايجادها واما برزقه بكل ما كتب له في اللوح المحفوظ وحثه على الشكر في تكرارا وامر به ونقل عن الحسن البصري انه قال ان الله كفانا مؤنة دنيانا وحثنا على القيام بوظائف ديننا فليته كفانا مؤنة ديننا وحثنا على القيام بوظائف دنيانا وهو اشارة منه الى شدة التحفظ على الدين والاحتراز عليه وقوله وافترض من السنتكم الذكر ولمّا كان لكل من الجوارح عبادة كانت العبادة المفروضة باعتبار اللسان الذكر وقد علمت انه باب عظيم من ابواب السلوك الى الله بل هو روح العبادات اذ كل عبادة لم ينتفع بالذكر فهي خداج ثم نبه على التقوى والتوبة الى الله نعم فيها ثم يكون بها منتهى رضاه وحاجته من خلقه ولفظ الحاجة مستعار اذ نزه قدسه تعالى عنها ووجه مشابهته للمحتاج هو الحث والطلب المتكرر منه حتى كانه محتاج الى عبادة العباد وتقويهم ولما استلزمت التقوى الحقيقية الوصول الى الله لاجرم كانت منتهى رضاه من خلقه ثم امرهم بها بعد التنبيه عليها ونبه على الوجوه التي لاجلها يحصل تقوى الله وخشيته وهي كونهم بعين الله بحيث يعلم ما يعملون ولفظ العين مجاز في العلم اطلاقا لاسم السبب على المسبب لاستلزامها اياه وكون نواصيهم بيده اي في قدرته وانما خص الناصية اشارة الى ان عظمة الانسان واشرف ما فيه مملوك والبد مجاز في القدرة اطلاقا لاسم السبب القابلي على المسبب وكذلك كون تقلبهم في قبضته اي تصرفهم في حركاتهم وسكناتهم بحسب تصريف قدرته وحكمه لا خروج منه في شيء وقوله ان اسررتم كقوله نعم يعلم ما تسرون وان اعلنتم كتبه الى قوله بالطلاوة وقد سبقت الاشارة الى الكتبة غير مرة ثم اكد القول في التقوى بقوله ومن يتق الله الى قوله من الفتن وهو لفظ القرآن وقوله من الفتن تفسير لقوله مخرجا ونورا من الظلم اي من ظلم الجهل بانوار العلوم الحاصلة عن الاستعداد بالتقوى وقوله ويخلده فيما اشتهت نفسه كقوله نعم وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون ومنزل الكرامة هو المنزل المبارك المامور بطلبه في قوله نعم وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين والدار التي اصطنعها لنفسه كناية عن الجنة ونسبها الى نفسه تعظيما لها وترغيبا فيها وظاهر تلك التشبيه فان الجنة المحسوسة اشرف دار وبيت لاشرف المخلوقات واما المعقولة فتعود الى درجات الوصول والاستغراق في المعارف الالهية التي بها السعادة والبهجة واللذة التامة وهي جامع الاعتبار العقلي لمنازل اولياء الله وخاصته ومقامات ملائكته ورسله من المعارف الملك العظيم اذا صرف عنايته الى بناء دار نسبها هو وخاصته ان يقال انها تختص بالملك وانه بناها وظاهر الكلام يدل على انها في السموات وان العرش عليها وفي هذه الكلمة لطيفة وذلك ان العرش يطلق ويراد به الفلك التاسع ويطلق ويراد به العقل الاول باعتبار احاطته علما بجميع الموجودات وباعتبار حمله المعرفة بنعمه للاول حلت عظمته ويطلق ويراد به سلطانه وعظمته واستعار لفظ الظل للعرش بالمعنى الاول باعتبار ان حركة الفلك من الاسباب المعدة لوصول النفوس البشرية والفلكية الى كمالها بالمعارف الالهية التي بها تأمن حرارة نار الجهل كما ان بالظل يكون الراحة من حرارة الشمس وبالمعنى الثاني هي ان المعارف الالهية الفائضة على اسرار المستعدين من قبل ذلك الملك المقدس يكون بها الراحة الكبرى كما يكون بالظل ايضا وبالمعنى الثالث ان سلطانه نعم وعلوه هو المستولي على كل سلطان والعالي عليه العلو المطلق واذ هو مبدأ راحة جميع النفوس بجميع كمالاتها العقلية فهو ظلها الذي تلجأ اليه واطلاق لفظ الظل على النعمة والسلطان في العرف ظاهر يقال انا في ظل فلان وفي ظل الملك وعدله اذا كان في نعمه منه وعنايته وقوله ونورها بهجته قيل بهجته نعم تعود الى بنائه وكذلك المشرق في اقطار العالمين على اسرار النفوس وظاهر كونه نور الجنة الذي تغشى منه ابصار البصائر ويستغرق في الابتهاج به الملائكة المقربون وقوله وزوارها ملائكته ورفقاؤها رسله فيه لطيفة وذلك انه لما كانت النفوس البشرية مضادة كانت متفاوتة المنازل في الكمال وممكن هذا ذلك فعبر عن الرسل بالرفقاء في الجنة لسكانها ولما خالفت انواع الملائكة السماوية والمجردين عن علائق الاجسام في الحقائق ونفاوتت في الكمالات كاجر وخصص الملائكة بكونهم زوارها اي وارد ساكنيها امكان الرفيق الصق واقرب من الزائر وعبر بالزيارة عن حضور الملأ الاعلى عند النفوس الكاملة عند انقطاعها عن العلائق الجسمية والتفاتها عنها ولما كان ذلك الحضور غير دائم بل بحسب ما يليق بالنفس اشبه الزيارة فاستعير له لفظها وايضا كان الملك هو الزائر بحسب الشكل لان حضور مثاله هو الواصل الى النفس عند استعدادها للصورة من فيض واهب الصور ثم عاد الى التذكير بامر المعاد فامرهم بالمبادرة الى المعاجلة الى ما يصلحه ويخلص من اهوال ومشاق القربات الى الله تلك مسابقة الاجال وقوله فان الناس يوشك ان ينقطع بهم الامل اي امل الدنيا والبقاء فيها والاجل ذلك الانقطاع ومن يجب ان يلتفت الى صلاح المعاد ويرهقهم الاجل اي يلحقهم فلاجل ذلك المحذور يجب ان يسارع الى العمل الصالح ويسد عنهم باب التوبة مادام الاجل فيجب مبادرتها وقوله فقد اصبحتم الى قوله قبلكم اي اصبحتم في حال الحياة والصحة والامن وسائر الاسباب التي تمنى من كان قبلكم الرجعة اليها ويمكنكم معها العمل وقوله وانتم بنو سبيل الى قوله بالزاد فالواو في وانتم للحال واستعار وصف بنوا السبيل لكونهم في هذه الدار بالعرض بقصد بهم العناية الالهية غاية اخرى ويحثهم بالشريعة على الرحيل عن الدنيا منهم فيها كالمسافر فابواب مدينتهم جمع الله واقرب الابواب الى الدنيا الارحام التي منها يخرجون اليها وابواب الخروج منها هي الموت ولفظ السفر مستعار مشهور بعرب من الحقيقة وظاهر ان دار الدنيا ليست دار الانسان بل تكون من افق الطريق دار اخرى بحسب مدار للسالك الى ملك الدار دونه على ايديهم

الراحة الكبرى

فيها بالرحيل عنها تنفيرا عن الركون اليها واتخاذها وطنا على امرهم بالمجاذ الزاد منها تنبيها على ان هنا غاية لها يجب ان يستعد للسلوك اليها فيها ولفظ الزاد مستعار للتقوى لله وطاعته التي هي زاد النفوس الى حضرة رب العالمين وقوله واعلموا الى قوله نفوسكم تذكير بالوعيد على اهمالهم وامرهم برحمة نفوسهم وذلك بالاعمال الصالحة واتباع اوامر الشرع وقوله فانكم قد جربتموها الى قوله شيطان نعي قوة احتجاج على وجوب تلك الرحمة والخيصة انكم جربتم انفسكم في هذه الامور الحقيرة فجزعتم وكل من جزع من امثال هذه فبالاولى ان يجزع من كونه بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان من قوله فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون وهم الشياطين وقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين الى قوله ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون وقوله اعلمتم ان مالكا الى قوله زجرته من صفات النار المحسوسة وذكرها للتخويف والتحذير وقوله ايها اليفن الكبير الى قوله السواعد خطاب للشيخ الكبير لانه اولى بالاقلاع عن المعصية لقربه من الاخرة وسؤاله عن حاله سؤال تقريع وتوبيخ على المعصية واطواق النار المحسوسة ظاهرة واطواقها المعقولة تمكن الهيئات الردية من اعناق النفوس واغلالها من سواعدها ثم اخذ في التحذير من الله لغاية العمل بما يمضى حال الصحة والفسحة قبل الخوف وضد بها ثم في الامر بالسعي لغاية فكاك رقابهم من النار وقيل ان تغلق رهائنها باثامها وغلق علمت وجه الاستعارة هنا للرهن ثم الامر بالسهر وكنى به عن قطع الليل بالعبادة كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به وسبحه ليلا طويلا وانما خص الليل لانه مظنة الخلوة بالله والفراغ من الناس ولان النهار محل عبادة اخرى كالجهاد والكدح للعيال ثم بتضمير البطون وكنى به عن صيام النهار ثم باستعمال اقدامهم وكنى به عن القيام في الصلوة ثم بانفاق اموالهم وكنى به عن الصدقات والزكوات في سبيل الله ثم بالاخذ من اجسادهم وكنى به عن اذابتها بالصيام والقيام للصلوات وايثار التقشف المستلزم للاعراض عن زينة هذه الاجساد المستلزم ذلك حب الدنيا والاقبال على لذاتها ولا شك ان الاخذ من الجسد بهذه العبادات جود على النفوس لكان الخير والقرب من الله تعالى ولذلك قال فجودوا بها على انفسكم ولا تبخلوا بها عنها وفي ذكر ان انفاق الجسد جود على النفس ترغيب فيه ثم استشهد بالايتين على وعد الله بالنصر لمن نصره وبمضاعفة الاجر لمن اقرضه بعد امره بنصره بامتثال اوامره وبقرضه بالصدقات ووجه استعارة لفظ القرض كثرة الاوامر الالهية الطالبة للصدقات فاشبهت طلب المحتاج المستقرض وفائدة هذه الاستنهاض الى قوله ايكم احسن عملا علامهم بانه الغني المطلق عن عباده فيما طلبه منهم من نصره وقرضه وبيان لغاية العناية الالهية منهم بذلك وهو الابتلاء وقد علمت ابتلاء الله تعالى لخلقه غير مرة ثم اعاد الامر بالمبادرة الى الاعمال للاخرة لغاية الكون مع جيران الله في جنته مرافقين لرسله كما قال تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ومرافقة رسله كقوله تعالى اولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ومزاورين للملائكة كقوله تعالى يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وتكرمتنا اسماعهم ان يسمع حسيس نار ابدا كقوله تعالى لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون وصيانة اجسادهم ان يلقى لغوبا ونصبا كقوله تعالى لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وقوله ذلك فضل الله الاية اقتباس للاية ووجه الاقتباس ظاهر وقوله اقول الى اخره خاتمة الخطبة وفيها الاستعانة بالله على النفوس الامارة بالسوء في قهرها وتطويعها للنفوس المطمئنة فانه نعم المعين ونعم الوكيل **ومن كلام له عليه السلام** للبرج بن مسهر الطائي وقال بحيث يسمعه لا حكم الا الله وكان من الخوارج اسكت قبحك الله يا اثرم فوالله لقد ظهر الحق فكنت فيه ضئيلا شخصك خفيا صوتك حتى اذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن الماعز **اقول** هو البرج بالباء المضمومة والجيم وقبحه الله نحاه عن الخير والاثرم ساقط الثنية والضئيل الصغير الحقير النحيف ونعر صاح ونجم طلع وكان البرج شاعرا مشهورا من شعراء الخوارج نادى بشعارهم بحيث يسمعه عليه السلام فزجره وتحقره ودعاه باقبح ما له من انتقاصا كما هو العادة في اهانة ذوي العاهات بذكر عاهاتهم وكنى بضئولة شخصه عند ظهور الحق عن خمارته في زمن العدل بين الجماعة وخمول ذكره وظهور الحق زمان قوة الاسلام وقبل ظهور الفتن وقوة الباطل وبخفاء صوته عن عدم الالتفات الى اقواله وحقارته واستعار لفظ النعير لظهور الباطل ملاحظة لشبهه في قوته وظهوره بالرجل الصائل الصائح بكلامه عن جراته وشجاعته ووجه شبه ظهوره بين الناس وارتفاع ذكره عند ظهور الباطل وقوته فظهور قرن الماعز في السرعة بغتة اي طلعت بلا شرف ولا شجاعة ولا قدم بل على غفلة كنبات قرن الماعز ومن البلاغة تشبيه من يراد اهانته بالمهين الحقير وتشبيه من يراد تعظيمه بالعظيم الخطير وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** روي ان صاحبا لامير المؤمنين عليه السلام يقال له همام كان رجلا عابدا فقال له يا امير المؤمنين صف لي المتقين حتى كاني انظر اليهم فتثاقل عن جوابه ثم قال عليه السلام يا همام اتق الله واحسن فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فلم يقنع همام بذلك حتى عزم عليه فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي واله ثم قال عليه السلام اما بعد فان الله سبحانه خلق الخلق حيث خلقهم غنيا عن طاعتهم امنا من معصيتهم لانه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من اطاعه فقسم بينهم معايشهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم فالمتقون فيها هم اهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع غضوا ابصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم نزلت انفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت في الرخاء لولا الاجل الذي كتب الله لهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة عين

وقد ذهب فيما اختلف ان للنار سبع طبقات وهي دركات لها ... بحر جهنم ... دها الثانية لظى ... وقرين شيطان

والملائكة

تسمعه

شوقا الى

في صفات المتقين وفضائلهم

شوقاً الى الثواب وخوفاً من العقاب عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في اعينهم فهم والجنة كمن قد راها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد راها وهم فيها معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مامونة واجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وانفسهم عفيفة صبروا اياما قصيرة اعقبتهم راحة طويلة تجارة مربحة يسرها لهم ربهم ارادتهم الدنيا ولم يريدوها واسرتهم ففدوا انفسهم منها اما الليل فصافون اقدامهم تالين لاجزاء القرآن يرتلونها ترتيلا يحزنون به انفسهم ويستثيرون به دواء دائهم فاذا مروا باية فيها تشويق ركنوا اليها طمعا وتطلعت نفوسهم اليها شوقا وظنوا انها نصب اعينهم واذا مروا باية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في اصول اذانهم فهم حانون على اوساطهم مفترشون لجباههم واكفهم وركبهم واطراف اقدامهم يطلبون الى الله تعالى في فكاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء ابرار اتقياء قد براهم الخوف بري القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا وقد خالطهم امر عظيم لا يرضون من اعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لانفسهم متهمون ومن اعمالهم مشفقون اذا زكي احدهم خاف مما يقال له فيقول انا اعلم بنفسي من غيري وربي اعلم مني بنفسي اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني افضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون فمن علامة احدهم انك ترى له قوة في دين وحزما في لين وايمانا في يقين وحرصا في علم وقصدا في غنى وخشوعا في عبادة وتجملا في فاقة وصبرا في شدة وطلبا في حلال ونشاطا في هدى وتحرجا عن طمع يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل يمسي وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر يبيت حذرا ويصبح فرحا حذرا لما حذر من الغفلة وفرحا بما اصاب من الفضل والرحمة ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب قرة عينه فيما لا يزول وزهادته فيما لا يبقى يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل تراه قريبا امله قليلا زلله خاشعا قلبه قانعة نفسه منزورا اكله سهلا امره حريزا دينه ميتة شهوته مكظوما غيظه الخير منه مامول والشر منه مامون ان كان في الغافلين كتب في الذاكرين وان كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه بعيدا فحشه لينا قوله غائبا منكره حاضرا معروفه مقبلا خيره مدبرا شره في الزلازل وقور وفي المكاره صبور وفي الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض ولا ياثم فيمن يحب يعترف بالحق قبل ان يشهد عليه لا يضيع ما استحفظ ولا ينسى ما ذكر ولا ينابز بالالقاب ولا يضار بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق ان صمت لم يغمه صمته وان ضحك لم يعل صوته وان بغي عليه صبر حتى يكون الله تعالى هو الذي ينتقم له نفسه منه في عناء والناس منه في راحة اتعب نفسه لاخرته واراح الناس من نفسه بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ليس تباعده بكبر وعظمة ولا دنوه بمكر وخديعة قال فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها فقال امير المؤمنين ع اما والله لقد كنت اخافها عليه ثم قال هكذا تصنع المواعظ البالغة باهلها فقال له قائل فما بالك انت يا امير المؤمنين فقال ويحك ان لكل اجل وقتا لا يعدوه وسببا لا يتجاوزه فمهلا لا تعد لمثلها فانما نفث الشيطان على لسانك **اقول** ومن هيهنا اختلفت نسخ النهج فكثير منها تكون هذه الخطبة فيها اول المجلد الثاني منه بعد الخطبة المسماة بالقاصعة ويكون عقيبها كلام للبرج بن مسهر الطائي قوله ومن خطبة له ع الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد وكثير من النسخ تكون هذه الخطبة فيها متصلة بكلامه ع للبرج بن مسهر وبتاخر تلك الخطبة فيكون بعد قوله ومن كلام له ع وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله ويتصل ذلك الى تمام الخطبة المسماة بالقاصعة ثم يليه قوله باب المختار من كتب امير المؤمنين ورسائله وعليه جماعة من الشارحين كالامام قطب الدين ابي الحسن الكيدري والفاضل عبد الحميد بن ابي الحديد ووافقهم في هذا الترتيب لغلبة الظن باعتمادهم على النسخ فاما همام هذا فهو همام بن شريح بن يزيد بن مرة بن عمرو بن جابر بن عوف الاصهب كان من شيعة علي ع واوليائه ناسكا عابدا وانما قلة عزمه لما راى من استعداد نفسه لاثر الموعظة وخوفه عليه ان يخرج به خوف الله الى انزعاج نفسه وصعوقها فامره بتقوى الله اي في نفسه ان يصيبها فادح ليبيسر سؤاله واحسن اي احسن اليها بترك تكليفها فوق طوقها ولذلك قال ع حين صعق همام اما والله لقد كنت اخافها عليه فحيث لم يقنع همام الا بما سال وعزم عليه بذلك اي الح عليه في السؤال واقسم اجابه فان قلت كيف جاز منه ع ان يجيبه مع غلبة ظنه بهلاكه وهو كالطبيب بما يعطي كلا من المرضى بحسب احتمال طبيعته من الدواء قلت لم يكن يغلب على ظنه ع الا الصعقة عن الوجد الشديد فاما ان تلك الصعقة فيها موته فلم يكن مظنونا له وانما قدم بيان كونه تعالى غنيا عن الخلق في طاعتهم وامنا منهم في معصيتهم لانه لما كانت اوامره ونعمه باسرها او اكثرها يعود الى الامر بتقواه او طاعته وكان اشرف ما يتقرب اليه البشر بالتقوى وهو في معرض صفة المتقين فربما خطر ببعض اوهام الجاهلين ان الله تعالى في تقواه وطاعته منفعة وله بمعصيته مضرة وقصد بالخطبة تنزيهه تعالى عن الانتفاع والتضرر وقدم برهان ذلك عنزه وقوله فقسم الى قوله مواضعهم تقرير وتاكيد لكمال غناه عنهم لانه اذا كان وجوده هو مبدا مطلقهم ومنه معايشهم ووضعهم من الدنيا في مراتبهم ومنازلهم من غني وفقير وشريف ووضيع فهو الغني المطلق عنهم واليه الاشارة بقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ثم اخذ في غرض الخطبة وهو وصف المتقين فوصفهم بالجمل فقال فالمتقون فيها هم اهل الفضائل اي الذين استجمعوا الفضائل المتعلقة باصلاح قوتي العلم والعمل ثم شرع في تفصيل تلك الفضائل ونسقها فالاولى الصواب في القول وهو فضيلة العدل المتعلقة باللسان وحاصلها ان لا يسكت عما ينبغي ان يقال فيكون مفرطا

افضل مما
يمسي وهمه
فنفسه منه
الصحيحة
تكليفها

في صفات المتقين واهل السداد

ولا يقول ما لا ينبغي ان يسكت عنه فيكون مفرطا بل يضع كلا من الكلام في موضعه اللائق به وهو اخص من الصدق والجواز ان يصدق الانسان
فيما لا ينبغي من القول الثانية وملبسهم الاقتصاد والعدل في الملبوس فلا يلبس ما يلحقه بدرجة المترفين ولا ما يلحقه باهل الخسة والدناءة
ما يخرج به عن عرف الزاهدين في الدنيا الثالثة ومشيهم التواضع والتواضع ملكة تحت العفة يعود الى العدل بين رذيلتي المهانة والكبر ومشي
المتواضع مستلزم للسكون والوقار ومن تواضع بعضهم الرابعة غض الابصار عما حرم الله وهو ثمرة العفة الخامسة وقفهم اسماعهم على سماع
العلم النافع وهو فضيلة العدل في قوة السمع والعلوم النافعة ما هو كمال القوة النظرية من العلم الالهي وما يناسبه وما هو كمال القوة
العملية وهي الحكمة العملية كما سبق بيانها السادسة نزول انفسهم منهم في البلاء كنزولها في الرخاء اى لا تقنط من بلاء ينزل بها ولا تبطر
برخاء يصيبها بل مقامها في الحالين مقام الشكر والذي صفة مصدر محذوف والضمير العائد اليه محذوف ايضا والتقدير نزولا كالنزول
الذي نزلته في الرخاء ويحتمل ان يكون المراد بالذي الذين فحذف النون كما في قوله تعالى كالذي خاضوا ويكون المقصود تشبيههم حال
نزول انفسهم منهم في البلاء بالذين نزلت انفسهم منهم في الرخاء والمعنى واحد السابعة غلبة الشوق الى ثواب الله والخوف من عقابه على نفوسهم
الى غاية ان ارواحهم لا تستقر في اجسادهم من ذلك لولا الآجال التي كتبت لهم وهذا الشوق والخوف اذا بلغ الى حد الملكة فانه يستلزم دوام
الجد في العمل والاعراض عن الدنيا ومبدأهما تصور عظمة وعده ووعيده وبحسب قوة ذلك التصور يكون قوة الخوف والرجاء وهما بابان
عظيمان للجنة الثامنة عظم الخالق في انفسهم وذلك بحسب الجواذب الالهية الى الاستغراق في معرفته ومحبته وبحسب تفاوت ذلك الاستغراق
يكون تفاوت تصور العظمة وبحسب تصور عظمته تعالى يكون تصورهم لاصغرية ما دونه ونسبته اليه في اعينهم باعتبارهم وقوله فهم والجنة كمن قد راها الى
قوله معذبون اشارة الى ان العارف وان كان في الدنيا بجسده فهو في مشاهدته بعين بصيرته لاحوال الجنة وسعادتها واحوال النار و
شقاوتها كالذين شاهدوا الجنة بعين حسهم وتنعموا فيها وكالذين شاهدوا النار وعذبوا فيها وهي مرتبة عين اليقين وبحسب هذه المرتبة كانت
شدة شوقهم الى الجنة وشدة خوفهم من النار التاسعة حزن قلوبهم وذلك ثمرة خوف الغالب العاشرة كونهم مأمونين الشرور وذلك لان مبدأ
الشرور محبة الدنيا واباطيلها والعارفون بمعزل عن ذلك الحادية عشر نحافة اجسادهم ومبدأ ذلك كثرة الصيام والسهر وخشونة المطعم
وخشونة الملبس وهجر الملاذ الدنيوية الثانية عشر خفة حاجاتهم وذلك لاقتصارهم من حوائج الدنيا على القدر الضروري من ملبس ومأكل
لا اخف من هذه الحاجة الثالثة عشر عفة انفسهم وملكة العفة فضيلة القوة الشهوية وهي الوسط بين رذيلتي خمود الشهوة والفجور
الرابعة عشر الصبر على المكاره ايام حياتهم من ترك الملاذ الدنيوية واحتمال اذى الخلق وقد عرفت ان الصبر مقاومة النفس الامارة بالسوء
لئلا تنقاد الى قبائح اللذات وانما ذكر قصر مدة الصبر واستعقابه للراحة الطويلة ترغيبا فيه وتلك الراحة هي السعادة في الجنة كما قال تعالى وجزاهم
بما صبروا جنة وحريرا الآية وقوله تجارة مربحة استعار لفظ التجارة لاعمالهم الصالحة وامتثال اوامر الله ووجه المشابهة كونهم متعوضين بمتاع
الدنيا وبحركاتهم في العبادة متاع الآخرة ورشح بلفظ الربح لافضلية متاع الآخرة وزيادته في النفاسة على ما تركوه وقطات ذلك تيسير الله
لا سيما مع اعدادهم بالجواذب الالهية الخامسة عشر عدم ارادتهم للدنيا مع ارادتها لهم وهو اشارة الى الزهد الحقيقي وهو ملكة تحت العفة
وكنى بارادتها عن كونهم اهلا لان يكونوا فيها رؤساء واشرافا كقضاة ووزراء ونحو ذلك وكونها بمعرض ان تصل اليهم لو ارادوها ويحتمل
ان يريد ارادة اهل الدنيا فحذف المضاف السادسة عشر افتداء من اسر نفسه منها وهو اشارة الى من تركها وزهد فيها بعد ان تمكن
فيها فقد فك بذلك الترك والاعراض والتمرن على طاعة الله اغلال الهيئات الردية المكتسبة منها من عنقه ولفظ الاسر استعارة في تمكن تلك
الهيئات من نفوسهم ولفظ الفدية استعارة لتبديل تلك الاستمتاع بها بالاعراض عنها والمواظبة على طاعة الله وانما عطف بالواو في قوله
ولم يريدوها وبالفاء في قوله ففدوا لان زهد الانسان في الدنيا كما يكون متأخرا عن اقبالها عليه كذلك قد يكون متقدما عليه كقوله صلى الله عليه وآله
ومن جعل الآخرة اكبر همه جمع الله عليه همه واتته الدنيا وهي راغمة فلم يحسن العطف هنا بالفاء واما الفدية فلما لم يكن الا بعد الاسر
عطفها بالفاء السابعة عشر كونهم صافين اقدامهم بالليل يتلون القرآن ويرتلونه الى قوله اقدامهم وذلك اشارة الى تطويع نفوسهم
الامارة بالسوء بالعبادات وشرح لكيفية استشارتهم للقرآن العزيز في تلاوته وغاية ترتيلهم له بفهم مقاصده تحزينهم لانفسهم به عند ذكر الوعيد
من جملة استشارتهم لادوائهم ولما كان دائهم هو الجهل وتوابع الرذائل العملية كان دواء الجهل بالعلم ودواء كل رذيلة الحصول على الفضيلة المضادة
لها فمنه وما القرآن يستشيرون بالتحزين الخوف من الرذائل وباقي الكلام شرح لكيفية التحزين والتشويق وقوله فهم حانون على اوساطهم
ذكر لكيفية ركوعهم وقوله مفترشون لجباههم الى قوله اقدامهم اشارة الى كيفية سجودهم وذكر الاعظم السبعة وقوله يطلبون الى قوله رقابهم
اشارة الى غايتهم من عبادتهم تلك الثامنة عشر من صفاتهم نهارا كونهم حكماء واراد الحكمة الشرعية وما فيها من كمال القوة العلمية والعملية لكونها المتوسطة
بين الجربزة والبلاهة وكونهم حلماء والحلم فضيلة تحت ملكة الشجاعة هي الوسط بين رذيلتي المهانة والافراط في الغضب وانما خص الليل بالصلاة لكونها
اولى من النهار كما سبق التاسعة عشر كونهم علماء واراد كمال القوة النظرية بالعلم النظري وهو معرفة الصانع وصفاته العشرون كونهم ابرارا والبر يعود
الى العفيف لمقابلة الفاجر الحادية والعشرون كونهم اتقياء والمراد بالتقوى ههنا الخوف من الله وقد تقدم ذكر العفة والخوف وانما كررهما هنا في عداد
كونهم

وهو فضيلة العدل

تصور عظمة الخالق وبقلتها يكون ... الخالق

العفة

والاستمتاع بها

من وعيد الله لما ... لانهماك في الدنيا وعوده العلم الذي هو دواء الجهل وكذلك كل فضيلة حث القرآن عليها فهي دواء لما يضادها

صفاتهم

صفاتهم بالنهار وذكرها هناك في صفاتهم المطلقة قوله وقد براهم الخوف الى قوله عظيم شرح لفعل الخوف لقالبهم وانما يفعل الخوف ذلك لاشتغال
النفس المدبرة للبدن بسبب النظر في صلاح البدن ووقوف القوة الشهوتية والغاذية عن اداء بدل ما يتحلل وشبههم في الخوف ببرى القداح
ووجه التشبيه شدة النحافة ويتبع ذلك تغير السحنات والضعف عن الانفعال لان لهم لقسا بينة من الخوف والحزن حتى يحسبهم الناظر مرضى
وان لم يكن بهم مرض ويقول قد خولطوا اشارة الى ما يعرض لبعض العارفين عند اتصال نفسه بالملأ الاعلى واشتغالها عن تدبير البدن وضبط
حركاته ان يتكلم بكلام خارج عن المتعارف مستبشع بين اهل الشريعة الظاهرة فينسب لذلك منه الى الاختلاط والجنون وتأدى الى الكفر والخروج
عن الدين كما نقل عن الحسين بن منصور الحلاج وغيره وقوله ولقد خالطهم امر عظيم وهو اشتغال اسرارهم بملاحظة جلال الله ومطالعة انوار الملأ
الاعلى الثانية والعشرون كونهم لا يرضون القليل الى قوله الكثير وذلك لتصورهم شرف غاياتهم المقصودة باعمالهم وقوله فهم لانفسهم متهمون
الى قوله فهم لا يعملون فهم لانفسهم متهمون من اعمالهم يعود الى شكهم فيها بحكم ما يراودهم من حسن عباداتهم وكونها مقبولة او واقعة على
الوجه المطلوب الموصل الى الله ثم فان هذا الوهم يكون سببا للعجب بالعبادة والتقاصر عن الازدياد من العمل والتشكك في ذلك وتهمة
النفوس وانقيادها على ذلك الحكم للنفس الامارة يستلزم خوفها ان يكون تلك الاعمال قاصرة عن الوجه المطلوب وغير واقعة عليه باعثا على العمل
وكاسرا للعجب وقد عرفت ان العجب من المهلكات كما قال ع ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكذلك خوفهم من تزكية
الناس لهم هو الداء الذي انما ينشأ عن تلك التزكية من الكبر والعجب ما يكون به فيكون جواب احدهم عند تزكيته انا اعلم بنفسي من غيري
الى اخره ثم شرع بعد ذلك في علاماتهم التي يجعلها يعرف احدهم والصفات السابقة وان كان كثير منها مما يختص احدهم ويعرف به الا ان نفعها
قد يدخله الرياء فلا يدخل على التقوى التحقيق بجمعها ههنا وسننها فالاولى القوة في الدين وذلك ان يقاوم في دينه الوسواس
الخناس ولا يدخل من خداع الناس وهذا انما يكون في الدين العالم الثانية الحزم في الامور الدنيوية والتثبت فيها مع مزجها باللين
للخالق وعدم الغضاضة عليهم كما في المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتلفظ وهي فضيلة العدل في المعاملة مع الخلق وقد علمت ان اللين
قد يكون للتواضع المطلوب بقوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقد يكون عن مهانة وضعف يقين والاول هو المطلوب
وهو المقارن للحزم في الدين ومصالح النفس والثاني رذيلة ولا يمكن معه الحزم لانفعال المهين عن كل جاذب الثالثة الايمان في اليقين
ولما كان الايمان عبارة عن التصديق بالصانع وبما وردت به الشريعة وكان ذلك التصديق قابلا للشدة والضعف فتارة يكون عن
التقليد وهو الاعتقاد المطابق لا لموجب وتارة يكون عن العلم وهو الاعتقاد المطابق
لموجب هو الدليل وتارة عن العلم به مع العلم بانه لا يكون الا كذلك وهو علم اليقين ومحققو السالكين لا يقفون عند هذه المرتبة بل يطلبون
عين اليقين بالمشاهدة بعد طرح حجب الدنيا والاعراض عنها والواردات عليهم علم يقين لا تتطرق اليهم الريبة احتمال لانه بلغ الحرص في العلم والازدياد منه
الخامسة مزج العلم وهو فضيلة القوة الملكية بالحلم وهو من فضائل القوة السبعية السادسة القصد في الغنى وهو فضيلة العدل
في استعمال متاع الدنيا وحذف الفضول عن قدر الضرورة السابعة الخشوع في العبادة وهو من ثمرة الفكر في جلال المعبود وملاحظة
عظمته الذي هو روح العبادة الثامنة التجمل في الفاقة وذلك بترك الشكوى الى الخالق والطلب منهم والاظهار الغنى عنهم وينشأ عن
والرضا بالقضاء وعلو الهمة ويعين على ذلك ملاحظة الوعد الاجل وما اعد للمتقين التاسعة وكذلك الصبر في الشدة العاشرة الطلب
الحلال وهو ينشأ عن العفة الحادية عشرة النشاط في الهدى وسلوك سبيل الله وهو ينشأ عن قوة الاعتقاد فيما وعد المتقون وتصور شرف
الغاية الثانية عشرة عمل الصالحات على وجل اي من ان يكون على غير الوجه اللائق فلا يقبل كما روي عن زين العابدين ع انه كان في التلبية
وهو على راحلته فخر مغشيا عليه فلما افاق قيل له في ذلك فقال خشيت ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك الثالثة عشرة ان يكون همهم عند
المساء الشكر على ما رزقوا بالنهار وما لم يرزقوا ويصبحوا وهمهم الذكر لله ليذكرهم ويرزقهم من الكمالات النفسانية والبدنية كما قال تعالى
فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون الرابعة عشرة ان يبيت حذرا ويصبح فرحا الى قوله الرحمة تفسير للحذر وما به الفرح والبشر مقصود
تخصيص البيات بالحذر والصباح بالفرح كما يقول احذر انا منيع فلان ويصبح حذرا فرحا وكذلك تخصيص الشكر بالمساء والذكر بالصباح
يحتمل ان لا يكون مقصودا الخامسة عشرة قوله ان استصعبت الى قوله تحب اشارة الى مقاومته لنفسه الامارة بالسوء عند استصعابها
عليه وقهره لها على ما تكره وعدم مطاوعته في ميولها الطبيعية ومحابها السادسة عشرة ان يرى قرة عينه فيما لا يزول من الكمالات النفسانية
الباقية كالعلم والحكمة ومكارم الاخلاق المستلزمة للذات الباقية والسعادة الدائمة وقرة عينه كناية عن لذته وابتهاجه لاستلزامها
لقرار العين وبردها بوجود المطلوب وزهادته فيما لا يبقى من متاع الدنيا السابعة عشرة ان يمزج العلم بالحلم فلا يجهل ولا يطيش والقول
بالعمل فلا يقول ما لا يفعل فلا يأمر بمعروف ويقف عنده ولا ينهى عن منكر ثم يفعله ولا يعد فيخلف فيدخل في مقتا لله كما قال تعالى كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون الثامنة عشرة قصر امله ومربوط ذلك كثرة ذكر الموت والوصول الى الله التاسعة عشرة قلة زلله
قد عرفت ان قلة العارفين يكون من باب ترك الاولى لان صدور الخيرات عنهم صار ملكة وتجاوز فيهم الى الزلل والتخليطات نادرة

في شرح حال المرسل في اداء رسالته

تكون لعصمة منهم او سهو ولا شك في قلته العشرون خشوع قلبه عن تصور عظمة المعبود وجلاله الحادية والعشرون فراغ نفسه بنشاغه بملاحظة حكمة الله
في قدرته وقسمته الارزاق وبعين عليها تصور فوائدها الحاضرة وغاياتها في الاخرة الثانية والعشرون قلة اكله وذلك لما يتصور في البطنة
من ذهاب الفطنة وزوال الرقة وحدوث القسوة والكسل عن العمل الثالثة والعشرون سهولة امره اي لا يتكلف لاحد ولا يكلف احدا الرابعة
والعشرون حرز دينه فلا يهمل منه شيئا ولا يطرق اليه خللا الخامسة والعشرون موت شهوته ولفظ الموت مستعمل لخمود شهوته وعدم غلبته عليه
فيعود الى العفة السادسة والعشرون كظم غيظه وهو من فضائل القوة الغضبية السابعة والعشرون كونه مأمول الخير وذلك لاكثر تجربته
مأمون الشر وذلك لعلم الخلق بعدم قصده للشر الثامنة والعشرون قوله ان كان من الغافلين اي ان راه الناس في عداد الغافلين
عن ذكر الله لتركه الذكر باللسان كتب عند الله من الذاكرين لاشتغال قلبه بالذكر وان تحرك بلسانه وان كان من الذاكرين بلسانه بينهم
فظاهر انه لا يكتب من الغافلين والذكر لله مدائح كثيرة وهو من باب عظيم من ابواب الجنة والانقطاع الى جناب الله وقد اشرنا الى فضيلته و
اسراره التاسعة والعشرون عفوه عمن ظلمه والعفو فضيلة تحت الشجاعة وخص من ظلمه ليتحقق عفوه مع قوة الداعي الى الانتقام
الثلاثون ويعطي من حرمه وهي فضيلة تحت السخاء الحادية والثلاثون ويصل من قطعه والمواصلة فضيلة تحت العفة الثانية والثلاثون
بعيد فحشه واراد ببعد الفحش عنه انه قلما يخرج في اقواله الى ما لا ينبغي الثالثة والثلاثون لين في القول عند محاورة الناس وعظيم
معاملتهم وهو من اجزاء التواضع الرابعة والثلاثون غائب منكره وحاضر معروفه وذلك للزوم حدود الله الخامسة والثلاثون مقبل
خيره ومدبر شره وهو كقوله الخير منه مأمول والشر منه مأمون ويحتمل اقبال الخير لحاق ثواب الله في الاخرة بادمان الطاعة وتيسيرها ويقدر
يكون ادباره عن الشر لانه من استقبل امرا وسعى فيه بعد عما يضاده من الامور السادسة والثلاثون وقاره في الزلازل وكني بها عن
الامور العظام والفتن الكبار المستلزمة لاضطراب القلوب واحوال الناس والوقار ملكة تحت الشجاعة السابعة والثلاثون كثرة صبره
في المكاره وذلك عن ثباته وعلو همته عن احوال الدنيا الثامنة والثلاثون كثرة شكره في الرخاء وذلك لمحبته المنعم الاول جلت قدرته
فيزداد شكره في رخائه وان قل التاسعة والثلاثون كونه لا يحيف على من يبغض وهو سلب الحيف والظلم مع قيام الداعي اليهما وهو
البغض لمن يتمكن من حيفه وظلمه الاربعون كونه لا يأثم فيمن يحب وهو سلب لرذيلة الفجور عند اتباع الهوى فيمن يحب اما باعطائه ما
ليس له او منع ما يستحق عليه عنه كما يفعله قضاة السوء وامراء الجور فالمنفي لا ياثم بشيء من ذلك مع قيام الداعي اليه وهو المحبة لمن يحب بل يكون
على فضيلة العدل في الكل على السواء الحادية والاربعون اعترافه بالحق قبل ان يشهد عليه وذلك لتحرزه في دينه من الكذب بل الشهادة
انما يحتاج اليها مع انكار الحق وذلك كذب الثانية والاربعون كونه لا يضيع اماناته ولا يفرط فيما استحفظه الله من دينه وكتابه وذلك
لورعه ولزوم حدود الله الثالثة والاربعون ولا ينسى ما ذكر من ايات الله وعبره وامثاله ولا يترك العمل بها وذلك لمداومة ملاحظتها
وكثرة اخطارها بالبال والعمل لغاياته المطلوبة منه الرابعة والاربعون ولا ينابز بالالقاب وذلك لملاحظة النهي في الذكر الحكيم ولا تنابزوا
بالالقاب ولسر ذلك النهي وهو كون ذلك مستلزما لاثارة الفتن والتباغض بين الناس والفرقة المضادة لمطلوب الشارع الخامسة
والاربعون ولا يضار بالجار لملاحظة وصية الله تعالى به والجار ذي القربى والجار الجنب ووصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر المرفوع ما زال جبرئيل يوصيني
بالجار حتى ظننت انه سيورثه ولغاية ذلك وهي الالفة والاتحاد في الدين السادسة والاربعون ولا يشمت بالمصائب وذلك لعلمه
باسرار القدر وملاحظة لاسباب المصائب انه في معرض ان تصيبه فيتصور امثالها في نفسه فلا يفرح بنزولها على غيره السابعة
والاربعون انه لا يدخل في الباطل ولا يخرج عن الحق اي لا يدخل فيما يبعد عن الله تعالى من باطل الدنيا ولا يخرج عما يقرب اليه من مطالبه
الحقة وذلك لشرف غايته الثامنة والاربعون كونه لا يغمه صمته لو ضعه كلا من الصمت والكلام في موضعه وانما يستلزم
الصمت الغم عما ينبغي من القول وهو صمت في غير موضعه التاسعة والاربعون كونه لا يعلو ضحكه وذلك لغلبة ذكر الموت وما بعده
على قلبه ومما نقل من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم كان اكثر ضحكه التبسم وقد يفتر احيانا ولم يكن من اهل القهقهة والكركرة وهما كيفيتان
للضحك الخمسون صبره في البغي الى غاية انتقام الله له وذلك منه نظر الى ثمرة الصبر والى الوعد الكريم بذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب
به ثم بغي عليه لينصرنه الله الاية وقوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين الحادية والخمسون كون نفسه منه في عناء اي نفسه الامارة
بالسوء لقهره لها ومنعه لها وقهرها ومراقبته اياها والناس من اذاه في راحة لذلك الثانية والخمسون كون تباعده عمن تباعد عنه لزهده
فيما ايدي الناس وتنزهه عنه لا عن كبر وتعظيم عليهم وكذلك دنوه ممن دنا منه عن لين ورحمة منه لهم لا بمكر بهم وخديعة لهم عن بعض
المطالب كما هو عادة الخبيث المكار وهذه الصفات والعلامات قد يتداخل بعضها بعضا ولكن تورد بعبارة اخرى ويذكر
معه ثم تكون تامة مركبة مع غيرها وبالجملة فهذه الخطبة من جليل وبليغ وصفه ولذلك تعلقت بهمام ما تعلقت فاما جوابه عليه السلام
لمن سأله بقوله ويحك ان لكل اجل وقتا لا يعدوه اي ينتهي اليه ويكون غاية له لا يتجاوزها ولا يتأخر عنها والضمير في يعدوه
للاجل وسببا لا يتجاوزه اي لذلك الاجل سبب اي علة فاعلة لا يتعداها الى غيرها من الاسباب فمنها ما يكون موعظة بالغة كهذه

فهو سبب

في احوال المنافقين وشرح المرسل

فهو جواب مقنع للسامع مع انه ضلال وحمق وهو اشارة الى السبب الاول بعيد لبقائه ثم عند سماع المواعظ البالغة ومواقع الاجل المحكوم به للقضاء الالهي واما السبب القريب للفرق بينه وبين همام وموته فقوة نفسه الشديدة على قبول الواردات الالهية ونحو ذلك بها وبلوغ ريا ضتها حد السكينة عند فعقود آثارها وضعف نفس همام عما ورد عليه من خوف الله ورجائه ولم يجب بمثل هذا الجواب لاستلزامه تفضيل نفسه او لقصور فهم السائل ونهيه للقائل عن مثل هذا السؤال والتنفير عنه وكونه من نفثات الشيطان لوضعه في غير موضعه وهو من آثار الشيطان وبالله العصمة والتوفيق

ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين نحمده على ما وفق له من الطاعة وذاد عنه من المعصية ونسأله لمنته تماما وبحبله اعتصاما ونشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله خاض الى رضوان الله تعالى كل غمرة وتجرع فيه كل غصة وقد تلون له الادنون وتالبت عليه الاقصون وخلعت اليه العرب اعنتها وضربت الى محاربته بطون رواحلها حتى انزلت بساحته عداوتها من ابعد الدار واسحق المزار اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحذركم اهل النفاق فانهم الضالون المضلون والزالون المزلون يتلونون الوانا ويفتنون افتنانا ويعمدونكم بكل عماد ويرصدونكم بكل مرصاد قلوبهم دوية وصفاحهم نقية يمشون الخفاء ويدبون الضراء وصفهم دواء وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء حسدة الرخاء ومؤكدوا البلاء ومقنطوا الرجاء لهم بكل طريق صريع والى كل قلب شفيع ولكل شجو دموع يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء ان سألوا الحفوا وان عذلوا كشفوا وان حكموا اسرفوا قد اعدوا لكل حق باطلا ولكل قائم مائلا ولكل حي قاتلا ولكل باب مفتاحا ولكل ليل مصباحا يتوصلون الى الطمع باليأس ليقيموا به اسواقهم وينفقوا به اعلاقهم يقولون فيشبهون ويصفون فيموهون قد هونوا الطريق واضلعوا المضيق فهم لمة الشيطان وحمة النيران اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون

اقول ذاد طرد والغمرة من كل شيء معظمه واسحق المزار ابعده والسحق بضم السين البعد وكذلك بضم الحاء وبعمدونكم يعمدونكم ويعمدونكم والعماد الامر الفادح ويرصدونكم يقعدون لكم المراصد وينتظرونكم والضراء ما وراءك من الشجر الملتف والالحاف الاستقصاء في السؤال والشجو الحزن والاعلاق جمع علق وهي السلعة الثمينة والتمويه التزيين والتلبيس واضلعوا المضيق ضلعا اي عوجوه واما لوه وهو مضلع اي مائل وضلع بفتح اللام اي معوج خلقة واللمة بالتخفيف الجماعة وحمة النيران بالتشديد معظم حرها وبالتخفيف سم العقرب وقد حمد الله ثم باعتبارين وهما التوفيق لطاعته التي هي سبب الفوز الاكبر والطرد عن معصيته التي هي سبب الخسران وذلك الذود اما بالنواهي او بحسم اسباب المعاصي وعدم الاعداد لها والكل منه سبحانه ثم سأله من الامرين التمام لما شكره من النعمة نظرا الى قوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم والاعتصام بحبله المتين وهو الدين القويم العاصم لمن تمسك به عن الهوى في مهاوي الهلاك ودركات الجحيم واردف ذلك بالشهادة بالرسالة وشرح حال المرسل في اداء رسالته واستعار لفظ الغمرة لعظم الشدائد والمكاره المنكشفة المجتمعة حين بعثته ملاحظة لشبهها بغمرة الماء ورشح بذكر الخوض وكنى به عن مقاساته للمتاعب الكثيرة وملاقاته للنوائب من المشركين في مدة دعوته وكنى بالغصص عن عوارض الهموم لعن ملاقاة تلك المكاره وكنى بتلون الادنين له عن تغير قلوب قرابته عليه بضروب التغيرات وتالب الاقصين عليه اجتماع الاباعد عنه من العرب وانضمامهم من اقصى البلاد الى حربه وقوله وخلعت اليه العرب الى قوله رواحلها مثلان كنى بهما عن المسارعة الى حربه لان اقوى عدو الخيل اذا خلعت اعنتها واقوى عدو الرواحل اذا ضربت بطونها وفيه ايماء الى انهم اتوه فرسانا وركبانا متسرعين الى حربه وقوله حتى انزلت بساحته عداوتها اي حروبها وشرورها التي هي ثمرة العداوة واطلق لفظ العداوة على الحرب مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب ومن طالع كتب السير علم ما لاقى رسول الله صلى الله عليه وآله في تبليغ رسالات الله سبحانه من المشاق كاستهزاء قريش به في اول الدعوة ورميهم اياه بالحجارة حتى ادموا عقبيه وصياح الصبيان به وفرث الكرش على رأسه وفتل الثوب في عنقه وحصره وهو واهله في شعب بني هاشم سنين عدة محرمة معاملتهم ومبايعتهم ومناكحتهم وكلامهم حتى كادوا يتلفون جوعا لولا بعض من كان يحنو عليهم لرحم او لسبب آخر فكان يسترق لهم القليل من الدقيق والتمر فيلقيه اليهم ليلا ثم ضربهم لاصحابه وتعذيبهم بالجوع والوثاق في الشمس وطردهم اياهم عن شعاب مكة حتى خرج بعضهم الى الحبشة وخرج هو عليه السلام مستجيرا منهم تارة بثقيف وتارة ببني عامر وتارة بربيعة الفرس وبغيرهم ثم اجمعوا على قتله والفتك به ليلا حتى هرب منهم لائذا بالاوس والخزرج تاركا الاولاد والاهل ناجيا بحشاشة نفسه حتى وصل الى المدينة فناصبوه الحرب ورموه بالكتائب وضربوا اليه آباط الابل حتى اكرمه الله تعالى بنصره واتم دينه واظهره ثم عقب ذلك بالوصية بتقوى الله والتحذير من المنافقين ونفر بعد اياهم ليعرفوا فيجتنبوا ويحصل النفار عنهم فانهم الضالون اي المنحرفون عن سبيل الله لعدم الاهتداء لها المضلون لغيرهم عنها بالشبهات الباطلة وكذلك الزالون والمزلون وكنى بتلونهم الوانا عن تغيراتهم في اقوالهم وافعالهم من حال الى حال بحسب تغير اغراضهم الفاسدة فيلقون كل احد بوجه وبلسان غير الآخر وكذلك تفننهم اي تشعب اقوالهم واحوالهم بحسب تشعب اغراضهم وارادتهم لهم وقصدهم لهم بكل مكروه على الوجه الحيلة ودوية صفاحهم نقية اشتمال نفوسهم على الادواء النفسانية من الحسد والحقد والمكر والحيلة بعثوا بها عما الخيلة

في توصيفه لله وتمجيده وتحميده

مع اظهار البشاشة والصدق فيه والمحبة ولتبصيرهم وهذا هو الضابط في النفاق وهو ان يظهر الانسان امرا حسنا محمودا ويبطن خلافه وارادة
بصفائهم وجوههم وبنقائهم سلامتها عن شرط وقوله يمشون الخفاء كناية عن كون حركاتهم القولية والفعلية فيما يريدونه في خفاء انهم انما
وكذلك قوله ويدبون الضراء والخفاء والضراء منصوبان على الظرف وهما مثلان لمن يختل غيره ويخدعه وقوله وصفهم دواء الى قوله العياء اي قولهم
اقوال الزاهدين العابدين من الموعظة والامر بالتقوى وطاعة الله الذي هو دواء الغي والضلال وشفاء منهما وافعالهم افعال الفاسقين
الضالين من معصية الله التي هي الداء الاكبر والعياء المعيي للاطباء وقوله حسدة الرخاء اي ان راوا الامر برخاء حسدوه ومؤكدوا البلاء اي
ان راوا به بلاء اكدوه بالسعاية والنساء عليه وروي وموكدوا وهو غلط ومقنطوا الرجاء اي اذا رجا راج امرا وفي طلبه غلبهم ان يقنطوه ويوئسوه ومكنه
شان المنافق الكذاب ان يبعد القريب ويقرب البعيد وقوله لهم بكل طريق صريع كناية عن كثرة من يقتلونه او يؤذونه بخداعهم ومكرهم
وكنى بالطريق اما عن كل مقصد قصدوه او عن كل حيلة احتالوها ومكر مكروه فانه لا بد ان يستلزم اذى وقوله والى كل قلب شفيع اي ان
من شان المنافق ان يتخذ الى كل قلب ذريعة ووجها غير الآخر فيكون صديق الكل حتى المتعادين ليتوصل بذلك الى اثارة الفتن وايقاع الشر
بينهم وهو في نفس الامر عدو الكل وكذلك لهم لكل شجو دموع كناية عن توجعهم لكل شجو وتوصلهم بذلك الى اغراضهم وان كان اهل الشجو
على اصله اعداء وقوله يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء اي يثني احدهم على الآخر ليثني الآخر عليه ويترقب كل منهم الجزاء من صاحبه ثناء مر وقوله
ان سالوا الحفوا اي الحوا في السؤال وهو من المذام كما قال تعالى لا يسالون الناس الحافا وقوله وان عذلوا كشفوا اي اذا عذلك احدهم
كشف لك عيوبك في ذلك العذل وجبهك بها وربما ذكرها بحضرة من لا تحب ذكرها معه وليسوا كالناصحين الذين يعرضون بالذنب عند
العتاب تعريضا لطيفا دون التصريح واذا حكموا اسرفوا اي اذا ولي احدهم ولاية اسرف فيها بالظلم والانهماك في ماكله ومشربه وعبر فيها الى
الى حد الافراط من فضيلة العدل وذلك لجهله بالعواقب وتصوره انه لا غاية اشرف مما هو فيه قد اعدّوا لكل حق باطلا اي من الشبه يموهون عليه
ويعطفونه بها ولكل حي قاتلا اي سببا يميتونه به والحي اعم من الانسان هنا ولكل امر يجيء يقوم اذا اراد وامضاه ولكل باب مفتاحا من الحيل
والخديعة ولفظ المفتاح مستعار وكذا لكل ليل مصباحا ولفظ الليل مستعار لما اشكل من الامور والمظلم وكذا لفظ المصباح للراي الذي
يخلون به في ذلك الامر ويهتدون الى وجهه كرأي عمرو بن العاص لمعاوية ليلة الهرير برفع المصاحف ودعوتهم اهل العراق ان يحاكموهم
الى كتاب الله فلم يكن لذلك المشكل الا ذلك الراي الضعيف يتوصلون الى الطمع والياس اي باظهار الياس عما في ايدي الناس والزهد فيه كما فعله
كثير من زهاد الوقت ووصفهم باخذ الشيء بضده ابلغ ما يكون في وصف النفاق والحيلة وقوله ليقيموا به اسواقهم استعار لفظ الاسواق
لاحوالهم في معاملة الخلق من اخذ واعطاء فان فعلهم ذلك يقيمها بين الناس ويروجها عليهم وكذلك لينفقوا به اعلاقهم ولفظ الاعلاق مستعار
لما يزعمون انه نفيس من ارائهم وحركاتهم الخادعة عن امر الله وقوله يقولون الى قوله يموهون اي يصفون باقوالهم الشبهة في القلوب ويموهون
عليهم الباطل بصورة الحق وقوله قد هونوا الطريق اي قد عرفوا كيف يسلكون في مقاصدهم من الاراء والحيل واضلعوا المضيق اي عوجوا مضايقها
وكنى بمضايقها عن دقائق المداخل في الامور وبتعويجها عن انهم اذا ارادوا الدخول في امر ضيق ظهروا انهم يريدون غيره تعمية على الغير وتلبيسا
ان يقف على وجه الحيلة فيفسد مقصودهم وقوله فهم لمة الشيطان اي جماعته واتباعه وحمة النيران استعار لفظ الحمة لشرهم ووجه المشابهة استلزامهما
للاذى البالغ وكذلك جمرة بالتخفيف **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الذي اظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه ما حيّر مقل العقول
من عجائب قدرته وردع خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته واشهد ان لا اله الا الله شهادة ايمان وايقان واخلاص واذعان
واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله واعلام الهدى دارسة ومناهج الدين طامسة فصدع بالحق ونصح للخلق وهدى الى
الرشد وامر بالقصد صلوات الله وسلامه عليه واعلموا عباد الله انه لم يخلقكم عبثا ولم يرسلكم هملا علم مبلغ نعمه عليكم واحصى احسانه
اليكم فاستفتحوه واستنجحوه واطلبوا اليه واستمنحوه فما قطعكم عنه حجاب ولا اغلق عنكم دونه باب وانه لبكل مكان وفي كل حين واوان
ومع كل انس وجان لا يثلمه العطاء ولا ينقصه الحباء ولا يستنفده سائل ولا يستقصيه نائل ولا يلويه شخص عن شخص ولا
يلهيه صوت عن صوت ولا تحجزه هبة عن سلب ولا يشغله غضب عن رحمة ولا تولهه رحمة عن عقاب ولا يجنه البطون عن الظهور
ولا يقطعه الظهور عن البطون قرب فنأى وعلا فدنى وظهر فبطن وبطن فعلن ودان ولم يدن لم يذرأ الخلق باحتيال ولا استعان
بهم لكلال اوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها الزمام والقوام فتمسكوا بوثائقها واعتصموا بحقائقها تؤل بكم الى اكنان الدعة واوطان
السعة ومعاقل الحرز ومنازل العز في يوم تشخص فيه الابصار وتظلم له الاقطار وتعطل فيه صروم العشار وينفخ في الصور فتزهق
كل مهجة وتبكم كل لهجة وتذل الشم الشوامخ والصم الرواسخ فيصير صلدها سرابا رقرقا ومعهدها قاعا سملقا فلا شفيع يشفع
ولا حميم يدفع ولا معذرة تنفع **اقول** مقلة العين شحمتها والهمهمة حديث النفس مع صوت خفي لا يفهم والطامسة كالدارسة
والحباء النوال وذرا خلق والمعقل الملجا والصروم جمع صرمة وهي القطعة من الابل نحو الثلاثين والعشار النوق التي عليها بعد طروق
الفحل عشرة اشهر والشم الشوامخ الجبال العالية ومعهدها ما كان مسكونا منها والقاع الخالي والسملق الصفصف المستوي ليس بعضه ارفع

من بعض

في كلمة التوحيد وما يعقبها

من بعض وقد حمد الله تعالى بما عبثنا اظهاره من آثار ملكه وسلطانه بما اظهره من ملكوت السموات والارض وترتيب العالمين على وجه النظام الاتم مما هو
محل التعجب العجيب الذي يحار فيه ابصار البصائر في كيفيته وقوعه عن القدرة الالهية وفي ترتيبه على النظام الاكمل بل كل مخلوق منها فهو محل ذلك التعجب والحيرة
ولفظ المثل مستعار وتنبيه ذلك الى جلال كبريائه مناسب لما ان السلطان والعظمة والكبرياء يناسب صدور الآثار العظيمة العجيبة المحكمة عنها وردع
خطرات اوهام النفوس اي ما يخطر للنفوس في همهمتهم به وبعد عجزها استلزام كماله المطلق عجزها عن ادراك حقيقته وقد سبق ذلك عجزهم ثم شهد
بكلمة التوحيد معتبرا فيها اربعة امور احدها كونها شهادة ايمان اي يطابق القول فيها للعقد القلبي الثاني وايقان اي يكون اعتقادها
يقينيا او مع اعتقاد ان لا اله الا هو مع اعتقاد انه لا يمكن ان يكون ذلك المعتقد الا كذلك الثالث واخلاص وهي ان يجرد فعل ذلك المعتقد
كل امر عن مدحة الاغيار ولا يلاحظ معه غيره الرابع واذعان والاذعان ثمرة ذلك الاخلاص وكماله ويتفاوت بتفاوته ويعود الى سائر
الطاعات والعبادات التي هي من حقوق تلك الكلمة وتوابعها ثم اردفها بالحمد وذكر الاحوال التي كان العالم عليها حين الرسالة تماما هي شرور
ينبه بها على فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله واستعار اعلام الهدى للائمة الذين الهادين الى سبيل الله ولفظ المناهج لقوانين الشريعة التي يسلك فيها خربا
الاحكام ولفظ دروسها وطموسها لانمحاء آثارها قبل النبوة والواو في واعلام للحال وصدع بما جاء به من الحق ما طلب من الباطل ونصح الخلق
ليردهم عن غوايتهم الى صراط الله وهداهم الى الرشد في سلوكه وامرهم بالعدل والاستقامة عليه ثم نبه السامعين احبا لا على ان خلق الله تعالى
لهم ليس خاليا عن غاية وانهم لم يرسلوا في الدنيا مهملين عن امر يراد بهم كاهمال البهائم ثم على علمه بمبلغ نعمه عليهم كمية وكيفية واحصائه لها احصاء
ليبعثهم على شكرها ولذلك قال فاستفتحوه اي اطلبوا منه ان يفتح عليكم ابواب بركاته ورضوانه واستنجحوه اي اطلبوا منه نجاح حاجاتكم واطلبوا اليه
اي اطلبوا الهداية الى حضرته ووجوه مرضاته واستمنحوه ان يعطيكم كما لكم كل ذلك بالشكر وسائر العبادات التي بها الاستعداد الافاضة رحمته
وقوله فما يقطعكم عنه حجاب الى قوله لكان اخلها ان لوجود كماله وعظمته وتنزيه له عن صفات المخلوقين المحدثين وتنبيه لمن عباده
ليطلبوا منه والبيه ويستنجحوه ويستفتح اما لم منه واذا لم يكن تعالى متحيزا لم يحجبه حجاب دونه ولا باب كان بكل مكان في حالة واحدة اي بعلمه المحيط
لاستحالة ذلك ذات المتحيز وفي كل حين واوان بمعنى مساوقته وجوده لوجود الزمان لا بمعنى الظرفية له لتنزهه تعالى عن لحوق الزمان المتاخر عنه
بمراتب من المعلولات ومع كل انس وجان بعلمه وهو معكم اينما كنتم وقوله لا يثلمه العطاء الى قوله نائل فاستنقصنا النائل له بلوغ الجود منه اقصى
مقدوره وبرهان تلك الاحكام ان الثلم والنقصان والانثناء والاستنقاص على المقدور يستلزم النهاية والحاجة المستلزمين للامكان
ولا شيء من واجب الوجود بممكن وكل من تحقته هذه الاحوال ممكن فواجب الوجود لا تلحقه هذه الاحوال وكذلك قوله لا يلويه شخص عن شخص
اي لا يصرفه الى قوله عقاب وبرهان هذه الاحكام ان الصرف والالهاء يستلزمان الغفلة عن امر والفطنة لغيره بعد الغفلة عنه وكذلك حجز الهبة
ومنعها عن سلب نعمة اخرى وشغل الغضب له عن الرحمة مستلزمان قصور القدرة وضعفها وتعلقها بمحل حسبما وذلك مستلزم للنقصان
المستلزم للحاجة والامكان المنزه قدس الله تعالى عنه وكذلك توليه الرحمة عن العقاب يستلزم رقة الطبع ورحمة النفوس البشرية المستلزمة لعوارض
الجسمية وجلال الله منزه عنها وقوله ولا تجنه البطون عن الظهور يحتمل وجهين احدهما لا يحجبه بطونه حقيقته عن العقول وخفاؤه
عن العيون عن ظهوره للبصائر في صور آثاره وملكوت قدرته الثاني انه ليس في شيء حتى يخفى فيه عن الظهور على الاشياء والاطلاع عليها
ولا يقطعه الظهور عن البطون اي لا يقطعه كونه ظاهرا او عالما بالامور الظاهرة عن ان يكون باطنا لا يطلع العقل عليه او عن علمه ببواطن
الامور وخفاياها وقوله قرب اي بعلمه وقدرته من الاشياء قرب العلة من المعلول فنأى اي بعد بحقيقته عن ادراك العقول والحواس وقوله
وعلا فدنا فعلوه شرفه بالقياس الى آثاره شرف العلة على المعلول ودنوه منها قربه وقوله وظهر فبطن وبطن فعلن تاكيد لما قبله وقد سبق
بيانه وقوله ودان ولم يدن وقوله لم يذرء الخلق باحتيال الى قوله لكلال تنزيه له في ايجاده لآثاره عن استخراج الحيل واجالة وجوه الآراء في استخراجها ثم عن
الاستعانة بغيره في شيء من آثاره ثم عن ضد الاستعانة وهو الكلال والاعياء لاستلزام ذلك ما هي القوة المستلزمة للجسمية واذ قدم
تنزيه الحق سبحانه عما لا ينبغي له وصفه بما ينبغي له شرع في الوصية بتقواه ثم في التنبيه على فضائلها واستعار لفظ الزمام لها باعتبار كونها قائدة
للعبد الى طريق الحق مانعة له عن الجور الى طرف الباطل كالزمام للناقة واراد بكونها قواما كونها مقيمة للعبد في سلوك سبيل الله ايضا
اقامة للمصدر مقام اسم الفاعل وقوله وتمسكوا بوثائقها اي بما يوثق منها وهو سائر انواع العبادات التي هي اجزاؤها والتمسك بها هو
الى لزومها والمواظبة عليها واعتصموا بحقائقها اي بالخالص منها دون المشوب بالرياء والنفاق فان الالتجاء الى خالصها هو المخلص
من عذاب الله وقوله تؤل بكم انجزمه تؤل لكونه جواب الامر بالتمسك والاعتصام واكنان الدعة مواطن الراحة من الآلام الحسية والعقلية وهي
عرصات الجنة ومنازلها وهي اوطان السعادة من ضيق الابدان وضنك بيوت النيران وهي معاقل الحرز لمانعة من عذاب الله وهي منازل
العز من جوار الله وقوله في يوم متعلق بتؤل واليوم يوم القيمة وسائر ما عدده من صفات ذلك اليوم مما نطق به الكتاب الكريم كقوله تعالى انما نؤخرهم
ليوم تشخص فيه الابصار وقوله واذا العشار عطلت وقوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض وقوله ويسئلونك عن
الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها الآية وقوله فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقوله فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم

ويستنجحوه

في التنبيه على قوله قول الله ورسوله

بعض اهوال القيامة المحسوسة واما المعقولة فقال بعض السالكين ان الانسان اذا حضرته الوفاة شخص بصره وعقله الى ما انكشف له من الاطوار الاخروية
واظلمت عليه اقطار الدنيا وغاب منها ما كان يشاهده وتعطلت عنه عشاره وناداه داعي الاجل الى الاخرة فزهقت نفسه واجابت الداعي وبكت
الجنة وذلت شوامخ الجبال ورواسيها في نظره لعظمة الله عند مشاهدة كبريائه فتصير لا نسبة لها في نظره الى ما شاهده من عظيم ملكوته فكانها
اضمحلت وغابت وصارت في نظره كالسراب المترقرق الذي لا اصل له بعد ما كان يراها عليه من العلو والعظمة وكذلك ينقطع نظره عن عالم
الاجسام والجسمانيات عند التوجه الى عالم الملكوت وكذلك يرى ما كان معهودا منها كالقاع الصفصف المستوي تحت سلطان الله وقهره و
ح ينقطع عن الشفيع الشافع والصديق الدافع والعذر النافع وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** بعثه حين لا علم قائم ولا
منار ساطع ولا منهج واضح اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحذركم الدنيا فانها دار شخوص ومحلة تنغيص ساكنها ظاعن وقاطنها
بائن تميد باهلها ميدان السفينة تصفقها العواصف في لجج البحار فمنهم الغرق الوبق ومنهم الناجي على متون الامواج تحفزه الرياح
باذيالها وتحمله على اهوالها فما غرق منها فليس بمستدرك وما نجا منها فالى مهلك عباد الله الان فاعملوا والالسن مطلقة و
الابدان صحيحة والاعضاء لدنة والمنقلب فسيح والمجال عريض قبل ارهاق الفوت وحلول الموت فحققوا عليكم نزوله ولا تنتظروا قدومه
اقول الساطع المرتفع والوبق الهالك واللدن الناعم والارهاق الالحاق وقد ذكر البعثة حين ظهور الاحوال التي كان العالم عليها ايضا تنبيها
على فضلها وفضيلة الرسول صلى الله عليه وآله فقوله حيث لا علم قائم استعار لفظ العلم والمنار للهداة الى الله الداعين اليه وعدم قيامهم وسطوعهم لعدمهم زمان
الفترة وقوله ولا منهج واضح اي لا طريق الى الله خالص عن شوب الاباطيل بيّن ثم عقب بالوصية بتقوى الله ثم بالتحذير من الدنيا وقربها بذكر عيوبها
للتنفير عنها وكونها دار شخوص اشارة الى ضرورة الارتحال عنها بالموت ومحلة تنغيص اي تنغيص لذاتها بالالام والامراض حتى قيل ان اللذة
فيها انما هي الخلاص عن الالم وقوله ساكنها ظاعن وقاطنها بائن كالتفسير لقوله دار شخوص وقوله تميد باهلها الى قوله الى مهلك ضرب لها
ولاحوال اهلها فيها مثلها بالسفينة عند عصف الريح ومثل تصرفاتها وتغيراتها بميدان السفينة ومثل ما فيها من الامراض والحوادث التي
هي مظنة الهلاك بالاحوال التي يلحق اهل السفينة عند هبوب الريح العاصف حال كونها في لجج البحار ومثل افنائهم عند بعض تلك
الحوادث ونزولها بهم الى منيت بها لا يرجى لها عودة ولا يستدرك لها فارطة بافناء ركاب السفينة عند عصف الريح عليها الى الغرق
فالهالك والى ناج ومثل الناجي من بعض الامراض الكائنة التي تاخر موته الى مرض اخر فلا بد من اهوال الدنيا في تلك المدة مما لا بد ثم الحتم للموت
بالاخرة بالناجي من الغرق الذي تحمله الامواج وتدفعه الرياح ويقاسي اهوال البحر وشدائده ثم بعد خلاصه منه لا بد له من وقت هو
اجله ومرض هو المهلك اي محل هلاكه ثم امر بالعمل وذكر الاحوال التي يمكن فيها ومعها العمل تنبيها على انتهاز الفرصة فتلك الاحوال صحة الالسن
وامكان ذكر الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائر التكاليف المتعلقة بها وكذا صحة الابدان ولدونة الاعضاء ومطاوعتها للعمل
قبل يبسها بالسقم والامراض وفسح المنقلب وهو محل التصرف والتقلب وكونه بحسن وقت الصحة والشبيبة ويقرب منه عرض المجال قبل تكررها
الاجل وحلول الموت تحذيرا منه وجذبا الى العمل لما بعده ثم امرهم ان يحققوا نزوله قبل نزوله اي يتذكروه ويخطروه ببالهم انه حق وقد دنا
انه واقع ليكون اكد في العمل ولذلك قال صلى الله عليه وآله من ذكر هادم اللذات ونهاهم عن انتظار قدومه لا يستلزم انتظاره بهم انه
بعد عنهم وذلك يوقعهم في التكاسل عن العمل وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ولقد علم المستحفظون من اصحاب
محمد صلى الله عليه وآله اني لم ارد على الله ولا على رسوله صلى الله عليه وآله ساعة قط ولقد واسيته بنفسي في المواطن
التي تنكص فيها الابطال وتتاخر الاقدام نجدة اكرمني الله بها ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وان راسه لعلى
صدري وقد سالت نفسه في كفي فامررتها على وجهي ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة اعواني فضجت
الدار والافنية ملا يهبط وملا يعرج وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه فمن ذا احق به
مني حيا وميتا فانفذوا على بصائركم ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم فوالذي لا اله الا هو اني لعلى جادة الحق وانهم
لعلى مزلة الباطل اقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم **اقول** الهينمة صوت خفي يسمع ولا يفهم وحاصل الفصل
التنبيه على فضيلته لغاية قبول قوله فيما يامرهم فذكر منها انه لم يرد على الله ولا على رسوله قط فيما صدر من الامر عنهما واستشهد على ذلك
بما علمه منه المستحفظون من الصحابة وهم العلماء واهل الدين الذين استحفظوا كتاب الله ودينه اي جعلوا حفظة له واودعوا اياه وقال
بعض الشارحين وفيه ايماء الى ما كان يفعله بعض الصحابة من التسرع بالقول والاعتراض على الرسول صلى الله عليه وآله في مواضع
كما نقل عن عمر يوم الحديبية عند سطر كتاب الصلح انه انكر ذلك وقال لرسول الله السنا على الحق قال بلى قال اوليسوا الكاذبين قال
بلى قال فكيف نعطي الدنية في ديننا فقال صلى الله عليه وآله انا اعلم بما امرت به فقام عمر فقال للقوم من الصحابة الم يكن قد وعدنا الله بدخول مكة
فها نحن قد صددنا عنها ثم ننصرف بعد ان اعطينا الدنية في ديننا والله لو وجدت اعوانا لم اعط الدنية ابدا فقال له ابو بكر
ويحك الزم غرزه فوالله انه لرسول الله وان الله لا يضيعه ثم قال له اقال لك انه سيدخل مكة في هذا العام فقال لا قال فسيدخلها فلما فتح النبي

مكة واخذ

في بيان فضيلة قبول الرسول وولايته ورأيه

مكة وأخذ مفاتيح الكعبة بغاة فقال هذه لك وعثمان بن طلحة بردّها ومنها مواساته لرسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه وهو تمام الخصيصة بهم وذلك في مواطن ثبت
معه يوم أحد وفرّ الناس وروى المحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما ارتثّ يوم أحد ونادى الناس قتل محمد رأته كتيبة من المشركين وهو
صريع بين القتلى إلا أنه حيّ فصمدت له فقال لعلي اكفني هذه فحمل عليها فهزمها وقتل رئيسها ثم صمدت له أخرى فقال يا علي اكفني
هذه فحمل عليها فقتل رئيسها ثم صمدت له ثالثة فكذلك فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول قال لي جبرئيل يا محمد هذه المواساة
فقلت وما يمنعه وهو مني وأنا منه فقال جبرئيل وأنا منكما وروى المحدثون أيضا أن المسلمين سمعوا ذلك اليوم هاتفا من قبل
السماء ينادي لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي فقال الرسول صلى الله عليه وآله ألا تسمعون هذا صوت جبرئيل وكذلك ثبت معه يوم
حنين في نفر يسير من بني هاشم بعد أن ولّى المسلمون الأدبار وحامى عنه وقتل قوما من هوازن بين يديه حتى ثابت إليه الأنصار وانهزمت
هوازن وغنمت أموالها وأما يوم خيبر فقصته مشهورة وذلك قوله ولقد واسيته في المواطن التي تنكص فيها الأبطال وتتأخر فيها الأقدام وقوله نجدة أكرمني الله بها فالنجدة
فضيلة تحت الشجاعة وقد يعبر بها عن الشجاعة ومنها حاله عند ما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله من تولي أمره ومباشرة ما يختص به من الأحوال
حالة وفاته من وضع رأسه على صدره وقبل ذلك أن رأسه كان على ركبتيه وعلى ذلك يكون في صدره عند الكتابة عليه
الاشتداد أو لتسنيد صدره حين اشتدت علة موته ثم سيلان نفسه في كفه وإمرارها على وجهه وأراد بنفسه دمه فقيل إن رسول الله
قاء وقت موته دما يسيرا وأن عليا مسح بذلك الدم وجهه ولا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز أن يخص دم الرسول صلى الله عليه وآله كما روي
أن أبا طيبة الحجام شرب دمه حين حجمه فقال إذن لا يبجع بطنك وكذلك تولية غسله بإعانة الملائكة وكان هو الذي يغسله
والفضل بن عباس يصب الماء عليه وروي أنه عصب عيني الفضل حين صب الماء ونقل عنه صلى الله عليه وآله أنه قال لا يبصر عورتي غيرك أحد إلا عمي
وروي أنه قال فما قلبت عضوا إلا وانقلب لا أجد له ثقلا كأن معي من يساعدني عليه وما ذلك إلا الملائكة وحيا وميتا
صفونا على الحال من الضمير المجرور في بهم وأما دفنه فتنازع الصحابة في أنه يلحد أو يضرح فأرسل العباس إلى عبيدة بن الجراح وكان
يحفر لأهل مكة ويضرح لهم على عادتهم وأرسل إلى أبي طلحة الأنصاري وكان يلحد لأهل المدينة على عادتهم فقال اللهم اختر لنبيك
فجاء أبو طلحة فلحد له ثم تنازعوا فيمن يدخل القبر معه فقال علي لا ينزل معه أحد غيري وغير العباس ثم أذن في نزول الفضل
وأسامة بن زيد ثم ضجت الأنصار وسألوا أن ينزل منهم رجل فأنزلوا أوس بن خولي وكان بدريا وقد يعبر بالضريح عن القبر فيكون
أعم من الشق واللحد فأما ضجيج الدار والأفنية بأصوات الملائكة فلا ملأ يهبط منهم وملأ يصعد بحيث لا يفارق هيمنتهم
سمعه في حال الصلاة عليه إلى أن واراه في ضريحه فقد عرفت كيفية سماع البشر لأصوات الملائكة في مقدمات الكتاب وكذلك صلاة
نفوسهم ووساطتهم في إفاضة الرحمة من الله تعالى على العباد وكذلك علمت معنى الصعود والهبوط منهم فيما سبق واعلم أن حمل الكلام على
ظاهره عند الإمكان أولى من التعسف في التأويل وذكر هذه الفضيلة بهذه المقامات تجري مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل
الأول استدل به على أنه لا أحق به منه وتقدير كبراه وكل من كان كذلك معه صلى الله عليه وآله فهو أحق به فينتج أنه لا أحق به منه وأراد
أنه لا أحق بالمنزلة والقرب منه فيتحقق بالأخوة والوزارة وبعد موته بالوصية والخلافة إذ لا يريد أنه أحق بذاته فينبغي أن يريد كونه
أحق به في المنزلة ولا يقوم بأمره بعده ثم عقب ذكر فضيلته بأمرهم أن ينفذوا في جهاد عدوهم على بصائرهم أي عقائدهم أنه على الحق وأن عدوهم
على الباطل وأكد ذلك التعقيب بالقسم البار أنه فيما يأمرهم به على طريق الحق وأن خصمه على مزلة الباطل وذلك لاتخاذه للحق دليلا
اليه والمزلة للباطل تنفيرا عنه ولأن الباطل لا طريق واضح له يعلم أو برهان صادق كما عليه الطريق الحق وباقي الكلام خاتمة
الخطبة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يعلم عجيج الوحوش في الفلوات ومعاصي العباد في الخلوات واختلاف
النينان في البحار الغامرات وتلاطم الماء بالرياح العاصفات وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وآله نجيب الله وسفير
وحيه ورسول رحمته أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم وإليه يكون معادكم وبه نجاح طلبتكم و
إليه منتهى رغبتكم ونحوه قصد سبيلكم وإليه مرامي مفزعكم فإن تقوى الله دواء داء قلوبكم وبصر عمى أفئدتكم
وشفاء مرض أجسادكم وصلاح فساد صدوركم وطهور دنس أنفسكم وجلاء عشاء أبصاركم وأمن فزع جأشكم
وضياء سواد ظلمتكم فاجعلوا طاعة الله تعالى شعارا دون دثاركم ودخيلا دون شعاركم ولطيفا بين أضلاعكم و
أميرا فوق أموركم ومنهلا لحين ورودكم وشفيعا لدرك طلبتكم وجنة ليوم فزعكم ومصابيح لبطون قبوركم وسكنا
لطول وحشتكم ونفسا لكرب مواطنكم فإن طاعة الله تعالى حرز من متالف مكتنفة ومخاوف متوقعة وأوار نيران
موقدة فمن أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوها واحلولت له الأمور بعد مرارتها وانفرجت عنه
الأمواج بعد تراكمها وأسهلت له الصعاب بعد إنصابها وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها وتحدبت عليه
الرحمة بعد نفورها وتفجرت عليه النعم بعد نضوبها ووبلت عليه البركة بعد إرذاذها فاتقوا الله الذي نفعكم بموعظته

في احاطة علمه بجزئيات الوجود

وتعظكم برسالته وامتن عليكم بنعمته فعبدوا انفسكم لعبادته واخرجوا اليه من حق طاعته ثم ان هذا الاسلام دين الله تعالى الذي اصطفاه لنفسه واصطنعه على عينه واصفاه خيرة خلقه واقام دعائمه على محبته اذل الاديان بعزته ووضع الملل برفعه واهان اعداءه بكرامته وخذل محاديه بنصره وهدم اركان الضلالة بركنه وسقى من عطش من حياضه واتاق الحياض بمواتحه ثم جعله لا انفصام لعروته ولا فك لحلقته ولا انهدام لاساسه ولا زوال لدعائمه ولا انقلاع لشجرته ولا انقطاع لمدته ولا عفاء لشرائعه ولا جذ لفروعه ولا ضنك لطرقه ولا وعوثة لسهولته ولا سواد لوضحه ولا عوج لانتصابه ولا عصل في عوده ولا وعث لفجه ولا انطفاء لمصابيحه ولا مرارة لحلاوته فهو دعائم اساخ في الحق اسناخها وثبت لها اساسها وينابيع غزرت عيونها ومصابيح شبت نيرانها ومنار اقتدى بها سفارها واعلام قصد بها فجاجها ومناهل روي بها ورادها جعل الله فيه منتهى رضوانه وذروة دعائمه وسنام طاعته فهو عند الله وثيق الاركان رفيع البنيان منير البرهان مضيء النيران عزيز السلطان مشرف المنار معوذ المثار فشرفوه واتبعوه وادوا اليه حقه وضعوه مواضعه ثم ان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله حين دنا من الدنيا الانقطاع واقبل من الآخرة الاطلاع واظلمت بهجتها بعد اشراق وقامت باهلها على ساق وخشن منها مهاد وازف منها قياد في انقطاع من مدتها واقتراب من اشراطها وتصرم من اهلها وانفصام من حلقتها وانتشار من سببها وعفاء من اعلامها وتكشف من عوراتها وقصر من طولها جعله الله سبحانه بلاغا لرسالته وكرامة لامته وربيعا لاهل زمانه ورفعة لاعوانه وشرفا لانصاره ثم انزل عليه الكتاب نورا لا تطفأ مصابيحه وسراجا لا يخبو توقده وبحرا لا يدرك قعره ومنهاجا لا يضل نهجه وشعاعا لا يظلم ضوؤه وفرقانا لا يخمد برهانه وتبيانا لا تهدم اركانه وشفاء لا تخشى اسقامه وعزا لا تهزم انصاره وحقا لا تخذل اعوانه فهو معدن الايمان وبحبوحته وينابيع العلم وبحوره ورياض العدل وغدرانه واثافي الاسلام وبنيانه واودية الحق وغيطانه وبحر لا ينزفه المستنزفون وعيون لا ينضبها الماتحون ومناهل لا يغيضها الواردون ومنازل لا يضل نهجها المسافرون واعلام لا يعمى عنها السائرون وآكام لا يجوز عنها القاصدون جعله الله تعالى ريا لعطش العلماء وربيعا لقلوب الفقهاء ومحاج لطرق الصلحاء ودواء ليس بعده داء ونورا ليس معه ظلمة وحبلا وثيقا عروته ومعقلا منيعا ذروته وعزا لمن تولاه وسلما لمن دخله وهدى لمن ائتم به وعذرا لمن انتحله وبرهانا لمن تكلم به وشاهدا لمن خاصم به وفلجا لمن حاج به وحاملا لمن حمله ومطية لمن اعمله وآية لمن توسم وجنة لمن استلأم وعلما لمن وعى وحديثا لمن روى وحكما لمن قضى

اقول العجيج رفع الصوت والنينان جمع نون وهو الحوت والجاش القلب لا وارج الآثار او الشمس في غروب غائب وانصابها اتعابها وتحدثت عطفت وحنت والرذاذ ضعيف المطر عيدرا ذللوا والحاد المشتاق واتاق الحياض ملأها والمواتح المستقون والوعوثة توجب صعوبة المشي كما في الرمل والوضح البياض والعوج بالفتح فيما له ساق ينتصب كالنخلة وبالكسر فيما ليس كذلك كالطريق والعصل الاعوجاج ساخ غاص والسنخ الاصل وازف دنا وبحبوحة الدار وسطها والغيطان المواضع المطمئنة من الارض والمحاج جمع محجة وهي جادة الطريق والمعقل الملجأ والفلج الفوز والمتوسم المتفرس واستلأم لبس اللامة من الحرب وهي الدرع وقصد بالفصل التنبيه على احاطة علمه بجزئيات الموجودات على اختلافها وكثرتها ونبه بعجيج الوحوش على ترفعه بعلمها حين تجأر اليه من جدب الارض وقلة العشب فكأنها تضرع اليه بالعجيج ليكون الانسان اولى بذلك لتضرع اليه وبعلمه بمعاصي العباد في الخلوات تنفيرا عنها في الخلوة التي هي مظنتها واختلاف النينان بالمجيء والذهاب وقطع البحار طولا وعرضا ثم عقب بشهادة الرسالة ثم بالوصية بتقوى الله وقرنها باعتبارات من صفاته تعالى توجب الفزع اليه وهي كونه سبحانه مبدأ الخلق ومنتهى معادهم الحسي والعقلي كقوله تعالى وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقد نبهنا عليه مرارا ولانه نجاح طلباتهم واليه منتهى رغباتهم ونحوه مقصدهم وسلوكهم فانه تعالى غاية الكل واليه مرجع مفزعهم يقال فلان مرمى مقصدي اي اليه مفزعي في المهمات ونحوه قوله تعالى واذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم باعتبارات من صفة التقوى توجب الفزع اليها وهي كونها دواء داء قلوبكم وقد عرفت كونها دواء لادواء الرذائل النفسانية وبصر عمى افئدتكم من عمى الجهل وشفاء مرض اجسادكم وذلك ان التقوى تستلزم قلة الاكل والشرب واستعمالها بقدر الحاجة كما قال في صفات المتقين منزورا اكله وقد علمت ما تحدث البطنة من الامراض البدنية ولذلك قال المعدة بيت الادواء وصلاح فساد صدوركم اي من الغل والحسد والخبث والنيات المخالفة لاوامر الله فان التقوى تستلزم نفي ذلك كله وصلاح الصدور منه لان مبادي تلك الشرور كلها محبة الدنيا وباطلها والمتقون بمعزل عن ذلك هـ وكل طهور دنس انفسكم من نجاسات الرذائل المهلكة وهو كقوله دواء داء قلوبكم لكن باعتبار كونها دواء يخالف باعتبار كونها طهورا

في احاطة علمه بالجزئيات

في الاول ملاحظة كون الرذائل امراضا تؤدي الى الهلاك السرمدي وفي الثاني اعتبار كونها نجاسات تمنع من دخول حظيرة القدس ومقعد الصدق و وجلاء عشا ابصاركم وفيه استعارة لفظ العشا لما يعرض عن ظلمة الجهل وساير الرذائل من عدم ادراك الحقايق ويروى غشا بالغين المعجمة وهو الظلمة المتوهمة من الجهل التي هي حجاب لعقل وبصيرة الاعتبار ففي التقوى جلاء لتلك الظلمة لما تستلزمه من اعداد النفس لكمال وكونها منها هي الجلاء مجاز اطلاقا لاسم المسبب على السبب وامن فزع جاشكم اذ قد علمت انّ بها الامان من عذاب الاخرة وقد يكون بها الامان من فزع الدنيا لان اكبر مخاوف الدنيا الموت وما يؤدي اليه والمتقون العارفون بمعزل عن رهبة الموت بل عشاقا يكون محبوبا لهم لكونه وسيلة لهم الى اللقا الخالص لمحبوبهم واليه الاشارة بقوله تع يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين دلت الاية على ان الصادق في دعوى الولاية يتمنى الموت وكذلك قوله تع قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ح وضياء سواد ظلمتكم واستعار لفظ الظلمة للجهل وتغطيته للقلب ورشح بذكر السواد لاستلزام الظلمة السواد وهو كقوله وجلاء غشاء ابصاركم وراعى في هذه القراين كلها المضادة ثم اكد الوصية بطاعة الله تع باداب احدها ان يجعلوها شعارهم وكنى بذلك عن ملازمتهم لها كما يلازم الشعار الجسد ثم عن كونها في الباطن دون الظاهر لاهل الفايدة وهو المشار اليه بقوله دون دثاركم الثاني كذا امرهم بابطانها بامرهم باتخاذها دخيلا تحت الشعار لامكان ذلك فيها دون الشعار المحسوس ثم فسر ذلك فقال لطيفا بين اضلاعكم وكنى بلطفها عن اعتقادها وعقليتها وبكونها بين اضلاعهم عن ايداعها القلوب الثالث ان يجعلوها اميرا واستعار لها لفظ الامير باعتبار اكرامهم لها وتقديمها على ساير مهماتهم الرابع ان يجعلوها منهل حين ورودهم اي يوم القيمة واستعار لفظ المنهل لها لوجه المشابهة ان التقوى والطاعة مظنة التروي من شراب الابرار يوم القيمة كما ان موارد الابل مظنة ريها الخامس ان يجعلوها شفيعا الى الله ووسيلة الى مطالبهم منه وظاهر كون المطيع يستعد بطاعته لنيل بغيته من الله تع ولفظ الشفيع مستعار للوسيلة والقربة السادس جنة ليوم فزعهم وظاهر كون الطاعة ساترا يوم القيمة من الفزع الاكبر من عذاب الله السابع ومصابيح لبطون قبورهم وقد عرفت كيفية اعداد الطاعة لقبول الانوار العلوية والاسرار الالهية المخلصة من ظلمة القبور والعذاب الاخروي وفي الخبر ان العمل الصالح يضيء قبر صاحبه كما يضيء المصباح الظلمة واستعار لها لفظ المصابيح لاستلزامها الانارة الثامن وسكنا لطول الوحشة في القبور تسكن به النفوس كما روي ان العمل الصالح والخلق تمثل براه صاحبه بعد الموت في صورة شاب حسن الصورة والثياب طيب الريح فيسلم عليه فيقول له من انت فيقول انا خلقك الحسن او عملك الحسن وحاصله يعود الى كون الطاعة سببا للاستيناس من وحشة الاخرة وذلك ان الوحشة انما تعرض في المكان لمن كان غافلا عنه وغير متوقع له ولا متهيء للانتقال اليه ومطمئن بوطنه الاول وباهله وجاعلهم كل الانس فاما اهل الطاعة فانهم ابدا متفكرون فيما ينتقلون اليه مستذكرون له واثقون بانس ربهم وملتفتون اليه فانسهم ابدا به وفرحهم دائما بلقائه واعتقادهم في الدنيا انهم لا اهلها بل انهم مجاورون فمنهم يهربون والى العزلة ينقطعون فبالحري ان لا تعرض لهم وحشة وان تكون عالمهم سببا لعدم الوحشة لو عساها تعرض لهم ولما كان الانسان في الدنيا لا يتصور ما بعد الموت بالحقيقة لاجرم لا بد له من وحشة الا ان الانوار الالهية والانس بالرفيق الاعلى مزيلها التاسع وكذلك ونفسا لكرب مواطنكم اي سعة وروحا لما يعرض من كرب منازل الاخرة و اهوالها العاشر كونها حرزا من متالف مكتنفة وتلك المتالف الرذايل الموبقة التي هي محال الهلاك والتلف وكنى باحاطتها بالنفس بحيث لا يكفها الا طاعة الله وسلوك سبيله والمخاوف المتوقعة مخاوف الاخرة وحرزها منها الحادي عشر كون التقوى مسلية لبعد الشدايد عن المتقي بعد دنوها منه كثيرا ما يعبر بالتقوى عن الطاعة وان كانت تختص في بعض المواضع اما في بعد شدايد الاخرة فظاهر واما في الدنيا فلان المتقين هم اسلم الناس من شرور الدنيا لبعدهم عن مخالطتهم ومجاذباتهم لمتاع الدنيا وبغضهم لها اذ كانت محبتها والحرص عليها منبعا لجميع الشرور والشدايد الثاني عشر كونها مستلزمة لحلاوة الامور بعد مرارتها اما امور الاخرة فكالتكليف عليهم التوارد لها بالعبادات وظاهر انها عند المتقين احلى والذ من كل شيء بعد مرارتها في وقت مبدء سلوكهم وثقلها عليهم وعلى غيرهم من الجاهلين واما المرة من امور الدنيا فكالفقر والعري والجوع وكل ذلك شعار المتقين وهو احلى في نفوسهم واثر من كل شعار وان كان مرا في وقتهم في مبدء السلوك وقبل وصولهم الى ثمرات التقوى الثالث عشر انفراج الامواج عنه بعد تراكمها واستعار لفظ الامواج للهيئات البدنية الرديئة وملكات السوء لانها اذا تكاثفت وتوالت على النفس اغرقتها في بحار عذاب الله وظاهر كون لزوم التقوى سببا لتفريج باستعداد النفوس عنها تلك الهيئات ومحو ما حصل منها ان كثرت الرابع عشر كون لزومها سببا لتسهيل صعاب الامور على النفس بعد انصابها لها وذلك ان المتقين عند ملاحظة غاياتهم من تقويهم يسهل عليهم كل صعب من امور الدنيا مما يشتد على غيرهم كالفقر والمرض وكل شديد فكذلك يسهل عليهم كل صعب مطالب الاخرة بعد انصاب تلك المطالب لهم قبل تصورها التام في اول التكليف الخامس عشر كونه سببا لهطل الكرامة عليهم والكرامة تعود الى الكمالات النفسانية الباقية والالتذاذ بها ولاحظ في افاضتها عليهم مشابهتها بالغيث فاستعار لها لفظ الهطل واسنده اليها وكذلك لفظ القحوط وكنى به عن منعهم اياها قبل تعدهم بالتقوى لها السادس عشر كونه سببا لتعطف الرحمة الالهية وافاضة الكمال عليهم بعد نفورها عنهم لعدم الاستعداد ايضا ولفظ التحلب مستعار للارادة او لاثر الرحمة وكذلك لفظ النفور بعد اثرها في حقهم قبل ذلك السابع عشر كونه سببا لتفجر النعم بعد نضوبها ولفظ التفجر مستعار لانتشار وجوه افاضات النعم الدنيوية والاخروية كما قال تع ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وكذلك لفظ النضوب لعدمها قبل الاستعداد لها ملاحظة لشبه النعم بالماء في الاستعارتين الثامن عشر كونه سببا لوبل البركة بعد رذاذها ولفظ الوبل مستعار للبسط الكثير من البركة بعد الاستعداد بالتقوى ولفظ الرذاذ للقليل

في بيان نبذ من صفاته

قبل ذلك الاستعداد ملاحظة لشبهها بانبعاث الآية وظاهر كون النفوس سببا لمزيد الحض على كل من كان له بعض الكمالات لكن يستعد بالعلوم ونيل الرتب كالعبادة ثم بسبيل

ثم بعد الفراغ من فضائلها والترغيب فيها من تلك الجهة اعادة الامر بها ورغب فيها باعتبار انه من نعام المنح هي كونه تعالى انعم لهم بعظيم اى جانبا لهم الى جنته

معينا لهم في ذكر امته فهو اعطاهم برسالته لهم ممتنا عليهم بنعمته كقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم في غير موضع من كتابه تحريم امرهم بتبعيد انفسهم وتذليلها للعبادة

والخروج اليه من جهله الذي يطلبونه منهم وهو طاعته ثم ذكر الاسلام وفضائله ترغيبا فيه وهو كما ينبغي لطاعته وعبادته فكانه قال لا تخرجوا اليه من حق طاعته الذي هو

الاسلام فانه وذكر له فضائل فاكونه اصطفاه لنفسه طريقا الى معرفته ونيل ثوابه ب كونه اصطنعه على عينه هي كلمة تقال لما يهتم به وكانه للتعظيم

من عمله وبشاهد بعينه ولفظ العين مجاز في العلم وعلى تقييد الحال اى على علم منه ليشرفه ووجه الحكمة فيه نحو قوله تعالى ولتصنع على عيني ج واستصفاه خيرة خلقه

اى اصطفى للبعثة به والبر خيرة خلقه محمد صلى الله عليه وآله ج واقام دعائمه على محبته ولفظ الدعائم مستعار لاهل الاسلام او لاركانه ووجه المشابهة قيام بها في الوجود كتابا

التي المدعو بها عامة فكلمة على الحال والضمير في محبته للاسلام اى اقام دعائمه حال المحبة وقيل لله كما تقول طبع الله قلبي على محبته ج اذل الاديان بعزته اذلة

الاديان تعود الى عدم الالتفات اليها فيكون مجازا من باب اطلاق اسم السبب على المسبب او لذلة اهلها فيكون من باب حذف المضاف وظاهر ان عز الاسلام سبب للامر و

وكذا وضع الملل برفعته وكذا اهانة اعدائه وهم المشركون والمكذبون له من سائر الملل اعلاء الله تعالى اهانتهم بالقتل واخذ الجزية والقسم لهم وكرامته جلالا لاجل

اهله وتعظيمهم في النفوس ج وخذل محاديه بنصره اى بنصره اهله في الغزوات الاربع المتضافان العز لاهل الاسلام ترفع للوضع والكرامة للاهانة والنصر للخذلان ط وهدم

اركان الضلالة بركنه وتسويته اركان الضلالة تعود الى العقائد المضلة في الجاهلية والى اهل الضلالة هو مستعار ووجه الاستعارة قيام الضلالة بتلك العقائد

او باهلها كقيام ذي الاركان بها وكذلك لفظ الهدم لزوال الضلالة بقوة الاسلام واهله وسقى من عطش من حياضه فاستعار السقي لافاضة علوم الدين ط واسعهم

وكذا لها لفظ العطش لما كان عليه من الجهل البسيط عدم العلم وكذا استعار لفظ الحياض لعلماء الاسلام الذين هم عيشه وحياضه التي ترد العطاش من العلوم

والحكمة الدينية او اثار الحياض بمواتحه واستعار لفظ الموائح اما للائمة من القرن الاول الاخذين للاسلام عن الرسول الذي هو الينبوع او لاحكام العلماء وسلوكهم

وبحثهم عن الدين واحكامه واستفادتهم بها ووجه الاستعارة كونهم مستخرجين للعلم والدين عن مظانه كما يستخرج الماتح الماء من البئر ولفظ الحياض للمستفيد

جعله بحيث لا ينفصم عروته ولفظ العروة مستعار لما يتمسك له الانسان به منه مرشح بذكر الانفصام ولما كانت المتمسك به لينجو من الهلاك الاخروي والشرور اللاحقة

للملل السابقة وكان عدم الانفصام مظنة سلامة المتمسك بها من الهلاك كنى به عن دوام السلامة ج ولا فك لحلقته كناية عن عدم انتهاء اهله وجماعته ج ولا

انهدام لاساسه ولفظ الاساس للكتاب والسنة اللذين هما اساس الاسلام ولفظ الانهدام لاضمحلال النهاية ولا زوال لدعائمه استعار لفظ الدعائم

لعلمائه او للكتاب والسنة وقوانينهما اراد بعدم زوالها عدم انقراض العلماء او عدم القوانين الشرعية ج ولا انقلاع لشجرته استعار لفظ الشجرة لاصله

واركانه وهو كقوله ولا انهدام لاساسه ولا انقطاع لمدته اشارة الى بقائه الى يوم الدين ج ولا عفاء لشرائعه وشرائعه قوانينه واصوله

هو كقوله لا انقلاع لشجرته ط ولا جذ لفروعه اى لا ينقطع التفريع عليه بل كل ذهن سليم فكر في اصوله وهي الكتاب والسنة استخرج منها ما

لم يستخرج غيره ج ولا ضنك لطرقه وكنى بعدم الضيق عن عدم صعوبة قوانينه على اهل التكليف او لا تم الضيق هو مشقة السالكين الى الله كما

قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة ج ولا وعوثة لسهولته كناية عن كونه في غاية العدل بين الصعوبة وبين السهولة المفرطة كما عليه كثير الاديان

السابقة من التشديد والتخفيف سلوكها مع ذلك وتصورها في غاية السهولة لكنها طرق بعيد حصول المطالب الحقيقية والوصول الى التوحيد الخالص منها

فكانت في سهولتها هذه الوعوثة ج ولا سواد لوضحه استعار لفظ الوضح لصفائه عن كدر الباطل الذي هو سواد الواح نفوس الكافرين والمنافقين

ج ولا عوج لانتصابه واستعار لفظ الانتصاب للاستقامة في دلالته الى الله تعالى انه هو الصراط المستقيم في الدنيا كذلك ولا عصل لعوده كذلك ولا

وعث لفجه ولا انطفاء لمصابيحه عبر بالمصابيح عن علمائه استعارة وبعدم انطفائها عن عدم خلو الارض منهم كذلك ولا مرارة لحلاوته وذلك لان حلاوة

الاسلام الحقيقي في قلوب المتقين لا يشوبها مرارة من مشقة تكليف ونحوها لما يتصورونه من شرف غايتهم ج فهو دعائم اى فالاسلام دعائم وذلك اشارة

الى تعريفه باجزائه وهي كالشهادتين والعبادات الخمس كما ورد في الخبر بني الاسلام على خمس وقوله اسلخ في الحق اسناخها اشارة الى كونه تعالى بناها على

اسرار من الحق عميقة لا يحتمل اليها الالحاد لحقوقه وهو اسرار العبادات كط قوله ومنابيع غزرت عيونها اشارة الى تعريفه من قبل مادته وهو

الكتاب والسنة واستعار لهما لفظ الينابيع نظرا الى فيضان العلوم الاسلامية النقلية والعقلية عنهما كفيضان الماء عن الينابيع ولفظ

العيون لما صدرتا عنه وهو علم الله تعالى ونفوس ملائكته ونبيه صلى الله عليه وآله وظاهر عزارة تلك العلوم وكثرتها ج ومصابيح

شبت نيرانها اشارة الى مادته ايضا باعتبار ان في الكتاب والسنة ادلة احكامها وبراهينها واستعار لفظ المصابيح باعتبار كونها تضيء

الطريق لخابطها الى الله ورشح بذكر اضرام نيرانها وعبر به عن غاية اضاءتها ج ومنار اقتدى بها سفارها واعلام قصد بها فجاجها اشارة

الى تلك المادة باعتبار ان فيها امارات على احكام الله الظنية يقتدي بها المسافرون السالكون الى قصدها والقاصدون لطرقها

التي هي منصوبة عليها لب وري بها واردها استعار لفظ المناهل لتلك المواد ايضا باعتبار كونها من العلم لواردها ومقتبسيها منها

كما يروى وارد الحياض منها ج جعل الله فيه منتهى رضوانه وذلك في نحو قوله تعالى واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقوله ان الدين عند الله الاسلام وكان غيره تم وسيلة الى غاية الكمالات الانسانية التي هي منتهى ما يرضاه الله ويحبه من عباده

وفضيلته

اطلاقهم

ترقى

فى تعداد فوائد البعثة

لد وذروة دعائمه لله اى الدعائم التي جعلها الله عمودا له في اصلاح خلقه وهي الشرائع وقوانينها وظاهر الانوار التي بها الاسلام
والهداية به اشرف واعلى منها في سائر الشرائع فهو كالذروة لها له وسنام طاعته ولفظ السنام مستعار للمجموع ما اشتمل
عليه من البيانات والهدايات ووجه المشابهة شرفها ايضا وعلوها بالنسبة الى الطاعات لسائر ... عليه كشرف السنام بالنسبة
الى الاعضاء لو فهو عند الله وثيق الاركان واركانه اجزاؤه وقوانينها مودّى الى بنائها على الاسرار الحقيقية والعلم التام
لواضعها بكيفية وضعها وكما فاتها بحيث لا يمكن انفصامها ولا زوالها رفيع البنيان اى ما ارتقى اليه اهله من المجد والفضيلة
وعلو قدره وقدر اهله وتعظيمهم في النفوس على سائر الاديان واهلها لح منير البرهان وبرهانه الذي دعي الخلق
اليه وهو القرآن وسائر المعجزات ولا شك في اناتها واضاءتها في اقطار العالم واهتداء اكثر الخلق بها لط مضيء النيران
واستعار لفظ النيران لانواره من العلوم والاخلاق المضيئة على علمائه وائمته م عزيز السلطان وازاد قوته وعزة اهله ودولته
ومنعه من التجاء اليه به ما مشرف المنار وكنى به عن علو قدر علمائه وائمته وانتشار فضلهم والهداية بهم مب معوز المثار اى
يعجز الخلق اثاره ودفائنه وما فيه من كنوز الحكمة ولا يمكنهم استقصاء ذلك منه ويروى المثال اى يعجز الناس اما بالاتيان بمثله او
باستقصاء حكمه وبمرتبته ويروى المثال وهو تمام لما بين فضيلته امر بتعظيمه واتباعه واداء حقه وهو العمل به مع اعتقاد شرفه وكونه
مؤديا الى الجنة ثم بوضعه مواضعه وهي القلوب لا الالسن والشعار اللطافة فقط لما فرغ من ذلك شرع في فضايل من بعث به اذ كونه
نعمة من الله بعد نعمة وقرن ذكره بذكر احوال الدنيا حين البعثة ليظهر شرفها فا كونها قد دنا انقطاعها واقبل من الاخرة اطلاعها
وقد بينا ذلك في قوله الا وان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع وعلى الجملة فيحتمل ان يريد قرب انقطاع الدنيا كل امة منهم بحضور
آجالهم بموتهم وانقراضهم ولفظ الاطلاع استعارة كما سبق ب كونها قد اظلمت بهجتها بعد اشراق واراد اشراق بهجتها بانوار الانبيا
السابقين ووضوح الشرائع واظلامها حين بعثة الرسول صلعم باندراس تلك الاثار وفسادها ج قيامها باهلها على ساق كناية عن ظهور شدتها
واثارة الفتن بين اهلها وما كانت العرب عليه من الخبط والاختلاط في الحروب والغارات المؤدية الى الفناء د خشونة مهادها ومنها وكنى به
عن عدم الاستقرار بها وطيب العيش فان ذلك تمامه وبعد ذلك بنظام الشرايع والنواميس الالهية ه وازف منها قيادها اى قرب منها انقياد
للانقطاع والزوال والانخراط في سلك المنقضي واقتراب علامات ذلك منها وعلامات زوالها هي علامات الساعة واشراطها وكذلك
تصرم اهلها وانفصام حلقتها وكنى بالحلقة عن نظامها واجتماع اهلها بالنواميس وبانفصامها عن فساد ذلك النظام بانتشار سببها عن
تشتت اسباب ذلك النظام فان اسباب التصرف لنا فيها وتمامه بالنواميس الشرعية وقوانينها واستعار لفظ اعلامها للعلماء والصلحاء
بها وكان عليهم العفاء وكذلك بعوراتها عن وجوه المساوي فيها وتكشفها عن ظهورها بعد الخفاء وكذلك القصر من طولها فان الدنيا انما
يكون طولها وقلة مدتها عند صلاحها بالشرايع فانه قصرها يكون عند فسادها وعدم النظام الشرعي ثم رجع الى تعديد فوائد بعثة الرسول
فا ان الله تعالى جعله بلاغا لرسالته وهو كقوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك الاية ب وكرامة لامته لكونه داعيا لهم الى الكرامة
الباقية التامة وسبب الكرامة ج وربيعا لاهل زمانه واستعار لفظ الربيع له ووجه المشابهة كونه بهجة للمسلمين وعلمائهم وسبب التذاذهم من العلم
والحكمة كما ان الربيع سبب بهجة الحيوان بمراعيها وبطنتهم وسمنهم د ورفعة لاعوانه اى لاعوان الله وانصاره المسلمون فقط كونه سبب رفعتهم
وشرفهم ثم عقب بذكر بعض الانوار التي بعث بها صلعم وهو الكتاب العزيز وعدد فضائله فا كونه نورا لا تطفى مصابيحه والاد نور العلم والحكمة
المشتمل عليها واستعار لفظ المصابيح اما لما ينتشر من علومه وحكمه فاقتدى بها الناس واما لعلمائه وحاملي فوائده ب كونه سراجا لا يخبو توقده
والاد انه لا ينقطع هداية الناس بنوره فهو كالاول ج وبحرا لا يدرك قعره ولفظ البحر مستعار له باعتبارين احدهما عمق اسراره بحيث لا يحيط
بها الافهام ولا تصل الى غوارها العقول كما لا يدرك الغائص قعر البحر العميق والثاني كونه معدنا لجواهر العلوم النفيسة والفضايل كما ان البحر
معدن الجواهر د ومنهاجا لا يضل نهجه ونهاجه كونه طريقا واضحا لمن سلك سبيل الله وتفهم مقاصده لا يضل قصده ه وشعاعا لا يظلم ضوءه
اى لا يغطي الحق الوارد به ظلام شبهة ولا تلبيس باطل ولفظ الشعاع والضوء والظلمة مستعار و وفرقانا لا يخمد برهانه اى يفرق بين الحق
والباطل لا يخمد ولفظ الخمود مستعار ملاحظة لشبه البرهان بالنار في الاضاءة ثم فسبب ليس وصفها ز وتبيانا لا تهدم اركانه واستعار لفظ
البنيان لما انتظم من الكتاب ورسخ في القلوب ورشح بذكر الاركان لاستلزام البنيان لها ح وشفاء لا تخشى اسقامه كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين وذلك كونه بتدبره واسراره شفاء للنفوس من امراض الجهل ورذائل الاخلاق وذلك شفاء لا يخاف سقم بعده فان
الفضائل النفسانية اذا صارت ملكات لم تزل ولم تتبدل باضدادها وان كان يعرض شفاء للابدان كالسقوط ط وعزا لا تهزم انصاره ى
وحقا لا تخذل اعوانه وانصاره واعوانه هم المسلمون المعترفون به والملتجئون اليه العاملون بمقتضاه على الكون به الى الله وذلك ان اولئك الانصار
الاعوان لا يحشرهم احد ولا يخذلهم الله ابدا يا فهو معدن الايمان الذي بسببه يتم الايمان الكامل بالتصديق برسوله وبحبوحته وحاصله
كون اعتقاد حقيته وتفهم مقاصده والعمل بها واسطة عقد الايمان يب وينابيع العلم وبحوره واللفظان استعارة له باعتبار كونه محل فيض العلم

والضمير في دعائمه م

[illegible]

والشرايع م

المعترفون به م

في تعداد فوائد البعثة

الغيث والاستفادة منها ج وريا حض العدل وغدرانه واللفظان مستعاران له باعتبار كونه موردا يوجد عنده العدل بكليته فهو مورده الذي لا يجوز
عن سنن الحق الى ان يبلغ به صاحبه السالك به الى الله يد واثافي الاسلام وبنيانه واللفظان مستعاران له باعتبار كونه اصلا للاسلام يبنى عليه
وبه يقوم كما ان الاثافي للقدر والبنيان انما يحمل عليه كذلك يه واودية الحق وغيطانه واللفظان مستعاران له باعتبار كونه معدنا للحق ومظنة
له كما ان الاودية والغيطان مظان الكلاء والماء يو وبحر لا ينزفه المستنزفون يز وعيون لا ينضبها الماتحون يح كرر استعارة البحر والعيون
له باعتبار اخر وهو كونه لا تنتهي فوائده والمقاصد المستنبطة منه يط ومناهل لا يغيضها الواردون ومختص لتصوب العيون لا كان
ذلك فيها دون البحر والورد بالمناهل لكون النهل وهو الشرب الاول غاية وارد الماء ك ومنازل لا يضل نهجها المسافرون اى مقامات من العلوم
اذا نزلتها العقول المسافرة الى الله لا تضل لاستنارتها وشدة ضياء نهجها كا واعلام لا يعمى عنها السائرون كب واكام لا يجوز عنها
القاصدون استعار لفظ الاعلام والاكام للادلة والامارات فيه على الطريق الى معرفته واحكامه باعتبار كونها منارا يهتدى بها كما يهتدى بالاعلام
والجبال على الطرق كج جعله الله ريا لعطش العلماء استعار لفظ الري له باعتبار كونه رافعا لالم الجهل عن النفوس كما يدفع الماء الم العطش
ولفظ العطش للجهل البسيط والاستعداد للطالبين للعلوم واشتياقهم الى الاستفادة واطلق لفظ الري على المرتبة مجازا اطلاقا لاسم
اللازم على ملزومه كد وربيعا لقلوب الفقهاء ولفظ الربيع مستعار له باعتبار كونه مرعى لقلوب الفقهاء ويستثمرون منه الاحكام ويبتهجون بها
كما الربيع للحيوان كه ومحاج لطرق الصلحاء وظ كونه طريقا واضحا للصالحين الى الله كو ودواء ليس بعده داء كقوله شفاء لا يخشى سقامه
كز ونورا ليس معه ظلمة اى لا ينبغي مع هدايته الى الاحكام ظلمة على البصيرة وهو كقوله وشعاعا لا يظلم نوره كح وحبلا وثيقا عروته استعار
لفظ الحبل له والعروة لما يستمسك به منه وكنى بوثاقة عروته عن كونه منجيا لمن تمسك به كط ومعقلا منيعا ذروته استعار لفظ المعقل له
باعتبار كونه ملجا من الجهل ولوازمه وهو العذاب ورشح بذكر الذروة وكنى بمنعتها عن كونه حرزا منيعا من لحاق الشر ل وعزا لمن تولاه اى
اتخذه وليا يلتجئ اليه في اموره ولا يخالفه وظ كونه سبب عزه في الدارين لا وسلما لمن دخله اى امنا ودخوله الخوض في تدبر مقاصده
واقتباسها وبين ذلك الاعتبار يكون امانا من عذاب الله ومن الوقوع في الشبهات التي هي مهاوي الهلاك لب وهدى لمن ائتم به وعذرا
لمن انتحله اى من نسبه الى نفسه بالهوى حفظا او تفسيرا ونحو ذلك معتذرا به لما له من تكليف لا يليق به او يشق عليه كان عذرا منجيا له
وهذا كما تقول لمن يقصده اذى انا باذى لا ينبغي لك ان تؤذيه فانه من حملة القرآن الكريم او ممن يعلم علومه فيكون ذلك سببا لترك اذاه
لج وبرهانا لمن تكلم به لد وشاهدا لمن خاصم به له وفلجا لمن حاج به الثلثة متقاربة واطلاق لفظ الفلج عليه من جهة ما يحتج به اطلاقا
لاسم الغاية اذ غاية الاحتجاج به الفوز والشاهد والحجة اعم من البرهان لو وحاملا لمن حمله اى يحمل يوم القيمة حملته وحفظته الان عن
بجملة لهم عن اثقالهم من العذاب اطلاقا لاسم السبب على المسبب لز ومطية لمن اعمله استعار له لفظ المطية باعتبار كونه منجيا لهم كقوله حاملا
ولفظ الاعمال لتتبع فوائده والمواظبة عليها المنجية من العذاب كما ينجي اعمال المطية في الطرق البعيدة لح واية لمن توسم وذلك باعتبار ما تدبر امثاله
وقصصه فان فيها ايات وعبرا كما قال تعالى ان في ذلك لايات للمتوسمين لط وجنة لمن استلام اى لبس لامته واللبسة كالدرع واستعار لفظ
الجنة له وفائدته من استعد فعله من عذاب الله وكنى باستلامه عن ذلك الاستعداد به م وعلما لمن وعى لمن حفظه وفهم مقاصده ما وحديثا لمن
روى وذلك باعتبار ما فيه من القصص واخبار القرون الماضية فان اصدق حديث يروى منها ما اشتمل عليه القرآن ويحتمل ان يريد بكونه
حديثا كونه قولا وكلاما ليس لمن نقله كما قال تعالى الله الذي نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني ويكون فائدته هو الوصف التنبيه
عليه لمن اراد ان يتحدث بحديث غيره مما لا يفيد فانه ينبغي ان يعدل اليه ويشتغل بتلاوته والتحدث به مب وحكما لمن قضى اى بين الاحكام التي
يحتاج اليها القضاة وروى وحكما اى حاكما ترجع اليه القضاة ولا يخرجون عن حكمه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** كان يوصي
به اصحابه تعاهدوا امر الصلوة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقربوا بها فانها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا الا تسمعون
الى جواب اهل النار حين سئلوا ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين وانها لتحت الذنوب حت الورق وتطلقها اطلاق
الربق وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى ان يبقى عليه من الدرن
وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ولا قرة عين من ولد ولا مال يقول الله سبحانه رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نصبا بالصلوة بعد التبشير له بالجنة لقول الله سبحانه وامر اهلك
بالصلوة واصطبر عليها فكان يأمر بها اهله ويصبر عليها نفسه ثم ان الزكوة جعلت مع الصلوة قربانا لاهل الاسلام فمن اعطاها طيب
النفس بها فانها تجعل له كفارة ومن النار حجازا ووقاية فلا يتبعنها احد نفسه ولا يكثرن عليها لهفه فان من اعطاها غير طيب النفس
بها يرجو بها ما هو افضل منها فهو جاهل بالسنة مغبون الاجر ضال العمل طويل الندم ثم اداء الامانة فقد خاب من ليس من اهلها انها
عرضت على السموات المبنية والارضين المدحوة والجبال ذات الطول المنصوبة فلا اطول ولا اعرض ولا اعلى ولا اعظم منها ولو امتنع
شيء بطول او عرض او قوة او عز لامتنعن ولكن اشفقن من العقوبة وعقلن ما جهل من هو اضعف منهن وهو الانسان انه كان ظلوما جهولا

في بعض وصاياه لاصحابه

ان الله سبحانه لا يخفى عليه ما العباد مقترفون في ليلهم ونهارهم لطف به خبرا واحاط به علما اعضاؤكم شهوده وجوارحكم جنوده وضمائركم عيونه
وخلواتكم عيانه **اقول** الربق جمع ربقة وهي الحلقة في الحبل والحمة بالجيم الحفرة يجتمع فيها الماء وروي بالحاء والمعنى واحد والدرن الوسخ
والنصب التعب والاقتراف الاكتساب وحاصل الفصل الوصية بالمحافظة على امور ثلثة والحث عليها اولها الصلوة فقام بتعاهد امرها
والمحافظة عليها وذلك بافتقاد الاحوال نفسه حال الصلوة ومراقبتها حذرا ان تشوبها نزغات الشيطان برياء فيها او التفات عنها
ثم بالمحافظة على اوقاتها واداء اركانها كما هي ثم بالاستكثار منها والتقرب بها الى الله لكونها افضل العبادات والقرب اليه ثم اشار الى
فضيلتها ووجه وجوبها احدها قوله فانها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وهو لفظ القرآن الكريم وموقوتا اي مفروضا وقيل منجما في كل وقت
صلاة معينة الثاني الحث برد الكفار بالتنبيه على استلزام تركها الدخول النار بقوله الا تسمعون الى قوله من المصلين الثالث انها تحت
الذنوب حت الورق وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس ووجه الشبه ظاهر وكذلك وتطلقها اطلاق الربق اي وتطلق اعناق النفوس من اغلالها كما
تطلق الربقة من عنق الشاة الرابع تشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله لها بالحمة تكون على باب الرجل وصورة التشبيه ظاهر اذ هو احدكم كان على بابه حمة يغتسل
منها كل يوم خمس مرات فلا يبقى عليه من درنه شيء فقالوا لا قال فانها الصلوات الخمس الخامس تنبيهه على ذكر من رجال من المؤمنين
وهم الموصوفون في الاية بقوله رجال السادس نصب رسول الله صلى الله عليه وآله فيها وامر الله تعالى له بالمواظبة عليها بعد تبشيره له بالجنة وذلك قوله وامر اهلك
بالصلوة واصطبر عليها وامتثاله لذلك لانه كان يخرج نفسه وامر اهله وروي انه صلى الله عليه وآله قام في الصلوة حتى تورمت قدماه فقيل له في ذلك فقال افلا
اكون عبدا شكورا وذلك من اوضح الدلائل على كثرة فوائدها وقوة فضيلتها واعلم انه قد ورد في فضلها اخبار كثيرة بعد تأكيد القرآن الكريم
بها وقد بينا ذلك واشرنا الى فضيلتها اشارة مستوفاة في الفصل الذي اوله ان افضل ما يتوسل به المتوسلون الى الله سبحانه الايمان
به وبرسوله الثانية مما امر بالمحافظة عليه الزكوة وهي قرينة الصلوة في الذكر في الكتاب العزيز وفي الفضيلة فلذلك قال جعلت مع الصلوة
ثم اشار الى سرها وهو كونها قربانا لاهل الاسلام وسنبين ذلك واشار بقوله فمن اعطاها الى قوله طول الامل الى شرط كونها مقربة الى الله
تعالى وبيانه كون دفعها مشروطا بطيب النفس بها سرها وقد عرفته ايضا في ذلك الفصل وعلمت ان مراتب المستنزلين عن المال من اقتصر منه على اداء
الواجب من الزكوة من غير زيادة ولا نقصان وهم العوام الجهال لجهلهم بسر البذل وبخلهم بالمال وميلهم اليه من ضعف حبهم للآخرة قال تعالى ان يسئلكموها
فيحفكم تبخلوا وطهارة الذين ذكرناهم من استنزل عن المال ومحاسبتهم وقربهم من الله وبعدهم بقدر طيب نفسهم عن بذل المال والاعراض عنه و
محبته وهذه الفرقة اعني من اقتصر منهم على اداء الواجب فقط تنقسم الى مؤد لذلك الحق بطيب نفس ومسامحة والى مؤد له مع بقاء المحبة وتكدر
النفس ببذله وتلهف عليه وانتظار جزاء له وباعتبار القسمين الاولين مع القسم الاول من هذه الفرقة يكون بذل المال والزكوة قربة الى الله تعالى وهو
الذي اشار اليه امير المؤمنين بقوله ان الزكوة الى قوله ووقاية وان كان قد خصص الزكوة هنا وانما يكون قربة لاستلزام رفض هذا المحبوب الذي هو
باذله ان جميع الكمالات الدنيوية بسببها منه رغبة عنه ومحبة لله ورغبة فيما عنده وتكون كفارة ما حيث انه بذل البخل وما يستلزمه من الذنوب
ويكون حجابا بين العبد وبين عذاب الله اذ قد علمت ان مبدأ العذاب في الاخرة حب الدنيا واعظمه حب المال فاذا كان بذل المال مستلزما
لزوال حبه كان بذلك الاعتبار حجابا من العذاب ووقاية منه واما اعتبار الزكوة على الوجه الثاني فهو المذموم والمنهي عنه بقوله ولا يكثرن لهفه
عليها اذ هو بقوله فلا يتبعنها احد نفسه ويلزم باذلها على ذلك الوجه النقائص المذكورة وهي الجهل بالسنة في ادائها المستحق ان تؤدى
بطيب نفس ومسامحة وان يكون مغبونا في الاجر فان اتيانها على وجه توقع جزاء لها لا على وجه القربة الى الله غير مستلزم لرضوانه وذلك هو
الغبن وان حصل له جزاء غير رضوان الله على كل جزاء غير رضوانه جزاء ناقص غبن فاحش والجاهل بالسنة ايضا ان يكون ضال العمل وهو اعطاؤه ذلك
المال وبذله على غير وجهه ووضعه في غير سبيل الحق الذي الى رضوان الله وان يكون طويل الامل اي في محبة المال وفيما يرجوه به من الجزاء الثالث
مما اوصى به اداء الامانة وهي التي اشار القرآن الكريم اليها بقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الاية وقد بينا فيما سلف انها
تعود الى العبادة والطاعة المطلوبة من الانسان بما هو انسان وظاهر ان تلك العبادة لا يمكن من غيره فانه انما حملها من حيث خلق
مستصلحا للدارين وبيان ذلك ان مخلوقات الله تعالى اما جمادات او ذوات حيوة وذوات الحيوة اما الملائكة والحيوان الارضي والحيوان الارضي اما اعجم
او ناطق فالحيوان منها وهو الانسان هو الصالح لعمارة الدارين والكون فيهما وهو الواسطة بين خلقين وضيع وهو الحيوان الاعجم وشريف وهو
الملك وقد اجتمع فيه قوى العالمين فهو كالحيوان في الشهوة والغضب وقوة التناسل وسائر القوى البدنية المختصة بالحيوان وكالملك في القوة
المجردة والعقل والعلم والعبادة وسائر الكمالات النفسانية ووجه الحكمة في ذلك انه تعالى لما اقتضت عنايته ايجاده لهذه العبادة المخصوصة بجعل
في الارض خليفة لعمارتها جمع له بين القوتين فانه لو كان كالبهيمة خاليا عن تعقل لم يتأهل لمعرفته وعبادته الخاصة ولو خلق كالملك معرى عن
الشهوة والغضب وسائر القوى البدنية لم يصلح لعمارة ارضه وخلافته فيها ولذلك قال للملائكة اني اعلم ما لا تعلمون فاذن هذه العبادة الخاصة
وهي الامانة المشار اليها لا يصلح لها الا الانسان ولا يمكن من غيره وقد علمت ايضا فيما سلف ان اباء السموات والارض والجبال عن حملها يعود الى عدم
قبولها لها بلسان حال قصورها وعدم صلاحيتها لها واشفاقها من عقوبة الله على التقصير عن اداء حقوقها كما اشار اليه امير المؤمنين بقوله اشفقن

الفرقة

عليها ع

فان الحصول

في ذم معوية في غدره

من العقوبة ولم يكن ذلك اباء استكبار وخضوعها تحت ذل الحاجة اليه لفظ الاشفاق مجاز في ثمرته ولازمه وذلك ان السلطان مثلا اذا كلف
بعض رعيته حمل امانة تكليف تخيير فخاف ذلك المكلف العقوبة على تقصيره في اداء تلك الامانة فان خوفه يستلزم تركه وامتناعه من حملها
فكان الامتناع من الامانة مسببا عن الاشفاق فاطلق الاشفاق هنا على اباء السموات والارض وملابستها لها مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب
وقيل ان ذلك الاباء والاشفاق على وجه التقدير وانما جيء بلفظ الواقع لان الواقع ابلغ من المقدر اي لو كانت هذه الاجرام عاقلة ثم عرضت عليها
وظايف الدين عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر اجسامها وشدتها ولامتنعت من حملها اشفاقا من القصور عن اداء حقها ثم ان مخاطبة الجماد و
الاخبار عنها نظرا الى قرينة الحال طريقة مشهورة للعرب مستحسنة في تعارفهم كقولهم يا دار ما صنعت بك الايام ونحوه بل مخاطبة بعض الجمادات
لبعض بلسان احوالها كقولهم قال الحائط للوتد لم تشقني قال سل من يدقني ونحو ذلك كثير فاما قوله وقد خاب من ليس من اهلها فذلك
الخيبة تعود الى حرمان ثمرة هذه العبادة وما يستلزمه من الحصول على الكمالات اذ ليس من اهلها وذكر كون السموات مبنية والارض مدحوة
والجبال بطولها وعرضها وعلوها وعظمها تنبيه للانسان على جرأته على المعاصي وتضييع هذه الامانة اذ اهل لها وحملها وتعجب منه
في ذلك فكانه يقول اذا كانت هذه الاجرام العلوية التي لا اعظم منها قد امتنعت من حمل هذه الامانة حين عرضت عليها فكيف حملها من هو
اضعف منها وقوله ولو امتنع شيء الى قوله لامتنعن اشارة الى ان امتناعهن لم يكن لعزة وعظم اجسام ولا استكبار على الطاعة وانه لو
كان كذلك لكانت اولى بالامتناع عن كل شيء لاعظمية اجرامها على كل المخلوقات بل انما ذلك عن ضعف واشفاق من خشية الله وعقلن ما
جهل الانسان قيل ان الله تعالى عند خطابه لها خلق فيها فهما وعقلا وقيل ان اطلاق العقل مجاز في مسببه وهو الامتناع عن قبول هذه الامانة
كلفظ الاشفاق فان عقلية المكلف العقوبة على التقصير في تكليف تخيير فيه وتخافا التقصير يستلزم تركه لذلك التكليف وما استفاد الانسان ولم
يكن لها عقل من جهة ما هي اجرام اطلق لفظ العقل على لازمه وثمرته وهو الامتناع والاباء مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب كاطلاق لفظ
الارادة على ميل الحائط في قوله تعالى جدارا يريد ان ينقض وقوله يحتمل ان يعود الضمير في شفقن وعقلن الى من يعقل من الملائكة السماوية
اذ لكل جرم سماوي ملك يدبره هو كالبدن له لامكان ذلك فيها دون ساير الاجرام الارضية وما جهله الانسان هو عظمة الله وغاية هذه
الامانة وتقصيره في ادائها واجتنابها المستلزم لعقوبته واستحقاق سخط الله ولكونه جهولا اي كثير الجهل باسرار هذه الامانة والعظمة كما
يستلزم فعلها وتركها وعن الوعيد الوارد على التقصير فيها وقوله ان الله لا يخفى عليه الى اخره تنبيه لهذا الظلوم الجهول على احاطة
علم الله تعالى بجميع احوال المكلفين بانه في ليله ونهاره وانه لطيف الخبرة والمعرفة بها بنفوذ علمه في البواطن كما يقع على الظواهر وقوله اعضاؤكم شهوده
اي شهود له عليكم من قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وجوارحكم جنوده وذلك باعتبار كونها معينة عليهم
وضمايركم عيونه اي طلايعه وجواسيسه كقوله تعالى وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين وتلك الشهادة والاعانة بلسان الحال وقد عرفت
كيفية انطاق الجوارح وشهادة الجوارح وشهادة النفوس على نفسها وكنى بالخلوات عما يفعل فيها من معاصي الله مجازا وانما خصصها لانها
مظنة المعصية ويحتمل ان يريد بالخلوة مصدر قولك خلوت خلوة لا المكان فيكون حقيقة وكونها عيانا لله اي معاينة له وكل ذلك تخويف
وتنفير عن تحريك الجوارح والخلوة بها فيما لا ينبغي من المعاصي وبالله التوفيق والعصمة **ومن كلام له عليه السلام** والله ما معوية بادهى
مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت ادهى الناس ولكن كل غدرة فجرة وكل فجرة كفرة ولكل غادر لواء يعرف به يوم
القيمة والله ما استغفل بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة **اقول** الدهاء استعمال العقل والراي فيما يراد فعله مما لا ينبغي مع اظهار ارادة
غيره وليس صاحبه داهيا وداهية الا بعد تجربة ومكار وحيل وهو داخل تحت رذيلة الجربزة وهي طرف الافراط من فضيلة الحكمة العملية ويستلزم
رذايل كثيرة كالكذب والغدر وهو الرذيلة المقابلة لفضيلة الوفاء بالعهود التي هي ملكة العفة والفجور المقابل لفضيلة العفة فقوله ما معوية
بادهى مني اي ليس باقدر مني على فعل الدهاء واكد ذلك بالقسم البار وقوله ولكنه يغدر ويفجر اشارة الى لوازم الدهاء التي لاجلها تركه وهو الغدر
وبواسطته الفجور فان الوفاء لما كان نوعا تحت العفة كان الغدر الذي هو رذيلة نوعا تحت ما يقابل العفة وهو الفجور ولذلك نفى الدهاء
عن نفسه لكراهيته للغدر ونفيه له عن نفسه لان نفي اللازم مستلزم لنفي الملزوم ثم جعل الغدر اوسط في اثبات الفجور لمعوية بقياس ضمير من
الشكل الاول فقوله ولكنه يغدر في قوة صغرى القياس وقوله ويفجر في قوة النتيجة فكانه قال ولكنه يغدر فهو يفجر ونبه على الكبرى بقوله
وكل غدرة فجرة فصار الترتيب هكذا ولكنه يغدر وكل غادر فاجر وعلى كبراه بقوله وكل فجرة كفرة واذ ثبت في القياس الاول انه فاجر
واستلزم قوله وكل فجرة كفرة ان كل فاجر كافر ثبت بهاتين المقدمتين انه كافر وروي غدرة وفجرة وكفرة وهو كثير الغدر والفجور
والكفر وذلك صريح في اثبات المطلوب قال بعض الشارحين وجه لزوم الكفر ان الغادر على وجه استباحة ذلك واستحلاله كما
هو المشهور من حال عمرو بن العاص ومعوية في استباحة ما علم تحريمه بالضرورة من دين محمد صلى الله عليه وآله وهو معنى الكفر ويحتمل انه يريد كفر نعم الله
وسترها باظهار معصيته كما هو المفهوم اللغوي من لفظ الكفر وانما جعل الكفر تبعا للغدر لان الغدر يكون داعيا الى النفاق
عن الغدر اذ هو في معرض التنفير عنه وقوله ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة لفظ الخبر النبوي وفيه تنفير عن رذيلة الغدر وقوله

نجيله

[illegible]

والله ما استغفل

ج

والله ما استغفل بالمكيدة تقرير وتأكيد لما ذكره من معرفته بوجوه الآراء وكيفية الدهاء الذي فان من يكون كذلك لا يحق غفلة عما يعمل عليه من الحيلة
والمكيدة وقوله ولا استغمز بالزاي المعجمة اي لا يطلب غمزي واضعافي فاني لا اضعف عما لا يرمى به من الشدائد وروي بالراء اي لا استجهل
بشدائد المكائد وهذا القول صدر منه عليه السلام كالجواب لما كان يسمعه من اقوال الجاهلين بحاله ونسبتهم له الى قلة التدبير وسوء الرأي
ونسبة معوية الى الاستخراج ووجوه المصالح والآراء الصحيحة في الحروب وغيرها واعلم ان الجواب عن هذا الخيال المبتدع فيهم خالية وحال
معوية وغيره ممن نسب الى جودة الرأي وبيان ان التفاوت بينهم وبينه وذلك راجع الى حرف واحد وهو انه عليه السلام كان ملازما في جميع
حركاته قوانين الشريعة ملفوعا الى اتباعها ورفض ما العادة ان يستعمل في الحروب فالتدبير من الدهاء والخبث والمكر والحيلة والاجتهادات
في المنصوص وتخصيص عمومها بالآراء وغير ذلك مما لم ترخص فيه الشريعة وكان غيره يعمل جميع ذلك سواء وافق الشريعة او لم يوافق
فكانت وجوه الحيل والتدابير عليهم اوسع وكان مجالها عليه اضيق ونقل عن ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في هذا المعنى كلام طويل خلاصته
ان قال اني ربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل والعلم وانه من الخاصة وهو من العامة يزعم ان معوية كان ابعد غورا واصح فكرا
واجود مسلكا من علي وليس الامر كذلك وسأومي الى موضع غلطه وذلك ان عليا عليه السلام كان لا يستعمل في حروبه الا ما يوافق الكتاب والسنة
وكان معوية يستعمل ما يخالفهما كاستعماله لما يوافقهما ويسير في الحرب بسيرة ملك الهند اذا لاقى كسرى وكان علي يقول لاصحابه لا تبدؤهم
بالقتال حتى يبدؤكم ولا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تفتحوا بابا مغلقا هذه سيرته في ذي الكلاع وفي ابي الاعور السلمي وفي
عمرو بن العاص وفي حبيب بن مسلمة وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والاتباع واصحاب الحروب انما يقصدون الوجه الذي به هلاك الخصم
وينتظرون وجه الفرصة سواء كان مخالفا للشريعة كالتحريق والتغريق ودفن السموم والتضريب بين الناس بالكذب والقاء الكتب في العسكر
او موافقا لها ومن اقتصر في التدبير على الكتاب والسنة فقد منع نفسه الطويل العريض من التدبير وما لا يتناهى من المكائد والصدق
والكذب اكثر من الصدق وحده والحلال والحرام اكثر من الحلال وحده فعلي كان ملجما بلجام الورع من جميع القول الا ما فيه لله رضى
وممنوع اليدين من كل بطش الا ما ادل عليه الكتاب والسنة دون اصحاب الدهاء والمكر والمكائد فلما رأت العوام نوادر معوية في المكائد
وكثرة مغايبه في الخديعة وما يتهيأ له ولم يروا مثل ذلك من علي ظنوا لقصورهم ان ذلك من رجحان عند معوية ونقصان في علي
ثم انظر بعد ذلك كله هل يعد لمعوية من الخداع اكثر من رفع المصاحف ثم انظر هل خدع بها الا من عصى رأي علي وخالف امره من اصحابه
فان زعمت انه قد نال ما اراد من الاختلاف على علي فقد صدقت ولكن ليس ذلك محل النزاع ولم نختلف في غرارة اصحاب علي و
عجلتهم وتسرعهم وتنازعهم وانما كان البحث في التمييز بينه وبين معوية في الدهاء والمكر وصحة العقل والرأي فهذه خلاصة كلام من
تأمله بعين الانصاف علم صحته وصدقه ومن هذا يتبين لك الجواب عن كل ما نسب اليه من التقصير في خلافته كعدم اقراره لمعوية على الولاية
في اول خلافته ثم بعزله بعد ذلك لما يستلزم تقريره له من الظلم وكشبهة التحكيم وكنسبتهم له الى التوحش لبعض اصحابه حتى فارقوه الى
معوية كاخيه عقيل وشاعره النجاشي ومصقلة بن هبيرة وكتركه لطلحة والزبير حتى فارقاه وخرجا الى مكة واذن لهما في العمرة وذهب عنه
الرأي في ارتباطهما عنده ومنعهما من البعد عنه وامثال ذلك فان الانصاف عند اعتبارها له في جميع ما نسب اليه يقتضي موافقته
للشريعة وعدم خروجه عنها وتفصيل الاجوبة عن ذلك مما يخرج عن الغرض وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** ايها الناس
لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة اهله فان الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل ايها الناس
انما يجمع الناس الرضا والسخط وانما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا فقال سبحانه فعقروها
فاصبحوا نادمين فما كان الا ان خارت ارضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في الارض الخوارة ايها الناس من سلك الطريق
الواضح ورد الماء ومن خالف وقع في التيه **اقول** السكة الحديدة تكون في رأس خشبة الفدان تشق بها الارض وخوارها
صوتها في الارض والارض الخوارة الضعيفة وحاصل الفصل ترغيب اصحابه السالكين لطريق الهدى في البقاء على ما هم عليه بذكر كونه
طريق الهدى ومن العادة ان يستوحش الناس من الوحدة وقلة الرفيق في الطريق الطويل الصعب فنهى عن الاستيحاش في تلك الطريق وكنى
به عما عسى يعرض لبعضهم من الوسوسة بانهم ليسوا على حق لقلتهم وكثرة مخالفيهم لان قلة العدد في الطريق مظنة الهلاك والسلامة
مع الكثرة ونحو ذلك فنبههم على انهم في طريق الهدى وان كانوا قليلين وقوله فان الناس اجتمعوا الى قوله طويل تنبيه على علة قلة اهل
الهدى وهو اجتماع الناس على الدنيا واستعار لها لفظ المائدة ملاحظة لشبهها بها في كونها مجمع اللذات وكنى عن قصر مدتها
بقصر شبعها وعن استعقاب الانهماك فيها للعذاب الطويل في الاخرة بطول جوعها ولفظ الجوع مستعار للحاجة الطويلة بعد الموت
الى المطاعم الحقيقية الباقية من الكمالات النفسانية الفائتة بسبب الغفلة في الدنيا فلذلك نسب الجوع اليها ويحتمل ان يكون مستعارا
لما تلتهف عليه النفوس وتتأسف بعد المفارقة من اللذات الدنيوية التي لا تحصل عليها بعد الموت مدة فطول جوعها منها وراعى المقابلة
فالجوع بازاء الشبع والطول بازاء القصر وقوله ايها الناس الى قوله السخط اي انما يجمع الناس في عذاب الله رضاهم بالمنكرات ومعاصي الله

في ثمود وعقر الناقة

وان لم يباشرها اكثرهم وتحقق لهم ايضا بتر من الاعمال ومصداق ذلك قصة ثمود حيث عمهم العذاب بفعل عاقر الناقة فانهم باسرهم ما فعلوا ذلك
مع نسبة الفعل الى جميعهم كما قال تعالى فعقروها الاية وعمهم العقوبة لما عموه بالرضى والقصة في عموم ثمود بالرجل والى العقر الذي
دل عليه قوله عقر اي لما عموا فعله برضاهم بيوا ليه الاشارة بقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وظاهر
ان الراضي بفعل شريك فاعله وفي قوته وكذلك انما يجمع الله الناس في رحمته باجماعهم على الرضا بحاله والسخط لمكارهه فقوله فما
كان الا ان خارت ارضهم الى قوله الخوارة تفسير للعذاب اللاحق لهم المشار اليه بقوله فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب وقد كشفه
القران الكريم ايضا في قوله فاخذتهم الرجفة فبين عليه السلام كيفية ذلك وشبه صوت ارضهم في خسوفها وذهابها في الارض بصوت
السكة المحماة في الارض عند الحرث بها وانما زادها صفة المحماة تنبيها على قوة تصويتها وسرعة غوصها لان المحماة يكون لها في الارض
نشيش زائد على ما يقتضيه حركتها ويعينها الحمى على النفوذ فاما قصة ثمود فالمنقول انهم خلفت عادا في الارض بعد هلاكهم فيها فكثروا
وعمروا اعمارا طويلة حتى كان الرجل يبني المسكن المحكم فينهدم في حيوته فنحتوا البيوت في الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا
عن امر الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم
يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه اية فقال اية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم من
السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها
فلم تجب فقال كبيرهم واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يسمونها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة جوفاء وبراء فان فعلت
صدقناك واجبناك فاخذ عليهم المواثيق بذلك ثم صلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة كما تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن
ناقة عشراء جوفاء وبراء كما يطلبون وعظما وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به رئيسهم ونفر من قومه ومنع اعقابا
ناس من رؤسائهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يوم شربها وضعت
راسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون فاذا وقع الحر
تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك
عليهم وزينت لهم عقرها امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما كانتا كثيرتي المواشي لما اضرت بمواشيهما فعقرها قدار
الاحمر واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقا جبلا يقال له غارة فرغا ثلثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى
ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح
تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث وهي مسودة ثم
يغشاكم العذاب فلما راوا العلامات هموا بقتله فانجاه الله الى ارض
فلسطين فلما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر
وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة وخسف شديد و
زلزال فتقطعت قلوبهم فهلكوا وبالله العصمة
والتوفيق هذا اخر المجلد الثاني
من هذا الكتاب وفرغ من
تسويده العبد الاقل
الحاج ميرزا محمد
الخوانساري

الحمد لله الهادي الى السداد وجاعل الانبياء والائمة للارشاد ونداء النفع العباد الى رب العباد ولولاهم لما شفعنا يوم التناد فلما كان الكتاب المستطاب المسمى بشرح نهج البلاغة
للعالم الالمعي والفاضل اللوذعي الحبر العبقري المحقق الحكيم المدقق قدوة المتكلمين زبدة الفقهاء والمحدثين كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني اجزل الله اجره
المشتهر بشرح ابن ميثم حيث تبين له لا يمكن [illegible] صفات المكارم والمفاخر وتوضيح الغوامض المشكلة وبيان الاضمار والاشارات [illegible]
[illegible] المطالب رحامع الغوامض والفضائل [illegible] الاماجد والاماثل المعظم الاكرم الاعظم مولانا الاخوند ملا محمد [illegible]
[illegible] فهذا الشاكي [illegible] الحاج ميرزا محمد الخوانساري
[illegible] الاحوال [illegible]
الاماثل [illegible] فقولوا الحمد لله اولا واخرا وقد وقع الفراغ من كتابته في يوم يكشنبه سادس عشر من
شهر رجب المرجب في شهور سنة ١٢٧٦

كلام له عند دفن سيدة النساء

هو الله

المجلد الثالث
المسمى شرح نهج البلاغة
من تصنيف ميثم بن علي بن ميثم
البحراني وهذا كلام له عند دفن
سيدة النساء فاطمة
عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن كلام له عليه السلام روي عنه انه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام

كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وآله عند قبره السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق
بك قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ورق عنها تجلدي الا ان لي في التأسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع
تعز فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك فانا لله وانا اليه راجعون فلقد استرجعت
الوديعة واخذت الرهينة اما حزني فسرمد واما ليلي فمسهد الى ان يختار الله لي دارك التي انت بها مقيم وستنبئك
ابنتك فاحفها السؤال واستخبرها الحال هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم
فان انصرف فلا عن ملالة وان اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين **اقول** مسهد مورق واحفها السؤال استقص
عليها فيه فاما قوله سيدة النساء فقد جاء في الخبر انه صلى الله عليه وآله راها تبكي عند موته فقال لها اما ترضين ان
تكوني سيدة نساء هذه الامة وروي انه قال سادات نساء العالمين اربع خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية
بنت مزاحم ومريم بنت عمران وسلامه عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وآله كعادة الزائرين لكن الزيارة هنا اولية وعنها كالسائر لها
في الدنو لمجاورها له اي في منازل الجنة واما سرعة لحاقها به فقد ذكرنا انه اشتكى البته من سرعة تواتر المصائب عليه
و ... عقيبه والمنقول ان مدة حياتها بعده صلى الله عليه وآله اربعة اشهر وقيل ستة اشهر ثم اخذ في الشكاية لما كان
له من قلة صبره ورقة تجلده وتحمله للمصيبة بها وفي قوله صفيتك ... كان لرسول الله صلى الله عليه وآله من التجليل والمحبة والاكرام
وقوله الا ان لي الى قوله موضع تعز كالعذر والتسلية وان كانت هذه المصيبة عظيمة يقل لها الصبر ويرق لها التجلد فان
المصيبة بفراقك اعظم وكما صبرت في تلك على كونها اشد فلان اصبر على هذه اولى وان التأسي والاقتداء بالصبر في هذه المصيبة
كالصبر في تلك وقوله ولقد وسدتك الى قوله نفسك كالشرح لتلك المصيبة ومقاساتها عند تلحيده وعند فيضان نفسه وهو
بين صدره ونحره وكالتذكير لنفسه بها وقوله فانا لله وانا اليه راجعون امتثال لقوله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقوله ولقد استرجعت الوديعة الى قوله الرهينة استعار لفظ الوديعة والرهينة لتلك
النفس ووجه الاستعارة الاولى ان النفوس في هذه الابدان تشبه الودائع والامانات في كونها تسترجع الى عاملها في وجوب المحافظة
من المهلكات ويحتمل ان يريد ما هو المتعارف بين الناس من كون المراة وديعة الرجل كما قال النساء ودائع الكرام ووجه الثانية
ان كل نفس رهينة على الوفاء بالميثاق واتيانها الله تعالى به والعهد الذي اخذ عليها حين الاهباط الى عالم الحس والخيال ان ترجع اليه سالمة
من سخطه عاملة باوامره غير متجاوزة من صراطه الموضوع على لسان رسوله صلى الله عليه وآله فان وفت به حل لها خرجت عن وثاق الرهن ...
كما قال تعالى ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما وان نكثت وانكبت بما نهيت عنه بقيت رهينة بعملها كما قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة
والرهينة تصدق على الذكر والانثى وقد ... وقوله اما حزني الى قوله مقيم ... بعدها على سبيل الشكاية وكنى بالدار
الجنة لانه ممن ... بتصيبه ... الى قوله الذكر رمز للشكاية الى الرسول صلى الله عليه وآله ممن تقدمه بعده فيما كان يعتقده حقا له من الخلافة
وتخلفه ... فاطمة ... عنهما مع نوع من الاعتصار والعلظة عليه في القول على قرب عهدهم بالرسول صلى الله عليه وآله وطراوة ذكره الذي
القران الامر بمودة القربى وقوله والسلام عليكما الى اخره صورة وداع المحبين الناصحين بمجاري العادة وقوله وان اقم الى قوله الصابرين
تنزيه لنفسه عما عساه يعرض لبعض من يلازم القبور لشدة الجزع والاسف من توهم انه لا عوض عن ذلك الفائت ولا اجر على التعزي والصبر
عنه وما وعد الله به الصابرين على نزول المصائب هو صلوات ورحمة في قوله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم و
رحمة واولئك هم المهتدون وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** ايها الناس انما الدنيا دار مجاز والاخرة دار قرار فخذوا من ممركم
لمقركم ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم اسراركم واخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل ان تخرج منها ابدانكم ففيها اختبرتم
ولغيرها خلقتم ان المرء اذا هلك قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ما قدم لله اباؤكم فقدموا بعضا يكن لكم ولا تخلفوا

الجزء ٥

تنبئك

بتضافر امتك على هضمها

عليها

عاهد

الى قوله

كلا يكون

كلا فيكون عليكم **أقول** حاصل الفصل التنفير عن الدنيا والترغيب في الآخرة بذكر الغاية من وجودها فكون الدنيا مجازا اي سبيلا يجاز بها الى الآخرة سلوكا اختياريا كسلوك عباد الله الصالحين لسبيله او اضطراريا كعبور الكل الى الآخرة بالموت وارادة بالاضطرار وهما ثان الفرضيتان كالغاية لقوله فخذوا من ممركم لمقركم وقوله ولا تهتكوا الى قوله اسراركم اي لا تجاهروا بالمعصية فانه اذا كان يعلم اسراركم فهو يعلم ظواهركم اولى وقوله واخرجوا الى قوله ابدانكم امرهم بالزهد في الدنيا قبل الموت وكنى عنه باخراج القلوب منها يقال خرج فلان عن كذا اذا اعرض عنه وتبرا منه وقوله ففيها اختبرتم اشارة الى فضل الاعتبار بها وقد عرفت معنى الاختبار ولغيرها خلقتم اي لتحصيل السعادة في الآخرة بالذات والشقاوة لمن حرمها بالعرض وقوله ان المرء الى قوله قدم اي ما ترك من متاع الدنيا او ما قدمه من الاعمال الصالحة وانما قرن ذكر الناس وما يسئلون عنه بذكر الملائكة وما يسئلون عنه لينبه على شرف الاعمال المسعدة في الآخرة على متاع الدنيا لكون الاول مطلوب الملائكة وما يعتني بالفحص عنه وكون الثاني معنى الناس الغافلين وفي لفظ ما ترك وما قدم لطف تنبيه على ان متاع الدنيا مفارق متروك والاعمال الصالحة مقدمة باقية نافعة للمرء في معاده فينبغي ان تكون العناية بها دون المفارق المتروك وقوله لله اباؤكم كلمة تقولها العرب لتعظيم المخاطب بنسبته الى الله كقولهم لله انت ولله ابوك وقيل اللام للغاية اي الى الله مصير ابائكم لكن بذلك يخرج الكلام عن معنى التعجب والاستعظام وقوله فقدموا بعضا الى الآخرة اي فقدموا بعضا من متاع الدنيا كالصدقة ونحوها يكن لكم ثوابها في الآخرة كقوله صلى الله عليه وآله يا ابن آدم ليس لك من دنياك الا ثلث ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فابقيت ولا تخلفوها باسرها لغيركم فيكون عليكم وزرها وفيه تنبيه على استلزام الصدقة والزكوة ونحوها للملكات الفاضلة والثواب الاخروي واستلزام البخل وادخار المال للشقاوة الاخروية وانما خصص البعض بالتقديم لان حرمان الورثة لا يجوز ونهى عن تخليف الكل لان ترك الزكوة والصدقة لا يجوز وقوله يكن لكم قرضا ويكن عليكم كلا وهو كقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا ولفظ القرض مستعار ووجه الاستعارة ان القرض يستلزم في العادة الطلب من المقترض وشكره للمقرض واداءه اليه فاشبه ذلك تكرر اوامر الله تعالى الطالبة للزكوة والصدقة وشكر الله للمنفقين في سبيله وجزاءه للمتصدقين في الآخرة باضعاف ما بذلوه وانفس منه وكيفيته والكل الذي لا منفعة فيه مع وجود مضرته ولما كان حفظ المال وتخليفه بعد الموت كذلك لا جرم كان كلا وبالله التوفيق **ومن**

كلام له عليه السلام كان كثيرا ما ينادي به اصحابه تجهزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل واقلوا العرجة على الدنيا وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد فان امامكم عقبة كؤودا ومنازل مخوفة مهولة لا بد من الورود عليها والوقوف عندها واعلموا ان ملاحظ المنية نحوكم دانية وكانكم بمخالبها وقد نشبت فيكم وقد دهمتكم منها مفظعات الامور ومعضلات المحذور فقطعوا علائق الدنيا واستظهروا بزاد التقوى وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم بخلاف هذه الرواية **أقول** العرجة والتعريج الاقامة على المكان والاحتباس وعقبة كؤود شاقة المصاعد والملاحظ وهو مصدر او محل اللحظ وهو النظر بمؤخر العين ودانية مجدية ومفظعات الامور عظائمها وشدائدها المجاوزة حد المقدار المعتاد ومعضلات المحذور ما يثقل منها واعيا ومدار الفصل على الامر بالتجهيز من الدنيا وهو الاستعداد للسفر الى الله بما يحتاج اليه المسافرون الى حضرته من الزاد المبلغ وهو التقوى والرحيل يحتمل ان يريد به السفر بالموت فيكون المنادي حوادث الايام الدالة بمعرضها للامر حية الى الانهدام ويحتمل ان يريد به السفر الى الله بالرياضة الكاملة والمنادي بذلك هو الرسول والكتاب العزيز واولياء الله ثم على الامر باقلال التعريج على الدنيا اي بقلة الالتفات اليها الا على قدر الضرورة ومنها هو الزهد ثم بالانقلاب عنها بصالح ما يحضرهم في الدنيا ويمكنهم اعداده والاستعداد به وهو الاعمال الصالحة والتقوى وقوله فان امامكم عقبة كؤودا استعار لفظ العقبة بوصف الكؤود ووجه المشابهة شدة الملاقات وقطع منازلها في حال تألم النفوس الى حال الموت واراد بالمنازل المخوفة المهولة منازل الآخرة بعد الموت من القبور وسائر ما تمر به النفوس في الشقاوة والاهوال الاخروية وظاهر انه لا بد من ورود تلك المنازل والوقوف عندها الى حين عبورها وخصوصا اصحاب الملكات الرديئة والعلائق الدنيوية بدنياتها ووقوفهم بتلك المنازل اطول وشدائدهم فيها اهول وقوله واعلموا الى قوله فيكم استعار لفظ الملاحظ للمنية وهو الملاحظة ودنوها كناية عن قرب نيلها لهم وصدق لا ينقطع عنهم ودانية اي قريبة منهم وكذلك المخالب استعارها كناية عن لحوق الآفات والامراض المهلكة لهم ومعنى التشبيه ههنا تشبيه المقدار القريب وتوقعه وهو لحوق الموت لهم وتشبيه مخالب المنية فيهم بوقوع ذلك في السرعة والمضاء في مخالبها للاتصاف وادوات في قوله وقد دهمتكم وقوله وقد دهمتكم الى قوله المحذور كناية عن لحوق شدائد الموت ومثقلات الظهور الحال وقوله وهي الذنوب وقطعوا علائق الدنيا امر بالزهد الحقيقي وبها في التخفيف منها بترك الفضول والاستكثار من متاعها واستظهروا بزاد التقوى اي تقووا به ظهيرا لكم على مشاق السفر الى الآخرة وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشاورتهما

عندها الى حين ... معضلات ... العظام

الى قوله

قوله و

كلام له مع طلحة والزبير بعد بيعته

والاستعانة في الامور بهما لقد نقمتما يسيرا وارجأتما كثيرا الا تخبراني اي شيء لكما فيه حق دفعتكما عنه ام اي قسم استأثرت عليكما به ام اي حق رفعه الي احد من المسلمين ضعفت عنه او جهلته ام اخطأت بابه والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية اربة ولكنكم دعوتموني اليها وحملتموني عليها فلما افضت الي نظرت الى كتاب الله وما وضع لنا وامرنا بالحكم به فاتبعته وما استن النبي صلوات الله عليه وآله وسلم فاقتديته فلم احتج في ذلك الى رايكما ولا راي غيركما ولم يقع حكم جهلته فاستشيركما واخواني من المسلمين ولو كان ذلك لم ارغب عنكما ولا عن غيركما واما ما ذكرتما من امر الاسوة فان ذلك امر لم احكم انا فيه برايي ولا وليته هوى مني بل وجدت انا وانتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله قد فرغ منه فلم احتج اليكما فيما قد فرغ الله من قسمه وامضى فيه حكمه فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبى اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق والهمنا واياكم الصبر ثم قال عليه السلام رحم الله رجلا راى حقا فاعان عليه او راى جورا فرده وكان عونا بالحق على صاحبه **اقول** رجمتما اخرتما واستاثر استبد والارتبة الحاجة وافضت وصلت والعتبى الرجوع عن الاساءة واعلم ان الرجلين كانا يؤملان الامرة لانفسهما فلما صار الامر اليه عليه السلام عادا الى رجاء ان يداخلهما في امره وان يؤثرهما في العطاء على غيرهما كما فضل بعض الائمة من قبله وان يشاركهما في اكثر الاراء المصلحية محبة منهما للجاه ونظرا الى محلهما وشرفهما لكن الرجل لما جعل دليله الكتاب العزيز والسنة النبوية وكان هو القوي على تفريع الاحكام منهما دون غيره وصاحب سرهما كما علمت من رجوع اكابر الصحابة والخلفاء السابقين اليه في كثير من الاحكام لا جرم لم يكن به حاجة الى الاستشارة فيما يقع اليه من الوقائع والتسوية بالعين لاجرم نقماه الى ترك مشورتهما وتسويتهما بغيرهما في العطاء فانه كان عندهما صعبا فهو لكونه عنده غير حق في غاية من السهولة والكثير الذي رجياه ما اخراه من حقه ولم يوفياه اياه وروي كثيرا بالثاء المثلثة نقطا واشارة به الى ما يعود الى صلاح المسلمين من الاراء التي ينبغي ان يتحدث فيها ويحتمل ان يريد ان الذي ابدياه ونقماه بعض ما في انفسهما وقد دل ذلك على ان في انفسهما اشياء كثيرة وراء ما ذكراه لم يقولاه وقوله الا تخبراني الى قوله بابه استفسار عن الحق الذي نقما تركه واشار الى وجوه الحق وجهات المنافرة والمخاصمة ان الذي نقمتما على تركه اما ان يكون متعلقا بكما او بغيركما من المسلمين والاول اما ان يكون قسما استأثر به او غيره من الحقوق دفعكما عنه ظلما والثاني اما ان يكون تركه عن ضعف او جهل به او خطأ لدليل الحكم فيه ولا شبهة في انتفاء كلها استفهامها انكار لها ومستند منعه وانكاره لها ظاهر فان التسوية في العطاء سنة الرسول صلى الله عليه وآله فيجب اتباعها والاستشارة في الحوادث ونحوها انما يجب مع عدم الحكم في الواقعة او مع جهله ولم يكن عليه السلام فاقدا لاحكام الوقائع الواردة عليه ولا جاهلا بها ولا كان لم يترك حقا لاحد من المسلمين عن ضعف منه لانه كان خليفة الوقت ولا عن جهل بحكم ولا بدليله لانه كان اعلم الامة باحكام الله ولما كان الذي نقماه عليه في تلك الحال من الاقسام المذكورة انما هو ترك مشورتهما والتسوية في العطاء بينهما وبين غيرهما اشار الى الجواب عن الاول بقوله والله ما كانت الى قوله ولا عن غيركما فقوله والله الى قوله حملتموني عليها كالمقدمة في الجواب لكاسرة من توهمهما رغبته في الخلافة ومحبته للملك والسلطان لاستيثاره عليهما ونحو ذلك فانه اذا انكسر ذلك الوهم لم يتوجه طلبه للولاية الا نصرة الحق واقامته كما صرح هو به في غير موضع وح تندفع شبهتهما عنه وقوله فلما افضت الى قوله فاقتديته وجه الجواب ليبين على صغرى القياس فيه وهذا تقديره اني احكم بالكتاب فاتبعه واتمسك بالسنة واقتدي بها وكل من فعل ذلك فلا حاجة به في الحكم الى الراي وقوله فلم احتج الى قوله غيركما كالنتيجة وقوله ولا وقع حكم جهلته احد الاقسام التي استفهم عنها سبيل الانكار وقد صرح بانكاره فيهنا ومنعه على تقدير دعواهم له ثم مع تسليمه جدلا انه لو وقع لم يكن يرغب عنهما ولا عن غيرهما من المسلمين في الاستشارة فيه ثم ذكر الامر الثاني مما نقماه عليه وهو ما ذكرتما من امر الاسوة اي تسويتكما بغيركما في العطاء واجاب عنه بقوله فان ذلك امر الى قوله حكمه وقوله ولا وليته هوى مني اعلم انه الحاكم في ذلك هواي وتدبيري ولا رايته هو مني على ان يكون هو معقولا له وخلاصته انه حكم بالتسوية في القسم لم يكن عن راي مني ولا هوى ابعثه ولكن وجدت انا وانتم قد فرغ الله منه اي من القضاء به في اللوح المحفوظ وانزل الوحي بلا امر الثابت الذي لا يحتاج الى اجتهاد او تكميل منهو فرغ منه ونسبة الفراغ الى الله مجاز لمناسبة ما قضاه بفعل العبد الذي فرغ من عمله وقوله فلم احتج اليكما الى قوله حكمه اي لما وجدته كذلك لم اسل اليكما بما يرضيكما مع مخالفته لما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله فلم احتج اليكما اي في الارشاد الى احكام الله بعد فراغه منها وقوله فليس لكما الى قوله عتبى لازم ينبغي مناسبته في الجوابين فانه لما ثبت انه لا حق لهما فيما نقماه عليه لم يكن عليه ان يعتب ثم اخذ في الدعاء لهما ولنفسه بان اخذ الله بقلوبهم الى الحق والهامهم الصبر عن الميول الى الباطل وعلى الحق ثم دعا برحمة الله لرجل راى حقا وعدلا واعان على العمل به او راى جورا وظلما فرده واعان على صاحبه بالطها الى ذلك والله ولي التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** وقد سمع قوما من اصحابه يسبون اهل الشام ايام حربهم بصفين اني اكره لكم ان تكونوا سبابين

ولكنكم لو وصفتم

ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقلتم مكان سبكم إياهم اللهم احقن دماءنا
ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من
لهج به قال ... **أقول** لهج به أي حرص عليه وحاصل الفصل تأديب قومه وإرشادهم إلى السيرة الحسنة وجذبهم عن تعويدها
وتمرينها بكلام الصالحين ونبه بكراهته للسب والنهي عنه على تحريمه ونحوه إشارة الرسول ما بعثت لعانا ولا سبابا وقوله
اللهم إني بشر فإذا دعوت على إنسان فاجعل دعائي له لا عليه واهده إلى الصراط المستقيم وقوله لو وصفتم إلى قوله في العذر أي لو عدلتم
عن السب إلى وصف أعمالهم وتذكيرهم بكونهم ظالمين لكم وضالين عن السبيل ذكرا على وجه النصيحة والهداية لهم ثم قلتم مكان
سبكم إياهم هذا الدعاء لكان أصوب في القول مما ذكرتموه من رذيلة السباب ولأن تذكيرهم بأحوالهم ونصيحتهم إياهم فائدة
وهي رجاء أن يعودوا إلى الحق ولأن ذلك أبلغ في العذر إليهم من غيره إذ لكم أن تقولوا بعد ذلك إنا نصحناهم وطلبنا منهم
الفيئة فلم يستجيبوا وقوله وقلتم عطف على قوله وصفتم ولو مقدرة عليه وجوابها مقدر بعد تمام الدعاء وحذفه لدلالة لو
الأولى عليها والتقدير لو قلتم هذا الدعاء لكان أصوب وأبلغ في العذر والدعاء الذي علمهم إياه مطابق لصورة حال الحرب
واشتمل على طلب حقن الدماء وهو الخوف الحاضر وعلى طلب علته وهي إصلاح ذات البين أي ما بيننا وبينهم من الأحوال التي
لا تفتر حتى يكون أحوال ألفة واتفاق ولما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولك اسقني ذا إنائك أي
ما في إنائك من الشرب وقيل ذات البين حقيقة الفرقة أي صلح حقيقة الفرقة بيننا وبينهم وبدلها بالألفة ثم على طلب
العلة الحاسمة للفرقة الموجبة لإصلاحها وهي هدايتهم من ضلالتهم بمعرفة من جهل الحق له وارعواء من غيه وعدوانه وهي طرف
التفريط من فضيلة الحكمة وعدوانه وهو طرف الإفراط من فضيلة العدل وقد كانت الرذيلتان في أصحاب معاوية فإنهم
لما قصرت وهممهم عن وجه الحق وغلبت عليهم الشبهة عموا بعدها ولجوا العدوان ... وهو عمى البصيرة عن
عباداتها **وقال عليه السلام** وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب املكوا عني هذا الغلام لا يهدني فإنني أنفس
بهذين يعني الحسن والحسين عليهما السلام على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وقوله عليه السلام املكوا عني
هذا الغلام من أعلى الكلام وأفصحه **أقول** املكوه شدوه واضبطوه ويهدني يكسرني ونفست بالكسر أنفس بالفتح أي
أضن وأبخل ولما كان وجود الولد للمنتفع مما يشد القوة ويقوي النفس خصوصا مثل الحسن عليه السلام كنى بقوله لا يهدني على
تقدير هلاكه عن إضعافه لركنه وانكسار نفسه بذلك ثم نبه على علة أخرى لوجوب المحافظة عليه مع أخيه عليهما السلام وهي
المحافظة على نسل الرسول **وقال عليه السلام** لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة أيها الناس إنه لم يزل أمري معكم
أحب حتى نهكتكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وهي لعدوكم أنهك لقد كنت أمس أميرا فأصبحت
اليوم مأمورا وكنت أمس ناهيا فأصبحت اليوم منهيا وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون
أقول نهكتكم خلقتكم وقوله على ما أحب أي من الطاعة لي ولفظ النهك وإسناده إلى الحرب استعارة لإضعافها لهم ملاحظة
لشبههم بالثوب الذي أخلقه اللبس وتشبيهها بمستعمله في كونها سببا لذلك الضعف أي لم أزل كذلك إلى تلك الغاية وقوله
وقد والله أخذت منكم وتركت كناية عن تصرفها فيهم بوجوه التصرف وهو كالعذر لهم والإخبار بقوله وهي لعدوكم أنهك لئلا يتخاذلوا
بعد أنها لما هم ثم أخذ في التشكي منهم إليهم وعتابهم على عصيانه لهم وحملهم عليه بالرجوع إلى التحكيم فصار مأمورا لهم
ومنهيا بعد كونه آمرا فيهم وناهيا وذلك من معكوس الحكم وشنعاء ما اتبعهم وقوله وقد أحببتم البقاء أي بترك القتال وهو كالتوبيخ
لهم على ذلك وقوله فليس لي إلى آخره أي ليس لي قدرة على ذلك وإن كان له ذلك بحسب المصلحة والشرع والله الموفق **ومن
كلام له عليه السلام** بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي يعوده وهو من أصحابه فلما رأى سعة داره
قال ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا أما أنت إليها في الآخرة كنت أحوج وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة تقري فيها
الضيف وتصل فيها الرحم وتطلع منها الحقوق مطالعها فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة فقال له العلاء يا أمير
المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد قال وما له قال لبس العباء وتخلى من الدنيا قال علي به فلما جاء قال يا عدي
نفسه لقد استهام بك الخبيث أما رحمت أهلك وولدك أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها أنت أهون
على الله من ذلك قال يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك قال ويحك إني لست كأنت إن
الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره **أقول** استهام بك
أذهبك لوجهك وزين لك الهيام وهو الذهاب في التيه وجشوبة المأكل غلظه وخشونته وقيل الطعام الجشب الذي لا أدم معه
وتبيغ هيج وقد استفهم عن غرضه في توسعة داره استفهام توبيخ وإنكار لما أن ذلك ينافي الزهد في الدنيا والحرص في الآخرة ثم

ج

١٧ اولعم

ولا الا فسغل الدماء

في بعض ايام صفين
١٧ الحسنين

الناس

يعوده

كنت

فاذا

١٧ أنت

الحق

كلام له بالبصرة وقد دخل على العلاء

عن كونه احوج اليها في الآخرة استفهام تثبيت وتقرير لدارك هو كسب انفقت ما ا [illegible] وجه على فعلها انها من ابدال الخ سبيل الله
اولى بكنت لينه احوج منها وفي رواية ما بنيات الهمزة مع ما في قوله ما انت وقوله وبلى انه هدايه له الى وجوه استعمالها في مرضات
الله والتقرب بها تعديد للتفريط في بنائها وعدد وجوه المبار المتعلقة بها ومطالع الحقوق وجعلها الشرعية المتعلقة بها كالزكوة
والصدقة وغيرهما وظ كونها مبلغا الى الآخرة عند اخراج تلك الحقوق منها وفيها ومقربا الى الله وقوله على به ربيع منا فعلى
الامر اي جيئوا به وعلى تصغير علاء واصله عليو فحذفوا احدى الواوين فقلبوا الثانية ياء تخفيفا وادغموا فيها ياء التصغير وانما
صغره استصغارا له باعتبار ان شيطانه لم يعد الى كبيرة بل قاده الى امر ان كان خارجا به عن الشريعة الا انه شبيه من السلامة و
دخل عليه بالخداع عن رأي الصالحين وكان شيطانه بذلك الاعتبار صغيرا بالنسبة الى شيطان الآخر وهو باعتبار القيادة لذلك
الوسواس هائل وقيل بل صغره من جهة خفاء فعله ذلك لكونه عن جهل منه وانما منعه من هذه الطريقة لكونه لم يترك الدنيا على وجه
الترك بل كان لمشاركة هواه لعقله وكان تركه كان مستلزما لاهمال حقوق تجب عليه في الشريعة ولذلك قيّمه بقوله لقد استهام
بك الخبيث على ان فعله ذلك كان عن مشاركة الشيطان ولم يكن عن حقانية خالصة وهو له اما رحمت اهلك وولدك على الحقوق
اللازمة له من قبلهم وقد اهملها بفعله ذلك بقوله يرى الله الى قوله ذلك في مقام التوبيخ له على ذلك الترك وهو كقوله تعالى
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية والحاصل الى هنا ان ترك الدنيا بالكلية ليس هو مطلوب
الشارع منه من الزهد فيها والتخلي عنها لان الشارع يراعي نظام العالم باشتراك الخلق في عمارة الدنيا وتعاونهم على المصالح
بقاء النوع الانساني وترك الدنيا واهمالها بالكلية يعدم ذلك النظام وينافيه بل الذي يأمر به الشارع القصد في الدنيا
واستعمال متاعها على القوانين التي وردت بها الرسل والوقوف فيها عند الحدود المضروبة في شرائعهم دون تعديها كما
اشار اليه من منع هذا الرجل واما الناس الكون من الصوفية بعد عصر الصحابة على الطريقين فمنهم من يختار التقشف وترك
الطيبات وهجر اللذات راسا ومنهم من يؤثر الترف والذي يفعله المحققون من السالكين من التقشف فلا ينافي الشريعة لعلمهم
باسرارها وطريقتهم اقرب الى السلامة من طريق المترفين لكون الترف مجال الشيطان وقد كان سلوك الرسول ص وعلى ع
وجماعة من اكابر الصحابة اميل الى طريق التقشف لكن مع مشاركتهم لاهل الدنيا في تدبير احوال المدن وصلاح العالم
غير منقطعين عن اهلها ولا معتزلين فاما اعتراض عاصم على علي ع في هيئته التي تأسى به فيها في ترك الدنيا عليه وتقديره
انك ان تنهى عن ذلك فكيف بك اي فكيف اه بما ارى من هذه الحال وانت المقتدى به او فكيف اصنع بك في
الحال التي انت عليها وانما ينبغي لي ان اقتدي بك فاجابه بجواب اقناعي بين فيه الفرق بينه وبينه وهو انّي انما فعلت
ذلك لكوني اماما وكل امام ففرض الله عليه ان يقدر نفسه بضعفة الناس لئلا يتبيغ بالفقير فقره
فينقطع عن حلمه فيكفر او يفسق وقد كانت ع قبل الخلافة كذلك والجواب الحق هو ما قلناه من كون هذه الطريق اسلم واما
الفرق بينهما فيرجع الى ان عاصما سلك على غير علم بكيفية السلوك مع ترك الحقوق التي تلزمه لاهله وولده فكانت حاله
التي فارقها اولى به وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** وقد سأله سائل عن احاديث البدع وعما في ايدي الناس
من اختلاف الخبر فقال ع ان في ايدي الناس حقا وباطلا وصدقا وكذبا وناسخا ومنسوخا وعاما وخاصا
ومحكما ومتشابها وحفظا ووهما وقد كذب على رسول الله ص على عهده حتى قام خطيبا فقال من كذب علي متعمدا
فليتبوأ مقعده من النار وانما اتاك بالحديث اربعة رجال ليس لهم خامس رجل منافق مظهر للايمان متصنع
بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج يكذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله ولكنهم قالوا صاحب رسول الله ص رآه وسمع منه
ولقف عنه فيأخذون بقوله وقد اخبرك الله عن المنافقين بما اخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك ثم بقوا بعده صلوات الله
عليه وآله فتقربوا الى ائمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان فولوهم الاعمال وجعلوهم على رقاب الناس فأكلوا بهم
الدنيا وانما الناس مع الملوك والدنيا الا من عصم الله فهذا احد الاربعة ورجل سمع من رسول الله صلوات الله عليه
وآله شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا فهو في يديه يرويه ويعمل به ويقول انا سمعته من رسول الله
فلو علم المسلمون انه وهم فيه لم يقبلوه منه ولو علم هو انه كذلك لرفضه ورجل ثالث سمع من رسول الله ص شيئا يأمر به
ثم نهى عنه وهو لا يعلم او سمعه ينهى عن شيء ثم امر به وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ فلو يعلم انه منسوخ لرفضه
ولو علم المسلمون اذ سمعوه منه انه منسوخ لرفضوه وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله مبغض للكذب خوفا من الله و
تعظيما لرسول الله ص ولم يهم بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه فحفظ الناسخ فعمل
به وحفظ المنسوخ فجنب عنه وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه وعرف المتشابه ومحكمه وقد كان يكون من رسول

الهمزة
نفسه
فهم
فحاصله انه
على رسول الله متعمدا فلو علم الناس انه منافق كاذب
حكاما
علم انه

في الأحاديث المبتدعة بعد الرسول

السلام الكلام له وجهان فكلام خاص وكلام عام فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله تعالى به ولا ما عنى به رسول الله ص فيحمله السا
ويوجهه على غير معرفة بمعناه وما قصد به وما خرج من اجله وليس كل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسأله
ويستفهمه حتى ان كانوا ليحبون ان يجيء الاعرابي والطارئ فيسأله حتى يسمعوا وكان لا يمر بي من ذلك شيء الا سألت
عنه وحفظته فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم اقول احاديث البدع اي الاحاديث المبتدعة
بعد الرسول ص المقولة عنه وما يبنى عليها من الافعال المبتدعة [illegible] عن آرائهم وتبوء مقعده نزله واستقر فيه وتلقف
عنه تناول منه عنه ووهم بالكسر غلط وبالفتح ذهب وهمه الى شيء وهو يريد غيره وجنبه تجنبه اخذ عنه جانبا وقوله ان في ايدي الناس الى
قوله وحفظا ووهما تعديد لانواع الكلام الواقع الى الناس نقلا عن الرسول ص والصدق والكذب من خواص الخبر والحق والباطل
اعم منهما لصدقهما على الافعال وعلى الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمتشابه وقد مضى تفسير هذه المفهومات واما الحفظ
فهو لما حفظ عن رسول الله كما هو والوهم ما غلط فيه مثلا انه عام وهو خاص او انه ثابت وهو منسوخ الى غير ذلك وقوله
قد كذب على رسول الله ص على عهده الى قوله النار فذلك الكذب نحو ما روي ان رجلا سرق رداء الرسول ص وخرج الى قومه
فقال هذا رداء محمد اعطانيه لتمكنوني من تلك المرأة واستنكروا ذلك فبعثوا من سأل الرسول ص عن ذلك فقام الرجل
الكاذب فشرب ماء فلدغته حية فمات وكان النبي ص حين سمع بتلك الحال قال لعلي خذ السيف وانطلق فان وجدته وقد كفيت
فاحرقه بالنار فجاء وامر باحراقه فكان ذلك سبب الخبر المذكور واعلم ان العلماء ذكروا في بيان انه لا بد ان يكذب عليه دليلا
فقالوا قد نقل عنه صلى الله عليه وآله قال سيكذب علي فان كان الخبر صادقا فلا بد ان يكذب عليه وان كان كذبا فقد
كذب عليه ثم شرع في قسمة رجال الحديث وقسمهم الى اربعة اقسام ودل على الحصر بقوله ليس لهم خامس ووجه الحصر في الاربعة
ان الناقل للحديث عنه ص المتسمين بالاسلام اما منافق او لا والثاني اما ان يكون قد وهم فيه او لا والثاني
اما ان لا يكون قد عرف ما يتعلق به من شرائط الرواية او يكون فالاول وهو المنافق ينقل كما اراد سواء كان اصل الحديث
كذبا وان له اصلا حرفه وزاد فيه ونقص بحسب هواه فهو [illegible] نقله تعمدا او نقصا والثاني يرويه كما فهم ووهم فهو ضال
مضل سهوا والثالث يروي ما سمع فضلا له واصلا له عرضى والرابع يرويه كما سمعه وكما هو فهو هاد مهدي فاشار الى القسم
الاول بقوله رجل منافق الى قوله فهذا احد الاربعة فقوله متصنع بالاسلام اي مظهر شعاره وقوله لا يتأثم اي لا يعرف ما له ثم
لزوم العقاب عليه في الآخرة فلا يجد منه وسبب دخول الشبهة في قبول قوله كونه ظاهر الاسلام والصحبة للرسول ص وسماع قوله
مع كون الناس لا يعلمون باطنه ونفاقه وما اخبر به الله تعالى عن المنافقين في الدرك الاسفل من النار وبما وصفهم به بقوله تعالى
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الآية دلت على وصفهم بالكذب في مطابقة عقائدهم لالسنتهم في الشهادة
بانه رسول حق ومن كان يعتقد انه غير رسول فانه مظنة الكذب عليه وائمة الضلالة بنو امية ودعاتهم الى النار دعاتهم الى
اتباعهم فيما يخالف الدين وذلك الاتباع مستلزم لدخول النار والزور والبهتان اشارة الى ما كانوا يتقربون به الى بني امية
من وضع الاخبار عن الرسول ص في تفضيلهم واخذهم على ذلك الاجر من اموالهم وتوليتهم الاعمال والامرة على الناس قوله
وانما الناس الى قوله الا من عصم الله اشارة الى علة فعل المنافق لما يفعل فظاهر ان حب الدنيا هو الغالب على الناس من المنافقين وغيرهم
لقربهم من المحسوس وجهلهم باحوال الآخرة وما يراد بهم من هذه الحيوة الا من هدى الله فعصمه مما يجذب في طريق هدايته اليه
من الامور الباطلة ونبه بقلتهم الى قلة الصالحين كما قال تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وقوله وقليل من عبادي
الشكور وانما قال ثم بقوا بعده عليه السلام ثم حكى حالهم مع ائمة الضلال وان كانت الائمة المشار اليهم لم يوجدوا بعد ما انزل
لما لابد منه من تلك المعلوم لدرايته الواقع واشارة الى من بقي منهم بعد الرسول ص وتقرب الى معاوية لانه اذ ذاك امام ضلالة
واشار الى القسم الثاني بقوله ورجل سمع من رسول الله ص شيئا لم يحفظه الى قوله لرفضه وذلك ان يسمع من الرسول ص كلاما
فيتصور منه معنى غير ما يريده الرسول ص ثم لا يحفظ اللفظ بعينه فيورده بعبارته هو الدالة على ما تصوره من المعنى فلا يكون قد حفظه
تصوره على وجهه المقصود للرسول ص فوهم ولم يتعمد كذبا بالوهم فهو في يديه يرويه ويعمل به على وفق ما تصوره منه ويسنده الى
الرسول ص وعلة دخول الشبهة على المسلمين فيه هو عدم علمهم بوهمه وعلة دخولها عليه في الرواية والعمل هو وهمه حين السماع
حتى لو علم ذلك لترك روايته والعمل به واشار الى القسم الثالث بقوله ورجل سمع الى قوله لرفضه وعلة دخول الشبهة
على الراوي وعلى المسلمين واحدة وهو عدم علمهم بانه منسوخ واشار الى القسم الرابع بقوله وآخر رابع الى قوله ومحكمه فقوله
وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه اي عمل بالعام فيما عدا صورة التخصيص وقوله ولقد كان يكون من رسول الله ص
الى قوله من اجله تنبيه على صحة القسم الثالث وداخل فيه فان منهم من كان يسمع الكلام ذي الوجهين منه خاص ومنه عام فلا

كقوله ان المنافقين

يبرء ان احدهما مختص بالاحوال ويجمع الكلام دون الخاص فينقل الكلام بوجه على غير معرفته معنا او لمن خرج على سبيل خاص فهو
مقصور عليه وانتقل بسببه فيعقد مقاما او اثرا فانيا ثانيا ولي دمي فقد اوتي بيدي فان شئت امضيت القصاص وان شئت عفوت
فان اعف فالعفو لي قربة وان افن فالفنا ميعادي فان شئتم فاقتلوا قاتلي وان شئتم ان تعفوا فالعفو لكم حسنة فاعفوا
لكنه ذكر فيه بقاءه وفناءه ثم عقبهما بذكر حكمهما مقربهن وانتبه لا يترى في معرض الندب الى العفو ترغيبا ثم اقسم انه ما
فجأه من الموت وارد كرهه ولا طالع انكره وصدقه في ذلك ظاهر لانه كان سيد الاولياء بعد سيد الانبياء ومن خواص اولياء
الله شديد محبته لله والمشوق البالغ الى ما اعد لاوليائه في جنات عدن ومن كان كذلك كيف يكره وارد الموت الذي هو باب
وصوله الى محابه واشرف مطالبه التي فلح وفقه في السعي لها وهي المطالب الحقة الباقية وكيف ينكره وهو دايم الترصد له والاستعداد
والذكر له ثم شبه نفسه في هجوم الموت عليه ووصوله بسببه الى ما اعد له من الخيرات الباقية بالقارب الذي ورد الماء ووجه
التشبيه استقرابه لتلك الخيرات وشوقه اليها وانسه لها لسببها آفات الدنيا وشدايد الموت كما يستسهل القارب عند
وروده الماء ما كان يجده من شدة العطش وتعب الطريق ويستلذ به الى تشبيه تلك الخيرات بالماء وكذلك شبه نفسه بالطالب
الواجد لما يطلبه ووجه التشبيه كونه قرت عينه بما ظفر به من مطالبه الاخروية كما يطيب نفس الطالب للشيء به اذا وجده و
ظاهر ان طيب النفس وبهجتها بما يصيبه من مطالبها بما يتفاوت المطالب في العزة والنفاسة ولما كانت المطالب الاخروية
اهم المطالب واعظمها قدرا واعزها جوهرا اوجب ان يكون تبجحه بنفسه بها وقرة عينه بما اصابه منها اتم كل مطلوب ثم
اقتبس الآية منبها بعد ان مطلوبه منبها بها على ان مطلوبه في الدنيا لم يكن الا ما عند الله الذي هو خير للاولياء الابرار
من كل مطلوب يطلب وبالله التوفيق **ومن وصية له عليه السلام** بما يعمل في امواله كتبها بعد منصرفه من
صفين هذا ما امر به علي امير المؤمنين في امواله ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويعطيني الامنة منها وانه يقوم بذلك
الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف وينفق منه في المعروف فان حدث بحسن حدث وحسين حي قام بالامر بعده واصدره مصدره
وان لابني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي وانما جعلت القيام بذلك الى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله وقربة الى رسول
الله وتكريما لحرمته وتشريفا لوصلته ويشترط على الذي يجعله اليه ان يترك المال على اصوله وينفق من ثمره حيث امر به وهدي
له وان لا يبيع من اولاد نخيل هذه القرى ودية حتى تشكل ارضها غراسا ومن كان من امائي اللاتي اطوف عليهن لها
ولد او هي حامل فتمسك على ولدها وهي من حظه فان مات ولدها وهي حية فهي عتيقة قد افرج عنها الرق وحررها العتق
قال السيد قوله عليه السلام في هذه الوصية فلا يبيع من نخلها ودية فان الودية الفسيلة وجمعها ودي وقوله حتى تشكل ارضها غراسا
هو من افصح الكلام والمراد به ان الارض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير الصفة التي عرفها فيشكل عليه امرها
ويحسبها غيرها **اقول** روينا هذه الوصية بروايات مختلفة بالزيادة والنقصان وقد حذف السيد منها فصولا ولنوردها
برواية يغلب على الظن صدقها عن عبد الرحمن بن الحجاج قال بعث الي بهذه الوصية ابو ابراهيم هذا ما اوصى به وقضى في ماله
عبد الله علي ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويصرفني به عن النار يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ان ما كان لي بينبع من مال
يعرف لي فيها وما حولها صدقة ورقيقها غير ابي رباح وابي نيزر وجبير عتقاء ليس لاحد عليهم سبيل فهم موالي يعملون في المال خمس
حجج وفيه نفقتهم ورزقهم ورزق اهاليهم ومع ذلك ما كان لي بوادي القرى كله مال بني فاطمة ورقيقها صدقة وما كان لي
بديمة واهلها صدقة غير ان رقيقها لهم مثل ما كتبت لاصحابهم وما كان لي بأذينة واهلها صدقة والفقيرين كما قد علمتم صدقة في سبيل
الله وان الذي كتبت به من اموالي هذه صدقة واجبة بتلة حيا انا كنت او ميتا ينفق في كل نفقة ابتغي بها وجه الله في سبيل الله ووجهه وذوي
الرحم من بني هاشم وبني المطلب القريب والبعيد وانه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف وينفقه حيث يريد الله في كل
محلل لا حرج عليه فيه وان اراد ان يبيع نصيبا من المال فيقضي به الدين فليفعل ان شاء لا حرج عليه فيه وان شاء جعله من الملك و
ان ولد علي ومواليهم واموالهم الى الحسن بن علي وان كانت دار الحسن غير دار الصدقة فبدا له ان يبيعها فليبعها ان شاء لا حرج عليه فيه فان باع
فانه يقسمها ثلاثة اثلاث فيجعل ثلثا في سبيل الله ويجعل ثلثا في بني هاشم وبني المطلب ويجعل الثلث في آل ابي طالب وانه
يضعه فيهم حيث يريد الله ثم يتصل بقوله وان حدث بحسن حدث وحسين حي فانه الى حسين بن علي وان حسينا يفعل فيه الذي امرته به
مثل الذي كتب للحسن وعليه مثل الذي على الحسن ثم يتصل بقوله وان الذي لبني فاطمة الى قوله وتشريفا لوصلته ثم يقول وان حدث
بحسن وحسين حدث فان الآخر منهما ان ينظر في بني علي فان وجد فيهم من يرضى بهديه واسلامه وامانته فانه يجعله اليه ان شاء
وان لم ير فيهم بعض الذي يريد فانه يجعله في بني ابني فاطمة فيجعله الى من يرضى بهديه واسلامه وامانته وانه شرط على
الذي يجعله اليه ان يترك المال على اصوله وينفق من ثمره حيث امره الله من سبيل الله ووجوهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب و

كلام له في اعمال الصدقات

والغريب والبعيد وان لا يبيع من اولاد نخيل هذه القرى الى اخره ثم يقول لنسوله لا حد عليها سبيل هذا ما قضى علي في امواله هذه
يوم قدم مسكن ابتغاء وجه الله والدار الاخرة لا يباع منه شيء ولا يوهب ولا يورث والله المستعان على كل حال ولا يحل لامرئ مسلم
يؤمن بالله واليوم الاخر ان يغير شيئا مما اوصيت به في مال ولا يخالف فيه امري من قريب او بعيد وشهد هذا ابو شمر بن ابرهة
وصعصعة بن صوحان وسعيد بن قيس وهياج بن ابي الهياج وكتب علي بن ابي طالب بيده لعشر خلون من جمادى الاولى سنة سبع وثلاثين
ويجعله في خلفه والامثل الامثل ويجعلها حرة واكثر هذه الوصية واضح غني عن الشرح وغرضه منها امور الاولى جواز الوصية والوقف
على هذا الوجه وتعليم الناس كيفية ذلك الثانية قوله ياكل منه بالمعروف اي على حد الاقتصاد ولكن يحل له من غير اسراف و
تبذير ولا بخل وتقتير وينفق منه في المعروف اي في وجوه البر المتعارفة غير المنكرة في الدين الثالثة قوله فان حدث بحسن
حدث كناية عن الموت والامر يحتمل ان يريد به امره بما امره به ووصاه من تنفيذه واجرائه في موارده ويحتمل ان يريد به خلافة الامر
التي امر بالتصرف فيها ومنها الرابعة الضمير في قوله بعد الحسن في اصدره للامر الذي يقوم به فاما الضمير الذي في مصدره فيحتمل
وجهين احدهما عوده الى الحسن وتقديره واصدره الحسين الامر كما اصدره الحسن له ونفى المال كقضائنا ومصدره المصدر الاصدار
كقوله والله انبتكم من الارض نباتا اي انباتا ويحتمل ان يكون المصدر بمحل الاصدار اي واصدره في محل اصداره الثاني ويحتمل
ان يعود الى الامر الذي وصى به ويكون المعنى ويضع كل شيء موضعه الخامسة قوله ان يترك المال على اصوله كناية عن عدم
اخراجه ببيع او هبة او بوجه من وجوه التمليكات السادسة قوله وان لا يبيع من اولاد نخل هذه القرى ودية حتى تشكل ارضها
غراسا والحكمة في ذلك وجهان احدهما ان الارض قبل ان تشكل غراسا ربما يموت فيها ما يحتاج الى الخلف فينبغي ان لا يباع
من فسيلها شيء حتى تكمل غراسا وتثبت بحيث لا يحتاج الى شيء الثاني ان النخلة قبل ان تشكل ارضها يكون بعد غير مستحكمة
الجذع ولا مشيدة فلو قلع فسيلها من تحتها ضعفت جدا حتى لا تكاد تنجب فاما اذا قويت واشتدت لم يكن في قلعها
فسيلها كثير مضرة وذلك حين تشكل ارضها وتتكامل غراسها والتبس على الناظر حسبما فسره السيد السابعة امره
بالطواف على امائه عن نكاح محصن وكن يومئذ سبع عشرة منهن امهات اولاد احياء معهن ومنهن حبالى ومنهن لا ولد لها
فقضى فيهن ان حدث به حادث الموت ان من كانت منهن ليس لها ولد ولا حبلى فهي عتيق لوجه الله لا سبيل لاحد عليها
ومن كان منهن لها ولد او هي حبلى فتمسك على ولدها وهي من حظه اي تلزمه بحسب ثمنها من حصته ويعتق عليه فان
مات ولدها وهي حية فهي عتيق لا سبيل لاحد عليها بقضائه ان تكون ام الولد محسوبة من حظ ولدها وتعتق من مال
ولدها من ابنه بعد موته بناء على مذهبه في بقاء ام الولد على الرق بعد موت سيدها المستولد ويصح بيعها وهو
مذهب الامامية وقول قديم للشافعي وفي الجديد انها تعتق بموت سيدها المستولد ولا يجوز بيعها وعليه اتفق
فقهاء الجمهور حتى لو حكم قاض بصحة بيعها فالمختار من مذهب الشافعي انه ينقض قضاؤه وبالله التوفيق

ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكرنا منها جملا ليعلم
بها انه عليه السلام كان يقيم عماد الحق ويشرع امثلة العدل في صغير الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها انطلق على تقوى الله
وحده لا شريك له ولا تروعن ولا تجتازن عليه كارها ولا تاخذن منه اكثر من حق الله في ماله فاذا قدمت على الحي
فانزل بمائهم من غير ان تخالط ابياتهم ثم امض اليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم فلا تخدج بالتحية لهم
ثم تقول عباد الله ارسلني اليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في اموالكم فهل لله في اموالكم من حق فتؤدوه
الى وليه فان قال قائل لا فلا تراجعه وان انعم لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه او توعده او تعسفه او ترهقه فخذ ما
اعطاك من ذهب او فضة فان كانت له ماشية او ابل فلا تدخلها الا باذنه فان اكثرها له فاذا اتيتها فلا تدخلها دخول متسلط
عليه ولا عنيف به ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعنها ولا تسوءن صاحبها فيها واصدع المال صدعين ثم خيره فاذا اختار فلا تعرضن
لما اختاره ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فاذا اختار فلا تعرضن لما اختاره ولا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء
لحق الله في ماله فاقبض حق الله منه فان استقالك فاقله ثم اخلطهما ثم اصنع مثل الذي صنعت اولا حتى تاخذ حق
الله في ماله ولا تاخذن عودا ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار ولا تامنن عليها الا من تثق بدينه رافقا بمال
المسلمين حتى توصله الى وليهم فيقسمه بينهم ولا توكل بها الا ناصحا شفيقا وامينا حفيظا غير معنف ولا مجحف ولا
ملغب ولا متعب ثم احدر الينا ما اجتمع عندك نصيره حيث امر الله به فاذا اخذها امينك فاوعز اليه الا يحول بين
ناقة وبين فصيلها ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بولدها ولا يجهدنها ركوبا وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها وليرفه على
اللاغب وليستان بالنقب والظالع وليوردها ما تمر به من الغدر ولا يعدل بها عن نبت الارض الى جواد الطرق وليروحها في

في كيفية استعمال الصدقات وما يلحق بها

في الساعات وليمهلها عند النطاف والاعشاب حتى تاتينا باذن الله بدنا منقيات غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب الله
وسنة نبيه فان ذلك اعظم لاجرك واقرب لرشدك ان شاء الله اقول روعها افزعها والاخراج التخيير اي لا تنقصها وروي يخلج بالخبيثة من
الصحاح اذا اقل فطرها وانعم لراي قال النعم والعسف الاخذ بشدة وعلى غير تدبير والارهاق تكليف العسر والماشية الغنم والبقر و
العنيف الذي لا رفق له وصدع المال صدعين قسمه بقسمين والعود المسن من الابل وهو الذي جاوز في السن البازل والهرمة العالية
السن والمكسورة التي انكسرت احدى قوائمها والمهلوسة التي بها الهلاس وهو السل والعوار بالفتح العيب وقد يضم والمجحف الذي
يسوق المال سوقا عنيفا يذهب بلحمه والملغب المتعب واللغوب الاعياء واوعز اليه تقدم اليه [؟] يحال بين الشيئين حجز و
المصر حلب كل ما في الضرع من اللبن والتمصر حلب بقايا اللبن فيه والترفيه الاراحة واستان اي ارفق والنقب النقب رقة اخفافه
والغدر جمع غدير الماء والنطاف المياه القليلة والاعشاب جمع عشب وهو النبات والبدن السمان الواحد بادن والمنقيات ذوات
من سمنها ذات نقي وهو مخ العظام وشحم العين والنقي كل عظم ذي مخ نقي والوصية مشتملة على تعليم عامله على جباية الصدقات
قوانين العدل في اهلها ومداراتهم والرفق بهم واعلم ان الرفق بالرعية وان كان من اهم المطالب للشارع صلى الله عليه وآله لاستلزامه
تالف قلوبهم واجتماعها عليه على ما جاء به من الحق الا انه هاهنا اهم والحاجة اليه اشد لان ذلك الغرض هنا اخذ بعض ما هو غاية المطالب
عند الناس من ايديهم وهو المال ومشاركتهم فيه فلو نفرتهم هنا اقرب الى الفرار مما يدعون اليه من سائر التكاليف وهم الى المداراة
والرفق اشد حاجة فلذلك كذا وثبته العامل على ترفيههم والمساهلة معهم حفظا لقلوبهم وفي الوصية مواضع الاول امره بالانطلاق
معتمدا على تقوى الله غير مشرك في تقواه غيره ولا موجه نيته في انطلاقه الى سواه لان تركه فقدان حكمة من جملة العبادات التي لا بد
فيها من الاخلاص الثاني لا يفزع مسلما كما هو عادة الولاة الظالمين وان لا يجتاز عليه كارها اي لا يختار شيئا من ابله او ماشيته
وهو كاره لاختياره وروي ولا يجتاز بالحيمي ولا يمر على ارض مسلم ومواشيه [؟] ان لم يرد عليها او بها وانتصب كارها على الحال
من الضمير المجرور الثالث امره اذا نزل بقبيلة ان ينزل بمائهم لان من عادة العرب ان تكون مياههم بارزة عن بيوتهم ولان لا يخالط بيوتهم لما
في ذلك من المشقة عليهم بما يتكلفونه له الرابع قوله ثم امض اليهم الى قوله ولا تسوءن صاحبها فيها تاديب له بما ينبغي ان يفعله في حقهم مما
يبلغ الرسالة وتعليم لاسباب الشفقة عليهم من الافعال كالسكينة والوقار والقيام فيهم ومن الاقوال كالسلام واداء الرسالة ونحو
الاقوال كاتمام التحية والترفق في القول ومنه قوله كان لا يخيف المسلم ولا يتوعده ولا يعسفه ولا يرهقه عسرا ولا يدخل ابله وما شيته
من غير اذنه ولا يدخلها دخول متسلط ولا جبار ولا عنيف وان لا ينفر بهيمة ولا يفزعها ولا يسوء صاحبها فيها بضرب ونحوه لما في ذلك
كله من اذى صاحبها وتنفير قلبه المضاد لمطلوب الشارع الخامس نهى عن دخولها بغير اذن صاحبها فان اكثرها له والكلام
في قوة صغرى قياس ضميري من الشكل الاول بيانه حسن هذا النهي وتقدير كبراه فكل من كان اكثر المال له فهو اولى بالتصرف
والحكم في المال فيلزم ان لا يتصرف غيره فيه ودخوله الا باذنه السادس قوله واصدع المال الى قوله ثم اصنع مثل ذلك تعليم لكيفية اخذ
الصدقة التي في الابل والماشية وهو ان يفرق الابل والماشية عند اختلاط الكل فرقتين ثم يخيره فان اختار قسما فلا يتعرض
فيه وليس له ان يستانف فيه نظرا اخر وكذلك يقسم الصدع الباقي بصدعين ولا يزال يفعل كذلك حتى ينتهي الى ما فيه وفاء لحق الله
مقدار الواجب من حق الله تعالى من ذلك المال وفي تقديم تخييره [؟] مقدار الواجب ودونه [؟] ويجعل لرب المال
اختيار احد الصدعين والاقالة ان استقاله من اخذ ذلك للقسمة تسكينا لقلبه وجبرا لمن نقص ماله السابع نهاه ان ياخذ
في مال الله ما كان باحد الصفات المذكورة كالعود والهرمة والمكسورة والمهلوسة والمعيبة بكثيره ونحوه مراعاة لحق الله تعالى وجبر الحال
مصارفه وهم الاصناف الثمانية الذين عدهم الله تعالى في كتابه الكريم من الفقراء والمساكين وغيرهم قال قطب الدين الراوندي
ره انظر من كلامه اشتراك [؟] بامره باخراج كل واحد من هذه الاصناف المعيبة من المال بل ان يصدع صدعين [؟] الثامن نهاه ان
يامن عليها ويوكل بحفظها وسوقها الا من يثق بدينه رافقا بمال المسلمين وانما من نفسه بحفظه حتى يسلمه الى وليهم يعني نفسه ويكون ناصحا
لله ورسوله شفيقا اي على ما يقوم عليه واميناً حفيظا عليه غير عنيف ولا مجحف ولا متعب له وذلك من الامور اللازمة في حفظ
الواجب في حق الله تعالى التاسع امره ان يحمل اليه ما يجتمع معه ولا يؤخره لامرين احدهما الحاجة الى صرفه في مصارفه الثاني الخوف
من تلفه واحد اسباب التلف قبل الانتفاع به العاشر [؟] الوصية بحال البهائم وهو ان يامر امينه عند تسليم المال ان لا يحول
بين ناقة وفصيلها ولا يحلب جميع لبنها لان ذلك يضر بالولد ولا يجهدها ركوبا وبعضها بين صواحبها لان ذلك مما
بين ركوبها والعدل بينها في ذلك مما قيل معرضوا الركوب وهو من الشفقة الطبيعية وكذلك الترفيه على اللاغب والتاني بالناقب
والظالع وكذلك ان يوردها ما يمر به من الماء ولا يعدل بها الى جواد الطرق وكذلك الترويح للغاية التي ذكرها وهو ان ياتي بحال السمن و
الراحة وانما قال لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه وان كان ذلك معلوما من حاله لانه لما بالغ في الوصية بحالها فربما سبق

ذميه تخلج

عنده من عليهم

فيجيبه

اي بعض لا ربعها

الى بعض الاوهام الفاسدة ان ذلك لغرض يختص به يخالف السنة ثم رغبه في ذلك بكونه اعظم لاجره عند الله واقرب لصلاحه
وسداده بطريق الله وهو ظاهر اما انه اعظم لاجره فلكونه اكثر مشقة واكثرية الثواب تابعة لاكثرية المشقة واما انه اقرب لرشده فلسلوكه
في ذلك على الشريعة والقدوة به صلى الله عليه وآله الذي لم يكن عادلا بربه وبالله التوفيق ومن عهد له عليه السلام الى بعض عماله وقد
بعثه على الصدقة آمره بتقوى الله في سرائر اموره وخفيات اعماله حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه وآمره ان لا يعمل بشيء من طاعة
الله فيما ظهر فيخالف الى غيره فيما اسر ومن لم يختلف سره وعلانيته وفعله ومقالته فقد ادى الامانة واخلص العبادة وآمره
ان لا يجبههم ولا يعضههم ولا يرغب عنهم تفضلا بالامارة عليهم فانهم الاخوان في الدين والاعوان على استخراج الحقوق وان لك في
هذه الصدقة نصيبا مفروضا وحقا معلوما وشركاء اهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة وانا موفوك حقك فوفهم حقوقهم والا فانك
من اكثر الناس يوم القيامة خصوما وبؤسا لمن خصمه عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل
ومن استهان بالامانة ورتع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد احل بنفسه في الدنيا الخزي وهو في الآخرة اذل واخزى وان اعظم
الخيانة خيانة الامة وافظع الغش غش الائمة والسلام اقول يقال جبهته بالمكروه اذا استقبلته وعضهه عضها رميته بالبهتان والكذب
والفاقة والبؤس الشدة والفظيع الشديد وقد امره باوامر بعضها يتعلق باداء حق الله وبعضها باحوال الرعية والشفقة عليهم لغاية
نظام حالهم وتدبير امورهم فالذي يتعلق بحق الله تعالى سبحانه امران احدهما ان يتقيه فيما يسر من اموره ويخفى من اعماله وهي التقوى الحقيقية
المنتفع بها وقوله حيث اشارة الى موضع اسرار العمل واخفاء الامور واتى بقوله لا شهيد غيره ولا وكيل دونه في معرض الوعد
له والتخويف باطلاعه تعالى على سرائر العباد وخفيات اعمالهم وتوليه لها دون غيره وبينه لكونه هو الشهيد دون غيره على
عظمته مع الرئيس لما عسى ان يحكم بينه وهم ممكنون لسرائر والامور الخفية لا يطلع عليها غيره من هي له الثاني ان يوافق في طاعته
الله تعالى بين ما اظهره منها وما ابطنه ويخلص اعماله الظاهرة من الرياء والسمعة وذلك قوله وآمره ان لا يعمل الى قوله فيما اسر وما في
قوله بمعنى الذي ويحتمل ان تكون مصدرية وفيما ظهر بدل من طاعة الله وقوله ومن لم يختلف الى قوله العبادة ترغيب له فيما
امره به من عدم اختلاف السر والعلانية والفعل والقول بكون ذلك مستلزما للاخلاص في عبادة الله وللاداء للامانة التي دفعها
عباده على السنة رسله وائمة دينه وظاهر كون ذلك مستلزما للثواب لله والامن من سخطه واما ما يتعلق باحوال الرعية
والشفقة عليهم فمنه ما يتعلق بحال ارباب الاموال الذين يستحق عليهم الصدقة ومنه ما يتعلق بارباب الصدقة المستحقين لها
اما الاول فان لا يلقاهم بمكروه ولا يرميهم ببهتان وكذب وان لا يعرض عنهم مترفعا عليهم تفضيلا لنفسه بالامارة وانتصب تفضيلا
على المفعول له وقوله فانهم الاخوان الى قوله الحقوق اشارة الى الحجة بقياس ضمير من الشكل الاول لبيان حسن الانتهاء على امره
بالانتهاء عنه وجوابه والمذكور في قوة صغرى وتقدير الكبرى وكل من كان اخا في الدين وعونا على استخراج الحقوق فلان
الحقوق المطلوبة انما تحصل بهم وبحصولها منهم ايتمانهم بالشفقة عليهم وان لا يفعل معهم شيئا مما نهى عنه فان كل
تلك الامور مما ينفر طباعهم ويشتت نظام شملهم ومنه يكون قلة مال الصدقة والمستحقة عليهم ويحتمل ان يدخل في هؤلاء
الجند ايضا واما ما يتعلق بالمستحقين للصدقة فان يوفيهم حقوقهم منها واشار الى الحجة على وجوب ذلك عليه بقوله وان لك
الى قوله وانا موفوك حقك وهو في قوة صغرى ضمير من الشكل الاول تقدير كبراه وكل من كان له نصيب مفروض وحق معلوم في شيء وله
شركاء فيه بصفة الفقر والمسكنة وهو موفون لحقه منه فواجب عليه ان يوفي شركاءه حقوقهم اما الصغرى فظ واما الكبرى فاشار الى
بيانها بقياس آخر من الشكل الاول مركب من متصلتين فاشار الى الصغرى بقوله والا الى قوله يوم القيامة ونبه على الكبرى بقوله وبؤسا
الى قوله وابن السبيل وهي قوله اذ الاصناف المذكورون من مستحقي الصدقة هم الخصوم وهم اكثر الناس وكان الاوسط متحدا وصار
تقدير القياس والا توفهم حقهم فانك من خصومه اكثر الناس اي الفقراء والمساكين ثم الاصناف المذكورة عند الله وهو يوم
القيامة فبؤسا له عند الله يوم القيامة وينتج متصلة مركبة من مقدم الصغرى وتالي الكبرى وهي الا توفهم حقهم فبؤسا لك وهو في معرض
التهديد والتنفير له عن ظلمهم والاستبداد عليهم بشيء من الصدقة وشركاء عطف على قوله حقا معلوما واهل المسكنة صفة له وبؤسا
نصب على المصدر واما الاصناف المستحقين للصدقات فهم الثمانية المعدودة في القرآن الكريم بقوله انما الصدقات للفقراء الى قوله
وابن السبيل فاما الفقير فقال ابن عباس وجماعة من المفسرين انه المتعفف الذي لا يسأل والمسكين هو الذي يسأل وعن الاصمعي ان
الفقير هو الذي له ما يأكل والمسكين هو الذي لا شيء له واما العاملون عليها فهم السعاة في جباية الصدقات ويعطيهم الامام منها
بقدر اجور امثالهم واما المؤلفة قلوبهم فكانوا قوما من اشراف العرب يتألفهم رسول الله صلى الله عليه وآله في مبدأ الاسلام ويعطيهم سهما من الزكوة
ليدفعوا عنه قومهم ويعينوه على العدو كالعباس بن مرداس وعيينة بن حصن وغيرهما ثم استغنى المسلمون عن ذلك عند قوتهم
واما في الرقاب اي في فداء الرقاب فقال ابن عباس يريد المكاتبين وكانوا يعطون سهما ليعتقوا به واما الغارمون فهم الذين

ثم منهم الذين يعطون في غير معصية ولا اسراف واما في سبيل الله فمنهم الغزاة والمرابطون واما ابن السبيل فهو المنقطع به في السفر ويعطى من الصدقة
وان كان غنيا في بلده وقد ذكرناهما في موضع بحثا الشفقة والرحمة لهم وهم الفقراء والمساكين ويدخل فيه السائلون ثم
المدفوعون ويشترط بعضهم العاملين عليها وسماهم مدفوعين باعتبار انهم يدفعون لتجبا الصدقات ولانهم اذا اتوا الى من
زكوة عليه منا لوه هل عليه زكوة ام لا دفعهم عن نفسه وذكرهم هنا بهذا الوصف لكونه وصفا لازما لهم وكونه في معرض الامر
بالشفقة عليهم قال بعض الشارحين اراد بهم الفقراء السائلين لكونهم يدفعون عند السؤال ثم الغارم وابن السبيل وانما ذكرها الا
الخمسة او الاربعة لكونهم اضعف حالا من الباقين وقوله انتهاها الى قوله ولحري ان يكون كبرى قياس ضمير احتج به في معرض
الوعيد والتخويف من الخيانة على لزوم الذل والخزي لها في الدارين على تقدير انه لا يوفيهم حقوقهم وتقدير الصغرى والا يوفهم حقوقهم
يكن متهما بالامانة ومرتعا في الخيانة غير منزه نفسك ودينك عنها وكل من كان كذلك فقد احل بنفسه في الدنيا الذل وهو
في الاخرة اذل واخزى وقوله احل بنفسه اي ترك ما ينبغي لها ورضي واحل نفسه اي اخلها اليها والدال على هاتين الروايتين مثل الذي خبره
في الدنيا والخيانة اعم من الغش وهي رذيلة التفريط من فضيلة الامانة والغش رذيلة يقابل فضيلة النصيحة وفساد احلنا ان يخص رذيلة
الغش وقوله وان اعظم الخيانة الى اخره تنبيه على عظم الخيانة هيهنا اذ كانت خيانة كلية عامة الضرر لاكثر المسلمين ومستلزمة
لغش الامام الذي هو افضل الناس والائمة بالنصيحة فاذا كان مطلق الخيانة ولو في حق الخلق واحقر الاشياء منهيا عنها ويستحق
العقاب والخزي عليها فبالاولى مثل هذه الخيانة العظيمة وكل ذلك في معرض الوعيد والتنفير عن الخيانة والاستهانة بالامانة وبالله
التوفيق **ومن عهد له عليه السلام** الى محمد بن ابي بكر رض لما قلده مصر فاخفض لهم جناحك والن لهم جانبك وابسط لهم
وجهك واس بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم فان الله تعالى يسائلكم معشر
عباده عن الصغيرة من اعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة فان يعذب فانتم اظلم وان يعف فهو اكرم واعلموا عباد الله ان المتقين
ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الاخرة فشاركوا اهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم اهل الدنيا في اخرتهم سكنوا الدنيا بافضل
ما سكنت واكلوها بافضل ما اكلت فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون واخذوا منها ما اخذه الجبابرة المتكبرون ثم انقلبوا
عنها بالزاد المبلغ والمتجر المربح اصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم وتيقنوا انهم جيران الله غدا في اخرتهم لا ترد لهم دعوة ولا
ينقص لهم نصيب من لذة فاحذروا عباد الله الموت وقربه واعدوا له عدته فانه يأتي بامر عظيم وخطب جليل بخير لا يكون معه شر ابدا
او شر لا يكون معه خير ابدا فمن اقرب الى الجنة من عاملها ومن اقرب الى النار من عاملها وانتم طرداء الموت ان اقمتم له اخذكم وان فررتم
منه ادرككم وهو الزم لكم من ظلكم الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم فاحذروا نارا قعرها بعيد وحرها
شديد وعذابها جديد دار ليس فيها رحمة ولا تسمع فيها دعوة ولا تفرج فيها كربة وان استطعتم ان يشتد خوفكم من
الله وان يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما فان العبد انما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه وان احسن الناس ظنا بالله
اشدهم خوفا لله واعلم يا محمد بن ابي بكر اني قد وليتك اعظم اجنادي في نفسي اهل مصر فانت محقوق ان تخالف على نفسك وان
تنافح عن دينك ولو لم يكن لك الا ساعة من الدهر ولا تسخط الله برضا احد من خلقه فان في الله خلفا من غيره وليس من الله خلف
في غيره صل الصلوة لوقتها الموقت لها ولا تعجل وقتها لفراغ ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال واعلم ان كل شيء من عملك تبع لصلوتك
اقول قلده الامر جعله في عنقه كالقلادة واللفظ مستعار وحظي من كذا اي صار له منه حظوة وهي المنزلة والحظ الوافر و
الجبابرة البالغون في التكبر والطرداء جمع طريد وهو ما يطرد من صيد والخلف العوض وهذا الفصل من العهد ملتقط من كلام طويل
ومداره على امور الاول وصيته لمحمد رض بمكارم الاخلاق في حق رعيته وذكر اوامر احدها امره بخفض الجناح قيل واصله ان الطائر يمد
جناحيه ويخفضهما ليجمع فراخه تحتهما ليحفظها فاستعمل كناية عن التواضع الكائن عن الرحمة والشفقة كما قال تعالى واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقد بينا ان التواضع ملكة فضيلة العفة الثاني امره بالانة جانبه كناية عن الرفق بهم والانقياد
لا الافعال وعدم الغلظة عليهم والجفاوة في حقهم في كل الاحوال وهو قريب من التواضع ومن لوازمه الثالث امره ان يبسط لهم وجهه
وهو كناية عن لقائهم بالبشاشة والطلاقة متنزها عن تقطيب وعبوس وهو من لوازم التواضع ايضا الرابع ان يواسي بينهم في النظرة واللحظة
وهي خصيصة من النظرة وهو كناية عن الاستقصاء في العدل بينهم في جليل الامور وحقيرها وقليلها وكثيرها وقوله حتى لا يطمع الى
قوله عليهم بيان وجه الحكمة في امره بالمساواة بينهم في اللحظة والنظرة على حقارتهما فان قلت فلم خص العظماء بالطمع
في الحيف والضعفاء باليأس من العدل قلت لان العادة ان الولاة والامراء انما يخصون بالنظرة والاقبال بالبشاشة الاغنياء
والعظماء دون الضعفاء وذلك التخصيص مستلزم لطمعهم ان يخافهم والاعراض عن الضعفاء مستلزم لليأس من العدل في
حقهم والضمير في قوله عليهم يرجع الى العظماء الثاني الوعيد للعباد بسؤال الله لهم عن صغير اعمالهم وكبيرها وظاهرها ومستورها

امل سـ

الموت م

والاعلام بانهم

في ان مواد الاجرام الارضية والسماوية الماء

والاعلام بانهم مظنة غضبه ابتداءً لهم بمعصيته والبادي اظلم قال الراوندي المراد بالظالم الظالم قلت ويحتمل ان يكون قد سمى مجازيهم
بمعنى لعدل بما يجازيهم ظلماً مجازاً لمشابهته الظلم في الكيفية والصورة كما سمى في القصاص اعتداء في قوله فاعتدوا عليه بمثل ما
اعتدى عليكم ثم نسب اليه فعلهم فيصدق اذن افعل التفضيل باعتبار كونهم بدأوا بالمعصية وكذلك الاعلام بانه نعم مظنة الكرم
والعفو عنهم الثالث اعلامهم بما ينبغي لهم من استعمال الدنيا والتنبيه على كيفية استعمالها الواجب بوصف حال المتقين فيها البغية
وهي ما اخبر عنه بقوله ذهبوا بعاجل الدنيا الى قوله ولا ينقص لهم نصيب من لذة وخلاصة حالهم المذكورة انهم اكثر فائدة
من اهل الدنيا ويحصلون اللذة في دنياهم على افضل ما يحصل لاهلها من لذة انهم بها مع زيادة الفوز الاكبر في الاخرة بما وعد فيها
المتقون واعلم ان الذي يشير اليه من عاجل الدنيا في حق المتقين الذين شاركوا اهلها فيها وحظوا به المترفون واخذه
الجبابرة المتكبرون هو ما حصلوا عليه من لذات الدنيا المباح لهم بقدر ضروراتهم وحاجتهم كما روي عنه في صفتهم بلفظ
اخر شاركوا اهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم اهل الدنيا في اخرتهم اباحهم الله في الدنيا ما كفاهم وبه اغناهم قال الله عز اسمه
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الاية سكنوا من الدنيا بافضل ما سكنت واكلوها بافضل ما اكلت شاركوا
اهل الدنيا دنياهم فاكلوا معهم من طيبات ما ياكلون وشربوا من طيبات ما يشربون ولبسوا من افضل ما يلبسون وتزوجوا من
افضل ما يتزوجون وركبوا من افضل ما يركبون اصابوا لذة الدنيا مع اهل الدنيا وهم فيها جيران الله غداً يتمنون عليه فيعطيهم ما
يتمنون لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيباً من لذة فاما وجه كونهم اكلوها على افضل ما اكلت وسكنوها بافضل ما سكنت
فلانهم استعملوها على الوجه الذي ينبغي لهم وبقدر ما امروا باستعمالها عليه وظاهر ان ذلك الوجه افضل الوجوه واما انهم ساووا
اهل الدنيا في طيباتها فظاهر بل نقول ان لذتهم بما استعملوا منها اتم واكمل وذلك ان كل ما استعملوه منها من ماكول ومشروب
ومنكوح ومركوب انما كان عند الحاجة والضرورة اليه وقد علمت ان الحاجة الى الملك لما كانت اشد واقوى كانت اللذة به عند
حصوله اتم واعلى ونحو ذلك من الامور الوجدانية فثبت اذن انهم حصلوا منها بما حظي به المترفون واخذوا منها ما اخذه الجبابرة المتكبرون
مع ما فعلوا به من الحصول على نعيم الاخرة الذي لم يشاركهم اهل الدنيا فيه لقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة
من نصيب ثم الزاد المبلغ لهم الى ساحل العزة وحضرة الجلال هو التقوى الذي انصفوا به كما قال الله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وقد
علمت وجه كونه زاداً غير مرة واستعار للتقوى والطاعة لفظ المتجر باعتبار كونها الغاية المقصودة منها استعاضة ثواب الله المشبه بالثمن ورشح بذكر
الربح فيتصف مقصوراً على السبب لا يعمل به فيما عدا صورة السبب فيعتبر الناس في ذلك كل اصحاب سؤال رسول الله الى امره جواب سؤال يعقد
كان يقع فكيف يقع الاشتباه عليهم في قوله مع كثرتهم وتواضعهم فلا يسألونه فاجاب انهم ليسوا بسرهم كانوا يحبون لونه لاحترامهم له وتعظيمه
في قلوبهم وانما كان ذلك لا من حتى كانوا يحبون ان يجيء الاعرابي او الطاري فيسال الرجل فيسمعوا ويفتح لهم باب السؤال وينبه على انه
كان يستفهم في سؤال الرسول صلى الله عليه وآله عن كل ما يشتبه ويحفظ جوابه ليرجع الناس الى فضيلته والاقتباس من انواره **ومن خطبة**
له عليه السلام وكان من اقتدار جبروته وبديع لطائف صنعته ان جعل من ماء البحر الزاخر المتراكم المتقاصف يبساً جامداً ثم فطر
منه اطباقاً ففتقها سبع سموات بعد ارتتاقها فاستمسكت بامره وقامت على حده يحملها الاخضر المثعنجر والقمقام المسخر قد ذل لامره
واذعن لهيبته ووقف الجاري منه لخشيته وجبل جلاميدها ونشوز متونها واطوادها فارساها في مراسيها والزمها قراراتها
فمضت رؤوسها في الهواء ورست اصولها في الماء فانهد جبالها عن سهولها واساخ قواعدها في متون اقطارها ومواضع انصابها
فاشهق قلالها واطال انشازها وجعلها للارض عماداً وارزها فيها اوتاداً فسكنت على حركتها من ان تميد باهلها او تسيخ بحملها
اكنافها فجعلها لخلقه مهاداً وبسطها لهم فراشاً فوق بحر لجي راكد لا يجري وقائم لا يسري تكركره الرياح العواصف وتمخضه الغمام الذوارف
ان في ذلك لعبرة لمن يخشى **اقول** لما صغر ترادم امواجه وتلاطمها وكسر بعضها بعضاً والمثعنجر السيال الكثير الماء والقمقام البحر
وقيل معظمه ذلك لاجتماع وحبل خلق وجلاميدها صخورها واهدب وامسك ادخل واضابها جمع نصب وهو ما انتصب منها والانشاز
جمع نشز وهو العوالي وارزها فيها اي ركزها وعرزها وارزها مخففاً اي اثبتها وعليه نسخة الرضي والاولى اصح والظهر واكنافها
اقطارها وتكركره تردده وتصرفه وقد اشار في هذا الفصل الى ان اصل الاجرام الارضية والسماوية ومادتها هو الماء ووصف كيفية
خلقها عنه وكيفية خلقة الارض والسموات والجبال وقد عرفت بيان كل ذلك مستوفى في الخطبة الاولى وفي هذا الفصل فوائد الاولى
انه لما كانت هذه الاجرام في غاية القوة والعظم مع ذلك ففيها من عجائب الصنع وبدائعه ما يبهر العقول ويعجزها عن كيفيته نسب صدورها
جزم نسبها الى اقتدار جبروته وعظمته وبديع لطائف صنعته تنبيهاً بالاعتبار الاول على انه الاعظم المطلق وبالثاني على لطفه
وحكمته التامة وكنى باليبس الجامد عن الارض الثانية الضمير في منه للبحر وفي حده اما لله او للامر وقيامها على حده كناية عن كونها
على ما حد من المقدار والشكل والهيئة والنهايات ونحوها وعدم خروجها عن ذلك وتجاوزها له والضمير المنصوب في يحملها المعنى

كلام له يستنهض اصحابه الى الجهاد

اليبس الجامد وهو الارض وكان جعل الميد هنا وهنا بعد في رسوها وما بعده للجبال وفي جبالها وسهولها واقطارها الاول بعض في
قواعدها وقلالها واثباتها الجبال وقد عرفت كيفية ذلك الخلق فيما حكاه ع في الخطبة الاولى من ثوران الزبد بالريح
وارتفاعه الى الجو الواسع وتكوين السماوات عنه الثاني عشر قوله الجبال لامره ولان باته لهيبته وحوله بحث الامكان والحاجة الى قدرته
وتصريفها له وهو من باب الاستعارة الرابعة قوله على حركتها اي حال حركتها على تقييد الحال وقوله تسيخ بحملها يفهم منه انه لولا
الجبال كونها اوتادا للارض لمادت وساخت باهلها فاما كونها مانعة لها من الميدان فقد عرفت وجهه في الخطبة الاولى واما كونها
تسيخ لولاها فلانها اذا مادت انقلبت باهلها فغاص او جعل الذي ع عليه وذلك مراده بسيخها فالمانع بها من الميدان هو المانع بها
ان تسيخ او تزول عن موضعها الخامس عشر ثباتها بعد رطوبة اكنافها الى ان اصلها من زبد الماء كما اشير اليه من قبل
ويحتمل ان يشير بذلك الى ما كان مغمورا بالماء منها ثم سال الماء عنه الى مواضع اسفل منه فخلا وجف وهي مواضع كثيرة مسكونة
وغير مسكونة السادس عشر قوله تمخض لتمام الذي ولدت اشار الى ان السحاب اذا وقع فيه المطر يرتج ويتمخض ويضطرب كثيرا وذلك التحريك في
المطر له بكثرته وقوته او لكثرة اقتران المطر بالرياح فهو موجبه واغلبها محركاته الرياح الجنوبية لانكشافها وقد شاهدنا
ذلك كثيرا السابع عشر لما عدد المخلوقات المذكورة وتصريف القدرة الربانية لها قال ان في ذلك لعبرة لمن يخشى نبهها
على وجوه الاعتبار بها لمن يخشى الله واراد العلماء لاختصاصهم بالخشية فهم يقول نعم انما يخشى الله من عباده العلماء وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم اللهم ايما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة والمصلحة في الدين
والدنيا غير المفسدة فابى بعد سمعه لها الا النكوص عن نصرتك والابطاء عن اعزاز دينك فانا نستشهدك عليه
يا اكبر الشاهدين شهادة ونستشهد عليه جميع من اسكنته ارضك وسماواتك ثم انت بعد المغني عن نصره والآخذ
له بذنبه **اقول** النكوص الرجوع على الاعقاب وهذا الفصل من خطبة كان يستنهض بها اصحابه الى جهاد اهل الشام
وذلك بعد تقاعد اكثرهم عن صفين استشهد فيه الله تعالى وملائكته وعباده على من سمع مقالته العادلة المستقيمة التي هي طريق
الله الغاية للناس الى الرشاد في دينهم ودنياهم غير المفسدة لهم وهي دعوته اياهم الى جهاد اعداء الدين والبغاة عليه ثم
اعرض عنها وقعد عن نصرته وتباطأ عن اعزاز دينه وابى الا التاخر عن طاعته وفي ذلك الاستشهاد ترغيب الى الجهاد وتنفير عن
التاخر عنه اذ كان كانه اعلام لله بحال المتخاذلين عن نصرة دينه وقعودهم عما امرهم به من الذب عنه تشكيا وهاهم لذلك
بالفزع الى طاعته وكذلك في وصفه لمقالته بالعدل والاصلاح ترغيب في سماعها وحث اليها وفي قوله ثم انت بعد اي بعد تلك
الشهادة عليه المغني لنا عن نصره تنبيه على عظمة ملك الله وتحقير للنفوس المتخاذلة عن نصرة الدين وفي ذلك الاخذ له بذنبه
تذكير بوعيد الله وان في ذلك التخاذل ذنب عظيم يؤخذ به العبد وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم
الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين الغالب لمقال الواصفين الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين والباطن بجلال عزته عن
فكر المتوهمين العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ولا علم مستفاد المقدر لجميع الامور بلا روية ولا ضمير الذي لا تغشاه الظلم
ولا يستضيء بالانوار ولا يرهقه ليل ولا يجري عليه نهار ليس ادراكه بالابصار ولا علمه بالاخبار **اقول** حمد الله تعالى
باعتبارات اضافية وسلبية اولها العلي عن شبه المخلوقين اي في ذاته وصفاته وافعاله واقواله وقد علمت كيفية ذلك من غير
مرة الثاني الغالب لمقال الواصفين وذلك لغلبه اشارة الى تعاليه عن احاطة الاوصاف به وفوته لها وعدم القدرة على ذلك منه
وقد اشرنا الى ذلك مرارا الثالث الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين باعين بصائرهم وابصارهم الرابع الباطن بجلال عزته عن فكر
المتوهمين وقد عرفت هذين الوصفين وفائدة قوله بجلال عزته تنبيه على ان بطونه عن الفكر ما عنيا بجلاله وعزته عن ان تناله الا بانا
حقارة وصغرها تماما فاذ فكر المتوهمين فان النفس الانسانية حال التفاتها الى استلاحة الامور العلوية المجردة لابد ان
تستعين بالقوة المخيلة بمباعث الوهم في ان تصور تلك الامور بصور خيالية مناسبة لتشبيهها بها وتحطها الى الخيال وقد
علمت ان الوهم انما يدرك ما كان متعلقا بمحسوس ومتخيل من المحسوسات فكل امر يتصوره الانسان وهو في هذا العالم سواء
كان ذات الله سبحانه او صفته او غير ذلك فلابد ان يكون مشوبا بصورة خيالية او متعلقا بها وهو تعالى منزه بجلال عزته عن تكيف
تلك الفكر له وباطن عنها الخامس العالم المنزه في كيفية علمه عن اكتساب له بعد جهل وازدياد منه بعد نقصان او استفادة
له من غيره كما عليه علم المخلوقين السادس المقدر لجميع الامور اي الموجد لجميع الامور على وفق قضائه كلا بمقدار معلوم تنزه منه
عن التفكر والضمير واراد بالضمير ما اضمر من الروية السابع الذي لا تغشاه الظلم ولا يستضيء بالانوار لتنزهه عن الجسمية ولواحقها
الثامن ولا يرهقه اي يدركه ليل ولا يجري عليه نهار وذلك لتنزهه عن احاطة الزمان التاسع ليس ادراكه بالابصار
لتقدس ذاته عن الحاجة الى الالة في الادراك وغيره العاشر ولا علمه بالاخبار اي كعلم كثير من علومنا لتقدسه عن حاسة السمع

في بعض فضائل النبي صلى الله عليه وآله

وبالله التوفيق **ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله** أرسله بالضياء وقدمه في الاصطفاء فرتق به المفاتق وساور به المغالب وذلل به الصعوبة وسهل به الحزونة حتى سرح الضلال عن يمين وشمال **أقول** المساورة المواثبة وسرح فرق وقد أشار إلى بعض فضائل النبي صلى الله عليه وآله وبعض فوائده فمن فضائله إرساله بالضياء ولفظ الضياء مستعار لأنوار الإسلام الهادية في سبيل الله ومنها تقديمه على سائر الأنبياء في الفضيلة وإن كان الكل منهم مصطفى و ذكر من فوائده كونه رتق به الفاتق وكنى بها عن أمور العالم المتفرقة وبسبب الجور زمان الفترة ورتقها بركة نظمها به بعد تفرقها كناية بالمستعار ومنها كونه ساور به المغالب أسند المساورة إلى الله مجازا باعتبار بعثه للنبي بالدين على أمره وإثباته مغالبة من المشركين وغيرهم ومنها كونه ذلل به الصعوبة أي صعوبة أهل الجاهلية والأعداء لدين الله ومنها كونه سهل به الحزونة أي حزونة طرق الله لهداية فيها إلى غاية أن سرح الضلال والجهل عن يمين النفوس وشمالها وهو إشارة إلى الفائدة رذيلتي التفريط والإفراط عن ظهور النفوس كتشبيه بحسن المهمل عن ظهر الدابة وهو من ألطف الاستعارات وأبلغها وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام أشهد أنه عدل عدل وحكم فصل وأشهد أن محمدا عبده وسيد عباده كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما لم يسهم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر ألا وإن الله قد جعل للخير أهلا وللحق دعائم وللطاعة عصما وإن لكم عند كل طاعة عونا من الله يقول على الألسنة ويثبت الأفئدة فيه كفاء لمكتف وشفاء لمشتف واعلموا أن عباد الله المستحفظين علمه يصونون مصونه ويفجرون عيونه يتواصلون بالولاية ويتلاقون بالمحبة ويتساقون بكأس روية ويصدرون برية لا تشوبهم الريبة ولا تسرع فيهم الغيبة على ذلك عقد خلقهم وأخلاقهم فعليه يتحابون وبه يتواصلون فكانوا كتفاضل البذر ينتقى فيؤخذ منه ويلقى قد ميزه التخليص وهذبه التمحيص فليقبل امرؤ كرامة بقبولها وليحذر قارعة قبل حلولها ولينظر امرؤ في قصير أيامه وقليل مقامه في منزل حتى يستبدل به منزلا فليصنع لمتحوله ومعارف منتقله فطوبى لذي قلب سليم أطاع من يهديه وتجنب من يرديه وأصاب سبيل السلامة ببصر من بصره وطاعة هاد أمره وبادر الهدى قبل أن تغلق أبوابه وتقطع أسبابه واستفتح التوبة وأماط الحوبة فقد أقيم على الطريق وهدي نهج السبيل **أقول** نسخ أزال وغيره والعاهر الزاني ويصدق على الذكر والأنثى وكذلك الفاجر والكفاء الكفاية والمكافاة والروية بالكسر الفعلة من الري وهي الهيئة التي عليها المرتوي والريبة الدغل والغل والتمحيص الابتلاء والاختبار والقارعة الشديدة من شدائد الدهر ويعبر بها عن القيامة وأماط أزال والحوبة الإثم وإطلاق لفظ العدل على العادل مجاز إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه والباري تعالى عادل بالنظر إلى علمه وقضائه أي لا يقضي في ملكه بأمر إلا وهو على وفق النظام الكلي والحكمة البالغة ويدخل في ذلك جميع أقواله وأفعاله فإنه لا يصدر منها شيء إلا وهو كذلك وأما الجزئيات المعدودة شرورا وصورة جور في هذا العالم فإنها إذا اعتبرت كانت شرورا نسبية مع ذلك هي من لوازم الخير والعدل لا بد منها ولا يمكن أن يكون العدل والخير منفكا عنها كما لا يمكن أن يكون الإنسان إنسانا إلا وهو بحيث يشتهي ويغضب فيلزمها الفساد والشر الجزئي ولما كان الخير أكثر وكان ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شرا كثيرا في الجود والحكمة وجب وجود تلك الشرور الجزئية لوجود ملزوماتها وأشار بقوله عدل إلى العدل بالفعل وبقوله حكم فصل ووصف الرسول صلى الله عليه وآله سيد عباده إشارة إلى قوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقوله كلما نسخ الله الخلق فرقتين نسخ الخلق قسمهم كل قرن وفرقهم إلى خيار وأشرار والقسمة بعينه للمشهور وإذا الزمن خال عادة وقوله جعله في خيرهما إشارة إلى ما روي عنه قال المطلب بن أبي وداعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا وقوله لم يسهم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر أي لم يضرب فيه العاهر بسهم ولم يكن للفجور في أصله شركة يقال ضرب في كذا بنصيب إذا كان له فيه شرك وهو إشارة إلى طهارة من قبل أصليه وإن الزنا كما قال عليه السلام لم يزل ينقلني الله تعالى من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات وقال صلى الله عليه وآله لما خلق الله آدم أودع نوري في جبينه فما زال ينقله من الآباء الأخيار إلى الأمهات الطواهر حتى انتهى إلى عبد المطلب وقال عليه السلام ولدت من نكاح لا من سفاح وقوله ألا وإن الله إلى قوله عصم ترغيب للسامعين أن يكونوا أهل الجنة ودعائم الحق وعصم الطاعة وكذلك قوله وإن لكم إلى قوله من الله جذب لهم إلى طاعته بذكر المعونة وكأنه عنى بالعون القرآن الكريم وقوله يقول على الألسنة ويثبت الأفئدة تفصيل لوجوه العون منه وهو من مجاز القول على الألسنة وعده للمطيعين بالثواب العظيم على الطاعة ومدحهم وتبشيرهم بالجنة والرضوان منه على ألسنة الرسل فإن كل ذلك مقو على الطاعة ومعين عليها وأما تثبيت الأفئدة فمن جهة الاستعداد لطاعة الله واستلاحة أنواره من كتابه العزيز واستكشاف أسراره كما قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا وإن في القرآن الكريم من المواعظ والزواجر المخوفة ما يوجب الفزع إلى الله وتثبيت

فيه حمد الله بضروب النعم

كفاية
القلوب وجلي الطاعة الخلاص منها وقوله فبه كفى المكتفى اى في ذلك الفوق لطالبه الا كفى اى من الكمالات النفسانية وشفاء لمن طلب
الشفاء من امراض النفس بل القرب ثم شبه على عباد الله الصالحين بصفاتهم ليقتفوا اثارهم فيكونوا منهم فاعلمهم انهم هم الذين
استحفظهم علمه بأسره يخلفه من سلفائهم امره واحذها انهم يصونون ما وجب صرفه من غير اهله ولا يضيعوا اسراره الا في اهله ثاني
بحجزون عيونه ولفظ العيون مستعار اما المعادن وهي اذهان الانبياء والاولياء وائمة العلماء وانما الاصول الطيبة وحملها التي علموها
و بكون لفظ التفجير مستعار الافادتها وتفريقها وتفصيلها الثالث ويتواصلون بالولاية التي نصرة بعضهم لبعض في دين الله
وافاته ناموس شرعه الرابع ويتلاقون بالمحبة فيه التي هي مطلوب الشارع من شريعته حتى يصير واكنفس واحدة الخامس ويتساقون
بكأس روية واستعار لفظ الكأس للعلم اى يستفيد بعضهم من بعض ورشح بذكر الروية واراد بها تمام الافادة السادس ويصدرون
بريه اى يصدر كل منهم عن الاخر بفايدة قد ملأت نفسه كالاولى ولفظ الري مستعار السابع كونهم لا تشوبهم الريبة اى لا يتداخل
بعضهم شك في بعض ولا يتهم بعضا او يشو ما لمن لم يزل او يحسد الثامن ولا تسرع فيهم الغيبة وانما نفى عنهم سرعة الغيبة لان فيهم
من ليس بمعصوم فلم يكن نفيها عنهم بالكلية بل استبعد توجهها منهم ويحتمل ان يريد انهم لقلة عيوبهم لا يكاد احد يسرع فيهم
بغيبة التاسع كونهم على ذلك عقد الله خلقهم اى على ذلك الوصف الكمال قد خلقهم على وفق قضائه لهم بذلك واوجدهم
عليه اى وعلى ما عقد خلقهم عليه من الكمال يتحابون ويتواصلون العاشر كونهم في ذلك كتفاضل البذر اى فكانوا في تفاضلهم
بالقياس الى الناس كتفاضل البذر واشار الى وجه التشبيه بقوله ينتقى الى قوله التخليص وتقريره انهم خلاصة الناس ونقاوتهم الذين
سفاهم منهم وميزهم عنهم تخليص عناية الله بهم فامتنه رحمته وهذا مشير الى طريقه وخلصهم ابتلاءه واختباره باوامره كما هو نبوته
الى حزقه عود الى التشبيه والموعظة واراد كرامة الله تعالى كما قال تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وبالقارعة التي حذر منها قبل
حلولها قارعة الموت ثم امر ان يعتبر امرء بقصر ايام حيوته وقلة مقامه في منزل يستلزم الاقامة القليلة فيه هذه العناية وهي ان يستبدل
به منزلا اخر اى يجعل محل عبرته اقامته القصيرة في الدنيا المستلزمة لانتقاله منها الى الاخرة فان في تصوره قلة المقام في هذا المنزل
للعبور الى منزل اخر عبرة تامة ويحتمل ان تكون حتى غاية من امره بالنظر في العقبى اى فلينظر في ذلك المنزل ليستبدل به غيره
اذ كان كذلك فينبغي ان يعمل لذلك المنزل المحول اليه وليعارف منتقله اى المواضع التي يعرف انتقاله اليها وطوبى فعلى من الطيب
فليتوا ايا فضاوا واللفظة وقيلها وقيل هي اسم شجرة في الجنة وقلب سليم اى لم يتدنس برذيلة الجهل المركب ولا بنجاسات الاخلاق
الرديئة ومن يهديه اشارة الى نفسه وائمة الدين ومن يرديه في مهاوي الهلاك المنافقون وائمة الضلالة واصابته لسبيل السلامة
وتوفيقه على سبيل الله عند حذره وهداية من هداه وطاعته لها وامره لسلوكها ومبادرته للهدى مسارعته اليه قبل غلق ابوابه
واستعار لفظ الابواب لهدى لائمة الدين من قبله ورشح بذكر الغلق واراد به عدمهم او موت الطالب وكذلك استعار لفظ الاسباب
لهم ووجه الاستعارة كونهم وصلا الى المراد كالحبال بذكر القطع واراد به فوتهم واستفتاح التوبة استعار لها والشروع فيها واماطة
الحوبة ازالة الاثم عن لوح نفسه بتوبته وقوله فقد اقيم الى اخره اشعار منه بامامته اعلام الله وهم العلماء والكتاب المنزل والسنة النبوية
والهداية بها الى واضح سبيله ليقتدى الناس بها ويسلكوا على بصيرة وبالله التوفيق والعصمة وكان من دعائه عليه السلام
كان يدعو به كثيرا الحمد لله الذي لم يصبح بي ميتا ولا سقيما ولا مضروبا على عروقي بسوء ولا مأخوذا باسوء عملي ولا مقطوعا
دابري ولا مرتدا عن ديني ولا منكرا لربي ولا مستوحشا من ايماني ولا ملتبسا عقلي ولا معذبا بعذاب الامم من قبلي
اصبحت عبدا مملوكا ظالما لنفسي لك الحجة علي ولا حجة لي لا استطيع ان اخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني
اللهم اني اعوذ بك ان افتقر في غناك او اضل في هداك او اضام في سلطانك او اضطهد والامر لك اللهم اجعل
نفسي اول كريمة تنتزعها من كرائمي واول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي اللهم انا نعوذ بك ان نذهب عن
قولك او نفتتن عن دينك او تتابع بنا اهواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك اقول الدابر بقية الرجل نسله و
والدابر الظهر والالتباس الاختلاط والاضطهاد الظلم والتتابع التهافت في الشر والقاء النفس فيه وقد حمد الله تعالى باثنتي عشرة
من النعم اعترف بها وعد منها عشرة وهي الحيوة والصحة والسلامة من آفات العروق وامراضها ومن الاخذ بالجريرة وقطع النسل
ويحتمل ان يريد بالدابر الظهر وكنى بالقطع عن الرمي بالدواهي العظيمة التي من شأنها قصم الظهر وقطع القوة ثم عن الارتداد ثم عن
جحود ربوبية الله ثم عن الاستيحاش من الايمان استثقالا له والتفرة عنه ثم من اختلاط العقل ثم من التعذيب بعذاب الامم السالفة
بالصواعق والخسف ونحوها وعقب ذلك الحمد بالاقرار على نفسه بصفات الخضوع والذلة المستلزمة لاستنزال الرحمة وعد منها
خمسة وهي كونه عبدا مملوكا لله تعالى ثم كونه ظالما لنفسه ثم معترفا بحجة الله عليه مقطوع الحجة في نفسه ثم كونه معترفا بعجزه عن الاستطاعة
ان يأخذ الا ما قسم الله له وسبب الوصول اليه وانه لا يجد ان يتقي من المضار الا ما وقاه الله اياه ثم لما اعد نفسه بهذه الاقرارات

يجعل

ورشح

٢٠٦
ج

في بيان حقوق الرعية على الامام وحقوقه عليهم

يقول الرحمة من الله استعاذ به من امور وهي ان يفتقر في غناه نعم اي ان يفتقر مع انه الغني المطلق وان يضل في هداه اي مع ان له الهدى
الذي لا اختلال معه وان يظلم في سلطانه اي مع ان له السلطان التام وان يضطهد وله الامر الظاهر ثم سأله ان يجعل نفسه اول كريمة
ينتزعها من كرائمه واراد بكرائمه قواه النفسانية والبدنية واعطاه عوض السؤال بتمتيعه بجنسها سليمة من الآفات الى حين الممات
الى حين الممات فتكون نفسه اول منتزع من كرائمه قبل ان يفقد شيء منها ونحوه قول الرسول ص اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما
الوارث مني اي اجعلهما باقيين صحيحين الى حين وفاتي واستعار لفظ الوديعة للمفتن باعتبارها في معرض الاسترجاع كالوديعة ثم
استعاذ به من الذهاب عن قوله تعالى والافتتان ببنيه وقد روى الرضي رض يفتتن بالبناء للفاعل على ان يكون الفتنة من النفس الامارة
وروي يفتتن بالبناء للمفعول فيكون استعاذة من الفتنة بالغير من الاختلاط في سلك الاهواء ومتابعتها في مراعي الشقاوة دون
الهدى الذي جاءت به الكتب الالهية من عند الله وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** خطبها بصفين اما بعد فقد
جعل الله لي عليكم حقا بولاية امركم ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم فالحق اوسع الاشياء في التواصف واضيقها
في التناصف لا يجري لاحد الا جرى عليه ولا يجري عليه لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله
في كل ما جرت عليه صروف قضائه ولكنه جعل حقه على العباد ان يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه وتوسعا
بما هو من المزيد اهله ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ في وجوهها ويوجب بعضها
بعضا ولا يستوجب بعضها الا ببعض واعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية فريضة فرضها الله
سبحانه لكل على كل فجعلها نظاما لالفتهم وعزا لدينهم فليست تصلح الرعية الا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة الا باستقامة
الرعية فاذا ادت الرعية الى الوالي حقه وادى اليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل
وجرت على اذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء واذا غلبت الرعية اجحف
الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور وكثر الادغال في الدين وتركت محاج السنن فعمل بالهوى وعطلت
الاحكام وكثرت علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق عطل ولا لعظيم باطل فعل فهنالك تذل الابرار وتعز الاشرار
وتعظم تبعات الله عند العباد فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه فليس احد وان اشتد على رضاء الله حرصه
وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله اهله من الطاعة له ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم و
التعاون على اقامة الحق بينهم وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلته وتقدمت في الدين فضيلته بفوق ان يعان على
ما حمله الله من حقه ولا امرؤ وان صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون ان يعين على ذلك او يعان عليه فاجابه
عليه السلم رجل من اصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له فقال **عليه السلم**
ان من حق من عظم جلال الله في نفسه وجل موضعه من قلبه ان يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه وان احق من كان كذلك
كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف احسانه اليه فانه لم تعظم نعمة الله على احد الا ازداد حق الله عليه عظما
وان من اسخف حالات الولاة عند صالح الناس ان يظن بهم حب الفخر ويوضع امرهم على الكبر وقد كرهت ان يكون جال
في ظنكم اني احب الاطراء واستماع الثناء ولست بحمد الله كذلك ولو كنت احب ان يقال ذلك لتركته انحطاطا
لله سبحانه عن تناول ما هو احق به من العظمة والكبرياء وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنوا علي بجميل
ثناء لاخراجي نفسي الى الله واليكم من التقية في حقوق لم افرغ من ادائها وفرائض لا بد من امضائها فلا تكلموني
بما تكلم به الجبابرة ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند اهل البادرة ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي استثقالا
في حق قيل لي ولا التماس اعظام لنفسي فانه من استثقل الحق ان يقال له او العدل ان يعرض عليه كان العمل بهما عليه
اثقل فلا تكفوا عن مقالة بحق او مشورة بعدل فاني لست في نفسي بفوق ان اخطئ ولا آمن من ذلك من فعلي الا ان يكفي
الله من نفسي ما هو املك به مني فانما انا وانتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره يملك منا ما لا نملك من انفسنا
واخرجنا مما كنا فيه الى ما صلحنا عليه وابدلنا بعد الضلالة بالهدى واعطانا البصيرة بعد العمى **اقول** اذلالها
وجوهها وطرقها واجحف بهم ذهب باصلهم والادغال الافساد واقحمته دخلت فيه بالاحتقار والازدراء واسخف اضعف
اصغر والبادرة الحدة وغرض الفصل جمع كلمتهم وانعامهم على اوامره فاشار اولا الى ان لكل منه ومنهم على الآخر حقا يجب ان يخرج به
من عهدته هو عليهم حق الولاية لامرهم وحقهم عليه حق الرعية على الوالي وهو مثله في وجوب مراعاته وفي استلزام اللوازم التي
سيذكرها وقوله فالحق اوسع الى قوله فضلا منه تقرير لوجوب حقه عليهم وكالتوبيخ لهم على قلة الانصاف فيه ومعناه انه اذا
اخذ الناس في وصف الحق وبيانه كان لهم في ذلك مجال واسع لسهولته على السنتهم واذا حضر التناصف بينهم وطلب منهم مناف

الا جرى له ولو كان لاحد ان يجري له ولا يجري عليه م

حقوق

واليها

جهدهم

بحق

في حقوق الامام على الرعية وبالعكس

عليهم الجال لشدته العمل بالحق وصعوبته الانصاف لاستلزامه ترك بعض المطالب المحبوبة لهم واطلاق التعذر والضيق على الحق استعارة
ملاحظة لتشبيهه بما يتوهم فيه من اتساع للقول وضيقه عن العمل بالمكان الذي يتسع لشيء او لضيق مما هو اعظم منه وقوله لا يجري
لاحد الا جرى عليه تقرير للحق عليهم وتوطين لنفوسهم عليه ولا يجري عليه الا جرى له تسكين لنفوسهم بذكر الحق لهم ثم اعاد
تقرير الحق عليهم بحجة في صورة متصلة وهي لو كان لاحد ان يجري له الحق ولا يجري عليه لكان الله تعالى هو الاولى بخلوص
ذلك له دون خلقه لكن الملازمة بقوله لقدرته الى قوله صروف قضائه اي لكونه قادرا على عباده وعلى الانتصاف منهم مع كون
لا يحق عليه شيء لهم لعدله فيهم في كل ما جرت به مقاديره التي هي صروف قضائه كان اولى بخلوص ذلك له منهم وبين استثناء نقيض
التالي مستلزم هو قوله ولكنه ثم جعل الى قوله اهله ومعناه لكنه تعالى جعل لنفسه على عباده حقا هو طاعتهم له لنفسه لم يدل باستثنا
حقا يكون جزاء طاعتهم له فقد ثبت انه لم يخلص ذلك لله تعالى بل كما اوجب على عباده حقا له اوجب على نفسه بذلك حقا فاذن
لا يجري لاحد حق الا جرى عليه وهو نقيض المقدم وفي قوله مضاعفة الثواب الى قوله تنبيه لهم على ان الحق الذي اوجبه على نفسه اوجب
اعظم مما اوجب لها مع انه ليس بحق وجب عليه بل تفضل منه عليهم بما هو اهله من مزيد النعم ليتخلقوا باخلاق الله في اداء ما وجب عليهم
من الحق بافضل وجوهه ويقابلوا ذلك التفضل بمزيد الشكر وتلك المضاعفة كما في قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
ونحوه وقوله ثم جعل سبحانه الى قوله ببعض كالمقدمة لما يريد بيانه من كون حقه عليهم واجبا ان فضل الله تعالى وهو حق من
حقوقه ليكون ادعى لهم الى ادائه وبين فيها ان حقوق الخلق بعضهم على بعض بل من حق الله تعالى من حيث ان حقه على عباده هو الطاعة
واداء تلك الحقوق طاعات لله كحق الوالد على ولده وبالعكس وحق الزوج على الزوجة وحق الوالي على الرعية وبالعكس وقوله
فجعلها تتكافأ في وجوهها اي جعل كل ضرب من تلك الحقوق مقابلا بمثله فحق الوالي وهو الطاعة من الرعية مقابل بمثله منه
وهو العدل فيهم وحسن السيرة ولا يستوجب كل من الحقين الا بالآخر ثم قال واعظم ما افترض الله من تلك الحقوق حق الوالي
على الرعية على كل اي ذلك فريضة وقوله فجعلها نظاما الى قوله عند العباد اشارة الى لوازم حق الوالي على الرعية وحق الرعية
على الوالي اذا ادى كل الى كل حقه فانه ان الله تعالى جعل تلك الحقوق سببا لالفتهم وقد بينا فيما سلف غير مرة ان الفتهم من اعظم
مطالب الشارع وانها مطلوبة من اجتماع الخلق على الصلوة في المساجد في كل يوم خمس مرات وفي كل اسبوع مرة في المحفل وفي كل سنة
مرتين في الاعياد ولذلك صنعوا الاجتماع في طاعة الامام العادل من موجبات الالفة والالفة والمحبة في الله سبحانه بكون الناس كلهم
كرجل واحد عالم بما يصلحه ويسعى له وبما يفسده ويجتنب عنه سببا انه جعل تلك الحقوق عزا لدينهم ونظاما ان الاجتماع اذا كان
سببا للالفة والمحبة كان سببا عظيما للقوة والقهر للاعداء واعزاز الدين ثم اكد القول بان صلاح الرعية منوط بصلاح
الولاة وهو امر قد شهدت به العقول وتوافقت عليه الاراء الحقة واليه اشار الفاضل بقوله الرعية ما استقام الرئيس وقول الاخر
تهدى الامور باهل الراي ما صلحت فان تولت فبالاشرار تنقاد وكذلك صلاح حال الولاة منوط بصلاح الرعية واستقامتهم في
طاعتهم وفساد احوالهم بعصيانهم ومخالفتهم فاذا ادى كل من الوالي والرعية الحق الى صاحبه عز الحق بينهم ولم يكن لمخالفته من لوازم
ذلك قيام مناهج الدين وطرقه بالاستقامة على قوانينه والعمل بها واعتدال معالم العدل بحيث لا جور فيها وجريان
السنن على وجوهها ومسالكها بحيث لا تحريف فيها ولا تغيير وصلاح الزمان بذلك ونسبة الصلاح اليه مجاز لان الصلاح في الحقيقة
يعود الى حال اهل الزمان وانتظام امورهم في معاشهم ومعادهم وانما يوصف بالصلاح والفساد باعتبار وقوعهما فيه وكونه من الاسباب
المعدة لهما ومن لوازم ذلك الطمع في بقاء الدولة ويأس مطامع الاعداء في فسادها وهدمها وقوله واذا غلبت الى قوله عند
العباد اشارة الى ما يلزم عصيان الرعية للامام وحيفه هو عليهم واجحافه بهم في الفساد فاختلاف الكلمة وكنى به عن اختلاف الآراء
والتفرق وسببه ظهور معالم الجور وعلاماته وهو ظاهر لعدم العدل بسببه كثرة الادغال في الدين وفعل لتبدد الاهواء
وتفرقها عن راي الامام العادل الجامع لها واخذ كل فيما يشتهيه مما هو مفسد للدين ومخالف له وترك محاج السنن وطرقها من الظالم
لجوره ومن الرعية لتبدد نظام ارائهم والعمل بالهوى وعلته ما ترى وتعطيل الاحكام الشرعية وهو لازم للعمل بالهوى وكثرة علل
النفوس وعللها امراضها بملكات السوء كالغل والحسد والعداوات والعجب والكبر ونحوها وقيل عللها وجوه ارتكابها المنكرات
في كل منكر بوجه وتأويل وراي فاسد ح فلا يستوحش لعظيم حق عطل وذلك لالف تعطيله ولا لعظيم باطل فعل وذلك لاعتياد
النفاق عليه وكونه مقتضى الاهوية فهنالك تذل الابرار لذلة الحق المعطل الذين هم اهله وكان عزهم بعزه وتعز الاشرار
لعزة الباطل الذين هم عليه بعد ذلهم بعزة الحق بالعز ويعظم تبعات الله على العباد اي عقوباته بسبب خروجهم عن طاعته ولما بين لوازم طاعته
وعصيانه قال فعليكم بالتناصح في ذلك اي في ذلك الحق وحسن التعاون عليه وقوله فليس احد الى قوله من الطاعة له تاكيد
لامره بالمبالغة في طاعة الله اي فليس احد من الناس يبلغ بطاعته لله ما هو اهله منها وان اشتد حرصه على رضاه بالعمل وطال

فيه اجتهاده ولكن

ج ٢

في حقوق الامام على الرعية وعكسه

فيه اجتهاده ولكن على الرعايا من ذلك مبلغ جهدهم في النصيحة والتعاون على اقامة حق الله بينهم بقوله الا انكان لا يفيد ما يستحقه
هو ويتم فان ذلك غير ممكن وقوله وليس امرؤ وان عظمت الى قوله حمله الله نعم من حقه اى انه وان بلغ المرء اى درجة كان من طاعة الله
فهو محتاج الى ان يعان عليها وليس هو بان يعان على ما حمله الله منها وذلك لان تكليف الله تعالى بطاعته بحسب وسع المكلف والوسع
في بعض العبادات قد يكون مشروطا بمعونة الغير فيها فلا يستغنى احد عنها وقوله ولا امرؤ وان صغرته النفوس الى قوله او يعان عليه اشار
الى انه لا ينبغي ان يزدرى احد عن الاستعانة في طاعة الله او ان يعان عليها فانه وان احتقرته النفوس فليس بدون ان يعين على طاعة الله
واداء حقه ولو بقبول الصدقات ونحوها او بعثا ونواعلها باعطاء ما يسد خلتهم ويدفع عنهم ضرا كالحياء ولفظ الاقتحام مستعار مثل ان
يكون الكل كنفس واحدة واما قوله لمن اكثر عليه الثناء فحاصله التاديب على الاطراء والنهي عن الغلو في الثناء على الانسان في وجهه
بالفضائل وان كانت فيه وسره ان ذلك يستلزم في كثير من الناس الكبر والعجب بالنفس والعمل فقوله ان من حق من عظم الى قوله احسانه
اليه مقدمة في الجواب بين فيها ان من جملة عظمت نعمة الله عليه ولطف احسانه اليه فحقه ان يصغر عنده كل ما سواه قياس
من الشكل الاول وتقدير صغراه ان من عظمت نعمة الله عليه ولطف احسانه اليه فهو احق الناس بتعظيم جلال الله في نفسه وجلاله
موضعه من قلبه وتقدير كبراه وكل من كان احق بذلك فمن حقه ان يصغر كل ما سواه عنده ودل على الكبرى بقوله لعظم ذلك
اى لعظم جلال الله في قلبه يجب ان يصغر عنده كل شيء سواه وهذه المقدمة وان كانت عامة الا ان الاشارة الخاصة بها الى نفسه
وذلك ان اعظم نعم الله في الدنيا خلافة المسلمين وفي الاخرة ما هو عليه من الكمالات النفسانية فكان احق الناس بتعظيم
جلال الله في نفسه فكان بذلك من حقه ان يصغر كل ما سوى الله في قلبه ثم قال ومن اسخف حالات الولاة الى قوله والكبرياء
فكانه قال ومن كان من حقه ان يصغر كل ما سوى الله في قلبه فكيف يليق به ان يحب الفخر او يضع امره على الكبر الذي لا يليق
الا بعظمة الله او يظن به ذلك ويعامل بما يعامل به الجبابرة من الخطاب به وصرح بان المراد نفسه في قوله وقد كرهت الى اخره وقوله
ولو كنت احب ان يقال ذلك يجري مجرى تسليم الجدلي وهي لحب ان يقال ذلك فيه باعتبار ما فيه اللذة لكني لو كنت كذلك لتركته
باعتبار اخر وهو الانحطاط والتصاغر عن تناول ما الله احق به من العظمة والكبرياء ونبه بذلك على ان الاطراء يستلزم التكبر
والتعظيم فكان تركه له وكراهته لكونه مستلزما لهما وقوله وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء يجري مجرى تمهيد العذر
لمن اثنى عليه فكانه يقول وانت معذور في ذلك حيث رأيتني اجاهد في الله واحث الناس على ذلك ومن عادة الناس ان يستحلوا
الثناء عند ان يبلوا بلاء حسنا في جهاد او غيره من مشاق الطاعات ثم اجاب عن هذا العذر في نفسه بقوله فلا تثنوا على بجميل ثناء
الى قوله من امضائها فلا تثنوا علي لاجل ما ترونه مني من طاعة الله فان ذلك انما اخراج لنفسي الى الله من حقوق الباقية علي لم
افرغ بعد من ادائها وهي حقوق نعمه ومن فرائضه التي لا بد من المضي فيها وكذلك اليكم من الحقوق التي اوجبها الله علي لكم من النصيحة في
الدين والارشاد الى الطريق الافضل والتعليم لكيفية سلوكه وفي خط الرضي رة من التقية بالتاء والمعنى فان الذي افعله
من طاعة الله انما هو اخراج لنفسي الى الله واليكم من تقية الخلق فيما يجب علي من الحقوق اذ كان ع انما يعبد الله لله غير ملتفت في شيء
من عبادته واداء واجب حقه الى احد سواه خوفا منه او رغبة اليه وكانه قال لم افعل شيئا الا وهو لحق وجب علي واذا كان كذلك فكيف
استحق ان يثنى علي لاجله ثناء جميلا او اقابل بهذا التعظيم فهو من باب التواضع لله وتعليم كيفيته وكسر للنفس عن محبة الباطل والميل
اليه وقوله فلا تكلموني الى قوله بعد ارشادهم الى ما ينبغي ان يكونوا عليه من السيرة عنده ونهاهم من امور فان لا يكلموه بكلام الجبابرة
لما فيه من اغراء النفس والامر ليس يحب فيكون ذلك منهم وضعا للشيء في غير موضعه وان لا يتحفظوا منه بما يتحفظ به عند اهل
البادرة وسرعة الغضب من الملوك وغيرهم وذلك التحفظ كتكلف ترك المسارة والحديث اجلالا او خوفا منه او كتمان مناورتهم او
اعلامهم ببعض الامور وكالقيام بين يديه فان ذلك التحفظ قد يفوتون به مصالح كثيرة ولانه مما يغري النفس بحب الفخر والتجبر
لانه وضع للشيء في غير موضعه وان لا يخالطوه بالمصانعة والنفاق لما فيه من فساد الدين والدنيا وان لا يظنوا به استثقالا
لحق يقال له وان كان فيه مرارة واستعار لفظ المرارة لشدة الحق وصعوبته فان عليه السلام يستلزم قبول الحق كيف كان
وان لا يظنوا به انه يلتمس الاعظام لنفسه وذلك لعلمه بمن هو اهله دونه وهو الله تعالى وقوله فانه من استثقل الى قوله اثقل عليه
ضمير من الشكل الثاني بين انه لا يستثقل قول الحق له وعرض العدل عليه ليبرئ الظن من ظن ذلك به والمذكور هو صغرى القياس
وتلخيصها ان من استثقل قول الحق له وعرض العدل عليه كان العمل بالحق والعدل عليه ثقيلا بطريق الاولى وتقدير الكبرى
ولا شيء من العمل بهما يثقل علي اما الصغرى فظاهرة لان تكلف فعل الحق اصعب على النفس من سماع وصفه واما الكبرى فلانه
يعمل بهما من غير تكلف ولا استثقال كما هو المعلوم من حاله ينتج انه لا شيء من قول الحق له وعرض العدل عليه يستثقل ثم ان لا
يكفوا عن قول حق ومشورة بعدل لما في الكف عن ذلك من المفسدة وقوله فاني لست الى قوله مني من قبيل التواضع الباعث لهم على

[illegible marginal note]

واد ادم

في كلام له لما مر بطلحة وعبد الرحمن

الانبساط معه بقول الحق وفي قوله الآن يكفي الله من نفسه اي من نفسه الامارة بالسوء ما همّوا فوي متى على من فعله كفاية من شرورها
وهواستشها العصمة الى الله ثم وقوله فانما انا وانتم الى آخره ما دنت لا نفسنا وهيد ونذ ليل لعظمته وتظاهر كونه تعم يملك من انفسنا
ميولها وخواطرها اذ الكل منه وهو وسيد ابيضه ولا استعد الله وقوله واخرجنا مما كنا فيه اي من الضلالة في الجاهلية وما فيها
فيها عن ادراك الحق وسلوك سبيل الله الى ما صلحنا عليه اي من الهدى سبيل الله والبصيرة لما ينبغي من شعاء الذي رزقنا ذلك ببعثة
الرسول وظهور نور النبوة عندنا **ومن كلام له عليه السلام** اللهم اني استعديك على قريش فانهم قد قطعوا
رحمي واكفأوا انائي واجمعوا على منازعتي حقا كنت اولى به من غيري وقالوا الا ان في الحق ان تأخذه وفي الحق
ان تمنعه فاصبر مغموما او مت متأسفا فنظرت فاذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد الا اهل بيتي فضننت بهم
عن المنية فاغضيت على القذى وجرعت ريقي على الشجى وصبرت من كظم الغيظ على امرّ من العلقم وآلم للقلب
من حز الشفار وقد مضى هذا الكلام في اثناء خطبة متقدمة الا انه ذكرها هنا لاختلاف الروايتين **اقول**
استعدى استغيثك والاسم العدوى وهي الاعانة واكفأت الاناء كببته والرافد المعاون والقذى ما يسقط في العين
فيؤذيها والشجى ما يعرض في الحلق عند الغم والحزن من الاثر فيكون الانسان كالغصص بلقمة ونحوها والعلقم شجر مر والشفار جمع
شفرة وهي السكين وغرض الفصل التظلم والتشكي والاستعانة بالله على قريش فيما دفعوه عنه من حق الامامة الذي هو اولى به
وكنى بذلك بقطع الرحم وكذلك كنى بقلب الاناء عن اخراجهم ونفرتهم عنه فان ذلك من لوازم قلب الاناء كما ان من لوازم
له وتعذيله انباهم واجماعهم عليه وقوله اجمعوا الى قوله غيري قالت الشيعة الاشارة بالمجتمعين الى قريش حين وفاة الرسول
وذلك لعنة لكن كان هو اولى منهم بخلافة الثلثة قبله وقال غيرهم بل اشار بالمجتمعين اليهم وقت الشورى وانتقالهم بعد
الترديد الطويل على عثمان فلا يدخل الشيخان الاولان في هذه الشكاية والقول الثاني ضعيف اذ صرح بمثل هذه الشكاية
من الائمة الثلثة قبله في الخطبة الشقشقية كما بيناه وبالجملة فمراده من هذا الكلام وامثاله بعد استقراء اقواله وتتبع احواله
لا يخفى على عاقل ويشبه ان يكون صدور هذا الكلام منه حين خروج طلحة والزبير الى البصرة تظلما عليهما فيكون المفهوم من قوله
واجمعوا على منازعتي حقا كنت اولى به من غيري انكار لاجماعهم منازعته ذلك الحق فانه اذا كان اولى به ممن سبق من الائمة
حال تقدمهم وتقدمهم في الاسلام فكيف هؤلاء مع كونهم ادون حالا منهم وهو كقوله فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الاول
حتى صرت اقرن الى هذه النظائر وقوله وقالوا الا ان في الحق الى قوله متأسفا حكاية لقولهم بلسان حالهم الا انهم قالوا ذلك
وقوله فنظرت الى آخره تقدم تفسيره الا لام الحسنة من الشكين وغيره ومن طالع الفقرتين المقدمتين علم التفاوت في الروايتين
ولهذا الفصل **ومن كلام له عليه السلام** في ذكر السائرين الى البصرة لحربه عليه السلام فقدموا على عمالي وخزان بيت مال المسلمين
الذي في يدي وعلى اهل مصر كلهم في طاعتي وعلى بيعتي فشتتوا كلمتهم وافسدوا علي جماعتهم ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة
منهم غدرا وطائفة عضوا على اسيافهم فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين **اقول** عضوا على اسيافهم اي لزموها واشار بالمصر
الى البصرة وبالذين قدموا على عماله الى طلحة والزبير وعائشة واتباعهم فاما حالهم مع عماله وما فعلوا فهم وبخزان بيت مال البصرة
فقد تقدم ذكره مستوفى وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما مر بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن اسيد وهما قتيلان يوم الجمل لقد اصبح
ابو محمد بهذا المكان غريبا اما والله لقد كنت اكره ان تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب ادركت وتري من بني عبد مناف وافلتتني اعيان
بني جمح لقد اتلعوا اعناقهم الى امر لم يكونوا اهله فوقصوا دونه **اقول** عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد بن ابي العاص بن امية شهد
وقعة الجمل وقتل بها وقيل ان عقابا احتمل كفه فالقيت باليمامة في ذلك اليوم وعرفت بخاتمه وكان يدعى يعسوب قريش واعيان جمع عين وهم
سادة القوم واتلعوا اي رفعوا وتلع كل قبيلة رؤسها وانما شبه تطاولهم واتلعوا اعناقهم كالمتطلعين الى الامر ووقصوا اي كسرت اعناقهم وابو محمد كنية طلحة وفي الفصل
اشارات فالاولى ان قتله عليه السلام لمن قتل من بغاة الفئة ومن قتل من عسكره لم يكن الا اقامة للدين ونظام العالم فان قلت ان قتل هؤلاء
على كثرتهم فساد حاضر قلت انه وان كان فسادا الا انه جزئي بالنسبة الى صلاح جميع المسلمين في مصر فهو يسير بالنسبة الى صلاح بلاد المسلمين
وقتل ما هو بصورة جزئية من الفساد للمصلحة الكلية واجب في الحكمة فهو كقطع عضو فاسد لاصلاح باقي البدن الثانية قوله تحت بطون الكواكب
كناية لطيفة عن الفلوات وارادته ان كنت اكره ان يكونوا بهذه الحالة في الفلوات بحيث لا كن ولا ظل يواريهم الثالثة لقائل ان يقول انه
عليه السلام ادركت وتري من بني عبد مناف والوتر الحقد وهو رذيلة فكيف يجوز منه ان ينسبه على نفسه ويقول قد ادركته والجواب ان
الحقد نحو حقيقته هو بقاء صورة المؤذي في الخيال ومن حيث ان ذلك للغضب يتصور بالمؤذي فان الذي لا يكون رذيلة ولا يكون
الحق بروضعه مكروها وانه اراد ان طلحة والزبير كانا من بني عبد مناف من قبل الام فان ام الزبير من بني عبد العزى بن قصي
بن كلاب واما طلحة من بني سعد ابن تيم مرة وكان في زمن امير المؤمنين من بني جمح عبد الله بن صفوان بن امية بن خلف وعبد الرحمن

ج ٢

بن صفوان وكان مروان بن الحكم منهم اخذ اسيراً يوم الجمل واستشفع بالحسين والحسن عليهما السلام وروى عوض اغيا اعيا بنى جمح وهم التسا
ايقم والخامسة انلاع رقابهم استعارة كنى بها عن تطاولهم لامر الخلافة ونزع كونهم ليسوا اهلاً لها ووقصهم كناية عن قتلهم دون تلك الامر
ومقدورهم عند **ومن كلام له عليه السلام** قد احيا عقله وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع
كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه
في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه **اقول** هذا الفصل من اجل كلام له فى وصف السالك
الى الله وفي كيفية سلوكه المحقق وافضل اموره فاشار باحيا عقله الى صرف همته فى تحصيل الكمالات العقلية من العلوم
والاخلاق واحيا عقله النظري والعملي بها بعد الرياضة بالزهد والعبادة واشار باماتة نفسه الى قهر نفسه الامارة بالسوء وتطويعها
بالعبادة للنفس المطمئنة لانه يكون لما انصرفت على حد طباعها الاداب العقل وباعثه فكانت فى حكم الميت عن الشهوات بحيث
والميول الطبيعية الذى لا تصرف له من نفسه وقوله حتى دق جليله اى خفى انتهت به اماتته لنفسه الشهوية الى ان دق جليله وكنى بجليله
عن بدنه فانه اعظم ما يرى منه ولطف غليظه اشارة الى لطف بدنه ايضاً ويحتمل ان يشير به الى لطف قواه النفسانية بسبب الرياضة
وكسر الشهوة فان اعطاء القوة الشهوية مقتضى طباعها من الانهماك فى الماكل والمشارب مما يثقل البدن ويكدر الحواس ولذلك
قيل البطنة تذهب الفطنة وتورث القسوة والغلظة فاذا انصرفت على حد العقل بها لطفت الحواس عن تلك الابخرة المتولدة عن
التملي بالطعام والشراب ولطف اللطف ذلك ما غلظ من جوهر النفس بالهيئات البدنية المكتسبة من متابعة النفس الامارة
بالسوء كلطف المرآة بالصقال حتى يصير ذلك اللطف سبباً لاتصالها بعالمها واستشراقها الانوار من الملاء الاعلى وقوله
ولمع له لامع كثير البرق اشار باللامع الى ما يعرض للسالك عند بلوغ الارادة بالرياضة به حداً ما من الجلسات الى الجناب
الاعلى فيظهر له انوار الهيبة لذيذة شبيهة بالبرق فى سرعة لمعانه واختفائه وتلك اللوامع متى تحصل عند الامعان فى الرياضة ويحتمل
ان يكون قد استعار لفظ اللامع للعقل الفعال ولمعان ظهوره لكمال العقل الانسانى وكثرة برقه اشارة الى كثرة فيضان الانوار
الشبيهة بالبرق عنه عند الامعان فى الرياضة وقوله فابان له الطريق قوله ظهر له بسبب تلك ان الطريق الحق الى الله هى ما هو
عليه من الرياضة وسلك به السبيل اى كان سبباً لسلوكه فى سبيل الله وقوله وتدافعته الابواب اى ابواب الرياضة وهى ابواب
الجنة اعنى تطويع النفس الامارة والزهد الحقيقى والاسباب الموصلة اليها كالعبادات وترك الدنيا فان كل تلك ابواب يدفعه منها
السالك حتى ينتهى الى باب السلامة وهو الباب الذى اذا دخله السالك يتحقق فيه السلامة من الانحراف عن سلوك سبيل الله
هى الطريق وبتلك الباب هو الوقت الذى اشرنا اليه وهو اول منزل من منازل الجنة العقلية وقوله وثبتت رجلاه الى قوله
فى قرار الامن متعلق بثبت وهو اشارة الى الطور الثانى للسالك ما دام فى مرتبة الوقت فانه يعرض لبدنه عند لمعان
البرق فى سره اضطراب الشوق فلقد يحس بها خلسة لان النفس اذا فاجاها امر عظيم اضطربت وتقلقلت فاذا كثرت تلك الغواشي
الفتها بحيث لا تنزعج عنها ولا تضطرب بورودها عليها البدن بل تسكن وتطمئن لثبوت قدم عقله فى درجة اعلى من درجات الجنة التى
هى قرار الامن والراحة من عذاب الله وقوله بما استعمل الى اخره فالجار والمجرور متعلق بثبت ايضاً اى ثبتت رجلاه بسبب استعماله قلبه وقصره
على طاعة الله وارضائه بذلك الاستعمال وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام قاله بعد تلاوته ألهيكم التكاثر حتى زرتم**
المقابر يا له مراماً ما ابعده وزوراً ما اغفله وخطراً ما افظعه لقد استخلوا منهم اى مدكر وتناوشوهم من مكان
بعيد افبمصارع آبائهم يفخرون ام بعديد الهلكى يتكاثرون يرتجعون منهم اجساداً خوت وحركات سكنت ولان يكونوا
عبراً احق من ان يكونوا مفتخراً ولان يهبطوا بهم جناب ذلة احجى من ان يقوموا بهم مقام عزة لقد نظروا اليهم بابصار العشوة
وضربوا منهم فى غمرة جهالة ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية والربوع الخالية لقالت ذهبوا فى الارض ضلالاً
وذهبتم فى اعقابهم جهالاً تطؤن فى هامهم وتستنبتون فى اجسادهم وترتعون فيما لفظوا وتسكنون فيما خربوا وانما الايام
بينكم وبينهم بواك ونوائح عليكم اولئكم سلف غايتكم وفراط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العز وحلبات الفخر
ملوكاً وسوقاً سلكوا فى بطون البرزخ سبيلاً سلطت الارض عليهم فيه فاكلت من لحومهم وشربت من دمائهم فاصبحوا فى
يحفلون
الاهوال ولا يحزنهم تنكر الاحوال ولا يحفلون بالرواجف ولا يأذنون للقواصف غيباً لا ينتظرون وشهوداً لا يحضرون
وانما كانوا جميعاً فتشتتوا وآلافاً فافترقوا وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم عميت اخبارهم وصمت ديارهم ولكنهم سقوا
كأساً بدلتهم بالنطق خرساً وبالسمع صمماً وبالحركات سكوناً فكأنهم فى ارتجال الصفة صرعى سبات جيران لا يتأنسون
واحباء لا يتزاورون بليت بينهم عرى التعارف وانقطعت منهم اسباب الاخاء فكلهم وحيد وهم جميع وبجانب الهجر وهم اخلاء

في بيان احتجاجه مع اهل البغي

لا يتعارفون لليل صباحاً ولا لنهار مساءً اي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمداً شاهدوا من اخطار دارهم افظع مما خافوا ورأوا من آياتها اعظم مما قدروا فكلتا الغايتين مدت لهم الى مباءة فاتت مبالغ الخوف والرجاء فلو كانوا ينطقون بها لعيوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا ولئن عميت آثارهم وانقطعت اخبارهم لقد رجعت فيهم ابصار العبر وسمعت عنهم آذان العقول وتكلموا من غير جهات النطق فقالوا كلحت الوجوه النواضر وخوت الاجسام النواعم ولبسنا اهدام البلى وتكاءدنا ضيق المضجع وتوارثنا الوحشة وتهكمت علينا الربوع الصموت فانمحت محاسن اجسادنا وتنكرت معارف صورنا وطالت في مساكن الوحشة اقامتنا ولم نجد من كرب فرجاً ولا من ضيق متسعاً فلو مثلتهم بعقلك او كشف عنهم محجوب الغطاء لك وقد ارتسخت اسماعهم بالهوام فاستكت واكتحلت ابصارهم بالتراب فخسفت وتقطعت الالسنة في افواههم بعد ذلاقتها وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها وعاث في كل جارحة منهم جديد بلى سمجها وسهل طرق الآفة اليها مستسلمات فلا ايد تدفع ولا قلوب تجزع لرأيت اشجان قلوب واقذاء عيون لهم في كل فظاعة صفة حال لا تنتقل وغمرة لا تنجلي فكم اكلت الارض من عزيز جسد وانيق لون كان في الدنيا غذي ترف وربيب شرف يتعلل بالسرور في ساعة حزنه ويفزع الى السلوة ان مصيبة نزلت به ضناً بغضارة عيشه وشحاحة بلهوه ولعبه فبينا هو يضحك الى الدنيا وتضحك اليه في ظل عيش غفول اذ وطئ الدهر به حسكه ونقضت الايام قواه ونظرت اليه الحتوف من كثب فخالطه بث لا يعرفه ونجي هم ما كان يجده وتولدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحته ففزع الى ما كان عوده الاطباء من تسكين الحار بالقار وتحريك البارد بالحار فلم يطفئ ببارد الا ثور حرارة ولا حرك بحار الا هيج برودة ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع الا امد منها كل ذات داء حتى فتر معلله وذهل ممرضه وتعايا اهله بصفة دائه وخرسوا عن جواب السائلين عنه وتنازعوا دونه شجي خبر يكتمونه فقائل هو لما به وممن لهم اياب عافيته ومصبر لهم على فقده يذكرهم اسى الماضين من قبله فبينا هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الاحبة اذ عرض له عارض من غصصه فتحيرت نوافذ فطنته ويبست رطوبة لسانه فكم من مهم من جوابه عرفه فعي عن رده ودعاء مؤلم بقلبه سمعه فتصام عنه من كبير كان يعظمه او صغير كان يرحمه وان للموت لغمرات هي افظع من ان تستغرق بصفة او تعتدل على عقول اهل الدنيا اقول المرام المطلوب

والزور الزائرون والخطر الاشراف على الهلاك والفظيع الشديد الذي جاوز الحد في شدته واستخلوا اي اتخذوا خلية والذكر ... شانهم وتعبيل استخلوا اي وجد ومعنا لبا والتناوش التناول والحجى العقل والعشوة ركوب الامر على جهل به ويرتعون يتنعمون ولفظوا رموا وتركوا والفارط السابق الى الماء والمورد وحلبات الفخر جماعاتها والسوقة جمع سوقي وهي الرعية والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى البعث والفجوات جمع فجوة وهي المتسع من الارض والضمار الغائب الذي لا يرجى ايابه ويحقلون ينالون والولوج ... ويأذنون يسمعون والنحال الضعف انشا وهملا لسيا النوم واصله الراحة وافظع اشد والمباءة الموضع يبوء الانسان اليه اي يرجع وتكاءد اي عجز عنه والكلوح تكشر في عبوس والاهدام جمع هدم بكسر الهاء الثوب البالي وتكاءدنا شق علينا وصعب وتهكمت تهدمت وارتسخت ثبتت في قرارها الهوام واستكت انسدت وذلاقة اللسان حدته وسهولة الكلام به وهمدت سكنت وبليت وعاث افسد وسمجها قبحها والاشجان الاحزان والانيق المعجب للناظر وغضارة العيش طيبه والكثب القرب والبث الحال الشديد من حزن والقار والقرور الماء البارد وذهل انفصل فوائد فالاول اللام في قوله يالها للام الجر التعجب كقولهم يا لله واللام والجار والمجرور في محل النصب لانه المنادي ... مراما وزورا وخطرا منصوبات على التمييز والمعنى التعجب من بعد ذلك المرام وهو التكاثر فان الغاية المطلوبة منه لا يدركها الانسان لان كل غاية يبلغها ففوقها غاية اخرى فلا يدركها عمره فنفسه تطمح اليها وذلك التعجب من شدة غفلة الزور اي الزائرين المقابر ولان الكلام خرج بسبب الاية فكان غفلة الانسان عما يزور اليه ويتقدم من ذلك لزيادة عليه غفلة عظيمة وهي محل التعجب من فظاعة الخطر والاشراف على شدائد الاخرة فان كل خطر دنيا وينحقر في جنبه والضمير في قوله استخلوا للاحياء وفيهم تلك الاموات وعنى بالذكر ما خلفوه من الآثار التي هي محل العبرة وقوله اي مدكر استفهام على سبيل التعجب من تلك الذكر في احسن افادته للعبرة ولهذا قال بعدا تناوشوهم من مكان بعيد اي تركوهم ما ينتفعون به وهو الذكر من جهة الاعتبار بموتهم وهم من جهة بعيدة والذي تناولوه هو افتخار كل منهم بما يرثونه ومكاثرته بالماضين من قومه الذين هم بعد الموت ابعد الناس عنه وابعد لانهم ابعد الكمالات عنه وكنى بالمكان البعيد عن ذلك لاعتبار فان الامور وكالاتهم في ابعد الاعتبارات عن الاحياء والانبياء ولذلك استفهم عن ذلك استفهام انكار وتوبيخ فقال افمصارع ابائهم يفخرون الى قوله سكنت وذلك لان الافتخار بهم لكانهم يذكرهم لمن فيه الفخر فلا يفخروهم بعد موتهم ويحتمل ان يكون ذلك مستفهما عنه بقيه على سبيل الانكار وان لم يكن حرف الاستفهام والتقدير ايجعلون منهم فخرهم احيانا ... وقوله ولان يكونوا عبرا احق ان يكونوا مفتخرا مؤكد لتوبيخهم على ترك العبرة بالذكر الذي هو وجه النفع واخذهم بالوجه ... وهو الافتخار وكشف لعيبه وكذلك قوله لان يهبطوا بهم جناب ذلة اي باعتبارهم فانه يستلزم الخشوع لعزة الله والخشية منه وذلك اولى بالعقل والتدبر من ان يقوموا بهم مقام عزة بالمفاخرة والمكاثرة واضاف

في بيان احتجاجه مع اهل البغي

الابصار الى العشوة لتشبيهها البهائم اى نظروا اليها بابصار قلوب غطى عليها الجهل باحوالهم فساروا في تلك الاحوال بجهالة غامرة لهم وقوله ولو
استنطقوا الى قوله لقالت اى لو طلبت منها النطق لقالت بلسان حالها كذا وكذا الى قوله وتسكنون فيما خربوا ويحتمل ان يكون في
الفصل كله مقولا بلسان حال تلك الديار والضلال النصب في قوله ضلالا وجهالا على الحال اى ذهبوا في الارض ضالين وذهبتم بعدهم
جاهلين باحوالهم تطؤون رؤوسهم وتستنبتون الاشجار في اجسادهم وذلك في المواضع التي بليت فيها الاجساد واستعار لفظ البواكي
والنوائح لايام الحيوة ملاحظة لتشبيهها في مفارقتهم لها بالامهات التي فارقتها اولادها بالموت وقوله اولئك سلف غايتكم وفراط
مناهلكم اى السابقون لكم الى غايتكم وهي الموت وما بعده والى مناهلكم وهي تلك الموارد ايضا ومقاوم جمع مقام لان العز و
وملوكا وسوقا نصب على الحال وبطون البرزخ ما غاب بطن منه عن علومنا ومشاهداتنا والسبيل هو مسالك الفدلهم الى غاياتهم
الاخروية من سعادة او شقاوة ونسبة الاكل والشرب الى الارض مجاز يقارب الحقيقة في كثرة الاستعمال وانما سلب عنهم الشعور
الفزع من ورود اهوال الارض عليهم والحزن من تغير الاحوال بهم والحفل بزلازل الارض وسماع الرياح القاصفة والانطاق لكون ذلك
من توابع الحيوة وصفاتها فان قلت فهذا ينافي ما نقل من عذاب القبر فانه يستلزم الفزع والحزن قلت انما سلب عنهم الفزع والحزن من
احوال الدنيا المشاهدة لنا وكذلك الحفل بزلازلها وسماعها وعذاب القبر ليس من ذلك القبيل بل من احوال الاخرة واهوالها ولا يلزم
من سلب الفزع الخاص سلب العام ونبه على تغيبهم وشهودهم ليس كيفية اهل الدنيا وشهودهم اذ كان الغائب في الدنيا من شانه
ان ينتظر والشاهد فيها حاضر وهم مشاهدون بابدانهم مع صدق الغيبة عليهم ضيا اي بانفسهم ولما امتنع ذلك القول لا جرم صدق
انهم غيب لا ينتظرون وشهود لا يحضرون وقوله وما عن طول عهدهم الى قوله سكوتا اى عدم علمنا باخبارهم صمم ديارهم عند
ندائنا ليس لاجل طول عهد بيننا وبينهم ولا بعد محلتهم ومستقرهم فان الميت حال موته وهو بعد مطروح الجسد مشاهد لنا
يتعى علينا الخبار ولا يسمع نداء ناديه تارة ولكن ذلك لاجل انهم سقوا كاس المنية فبدلتهم بالنطق خرسا وبالسمع صمما وبالحركات سكونا
بالصرع عجز النوم وجبر الشبه عدم الحركات والسماع والنطق مع الهيئة المشاهدة من المستغرق في نومه ثم نبه على انهم في احوالهم الاخروية
تجاورهم مع وحدتهم وتهاجرهم ليس كتلك الاحوال في الدنيا اذ من شان الجيران فيها ان يانس بعضهم ببعض والاحباء ان يتزاوروا
والوصل ذلا يكون في جماعة واشار بالجوار الى تقارب ابدانهم في القبور وبالمحابة الى ما كانوا عليه من التحابب في الدنيا وبهجرهم
الى عدم تزاورهم وكذلك تخليهم الى ما كانوا عليه من المودة في الدنيا وكونهم لا يتعارفون لليل صباحا ولا لنهار مساء لكون الليل
والنهار من لواحق الحركات الدنيوية الغائبة عنهم فتساوى الليل والنهار بالنسبة اليهم وكذلك قوله اى الجديدين الى قوله سرمدا
والجديدان الليل والنهار لتجدد كل منهما ابدا واستعار وصف الظعن لانتقالهم الى الدار الاخرة وكون ذلك الجديد بعد الظعن عليهم
سرمدا عليهم ليس حقيقة لعدم عوده بعينه بل نسبة السرمدية اليه لكونه جزءا من الزمان الذي يلزمه السرمدية لانا نحقق وقوله
شاهدوا الى قوله عاينوا اشارة الى صعوبة اهوال الاخرة وعظم احوالها بالنسبة الى ما يخاف منها في الدنيا وذلك امر عرف من اخبار
الشريعة الحقة وتاكد باستقراء اللذات والالام العقلية ونسبتها الى الحسية ثم ان الخوف والرجاء للامور الاخروية انما يبعثان بحسب
وصف تلك الامور وانما نعقل من تلك الاوصاف ما كان فيه مناسبة وشبه بالامور المخوفة والمرجوة في الدنيا فنحن نتصور ذلك على
على قياس هذه فذلك سبب سهولتها علينا وضعف خوفنا منها ورجائنا لها حتى لو شاهدنا اخطار تلك الدار لشاهدنا ما يشاهد
مما نخافه الان ونتصوره ونقدره باوهامنا فلا جرم لما وصل السابقون شاهدوا افظع مما خافوا ولو امكنهم النطق لعيوا بصفة ما شاهدوا
منها وعجزوا عن شرحها وقوله وكلتا الغايتين اى غاية المؤمنين والكافرين من سعادة وشقاوة مدت اى مدت لهم اجل ينتهون فيه الى غاية
ومرجع وهو الجنة او النار وذلك المرجع يبلغ مبالغ خوفا ورجاءا اى هو اعظم مما نخافه ونرجوه واسند المد الى الغاية مجازا وقوله
ولئن عميت الى قوله النطق من افصح الكلام وابلغه وابصار العبر ابصار البصائر التي يعتبر بها واذان العقول مجاز في عقلها باحوالهم التي من
شانها ان تسمع اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقوله وكلامهم من غير جهات النطق اى من غير افواه والسنة لحمانية ولكن بالسنة احوالهم
وقوله بلسان الحال الى قوله مستفيضا اشارة الى ما نطقت به السنة احوالهم وتحكيه منها في القبور وروي عوض خلقت خوت واستعار لفظ
الاهدام للتغير والتقشف والتمزيق العارض لجسم الميت لمشابهتها العظم البالي ويحتمل ان يريد بها الاكفان والمضجع القبر وتوارث
الوحشة القبر واستعار لفظ التوارث لكون تلك الوحشة كانت لابائهم قبلهم فحصلت لهم بعدهم والربوع الصموت ايضا القبور وكذلك
مساكن الوحشة وعفت صورهم ما كان معروفا منها في الدنيا وقوله فلو مثلتهم بعقلك اى تخيلت صورهم واستحضرتها في خيالك
وكشف عنهم محجوب الغطاء لك اى ما تحجب بغطية التراب والتواري لاجسادهم عن بصرك والواو في قوله وقد ارتسخت للحال ويقظة هوام
استعارة للجيوم وحركاتها واسناد العبث الى حديد البلى مجاز ومستهلكات الحال المجوارح الهامل غاث وسهل الاذى في قوله ثوابت ججوا

او وحشة

كلام له عند تلاوته يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال

لو واحسن بقوله هم في كل فظاعة صفة حال لا تنتقل وغمرة لا تنجلي وصفا اجماليا فانه لا مزيد عليه في البلاغة الذي فيه واراد بالغمرة من لفظاعة ما هم فيه من الشدائد بعد الفك فعيل بمعنى مفعول اي مغذي بالترف وقوله ويفزع الى السلوة اي عن المصيبة لتسليه الى المسرات والمنتزهات وضحكه الى الدنيا كناية عن ابتهاجه بها وبما فيها من الهيئات وغايته اقباله عليها لان غاية المبتهج بالشيء ان يضحك له وكذلك ضحك الدنيا مجاز في اقبالها عليه اطلاقا لاسم السبب لغايته على مسببه واصل بينا بين فالحقت الالف اشباعا الفتحة والعيش الغفول الذي يكثر الغفلة فيه لطيبه واستعار لفظ الحسك للالام والامراض ومصائب الدهر ووجه المشابهة استلزامها للاذى كاستلزام الحسك له ورشح بذكر الوطي استعارة ووصف النظر لا قبال الحتوف اليه لا ستعداده فيها في ذلك كما يقصد للشيء بالنظر لتقبضه والبث الحزن من الهم الخال التي لا يجدها الانسان عند دوم الموت من الوسوس والخيالات والهموم والاحزان التي لم تكن تعرض له وقوله نجيه فترات علل انس ما كان لصحته وانقضاء الانس على الحال وما يعني الزمان المقاوم لها وليس لعلاج بالبارد هو المثير للحرارة ولا بالعكس لان الدواء معين للطبيعة على مقاومة المرض فلا يكون مثيرا له لكن مع ذلك العلاج وذلك لا غاية لغلبة الحرارة والبرودة ويظهر بسبب ذلك اي الداء وكذلك قوله ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع الا امد منها كل ذات داء اي ولا اعتدل المريض في علاجه نفسه بما يمازج تلك الطبائع شبه الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة الا كانت مادة وكذا منها وليس مادة على الحقيقة لما كان يغلب معه المرض على القوة فكانه مادة له فنسب اليه وهي مورد عرفية يقال كثيرا والكلام فيها على التعارف وقوله حتى فتر معلله غاية تلك اللوازم ومعلله طبيبه وممرضه وخرسوا عن جواب السائل اشارة الى سكوتهم عند السؤال عن حاله وذلك انهم لا يخبرون عن عافيته لعدمها ويكرهون نعيه لهم الاخبار عنه بما هو عليه من الحال لشدتها عليهم فيكون شانهم في ذلك السكوت عن حاله المشبه للخرس في فوته فلذلك استعار وقوله وتنازعوا الى قوله من قبله اشارة الى ما يجري اهل المريض المشرف على الموت من احواله وصورة ما لعادة مجاريهم ان يقولوه وقوله فبينا كذا صفة حال الاضعف في الموت المعتاد للناس وكذلك ان للموت ملك الغمرات وكونها اقطع من ان يحيط بها وصف الانسان وشنعتها على الانسان كما يخبر عليه السلام ويعلم ذلك على سبيل الجملة وبالحدس والقياس الى الامراض الصعبة التي يمارسها الناس ويشتد عليهم عليهم فيعرف عند مقاساتها ومعاناة شدائدها وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول في سكرات موته اللهم اعني على سكرات الموت وما ينبغي عليه الوسول صلى الله عليه وآله وسلم مع كماله اتصاله بالعالم الاعلى فلا شك في شدته وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله إن الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة وتبصر به بعد العشوة وتنقاد به بعد المعاندة وما برح لله عزت آلاؤه في البرهة بعد البرهة وفي أزمان الفترات عباد ناجاهم في فكرهم وكلمهم في ذات عقولهم فاستصبحوا بنور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة يذكرون بأيام الله ويخوفون مقامه بمنزلة الأدلة في الفلوات من أخذ القصد حمدوا إليه طريقه وبشروه بالنجاة ومن أخذ يمينا وشمالا ذموا إليه الطريق وحذروه من الهلكة وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات وأدلة تلك الشبهات وإن للذكر لأهلا أخذوه من الدنيا بدلا فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه يقطعون به أيام الحياة ويهتفون بالزواجر عن محارم الله في أسماع الغافلين ويأمرون بالقسط ويأتمرون به وينهون عن المنكر ويتناهون عنه فكأنما قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك فكأنما اطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه وحققت القيامة عليهم عداتها فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس ويسمعون ما لا يسمعون فلو مثلتهم لعقلك في مقاومهم المحمودة ومجالسهم المشهودة وقد نشروا دواوين أعمالهم وفرغوا لمحاسبة أنفسهم على كل صغيرة وكبيرة أمروا بها فقصروا عنها أو نهوا عنها ففرطوا فيها وحملوا ثقل أوزارهم ظهورهم فضعفوا عن الاستقلال بها فنشجوا نشيجا وتجاوبوا نحيبا يعجون إلى ربهم من مقام ندم واعتراف لرأيت أعلام هدى ومصابيح دجى قد حفت بهم الملائكة وتنزلت عليهم السكينة وفتحت لهم أبواب السماء وأعدت لهم مقاعد الكرامات في مقام اطلع الله عليهم فيه فرضي سعيهم وحمد مقامهم يتنسمون بدعائه روح التجاوز رهائن فاقة إلى فضله وأسارى ذلة لعظمته جرح طول الأسى قلوبهم وطول البكاء عيونهم لكل باب رغبة إلى الله منهم يد قارعة يسألون من لا تضيق لديه المنادح ولا يخيب عليه الراغبون فحاسب نفسك لنفسك فإن غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك **أقول** الوقرة الثقلة من الوقر وهو الصمم والعشوة الغفلة من العشا وهو ظلمة العين بالليل دون النهار والبرهة المدة الطويلة من الزمان ويهتفون يصيحون والبرزخ ما بعد الموت من مكان وزمان والنشيج الصوت في ترديد النفس عند البكاء والمنادح جمع مندح وهو المتسع فقوله إن الله

كلام لعند ملاقه لانه لولا دجال اه

قال ولا الجهاد

سبحانه الى قوله بعد المعاندة انما يشعر بالاشارة الى الذكر وفضيلته وفائدته بالذكر هو القرآن الكريم لقوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه
ونحوه وقيل هو الاشارة الى تحميده تعالى وتسبيحه وتكبيره وتهليله والثناء عليه ونحو ذلك واما فضيلته ففي القرآن وقوله ما عمل ابن ادم من عمل
انجا له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا ان تضرب الى ان ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثلثا و
قوله من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله ونحو ذلك فاما فائدته فاعلم ان المؤثر من الذكر والنافع منه ما كان على
الدوام او في اكثر الاوقات مع حضور القلب بدونهما فهو قليل الجدوى وبذلك الاعتبار هو المقدم على ساير العبادات بل هو روح العبادات
العملية وغاية ثمرتها ولما ولد يوجب الانس بالله وانه يوجب الانس بالله وذلك ان المريد في مبدا امره قد يكون متكلفا للذكر ليصرف اليه قلبه
عن الوسواس فان وفق للمداومة تمادته وانغرس في قلبه حب المذكور ومما ينبه على ذلك ان احدنا يمدح بين يديه شخص ويذكر بحميد
الخصال فيحبه ويعشقه بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر اضطر الى كثرة الذكر اخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر
ذكره ومن اكثر من ذكر شيء وان كان متكلفا احبه فقد شاهدنا ذلك كثيرا كما قيل ذكر الله متكلفا الى ان يثمر الانس به والحب له ثم
يمتنع الصبر عنه اخر فيصير الثمرة مثمرا ولذلك قال بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس
والحب ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة حتى يصير التكلف طبعا ثم اذا حصل الانس بالله انقطع عن غير الله وما سوى الله هو
يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا المحبوب المذكور فيتمتع به ويتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة
عنه من اسباب الدنيا ومحبوباتها اذا عرفت ذلك فقوله جعل جلاءه اشارة الى فائدته وهي استعداد النفوس بها ومنه على الوجه الذي
ذكرناه لمحبة المذكور والاعراض عما سواه واستعار لفظ الجلاء لازالته كل ما سوى المذكور عن لوح القلب بالذكر كما يزال خبث المرآة بالصقال
ويحوز ملفظ السمع في اقبالها على ما ينبغي ان يسمع من اوامر الله ونواهيه وساير كلامه والوقرة لاعراضها عنها وكذلك ملفظ البصر في
ادراكها الحقايق وما ينبغي لها ولفظ الغشوة لعكس ذلك لا ادراك اطلاقا في المجازات لا بعد لاسم السبب على المسبب وانقيادها له
للحق وسلوك طريقه بعد المعاندة فيه والانحراف عنه وقوله وما برح الى قوله عقولهم اشارة الى انه لم يخل المدد وازمان الفترات
فقط من عباد لله واولياء له والهم معرفته وناجى على افكارهم وعقولهم صور الحق بكيفية الهداية اليه مكاشفة وتلك الافاضة
والالهام هو المراد بالمناجاة والتكلم منه وقوله فاستصبحوا الى قوله والافئدة اي استضاءوا واستصبح نور اليقظة واليقظة
في الافئدة فطانتها واستعدادها الكامل لما ينبغي لها من الكمالات العقلية ونور تلك اليقظة هو ما يفاض عليها بسبب استعدادها
بتلك الفطانة ويقظة الابصار والاسماع بتنبهها لابصار الاشياء النافعة المحصلة منها عبرة وكمالات نفسانيا وسماع النافع من الكلام
فيهما وانوار اليقظة فيهما ما يحصل بسبب تلك الابصار والسماع من انوار الكمالات النفسانية ثم شرع في وصف حالهم في هديهم لسبيل الله
بايام مرو هي كناية عن شدايد النازلة بالماضين من الامم واصله انها يقع في الايام ويحتمل ان يكون مجازا لاسم المحل على الحال و
مقام الله كناية عن عظمته وجلالته المستلزمة للهيبة والخوف وشبههم بالادلة في الفلوات ووجه الشبه كونهم هادين لسبيل
الله كما يهدي الادلة وكانت الادلة يحمدون من اخذ القصد في الطريق طريقه ويبشرونه بالنجاة ويذمون عنها يمينا وشمالا ذموا اليه الطريق
ويحذرونه من الهلكة كذلك الهداة الى الله من سلك سبيل الله العدل اليه وقصد فيها حمدوا اليه طريقه وبشروه بالنجاة من المهالك ومن
تحرف عنها يمينا وشمالا اي سلك احد طرفي الافراط والتفريط ذموا اليه مسلكه وحذروه من الهلاك الابدي وقوله وكانوا كذلك اي
وصفناهم واستعار لفظ المصابيح باعتبار اضاءتهم بكمالاتهم بطريق الله ولفظ الادلة باعتبار هدايتهم الى الحق وتمييزه عن شبهات الباطل
وقوله وان للذكر لاهلا الى قوله في ايام الحيوة فاهله هم من ذكرناهم انهم اشتغلوا به حتى احبوا المذكور ونسوا ما عداه من المحبوبات
الدنيوية وان حب محبة المذكور وذكره وملازمته حتى اتخذوه بدلا من متاع الدنيا وطيباتها ولم يشغلهم عنه تجارة ولا بيع وقطعوا
به ايام حيوتهم الدنيا وقوله يهتفون الى قوله فيتناهون عنه اشارة الى وجوه طاعتهم وشهرتهم لما هي من ثمرات الذكر
ومحبة المذكور لان من احب محبوبا سلك مسلكه ولم يخالف رسمه وكان له في ذلك الابتهاج واللذة وقوله فكانما قطعوا الى قوله
على انهم اشارة الى تنبيههم في نفسهم بالله وبما جاءت به كتبه ورسله وتحققهم لاحوال القيامة ووعدها ووعيدها بعين اليقين فرجعوا عن
الدنيا من احوال اهل البرزخ وطول الاقامة فيه فكشفوا غطاء تلك الاحوال لاهل الدنيا بالعبارات الواضحة والاشارات اللائحة حتى
كانهم في صنعهم لما غاب عن ابصارهم وصفا سرايرهم وصقلوا جواهر نفوسهم بالرياضة التامة يرون بابصارهم ما لا يرى ويسمعون ما لا يسمع
الناس ويخبرون عن مشاهدات ومسموعات لا يدركها الناس لما كان السبب في قصور النفوس عن ادراك احوال الاخرة هو تعلقها
بهذه الابدان واشتغالها بتدبيرها والانغماس في الهيئات الدنيوية المكتسبة عنها وكان هؤلاء الموصوفون قد ما عملوا على قطع تلك الهيئات
عن الواح نفوسهم بمداومة ذكر الله وملازمة الرياضة التامة حتى صارت نفوسهم كمراى مجلوة حوذي بها شطر الحقايق الالهية فتجلت
ما انتقشت بها لا جرم شاهدوا بعين اليقين سبيل النجاة وسبيل الهلاك وما بينهما فسلكوا على بصيرة وهدوا الناس على يقين ولذلك ...

ح ٢

بمقتبسها

الملاقهم

بحبة

الناس

كلام له عند تلاوته آية رجال

عن امور شاهدوها باعين بصائرهم وسمعوا باذان عقولهم فكانهم في وضوح ذلك لهم وظهوره واخبارهم عنه قد شاهدوا ما شاهده الناس
بحواسهم فشاهدوا ما لم يشاهده الناس وسمعوا ما لم يسمعوه وقوله فلو مثلتهم بعقلك الى آخره استحضر صورهم واحوالهم في مقاماتهم المحمودة و
مجالسهم المشهودة وهي مقامات العبادة ومجالسها ودواوين اعمالهم بافكارها وتخيلاتها لصور تلك الاعمال وبضعفها المشبهة لنفخ
الاوراق والواو في قوله وقرعوا لمحاسبة انفسهم على كل صغيرة وكبيرة ليستتب بيان معنى المحاسبة ولما كان معنى المحاسبة حتى
يكون المنظر معه في راس المال في الربح والخسران ليتبين له الزيادة والنقصان وان كان من فضل حاصل استوفاه وان كان من خسران طالبه
وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك العبد يعامل نفسه بالبر ورأس ماله الفرائض وربحه النوافل والفضائل والخسران المعاصي وموسم هذه
التجارة جملة النهار فينبغي ان يكون للعبد في آخره ساعة يطالب فيها نفسه ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها فان كان قد ادى الفرائض على
في مثلها وان فوتها من اصلها بالقضاء وان ادتها ناقصة كملها بالجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها و
معاتبتها استوفى منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه ينقش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة
والنقصان كذلك ينبغي ان يتقي غبنة النفس ومكرها فانها مخادعة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عما تكلم به طول نهاره وليتول
من حسابها بنفسه ما سيتولاه غيره في محفل القيامة وكذلك عن نظره وخواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه وحتى عن سكونه
سكوته فاذا عرف انها ادت الحق في الجميع كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر بها الباقي ويقرره عليها ويكتبه على صحيفة قلبه ثم ان النفس
غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا
بعد تحقق الحساب وتمييز باقي الحق الواجب عليه ثم يشتغل بعده بالمطالبة وينبغي ان يحاسب الانسان النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة فساعة في جميع
الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب فاذا هو ستون سنة فحسب ايامها فاذا
هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتي القى الملك باحد وعشرين الف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قائلا
يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان تكون المحاسبة ولو رمى العبد بكل معصية حصاة في داره لامتلأت داره في مدة
يسيرة من عمره ولكنه يتساهل في حفظها والملكان يحفظان عليه كما قال تعالى احصاه الله ونسوه واذا عرفت ذلك فقوله وقرعوا
لذلك تبرأ نفسهم الى قوله ندم واعتراف اشارة الى حال وجلهم عند محاسبة انفسهم لتقصيرها والحسرات في نفوسهم والمهم التي هي لطاعا
وتثبيتهم ونحيبها وضجيجهم في الندم والاعتراف بالذنب اشارة الى حالهم في تدارك تلك الحسرات بالشروع في الجبران فاول مقاماته
التوبة ولوازمها المذكورة ثم العمل وقوله لرأيت الى قوله الراغبون وصف لاحوالهم المحمودة واللام في قوله لرأيت جواب لو في قوله فلو مثلتهم واستعار
لهم لفظ الاعلام والمصابيح باعتبار كونهم ادلة الى طريق الله وذوي انوار يستضاء بها فيها وحفوف الملائكة بهم كناية عن احاطتهم بهم
ذلك لكمال استعدادهم لقبول الانوار عن الله بواسطة الملائكة الكروبية وتوجيهها عليهم عنهم وفي ذلك الاشارة الى اكرامهم بنزولهم وفي
قوله وتنزلت عليهم السكينة اشارة الى ما وقع استعداد نفوسهم لافاضة السكينة عليها وهي ملكة نفسانية تنشأ من احوال السالك بعد الطمأنينة
وذلك ان تكثر تلك البروق واللوامع التي كانت تسنح حتى يصير ما كان مختطفا منها مألوفا وكانت تحصل للسالك فيصير حصولها
بمشيئته وارادته وفتح ابواب السماء لهم اشارة الى فتح ابواب سماء الجود الالهي بافاضة الكمالات عليهم كما قال تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر ومقاعد الكرامات
مراتب وصولهم لتلك الكمالات التي اطلع الله عليهم فيها ونحو سعيهم بالاعمال الصالحة المبلغة اليها وحمد مقامهم فيها وقوله يتنسمون بدعائه
روح التجاوز اي يتوقعونه ويتوقعون بدعائه تجاوزه عن ذنوبهم وذلك لا يجهل تقصيرهم فيما عساهم قصروا فيه سببا لانقطاع فيضه وقد علمت ان
في يد المسر... وكنى بلفظ الاسارى ووصف الشاكي عن مقامهم في مقام الذل المستحقين كالاسير بالنظر الى عظمة من اسرهم وقوله قد خرج الى قوله
عيونهم فذلك الحرج من لوازم اطلاعهم على خيانة انفسهم وحسراتهم في مقاماتهم بما تعيد محاسنها وقوله لكل باب الى قوله قارع اشارة الى قرعهم
لكل باب من ابواب الرغبة الى الله الى توجيه اسرارهم وعقولهم الى القبلة الحقيقية استمطارا لانوار الله واستنزالا لجوده وقوله يسألون الى قوله
المنادح اشارة الى سعة جوده وفضله انه اكرم الاكرمين ليتبين انه احق مسؤول باعطاء سؤل واولى مرغوب اليه باسعاد المرغوب وقوله فحاسب نفسك لنفسك
اخره اي فتول انت حساب نفسك فان حساب غيرها من النفوس وهي التي لم يحاسبها صاحبها يتولاه غيرك وهو اسرع الحاسبين وذلك في معنى تهديد
الانسان على ترك محاسبة نفسه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** قاله عند تلاوته يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ادحض
مسؤول حجة واقطع مغتر معذرة لقد ابرح جهالة بنفسه يا ايها الانسان ما جرأك على ذنبك وما غرك بربك وما آنسك بهلكة
نفسك اما من دائك بلول ام ليس من نومتك يقظة اما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرها فلربما ترى الضاحي لحر الشمس فتظله او ترى
المبتلى بالم يمض جسده فتبكي رحمة له فما صبرك على دائك وجلدك على مصابك وعزاك عن البكاء على نفسك وهي اعز الانفس
عليك وكيف لا يوقظك خوف بيات نقمة وقد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته فتداو من داء الفترة في قلبك بعزيمة ومن
كرى الغفلة في ناظرك بيقظة وكن لله مطيعا وبذكره آنسا وتمثل في حال توليك عنه اقباله عليك يدعوك الى عفوه ويتغمدك

بفضله وانت

كلام له عند تلاوته يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم

بفضله وانت متول عنه الى غيره فتعالى من قوي ما اكرمه وتواضعت من ضعيف ما اجراك على معصيته وانت في كنف ستره مقيم وفي سعة فضله متقلب فلم يمنعك فضله ولم يهتك عنك ستره بل لم تخل من لطفه مطرف عين في نعمة يحدثها لك او سيئة يسترها عليك او بلية يصرفها عنك فما ظنك به لو اطعته وايم الله لو ان هذه الصفة كانت في متفقين في القوة متوازيين في القدرة لكنت اول حاكم على نفسك بذميم الاخلاق ومساوي الاعمال وحقا اقول ما الدنيا غرتك ولكن بها اغتررت ولقد كاشفتك العظات وآذنتك على سواء ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنقص في قوتك اصدق واوفى من ان تكذبك او تغرك ولرب ناصح لها عندك متهم وصادق من خبرها مكذب ولئن تعرفتها في الديار الخاوية والربوع الخالية لتجدنها من حسن تذكيرك وبلاغ موعظتك بمحلة الشفيق عليك والشحيح بك ولنعم دار من لم يرض بها دارا ومحل من لم يوطنها محلا وان السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم اذا رجفت الراجفة وحقت بجلائلها القيامة ولحق بكل منسك اهله وبكل معبود عبدته وبكل مطاع اهل طاعته فلم يجز في عدله وقسطه يومئذ خرق بصر في الهواء ولا همس قدم في الارض الا بحقه فكم حجة يوم ذاك داحضة وعلائق عذر منقطعة فتحر من امرك ما يقوم به عذرك وتثبت به حجتك وخذ ما يبقى لك مما لا تبقى له وتيسر لسفرك وشم برق النجاة وارحل مطايا التشمير

اقول: ادحض: ابطل. وابرح جهالة بنفسه اي بالغ في تحصيل جهلها لها. والمجبر تلك والبلول الصحة والضاحي البارز للشمس. والمضض الالم. والسطوة البطش والقهر والسطوة المرة منه والجمع سطوات. والتجلد التقوي والتصبر. والورطة الهلاك. وتعدك تلم بك. والكنف الجانب. والمنتدح والمتحول. والمنسك موضع العبادة واصله كل موضع يتردد اليه ويقصد. والتحري طلب الاحرى والاولى. وشم برق النجاة اي انظر اليه. فقوله: ادحض خبر مبتدا محذوف والتقدير ان الانسان عند سؤال ربه له ما غرك بربك الكريم ادحض مسؤول حجة واشد انقطاعا في عذره. وبما لغته في تجهيل نفسه كثرة اهمالها في متابعة هواها وتركها عن الاصلاح. والمنصوب بالثلاثة تمييز. وقوله: يا ايها الانسان الى قوله لنفسك استفهامات عن اسباب جراته على الذنوب واستيناسه بهلكة نفسه وغفلته عن تدارك بليته وعن اسباب رحمته لنفسه بتوبيخها في كلها معها استفهاما على سبيل التقريع والتوبيخ. ويحتمل ان يكون قوله ما انسك تعجبا وكل الاستفهام عن اولها من داء الجهل ويقظته من نوم الغفلة ورحمته لنفسه كما يرحم غيرها الا ان الاستفهامات الثلاثة الاولى يطلب فيها نفس تلك الاسباب وفهم حقيقتها على سبيل تجاهل العارف. وفي هذه الثلاثة الاخيرة يطلب فيها التصديق. ثم نبه على وجوب رحمته لنفسه كما يرحم غيرها بقوله فلربما ترى الضاحي الى قوله رحمة له وهي في قوة صغرى قياس اضمير ووجه ذلك انك تحن فترحم من تراه في حر الشمس فتظله او مبتلى بالم فتبكي رحمة له وكل من كان كذلك فاولى ان يرحم نفسه بانقاذها من بلاء فيه نتيجة انك اولى ان ترحم نفسك من دائها. وقوله فما صبرك الى قوله الا نفس عليك استفهام عن اسباب صبره على دائه وتجلده على مصائبه التي لحقته بسبب تلك الداء وتعزيه عن البكاء على اعز النفس عليه استفهام توبيخ. ولا يحسنها بعد ذلك الاحتجاج ظاهر. ونبهه بقوله وكيف لا يوقظك الى قوله سطواته على بعض اسباب اليقظة لعظمة الله عن الغفلة عنها وهي خوف بيات النقمة ان يوقعها به ليلا كقوله تعالى افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون. ومدارج سطواته مجاري بطشه وقهره وهي محال المعاصي واسبابها والتورط فيها الحسوف فيها المستلزم للهلاك الاخروي. وقوله فتداو الى قوله بيقظة تنبيه على الدواء من الفترة في القلب عن ذكر الله وهو العزيمة على طاعته والاجماع على ملازمة ذكره. ومن نوم الغفلة في ناظر القلب عن ذلك باليقظة ثم امره بما ينبغي ان يكون عليه في ذكر الله. وقوله تمثل الى قوله بصرفها عنك تنبيه له على عظم نعم الله عليه وما لتلك النعم من التفضل له وهما طاعة الله وتحصيل الذي يدوم ذكره وكذلك فامره ان يتمثل في ذهنه حال اعراضه عن ربه وانهماكه في ضروب نعم الله عليه ومقابلته لها بالكفران والمعصية لعله يتذكر ويخشى فامره ان يتمثل في ذهنه حال اعراضه عن ربه واقامته في كنف ستره وتقلبه في سعة فضله وعدم منعه اياه فضله وعدم هتكه عنه ستره لقابلته تلك النعم بالكفران والمعصية بل لم يخل عن لطفه مقدار طرف عين في ذلك اللطف بصرفها عنه فاحسن بهذا التنبيه فان استحضار ذهن الغافل بضروب هذه النعم في حال الاهمال في نعمة يحدثها له او سيئة يسترها عليه او بلية عنه وما قال لو تمثل لان الحاضر في الذهن ليس هو نفس اقبال الله على العبد بل مثاله ومثاله. على المعصية من اقوى الجوانب الى الشعها وانما قال لو تمثل لان الحاضر كان عليك حال معصيتك له كثيرا كما تقدم بيانه فبطريق الاولى وتدعوه في موضع الحال وكذلك الواو في قوله وانت المتلازمان فضله. ثم نبه عليه. وقوله وايم الله الى قوله الاعمال اي لو كان هذا الوصف الذي ذكرناه من اقبال الله انيم فضله عليك حال طاعتك اياه ويحسن لتلك وقوله وايم الله الى قوله الاعمال بوصف مثلين من الناس في القوة والقدرة والمنزلة وكنت عليك بضروب نعمه ومقابلتك لها بالاعراض عنه والاقبال على معاصيه لكنت اول حاكم على نفسك بنقصها وذميم اخلاقها ومقابح اعمالها وهو مستلزم للمسيء منهما لكان فيما ينبغي لك من الحياء والانقياد ان تكون اول حاكم على نفسك بنقصها وذكر في الكلام الاول صغرى قياس ضمير من الشكل الاول ذكر في الكلام صغراه ونظمها انك لو لم يعترف عليه مساوي اعماله في قياس ضمير من الشكل الاول وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فاولى به ان يكون اول حاكم عليها على نفسك بنقصها على تقدير ان يكون مولك هذا النعم مثلا لك وتقدير الكبرى

كلام له عند تلاوة القرآن

بتبصيرها على تقدير ان يكون سولية تلك النعم خالقك ومالك قد وينبغي ان الاولى بل ان تكون اول ناكم على نفسك تبصيرها على تقدير ان يكون لي تلك النعم خالقك ومالك ذلك فوكد بحقنا اقول ما الدنيا غرتك ولكن اغتررت بها ولقد نقل منع لما عشيا انه يحجب الناس سوال النعم اياهم تقولونا غرك بربك وهو كبير في كلامهم ان الدنيا هي الغارة وكما نسب القرآن الكريم اليها ذلك ومنها قد يجوز ان ينسب اليها الاستغرار حقيقة لكن لما كانت سببا ماديا للاغترار بها جاز ان ينسب اليها الاستغرار مجازا وصدق قوله ايضا ولكن بها اغتررت وقوله ولقد كاشفتك العظات تقرير لنفي نسبة الاستغرار اليها نسبة ضده اليها وهو التبصير لهما كاشفته بالمواعظ وهي محال الاتعاظ من تصاريفها وعبرها ومحامرها باعلا على عدلها انها انخلقت لذلك التغير والاعلام وعلى ذلك التصريف ولم يمكن ان يكون الا كذلك فلم يكن تصاريفها بل جوروا عليك وقوله ما تعدك الى قوله تغرك زيادة تاكيد لنصيحتها وتخويفها واستعار لفظ الوعد لاشعارها في تغيراتها بما يتوقع من مصائبها كما ان الوعد اشعار باعطاء مطلوب واستعمل الوعد في مكان الوعيد مجازا اطلاقا لاسم احد الضدين على الاخر كتسمية السيئة جزاء وكذلك استعار لها لفظ الصدق والوفاء ملاحظة لشبهها بالصادق الوفي في انه لابد من ايقاع ما وعد به وقوله اصدق واوفى مع قوله من ان تكذبك او تغرك اللف والنشر وفيه المقابلة وقوله ولرب الى قوله مكذب تقرير لبعض لوازم الغفلة عليه وهي تهمة الناصح منها وتكذيبه لصادق خبرها واطلق لفظ التهمة والتكذيب مجازا على عدم الالتفات الى نصيحتها بتصاريفها وما يعلم من صادق تغيراتها وعدم اعتبار ذلك منها اطلاقا لاسم ذي الغاية على غايته وكانت غاية التهمة والتكذيب عدم الالتفات الى المتهم والمكذب والاعراض عنها وقوله ولئن تعرفتها الى قوله الشحيح بك صورة احتجاجية عليه على صدقها في نصيحتها كي تنتصح ولا تتهم وهو بقياس شرطي متصل وتقريره ولئن تعرفتها اي طلبت معرفة حالها في نصيحتها وغشها من الديار الخاوية والربوع الخالية للامم السالفة والقرون الماضية لتعرفنها بمنزلة الشفيق عليك والشحيح بك ووجه شبهها بذلك حسن تذكرها لك وبلاغ موعظتك في عبرات منها كما ان الناصح الشفيق عليك وبيان الملازمة بحال الوجد بعد تعرفها والاستثناء في هذه المتصلة لعين المقدم لينتج عين التالي وقوله ولنعم الى قوله محلا مدح للدنيا باعتبار استعمالها على الوجه المقصود بالعناية الالهية وهو الاعتبار بها دون تحقق الرضا بها لذاتها واتخاذها وطنا ودارا قارة واسم نعم هو دار من لم يرض والمخصوص بالمدح هو الدنيا ودارا ومحلا منصوبان على التمييز يقومان مقام اسم الجنس الذي هو اسم نعم اذا حذف وههنا مسئلتان احديهما ان اسم الجنس الذي هو اسم نعم وبئس يضاف في العادة الى ما فيه الالف واللام كقولك نعم صاحب القوم وقد اضمر ههنا الى ما ليس فيه الالف واللام وقد جاء مثله في الشعر كقوله فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم الثانية انه جمع بين اسم الجنس والنكرة التي تبدل منه وقد جاء مثله في قوله فنعم الزاد زاد ابيك زادا وانما اضاف دارا الى من لم يرض بها ومحلا الى من لم يوطنها لان الدنيا انما يكون دارا ممدوحة باعتبار كونها دار من لم يرض بها ولم يوطنها لاستلزام عدم رضاهم بها الانتفاع بالعبرة بها واتخاذ زاد التقوى واولئك هم المتقون السعداء بها ويحتمل ان يكون دارا ومحلا منصوبين على التمييز عن قوله لم يرض بها ولم يوطنها وقوله ان السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم توجيه سعادتهم بها باستثمارهم للكمالات السعادة في الآخرة منها ولن يحصل ذلك الا بالهرب منها اليوم وكنى بالهرب منها عن الاعراض الحقيقي عن لذاتها والتباعد من قنياتها لذاتها لاستلزام الهرب عن الشيء التباعد عنه والزهد فيه ظاهر ان التباعد منها بالعادية الا ما دعت الضرورة اليه واتخاذها مع ذلك سببا الى الآخرة من اسباب الشقاوة ومستلزماتها كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله من حاله فيها بقوله ما انا والدنيا انما مثلي فيها كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فنزل فقعد في ظلها ساعة ثم راح وتركها وقوله اذا رجفت على الوقت المذكور المدلول عليه بقوله غدا وهو يوم القيامة نعم يوم ترجف الراجفة هي النفخة الاولى في الصور وهي صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد يصعق فيها الخلائق وتتبعها الرادفة وهي النفخة الثانية تردف الاولى ومحلا لبل القيمة بحينها الجليلة العظيمة وقوله ولحق بكل منسك اهله اشارة الى لحوق كل نفس يوم القيامة بمعبودها ومطاعها وما التفت اليه واحبه من امر دنيوي او اخروي فاقبلت عليه وعملت له ونحوه اشار الرسول صلى الله عليه وآله يحشر المرء مع من احب ولو احب احدكم حجرا لحشر معه وقوله ولم يجز العدول بحجة تقرير لعدله تعالى في ذلك اليوم والمعنى ان كل حركة ولا ينقص والوطء وقرع عين في الهواء او همس قدم في الارض فانها لا تجزي في عدله الا بحقها الا بما عليه غيرهم اشار الى كثرة الحجج الباطلة يومئذ والاعذار المنقطعة رغبة في تحصيل الكمالات البرهانية ولزوم آثار المرسلين والاولياء الابرار في سلوك سبيل الله وانما ذكر تحاذف ذلك اليوم وامثاله بعد ذكر السعداء فيه وتعيين انهم هم الهاربون من الدنيا اليوم رغبة الى الاقتداء بهم في ذلك الهرب لتحصيل تلك السعادة ثم امر ان يطلب الانسان من امره ما يقيم عذره في ذلك اليوم وتثبت به حجته في محفل القيمة وذلك الامر هو ما اشرنا اليه من البرهان واقتفاء آثار المرسلين وكذلك امر ان ياخذ ما يبقى له من الكمالات السعدة في الآخرة مما لا يبقى له وهو الدنيا ومتاعها وقد بينا كيفية ذلك الاخذ غير مرة وان ييسر لسفره اي لسفره الى الله بالرياضة بالزهد والعبادة وان يشيم برق النجاة اي يوجه سره الى الله تعالى بعد الزهد الحقيقي والعبادة الكاسرة للنفس الامارة بالسوء لتشرق لوامع الانوار الالهية وبروقها التي هي بروق النجاة وابواب السلامة كما اشار اليه فيما قبل هذا الفصل بفصلين وله وعند تفتح الابواب الى باب السلامة في سلوك سبيل الله والاستعمال في العمل الصالح بعد الموت واستعار لفظ المطايا للاعمال ولفظ الارحال للاعمال الصالحة والله التوفيق

قال المفسرون الراجفة

واحوالها واهوالها وكلامها بحقهم

ومن كلام له عليه السلام

في بيان التبري من الظلم

ومن كلام له عليه السلم والله لان ابيت على حسك السعدان مسهدا او اجر في الاغلال مصفدا احب الي من ان القى الله سبحانه وتعالى ورسوله يوم القيمة ظالما لبعض العباد وغاصبا لشيء من الحطام وكيف اظلم احدا لنفس يسرع الى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها والله لقد رايت عقيلا وقد املق حتى استماحني من بركم صاعا ورايت صبيانه شعث الالوان من فقرهم كانما سودت وجوههم بالعظلم وعاودني مؤكدا وكرر علي القول مرددا فاصغيت اليه سمعي فظن اني ابيعه ديني واتبع قياده مفارقا طريقي فاحميت له حديدة ثم ادنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من المها وكاد ان يحترق من ميسمها فقلت له ثكلتك الى نار سجرها جبارها لغضبه اتئن من الاذى ولا ائن من لظى واعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة شنئتها كانما عجنت بريق حية او قيئها فقلت اصلة ام زكوة ام صدقة فذلك محرم علينا اهل البيت فقال لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية فقلت هبلتك الهبول اعن دين الله اتيتني لتخدعني امختبط او ذو جنة او تهجر والله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها على ان اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته وان دنياك عندي لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين **اقول** السعدان نبت شوكي ذو حسك لها ثلث شوك تحدده على اي وجه وقعت من الارض كان لها راس قائم و المصفد الموثوق شدا بغل او قيد ونحوهما والقفول الرجوع من السفر والاملاق الافتقار والاستماحة طلب السماح وهو العطا والعظلم نبت بالعربية النيل وقيل نبت احمر يصبغ به والدنف شدة المرض والميسم المكواة وسجرها وقدها واحماها وشنئتها ابغضتها وهبلته الهبول ثكلته الثواكل والخبال المرض كالجنون واللبس والمختبط الذي يطلب معروفه من غير سبب سابق بينهما من رحم او معرفة وفيها نفقة او معروف لك عنده والجنة الجنون والهجر الهذيان وجلب الشعيرة قشرها واعرض لفضل التبري من الظلم وذلك انه احدهم كان يا ابه فيما العطا وهو انه لم يكن ليستبقي لنفسه شيئا ولا يرى ان يعطي من بيت المال احدا دون غيره بحرمه وبما كان من غنائم الحاضرة فنسبه الى الظلم التخصيص بالمال دونه فتبرا لهذا الكلام مما نسب اليه من ذلك فقوله والله الى قوله الحطام بيان لمقدار نفرته عن الظلم وغايته بها وعلة ترجيح احد الامرين المذكورين على الظلم مع ما يستلزمانه من الالم والعذاب بما يستلزمه الظلم من عذاب الله اشد خصوصا في حق من نظر بعين بصيرته تفاوت العذابين مؤكدا لذلك ايتانا بالقسم البار ولفظ الحطام مستعار لمتاع الدنيا باعتبار اضمحلاله وافنائه كما تكسر من نبت الارض وظالما وغاصبا حالان وقوله وكيف الى قوله حلولها استفهام عن وجه ظلمه لاحد استفهام انكار على من نسب اليه ذلك مع ذكر سببين يمنعان العاقل من الظلم وهما الرجوع الى البلى من السفر في الدنيا وطول الحلول في الثرى وقوله والله لقد استماحني الى قوله لظى بيان لنفي الظلم عنه سلوكه في المحافظة على بيت المال ومراعاة العدل الى الحد الذي فعله مع اخيه عقيل على شدة فاقته وفاقة عياله وكونه ذا حق في بيت المال ومعلوم ان من لم تدعه هذه الاسباب الثلثة وهي الاخوة والفاقة والحق الموجود لذي الفاقة الى ان يدفع اليه وبعضه خوفا من شين الظلم فهو انزه الناس من ان يظلم او يحوم حول الظلم بوجه واستعار لفظ السمع لما يوهم من استماعه لكلامه في العطا للاخ الفقير بما يعرف من لدين لسبب الظلم في عطيته على غير الوجه الشرعي وقياده ما يقوده به من الاستعطاف والرحم وطريقه العدل وانما احمى له الحديدة لينبهه بها على النار الاخروية ولذلك اتبع عند انينه من حرها بقوله اتئن من حديدة الى قوله لغضبه وصورة الاحتجاج انك اذا كنت تئن من هذه فبالاولى ان تئن من ملك النار وغاية ذلك ان تترك الظلم بطلب الاستحقاق لاستلزام الانين من نار الله ترك الظلم ولما اثبت عليه وجوب ترك الظلم بترك الطلب عقبه بالاحتجاج لنفسه على وجوب تركها للظلم باعطائه بقوله اتئن من الاذى ولا ائن من لظى اي اذا كنت تئن من الاذى فبالاولى ان ائن من لظى وانما قال ولا ائن من لظى مع ان لظى غير حاصلة الان تنزيلا للمتوقع الذي لا بد منه بسبب الظلم منزلة الواقع ليكون ابلغ في الموعظة وانما اضاف الانسان الى الحديدة لان ارادة الانسان خاصا هو المتولي لامر تلك الحديدة فعرفها باضافته اليها وكذلك الاضافة في جبارها وانما قال للعبه استسهالا وتحقيرا لما فعل لغرض ان يكبر فعل الجبار من سجرانها وكذلك جعل العلة الحاملة على سجرانها وهو غضب الجبار تعظيما لشأنه وقوله واعجب من ذلك الى قوله ام تهجر اي واعجب من عقيل وحاله طارق طرقنا والطارق الاتي ليلا وكنى بالملفوفة في وعائها عن الهدية قيل كان شيئا من الحلواء كالفالوذج او الخبيص ونحوه وتشبيهه بقوله شنئتها على بغضه للامور اللذيذة الدنيوية ونفرته عنها لزهده فيها ووجه تشبيهها بما عجن بريق الحية او قيئها هو ما في تصوره في قبولها من الفساد وما قصد بها مهديها في طلب الميل اليه المستلزم للظلم والجور عن سبيل الله فكان لفساد الذي اشتمل عليه كالسم المهلك واما وجه كون المهدي اعجب من عقيل فلان عقيلا جاء بثلث وسائل كل منها يستلزم العاطفة عليه وهي الاخوة والفاقة وكونه ذا حق في بيت المال وهذا المهدي انما ادلى بهديته فاما قوله في جوابه فقلت له الى قوله اهل بيت فانه اراد حصر وجوه البر في العرف لان التقرب الى الله ببذل المال للعبد اما صلة رحم او الثاني فاما على وجه الصدقة او الزكوة الواجبة ولم يذكر الهدية لانها لم يكن في وهم عاقل قبول علي لها خصوصا زمان خلافته وذلك ان المطلوب للعاقل منه بالهدية اما حق او باطل والحق لا يحتاج فيه الى الهدية والباطل لا يفعله بوجه ولذلك لما قال له الطارق انها هدية دعا عليه ونسبه الى الجنون عنده والهذيان ولما ختم عليه وجوب الباطل فيمن منها وقوله فذلك محرم علينا اهل البيت واراد الصدقة فيه والزكوة واما صلة الرحم فلم يحتج الى ابطالها لان الطارق لم يكن ذا رحم له وقول الطارق لا ذا ولا

في بيان التحذير من الدنيا

ولا ذلك يجري مجرى ابطال الحصر بانه قسم رابع هو الهدنة وقوله ع هبلتك الهبول الى قوله تحير جواب لقوله ولكنها هدنة فرع عليه فيه ما فهم من
بالهدنة هو خداعه وبينه اذ الهدنة بالغرض حرام صورة استغرار وخداع وذكر الخداع عن الدين تنفيرا لصاحب الهدنة عن فعله ذلك ولما كان
ذلك الامر لو تم الغرض به استلزم نقصان الدين كالخداع عن الدين فاطلق عليه لفظة الخداع استعارة وقوله ام خبط امر ذو جنة ام تهجر استفهام
على سبيل الانكار والتوبيخ على ذلك الخداع بعد تقريره عليه اذ كان الخادع لمثله ع عن دينه لا يكون الا احد الوجوه المذكورة غالبا فلا
يتصور ان يصدر منه ذلك الخداع عن روية صحيحة وقد ذكر وجوه الخروج عن الصواب مما يتعلق بالعقل وقوله والله الى قوله ما فعلته مثل
ان يكون رد الوهم طائف وفيه انه يفعل مطلوبه الحرام من الهدنة وابطال لذلك الوهم عنه والاقاليم السبعة اقسام الارض وهو مثل منه
على غاية العدل وقوله وان دنياكم الى قوله تقضمها مثل على غاية الزهد منه في الدنيا كقوله في الشقشقية ولالفيتم دنياكم هذه اهون
عندي من عفطة عنز وقوله ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى استفهام انكار وملامة بنعيم الدنيا ولذاتها الفانية والمعنى ان حال
علي بنائي ذلك النعيم واختياره بعيد لذلك اللذة ثم نعوذ بالله من سبات العقل وهي اخبثها لامثال اللذات ولذلك النعيم ميله
في مطاوعة النفس الامارة بالسوء من قبح الزلل وهو بقاء حسن الانحراف عن سبيل الله الموقع في المهاوي المهلكة واستعان به على دفع
ما نعوذ به منه وبالله التوفيق والعصمة **ومن دعاء له عليه السلام** اللهم صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالاقتار فاسترزق
طالبي رزقك واستعطف شرار خلقك وابتلى بحمد من اعطاني وافتتن بذم من منعني وانت من وراء ذلك كله ولي الاعطاء
والمنع انك على كل شيء قدير **اقول** اليسار الغنى والاقتار ضيق الرزق والفقر وحاصل الفصل الالتجاء الى الله في طلب الغنى وعدم الابتلاء
بالفقر ولوازمه واعلم ان الغنى المطلوب لمثله ع هو ما يدفع ضرورة حاجته بحسب الاقتصاد والقناعة لا المفهوم المتعارف بين ارباب الدنيا من جمع المال
وادخاره والاتساع به فوق الحاجة وطالب الغنى على ذلك الوجه محمود وعلى الوجه الثاني هو المذموم والفقر هو ما احتاج الانسان معه الى سؤال
الناس وما يلزمه من تلك الاعتبارات لوازم صوارف عن وجه الله وعبادته ولهذا ابتذال الجاه ونقصان الحرمة ولما كان الجاه والغنى كالمتلازمين
لا يليق احدهما الا بالآخر جعل من بذل الجاه والفقر لازما من بذل الغنى والى وجوب تلازمهما اشار ابو الطيب بقوله فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله
ولا مال في الدنيا لمن قل مجده والجاه ايضا له اعتبارات فما اريد به الله منه كان شرفا به واعتزازا بدينه واريد لاستعانة به على حقوق
الله وطاعته فهو الجاه المحمود الذي سأل الله حفظه عليه بالغنى عن الناس وهو الذي امتن الله تعالى به على الانبياء في قوله يا مريم ان الله يبشرك
بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والاخرة وما اريد به الا الفخر والتوسع في الدنيا فهو المذموم الثاني او له استرزاق الخلق
الذين من شأنهم ان يسألوا الرزق لا ان يطلب منهم وفي ذلك من الذل والخضوع للمطلوب منه ومهانة النفس واشتغالها عن التوجه الى
المعبود بالحق ان يستعاذ بالله منه ومراده ع ان يستغني بالقائمين عنده بان بالغنى عن خلقك وانت اهل الغنى عنهم ونسبتهم الى الفقر وهم اهل
الفقر اليك فمن حاول سد خلة من عندك وطلب صرف الفقر عن نفسه بك فقد طلب حاجته من مظانها والتي طلبته من وجهها ومن
توجه بحاجته الى احد من خلقك وجعله سبب نجحها دونك فقد تعرض للحرمان واستحق من عندك فوت الاحسان وانما حكم عليه باستحقاق
فوت الاحسان لعدم استعداده لنيل رحمات الله بالتوجه الى غيره واشتغال نفسه بذلك لغيره ومنه بقوله طالبي توقفك على عدم اهليتهم لان
يطلب منهم الثالث استعطاف شرار خلقه وظاهر ان الحاجة قد تدعو الى ذلك والتجربة تقتضي بان طلب الحاجة من الاشرار والحاجة اليهم
ليس الا معه ذل ومرارة طعم العلقم وتستحلى مذاق الصبر الرابع الابتلاء والافتنان بذم المانع فذلك مستلزم للصرف عن الله والتوجه
الى القبلة الحقيقية وهو في قوله وانت الى الحال اي لا تبذل جاهي بالافتنان فيختفى بسببه ما يخفى من الكمالات المعدودات وانت من وراء
ذلك كله ولي من اعطى ومنع بان تعطي وتمنع لقدرتك على كل شيء ومفهوم كونه وراء ذلك كله احاطته وكونه مستند الغنى واهله
المحتاج اليهم من الخلق واولى بالفقر ولوازمه لقدرتك على صرفه والاغناء عن الخلق لان كونه محيطا وكونه مستندا استلزمان الوراثية
فالمستند في الوراء المعقول للمعقول والمحسوس للمحسوس وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** دار بالبلاء محفوفة وبالغدر
معروفة لا تدوم احوالها ولا تسلم نزالها احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والامان منها معدوم وانما
اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد
مضى قبلكم ممن كان اطول منكم اعمارا واعمر ديارا وابعد آثارا اصبحت اصواتهم هامدة ورياحهم راكدة واجسادهم بالية
وديارهم خالية وآثارهم عافية فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة والقبور اللاطئة
الملحدة التي قد بني على الخراب فناؤها وشيد بالتراب بناؤها فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل محلة موحشين واهل فراغ
متشاغلين لا يستأنسون بالاوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تزاور
وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى وكان قد صرتم الى ما صاروا اليه وارتهنكم ذلك المضجع وضمكم ذلك
المستودع فكيف بكم لو تناهت بكم الامور وبعثرت القبور هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله موليهم الحق وضل عنهم ما كانوا

في بيان التحذير من الدنيا

يفترقون **أقول** النأنأة المرة والمستهدف الذي جعلت هدفا فاصيبت لترمى وعفت الآثار انمحت والتمائم جمع تميمة وهي عوذة صغيرة والكلكل
الصدر وبعثرت القبور وبحثرتها اخراج ما فيها ونبشها يقال بعثر الرجل متاعه اذا فرقه وقلب علاه اسفله وغرض الفصل التنفير من الدنيا
الدنيا والاشتغال بها عن الله والتنفير عن ذلك بذكر معايبها والجذب بها الى استعمالها على الوجه المطلوب الذي لاجله وجدت فقوله دار
خبر مبتدأ محذوف هي الدنيا وذكر من معايبها عدة احدها كونها مفروشة بالبلاء ملاصقة لها فكنى عن ذلك بالحفوف الذي هو الاحاطة من
الجوانب لانه ابلغ الثاني كونها معروفة بالغدر واستعار لفظ الغدر لتغيرها عما يتوهم الانسان دوامها عليه في حقه من احوالها المعجبة له كالمال
والصحة والشباب فكانه في مدة بقاء تلك الاحوال عليه قد اخذ منها عهدا فكان تغيرها العارض لها المستلزم لزوال تلك الاحوال عنه
اشبه شيء بالغدر ولما كان كثيرا منها صار معروفا به وثالثها كونها لا تدوم احوالها ورابعها لا يسلم نزالها من آفاتها وخامسها اختلاف
احوالها واحوال خبر مبتدأ محذوف تقديره احوالها احوال كذلك وسادسها تصرف تاراتها وهو تغير احوالها تارة بعد اخرى وسابعها كون العيش فيها
مذموما ولما كان العيش فيها كناية عن الالتذاذ بها والتنعم فيها واستلزام ذلك العاقبة المهلكة لاجرم لزمه الذم ولانه مشوب بتكدير الامراض والاعراض
فلا يزال مذموما في الالسنة حتى في لسان صاحبه والمستريح اليه عند مفاجأته ببعض مراتب الكدر وثامنها عدم الامان فيها اي من مخاوفها وما
يلزم تصرفاتها من البلاء وكل ذلك من ضروريتها واختلاف استعدادات القوابل فيها عن حركات الافلاك وكواكبها وكون المبادي المفارقة
مفيضة على كل قابل منها ما استعد له وتاسعها كون اهلها فيها اغراضا مستهدفة واستعار لفظ الاغراض ورشح بذكر الاستهداف وكذلك لفظ السهام
للرمي لايقاع المصائب بهم ورشح بذكر السهام وعاشرها كونها معهم على سبيل من قد مضى من القرون الخالية ممن كان اطول اعمارا واعمر ديارا و
ابعد آثارا اي كانت آثارهم لا يبعد علمها ولا تنال لعظمها وكونها معهم على ذلك السبيل اشارة الى اقبالها عليهم كاقبالها على اولئك والحاقهم باحوالهم
وقوله اصبحت ديارهم الى قوله والثرى تفصيل لاحوال اولئك ووعيد للسامعين بلحوقهم لهم لان سبيل الدنيا مع الجميع واحدا وركود رياحهم
كناية عن سكون احوالهم وخمول ذكرهم بعد العظمة في الصدور وقوله فبنى على الخراب فناؤها اي على خراب ما كان معمورا من الابدان والمساكن وظاهر
ان القبور اسست على ذلك وبنيت عليه وراعى في قوله فناؤها وبناؤها ومغترب ومقترب السجع المتوازي مع المطابقة في القرينتين الاخيرتين و
اراد ان ساكنها وان اقترب محله فهو غريب عن اهله ووصفه بقوله موحشين ومتشاغلين لكونهم لا يستأنسون بالاوطان ولا يتواصلون تواصل
الجيران على ان احوالهم من تجاورهم وفراغهم ليس كاحوال الدنيا المألوفة لهم ليعرفوا بها وينفر عنها ثم اشار الى عدم علة التزاور واستعار لفظ
الطحن لافناء البلى لاجسادهم ورشح بلفظ الكلكل وكذلك لفظ استعار لفظ الاكل لافنائها وقوله وكان قد صرتم الى قوله المستودع فكان
المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والتقدير فكأنكم قد صرتم الى مصيرهم واحوالهم ويقرب من ذلك لان مشاهدة الاحوال السالفة توجب
بعضها من بعض وارتهنكم ذلك المضجع اي صار لكم دار اقامة واتخذكم سكانه المقيمين به واطلق عليه لفظ المستودع باعتبار كونهم سيخرجون منه يوم القيامة
وقوله فكيف بكم الى قوله القبور سؤال لهم عن كيفية حالهم عند تناهي امورهم واحوالهم في تلك البعثة سؤالا على سبيل التذكير بتلك الاحوال والتخويف من اهوالها
ليذكروا واسندوا ليسرعوا الى العمل وذكر منها امرا واحدا هو اطلاع النفوس على ما قدمت واسلفت في الدنيا من خير وشر فالرد الى المولى الحق الذي يضل بعد
الرجوع اليه كل ما كان يعتزى من دعوى حقيقة سائر الالهة الباطلة المعبودة وبالله التوفيق **ومن دعاء له عليه السلام** اللهم انك آنس الآنسين لاوليائك
واحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك تشاهدهم في سرائرهم وتطلع عليهم في ضمائرهم وتعلم مبلغ بصائرهم فاسرارهم لك مكشوفة وقلوبهم اليك
ملهوفة ان اوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك وان صبت عليهم المصائب لجأوا الى الاستجارة بك علما بان ازمة الامور بيدك ومصادرها عن
قضائك اللهم ان فههت عن مسألتي او عميت عن طلبتي فدلني على مصالحي وخذ بقلبي الى مراشدي فليس ذلك بنكر من هداياتك ولا
ببدع من كفاياتك اللهم احملني على عفوك ولا تحملني على عدلك **أقول** الفهاهة العي والعمه التحير وقد تضرع الى الله تعالى باعتبارات من
الصفات الاضافية والحقيقية فاعتبار الكمال محبته لهم وتعبيتهم بما عنده وقوله ان اوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك اي الغربة في هذه الدار كما هنا بعوز
لحصول الاستيناس من جنسهم بهم ولا اقل اعتبار كونه تعالى آنسهم وقوله وان صبت الى قوله بك اعتبار لتحقق توكلهم عليه تعالى في دفع ما يكرهون من مصائب
الدنيا عنهم ولجائهم اذ سبق اعتبار كونه تعالى احضر من توكل عليه بالكفاية للمتوكلين ولجاؤهم الى الاستجارة به هو عولي توجيه وجوه نفوسهم اليه تعالى في دفع
المكروه دون غيره وهو التوكل الخالص وقوله علما الى قوله قضائك مفعول له اي لا يلجأون الا لعلمهم بان لا متوكل الا هو ومربوطة باسبابها تحت تصرف
قدرته وان مصادرها وهي اسبابها القريبة ومنتهية الى قضائك وهو حكم علمك اذ منه كانت اسبابا ومصادر فتلك المصائب كان
لجائهم في الاستجارة به ويحتمل ان يكون علما مصدرا سد مسد الحال وهو يستلزم كونهم في عبادتهم واحوالهم منقطعين الى الله عن غيره تعالى
ولفظ الازمة مستعار لاسباب الامور ووجه المشابهة كونها مناط لها وبها يحصل نظامها ووجودها كالازمة وكذلك لفظ اليد مجاز في القدرة
وقوله اللهم آه شروع في الطلب على وجه كلي وهو طلبه لان يدله على مصالحه وكاد يجذب قلبه بالهداية الى مواضع رشده من العقائد
والآراء الصحيحة التامة على تقدير ان عي عن مسألته او تحير في وجه معرفة مصالحه وقوله فليس ذلك الى قوله كفاياتك استعطاف بما
في العادة وان يستعطف به اهل العواطف والرحمة من الكلام اي ان هدايتك لخلقك الى وجوه مصالحهم وكفاياتك لهم ما يحتاجون

احتجاج على من خالف من اهل البغي

اليه امورهما ندخرت خاسف بها والفها منك عبادتك وقوله اللهم اغفر لي ما تقربت ... سؤال ان تجمله تعالى علي عفوه عما سواه عشا
عمد وغير من ذنب لا يجمله على عدله فيجري بما نعل ونا تا وعفو به وهو من لطيف ما تغذي به النفس لاستنزال الرحمة الالهية
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لله بلاد فلان فلقد قوم الاود وداوى العمد اقام السنة وخلف الفتنة
ذهب نقي الثوب قليل العيب اصاب خيرها وسبق شرها ادى الى الله طاعته واتقاه بحقه رحل وتركهم في طرق متشعبة
لا يهتدي بها الضال ولا يستيقن المهتدي **اقول** الاود العوج والعمد المرض وهو انشداخ داخل سنام البعير من الحمل ونحوه مع صحة
ظاهره وقوله لله بلاد فلان لفظ يقال في معرض المدح كقولهم لله دره ولله ابوه واصله ان العرب اذا ارادوا مدح شيء وتعظيمه
نسبوه الى الله تعالى هذا اللفظ ويروى لله بلاء فلان اي عمله الحسن في سبيل الله والمنقول ان المراد بفلان عمر وعن القطب
الراوندي انه انما اراد بعض اصحابه في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وقوع الفتن وانتشارها وقال ابن ابي الحديد ان الاوصاف
المذكورة في الكلام يدل على انه اراد رجلا ولي امر الخلافة قبله لقوله قوم الاود وداوى العمد ولم يرد عثمن لوقوع الفتنة و
تشعبها بسببه ولا ابا بكر لقصر مدة خلافته وبعد عهده عن الفتن فكان الاظهر انه اراد عمر اقول انما اراد به اباه بكر لانه شبيه الادنى
عمر لما ذكره في خلافة عمر ونعتها به في خطبته المعروفة بالشقشقية كما سبقت الاشارة اليه وقد وصفه بامور احدها تقويمه
للاود وهو كناية عن تقويمه لاعوجاج الخلق عن سبيل الله الى الاستقامة فيها الثاني مداواته للعمد واستعار لفظ العمد
للامراض النفسانية باعتبار استلزامها للاذى كالعمد ووصف المداواة لمعالجته تلك الامراض بالمواعظ البالغة والزواجر القولية
القولية والفعلية الثالثة اقامة السنة ولزومها الرابع تخليفه للفتنة اي موته قبلها وسبق كون ذلك مدحا لموافقتها
عدم وقوعها بسببها وفي زمنه لحسن تدبيره الخامس ذهابه نقي الثوب واستعار لفظ الثوب للعرض ونقائه لسلامته عن دنس المذام
السادس قلة عيوبه السابع اصابته خيرها وسبقه شرها والضمير في الموضعين يشبه ان يرجع الى المعهود مما هو فيه من الخلافة اي
ما فيها من الخير المطلوب هو العدل واقامة دين الله الذي به يكون الثواب الجزيل في الآخرة والشرف الجليل في الدنيا وسبق شرها
اي مات قبل وقوع الفتنة فيها وسفك الدماء لاجلها الثامن اداؤه الى الله طاعته التاسع اتقاؤه لربه بحقه اي دين حقه
خوفا من عقوبته العاشر رحيله الى الآخرة تاركا للناس بعده في طرق متشعبة من الجهالات لا يهتدي فيها من ضل عن سبيل الله ولا يستيقن
المهتدي في سبيل الله انه على سبيله لاختلاف طرق الضلال وكثرة المخالف لها واهلها والواو في قوله وتركهم للحال واعلم
ان الشيعة قد اوردوا هنا سؤالا فقالوا ان هذه الممادح التي ذكرها عليه السلام في حق احد الرجلين تنافي ما اجمعنا عليه
من تخطئتهم واخذهما المنصب الخلافة فاما ان لا يكون هذا الكلام من كلامه عليه السلام او ان يكون اجماعنا خطأ ثم اجابوا من
وجهين احدهما الامر الثاني المذكور فانه جاز ان يكون ذلك المدح منه عليه السلام على وجه استصلاح من يعتقد صحة
خلافة الشيخين واستجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام الثاني انه جاز ان يكون مدحه ذلك كالتوبيخ لعثمن في معرض توبيخ عثمن بوقوع
الفتنة في خلافته واضطراب الامر عليه واستيثاره وبني امية بمال المسلمين هو وبنو امية حتى كان ذلك سببا لثوران المسلمين من
الامصار اليه وقتلهم له وتنبيه على ذلك بقوله وخلف الفتنة وذهب نقي الثوب قليل العيب اصاب خيرها وسبق شرها وقوله
وتركهم في طرق متشعبة فان مفهوم ذلك تستلزم ان الوالي بعد هذا الموصوف قد اتصف باضداد هذه الصفات والله
اعلم **ومن كلام له عليه السلام** في وصف بيعته وقد تقدم مثله بالفاظ مختلفة وبسطتم يدي فكففتها ومددتموها
فقبضتها ثم تداككتم علي تداك الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل وسقط الرداء ووطئ الضعيف
وبلغ من سرور الناس ببيعتهم اياي ان ابتهج بها الصغير وهدج اليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت عن ساقها الكعاب
اقول التداك الازدحام الهوي والهيم العطاش والتحامل تكلف المشي مع مشقة والكعاب الجارية التي نهد ثديها وحسرت
كشفت وهذا داخل الفصل الاحتجاج على من خالفه من اهل البغي فذكر حال الناس في بيعتهم له وكيفيتها الدالة على شدة حرصهم
عليه واجتماعهم عن رضى واختيار على تسليم الامر اليه وشبه ازدحامهم عليه بازدحام الابل العطاش يوم ورودها على الحياض
ووجه الشبه شدة الازدحام ويمكن ان يلاحظ في وجه هذا التشبيه كون ما عنده من الفضائل الجمة العلمية والعملية تشبه الماء
وكون المزدحمين عليه في حاجتهم وتعطشهم الى استفادة تلك الفضائل التي فقدوها لعلمهم كالعطاش من الابل الحائمة ونحوه هو قوله حتى
الى قوله ووطئ الضعيف كقوله في الشقشقية حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطافي وباقي الفصل ظاهر وهو في قوة صغرى قياس ضمير
من الشكل الاول وتلخيصها انكم بايعتم في طلبكم لي وحرصكم علي بيعتي الى هذه الغاية حتى اجمعتم وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك
فليس له ان ينكث ويغدر وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** فان تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد
وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة بها ينجح الطالب وينجو الهارب وتنال الرغائب فاعملوا والعمل يرفع والتوبة تنفع

هلكة

وا ... قادر ...

والدعاء تُسمع والحالُ هادئةٌ والأقلامُ جاريةٌ وبادروا بالأعمال عُمُرًا ناكسًا ومرضًا
حابسًا وموتًا خالسًا فإنّ الموتَ هادمُ لذّاتكم ومكدّرُ شهواتكم ومباعدُ طيّاتكم زائرٌ غيرُ
محبوبٍ وقِرنٌ غيرُ مغلوبٍ وواترٌ غيرُ مطلوبٍ قد أعلقتكم حبائله وتكنّفتكم غوائله و
أقصدتكم معابله وعظمت فيكم سطوته وتتابعت عليكم عدوته وقلّت عنكم نبوته فيوشك
أن تغشاكم دواجي ظُلَلِه قد أتاكم بغتةً فأسكت نجيّكم وفرّق نديّكم وعفّى آثاركم وعطّل
ديارَكم وبعث ورّاثكم يقتسمون تراثكم بين حميمٍ خاصٍّ لم ينفع وقريبٍ محزونٍ لم يمنع وآخرَ شامتٍ
لم يجزع فعليكم بالجدّ والاجتهاد والتأهّب والاستعداد والتزوّد في منزل الزاد ولا تغرّنّكم الدنيا
كما غرّت من كان قبلكم من الأمم الماضية والقرون الخالية الذين احتلبوا درّتها
وأصابوا غرّتها وأفنوا عدّتها وأخلقوا جدّتها أصبحت مساكنهم أجداثًا وأموالهم ميراثًا لا يعرفون
من أتاهم ولا يحفلون من بكاهم ولا يجيبون من دعاهم فاحذروا الدنيا فإنّها غدّارةٌ غرّارةٌ خدوعٌ
معطيةٌ منوعٌ ملبسةٌ نزوعٌ لا يدوم رخاؤها ولا ينقضي عناؤها ولا يركد بلاؤها أقول
الحابس المانع والخالس المختطف والتكنّف الاحاطة والطيّات جمع طيّة بالكسر وهى منزل السفر والواتر الذى
يوجب لغيره الوتر وهو الذحل والحقد والغوائل المصائب يأتى على غرّة جمع غائلة والمعابل جمع معبل كمنبر النصل وهى
نصل طويل عريض وعدوته بتقديم العين ظلمته ونبا السيف اذا لم يؤثر فى الضريبة والظلل جمع ظلّة وهو السحاب والاحتدام
شدّة الحرارة والغيظ والارهاق الاعجال والدجر بالزاى والجشوبة بالجيم غلظ الطعام والنجىّ القوم يتناجون والندىّ
القوم يجتمعون فى النادى وهو المجمع ولا يحفلون لا يبالون والاحتفال بالشئ الاعتناء به وفى الفصل مقاصد
الاول التنبيه على فضيلة تقوى الله باوصاف الاول كونها مفتاح سداد ولما كان السداد هو الصواب والعدل فى القول
والعمل وكان ذلك هو غاية الدين والطريق المسلوك الى الله وكانت تقوى الله تعود الى خشيته المستلزمة للاعراض
عن هيبة استعار لها لفظ المفتاح باعتبار كونها سببا للاستقامة على الصواب والقصد فى صراط الله المستقيم الى
ثوابه المقيم الذى هو افضل المطالب كما ان المفتاح سبب الوصول الى ما يحرز من الاموال النفيسة الثانى كونها ذخيرة معاد
وظاهر ان الاستعداد بخشية الله وما يستلزمه من الكمالات النفسانية من انفس الذخائر المنتفع بها فى المعاد
الثالث كونها عتقا من كل ملكة استعار لفظ العتق لخلاص النفس العاقلة من استيلاء احكام شياطينها الطبيعية بها كخلاص
العبد من استيلاء سيده ثم جعل التقوى نفسها عتقا مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب اذ كانت التقوى سببا لذلك
الخلاص المستعار له لفظ العتق الرابع ونجاة من كل هلكة اطلق عليها لفظ النجاة مجازا كالعتق لكونها سببا لنجاة النفس من
الهلكات الاخروية وعقوبات الآثام وربما كانت التقوى سببا للنجاة من مخاوف دنيوية لولاها لحقت الخامس بها ينجح الطالب
اما الثواب لله فى الآخرة فظاهر واما فى الدنيا فلما نشاهده من انجاح كثير من الناس بشعار المتقين فى بلوغهم الى مطالبهم
ونجاح مساعيهم وامثال الدنيا عليهم السادس وينجو الهارب اى من عذاب الله وهو ظاهر السابع وتنال الرغائب وهو كقوله
وتنجح المطالب وفى كل قرينتين من القرائن الست من اول الفصل السجع المتوازى الفصل الثانى التنبيه على وجوب العمل الصالح
المطلوب لله ومبادرته باعتبارات الاول انهم فى وقت العمل وامكان رفعه الى الله دون ما بعد الموت والواو فى قوله والعمل
للحال الثانى فى وقت قبول التوبة منهم والاقلاع من معوبقات الآثام الثالث ووقت استماع الدعاء وبقوله فان شيئا
من ذلك لا ينفع بل لا يمكن بعد الموت الرابع والحال هادئة اى حال الانسان فى الدنيا فانها حال الرحيل الموت وما
بعده فى غاية الاضطراب الخامس والاقلام جارية اى اقلام الحفظة وفائدة الاعلام بالعمل فى حال جريان الاقلام التنبيه على
وقت الاعمال الخيرية وامكانها فيما بين تكتب وترفع الى الله اى فاعملوا فى الحال المذكورة ما دامت اقلام الكرام الكاتبين
جارية لتكتب اعمالكم الفصل الثالث حثهم على المبادرة الى الاعمال الخيرية باعتبار احدها ان اعمارهم التى هى محل الاعمال

في معرض الانتكاس والرجوع الى الحالة المنافية للتكليف وهي الهرم المستلزم لضعف العقل والبنية ونقصانهما والرجوع فيهما كما في ذلك كقوله تعالى ومن نعمّره ننكّسه في الخلق فينبغي ان يبادر تلك بالاعمال الصالحة الممكنة فيها ثالثها انه امر في معرض التغير والتبديل بالصحة التي هي مظنة العمل مرضًا وهو مظنة بطلان العمل وامتناعه فينبغي ان يبادر الصحة بالعمل قبل الحلس عنه بالمرض رابعها ان يبادر بما هو اعظم من ذلك وهو الموت الذي لا بد منه واستعار لفظ الخالس له باعتبار اخذه للانسان على غرّة وغفلة من اهلها كالمختلس للشيء من يد غيره ثم نبّه على وجوب العمل للموت ولما يعده بأوصاف الموت المخوفة احدها كونه هادم اللذات الدنيوية وهو ظاهر ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله اكثروا من ذكر هادم اللذات الثانية كونه مكدّرًا لشهواته الثالث كونه مباعدًا لطياته واستعار لفظ الطيات للمنازل التي يقصدها الانسان لشبهها بها الطيات في البعد ومنها المنازل المستعار لها اسم الطيات التي الطيات بها الموت عن الدنيا واهلها فات الاخرة اعد منزله عن الدنيا الرابع استعار لفظ الزائر باعتبار هجومه على الانسان ولما كان من شأن الزائر ان يكون محبوبًا ميّزه بكونه غير محبوب ليحصل النفرة منه والتفرغ الى العمل له الخامس استعار لفظ القرن بوصف كونه غير مغلوب ليهتم بالاستعداد له السادس استعار لفظ الواتر بوصف كونه غير مطلوب اي من شأنه ان يوتر القلوب ولا يمكن ان يطلب بوتره ولا ينتصف منه ملاحظة لشبهه بالرجل البالغ في الشجاعة بحيث لا يغلب السابع استعار لفظ الحبائل للاوصاب والامراض البدنية التي هي دواعي الموت وموديته اليه كحبالة الصائد ورشح بوصف الاعلاق الثامن وتكنفتكم غوائله اي احاطت بكم مصائبه الثامن استعار لفظ المعابل للآفات الداعية الى الموت ايضًا باعتبار كونها موذية او قاتلة كالنصال ورشح بذكر الاقصاد العاشر استعار لفظ السطوة لملاحظة شبهه بالسلطان القاهر او السبع الضاري في قوة اخذه وشدة بطشه الحادي عشر وكذلك لفظ العدوة لاعتبار كون اخذه على غير حق كالظالم فان قلت اذا كانت حقيقة الظلم هي الاخذ بغير حق وهذا الحد صادق في فعل الموت فيجب ان يكون اطلاق لفظ العدوة هنا حقيقة لا استعارة قلت لفظ الاخذ انما يصدق حقيقة على ذي الحيوة وان سلمنا صدقه على غيره لكن الاخذ بغير حق ليس هو حقيقة الظلم بل الاخذ بغير حق لمن يكون من شأنه ان يكون له حق وذلك مختص بالعقلاء ومسلوب الحق عمن له القطع حقيقة هو سلب الملكة وعادة اللفظ مستعار هو السلب المطلق الثاني عشر وكذلك لفظ النبوة لعدم تأثيره ملاحظة تشبيهه بالسيف القاطع ووصفها بالقلة اي في كل ثلث قرابين من هذه السجع المتوازي الثالث عشر استعار لفظ الظل للامراض والعلل الداعية الى الموت استعارة لفظ المحسوس بالبصر للمتخيل ملاحظة لشبهها بالسحاب المظل ووصفها بالدواجي اذ كان الكلام في معرض التخويف والسحاب المظلم اشد رهبة في القلوب من غيره ويقرب من قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله وهو شروع في التخويف بنزول الموت الرابع عشر وكذلك استعار وصف الاحتدام لعلله ملاحظة لشبهها في نزولها بالرجل المتشيط غضبًا في قوة الاخذ الخامس عشر استعار لفظ الحنادس لما يتوهمه الانسان من الظلم في غمرات الموت وسكراته السادس عشر وكذلك لفظ الغواشي لما يعرض عند سكرات الموت من العوارض المانعة من الادراك المغشية السابع عشر والم ارهاق اي اعجاله المولم الثامن عشر ودجو اطباقه استعار لفظ الاطباق لحالاته المتزايدة وسكراته المتضاعفة التي تتضاعفها تزداد الات ادراكه تعطلًا وانقطاعًا عن المدركات الدنيوية وباعتبار انقطاع الادراك بسبب تلك الحالات وصفها بالدجو وشدة الظلمة ويحتمل ان يريد بالطباقه اطباق القبور الحاصلة التاسع عشر استعار لفظ الغمر لوحدته باعتبار المشاركة في الادراك باعتبار لفظ الحنادس لما يتوهمه الانسان من الظلم في غمرات الموت وسكراته السادس عشر وكذلك لفظ الغواشي لما يعرض عند سكرات الموت من العوارض لما انغمر من الادراك المغشية السابع عشر والم ارهاقه اي اعجاله المولم الثامن عشر ودجو اطباقه استعار لفظ الاطباق لحالاته المتزايدة وسكراته المتضاعفة التي تزداد الات ادراكه تعطلًا او انقطاعًا من المدركات الدنيوية وباعتبار انقطاع الادراك بسبب تلك الحالات وصفها بالدجو وشدة الظلمة ويحتمل ان يريد باطباقه اطباق القبور الحاصلة الى شدة ايلامه ووصفه بالجشوبة العشرون وفي التخويف بأن ياتيكم بغتة وكان هي المخففة من كان والاسم ضمير الشان ولما كانت كان للتشبيه وكان التشبيه يستلزم المغايرة بين المشبه والمشبه به في وصف ما وهو خبر التشبيه كان المشبه هنا هو حال الموت من جهة ما هو منتظر الانسان منه والمشبه

منه

به هو باعتبار الثانية

في صفة الزهاد

به موبا عتبار اثبا ته وموا فاتهم ووجه الشبه هو القرب اى قرب المنتظر الذى لابد منه من لواقع الموجود اذ هو كل ما هو آت قريب ثم اردف التخويف منه بذكر لوازمه المخوفة وهى اسكات المتكلمين وتفريق المجتمعين وتعفية الاثار وتعطيل الديار وبعث الوارث لاقتسام التراث واسند البعث باعتبار انه سبب يلزمه انبعاث دواعى الورثة الى اقتسام التراث لزوما عرضيا وقوله بين حميم متعلق باتاكم بغتة مع ما بعده من الافعال اى كانه قد اتاكم بغتة ففعل بكم ما فعل من اسكات المناجين وغيره على المنع وآخر عدو وشامت لا يجزع عليه ثم اردف ذكر الموت ولوازمه بالحث على العمل والجد فيه والتاهب والاستعداد لنزول الموت وما بعده والتزود اى بالتقوى فى منزل الزاد وهو الدنيا الا انها المنزل الذى لا يمكن تحصيل الزاد الى الاخرة الا فيه ولذلك اضافه اليه ثم بالنهى عن الانخداع لغرور الدنيا كانخداع السابقين والقرون الماضين واستعار لفظ الدر لمنافع الدنيا وخيراتها ولفظ الاحتلاب لجمعها واقتنائها اى الذين فازوا بخيراتها وحصلوا عليها ولذلك استعار لفظ الغرة لعدم حوادثها اليهم مدة استمتاعهم بها فكانها غافلة عنهم لا ترميهم بشىء من المصائب فلما وجدوا ذلك منها اخذوا واما اخذوا وحصلوا على ما حصلوا واقتنوا لما نعتد فيها من ماكول وملبوس وغيرهما مما يستمتع به فيفنى وكان اخلافهم لجدتها كناية عن استفناعهم بما اخذوا ومنوا من صحة ومال وغيرهما الى انقضائه وانتهاء مدته حتى كانهم لم يبقوا من محاسنها شيئا الا اخلقوه ولما وصف حالهم فيها بما وصفنا ردف ذلك بذكر غاياتهم منها وهى الاحوال المذكورة بقوله اصبحت مساكنهم اجداثا الى قوله دعاهم ونخلا صة الكلام انكم لا تغتروا بالدنيا كما اغتر بها من كان قبلكم فان ذلك مع انهم كانوا اشد منكم فى مطالبها وحصلوا منها على ما حصلوا من خيراتها كانت غاياتهم منها ان وصلوا الى ما وصلوا من العدم فكذلك انتم بطريق الاولى ثم اكد التحذير منها بذكر اوصافها المنفرة عنها فاستعار لها لفظ الغرارة باعتبار كونها سببا ماديا للاغترار كما سبق ولما كان الخداع هو المشورة بامر ظاهره مصلحة وباطنه مفسدة وكان ظهور زينة الحيوة الدنيا للناس يستتبع ترائي المحبوب فى انظارهم باتباعها وكانت تلك الزينة واتباعها سببا للفتنة بها عن سبيل الله الذى هو عين المفسدة فى باطن الترائي لاجرم اشبه ظهور زينتها الخداع فاستعار لها لفظ الخادعة بذلك الاعتبار وكذلك استعار لفظ المعطية ولفظ المانعة باعتبار كونها سببا ماديا للانتفاع بما فيها من خيراتها وسببا ماديا للمنع وكذلك لفظ الملبسة النزوع وراعى فى هاتين القرينتين المقابلة وفائدة تهاهنا لما فيها التنفير مما يتوهم فيها خيرا مما تعطيه ولذلك اكده بقوله لا يدوم رخاؤها الى اخره ولما كان رخاؤها من صحة وشباب ومال وجاه ونحوها من سائر اللذات البدنية حوادث مشروطة باستعدادات سابقة عليها ومعدات غيرها ضبطها كثرة حادثة وغيرها حادثة سريعة التغير وتبعيته لاجرم كان من شان ذلك الرخاء التغير والانقطاع وظاهر ان انقطاع رخائها حالا فحالا مستلزم لعدم انقضاء عنائها وتتابعها تواتر بلائها واستعار لبلاء الدنيا وعنائها عدم الركود ملاحظة لشبهه بالريح دائمة الحركة لكونه دائما منها

منها فى صفة الزهاد كانوا قوما من اهل الدنيا وليسوا من اهلها فكانوا فيها كمن ليس منها عملوا فيها بما يبصرون وبادروا فيها ما يحذرون تقلب ابدانهم بين ظهرانى اهل الاخرة يرون اهل الدنيا يعظمون موت اجسادهم وهم اشد اعظاما لموت قلوب احيائهم

اقول ظهرانى بفتح النون والاشارة الى بعض اصحابه الذين درجوا قبله وقوله كانوا قوما الى قوله اهلها قضيتان ظاهرهما التناقض لكن فى علمت ان المطلقتين لا يتناقضان واختلافهما يحتمل ان يكون فى الموضوع او بالاتفاق فانهم من اهل الدنيا بابدانهم ومشاركتهم الحس وغيره لانها فى الحاجة اليها وليسوا من اهلها بقلوبهم اذ خرجوا عن ملاذها ونعيمها واستغرقوا فى محبة الله وما اعد لاوليائه الابرار فى دار القرار فهم لدوام مطالعتهم لها ومشاهدتهم لاحوال الاخرة بعيون بصائرهم كما قال عليه السلام فيما قبل فى صفتهم فهم والجنة كمن قد راها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد راها فهم فيها معذبون وان كان لهم حضورها الفعلى انما هو فى تلك الدار فكانوا بالحقيقة من اهلها وقوله عملوا فيها بما يبصرون اى كان سعيهم وحركاتهم البدنية والنفسانية فى سبيل الله ببصيرة ومشاهدة لاحوال تلك الطريق وما تفضى اليه من السعادة الباقية وعلم بما يستلزمه الانحراف عنها من الشقاوة اللازمة والباء للسببية وما مصدرية ويحتمل ان تكون بمعنى التى اى بالذى يبصرونه ويشاهدونه من تلك الاحوال فان علمهم اليقين بها هو السبب الفاعل والحامل لهم فى تلك الطريق وعلى سلوكها وقوله وبادروا فيها ما يحذرون والمبادرة المسابقة والمعاجلة وهى مفاعلة من الطرفين والمراد انهم سابقوا ما يحذرون من عذاب الله المتوعد به فى الاخرة كانه مسابق لهم الى نفسهم وهم مسابقوه الى خلاصها فسبقوه الى النجاة اذ كانوا راكبين لمطايا اعمالهم متمسكين بعصمها وهى اوامر الله وحدوده وقوله تقلب الى قوله الاخرة اى تتقلب فحذفت احدى التائين تخفيفا فالمعنى ان ابدانهم هاهنا بين اهل الاخرة والعاملين لها دون اهل الدنيا وقيل يحتمل ان يريد باهل الاخرة سائر الناس لان مستقرهم الاصلى ودار قرارهم هى الاخرة كما قال تعالى وان الاخرة هى دار القرار والمعنى انهم مع الناس بابدانهم فقط فهى تتقلب بينهم وارواحهم فى مقام اخر وقوله يرون الى اخره الغرض الفرق بينهم وبين اهل الدنيا الا برهان ان وراء ابدانهم كما لا اخر فكانوا غافلين عن احوال الاخرة من سعادة او شقاوة فكان اعظم محبوباتهم بقاء اجسادهم وتكميلها واعظم شرورهم عندهم نقصانها وموتها اما المتقون فهم وان كانوا يرون تلك الحال الا انهم يرون انهم افضل مما يرون وهو ان موت قلوبهم وفقدانها الحيوة بالعلم والحكمة اعظم من موت اجسادهم وذلك لعلمهم بفناء الحيوة البدنية وانقطاعها وكدرها بعوارض الامراض وسائر المنغصات الدنيوية وبقاء الحيوة النفسانية وشرف كمالها وصفاء لذاتها عن الاكدار والاكدار وانما قال قلوب احيائهم ولم يقل قلوبهم لان موت القلوب قد يكون حقيقة بموت الاحياء وقد يكون مجازا وموتها بفقدان العلم ونور الحكمة مع حيوة اجسادها فكان ذكر الاحياء كالقرينة المعينة للمراد به

يلي هذا الوجه اذ كان اهل الدنيا

في بيان خطبة خطبها بذي قار

الموت مجازه والضمير في قوله احياءهم يعود الى اهل الدنيا لان موت القلوب هو الواقع بهم حال حيوة ابدانهم ويحتمل عوده الى قوله وهم الذي هو ضمير المنفصل وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** خطبها بذي قار وهو متوجه الى البصرة ذكرها الواقدي في كتاب الجمل فصدع بما امر به وبلّغ رسالة ربه فلمّ الله به الصدع ورتق به الفتق وألّف به بين ذوي الارحام بعد العداوة الواغرة في الصدور والضغائن القادحة في القلوب **اقول** ذو قار موضع قريب من البصرة وفيه كانت وقعة العرب مع الفرس قبل الاسلام والصدع الشق والواغرة ذات الوغرة وهي شدة توقد الحر وفي صدره وغر اي عداوة وضغن وتوقد من الغيظ وعداوة واغرة شديدة والضغائن الاحقاد والاشارة الى صفات الرسول صلعم فالاول استعارة لفظ الصدع بما امر به من تبليغ الوحي ووجه المشابهة انه شق بما جاء به الرسالة عصا الكفر وكلمة اهله وفرّق ما اتصل من اعتقاد الجهل على نفوس الكافرين وحجب الغفلة التي رانت على قلوبهم كما يصدع الحجر بالمعول ونحوه الثاني ذكر تبليغه الرسالة في معرض مدحه لكونه ادّى امانة عظيمة بتبليغها وقدرها وذلك فضيلة تحت ملكة العفة الثالث كونه قد لمّ الله به الصدع ورتق به الفتق واستعار لفظي الصدع والفتق لما كان بين العرب من الافتراق وتشتت الاهواء واختلاف الكلمة والعداوات والاحقاد حتى كان احدهم يقتل اباه وابنه وذوي رحمه لهوى يغويه او ضغن يحمله فجمع الله بمقدمه صلى الله عليه واله [illegible] انهم والف بين قلوبهم حتى جعل ذلك في معرض امتنانه عليه اذ يقول والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم الآية استعار لفظ القادحة للضغائن لاستلزامها اثارة الغضب والفتن والشرور كما يثير القادح النار وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** كلّم به عبد الله بن زمعة وكان من شيعته وذلك انه قدم عليه في خلافته فطلب منه مالا فقال ان هذا المال ليس لي ولا لك وانما هو فيء للمسلمين وجلب اسيافهم فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم والا فجناة ايديهم لا تكون لغير افواههم **اقول** هو عبد الله بن زمعة بفتح الميم ابن الاسود بن المطلب بن اسود بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وكان من اصحاب علي وشيعته والجلب المال المجلوب وروي بالحاء وجناة الثمر ما يجنى منه وظاهر الكلام يقتضي انه استماحه مالا فاعتذر اليه ووجه العذر انه لم يكن يجمع لنفسه مالا يختص به وانما يجمع له معه ما كان لبيت مال المسلمين من فيئهم وهو جلب اسيافهم من مال الكفار غنيمة ونطق القرآن الكريم بقسمة خمسه بين من ذكر في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والاخماس الاربعة الباقية للغانمين الذين باشروا القتال فعند الشافعي للفارس ثلثة اسهم وللراجل سهم وعند ابي حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم وهو مذهب اهل البيت عليهم السلم ويحمل منعه له من الخمس على انه طلب من مال الغنائم او على ان الخمس كان قد قسم او على انه لم يكن من المساكين وهم اهل الفاقة والفقر ولا ابن سبيل وهو المنقطع في سفره واما سهم الله فاجمع المفسرون على ان ذكر الله هنا للتعظيم وان اختلفوا في قسمة الخمس فمنهم من قال يقسم خمسة اقسام لان سهم الله وسهم الرسول للرسول فهو قسم واحد وهو المروي عن ابن عباس وقتادة وجماعة من اهل التفسير ومنهم من قال يقسم اربعة اقسام ومنهم من قال ثلثة اقسام والمروي عن اهل البيت عليهم السلم [illegible] مع سهم ذوي القربى للقائم مقامه ينفقها على نفسه واهل بيته من بني هاشم والثلثة الاسهم الباقية لليتامى والمساكين وابناء السبيل من اهل بيت الرسول لا يشركهم فيها باقي الناس عوضا من الصدقات المحرمة عليهم والائمة الاربعة على ان سهم الرسول ع كان يصرف بعد عهده الى ما اهم به من مصالح المسلمين من السلاح والكراع فانه لم يكن له ان يعطيه من سهم الرسول ع وظاهر انه ليس من ذوي القربى ولا اليتامى ولما منعه من الاخماس الاربعة فلانها كانت للمقاتلة خاصة ولم يكن هو منهم ولذلك قال له وانما هو فيء للمسلمين وجلب اسيافهم فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم وقد نطق كلامه ع هنا بان الفيء والغنيمة واحد وان كان قد يخص الفيء عند بعضهم بما اخذ من مال الكفار بغير قتال وهو قول الشافعي والمروي في اخبار الامامية وقوله والا فجناة ايديهم لا يكون لغيرهم [illegible] واستعار لفظ الجناة لما اكتسبوه بايديهم من تلك المال ملاحظة لمشابهته بما يقتطف من الثمر واجتنائها وهو من افصح الاستعارات ويجري مجرى المثل يضرب لمن يطلب مشاركة غيره في ثمرة فعل فعله ذلك الغير وتعب فيه ولما كان قوله والا دالا على مقدم شرطية متصلة وتقديره والا يكن فقد شركتهم في حربهم نبه بقوله فجناة ايديهم الى اخره على تاليها اذ كان مفهوم هذا القول والا على استحقاق غير الجاني نصيبا مما جنته يد الجاني فكانه قال والا تشركهم في حربهم فلا يكون لك نصيب فيما كسبته ايديهم والفاء الجواب الشرط المقدر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** الا وان اللسان بضعة من الانسان فلا يسعده القول اذا امتنع ولا يمهله النطق اذا اتسع وانا لامراء الكلام وفينا تنشّبت عروقه وعلينا تهدّلت غصونه واعلموا رحمكم الله انكم في زمان القائل فيه بالحق قليل واللسان عن الصدق كليل واللازم للحق ذليل اهله معتكفون على العصيان مصطلحون على الادهان فتاهم عارم وشائبهم آثم وعالمهم منافق وقارئهم مماذق لا يعظم صغيرهم كبيرهم ولا يعول غنيهم فقيرهم **اقول** روي ان امير المؤمنين ع قال هذا الكلام في واقعة اقتضت ذلك وهي انه امر ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومي يوما ان يخطب الناس فصعد المنبر فحصر فلم يستطع الكلام فقام ع وتسنم ذروة المنبر ثم خطب خطبة طويلة ذكر الرضي ره منها هذا الفصل والبضعة القطعة وتنشبت تعلقت وتهدلت تدلت والعارم الشرس سيء الاخلاق والمماذق [illegible] لا يمزج الود ولا يخلصه وهو نوع من النفاق والضمير في يسعده ويمهله للسان وفي امتنع واتسع للانسان والمعنى ان اللسان لما كان آلة للانسان يتصرف بتصريفه اياه فاذا امتنع الانسان عن الكلام لشاغل او صارف لم يسعده اللسان

في بيان سبب اختلاف الناس في الصور والأخلاق

القول ولم يوانه ولو ادعاه الداعي الى الكلام وحضره واتسع الانسان له لم يمهله النطق بل يسارع اليه ويحتمل ان يعود الضمير في امتنع الى
القول وفي اتسع الى النطق اي فلا يبعد القول للشأن اذا امتنع القول من الانسان ولم يحضره لوهم او نحوه او حضره وعيي او لم يمهله
النطق اذا اتسع عليه وحضره وقوله وانا لامراء الكلام استعار لفظ الامراء لنفسه واهل بيته ملاحظة لكونهم مالكين لازمة الكلام يتصرفون
فيه تصرف الامراء في ممالكهم واستعار لفظ العروق لمواد الكلام واصوله وملكاتهم المتمكنة في عقولهم واستعار لفظ التنشب وكذلك
استعار لفظ الغصون لما امكنهم من شأنه وقوله ورشح بذكر التهدل لان من شأن الغصن ذلك ثم عقبه بذكر الزمان واهله ويشبه
ان يكون هذا فصلا منقطعا عما قبله وذكر اوصافا فاحدها قلة القائلين فيه بالحق وذلك من الشرور اللاحقة لاهل الزمان فيه وقد علمت
ما قلناه في كون الزمان سببا ما للشر والخير عند قوله ايها الناس انا قد اصبحنا في دهر عنود وزمن كنود الثاني كون اللسان فيه كليلا
عن الصدق والسبب القريب للوصفين استيلاء الجهل والظلم على اكابره واهل الدنيا فيه الثالث ذكر اللازمين للحق فيه وهو لازم
عن قلتهم وضعفهم بالنسبة الى الباقين والرابع كون اهله معتكفين على العصيان واراد الاكثرين من الناس الخامس كونهم مصطلحين
على الادهان والمصانعة باللسان دون الاتفاق بالقلوب ويحتمل ان يريد بالادهان الغش وهو لغة قوم السادس وفيهم تحسب ابنائهم
فشابهم شرس الاخلاق للنشوء على غير ادب وشائبهم اثم الجهالة وغفلة عما يراد بهم وعالمهم منافق لاستعماله فطنته في طرف الشر واعراضه
عن وامر الله وطريق الاخرة وقاربهم مماذق يظهر التودد الى الناس وليس ببر السابع كونهم لا يعظم صغيرهم كبيرهم وذلك لنشوهم على ترك
الآداب الشرعية وعدم التفاتهم اليها الثامن ولا يعول غنيهم فقيرهم ووصفهم بالجفاوة والبخل وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام**
روى ابو محمد اليماني عن احمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية قال كنا عند امير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر
عنده اختلاف الناس فقال انما فرق بينهم مبادي طينهم وذلك انهم كانوا فلقة من سبخ ارض وعذبها وحزن تربة وسهلها
فهم على حسب قرب ارضهم يتقاربون وعلى قدر اختلافها يتفاوتون فتام الرواء ناقص العقل وماد القامة قصير الهمة وزاكي
العمل قبيح المنظر وقريب القعر بعيد السبر ومعروف الضريبة منكر الجليبة وتائه القلب متفرق اللب وطليق اللسان حديد
الجنان اقول دعلب واحمد وعبد الله ومالك من رجال الشيعة ومحدثيهم والفلقة القطعة والشق الشيء من الشيء والرواء المنظر
الجميل وسبرت الرجل اسبره اختبرت باطنه وغوره والضريبة الخلق والطبيعة والجليبة ما يجلبه الانسان ويتكلفه والكلام اشارة الى السبب
المادي لاختلاف الناس في الصور والاخلاق فقوله انما فرق بينهم الى قوله يتفاوتون طينهم اشارة الى المادة التي اشار اليها في قوله
في الخطبة الاولى ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة الى قوله واصلدها حتى استمسكت والمعنى ان تقاربهم في الصور
والاخلاق تابع لتقارب طينهم وتقارب مباديه وهي السهل والحزن والسبخ والعذب وتفاوتهم فيها تابع لتفاوت طينهم ومباديه المذكورة قال اهل
التاويل اضافة المبادي هنا الى الطين اضافة بمعنى اللام اي المبادي لطينهم والاشارة بطينهم الى اصولهم وهي الممتزجات المتنقلة في اطوار الخلقة كالنطفة
وما قبلها من موادها وما بعدها من العلقة والمضغة والعظم والمزاج الانساني القابل للنفس المدبرة قالوا ولما كانت مبادي ذلك الطين
في ظاهر كلامه عليه السلام هي السبخ والعذب والسهل والحزن كان ذلك كناية عن الاجزاء العنصرية التي هي مبادي الممتزجات ذوات الامزجة كالنبات
والغذاء والنطفة وما بعدها اذ كل ممتزج منها لا بد فيه من اجزاء متفاعلة فيحصل بواسطتها استعداده وتفاعلها لقبول مزاج هو نطفة وغيرها فتلك الاجزاء
المتفاعلة المستعدة لمزاج مزاج هي مبادي تلك الامزجة والممتزجات ولما كانت السبخية والعذوبة والسهولة والحزونة امورا تلحق الممتزجات الارضية
التي هي مبادي الطين ولها اثر في اختلاف امزجة سائر الامزجة المركبة منها وكان اختلاف استعدادات تلك الامور الممتزجة لقبول الامزجة التي هي
السبب في اختلاف الامزجة وكان اختلاف الامزجة واستعدادها لقبول الاخلاق والصور هو السبب في اختلاف الاخلاق والصور لاجرم كان
السبب في تفرق الناس في اخلاقهم وخلقهم انما هو اختلاف مبادي طينهم وقد علمت مما سلف في الخطبة الاولى لمية تخصيصه بعض الاجزاء العنصرية
بالتركيب عنها ويحتمل ان يشير بالسبخ والعذب والسهل والحزن الى الاجزاء الارضية من حيث هي ذوات امزجة متغايرة الكيفيات فالسبخ كناية
عن الحار اليابس منها والعذب كناية عن الحار الرطب والسهل كناية عن البارد الرطب والحزن عن البارد اليابس والاولى على هذا يحمل نقل الرسول صلى الله عليه وآله ان الله سبحانه لما اراد
خلق آدم امر ان يوخذ قبضة من كل ارض فجاء بنو آدم على قدر طينها الاحمر والابيض والسهل والحزن والطيب والخبيث فالقبضة من كل ارض
اشارة الى الاجزاء الارضية المذكورة وكون الناس مختلفين عنها بالابيض والاحمر اشارة الى اختلاف خلقهم وكونهم مختلفين بالسهولة
والحزونة والطيب والخبيث اشارة الى اختلاف اخلاقهم عن اختلاف تلك الاستعدادات السابقة على كل مزاج في اطوار خلقهم قالوا وقد
بان بذلك معنى قوله فهم على حسب قرب ارضهم يتقاربون اي على حسب قرب مبادي طينهم المذكورة وتشابهها في استعداداتها واعدادها
يتقاربون ويتشابهون في الصور والاخلاق وعلى قدر اختلاف تلك المبادي وتباينها في ذلك يتفاوتون وتتضاد اخلاقهم وتتباين
خلقهم قالوا ويجب التاويل هنا لانا لو حملنا الكلام على ظاهره لاقتضى ان كلا منهم قد خلق من الطين قوله فتام الرواء الى آخره تفصيل لهم
في تفاوتهم وذكر اصنافا اربعة عشر مبتدءا بالاقسام التي تضاد خلقها لاخلاقها او بعض اخلاقها لبعض وهي خمسة الاول من استعد مزاجه

في كلام كلمه عند غسل الرسول ص

لقبول صورة كامل حسنه وعقل ناقص فهو داخل في رذيلة الغباوة الثاني المستعد لاستعداد الفطانة وحسنها ايضا لكنه ناقص في همته فهو داخل
في رذيلة الجبن وكلاهما يشتركان في مخالفة ظاهرهما لباطنهما حسنا وقبحا وبان في الاستعداد الباطن الثالث المستعد لقبح صورة الظاهر وحسن
باطنه باعتدال المزاج ذهنه المستلزم للاعمال الزاكية الرابع قريب الفعل اي قصير بعيد الشر اي واسع بعيد اخبثا بباطنه والوقوف على اسراره
وبخالف ظاهره هذين القسمين لباطنهما ظاهر الخامس معروف الضريبة منكر الجليبة اي يكون له خلق معروف فيتكلف ضده فيستنكر منه
ويظهر عليه تكلفه كان يكون مستعد الجبن فيتكلف الشجاعة او بخيلا فيتكلف السخاوة فيستنكر منه ما لم يكن معروفا منه وهذه هي الاقسام
المهمة والقسم الاول والثالث قليلان فان الاغلب على المستعد بحسن الصورة وجمالها واعتدال الخلقة ان يكون فطنا ذكيا لدلالة تلك العوارض
على استواء التركيب واعتدال المزاج والاغلب على المستعد لقبح الصورة عكس ذلك واما القسم الثاني والرابع فهو اكثر فان الاغلب على طويل القامة نقصان
العقل والبلادة ويتبع ذلك فتور العزم وقصور الهمة وعلى القصير الفطنة والذكاء وحسن الآراء والتدابير وقد تنبه بعض الحكماء على علة ذلك فقال
حين سئل ما بال القصار من الناس ادهى واحذق قال لقرب قلوبهم من ادمغتهم ومراده ان القلب لما كان مبدأ الحار الغريزي وكان الاعراض النفسانية
من الفطنة والفهم والاقدام والمواخذة وحسن الظن وجودة الرأي والنشاط ورجولية الاخلاق وقلة الكسل وقلة الانفعال عن الاشياء وكل ذلك
يدل على الحرارة وتوفرها واضدادها وهذه الامور يدل على البرودة كان قرب القلب من الدماغ في القصير لكونه سببا لتوفر الحرارة في الدماغ وتوفر
استعداد القوى النفسانية فيه للاعراض المذكورة وكان بعده منه في الطويل سببا لقلة الحرارة فيه وضعف استعداد القوى النفسانية لتلك
الاعراض الاستعداد واستعدادها لاضدادها وان كانت الحرارة ليست هي كل السبب المادي والقسم الخامس كثير وذلك لمحبة النفوس الكمالات
فترى البخيل يحب ان يعد كريما فيتكلف الكرم والجبان يحب ان يعد شجاعا فيتكلف الشجاعة وقد راعى في هذه القرائن المطابقة التامة بانه قابل
وبإزاء الفاضل بإزاء الفصيح والزاكي بإزاء القبيح والقريب بإزاء البعيد والمعروف بإزاء المنكر واما القسمان الباقيان فلاحدهما نابية القلب متفرق اللب
وهم العوام والفاعة كل ناعق الذين يهيمون في تيه الجهل المتفرقة اهواؤهم بحسب كل سانح من المطالب الدنيوية والخواطر الشيطانية والثاني
طليق اللسان حديد الجنان وهو اللسن الذكي وهذان القسمان مخالفان للاقسام الاولى في مناسبة ظاهرهما لباطنهما وداعي في كل قرينتين
من هذين القسمين السجع المتوازي وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وتجهيزه بأبي انت
وامي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والانباء واخبار السماء خصصت حتى صرت مسليا عمن
سواك وعممت حتى صار الناس فيك سواء ولولا انك امرت بالصبر ونهيت عن الجزع لانفدنا عليك ماء الشؤون ولكان الداء
مماطلا والكمد محالفا وقلا لك ولكنه ما لا يملك رده ولا يستطاع دفعه بأبي انت وامي اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك

اقول معنى عموم الانبياء الانباء وهي الاخبار والشؤون مواصل قطع الرأس المشعوب بعضها مع بعض وعليها منها والعرب تقول ان
الدموع تجيء منها وقال ابن السكيت الشأنان عرقان ينحدران من الرأس الى الحاجبين ثم الى العينين والكمد الحزن المكتوم والمحالف الملازم والبال
القلب وقوله بأبي انت وامي يتعلق بمحذوف تقديره افديك واشار بقوله لقد انقطع بموتك الى قوله السماء لانه صلى الله عليه وآله خاتم الانبياء
واراد باخبار السماء الوحي قال اهل التأويل ولفظ السماء مستعار لما علا في المعنى من سماء عالم الغيب ومقامات الملأ الاعلى وقوله خصصت الى قوله
سواء اي خصصت في مصيبتك من حيث انها مصيبة خاصة عظيمة لا يصاب الناس في الحقيقة بمثلها فلذلك كانت مسلية لهم عن المصائب بمن
سواك وعممت بمصيبتك حتى استووا فيها واضاف الخصوص والعموم اليه وان كانا للمصيبة لكونها بسببه وقوله ولولا الى قوله وقلا لك اشار الى ان المعنى ترك البكاء
الكثير ومماطلة الداء وملازمة الحزن وهو امره عم بالصبر في مواطن المكروه والنهي عن الجزع عند نزول الشدائد وكنى عن كثرة البكاء بانفاد
ماء الشؤون وبالداء عن الم الحزن بفقده صلى الله عليه وآله واستعار له لفظ المماطل لان الحزن والم لما اشتد وتمكن لا يكاد يفارق مع ان من
عادته ان يفارق فهو كالمماطل المفارق والضمير في قوله وقلا لك يعود الى نفاد ماء الشؤون الذي دل عليه انفدنا والكمد المحالف ولما كان
هو والداء المماطل في تقدير الاثنين ويحتمل ان يعود الى الداء المماطل والحزن الملازم ترجيحا للقرب والضمير في قوله ولكنه ما لا يمكن يعود
الى الموت في قوله بموتك وتقديره ولكن الموت الذي لاجله البكاء والحزن ما لا يملك رده ولا يستطاع دفعه فلم يكن في البكاء والجزع فائدة
وكان لزوم الصبر اولى ثم عاد الى التفدية وهي كلمة معتادة للعرب تقال لمن يعز عليهم فان قلت كيف يحسن التفدية هنا بعد الموت وهي غير ممكنة قلت
انه لا يشترط في الملاطفة في عرفهم امكان الفدية اذ ليس الغرض منها تحقيق الفدية بل تخييل الفدية وايهامها للاستغراق وتخييل المقول له انه
عزيز في نفس القائل الى غاية انه راضٍ من اسيره ولمه بحيث يفديه بهما وظاهر انها مما يفعل في الطبع ميلا من المقول ثم سأل ان يذكره عند ربه
وان يجعله من باله اذ هو الشافع اليه مع كونه رئيس الخلق ومقدمهم فكان اولى من سئل ذلك منه واراد اذكرنا عنده بما نحن عليه من طاعته
فهو كامير بعثه الملك الى اهل مدينة ليصلح حالهم وينظمهم في سلك طاعة الملك بالترهيب من وعيده والترغيب فيما عنده من الكرامة فلا بد
ان يعلم طاعة المطيع وعصيان العاصي اذا حان رجوعه الى خدمة الملك احب عقلاؤهم واهل الطاعة منهم ان يذكر طاعتهم عند الملك
بين يديه فيتقربون الى قلب اميرهم وديا لكونه ان يجعلهم من باله اي من همته يقال هذا من بالي اي مما ابالي به ومن همتي ويحتمل

الخصوص والعموم

انما يعقل

ان يريد من مهمات بالك ثم انصرف المصاف وقبض صلى الله عليه وآله بعد الهجرة بعشر سنين وكان مولده عام الفيل وبعث وهو ابن اربعين سنة بيطن
الكعبة وهاجر الى المدينة وهو ابن ثلث وخمسين سنة وكان سنه يوم قبض ثلثا وستين سنة ويقال انه ولد يوم الاثنين ودخل المدينة يوم
الاثنين ودفن ليلة الاربعا بحجرة عائشة وفيها قبض وتولى تغسيله علي عم والعباس بن عبد المطلب وولده الفضل وقد اشرنا الى النكت في كيفية دفنه

وقبض يوم الاثنين

في قوله ولقد علم المستحفظون وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد
ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر الدال على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده وباشتباههم على ان لا شبه
له الذي صدق في ميعاده وارتفع عن ظلم عباده وقام بالقسط في خلقه وعدل عليهم في حكمه مستشهد بحدوث الاشياء على
ازليته وبما وسمها به من العجز على قدرته وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه واحد لا بعدد ودائم لا بامد وقائم لا
بعمد تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة وتشهد له المرائي لا بمحاضرة لم تحط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها واليها حاكمها ليس
بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيما ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيدا بل كبر شانا وعظم سلطانا
واشهد ان محمدا عبده ورسوله الصفي وامينه الرضي صلى الله عليه وآله ارسله بوجوب الحجج وظهور الفلج وايضاح المنهج فبلغ الرسالة صادعا
بها وحمل على المحجة دالا عليها واقام اعلام الاهتداء ومنار الضياء وجعل امراس الاسلام متينة وعرى الايمان وثيقة **اقول**
المشاهد المحاضر والمجالس والمرائي جمع مراة بفتح الميم وهي المنظر يقال فلان حسن في مراة العين وفي راي العين اي في المنظر والفلج الظفر
واصله التسكين والامراس جمع مرس بفتح الراء جمع مرسة وهي الحبل وقد حمد الله تعم باعتبارات من التنزيه الاول كونه لا تدركه الشواهد
واراد الحواس وسماها شواهد لكونها تشهد ما تدركه وتحضر معه وقد علمت تنزيهه عن ادراك الحواس عزمره الثاني ولا تحويه المشاهد
وقد علمت تنزيهه تعم عن الامكنة والاحياز الثالث ولا تراه النواظر اي نواظر الابصار وانما خصص البصر بالذكر بعد ذكر الشواهد لظهور
تنزيهه تعم عن ساير الحواس ووقوع الشبهة وقوتها في اذهان كثير من الخلق في جواز ادراكه تعم بهذه الحاسة حتى ان مذهب كثير من العوام ان تنزيهه
تعالى عن ذلك ضلال بل كفر تعالى الله عما يقول العادلون الرابع ولا تحجبه السواتر وقد علمت ان السواتر الجسمانية انما تعرض للاجسام وعوارضها
وعلمت تنزيهه تعم عن ذلك الخامس كونه دالا على قدمه بحدوث خلقه واعلم انه جعل حدوث خلقه هنا دالا على امرين احدهما قدمه تعالى
والثاني وجوده وقد سبق تقرير ذلك في قوله عليه السلم الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على ازليته غير انه جعل هناك
الدليل على الوجود هو نفس الخلق وجعله هنا هو الحدوث ولما كان مجرد الوجود للممكنات وخلقها يدل على وجود صانع لها فاولى
ان يدل حدوثها عليه وقدمه وازليته واحد السادس كذلك تقريره قوله وباشتباههم على ان لا شبيه له في الفصل المذكور السابع
الذي صدق في ميعاده وصدقه تعم يعود الى مطابقة ما نطقت به كتبه على السنة رسله الصادقين عليهم السلام للواقع في الوجود مما وعد به اما
في الدنيا كما وعد به رسوله والمؤمنين بالنصر والاستخلاف في الارض كقوله تعم وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها الاية وقوله وعد الله
الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض واما في الاخرة كما وعد عباده الصالحين بما اعد لهم في الجنة من الثواب الجزيل والخلف
في الوعد كذب وهو على الله سبحانه محال وهو كقوله تعم ان الله لا يخلف الميعاد الثامن وارتفع عن ظلم عباده وهو تنزيه له عن حال
الملوك الارض الذين من شانهم ظلم رعيتهم اذا ارادوا ذلك او احبوه وان فيه منفعة ولذة او في تركه ضرر وتالم وكل ذلك من توابع الامزجة
وعوارض البشرية المحتاج الى تحصيل الكمال الحقيقي او الوهمي وجناب الحق تعم منزه عن ذلك التاسع وقام بالقسط في خلقه فقيامه بالقسط وهو
العدل فيهم اجراؤه لاحكامه في مخلوقاته على وفق الحكمة والنظام الاكمل الكلي ومواهبها وكذلك عدله عليهم في حكمه العاشر كونه مستشهدا بحدوث
الاشيا على ازليته الاستشهاد الاستدلال وكرره هنا تاكيدا باختلاف العبارة الحادي عشر وبما وسمها به من العجز على قدرته عبارة عن عدم
عما من شانه ان يقدر اذ لا يقال مثلا للجدار انه عاجز وقد علمت ان كل موجود سواه فهو موسوم بالعجز وبعد القدرة على ما يختص به
قدرة تعم من الموجودات بل بعدم القدرة على شيء اصلا اذ كل موجود فهو منته في سلسلة الحاجة اليه وهو تعم مبدء وجوده وساير ما يعد
سببا له فانما هو واسطة معدة كما علم تحقيقه في موضع اخر فاذن لا قدرة في الحقيقة الا له ومنه ووجه الاستدلال انه لو كان موسوما بالعجز

لكنه مبدء

عن شيء لما كان مبدء لكل موجود فهو تام القدرة تامها الثاني عشر وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه واضطراره لها الى الفناء
حكم قدرته القاهرة على ما استعد منها للعدم بافاضة صورة العدم عليه حين استعداده لذلك على وفق قضائه تعم بذلك وهو المشار اليه بقوله
ثم ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ووجه الاستدلال انه تعم لو كان مضطرا الى الفنا كساير الاشيا لكان
جايز الفنا فكان ممكنا لكن التالي باطل فهو واجب الوجود فلم يفن الثالث عشر كونه تعم واحدا لا بعدد اي لا بشيء واحد بمعنى انه مبدء الكثرة يكون عادا
لها ومكيالا وقد سبق بيان ذلك وبيان اطلاق لفظ الوحدة عليه وباي معنى هو وغير مرة فلا معنى للاعادة الرابع عشر كونه دايما لا بامد وقد سبق
ايضا بيان ان كونه دايما يعني ان وجوده مساوق لوجود الزمان اذ كان تعم هو موجد الزمان بعد مراتب من خلقه ومساوق الزمان لا يقتضي
ان يكون في الزمان ولما كان الامد هو الغاية من الزمان ومنتهى الزمان الذي المعرض به لذلك الزمان عن زمانه وثبت انه تعم ليس بذي زمان

يعرض له الامد ثبت انه دايم الامد له الخامس عشر كونه قائما بالابعد اى ثابت الوجود من غير استناد الى سبب يعتمد عليه ويقيمه فى الوجود كسائر الموجودات
الممكنة وذلك هو معنى كونه واجب الوجود وقد اشرنا الى برهان ذلك فى قوله الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وكثير من فقرات هذا الفصل
موجود هنا السادس عشر كونه تتلقاه الاذهان لا بمشاعره وتلقى الاذهان له يعود الى استقبالها وتقبلها لما يمكنها ان تتصوره من صفاته
السلبية والاضافية وكون ذلك لا بمشاعره اى ليس تلقيها لتلك التصورات من طريق المشاعر وهى الحواس ولا على وجه شعورها بما
تشعر به منها بل تتلقاها على وجه اعلى واشرف تتعقل صرف برئ عن علائق المواد مجرد عن ادراك الحواس وتوابع ادراكاتها من الوضع والاين
والمقدار والكون وغير ذلك السابع عشر كونه تشهد له المرائى لا بمحاضرة اشارة الى كون المرائى والنواظر طرقا للعقول الى الشهادة بوجوده
ثم فى اثار قدرته ولطايف صنعته وما يدرك بحس البصر منها ولوضوح العلم بتمامها وشهادة العقول بوجوده فى المدركات بهذه
الالة صار كانه تعالى مشاهد للمرئى فيها وان لم تكن هذه الالة محاضرة له ولا تتعلق ادراكها به ويحتمل ان يريد بالمرائى المرئيات التى هى
مجال ابصار الناظرين ومواقعها وذلك ان وجودها وما اشتملت عليه من الحكمة شاهد بوجود الصانع سبحانه من غير حضور ومحاضرة
حسية كما عليه الصناع فى صنايعهم من محاضرتها ومباشرتها الثامن عشر كونه لم تحط به الاوهام اولى من ذلك اذ كانت انما تتعلق بالمعانى
الجزئية المتعلقة بالمحسوسات والمواد الجسمانية فيترتب فى تنزيهه تعالى عن احاطة الاوهام برهان قياس هكذا لا شئ من متوهم واجب الوجود متعلق
بمادة ووضع وكل مدرك للوهم فهو متعلق بذى مادة ووضع ينتج لا شئ مما هو واجب الوجود بمدرك للاوهام اصلا فضلا ان تحيط به من مطلع
وقد عرفت ذلك مرارا التاسع عشر كونه تعالى تجلى لها وبها امتنع منها لا تدرك الا ما كان معنى جزئيا فى محسوس فمعنى تجليه لها هو ظهوره لها فى
صورة وجود سائر مدركاتها من جهة ما هو صانعها وموجدها اذ كانت الاوهام عند اعتبارها الاحوال انفسها من وجوداتها وعوارض وجوداتها
والتغيرات اللاحقة لها مشاهدة لحاجتها الى موجد ومقيم ومغير ومساعدة للعقول على ذلك وان ادراكها لذلك فى انفسها على وجه جزئى مخالف
لادراك العقول وكانت مشاهدة له بحسب ما طبعت عليه وبقدر امكانها وهو متجلى لها كذلك والباء فى بها للسببية اذ وجودها هو السبب المادى
فى تجليه لها ويحتمل ان يكون بمعنى فى اى تجلى لها فى وجودها وبل هنا للاضراب عما امتنع منها من الاحاطة به والاثبات لما امكن ووجب
من تجليه لها العشرون وبها امتنع اى بما خلقت قاصرة عن ادراك المعانى الكلية وعن التعلق بالمجردات كانت بذلك مبدءا لامتناعه عن ادراكها
له وان كان لذلك لاستغنا سبب اخر وذلك هو كونه تعالى بريئا عن انحاء التراكيب ويحتمل ان يريد بقوله بها اى انها لما خلقت على تلك القصور وكان
هو تعالى ممتنع الادراك بالكلية عرفت عند توجهها اليه وطلبها لمعرفته بالعجز عن ادراكه ممتنع عنها فبها اى بعجزها فيها امتنع منها الحادى والعشرون كونه
اليها حاكمها اى جعلها حكما بينها وبينه عند رجوعها من توجهها فى طلبه منجذبة خلف العقول حسيرة معترفة بانه لا ينال بجهود الاعتساف كنه
معرفته ولا يخطر ببال اولى الرايات الخاطر من تقدير جلاله لتحكم بحاجتها واستغنائه وبنقصانها وكماله ومخلوقيتها وخالقيته الى غير ذلك مما لها
من صفات النقص وله من صفات الكمال تعبيره موافقة للعقول فى تلك الاحكام واسناد المحاكمة اليها مجاز لما سنذكره مما ذكرناه وقال بعض الشارحين
اراد بالاوهام ههنا العقول وهو ظاهر انها لا تحيط به لكونه غير مركب محدود وتجليه لها هو كشف ما يمكن ان يصل اليه العقول من صفاته الاضافية
والسلبية وقوله وبها امتنع منها اى بالعقول ونظرها علم انها لا تدركه واليها حاكمها اى جعل العقول المدعى عليها انها احاطت به وادركته كالخصوم
له سبحانه ثم حاكمها الى العقول السليمة الصحيحة فحكمت له العقول السليمة على المدعية لما ليست اهلا له وما ذكره هذا الفاضل يحتمل الا ان اطلاق
لفظ الاوهام على العقول انما يصح مجازا بغير قرينة وعدول عن الحقيقة من غير ضرورة وقال غيره اراد لم تحط به اهل الاوهام فحذف المضاف
وعند تامل ما ابتناه يلوح انه هو مراده او قريب منه وهذه الالفاظ البشرية من لطائف اشاراته واطلاعه على سر الحكمة الثانى والعشرون
كونه ليس بذى كبر الى قوله تجسيما الكبير يقال العظيم الجسم طولا وعرضا ويقال للعالى السن من الحيوان ويقال العظيم القدر رفيعه ومراده نفى
الكبر عنه بالمعنى الاول اذ من لوازم ذلك كون الكبير ممتدا فى الجهات الثلث طولا وعرضا وعمقا فيحصل الكبير الجسمى وقد نقلت تنزهه عن
ذلك وتقدسه عن الكبر بالمعنى الثانى ظاهر وتجسيما مصدر فى موضع الحال اى فكبر تجسيما او مجسمة وانما اسند الامتداد به الى النهايات
لانها غايات الطبيعة للامتداد تقف عندها وتنتهى بها فكانت من الاسباب الغائية فلذلك اسند اليها وكذلك اسناد التكبير اليها اذ كان
التكبير من لوازم الامتداد اليها الثالث والعشرون ولا بذى عظم الى قوله تجسيدا والعظيم يقال على ما يقال عليه الكبير بالمعنى الاول و
الثالث دون الثانى ومراده سلب العظيم عنه بالمعنى الاول لما مر واسناد التناهى الى الغايات اذ كانت سببا للوقوف بها انقطع والمبالغ
وكذلك اسناد التعظيم اليها كاسناد التكبير ان اسند التناهى اليه فهاجاز الرابع والعشرون كونه كبر شانا الخامس والعشرون كونه عظم سلطانا
لما سلب الكبر والعظم عنه بالمعنيين الاولين اشار الى ان اطلاقهما عليه بالمعنى الثالث ونصب شانا وسلطانا على التمييز فهو الكبير شانا اذ لا شان
اعلى من شانه والعظيم سلطانا اذ لا سلطان ارفع من سلطانه وهو مبدأ شان كل ذى شان ومنتهى سلطان كل ذى سلطان لا اله الا هو
الكبير المتعال ذو الكبرياء والعظمة والجلال ثم ابتدأ بتمجيده تعالى بما هو اهله والكلمة المتممة لكلمة الاخلاص والشهادة التى هى مبدء لكمال
القوة العلمية من النفوس البشرية بعد كمال قوتها النظرية بالشهادة الاولى وهى كونه صلى الله عليه وآله صفيا لله وامينا على وحيه ومرتضى

لذلك

ومنها في صفة عجيب خلق اصناف من الحيوان

لذلك ثم اردف ذلك بالاشارة الى كونه رسولا والى وجوه ما ارسل به وهو وجوب الحجج واراد بها اما المعجزات وما هو اعم من ذلك مما
يكون حجة لله على خلقه في تكليفهم ان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ويدخل في ذلك دلائل الاحكام وطرق الدين التفصيلية
وكونه ارسل بوجوبها اي وجوب قبولها على الخلق ووجوب العمل على وفقها وظهور الفلج وهو الظفر على سائر الاديان والظفر باهلها و
بالعادلين بالله والجاحدين له وايضاح المنهج وهي طريق الله وشريعته وظاهر كونه موضحا لها ومبينا والى ذلك الاشارة بقوله تعالى ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله فالهدى هو ايضاح المنهج وقوله ليظهره على الدين كله اشارة الى بعض غايات بعثته وهي المراد بظهور الفلج
وروى بفتح الفاء واللام وهو بضم الفاء وسكون اللام للفوز ويجوز فتح اللام للشاعر والخطيب وقوله فبلغ الرسالة صادعا اظهارها والمجاهرة
بها وقد علمت ان اصل الصدع الشق فكانه شق بالمجاهرة بها عصا المشركين وفرق ما اجتمع من شرهم وحمله على المحجة وهي طريق الله الواضحة
وشريعته دعوته اليها وجذبه للخلق الى سلوكها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن ثم بالسيف لمن لم تنفعه المجادلة واراد
باعلام الاهتداء التي هي المعجزات وقوانين الدين الكلية وكذلك منار الضياء فانه لما اظهرها والقاها الى الخلق ولفظ المحجة و
الاعلام والمنار مستعارة كما سبق غير مرة وصادعا والانصب على الحال واستعار لفظ الامراس والعرى لما يتمسك به من الدين والايمان
ورشح بذكر الوثاقة والمتانة ترشيحا ويجعله كذلك الى تثبيت قواعد الاسلام وغرسها في قلوب الخلق واضحة جلية بحيث تكون عصمة للمتمسك
بها في طلب النجاة من مخاوف الدارين وسببا لا ينقطع دون الغاية القصوى وبالله التوفيق **منها** في صفة عجيب خلق اصناف من الحيوان

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ وَالْأَبْصَارَ مَدْخُولَةٌ أَلَا
يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ
جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَصُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا تَنْقُلُ الْحَبَّةَ
إِلَى جُحْرِهَا وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا وَفِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ
وَلَا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ لَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا وَفِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ
بَطْنِهَا وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا وَبَنَاهَا
عَلَى دَعَائِمِهَا لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ وَلَمْ يُعِنْهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا
عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ
وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ كَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ وَالرِّيَاحُ وَالْمَاءُ فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْمَاءِ وَ
الْحَجَرِ وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ وَالْأَلْسُنِ
الْمُخْتَلِفَاتِ فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ وَجَحَدَ الْمُدَبِّرَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ وَلَمْ يَلْجَؤُوا إِلَى حُجَّةٍ
فِيمَا ادَّعَوْا وَلَا تَحْقِيقٍ فِيمَا وَعَوْا وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ
حَمْرَاوَيْنِ وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ
وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا وَتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا
وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَيُعَفِّرُ لَهُ خَدّاً وَوَجْهاً وَيُلْقِي
إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وَضَعْفاً وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفَسِ وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى
وَالْيَبَسِ قَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا فَهَذَا غُرَابٌ وَهَذَا عُقَابٌ وَهَذَا حَمَامٌ وَهَذَا نَعَامٌ دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ
وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثِّقَالَ فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا وَعَدَّدَ قِسَمَهَا فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا **اقول** المدخول المعيب
البشرة ظاهر الجلد والجامس الجامد والشراسيف اطراف الاضلاع المشرفة على البطن والضرب الارض المسترخية فيها والحدقة سواد العين والقمر بياضها
وضياؤها يقال ليلة قمراء مضيئة واجلبوا جمعوا والنزوات الوثبات [illegible] وهو التراب وقوله ولو فكروا الى قوله مدخولة
وضع حرف لو ليدل على امتناع الشيء لامتناع غيره لكن الاغلب عليه ان يستعمل للدلالة على امتناع اللازم لامتناع ملزومه وذلك على وجهين
احدهما ان يكون ذلك اللازم مساويا لملزومه اما حقيقة او وضعا والثاني ان يكون الملزوم علة لذلك ليلزم من رفع الملزوم رفع اللازم ويمكن
الاستدلال برفعه اما اذا لم يكونا كذلك جاز ان يدل به على امتناع الملزوم لامتناع لازمه كما في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقد استعمله
عليه السلام هنا بالوجه الثاني من الوجهين الاولين واستدل على ان الخلق لم يرجعوا الى طريق الله عنهم وجهها لانهم لم يخافوا من وعيده بعذاب
الحريق في الآخرة لانهم لم يفكروا فيما عظم من قدرته في خلق مخلوقاته وعجائب مصنوعاته وما جسم من نعمته على عباده ويحتمل ان يريد
بالقدرة المقدور مجازا اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق وكان ذلك من باب الاستدلال بعدم العلة على عدم المعلول لكون الفكر في ذلك
سببا عظيما في الجذب لهم الى اتباع شريعته وسلوك سبيله اليها والى ذلك الاشارة بقوله تعالى اولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله

كذلك

لما اوعوا

في بيان صنعة عجيب خلق اصناف الحيوان

من شيء وقوله اولم يروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها الآية ونحوه وقوله ولكن تعمى القلوب الى قوله سدة قوله بيان لعدّ العلة المذكورة منهم وهو الفكر
واشار الى حذفها بوجود ما ينافي وجود شرطها اذ كان كون القلوب عليلة وكون الابصار مغشية بما ينافي صحتها وسلامتها اللتين هما شرطان
في وجود الفكر الصحيح ومع وجود المنافي لصحة قلوبهم وسلامة ابصار بصائرهم لا يحصل الصحة التي هي شرط الفكر فلا يحصل معلوله وهو
الرجوع الى الله وعلل القلوب وما يلحق ابصار البصائر من العيوب تعود الى الجهل واعتبار الشهوات الدنيئة والاخلاق الرديئة المكتسبة
من جواذب الشهوات الى حضائض اللذات المغطية لانوار البصائر الحاجبة عن ادراك واضح الطريق الحق وقوله الا ينظرون الى قوله الا تبصرون تشهير
لهم على بعض مخلوقاته تعالى ومفعولاته التي اشار الى عظمة الله القدرة فيها وحسن نظام الترتيب التدريج الحسن فانك علمت من دأب الخطيب
اذا اراد ان يقول في امره خطيرا اولا على سبيل الاجمال فيقول كلي ليستعد السامعون بذلك لما يريد قوله وبيانه ثم يشرع في تفصيله ولما
اراد ان ينبه على عظمة الله بتفصيل بعض مخلوقاته كالنمل والجراد ونحوه اشار اولا الى عظيم القدرة وتوبيخ السامعين على اغفالهم الفكر
فيها ليعلم انه يريد ان ينبه على تفصيل امر ثم تلاه بالتنبيه على لطيف الصنع في صغيرها خلق وكيف احكم خلقه واتقن تركيبه على صغره وفلق
لها السمع وسوى لها العظم ولم يبين الى ان استعمل بذلك لتعظيم الله القلوب واقبلت بافهامها النفوس فلا يتذكر النملة وذلك قوله
انظروا الى النملة الى قوله تعالى وهيئتها كيفيتها التي عليها صورتها وصورة اعضائها وظاهرات الاشياء لا يدركها بلحظ البصر الى ان يعيد
اليها بعناية ولا يكاد يعقد مراجعة فكره واستدلاله ان يدبر امعانه فيعلم حقيقتها وكيفية خلقها وتشريح اعضائها ينظر في
ذلك والباء في قوله بمستدرك يتعلق بتنال ولا ينبغي ان يفهم من قوله ولا تنال بمستدرك الفكر اي في صورتها الظاهرة التي يدركها
البصر فربما يستوي ذلك الى بعض الافهام لمكان العطف بل مما ذكرناه من شرح حقيقتها فانه ليس حظ الفكر ان يدرك صورتها المحسوسة
بالبصر بل ان يبحث عن عجائب صنعتها ليستدل بذلك على حكمة صانعها جلت عظمته ومحل قوله لا يكاد تنال يحتمل ان يكون نصبا على الحال
والعامل انظروا ويحتمل ان يكون مستانفا وكيف في محل الجر بدل من النملة ويحتمل ان يكون كلاما مستانفا وفيه معنى التعجب وكيف
صبت اي القيت على رزقها وتعبت عليه بجهد اثر والهام وقيل ذلك على العكس اي صبت عليها رزقها ولفظ الصب يستعار لحركتها في طلبه لعظما
لشبهها بالماء المصبوب فان قلت كيف جعل دبيبها على الارض محل التعجب والفكر مع سهولته ووجوده لسائر الحيوانات قلت لم يجعل محل التعجب
هو دبيبها من حيث هو دبيب فقط بل مع الاعتبارات الاخر المذكورة فانك اذا اعتبرتها من حيث هي في غاية اللطافة ثم اعتبرت قوائمها وحركات
مفاصلها ونقضها ورفعها وبعد ذلك من استثبات الحس لها ونسبتها الى جرمها والى اجزاء المسافة التي تقطعها بكل جزء من حركتها وكذلك
انصبابها على رزقها بهداية تامة اليه ونقلها له الى جحرها وغير ذلك من الاعتبارات المذكورة فانك اذا اعتبرت ذلك منها وجدت
لنفسك منه تعجبا وتفكرا في لطف جزئيات صنعتها وحكمة خالقها ومدبرها وقوله تجمع في حرها لبردها اي في الصيف للشتاء وفي ورودها
لصدرها اي في ايام ورودها وتمكنها من الحركة لايام صدودها وعجزها عن الحركة للعجز فانها تعجز في ايام الشتاء عن ملاقاة البرد فتطلب
بطن الارض لكون الحرارة فيه ومن العجائب التي حكاها اهل التجارب من افعال النمل والهامها ما حكاه ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
في كتاب الحيوان بتصحيح عبارته قال ان النملة تدخر في الصيف للشتاء فتقدم في ايام المهلة ولا تضيع اوقات امكان الحزم وتبلغ من تفقدها
وصحة تمييزها والنظر في عواقب امورها انها تخاف على الحبوب التي ادخرتها للشتاء ان تعفن وتسوس في بطن الارض فتخرجها الى ظهرها لتنشرها
وتعيد اليها جفافها ويضربها النسيم فينفي عنها العفن والفساد قال وربما تختار في الاكثر ان يكون ذلك العمل ليلا لانه يكون اخفى في القمر
لانها فيه ابصر فان كان مكانها نديا وخافت ان تنبت الحبة نقرت موضع القطمير من وسطها لعلمها انها من ذلك الموضع تنبت وربما فلقت
الحبة بنصفين فاما ان كان الحب من الكزبرة فانها تفلقها ارباعا لان انصاف حب الكزبرة تنبت من بين جميع الحب فهي بهذا الاعتبار مجاوزة
لفطنة جميع الحيوان قال ونقل الى بعض من اثق بروايته انه حفر بيت النمل فوجد الحبوب التي جمعتها كل نوع وحده قال ووجدنا في بعضها ان
بعض الحبوب فوق بعض وبينها فواصل حائلة من التبن ونحوه ثم ان لها مع لطافة شخصها وخفة جسمها في الشم والاسترواح ما ليس لشيء من
الحيوان وذلك انه ربما سقط من يد الانسان جرادة او عضو منها مثلا في موضع ليس بقربه قرية ولا عهد له بذلك النزول به فلا يلبث ان يقبل
ذرة قاصدة الى تلك الجرادة فترومها وتحملها فاذا اعجزتها بعد ان تبلى عذرا مضت الى جحرها راجعة فلا يلبث الانسان ان يجدها وقد اقبلت
وخلفها كالخيط الاسود من اخواتها حتى يتعاونوا عليها فيحملوها فاعجب من صدق شمها لما لا يشمه الانسان الجائع ثم انظر الى بعد همتها في ذلك
جرأتها على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة واضعافا انها وليس من الحيوان ما يحمل اضعاف وزنه مرارا كثيرة كالنملة قال والذي
ينبه على علامتها لاخواتها واشعارها بمثل ما اشرنا اليه قصة سليمان عليه السلام مع النمل حيث حكى القرآن الكريم عنها قالت نملة يا ايها النمل
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها فان القول المشار اليه منها وان لم يحمل على حقيقته
فهو محمول على مجازه وهو اشعارها لاخواتها بالحال المخوفة للنمل من سليمان وجنوده قال ومن عجيب ما يحكى عن النمل ما حكي
عن بعض من يحمل الاسطرلاب انه اخرج طوقا من صفر من الكرة مجرا او نحوه ووضعه على الارض ليعتبر فاشتمل على نملة فكانت كلما طلبت جانبا

الفكر فلا يحصل

وتعبت خد

في بيان صفة عجيب خلق أصناف من الحيوان

عنه لتخرج منها الحرارة فكانت مفضوضة وبها من الجوانب ان استقرت ثم ماتت فوجبت ها فقد استقرت في موضع رجل البركار من نقطة
المركز وما ذاك الا للطف حسها وقوة وهمها ان ذلك الموضع هو ابعد الاماكن عن الخط المحيط قال ومن عجائبها انها تعرف
الجعل ولا جرادة ولا خنفسا ولا نحوها مما لم يكن بها خيل وعقرا وقطع يدا ورجلا فاذا وجدت شيئا من ذلك وثبت عليها حتى لو ان
حبة بها فرتها او خدشتم كانت من نقاها من مصرتوثبت عليها الذروة حتى تاكلها ولا تكاد الحبة تسلم من الذر اذا كان بها ادنى عفن
كل ذلك من الالهامات التي اذا فكر اللبيب فيها كاد ان يحكم بكونها اعلم بمواقع معاشها وتدبير احوالي وجوهها من كثير من الناس
ذات الانسان قد يهمل ذلك التدبير فلا يضبطه وشبهتم فيه على ما نون واحد وقوله مكفولة برزقها نصب على الحال وقوله رزقها وفقها
اي موافق ومطابق لقوتها وعلى قدر كفايتها ويروى مكفول برزقها مرزوقة لو فقها ثم نبه بذلك الى ربها فاشار الى انه لا يغفلها
اي لا يتركها من لطفه وعنايته فانه باعتبار ما هو منان على خلقه لا يجوز في حكمته اهمال بعضها فيستوم بيت الوجود ولكن لا يحرمها
باعتبار كونه ديانا اي مجازيا ووجه ذكر الجزاء هنا انها حيث دخلت في الوجود طائعة لامره وقامت فيه مستعدة لمشيئته ووجب في الحكمة
الالهية جزاؤها ومقابلتها بما يقوم بوجودها فلا يكون محروما منه ما دام بقاؤها على وفق تدبيره ولو كانت في الصفا اليابس والحجر الجامد
بل يفتح لها ابواب معاشها في كل مكان ثم نبه على مجال اخرى للفكر في النملة فمنها مجاري اكلها ما تاكله فيسلك المجاري كالحلق والامعاء
ومنها علوها وسفلها وعلوها يكون اما نقيض سفلها وهو راسها وما يليه الى الجزء المتوسط منها وسفلها هو ما يليه من طرفها الاخر
ومنها ما اشتمل عليه جوفها من شراسيف بطنها او ما نحوه مقامه فاطلق عليه اسم الشراسيف بالمجاز ومنها ما في راسها من عينها واذنيها
وهي محل القوة الباصرة والسامعة فان كل ذلك على غاية صغره ولطافته محل التعجب ومحل النظر اللطيف المستلزم للشهادة بحكمة الصانع ولطف
تدبيره الذي يقضي الانسان من تامله عجبا والقضاء هنا بمعنى الاداء اي لاديت عجبا ويحتمل ان يكون بمعنى الموت اي لقضيت نحبك
من شدة تعجبك ويكون عجبا نصب على المفعول له ثم نبه على مجال الفكر ووجوه الحكمة فيها اردف ذلك بتنزيه صانعها وتعظيمه
وقرن ذلك التعظيم والتنزيه بنسبة الى بعض صنعه بها وهو انه اقامها على قوائمها وبناها على دعائمها واراد بدعائمها ما يقوم به بدنها
من الامور التي مقام العظام والعصب والاوتار ونحوها ليحصل التنبيه على عظمته من لطف تلك القوائم واعتبار ضعفها لان تلك الدعائم مع ما
ركب فيها من لطائف الصنعة ودعها من عجائب الحكمة من غير ان يشركه في فطر تلك الفطرة فاطر او يعينه على الطيف خلقها قادر فسبحانه
ما اعظم شانه وابهر برهانه وقوله ولو ضربت الى قوله النخلة اي لو سارت نفسك في طرق فكرها ومذاهب نظرها وهي الادلة واجزاء الادلة من
المقدمات واجزائها المستنبطة من عالم الخلق والامر لتصل الى غايات فكرك في الموجودات لم يدلك ذلك دليل الا على ان خالق النملة على غاية صغرها
وخالق النخلة على عظمها وطولها واحد وهو المدبر الحكيم وقوله لدقيق تفصيل كل شيء الى قوله حي اشارة الى وسط الحجة على ما ادعاه من اشتراك
النملة والنخلة في الاستناد الى صانع واحد مدبر حكيم ومعنى ما ذكرناه ان لكل شيء من الموجودات الممكنة تفصيل لطيف دقيق واختلاف شكل
وهيئة ولون ومقدار ووجوه من الحكمة تدل على صانع حكيم خصصه بها دون غيره ونقرر الحجة ان وجود النملة والنخلة اشتمل كل منهما على
دقيق تفصيل الخلقة وغامض اختلاف شكل وهيئة وكل ما اشتمل على ذلك فله صانع مدبر حكيم خصصه بذلك فينتج انهما يشتركان في الحاجة
الى صانع مدبر حكيم خص كلا منهما بما يشتمل عليه وهذه الحجة هي المسماة في عرف المتكلمين بالاستدلال بامكان الصفات كما بيناه قبل في قوله
الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وقوله وما الجليل واللطيف الى قوله سواء مؤكدة من الدعوى وكاسر لما عساه يعرض لبعض الاوهام من استبعاد
نسبة الخلقة العظيمة والخلقة اللطيفة الحقيرة كالنملة الى صانع واحد فاشار الى ان كل المخلوقات وان تباينت اوصافها وتضادت صورها
واشكالها فانه لا تفاوت بالنظر الى قدرته وكمالها من ان يفيض عنه صورة النخلة او صورة الذرة وليس بعضها بالنسبة اليه اولى وانزل
من بعض ولا هو اقوى على بعضها من بعض والا لكان ناقصا في ذاته وكان بما هو اولى به مستفيدا كما لا يقوم بعد عدمه وقد ثبت تنزيهه سبحانه
المقدس عن ذلك في مظانه من الكتب الحكمية والكلامية بل ان كان فيهما تفاوت واختلاف فمن جانب القابل واختلاف استعداده فان المراد
بالشدة والضعف والاقدم والاحدث على ما اشرنا اليه غيره والطيف كما يراد به صغر الخلقة كذلك قد يراد به رقيق الصفة وقد يراد به الشفاف
كالهواء والاول هو مراده ولذلك جعله مقابلا للجليل وقوله وكذلك السماء قوله ولكل فالمشبه هو الامور المتضادة السابقة والمشبه هو السماء
والهواء والرياح والماء ووجه الشبه هو حاجتها في خلقتها وتركيبها واحوالها المختلفة والمتفقة الى صانع حكيم واشار الى الامور الاولى المتضادات
اولا ونبها الى قدرته باعتبار تكليفها ومن جهة تضادها لانها ادلة على كمال قدرته واشار الى الثانية وهي السماء وما عدده معها الاعتبار
تضادها بل باعتبار ما اشتمل عليه كل منهما من الحكمة والمنفعة وكونها مواد الاجسام المركبات والهواء اعم من الرياح لتخصيص مسمى الرياح بالحركة
دون الهواء وقوله فانظر الى قوله المختلفات امر باعتبار حال ما عدده من المخلوقات وما اختص به كل منهما من الصفات والاشكال والمقادير
والاضواء والالوان والمنافع الى غير ذلك مما يدل على الحاجة كل منها الى مخصص حكيم يخصصه بما هو اليق به او وفق للحاجة اللازمة له والمناسب له
استعداده وبعد اشتراك جميعها في الجسمية وهو امر يقرر الحجة التي ذكرناها في كل واحد من الامور المذكورة ولما كان خطاب اكثر هذه الاوهام

في بيان [illegible] خلق الأصناف والحيوان

المذكورة مفتقر الى تقديم النظر البصري لغاية التفكر والاعتبار فيها امر ظاهر واما وجوه الاعتبارات فاكثر من ان يحصر فانك اذا اعتبرت حال
الشمس والقمر في عظم اجرامهما والقياس الصادق عليهما وحركاتهما وتنقلهما في منازلهما وما يستلزمه تلك الحركات من التاثيرات والاعدادات
لوجود المركبات العنصرية من المعادن والنبات والحيوان ثم اعتبرت ما ينفصل به احدهما عن الاخر من الجرم وزمان السير وكون القمر مستفيدا
للنور من الشمس وغير ذلك مما لا يعلم تفصيله الا الله سبحانه وكذلك اذا نظرت الى النبات والشجر وجواهرها واشكالها واختلاف اجزائهما في
الالوان والمقادير والثمار وما يستلزمه من المنفعة لوجود الحيوان والمضرة لبعضها الى غير ذلك مما علمته فيما سلف وكذلك الماء في كونه على غاية
من الرقة واللطافة وكون الحجر بعكس الوصفين مع ان اكثر المياه انما تنبع من الاحجار ثم نظرت الى المنافع الموجودة فيهما والمضار الغاية منهما
وكذلك النظر الى هذا الليل والنهار واختلافهما في هذا العالم وتعاقبهما وما يستلزمه من المنفعة المختصة بكل منهما مما امتن الله به على
عباده بهما حيث قال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقال ينبت لكم به الزرع والزيتون
الاية وقال قتل الانسان ما اكفره الى قوله متاعا لكم ولانعامكم الى غير ذلك من الايات وقال انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض
وقال وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا الى قوله الفافا وكذلك اذا اعتبرت تفجر فيه الانهار وما يستلزمه من المنفعة كما قال مرج
البحرين يلتقيان وقال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وكذلك اذا اعتبرت كثرة الجبال وقلالها وعرضها وطوالها وما اشتملت عليه
من معادن الجواهر وغيرها وكذلك تفرق اللغات واختلاف الالسنة وجدت ذلك التكثر والاختلاف شاهدا بوجود صانع حكيم وتقرير هذا
كما علمت ان تقول ان هذه الاجسام كلها مشتركة في الجسمية واختصاص كل منها بما يتميز به من الصفات المتعددة ليس للجسمية ولوازمها والا
وجب لكل منهما ما وجب للاخر ضرورة اشتراكها في علة الاختصاص فلا يتميز له حقيقة ولا لشيء من عوارض الجسمية لان الكلام في اختصاص
كل منها بذلك العارض كالكلام في الاول فيلزم التسلسل فبقي ان يكون لامر خارج عنها هو الفاعل الحكيم المخصص لكل منها بحد من الحكمة
والمصلحة وقد تقرر تقرير هذه الحجة مرارا ثم لما نبه على وجود الصانع سبحانه ردف ذلك بالدعاء على من جحده او الاخبار عن حلول الويل به
قال سيبويه الويل مشترك بين الدعاء والخبر ونقل عن عطاء بن يسار ان الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حره ورفعها
بالابتداء وخبرها لمن انكر والمدبر هو العالم بعاقبة الامر وما يشتمل عليه من المصلحة ويعود الى القضاء والقدر هو الموجد على وفق ذلك العلم
كما سبق بيانه وقد اخر الدعاء على الجاحد بعد ايضاح الحجة عليهم هو الترتيب الطبيعي والاشارة بالجاحدين الى صنف من العرب انكروا الخالق
والبعث وقالوا بالدهر المفني كما حكيناه عنهم في الخطبة الاولى وهم الذين اخبر القرآن المجيد عنهم بقوله ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا
وما يهلكنا الا الدهر وقوله زعموا الى قوله صانع اشارة الى شبهتهم وهي من باب التمثيل فالاصل فيها هو النبات والفرع انفسهم
والحكم هو ما توهموه من كونهم بلا صانع كان النبات بلا زارع ولعل الجامع في اعتبارهم هو اختلاف الحيوة والموت عليهم كما اشار اليه القرآن
الكريم حكاية عنهم نموت ونحيا ونحوه من الامور المشتركة وان كانوا لا يلتفتون لتفتيش الجامع اذ مراعاة هذه الامور وتحقيق اجزاء التمثيل
من صناعة غيرهم فيما يعرف وقد علمت ان التمثيل بعد تمام اجزائه انما يفيد ظنا يختلف بالشدة والضعف وعلمت وجوه الفساد فيه وقوله
ولم يلجأوا الى قوله جان انكار ومنع لما ادعوه وانهم لم ياتوا فيه بحجة ولا تحقيق برهان ويحتمل ان يكون قوله وهل يكون الى قوله جان
تنبيها على وجود نقيض الحكم المدعا وهو كون خلقهم وخلقة النبات مشاهدة بوجود صانع لها وذلك التنبيه بالاشارة الى الوسط قياس
من الشكل الاول وكبراه في صورة الاستفهام وتقريرها البناء لهم صنعة ولا شيء مما هو صنعة بلا صانع ينتج فلا شيء منها بلا صانع
وهو نقيض المدعي لما كانت الكبرى ضرورية اقتصر على التنبيه عليها بامتناع وجود البناء من غير بان والجناية من غير جان فان ترجيح
احد طرفي الممكن على الاخر من غير مرجح محال بالبديهة ويمتنع في فطرة الصبيان والبهائم اذ كان الحمار عند صوت الخشبة يعدو وقد
من الضرب وذلك لما تقرر في فطرته ان حصول صوت الخشبة بدون فاعل محال ثم لو سلم لهم ثبوت الحكم في الاصل وهو كون النبات
بلا زارع فلم كان عدم الزارع يدل على ان النبات لا فاعل له وانما يلزم ذلك ان لو كان الفاعل انما هو الزارع وذلك من الاوهام الظاهرة
كذبها بادنى تامل اذا استعقب بالنظر اذ كان الزارع ليس له الا اعداد المادة بالبذر واما وجود الزرع والنبات فمستند الى مدبر
حكيم منزه عن الحس والمحسوس لا تدركه الابصار ولا تكتنفه الاوهام والافكار سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله وان
شئت قلت في الجرادة الى قوله مستدقة تنبيه اخر على وجود الصانع الحكيم جلت عظمته في وجود بعض جزئيات مخلوقاته وصغيرها
وهي الجرادة وان شئت قلت فيها ما قلت في النملة وغيرها قولا بيانا كاشفا عن وجوه الحكمة فيها بحيث يشهد ذلك بوجود صانع
حكيم فنبه على بعض دقايق الحكمة في خلقها وهي خلق العينين الحمراوين مع كون حدقتيها قمراوين واستعار لفظ السراج للحدقتين
باعتبار الحمرة النارية والاضاءة ثم خلق السمع الخفي اي عن اعين الناظرين وقيل اراد بالخفي اللطيف السامع لخفي الاصوات فوصفه
بالخفاء مجاز اطلاقا للاسم المقبول على قابله ثم فتح الفم السوي فعيل بمعنى مفعول اي المسوى والتسوية التعديل بحسب المنفعة المختصة
بها ثم خلق الحس القوي واراد بحسها قوتها الوهمية ويقوى بحدقتيها فيما الهمت اياه من وجوه معاشها وتصرفها يقال لفلان حس حاذق

اذا كان

في بيان صفة عجيب خلق الاصناف من الحيوان

زكيا

اذا كان مخططا وذاكان خلق لثنا بين واستعار لفظ المتخليين لبدء بها ووجه الشابهة تشوجها وخشونتها وقرن بذكر النابين والمخلبين ذكر غايتهما وهما القرض والقبض ومن لطيف حكمته تعالى في الرجلين ان جعل بطنهما الذين يقع عليها اعتمادها وجلوسها شوكا كالمنشار ليكون لها معينا على النحوض وقيامها لدينا عند جلوسها وعمدة لها عند الطيران وقوله ترهبها الزراع الى قوله شهواتها اي انها اذا توجهت باسرها من ابناء نوعها الى بقعة وهجمت على زرعها واشجارها اخلته ولم يستطع احد دفعها حتى لو ان ملكا من الملوك اجلب عليها بخيله ورجله ليحمي بلاده منها لم يتمكن من ذلك وفي ذلك تنبيه على عظمة الخالق سبحانه وتدبير حكمته اذ كان يبعث اضعف خلقه على اقوى خلقه ويهوي الضعيف من اسباب الغلبة ما لا يستطاع دفعه معها حتى ترد ما تريد وورد وتقضي منه شهواتها فيخجل باختيارهم موجدها وحيلتهم عجائب الخواص المودعة في الجرادة انها تلتمس لبيضها الموضع الصلد كالصخور الملس ثقة بانها اذا ضربت فيها باذنابها انفرجت لها ومعلوم ان ذلك ليس بقوة اذ ليس في ذنب الجرادة من القوة ان يخرق الحجر الذي يعجز عنه المعول بحدته وقوته لولا خاصية لها هناك ثم اذا ضربت في تلك البقاع وافرخت بيضها وانضمت عليها تلك الاخاديد لتكون احدثتها وصارت لها كالاوكار فلحيص صارت خاصية لها وحرينة وحافظة ووافية حتى اذا انها وقت دبيب الروح خرجت من البيض صهبا الى البياض ثم تصفر وتتلون فيه خطوط الى السواد ثم يصير فيه خطوط سود وبيض ثم يبدو حجم جناحيه ثم يستقل فيموج بعضه في بعض وقيل ان الجراد اذا اراد الخضرة ودونه نهر جاريا بعضها بعضا جسرا لبعض ليعبر اليها فمن الناس من جعل ذلك حيلة لها الهمت اياها واباه قوم وقالوا بل الزحل الاول من الدبا اذا اراد الخضرة ولا يقدر عليها الا بالعبور اليها عبر فانما صارت تلك القطعة فوق الماء طافية صارت للزحف الثاني الذي يريد الخضرة كالارض وربما نقل لها خواص اخرى لا تعلق لها بما نحن بصدده وقوله وخلقتها كلها لا يكون اصبعا مستدقة لوالحال اي انه تعالى خلقها على ما وصفت واودعها من عجائب الصنع ما ذكرت بحيث يخاف منها الزراع مع ان خلقها كلها دون الاصبع المستدقة وهذه الكلمة مستلزمة لتمام التعجب من خلق الله فيها الامور الموصوفة حتى لو قدرنا انها وصفت لمن لم يرها فربما اعتقد ان لها خلقا عظيما تشتمل اليه هذه الاوصاف ولم يكن عنده يتعجب حتى تبين مقدار خلقها وصغر صورتها لما بين بعض صنعتها تمم بعض مستعانه ومكونها بزيادة عظمته تعالى وبركته باعتبار كونه معبودا لمن في السموات ومن في الارض فله يسجدون طوعا وكرها اكل يخضع ويسجد لا يمكن من غيره مع اشتراك الكل في الدخول تحت ذل الحاجة الى كمال قدرته وخضوع الامكان بين يدي رحمته واليه الاشارة بقوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وكل قوله ويعفر له خدا ووجها فما كان ذا وجه وخد حقيقة فلفظ التعفير صادق عليه حقيقة وما لم يكن التجوز صادق عليه استعارة لخضوعه الخاص به ولفظ التعفير والخد والوجه ترشحات على ان موضوع السجود في اللغة هو الخضوع وكذلك اطلاق اعطاء القياد ووصف الرهبة والخوف ونصبهما على المفعول له وقوله والطير مسخرة لامره كقوله تعالى والطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله وكونها مسخرة يعود الى دخولها تحت حكم تصرف القدرة العامة فيها قدرة وعلما والخاص تخصيصا وتعيينا واحصى الريش منها والنفس باعتبار تحيزها تحت تصرف العلم بعلمه تعالى وارسى اي ثبتها على قوائمها في الندى كطير الماء واليبس كطير التراب باعتبار دخولها تحت قدرته وخلقها كذلك وتقديره لاقواتها وما يصلح منها وما يكفيه باعتبار دخولها تحت قدرته وعلمه ايضا فكان التقدير هو ان تلك المقادير واعدادها على وفق العلم الالهي واحصاها باعتبار علمه تعالى وقوله فهذا غراب الى قوله نعام تفصيل لانواعها ولم يرد الجنس بالاصطلاح الخاص بل اللغوي وهو النوع في المصطلح العلمي وراعى في كل قرينتين من الاربع السجع المتوازي وقوله دعا كل طائر باسمه فالدعاء استعارة في امر كل نوع بالدخول في الوجود وقد عرفت ان ذلك الامر يعود الى حكم القدرة الالهية العظيمة عليه بالدخول في الوجود ووجه الاستعارة ما يشترك فيه معنى الدعاء والامر من طلب دخول ماهية المطلوب بالدعاء والامر في الوجود وهو كقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضيهن الاية ولما استعار لفظ الدعاء رشح بذكر الاسم لان الشيء انما يدعى باسمه ويحتمل ان يريد الاسم اللغوي وهو العلامة فان لكل نوع من الطير خاصة وسمة ليست للاخر ويكون المعنى انه تعالى اجرى عليها حكم القدرة بما لها من السمات والخواص في العلم الالهي واللوح المحفوظ وقال بعض الشارحين اراد اسماءها الاجناس وذلك ان الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ كل لغة تواضع عليها العباد في المستقبل وذكر الاسماء التي تواضعوا عليها وذكر لكل اسم مسماه فعند اذ خلقها نادى كل نوع باسمه فاجاب دعوته واسرع في اجابته واعلم انك اذا تاملت حكمة الصانع في خلق الطائر شاهدت عجبا حيث اقتضت الحكمة الالهية ان يكون طائرا في الجو خففت جسمه وادمج خلقه فاقتصر من القوائم على اثنين ومن الاصابع على اربع ومن منفذين للزبل والبول على منفذ ثم خلقه تعالى على جؤجؤ محدب ليسهل عليه خرق الهواء كما يجعل صدر السفينة بهذه الهيئة ليشق الماء وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال لينهض بها الى الطيران وكسى جسمه كله ريشا ليتداخله الهواء فيقله ولما كان طعامه الحب واللحم يبلعه بلعا من غير مضغ نقص من خلقه الاسنان وخلق له منقارا صلبا واعانه بفضل حرارة في جوفه تستغني بها عن المضغ ثم خلقه تعالى يبيض بيضا ولا يلد لكيلا يثقل بكون الفراخ في جوفه عن الطيران وجعل عوض استعداد الولد في البطن استعداده في تبيضه بحرارة الحضن يشاركه من الذكر والانثى في ذلك من غاية الاهتمام بدوام نسله وبقائه ان الهمه العطف عليه

في بيان خطبة خطبها في التوحيد

فيلتقط الحب فيغتذي به فراخه بعد استقراره في حوصلته ليلين وإذا فكرت في الحوصلة وجدتها كالمخلاة المعلقة أمام فيه ويعبى فيها
ما ازدرد من الطعم بسرعة ثم ينفذ إلى القانصة على مهل وفي ذلك أن مسلك الطعم إلى القانصة ضيق لا ينفذ فيه الطعم إلا قليلا قليلا فلو كان
هذا الطائر لا يلتقط حبة ثانية حتى تصير الأولى إلى القانصة لطال ذلك عليه فخلق تعالى له الحوصلة لذلك ثم انظر إلى الريش الذي تراه في الطواويس
والدراريج وغيرها عن استواء ومقابلة على نحو ما يخط بالأقلام وكيف انظر إلى العمود الجامع للريشة الذي يجري مجرى الجدول لما كثر الريش
والمغذي لها وخلق عصبيا بجوهر صلبا متينا ليحفظ الريش ويمسكه بصلابته فسبحان الذي خلق الأزواج كلها وأحصى كل شيء عددا وأحاط
بكل شيء علما وقوله وأنشأ السحاب إلى آخره إشارة إلى كمال قدرته خلقه السحاب الثقال بالماء وإرسال ديمها وهي أمطارها وتعديد
قسمها وهو ما يصيب كل بلد وأرض منها من القسم وظاهر أنه تم بعد الأرض وتعديد قسمها وهو ما يصيب كل بلد وأرض منها من القسم
وظاهر أنه تم بعد الأرض تبلك لبله بعد الجفاف لن يخرج منها النبات بعد الجدب وإليه الإشارة بقوله تعالى أولم يروا أنا نسوق الماء
إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد**
قال السيد ره وتجمع هذه الخطبة من أصول العلوم ما لا تجمعه خطبة ما وحده من كيفه ولا حقيقته أصاب من مثله
ولا إياه عنى من شبهه ولا صمده من أشار إليه وتوهمه كل معروف بنفسه مصنوع وكل قائم في سواه معلول فاعل لا
باضطراب آلة مقدر لا بجول فكرة غني لا باستفادة لا تصحبه الأوقات ولا ترفده الأدوات سبق الأوقات كونه والعدم
وجوده والابتداء أزله بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له وبمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له وبمقارنته بين الأشياء
عرف أن لا قرين له ضاد النور بالظلمة والوضوح بالبهمة والجمود بالبلل والحرور بالصرد مؤلف بين متعادياتها مقارن
بين متبايناتها مقرب بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها لا يشمل بحد ولا يحسب بعد وإنما تحد الأدوات أنفسها وتشير
الآلات إلى نظائرها منعتها منذ القدمة وحمتها قد الأزلية وجنبتها لولا التكملة بها تجلى صانعها للعقول وبها امتنع عن نظر
العيون لا يجري عليه السكون والحركة وكيف يجري عليه ما هو أجراه ويعود فيه ما هو أبداه ويحدث فيه ما هو أحدثه إذا
لتفاوتت ذاته ولتجزأ كنهه ولامتنع من الأزل معناه ولكان له وراء إذ وجد له أمام ولالتمس التمام إذ لزمه النقصان
وإذا لقامت آية المصنوع فيه ولتحول دليلا بعد أن كان مدلولا عليه وخرج بسلطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره
الذي لا يحول ولا يزول ولا يجوز عليه الأفول لم يلد فيكون مولودا ولم يولد فيصير محدودا جل عن اتخاذ الأبناء وطهر عن
ملامسة النساء لا تناله الأوهام فتقدره ولا تتوهمه الظنون فتصوره ولا تدركه الحواس فتحسه ولا تلمسه الأيدي فتمسه
لا يتغير بالحال ولا يتبدل في الأحوال ولا تبليه الليالي والأيام ولا يغيره الضياء والظلام ولا يوصف بشيء من الأجزاء
ولا بالجوارح والأعضاء ولا بعرض من الأعراض ولا بالغيرية والأبعاض ولا يقال له حد ولا نهاية ولا انقطاع ولا غاية
ولا أن الأشياء تحويه فتقله أو تهويه أو أن شيئا يحمله فيميله أو يعدله ليس في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج يخبر لا بلسان ولهوات
ويسمع لا بخروق وأدوات يقول ولا يلفظ ويحفظ ولا يتحفظ ويريد ولا يضمر يحب ويرضى من غير رقة ويبغض ويغضب من غير
مشقة يقول لما أراد كونه كن فيكون لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ومثله لم يكن
من قبل ذلك كائنا ولو كان قديما لكان إلها ثانيا لا يقال كان بعد أن لم يكن فتجري عليه الصفات المحدثات ولا يكون بينها
وبينه فصل ولا له عليها فضل فيستوي الصانع والمصنوع ويتكافأ المبتدع والبديع خلق الخلائق على غير مثال خلا
من غيره ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه وأنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال وأرساها على غير قرار وأقامها
بغير قوائم ورفعها بغير دعائم وحصنها من الأود والاعوجاج ومنعها من التهافت والانفراج أرسى أوتادها وضرب
أسدادها واستفاض عيونها وخد أوديتها فلم يهن ما بناه ولا ضعف ما قواه هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته
وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته والعالي على كل شيء منها بجلاله وعزته لا يعجزه شيء منها طلبه ولا يمتنع عليه فيغلبه ولا
يفوته السريع منها فيسبقه ولا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه خضعت الأشياء له وذلت مستكينة لعظمته لا تستطيع الهرب
من سلطانه إلى غيره فتمتنع من نفعه وضره ولا كفؤ له فيكافئه ولا نظير له فيساويه هو المفني لها بعد وجودها حتى يصير
موجودها كمفقودها وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها وكيف ولو اجتمع جميع حيوانها
من طيرها وبهائمها وما كان من مراحها وسائمها وأصناف أسناخها وأجناسها ومتبلدة أممها وأكياسها على إحداث
بعوضة ما قدرت على إحداثها ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها ولتحيرت عقولها في علم ذلك وتاهت وعجزت
قواها وتناهت ورجعت خاسئة حسيرة عارفة بأنها مقهورة مقرة بالعجز عن إنشائها مذعنة بالضعف عن إفنائها
وإنه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان

باعتبار
النبت خ ل
بها

ولا حين ولا زمان عدمت عند ذلك الآجال والأوقات وزالت السنون والساعات فلا شيء الا الله الواحد القهار الذي اليه مصير جميع الامور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها وبغير امتناع منها كان فناؤها ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها لم يتكاءده صنع شيء منها اذ صنعه ولم يؤده منها خلق ما براه وخلقه ولم يكونها لتشديد سلطان ولا لخوف من زوال ونقصان ولا للاستعانة بها على ند مكاثر ولا للاحتراز بها من ضد مثاور ولا للازدياد بها في ملكه ولا لمكاثرة شريك في شركه ولا لوحشة كانت منه فاراد ان يستانس اليها ثم هو يفنيها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه في تصريفها وتدبيرها ولا لراحة واصلة اليه ولا لثقل شيء منها عليه لا يمله طول بقائها فيدعوه الى سرعة افنائها لكنه سبحانه دبرها بلطفه وامسكها بامره واتقنها بقدرته ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه اليها ولا استعانة بشيء منها عليها ولا لانصراف من حال وحشة الى حال استيناس ولا من حال جهل وعمى الى حال علم والتماس ولا من فقر وحاجة الى غنى وكثرة ولا من ذل وضعة الى عز وقدرة **اقول** حمده اى فضله وترغد نعيته والوضوح والوضح البياض والبهمة السواد والجمود هنا الجمادة والصرد البرد والافول الغيبة واللواج الداخل وخالستنى وتسنوه والاود الاعوجاج والتهافت التساقط الاسداد جمع سد وقد يضم وهو كل ما حال وحجز بين شيئين وخدشوق ومرابحها ما براح منها في مرابطها ومعاطنها وسائمها ما ارسل منها للرعي واسناخها اصولها والمبلدة نوع البلادة وهي ضد الذكاء والاكياس والذكاء والفهم وتكادته الامر شق عليه وصعب واده الثقل والمثاور المواثب واعلم ان مدار هذه الخطبة على التوحيد المطلق والتنزيه المحقق وقد اشار الى توحيده ثم وتنزيهه باعتبارات من الصفات الاضافية والسلبية فقوله ما وحده من كيفه دلت هذه الكلمة بالمطابقة على سلب التوحيد له تعالى عمن وصفه بكيفية وبالالتزام على انه لا يجوز تكييفه لمنافاة ذلك التوحيد الواجب له ولنشر الى معنى الكيفية ليتبين انه لا يجوز وصفه بها فنقول اما رسمها فقيل انها هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة الى امر خارج عنه ولا قسمة في ذاته ولا نسبة واقعة في اجزائه وبهذه القيود يفارق سائر الاعراض واقسامها اربعة لانها اما ان تكون مختصة بالكم من جهة ما هو كم كالتثليث والتربيع وغيرها من الاشكال للسطوح وكالاستقامة والانحناء للخطوط وكالفردية والزوجية للاعداد واما ان لا تكون مختصة به وهي اما ان تكون محسوسة كالالوان والطعوم والحرارة والبرودة وهذا ينقسم الى راسخة كصفرة الذهب وحلاوة العسل وتسمى كيفيات انفعالية اما لانفعال الحواس عنها واما لانفعالات حصلت في الموضوعات عنها او غير راسخة اما سريعة الزوال كحمرة الخجل وتسمى انفعالات لكثرة انفعالات موضوعاتها لشبهها بغيرها وهذا قسم ثان واما ان لا تكون محسوسة وهي اما استعدادات لكمالات كالاستعداد للمقاومة والدفع واما الانفعال وتسمى قوة طبيعية كالمصاحبية والصلابة او لنقايص مثل الاستعداد لسرعة الاذعان والانفعال وتسمى ضعفا ولا قوة طبيعية كالممراضية واما ان لا يكون استعدادا لكمالات ونقايص بل يكون في انفسها كمالات ونقايص وهي مع ذلك غير محسوسة بذواتها فما كان منها ثابتا يسمى ملكة كالعلم والعفة والشجاعة وما كان سريع الزوال يسمى حالا كغضب الحليم ومرض المصحاح فهذه اقسام الكيف اذا عرفت ذلك فنقول انما قلنا انه يلزم من وصفه بالكيفية عدم توحيده لما بينه في الخطبة الاولى من قوله فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه وكما سبق تقريره فينتج ان من وصف الله سبحانه فقد ثناه وينتج ان من كيفه لم يوحده لان توحيده وتشبيهه مما لا يجتمعان التنافي ولا حقيقته اصاب من مثله اي جعل له مثلا وذلك لان كل ما له مثل فليس بواجب الوجود لذاته لان المثلية اما ان يتحقق من كل وجه فلا تعدد اذن لان التعدد يقتضي المغايرة بامر ما وذلك ينافي الاتحاد والمثلية من كل وجه هف واما ان يتحقق من بعض الوجوه وح ما به التماثل اما الحقيقة او جزؤها او امر خارج عنها فان كان الاول كان ما به الامتياز عرضيا للحقيقة لازما او زايلا لكن ذلك باطل لان المقتضي لذلك العرضي اما المهية فيلزم ان يكون مشتركا بين المثلين لان مقتضى المهية الواحدة لا يختلف فما به الامتياز لاحد المثلين عن الاخر حاصل للاخر هف وغيرها فتكون ذات واجب الوجود مفتقرة في تحصيل ما يميزها عن غيرها الى غير خارجي هذا مح وان كان ما به التماثل والاتحاد جزء من المثلين لزم كون كل منهما مركبا فكل منهما ممكن هف وبقي ان يكون التماثل بامر خارج عن حقيقتهما مع اختلاف الحقيقتين لكن ذلك باطل اما اولا فلامتناع وصف واجب الوجود بامر خارج عن حقيقته لا يستلزم اثبات الصفة له تشبيه وتركيبه على ما مر واما ثانيا فلان ذلك الامر الخارجي المشترك لذاتيهما كما للذات واجب الوجود فواجب الوجود لذاته مستفيد للكمال من غيره هف وان لم يكن كمالا كان الاثبات له نقصا لان الزيادة على الكمال نقص فثبت ان كل ما له مثل فليس بواجب الوجود لذاته فاذا اطلع عليه اذا اصاب ما له مثل فقد اصاب ما ليس بواجب الوجود لذاته فلم يصب صانع العالم ومقصود الكلمة نفي المثل له تعالى في مقام التوجه اليه والنظر لطلب معرفته الثالث ولا اياه عنى من شبهه ومعنى هذه القرينة كالتي قبلها الرابع ولا صمده من اشار اليه ونوهمه وذلك لان الاشارة اليه اما حسية او عقلية والاولى مستلزمة للوضع والهيئة والتشكل والتحيز كما علمت في غير هذا الموضع وذلك على واجب الوجود مح واما الثانية فقد علمت ان النفس

في بيان خطبة خطبها في التوحيد

الا انه بينهما دامت في عالم الغربة ان توجهت لاقتناص امر معقول من عالم الغيب فلا بد ان تستتبع القوة الخيالية والوهمية الاستعانة بهما على تثبيت المعنى المعقول وضبطه فاذن يستحيل ان يثبت العقل الانساني الحق شيئاً من المعاني الالهية الا مشاركة من الوهم والخيال واستتباعاته حداً وكيفية يكون مثلها لكن قد علمت تنزيهه تعالى عن الكيفيات والصفات والحدود والاشارات فكان التشبيه والمدعى لا صانعية حقيقته قاصداً في تلك الاشارة الى ذي كيفية وحال ليس هو واجب الوجود فلم يكن قاصداً لواجب الوجود وقد بينا فيما سلف امتناع الاشارة اليه الخامس قوله كل معروف بنفسه مصنوع صغرى ضميره من الشكل الاول ستغنى معها عن ذكر الدعوى لا لها علیها وهي انه تعالى ليس معلوماً بنفسه اي ليس معلوم الحقيقة بالكنه وتقدير الكبرى وكلا شيء مما هو مصنوع بالله للعالم واجب الوجود لذاته ينتج انه لا شيء من المعلوم بنفسه بواجب الوجود واله العالم دائماً وينعكس لا شيء من واجب الوجود معلوم بنفسه او من الشكل الثاني ويكون تقدير الكبرى وكلا شيء مما هو واجب الوجود بمصنوع وينتج النتيجة المذكورة وينعكس ويحتمل ان يبين المطلوب المذكور بقياس استثنائي متصل وتكون المقدمة المذكورة تنبيهاً على ملازمة المتصلة وبيانها لما وتقديرها لو كان معلوماً بنفسه لكان مصنوعاً لان كل معلوم بنفسه مصنوع لكن التالي باطل فالمقدم كذلك فاما بيان ان كل معلوم بنفسه مصنوع فهو ان كل معلوم بحقيقته فانما نعلم من جهة اجزائه وكل ذي جزء فهو مركب فكل معلوم الحقيقة فهو مصنوع واما بطلان التالي فلانه تعالى لو كان مصنوعاً لكان ممكناً مفتقراً الى الغير فلا يكون واجب الوجود لذاته هف السادس وكل قائم في سواه معلول كالمقدمة التي قبلها في انها يحتمل ان تكون صغرى قياس ضميره من الشكل الاول او الثاني ودل به على انه تعالى ليس بقائم في سواه وتقديره او لا شيء من المعلول بواجب الوجود او لا شيء من واجب الوجود بمعلول فينتج انه لا شيء من القائم في سواه بواجب الوجود وينعكس كنفسها الا شيء من واجب الوجود بقائم في سواه ويحتمل ان يكون كبرى القياس لا حاجة الى عكس النتيجة ويحتمل ان يكون ذكرها تنبيهاً على ملازمة قياس استثنائي اي لو كان قائماً في سواه لكان معلولاً لكن التالي باطل فالمقدم كذلك وبيان الملازمة ان القائم بغيره مفتقر الى محل وكل مفتقر الى غيره ممكن وكل ممكن معلول في وجوده وعدمه واما بطلان التالي فلانه لو كان معلولاً لما كان واجب الوجود السابع فاعل لا باضطراب آلة اما انه فاعل فلانه موجد العالم واما انه منزه في فاعليته عن اضطراب الآلة فلتنزهه عن الآلة التي هي من عوارض الاجسام وقد سبق بيانه الثامن مقدر لا بجول فكرة ومعنى كونه مقدراً كونه معطياً لكل موجود المقدار الذي تستحقه من الكمال الوجود ولواحق الوجود كالاجل والرزق ونحوهما على وفق القضاء الالهي وكون ذلك لا بجول فكرة لان الفكر من لواحق النفوس البشرية بالنسبة الى تدبير بدنها وقد تنزه قدسه تعالى عن ذلك التاسع كونه غنياً لا باستفادة وكونه غنياً يعود الى عدم حاجته في شيء ما الى شيء ما اذ لو حصل له شيء باستفادة من خارج كسائر الاغنياء لزم كونه ناقصاً بذاته مفتقراً الى ذلك المستفاد موقوفاً على حصول سببه فكان ممكناً هف وهو تنزيه له عن الغنى المشهور المتعارف العاشر كونه لا تصحبه الاوقات وذلك ان الصحبة الحقيقية تستدعي المعية والمقارنة اللذين هما من لواحق الزمان الذي هو من لواحق الحركة التي هي من لواحق الجسم المتاخر وجوده عن وجود بعض الملائكة المتاخر وجوده عن وجود الصانع الاول جلت عظمته فكان وجود الزمان والوقت متاخراً عن وجوده تعالى بمراتب من الوجود فلم تصدق صحبة الاوقات لوجوده ولا كونها ظرفاً له والا لكان مفتقراً الى وجود الزمان فكان يمتنع استغنائه عنه لكنه سابق عليه فوجب استغنائه عنه نعم قد يحكم الوهم بصحبة الزمان للمجردات ومعيته لها حيث نفسها الى الزمانيات اذ كان لا يعقل المجردات الا كذلك الحادي عشر كونه لا ترفده الادوات والآلات المفتقر الى المعونة باداة وغيرها ممكن لذاته فلا يكون واجب الوجود تعالى خالق الادوات فكان سابقاً عليها في تأثيره فكان غنياً عنها فيمتنع عليه الحاجة الى الاستعانة بها الثاني عشر سبق الاوقات كونه اي وجوده وقد مر بيانه الثالث عشر والعدم وجوده اي وسبق وجوده العدم وبيانه انه تعالى مخالف لسائر الموجودات الممكنة فانها محدثة فيكون عدمها سابقاً على وجودها ثم ان لم يكن كذلك وجودها وعدمها بالنسبة اليه وانها على سواء كما بين في مظانه وكفانا من ذلك انها لا تستحق وجوداً ولا عدماً لذاتها فذلك عدم سابق على وجودها فعلى كل تقدير فوجودها يكون مسبوقاً بعدم اما الموجود الاول جلت عظمته فانه لما كان واجب الوجود لذاته كان لما هو هو موجوداً فكان يستحق لذاته الا فكان وجوده سابقاً على العدم المعتبر لغيره من الممكنات وكان عدم العالم مثلاً ووجوده كان مستنداً الى عدم الداعي الى ايجاد المستند الى وجوده فكان وجوده تعالى سابقاً على عدم العالم ثم تبين الرابع عشر والابتداء ازله وذلك ان الازل عبارة عن عدم الاولية والابتداء وذلك الامر يحق واجب الوجود لما هو هو بحسب الاعتبار العقلي وهو بنا في حقوق الابتداء والاولية لوجوده تعالى فاستحال ان يكون له بداية لامتناع اجتماع النقيضين بل سبق الازل ابتداء فما كان له ابتداء وجود من الممكنات اذ هو مبدأ مادة مصدرها الخامس عشر بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له وذلك انه تعالى لما خلق المشاعر واوجدها وهو المراد بتشعيره لها امتنع ان يكون له مشعر وحاسة والا لكان وجودها له اما من غيره وهو محال اما اولا فلانه مشعر المشاعر واما ثانياً فلانه يكون محتاجاً في كماله الى

لانه بها

عنه وهو ما نص

في بيان خطبة خطبها في التوحيد

غيره فهو ناقص بذاته محتاج واما منعه هو ايضح لانها ان كانت من كمالات الوهيته كان موجودها من حيث فاقد كمال الامكان ناقصا
بذاته محتاج وان لم يكن كمالا كان اثباتها له نقصا لان الزيادة على الكمال نقصان فكان ايجاده لها مستلزما لنقصانه وهو محال السادس عشر
وبمضادته بين الامور عرف ان لا ضد له لانه لما كان خالق الاضداد فلو كان له ضد لكان خالقا لنفسه ولضده وذلك محال ولانك لما
علمت ان المضادة من باب المضاف وعلمت ان المضاف ينقسم الى حقيقي وغير حقيقي فالحقيقي هو الذي لا تعقل ماهيته الا بالقياس الى غيره وغير الحقيقي
هو الذي له في ذاته ماهية غير الاضافة تعرض لها الاضافة وكيف ما كان لا بد من وجود الغير حتى يوجد المضاف من حيث هو مضاف
فيكون وجود احد المتضايفين متعلقا بوجود الاخر فلو كان للواجب الوجود ضد لكان متعلق الوجود بالغير فلم يكن واجب الوجود لذاته
هف ولان الضدين هما الامران الثبوتيان اللذان يتعاقبان على محل واحد ويمتنع اجتماعهما فيه فلو كان بينه وبين غيره مضادة لكان
محتاجا الى محل يتعاقب عليه وقد ثبت انه غني عن كل شيء السابع عشر وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لا قرين له وبرهانه
اما اولا فلانه خالق المقترنات ومبدأ لمقارنتها فلو كان تعالى مقارنا لغيره لكان خالقا لنفسه ولقرينه وذلك محال ولان المقارنة من
باب المضاف وقد ثبت استحالته عليه بما تقدم الثامن عشر كونه تعالى مضادا بين الامور المضادة تاكيدا لقوله ومضادته للاشياء فمنها النور والظلمة
وفي كونهما ضدين خلاف بين العلماء مبني على كون الظلمة امرا وجوديا او عدميا والاقرب انها امر وجودي مضاد للنور وقال بعضهم انها
عبارة عن عدم الضوء عما من شانه ان يضيء وليست على هذا القول عدما صرفا فجاز ان يطلق عليها انها ضد مجازا ومنها البياض والسواد والجمود
والبلل اي اليبوسة والرطوبة والحرارة والبرودة ومضادته بينها خلقه لها على ما هي عليه من الطبائع المتضادة التاسع عشر كونه مؤلفا بين
متعادياتها في امزجة المركبات من العناصر الاربعة فانه جمع بينها فيها على وجه الامتزاج حتى حصل بينها كيفية متوسطة على ما مر بيانه في الخطبة
الاولى الثاني والعشرون كونه مفرقا بين متدانياتها اي بالموت والفناء لهذه المركبات في هذا العالم اليه اشار الى استناد فسادها اليه
ايضا اذ هو مسبب الاسباب وقد طابق في هذه القرائن فالتاليف بازاء المعاداة والمقارنة بازاء المباينة والقرب بازاء البعد
والتفريق بازاء التداني الثالث والعشرون كونه تعالى لا يشمله حد والمراد اما الحد الاصطلاحي فظاهر كونه منفيا عنه لا حد له اذ لا جزء له فلا
يشمل ونحاط بحقيقته بحد واما الحد اللغوي وهي النهاية التي تحيط بالجسم مثلا فيقف عندها وينتهي بها وذلك من لواحق الكم المتصل والمنفصل
وهما من الاعراض ولا شيء من واجب الوجود سبحانه بعرض ولا محل له فامتنع ان يوصف بالنهاية واما وصفه باللانهاية فعلى سبيل سلب النهاية عنه مطلقا
لسلب معروضها كالمقدار مثلا لا على سبيل العدول بمعنى ان له معروضا للنهاية واللانهاية لكن ليست له النهاية بل خاصة لها الرابع والعشرون كونه
لا يحسب بعد اي لا يلحقه الحساب والعد فيدخل في جملة المحسوبات المعدودة وذلك ان العدد من لواحق الكم المنفصل الذي هو العدد كما هو معلوم
في مظانه والكم هو عرض وقد ثبت انه تعالى ليس بعرض ولا محل له واستحال ان يكون معدودا وقوله وانما تحد الادوات انفسها فالادوات اشارة
الى الالات البدنية والقوى الجسمانية وقد ثبت انها لا تتعلق ادراكها الا بما كان جسما او جسمانيا على ما علم في موضعه فمعنى قوله وانما تحد
الادوات انفسها اي انما تدرك الاجسام والجسمانيات ما هو مثلها من الاجسام والجسمانيات ومثل الشيء هو هو في النوع او الجنس ويحتمل
ان يدخل في ذلك التوهم والتفكر لامتناع انفكاكهما عن الوهم والخيال حين توجههما الى المعقولات لما بيناه من حاجتهما في التصوير والشبح
فكان لا يتعلق الا بما له ممكن ولا يحيط الا بما هو في صورة جسم وجسماني ولذلك قوله وتشير الالات الى نظائرها وقوله منعتها منذ القدمية
وحمتها قد الازلية وجنبتها لولا التكملة الضمائر المتصلة بالافعال الثلاثة تعود الى الالات والادوات وهي مفعولات اولى والقدمية والازلية و
التكملة مفعولات ثانية ومنذ وقد ولولا محلها الرفع بالفاعلية ومعنى الكلام الاولى ان اطلاق لفظة منذ على الالات والادوات في مثل قولنا
هذه الالات وجدت منذ كذا يمنع كونها قديمة لانه كان وضعها لابتداء الزمان وكانت لاطلاقها عليها متعينة الابتداء ولا شيء من القديم بمتعين
الابتداء فينتج انه لا شيء من هذه الادوات بقديم وكذا اطلاق لفظة قد عليها يحميها ويمنعها من كونها ازلية اذ كانت قد تفيد تقريب ما مضى من
الحال فاطلاقها عليها كما في قولك قد وجدت هذه الالة وقت كذا يحكم بقربها من الحال وعدم ازليتها ولا شيء من الازلي بمتقرب من الحال
تقريب من الحال فلا شيء من هذه الالات بازلي وكذا اطلاق لفظ لولا على هذه الالات يجنبها التكملة اذ كان وضع لولا للدلالة على امتناع الشيء لوجود
غيره فاطلاقها عليها في مثل قولك عند نظرك الى بعض الالات المستحسنة والخلقة العجيبة والاذهان المتوقدة ما احسنها واكملها لولا انها
كذا يدل بها على امتناع كمالها لوجود نقصان فيها ينبئ تاخرها من الكمال المطلق وانما اشار الى حدوثها ونقصانها ليؤكد كونها غير متعلقة
بجلاله سبحانه وانها في البعد تبعد عن تقديره والاشارة اليه اذ كان القديم الكامل في ذاته التام في صفاته متعاليا عن الاشياء عن مناسبة
المحدث الناقص في ذاته فكيف يمكن ان يدركه او يليق ان يطمح في ذلك وقال بعض الشارحين المراد بالادوات والالات اهلها وقد روي
برفع القدمية والازلية والتكملة على الفاعلية والضمائر المتصلة بالافعال مفعولات اولى ومنذ وقد ولولا مفعولات ثانية ويكون المعنى
ان قدمه وازليته وكماله منعت الادوات والالات من اطلاق منذ وقد ولولا عليه سبحانه لا لانها على الحدوث والابتداء المنافيين
لقدمه وازليته وكماله والرواية الاولى لوجودها في نسخة الرضي رضي الله عنه بخطه وقوله بها تجلى صانعها للعقول اي بوجود هذه الالات

في بيان خطبة خطبها في التوحيد

ظهوره وجوده تعالى للعقول اذ كان وجودها مستلزما لوجود صانعها بالضرورة واحكامها واتقانها شاهد بعلمه وحكمته فهي باذن تضطر الى الحكم بها العقول وكذلك تخصيصها بما تختصصت به من الكمالات شاهد بارادته وكمال عنايته فيكون ما شهد به وجودها من وجود صانعها جلي واضح من ان يقع فيه شك او يلحقه شبهة نعم قد تتفاوت ذلك الظهور والتجلي بحسب تفاوت صفاء النفوس وجلائها فمنها من يراه بعد ومنها من يراه مع ومنها من يراه قبل ومنها من يراه لا شيء معه واولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقوله وبها امتنع عن نظر العيون اي بايجادها وخلقها بحيث تدرك بحاسة البصر علم انه تعالى يمتنع ان يكون مثلها وبيانه ان تلك الالات لما كانت متعلقة حس البصر باعتبار انها ذات وضع وجهة ولون وغيره من شرائط الرؤية لما كانت هذه الامور ممتنعة في حقه تعالى لا جرم امتنع ان يكون محلا لنظر العيون وقال بعض الشارحين في بيان ذلك انه لما كان بالمشاعر والحواس التي هي الالات المشار اليها اكملت عقولنا و بعقولنا استخرجنا الدليل على انه لا يصح رؤيته فاذن بخلق هذه الادوات والالات لنا عرفنا عقلا وعرفنا انه يستحيل ان يعرف بغير العقل الخامس والعشرون قوله تعالى عنها ان يجري عليه السكون والحركة وقد اشار الى بيان امتناعهما عليه من وجه احدها قوله وكيف يجري عليه ما هو اجراه وهو استفهام على سبيل الاستنكار لجريان ما اجراه عليه وعود ما ابداه واختار البرهان عليه وحدوث ما احدثه فيه وبيان بطلانه ان الحركة والسكون من اثاره سبحانه في الاجسام وكل ما كان من اثاره يستحيل ان يجري عليه ويكون متصفا به اما المقدمة الاولى فظاهرة واما الثانية فلان المؤثر واجب التقدم بالوجود على الاثر فذلك الاثر اما ان يكون معتبرا في صفات الكمال فيلزم ان يكون تعالى باعتبار ما هو موجد له ومؤثر فيه ناقصا بذاته مستكملا بذلك الاثر والنقص عليه تعالى محال وان لم يكن معتبرا في صفات كماله فله الكمال المطلق بدون ذلك الاثر فكان اثباته صفة له نقصا في حقه لان الزيادة على الكمال المطلق نقصان وهو عليه تعالى محال الثاني لو كان كذلك للزم التغير في ذاته تعالى ولحوق الامكان له ودل على ذلك بقوله اذن لتفاوتت ذاته اي تغيرت بطريان الحركة عليها تارة والسكون اخرى لان الحركة والسكون من الحوادث المتغيرة فيكون تعالى بقوله لتغايرهما محلا للحوادث في التغير فكان متغيرا لكن التغير مستلزم للامكان فالواجب اذن ممكن لذاته هف الثالث لو كان بتلك المنزلة يلزمه التجزية والتركيب لكن التالي باطل والمقدم كذلك اما الملازمة فلان الحركة والسكون من عوارض الجسم الخاصة به فلو اتصف تعالى بهما لكان جسما وكل جسم فهو مركب قابل للتجزية واما بطلان التالي فلان كل مركب مفتقر الى اجزائه وممكن فالواجب ممكن هف الرابع انه لو كان كذلك للزم ان يبطل عن الازل معناه اما على طريق المتكلمين فظ لان الحركة والسكون من خواص الاجسام الحادثة فكان الموصوف بهما حادثا فلو كان تعالى موصوفا بهما لبطل عن الازل معناه ولم يكن ازليا واما على راي الحكماء فلانه تعالى لكونه واجب الوجود لذاته يستحق الازلية ولكون الممكن ممكنا لذاته فهو انما يستحق الازلية لا لذاته بل لازلية علته ودوامها اذ لا حق له في نفسه علته على امر ما مؤثر فيها لزم حدوث الممكن ولم يكن له من ذاته الا كونه لا يستحق لذاته وجودا ولا عدما وهو معنى الحدوث الذاتي عندهم فعلى هذا لو كان تعالى قابلا للحركة والسكون لكان جسما ممكنا لذاته فكان مستحقا للحدوث الذاتي بذاته فلم يكن مستحقا للازلية بذاته فيبطل من الازلية معناه وهو استحقاق الازلية بذاته لكن التالي باطل لما مر الخامس انه لو كان كذلك للزمان يكون له وراء اذ وجد له امام ووجه الملازمة انه لو جرت عليه الحركة لكان له امام يتحرك اليه وح يلزم ان يكون له وراء اذ له امام لانهما اضافتان لا تنفك احديهما عن الاخرى لكن ذلك مح لان كل ذي وجهين فهو منقسم وكل منقسم فهو ممكن على ما مر السادس لو كان كذلك لالتمس التمام اذ لزمه النقصان وبيان الملازمة ان جريان الحركة عليه مستلزم لتوجهه بها الى غاية اما جلب منفعة او دفع مضرة اذ من لوازم حركات العقلاء ذلك وعلى التقديرين فهما كمال مطلوب له لنقصانه الازم لذاته لكن النقصان بالذات والاستكمال بالغير مستلزم للامكان فالواجب ممكن هف السابع لو كان كذلك لقامت فيه اية المصنوع وبيان الملازمة انه ح يكون قادرا على الحركة والسكون فقد نثر عليهما ليس من خلقه اذ لا امتناع ايجاد ملها الى قدرة اخرى سابقة عليها ولزم التسلسل وكان قادرا وقبل ان كان قادرا وفيها الان فهي اذن من غيره فهو اذن مفتقر في كماله الى غيره فهو مصنوع وفيه ايات الصنع وعلامات التاثير فليس هو بواجب الوجود هف الثامن لو كان كذلك لتحول دليلا بعد ان كان مدلولا عليه وذلك ان يكون مصنوعا على ما مر وكل مصنوع فيستدل به على صانعه كما هو المشهور في الاستدلال بوجود العالم وحدوثه على وجود صانعه ولانه يكون جسما فيكون مصنوعا فكان دليلا على الصانع لكنه هو الصانع الاول للكل وهو المدلول عليه فاستحال ان يكون دليلا من جهة اثار الصنع فيه فاستحال ان يكون قابلا للحركة والسكون فاستحال ان يجريا عليه فانظر الى هذه النفس الملكية له عليه السلم كيف يفيض عنها هذه الاسرار الالهية مفصلا من غير تقدم من اوليته الصنائع العقلية ومحارسة البحث في هذه الدقائق الالهية واما قوله وخرج سلطان الامتناع الى قوله غيره فقد يسبق الى الوهم عطفه على الادلة المذكورة وظ انه ليس كذلك بل هو عطف على قوله امتنع اي بها امتنع عن نظر العيون وخرج بسلطان ذلك الامتناع اي امتناع ان يكون مثلها في كونها مهيئة للعيون ومحالا للنظر اليها عن ان يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من المرئيات وهي الاجسام والجسمانيات وقال انه تعالى لما امتنع عن نظر العيون ان لم يكن جسما ولا قائما به فخرج بسلطان استحقاق ذلك الامتناع عن ان يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من الاجسام والجسمانيات وعن قبول ذلك وقال بعض الشارحين انه عطف على قوله تجلى اي بها تجلى للعقول

في بيان خطبة خطبها في التوحيد

ح

وتوضيح بطلان الامتناع كونه مستلزما لها اي يكون واجب الوجود ممتنع العدم عن ان يكون ممكنا فيقبل الاثر عن غيره كما يقبل الممكنات السادس والعشرون
كونه تعالى لا يحول اي لا ينتقل ويتغير من حال الى حال لما علمت من استلزام التغير للامكان الممتنع عليه السابع والعشرون ولذلك لا يزول
الثامن والعشرون وكذلك لا يجوز عليه الافول والغيبة بعد الظهور لما يستلزم من التغير ايضا التاسع والعشرون كونه لم يلد فيكون مولودا ولم
يولد فيكون محدودا فالجملة الاولى تشتمل على دعوى والاشارة الى البرهان وهو في صورة قياس استثنائي تقدير مقدمته لو كان له ولد
لكان مولودا وح يكون الجملة الثانية وهي قوله ولم يولد في قوة استثناء نقيض التالي وقوله فيكون محدودا في قوة قياس استثنائي
يدل على بطلان التالي وتقديره لانه لو كان مولودا لكان محدودا واعلم انه يحتمل ان يريد بقوله مولودا ما هو المتعارف فيكون قد سلك
في ذلك مسلك الاعتماد الظاهر في بادي النظر بحسب الاستقراءات كل ما له ولد فانه يكون مولودا وان لم يجب في ذلك بحكم العقل وقد علمت
ان الاستقراء مما يستعمل في الخطابة ويحتج به فيكون مقنعا اذ كانت غايتها الاقناع ويحتمل ان يريد بكلامه ما هو اعم من المفهوم المتعارف
اعني التولد عن اخر مثله من نوعه فان ذلك غير واجب كما في اصول انواع الحيوان الحادثة وح يكون بيان الملازمة الاولى على الاحتمال
الاول ظ واما على تقدير الثاني فنقول في بيانها ان مفهوم الولد هو الذي يتولد وينفصل عن اخر مثله من نوعه لكن اشخاص النوع
الواحد لا تتعين في الوجود وتتخصص الا بواسطة المادة وعلائقها على ما علم ذلك في مظانه من الحكمة وكل ما كان ماديا وله علاقة بالمادة
كان متولدا عن غيره وهو مادته وصورته واسباب وجوده وتركيبه اما بيان الملازمة الثانية في برهان بطلان التالي فلانه لما لزم من
كونه ذا ولد ان يكون مشاركا في النوع لغيره ثبت انه متولد من مادته وصورته ومركب عنهما وعن جزءين باحدهما ايضا شارك نوعه وتميز وانفصل
بالاخر فهو اذن منته الى حدود وهي اجزاؤه التي يقف عندها وينتهي في التحليل اليها فثبت انه تعالى لو كان مولودا لكان محدودا ولانه
لو كان مولودا لكان تعالى محاطا بالحد وبالحد لتولده منه لكن كل محدود على الاعتبارين مركب وكل مركب ممكن فاذن ليس هو
بمحدود فليس هو بمولود فليس هو بذي ولد وان شئت ان تجعل المقدمتين في قوة قياس حملي مركب عن شرطيتين متصلتين والنتيجة
منهما في حكم تام وتقديره لو كان تعالى ذا ولد لكان مولودا [ولو كان مولودا] لكان محدودا والنتيجة لو كان ذا ولد لكان محدودا ثم يستنتج من استثناء
نقيض تالي هذه النتيجة عين المطلوب وبيان الملازمتين ونقيض تالي النتيجة ما سبق الثلاثون كونه جل عن اتخاذ الابناء اي علا وتقدس
عن ذلك وهو تاكيد لما سبق وبيانه انه يستلزم كونه مرتبة من مراتب الاجسام التي هي في معرض الزوال وقبول التغير والاضمحلال الحادي و
الثلاثون كونه طهر عن ملامسة النساء وذلك لما يستلزم الملامسة من الجسمية والتركيب الذي تنزه قدسه عنه وطهارته تعود الى تقدسه
عن المواد وعلائقها من الملامسة والمماسة وغيرها الثاني والثلاثون كونه لا تناله الاوهام فيقدره اي لو نالته الاوهام لقدرته لكن التالي
باطل فالمقدم كذلك بيان الملازمة انك علمت ان الوهم انما يدرك المعاني المتعلقة بالمادة ولا ترتفع ادراكه المتعلقة بالمحسوسات وشانه فيما يدركه
ان يستعمل المتخيلة في تقديره بمقدار مخصوص وكمية معينة وهيئة معينة ويحكم بانها مبلغه ونهايته فلو ادركته الاوهام لقدرته بقدر
معين وفي محل معين فاما بطلان التالي فلان المقدر متحدد ومركب محتاج الى المادة والتعلق بالغير وقد سبق بيان امتناعه الثالث
والثلاثون كونه لا يتوهمه الفطن فيصوره وفطن العقول سرعة حركتها في تحصيل الوسط في المطالب وانما قال لا يتوهمه الفطن لان القوة
العقلية عند توجهها في تحصيل المطالب العقلية المجردة لا بد لها من استتباع الوهم والمتخيلة والاستعانة بهما في استثباتها بالشبح والصورة
مصورة ويحطها الى الخيال على ما علم ذلك في موضعه ولذلك ما كانت رؤيتها لجبرئيل في صورة دحية الكلبي وكذلك المعاني التي تدركها النفوس
في النوم من الحوادث فانها لا يتمكن من استثباتها عند اقتناصها من عالم الغيب وبقائها الى حال اليقظة في صورة خيالية مشاهدة كما
علمت ذلك في صدر الكتاب فظهر ان معنى قوله لا يتوهمه الفطن فتصوره اي لو ادركته الفطن لكانت بمشاركة الوهم فكان يلزم ان يصوره
بصورة خيالية لكنه تعالى منزه عن الصورة فكان منزها عن ادراكها الرابع والثلاثون كونه لا تدركه الحواس فتحسه واما لو ادركته الحواس لصدق
عليه انها تحسه ولزم كونه محسوسا وبيان ذلك ان الادراك وان كان اعم من الاحساس لكن اضافته الى الحواس صار مساويا وملازما له
فان قلت انه لا معنى للاحساس الا ادراك الحواس فيكون كانه قال لا تحسه الحواس فتحسه وذلك تكرار غير مفيد قلت ليس مقصوده انه
يلزم من معنى الادراك معنى الاحساس بل مراده ان الذي يصدق عليه انه ادراك الحواس هو المسمى بالاحساس فيكون التقدير لو ادركته الحواس
لو ادركته لصدق انها احسته اي لصدق هذا الاسم ولزم من صدق اطلاقها ان يصدق عليه كونه محسوسا وانما لزم ذلك لكون
الاحساس مشهورا بين الاشخاص الذي عليهم من الادراك فجعله كالاوسط في نفي ادراكها عنه التعينه وانما بيان انه تعالى ليس بمحسوس
فلانه تعالى ليس بجسم ولا جسماني وكل محسوس فاما جسم او جسماني فينتج انه تعالى ليس بمحسوس الخامس والثلاثون كونه لا تلمسه الايدي فتمسه اي
لو صدق عليها انها تلمسه لصدق انها تمسه وكونه كذلك لكان ميسه وهو ظاهر اذ كان المس اعم من اللمس وكلاهما ممتنعان عليه لاستلزامهما الجسمية و[illegible]
عليه تعالى السادس والثلاثون كونه لا يتغير بحال اي مدا الابد على وجه من الوجوه السابع والثلاثون ولا يتبدل في الاحوال اي ينتقل من حال
الى حال وقد سبق بيان ذلك الثامن والثلاثون كونه لا تبليه الليالي والايام اي لا يفنيه فانه تعالى ليس بزماني تحت تصريفها الزمان حتى

في مباحث خطبة خطبها في التوحيد

تثليثه وثانيها ان قال ان تخرق الابلاء له تغيرٌ ذاته فقد علمت امتناع التغير عليه واما ثالثها فلانّ امثالي من لا موجود لمادته وكان ذات مادّة فهو
مركب على ما مرّ الثالث والثلاثون كونه لا يعتريه الضعف والقلة وذلك لامتناع التغير عليه الاربعون كونه لا يوصف بشيء من الاجزاء لان كل
ذي جزء مفتقر الى جزئه الذي هو غيره فكان مفتقرا الى غيره فكان ممكنا في ذاته هف الحادي والاربعون ولا بالجوارح والاعضاء لمّا تقرّر
من الجسمية والتركيب في الجزئية الثاني والاربعون ولا بعرض من الاعراض ثم ان الاعراض تنحصر في تسعة اجناس كما هو معلوم في مظانّه و
ذلك ان كل الموجودات سوى الله تعالى منقسمة بعشرة اقسام واحد منها جوهر والتسعة الباقية اعراض وبظهر تقسيمها ان كل ما عداه تعالى
فوجوده زائد على ماهيته والماهية القاطعة منقسمة اما ان تكون بحيث اذا وجدت كان وجودها لا في موضوع وهذا المعنى بالجوهر
او يكون وجودها في موضوع وهو المعنى بالعرض ونعني بالموضوع المحل الذي لا يتقوم بما يحل فيه بل يتقوم حقيقته كالمكان قبل حلوله
كالجسم الذي يحله السواد ثم العرض ينقسم الى اقسام التسعة وهي الكم والكيف والمضاف والاين ومتى والوضع والملك وان يفعل
وان ينفعل وتسمى هذه الاقسام مع القسم العاشر وهو الجوهر بالمقولات العشر والاجناس العالية ولنرسم كل واحد منها ليظهر انه تعالى
منزه عن الوصف بشيء منها فنقول اما الجوهر فقد عرفت رسمه واما الكم فرسمه بانه العرض الذي يقبل لذاته المساواة واللامساواة و
التجزي ويقبل الجوهر بسببه هذه الصفات واما الكيف فقد عرفته وعرفت اقسامه واما الاضافة فهي حالة للجوهر تعرض بسبب كون غيره
في مقابلته ولا يعقل وجودها الا بالقياس الى ذلك الغير كالابوة والبنوة وقد عرفتها وعرفت ايضا اقسامها من قبل واما الاين فهو حالة
وهيئة تعرض للجسم بسبب نسبته الى المكان وكونه فيه وليس مجرد النسبة اليه واما متى فهي حالة تعرض للشيء بسبب نسبته الى زمانه وكونه
فيه او في طرفه وهو الان واما الوضع فهو هيئة تعرض الجسم بسبب نسبة اجزائه بعضها الى بعض نسبة تختلف الاجزاء لاجلها بالقياس
الى سائر الجهات كالقيام والقعود واما الملك فقد عرفت بانه نسبة الى ملاصق ينتقل بانتقال ما هو منسوب اليه كالتسلح والتقمص
واما ان يفعل فهو كون الشيء بحيث يؤثر في غيره ما دام يؤثر فيه كالقاطع حالة التاثير واما ان ينفعل فهو كون الشيء متاثرا عن
غيره ما دام متاثرا كالمقطع اذا عرفت ذلك فنقول اما البرهان الجملي على امتناع اتصافه تعالى بالاعراض واستحالة كونه موضوعا
لها فما سبق بيانه ثم نقول فهي وصف الله سبحانه بانه تعالى فرد من فرديه نعم شاه وكذا ما بيناه من استلزام وصفه بشيء حصول التغير
في ذاته وامتناع التغير عليه واما التفصيل فاما امتناع وصفه بالكم فلانه لو صدق عليه الكم لصدق عليه قبول المساواة واللامساواة
والتجزي وكلما قبل التجزية كان متكثرا وقد بينا انه تعالى واحد من كل وجه فيمتنع عليه الكم واما امتناع وصفه بالكيف
فقد علمته في اول الخطبة وكذا امتناع وصفه بالمضاف واما وصفه بالاين فلانه يستلزم ان يكون متحيزا محويا لكونه كائنا في كونه
في المكان هف واما وصفه بمتى فقد عرفت انه تعالى ليس بزماني فاستحال ان يوصف بالنسبة الى زمان يكون له واما وصفه بالوضع
فلان الوضع من خواص المتحيزات فان الجسم المتناهي يحيط به سطح الاخر او سطوح ينتهي عندها فيكتنفه حد او حدود ونهايات يكون
له شكل وهيئة لكنه تعالى ليس بمتحيز فاستحال ان يكون ذا وضع واما الملك فلانه من خواص الاجسام المحاط بها انما ليس بجسم ولا
محاط بشيء ينتقل بانتقاله وقد نزهه تعالى عن الجسمية وان يحيط به شيء واما ان يفعل فلان الفعل لا يصدق عليه الا بطريق الابداع
ومحض الاختراع والابداع هو ان يكون للشيء وجود من غيره متعلق به فقط دون توسط مادة او آلة او زمان والفعل اعم من الابداع
اذ المفهوم من الفعل هو ان يوجد بسبب وجوده شيء آخر سواء كان ذلك لسبب تركيب من الفاعل والآلة او مادة او زمان وقصد اختياري
فيقال للنجار انه فاعل وللسرير انه فعل ويقال لا بتوسط شيء من ذلك بل بالطبع وتولده كالشمس فانها فاعلة للنور والنور فعلها فالفعل
اذن ينقسم الى ما يكون بقصد واختيار والى ما لا يكون كذلك بل يصدر عنه لانه ذات تفيض عنها ذلك الشيء ثم ان كان عالما بفيضان
الشيء عنه سميت تلك الافاضة جودا والفاعل بتلك الاعتبار جوادا وان لم يكن عالما به سميت تلك الافاضة طبعا وتولدا كفيضان
النور عن الشمس فالفاعل اما ان يفعل بالقصد والغرض او بالطبع المحض او بالجود المحض والباري تعالى لا يجوز ان يفعل لغرض لان الغرض
والقصد ان كان اولى به لذاته كانت ذاته مستكملة بتلك الاولوية ناقصة بعدمها هف وان لم يكن اولى به كان ترجيحا من غير
مرجح ثم لا يجوز ان يكون اولى بالنظر الى عبده لان تلك الاولوية وعدمها ان كانا بالنسبة اليه على سواء فلا ترجيح او لا على سواء فيعود
حديث النقصان والكمال فكان تعالى منزها عن الفعل بهذا الوجه بل انما يصدر عنه على وجه الابداع بجوده المحض وفي هذه المسئلة
بحث طويل ليس هذا موضعه واما وصفه بانه ينفعل فلان الانفعال يستلزم التغير في ذاته المستلزم للامكان وقد نزهه قدس سره
عنه الثالث والاربعون ولا بالغيرية والابعاض اي ليس له ابعاض يغاير بعضها بعضا لان ذلك مستلزم للتجزية والتركيب الممتنعين عليه
وامتناع اللازم يستلزم امتناع الملزوم الرابع والاربعون ولا يقال له حد ولا نهاية لان الحدود والنهايات من عوارض الاجسام ذات
الاوضاع ولواحقها على ما سبق الخامس والاربعون وكذا ولا انقطاع ولا غاية اي لا انتهاء لوجوده ولا غاية له وذلك لان الانقطاع
عند الغايات من لواحق الامور الزمانية المحدثة الكائنة الفاسدة وقد بينا امتناع كونه تعالى زمانيا وكونه ماديا ولانه تعالى واجب

في المقولات العشر

الوجود

الوجود فيستحيل ان يحفه العلم او يتناهى وجوده وينقطع عند غاية السادس والاربعون ولان الاشياء بجوهره فتقله او بصوبه برى
ما بعد الفا منصوبا وعليه نسخة الرضي رحمه الله سعد ذلك باضمار ان عقيبها في جواب النفي وروى مرفوعا على العطف والمعنى انه ليس في
مكان يجوز فيرتفع بارتفاعه وينخفض بانخفاضه لما ان ذلك من لواحق الجسمية وكذلك ان شيئا يحمله فيميله او يعدله السابع
والاربعون ليس في الاشياء بوالج ولا عنها بخارج لان الدخول والخروج من لواحق الاجسام فما ليس بجسم ولا جسماني فهما مسلوبان
عنه سلبا مطلقا لا السلب المقابل للملكة الثامن والاربعون كونه يخبر بلا لسان ولهوات لان اللسان واللهوات من لواحق الاجسام
الحيوانية المنزه قدسه عنها والسلب هاهنا كالذي قبله والاخبار هو النوع الاكثر من الكلام ولذلك خصه هنا بالذكر وزعم الاشعرية
ان الخبر هو اصل الكلام كله واليه يرجع انواعه كالامر والنهي والاستفهام والتمني والترجي وغيرها ثم اختلف المتكلمون في حقيقة
الكلام فاتفقت المعتزلة على انه المركب من الحروف والصوت وجمهور الاشعرية على ان وراء الكلام اللساني معنى قائم بالنفس يعبر عنه بالكلام النفساني
ولفظ الكلام حقيقة عندهم في النفساني مجاز في اللساني ومنهم من جعله حقيقة في اللساني مجازا في النفساني ومنهم من جعله مشتركا فيهما فكونه تعالى متكلما
يعود الى خلقه الكلام في جسم الشيء عند المعتزلة وعند الاشعرية انه معنى قائم بذاته وهذه الاصوات والحروف المسموعة دلالات عليه وتعبير
معنى كلامه تعالى التاسع والاربعون يسمع بلا خروق وادوات اي ليس بآلة هي الآذان والصماخات كما يسمع الانسان لتنزهه تعالى عن الآلات
الجسمانية وقد كان هذا البرهان كافيا في منع الاطلاق لسميع عليه تعالى لكن لما ورد الاذن الشرعي باطلاقه عليه ولم يمكن حمله على ظاهره وحقيقته
وجب صرفه الى مجازه وهو العلم بالمسموعات اطلاقا لاسم السبب على المسبب اذ كان السمع من اسباب العلم فاذن كونه تعالى سميعا يعود الى علمه
بالمسموعات الخمسون يقول ولا يتلفظ واطلاق لفظ القول عليه كاطلاق الكلام فاما التلفظ فلما كان عبارة عن اخراج الحروف
من آلة النطق وهي اللسان والشفة لا جرم لم يصدق في حقه لعدم الآلة هنالك وكان الشارع لم ياذن في اطلاقه عليه تعالى لما ان
دلالته على الآلة المذكورة اقوى من الكلام والقول الحادي والخمسون كونه يحفظ ولا يتحفظ وحفظه يعود الى علمه بالاشياء ولما كان
المعروف من العادة ان الحفظ يكون بسبب التحفظ وكان ذلك في حقه تعالى محالا لاستلزامه الآلات الجسمانية لا جرم احترز عنه قال
بعض الشارحين انما يريد بالحفظ انه يحفظ عباده ويحرسهم ولا يتحفظ منهم اي لا يحتاج الى حراسة نفسه منهم وهذا بعيد الارادة
هنا الثاني والخمسون يريد ولا يضمر فارادته تعالى تعود الى اعتبار كونه تعالى عالما بما في الفعل من الحكمة والمصلحة التي هو مبدأ فعله ولا فرق
في حقه تعالى بين الارادة والداعي ولما كان المتعارف من الارادة انها ميل القلب نحو ما يتصور كونه نافعا ولذيذا وذلك الميل من الضمائر
المستكنة في القلب لا جرم كان اطلاق الارادة في حقه يستلزم تصور الاضمار ولما تنزه سبحانه عن الاضمار لا جرم احترز عنه في اطلاق المريد
عليه تعالى فكان ذلك الاحتراز كالقرينة الصارفة للفظ عن حقيقته الى مجازه وهو الاعتبار المذكور الثالث والخمسون كونه يحب ويرضى
من غير رقة المحبة منه تعالى ارادة هي مبدأ فعل ما فمحبته للعبد ارادته لثوابه وتكميله وما هو خير له واما من العبد فهي ارادة تقوى وتضعف
بحسب تصور المنفعة واللذة واعتقاد كمالها وفضائلها ومحبته لله هي ارادة طاعته واما الرضا فقريب من المحبة ويشبه ان يكون اعم منها
لان كل محب راض بما احبه ولا ينعكس ورضاه تعالى عن العبد يعود الى علمه تعالى بموافقته لامره وطاعته له والمفهوم منه في حق العبد هو
سكون نفسه بالنسبة الى موافقه ومطلوبه وملايمه عند تصور كونه موافقا وملايما ولما كان الرضا والمحبة من الانسان لغيره
يستلزم الرقة القلبية له والانفعال النفساني عن تصور المعنى الذي لاجله حصلت المحبة والميل اليه والداعي الى الرضا عنه وكان
الباري سبحانه منزها عن الرقة والانفعال المنزه عن قوابلها لا جرم احترز بقوله من غير رقة الرابع والخمسون ويبغض ويغضب
من غير مشقة فالبغض منه تعالى للعبد يعينا ضد محبته له ويعود الى كراهته لثوابه وكراهته يعود الى علمه بعدم استحقاقه للثواب وانه
لا مصلحة في ثوابه ويلزمها ارادة اهانته وتعذيبه والبغض من العبد هو كراهته للغير وميل نفسه عنه لتصور كونه مضرا او هو
ويلزم من ذلك النفرة الطبيعية منه وثوران القوة الغضبية عليه وارادة اهانته واما الغضب فيعود منه تعالى الى علمه بمخالفة امره
وعدم طاعته له والمفهوم منه في حق العبد ثوران النفس وحركة قوتها الغضبية عن تصور المؤذي والضار لارادة دفعه والانتقام منه
ولما كان البغض والغضب يستلزمان ثوران دم القلب وكان ذلك في النفس يستلزم مشقة وكلفة لا جرم احترز عنها في اطلاق لفظ
البغض والغضب عليه فقال من غير مشقة واعلم ان اطلاق لفظ المحبة والرضا على ما ذكرناه من الاعتبار انه في حقه مجاز اذ كان حقيقة
الرضا هي سكون النفس الانسانية والمحبة ميلها الى النافع فاطلاقهما على العلم اطلاق لاسم اللازم على الملزوم وكذا اطلاق لفظي
البغض والغضب في حقه تعالى على علمه المخصوص الخامس والخمسون يقول لما اراد كونه كن فيكون تعالى ارادته لكونه هو علمه بما في وجوده من الحكمة
وقوله كن اشارة الى حكم قدرته الازلية عليه بالايجاد ووجوب الصدور وعن تمام مؤثريته وقوله فيكون اشارة الى وجوده ودال على
على اللزوم وعدم التاخر والتراخي بالفاء المقتضية للتعقيب بلا مهلة السادس والخمسون لا بصوت يقرع اي لا يصل الى حاسة
السمع فيقرعها الصوت وذلك ان الصوت كيفية تحدث في الهواء عن قلع او قرع ويوصلها الى الصماخ او جسم آخر هو وسطه

ومن خطبة له في التوحيد

تشديد وعنف وذلك حال تعرض الاجسام فلو كان تعالى يسمع لكان جسما لكن التالي باطل فالمقدم كذلك السابع والخمسون ولا نداء
يسمع اى لما بين فى القرينة الاولى انه لا يسمع له يقرع بصوت بين فى الثانية انه لا يخرج منه الصوت لان النداء صوت مخصوص
والصوت مستلزم للصوت هو جسم لما مر من استلزام الصوت القرع او القلع المستلزمين الجسمية وقوله وانما كلامه تعالى الى قوله
كائنا فاعلم ان هذا الكلام ما استفادت المعتزلة منه كون كلامه تعالى محدثا وفيه تصريح بغير ما ذهبوا اليه ومعنى قوله فعل منه
انشاه اى اوجده فى لسان النبي فانا نقول ومثله فاراد صورته فى لسان النبي وسوى مثاله فى ذهنه وقال بعض الشارحين مثله
لجبرئيل فى اللوح المحفوظ حتى بلغه محمدا صلى الله عليه وآله وسائر الرسل صلى الله عليهم وقوله لم يكن من قبل ذلك كائنا على انه محدث مسبوق الوجود
بالعدم واشار بقوله ولو كان الى قوله ثانيا الى برهان حدوثه وهو قياس استثنائي متصل بيّنه لو كان كلامه تعالى قديما لكان
كلامه الها ثانيا له لكن التالي باطل فالمقدم كذلك فاما بيان الملازمة فلانه لو كان قديما لكان اما واجب الوجود واما ممكن الوجود
والتالي باطل لانه لو كان ممكنا مع انه موجود في الازل لكان وجوده مفتقرا الى مؤثر فذلك المؤثر ان كان غيره تعالى فهو محال لوجهين
احدهما انه يلزم افتقاره تعالى في تحصيل صفته الى غيره وهو محال الثاني انه يلزم ان يكون في الازل مع الله غيره يكون مستندا اليه في حصول
تلك الصفة فيكون الها ثانيا بل هو اولى بالالهية هذا خلف وان كان المؤثر فى كلامه ذاته فهو محال ايضا لان المؤثر واجب التقدم بالوجود
على الاثر فالكلام اما ان يكون من صفات كماله اولا يكون فان كان الاول فما يؤثره فيه ان كان وكل كمال له حاصل له بالفعل فقد
كان وصف الكلام حاصلا له قبل ان كان حاصلا هذا خلف وان كان تأثيره فى حال انه هو خال عن صفة الكلام فقد كان خاليا عن صفة
كماله فكان ناقصا بذاته وهذا محال واما ان لم يكن الكلام من صفات كماله كان اثباته له فى الازل اثباتا لصفة زائدة على الكمال نقصان
فتعين انه لو كان قديما لكان واجب الوجود لذاته فكان الها ثانيا واما بطلان التالي فلما بينا من كونه تعالى واحدا فثبت بهذا الدليل
الواضح انه لا يجوز ان يكون كلامه قديما الثامن والخمسون لا يقال كان بعد ان لم يكن اشارة الى انه ليس بمحدث لان كون الشيء بعد ان لم يكن
هو معنى حدوثه وقوله فتجري عليه الصفات المحدثات نافيا في جواب النفي لتقدير الشرط اى لو صدق عليه انه محدث لحقته الصفات
المحدثة والا لكانت صفاته قديمة فكان الموصوف بها قديما هف والتقدير لكن لحوق الصفات المحدثة له باطل فكونه محدثا باطل واشار
الى بطلان التالي بقوله ولا يكون بينها وبينه فصل الى قوله والبديع والتقدير انه لو لحقته الصفات المحدثات وجرت عليه على تقدير كونه
محدثا لكانت ذاته مساوية لها فى الحدوث المستلزم للامكان المستلزم للحاجة الى الصانع فلم يكن بينها وبينه فصل فى ذلك ولا له عليها
فضل لاشتراكهما فى الحاجة وقوله فيستوي الى قوله المبتدع اشارة الى ما يلزم تلك المساواة من المحال اذ كان استواء الصانع والمصنوع
ظاهر الفساد واصل البديع من الفعل ما لم يسبق فاعله الى مثله وسمي الفعل الحسن بديعا لمشابهته ما لم يسبق اليه فى كونه محل التعجب منه والمبدع
هو فاعل البديع والمصدر الابداع وقد عرفت معناه فيما قبل وفي نسخة الرضي المبدع بفتح الدال وهو البديع بالمعنى الذي ذكرناه ويكون مراده
بالبديع الصانع وهو فعيل بمعنى فاعل كقوله تعالى بديع السموات والارض واذا ثبت انه لا يجري عليه الامور المحدثة ولواحق الحدوث
من سبق العدم والتغير والامكان والحاجة الى المؤثر وغير ذلك ويلزم المحال المذكور اولا والنسخة الاولى بخط الرضي رضي الله عنه التاسع والخمسون
كونه تعالى خلق الخلائق الى قوله غيره وقد سبق بيانه فى الخطبة الاولى وهو تنزيه له عن صفات الصانعين من البشر فان صنايعهم تحتذي
مثلا سبقت من غيرهم وحصلت في اذهانهم الستون كونه لم يستعن على خلق ما خلق باحد من خلقه والا لكان ناقصا بذاته مفتقرا الى ما كان هو
مفتقرا اليه وهو محال الحادي والستون كونه انشأ الارض فامسكها اى اوجدها فقامت فى حيزها بما شاء [illegible] ولما كان شأن من
يمسك شيئا ويحفظه من سائر الفاعلين لا يخلو عن كلفة ومشقة فى حفظه واشتغال بحفظه عن غيره من الافعال نزه حفظه تعالى لها عما يلزم
حفظ غيره لما يحفظه من تلك الكلفة والاشتغال بحفظها الثاني والستون كونه ارساها اى اثبتها في حيزها على غير قرار اعتمدت عليه فامسكها
وكل رفعها بغير دعايم بل بحسب قدرته [illegible] الثالث والستون كونه حصنها من الاود والاعوجاج اى من الميل الى احد جوانب العالم عن
المركز الحقيقي وذلك بما ثبت في موضعه من الحكمة الرابع والستون كونه منعها عن التهافت والانفراج اى جعلها كرة واحدة ثابتة فى حيزها
ومنعها ان يتساقط قطعا او ينفرج بعضها عن بعض الخامس والستون كونه ارسى اوتادها اى اثبتها فيها واوتادها جبالها وقد بينا فى الخطبة
الاولى معنى كونها اوتادا لها السادس والستون كونه ضرب اسدادها واراد باسدادها ما احاط بها من الجبال والتي تحجز بين بقاعها و
بلادها السابع والستون كونه استفاض عيونها واستفاض بمعنى افاض كما قال تعالى وفجرنا الارض عيونا وقد سبقت الاشارة الى ذلك الثامن
والستون كونه خد اوديتها اى شقها وبين جبالها وتلالها وقوله فلم يهن ما بناه ولا ضعف ما قواه بعد تعديد ما عد من الاثار العظيمة
اشارة الى كمال هذه المخلوقات لتعرف بها ليتبين عظمة الله سبحانه بالقياس اليها التاسع والستون كونه هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته واشار
بقوله هو الى هويته التي هي محض الوجود الحق الواجب لما لم يكن تعريف تلك الهوية الا بالاعتبارات الخارجة عنها اشار الى تعريفها بكونه
ظاهرا عليها اى غالبا قاهرا لها ولما كان الظهور يحتمل الظهور الحسي لاجرم قيده بسلطانه وعظمته اذ كان ظهوره عليها ليس ظهورا مكانيا

والزيادة على الكمال نقص

حسيا

في بيان خطبة خطبها في التوحيد

حسيا او بمجرد ملكه واستيلاء قدرته وعظمة سلطانه السبعون قوله وهو الباطن لها اي الداخل في بواطنها بعلمه ولما كان البطون يحتمل البطون
الحسي قيّده بعلمه تنزيها له عن سوء الافهام واحكام الاوهام والضمائر في قوله عليها ولها يعود الى الارض وما فيها مما بناه وسواه الحادي
والسبعون كونه غالبا على كل شيء اي من الارضين وسائر مخلوقاته تنزيها بجلاله وعزته بجلاله وعزته بالنسبة اليها هو اعتبار كونه تعالى
منزها عن كل ما لها من الصفات المحدثة والكمالات المستفادة من الغير المستلزمة للنقصان الذاتي ولما كانت هذه الاعتبارات التي
تنزه عنها في حضيض النقصان كان هو باعتبار تنزيهه عنها في اوج الكمال الاعلى فكان غالبا عليها بذلك الاعتبار وكذا تعالى خالقها
وموجدها فعلوه عليها بجلال سلطان وعزته عن خضوع الحاجة فذلكها الثاني والسبعون كونه لا يعجزه شيء منها طلبه الى قوله فيسبقه
وذلك لكونه تام واجب الوجود تام العلم والقدرة لا نقصان فيه باعتبار وكون كل ما عداه مفتقرا في وجوده وجميع احواله وجوده اليه
فلاجرم لم يتصور ان يعجزه شيء طلبه او يمتنع عليه شيء بقوة فيغلبه او بقوة سريع بحركته فيسبقه لما يستلزم ذلك العجز عن الحاجة والامكان
الممتنعين عليه الثالث والسبعون وكذلك كونه لا يحتاج الى ذي المال فيرزقه لما يستلزمه الحاجة من الامكان وكذلك نفي الاحوال البشرية عنه
الرابع والسبعون قوله خضعت له الاشياء الى قوله لعظمته فخضوعها وذلها هو دخولها في ذل الامكان تحت سلطانه وانقيادها في اسر الحاجة
لها وانها اليه واستسلامها لانها الى وجوده فهو النافع لها بافاضته كمالاتها والضار لها بمنع ذلك فان قلت ان النفع لا يهرب منه ولا يمتنع فكيف
ذكره هنا قلنا المراد منه سلب قدرته عليها على تقدير امتناعها منه وهذا كما تقول لمن عجز عنك ان فلانا لما لا يقدر على نفع ولا ضر ولان
النفع جاز ان يمتنع منه لانفه واستغنائه بالغير ولا شيء من الموجودات يمتنع من سلطانه ونفعه باستغنائه عنه وانفه ونحوها الخامس والسبعون
كونه لا كفؤ له فيكافئه اي ليس له مثل فيقابله ويفعل بازاء فعله وقد علمت تنزيهه تعالى عن المثل وكذلك لا نظير له فيساويه السادس والسبعون
هو المفني لها الى قوله كمفقودها عرفت هويته باعتبار كونه معدما للاشياء بعد وجودها وقد ورد في القرآن الكريم اشارات الى ذلك كقوله
نعم يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده ومعلوم ان الاعادة انما تكون بعد العدم وقوله اذا السماء انفطرت واذا
الكواكب انتثرت وامثالها وقد اجمعت الانبياء على ذلك وعلم بالتصريح من دين محمد انه سيكون وهو الذي عليه جمهور المتكلمين والخلاف
في جواز خراب العالم مع الحكماء فانهم اتفقوا على ان الاجرام العلوية والعقول والنفوس الفلكية وكذلك هيولى العالم العنصري واجرام العناصر
وما ثبت قدمه امتنع عدمه لا لذاته بل لانه دائم علته وجوده وما عدا ذلك فهو حادث وليس كله مما يفارقها بالاتفاق بل الخلاف في المعاد
الانساني البدني فانكره بعضهم والاسلاميون منهم قالوا ليس للعقل في الحكم بوجوده او لا وجوده مجال بل انما يعلم بالسمع هذا مع اتفاقهم
على القول بامتناع اعادة المعدوم فان امكن الجمع بين القول بامتناع اعادة المعدوم فليكن ما ذهب اليه ابو الحسين البصري من المعتزلة وهو قوله ان
الاجزاء تتشذب وتتفرق بحيث تخرج عن حد الانتفاع بها ولا تدخل في العدم الصرف لكن في ذلك نظر لان بدن زيد مثلا ليس عبارة عن
تلك الاجزاء المتشذبة والمتفرقة فقط فان القول بذلك مكابرة للعقل بل عنها مع ساير الاعراض والتاليفات المخصوصة والاوضاع فاذا تشذب
البدن وتفرق فلا بد ان يعدم تلك الاعراض وتفنى وح يلزم فناء البدن من حيث هو ذلك البدن فعند الاعادة ان اعيد بعينه وجب اعادة
تلك الاعراض بعينها فلزمت اعادة المعدوم المعدوم وان لم يعد بعينه عاد غيره فيكون الثواب والعقاب على غيره وذلك مكذب للقرآن
الكريم في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى اللهم الا ان يقال ان الانسان المثاب والمعاقب انما هو النفس الناطقة وهذا البدن كالالة فاذا عدم
لم يلزم عوده بعينه بل جاز عود مثله لكن هذا انما يستقيم على مذهب الحكماء القائلين بالنفس الناطقة واما على راي ابي الحسين البصري
فلا ومذهب اكثر المحققين من علماء الاسلام يؤول الى هذا القول وقوله وليس فناء الدنيا الى قوله اختراعها دفع لما يعرض لبعض الاذهان
من التعجب بفناء هذا العالم بعد ابتداعه وخلقه بالنسبة على حال انشائه واختراعه اي ليس صيرورة ما خلق الى العدم بقدرته بعد الوجود
باعجب من صيرورته الى الوجود بعد العدم عنها اذ كانت كلها ممكنة قابلة للوجود والعدم لذواتها بل صيرورتها الى الوجود المشتمل على اعاجيب
الخلقة واسرار الحكمة التي لا يهتدى لها ولا يقدر على شيء منها اعجب واغرب من عدمها الذي لا كلفة فيه وقوله ولو اجتمع الى قوله فنائها
تاكيد لان يكون عدمها بعد وجودها اعجب من ايجادها بالنسبة على عظم مخلوقاته ومكوناته وما اشتملت عليه من اسرار الحكمة المنسوبة
الى قدرته والمعنى وكيف يكون عدمها اعجب وفي ايجاد اضعف حيوان واصغره مما خلق كالبعوضة من العجائب الغرائب والاعاجيب تتابع
عن تكوينه واحداثه قدرته كل من نسب اليه القدرة وتقصر عن معرفة الطريق الى ايجادها الباب الالباء وتتحير في كيفية خلقها حكمة
الحكماء ويقف دون علم ذلك ويتناهى عقول العقلاء وترجع خاسئة حسيرة مبهوتة معترفة بالعجز عن الاطلاع على كنه صنعه في انشائها
مقرة بالضعف عن افنائها فان قلت كيف تقر العقول بالضعف عن افناء البعوضة مع امكان ذلك وسهولته قلنا ان العبد اذا نظر الى
نفسه بالنسبة الى قدرة الصانع الاول جلت عظمته وجد نفسه عاجزة عن كل شيء الا باذن الله والله ليس له الا الاعداد لحدوث ما ينسب
اليه من الاثار فاما ما يفني وجود الاثر فمن واهب العقل عز سلطانه فالعبد العاقل لما قلناه يعترف بالضعف عن ايجاد البعوضة واعدامها
وما هو ابين من ذلك عند مقايسته نفسه الى موجده وواهب كماله كما عرفت ذلك في موضعه وايضا فان الله سبحانه كما خلق للعبد قدرة على

٢ اي الكل القاهر ومنقاد له بذلك الاعتبار
٣ رسل الهرب من سلطانه
منفعتها

فى بيان خطبة خطبها فى التوحيد

الفعل والترك والابتداء والاضراب بغيره كل خالق للبعوضة فقدرته على الامتناع والهرب بنضرره بالطيران وغيره بل ان تؤذيه ولا يتمكن من دفعها عن نفسه فكيف يستسهل افنائها من غير معونة صانعها له عليه وقوله وانه سبحانه يعود الى قوله الامور اشارة الى كونه تعم باقيا ابديا بعد فناء الاشياء ووحده لا شيء معه منها كما كان قبل وجوده كذلك بريا عن لحوق الوقت والمكان والحين والزمان وقوله يعود منها اشعار بتغيير من حالة سبقت الى حالة لحقت وهما يعودان الى ما يعتبره اذهاننا له من حالة تقدمه على وجودها وحالة تاخره عنها بعد عدمها وهما اعتباران ذهنيان يلحقانه بالقياس الى مخلوقاته وقوله عدمت عند ذلك الى قوله الساعات ظاهر لان كل ذلك اجزاء للزمان الذي هو من لواحق الحركة التي هي من لواحق الجسم فيلزم من عدم الاجسام عدم عوارضها وقوله فلا شيء الى قوله الامور اى لا شيء يبقى بعد فناء العالم الا هو وذكر الواحد لبقائه كذلك والقهار باعتبار كونه قاهرا لها بالعدم والفناء وكونه اليه مصير جميع الامور معنى مصيرها اليه اخذه لها بعد هيئة لوجودها وقوله بلا قدرة الى قوله فناؤها اشارة الى انه لا قدرة لشيء منها على ايجاد نفسه ولا على الامتناع من لحوق الفناء له وقوله ولو قدرت الى قوله بقاؤها استدلال بقياس شرطي متصل على عدم قدرة شيء منها على الامتناع من الفناء وانما خص الحكم بالاستدلال دون الاول لكون الاول ضروريا وبيان الملازمة ان الفناء مهروب منه لكل موجود فامكان الامتناع منه مستلزم للداعي الى الامتناع المستلزم للامتناع منه المستلزم للبقاء واما بطلان التالي فلما ثبت انه تعم يفنيها فلزم ان لا يكون لها قدرة على الامتناع وقوله لم يتكاءده الى قوله خلقه ظاهر لان المشقة في الفعل وثقله انما يعرض للذي له القدرة الضعيفة من الحيوان لنقصانها وقدرته تعم بريئة عن لحاق النقصان لاستلزامه الامكان والحاجة الى الغير وقوله ولم يكونها الى اخره اشارة الى نفي وجوه الاغراض المتعارفة للفاعلين في ايجاد ما يوجد ومنه واعدامه ونفي تلك الاغراض عن فعله في ايجاده ما اوجده واعدامه ما اعدمه من الاشياء اما الاغراض المتعلقة بالايجاد فهو اما جلب منفعة كشد السلطان وجمع الاموال والقينات وتكثير الجند والعدة والازدياد في الملك باخذ الحصون والقلاع ومكاثرة الشريك في الملك كما يكاثر الانسان غيره ممن يشاركه في الاموال والاولاد او دفع مضرة كالتخوف من العدم والزوال فيخلقها ليتحصن بها من ذلك وخوف النقصان فيخلقها ليستكمل بها او خوف الضعف عن مثل تكاثره فيخلقها ليستعين بها عليه ونحو ضد يقاومه فاوجدها ليتحرز منه ويدفع مضرته او لوحشة كانت له قبل ايجادها فاوجدها ليدفع ضرر استيحاشه بالانس بها وكذلك الاغراض المتعلقة بعدمها اما الى دفع المضرة كرفع السام اللاحق له من تصريفها وتدبيرها والثقل في شيء منها عليه والملال من طول بقائها فيدعوه ذلك الى فنائها او جلب منفعة كالراحة والوصلة اليه فان جلب المنفعة ودفع المضرة من لواحق الامكان الذي تنزه قدسه عنه وقوله لكنه سبحانه الى قوله لقدرته فدبرها بلطفه اشارة الى ايجاده لها على وجه الحكمة والنظام الاتم الاكمل الذي ليس في الامكان ان يكون مثلها اتم منه ولا الطف وامساكها بامره وقيامها في الوجود بحكم سلطانه واتقانها بقدرته واحكامها على وفق منفعتها وان كان عن قدرة لا يطلع الى نوع علمه بوجوه الحكمة كل ذلك لمحض الجود من غير غرض من الاغراض المذكورة تعود اليه وقوله ثم يعيدها بعد الفناء تصريح باعادة الاشياء بعد فنائها وفناؤها اما عدمها كما هو مذهب من جوز اعادة المعدوم او تفرق اجزائها وخروجها عن حد الانتفاع بها كما هو مذهب ابي الحسين البصري من المعتزلة وقوله من غير حاجة الى اخره ذكر وجوه الاغراض الصالحة في الاعادة والاشارة الى نفيها عنه تعم وهي ايضا كالحاجة اليها والاستعانة ببعضها على بعض ولا انصراف من حال وحشة الى حال استيناس وانصراف من حال جهل وعمى منه الى حال علم والتماسه وكذلك من فقر وحاجة الى غنى وكثرة ومن ذل وضعة الى عز وقدرة وقد عرفت ان كل هذه الاغراض من باب دفع المضرة المتنزه قدسه تعم عنها وقد بيناه فيما سلف البرهان الاجمالي على تنزيهه تعم في افعاله من الاغراض بل ايجاده بما يوجد لمحض الجود الالهي الذي لا بخل فيه ولا منع من جهته فهو الجواد المطلق والملك المطلق الذي يعيد ما ينبغي لا لغرض ويوجد ما يوجد لا لفائدة تعود اليه ولا غرض وهو مذهب جمهور اهل السنة والفلاسفة والخلاف فيه مع المعتزلة فان قلت ظاهر كلامه عم مشعر بان الدنيا كما تفنى تعاد و التي وعد بها الشريعة ومن الخلاف بين جمهور المتكلمين والحكماء هو اعادة الابدان البشرية قلت لعمري في قوله يعيدها سواء كان راجعا الى الدنيا او الى الامور في قوله مصير جميع الامور فانه مهمل كما يرجع الى الكل جاز ان يرجع الى البعض وهي الابدان البشرية قال بعضهم ان للسالكين في هذا الكلام تاويلا عقليا وان جزموا بكون مراده عم هو ما ذكرناه من الظاهر فانهم قالوا يحتمل ان يشار بقوله وانه يعود سبحانه الى قوله الامور الى حال العارف اذا حق له الوصول التام حتى غاب عن نفسه فلحظ جناب الحق سبحانه بعد حذف كل قيد دنياوي واعرض عن درجة الاعتبار لم ولاحظه جلال الواحد القهار ليس الا هو وقوله ثم يعيدها بعد الفناء لعودها الى اعتبار اذهان العارفين لها عند هبوطهم من الجناب المقدس الى الجنبة السافلة واشتغالهم بمصالح ابدانهم والكل منسوب الى تصريف قدرته تعم بحسب استعداد الاذهان لقبولها وحذفها وقد علمت من بيانها الهدي الخطبة صدق كلام السيد الرضي رضي الله عنه في مدحها حيث قال وتجمع هذه الخطبة من اصول العلم ما لا تجمعه غيرها فانها بالغة في علم التوحيد كاملة في علم التنزيه والتقديس لجلال الواحد الحق جلت عظمته وبالله التوفيق والعصمة

ومن خطبة له عليه السلام

يختص بذكر الملاحم الا بابي هم من عدة اسماؤهم في السماء معروفة وفي الارض

مجهولة لا تتوقعوا ما يكون من ادبار اموركم وانقطاع وصلكم واستعمال صغاركم ذاك حيث يكون ضربة السيف على المؤمن
اهون من الدرهم من حله ذلك حيث يكون المعطى اعظم اجرا من المعطي ذاك حيث تسكرون من غير شراب بل من النعمة والنعيم
وتحلفون من غير اضطرار وتكذبون من غير احراج وذاك اذا عضكم البلاء كما يعض القتب غارب البعير ما اطول هذا العنا
وابعد هذا الرجاء ايها الناس القوا هذه الازمة التي تحمل ظهورها الاثقال من ايديكم ولا تصدعوا على سلطانكم فتذموا
غب فعالكم ولا تقتحموا ما استقبلكم من فور نار الفتنة وأميطوا عن سننها وخلوا قصد السبيل لها فقد لعمري يهلك
في لهبها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم انما مثلي بينكم مثل السراج في الظلمة يستضيء به من ولجها فاسمعوا ايها الناس وعوا
واحضروا آذان قلوبكم تفهموا **اقول** ... تصدعوا تفرقوا وغب كل شيء عاقبته وفور النار غليانها
وشدة حرها واماطه عن كذا ونحاه والسنن القصد والاقتحام الدخول في الشيء بشدة فقوله بابي وامي تسمى
البادئة والجار والمجرور في تقدير خبر المبتداء وموقوفا هم وقد سبقت الاشارة الى مثله في قوله فما تلبثا الرسول عند تقليبه غسله وفيه
اشارة الى اولياء الله فيما يستقبل من الزمان بالنسبة الى زمانه ع وقالت الشيعة انه اراد الائمة من ولده عليهم السلام وقوله اسماؤهم في
السماء معروفة اشارة الى علو درجتهم في الملاء الاعلى واثبات اسمائهم وصفاتهم الفاضلة في ديوان الصديقين وفي الارض مجهولون
بين اهل الدنيا الذين يعرفون الرئاسة وراءها كما لا ومن ثم الصالحين بحرصهم لعادة الفسق والاعراض عن الدنيا وذلك يستلزم
قلة مخالطة اهلها ومكاثرتهم وهو مستلزم لجهلهم بهم وعدم معرفتهم لهم ثم شرع في التنبيه على الاحوال الردية المستقبلة المضادة لمصالح العالم التي
يجمعها سوء التدبير وتفرق الكلمة ومعنى ادبار ما اقبل من امورهم وانقطاع ما اتصل من وصلهم واسبابهم والوصل جمع وصلة وهي الانتظام
الحاصل لاسبابهم في المعاش والمعاد بوجود الرسول صلى الله عليه وآله وتدبيره ثم استعمال صغارهم وارذالهم فانه من جملة اسباب الفساد ومن اسباب صلاح العالم
استعمال اهل الشرف واكابر الناس على الاعمال وعن كلامه في ذلك قوله لمالك الاشتر في عهده عليه السلام اليه يشير الى العمال وتوخ منهم اهل
التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقا واصح اعراضا واقل في المطامع اشرافا وابلغ في
عواقب الامور نظرا وصغار الناس مظنة اضداد الامور المذكورة وبسببها يكون خراب العالم وفساد نظامه ثم اشار الى اوقاتها وعلاماتها
ووقوعها فمنها حيث يكون ضربة السيف على المؤمن اهون واقل عنده مشقة من المشقة الحاصلة له في اكتساب درهم حلال وذلك لان
المكاسب يكون قد اختلطت وغلب الحرام الحلال فيها واراد بقوله من الدرهم اي من كسب الدرهم بحذف المضاف ومنها حيث يكون المعطى
اعظم اجرا من المعطي وذلك لان اكثر من يعطي ويتصدق يكون ماله مشوبا بالحرام فيقل الاجر ولان اكثرهم يعطي ويقصد باعطائه الرياء والسمعة
والهوى نفسه او لحظ من خطرات وسواسه من غير خلوص لله سبحانه في ذلك واما المعطى فقد يكون فقيرا مستحقا للزكوة ذا عيال لا يلزم
ان يبحث عن اصل ما يعطاه فاذا اخذه لسد خلته كان في ذلك اعظم اجرا ممن يعطيه ولان المعطي قد يكون اكثر ما ينفق من ماله في غير طاعة
له في الوجوه المحظورة فاذا اخذ الفقير منه على وجه الصدقة فوت على المعطي صرف ماله في تلك الوجوه فكان للفقير بذلك المنة عليه فكان
سببا في منعه عن صرف ماله فيما لا ينبغي فكان اعظم اجرا منه ومنها حيث يسكرون من غير شراب فاستعار وصف السكر لهم باعتبار غفلتهم عما
ينبغي لهم اللازم عن ابصارهم واستغراقهم في اللذات الحاضرة كما يلزم السكر الغفلة عن المصالح وقرينة الاستعارة قوله من غير شراب بل من النعمة
فان السكر حقيقة انما يكون عن الشراب ومنها حيث يحلفون من غير اضطرار الى اليمين بل غفلة عن عظمة الله سبحانه حتى يتوصلوا باليمين
الى حسن المطالب ومنها حيث يكذبون من غير احراج اي من غير ان يلجئكم الى الكذب ضرورة بل يصير الكذب ملكة وخلقا ومنها اذا عضكم
واستعار لفظ العض لايلام البلاء الذي ينزل بقلوبهم وشبهه بعض القتب لغارب البعير ووجه المشابهة هو شدة الايلام ولهذا
التشبيه حسن استعارة العض للبلاء وقوله ما اطول هذا العنا وابعد هذا الرجاء كلام منقطع عما قبله كما هو عادة الرضي رضي الله عنه في التقاط
الفصول والحاق بعضها ببعض ووجدت هذا الفصل بخطه في حاشية نسخة الاصل وظاهره يقتضي انه ذكر فيما كان متصلا بالكلام ما
ينال شيعته من البؤس والقنوط ومشقة انتظار الفرج وان قوله ما اطول الى قوله الرجاء كلام شيعته فعلى هذا يكون المعنى انهم يصابون
بالبلاء حتى يقولوا ما اطول التعب الذي نحن فيه وما ابعد رجاءنا الخلاص منه بقيام القائم المنتظر ويحتمل ان يكون الكلام متصلا ويكون
قوله ما اطول هذا العنا كلاما مستأنفا في معنى التوبيخ لهم على اعراضهم عنه واقبالهم على الدنيا واتعابهم انفسهم في طلبها وتنفيره لهم عنها
بذكر طول العناء في طلبهم وبعد هذا الرجاء الذي يرجونه منها وظاهر ان متاعب الدنيا لطالبها اطول المتاعب ومطالبها لراجيها ابعد
المطالب كما قال عليه السلام من قبل من ساعاها فاتته وكما قال الرسول صلى الله عليه وآله من جعل الدنيا اكبر همه فرق الله عليه همه وجعل فقره بين عينيه ولم يأته
منها الا ما كتب له وهذا الكلام يقتضي ان المجد لطلب الدنيا لا يزال ملاحظا لفقره ومستحضرا له فهو حامل له على التعب في تحصيلها او
الكدح لها ويحتمل ان يريد بالعناء المشار اليه عناءه في جذبهم الى الله ودعوته لهم الى الآخرة في اكثر اوقاته وانهم لا يرجعون الى دعوته ولا
يتفقون على كلمته وظاهر انه عناء طويل وتعب عظيم وبالرجاء المشار اليه رجاؤه لصلاحهم واستبعده ثم ابتدئهم واستعار لفظ الازمة

قوله ما اطول هذا العنا ... وما ابعد ... طلب الدنيا

في بيان خطبته المشتملة على الوصية

للآراء الفاسدة المتبعة والأهواء القائدة لهم إلى المآثم وجه المشابهة كونها قائدة لهم كما تقود الأزمة الجمال ولفظ الإلقاء للإعراض عن تلك
الآراء الباطلة وترك العمل بها ولفظ الظهور لأنفسهم ولفظ الأثقال للمعقول من أثقال الذنوب ووجه المشابهة الأولى كونها حاملة
لأثقال الخطايا والأوزار كما يحمل الظهور الأثقال المحسوسة كما قال تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقوله وليحملن أثقالهم وأثقالا
مع أثقالهم ووجه الاستعارة الثانية أن الملكات الرديئة الحاصلة من اقتراف المآثم تثقل النفوس عن النهوض إلى حظائر القدس
ومنازل الأبرار كما تثقل الأثقال المحسوسة الظهور الحاملة لها ولما استعار لفظ الإلقاء والأزمة اللذين من شأنهما أن يكونا
باليد رشح بذكر الأيدي فقال عن أيديكم والحاصل أمرهم بترك الآراء الفاسدة ونهاهم عن متابعتها ونبه على وجوب
تركها بأنهم إذا لزموها وعملوا على وفقها قادتهم إلى حمل أثقال الخطايا ثم أردف ذلك بالنهي عن التفرق عنه بسبب تقديم النهي عن
اتباع الآراء الفاسدة المستلزمة للهلاك تنبيها على أن آراءهم في التصدع عنه من تلك الآراء غير المحمودة وقوله فتذموا غب فعالكم تنفير
عن التفرق عنه بذكر ما يلزمه من العاقبة المذمومة وهي غلبة العدو عليهم واستيلاؤه على أحوالهم وتعويضهم عن عزهم ذلا وعن رخائهم
ونعمتهم بؤسا ونقمة والفاء في جواب النهي أي إن تصدعتم عن سلطانكم ذممتم غب فعالكم ثم أردف النهي عن التفرق عنه بالنهي عن
اقتحام ما استقبلوا من الفتنة المنتظرة تنبيها على أن التفرق عنه سبب للدخول في نار الفتنة وتنفيرا عن تلك الفتنة بكونها اقتحاما
لنار الفتنة وشروعا إلى دخولها ولفظ النار مستعار لأحوال الفتنة من الحروب والقتل والظلم ووجه المشابهة كونها مستلزمة للأذى
كالنار ووصف الاقتحام لتلك الفتنة والتفرق عنه ووجه الاستعارة إسراع نفرتهم عنه إلى الوقوع في الفتنة كإسراع المقتحم ورشح باستعارة
النار بالفور ... في التنفير ثم أمرهم بالنهي عن قصدها وطريقها وتخليته قصد السبيل لها أي خلوها لقصد سبيلها ولا يتعرضوا
لها و... فيكونوا حطبا لنارها ثم أقسم ليهلك فيها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم وذلك في الصدق وهو من كراماته وإخباره عما
سيكون فإن الدائرة في دولة بني أمية كانت على من لزم دينه واشتغل بعبادة ربه دون من وافقهم على أباطيلهم وأجاب هواهم و
تقرب إلى قلوبهم بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وظلم العباد كما تقف عليه من أخبارهم في قتل كثير من أولياء وذرية رسوله وصحابته
رضي الله عنهم وتقريبهم للمنافقين وتوليتهم الأعمال واعلم أنه ليس مراده أنه يهلك فيها كل مؤمن ولا يسلم فيها إلا غير مسلم بل القضية
مهملة إذ الغرض منها أن أكثر من يهلك فيها المؤمنون وأكثر من سلم فيها المنافقون ومن ليس له قوة في الإسلام ولفظ اللهب ترشيح
لاستعارة لفظ النار ثم مثل نفسه بينهم بالسراج في الظلمة وأشار إلى وجه المشابهة للسراج بقوله فيستضيء به من ولجها وتقدير أن
الطالبين للهدى يستضيئون به كما يهتدي السالكون في الظلمة بالسراج وهذا التمثيل يستلزم تشبيه أحوالهم بالظلمة وتشبيههم بالمغمورين فيها
لولا وجوده عليه السلام فيهم وقد علمت في المقدمات حقيقة التمثيل ثم لما قدم فضيلته بهذا التمثيل المذكور أردفه بأمرهم بسماع قوله وأن يحضروا
قلوبهم لتبيين ما يبلغه إليهم من الحكمة والموعظة الحسنة كما هو المعلوم من حال الخطيب واستعار لفظ الآذان هنا للقلوب ووجه الاستعارة
أن الأذن لما كانت مدركة للأقوال أشبهتها أفهام القلوب المدركة لأقواله وطلب إحضارها إذ كان هو المنتفع به دون إحضار
الآذان الحسية وظاهر أن إحضار العقول وتوجيهها إلى الفكر في المسموع مستلزم لحصول الفهم وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**

أوصيكم أيها الناس بتقوى الله وكثرة حمده على آلائه إليكم ونعمائه عليكم وبلائه لديكم فكم خصكم بنعمة وتدارككم برحمة
أعورتم له فستركم وتعرضتم لأخذه فأمهلكم وأوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة عنه وكيف غفلتكم عما ليس يغفلكم وطمعكم
فيمن ليس يمهلكم فكفى واعظا بموتى عاينتموهم حملوا إلى قبورهم غير راكبين وأنزلوا فيها غير نازلين كأنهم لم يكونوا للدنيا عمارا
وكأن الآخرة لم تزل لهم دارا أوحشوا ما كانوا يوطنون وأوطنوا ما كانوا يوحشون واشتغلوا بما فارقوا وأضاعوا ما إليه
انتقلوا لا عن قبيح يستطيعون انتقالا ولا في حسن يستطيعون ازديادا أنسوا بالدنيا فغرتهم ووثقوا بها فصرعتهم فسابقوا
رحمكم الله إلى منازلكم التي أمرتم أن تعمروها والتي رغبتم فيها ودعيتم إليها واستتموا نعم الله عليكم بالصبر على طاعته والمجانبة
لمعصيته فإن غدا من اليوم قريب ما أسرع الساعات في اليوم وأسرع الأيام في الشهر وأسرع الشهور في السنة وأسرع
السنين في العمر **أقول** أعورتم أبديتم عوراتكم والعورة السوءة وكل ما يستحيى منه والفصل يشتمل على التوصية بأمور أولها تقوى الله
ثم فإنها العمدة الكبرى فيما يوصى به ثم بكثرة حمده تعالى على آلائه إليهم ونعمائه عليهم وبلائه لديهم وقد علمت معنى بلائه وأنه يكون بالخير و
الشر كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وأردف ذلك بتقرير تخصيصهم بنعمته نعم عليهم وتداركهم برحمته والرحمة كما يراد بها صفة الله
تعالى عليهم وتداركهم برحمته والرحمة كما يراد بها صفته الله تعالى كذلك يراد بها آثاره الحسنة الخيرية كما هو مراده هنا في حق عباده والفاء في لفظ
كم للتكثير ثم أردفه بذكر ضروب الرحمة والنعمة فمنها ستره عليهم حيث يجاهرونه بالمعصية التي ينبغي أن يستحيى منها وموافقتهم
لها بمرأى منه ومسمع ومنها إمهاله لهم أن يبادرهم بالنقمة ويعاجلهم بالعقوبة حيث تعرضوا لأخذه بارتكاب مناهيه ومخالفة أوامره
الثاني مما أوصاهم به ذكر الموت وإقلال الغفلة عنه وذلك لما يستلزم ذكره من الانزجار عن المعاصي وذكر المعاد إلى الله سبحانه

فتقحموها م

التسام و المتبعة

لتستضيئوا بنوري

ووعد ووعيده والرغبة عن الدنيا وتنغيص لذاتها كما قال الرسول صلى الله عليه وآله اكثروا من ذكر هادم اللذات وانما استلزم ذكره ذلك
لكونه ما يبعد العقل فيه الوهم على ضرورته ووقوعه مع تباعده على ما فيه من المشقة الشاقة ثم استفهم عن غفلتهم عنه وطمعهم فيه
مع كونه لا يغفلهم ولا يمهلهم استفهام توبيخ على ذلك ولاجل ما فيه من شدة الاعتبار قال فكفى بموتى غاية منهم الى قوله فصرعتهم وفي
هذا الفصل زيادة موعظة على ذكر الموت وهي شرح احوال من غابوه من الموتى وذكر منها احوالا احدها كيفية حملهم الى قبورهم غير
راكبين مع كونهم في صورة ركوب منفور عنه الثانية انزالهم الى القبور على غير عادة النزول المتعارف المقصود فكانهم في تلك
الحال مع طول مدتهم في الدنيا وعمارتهم لها وركونهم اليها لم يكونوا لها عمارا وكان الاخرة لم تزل لهم دارا ووجه التشبيه الاول
انقطاعهم عنها بالكلية وعدم غيرهم فيها فاشبهوا الذين لم يكن فيها ووجه الثاني كون الاخرة هي مستقرهم الدايم الثابت
الذي لا معدل عنه فاشبهت في ذلك المنزل الذي لم يزل له دارا الثالثة ايحاشهم ما كانوا يوطنون من منازل الدنيا و
مساكنها الرابعة ايطانهم ما كانوا يوحشون من القبور التي هي اول منازل الاخرة الخامسة اشتغالهم بما فارقوا وذلك ان النفوس
الزاكية الى الدنيا العاشقة لها المقبلة على الاشتغال بلذاتها تتمكن في جواهرها ذلك العشق لها وتصير محبتها ملكة وخلقا
فيحصل لها بعد المفارقة لما احبته من العذاب بيد والشقاء الا شقى بالنزاع اليه وعدم التمكن من الحصول عليه اعظم شغل و
اقوى شاغل واصعب بلاء هائل بلائه هل فيه كل مرضعة عما ارضعت وتضع فيه كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى ولكن عذاب الله شديد السادسة اضاعتهم ما اليه انتقلوا وهو دار الاخرة ومعنى اضاعتهم لها تركهم الاسباب الموصلة
الى ثوابها والمنجية من عقابها السابعة كونهم لا يستطيعون الانتقال عما حصلوا عليه من الافعال القبيحة التي الزمتهم العذاب
اكسبت نفوسهم ملكات السوء وذلك لان الانتقال عن ذلك لا يمكن الا في دار العمل وهي الدنيا الثامنة وكذلك لا من حسن يستطيعون
ازديادا اي من الاعمال الحسنة الموجبة للملكات الخيرية والثواب الدايم كما قال تعالى حكاية عنهم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما
تركت كلا انها الاية التاسعة انهم انسوا بالدنيا حتى غرتهم العاشرة كونهم وثقوا بها حتى صرعتهم والسبب في الاغترار بها وغرورها
لهم حصول لذاتها المحسوسة مع قربه من المحسوس وهو مستلزم للانس بها المستلزم للغرور بها والغفلة عما وراءها وهو مستلزم
للوثوق وهو مستلزم لصرعهم في مهاوي الهلاك حيث لا يقال عثرة ولا ينفع ندامة واعلم ان ذكر الموت وان كان يستلزم الاتعاظ
والانزجار الا ان شرح الاحوال التي تعرض للانسان في موته ابلغ في ذلك لما ان كل حال منها منفور عنها طبعا وان كانت تلك مختصة
المفرزة عنها لكونها حالة تعرض للميت والمقرون بالمولم والمكروه مكروه ومولم ومنفور عنه طبعا الثالثة ما امرهم به على طريق الوصية ان
يستبقوا الى منازلهم التي امروا ان يعمروها والتي رغبوا فيها ودعوا اليها وهي منازل الجنة ومراتب الابرار فيها وعمارتها بالاعمال الصالحة
الموافقة المقتضي لنواميس الالهية وتحصيل الكمالات النفسانية عنها والمعنى ليسابق بعضكم بعضا الى منازلكم ومراتب درجاتكم من الجنة
وعمارتها بتحصيل الكمالات النفسانية وهو موافقة الشرايع الالهية واليه الاشارة بقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
السموات والارض اعدت للمتقين والترغيب فيها لقوله تعالى وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون ونحوه الرابعة امرهم بالصبر
على طاعة الله وعلى مجانبة المعصية ورغب بكونه سببا يستتم به نعمة الله عليهم ولما كان استلزامه لها كالثمرة له وكانت ثمرة الصبر حلوة
نعتها بحلو الصبر لكونها وقوله فان غدا من اليوم قريب تخويف من الساعة وقربها ولم يرد بغد ولا اليوم حقيقتهما بل اراد بغد القيمة
وباليوم مدة الحيوة كقوله فيما سبق الا وان اليوم المضمار وغدا السباق وهو يجري مجرى المثل كقولهم لغد ما غدا اقرب اليوم من غد وقوله
ما اسرع الساعات في اليوم الى اخره بيان لقرب الغد الذي كنى به عن القيمة من اليوم فان الساعات سريعة الاتيان والانقضاء وسرعتها
مستلزم لسرعة مجيء اليوم وانقضائه وسرعتهما مستلزم لسرعة مجيء الشهر وانقضائه المستلزمين لسرعة مجيء السنة وانقضائها المستلزم
لسرعة انقضاء العمر للعاملين فيه لكن انقضاؤه بالقيمة فاذن الساعات مستلزمة لسرعة انقضاء العمر وقرب غد من يومه واتى في الكل
بلفظ التعجب تأكيدا لبيان تلك السرعة وهو كلام شريف بالغ في الفصاحة والموعظة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا في القلوب ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور الى اجل معلوم فاذا كانت لكم براءة
من احد فقفوه حتى يحضره الموت فعند ذلك يقع حد البراءة والهجرة قائمة على حدها الاول ما كان لله في اهل الارض حاجة من مستسر الامة ومعلنها لا يقع اسم الهجرة على احد الا بمعرفة الحجة في الارض فمن عرفها
واقر بها فهو مهاجر ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها اذنه ووعاها قلبه ان امرنا صعب مستصعب لا يحتمله
الا عبد امتحن الله قلبه للايمان ولا يعي حديثنا الا صدور امينة واحلام رزينة ايها الناس سلوني قبل ان تفقدوني فلـ
انا بطرق السماء اعلم مني بطرق الارض قبل ان تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها وتذهب باحلام قومها **اقول** العواري
بالتشديد جمع عارية قيل كانها منسوبة الى العار اذ في طلبها عار والبراءة التبري وتشغر تلد اما خلت عن مدبرها وفي الفصل مسائل
الاولى قوله فمن الايمان الى قوله الى اجل معلوم قسم الايمان الى قسمين ووجه الحصر فيهما ان الايمان لما كان عبارة عن التصديق بوجود الصانع

في بيان قسمة الايمان الى قسمين

سبحانه وما له من صفات الكمال ونعوت الجلال والاعتراف بصدق نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وما جاء به فتلك الاعتقادات ان بلغت حد الملكة فتخلقت النفوس فهي الايمان الثابت المستقر في القلب وان لم يبلغ حد الملكة بل كانت بعد حالات في معرض التغير والانتقال فهي العواري المتزلزلة واستعار لفظ العواري باعتبار كونها في معرض الزوال كما ان العواري في معرض الاسترجاع والرد وكنى بكونها بين القلوب والصدور عن كونها غير مستقرة في القلوب ولا متمكنة من جواهر النفوس وقال بعض الشارحين اراد ان من الايمان ما يكون على سبيل الاخلاص ومنه ما يكون على سبيل النفاق وقوله الى اجل معلوم ترشيح لاستعارة العواري اذ كانت من شأنها ان تستعار الى وقت معلوم ثم ترد فكذلك ما كان بمعرض الزوال والتغير من الايمان وهذه القسمة الى هذين القسمين هي الموجودة في نسخة الرضي بخطه وفي نسخ كثير من الشارحين ونسخ كثيرة معتبرة ونقل الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد ره في النسخة التي شرح الكتاب عليها ثلثة اقسام هكذا فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا في القلوب ومنه ما يكون عواري في القلوب ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور الى اجل معلوم ثم قال في بيانها ما محصله ان الايمان اما ان يكون ثابتا مستقرا في القلوب بالبرهان وهو الايمان الحقيقي او ليس ثابتا بالبرهان بل بالدليل الجدلي كايمان كثير ممن لم يحقق العلوم العقلية ويعتقد ما يعتقده من اقيسة جدلية لا تبلغ درجة البرهان وقد سماه عواري في القلوب اي انه وان كان في القلب الذي هو محل الايمان الحقيقي الا ان حكمه حكم العارية في البيت فانها بعرضية الخروج منه واما ان لا يكون مستندا الى برهان ولا الى قياس جدلي بل على سبيل التقليد وحسن الظن بالاسلاف او بامام يحسن الظن به وقد جعله عواري بين القلوب والصدور لانه دون الثاني فلم يجعله حالا في القلب لكونه اضعف مما قبله واقرب الى الزوال ثم رد قوله الى اجل معلوم الى القسمين الاخيرين لان من ثبت ايمانه بالقياس الجدلي قد يبلغ الجدل الى درجة البرهان اذا امعن النظر ورتب المقدمات اليقينية ترتيبا منتجا وقد يضعف مقدمات قياسه في نظره فينحط الى درجة المقلد فيكون ايمان كل منهما الى اجل معلوم لكونه في معرض الزوال واقول ان صحت هذه الرواية فالمعنى يعود الى ما قلناه من القسمة فان العلم بما يستلزمه البرهان او غيره من الايمان ان بلغ الى حد الملكة فهو الثابت المستقر والا فهو العارية الذي اراده انه القسم الثاني تكرار وقع من قلم الناسخ سهوا والله اعلم الثانية قوله فاذا كانت لكم براءة الى قوله حد البراءة معلوم معناه انكم اذا اردتم التبري من احد من اهل الكبائر فقفوه اي اجعلوه موقوفا الى حال الموت ولا تبادروا الى البراءة منه قبل الموت فان اشد الكبائر واعظمها الكفر وجاز من الكافر ان يسلم فاذا بلغ منتهى الحيوة وجدها ولم يقلع عن كبيرته فذلك الحد هو حد البراءة الذي يجوز ان يوقعوها معه اذ ليس بعد الموت حال تترجى وتنتظر قال بعض الشارحين والبراءة التي اشار اليها هي البراءة المطلقة لا كل براءة اذ يجوز لنا ان نبرأ من الفاسق وصاحب الكبيرة في حيوته براءة مشروطة اي ما دام مصرا على كبيرته الثالثة قوله والهجرة قائمة على حدها الاول لما كانت حقيقة الهجرة ترك منزل الى منزل اخر لم يكن تخصيصها عرفا بهجرة الرسول صلى الله عليه وآله ومن تبعه ممن هاجر اليه من مكة الى المدينة مخرجا لها عن حقيقتها ومعناها اللغوي اذ كان يعم كل من ترك منزله الى منزل اخر مهاجرا اذا عرفت ذلك فنقول انه عليه السلام حكم ببقاء الهجرة على حدها باقيا صادقا على من هاجر الى امام من اهل بيته في طلب دين الله وتعرف كيفية السلوك لصراطه المستقيم كصدقها على من هاجر الى الرسول صلى الله عليه وآله وفي معناها ما نزلها ان باطل الى الحق وبيان هذا الحكم بالمنقول والمعقول اما المنقول فمن وجهين احدهما قوله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة فقد سمى من فارق وطنه وعشيرته في طلب دين الله وطاعته مهاجرا وقد علمت في اصول الفقه ان من للعموم فوجب ان يكون كل من سافر لطلب دين الله من معادنه مهاجرا الثاني قول الرسول صلى الله عليه وآله المهاجر من هاجر ما حرم الله عليه وظاهر ان من هاجر معصية الائمة الى طاعتهم والاقتداء بهم فقد هاجر ما حرم الله عليه فكان اسم الهجرة صادقا عليه واما المعقول فلان المفارق لوطنه الى الرسول صلى الله عليه وآله مهاجر فوجب ان يكون المفارق لوطنه الى من يقوم مقامه من ذريته الطاهرين مهاجرا لصدق حد الهجرة في الموضعين ولان المقصود من الهجرة ليس الا اقتباس الدين وتعرف كيفية سبيل الله وهذا المقصود حاصل ممن يقوم مقام الرسول صلى الله عليه وآله من الائمة الطاهرين عليهم السلام بحيث لا فرق الا النبوة والامامة ولا مدخل لاحد هذين الوصفين في تخصيص معنى الهجرة بمن قصد الرسول صلى الله عليه وآله دون من قصد الائمة فوجب عموم صدقه على من قصدهم فان قلت هذا معارض بقوله صلى الله عليه وآله لا هجرة بعد الفتح حتى شفع عمه العباس في نعيم بن مسعود الاشجعي ان يستثنيه فاستثناه قلت نحمل ذلك على ترك الهجرة من مكة بعد فتحها الى المدينة توفيقا بين الدليلين وسلب الخاص لا يستلزم سلب العام فاعلم ان فائدة هذا القول الدعوة الى الدليل واقتباس الدين من اهل بيته عليهم السلام بذكر الهجرة والتنبيه بها وما يستلزمه من الفضيلة على ان التارك لاهله ووطنه اليهم طلبا للدين منهم يلحق بالمهاجرين الاولين في مراتبهم ومثوباتهم الرابعة قوله ما كان لله في الارض الى قوله ومعلنها قال قطب الدين الراوندي رحمه الله ما هيهنا نافية اي لم يكن شئ من اهل الارض ممن اسر دينه او اعلنه واظهره خارجا ومن هنا لبيان الجنس وانكر الشارح عبد الحميد ابن ابي الحديد كون ما نافية وقال يلزم منه كون الكلام منقطعا بين كلامين متواصلين وجعلها هو بمعنى المدة اي والهجرة قائمة على حدها ما دام لله في اهل الارض ممن اسر دينه او اعلنه حاجة اي ما دامت العبادة مطلوبة لله من اهل الارض بالتكليف وهو كقولك في الدعاء اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي ويكون لفظ الحاجة مستعارا في حقه تعالى باعتبار طلبه للعبادة بالاوامر وغيرها كالطلب

ذي الحاجة لها واقول انه غير بعيد ان يكون ما فيه مع انفصال الكلام بما قبله وجهه انه لما رغب الناس في طلب الدين والعبادة فكانه اراد ان
يرفع حكم توهم بما عساه يحكم به عند ذكر طلب الله للدين والعبادة من حاجته اليهما من خلقه حيث كرر طلبها منهم بتواتر الرسل و
الاوامر الشرعية ويصير معنى الكلام ان الهجرة باقية على حالتها الاولى مستحقها على المسلمين لطلب الدين وينبغي ان يهاجروا في طلبه الى ائمة
الحق وليس ذلك لان لله تعالى الى اهل الارض ممن اسر دينه واظهره حاجة فانه تعالى الغني المطلق الذي لا حاجة به الى شيء البتة قوله لا
يقع اسم الهجرة الى قوله قلبه اشارة بالحجة في الارض الى امام الوقت لانه حجة الله في ارضه على عباده يوم القيمة وشاهده عليهم وهذا
الكلام تفسير لوقوع اسم الهجرة وبيان لمن تثبت له فشرط صدقها على الانسان معرفة الامام وقصده ذلك لان فائدة الهجرة هو المحافظة للدين
ومعرفة الذي يجب حاجته عند نبيكون وقصده له ان شرطا بمعرفته فانت اطلاق اسم الهجرة عليه مشروط بمعرفة امام الوقت ولذلك
قال لا يقع اسم الهجرة على احد الا بمعرفة الحجة في الارض وقوله فمن عرفها واقر بها فهو مهاجر يحتمل ان يريد به ان شرط اطلاق اسم المهاجرة
على الانسان مشروط بمعرفة امام الوقت المستلزمة للسفر اليه كما هو الظاهر من لفظ المهاجرة ويحتمل ان يريد ان الهجرة معرفة الامام والاقرار
بوجوب اتباعه والاخذ عنه وان كان بالاخبار عنه دون المشاهدة كما في اطلاق اسم الهجرة على من عرفه كذلك ... كما كفى
في اطلاقه على ترك ما حرم الله يقتضي قول الرسول صلى الله عليه وآله المهاجر من ترك ما حرم الله عليه وقوله لا يصدق اسم الاستضعاف على من بلغته
الحجة اي اخبار الحجة بحذف المضاف ويحتمل ان يريد بالحجة نفس الاخبار التي ينقل عن الامام ويجب العمل بها قال قطب الدين الراوندي
ان يشير بهذا الكلام الى احد الاثنين احدهما قوله تعالى ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأويهم جهنم فيكون مراده على هذا انه لا يصدق اسم الاستضعاف على من عرف الامام وبلغته
احكامه ووعاها قلبه وان بقي في وطنه ولم يتجشم السفر الى الامام كما صدق على هؤلاء المذكورين في الاية والثانية قوله تعالى بعد ذلك الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم فيكون مراده على هذا ان من عرف
الامام وسمع مقالته ووعاها قلبه لا يصدق عليه الاستضعاف كما صدق على هؤلاء اذ كان المفروض على المحبوسين في عصر الرسول صلى الله عليه وآله الهجرة
بالابدان دون من بعدهم بل يقنع منه بمعرفته والعمل بقوله بدون المهاجرة اليه بالبدن واقول يحتمل ان يريد بقوله ذلك انه لا عذر لمن بلغته
دعوة الحجة وسمعها في تأخره عن النهوض والمهاجرة اليه مع قدرته على ذلك ولا يصدق عليه اسم الاستضعاف كما يصدق على المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان حتى يكون ذلك عذرا له بل يكون في تأخره مأويه جهنم للملائكة الذين قالوا انا كنا مستضعفين في الارض
ويكون مخصوصا بالقادرين على النهوض كما قلناه دون العاجزين فان اسم الاستضعاف صادق عليهم وهذا الاحتمال مما يكون جابرا لما ارادوه
من هذا الكلام على تقدير ان يكون اطلاق اسم المهاجر على الانسان في الكلام المتقدم مشروطا بمعرفة الامام بالمشاهدة والسفر اليه اذ لو جاز
عليه ان يطلق عليه المهاجر مع عدم السفر الى الامام لما كان ملوما في تأخره عند السادسة قوله ان امرنا صعب مستصعب امرهم شأنهم وما هم عليه
من الكمال الخارج عن كمالات من عداهم من الامة والاطوار التي يختص بها عقولهم وراء عقول غيرهم فيكون لهم عند ذلك القدرة على ما لا يقدر
عليه غيرهم والادراكات الغيبية بالنسبة الى غيرهم والاخبار عنه كالوقائع التي حكى عنها عليه السلام وقعت على وفق قوله وكالاحكام والقضايا التي
اختص بها ونقلت عنه فان هذا الشأن صعب في نفسه لا يقدر عليه الا الانبياء واوصياء الانبياء ومستصعب فهمه على الخلق معجوز عن احتمال
ما يلقى منه من الاشارات والاخبارات عما سيكون والقدرة على ما يخرج عن وسع مثلهم ولا يحتمله ولا تقبله الا نفس عبد امتحنها الله للايمان
كقوله تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي عودها بالامتحان والابتلاء بالتكاليف العقلية والنقلية لحصول الايمان الكامل اليقيني
بالله ورسوله وكيفية سلوك سبيله وتحلت بالكمالات العلمية والفضائل الخلقية حتى عرفت مبادي كمالاتهم ومقاديرها وكيفية صدور
مثل هذه الغرائب عنها فلا يستنكر ما يأتون به من قول وفعل ويتلقاه بالتكذيب كما كانت جماعة من اصحابه يفعلون ذلك معه فيما كان
يخبر به عن الغيب حتى فهم ذلك منهم فقال يقولون يكذب فعلى من اكذب على الله وانا اول من آمن به او على رسوله وانا اول من
صدقه كما حكيناه ذلك فيما سبق بل يحتمل كل ما يأتون به على وجهه ويسنده الى مبدائه ويجزم بوصول ما يرد عليها من اسرارهم الالهية
فاولئك وامثالهم هم اصحاب الصدور الامينة التي يلقى بما يلقى اليها من تلك الاسرار ويصونها عن الاذاعة الى من لا ينتفع بها وليس باهل لها
وذوي ما مونة عليها واولوا الاحلام الرزينة التي لا يستفزها سماع تلك الغرائب ومشاهدتها منهم فيحملهم ذلك على اذاعتها واستنكارها بل
يحملها على الصواب بما وجبت لها محملا فاذا عجزت عن معرفتها تثبتت فيها واستيقنها على سبيل الاجمال ووضعت علم كنهها الى الله سبحانه واراد
قلوب صدور امينه او اصحاب صدور امينه واصحاب احلام رزينة فحذف المضاف ويحتمل ان يكون قد اطلق اسم الصدور والاحلام
مجازا عن اهلها اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق ونقل عنه مثل هذا الكلام في تمييز هذا الموضع من جملة خطبة له ان قريشا طلبت السعادة فشقيت
وطلبت النجاة فهلكت وطلبت الهدى فضلت الم يسمعوا ويحهم قوله تعالى الذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم فاين المعدل
والمنزع عن ذرية الرسول الذين شيد الله بنيانهم فوق البنيان واعلى رؤسهم فوق رؤسهم واختارهم عليهم الا ان الذرية افنان انا شجرتها

وقوله أنا سائقها وأنا من أحمد بمنزلة الضوء كنّا أظلالاً تحت العرش قبل خلق البشر وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر أشباحاً عالية لا أجساماً
نامية إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يعرف كنهه إلا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان فإذا انكشف لكم سرّ أو وضح لكم أمر فاقبلوه
وإلا فاسكتوا تسلموا وردّوا علمنا إلى الله فإنكم في أوسع ما بين السماء والأرض وفي قوله وأنا من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء وقوله كنّا أظلالاً
إلى قوله نامية إشارة لطيفة أما الأول فإشارة إلى أنّ الكمالات التي حصلت لنفسه القدسية بواسطة كمالات نفس النبي ص فأشبه الأشياء
بصدور الضوء عن الضوء كشعلة مصباح اقتبست من شعلة مصباح أكبر وأعلى ومن العادة في عرف المجرّدين وأولياء الله وكتابه تمثيل النفوس
الشريفة والعلوم بالأنوار والأضواء لمكان المشابهة بينهما في حصول الهداية عنهما مع لطفهما وصفائهما وأما الثاني فيحتمل أن يكون
قد أشار بكونهم أظلالاً تحت العرش قبل خلق البشر أشباحاً بلا أجسام إلى وجودهم في العلم الكلّي فإنه قد يعبّر عنه في بعض المواضع بالعرش
واستعار لفظ الأظلال لهم باعتبار كونهم مرجعاً للخلق وملجأ كالأظلال وقد سبقت الإشارة إلى ذلك وقريب منها بيان أوضح في الخطبة
الأولى السابقة آية بالناس وقال سلوني قبل أن تفقدوني إلى قوله الأرض فجمع الناس على أنه لم يقل أحد من الصحابة وأهل العلم سلوني
غير علي ع ذكر ذلك ابن عبد البرّ في كتاب الاستيعاب وأراد بطرق السماء وجوه الهداية إلى معرفة منازل سكان السموات من الملأ الأعلى ومراتبهم
من حضرة الربوبية ومقامات أنبياء الله وخلفائه من خطاب القدس وانتقاش نفسه القدسية عنهم بأحوال الفلك ومقدّراتها
والأمور الغيبية مما يتعلّق بالفتن والوقائع المستقبلة إذ كان له ع الاتصال التام بتلك المبادي فلا يحرم أن يكون علمه بما هنالك أتمّ
وأكمل من علمه بطرق الأرض إلى منازلها وقد سبق مثله لقوله سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضلّ مائة وتهدي
مائة إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وقد حمله قوم على وجه لغوي فقالوا أراد بطرق السماء الأحكام الشرعية والفتاوى الفقهية
أي أنا أعلم بها من الأمور الدنيوية فعبّر عن تلك بطرق السماء لكونها أحكاماً إلهية وعبّر عن هذه بطرق الأرض لأنها من الأرضية ونحوه
ما نقل عن الإمام الوبري ثم قال إن أراد أن علمه بالدين أوفر من علمه بالدنيا وقوله قبل أن تشغر برجلها فتنة إلى آخره أراد فتنة بني أمية وحكامهم
العادلة عن العدل وما لحق الناس في دولتهم من البلاء وكنّى بشغر رجلها عن خلوّ تلك الفتنة عن مدبّر يدبّرها ويحفظ الأمور وينظم
الدين حين وقوع الجور وقوله تطأ في خطامها استعارة لوصف الناقة التي أرسل خطامها وخلت عن القائد في طريقها فهي تخبط
في خطامها وتعثر فيه وتطأ من لقيت من الناس على غير نظام عن حالها وهذا هو وجه الاستعارة إذ كانت هذه الفتنة تقع في الناس
على غير قانون شرعي ولا طريق مرضي ولا قائد ينتظم أمور الخلق فيها وغيره وقوله وتذهب بأحلام قومها قال بعض الشارحين أي تحيّر
أهلها فيها وتدهشهم لشدّتها حتى لا يثبتون فيها بل تطيش ألبابهم فلا يهتدون إلى طريق التخلّص منها ووجه السلامة فيها ويحتمل
أن يريد بذلك أنها تستخفّ أهل زمانها فيأتون إليها سراعاً ويحبّون عن كونها لغفلتهم عن وجه الحق فيها وشدّة وقوعها على
الناس وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** أَحْمَدُهُ شُكْراً لِإِنْعَامِهِ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ عَزِيزِ
الْجُنْدِ عَظِيمِ الْمَجْدِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَنْ دِينِهِ لَا يَثْنِيهِ عَنْ ذَلِكَ
اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَالْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ
وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَغَمَرَاتِهِ وَامْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ
وَمُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الْأَرْمَاسِ وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ وَهَوْلِ الْمُطَّلَعِ وَرَوْعَاتِ الْفَزَعِ وَاخْتِلَافِ
الْأَضْلَاعِ وَاسْتِكَاكِ الْأَسْمَاعِ وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ وَخِيفَةِ الْوَعْدِ وَغَمِّ الضَّرِيحِ وَرَدْمِ الصَّفِيحِ فَاللَّهَ اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ
بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا وَكَأَنَّهَا
قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا وَانْصَرَفَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى وَشَهْرٍ انْقَضَى
وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثّاً وَسَمِينُهَا غَثّاً فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ الْمَقَامِ وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا عَالٍ لَجَبُهَا سَاطِعٍ لَهَبُهَا
مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا بَعِيدٍ خُمُودُهَا ذَاكٍ وُقُودُهَا مَخُوفٍ وَعِيدُهَا عَمٍ قَرَارُهَا مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا حَامِيَةٍ قُدُورُهَا
فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ وَاطْمَأَنَّتْ
بِهِمُ الدَّارُ وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً تَخَشُّعاً
وَاسْتِغْفَاراً وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً تَوَحُّشاً وَانْقِطَاعاً فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَآباً وَالْجَزَاءَ ثَوَاباً وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا فِي مُلْكٍ دَائِمٍ وَ
نَعِيمٍ قَائِمٍ فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا
أَسْلَفْتُمْ وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ وَكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ الْمَخُوفُ فَلَا رَجْعَةً تَنَالُونَ وَلَا عَثْرَةً تُقَالُونَ اسْتَعْمَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ
وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ الْزَمُوا الْأَرْضَ وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ
وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ لَكُمْ فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً

وقد وقع اجره على الله واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النية مقام اصلاته بسيفه فان لكل شيء مدة واجلا

اقول الوظيفة ما يقدر للانسان في كل يوم من طعام او رزق او عمل وتبيّنه بصرفه والمعقل الملجأ وذروته اعلاه ومهّده
له اي اتخذه له مهادا وهو الفراش والارماس جمع رمس وهو القبر والابلاس اليأس والانكسار والحزن والمطلع الاطلاع من اشراف الى سفل و
هوله خوفه وفزعه والروعة الفزعة واستكاك الاسماع صممها والصفيح الحجارة العراض وردمها سد القبر والسنن الطريقة والقرن
الحبل يقرن به البعيران واشراطها علاماتها وازفت دنت وافراطها مقدماتها ومنه افراط الصبح واوائل تباشيره والرث الخلق
والغث الهزيل والضنك الضيق والكلب الشر والجلب الصوت والساطع المرتفع وسعيرها لهبها وتأججها اشتداد حرّه ووقودها بضم
الواو وهو الحدث وذكاها مقصورا اشتعاله وفظاعة الامر شدته وتجاوزه المقدار والزمر الجماعات واحدتها زمرة وزحزحوا
بعدوا واطمأنت سكنت والمثوى المقام والمآب المرجع ومدينون مجزيون واصلاته بسيفه تجرّده به واعلم انه ع انشأ احمد الله على
نعمائه ونصب شكرا على المصدر عن قوله احمد من غير لفظه اذ المراد بالحمد هنا الشكر بقرينة ذكر الانعام ثم اردفه بطلب المعونة
على ما وظف عليه من حقوقه وواجباتها ونوافلها كالصلوات والعبادات التي ارتضاها منهم شكر النعمائه واذا اعتبرت كانت نعما
تستحق الشكر لما يستلزمه المواظبة عليها من السعادة الحقيقية الباقية كما سبق بيانه وقوله عزيز الجند نصب على الحال والاضافة
غير محضة والعامل استعينه وكذلك قوله عظيم المجد اي استعينه على اداء حقوقه حال ما هو بين هذين الاعتبارين فانه باعتبار
ما هو عزيز الجند عظيم المجد يكون مالك الملك قديرا على ما يشاء فكان مبدأ الاستعانة به على اداء وظايف حقوقه ثم اردفه بالشهادة
برسالة نبيه صلى الله عليه واله وذكر احواله التي كانت مبادي لظهور الدين الحق ليقتدي السامعون به في تلك الاحوال وهي
دعوته الى الدين ومقاهرته لاعدائه وهم الكفار على اصنافهم ونصب جهادا على انه مصدر سد مسد الحال او نصب المصادر
عن قوله قاهر من غير لفظه اذ في قاهر معنى جاهد وعن دينه متعلق بجهادا اعمالا للاقرب ويحتمل التعلق بقاهر وقوله لا يثنيه
اي لا يصرفه عن دعوته ومقاهرته لاعدائه اجتماع الخلق على تكذيبه والتماسهم لاطفاء نوره ولفظ النور مستعار لما جاء به
من الكمالات الهادية الى سبيل الله ثم لما نبههم على تلك الاحوال التي مبدأها تقوى الله ثم امرهم بالاعتصام بها فاعتصموا بتقوى
الله كما اعتصم نبيكم بها في اظهار دينه ومواظبته على ذلك ولا تخافوا من عدو مع كثرتكم كما لم يخف هو مع وحدته فان للتقوى
حبلا وثيقا عروته من تمسك به واعتصم لم يضره عدو ومعقلا منيعا ذروته من لجأ اليه لم يصل اليه سوء ولفظ الحبل والمعقل
مستعارات للتقوى وقد سبق بيان هذه الاستعارات ثم اكد ذلك الامر بالامر بمبادرة الموت وغمراته ومعنى مبادرته مسابقته الى
الاستعداد بالاعمال الصالحة كانهم لما يسابقون الموت وغمراته وما يلحقهم من العذاب فيه وفيما بعده الى الاستعداد بالاعمال الصالحة
فيحصلوا بها ملكات صالحة يكون مهادا له قبل حلوله بهم كيلا يفجأهم فدحا ويجعلونها عدة لانفسهم قبل نزوله عليهم بالتقوى
بها كيلا يؤثر في نفوسهم كثير اثر كالتدني بهم الى انفسهم ليقطعهم عن ذلك الاستعداد فيكون سببا لوقوع العذاب بهم وقوله
فان الغاية القيامة تذكير بذكر الغاية وتذكير بما هو لها او عوده اي فان غايتكم القيامة لا بد لكم منها ولما كانت تلك الغاية هي
لازم الموت كما قال ع من مات فقد قامت قيامته كان امره بالاستعداد للموت امرا بالاستعداد لها ولذلك اتى بعد الامر بالاستعداد
له بقوله فانه نبّه بها على وجوب ذلك الاستعداد بقيمة تذكر صغراه وتقدير الكبرى وكل من كانت غايته القيامة فواجب ان يستعد
لها وقوله وكفى بذلك اي بذكر الموت وغمراته والقيامة واهوالها وخصص من عقل لكونه المقصود بالخطاب الشرعي ومعتبرا اي
محلا للاعتبار والعلم وتذكر الموت ونزوله بهذه البنية التامة التي احكم بنيانها وصنعت بالوضع العجيب في الترتيب اللطيف و
هدمه لها واعظا بليغا وزاجرا للنفوس عن متابعة هواها ومعتبرا تنتقل منه الى ان وراء هذا الوجود وجودا اعلى واشرف منه لولا
ما عطلت هذه البنية المحكمة المتقنة ولكان ذلك بعد احكامها واتقانها سفها بيّنا في الحكمة كما ان الانسان اذا بنى دارا و
احكمها وزينها بزينة الالوان المعجبة فلما تمت وحصلت غايتها عمد اليها فهدمها فانه بعد في العرف سفيها عابثا اما لو كان غرضه
من ذلك الوصول الى غاية تحصل بوجودها وقتا ما ثم يستغني عنها جاز هدمها فكذلك هذه البنية لما كانت الغرض منها استكمال
النفوس البشرية بالكمالات التي تستفاد من جهتها وهي العلوم ومكارم الاخلاق ثم الانتقال عنها الى عالمها جاز لذلك خرابها
وفسادها بعد حصول ذلك الغرض منها وقوله وقبل بلوغ ما تعلمون عطف على قوله قبل نزوله وقوله من ضيق الارماس الى
ردم الصفيح تفصيل لما يعلمونه من احوال الموت واهواله وظاهر ان للقبور ضيقا بالقياس الى مواطن الدنيا وان للنفوس عند
مفارقتها غما شديدا وحزنا قويا على ما فاتته وعما لاقته من الاهوال التي كانت غافلة عنها وان لما اشرفت عليه من احوال الاخرة
هولا وفزعا يظهر منه الانات وفي المرفوع واعوذ بك من هول المطلع وانما حسن اضافة روعات الى الفزع وان كان الروع هو
الفزع باعتبار تعددها وهي من حيث هي آحاد مجموع افراد ماهية الفزع فجازت اضافتها اليها واختلاف الاضلاع كناية عن ضغطة

بها ٢

الغير انه يحصل بسببها تداخل الاطلاع واختلافها واشتكاك الاسماع نفعا بها لشدة الاصوات الهايلة ويحتمل ان يريد ذهابها عن
واثما قال لخيفة الوعد لان الوعد قد يستعمل في الشر والخير عند ذكرهما قال ولا تعد الى الخير والشر مقبل فاذا اسقطوا ذكرهما
قالوا في الخير العدة والوعد وفي الشر الايعاد والوعيد وههنا وان سقط ذكرهما الا ان قوله خيفة تدل على وجود الشر فكان
كالقرينة وعن الضيق الغم الحاصل والوحشة المتوهمة فيها اذ كان للنفوس من الهيئات المتوهمة كونها مقصورة مضيقا عليها بعد فسح
المنازل الدنيوية وساير ما ذكره من الاهوال وانما عدد هذه الاهوال لكون الكلام في معرض الوعظ والتخويف وكون هذه
الامور مخوفة منفورا عنها طبعا ثم اكد ذلك التخويف بالتحذير من الله وعلل ذلك التحذير بكون الدنيا ماضية على سنن اى طريقة
واحدة لا يختلف حكمها فكما كان من شانها ان اهلكت القرون الماضية وفعلت بهم وباثارهم ما فعلت وصيرتهم الى الاحوال
التي عددناها فكذلك فعلها بكم وقوله وانتم والساعة في قرن كناية عن قربها القريب منهم حتى كانهم معها في قرن واحد و
قوله وكانها قد جاءت باشراطها تشبيه لها في سرعة مجيئها بالتي جاءت وحضرت واكد ذلك التشبيه بقد المفيدة لتحقيق المجي
وعلاماتها كظهور الدجال ودابة الارض وظهور المهدي وعيسى عليهما السلم الى غير ذلك وكذلك قوله وازفت بافراطها ووقفت
بكم على صراطها الى قوله وسمينها غثا اي تحقق وقوفها بكم على صراطها وهو الصراط المعهود فيها المتوقع منها من هذه الاحوال
في معتكم حالها في ايقاعها بكم وتحقيقها فيكم واستعار لفظ الكلاكل لاهوالها الثقيلة ووصف الاناخة لحصولها بتلك الاهوال
عليهم ملاحظا في ذلك تشبيهها بالناقة وانما حسن تعديد الكلاكل لها باعتبار تعدد اهوالها الثقيلة النازلة بهم ولما كانت
الافعال من قوله وانا خت الى قوله وصار سمينها غثا معطوفا بعضها على بعض دخلت في حكم التشبيه اى وكانت الدنيا قد انصرفت
باهلها وكانكم قد اخرجتم من حضنها الى اخر الافعال والمشبه الاول هو الدنيا باعتبار حالها الحاضرة والمشبه به انصرافها باهلها وزوالهم
ووجه الشبه سرعة المضي اى كانها من سرعة احوالها الحاضرة كالتي وقع التصرم وهذه انصرافها وكذلك التوحيد في باقي التشبيهات واستعار
لفظ الحضن لها ملاحظة لشبهها بالام التي تحضن ولدها فينتزع من حضنها والسمين والغث تحتمل ان يريد بهما الحقيقة وتحتمل
ان يكني به عن ما كثر من لذاتها وخيراتها وتغير ذلك بالموت وزواله وقوله في موقف ضنك يتعلق بصار والموقف هو موقف القيمة
وظاهر ان كل جديد للدنيا يومئذ رث وكل سمين كان بها غث وضيق الموقف اما لكثرة الخلق يومئذ وازدحامهم والصعوبة الوقوف
به وطولهم مع ما يتوقع اهل الموقف لانفسهم من نزال المكروه بهم والامور المتشابهة العظام اهوال الاخرة واشتباهها كونها ملتبسة يتحير
في وجه الخلاص منها والاعتبار يحكم بكونها عظيمة وقوله كونا نارا شديدا الشر قد نطق القران الكريم باكثر مما وصفها به ههنا
من علو اصواتها وسطوع لهبها وتغيظ زفيرها كقوله تعالى اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ وقوله سمعوا
لها تغيظا وزفيرا ولفظ التغيظ مستعار للنار باعتبار حركتها لشدة وعنف كالغضبان او باعتبار استلزام حركتها للاذى والشر وقوله
عم قرارها اسند العمى الى قرارها مجازا باعتبار انه لا يهتدى فيه لظلمته او لان عمقها لا يوقف عليه لبعده ولما استعار لفظ العمى رشح بذكر
الفقد وبعظ قطا عن تلك الامور وشدتها وكل تلك الامور عددها في معرض التخويف لكونها مخوفة تنفيرا عما يلزم عنه من ترك
التقوى واتباع الهوى ثم ثنى بالاية اقتباسا وتبع بذكر احوال المتقين في الاخرة اللازمة عن تقويهم وهي امنهم من العذاب و
انقطاع العقاب عنهم وابعادهم عن النار واطمينان الدار التي هي الجنة بهم ورضاهم بها مثوى وقرارا ترغيبا في التقوى بذكر لوازمها
ثم ارتفع ذلك بصفات المتقين اي ثم اعمالهم لا يعرفها فقال لهم الذين كانت اعمالهم في الدنيا زاكية اى طاهرة من الريا والشرك الخفي واعينهم
باكية اى من خشية الله وخوف عقابه وحرمانه وكان ليلهم في دنياهم نهارا اى كونه محل حركاتهم في عبادة ربهم وتخشعهم له واستغفارهم
اياه فاشبه النهار الذي هو محل حركات الخلق ولهذا الشبه استعار لفظ النهار لليل وكذلك استعار لفظ الليل للنهار ووجه استعارة
كون النهار محلا لتوحشهم من الخلق وانقطاعهم عنه واعتزالهم اياهم كالليل الذي هو محل انقطاع الناس بعضهم عن بعض وافتراقهم في
فسحة الروضة بحطه كان للتشبيه رفع نهارهم القرينة الاولى ورفع ليلهم القرينة الثانية ووجه التشبيه هو ما ذكرناه وكانه يقول فلما
استعدوا بتلك الصفات للحصول على الفضايل والكمالات واستوجبوا رضى الله تعالى عنهم جعل الله لهم الجنة مرجعا ومابا وما اعد
فيها من جزاء النعيم ثوابا وكانوا احق بها واهلها وهو اقتباس وقوله في ملك الى قوله قايم اى مقيم تفسير الجزاء ثم اكد الامر بالتقوى
برغايتها في عباده وتجري بينه فيها على بعض لوازمها وذلك ان فوز الفايزين انما يكون بالتقوى ولزوم الاعمال الصالحات والمطلوب
هم الذين لا يعنون معهم منهم الخارجون عن التقوى الحقه وانما يلحقهم الخسران بالخروج عنها وقوله بادروا اجالكم باعمالكم كقوله بادروا
الموت اى وسابقوا اجالكم بالاعمال الصالحات الى الاستعداد بها قبل ان يسبقكم الى انفسكم فيقطعكم عن الاستعداد وتحصيل الازواد
ليوم المعاد ونبههم بقوله فانكم الى قوله قدمتم على رتبتها ثم بذ نومهم لسالف و الجزاء عليها في القيمة ليسارعوا الى فكاكها بالاعمال
الصالحة والسلامة من الجزاء عليها ولفظ المرهن مستعار للنفوس الاثمة باعتبار تقييدها بالسيئة واطلاقها بالحسنة كتقييد الرهن

في حمده سبحانه باعتبارات لا ينبغي الا له

المتعارف بما عليه من المال والفتك اكرا باذائه واطلاق لفظ الجزاء على العقاب مجاز اطلاقا لاسم احد الضدين على الآخر وقوله وكان قد نزل بحى الحقيقة من كان التشبيه واسمها ضمير الشان والمقصود تشبيه حالهم وشانهم الحاضر بحال نزول الخوف وهو الموت بهم وتحققه في حقهم الذي يلزم منه يحق تنبيه على عدم تيلهم للرجعة وانه قالهم للعثرة ثم عقب بالدعاء لنفسه ولهم باستعمال الله اياهم في طاعته وطاعة رسوله ومثلك الاستعمال بتوفيقهم لاسباب الطاعة واعدادهم لها وافاضة صورة الطاعة على قوابلها العقلية والبدنية وجوارحهم التي بسببها تكون السعادة القصوى ثم بما يلزم ذلك الاستعمال من ذلك من الاعتبارات التي تخصها عقولنا الضعيفة ويجعلها من صفات الله كما سبق بيانه في الخطبة الاولى ثم عقب وعظهم وتحذيرهم والدعاء بامرهم ان يلزموا الارض ويصبروا على ما يلحقهم من بلاء اعدائهم ومخالفيهم في العقيدة كالخوارج والبغاة على الامام بعده من ولده والخطاب خاص بمن يكون بعده بدلالة سياق الكلام ولزوم الارض كناية عن الصبر في مواطنهم وقعودهم عن النهوض لجهاد الظالمين في زمن عدم قيام الامام الحق بعده عم وقوله ولا تحركوا بايديكم وسيوفكم وهوى السنتكم نهى عن الجهاد من غير امر احد من الائمة من ولده بعده وذلك عند عدم قيام من يقوم منهم لطلب الامر فانه لا يجوز اجراء هذه الحركات الا باشارة من امام الوقت وهوى السنتهم ميلها الى السب والشتم موافقة لهوى النفس لتشفى النفوس والباء في بايديكم زائدة ويحتمل ان يكون معقول تحركوا محذوفا تقديره شيئا ولا تحركوا هوى السنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم من ذلك الجهاد وقوله فانه من مات منكم الى قوله بسيفه بيان لحكمهم في زمن عدم قيام الامام الحق بعده لطلب الامر وتنبيه لهم على ثمرة الصبر وهو ان من مات منهم على معرفة حق ربه وحق رسوله واهل بيته والاعتراف بكونهم ائمة الحق والاقتداء بهم لحق بدرجة الشهداء ووقع اجره على الله بما استحق الثواب عليه من الاعمال والصبر على المكاره من الاعداء وقامت نيته انه من انصار الامام لو قام لطلب الامر وانه معينه مقام تجرده بسيفه معه في استحقاق الاجر وقوله فان لكل شيء مدة واجلا تنبيه على ان لكل من دولة العدل والباطل ودولة الحق العادلة مدة تنقضي بانقضائها واجلا تنتهي به فاذا حضرت مدة دولة عدل وغلب ذلك وقت قيامكم في دفعها فلا تستعجلوا به هذا هو المتبادر الى الفهم من هذا الكلام والخطبة من فصيح خطبه عم وقد اخذ ابن نباتة الخطيب كثيرا من الفاظها في خطبته كقوله شد يد كلبها عال لجبها ساطعا لهبها متغيظ زفيرها متاجج سعيرها الى قوله فظيعا امورها وكقوله هول المطالع وروعات الفزع الى قوله وردم الصفيح فانه اخذ كل هذه الالفاظ وقطع بها كلامه وبالله التوفيق والعصمة

ومن خطبة له عليه السلم

الحمد لله الفاشي حمده والغالب جنده والمتعالي جده احمده على نعمه التوام والائه العظام الذي عظم حلمه فعفا وعدل في كل ما قضى وعلم ما يمضي وما مضى مبتدع الخلائق بعلمه ومنشئهم بحكمه بلا اقتداء ولا تعليم ولا احتذاء لمثال صانع حكيم ولا اصابة خطاء ولا حضرة ملاء واشهد ان محمدا عبده ورسوله ابتعثه والناس يضربون في غمرة ويموجون في حيرة قد قادتهم ازمة الحين واستغلقت على افئدتهم اقفال الرين اوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها حق الله عليكم والموجبة على الله حقكم وان تستعينوا عليها بالله وتستعينوا بها على الله فان التقوى في اليوم الحرز والجنة وفي غد الطريق الى الجنة مسلكها واضح وسالكها رابح ومستودعها حافظ لم تبرح عارضة نفسها على الامم الماضين والغابرين لحاجتهم اليها غدا اذا اعاد الله ما ابدى واخذ ما اعطى وسال عما اسدى فما اقل من قبلها وحملها حق حملها اولئك الاقلون عددا وهم اهل صفة الله سبحانه تعالى اذ يقول وقليل من عبادي الشكور فاهطعوا باسماعكم اليها واكظوا بجدكم عليها واعتاضوها من كل سلف خلفا ومن كل مخالف موافقا ايقظوا بها نومكم واقطعوا بها يومكم واشعروها قلوبكم وارحضوا بها ذنوبكم وداووا بها الاسقام وبادروا بها الحمام واعتبروا بمن اضاعها ولا يعتبرن بكم من اطاعها الا فصونوها وتصونوا بها وكونوا عن الدنيا نزاها والى الاخرة ولاها ولا تضعوا من رفعته التقوى ولا ترفعوا من رفعته الدنيا ولا تشيموا بارقها ولا تسمعوا ناطقها ولا تجيبوا ناعقها ولا تستضيئوا باشراقها ولا تفتنوا باعلاقها فان برقها خالب ونطقها كاذب واموالها محروبة واعلاقها مسلوبة الا وهي المتصدية العنون والجامحة الحرون والمائنة الخؤون والجحود الكنود والعنود الصدود والحيود الميود حالها انتقال ووطاتها زلزال وعزها ذل وجدها هزل وعلوها سفل دار حرب وسلب ونهب وعطب اهلها على ساق وسياق ولحاق وفراق قد تحيرت مذاهبها واعجزت مهاربها وخابت مطالبها فاسلمتهم المعاقل ولفظتهم المنازل واعيتهم المحاول فمن ناج معقور ولحم مجزور وشلو مذبوح ودم مسفوح وعاض على يديه وصافق بكفيه ومرتفق بخديه وزار على رايه وراجع عن عزمه وقد ادبرت الحيلة واقبلت الغيلة ولات حين مناص هيهات هيهات قد فات ما فات وذهب ما ذهب ومضت الدنيا لحال بالها فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين اقول

الفاشي الذائع والمنتشر والجد هيهنا العظمة ومنه حديث انس كان احدنا اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا اي عظم والتوام جمع توام وحقيقة الولد يقارنه غيره في بطن واحد قال الخليل اصله ووام على وزن فوعل فابدلوا من احدى الواوين تاء كما قالوا تولج من ولج والالاء النعم واحدها الى بالفتح وقد يكسر كحرف الجر والضرب لسير والغمرة ما يغمر العقل من الجهل والغمرة الشدة ايضا والحين بالفتح

في حمده سبحانه باعتبار انه لا ينبغي الا له

الهلاك والوني الطبع وغلبة الذنوب حتى تغطى عن البصيرة والغبار الدائم وللماء بخاصية واسكن ارسل معروفه وهطع اسرع وواكفا على كذا
واظب عليه ودام والمواظبة المداومة وروى الظوا اى الزموا ولزوم الشيء في معنى المداومة عليه والشعار ما يلي الجسد تحت الدثار وهو العلامة ايضا
والرحض الغسل والنزه جمع نزيه وهو المتباعد عما يوجب الذم والولد جمع واله وهو المتحير من شدة الوجد والشيم النظر الى البرق اين يمطر سحائبه
الناعق الصائح والاعلاق نفائسها جمع علق وهو الشيء النفيس وبرق خالب خلب لا مطر معه ومال الحرب ماخوذ بكليته والمنصدعة المتفرقة
والعنود كثيرة العنود وهو الاعراض والعنود ايضا الدابة المنفردة منه في السير والجموح الدابة التي تغلب الفارس فلا يملكها والحرون التي
اذا اشتد بها الشوق وقف والمائنة الكاذبة والكنود الكفور للنعمة والعنود المائلة عن الطريق وعن المرعى والصلدة المركة والجحود ايضا
المائلة والميود المتمايلة والحرب بفتح الحاء سلب المال والسلب ما يسلب من درع ونحوه في الحرب والعطب الهلاك والسناق الشدة والسياق نزع
الروح والسياق مصدر ساق فسوقا وسياقا والمعاقل الحصون وما يلجأ اليه ولفظتهم القتهم والجنادل جمع جندلة وهي الحجارة ومعفور مجروح
والجزور المقطوع والشلو العضو من اللحم بعد النتح واشلاء الانسان اعضاؤه المتفرقة في البلاء ومسفوح مسفوك والعيلة الاخذ على غرة
والمناص مصدر قولك ناص ينوص نوصا اى فر وراغ ولات حرف سلب قال الاخفش شبهوها بليس واضمروا فيها اسم الفاعل قال ولا
يكون لات الا مع حين وقد تحذف في حين كما حذف في قول مازن بن مالك حنت ولات هنت فحنت وحنين وهو ربيئه وقال بعضهم
ولات حين مناص برفع حين واضمر الخبر وقال ابو عبيدة هي لا والتاء انما زيدت في حين وان كتب مفردة كما قال ابو وجزة العاطفون
تحين ما من عاطف وقال المورج زيدت التاء في لات كما زيدت في ثمت وربت والبال الحال في الشان والامر والبال ايضا القلب وقد
حمد الله سبحانه باعتبارات لا ينبغي الا له لحمدها الفاسى حمده اى في جميع خلقه ومخلوقاته اذ كان شيء منها لا يخلو من نعمة له واظهرها
وجوده فلا يخلو من حمده بلسان الحال او المقال وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون الثاني الغالب جنده وجند الله
ملائكته واعوان نبيه من اهل الارض كقوله تعالى ولله جنود السموات والارض وقوله وايده بجنود لم تروها وظ كونه غالبا لقوله وان
جندنا لهم الغالبون وقوله فان حزب الله هم الغالبون وفي هذه القرينة جذب للسامعين الى نصرة الله ليكونوا من جنده وتثبيت لهم على
ذلك الثالث المتعالي جده اى علاؤه وعظمته كقوله تعالى وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وهذه القرينة تناسب ما قبلها لما في ذلك
من ايهام الحاجة الى الجند والنصرة وفي اثباتها تعاليه وعظمته عن كل حال يحكم بها في حقه الرافع لذلك الايهام ثم عقب ذلك بسبب الحمد
وهو نعمه التوأم والاؤه العظام ومعنى كونها توأما ترادفها على العبد وتواترها فانه ما من وقت يمر عليه الا وعنده انواع من نعم الله
تعالى لا تكافؤ الحمد الرابع من الاعتبارات الذي عظم حلمه فعفا فالحلم في الانسان فضيلة تحت الشجاعة عبر معها انفعال النفس عن
واردات المكروه وهذه المرتبة له واما في حق الله تعالى فمعلوم انه عدم انفعاله عن مخالفة عبيده لاوامره ونواهيه وكونه لا يستفزه عند مشاهدة
المنكرات منهم غضب ولا يحمله على المسارعة الى الانتقام منهم مع قدرته التامة على كل مقدور غيظ ولا طيش والفرق بينه تعالى وبين العبد
في هذا الوصف ان سلب الانفعال عنه سلب مطلق وسلبه عن العبد عما من شانه ان يكون له ذلك الشيء فكان سلب الانفعال عنه
تعالى ابلغ واتم من عدمه عن العبد وبذلك الاعتبار كان اعظم ولما كان الحلم يستلزم العفو عن الجرائم والصفح عنها سمي امهاله تعالى للعبيد وعدم مؤاخذته
بجرائمهم عفوا فلذلك ردف وصفه لعظمة الحلم بذكر العفو وعطفه بالفاء لاستعقاب الملزوم لازمه بلا مهلة الخامس وعدل في كل ما قضى
ولما كان العدل عبارة عن التوسط في الافعال والاقوال بين طرفي التفريط والافراط كان كل ما قضاه تعالى وحكم علمه بوقوعه او عدم وقوعه
جاريا على وفق الحكمة والنظام الاكمل لما بين ذلك في مظانه من العلم الالهي لا جرم لم يكن ان يقع في الوجود شيء من افعاله او اقواله المنسوبة الى احد
طرفي التفريط والافراط بل كان على حاق الوسط منهما وهو العدل وقيل قضى بمعنى امر كقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وهو داخل
فيما قلناه فان ما امر بايجاده او نهى عنه داخل فيما حكم عليهم بوقوعه او عدم وقوعه السادس وعلم ما يمضي وما مضى معنى شأوه الى احاطة علمه
بكل الامور مستقبلها وماضيها وكليها وجزئيها وقد اشرنا الى ذلك فيما قبل السابع مبتدع الخلائق بعلمه ظ كلامه ناطق بان العلم هنا
سبب الابتداع من خلقه ولا شك ان السبب تقدم على المسبب من جهة ما هو سبب هذا هو مذهب جمهور الحكماء والخلاف فيه مع المتكلمين انه
قالوا ان العلم تابع للمعلوم والتابع يمتنع ان يكون سببا فالبناء على رأيهم اذن للاستصحاب وعلى الراي الاول للتسبب ونحن اذا حققنا القول
وقلنا انه لا صفة له تعالى تزيد على ذاته وعلمه وقدرته وارادته شيئا واحدا وانما تختلف بحسب اعتبارات تحدثها عقولنا الضعيفة بالقياس
الى مخلوقاته كما سبق بيانه في الخطبة الاولى لم يبق تفاوت في ان يستند الخلق الى ذاته او الى علمه او الى قدرته او غيرهما واما اثبات
ان العلم تابع للمعلوم حتى يمتنع ان يكون سببا له او متبوعا حتى لا يمتنع ذلك فيما حقق في مظانه والمسألة مما طال الخبط فيها بينهم ويحتمل ان يريد
بالابداع احكام الاشياء واتقانها بحيث يكون محل التعجب يقال هذا فعل بديع ومنظر بديع اى معجب حسن فكان ذلك منسوبا الى
العلم ولذلك يستدل باحكام الفعل واتقانه على علم فاعله الثامن ومنشئهم بحكمه اى بحكمته وهو قريب من الذى قبله ويحتمل
ان يريد حكم قدرته على الموجودات بالوجود وهو ظ ومؤكد لا اقتداء ولا تعليم اى لم يتبع مبدعا او منشأ للخلق على وجه اقتداء له

بغيره

في حمد الله باعتبار الابتداء الاول

ج ٩ م

بغيره ممن سبقه الى ذلك ولا على وجه التعلم منه والاقتداء اتم من التعلم وقوله ولا اصابه خطأ اى لم يكن انشاؤه الخلائق ولا اتفاقا على سبيل الاضطرار والخطأ من غير علم منه ثم علمه بعد ذلك فاسند ذلك فعله واحكم فاصاب جهة المصلحة فيه والاصابة بمعنى الاصابة التى الاصابة من لواحق ذلك الخطأ وبمثل هذا اعترض المتكلمون على نفسهم حيث اسند لوا على كونه عالما بكل معلوم فقالوا انه فاعل علم بعض الاشياء الا من طريق اصلا الا من جهة النظر واستدلال اوجب ان يعلم سايرها كان لا تخصيص ثم سالوا انفسهم فقالوا لم زعمتم ذلك ولم لا يجوز ان يكون فعل افعاله مضطرا ثم ادركها فعلم كيفية صنعها بطرق كونه انه منه وكالحاكم حكمها بعد اختلالها واضطرابها ثم اجابوا عن ذلك بانه لا بد ان يكون قبل ذلك عالما ببعضها منها من غير طريق فوجب ان يعلمها باسرها كاملة لعدم التخصيص وهذا الجواب فاسد لان مفهومه انه لم يكن من فعله كالاجزاء التى لا يجرى على راى المثبتين فاسد كلا فانما في علمه بها بل فيما كان من فعله ولا يلزم من العلم بمفردات الفعل العلم بالفعل وان كانت من فعله فقولكم لا بد ان يكون عالما بمفرداتها قبل فعلها مصادرة على المطلوب والجواب الحق انه لو علمها بعد ان لم يعلمها لكان علمه بها حادثا لانه فكان محلا للحوادث وهو ممتنع لما سبق وقوله ولا حضره ملأ اى لم يكن خلقه لما خلق بحضرة جماعة من العقلاء بحيث يشير كل منهم عليه براى وبعينه بقول في كيفية خلقه حتى يكون اقرب الى الصواب لان كل جماعة فرضت فهى من خلقه فلا بد ان نفتقد بعد الامور لا يحضره احد ولان ذلك يستلزم حاجته الى المعين والظهير والحاجة تستلزم الامكان المنزه قدسه عنه والبينة الاشارة بقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا وكل ذلك تنزيه لفعله عن كيفيات افعال عباده ثم اردف ذلك باقتصاص لحوال الخلق حال ابتعاث الله رسوله صلى الله عليه وآله والواو في قوله والناس للحال والناس يضربون عن عنه مغفلة في جهاله وهو كناية عن غفلتهم على جهل منهم بما ينبغي لهم من وجوه المصير و يحتمل انه يريد ويضربون في شدة وذلك ان العرب كانت في شدايد من ضيق المعاش والنهب والغارات وسفك الدماء كما قال تعالى فيما ابلغ ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله نذيرا للعالمين واميناعلى التنزيل وانتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار الفصل وكل قوله ويموجون في حيرة كناية عن ترددهم في حيرة الضلال والجهل وفي حيرة من الشدايد المذكورة وقوله قد قادتهم ازمة الحين اى قد تداعوا للموت والفناء من كثرة الغارات وشدايد سوء المعاش وظلم بعضهم لبعض لان الناس اذا لم يكن بينهم نظام عدل ولم يجر في امورهم قانون شرعي اسرع فيهم ظلم بعضهم لبعض واستلزم ذلك فناؤهم ولما استعار لفظ الازمة رشح بذكر القود وقوله واستغلقت على افئدتهم اقفال الريبة اراد بالريب الجهل وتغطيته لعقولهم عن انوار الله تعالى والاستضاءة باضواء الشريعة واستعار لفظ الاقفال لغواشي الجهل والهيئات الرديئة المكتسبة من الاقبال على الدنيا ومحبة المشاهدة ان تلك مانعة للقلب حاجبة له عن قبول الحق والاهتداء به كما تمنع الاقفال ما تغلق عليه من التصرف ورشح بذكر الاستغلاق واتى بلفظ الاستفعال لان ذلك لم يكن احداثا في الزيادة ومنتقلا من حال الى حال فكان بمعنى الطلب للتمام ثم عقب بالوصية بتقوى الله على جزيء عادته لانها راس كل مطلوب ورغب فيها بكونها حق الله عليهم اى الامر المطلوب له المتحقق عليهم وبكونها موجبة على الله حقهم وهو جزاء طاعتهم له الذى اوجبه على نفسه ولزم عن كماله اذا الانقياد فضيه بالخير بحسب استعدادهم له بالتقوى ثم اشار الى ما ينبغى المتمسك الى التقوى وهو ان يستعين على قطع عقباتها بالله والانقطاع اليه ان يعينه عليها ويوفقه فان الانقطاع الى معونته والالتفات اليه مادة كل مطلوب ثم الى غايتها وهي الاستعانة بها على الله تعالى ولما كان المطلوب منه الوصول الى ساحل عزته والنظر الى وجهه الكريم والسلامة من غضبه وغاية رجيا بما هو نعم الحاكم الاول كانت التقوى اجل ما يستعان به لحصول تلك المطالب كان السبب من استعانتها على دفع شدايد حلى الاخرة فانه لا خلاص منها الا بها ثم عقب ذكرها ببيان ما يستلزمه من الامور المرغوب فيها منها كونها في اليوم اى في مدة الحيوة حرزا وجنة اى من المكاره الدنيوية لقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له من امره مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه وفي غد اى يوم القيمة الطريق الى الجنة ومنها كون سلكها واضحا وظاهرا اى الشارع صلى الله عليه وآله اوضح طرق التقوى وكشف سبلها حتى لا يجهلها الا جاهل ومنها كون سالكها رابحا واستعار لفظ الربح لما يحصل عليه المتقى من ثواب التقوى في الدنيا والاخرة ووجه الاستعارة انه كما ان التاجر يستفيد ما له ليستفيد الربح كذلك المتقى ومنها كون مستودعها حافظا والمستودع بالفتح قبل او بعد ويكسرها فاعلها والمراد على الرواية بالفتح كون فاعلها حافظا لنفسه بها من عذاب الله او يكون حافظا بمعنى محفوظ وعلى الثانية فالمستودع لها اما الله سبحانه اذ هى الامانة التى عرضها على السموات والارض فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان والظاهر كونه تعالى حافظا على العبد المستودع احوالهم فيها من تفريطه وتقصيره او امانته ومحافظته عليها واما الملائكة الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين خلقه وكونهم حفظة كما قال تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله لم تبرح عارضة نفسها الى قوله الغابرين كلام لطيف واستعارة وصف كونها عارضة نفسها ووجه الاستعارة كونها مهيئة لان تقبل ويقصد ان ينتفع بها كالمراة الصالحة التى تعرض نفسها للتزويج والانتفاع بها ثم علل كونها لم تبرح كذلك بحاجة الخلق اليها غدا اى يوم القيامة وعينا فيها بكونها محتاجا اليها ويحتمل ان يدخل ذلك في حيز التشبيه وقوله اذا عاد الى قوله اسكن

كالقرينة المخرجة لفظه عن حقيقته الى المجاز وهو يوم القيامة ويعين له بانه الوقت الذي يعيد الله فيه ما كان ابداه من الخلق وبأمره فيه
ما كان اعطاهم من الوجود الدنيوي ولواحقه ويقول لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وفي الحديث ان الله تعالى يجمع كل ما كان في الدنيا
من الذهب والفضة فيجعله امثال الجبال ثم يقول هذا فتنة بني آدم ثم يسوقه الى جهنم فيجعله مكاوي لجباه المجرمين ويسألهم فيما اكتسبوا
اليهم فيه من نعمه فيسأل من ادخرها لم ادخرها ولم ينفقها في وجوهها المطلوبة لله ويسأل من انفقها في غير وجهها فيقول اذهبتم
طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها ويجازي الاولين بادخارها كما قال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم الاية ويجازي الاخرين بصرفها في غير وجهها كما قال فاليوم تجزون بما كنتم
تعملون وقوله فما اقل من قبلها تعجب من قلة من قبل التقوى بينهم وحملها حق حملها اي اخذها وحفظها بشرائطها واستعد بها لتأدي
امانة الله فيها اذ هي الامانة المعروضة ثم حكم بكون قابليها وحامليها هم اقل الناس عددا وانهم اهل صفة الله اي الذين وصفهم الله
تعالى بقوله وقليل من عبادي الشكور ثم امرهم فيها باوامر احدها ان يهطعوا باسماعهم اليها اي يسرعوا الى سماع وصفها وشرحها ليعرفوها
فيعملوا على بصيرة الثاني ان يواكظوا عليها بجدهم اي يداوموا عليها ويلازموها باجتهاد منهم وروي فانقطعوا باسماعكم اليها اي انقطعوا
عن علائق الدنيا واصغوا باسماعكم الى سماع وصفها فكان احد الروايتين تصحيف الاخرى لان النون والقاف اذا تقاربا اشبها
الهاء في الكتابة الثالث ان يعتاضوها خلفا عن كل محبوب في الدنيا سالف لهم ونعم الخلف مما سلف اذ كانت المطالب الحاصلة بها انفس
المطالب وهي السعادة الابدية وخلفا مصدر وسد مسد الحال الرابع ان يعتاضوها من كل مخالف لهم موافقا والمراد ان كل من كان
موافقا لك ثم خالفك في امر من الامور فينبغي ان يكون على طريق الحق والتقوى في ذلك الامر ولا يميل مثل مخالفك فان التقوى
نعم العوض من مخالفك ونحوه ما قال افلاطون الحكيم سقراط حبيبنا والحق حبيبنا واذا اختلفا كان الحق احب الينا الخامس ان
يوقظوا بها نومهم قال بعض الشارحين اراد ان يوقظوا بها نوامكم فاقام المصدر مقام اسم الفاعل بمجاز لما فيه من التضاد في انفسهم
قلت ويحتمل ان يريد بقوله ايقظوا اي اطردوا بتقوى الله عباد الله نومكم في ليلكم واحيوه بها فاستعمل لفظ الايقاظ لافادة
ذلك المعنى اذ كان الامر بايقاع احد الضدين في محل يستلزم الامر بنفي الضد الاخر عن ذلك المحل مجازا من باب اطلاق اسم
الملزوم على اللازم لما بينهما من التضاد ويحتمل ان يريد بالنوم نوم الغفلة والجهل وبايقاظ النائمين منهم تنبيههم بها من نوم
الطبيعة واعدادهم باجزاء العبادة وفوائدها للحصول لكمالات العلمية والعملية على سبيل الاستعارة ووجهها ظاهر مما سبق السادس
وان يقطعوا بها يومهم اي يقطعوا بالاشتغال بها نهارهم السابع ان تشعروها قلوبهم اي يجعلوها شعار القلوب و
يلبسوها اياها كما يلبس الشعار ولفظ الشعار مستعار لها ووجه الاستعارة كون التقوى الحقيقية تلازم النفس وتتصل بالقلب
كما يتصل الشعار بالجسد ويحتمل ان يريد اجعلوها لازمة لقلوبكم لتتميز بها عن قلوب الظالمين ويحتمل ان يريد اشعروها قلوبكم
اي اعلموها واجعلوها شاعرة بها فضائلها ولوازمها الثامن ان يرحضوا بها ذنوبهم اي يغسلوها بالاشتغال بالتقوى
ولفظ الرحض مستعار باعتبار كون التقوى ماحية لدرن الذنوب والهيئات الرديئة عن الواح النفوس كما يمحو الغسل
درن الثوب واوساخه التاسع ان يداووا بها الاسقام اي اسقام الذنوب وامراض القلوب كالجهل والشك والنفاق والرياء
والحسد والكبر والبخل وجميع رذائل الاخلاق التي هي في الحقيقة الاسقام المهلكة ولاشتمال التقوى على جميع الاعمال الجميلة
والملكات الفاضلة كانت دواء لهذه الاسقام وشفاء لا يعقبه داء العاشر ان يبادروا بها الحمام اي يبادروه ويسابقوه بها
وقد سبق بيانه في الخطبة السابقة الحادي عشر ان يعتبروا بمن اضاعها اي ينظروا الى الكلام السابق وقبله بمن اضاع التقوى و
تفكروا في حاله كيف اضاعها الامر لم يبق له وقت لتدارك ما طلب ولم يدرك ما فيه رغب ثم حصل بعد الهلاك على سوء المنقلب فيحصلوا
من ذلك عبرة لانفسهم فيحملوها على التقوى خوفا مما نزل بمن اضاعها من الخيبة والحرمان والرجوع الى دار الهوان الثاني عشر ان
يجعلوا انفسهم عبرة لمن اطاعها اي انقاد للتقوى ودخل فيها او اطاع موجبها فحذف المضاف فالمراد نهيهم ان يدخلوا في زمرة
من اضاعها فيكونوا عبرة لمن اطاعها فهي عن لازم الاضاعة وهو اعتبار غيرهم بهم وصورة ذلك النهي وان كانت متعلقة بغيرهم الا
انه كناية عن نهيهم عما يستلزم عبرة الغير بهم وهو اضاعة التقوى لان النهي عن اللازم يستلزم النهي عن الملزوم وهذا كما تقول
لمن تنصحه لا يضحك الناس منك اي لا تفعل ما يستلزم ذلك ويوجبه منهم الثالث عشر ان يصونوها وصيانتها شدة التحفظ
فيها من خلطها برياء او سمعة ومزجها بشيء من الرذائل والمعاصي الرابع عشر ان يتصونوا بها اي يتحفظوا بها عن الذنوب والرذائل
ويتنزهوا ويتحرزوا بالاستعداد بها من لحوق العذاب في الاخرة الخامس عشر ان يكونوا عن الدنيا نزاها اي متنزهين عما حرم الله
عليهم وكرهه مما يوجب لهم الذم عاجلا والعقاب اجلا وهو امر بالتقوى ايضا السادس عشر ان يكونوا الى الاخرة ولاها اي محبين
من شدة الشوق اليها وذلك مستلزم للامر بالتقوى والانقطاع عن الدنيا الى الاعمال الصالحة لانها هي السبب في محبة الاخرة

والرغبة الثامنة فيما عند الله السابع عشر انه لا يضعوا من رفعته التقوى ووضعه اما بقول كذموا لاستهزاء به او بفعل كضربه او فعل
ما يستلزم اهانته او ترك قول او ترك فعل يستلزم ذلك ولما كان كل ذلك منافيا للتقوى وداخلا في ابواب الرذايل الاجوبة نهى
عن ان يضعوه وهو وضع من رفعته التقوى لاستلزام رفع اللازم رفع الملزوم الثامن عشر انه لا يرفعوا من رفعته الدنيا واراد من كان رفعته
ووجاهته عند الخلق بسبب الدنيا والمنا شيء منها والتقدير من رفعته اهل الدنيا فحذف المضاف واسند الرفع الى الدنيا
مجازا لانها الرافع والمعظم له هم الناس ولما كان من رفعته الدنيا غالبا لا عن التقوى كان الميل اليه واحترامه ومحبته يستلزم المحبة
للدنيا والميل اليها وكان منهيا عنه وكان الاعراض عنه وعدم توقيره زهدا في الدنيا واهلها وهو من جملة التقوى فكان مامورا
به التاسع عشر نهى عن شيم بارقها استعار لفظ البارق لما يلوح للناس في الدنيا من مطامعها ومطالبها ووصف الشيم لتوقع
تلك المطالب فيها وانتظارها والتطلع اليها على سبيل الكناية عن كونها كالسحابة التي يلوح بارقها فيتوقع منها المطر العشرون وعن سماع
ناطقها وكنى بناطقها عن مادحها وما يكشف وصفها وزينتها من قول وفعل او زينة او متاع وبسماعه عن الاصغاء والميل اليه وتصديق
مقاله وتصويب شهادته فانها هي التي ينبغي ان يقتني ويدخر ويغتني بها الى غير ذلك فان كل ذلك سبب للعدول عن التقوى و
طريق الاخرة الى طرق الهلاك الحادي والعشرون وعن اجابة ناعقها وكنى بناعقها عن الداعي اليها والجاذب بما ذكرنا وباجابته
عن موافقته ومتابعته الثاني والعشرون والاستضاءة باشراقها واستعار لفظ الاشراق لوجوه المصالح الداعية اليها والاراء
الهادية الى طرق تحصيلها وكيفية التسوق فيها ووصف الاستضاءة للاهتداء بتلك الاراء في طلبها ووجه المشابهة ان تلك الاراء يهتدى بها
الى تحصيلها كما يهتدى بالاشراق المحسوس وهذه القرينة غير القرينة المعنى من القرينتين قبلها ويحتمل ان يريد باشراقها ما يبتهج به من زينتها
وانوارها التي يبتهج بها وبالاستضاءة بتلك الابتهاج والالتذاذ على سبيل الاستعارة ووجهها مشاركة زينتها للضياء في كونه سببا لمد الارواح
بانسها الثالث والعشرون ومن الفتنة بعلاقتها واعلاقها ما يعدونها نفيسا من قنيانها ومتاعها وهو مستلزم للنهي لهم عن محبة التي
والانهماك في لذاتها لان ذلك هو الفاتن لهم والمضل عن سبيل الله وهو سبب بلائهم ومحنتهم واليه الاشارة بقوله تعالى انما اموالكم واولادكم
فتنة قال المفسرون بلاء ومحنة عن الاخرة والانهماك بسبب المال والولد يقع في العظايم ويتناول الحرام الا من عصمه الله وعن ابي بريدة قال
كان رسول الله ص يخطبنا يوما فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ص عن المنبر فحملهما ووضعهما
بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى نزلت اليهما
ورفعتهما ثم اردف ذلك بتعداد معايبها وصفاتها المنفرة عنها معللا بها ما سبق من نواهيه عنها فقوله فان برقها خالب تعليل لنهيه
عن شيم بارقها واستعار وصف الخالب للبارق اللايح من مطامعها ووجه المشابهة كون مطامعها واما لها غير مدركة وان ادرك بعضها
ففي معرض الزوال كان لم يحصل فاشبهت البرق الذي لا ماء فيه وان حصل معه فضعيف غير منتفع به فلذلك لا ينبغي ان يشام بارقها
وقوله نطقها كاذب تعليل لنهيه عن سماع نطقها اي النطق الحاصل في معناها في مدحها وانها مما ينبغي ان يطلب ويدخر ووصف
نفسها ولسان حالها الذي تغتر به الاوهام الفاسدة وكونه كذبا كناية عن عدم مطابقة تلك الوصف بحالها في نفس الامر
وقوله واموالها محروبة تعليل لنهيه عن الاستضاءة باشراقها اي لا ينبغي ان تستعمل الاراء الحسنة والحيل في تحصيل اموالها اولا
ينبغي ان يحب زينتها واموالها ويبتهج بها فانها ماخوذة وقوله واعلاقها مسلوبة تعليل لنهيه عن الافتنان باعلاقها ويحتمل
ان تكون هذه القرينة مع التي قبلها تعليل للنهي عن الفتنة باعلاقها ثم اردف تلك الاوصاف بالتنبيه على اوصاف اخرى ونقايص
لها مستعارة تنفر بها عنها احدها انها المتصدية العنون قال بعض الشارحين هو استعارة ووصف المرأة الفاجرة التي من شانها
التعرض للرجال لتخدعهم عن انفسهم ويحتمل ان يكون استعارة لوصف الفرس والناقة التي تمشي في الطريق معترضة خابطا وقوله العنون
استعارة لوصف الدابة المتقدمة في السير كنى بهما عن لحوق الدنيا بالدابة تكون كذلك ووجه المشابهة في الوصف الاول ان الدنيا
في تعرضها واحوالها غير مضبوطة ولا جارية مع الانسان على حال واحد فاشبهت الناقة التي تعترض في طريقها وتمشي على غير استقامة
ووجه الشبه في الثاني ان مدة الحيوة الدنيا في غاية الاسراع وشدة السير باهلها الى الاخرة فاشبهت السريع من الدواب المتقدمة في سيرها
الثاني الجامحة الحرون استعار وصف الجماح لها باعتبار كونها لا تملك لاهلها ولا بنقيادهم كما لا ينقاد الحرون لراكبها وكذلك وصف
الحرون باعتبار عدم انقيادهم لاهلها وعدم قدرتها على تصريفها احوج ما يكونون اليها الثالث المائنة الخؤون فاستعار وصف
الكاذبة لها باعتبار عدم مطابقة اغترارها للناس بزينتها ومتاعها وتوهمهم عن ذلك بقائها ونفعها لما عليه الامر في نفسه اذ كان
عن قليل ينكشف كذبها فيما غرتهم به وكذبت ظنهم فيها وكذلك وصف الخؤون باعتبار عدم وفائها لمن غرته وخدعته عن نفسه
بزينتها فكانها لذلك اعطته عهدا بدوامها له فخانته بزوالها عنه ولم يحصل نفعه بعهده الرابع والجحود الكنود واستعار لها هذين
الوصفين ملاحظة لشبهها بالمراة التي تكفر نعمة زوجها وشكر صنيعه ويكون من شانها الغدر وذلك ان الدنيا من شانها [illegible]

عمن رغب فيها وسعى لها واجتهد في عمارتها واظهار زينتها ويكون سببها الاكثر ثم تنتقل عنه الى غيره الخامس لفظ الصدود
فاستعار وصف الصدود لها باعتبار عدم وفائها عن حال استقامتها على الاحوال المطلوبة للناس واعراضها عن سنن مقصودهم منها
كالناقة التي تعرض عن المرعى المعتاد للابل وتزجي حائدة وكذلك الصدود باعتبار كثرة اعراضها عمن طلبها ورغب فيها السادس الحيود
الميود فاستعارة وصف الحيود ظاهرة واما وصف الميود فباعتبار ترددها في ميلها بالتشبيه الى بعض اشخاص الناس من حال
الى اخر فتارة لهم وتارة عليهم ويحتمل ان لا يكون فيه اعتبر قيد التردد بل اراد مطلق الحركة استعارة لكثرة تغيرها وانتقالها السابع
حالها انتقال اخبار عن حالها بانها انتقال اي من شخص الى اخر ومن حال الى حال وقال انها كما قال بعض الشارحين يجوز ان
يريد بان شيمتها وسجيتها الانتقال والتغير ويحتمل ان يعني بالحال الحاضرة من الزمان وهو الآن ويكون مراده ان التي يحكم
عليه العقلاء بالحضور منها ليس بحاضر بل هو سيال متغير لا ثبوت له في الحقيقة كما لا ثبوت للماضي والمستقبل الثامن و
وطاتها زلزال استعار لفظ الوطاة لاصابتها بعض شدائدها ووجه الاستعارة استلزام اصابتها بذلك الهلاك والضر لمن اصابته
والثقل عليه كما يستلزم وطاة الثقيل من الحيوان ذلك واستعار لفظ الزلزال لاضطراب احوال من تصيبه بمكروهها كاضطراب
الارض بالزلزال التاسع وعزها ذل اي العز الحاصل عنها لاهلها بسبب كثرة قنياتها كعزة ملوكها ومتفقهم ذل في الاخرة واطلق
عليه لفظ الذل اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه او تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه اذ كان العز بالدنيا والتوليها مستلزما للانحراف
عن الدين والتقوى الحقة وذلك مستلزم للذل الاكبر عند لقاء الله واليه الاشارة بقوله تعالى حكاية عن المنافقين لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ونقل المفسرون ان القائل لذلك
عبد الله بن ابي والاعز يعني نفسه والاذل يعني رسول الله صلى الله عليه وآله فرد الله تعالى عليه بقوله فلله العزة ولرسوله الاية العاشر وجدها هزل
استعار لفظ الجد وهو القيام في الامر بعناية واجتهاد لاقبالها على بعض اهلها بخيراتها كالمعتني المجتهد في حال صديقه ولادبارها
عن بعضهم واصابتها له بمكروهها كالعدو والقاصد لهلاك عدوه واستعار لفظ الهزل الذي هو ضده ووجه الاستعارة
كونها عند اقبالها على الانسان كالمعتنية بحالها او عند اعراضها عنه ورميه بالمصائب كالقاصد لذلك ثم تسرع انتقالها
عن تلك الحال الى ضدها فهي في ذلك كالهازل اللاعب ويحتمل ان يريد بجد اهلها هزل اي عنايتهم بها واجتهادهم في تحصيلها
يشبه الهزل واللعب في سرعة تغيره وانتقاله عنهم بزوالها فاستعار له لفظه الحادي عشر وعلوها سفل اي العلو الحاصل بسببها
او علو اهلها على غيرهم بقنياتها ومقتنياتها واخبر عنه بانه سفل لاستلزامه السفل والانحطاط المرتبي في الاخرة يعني اهلها وهو كقوله
كقوله وعزها ذل الثاني عشر كونها دار حرب كقوله اموالها محروبة واراد كونها مظنة ان تسلب قنياتها عن اهلها بالموت وغيره
واستعار لفظ السلب لما فيها من القنيات ووجه المشابهة كون ما فيها يسلب عن اهلها في كل زمان ويصير لمن بعدهم كدار الحرب
وكذلك ونهب وعطب الثالث عشر كون اهلها على ساق اي على شدة وهو ظاهر اذ كل ما عددناه من اوصافها من المحروب والسلب والعطب
والعطب شدائد على اهلها وقال قطب الدين الراوندي اراد بكونها على ساق ان بعضهم يتبع اثر بعض الى الاخرة فاشبه ذلك
قولهم ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق اي ليس بينهم انثى وانكره ابن ابي الحديد وكنى بالساق عن الامر الشديد قال بعض الشارحين
ويحتمل ان يكون مصدر قولك ساقه سياقا اي انهم مسابقون الى الاخرة ولحاق بفتح اللام اي يلحق بعضهم بعضا في الموت والعدم
وفراق يفارق بعضهم بعضا وهو كقولهم الدنيا مولود يولد ومفقود يفقد ويحتمل ان يريد باللحاق لحاق الاحياء للموتى في العدم
الرابع عشر كونها قد تحيرت مذاهبها ولم يرد بمذاهبها طرقها المحسوسة ولا الاعتقادات بل الطرق العقلية في تحصيل خيرها و
دفع شرها واسند الحيرة الى المذاهب مجازا اقامة للعلة القابلة مقام العلة الفاعلة اذ الاصل تحير اهلها في مذاهبها الخامس عشر
واعجزت مهاربها اي واعجزت من طلبها فحذف المفعول لان الغرض ذكر الاعجاز ومهاربها مواضع الهرب من شرورها السادس
عشر وخابت مطالبها استعار وصف الخيبة للطالب ووجه المشابهة عدم حصولها بعد ظهورها للاوهام وتعلق الامال بها
فاشبهت من وعد بحصول شيء لم يف به ثم عقب بذكر بعض احوالها من مطالبها وهي تسلم المعاقل لهم واستعار لها لفظ الاسلام
باعتبار كونها لا تحفظهم من الرزايا ولا تحصنهم من سهام المنايا فاشبهت في ذلك من اسلم الملتجي اليه وتخلى عنه لعدوه ولكون
ذلك لازما عطفه بالفاء وكذلك لفظ المنازل لهم مستعار باعتبار خروجهم منها بالموت فهي كالاقفة الملقية لهم ثم فصلهم باعتبار الوقف
شرها لاحيائهم واموانهم الى اصناف احدها ناج معقور واراد الباقين فيها وكنى بالمعقور عمن رمته بالمصائب منها المشبهة للعقر
الثاني ولحم مجزور واراد منهم من صار لحما مجزورا الثالث وشلو مذبوح واراد وذي شلو مذبوح اي قد صار بعد الذبح اشلاء متفرقة
ويحتمل ان يكون مذبوح صفة للشلو واراد بالذبح مطلق الشق كما هو في اصل اللغة الرابع ودم مسفوح اي وذي دم مسفوح
الخامس وعاض على يديه وهو كناية عن ندم الظالمين بعد الموت على التفريط والتقصير اذ كان من شان النادم ذلك السادس و

صافي

في بيان الخطبة القاصعة

اي حامل مرفقيه تحت خديه

ج ٩ ص

وصافق بكفيه اي ضارب احديهما على الاخرى ندما السابع وكك مرتفق لخده اي فعل النادم الثامن ولذلك وزار على رأيه اي رأيه
الذى انتضى له السعي في جمع الدنيا والالتفات اليها بكليته حتى لزم من ذلك اعراضه عن الاخرة مخافى بسبب ما كسب فاذا انكشف له بعد
الموت لزوم العقاب وظهرت له سلاسل الهيئات البدنية واغلالها في عنقه علم ان كل ذلك ثمرة ذلك الرأى الفاسد فازدرا
عليه وعابه وانكره التاسع وراجع عن عزمه اي ما كان عزم من عمارة الدنيا والسعي في تحصيلها وبالموت تحلل تلك العزوم ويرجع عنها
وقوله وقد ادبرت الحيلة الواو للحال من الضمير في رجع اي وراجع عن عزمه حال انه قد ادبرت حيلته وهذه الحال معتبرة لمثلها عن الضمائر
المرفوعة في غاض وصافق ومرتفق وزار وقوله واقبلت الغيلة اي اخذتهم الى جهنم واهلاكم فيها على غرة منهم من تلك الاخذ وقال بعض
الشارحين يحتمل بالغيلة الشر بمعنى الغائلة وقوله ولات حين مناص في موضع الحال والعامل اقبلت واقبل الهلاك والشر حال انه
ليس لهم وقت فرار ولا تأخر عنه كقوله تعم كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص اي فنادوا مستغيثين حال انه ليس الوقت
وقت تخلص ومفر وقوله هيهات هيهات اي بعد الخلاص والفرار والخبر مكرر للتأكيد وهو في مقابلة قول الكفار المنكرين لاحوال
المعاد هيهات هيهات لما توعدون وكالجزاء بعد الموت وقوله وقد فات ما فات الى قوله ذهب اي فات ما كنتم تمنون من احوال الدنيا
التي تمنون الرجعة اليها فلا رجوع لها ونحوه قوله تعم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا الاية وقوله ومضت الدنيا لحال بالها كلمة بحيث
بها عن مضي او يوم بالمضي اي مضت عنهم الدنيا لحال بالها ونحوه قوله بمعنى اذ امضى الاول لسبيله وقوله امض لشأنك اللام للعرض
فكانه استعار لفظ البال بمعنى القلب ملاحظة لشبهها بمن يمضي لغرض نفسه وما يهواه قلبه ويحتمل ان يريد بالبال الحال ليصح وجود
الاضافة لاختلاف اللفظين وقال بعض الشارحين اراد بحال بالها ما كانت عليه من رخائها وسهولتها على اهلها وقوله واقبلت
الاخرة اي ببشدتها وصعوبتها ثم ختم بالاية اقتباسا والمعنى انهم لما ركنوا الى الدنيا فخانتهم ما فعلت وحصلوا على ما حصلوا عليه
من البلاء هذه ولت عنهم لشأنها فما بكت عليهم السماء والارض قال بعض المفسرين اراد اهل السماء وهم الملائكة واهل الارض حذف
المضاف وهو كناية عن كونهم لا يستحقون ان يتأسف عليهم والان تبكون وقيل اراد المبالغة في تحقير شأنهم لان العرب كانت تقول في
عظيم القدر يموت بكته السماء والارض فنفى عنهم ذلك واراد ليسوا ممن يقال فيهم مثل هذا القول وعن ابن عباس رضي الله عنه لما قيل
له اتبكي السماء والارض على احد فقال يبكيه مصلاه في الارض ومصعد عمله في السماء فيكون نفي البكاء عنهم كناية عن انه لم يكن لهم في
الارض موضع عمل صالح حتى يكون له مصعد في السماء فلم تبك عليهم ونحوه عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من مسلم الا وله بابان
باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه الى الارض فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله عز وجل فما بكت عليهم السماء والارض واعلم
ان اطلاق لفظ البكاء على السماء والارض مجاز في فقدهما لما ينبغي ان يكون فيهما من منافع المؤمنين حيث اطلقا الاسم الملزوم على لازمه وبالله
التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ومن الناس من يسمى هذه الخطبة القاصعة وهي تتضمن ذم ابليس على استكباره
وتركه السجود لادم عم وانه اول من اظهر العصبية وتبع الحمية وتحذير الناس من سلوك طريقته وفيها فصول **الفصل الاول**
قوله الحمد لله الذى لبس العز والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه وجعلهما حمى وحرما على غيره واصطفاهما لجلاله وجعل
اللعنة على من نازعه فيهما من عباده ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين فقال سبحانه وهو العالم
بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة
كلهم اجمعون الا ابليس اعترضته الحمية فافتخر على ادم بخلقه وتعصب عليه لاصله فعدو الله امام المتعصبين وسلف المستكبرين
الذى وضع اساس العصبية ونازع الله رداء الجبرية وادرع لباس التعزز وخلع لباس التذلل الا ترون كيف صغره الله
بتكبره ووضعه بترفعه فجعله في الدنيا مدحورا واعد له في الاخرة سعيرا ولو اراد الله سبحانه ان يخلق ادم من نور يخطف
الابصار ضياؤه ويبهر العقول رواؤه وطيب يأخذ الانفاس عرفه لفعل ولو فعل لظلت له الاعناق خاضعة ولخفت البلوى
فيه على الملائكة ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون اصله تمييزا بالاختبار لهم ونفيا للاستكبار عنهم وابعادا للخيلاء
منهم **اقول** نقل في سبب هذه الخطبة ان اهل الكوفة كانوا في اخر خلافته قد فسدوا وكانوا قبائل متعددة فكان الرجل يخرج من
منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة اخرى فيقع به ادنى مكروه فيعتزى الى قبيلته وينادى باسمها مثلا يا للنخع او يا لكندة نداء عاليا يقصد به
الفتنة واثارة الشر فيتألب عليه فتيان القبيلة التي قد مر بها وينادون يا لتميم يا لربيعة ويضربونه فيمر الى قبيلته ويستصرخ بها و
تسل بينهم السيوف وتثور الفتنة ولا يكون لها اصل في الحقيقة ولا سبب يعرف فكثر ذلك منهم فخرج عم اليهم على ناقة فخطبهم هذه الخطبة اذا
عرفت ذلك فنقول القصع ابتلاع الماء والجرة وقصعت الرجل قصعا صغرته وحقرته وقصعت هامته اذا ضربتها ببسط كفك ووضع
الله شيئا اذا بقي فينا فهو مقصوع لا يزداد واصل هذه الكلمة للتصغير والتحقير والجبرية والجبروت الكبر وادرع لبسه كالدرع والدرع
الطرد وخطف بالكسر يخطف اخذ البصر بسرعة استلابا ونهر العقول اي يغلب نوره انوارها ويخفيها والرواء المنظر الحسن والعرف

ومصافق بكفيه ...

في بيان الخطبة القاصعة

الواجبة الطينة والخيلاء الكبر والاحباط الابطال والجهد بفتح الجيم الاجتهاد والمحاولة الصلح وقد ذكر الشارحون في تسمية هذه الخطبة القاصعة وجوها اهمها
وهو اوفقها انه عليه السلام كان يخطبها وهو على ناقته وهي تقصع بجرتها فجاز ان يقال ان هذه الحال لما نقلت عنه في اثناء هذه الخطبة نسبت
الخطبة الى الناقة القاصعة فقيل خطبة القاصعة ثم كثر استعمالها فجعلت من صفات الخطبة نفسها او لان الخطبة عرفت بهذه الصفة
لملازمة قصع الناقة لانشائها والعرب يسمي الشيء باسم ملازمه الثاني انما سميت بذلك لان المواعظ والزواجر فيها متتابعة فاشبهت
جرات الناقة وتتابعها الثالث سميت بذلك لانها هاشمة كاسرة لابليس مصغرة له ومحقرة لكل جبار وهو وجه حسن ايضا الرابع لانها
تسكن نخوة المتكبرين وكبرهم فاشبهت الماء الذي يسكن العطش فيكون من قولهم قصع الماء عطشه اذا سكنه واذهبه واعلم ان مدار هذه
الخطبة على النهي عن الكبر والتوبيخ عليه وعلى ما يلزمه من الحمية والعصبية لغير الله ثم ليكون الناس على ضد ذلك من التواضع و
الرفق وقد علمت في المقدمات ان من شأن الخطيب ان يورد في صدر الخطبة ما ينبه على المطلوب الذي يورده ليقبل عليه
السامعون لما يريده اجمالا فلذلك صدر عليه السلام الخطبة بنسبة العز والكبرياء والعظمة الى الحق تعالى والى بره وهو الله تعالى واشار الى
ان ذلك خاصته له وحرام على غيره وذكر ابليس وقصته مع آدم في حسده لآدم وتكبره عليه ليترتب على ذكره وذمه سلك الرذيلة
النهي والتحذير عن ارتكابها وليحصل التنفير عنها له اذ كان بذلك ملعونا مطرودا على السنة الانبياء باسرهم واذ كان مدار الخطبة
ذم الكبر والنهي عنه فلنشير الى حقيقته في الانسان اولا ثم الى ما يلزمه من الآفات الى الذمائم الواردة فيه فنقول اما حقيقته فهي هيئة
نفسانية تنشأ عن تصور الانسان نفسه اكمل من غيره واعلى رتبة وذلك الكبر يعود الى ما يحصل للنفس عن ذلك التصور من
النفخ والهزة والتعزز والتعظم والركون الى ما تصوره من كمالاتها وشرفها على الغير ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله اعوذ بك من نفخة
الكبر وهي رذيلة تحت الفجور تقابل فضيلة التواضع وما يلزم عن ذلك التصور اعني تصور الانسان فضيلته على الغير ان قطع النظر فيه عن
قياسه على متكبر عليه وعن اضافته الى الله تعالى باعتبار انه منه ولم يكن خائفا من فوت تلك الفضيلة بل كان ساكنا اليها مطمئنا
فذلك هو العجب فاذن العجب هيئة تلزم عن تصور الكمال في النفس واستعظامه عن قياس المنعم به والركون اليه والفرح به مع الغفلة عن قياس النفس
الى الغير بكونها افضل منه وبهذا القيد الاخير ينفصل عن الكبر اذ كان لا بد فيه من ان يرى الانسان لنفسه مرتبة وللغير مرتبة ثم
يرى مرتبته فوق مرتبة غيره واما آفاته وهي ثمراته وما يلزم عنه من الاعمال والتروك فان هذا الخلق يوجب اعمالا اذا ظهرت على
الجوارح قيل تكبر فمنها باطنة كتحقير الغير وازدرائه واعتقاد انه ليس اهلا للمجالسة والمواكلة والانفة عن ذلك معه واعتقاد انه
يصلح ان يكون ماثلا بين يديه قائما بل قد يعتقد من هو اشد كبرا ان ذلك لا يصلح للمثول بين يديه وكالحسد والحقد عليه
وكنظر العالم المتكبر الى الجاهل العامي بعين الاستخفاف والاستجهال واما الظاهرة فكما تقدم عليه في الطرق والارتفاع عليه في
المجالس وكالابعاد عن مجالسته ومواكلته والعنف به في النصح والغضب عند رد قوله والغلظة على المتعلمين واذلالهم واستخدامهم
والغيبة والتطاول بالقول واما التروك فكترك التواضع والاستنكاف عن مجالسة من دونه ومعاشرته وعدم الرفق بذوي
الحاجات ونحو ذلك مما لا يحصى من الرذائل واما الذمائم الواردة فيه فهي كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية كقوله تعالى كذلك
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقوله واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقول الرسول صلى الله عليه وآله يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي
والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في جهنم وقوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا
عن الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين التي هي ابواب الجنة فالكبر والعجب يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان
يحب للمؤمن ما يحب لنفسه وفيه شيء من العزة ولا يتمكن من ترك هذه الرذائل وفعل اضدادها من الفضائل كالتواضع وكظم
الغيظ وقبول النصح والرفق في القول وغيرها وفيه شيء من العزة والكبرياء وما من خلق ذميم الا وصاحب العزة والكبر مضطر اليه ليحفظ
به عزه وما من خلق فاضل الا وهو عاجز عنه خوفا ان يفوته عزه فلذلك لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر وبعض الاخلاق
الذميمة مستلزم للبعض وشر انواع الكبر ما منع العلم واستعماله وقبول الحق والانقياد له اذا عرفت ذلك فنقول انه عليه السلام حمد الله تعالى
باعتبارات احدها لبسه العز والكبرياء ولما علمت ان الكبرياء لا بد فيه من امرين احدهما العلم بكمال الذات والثاني اعتبار الشرف
والعلو على الغير فكان هذان الاعتباران صادقين عليه تعالى اتم من صدقهما على كل موجود لا جرم كان بالكبرياء والعظمة احق من
كل موجود اما الاول فلانه لما كان كمال الذات عبارة عن الوجود وكماله فكان وجوده تعالى اتم الموجودات بحيث لم يفته من كماله شيء
بل كل ما ينبغي له فهو حاصل بالفعل لا جرم صدق عليه هذا الاعتبار اتم صدق واما الثاني فلان وجوده تعالى هو الوجود الذي
يصدر عنه وجود كل موجود عداه وهو تعالى عالم بجميع المعلومات كلياتها وجزئياتها فهو اذن عالم بكماله وشرفه على عبيده واستعار لفظ
اللبس باعتبار احاطة كماله بكل اعتبار له كما يحيط القميص والرداء بجسد لابسه الثاني كونه تعالى اختارهما لنفسه دون خلقه ومعنى
اختياره هنا تفرده باستحقاقهما اذ انه فان المستحق للعز والكبرياء بالذات ليس الا هو ودل على ذلك المنقول والمعقول واما

المنقول

في بيان الخطبة القاصعة

المقبول فقوله تعالى عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال والالف واللام هنا يفيد حصر الكبرياء والعلو فيه واما المعقول فلانه تعالى لما استحق ذلك
الاعتبار لذاته لا بامر خارج والا لكان مفتقرا الى الغير ثم ذم المتكبرين وتوعدهم في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه ثم حيث قال حكاية عنه
الكبرياء ردائي الخبر علمنا انه قد اختار الاختصاص بهما دون خلقه الثالث جعلهما حمى وحرما على غيره استعار لفظ الحمى والحرم باعتبار
اختياره لهما وتحريمهما على غيره من خلقه كما يحمي الملك المرعى والحرم الرابع واصطفاهما لجلاله اي لتقدسه وعلوه عن شبه خلقه فانه
استحق الانفراد بهذين الوصفين فتفرد بهما وهو معنى اصطفائه لهما الخامس جعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده اشارة
الى نحو قوله في الخبر المذكور المتقدم فمن نازعني فيهما القيته في جهنم ولا شك ان الملقى في جهنم مبعد مطرود عن
الخير والرحمة ولفظ المنازعة في الخبر مجاز في مجاذبة المتكبرين ومجانبتهم له ومخالفتهم لامره في الاتصاف بالكبر فكانهم مجاذبون
ما اختص به ومن لوازم المجاذبة المنازعة القولية فاطلقت هنا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه السادس اختباره بذلك ملائكته
المقربين الى قوله ساجدين اي ابتلاءهم بالتكبر وعدمه وقد علمت معنى ابتلائه واختباره تعالى لخلقه فيما سبق ونزيده بيانا فنقول
لما كانت حقيقة الاختبار طلب الخبر بالشيء ومعرفته لمن لا يكون عارفا به وكان هو تعالى عالما بمضمرات القلوب وخفيات القلوب
فتمييز المطيعين من عبيده من العصاة لم يكن اطلاق هذا اللفظ في حقه حقيقة بل على وجه الاستعارة باعتبار انه لما كان ثوابه و
عقابه للخلائق موقوفين على تكليفهم بما كلفهم به فان اطاعوه فيما امرهم اثابهم وان عصوه عاقبهم اشبه ذلك اختبار الانسان
لعبيده وتمييزه لمن اطاعه منهم ممن عصاه واطلق عليه لفظه وقوله ليميز المتواضعين منهم من المتكبرين ترشيح لاستعارة الاختبار
لان التمييز من لوازمه وعوارضه ويحتمل ان يريد ليميز المطيعين عن العصاة باعطاء الثواب لهم دونهم فلا يكون التمييز بمعنى العلم
بل الانفصال الخارجي لكل من المطيعين والعصاة بما يستحقه من ثواب وعقاب وقوله وهو العالم الى قوله الغيوب قرينة مخرجة
للاختبار عن حقيقته وهي جملة معترضة بين القول والمقول للملائكة وهو قوله تعالى اني خالق الى اخره والخبر به هو قوله فقعوا
له ساجدين وقال بعض الشارحين انما اختبرهم مع علمه بضمائرهم لان اختباره تعالى ليس ليعلم بل ليعلم غيره من خلقه طاعة من يطيع وعصيان
من يعصي قال وقوله لنعلم اي الحزبين وقوله لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه اي ليعلم انت وغيرك كما انت عالم وفيه بعد وقد
شرحنا قصة الملائكة وابليس وادم في الخطبة الاولى بقدر الوسع فلا حاجة الى التطويل بالاعادة غير ان ههنا الفاظا تحتاج الى بحثها
وافتخار ابليس وتعصبه وتكبره على ادم في قوله خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله اسجد لمن خلقت طينا ا اسجد لبشر خلقته من صلصال
من حما مسنون فكان تعصبه عليه واستكباره نظرا الى اصلهما وكونه امام المتعصبين باعتبار كونه المنشأ لرذيلة العصبية في غير الحق
والمقتدى به فيها واما العصبية في الحق فهي محمودة كما جاء في الخبر العصبية في الله تورث الجنة والعصبية في الشيطان تورث النار وكذلك
كونه سلفا للمتكبرين باعتبار تقدمه المتكبرين بالاستكبار على ادم والسلف هو المتقدم وقوله ووضع اساس العصبية اذ كانت عصبيته
لاصله كالاساس للخلق يبني عليه الخلق سائر العصبيات ويقتدي به فيها وقوله ونازع الله رداء الجبرية اي بتجبره وتكبره وقد عرفت
وجه الاستعارة في المنازعة والرداء وكذلك قوله وادرع لباس التعزز لما استعار لفظ الادراع لابليس من جهة اشتماله وتلبسه بالتعزز
رشح بذكر اللباس وكذلك قوله وخلع قناع التذلل لما استعار لفظ الخلع رشح بلفظ القناع وقوله الا ترون الى قوله بترفعه تنبيه
على كيفية تصغير الله اياه ووضعه له بسبب تكبره وتعظمه وذلك التصغير والوضع هو جعله في الدنيا مدحورا بعد اخراجه من الجنة بقوله
ثم اخرج منها مذءوما مدحورا واعداده له في الاخرة سعيرا بقوله لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين ونحوه وقوله ولو
اراد الله الى قوله على الملائكة في صورة قياس شرطي مركب من متصلتين صغراهما قوله ولو شاء الله الى قوله لفعل وكبراهما قوله
ولو فعل الى اخره وتالي الكبرى مركب من جملتين عطفت احديهما على الاخرى ومعنى الصغرى انه تعالى لو اراد قبل خلق ادم ان يخلقه
من نور شفاف لطيف يخطف الابصار ويبهر العقول حسنه وطيب ياخذ الانفاس ريحه ولم يخلقه من طين ظلماني كثيف لفعل
لان ذلك امر ممكن مقدور له ويحتمل ان يريد يخلقه من النور خلقه روحانيا مجردا عن علائق المواد المظلمة ووصف المجردات بالنور
فيقال انوار الله وانوار جلاله وانوار حضرته وقد اضانا بنور علمه ويوصف بالرائحة الطيبة فيقال فلان لم يشم رائحة العلم وبالطعم
فيقال فلان لم يذق حلاوة العلم وكل ذلك استعارة لفظ المحسوس للمعقول تقريبا للافهام ومعنى الكبرى انه لو فعل ذلك لظلت
له اعناق الملائكة وابليس خاضعة له وذلك لشرف جوهره على الطين وفضل خلقته على ما يخلق منه ولم يكن ممن يفسد
في الارض ويسفك الدماء حتى تقول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ولا من طين منتن حتى يفخر عليه ابليس باصله ويقول
انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ا اسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون ولخفت البلوى به على الملائكة وبان الحق
من وجهين اشرف جوهره فانه ليس في حقه فاما اذا كان اصله مناسبا للاصل ومقارنا في الشرف فلا شك ان تكليفهم بالخضوع له يكون
عليهم اسهل واخف والثاني انهم كانوا عالمين بانه خلق لامر وهو كونه خليفة الله سبحانه في عمارة الارض واصلاح ابناء نوعه وادام

في بيان الخطبة القاصعة

للكمالات وعجز ذلك عما لا يعلمونه كما قال تعالى في جواب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها إني أعلم ما لا تعلمون وكما علّم آدم الأسماء وأمره بعرضها عليهم فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا وظاهر أن تكليف الملائكة بما يطلع على سر وعلم وجه الحكمة فيه أسهل عليهم من تكليفهم بما يجهله فلو خلقه من نور مناسب لخلقهم لعلموا نوعيته وسر خلقه فلم يشق عليهم التكليف بالسجود له ويؤيد هذا الوجه قوله ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله وفي هذا الاستثناء تنبيه على عدم إرادة خلق آدم من نور وذلك لأن الاستثناء هو نقيض مقدم المتصلة المذكورة اللازم عنه نقيض تاليها ونقديره أنه لو أراد خلقه من نور لظلت الأعناق له خاضعة وخفّت البلوى على الملائكة لكنه لم يكن الأمر كذلك فاستلزم أنه لم يرد خلقه من نور فكان معنى قوله ولكن الله يبتلي خلقه أنه لم يرد خلقه من نور بل أراد أن يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله وهو تكليفهم بالسجود لآدم مع جهلهم بأصل ذلك التكليف والغرض منه أو جهلهم بآدم وسر خلقته الذي هو أصل لذلك التكليف ونصب قوله تمييزا ونفيا وإبعادا على المفعول له أي ليميز بذلك التكليف وبما يستلزمه من التذلل والانقياد والخضوع المطيع من العاصي ولينفي بذلك الكبر والخيلاء عنهم وبالله التوفيق **الفصل الثاني** في أمر السامعين بالاعتبار بحال إبليس وما لزمه من اللعنة وبطلان أعماله الصالحة في المدة المتطاولة بسبب التكبر والعصبية الفاسدة والتحذير من سلوك طريقته واقتفاء أثره في الكبر ولوازمه من الرذائل التي عددناها وذلك قوله عليه السلام فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة لا يدرى أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة فمن بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته كلا ما كان الله ليدخل الجنة بشرا بأمر أخرج به منها ملكا إن حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى حرمه الله على العالمين فاحذروا عباد الله أن يعديكم بدائه وأن يستفزكم بخيله ورجله فلعمري لقد فوق لكم سهم الوعيد وأغرق لكم بالنزع الشديد ورماكم من مكان قريب وقال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين قذفا بغيب بعيد ورجما بظن غير مصيب صدقه به أبناء الحمية وإخوان العصبية وفرسان الكبر والجاهلية حتى إذا انقادت له الجامحة منكم واستحكمت الطماعية منه فيكم فنجمت الحال من السر الخفي إلى الأمر الجلي استفحل سلطانه عليكم ودلف بجنوده نحوكم فأقحموكم ولجات الذل وأحلوكم ورطات القتل وأوطأوكم إثخان الجراحة طعنا في عيونكم وحزا في حلوقكم ودقا لمناخركم وقصدا لمقاتلكم وسوقا بخزائم القهر إلى النار المعدة لكم فأصبح أعظم في دينكم جرحا وأورى في دنياكم قدحا من الذين أصبحتم لهم مناصبين وعليهم متألبين فاجعلوا عليه حدكم وله جدكم فلعمر الله لقد فخر على أصلكم ووقع في حسبكم ودفع في نسبكم وأجلب بخيله عليكم وقصد برجله سبيلكم يقتنصونكم بكل مكان ويضربون منكم كل بنان لا تمتنعون بحيلة ولا تدفعون بعزيمة في حومة ذل وحلقة ضيق وعرصة موت وجولة بلاء فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية وأحقاد الجاهلية وإنما تلك الحمية تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته ونزغاته ونفثاته واعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم وإلقاء التعزز تحت أقدامكم وخلع التكبر من أعناقكم واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم إبليس وجنوده فإن له من كل أمة جنودا وأعوانا ورجلا وفرسانا ولا تكونوا كالمتكبر على ابن أمه من غير ما فضل جعله الله فيه سوى ما ألحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد وقدحت الحمية في قلبه من نار الغضب ونفخ الشيطان في أنفه من ريح الكبر الذي أعقبه الله به الندامة وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة ألا وقد أمعنتم في البغي وأفسدتم في الأرض مصارحة لله بالمناصبة ومبارزة للمؤمنين بالمحاربة فالله الله في كبر الحمية وفخر الجاهلية فإنه ملاقح الشنآن ومنافخ الشيطان اللاتي خدع بها الأمم الماضية والقرون الخالية حتى أعنقوا في حنادس جهالته ومهاوي ضلالته ذللا عن سياقه سلسا في قياده أمرا تشابهت القلوب فيه وتتابعت القرون عليه وكبرا تضايقت الصدور به ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم وترفعوا فوق نسبهم وألقوا الهجينة على ربهم وجاحدوا الله ما صنع بهم مكابرة لقضائه ومغالبة لآلائه فإنهم قواعد أساس العصبية ودعائم أركان الفتنة وسيوف اعتزاء الجاهلية فاتقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكم أضدادا ولا لفضله عندكم حسادا ولا تطيعوا الأدعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم وخلطتم بصحتكم مرضهم وأدخلتم في حقكم باطلهم وهم أساس الفسوق وأحلاس العقوق اتخذهم إبليس مطايا ضلال وجندا بهم يصول على الناس وتراجمة ينطق على ألسنتهم استراقا لعقولكم ودخولا في عيونكم ونفثا في أسماعكم فجعلكم مرمى نبله وموطئ قدمه ومأخذ يده **أقول** ...

السابعة

المشاهدة كونهما مظنة وجود البغضاء بين الناس وسببا لها كما ان الفحول سبب للقاح واما على تقدير كونه مصدرا فاستعارة لاثمار الفخر
للبغضاء للمشابهة المذكورة ثم انه اخبر بذلك المصدر نفسه عن الفخر حيث جعله خبرا فكانه قال ان الفخر لقح الشنآن ولقح الشنآن
نفسه ليس عين الفخر بل من ثماره ولوازمه فكان اطلاقا لاسم السبب على المسبب وهو في الدرجة الثانية وانما ذكره بلفظ الجمع نظرا الى
تكثر معنى الفخر في موارده وهي اذهان المتكبرين ومنافخ الشيطان جمع منفخ مصدر نفخ وظاهر ان افراده باعتبار الفخر المنتشر في الامم
نفخات ونفثات من ابليس في العرب للتكبر والترفع قد وصف نفخ الشيطان في انفه ووصف تلك المنافخ بانها التي خدع بها
الامم الماضية والقرون الخالية وصورة الخداع ههنا كونهم اراهم الباطل في صورة الحق كتزيينه الكبر وتحسينه للوازمه وتخييل
ان ذلك هو الاصلح والانفع مع انه في نفس الامر ليس بحق حتى كان ذلك سببا لارتكابهم في ظلمات الجهالات ومهاوي
الضلالات واستعار وصف الاعناق لمليهم من شدة دخولهم في ظلمات الجهالات بحيث سيرهم فيها وكذلك لفظ الحنادس مستعار
لما يتخيل من ظلمة الجهل ولفظ المهاوي مستعار لما يتخيل من كون الضلالة لزوم طرفها الخال للهوي عن افق الكمال ومدارج الشقاء
واضاف الجهالات والضلالة اليه اضافة المسبب الى السبب في سلس جمع سلس وهما سهلا الانقياد وانتصابهما على الحال من الضمير
في اعنقوه اي سرعوا سهلي الانقياد لسوقه وقوله امرا منصوب بفعل مضمر تقديره فاعتمدوا امرا تشابهت قلوبهم فيه و
تتابعت القرون الماضية منهم على اعتماده وهو الفخر ونفخ الشيطان والاعناق في جهالته وضلالته وكبرا عطف عليه وكون
تضايقت الصدور به عن كثرته وعظمته ثم عقب بالتحذير من طاعة سادتهم وكبرائهم تذكيرا بما نبه عليه القرآن الكريم من تمّ
المطيعين لساداتهم وكبرائهم على طاعتهم فيما حرم الله عليهم وخروجهم بذلك عن سبيل الله وذلك قوله تعالى حكاية لما يقولونه
يوم القيامة فقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا التابعين على
متابعة متبوعيهم في قوله حكاية عنهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وقوله الذين تكبروا عن حسبهم
وترفعوا عن نسبهم تحسبهم وتنسبهم اشارة الى الطين والصلصال من الحمأ المسنون والماء المهين الذي هو اصلهم ولما كان من شأنه
ان لا فخر فيه ولا تكبر لمن هو اصل له ثم تكبروا فقد تكبروا عن ذلك الاصل وترفعوا عليه وتركوا ما ينبغي لهم من النظر اليه والتواضع
على ربهم اي نسبوا ما في الانسان من القبائح بزعمهم الى ربهم كما قال بعض الشارحين كان يقول احدهم في الافتخار على غيره انا
عربي وانت عجمي فان ذلك عيب وازراء لخلق الله فهو عيب على الله وتسبيه للفعل القبيح اليه وهم في ذلك مقتفون لاثر ابليس حيث قال
ما يمجد لبشر خلقته من صلصال فكان ذلك عيبا لخلق الله ونسبة للفعل القبيح وقوله وجاحدوا الله ما صنع بهم ووجه المجاحدة
هنا انهم لما غفلوا عن الله نعمه وجحدوا لحقه ولم يشكروا على نعمائه وصنيعته بهم ولما كان الشكر يعود الى الاعتراف بالنعمة كان الجحد
والانكار منهم عبارة عن عدم ذلك الاعتراف لغفلتهم وايضا فان الشكر كما يكون بالاعتراف بالنعمة كذلك يكون بالاتيان بما يوافق
ذلك الاعتراف ويدل عليه من الاقوال والافعال الصالحة المطلوبة للمنعم والموافقة لاوامره ونواهيه ويسمى شكرا ايضا فكان لاصرارهم
على تركهما وعدم الاتيان بهما جحدا لنعمة الله وذلك هو جحادتهم فاما مجاحدة الله لهم فيعود الى ما يتخيل من انكاره عليهم وتقريره
عليهم صنعه بهم وتذكيره نعمته في حقهم وما عند ربه ويحتمل ان تكون بمعنى الذي والعائد من الصلة محذوف اي ما صنعه بهم
وقوله مكابرة لقضائه اي مقابلة لحكمه عليهم بوجوب شكره ولزوم طاعته ترددا ذلك الحكم وانكاره وعدم الانقياد له وحقيقة المكابرة
يعود الى المقابلة بالقول في الامر المتنازع فيه على وجه المغالبة والتكبر من الطرفين وهي هنا ترشيح لاستعارة المجاحدة وكذلك المغالبة
لالائه والتضمين فيهما على المفعول له والمغالبة هنا اشبه المغالبة من المجاحدة وليست غاية على الحقيقة وبيان ذلك انه لما كان من لوازم
المجاحدة وكفران النعمة زوالها وانقطاعها كانوا بفعلهم لتلك المجاحدة وذلك الكفران كالمغالبين للنعم والقاصدين لزوالها
من حيث اذ كان زوالها لازما لفعلهم وقوله فانهم الحي قوله الجاهلية تنبيه على ما يلزم رؤساءهم من الرذائل المنفرة واستعار لفظ الاساس
للكبر انه كان مبدأ للعصبية واصلا لها ولفظ القواعد لهم باعتبار قيام الكبر بهم وثباته فيهم كما يقوم الاساس بقواعده وهي الجذور
المعظمة ونحوها وكذلك استعار لفظ الاركان لاجزاء الفتنة وابعاضها ولفظ الدعائم لهم باعتبار قيام الفتن بهم واعتمادها عليهم كما
يعتمد اركان البيت وجوانبه على عمده واستعار لفظ السيوف لهم باعتبار انه عزوتهم وصفتهم عند الاعتزاء فيما يعتزي له كمتحقق
السيوف وصرامتها في مضاربها قال بعض الشارحين ويحتمل ان يريد انهم اصحاب سيوف اعتزاء الجاهلية وذلك عند قولهم يا آل فلان
كما نقل في سبب الخطبة والاعتزاء منهي عنه لكونه سببا للفتنة وروي ان ابي بن كعب سمع رجلا يقول يا آل فلان فقال اعضض
بهن ابيك فقيل له يا ابا المنذر ما كنت فاحشا قال سمعت رسول الله صلعم يقول من تعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ولا
تكنوا والعزاء الاسم من الاعتزاء ثم عاد الى الامر بتقوى الله منهم ونضادها فلا تجامعوها من كفرانها ومقابلتها بما يوجب المعاصي التي تستلزم

ج ٢٠٩

الانقطاع عند

بتقدم

منه ايضا يجب ان يكون المراد بالنعمة الله نعمة النعمة اي ... النعم

في بيان الخطبة القاصعة

بنبذ بل النعمة نعمة وكذلك قوله ولا تعضدوا عندكم حسادا استعار لفظ الحساد هنا باعتبار كفرهم بالنعم المنزل بمنحسا والنعمة باعتبار حسدهم المنزل لها وقوله ولا تطيعوا الادعياء قال بعض الشارحين مراده بالادعياء الذين ينسبون الى الاسلام ظاهرا وهم منافقون قلت و يحتمل ان يريد بهم حقيقة الادعياء وهم الذين ينتسبون الى غير آبائهم ممن لا دين له وقد تواترت في قبيلته التي انتسب اليها ثم وصفهم فقال الذين شربتم بصفوكم كدرهم فاستعار لفظ الصفو وهو خالص الشراب لما الخالص من دينهم وايمانهم او لخالص دينكم وايمانكم ولفظ الكدر للنفاق وسائر الرذائل النفسانية التي تخالط ايمان المرء كالحسد ونحوه فتكدر به بكدره بسبب تلك ما صفا من دينه بسبب ثوران الفتنة عنها ورشح بذكر الشرب والمعنى انكم مزجتم بايمانكم نفاقهم فشربتموه به كما يمزج بالماء الشراب فيساغ به وانما قال شربتم بصفوكم كدرهم ولم يقل بكدرهم صفوكم لان غرضه ان يقرب عليهم شرب الكدر بالقصد الاول ولا يتم ذلك الغرض الا بعبارته والباء هنا للمصاحبة وكذلك قوله وخلطتم بصحتكم مرضهم واراد بمرضهم نفاقهم وكبرهم وسائر الرذائل النفسانية وبالصحة سلامة نفوس المؤمنين بايمانهم عن شوب تلك الرذائل وروحهم فتخلطهم ايمانهم بها وكذلك قوله وادخلتم في حقكم باطلهم واراد بالحق الايمان والجد في العمل الصالح او ما يستحقونه من الملك والخلافة في الارض وبالباطل ولئك الكذب والنفاق واللعب وسائر الرذائل او ما لا يستحقونه من امر الدنيا ونقل الخلط والادخال بسبب تخاذلهم عن نصرته وعدم اجتماعهم على ما ينبغي لهم من طاعته ثم عاد الى صفتهم ولئك لكبر اباؤهم واوصاف الاول استعار لهم لفظ الاساس باعتبار كونهم اصلا للفسوق يقوم بهم كما يقوم البناء باساسه الثاني لفظ الاحلاس باعتبار ملازمتهم للعقوق وقطع الرحم كما يلازم حلس البعير ظهره وروي اساس بسكون السين بوزن احلاس وهو جمع اس كحمل واحمال وهو الاس الثالث كون ابليس اتخذهم مطايا ضلال فاستعار لهم لفظ المطايا باعتبار كونهم اسبابا موصلة الى الضلال لمن اتبعهم واعتقد اقوالهم نيابة عن ابليس كما ان في ذلك المطايا التي يركبها الناس في بلوغ مقاصدهم في طرق الضلال الرابع كونهم جندا به يصول على الناس وذلك باعتبار كونهم جاذبين للخلق الى طريقه داعين لهم الى هلاك الابد من جهة الخامس كونهم تراجمة ينطق على السنتهم ولفظ التراجمة مستعار لهم باعتبار نطقهم بما يريده ابليس من الوساوس للناس فاشبهوا التراجمة له ثم اشار الى كيفيات اتخاذهم مطايا وجندا وتراجمة فمنها استراق العقول للناس بالاقوال الكاذبة والافعال الباطلة والشبهات المضلة جذبا الى محبة الدنيا وباطلها ولذاتها التي البهائم لاجلها خلقوا اليه دعوا ومنها دخولهم في عيونهم بزينة الحيوة الدنيا وسائر ما يجذب اليها من جهة حسن المنظر ومنها النفث في اسماعهم والقاء الوساوس بالاقوال المزخرفة للدنيا وباطلها والمنفرة عن الآخرة وسائر ما يجذب عن الافق الاعلى من الجواذب المتمتعة وانتصب استراقا ودخولا ونفثا على المصدر كل عن فعله اي يسترق عقولكم استراقا وكذلك الاخيران وقوله فجعلكم مرمى نبله اي غرضا واستعار لفظ النبل لجزئيات وساوسه المردية لكل من اصابت الى مهاوي الهلاك كما يردي النبل من رمي به ولفظ المرمى باعتبار كونهم مقصدا لوساوسه كالهدف وكذلك استعار لهم لفظ الموطئ باعتبار كونهم مظنة اذلاله واهانته ورشح بذكر القدم اذ الموطئ يستدعي موطئا به وهو القدم وكذلك استعار لفظ الماخذ باعتبار كونهم مقتنصين في حبائل وساوسه ورشح بذكر اليد اذ من شان الماخوذ ان يكون اخذه باليد **الفصل الثالث** في امرهم بالاعتبار بحال الماضين وما اصاب الامم المستكبرين منهم من باس الله وصولاته ووقائعه ومثلاته وبحال الانبياء على جلالة قدرهم في التواضع لمن ارسلوا اليه من المتكبرين وحال اختبار الله تعالى خلقه بالحجارة ونصبها بيتا لعبادته اختبارا للمتواضعين له وتمييزا لهم من المستكبرين عن عبادته الى غير ذلك وذلك قوله فَاعْتَبِرُوا بِمَا اَصَابَ الْاُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَاْسِ اللهِ وَصَوْلَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَاتِهِ وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ فَلَوْ رَخَّصَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْكِبْرِ لِاَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ اَنْبِيَائِهِ وَاَوْلِيَائِهِ وَلَكِنَّ اللهَ كَرَّهَ اِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ فَاَلْصَقُوا بِالْاَرْضِ خُدُودَهُمْ وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ وَخَفَضُوا اَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَكَانُوا اَقْوَامًا مُسْتَضْعَفِينَ قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللهُ بِالْمَخْمَصَةِ وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ وَمَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَا وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ وَالْاِخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ الْغِنَى وَالْاِقْتِدَارِ فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اَيَحْسَبُونَ اَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ فَاِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي اَنْفُسِهِمْ بِاَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي اَعْيُنِهِمْ وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ اَخُوهُ هَارُونُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِاَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ اِنْ اَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ لَعَنَهُ اللهُ اَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ فَهَلَّا اُلْقِيَ عَلَيْهِمَا اَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ اِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ وَلَوْ اَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِاَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ اَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ وَاَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْاَرَضِينَ لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّ الْاَنْبَاءُ وَلَمَا وَجَبَ مَعَانِيهَا وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ اُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْاَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَاُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى وَخَصَاصَةٍ تَمْلَاُ الْاَبْصَارَ وَالْاَسْمَاعَ اَذًى وَلَوْ كَانَتِ الْاَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

اهل قوة

في بيان الخطبة القاصعة

ج ۹ م

اهل قوة لا ترام وعزة لا تضام وملك تمد نحوه اعناق الرجال وتشد اليه عقد الرحال لكان ذلك اهون على الخلق في الاعتبار
وابعد لهم من الاستكبار ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم او رغبة مائلة بهم وكانت السيئات مشتركة والحسنات مقتسمة ولكن الله
سبحانه وتعالى اراد ان يكون الاتباع لرسله والتصديق بكتبه والخشوع لوجهه والاستكانة لامره والاستسلام لطاعته
امورا له خاصة لا يشوبها من غيرها شائبة وكلما كانت البلوى والاختبار اعظم كانت المثوبة والجزاء اجزل الا ترون ان الله
سبحانه اختبر الاولين من لدن آدم عليه السلام الى الآخرين من هذا العالم باحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع فجعلها
بيته الحرام الذي جعله للناس قياما ثم وضعه باوعر بقاع الارض حجرا واقل نتائق الدنيا مدرا واضيق بطون الاودية
قطرا بين جبال خشنة ورمال دمثة وعيون وشلة وقرى منقطعة لا يزكو بها خف ولا حافر ولا ظلف ثم امر سبحانه آدم و
ولده ان يثنوا اعطافهم نحوه فصار مثابة لمنتجع اسفارهم وغاية لملقى رحالهم تهوي اليه ثمار الافئدة من مفاوز قفار سحيقة
ومهاوي فجاج عميقة وجزائر بحار منقطعة حتى يهزوا مناكبهم ذللا يهللون لله حوله ويرملون على اقدامهم شعثا غبرا له قد
نبذوا السرابيل وراء ظهورهم وشوهوا باعفاء الشعور محاسن خلقهم ابتلاء عظيما وامتحانا شديدا واختبارا مبينا وتمحيصا
بليغا جعله الله سببا لرحمته ووصلة الى جنته ولو اراد سبحانه ان يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنات وانهار وسهل
وقرار جم الاشجار داني الثمار ملتف البنى متصل القرى بين برة سمراء وروضة خضراء وارياف محدقة وعراص مغدقة
وزروع ناضرة وطرق عامرة لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء ولو كانت الاساس المحمول عليها والاحجار المرفوع
بها بين زمردة خضراء وياقوتة حمراء ونور وضياء لخفف ذلك مصارعة الشك في الصدور ولوضع مجاهدة ابليس عن
القلوب ولنفى معتلج الريب من الناس ولكن الله سبحانه يختبر عباده بانواع الشدائد ويتعبدهم بالوان المجاهد ويبتليهم
بضروب المكاره اخراجا للتكبر من قلوبهم واسكانا للتذلل في نفوسهم وليجعل ذلك ابوابا فتحا الى فضله واسبابا ذللا
لعفوه فالله الله في عاجل البغي وآجل وخامة الظلم وسوء عاقبة الكبر فانها مصيدة ابليس العظمى ومكيدته الكبرى التي
تساور قلوب الرجال مساورة السموم القاتلة فما تكدي ابدا ولا تشوي احدا لا عالما لعلمه ولا مقلا في طمره وعن ذلك
ما حرس الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الايام المفروضات تسكينا لاطرافهم وتخشيعا
لابصارهم وتذليلا لنفوسهم وتخفيضا لقلوبهم واذهابا للخيلاء عنهم لما في ذلك من تعفير عتاق الوجوه بالتراب تواضعا
والتصاق كرائم الجوارح بالارض تصاغرا ولحوق البطون بالمتون من الصيام تذللا مع ما في الزكاة من صرف ثمرات الارض
وغير ذلك الى اهل المسكنة والفقر انظروا الى ما في هذه الافعال من قمع نواجم الفخر وقدع طوالع الكبر **قوله** المثلات العقوبات
والمثاوي جمع مثوى وهو المقام والتكابر التعاظم والتعفير الصاق الخد بالعفر وهو التراب والمخمصة المجاعة والجهد المشقة
والاقتار الفقر والاساورة جمع اسورة جمع سوار ويجوز ان يكون جمع اساور وقال ابو عمرو بن العلاء هو جمع اسوار وهو السوار و
الذهبان جمع ذهب كخرب لذكر الحبارى وخربان والعقيان خالص الذهب واضمحل فني والابناء الاخبار والخصاصة الجوع والشوب
الخلط والوعر بالتسكين الصعب والنتائق جمع نتيقة فعيلة بمعنى مفعولة والنتق الجذب وسميت المدن والاماكن المشهورة والمرتفعة
نتائق لارتفاع بنائها وشهرتها وعلوها عن غيرها من الارض كانها جذبت ورفعت والقطر الجانب والدمثة اللينة والوشلة
قليلة الماء والمثابة المرجع والمنتجع اسم المفعول من الانتجاع وهو طلب الكلاء والماء والمفاوز الفلوات الواسعة والقفار جمع قفر
وهي المفازة التي لا نبت فيها ولا ماء والسحيقة البعيدة والفجاج جمع فج وهي الطريق الواسع بين الجبلين ويهللون يرفعون اصواتهم
بالتلبية والاهلال رفع الصوت والرمل بالتحريك الهرولة والاشعث المغبر الراس المتفرق الحال والنبذ الالقاء والسرابيل القمصان
والتشويه تقبيح الخلقة والتمحيص الابتلاء والاختبار واصله التخليص والتمييز والمشاعر مواضع المناسك والقرار المستقر من الارض
والجم الكثير والبنى جمع بنية بالضم والارياف جمع ريف بالكسر وهي الارض ذات الزرع والخصب والمحدقة والمغدقة الكثيرة الماء والخصب
والمعتلج اسم المفعول من الاعتلاج وهو التغالب والاضطراب يقال اعتلجت الامواج اذا التطمت واضطربت وفتحا فعل بمعنى مفعول اي مفتوحة
موسعة وكذلك ذللا مسهلة ووخامة الظلم وباؤه وسوء عاقبته والمصيدة بكسر الميم الشبكة وما يصاد به والمساورة المواثبة واكدى
الحافر اذا بلغ في حفره الى موضع صلب لا يمكنه حفره واكدت المطالب اذا صعبت في وجه طالبها فتخرقها واشوت الضربة
اذا لم تصب المقتل يقال اشواه يشويه اذا رماه فلم يصب مقتله والطمر الثوب الخلق وعتاق جمع عتيقة وهي كرائم الوجوه وحسانها
والقمع الردع والنواجم الطوالع جمع ناجمة والقدع الكف واعلم انه امرهم باوامر احدها الامر بالاعتبار بما اصاب المتكبرين من
سابق الامم من عقوبات الله ووجه الاعتبار ان يتفكر العاقل في حال اولئك فيرى ما اصابهم انما هو بسبب استعدادهم بالاستكبار
عن طاعة الله والترفع على عباده كما اشار اليه تعالى قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم الى قوله فاخذتهم الرجفة

لذ[ه]م

المحيطة

اعتلجت

في بيان الخطبة القاصعة

فاصبحوا في ديارهم جاثمين ونحوه في القرآن كثير فينتقل ذهنه منه الى نفسه وتقبيح حال استكباره على استكباره فيما يلزمه من امثال العقوبات بهم الثاني ان يتعظوا بمثاوي خدودهم ومصارع جنوبهم اي بمحطوا مقاماتهم من التراب ومحال تضرعهم في القبور ليحصل لهم بذلك الانزجار عن الكبر اذ كانت فائدته وغايته ذلك الهوان والذل في تلك المثاوي والمصارع الثالث ان يستعيذوا بالله من لواقح الكبر واستعار اللواقح لما يستلزم الكبر من اسبابه واراد استعاذة كثيرة خاضعة كاستعاذتكم من طوارق الدهر وفائدته وقوله فلو رخص الله الى قوله التواضع استدلال على تحريم الكبر مطلقا وانه لا رخصة فيه لاحد من خلق الله بقياس شرطي متصل وحمل الملازمة فيه ان الانبياء خواص الله واحباؤه واهل طاعته فلو كان له فيه رخصة لم يجعلها الا لهم وتقدير الاستثناء فيه لنقيض التالي لكنه لم يرخص فيه لهم فينتج انه لم يرخص فيه لاحد من عباده لكنه حذف هنا استثناء النقيض نقيض لوازمه وهو تكريه التكابر اليهم وذلك بوعيده للمستكبرين على الكبر ثم برضى التواضع لهم وذلك بامرهم فيه كما قال تعالى واخفض جناحك للمؤمنين ونحوه وقوله فالصقوا الى قوله مستضعفين اشارة الى امتثالهم لما امرهم به من التواضع وموافقتهم له فيما يصيرهم فالصاق خدودهم بالارض وتعفير وجوههم اشارة الى معاملتهم له في عبادتهم مع انفسهم وخفض اجنحتهم للمؤمنين وكونهم اقواما مستضعفين اشارة الى معاملتهم له في خلقه ولفظ الاجنحة مستعار من الطاير ليد الانسان وجانبه باعتبار ما هو محل البطش والقدرة وخفض الجناح كناية عن لين الجانب وقال ابن عباس في قوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين اي ارفق بهم ولا تغلظ عليهم قال والعرب تقول لمن كان ساكنا وقورا انه خافض الجناح وقوله قد اختبرهم الى قوله بالمكاره اشارة الى انه اعدهم بانواع الشقاوة الدنيوية من الجوع والمشاق والمخاوف والمكاره والتنفير بها عن الدنيا للاقبال عليه تعالى وتحبيبهم ما عنده من الثواب الجزيل وقد علمت معنى ابتلائه تعالى لعباده واختباره لهم غير مرة وقوله فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد الى قوله الا قليلا اي لا تعتبروا رضاه تعالى عن عباده باعطائه لهم المال والولد وسخطه عليهم بمنعه لهم ذلك وكانه جواب اعتراض مقدر كان قائلا قال فاذا كانوا هؤلاء خواصه واهل طاعته ورضاه فلم امتحنهم بالشدائد وابتلاهم بالمخاوف والمكاره ولم يعطهم الاموال والاولاد كما قال فرعون لموسى فلولا القي عليه اسورة من ذهب كما قالت كفار قريش ويلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها فاجاب بان ذلك توهم للجهل بمواقع الفتنة والاختبار في مواضع الغنى والافتقار اي ان الاختبار كما يكون بالفقر والمشاق وتعطي المكاره كذلك يكون بالمال والولد وليس المال والولد وكثرة المال والولد من الخيرات التي تعجل في الدنيا لمن يعطي اياها كما يزعمون واستشهد على ذلك بقوله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون اي يحسبوا انا نعجل في تقديم ثواب اعمالهم لرضانا عنهم حتى بسطنا لهم الرزق واكثرنا لهم اولادهم بل لا يعلمون ان ذلك استدراج لهم من الله ومحنة وبلاء وجهلا نصب على المفعول له وقوله فان الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين الى قوله في اعينهم كلام منقطع يستدعي ابتداء يكون معللا بموقد فصل الرضي رحمه الله بينه وبين ما قبله بصفر لكنه بيان لنوع آخر من ابتلاء الله تعالى لعباده المستكبرين في انفسهم واختبارهم لاوليائه المستضعفين وهم الانبياء في اعينهم اي في اعين المتكبرين فهو في معنى قوله ما قبله وفيه تنبيه على بعض اسرار نعم في خلقه لسائر انبيائه واوليائه مستضعفين وهوان مبتلى بهم المستكبرين من عباده في ارضه كما سنشير اليه في الحكمة في خلقهم كذلك ثم ضرب مثل ذلك الابتلاء في موسى وهرون عليهما السلام حين دخلا على فرعون يدعوانه الى الله تعالى وذلك قوله ولقد دخل الى قوله والتبه روى الطبري في تاريخه ان موسى وهرون قدما مصر حين بعثهما الله الى فرعون فمكثا سنتين يغدوان على بابه ويروحان يلتمسان الاذن عليه فلا يعلم بهما ولا يجترئ احد ان يخبره بشانهما وكانا يقولان في الباب انا رسول رب العالمين الى فرعون حتى دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه فقال ايها الملك ان ببابك رجلا يقول قولا عجيبا ويزعم ان له الها غيرك فقال ادخلوه فدخل وبيده عصاه ومعه اخوه هرون فقال انا رسول رب العالمين وذكر تمام الخبر وصورة قصتهما ومحاورتهما مستوفى في القرآن الكريم كسورة الشعراء والقصص وغيرهما والذي ذكره منها واضح بين وقال كعب كان موسى من رجال شنوءة وكان آدم طوالا وكان اخوه هرون اطول منه واكثر لحما واشد بياضا واغلظ الواحا واسن من موسى بثلث سنين وكانت في جبهة هرون شامة وفي طرف ارنبة موسى شامة وعلى طرف لسانه شامة ولم يعرف احد قبله ولا بعده كذلك قال وهي العقدة التي ذكرها الله تعالى ثم قال وفرعون موسى هو فرعون يوسف عمر اكثر من اربع مائة سنة واسمه الوليد بن مصعب وانكر غيره ذلك وقالوا هو غيره وقبض هرون قبل موسى وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة وبقي موسى بعده ثلث سنين ومات في سنة يوم مات فاما شرطهما له بقاء ملكه باسلامه فلما علمت من كون النواميس الشرعية والتمسك بها والعمل بمقتضاها ناظما لحال ابناء النوع الانساني وسببا للحاظ لصلاح معاشهم ومعادهم وبانتظام شمل مصلحتهم باستعمال تلك القوانين تكون بقاؤهم وثبات دولهم وملكهم ودوام عزهم فاما استنكاره لشرطهما له دوام العز والملك باسلامه وتعجبه منهما في ذلك فمنشاه لعنفاده الجهل ان مبدأ التمكن من ذلك الشرط والقدرة على الوفاء به هو الغنى وجمع المال

فقد كان

في بيان الخطبة القاصعة

فلذلك احتقرهما من حيث كانا تزيّى الفقر والذل ولبس الصوف ولبس عليهما آثار الفقر والمال وهو التحلي باساورة الذهب فكان اعظام الذي
ولبسه الذي هو شعار الغنى واحتقار الصوف ولبسه مما هو شعار الفقر سبباً حاملا له على ذلك الاستكبار والتعجب قوله ولو اراد
الله سبحانه بانبيائه الى قوله معاينتها قياس شرطي من الشكل الاول من متصلتين احديهما قوله ولو اراد الله الى قوله لفعل والثانية
قوله ولو فعل لسقط البلاء الى آخره والنتيجة انه لو اراد الله بانبيائه ذلك لزمت المحالات المذكورة بيان الملازمة في الصغرى ان
الامور المعدودة وهي فتح كنوز الذهب ومعادنه ومغارس الجنان وحشر الطير والوحش امور ممكنة في انفسها والله سبحانه قادر على
جميع الممكنات وعالم بها فلو حصل مع قدرته عليها ارادة وقوعها عن قدرته كان مجموعها مستلزما لوقوعها عنها واما الكبرى فانه
جعل مقدمها هو فعله لتلك الامور ملزوما للامور خمسة احدها انه كان يسقط البلاء اي ذلك البلاء المشار اليه وهو بلاء
المتكبرين بالمستضعفين من اولياء الله وهو ظاهر اذ لا مستضعف يبتلون به اذن وذلك ان الانبياء ع كانوا ينقطعون الى الدنيا
ح عن جناب الله فينقطع عنهم الوحي كما سيشير اليه ع وح ينقطع الابتلاء بهم وبما اتوا به من التكاليف وكذلك يسقط بلاء الانبياء
بالفقر والصبر على اذى المستكبرين من المكذبين لهم بالضرب والقتل الثاني وكان يبطل الجزاء اي جزاء العبادات والطاعات اما
لسقوط البلاء بها ولان الطاعات اذن تكون عن رهبة او رغبة فيسقط الجزاء الاخروي عليها وكذلك يبطل جزاء الانبياء الذي
كانوا يستحقونه بحسب فقرهم وصبرهم عليه الثالث وكان يضمحل الانباء اي الاخبار الواردة من قبل الله تع على السنة رسله والوحي
اليهم وذلك لما علمت ان الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما يقرب من احديهما يبعد من الاخرى والانبياء ع وان كانوا اكمل الخلق
نفوسا واقواهم استعدادا لقبول الكمالات النفسانية كما اشرنا اليه الا انهم يحتاجون ايضا الى الرياضة التامة والاعراض عن الدنيا
وطيباتها وهو الزهد الحقيقي والى تطويع نفوسهم الامارة بالسوء لنفوسهم المطمئنة بالعبادة التامة كما هو المشهور من احوالهم ع
فان رسول الله صم كان يربط على بطنه الحجر من الجوع وتسميته المشبع لانه كان لا يقدر على شيء ياكله وكان يرقع ثوبه لعدم
قدرته على ثوب يلبسه وكان يركب الحمار العاري ويردف خلفه لا لعجزه عن فرس يركبه وغلام يمشي معه وكيف وقد اوتي
وبيده هذه القطعة العظيمة من المعمورة بل لذلك وامثاله مما سيحكيه ع في آخر هذه الخطبة من زهادته في الدنيا واعراضه عن متاعها
في آخر هذه الخطبة وزينتها لانه ص وجد من الكمالات العقلية والموعودة ما هو اشرف واعلى من هذه الكمالات الحسية الفانية وعلم
ان الوصول الى تلك الكمالات لا يتم ولا يتحقق الا بالاعراض عن هذه فرفض ما هو اخس لتحصيل ما هو اشرف ولذلك قام ع
في العبادة حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله اليس قد بشرك الله بالجنة فلم تفعل ذلك قال افلا اكون عبدا شكورا وذلك
لعلمه ان الاستعداد بالشكر يفيد كمالا اعلى وازيد مما اوتي واذا كان حال اشرف الانبياء واكملهم كذلك فما ظنك بسائرهم ع فنعلم
ان تركهم للدنيا وعدم اشتغالهم بها شرط في بلوغهم درجات الوحي والرسالة وتلقي اخبار السماء وانهم لو خلقوا منغمسين في الدنيا
وفتحت عليهم ابوابها فاشتغلوا بطيباتها لانقطعوا اليها عن حضرة جلال الله واضمحل بسبب ذلك عنهم الانباء وانقطع عنهم الوحي
وانحطوا عن مراتب الرسالة وقال بعض الشارحين اراد باضمحلال الانباء سقوط الوعد والوعيد والاخبار عن احوال الجنة
والنار واحوال القيمة وهو لازم من لوازم سقوط النبوة فيكون راجعا الى ما قلناه الرابع وكان لا يجب للقابلين اجور المبتلين
اي القابلين كلام الانبياء لانه اذا سقط البلاء عنهم لم يكن لهم اجر المبتلين وكذلك لا يجب للقابلين للنبوة منهم اجور المبتلين بالتكذيب
والاذى الخامس وكان لا يستحق المؤمنون ثواب المحسنين بمجاهدة الشيطان عنها لتطهيرها عن الرذائل وتحليتها بالفضائل
وذلك لان ايمانهم بهم يكون عن رغبة او رهبة كما علمته لا عن حقيقة واخلاص لله السادس ولا لزمت الاسماء معانيها وروى بنصب
الاسماء على ان تكون هي المفعول ومعانيها الفاعل والمعنى انه لم تكن المعاني لازمة الاسماء فمن سمي بها مثلا من سمي مؤمنا لا يكون
معنى الايمان الحق لازما لاسمه اذ كان ايمانه ملبسا مرة فقط عن رغبة او رهبة وكذلك من سمي مسلما او زاهدا بل من سمي نبيا
او رسولا لا يكون في الحقيقة كذلك لانقطاع النبوة والرسالة عنه وفي نسخة الرضي ره برفع الاسماء والمراد انها كانت تنفك عنها
عنها فتصدق الاسماء بدون مسمياتها وهو كالاول وبيان هذه اللوازم ظاهر في كبرى القياس والنتيجة انه متصلة مقدمها
قوله لو اراد الله الى قوله لا ريبين وتاليها قوله لسقط البلاء الى قوله معانيها وحاصل النتيجة انه كان يلزم من ارادته تع بانبيائه
تلك الامور ووقوع جميع هذه المفاسد ثم يرجع البيان الى استثناء نقيض تالي هذه النتيجة لاستثناء نقيض مقدمها وهو ان
هذه المفاسد لم توجد وليست مما ينبغي ان توجد فلذلك لم يرد بهم تلك الامور وقوله ولكن الله سبحانه جعل رسله الى قوله
اذى كالدليل لنقيض مقدم النتيجة المذكورة ذكره لبيان انه اذ كان الله تع لما لم يرد بعث انبيائه على تلك الوجوه اراد بعثهم على
هذا الوجه وهو ان جعلهم اصحاب قوة في عزائمهم واحتجاج على انفاذ اوامره وتبليغ رسالاته وتبعهم لذلك سموا اولوا
العزم واضعافا عزائمهم وقوتهم في دين الله بالقتال والمجاهدة والصبر على الاذى وجعلهم مع ذلك ضعفة فيما ترى الاعين من حالاتهم

في بيان الخطبة القاصعة

من المسكنة والذل والفقر والقناعة والصبر على العري والجوع واسعا وصفت الملاء للقناعة باعتبار استلزامها القوة غناهم عن
حاجتهم الى شيء من متاع الدنيا بحيث لا تميل نفوسهم ولا اعينهم الى شيء من زينتها وقيناتها فكانها قد امتلات فلا تتسع لشيء
من ذلك فتطلبه وكنى بالخصاصة عما يجدونه ويستلزمها الفقر من الاذى في اسماعهم وابصارهم من الجوع المفرط مستلزم للاذى فانه
الموجب لتحلل الارواح الحاملة لها وضعفها فكان الاذى حشوا ابصارهم واسماعهم بحيث لا يتسع لغيره كل ذلك طلب لكمال الاستعداد
لما علمت ان البطنة تذهب الفطنة وتورث القسوة وتزيل الرقة وتستلزم رذائل كثيرة لا دواء لها الا بالخصاصة والقناعة فقط
من العفة وقوله ولو كانت الانبياء مقدمة متصلة اخرى هي كبرى قياس من الشكل الاول ايضا من متصلتين مقدم الصغرى منهما
مقدم كبرى القياس الاول وهو قوله ولو فعل وتنبيه على تاليها مقدم هذه الكبرى وتقدير الكلام ولانه تعالى لو فعل بانبيائه ما
ذكرناه لكانوا اهل قوة لا ترام وعزة لا تضام وملك تمد نحوه الاعناق ولو كانوا كذلك لكان نفي كونهم كذلك مفاسد اخرى ما
عليه من العز والملك اهون على الخلق واسهل من حيث ان اعتبارهم لما يدعونهم اليه اسهل ولحاقهم الى دعوتهم اسرع اذ كانت الملوك
في اعين الخلق اهلا لان يطاعوا فلا تصعب عليهم اجابتهم كما تصعب اجابة الفقير على من يدعونه من المتكبرين تكبرا اي وابعد لهم عن
الاستكبار وهو ظاهر لان الملوك ابعد من ان يتكبر عليهم الناس وبادروا من ها هنا وحتى لم يكن للخلق ثواب من ترك رذيلة الكبر عن
مجاهدة نفسه في ترك الرذيلة الثالثة ولامنوا عن رهبة قاهرة لهم اي على الايمان او رغبة مائلة بهم اليه فلم يكن نياتهم ولا حسناتهم
خالصة لله بل هي مشتركة ومقسمة فبعضها له وبعضها للرغبة وبعضها للرهبة وحتى لا يكون لهم ثواب من جاهد ابليس فقهره وقمع نوازع
وسوسته الجاذبة عن سبيل الله واستعد بذلك للخيرات الباقية وقوله وتمد نحوه اعناق الرجال وتشد اليه عقد الرحال كناية
عن قوته وعظمته لان الملك اذا كان عظيما قويا يمد الامال فيه وتوجهت نحوه وامتدت اعناق الرجال اليه بالرجاء وشدت عقد الرحال اليه وقوله ولكن
الله سبحانه الى قوله شائبة كالمقدمة الصغرى في بيان ان القسم الاخير من التالي اي ليس مما ينبغي ان يكون ويريده الله تعالى كانه قال لو جعل الله
تعالى الانبياء اهل الملك والعز لكان ايمان الخلق بهم اما لرغبة او رهبة فكانت النيات والايمان والعبادة منهم مشتركة غير خالصة لله
وذلك مفسدة ليس مما ينبغي ان تكون ولا ان يريده الله تعالى لانه تعالى انما اراد ان يكون ايمانهم بالرسل واتباعهم مقصدا به لما امر به
من كتبه وامر به من الخشوع لوجهه والاستكانة لامره والاستسلام للطاعة امورا له خاصة لا يشوبها من غيرها شائبة رغبة او رهبة
وتقدير الكبرى وكلما اراد الله اخلاصه فليس مما ينبغي ان يكون مشتركا بينه وبين غيره ولا مشوبا بشائبة رغبة او رهبة وقوله وكلما
كانت البلوى الى قوله اجزل يحتمل ان يكون كبرى قياس بين به ان الاجزاء الثلاثة للتالي وهو قوله لكان ذلك اهون على الخلق ليس
مما ينبغي ان يكون وتقديره البيان ان ذلك مستلزم كون الاعتبار معه اهون على الخلق وان يكونوا معه ابعد عن الاستكبار وان يؤمنوا
عن رغبة او رهبة وهذه الامور ليس مما ينبغي ان تكون وانما قلنا ان ذلك لان نقائضها وهي مشقة الاعتبار على الخلق وقربهم من
الاستكبار وخلوص ايمانهم لله مما ينبغي ان يكون وذلك انه مع هذه الامور يكون البلوى والاختبار عليهم اعظم وذلك هو صغرى
القياس ثم نقول وكلما كانت البلوى والاختبار لهم اعظم كانت المثوبة والجزاء على الايمان والطاعة موافقة لتلك البلوى اجزل
فينتج انه مع مشقة الاعتبار والقرب من الاستكبار واخلاص الايمان تكون المثوبة لهم والجزاء على الايمان والطاعة اجزل ويحتمل ان يكون
من تمام الايمان لبيان الاول كانه قال ولكنه تعالى اراد ان تكون هذه الامور خالصة له لا يشوبها شائبة وفي ذلك الاخلاص وان كانت
فيه مشقة وكانت البلوى فيه عظيمة الا انه كلما كانت البلوى اعظم كان الثواب فيها اجزل ثم اردف ذلك بالتنبيه على صدق هذه
المقدمة بالمثال وذلك قوله الا ترون ان الله تعالى الى قوله ووصله الى حيث قوله واراد بالاحجار التي بني بها البيت الحرام وقوله جعله للناس قياما اي مقيما
لاحوالهم في الاخرة يقال فلان قيام اهله وقوام بيته اذا كانت به استقامة احوالهم وكونه بمكة اقل بقاع الارض مدرا لان الحجارة اغلب عليها
وانما اتى بالرمال اللينة في معرض الذم لانها ايضا مما لا يزكو بها الدواب لان دواب الحافر ترسخ فيها وتتعب في المشي بها قال الشارح
واراد بالخف والحافر والظلف دوابها وهي الجمال والخيل والغنم والبقر مجازا اطلاقا لاسم الجزء على الكل او على تقدير ارادة المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه واراد بكونها لا تزكو اي لا تسمن وتزيد للجدب وخشونة الارض والضمير في بها راجع الى ما دل عليه او عن
الموصوف فانه اراد بواد او عن بقاع الارض حجرا كما قال اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم وقوله ثم امر ادم وولده
ان يثنوا اعطافهم نحوه فقد دل كلامه ع على ان البيت الحرام كان منذ ادم والتواريخ شاهدة بذلك وقال الطبري روي عن ابن عباس
ان الله تعالى اوحى الى ادم لما اهبط الى الارض ان لي حرما حيال عرشي فانطلق فابن لي بيتا فيه ثم طف به كما رأيت ملائكتي تحف بعرشي فهنالك
استجيب دعاءك ودعاء من يحف به من ذريتك فقال ادم اني لست اقوى على بنيانه ولا اهتدي اليه فبعث الله تعالى ملكا فانطلق به نحو مكة فكان
ادم كلما رأى روضة او مكانا يعجبه سأل الملك ان ينزل به هنالك ليبني فيه فيقول له الملك ليس ههنا حتى اقدمه مكة فبني البيت
من خمسة جبال طور سينا وطور زيتون ولبنان والجودي وبنى قواعده من حراء فلما فرغ من بنيانه خرج به الملك الى عرفات واراه

او مشوبا بغيره

فينبغي ان لو فعل بانبيائه ما ذكرناه للزمت مفاسد اخرى احدها ان ذلك

غيره فينبغي ان لا يلزمهم ما قسمه ليس مما ينبغي ان يكون مشتركا

المناسك

في بيان الخطبة القاصعة

ج ٣

المناسك كلها التي يفعلها الناس اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت اسبوعا ثم رجع الى ارض الهند وقيل انه حج على رجليه الى الكعبة
اربعين حجة وروي عن وهب بن منبه ان آدم لما رآه قال يا رب اما لارضك هذه عامر يسبحك فيها ويقدسك غيري فقال الله
اني ساجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدسني وساجعل فيها بيوتا ترفع لذكري ويسبحني فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وساجعل
من تلك البيوت بيتا اخصه بكرامتي واوثره باسمي فاسميه بيتي وعليه وضعت جلالي وخصصته بعظمتي وانا مع ذلك في كل شيء ومع كل
شيء اجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته من حوله وما حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرمه بحرمتي استوجب كرامتي ومن اخاف
اهله فقد اباح حرمتي واستحق سخطي واجعله بيتا مباركا ياتيه بنوك شعثا غبرا على كل ضامر من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا
ويعجون بالتكبير عجيجا من اعتمده لا يريد غيره ووفد الي وزارني واستضاف بي اسعفته بحاجته وحق على الكريم ان يكرم وفده
واضيافه تعمره يا آدم ما دمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ثم امر آدم ان ياتي البيت الحرام فيطوف
به كما كان يرى الملائكة تطوف حول العرش وبقي اساسه بعد طوفان نوح فبوأه الله لابراهيم فبناه ولنرجع الى المتن فنقول لم يذكر بعض الشراح اعطافهم
نحوه عن الطواف ثم اليه وقصدهم له وقوله وضعا مثابة لمنتجع اسفارهم اي مرجعا للمنتجع من اسفارهم اي لطالبي النجعة والخصب كما
قال تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وكقوله تعالى ليشهدوا منافع لهم وفيه كون ذلك مرجع الخلق وبه يقام الموسم ايام الحج
فيكون فيه التجارات والارباح كما اشرنا اليه في الخطبة الاولى وكذلك كونه غاية لملقى رحالهم اي مقصد الفضلاء وقوله تهوي اليه
ثمار الافئدة اي تميل وتسقط وتهوي الافئدة صبوا لها وحبها الا انه لما كان الذي يميل الى الشيء ويحبه كانه يسقط اليه ولا يملك
نفسه استعير لفظ الهوى للحركة الى المحبوب والسعي اليه واما ثمار الافئدة فقال بعض الشارحين ثمرة الفؤاد سويداء القلب ولذلك
يقال للولد ثمرة الفؤاد واقول يحتمل ان يكون لفظ الثمار مستعارا للخلق باعتبار ان كلا منهم محبوب لاهله وابائه فهو كالثمرة الحاصلة
لافئدتهم من حيث هو هو محبوب لهم كانت افئدتهم ومحبتهم له فلا ثمرة من حيث انها افادت تربيته والعناية به حتى استوى انسانا
كاملا ويحتمل ان يريد بثمار الافئدة الاشياء المحبة المجتبية من كل شيء كما قال تعالى يجبى اليه ثمرات كل شيء ووجه اضافتها الى الافئدة
انها لما كانت محبوبة مطلوبة للافئدة التي عن محبتها كما تحصل الثمرة عن اصلها اضيفت اليها والاضافة يكفي فيها ادنى سبب
ونحوه قوله تعالى واجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات ولما استعار لفظ الهوى رشح بذكر المهاوي اذ من شان
الهوي ان يكون له موضع وعميقة صفة الفجاج كما قال تعالى ياتين من كل فج عميق ووصف العمق له باعتبار طوله والانحدار فيه من عالي البلاد
الى مكة ووصف الجزائر بالانقطاع لان البحر يقطعها عن سائر الارض والبحار محيطة بها وحتى غاية من قوله تهوي بمعنى اللام و
كنى بهز مناكبهم عن حركاتهم في الطواف بالبيت اذ كان ذلك من شان المتذلل بين يدي غيره وذللا جمع ذلول والنصب على الحال من الضمير في يهزوا
وقال بعضهم يحتمل ان يكون من مناكبهم وكذلك موضع يهللون النصب على الحال وكذلك شعثا وغبرا من الضمير في يرملون وكنى بنبذهم السرابيل
وراء ظهورهم عن طرحها وعدم لبسها وتشويههم باعفاء الشعور محاسن خلقهم لان حلق شعر المحرم او نتفه والتنظيف منه حرام يجب منه
الفدية وظاهر ان اعفاء الشعور يستلزم تقبيح الخلقة وتشويهها وتغييرها عما هو معتاد من تحسينها بحلقه وازالته وقوله ابتلاء وامتحانا
واختبارا وتمحيصا منصوبات على المفعول له والعامل فيه قوله امر الله آدم ويحتمل ان يكون على المصدر لكل من فعله وقد مضت هذه الالفاظ
وان كانت مترادفة على معنى واحد تاكيدا وتقريرا لكون الله تعالى شدد عليهم في البلوى بذلك ليكون استعدادهم بذلك للتقوى العظيمة والثواب
اتم واشد فيكون الجزاء لهم افضل واجزل فلذلك قال جعله سببا لرحمته ووصلة الى جنته اي سببا معدا لافاضة رحمته المستلزمة للوصول
الى جنته وقد تاكد بهذا المثال صدق قوله وكلما كانت البلوى والاختبار اعظم كان الثواب اجزل لان الله سبحانه لما اختبر عباده بامر
الحج ومناسكه التي تستلزم شقاء الابدان واحتمال المشاق الكثيرة المتعبة في الاسفار من المسافات البعيدة وترك مفاخر الدنيا
عنده ونزع التكبر حتى كانه لم يوضع الا لخلع التكبر من الاعناق مع ما في جزئيات مناسكه ومباشرته من المشاق المتكلفة مع كونه كما ذكر احجارا
لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر لا جرم كان الاستعداد به لقبول آثار الله وافاضة رحمته اتم من اكثر وجوه الاستعدادات بسائر العبادات
فكان الثواب عليه والرحمة النازلة بسببه اتم واجزل وقوله ولو اراد الله الى قوله ضعف البلاء صغرى قياس ضمير استثنائي حذف
استثناؤه وهي نتيجة قياس آخر من متصلتين تقدير صغراهما انه لو اراد ان يضع بيته الحرام بين هذه المواضع الحسنة البهجة لفعل ولكنه
الكبرى ولو فعل لكان يجب منه تصغير قدر الجزاء على قدر ضعف البلاء وتقدير استثناء هذه المتصلة لكنه لا يجب منه ذلك ولا يجوز
لان مراد العناية الالهية مضاعفة الثواب وبلوغ كل نفس غاية كمالها وذلك لا يتم الا بكمال الاستعداد بالشدائد والمشاق فلذلك
لم يرد ان يجعل بيته الحرام في تلك المواضع لاستلزامها ضعف البلاء وكنى بدنو الثمار عن سهولة تناولها وحضورها وبالتفاف البنى
عن تقارب بعضه من بعض والبرة واحدة البر وقد يقام مقام اسم الجنس فيقال هذه برة حسنة ولا يراد بها الحبة الواحدة واغصان
الثمرة لها الان وصفها بعد الخضرة السمرة وقوله ولو كانت الاساس الى قوله من الناس في تقدير قياس ضمير استثنائي كالذي قبله

في بيان الخطبة القاصعة

وتلخيصه انه تعالى لو جعل الاساس المحمول عليها بيته الحرام من هذه الاحجار المنيرة المضيئة لخفف ذلك مضاعفة الشك في الصدق ووضع
شك الخلق في صدق الانبياء وعدم تصديقهم وشكهم في ان البيت بيت الله واليه فانه يلزم من كون الانبياء بالحال المشهورة من الفقر
والذل وكون البيت الحرام من هذه الاحجار المعتادة يقوى الشك في كونهم رسلا من عند الله وفي كون البيت بيتا له وعلى تقدير
كونهم في الملك والعز وكون البيت من الاحجار النفيسة المذكورة ينبغي ذلك الشك اذ يكون ملكهم ونفاسة تلك الاحجار من
الامور الجاذبة اليهم والداعية الى محبتهم والمسارعة الى تصديقهم والحكم بكون البيت بيت الله لمناسبته في كماله ما ينسب الانبياء الى
الله سبحانه من الوصف باكمل طرفي النقيض ولكون الخلق اميل الى المحسوس واستعار لفظ المضاعفة هنا للغاية التي يبلغها الشك وعدم تصديق الانبياء
والشك في كذبهم فان كلا منهما يترجح على الاخر وكذلك كان وضع مجاهدة ابليس عن القلوب لان الايمان بكونه بيتا لله ينبغي تحيره والعضد
اليه لا يكون عن مجاهدة ابليس في تضعيف الانبياء في ذلك وفي وجوب عبادة الله بل لعزة الدين وحسن بنائه وميل النفوس الى
شريف جواهره لكن هذه الامور وهي مضاعفة الشك ومجاهدة ابليس ومعتلج الريب لا تخف ولا تنتفي لكونها مرادة من الحكمة الالهية
لاعداد النفوس بها لنيل الكمالات الباقية والسعادات الدائمة فلذلك لم يجعل تعالى بيته مبنيا من تلك الاحجار النفيسة وقوله
ولكن الله يختبر عباده الى قوله المكاره استثناء لعلة النقيض المذكورة فيقوم مقام استثناء مضاعفة الشك ومجاهدة ابليس من جملة انواع
الشدائد والوان المجاهد والمشاق واختباره لعباده بها علة لوجودها وقوله اخراجا للتكبر الى قوله لعفوه اشارة الى كونها اسبابا غائية
من العناية الالهية لاعداد النفوس لاخراج الكبر منها واقامة ضده وهو التذلل والتواضع فيها والى كونها اسبابا معدة لفضله و
عفوه واستعار لفظ الابواب لها باعتبار الدخول منها الى رضوان الله وثوابه ولفظ الذلل لكون الدخول منها الى ذلك سهلا للمستعدين
لها ثم عاد الى التحذير من الله في البغي والظلم وعاقبته وحاصل الكلام انه جعل عاجل البغي واجل الهلاك عنه وسوء عاقبة الكبر محلا للحذر
من الله ثم ذلك باعتبار وعيده ثم عند التلبس بالبغي والنظر في تلك الحال الى ما يستلزمه من الهلاك في الاخرة وما يستلزمه التكبر من
سوء العاقبة والضمير في قوله فانها قال السيد فضل الله الراوندي يعود الى الجملة من البغي والظلم والكبر وان لم يجر لها ذكر وقال
غيره الضمير للكبر وانما انثه باعتبار جعله مصيدة للكبر باعتبار انه يصيد الداخل فيه من حزب ابليس ويقتنصه كالشبكة وحبائل الصائد
ووصفها بالعظم باعتبار قوتها وكثرة ما يستلزمه من انواع البلاء وكذلك استعار له لفظ المكيدة الكبرى باعتبار ما هو سبب قوي في جذب
الخلق الى الباطل واضلالهم عن طرق الله كالحيلة والخدعة واستعار لفظ وصف المساورة له باعتبار مواثبته النفوس ومغالبته لها بالكبر
وذلك انه تارة يلقي اليها تحسين الكبر وتزيينه فينفعل عنه وتقبل الكبر وذلك هو الوثبة من جانبه وتارة تقوى النفس عليه فترد
وسوسته بقهره وذلك لو ثبة من قبلها ثم شبه مساورته للقلوب بالكبر بمساورة السموم القاتلة للطبيعة البدنية وكنى عن وجه
الشبه بقوله فما يكدي ابدا ولا يشوي احدا اي ان مساورته بالكبر لا تكاد يخلو منها ماثبا ومنها من العقول ويمنع تاثيرها في النفوس
كما لا يكاد يقاوم مواثبة السموم القاتلة من طبايع الحيوان ولا تكاد تخطئ المقاتل كما لا يخطئ السموم وحركاتها في الابدان مقاتلها
ويحتمل ان يكون وجه الشبه كون مساورته الشديدة مميزة كمساورة السموم للابدان ويكون قوله لا يكدي ابدا ولا يشوي احدا استعارتين
لوصفي السم الذي لا يكاد يقف دون المقاتل ولا يخطئها لتلك المساورة باعتبار انها لا يخطئ بسببها القلوب سهام الكبر والبغي وشبا
ما يلقي من الوساوس المهلكة وقوله لا عالما لعلمه ولا مقلا في طمره اي ان هذه الرذيلة تؤثر في نفس العالم في علمه والفقير في فقره فلا
يردها العالم بعلمه انها رذيلة والمقل المفتقر في طمره لمنافاتها حاله في قلته وفقره الكبر وقوله وعن ذلك ما حرس الله الى قوله تذليلا
تنبيه على الامور التي حرس الله تعالى بها عباده من هذه الرذيلة وجعلها اسبابا للتحرز من نزغات الشيطان بها واشار الى ثلاثة منها وهي
الصلوات والزكوة ومجاهدة الصيام في الايام المفروض صومها اما الصلوات فلكونها باجزائها واوضاعها منافية للكبر اذ كان
مدارها على تضرع وخضوع وخشوع وركوع وكل واحد من هذه الاجزاء بكيفيته وهيئته موضوع على الذلة والتواضع والاستسلام
لعزة الله وعظمته وتصور كماله وتذكر وعده ووعيده واهوال الموقف بين يديه وكل ذلك ينافي الكبر والتكبر والتعظم والى ذلك
اشار بقوله تسكينا لاطرافهم وتخشيعا لابصارهم الى قوله تصاغرا ونصب تسكينا وتصغيرا وتخشيعا وتذليلا وتخفيضا واذهابا على
المفعول له والعامل ما دل عليه قوله حرس من معنى الامر اي حرسهم بهذه وامرهم بكذا وكذا وان نصب تواضعا وتصاغرا والعامل لان
المصدران تغييرا للصاق فاما الزكوة فوجه منفعتها في دفع هذه الرذيلة امران احدهما انها شكر النعمة المالية كما ان العبادات البدنية
شكر للنعمة البدنية وظاهر ان شكر النعمة مناف للتكبر على المنعم والاستنكاف عن عبادته الثاني ان من وجبت عليه الزكوة يتصور
قدرة موجبها وسلطانه وقهره على اخراجها فينفعل عن حكمه ويتذكر بحثه وامره مع تصوره لغنائه المطلق وذلك مناف للتكبر و
الاستنكاف عن عبادته واما مجاهدة الصيام فلما فيها من المشقة الشاقة ومكابدة الجوع والعطش في الايام المصيفة كما كنى عنه
بقوله والصاق البطون بالمتون من الصيام والانسان في كل تلك الاحوال متصور لجلال الله وعظمته وانه انما يفعل ذلك امتثالا

لامره

لواجباته وخضوعا لعظمة سلطانه وذلك مناف للكبر والترفع وقد علمت ما في الصوم من كسر الشهوة اشارة بالسوء كما قال عليه السلام ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان وسيلة الشيطان هي الشهوات ومبدأ الشهوات وقوتها مدد الاكل والشرب فتضييق مجاريه بقطعه وبكسر بواعثه ووسوسته اثر ذلك عن العبد وتسكين حركات الاطراف التي سببها تلك الوساوس وتخشع الابصار وتذلل النفوس وتخفيض القلوب وتواضع ما في الزكوة الى قوله الفقر اشارة الى سر من اسرار الزكوة وهو ظاهر وقد ذكرنا اسرارها مستقصا في الفصل الذي اوله ان افضل ما توسل به المتوسلون الى الله امر باعتبار ما في هذه الافعال اي التي تقع في الصلوة والزكوة والصيام من تعفير عتاق الوجوه والصاق كرائم الجوارح ومساوي الاقدام بالارض وتخوف البطون بالمتون الى غير ذلك من الافعال المستلزمة للتواضع والتذلل تاكيدا لما قرره اولا من كون هذه العبادات حارسة لعباد الله عن تذليل الكبر وبالله التوفيق

الفصل الرابع

في توبيخهم على العصبية من غير سبب يعرف او حجة يقبلها عقل وامرهم بالتعصب لمحامد الاخلاق ومكارمها وتحذيرهم من العقوبات النازلة بمن قبلهم من الامم والنظر في عواقب امورهم وغير ذلك من الامور المواعظ وذلك قوله ولقد نظرت فما وجدت احدا من العالمين يتعصب لشيء من الاشياء الا عن علة تحتمل تمويه الجهلاء او حجة تليط بعقول السفهاء غيركم فانكم تتعصبون لامر لا يعرف له سبب ولا علة اما ابليس فتعصب على آدم لاصله وطعن عليه في خلقته فقال انا ناري وانت طيني واما الاغنياء من مترفة الامم فتعصبوا لآثار مواقع النعم فقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فان كان لا بد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الاخلاق ومحامد الافعال ومحاسن الامور التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل بالاخلاق الرغيبة والاحلام العظيمة والاخطار الجليلة والآثار المحمودة فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام والطاعة للبر والمعصية للكبر والاخذ بالفضل والكف عن البغي والاعظام للقتل والانصاف للخلق والكظم للغيظ واجتناب الفساد في الارض واحذروا ما نزل بالامم قبلكم من المثلات بسوء الافعال وذميم الاعمال فتذكروا في الخير والشر احوالهم واحذروا ان تكونوا امثالهم فاذا تفكرتم في تفاوت حاليهم فالزموا كل امر لزمت العزة به حالهم وزاحت الاعداء له عنهم ومدت العافية فيه بهم وانقادت النعمة له معهم ووصلت الكرامة عليه حبلهم من الاجتناب للفرقة واللزوم للالفة والتحاض عليها والتواصي بها واجتنبوا كل امر كسر فقرتهم واوهن منتهم من تضاغن القلوب وتشاحن الصدور وتدابر النفوس وتخاذل الايدي وتدبروا احوال الماضين من المؤمنين قبلكم كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء الم يكونوا اثقل الخلائق اعباء واجهد العباد بلاء واضيق اهل الدنيا حالا اتخذتهم الفراعنة عبيدا فساموهم سوء العذاب وجرعوهم جرع المرار فلم تبرح الحال بهم في ذل الهلكة وقهر الغلبة لا يجدون حيلة في امتناع ولا سبيلا الى دفاع حتى اذا رأى الله سبحانه جد الصبر منهم على الاذى في محبته والاحتمال للمكروه من خوفه جعل لهم من مضايق البلاء فرجا فابدلهم العز مكان الذل والامن مكان الخوف فصاروا ملوكا حكاما وائمة اعلاما وقد بلغت الكرامة من الله تعالى لهم ما لم تذهب الآمال اليه بهم فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء مجتمعة والاهواء مؤتلفة والقلوب معتدلة والايدي مترادفة والسيوف متناصرة والبصائر نافذة والعزائم واحدة الم يكونوا اربابا في اقطار الارضين وملوكا على رقاب العالمين فانظروا الى ما صاروا اليه في آخر امورهم حين وقعت الفرقة وتشتتت الالفة واختلفت الكلمة والافئدة وتشعبوا مختلفين وتفرقوا متحاربين قد خلع الله عنهم لباس كرامته وسلبهم غضارة نعمته وبقي قصص اخبارهم فيكم عبرا للمعتبرين منكم فاعتبروا بحال ولد اسمعيل وبني اسحق وبني اسرائيل فما اشد اعتدال الاحوال واقرب اشتباه الامثال تأملوا امرهم في حال تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة اربابا لهم يحتازونهم عن ريف الآفاق وبحر العراق وخضرة الدنيا الى منابت الشيح ومهافي الريح ونكد المعاش فتركوهم عالة مساكين اخوان دبر ووبر اذل الامم دارا واجدبهم قرارا لا يأوون الى جناح دعوة يعتصمون بها ولا الى ظل الفة يعتمدون على عزها فالاحوال مضطربة والايدي مختلفة والكثرة متفرقة في بلاء ازل واطباق جهل من بنات موؤدة واصنام معبودة وارحام مقطوعة وغارات مشنونة فانظروا الى مواقع نعم الله تعالى عليهم حين بعث اليهم رسولا فعقد بملته طاعتهم وجمع على دعوته الفتهم كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها واسالت لهم جداول نعيمها والتفت الملة بهم في عوائد بركتها فاصبحوا في نعمتها غرقين وفي خضرة عيشها فكهين قد تربعت الامور بهم في ظل سلطان قاهر وآوتهم الحال الى كنف عز غالب وتعطفت الامور عليهم في ذرى ملك ثابت فهم حكام على العالمين وملوك في اطراف الارضين يملكون الامور على من كان يملكها عليهم ويمضون الاحكام فيمن كان يمضيها فيهم لا تغمز لهم قناة ولا تقرع لهم صفاة الا وانكم قد نفضتم ايديكم من حبل الطاعة وثلمتم حصن الله المضروب عليكم باحكام الجاهلية فان الله سبحانه قد امتن على جماعة هذه الامة فيما عقد بينهم من حبل هذه الالفة التي ينتقلون في ظلها ويأوون الى كنفها بنعمة لا يعرف احد من المخلوقين لها قيمة لانها ارجح من كل ثمن واجل من كل خطر واعلموا انكم صرتم بعد الهجرة اعرابا وبعد الموالاة احزابا ما

في بيان الخطبة القاصعة

تتعلقون من الاسلام الا باسمه ولا تعرفون من الايمان الا رسمه تقولون النار ولا العار كانكم تريدون ان تكفئوا الاسلام على
وجهه انتهاكا لحريمه ونقضا لميثاقه الذي وضعه الله لكم حرما في ارضه وامنا بين خلقه وانكم ان لجأتم الى غيره حاربكم
اهل الكفر ثم لا جبرئيل ولا ميكائيل ولا مهاجرين ولا انصار ينصرونكم الا المقارعة بالسيف حتى يحكم الله تعالى بينكم
وان عندكم الامثال من باس الله تعالى وقوارعه وايامه ووقايعه فلا تستبطئوا وعيده جهلا باخذه وتهاونا ببطشه
ويأسا من باسه فان الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين ايديكم الا لتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلعن السفهاء
لركوب المعاصي والحلماء لترك التناهي الا وقد قطعتم قيد الاسلام وعطلتم حدوده وامتم احكامه **قوله** التمويه
التلبيس وتلبط بالصنو وتخلط والسفه خفة العقل والمجد جمع ماجد وهو كريم الآباء شريفهم والنجداء جمع نجيد وهو ذو النجدة
وهي فضيلة تحت الشجاعة واليعاسيب للقبائل ساداتها ونحت بعدت والنحائض النحات والفقرة الواحدة من خرزات الظهر وروى فقرهم جمع
فقرة والمنة القوة والتضاغن التحاقد والتشاحن التعادي والتدابر التقاطع والتخاذل عدم التناصر والعباء الحمل والجهد المشق
وسمه تكده او ليته اياه والمرار بضم الميم شجرة اذا اكلت منه الابل قلصت عنه مشافرها والترافد التعاضد والتعاون وغضارة
النعمة طيبها والاحتياز الانقطاع عن الشيء والاخذ عنه والريف الارض ذات الزرع والخصب مهافي الريح جمع مهفاة وهي محل هفو
الريح اي حركتها وهبوبها ونكد المعاش قلته وشدته والعالة جمع عائل وهو ذو العيلة وهي الفقر والوبر الحفد وفي بعض النسخ
دبر ووبر والدبر الجرب في ظهر البعير والازل الضيق والموؤدة البنت تدفن في التراب حية وشن الغارة فرقها من كل جانب والفكة
طيب النفس لسرور وبعد الفكة الاشر والبطر وتربعت اقامت واصله الاقامة في الربيع ويحتمل ان يريد تمكنت كالمتربع بجلسته المخصوصة
مبوتها ذات تمكن والذرى جمع ذروة وهي اعلى الجبل وعطفت عليه وتعطفت اذا اشفق عليه والتفت اليه باحسانه والخطر المنزلة
والقدد والاعراب سكان البادية وكفاء الاناء قلبه لوجهه والنهار الحر اخذها الاجل والمقارعة المضاربة فقوله ولقد
نظرت الى قوله بمعل بني في معرض التوبيخ لهم على تعصبهم الباطل الذي تثور به الفتن مع انه ليس لامر يعرف من وجه المنفعة والمصلحة
الحاملة عليه ولفظ الا يقتضي حصر وجدانه لمن يتعصب لشيء في وجدانه متعصبا عن علة يحتمل تشبيه الامر على اهل الجهل بسبب
بغلبه سببا صحيحا للتعصب وعن حجة المتصل بعقول السفهاء فيقبلها وهذا هو مقتضى العقل اذ كان الترجيح من غير مرجح محالا في بداية
العقول وتقدير الكلام فما وجدت احدا يتعصب الا وجدته يتعصب عن علة وقوله غيركم استثناء من معنى الاثبات في الجملة المفيدة
للحصر كانه قال وجدت كل احد يتعصب عن علة الا انتم وقوله تتعصبون لامر ما يعرف له سبب ولا علة اي سبب يحتمل التمويه على الجهلاء وعلة
ملتصق بعقول السفهاء ولم يرد نفي مطلق السبب اذ سبب تعصبهم وثوران الفتنة بينهم هو الاغراء الذي كان بينهم وكان يقع من جهالهم
كما ذكرناه في سبب الخطبة لكنه نزله لوصف هنا لنقديته ثم اخذ في تفصيل وجوه العصبية واسبابها فبدء بذكر مبدء العصبية لابليس
وسبب عصبيته لاصله اعتقاده لطف جوهره وشرفه اذ النار اشرف من الطين مع جهله بسر البشرية ووضع آدم على هذه الخلقة وخلقته
التي وضع عليها لخلقه فلذلك فضل نفسه قياسا للفرع على الاصل في الشرف والخسة فقال انا ناري وانت طيني ولذلك قيل اول
من قاس ابليس ثم بعصبية الاغنياء والجهال من مترفة الامم لكونهم الاسوة الماضين في العصبية واشار الى علة تعصبهم وهي آثار مواقع
النعم ومواقعها هي الاموال والاولاد وسائر ما ينتفع به كما قال تعالى حكاية عنهم نحن اكثر اموالا واولادا وآثار تلك المواقع هي الغنى
والترفه بها والتنعم والالتذاذ وكان تعصبهم لذلك وفخرهم به ويجب ان يعلم ان الاموال والاولاد انفسها ليست نعما مطلقا لان النعمة
من الامور الاضافية وانما يقال بالنسبة الى منعم ومنعم عليه وليس لمال المتكلم كك ولا الولد باعتبار انه بل مما يطلق عليهما لفظ النعمة
باعتبار انتفاع الانسان بهما حتى لو كانا سببا لهلاكه واذا لم يكونا بذلك لاغتباطه الا نعمة عليه وفتنة له فلذلك جعلهما مواقع النعم
اي محال قابلة لكونها نعما ويحتمل ان يريد بالنعم الاموال والاولاد بمواقعها وقوعها فانه كثيرا ما يريد بمفعل المصدر وآثارها هي الغنى
والترفه كما قدمناه ثم لما وبخهم على التعصب الباطل نبههم على مواقع العصبية وما ينبغي ان يكون له وهي مكارم الاخلاق ومحامد
الافعال ومحاسن الامور التي تفاضلت فيها اهل المجد والشرف والنجدة من بيوتات العرب وسادات القبائل والباء في قوله
بالاخلاق متعلقة بتفاضلت فان المذكورين تفاضلوا في محاسن الامور بالاخلاق الرغيبة اي المرغوب فيها وقد علمت فيما سبق
اصول الاخلاق الفاضلة وما تحتها من انواعها والحلم ملكة تحت الشجاعة وهي الاناة والتثبت عند الغضب وموجباته والمفاضلة
بالاخطار الجليلة مراعاة المراتب المحمودة ومنازل الشرف بالمحافظة على تلك الاخلاق المحمودة وملازمتها وكذلك المفاضلة بالآثار
المحمودة يعود الى ملازمة الافعال الجميلة الموافقة للاخلاق المناسبة كفعل البذل عن السخاء وكفعل الهرب شلا مراعاة للعدل
الى ما ثم امرهم بعد التعصب على تلك المكارم بالعصبية لها فقال فتعصبوا لخلال الحمد واشار الى تفصيلها فمنها حفظ الجوار وهي
فضيلة تتشعب عن فضيلتين لان حفظه يكون بالكف عن اذاه وذلك فضيلة تحت العدل ويكون بالاحسان اليه وبسط نفعه والمحبة

وقوله سائر

ومواساته ونحو ذلك وهو تحت العفة ومنها الوفاء بالذمام وهو تحت العفة ومنها الطاعة للبر والأولى ان يريد بالبر هنا ما اراد به القرآن
الكريم بقوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله الى قوله واولئك هم المتقون ولكن البر من اتقى فان
المراد في هاتين الفقرتين بالبر كمال الايمان والتقوى والاعمال الجميلة ومعنى طاعة البر التلبس بهذه الافعال وملازمتها واعتقاد
وجوبها ويحتمل ان يريد بطاعة البر البر بخصوص الامر لانه لم يوصف بطاعة البر ويراد به العفة عن الاكتساب فيقابله الفجور ويحتمل ان يريد
هيهنا ما يقابل العقوق وهو الشفقة على ذوي الرحم والاحسان الى الوالدين وهو داخل تحت العفة ومنها المعصية للكبر والمراد بمعصية
الكبر مجانبته مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب ومعصية الامر بالكبر وهو كناية عن التواضع وهو فضيلة تحت العفة والمعصية هنا في
مقابلة الطاعة ومنها الاخذ بالفضل واراد استكمال الفضيلة ولزومها ويحتمل ان يريد بالفضل التفضل على الغير والاحسان اليه
والاخذ به فيكون امرا بالاحسان والجود وهو فضيلة تحت العفة ومنها الكف عن البغي ويعود الى فضيلة العدل ومنها تعظيم القتل وهو
كناية عن تركه لما يستلزم من رذيلة الظلم ثم الوعيد عليه في الآخرة ويعود الى فضيلة العدل ايضا وكل الانصاف للخلق ولزوم العدل
في معاملاتهم ومنها كظم الغيظ وهو فضيلة تحت فضيلة الشجاعة ومنها اجتناب الفساد في الارض وهو من لوازم فضيلة العدل ايضا
امر بلزوم مكارم الاخلاق والاعمال الجميلة ثم امرهم بالتفكر عن الكون على ذلك عن رذائلها وذمائمها وذلك التفكر بتذكيرهم ما معتبر
حال الامم الماضين وما اصابهم من عقوبات الله بسبب سوء افعالهم وذميم اعمالهم وتحذيرهم ان يرتكبوا تلك الرذائل فيصيبهم ما اصاب
اولئك من باس الله وامرهم ان يتذكروا احوالهم في الخير والصلاح حين كانوا في طاعة انبيائهم والالفة والجماعة بينهم وحالهم في الشر التي انقلبوا
اليها عن تلك الحال حين خالفوا صالح الاعمال وخالفوا بينهم الافعال وحذرهم ان يكونوا امثالهم اي في ذلك الانقلاب واستبدال
الشر بالخير وان يلزموا عند تفكرهم في تفاوت حاليهم كل امر لزمت العزة به شانهم وزاحت الاعداء عنهم ومدت العافية فيه عليهم والباء
للاستصحاب اي مدت مستصحبة لهم وفي نسخة الرضي ره وسدت بالفتح على البناء للفاعل كقولك مد الماء اي جرى وسال وكذا انقادت
النعمة له اي ذلك الامر معهم اي بسببه اذ كان سببا معدا لافاضة النعم عليهم ووصلت الكرامة عليه حبلهم واستعار لفظ الوصل لاجتماع اسباب
كرامة الله لهم حال كونهم على ذلك الامر ورشح بذكر الحبل وقوله من الاجتناب الى قوله والتواصي بها وذلك الامر لزوم الالفة سبب الامور
التي عددها وقوله واجتنبوا الى قوله وتخاذل الايدي اي واجتنبوا كل امر اشتد كونه تلك الامور التي اوجبت لهم العزة والكرامة وكان
سببا للكسر فقرتهم ووهن قوتهم وهو التضاغن والتشاحن والتقاطع والتخاذل لانها امور مضادة للالفة ومنافية لها فكانت مضادة
لما يستلزمه الالفة وذكر التخاذل المطلق واضافه الى الايدي كناية لان الاغلب ان يكون التناصر بالايدي وهؤلاء الذين امر باعتبار
حالهم لا يريد بهم امة معينة بل الحال عام في كل امة سبقت فان كل امة ترافدت ايديهم وتعاونوا وتناصروا كان ذلك سببا للعزة ما لهم
ودفع الاعداء عنهم وكل قوم افترقوا وتقاطعوا لزم ذلك ذلهم وقهر الاعداء لهم وقوله وتدبروا احوال الماضين من المؤمنين الى قوله النعم
امرهم باعتبار هذه الاحوال فيمن هو اخص وهم المؤمنون من الماضين في ازمان الانبياء السابقين فانهم حيث كانوا مع كل نبي في مبدأ
امرهم في حال التمحيص والاستخلاص لقلوبهم بالابتلاء اثقل اهل الارض اعباء فاتخذتهم الفراعنة عبيدا يسومونهم سوء العذاب ويجرعوهم
كيوسف مع فرعون زمانه وكموسى ومن هو دين امن معهما من بني اسرائيل حسبما امرهم فانهم كانوا حال التمحيص والبلاء بالصفات
التي ذكرها فاتخذتهم الفراعنة عبيدا يسومونهم سوء العذاب ويجرعونهم المرار فلم يزالوا كذلك مقهورين حتى اذا راى استعدادهم بالصبر
على دينه للافاضة وجعل عليهم افاضها عليهم وجعل لهم من مضايق البلاء فرجا فابدلهم بالعز مكان الذل والامن مكان الخوف كما اشار اليهم
تعالى في كتابه حيث قال واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
واذ فرقنا بكم البحر الآية وقبل ذلك ما كان المؤمنون مع نوح وابراهيم وغيرهما فاما كونهم ملوكا وحكاما وائمة اعلاما وبلوغهم الكرامة من
الله ما لم يبلغ مالهم اليه فان موسى ع اورثهم بعد هلاك فرعون ملك مصر وبعثهم الى الملك الذين وكطالوت وداود بعد مجاهدتهم
لجالوت وقتله وذلك ان طالوت لما جاوز النهر هو ومن معه للقتال لجالوت كان معه داود ع فرماه من مقلاعه بحجر فقتله وانكسر اصحابه
كان الملك والغلبة لطالوت واصحابه وكان الملك بعده لداود ع كما قال تعالى واتاه الله الملك والحكمة وكذلك اجتمع الملك والنبوة في سليمان
وولده وولد ولده الى الاعرج من ولده فطمعت الملوك في بيت المقدس لضعفه وضعف ملكه وانه لم يكن يتبعهم تقاربا اليهم ملك الجزيرة وكان يسمى
سنجاريب وكان بخت نصر كاتبه فارسل الله تعالى عليه ريحا فاهلكت جيشه وافلت هو وكاتبه فقتله ابنه فغضب له بخت نصر فاغزاه حتى
قتله وملك بعده وكان ذلك اول ملك بخت نصر وقوله فانظروا حيث كانوا الى قوله للمعتبرين منكم امرهم باعتبار حالهم في تفرقهم واجتماعهم
واشارة الى ان المستلزم لتلك الخيرات كلها انما كان هو الالفة والاجتماع والاعتبار ما صاروا اليه في آخر امورهم حين وقعت الفرقة بينهم
وتشتت الفتهم واختلفت كلمتهم وافئدتهم فخلع الله عنهم لباس كرامته وسلبهم غضارة نعمته وبقي قصص اخبارهم عبرة للمعتبرين وعوا شارة
الى ان المستلزم لتلك الشرور هو ما حصلوا عليه من تفرق الكلمة وذلك مما دل على كل فرقة فرقت وامة ترامت امنوا وتحفهم المجاهدون

في بيان الخطبة القاصعة

الفقر عند الجبابرة ثم صبروا فانتصروا على اعدائهم واراد باعتدال القلوب استقامتها على الحق وقوله والايدي مترادفة قال بعضهم اراد اهل السيوف
تحذف الصفات ويحتمل ان يكون قد استعار وصف الترادف لها باعتبار كونها اسبابا يقوى بعضها بعضا فصارت كالجماعة التي ينصر
بعضها بعضا ونفوذ البصائر وقوة احد ... لتنبههم عن الحق واصابة الرأي واتخاذ العزائم اتفاق الارادات الجازمة على طلب الحق ومختلفين ومتحاربين
منصوبان على الحال وكل موضع قوله قد خلع وكل عبرة وقوله فاعتبروا بحال ولد اسمعيل وبني اسحق واسرائيل ع الى قوله ضيعة امرهم
باعتبار الحق ولد اسمعيل اشارة الى العرب من آل قحطان وآل معد ومن بني اسحق اولاد روم بن عيص بن اسحق وبنو اسرائيل وهو يعقوب
بن اسحق فاما حال تشتتهم وتفرقهم واستيلاء الاكاسرة والقياصرة عليهم وفعلهم بهم ما ذكر فمتفرق في كلمة العرب قبل ظهور محمد عليه السلام
امر ظاهر معلوم لكل من طالع كتب السير وبسبب ذلك كانت الاكاسرة اربابا لهم يختارونهم ويبعدونهم عن ريف الآفاق وبحر العراق
ونضرة الدنيا الى البادية واما حال بني اسحق واسرائيل في ذلك فنحو ما جرى لاولاد روم بن عيص من اختلاف النسطورية واليعقوبية
والملكانية حتى كان ذلك سببا لضعفهم واستيلاء القياصرة عليهم في الروم وعلى بني اسرائيل في الشام واذ غاح بخت نصر لهم عن
بيت المقدس حتى غزاهم المرة الثانية كما اشار اليه القرآن الكريم بقوله فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد الآية
وقد كان غزاهم مرة اولى حين احدثوا وعبروا فرجعوا الى الله تعالى وتابوا فرده عنهم وهي المرة الاولى التي حكى الله تعالى بقوله فاذا جاء
وعد اوليهما الآية ثم احدثوا بعد ذلك فبعث الله اليهم ارميا فقام فيهم بوحي الله فضربوه وقيدوه وسجنوه فغضب الله عليهم فبعث
اليهم عند ذلك بخت نصر فقتل منهم وجلب احرق وجدع وباع ذراريهم ونساءهم وصارت منهم طايفة الى مصر والحجاز الى ملكها
منشا اليه بخت نصر فاسروا واسر بني اسرائيل والذين فرقوا بهم ارتحلوا الى حدود المدينة كيهود خيبر وبني قريظة والنضير ووادي
القرى فينتفع اذا عرفت ذلك فنقول انه ع امر باعتبار حالهم وتأمل امرهم في حال تشتتهم وتفرقهم قبل بعثة الرسول ص وبعد الاعلام
ما كانوا فيه ثم بين كيف فرج الله عنهم من تلك الشدايد بظهور محمد ص لهم نبيا واعلان غايته من امره باعتبار حال المؤمنين من الامم
الماضية قبلهم لاشتراكهم في الصبر على المكاره ولزوم الاهل والاجتماع مع ذلك وانتظار الفرج به وقوله فما اشد اعتدال الاحوال
التي تتساوى بها ارادان احوالكم الشبيهة المساواة لاحوالهم وكذا ما اقرب اشتباه الاحوال اي ان احوالكم شديدة المماثلة لاحوالهم لانكم
امثالهم وهو اشارة الى وجه علة الاعتبار فانهم اذا كانوا امثالهم واعتقدوا احوالهم وتشابهت امورهم وجب اعتبار حالهم بحالهم ولكن
الفاء للتعليل وقوله تاملوا امرهم في حال تشتتهم الى آخر الكلام اشارة الى حال شدتهم ورخائهم لتنتقل اذهان السامعين الى
اثبات تلك الحال لانفسهم فالماضون اصل لذلك الاعتبار والسامعون فرعه وحكم الاصل احوالهم المرتبة والشريرة وعلة ذلك الحكم
كونهم امثالهم وقوله ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة اربابا لهم اي مالكون لامورهم يختارونهم اي كانت القياصرة يختارون بني
اسرائيل وبني اسحق والاكاسرة يختارون بني اسرائيل ويمنعونهم من اعمال العراق فصار الجميع مطرودا للجميع عن حضرة الآفاق وجنات الشام
وبحر العراق واراد دجلة والفرات وقوله الى منابت الشيح ومهافي الريح كنايتان عن البرية وظاهر انها محل نكد العيش وضيقه كما وتجتمع عليه السلام
بوصف معاشهم في الفصول السابقة ويختص الاكاسرة وهو جمع كسرى بملوك الفرس والقياصرة بملوك الروم وهو جمع على غير قياس
كنى بالدبر والوبر عن الجمال وفيه ايماء الى فقرهم وضيق معاشهم لان دبر الجمال واستعمالهم الوبر واكله بالدم من لوازم الفقر وضيق الحال
وعلى الرواية الثانية فالدين كناية عن الفقر ايضا وذلك انهم اذل الامم دارا لان اهل البادية ليسوا اصحاب حصون وقلاع يتحصنون بها وان كان
لبعضهم حصون فهناك يحميهم عن امثالهم فيما يجري بينهم من الغارات وليس ذلك مما يدفع عدوا ذا قوة او يحتمل حصارا وقوله ولجا يأوون اليه قرارا
اي مستقرا ان كانت البادية لا تقاس الى المدن في الخصب واستعار لفظ الجناح لما ينهض بهم ويقوي اذا دعوا وكنى بذلك عن كونهم
لا ياوون الى من يجيب دعوتهم فيعتصمون به وكذلك استعار لفظ الظل لما يستلزمه الالفة من التعاون والتعاضد والتناصر ووجه المشابهة
هو ما يستلزمه كل من الامور من الراحة والسلامة من حرارة نار العدو والحرب كما يستلزمه الظل من الراحة من حر الشمس وقوله فالاحوال
مضطربة شرح لحالهم بوصف ... وكونهم على غير نظام وكنى باختلاف ايديهم عن عدم اتفاقهم على التناصر وبتفرق كلمتهم عن عدم التفهم
ونحيا عليهم على ... الجهل واضافة البلاء الى الازل بمعنى من وكذلك اضافة اطباق وقد علمت ان للجهل صفات ودركات متراكم بعضها
فوق بعض اولاها عدم العلم بالحق وفوقها الاعتقاد بغير الحق وفوقها اعتقاد شبهة يقوي ذلك ويعضده مع تجويز نقيضه
وفوقها اعتقاد ذلك لشبهة جزما فتلك سحب الرحمة واطباق بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى وجهل مطبق عليهم وقوله من بنات
تفصيل للوازم ذلك الجهل وذكر منها انه من انواع الجاهلية واد البنات واشار اليه القرآن الكريم واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت
قيل كان ذلك في بني تميم وقيس واسد وهذيل وبكر بن وائل قالوا والسبب في ذلك ان رسول الله ص دعا عليهم فقال اللهم اشدد
وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاجدبوا سبع سنين حتى اكلوا الوبر بالدم كانوا يسمونه العلهز فوادوا البنات
لاملاقهم وفقرهم ويؤيد ذلك قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وقيل ... قوم ما كان وادهم للبنات انفة وقيل ان تميما منعت

انتهى

في بيان الخطبة القاصعة

النعمن الامارة سنة من السنين فوجه اليهم اخاه الريان بن المنذر وجل من معه من بكر بن وايل فاستاق النعم وسبا الذرارى فوفدت بنو
تميم الى النعمن فاستعطفوه فرد لهم واعاد عليهم السبى وقال كل امراة اختارت اباها ردت اليه وان اختارت صاحبها تركت عليه فكلهن
اخترن اباهن الا ابنة لقيس فانها اختارت صاحبها فنذر قيس ان يدس كل بنت تولد له فى التراب ففعل ذلك بثمان بنات ثم اقتدى به كثير من بنى تميم لتمادى فى عبادة الاصنام وقد كان لكل قبيلة صنم
يعبدونه فكان لهذيل سواع ولبنى كلب ود ولمذحج يغوث وكان بدومة الجندل ولذى الكلاع نسر ولهمدان يعوق ولثقيف
اللات والعزى لقريش وبنى كنانة والاوس والخزرج مناة وكان هبل على الكعبة واساف ونايلة كانا على الصفا والمروة ومن نوادر
جهلهم المشهورة ان بنى حنيفة اتخذوا فى الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم اصابتهم مجاعة فاكلوه فقال بعضهم فى ذلك
اكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة الثالثة قطع ارحامهم وقد كان احدهم يقتل اباه
واخاه عند الحمية لادنى سبب كما هو معلوم من حالهم الرابع الغارات والحروب كيوم ذى قار وكايام حرب بكر وتغلب بنى وايل و
كحرب داحس والغبراء الى غير ذلك من الايام المشهورة ووقايعهم فى الحروب والغارات اكثر من ان تحصر وكل ذلك من لوازم الجهل وقوله
فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم امرا عتبار حالهم عند مقام محمد صلعم وبعثته فيهم بعد تلك الاحوال الشرية والضمير فى عقد وجمع
راجعان الى الله تعالى لشهادة القرآن الكريم بنسبة الالفة بينهم اليه فى قوله لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بينهم ولكن الله
الف بينهم انه عزيز حكيم ومعنى عقده لطاعتهم عن ابتداء جمعها بعد الانتشار ونظمها بعد التفرق اذ كانت طاعتهم فى الجاهلية لاهوائهم المختلفة بحسب تشتتها وفرقتها
واستعار لفظ الجناح لما اسبغت عليهم رحمة الله من النعمة وحفتهم بعيون الكرامة ورشح بذكر النشر
وكنى به عن عمومهم بها وكذلك استعار لفظ الجداول وهى الانهار لانواع نعمها وسيول الخيرات التى جرت عليهم من الكمالات النفسانية
والبدنية ملاحظة لشبه تلك الطرق والاسباب بالجداول فى جريان الماء بها ورشح بذكر الاسالة وقوله والتفت الملة بهم فى عوايد
بركتها اى جمعت بهم ولفتهم فى منافعها التى حصلت ببركتها يقال التقيت بفلان فى موضع كذا اى لقيته وقيل قوله فى عوايد
نصب على الحال اى الحال كونها كذلك ولفظ الالتفاف كناية عن وفود الدين عليهم وتلبسهم به وكذلك استعار لفظ الغرق فى ملاحظة لشبههم
بالغرقى فى شمول نعمة الدين لهم وعموم نعمة الاسلام اياهم حتى كانهم لاستيلائها عليهم كالغرقى فاستلزم ذلك الملاحظة لتشبيهها
بالبحر اللجى وكنى بخضرة عيشها عن سعة المعاش بسبب الملة وطيبه واراد بالسلطان هنا اما الحجة والبرهان والاقتدار والغلبة
والدولة واستعار لفظ الظل لما يستلزمه ذلك السلطان من النعمة اى وتمكنت بهم الامور والاسباب التى اعدتهم لنعمة الله فى
ذلك الظل وكذلك قوله وآوتهم الحال اى الجأتهم وضمنتهم الحال التى كانوا عليها الى عز غالب وهو عز الاسلام ودولته ملاحظة
لشبهه بالعالى الجبل المنيع فى علوه ومنعته وكذلك استعار لفظ التعطف لاقبال السعادات الدنيوية والاخروية عليهم بالاسلام
الذى هو الامور ولاحظ فى ذلك مشابهتها لاقبال متعطف ذى الرحمة والشفقة على غيره وقوله فهم حكام الى قوله يمينها انهم
ظاهر وكنى بكونهم لا تغمز قناتهم عن قوتهم وعدم انقيادهم للغير ولذلك لا ينزع لهم صفات وجريان مجرى المثل ثم عقب بتوبيخهم على قلة
طاعتهم واستعار لفظ الحبل لما انتظم بينهم من طاعتهم لله ورسوله وكنى بوصف نقض الايدى عن خروجهم من الطاعة وشدة اطراحهم لها
بكثرة من اعمالهم وكذلك استعار لفظ الحصن للاسلام ووجه المشابهة كونه حافظا لهم من اعدائهم الظاهرة والباطنة كالحصن المضروب
على اهله ورشح بذكر المضروب وكذلك استعار لفظ الثلم لكسرهم الاسلام باحكام الجاهلية ومخالفتهم لكثير من احكامه وتفرعهم عن تلك
المخالفة بما يستلزمه من ذلك الثلم وقوله وان الله سبحانه قد امتن الى قوله كل خطر تنبيه لهم على لزوم حبل الالفة والتمسك به والنعمة
التى امتن الله تعالى بها فى عقد حبل الالفة التى لا يعرف احد لها قيمة هى الالفة نفسها باعتبار ما استلزمه من المنافع العظيمة ودفع المضار
وعلل عدم معرفة الخلق لقيمتها بكونها ارجح من كل ثمن واجل من كل خطر وهى صغرى قياس ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك لم يعرف احد
قيمته وصدق الصغرى ظاهر اذ كانت تلك الالفة والاجتماع على الدين سببا عظيما فى اسعادهم لسعادتى الدنيا والاخرة وقوله واعلموا
الى قوله بين حلقة توبيخ لهم بانتقالهم عن الاحوال والاقوال الاسلامية الى الاحوال الجاهلية اى قد صرتم بعد كونكم مهاجرين اعرابا
ولما كانت الاعراب انقص رتبة من المهاجرين واهل المدن لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن الفضايل النفسانية وتعلمها وعن سماع
الفاظ الرسول صلعم ومجالسته واقتباس الاداب من اهل الحضارة كما قال تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا الاية لاجرم وبخهم بنسبتهم
كذلك وليس كل الاعراب بالصفة المذكورة لقوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر الاية وكونهم بعد الموالاة احزابا فالاحزاب
الفرق التى ينقسم لمحاربة الرسل واوصيائهم ويجتمع لمخالفتهم وظاهر ان هؤلاء كذلك لانقسامهم وتشعبهم الى ناكثين وقاسطين
ومارقين ومنافقين ومحاربتهم له حتى ليس لهم اذن جامع فى الاسلام يتعلقون به الا اسم الاسلام ولا يعرفون من الايمان الا رسمه واثره وشعاره
الظاهر بالشهادتين وحضور الصلوة دون شرايط الحقة وما ينبغى له وقولهم النار ولا العار كلمة يقولها اهل الكبر والانفة من تحمل
الاذى والضيم لانفسهم او لقومهم فى الاستنهاض الى الفتنة والنار والعار منصوبان بفعلين مضمرين تقديرهما ادخلوا النار ولا

رتبة وللتشبيه نعمهنا انتقادا ت الاسلام

ومنشره

وتفتيهم

يجعلوا النار ثم شبههم في حالهم وقولهم ذلك بمن يقصد ان يقلب الاسلام على وجهه وكني بذلك عن افساده كما يكفأ الاناء ملاحظة لشبهه بالاناء فيقلب فيخرج ما فيه عن الانتفاع به ووجه التشبيه المذكورات افعالهم المذكورة كافعال من يقصد ذلك من اعداء الاسلام لارادة افساده وقوله انتهاكا ونقضا منصوبان على المفعول له والعامل قوله يكفئوا ويصلح ان يكونا مصدرين عن فعل نسبه اليهم بعينه هنا ذكرهما هيهنا وميثاقه ما اخذ عليهم فيه واسلموا عليه من خير ما نزل وهي الايمان الصادق بالله ورسوله وملجأ بمنزلة القوانين الشرعية ثم وصف ذلك الميثاق بكونه الله قد وضعه لهم حرما في ارضه يمنعهم من كل عدو وامنا بين خلقه لمن دخله واراد بحلل من يخاف الصنايع بحوز بلفظ الامن في امنا من اطلاق الاسم الحال على المحل وقوله وانكم الى قوله بينكم يحذر من الاعتماد على غير الاسلام والالتجاء اليه من شجاعة او حمية او كثرة في قبيلة مع الخروج عن طاعة سلطان الاسلام والتفرق فيه فان ذلك يستلزم طمع الكفار فيهم وعدم نصرة الملائكة والمهاجرين والانصار لهم اما لان النصرة كانت مخصوصة بوجود الرسول والاجتماع على طاعته وقد زالت بفقده او لانها مشروطة بالاجتماع على الدين والالفة فيه والذب عنه فاذا التجأ الى غيره وحاربهم الكفار لم يكن لهم ناصر من الملائكة لعدم اجتماعهم على الدين ولا من المهاجرين والانصار لفقدهم وهذا اللازم محذوف ينبغي ان يحذرهم فالملزوم وهو الالتجاء الى غير الاسلام يجب ان يكون كذلك والضمير المضاف اليه في حربهم وفيهم يعود اليه الى الاسلام وقال بعض الشارحين الضمير في قوله يعود الى الله والاول اولى لسياق الكلام والنصب في جبرئيل وميكائيل على انهما اسمان ملاحظا فيهما التنكير ولذلك لم تعقبهما بعد الا بالنكرتين ويقصر وبكم هو خبرها مفسرا لمثله عقيب ما يكون منها وقوله الا المقارعة بالسيف استثناء منقطع وحكم الله الذي جعله غاية للمقارعة هو اضافة الصورة النصر على احد الفريقين والانتقام على الاخر وقوله وان عندكم الامثال الى قوله ووقايعه يذكرهم بما ضرب الله لهم من الامثال بالقرون الماضية ووقايعهم من باس الله وقوارعه وهي الدواهي العظام واياما وهي كناية عن الايام التي وقع بهم فيها عقوبته وباسه حين استحقوا ذلك بمعصيته وتهديدهم بذلك ان خالفوا امره وقوله فلا تستبطئوا الى قوله باسه تهديدهم ايضا وتوعد بقرب العقوبة على المعصية واطلاق لفظ الاستبطاء هنا مجاز لان الاستبطاء للشيء استبعاد لوقوعه مع انتظار وقوعه المستلزم للطلبة وطلب تحقيق الوعيد ليس من مقاصد العقلاء حتى ينهون عنه لكن لما كان الانسان اذا هم بالمعصية فقد يستبعد تحقيق الوعيد وعزيمتها كيكون ذلك مما يقوى معه داعيته وشهوته لفعلها كان ذلك الاستبعاد سببا لوجوده المعصية ولما كان ذلك الاستبطاء اطلق عليه اطلاقا لاسم الجزء على الكل فيكون التهديد والتوبيخ عليه ابلغ ولان الذي يقدم على المعصية مع علمه بما يستلزم من الاعذاب دلنزول العذاب يناسب في الحقيقة من يستبطي العقوبة ويطلب تعجيلها بفعله وكانوا بمعصيتهم كالمستبطئين للوعيد فاطلق في حقهم لفظة الاستبطاء ونهاهم عنه ونصب جهلا وتهاونا وياسا على المفعول له لصلوح الثلاثة علة لذلك الاستبطاء الوعيد بمعنى استبعاده لان جهل العبد بكيفية اخذه تعالى بالموت واهواله وشدايد الاخرة مما يستبعد معه وقوع تلك الامور في حقه كما هي وكذلك تهاونه بسطوة الله وعدم علمه بما في ذلك الابسط من الاستدراج مما يحمله على استبعاد وعيده ويغريه بالمعصية وكذلك ياسه من باسه بسبب ذلك الجهل وذلك الابسط مما يحمله على ذلك الاستبعاد ايضا وقوله وان الله الى قوله التناهي شبههم على ان لعنة الله للقرن الماضين ايديهم قبل الاسلام كان لا زماناسا ويا لتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر محصورا فيه وكانت لعنة الله لعنته لسفهائهم وما في عقولهم لركوبهم المعاصي المنكرة واما الحكماء منهم وذوي العقول فلعدم انكارهم ونهيهم عما يشاهدونه من المنكر وذلك اللعن في قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ونبههم بقوله الا وقد قطعتم قيد الاسلام الى قوله الحكام تالى انهم من جملة من اتصف بذلك الملزوم اعني ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وركوب المعاصي فلزمهم الدخول في زمرة من لعنه الله بذلك الترك وغايته هذا التشبيه الجذب عن ركوب المعاصي الى الانتهاء والتناهي عنها واستعار لفظ قيد الاسلام للامر والاجتماع عليه وعلى امتثال اوامر الله فيه باعتبار كون ذلك حافظا للاسلام عليهم ومانعا له من التشرد والذهاب كما يمنع الحمل قيده من التشرد والتشتت وحدود الله احكامه التي حدها للناس ومنعهم من تجاوزها وتعطيلهم لها باطراحها وتجاوزها وكذلك امانتهم احكامه عدم العمل بها ووضع الامانة مستعار لتركها واهمالها لاعتبار انهم اخرجوها بذلك الاهمال عن انتفاعهم بها كما ان ميت الشيء يخرجه عن حد الانتفاع وبالله التوفيق **الفصل الخامس** في اقتصاصه عليه السلام لحاله في تكاليفه وقوة نفسه لاوامر الله بلامة الحسن في سبيله وبهيئة حاله مع رسول الله صلى الله عليه وآله والتنبيه على موضعه منه وكيفية تربيته له من اول عمره والاشارة الى قوته في دين الله وفضله فقوله الا وقد امرني الله بقتال اهل البغي والنكث والفساد في الارض فاما الناكثون فقد قاتلت واما القاسطون فقد جاهدت واما المارقة فقد دوخت واما

في بيان الخطبة القاصعة

شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ورجة صدره وبقيت بقية من أهل البغي ولئن أذن
الله في الكرة عليهم لأديلن منهم إلا ما يتشذر في أطراف الأرض تشذرا أنا وضعت بكلاكل العرب وكسرت نواجم قرون
ربيعة ومضر وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره
وأنا وليد يضمني إلى صدره ويكنفني في ملابسه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه
وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد قرن الله سبحانه به من لدن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته
يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في
كل يوم علما من أخلاقه ويأمرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد
يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة
ولقد سمعت رنة الشيطان لعنه الله حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال
هذا الشيطان قد أيس من عبادته إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك وزير وإنك لعلى خير ولقد
كنت معه صلى الله عليه وآله لما أتاه الملأ من قريش فقالوا له يا محمد إنك قد ادعيت عظيما لم يدعه آباؤك ولا أحد
من أهل بيتك ونحن نسألك أمرا إن أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنك نبي ورسول وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب
فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وما تسألون قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك فقال
صلى الله عليه وآله إن الله على كل شيء قدير فإن فعل الله ذلك لكم أتؤمنون وتشهدون بالحق قالوا نعم قال صلى الله
عليه وآله فإني سأريكم ما تطلبون وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير وإن فيكم من يطرح في القليب ومن يحزب الأحزاب
ثم قال عليه الصلاة والسلام أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقك
حتى تقفي بين يدي بإذن الله فوالذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دوي شديد وقصيف كقصيف
أجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مترفرفة وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله صلى الله عليه
وآله وببعض أغصانها على منكبي وكنت عن يمينه صلوات الله عليه وآله فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علوا واستكبارا فمرها
فليأتك نصفها ويبقى نصفها فأمرها بذلك فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشده دويا فكادت تلتف برسول الله صلى الله
عليه وآله فقالوا كفرا وعتوا فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان فأمره صلى الله عليه وآله فرجع فقلت أنا لا إله إلا الله
إني أول مؤمن بك يا رسول الله وأول من آمن بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقا لنبوتك وإجلالا لكلمتك فقال
القوم كلهم ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا يعنوني وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله
لومة لائم سيماهم سيما الصديقين وكلامهم كلام الأبرار عمار الليل ومنار النهار متمسكون بحبل الله القرآن يحيون سنن
الله وسنن رسوله صلى الله عليه وآله لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغلون ولا يفسدون قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل

أقول النكث نقض العهد والقسوط الجور والعدول وخبثا القوم غلبتهم وقهرهم والردهة نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء والصعقة الغشية
من صيحة ونحوها والوجبة واحدة الوجيب وهو اضطراب القلب والرجة واحدة الرج وهي الحركة والزلزلة والكرة والإدالة لأديلن منهم أي لا
قهرنهم وأكون ذا الدولة منهم والغلبة عليهم والتشذر التفرق والكلاكل الصدر والنواجم جمع ناجمة وهو الطالع والخارج ويكنفني في فراشه
أي يحفظني فيه ويحوطني ويلفني والعرف ريح الجسد والخطلة السيئة والقبيحة من قول وفعل والعظيم المعظوم وحراء بالمد والكسر جبل بمكة
ويؤنث ويصرف ولا يصرف والرنة صوت يصدر عند حصول المكاره كالحزن ونحوه والقليب البئر قبل أن تطوى يذكر ويؤنث وقال
أبو عبيدة هي البئر القديمة العادية والدوي صوت خفيف الريح والنحل والقصف صوت جناح الطير وأصواتها في الهواء والسيما مقصور
وممدود العلامة والأثر في البئر يعرف به والمنار الأعلام وغل من المغنم يغل بالضم إذا خان فيه قال أبو عبيد يقال منه يغل بالضم ومن
الحقد يغل بالكسر ومن الخيانة المطلقة أغل يغل واعلم أنه عليه السلام نبه في هذا الفصل على أن قتاله لهذه الفرق كان بأمر الله على لسان رسول الله
صلى الله عليه وآله وذلك لأمرها من القرآن الكريم من قوله تعالى فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ومن
السنة بأمر خاص وهو من أوامر الله أيضا وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين
فكان الناكثون أصحاب الجمل لنكثهم بيعته وكان القاسطون أهل الشام والمارقون الخوارج بالنهروان والفرق الثلاث يصدق عليهم
أنهم أهل البغي وقاسطون لخروجهم عن سواء العدل إلى طرف الظلم والجور وتخصيص كل فرقة منهم بما سميت به عرف شرعي فأما وصف
الخوارج بالمارقين فمستنده قول الرسول صلى الله عليه وآله الذي أشار به إلى ذي الثدية سيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقد
ذكرناه قبل والضئضئ الأصل وهذا الخبر من أعلام نبوته صلى الله عليه وآله ثم قال وأما القاسطون فقد جاهدت وأما المارقة فقد دوخت

في بيان الخطبة القاصعة

على ان هذه الخطبة في اواخر خلافته عليه السلام بعد وقايع صفين والنهروان واما شيطان الردهة فالاشبه ان المراد به ذو الثدية من الخوارج لما ورد
في الحديث ان النبي ص ذكره فقال شيطان الردهة يحتدره رجل من بجيلة فاما كونه شيطانا فباعتبار كونه ضالا مضلا واما نسبته الى
الردهة فيشبه ان يكون لما روي انه حين طلبه ع في القتلى وجد في حفرة دالية فيها نحو من الماء فانسبه رسول الله ص اليها لما كان يعلم من
كيفية حاله في مقتله وروي عن يزيد بن رويم قال قال علي ع يقتل اليوم اربعة الاف من الخوارج احدهم ذو الثدية فلما
طحن القوم ورام استخراج ذي الثدية فاتعبه امرني ان اقطع له اربعة الاف قصبة وركب بغلة رسول الله ص ثم امرني ان اضع على كل رجل منهم
قصبة فلم ازل كذلك وهو راكب خلفي والناس حوله حتى بقيت في يدي واحدة فنظرت اليه وقد اربد وجهه وهو يقول والله ما كذبت
ولا كذبت فاذا نحن بخرير الماء في حفرة عند موضع دالية فقال لي فتش هذا ففتشته فاذا قتيل قد صار في الماء واذا رجله في يدي
فجذبتها وقلت هذه رجل انسان فنزل عن البغلة مسرعا فجذب الرجل الاخرى وجررناه فاذا هو المخدج فكبر ع ثم سجد وكبر الناس
باجمعهم واما الصعقة التي اشار اليها فهي ما اصاب ذا الثدية من الغشي والموت بضربته ع حتى استلزم ذلك ما حكاه من سماع وجبة
صدره ووجيب قلبه وقال بعضهم المراد بالصعقة هنا الصاعقة وهي صيحة العذاب وذلك انه روي ان عليا ع لما قابل القوم صاح
بالقوم فكان ذو الثدية ممن هرب من صيحته حتى وجد قتيلا في الحفرة المذكورة وقال بعضهم يحتمل ان يشير بالشيطان الى ابليس
المنافق كما اشرنا اليه في الخطبة الاولى وهو القوة الوهمية فاستعار لفظ الردهة وهي النقرة في الجبل للبطن الاوسط من الدماغ الذي
هو محل القوة الوهمية لمكان المشابهة وقد يعبر بالجبل عن الدماغ في عرف المجردين وعن القوى فيه وبالجن والشياطين تارة وبالملائكة اخرى
ولما كانت الانبياء والاولياء قد يشاهدون الامور المجردة والمعاني المعقولة كالملائكة والجن والشياطين في صور محسوسة باستعانة
من القوة المتخيلة كما علمت في المقدمات وكما ستشير اليه عن قرب احتمل ان يقال انه ع راى الشيطان المذكور بصورة محسوسة
ذات صدر وقلب وانه ع لما كان في مقام العصمة والملكة على الشيطان وقهره وابعاده سمع من الجناب الالهي صيحة العذاب ارسلت
على الشيطان فسمع لها وجيب قلبه ووجبة صدره وكما سمعت رنته فيما حكيته باقي الكلام والله اعلم واما البقية من اهل البغي فمعوية
ومن بقي من جند الشام حيث وقعت الحرب بينهم وبينه بمكيدة التحكيم وحكمه ع بانه ان اذن الله سبحانه في الرجوع اليهم ليغلبنهم وتكون
الدائرة عليهم فقد تقدم نوعه نعم في قوله ومن بغي عليه لينصرنه الله وقوله تعالى يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم وقوله ان تنصروا الله
ينصركم وامثاله ولكن باذن الله عن توقيفه اسباب العود اليهم بتمامها من انقضاء الاجل وغيرها واستعمل ما هيهنا بمعنى الذي الا انها
لاسم الغاية على الخاص وتكون بمعنى الذي وقوله وانا وضعت بكلكل العرب الى اخره تنبيه على فضيلته في الشجاعة والنجدة لغاية ان
يخاف اعداؤه وتقوى به قلوب اوليائه لا على سبيل الفخر فان ذلك رذيلة قد نهى في الخطبة على النهي عنها واستعار لفظ الكلكل
للجماعة من اكابر العرب الذين قتلهم في صدر الاسلام وفرق جمعهم ووجه المشابهة كونهم محل قوة العرب ومقدمهم كما ان الصدر
من الحيوان كذلك ومن روى بكلاكل بلفظ الجمع فهو ايضا استعارة لسادتهم واشرافهم ممن قاتلهم وقتلهم ووجه الاستعارة ما ذكرناه و
يحتمل ان يكون مجازا من باب اطلاق اسم الجزء على الكل والباء في قوله بكلكل زائدة والمراد بوضعهم اذلالهم واهانتهم ويقال وضعه
فاتضع اذا غض منه وحط منزلته ويحتمل ان يكون للالصاق اي فعلت بهم الوضع والاهانة وكذلك استعار لفظ القرون لاكابر
ربيعة ومضر ممن قاتلهم وقتلهم ووجه الاستعارة كون كل واحد منهم لقبيلته كالقرن يظهر فيها فيصول به ويمنع من عدوه كما للثور القرن
من الحيوان يعتز به ويذاد بالنواجم من علامتهم وظهر امره وشهد بذكر الكثير ويكفي بذلك من قتلهم وقتله للاكابر من مضر معلوم في بدء الاسلام
فاما القرون من ربيعة فاشارة الى من قتله منهم في وقايع الجمل وصفين سفينة وجبينة كما يقف على اسمائهم من يقف على تلك الوقايع
وقوله وقد علمتم موضعي الى اخره شرح لتربية الرسول ص من اول عمره واعداده وتهيئه للكمالات النفسانية من العلوم والاخلاق
الفاضلة وعدد احواله التي هي وجوه تفضيله للاستعداد واسبابه احدها القرابة واشار بها الى نسبة القريب منه وكانه ابن عمه ونسبا و
ابواهما اخوان لاب وام دون غيرهما من بني عبد المطلب الا الزبير الثانية منزلته الخصيصة به واشار بها الى ما شهد من فعله به ص وهو
وضعه له في حجره ولبيدا وسائر ما ذكره وسبب ذلك ما روي عن مجاهد قال كان من نعمة الله على علي ع ما صنع الله له واراد به من الخير ان
قريشا اصابتهم ازمة شديدة وكان ابو طالب ذا عيال كثيرة فقال رسول الله ص لعمه العباس وكان ايسر بني هاشم يا عباس ان اخاك ابا
طالب كثير العيال وقد ترى ما اصاب الناس من هذه الازمة فانطلق بنا لنخفف عنه من عياله فآخذ واحدا من بنيه وتأخذ واحدا فنكفيهما عنه
فانطلقا اليه وقالا له فقال ان تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما فاخذ رسول الله ص عليا ع واخذ العباس جعفرا فكفلاهما وقد كان
ابو طالب كفل رسول الله ص دون غيره من اعمامه ورباه في حجره ثم حماه من المشركين في مبدأ امره ونصره عند ظهور دعوته وذلك مما
يؤكد الاختصاص منزلة علي ع عنده ومن منزلته الخصيصة به ما كان بينهما من المصاهرة التي افضت الى النسل الاطهر دون غيره من الاصحاب وفي
معنى قوله كان يضع الشيء فيلقمنيه ما رواه الحسن بن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام قال سمعت زيدا ابي يقول كان رسول الله ص يمضغ اللحمة

في بيان الخطبة القاصعة

او اللمز به حتى يلين ويجعلها في فم علي عليه السلام وهو صغير في حجره الثانية انه لم يجد له كذبة في قول ولا خطلة في فعل وذلك لما استعد به من تربيته صلى الله عليه
وآله وسائر مقدمات الرياضة واعراضها الاستيلاء قوته العاقلة على قوتي شهوته وغضبه وقهر نفسه الامارة التي هي مبدأ الخطأ في الاقوال
وخطل الافعال حتى حصلت له عن ذلك ملكة في ترك الرذائل واجتناب المآثم والمعاصي وصار له ذلك خلقا وطبعا وان لم نقل معنى
العصمة في حقه عليه السلام وفي حق من ادعيت له العصمة من اولاده يعود الى هذه الملكة فليس لاستكبارها في حقهم عليهم السلام معنى واشار بالملك
الذي قرن الله به الى جبرئيل وهو العقل الفعال في عرف قوم واقترانه به اشارة الى توليه تربية نفسه القدسية بافاضة العلوم
ومكارم الاخلاق وسائر الطرق المؤدية الى الله سبحانه من حين صغره صلى الله عليه وآله بحسب حسن استعداد مزاجه وقوة عقله الطفولي ثم اشار
في ذكر معرض احواله معه الى تربية الملك له صلى الله عليه وآله ليعلم انه حصل بتبعيته له على تلك المكارم ومما روي في خالط الملك وعصمته به
ما روي عن الباقر محمد بن علي عليه السلام انه قال وكل الله بمحمد صلى الله عليه وآله ملكا عظيما منذ فصل عن الرضاع يرشده الى الخيرات ومكارم
الاخلاق ويصده عن الشر ومساوي الاخلاق وهو الذي كان يناديه السلام عليك يا محمد يا رسول الله وهو شاب لم يبلغ درجة
الرسالة بعد فيظن ان ذلك من الحجر والارض فيتأمل فلا يرى شيئا وروي انه صلى الله عليه وآله قال اذكر وانا ابن سبع سنين وقد بنى ابن جدعان
دارا بمكة فجئت مع الغلمان باخذ التراب والمدر في حجورنا فننقله فملأت حجري ترابا فانكشفت عورتي فسمعت نداء من فوق رأسي
يا محمد ارخ ازارك فجعلت ارفع رأسي فلا ارى شيئا الا اني اسمع الصوت فتماسكت ولم ارخه فكأن انسانا ضربني على ظهري
فخررت لوجهي فانحل ازاري فسترني وسقط التراب الى الارض فقمت الى دار عمي ابي طالب ولم اعد الرابعة اشار الى اتباعه له ولزومه
ملازمته اياه بقوله ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه ووجه التشبيه في اتباعه كونه لا ينفك عنه كالفصيل لامه الخامسة اشار
الى ثمرة ذلك الاتباع بقوله يرفع لي في كل يوم علما من اخلاقه ويأمرني بالاقتداء به واستعار لفظ العلم لكل من اخلاقه باعتبار
كونه هاديا الى سبيل الله كما يهدي العلم السادسة انه كان يجاور معه في كل سنة بحراء فيراه دون غيره وروي في الصحاح انه كان
يجاور بحراء في كل سنة شهرا وكان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره وانصرف الى مكة وطاف بها سبعا
قبل ان يدخل بيته حتى جاءت السنة التي اكرمه الله فيها بالرسالة فجاء في حراء في شهر رمضان ومعه اهله خديجة وعلي وخادم
وروى الطبري وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وآله قبل مبعثه كان اذا حضرت الصلوة يخرج الى شعاب مكة ويخرج معه علي عليه السلام مستخفيا من عمه
ابي طالب ومن سائر اعمامه وقومه يصليان الصلوة فاذا امسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله ثم ان ابا طالب عثر عليهما يوما
وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله يا ابن اخي ما هذا الذي اراك تدين به فقال يا عم هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين
ابينا ابرهيم بعثني الله رسولا الى العباد وانت يا عم احق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى واحق من اجابني اليه واعانني
عليه فقال ابو طالب يا ابن اخي اني لا استطيع ان افارق ديني ودين ابائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص اليك شيء تكرهه
ما بقيت وروي انه قال لعلي يا بني ما هذا الذي تدين به فقال يا ابة اني امنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به وصليت لله
معه قال فقال له اما انه لا يدعوا الا الى خير فالزمه السابعة اشار الى كونه اول من اسلم من الذكور بقوله لم يجمع بيت واحد
الى قوله وانا ثالثهما وقد مضى منه عليه السلام مثل ذلك حيث قال اكذب على الله وانا اول من امن به وقوله فلا تتبرؤوا مني فاني ولدت
على الفطرة وسبقت الى الاسلام والهجرة وروى الطبري في تاريخه عن عباد بن عبد الله قال سمعت عليا عليه السلام يقول انا عبد الله واخو
رسول الله وانا الصديق الاكبر لا يقولها بعدي الا كاذب مفتر صليت قبل الناس لسبع سنين وفي رواية اخرى انا الصديق
والفاروق الاول اسلمت قبل اسلام ابي بكر وصليت قبل صلوته لسبع سنين وروى ذلك ايضا من وجوه احدها عن ابن مسعود
قال قدمت الى مكة فانتهينا الى العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ عطار جالس الى زمزم ونحن عنده اذ اقبل رجل من باب الصفا عليه
ثوبان ابيضان عليه وفرة جعدة الى انصاف اذنيه اشم اقنى ابرج العينين كث اللحية ابلج براق الثنايا ابيض تعلوه حمرة وعلى يمينه غلام
مراهق او محتلم حسن الوجه تقفوهم امرأة قد سترت محاسنها فقصدوا نحو الحجر فاستلمه الرجل ثم الغلام ثم المرأة ثم طافوا بالبيت ثم استقبلوا
الحجر فقام الغلام الى جانب الرجل والمرأة خلفهما فاتوا باركان الصلوة مستوفاة فلما راينا ما لا نعرفه بمكة قلنا للعباس انا لا نعرف
هذا الدين فيكم فقال اجل والله فسألنا عن هؤلاء فعرفنا اياهم ثم قال والله ما على وجه الارض احد يدين بهذا الدين الا هؤلاء
الثلثة وروى مثله عن عفيف بن قيس الثاني روي عن معقل بن يسار قال كنت عند النبي صلى الله عليه وآله فقال لي هل لك ان نعود فاطمة فقلت
نعم يا رسول الله فقمنا فدخلنا عليها فقال لها صلى الله عليه وآله كيف تجدينك قالت والله لقد طال سقمي واشتد حزني وقال لي النساء زوجك
ابوك فقيرا لا مال له فقال لها اما ترضين اني زوجتك اقدم امتي سلما واكثرهم علما وافضلهم حلما قالت بلى رضيت
يا رسول الله وروى هذا الخبر عن ابي ايوب الانصاري وعن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام والسدي وابن عباس وجابر بن
عبد الله الانصاري واسماء بنت عميس وام ايمن الثالث روي عن ابي رافع قال اتيت اباذر بالربذة اودعه فقال لي ستكون فتنة فاتقوا الله

في بيان الخطبة القاصعة

وعليكم بالشيخ علي بن ابي طالب فاتبعوه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له انت اول من آمن بي واول من يصافحني يوم القيمة وانت الصديق الاكبر وانت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل وانت يعسوب المؤمنين الرابع عن ابي ايوب الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لقد صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين وذلك انه لم يصل معي رجل منها غيره واعلم انه ربما اعترض بعض الجهال فقال ان اسلام علي عليه السلم لم يكن معتبرا لكونه كان دون البلوغ فيجاب من وجوه احدها الاسلم انه كان دون البلوغ ومستند هذا المنع وجوه احدها رواية شداد بن اوس قال سالت خبابا بن الارت عن سن علي يوم اسلم قال اسلم وهو ابن خمس عشرة سنة وهو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ الثاني ما رواه ابو قتادة عن الحسن ان اول من اسلم علي بن ابي طالب وهو ابن خمس عشرة سنة الثالث عن حذيفة بن اليماني قال كنا نعبد الحجارة ونشرب الخمر وعلي من ابناء اربع عشرة سنة يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله ليلا ونهارا وقريش يومئذ تسافهه ما يذب عنه الا علي الثاني ان المتبادر الى الفهم من اطلاق لفظ المسلم والكافر انما هو البالغ دون الصبي والمبادرة الى الذهن دليل الحقيقة فالواجب اذن ان يرجع الى اطلاق قولهم اسلم علي فان ذلك يشهد بكونه بالغا عاقلا لما يفعله خصوصا في البلاد الحارة مثل مكة فان العادة في المزاج الصحيح فيها ان يبلغ صاحبه فيما دون خمس عشرة سنة وربما احتلم وهو ابن اثني عشرة سنة الثالث وهو الحاسم لمادة الاشكال انه عليه السلم اما ان يكون اسلم وهو بالغ او لم يكن او لم يكن فان كان الاول فقد حصل الغرض وان لم يكن فلا معنى للكفر في حقه اذ كان عليه السلم مولودا على الفطرة فمعنى الاسلام في حقه انه دخوله في طاعة الله ورسوله والاستسلام لاوامرهما فلهذا ان الاسلام الفطري والايمان الخالص لو انه على نفس قدسية لم تتدنس بادناس الجاهلية وعبادة الاصنام والاعتقادات الباطلة المضادة للحق التي صارت ملكات في نفس من اسلم بعد علو السن فكان ايمانه بالله ورسوله واردا على نفس صاف لوحها عن كدر الباطل فهي المستعدة بالحق متمثلة به وكانت غاية اسلام غيره ان يمحوا على طول الرياضة من نفوسهم الاثار الباطلة وملكات السوء فاين احدهما من الاخر انتهى قوله كونه يرى نور الوحي والرسالة ويشم ريح النبوة ويسمع رنة الشيطان وهذه على مراتب الاولياء واستعار لفظ النور لما يشاهده بعين بصيرته اللبا من اسرار الوحي والرسالة وعلوم التنزيل ودقايق التاويل واشراقها على لوح نفسه القدسية ووجه الاستعارة كون هذه العلوم والاسرار هاديا في سبيل الله ليخرج من ظلمات الجهل كما يهدي النور من الطرق المحسوسة ورشح تلك الاستعارة بذكر الروية لان النور حظ البصر وكذلك استعار لفظ الريح لما ادركه من مقام النبوة واسرارها ورشح بذكر الشم لان الريح حظ القوة الشامة واما سماعه لرنة الشيطان فقد علمت كيفية سماع الانسان لصوت الملك والشيطان وكيفيته وروية صورته وان ذلك باستعانة من النفس بالقوة المخيلة في اقتباس المعاني المعقولة وحطها الى لوح الخيال مشاهدة للحس المشترك مسموعة وغيره فقد استلزمت هذه الاشارة انه عليه السلم استعد لسماع صوت الشيطان في حزنه حين ايس من اتباع الخلق له وانقيادهم لامره وهو معنى عبادته اذ اصل العبادة الخضوع وكيفية ذلك ان نفسه القدسية تحلت بمعنى الشيطان مقرونا بمعنى اليأس والحزن وكسته المخيلة صورة حزين صارخ وحطته الى لوح الخيال فصار مسموع الرنة ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وآله حين ساله عن ذلك انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي فانه شهد له في ذلك بالوصول الى مقام سماع الوحي وكلام الملك وصوت الشيطان وساير ما يراه صلى الله عليه وآله ويسمعه وما قويت عليه نفسه القدسية الا كونه نبيا فان مقام النبوة لا يتحقق للانسان الا بالشرط الذي اشرنا اليه في المقدمات وفرقنا بين النبي وغيره من ساير النفوس الكاملة وهو كون الانسان مخاطبا من السماء باصلاح امر ابناء نوعه في معاشهم ومعادهم وذلك مقام اعلى واكمل من كل مقام يبلغه انسان بعينه وروى عن الصادق عليه السلم انه قال كان علي عليه السلم يرى مع النبي صلى الله عليه وآله قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت وقال له الرسول صلى الله عليه وآله لولا اني خاتم الانبياء لكنت شريكا في النبوة فان لا تكن نبيا فانت وصي نبي ووارثه بل انت سيد الاوصياء وامام الاتقياء ثم لما نفى عنه مقام النبوة خبره بمقام الوزارة اشارة الى انه الصالح لتدبير احوال الخلق في معاشهم ومعادهم من وزارته صلى الله عليه وآله ومعاونته المعين له على ذلك ثم شهد له بانه على خير واشار به الى ما هو عليه من الطريقة المحمودة واستقامة السيرة في خدمته وتربيته وذلك خير كثير وفي مسند احمد بن حنبل عن علي عليه السلم قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله صبيحة الليلة التي اسري به فيها وهو بالحجر يصلي فلما قضى صلوته وقضيت صلوتي سمعت رنة شديدة فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال الا تعلم هذه رنة الشيطان علم اني اسري بي الليلة الى السماء فايس من ان يعبد في هذه الارض واما حديث الوزارة فروي انه لما نزل قوله وانذر عشيرتك الاقربين دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وامرني ان اصنع صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملاء له عسا من لبن ففعلت ما امرني به ثم امرني بجمع بني عبد المطلب فجمعتهم يومئذ وهم اربعون رجلا فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا دعا بالطعام الذي صنعته فوضعته ثم تناول مضغة من لحم فشقها باسنانه ثم القاها في نواحي الصفحة ثم قال كلوا باسم الله فاكلوا حتى ما بهم الى شيء من حاجة والذي نفس محمد بيده ان كان الرجل الواحد منهم لياكل

جواب اعتراض بعض الجهال على اسلامه

ما قدمته

في بيان الخطبة القاصعة

ما قد منه جميعهم ثم قال اسق القوم فاتيتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله ثم قال لهم يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شابا في العرب جاء قومه بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه فايكم يوازرني على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاحجم القوم عنها جميعا فقلت انا واني لاحدثهم سنا وارمصهم عينا واعظمهم بطنا واحمشهم ساقا انا يا رسول الله اكون وزيرك عليه فاعاد القول فامسكوا واعدت ما قلت فاخذ برقبتي ثم قال لهم هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع التاسعة كونهم معجبين اتاه الملاء من قريش وسألوه ما سألوا من دعوة الشجرة وتصديقه له في ذلك وايمانه به وقد علمت فيما سلف ان نفوس الانبياء عليهم السلام لها تصرف في هيولى عالم الكون والفساد فيستعد عن نفوسهم لقبول الامور الخارقة للعادات الخارجة عن وسع غيرهم من ابناء نوعهم وصورة الحال في سؤالهم وكيفية دعوته صلى الله عليه وآله للشجرة واجابتها وتكذيبهم بذلك وتصديقه له مستوفى في كلامه وذلك من قوله ولقد كنت الى قوله يعنوني فاما حكمه صلى الله عليه وآله بانهم لا يفيئون الى خير وان منهم من يطرح في القليب ومنهم من يحزب الاحزاب فمن غيب الله الذي اطلعه عليه واقتضاه له فعلمه بحسب قوته الحدسية القدسية والقليب هو قليب بدر ومن طرح فيه كعتبة وشيبة ابني ربيعة وامية بن عبد شمس وابي جهل والوليد بن المغيرة وغيرهم طرحوا فيه بعد انقضاء الحرب كان ذلك الخبر من اعلام نبوته صلى الله عليه وآله ومن يحزب الاحزاب هو ابو سفيان وعمرو بن ود وصفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وغيرهم واما حديث الشجرة فمشهور مستفاض رواه المحدثون في كتبهم وذكره المتكلمون في معجزاته صلى الله عليه وآله ومنهم من روى في ذلك مختصرا انه دعا شجرة فاقبلت تخد الارض خدا ونقله البيهقي في كتاب دلائل النبوة واما نداؤه صلى الله عليه وآله للشجرة وقوله لها ان كنت تؤمنين بالله الى قوله باذن الله فقد علمت ان الخطاب مخصوص في عرف العقلاء لمن يعقل لكنه صلى الله عليه وآله لما وجد نفسه القدسية مساعدة للشجرة لما يروم منها وعلم انها واجبة الاستعداد لذلك القبول امر الله بما اراد منها خاطبها خطاب من يعقل استعارة ملاحظة لشبهها بمن يعقل في اجابته نداءه وايتمانه وفائدة ذلك الخطاب ان يكون وجود ما رام منها عقيب خطابه اغرب في نفوس الحاضرين وابلغ واعجب فان كان وقوع تلك الحال بها عقيبما كان كونها على تلك الحال وقوع خطابه ودعائه لها اغرب لزيادة ايهام كونها سمعت ذلك النداء وعقلت ذلك الخطاب مع انها ليس من شانها ذلك واعجب في نفوس السامعين ولذلك خرج هذا عن كونه سفها وعبثا وقال الامام الوبري رحمه الله ونحو ذلك قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي واعلم ان ذلك على راي الاشعرية امر ظاهر لان البنية المخصوصة ليست شرطا في حصول الحيوة وما يكون مشروطا بها من السمع والفهم فلذلك جاز ان يكون الله تعالى خلق في الشجرة علما وسمعا فقبلت خطابه صلى الله عليه وآله وقال الامام الوبري الخطاب في الاصل لله تعالى فكانه قال اللهم ان كانت هذه الشجرة من آياتك الشاهدة بوجودك وانت مرسلي فاجعل ما سالت منها شاهدا على صدق دعواي ولما كانت الشجرة محل ما سال من الله خاطبها لذلك فعلى هذا يكون مجازا من باب اقامة السبب مقام المسبب قال ويحتمل ان يكون الخطاب في الاصل للملائكة الموكلين بالشجر قوله واني لمن قوم الى قوله لائم كناية عن بلوغهم في طاعة الله الغاية المطلوبة منه فانه لم يقف دون غاية منها حتى يلام على النقص فيها وقوله سيماهم سيما الصديقين الى آخر الصفات فالقوم هم المتقون الذين سأله همام عن صفتهم والصفات المذكورة بعض صفاتهم وقد سبقت مستوفاة في خطبة مفردة وذكر منها هيهنا عشرا احدها ان علاماتهم علامات الصديقين وهم الملازمون للصدق في اقوالهم وافعالهم طاعة الله تعالى وقد عرفت علاماتهم في خطبة همام الثانية وكلامهم كلام الابرار من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والذكر الدائم الثالث كونهم عمار الليل وكنى بعمارتهم له عن قيامهم فيه بالعبادة روي ان احدهم كان اذا كسل عن العمل علق نفسه بحبل حتى يصبح عقوبة لها الرابع استعار لفظ المنار لهم باعتبار كونهم يهدون الخلق الى طريق الله كالمنار على الطريق المحسوس وكذلك لفظ الحبل للقرآن باعتبار كونه سببا للمتعلمين الى التروي من ماء الحيوة الباقية كالعلوم والاخلاق الفاضلة كالحبل الذي هو سبب الارتواء والاستقاء من الماء وباعتبار كونه عصمة لمن تمسك به وصاعدا من دركات الجهل الى فضاء درجات العقل كالحبل يصعد فيه من السفل الى العلو ولفظ القرآن مجرور بعطف البيان الخامس وكذا استعار وصف احياء السنن لهم باعتبار اقامتها واقامة العمل بها السادس عدم الاستكبار والعلو منهم ولما كان الاستكبار عن الانسان رذيلة كان عدمه عنه فضيلة السابع عدم الغلول وهو فضيلة لكون الغلول مستلزما لرذائل كالشره والخيانة والحرص والدناءة وغيرها وكان عدمه كمالا الثامن كونهم لا يفسدون ولما كان كل فساد مستلزما رذيلة ورذائل كالزنا لرذيلة الفجور وكالقتل المستلزم لرذيلة الظلم وكان سائرها كان عدمه كمالا التاسع كون قلوبهم في الجنان وذلك انك علمت ان اعلى غرفات الجنان ودرجاتها هو المعارف الالهية والقعود في مقاعد الصدق عند المليك المقتدر

وذلك من مقامات العارفين واولياء الله الصديقين. العاشرة كون اجسادهم نحل العمل فالواو في قوله واجسادهم يحتمل ان تكون للحال اى ان قلوبهم في الجنان ما يكون اجسادهم مستغرقة بالحركات والسكنات في الاعمال الصالحات اولئك الذين صدقوا واولئك هم المفلحون

ومن كلام له عليه السلام قاله لعبد الله بن العباس وقد جاءه برسالة من عثمن وهو محصور يسأله فيها الخروج الى ماله بينبع ليقل هتف الناس باسمه للخلافة بعد ان كان سأله مثل ذلك من قبل فقال عليه السلام يا ابن عباس ما يريد عثمن ان يجعلني الا جملا ناضحا بالغرب اقبل وادبر بعث الي ان اخرج ثم بعث الي ان اقدم ثم هو الان يبعث الي ان اخرج والله لقد دفعت عنه حتى خشيت ان اكون اثما

اقول ينبع قرية صغيرة من اعمال المدينة والهتف الناس صياحهم ودعاؤهم باسمه والناضح الجمل يستقى عليه والغرب الدلو العظيمة وسبب ترسال ان القوم الذين حصروه كانوا يكثرون نداه والصياح بروذوبيخه على احداثه من تفريق بيت المال على غير مستحقه ووضعه في غير مواضعه وسائر الاحداث التى ذكرنا انها نسبت اليه واستعار لفظ الجمل الناضح ورشح بذكر الغرب واشار الى وجه المشابهة بقوله وادبر وقوله بعث الى قوله اخرج شرح لكيفية تصريفه في حال حصره وغاية لبعثه الناس له وبعثه الى الناس في امره كما اشرنا اليه من قبل وقد كان قصده بتلك الرسالة من بين ساير الصحابة لاحد امرين احدهما اعتقاده انه كان اشرف الجماعة والناس له اطوع وان قلوب الجماعة معه والثانى انه كان يعتقد ان له شركة مع الناس في فعلهم به وكانت بينهما هناة فكان بعثه له من بين الجماعة متعينا لانهم ان رجعوا بواسطته فهو الغرض وان لم يرجعوا حصلت بعض المقاصد ايضا وهو تأكد ما نسبه اليه من المشاركة في امره وبقاء تلك حجة عليه لمن بعده من طالب بدمه حتى كان سبب العرض الثاني ما كان من الوقايع بالبصرة وصفين وغيرهما وقوله والله الى اخره يحتمل وجوها احدها ما قال بعض الشارحين اى بالغت في الذب عنه حتى خشيت لكثرة اعداى ان اكون اثما في الذب عنه والاعانة له دفع ذلك والثاني يحتمل ان يريد انى خشيت الاثم في تغريرى بنفسي لان دفع الجمع العظيم في هذا الامر العظيم مظنة الخوف على النفس فيكون الاقدام عليه مظنة اثم. الثالث يحتمل انه يريد انه خشي الاثم من الافراط في حقهم كان يضرب احدهم بسوطه ويغلظ له في القول والشتم وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام اقتص فيه ما كان منه بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله ثم لحاقه به فجعلت اتبع ماخذ رسول الله صلى الله عليه وآله فاطأ ذكره حتى انتهيت الى العرج في كلام طويل قال السيد الرضي رض قوله فاطأ ذكره من الكلام الذى رمى الى غاية الايجاز والفصاحة اراد انى كنت اعطى خبره ع من بدء خروجى الى ان انتهيت الى هذا الموضع فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة

اقول هذا الفصل من كلام يحكى فيه ع ما كان جرى من حاله في خروجه من مكة الى المدينة بعد ان هاجر اليها رسول الله صلعم وذلك انه صلى الله عليه وآله لما عزم على الهجرة اعلم عليا ع بخروجه وامره ان يبيت على فراشه خدعة للمشركين الذين كانوا عزموا على قتله في تلك الليلة وايهاما لهم انه لم يبرح فلا يطلبونه حتى يبعد مسافة عنهم وان يتخلف بعده بمكة حتى يؤدى عنه الودايع التى كانت عنده للناس فان جماعة من اهل مكة استودعوه ودايع لما رأوا من امانته وكانوا قد اجمعوا على ان يضربوه باسيافهم من كل بطن من قريش رجل ليضيع دمه بين بطون قريش فلا يطلبه بنو عبد مناف وكان ممن اجمع على ذلك النضر بن الحرث من بنى عبد الدار وابو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام وزمعة بن الاسود بن عبد المطلب الثلثة من بنى اسد بن عبد العزى وابو جهل بن هشام واخوه الحرث وخالد بن الوليد بن المغيرة والثلثة من بنى مخزوم ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وعمرو بن العاص الثلثة من بنى سهم وامية بن خلف واخوه ابى من بنى جمح فنما هذا الخبر من الليل الى عتبة بن ربيعة فلقى قوما منهم ونهاهم عن ذلك وقال ان بنى عبد مناف لا تمسك عن دمه ولكن صفدوه في الحديد واحبسوه في دار من دوركم وتربصوا به ان يصيبه من الموت ما اصاب امثاله من الشعراء وكان عتبة بن ربيعة سيد بنى عبد شمس فاحجم ابو جهل وانحجا تلك الليلة عن قتله احجاما ثم تسوروا عليه وهم يظنونه في الدار فرأوا انسانا مسجى بالبرد الحضرمى فلم يشكوا انه هو فكانوا يهمون بقتله ثم يحجمون لما يريد الله من سلامة على ع ثم قال بعضهم لبعض ارموه بالحجارة فرموه فجعل علي يتضور منها ويتأوه تأوها خفيا ولا يعلمهم بحاله خوفا على رسول الله صلعم ان يطلب فيدرك ولم يزالوا كذلك حتى اصبحوا فوجدوه عليا ثم تخلف عنه ع بمكة ثلثا لقضاء ما امره به ثم لحق به فجاء الى المدينة راجلا قد تورمت قدماه وصادف رسول الله صلعم نازلا بقباء على كلثوم بن الهدم فنزل معه في منزله ثم خرج معه من قباء حتى نزل بالمدينة على ابي ايوب الانصاري وقوله ع فجعلت اتبع ماخذ رسول الله الى الجملة والطريق التى اخذ فيها وسار حتى انتهيت الى الموضع المعروف بالعرج وقوله فاطأ ذكره استعار وصف الوطى لوقوع ذهنه على ذكره ع بين الناس في تلك الطريق كوقوع القدم على الارض ووجه المشابهة ان الخبر عنه صلعم وذكره طريق للحركات قدم عقله الى معرفة حاله صلعم كما ان المحسوس طريق للحركات قدمه الى الوصول اليه وقيل اراد بذكره ما ذكره له من صفة من حال الطريق والاول اشبه بلفظه وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم فاعملوا وانتم في نفس البقاء والصحف منشورة والتوبة مبسوطة والمدبر يدعا

والمسيء

والمسيء يرجى قبل ان يخمد العمل وينقطع المهل وينقضي المدة ويسد باب التوبة وتصعد الملئكة فاخذ امرؤ من نفسه لنفسه واخذ من حي لميت ومن فان لباق ومن ذاهب لدائم امرؤ خاف الله وهو معمر الى اجله ومنظور الى عمله امرؤ الجم نفسه بلجامها وزمها بزمامها فامسكها بلجامها عن معاصي الله وقادها بزمامها الى طاعة الله اقول يقال فلان في نفس من امره اي في سعة والفصل في غاية الفصاحة وقد امرهم بالعمل حال ما هم في مهلته على الاحوال التي اشار اليها احدها كونهم في نفس البقاء وسعته فان الموت مستلزم لانقطاع العمل وعدم امكانه الثاني كون الصحف منشورة اي صحف الاعمال فانها انما تطوى بانقطاع الاعمال بالموت وقد عرفت وجه الاشارة الى الصحف ونشرها الثالث كون التوبة مبسوطة واستعار لفظ البسط ملاحظة لشبهها بالبساط في كونها ممدودة القبول غير ممنوع منها فمن اراد ها كالبساط وانما تطوى بالموت كما قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار الرابع على حال كون المدبر يدعى اي حال كون المدبر عن طاعة الله المعرض عنها يدعى اليها من الانبياء والرسل والنواميس الشرعية وذلك منقطع بالموت الخامس حال كون المسيء يرجى اي يرجى صلاحه وعوده وذلك حال البقاء في الدنيا ولما ذكر هذه الاحوال للترغيب في العمل عليها والتذكير بكونها الآن امكن معها اردفها باحوال يمتنع معها العمل تنفيرا عنها وهي خمود العمل واستعار لفظ الخمود لوقوفه ملاحظة لشبهه بالماء في جموده عن الجريان وكذلك انقطاع المهل وانقضاء المدة اي مدة البقاء وسد ابواب التوبة ولفظ الابواب مستعار لطرق الاعتبار التي يرجع منها الى الله تعالى وكذلك الملائكة اي الكرام الكاتبين فان الملائكة الموكلين تضبط اعمال كل شخص يصعدون الى السماء بعد بطلان الاعمال وقوله فاخذ امرء من نفسه امر في صورة الخبر اي فليأخذ المرء من نفسه اي بعض نفسه بالاجتهاد والنصب في العبادة فانما هو زمان البدن فياخذ ان من النفس لانها وشهواتها انها البدنية ويجوز ان يريد بالنفس هنا الشخص والاخذ منه تخصيصا لانفسه اي ليكون ذلك كالاً لنفسه وذخرا لها في معادها وقوله فاخذ من حي لميت الى قوله امرؤ الجم في صورة الخبر وفاعل اخذ هو قوله امرؤ والحي والميت هو المرء نفسه اي فليأخذ امرؤ من نفسه باعتبار ما هو حي لنفسه باعتبار ما يصير اليه من حال الموت وقوله من فان لباق اي فليأخذ من الامر الفاني وهو دنياه ومتاعها للامر الباقي وهو النعيم الباقي الابدي في الاخرة ومعنى ذلك الاخذ ان الانسان مكتسب من الدنيا ومتاعها الفاني كمالا باقيا يوصل الى نعيم دايم وذلك بالصدقات والزكوات والانفاق في وجوه البر والقربات وكذلك قوله ومن ذاهب لدائم ثم اخذ في وصف ذلك المرء كالمستدل عنه فقال امرؤ خاف الله في حال ما هو معمر الى اجله ومنظور الى عمله تنبيه بغاية اجله وكون عمله منظورا اليه اي منظورا الله وسرّي له تخويفا من هجوم الاجل وحثا الى صالح الاعمال لله تذكيرا باطلاعه عليها وعلمه بها وقوله امرؤ الجم نفسه الى اخره بدل من امرؤ الاول واستعار لفظ اللجام للزهد الحقيقي والعفة ووجه المشابهة ما نعين للنفس الامارة من جماحها في تيه الهوى ومعاصي الله كما يمنع اللجام الدابة عن الجماح ورشح بذكر الالجام وكنى به عن ردع النفس بالزهد واشار الى ذلك الزجر من المشابهة بقوله فامسكها بلجامها عن معاصي الله وكذلك استعار لفظ الزمام للعبادة باعتبار ما هي قائدة للنفس الامارة بالسوء الى موافقة النفس المطمئنة في طاعة الله كما قال تعالى فقرناها الى ما تعلمنا انا للعبادة انما وضعت لتطويع النفس الامارة للعقل وتلينها ويحملها على اسرة والخدا بيها عند توجيهها الى المعارج القدسية الى حضرة ذي الجلال والاكرام او الى ذلك لوجه من المشابهة اشار بقوله وقادها بزمامها ورشح بذكر الزم والقود وكنى بهما عن ايقاع العبادة وتطويع النفس لها وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام في بيان الحكمين وذم اهل الشام جفاة طغام عبيد اقزام جمعوا من كل اوب وتلقطوا من كل شوب ممن ينبغي ان يفقه ويؤدب ويعلم ويدرب ويولى عليه ويؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين والانصار ولا الذين تبوؤا الدار الا وان القوم اختاروا لانفسهم اقرب القوم مما تحبون وانتم اخترتم لانفسكم اقرب القوم مما تكرهون وانما عهدكم بعبد الله بن قيس بالامس يقول انها فتنة فقطعوا اوتاركم وشيموا سيوفكم فان كان صادقا فقد اخطأ بمسيره غير مستكره وان كان كاذبا فقد لزمته التهمة فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن عباس وخذوا مهل الايام وحوطوا قواصي الاسلام الا ترون الى بلادكم تغزى والى صفاتكم ترمى اقول جفاة جمع جاف وهو غليظ الطبع قاسي القلب والطغام اوغاد الناس وارذالهم والاقزام جمع قزم بفتح الزاي وهو الرذل الدني من الناس ويطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى ويقال جاؤا من كل اوب اي من كل ناحية والشوب الخلط ويدرب يعود بالعادات الجميلة ويجرب في الامور وتبوؤا الدار نزلوا وشيمنا السيف غمدناه وصدر الفصل بذكر مذام اهل الشام تنفيرا عنهم ووصفهم بكونهم عبيدا اما لانهم عبيد الدنيا واهلها او لان منهم عبيدا او للفظ مهمل يشبه بالبعض والمرتفعات الاربعة الاولى اخبار المبتدأ محذوف اي هم جفاة ومحل قوله جمعوا الرفع صفة لاقزام ويحتمل ان يكون خبرا خامسا وكذلك قوله ممن ينبغي وقوله ليسوا وقوله يولى عليه ويؤخذ على يديه كناية عن كونهم سفهاء لا يصلحون لان يلوا امرا وبعوض اليهم بل ينبغي ان يحجر عليهم ويمنعون من التصرف لعداوتهم وسفههم وذكر كونهم ليسوا من المهاجرين والانصار

في بيان مدائح آل محمد

في معرض الذم لهم لكون ذلك نقصانا لهم من تلك الجهة بالنسبة الى المهاجرين والانصار وكنى عن كونهم ليسوا من الذين تبوؤا الدار
بالدار مدينة الرسول صلى الله عليه وآله والذين تبوؤها هم الانصار من اهلها الذين اسلموا بها قبل هجرة الرسول اليهم بسنتين وابتنوا بها المساجد
واليهم الاشارة بقوله تعالى في كتابه العزيز والثناء عليهم فقال والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم الآية الى قوله
فاولئك هم المفلحون وفي نسخة الرضي ره تبوؤا الدار فقط وفي سائر النسخ والايمان ووصف الايمان بكونه متبوء لهم مستعارا
ملاحظة لشبهه بالمنزل باعتبار انهم ثبتوا عليه واطمأنت قلوبهم به ويحتمل ان يكون نصب الايمان هنا كما في قوله ورأيت
زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا اى لازموا الايمان كما اراد القائل ومعتقلا رمحا وقوله الا وان القوم الى قوله تكرهون
والقوم هم اهل الشام والذى اختاروه لانفسهم وكان اقرب القوم مما يحبون هو عمرو بن العاص فانهم اختاروه للحكومة وعولوا
عليه من قبلهم وكونه اقرب القوم مما يحبون لكثرة خداعه ونهاية ميله الى معوية وعطائه والذى مما يحبونه مما هو اقرب اليه
هو الانتصار على اهل العراق وصيرورة الامر الى معوية والذى اختاره اهل العراق للحكومة هو ابو موسى الاشعرى وكان اقرب
القوم مما يكرهون من صرف الامر عنهم وكونه اقرب الى ذلك لما تقدم منه وبلاهته ولانه كان منحرفا عن على عليه السلام وذلك انه كان
في زمن الرسول صلى الله عليه وآله واليا من قبله على زبيد من اعمال اليمن ثم ولاه عمر البصرة لما عزل المغيرة عنها فلما عزله عثمن سكن بالكوفة
فلما كره اهلها سعيد بن العاص دفعوه عنها وولوا ابا موسى وكتبوا الى عثمن يسألونه ان يوليه فاقره على الكوفة فلما قتل عثمن عزله
على عليه السلام فلم يزل واجدا لذلك عليه حتى كان منه ما كان في الكوفة وقوله وانما عهدكم بعبد الله الى آخره احتجاج عليهم في اختيارهم
لعبد الله بن قيس وهو ابو موسى الاشعرى للحكومة وصورة الاحتجاج ان ابا موسى كان يقول لكم يا اهل الكوفة عند مسيرى الى اهل
البصرة انما فتنة من الفتن التى وعدنا بها وامرنا بالاعتزال فيها فقطعوا اوتار قسيكم واغمدوا سيوفكم فلا تعجلوا اما ان يكون صادقا في ذلك
لزمه الخطا بمسيره معنا غير مستكره الى فتنة امرنا بالاعتزال فيها وحضوره صفوف اهل العراق وتكثيره سوادهم وان كان كاذبا فقد
لزمته التهمة وصار فاسقا بكذبه وعلى التقديرين لا ينبغى ان يعتمد عليه في هذا الامر الجليل والقول ومما يناسب هذا الاحتجاج
ما روى عن سويد بن غفلة قال كنت مع ابى موسى على شاطئ الفرات في خلافة عثمن فروى لى خبرا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله
يقول ان بنى اسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكمين ضالين ضلا وضل من اتبعهما ولا ينفك امر امتى يختلف
حتى يبعثوا حكمين يضلان ويضلان من اتبعهما فقلت له احذر يا ابا موسى ان تكون احدهما قال فخلع قميصه وقال ابرأ الى الله
من ذلك كما ابرأ من قميصى هذا فنقول لا يخ اما ان يكون صادقا في ذلك الخبر او كاذبا فان كان صادقا فقد اخطأ في دخوله
في الحكومة وشهد على نفسه بالضلال والاضلال وان كان كاذبا فقد لزمته التهمة فلا ينبغى ان يعتمد عليه في هذا الامر وقوله
فادفعوا صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن عباس كناية عن جعله مقابلا له في الحكومة دافعا له عما يريد ولما قدح في ابى موسى
اشار الى من هو صالح حينئذ لهذا الامر كان رأيه ان يبعث الحكم من قبله عبد الله بن عباس فابى قومه عليه وروى بعبارة اخرى ثم
قال لهم لما الحوا في بعث ابى موسى وتعيينه حكما ان معوية لم يكن ليختار لهذا الامر احدا هو اوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص وانه
لا يصلح للقرشى الا قرشى وهذا عبد الله بن عباس فارموه به فان عمرا لا يعقد عقدة الا حلها ولا يبرم امرا الا نقضه ولا ينقض
امرا الا ابرمه فقال الاشعث ومن معه لا والله لا يحكم فيها مضريان ابدا حتى تقوم الساعة ولكن يكون رجل من مضر
ورجل من اليمن فقال عليه السلام انى اخاف ان يخدع يمانيكم وان عمرو بن العاص ليس من الله في شىء فقال الاشعث والله لئن يحكمان ببعض ما نكره
واحدهما من اليمن احب الينا ان يكون ما نحب وهما مضريان فقال عليه السلام وانا ابيتم الا ابا موسى فاصنعوا ما شئتم اللهم انى ابرأ
اليك من صنيعهم وقوله وخذوا مهل الايام امرهم باغتنام مهل الايام عنهم وفسحتها مما ينبغى ان يعملوا فيها ويدبروه في احوالهم على
وفق الآراء الصالحة وكذلك امرهم بحياطة نواصى الاسلام وهى اطراف العراق والحجاز والجزيرة وما كان في يده عليه السلام من البلاد ثم استثار
طباعهم وحميتهم الى ذلك تنبيههم على ان بلادهم تغزى وصفاتهم ترمى وكنى بصفاتهم عن حوزتهم التى استقروا عليها من بلاد
الاسلام واصل الصفات الحجر الاسود الاملس لا ينفذ فيها السهم بل تكسر وتقع فشبهها الحوزة في منعها فيقال لا ترمى
صفاتهم ولا تقرع صفاتهم ويكنى بذلك عن منعتهم وقوتهم فلذلك كنى عن رمى صفاتهم بالطمع فيهم وقصد العدو لبلادهم وغزوها
بالكتائب وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يذكر فيها آل محمد عليهم السلام هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن
علمهم وصمتهم عن حكم منطقهم لا يخالفون الحق فيهم دعائم الاسلام وولائج الاعتصام بهم عاد الحق في نصابه وانزاح الباطل عن
مقامه وانقطع لسانه عن منبته عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل **اقول**
الولائج جمع وليجة فعيلة بمعنى مفعولة وهى الموضع يعتصم به والنصاب الاصل ذكر لهم اوصافا احدها انهم عيش العلم اى حيوته
وقد جعل لهم حيوة ملاحظة لشبهه بالحى في وجوده والانتفاع به ثم اطلق عليهم لفظ الحيوة مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب

قسيكم

الثانى

في بيان خطبة يحث فيها أصحابه على الجهاد

الثاني كذلك كونهم موت الجهل جعل الجهل موتاً استعارة باعتبار عدمه بهم وأطلق عليهم لفظه مجازاً إيهم كالذي قبله الثالث كونهم
لعلمهم
يخبر حلمهم عن علمهم بمواقع الحلم وفي ذلك إشارة إلى تلازم فضيلتي الحلم والعلم فيهم فإنهم لا يحلمون إلا عن علم بمواقع الحلم الرابع كونهم يخبر
صمتهم عن حكم منطقهم إذا تكلموا لأن من علم مواقع السكوت وما ينبغي أن يسكت عنه وذلك يستلزم حكمة نفوسهم في منطقهم إذا تكلموا
لأن من علم مواقع السكوت وما ينبغي أن يسكت عنه علم مواقع المنطق وما ينبغي أن يسكت عنه ولو لم يعلم ذلك لجاز أن يتكلم بما لا
ينبغي وذلك هو موضع السكوت فلا يكون عالماً بمواضع السكوت وقد فرض كذلك هف الخامس كونهم لا يخالفون الحق أي لعلمهم
به وبطرقه وذوقهم له فلا يتجاوزونه إلى رذيلة الإفراط ولا يقفون دونه في مقام رذيلة التفريط السادس كونهم لا يختلفون
فيه لعلمهم بحقيقته السابع كونهم دعائم الإسلام واستعار لهم لفظ الدعائم باعتبار حفظهم له بعلمهم وحراسته وقيامه في الوجود بهم
كما يحفظ البيت بالدعائم ويقوم بها الثامن استعار لهم لفظ الولائج باعتبار كونهم مرجعاً للخلق يعتصمون بعلمهم وهدايتهم
وأتباعهم من الجهل ولواحقه وعذاب الشقي في الآخرة كما يعتصم بالولائج من دخلها التاسع كونهم بأنهم عاد الحق إلى نصابه أي
بولايتهم وخلافتهم عاد الحق إلى أهله وانزاح الباطل عن مقامه وهو إشارة إلى ما تغير من الأحكام كما نقم عليه في أيام عثمان جارية على غير
قانون شرعي لما نقل عنه من الأحداث واستيلاء بني أمية في زمانه على بيت مال المسلمين وأكلهم له بغير حق كما سبق شرحه فعاد
بولايتهم كل حق إلى أهله وهو أصله ومستقره والحق إذا كان في غير أهله فهو الباطل ومقامه غير أهله وبولايتهم انزاح الباطل
عن مقامه وانقطع لسانه أي اللسان الناصر للباطل والناطق به واستعار وصف الانقطاع له باعتبار سكونه ملاحظة لشبهه
بالمنقطع في عدم القول ورشح بقوله من منبته تأكيداً لذلك الانقطاع العاشر كونهم عقلوا الدين دراية ورعاية لا عقل سماع
ورواية وذلك أنك علمت أن للإدراك مراتب أدناها تصور الشيء بحسب اسمه وأعلاها تصور الشيء بحسب حقيقته وكنهه وأوسطها
تعقله بحسب صفاته ولوازمه الخاصة به وبها مع بعض أخواته فكان عقلهم للدين وعلمهم به على أكمل المراتب وهو معنى الرعاية ورعايتهم
له إرشاده وتذكره والاحتياط عليه وليس علماً به من حيث اسمه وسماع ألفاظه فقط وقوله فإن رواة العلم كثير إلى آخره أي ليس كل
من روى العلم وسمعه كان عالماً به ومراعياً له فإن ذلك أعم من العالم به والعام لا يستلزم الخاص ونبه بذلك على قلة مثلهم في رعاة
العلم واستجماع الفضائل وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** يحث فيه أصحابه على الجهاد والله مستأديكم شكره ومورثكم
أمره وممهلكم في مضمار ممدود لتتنازعوا سبقه فشدوا عقد المآزر واطووا فضول الخواصر لا تجتمع عزيمة ووليمة ما
أنقض النوم لعزائم اليوم وأمحى الظلم لتذاكير الهمم **أقول** المضمار المدة تضمر فيها الخيل قيل إنها أربعون يوماً وقد يقع
بيانه والتنازع التجاذب في الخصومة والمآزر جمع مئزر والفضل غايته من نقصانه والجزاء له والحث على الاستعداد ليوم لقائها
وقوله والله مستأديكم شكره على نعمه وذلك في أوامر القرآن كثير كقوله تعالى واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون واشكروا لي ولا تكفرون
ومورثكم أمره أي سلطانه في الأرض الذي كان فيمن سلف من أهل طاعته من الأمم السابقة كقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم الآية وقوله وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم الآية وقوله وممهلكم
إلى قوله سبقه استعار لفظ المضمار لمدة الحياة الدنيا ووجه المشابهة أن الناس يستعدون في مدة حياتهم بالرياضات والمجاهدة
في سبيل الله وتحصيل الكمالات النفسانية لغاية السبق إلى حضرة جلال الله كما تضمر الخيل لغاية السبق وأشار إلى علمه بذلك الإمهال
وهي تنازع السبق إليه تعم وأراد به ما يعرض للسالكين في حال عداوتهم لأنفسهم بالرياضات وجدهم وتشميرهم في طاعة الله من
منافسة بعضهم لبعض في التقدم بالفضيلة والسبق بذلك وحرص كل امرئ منهم أن يكون هو الأكمل ليفوز بمنصب السبق إلى حضرة
قدسه تعم والمنافسة في الفضائل والغبطة بها محمودة لأدائها بالغابط إلى كماله وذلك هو أقصى مطلوب الشارع من أمته ويحتمل
أن يريد بالسبق ما يستبق إليه من الفضيلة أو الجنة كما سبقت الإشارة إلى مثل ذلك ولفظ التنازع ترشيح لاستعارة المضمار والسباق
لأن من شأن ذلك التنازع على السبق والتجاذب على الفوز بالسبقة وحاصل المعنى أنه تعالى أمهلكم في الدنيا للاستعداد فيها وتجاذب
السبق إليه وقوله فشدوا واعقدوا المآزر كناية عن الأمر بالتشمير والاجتهاد في طاعة الله والاستعداد بها بعد أن بين ذلك لغاية
من الإمهال في الدنيا إذ كان من شأن من يهتم بالأمر ويتحرك فيه أن يشد عقدة مئزره كيلا يشغله عما هو بصدده وقوله واطووا
فضول الخواصر كناية عن الأمر بترك ما يفضل من متاع الدنيا على قدر الحاجة من ألوان الطعوم والملابس وسائر قينات الدنيا وأصله أن
الخواصر والبطون لاحتمالها أن يتسع لما فوق قدر الحاجة من المأكول فذلك القدر المتسع لما فوق الحاجة هو فضول الخواصر وكنى بطيها
عما ذكرناه من لوازم ذلك المطوي من ترك تلك الفضول وقوله لا تجتمع عزيمة ووليمة أراد بالعزيمة على اقتناء الفضائل واكتسابها والعزيمة
هي الإرادة الجازمة للأمر بعد اختياره وكنى بالوليمة وهي طعام العرس ونحوه عن خفض العيش والدعة لاستلزام الوليمة ذلك والمعنى
أن العزيمة على تحصيل المطالب الشريفة وكرائم الأمور ينافي الدعة وخفض العيش ولا يحصل مع الهوينا لما يستلزمه تحصيل تلك

فى باب كتابه الى اهل الكوفة

المطالب والعزم عليها من المشاق واتعاب النفس وكد البدن بالرياضات والمجاهدات المنافية للدعة والتراخي ويقرب منه قوله لن تنالوا حتى تنفقوا مما تحبون ثم اكد ذلك بقوله ما انقض النوم لعزائم اليوم لان الانسان يعزم في النهار على المسير بالليل ليقرب المنزل فاذا جاء الليل نام الى الصباح فانتقض بذلك عزمه فضربه مثلا لمن يعزم على تحصيل الامور الكبار والسعي فيها ثم يلزم الاناءة والدعة ومراده انكم مع هذه الدعة وحب التراخي من المتاعب الجهادية لا يتم لكم ما تريدونه وتعزمون عليه من تحصيل السعادة في دنيا واخرة وكذلك قوله وامحا الظلام لتذاكر الهمم واصله ان الرحيل يبعثهم همتهم في مطالبهم على المسير بالليل فاذا جن الظلام ادركهم الكسل وغلب عليهم النوم عن تذكار مطالبهم وصرفهم عنها فكان الظلام سببا ما يمحوا تلك التذكار من نوع الذكر فضربه مثلا لمن يدعوه الداعي الحازم ويهيجه ثم يعرض له ذا امر فينصرف به عنه وهو كالذي قبله وبالله التوفيق وهذا اخر الخطب والاوامر ويتلوه المختار من الكتب والرسائل ان شاء الله تعالى بعونه وعصمته وتوفيقه وهدايته

باب المختار من كتب امير المؤمنين عم ورسائله الى اعدائه وامراء بلاده ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده الى عماله ووصاياه لاهله واصحابه

ومن كتاب له عليه السلم الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة

من عبد الله علي امير المؤمنين الى اهل الكوفة جبهة الانصار وسنام العرب اما بعد فاني اخبركم عن امر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه ان الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين اكثر استعتابه واقل عتابه وكان طلحة والزبير اهون سيرهما فيه الوجيف وارفق حدائهما العنيف وكان من عائشة فيه فلتة غضب فاتيح له قوم فقتلوه وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيرين واعلموا ان دار الهجرة قد قلعت باهلها وقلعوا بها وجاشت جيش المرجل وقامت الفتنة على القطب فاسرعوا الى اميركم وبادروا جهاد عدوكم ان شاء الله عز وجل اقول كتب هذا الكتاب حين نزل بماء العذيب متوجها الى البصرة وبعثه مع الحسن عم وعمار بن ياسر وعيانه ترويته والوجيف ضرب من السير فيه سرعة واضطراب والعنف ضد الرفق والفلتة البغتة من غير تروٍّ واتيح قدر وقلع المنزل باهله اذا نبا بهم فلم يصلح لاستيطانهم وقلعوا به اذا لم يستقروا فيه ولم يثبتوا وجاشت القدر غلت والمرجل القدر من نحاس واعلم انه قصد بذا الفصل ان يحملهم بالجد الى ما يريد هم له من نصرته على اهل البصرة واستعار لهم لفظ الجبهة باعتبار انهم بالنسبة الى الانصار كالجبهة بالنسبة الى الوجه في العزة والشرف والعلو وكذلك استعار لفظ السنام باعتبار علوهم وشرفهم في العرب بالاسلام والقوة في الدين كشرف السنام وعلوه في الجمل وقال قطب الدين الراوندي المراد بجبهة الانصار جماعتهم وسنام العرب خيارهم ومن انتفع منهم حقيقة في الموضعين والمعنى قريب مما قلناه الا ان اللفظين ليسا حقيقة لان من علامات الحقيقة السبق الى الفهم ولا واحد من المعنيين المذكورين يسبق من هذين اللفظين الى الفهم ثم شرع بذكر الشبهة التي جعلها اصحاب الجمل واهل الشام من اراد الفساد في الارض حجة لهم حتى كانت مبدأ كل فتنة نشأت في الاسلام وهي شبهة قتل عثمن مع الجواب عنها وهو قوله اما بعد الى قوله عيانه ولم عثمن شأنه وحاله التي جرت له وقوله حتى يكون سمعه كعيانه كناية عن تمام ايضاح ذلك الامر لمن لم يشهده من اهل الكوفة وقوله ان الناس طعنوا عليه اشارة الى مبدأ قتله وهو طعن الناس عليه بالاحداث التي نقموها منه يقال طعن فيه بالقول وطعن عليه اذا ذكر له عيبا وقد ذكرنا تلك المطاعن وهذا القول كالمقدمة للجواب عن نسبته الى قتله وكذلك قوله فكنت رجلا الى قوله عتابه كصغرى قياس ضمير من الشكل الاول مبين فيه انه بريء الناس من دم عثمن ومعنى قوله اكثر استعتابه اي كثر طلب العتبى منه والرجوع الى ما يرضي به القوم منه واقل عتابه اي ذكر ما اجده منه قال الخليل العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة وانما كان يقل عتابه لانه عم كان يخاطبه فيما هو اهم من ذلك وهو ارضاؤه للقوم واستعتابه لهم ليرجعوا عنه ويطفئوا نار الفتنة او لان حوله جماعة كمروان وغيره فكانه عم اذا عاتبه وصفا ما بينهما كدرته تلك الجماعة وقيل اراد اني كنت اكثر طلب رضاه واقل لائمته وتقدير كبرى القياس وكل من كان من المهاجرين بالصفة المذكورة معه فهو ابرأ الناس من دمه وانواهم عند ابي البعد عن قتله وقوله وكان طلحة والزبير الى قوله غضب كصغرى قياس ضمير من الاول ايضا الزم فيه القوم الساعين الى حربه وهم طلحة والزبير وعائشة عنهما نسبوه اليه من الدخول في دم عثمن وكنى بقوله اهون سيرهما فيه الوجيف الى قوله العنيف عن قوة سعيهما في قتله وشدة تلبسهما وقد ذكرنا طرفا من حال طلحة معه وجمعه للناس في داره ومنعه من دويه وروى ان عثمن قال وهو محصور ويلي على ابن الحضرمية يعني طلحة اعطيته كذا وكذا بهارا ذهبا وهو يروم دمي ويحرض علي اللهم لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه وروى انه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة الى دار بعض الانصار واصعدهم الى سطحها وتسوروا منها عليه وروى ان مروان قال يوم الجمل والله لا اترك ثاري من طلحة وانا اراه ولاقتلنه بعثمن ثم رماه بسهم فقتله واما الزبير فروى انه كان يقول اقتلوه فقد بدل دينكم فقالوا له ابنك يحامي عنه بالباب فقال والله ما اكره ان يقتل عثمن ولو بدئ بابني و حالهما في التحريض مشهور واما عائشة فروى انها كانت تقول اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا واما الغضب الذي وقع منها فلتة في حقه فالسبب الظاهر فيه هو انتقاصه من عطاء المسلمين من قرابته وبني ابيه وهو السبب العام في قيام الناس عليه ونفرتهم منه وسائر الاحداث مقويات لذلك وروى انه صعد المنبر يوما وقد غص المسجد باهله فمدت يدها من وراء السترة بنعلين وقميص وقالت هذان نعلا رسول الله صلعم

دفيصه

في القول

وقيصر بعد لم يبل وقد ابليت دينه وغيرت سنته واغلظت له فاغلظ لها وكان ذلك القول منها من اشد ما حرض الناس على قتله وبالجملة
فحال هؤلاء الثلثة في التحريض على قتله كان اشهر من ان يحتاج الى ذكر وتقدير كبرى القياس وكل من كان كذلك كان اولى بالدخول
في دمه وانسب الى التحريض عليه وقوله فاتيح له قوم فقتلوه نسبة لاجتماع الناس على قتله الى التقدير الالهي ليصرف
اذهان السامعين بهذه النسبة المضادة عن نسبة ذلك اليه وافاد الفعل بالواو وندب انه انما بنى الفعل للمفعول ولم يقل
اتاح الله له او اتاح الشيطان ليرضى بذلك الفريقان وقوله وبايعني الى قوله مجبرين صغرى قياس ضمير من ضد خروج اصحاب الجمل عن
طاعة الله ودخولهم في رذيلة الغدر ونكث العهد المستلزم لدخولهم في عموم قوله تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض الاية وقوله فمن نكث فانما ينكث على نفسه الاية وتقدير الكبرى وكل من
بايعه الناس طائعين مخيرين فلا يجوز لهم ان ينكثوا بيعته ويحاربوه للامرين المذكورين وفي نسخة الرضي رضه مستكرهين بكسر
الراء بمعنى كارهين يقال استكرهت الشيء اي كرهته وقوله واعلموا الى قوله المرجل اعلام لاهل الكوفة باضطراب حال المدينة
واهلها حين علموا بميل القوم الى البصرة للفتنة وغرض ذلك الاعلام ان يهيئوا هم اخوانهم المؤمنين وقيل يحتمل ان يريد بدار
الهجرة دار الاسلام وبلادها وكنى بقلعها باهلها وقلعهم بها عن اضطراب امورهم بها وعدم استقرارهم من ثوران هذه
الفتنة واستعار لفظ الجيش ملاحظة لشبهها بالقدر في حال غليانها فان اضطراب الناس وحركاتهم من هذه الفتنة تشبه
ذلك وكنى بقيامهم بذكر الفتنة والحرب وقيامها على قطبها المستعد والحا وينفروا اليها ولذلك ردفه بالامر بسرعة المسير الى اميرهم
بنفسه وان يبادروا لجهاد عدوهم وذكر لفظ القطب وقيامها عليه شبها بها على المقصود وقد علمت وجه استعارة الرحى للحرب
هو مشابهتها في دورانها على من تدور عليه كما يشتمل دوران الرحى على الحب فيطحنه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام**
إليهم بعد فتح البصرة وجزاكم الله من اهل مصر عن اهل بيت نبيكم احسن ما يجزي العاملين بطاعته والشاكرين لنعمته فقد
سمعتم واطعتم ودعيتم فاجبتم **اقول** نبه بان يكون الخطاب لاهل الكوفة ومن ههنا لبيان الجنس من الضمير المنصوب في
جزاكم وقد دعا الله لهم ان يجزيهم عن نصرة اهل بيت نبيه احسن الجزاء وشكرهم لتضمنه من حقه عليهم بطاعته وقوله فقد سمعتم اي امر الله
واطعتموه ودعيتم الى نصرة دينه فاجبتم داعيه وانما حذف المفعولات هنا لان الغرض ذكر الافعال دون نسبتها الى مفعولاتها
او للعلم بها **ومن كتاب له عليه السلام** كتبه لشريح بن الحارث قاضيه روي ان شريح بن الحارث قاضي امير المؤمنين عليه الصلوة
والسلام اشترى على عهده دارا بثمانين دينارا فبلغه عليه السلام ذلك فاستدعاه وقال له بلغني انك ابتعت
دارا بثمانين دينارا وكتبت كتابا واشهدت شهودا فقال شريح قد كان ذلك يا امير المؤمنين قال فنظر عليه السلام اليه نظر
مغضب ثم قال له يا شريح اما انه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسئل عن بينتك حتى يخرجك منها شاخصا و
يسلمك الى قبرك خالصا فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك او نقدت الثمن من غير حلالك فاذا
انت قد خسرت دار الدنيا ودار الاخرة اما انك لو كنت اتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتابا على هذه
النسخة فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوقه والنسخة هذه بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت قد ازعج للرحيل اشترى منه دارا من دار الغرور من جانب الفانين وخطة الهالكين
وتجمع هذه الدار حدود اربعة الحد الاول ينتهي الى دواعي الافات والحد الثاني ينتهي الى دواعي المصيبات والحد الثالث
ينتهي الى الهوى المردي والحد الرابع ينتهي الى الشيطان المغوي وفيه يشرع باب هذه الدار اشترى هذا المغتر بالامل من هذا
المزعج بالاجل هذه الدار بالخروج من عز القناعة والدخول في ذل الطلب والضراعة فما ادرك هذا المشتري فيما اشترى من درك
فعلى مبلبل اجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة ومزيل ملك الفراعنة مثل كسرى وقيصر وتبع وحمير ومن جمع المال على
المال فاكثر ومن بنى وشيد وزخرف ونجد وادخر واعتقد ونظر بزعمه للولد اشخاصهم جميعا الى موقف العرض والحساب
وموضع الثواب والعقاب اذا وقع الامر بفصل القضاء وخسر هنالك المبطلون شهد على ذلك العقل اذا خرج من اسر الهوى
وسلم من علائق الدنيا **اقول** هو شريح بن الحرث الكندي استقضاه عمر على الكوفة ولم يزل بها بعد ذلك قاضيا خمسا وسبعين
سنة لم يتعطل فيها الا سنتين وقيل اربع سنين استعفى الحجاج فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير فاعفاه والبيعة الحجة وتخص من
البلدة وحل عنها والخطة بالكسر الارض يخطها الرجل ويعلمها بخطه ليبني فيها دارا ومنه خطط الكوفة والبصرة والمردي المهلك
والضراعة مصدر قولك ضرع ضراعة اي ذل وخضع والدرك التبعة واصل البلبلة الاضطراب والاختلاط واشخاص الشيء بعثه
واخراجه عن حد الانقطاع وكسرى لقب ملك الفرس كاسم الجنس لكل ملك منهم وكذلك قيصر لملك الروم وتبع ملوك اليمن وحمير
ابو قبيلة من اليمن وهو حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وشيد رفع البناء وزخرف زين البناء بالزخرف ونجد زين

في كتاب كتبه لشريح بن الحارث

اوعنه والتجديد للتزيين بالفرش والبسط ونحوها والعقد المال والضيعة انشاها وفرض الفضل التنفير عن متاع الدنيا ومن الركون الى
فضولها وبدا قبل توبيخه باستثبات الامر منه متولهًا بلغني الى قوله شهودا وكان في قول شريح قد كان ذلك ما تقدم اخذ في تنفيره
عن محبته هذه الدار وافتنائها بتذكير الموت وعدم بقائه وانه يخرج منها ويشخص فيسلمه الى قبر لصاحبه من تلك الدار
وعن كل شبهة افتناها من الدنيا ثم خوفه من دخلة ثمنها وان يكون فيه شائبة حرام وان يشتملها على الاحكام بما يستلزم ذلك من خسران
الدنيا بالموت وخسران الآخرة وعقبيها باعتبار ... به من الآثام باكل الحرام وابتعته واشتريته بمعنى وروى لما تخففه فان قلت
فكيف قال فما فوقه ومعلوم انه اذا لم يرغب فيها بدرهم فبالاولى ان لا يرغب فيها بما فوقه قلت لما كان الدرهم هنا اقل ما يحسن الملك
به في العادة وكان الغرض انك لو اتيتني عند شرائك هذه الدار لما شريتها بشيء اصلا لم يحسن ان يذكر فوق الدرهم ما فوقه ونحوه
قول المتنبي ومن جسدي لم يترك السقم شعرة فما فوقها الا وفيها له فعل وكان قياسه ان يقول فما دونها واعلم ان في التنبيه
نكتا احدها احصل المشتري بصفة العبودية وذلك لتكسر ما عساه يعرض لنفسه من العجب والفخر بشراء هذه الدار الثانية اطلاق لفظ
الميت على من سيموت بمعنى البايع ... تنزيلا لما بالفعل على ما بالقوة وتنزيلا للمقتضى منزلة الواقع لغرض التحذير من الموت و
ازعاجه للرحيل الى الآخرة اما ترشيح للاستعارة او اشارة الى ايقاظه وتنبيهه بالاعراض والامراض وكل ما ذكره من العبر الثالثة
كنى بدار الغرور عن الدنيا باعتبار غرور الخلق بها وغفلتهم بما فيها عما وراءها وقوله من جانب الفانين احض من دار الغرور وكذلك
خطة الهالكين احض من جانب الفانين على ما جرت العادة به في كتب البيع من الابتداء بالاعم والانتهاء في تخصيص المبيع الى امور
بعينه وان لم يكن هنا غرض في ذكر التخصيص في ذكر الفانين والهالكين والتذكير بحالهم وان هذه الدار من جانب كانوا يسكنونه
وخطة كانت لهم الرابع اشار الى حدودها الاربعة وجعلها كنايات عما يلزمها من الامور المنفرة عنها وينتهي اليه منها فجعل الحد
الاول ينتهي الى دواعي الآفات واشار بها الى ان تلك الدار لما كانت يلزمها كالات لابد منها وعلاقات كالمرأة والخادم والدابة
وما يلزم اولئك ويكون بسببهم من الاولاد والاتباع والقينات وساير فضول الدنيا التي يحتاج بعضها الى بعض حتى يكون
اغنى الناس فيها اكثرهم حاجة وفقرا وكان كل واحد من هذه الامور في معرض الآفات كالامراض والموت كانت تلك الامور
هي دواعي الآفات التي تقود اليها وتستلزمها وهي مما ينتهي اليه الدار وتستلزمه وانما جعله حدا اول لانها اول اللوازم التي
يحتاج اليها الدار وتقود اليها والحد الثاني ما ينتهي اليه ويلزمها من دواعي المصيبات واشار بها الى الامور الاولى التي تحتاج
الدار اليها وتستلزمها لكن باعتبار كونها مستلزمة لما يعرض لها من الآفات لما يلحق بسبب ذلك من المصيبات فان كل واحد منها
لما كانت في معرض الآفات كان المقتني لها في معرض نزول المصيبات به وكان داعيا له وقايدا اليها والاستلزام دواعي الآفات لدواعي
المصيبات ردفها بها وجعلها حدا ثانيا ويحتمل ان يكون تسميتها في الموضعين دواعي باعتبار ان شهواتها تدعو الى فعلها وايجادها وذلك
الايجاد يلزمه الآفات والمصيبات والحد الثالث ما ينتهي اليه ويلزمها الهوى المردي واتباعه انه كان اقتناء الدار في الدنيا مستلزما
لمحبتها ومحبة كمالاتها ومتابعة الميول الشهوانية بغير هدى من الله وهو المراد بالهوى وكونه مرديا في حضيض جهنم ومهلكا فيها وجعل
الهوى هو الحد الثالث لكون تلك الدار وكمالاتها وما تدعو اليه كلها امورا مستلزمة للهوى والميول الطبيعية المهلكة التي لا تكاد
يتأكد بعضها بالبعض ويدعو بعضها الى البعض والحد الرابع ما ينتهي به الى الشيطان المغوي وانما جعله هو الحد الاخير لانه الحد الابعد
الذي ينتهي اليه تلك الحدود والدواعي وهو بعد الحد الثالث اذ كان الشيطان من جهة الغواية مبدأ ميل النفس الى الدنيا ولعبها
على منا بعد هواها واغواؤه يعود الى القائه الى النفس ان الاصلح لها كان ما هو جاذب عن سبيل الله واشار بقوله وفيه شرع باب
هذه الدار الى كونه مبدأ باغوائه الدواعي الباعثة له المستلزمة للدخول في شرائها واقتنائها وافتنائها يستلزمه ويدعو اليه والدخول
في متاع الدنيا وباطلها فالشيطان كالحد وما اصل عنه وانفتح بسببه من الدخول في امر الدار وشرائها كالباب فانظر الى ما اشتمل
عليه هذا الترتيب في كلامه من الحكمة التي بها تميز عن كلام من سواه وهو في غاية التنفير عن الدنيا وسد ابواب طلبها والجذب الى الله
تعالى والارشاد الى لزوم الزهد الحقيقي الخامسة وصف المشتري بالمغتر بالامل باعتبار نظره الى امله في الدنيا هو الذي استلزم
غفلته عن الآخرة وما خلق لاجله وكان ذلك الاغترار سببا لشرائه لتلك الدار وجعل الثمن هو الخروج عن عز القناعة والدخول
في ذل الطلب والضراعة باعتبار استلزام شرائها لذلك كما يستلزمه الثمن ووجه استلزامه لما ذكر ان تلك الدار كانت بالنسبة الى
حال شريح فضلة زايدة على قدر الحاجة وكل فضل في اقتناء الاثاث زيادة على قدر ضرورته فقد خرج به عن حد القناعة اذ القناعة
هي الرضا والاقتصار على مقدار الحاجة من المال وما يحتاج اليه وعلمت ان القناعة مستلزمة لقلة الاحتياج الى الخلق والغنى
عنهم وبحسب الغنى وقلة الحاجة يكون عز القناعة والخارج عن القناعة خارج عن عزها وداخل في ذل الطلب والضراعة للخلق اذ
باعتبار ما هو خارج عن القناعة يكون كثير الحاجة الى الخلق وباعتبار ذلك يكون داخلا في الذل والضراعة اليهم وغاية ذلك التنفير عن اقتنا

فضول

فضول الدنيا ايما يستلزمه من ذل الحاجة الى الخلق السادسة علوّ الدرك السابعة النبغة للازمة في هذا البيع بملك الموت نطع الامل
الدرك ونقض كثيرا بالموت لغاية العمل والاقتصار على قدر الحاجة من متاع الدنيا وكنى عنه بمبلبل اجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة
ومزيل ملك الفراعنة لسلبه لنفوسهم وفي تخصيص تلك مثل هؤلاء الملوك بلعنة الموت لهم في معرض تعليق الدرك به تشبيه لهذا
المشترى على وجوب تقصير الامل بمثل هذه الدار ونحوه من الامال المتعلقة بمطالب المنقطعة بالموت فانه اذا كان قد قطع امال مثل
هؤلاء ولم يدركوا معه شيئا بالاولى ان يبها القاضي الثامنة قوله ومن نظر من عمله الولد اى نظر في جمع المال لولده ورآه مصلحة له
بظنه وزعمه والباء للسببية ذكا نطق وجود المراى الاصلح سبباله الثامنة ذكر اشخاصهم ومنتهاهم وهو موقف العرض والحساب
وموضع الثواب والعقاب ترهيبا من تلك الامور والمقامات وترغيبا في العمل للآخرة والامن من شرورها التاسعة قوله اذا
اذا وقع الامر بفصل القضاء اى اذا وقع امر الله في محفل القيامة بفصل القضاء وقطع الحكم بين اهل الحق والباطل منهم وربح المحقون
وخسر هنالك المبطلون وهذا الختام مقتبس من القرآن الكريم العاشرة قوله في الشهادة على ذلك العقل الى آخره من غاية
الشرف وذلك ان الشاهد بما ذكره في هذا الكتاب من اوصاف المبتاع وحدود المبيع ومن يلحقه دركه وغير ذلك مما
عدده ليس الا صرف العقل المبرأ عن خطر الوسواس المطلق من اسر الهوى السالم من محبة الدنيا وما يتعلق بها لانه ان كان
بتجرده من هذه العلائق صافيا من كدر الباطل يرى الحق كما هو اهله ويحكم به فاما اذا كان اسيرا في يد الهوى مقهورا تحت
سلطان النفس الامارة لم يكن نظره الى الحق بعين صحيحة بل بعين غشت ظلمات الباطل انوارها فلذلك لم يشهد بمحض
الحق اذ لم يره من حيث هو حق خالص بل شهد بما الباطل في صورة الحق كشهادته بالمصلحة في اقتناء الدنيا نظرا للعاقبة الولد
او لخوف الفقر ونحوه مما يباح لاجله الطلب في ظاهر الشرع ولو نظر الى الحق بعين الصدق لعلم ان الجمع للولد ليس تكليفا له لان
رازق الولد هو خالقه وان الجمع لخوف الفقر تعجيل فقر واشتغال عن الواجب عليه بغيره وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام**
الى بعض امراء جيشه فَاِنْ عادُوا اِلى ظِلِّ الطّاعَةِ فَذاكَ الَّذى نُحِبُّ وَاِنْ تَوافَتِ الْاُمُورُ بِالْقَوْمِ اِلَى الشِّقاقِ وَالْعِصْيانِ
فَانْهَدْ بِمَنْ اَطاعَكَ اِلى مَنْ عَصاكَ وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقاعَسَ عَنْكَ فَاِنَّ الْمُتَكارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ
وَقُعُودُهُ اَغْنى مِنْ نُهُوضِهِ **اقول** روى ان الامير الذى كتب اليه هو عثمن بن حنيف عامله على البصرة وذلك حين انتهت
اصحاب الجمل اليها وعزموا على الحرب فكتب عثمن اليه عليه السلام يخبره بحالهم فكتب عليه السلام اليه كتابا فيه الفصل المذكور وقوله فذاك اى فذاك نقض والتفا
التاخر والقعود واستعار لفظ الظل لما يستلزمه الطاعة من السلامة والراحة عن حرارة الحرب ومتاعبها التي هي ثمرات الشقاق
كما يستلزم الظل الراحة من حرارة الشمس وقوله وان توافت بهم الامور اى تتابعت بهم المقادير واسباب الشقاق والعصيان اليها
واعلم انه لما كان مقصوده عليه السلام ليس الا اجتماع الخلق على طاعة الله ليسلك بهم سبيل الحق كما هو مقصود الشارع عليه السلام نبّه على ذلك بقوله
فان عادوا الى قوله نحب وقوله يعود الى المصدر الذى دل عليه عادوا وبينهم قوله فذاك الذى نحب حصر محبوبه في عودهم اى لا نحب
الا ذلك ولذلك للأمر بمحاربة العصاة والاستعانة بمن اطاعه عليهم على تقدير مشاقتهم وعصيانهم وعلل تعيين النهوض بالمطيعين
دون المتكارهين وبالمنقادين دون المتقاعسين بان المتكاره في ذلك مغيبه خير من مشهده وقعوده اغنى من نهوضه وذلك
لما يقع بسبب المتكاره ومن تخاذل الناس عنده سرية كمن والتي اتهم بحاله حتى ربما لا يكتفى بعدم منفعته بل يذكر المفاسد في
الحرب بعما يستلزم من هلاك المسلمين وكون ذلك منه ونحوه كما وقف بسببه كثير من الصحابة والتابعين عن وقايع الجمل
وصفين والنهروان فيكون في حضوره وعدم التنفع ومفسدة هي تخاذل الناس بسببه بخلاف مغيبه ان ليس فيه الا عدم الانتفاع
به وروى خير من شهوده وكلاهما مصدر وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام الى الاشعث بن قيس وهو عامله على**
اَذْرَبِيجانَ وَاِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلكِنَّهُ فى عُنُقِكَ اَمانَةٌ وَاَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ لَيْسَ لَكَ اَنْ تَفْتاتَ فى
رَعِيَّةٍ وَلا تُخاطِرَ اِلّا بِوَثِيقَةٍ وَفى يَدَيْكَ مالٌ مِنْ مالِ اللّهِ تَعالى وَاَنْتَ مِنْ خُزّانِهِ حَتّى تُسَلِّمَهُ اِلَىَّ وَلَعَلّى اَلّا اَكُونَ
شَرَّ وُلاتِكَ لَكَ وَالسَّلامُ **اقول** روى عن الشعبى ان عليا عليه السلام لما قدم الكوفة وكان الاشعث بن قيس على ثغر اذربيجان من قبل
عثمن بن عفان فكتب اليه بالبيعة وطالبه بمال اذربيجان مع زياد بن مرحب الهمدانى وصورة الكتاب بسم
الله الرحمن الرحيم من عبد الله على امير المؤمنين الى الاشعث بن قيس اما بعد فلولا هنات كن منك كنت المقدم فى هذا الامر
قبل الناس ولعل آخر امرك يحمد اوله وبعضه بعضا ان اتقيت الله انه قد كان من بيعة الناس اياى ما قد بلغك وكان طلحة و
الزبير اول من بايعنى ثم نقضا بيعتى عن غير حدث واخرجا عائشة فساروا بها الى البصرة فصرت اليهم فى المهاجرين والانصار
فالتقينا فدعوتهم الى ان يرجعوا الى ما خرجوا منه فابوا فابلغت فى الدعاء واحسنت فى البقية واعلم ان عملك ليس لك الى آخر الفصل
وكتب عبد الله بن ابى رافع فى شعبان سنة ست وثلثين والمسترعى من جعله راعيا والطعمة الماكلة والرعية المرعية فعيلة

في باب كتابه الى معوية مع جرير

بمعنى مفعول والافتيات افتعال من الفوت اى الاستبداد بالامر والمخاطرة التقدم في الامور العظام والاشراف فيها على الهلاك والوثيقة ما يوثق
به في الدين وقوله وان عملك الى قوله بوثيقة اشارة الى قياس ضمير من الشكل الاول بيّن فيه انه ليس له ان يستبد في رعيته بامر
من الامور دون من استرعاه وان لا يخاطر في شيء من امور ولايته من مال وغيره الا بوثيقة ممن ائتمنه على البلاد واسترعاه للعباد
تقدير الصغرى بقوله وان عملك الى قوله لمن فوقك وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس له ان يستبد بامر دون من ائتمنه و
استرعاه ولا يخاطر الا بوثيقة تخلصه ويثق بها ثم بيّن له بعض ما لا يجوز له الاستبداد به والمخاطرة فيه وهو ما لديه من مال البلاد
ونبه على وجوب حفظه بامرين احدهما انه مال الله الذي افاءه على عباده المؤمنين والثاني انه من خزانه عليه الى غاية ان يسلمه اليه
ومن شان الخازن الحفظ وعدم التصرف فيما يخزنه الا باذن وامر ممن يثق بالمخزون به وقد كان الاشعث مخوفا من علي عليه السلام حين ولي
الامر وجازما بانه لا يبقيه على العمل في يده لهنات سبقت منه في الدين وفي حقه عليه السلام قد اشرنا الى بعضها فيما سبق وفي قوله وما يدريك
ما علي مما لي ثم اراد تسكينه فقال ولعلي لا اكون شر ولاتك لك اي شر من ولي عليك واتى بلفظ الترجي ليقيمه بين طرفي الخوف
والرجاء وانما يكون شرا لانه عليه السلام لو خالف الدين والاشعث يعلم ذلك منه فكان ذلك جاذبا له الى لزوم الدين وروي انه لما
اتاه كتابه عليه السلام دعا ثقاته وقال لهم ان هذا كتاب قد اوحشني وهو آخذي بمال اذربيجان على كل حال وانا لاحق بمعوية فقالوا
له الموت خير لك من ذلك تدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنبا لاهل الشام فاستحيا من ذلك وبلغ قوله اهل الكوفة فكتب
اليه عليه السلام كتابا يوبخه فيه ويامره بالقدوم عليه وبعث به حجر بن عدي الكندي فلامه حجر على ذلك وما شاء الله وقال له اتدع قومك
واهل مصرك وامير المؤمنين وتلحق باهل الشام ولم يزل به حتى اقدمه الى الكوفة فعرض علي عليه السلام اثقاله فوجد فيها مائة الف درهم و
روي اربعمائة الف فاخذها وكان ذلك بالنخيلة فاستشفع الاشعث بالحسن والحسين عليهما السلام وبعبد الله بن جعفر فاطلق له
منها ثلثين الفا فقال لا يكفيني فقال لست بزائدك درهما واحدا وايم الله لو تركتها لكان خيرا لك وما اظنها تحل لك ولو تيقنت ذلك لما
بلغتها عندي فقال الاشعث خذ من خدعك ما اعطاك وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام الى معوية انه بايعني القوم
الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين
والانصار فان اجتمعوا على رجل وسموه اماما كان ذلك لله رضى فان خرج من امرهم خارج بطعن او بدعة ردوه الى ما خرج منه فان ابى قاتلوه
على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ولعمري يا معوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرأ الناس من دم عثمن و
لتعلمن اني كنت في عزلة عنه الا ان تتجنى فتجن ما بدا لك والسلام **اقول** هذا الفصل من كتاب كتبه الى معوية مع جرير بن عبد
الله البجلي حين نزع من همدان وصدره اما بعد فان بيعتي يا معوية لزمتك وانت بالشام لانه بايعني القوم ثم يتلو قوله وولاه الله
ما تولى تمام الخبر ويتصل بها ان قال وان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي وكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء
الحق وظهر امر الله وهم كارهون فادخل يا معوية فيما دخل فيه المسلمون فان احب الامور الي فيك العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تعرضت
له قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد اكثرت في قتلة عثمن فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله
واما تلك التي تريد فانها خدعة الصبي عن اللبن ثم يتصل به قوله ولعمري الى قوله ما بدا لك ثم يتصل به واعلم انك من الطلقاء
الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد ارسلت اليك والى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من اهل الايمان والهجرة
فبايع ولا قوة الا بالله العزلة الاسم من الاعتزال والتجني ان يدعى عليك ذنب لم تفعله فقوله اما بعد الى قوله بالشام صورة الدعوى
وقوله لانه بايعني الى قوله عليه صورة صغرى قياس ضمير من الشكل الاول يستنتج منه ملزوم تلك الدعوى لغاية صدقها بصدق
ملزومها وتقدير الكبرى وكل من بايعه هؤلاء القوم فليس لمن شهد بيعتهم ان يختار غير من بايعوه ولا للغائب عنها ان يرد فينتج انه
ليس لاحد ممن حضر وغاب ان يرد بيعتهم له وذلك يستلزم كونها لازمة لمن حضر وغاب وهذه النتيجة هي قوله فلم يكن الى قوله يرد وانما
وقوله وانما الى قوله لله رضى كبرى القياس وحصر الشورى والاجماع في المهاجرين والانصار لانهم اهل الحل والعقد من امة
محمد صلى الله عليه وآله فاذا اتفقت كلمتهم على حكم من الاحكام كاجتماعهم على بيعته وتسميته اماما كان ذلك اجماعا حقا هو رضى الله اي مرضي له و
سبيل المؤمنين الذي يجب اتباعه فان خالف امرهم وخرج عنه بطعن فيهم او فيمن اجمعوا عليه كخلاف معوية وطعنه فيه بقتل عثمن
ونحوه او ببدعة كخلاف اصحاب الجمل وبدعتهم في نكث بيعته ردوه الى ما خرج عنه فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين
حتى يرجع اليه وولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا ثم اقسم انه على تقدير نظره بعقله دون هواه يجده ابرأ الناس
من دم عثمن وانه كان حين قتله في عزلة عنه والملازمة واضحة فان القتل اما بفعل او بقول ولم ينقل عن علي عليه السلام في امر عثمن الا انه
لزم بيته واعتزل عنه بعد ان دافع عنه طويلا بيده ولسانه فلم يمكن الدفع وقوله الا ان تتجنى الى آخره استثناء منقطع اي الا ان
تدعي علي ذنبا لم افعله فادع ما تدعي ما بدا لك اي ما ظهر في خيالك من الذنوب والجنايات فان ذلك باب مفتوح لكل احد ويحل

ما النصب

ج ١

فى جواب معوية اليه عليه السلام

ما انتصب بالمفعولية وانما اختج عليهم بالاجماع والاختيار هنا على حسب اعتقاد القوم انه المعتبر في نصب الامام اذ لم يكن عندهم انه منصوص عليه ولو ادعى ذلك لم يسلم له وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** له ايضا اما بعد فقد اتتني منك موعظة موصلة ورسالة محبرة نمقتها بضلالك وامضيتها بسوء رايك وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده قد دعاه الهوى فاجابه وقاده الضلال فاتبعه فهجر لاغطا وضل خابطا ومن هذا الكتاب لانها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر ولا يستانف فيها الخيار الخارج منها طاعن والمروي فيها مداهن **اقول** هذا جواب كتاب كتبه اليه معوية صورته من معوية بن ابي سفيان الى علي بن ابيطالب اما بعد فلو كنت على ما كان عليه ابو بكر وعمر اذا ما قاتلتك ولا استحللت ذلك ولكنه انما افسد عليك بيعتي خطيئتك في عثمان بن عفان وانما كان اهل الحجاز الحكام على الناس حين كان الحق فيهم فلما تركوه صار اهل الشام الحكام على اهل الحجاز وغيرهم من الناس ولعمري ما حجتك على اهل الشام كحجتك على اهل البصرة ولا حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير لان اهل البصرة قد كانوا بايعوك ولم يبايعك اهل الشام وان طلحة والزبير بايعاك ولم ابايعك واما فضلك في الاسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وموضعك من هاشم فلست ادفعه والسلم فكتب عليه السلام جوابه من عبد الله علي امير المؤمنين الى معوية بن صخر اما بعد فانه اتاني كتاب امرئ الى قوله خابطا ثم يتصل به ان قال زعمت انه انما افسد علي بيعتك كما اصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا يضربهم بعمى واما زعمت ان اهل الشام الحكام على اهل الحجاز فهات رجلين من قريش الشام يقبلان في الشورى او تحل لهما الخلافة فان زعمت ذلك كذبك المهاجرون والانصار والا فانا اتيك بهما من قريش الحجاز واما ما ميزت بين اهل الشام واهل البصرة وبينك وبين طلحة والزبير فلعمري ما الامر في ذلك الا واحد ثم يتصل به قوله لانها بيعة عامة الى اخره ثم يتصل به واما فضلي في الاسلام وقرابتي من الرسول وشرفي في بني هاشم فلو استطعت دفعه لفعلت والسلام واما قوله اما بعد فقد اتتني الى قوله بسوء رايك فمقصود بكتاب اخر جاء به معوية عن كتاب كتبه اليه بعد الكتاب الذي ذكرناه وذلك انه لما وصل اليه هذا الكتاب من علي عليه السلام كتب اليه كتابا يعظه فيه وصورته اما بعد فاتق الله يا علي ودع الحسد فانه طالما لم ينتفع به اهله ولا تفسد سابقة قديم بشره من حديثك فان الاعمال بخواتيمها ولا تلحدن بباطل في حق من لا حق لك في حقه فانك ان تفعل ذلك لا تضلل الا نفسك ولا تمحق الا عملك ولعمري ان ما مضى لك من السوابق الحسنة لحقيقة ان تردك وتردعك عما قد اجترات عليه من سفك الدماء واجلاء اهل الحق عن الحل والحرام فاقرا سورة الفلق وتعوذ بالله من شر ما خلق ومن شر نفسك الحاسد اذا حسد فقطع الله نياط قلبك واخذ بناصيتك وعجل توفيقك فاني اسعد الناس بذلك والسلام اما بعد فقد اتتني منك موعظة الى قوله بسوء رايك ثم يتصل به وكتاب ليس ببعيد الشبه منك حملك على الوثوب على ما ليس لك فيه حق ولولا علمي بك وما قد سبق من رسول الله صلى الله عليه وآله فيك مما لا مرد له دون انفاذه اذن لوعظتك لكن عظتي لا تنفع من حقت عليه كلمة العذاب ولم يخف العقاب ولا يرجو لله وقارا ولم يخف له حذارا فشانك وما انت عليه من الضلالة والحيرة والجهالة تجد الله في ذلك بالمرصاد من دنياك المنقطعة وتمنيك الاباطيل وقد علمت ما قال النبي صلى الله عليه وآله فيك وفي امك وابيك والسلم ومما ينبه على ان هذا الفصل المذكور ليس من الكتاب الاول ان الاول لم يكن فيه ذكر موعظة حتى يذكرها عليه السلام في جوابه غير ان السيد رحمه الله اضافه الى هذا الكتاب كما هو عادته في عدم مراعات ذلك امثاله ولنرجع الى المقصود فنقول المحبرة المزينة والتنميق التزيين بالكتاب وهجر يهجر هجرا اذا هذى والخش في منطقه واللغط الصوت والجلبة واصل الخبط الحركة على غير نظام ومنه خبط عشواء للناقة التي ضعف بصرها والمروي المفكر والمداهن المصانع واظهار الرضى بالامر مع اهمال دخلائه و[illegible] الفصل من باب المنافرات واراد بكونها موصلة اي ملتقطة من كلام الناس ملفقة وقد نبهت بالكناية ونسب تنميقها الى ضلالة لان موعظته ومكلفه اياها لمثله عليه السلام عن اعتقاد منه انه على طرف الحق وان عليا مخطئ كما زعم وظان ذلك لا يحقق ضلال عن سبيل الله وحبه تكلف تلك الموعظة ولانه لما كان جاهلا باساليب الكلام ووضعه مواضعه وجاءت موصلة ملفقة بحسب تلك الجهل ظهر عليها اثر التكلف في التنميق فاستدل به على ضلالة واستعار لفظ البصر للعقل باعتبار انه نور يدرك به صور المعقولات كما يدرك البصر بنوره صور المحسوسات ثم سلب عنه البصر الذي يهديه في سبيل الله اذ كان عقله قد قصر عن ادراك حقايق الدين ومقاصده ووجوه المصالح الكلية المطلوبة للشارع فلم يكن لعقله بصيرة يهديه في تلك الامور ولا له قائد من امام حق وروي صالح يرشده الى سبيل الله فلا جرم كان مجيبا للهوى اذ دعاه ومنقادا للضلالة وارائه الجائرة المخطئة لوجه المصلحة المطلق به الله تعالى فاتبعها واستلزم ذلك ان يهجر فيقول ما لا ينبغي من القول لاغطا ومجلبا وان يضل عن سبيل الله خابطا في التيه لا يتقي مصارع الهوان في دين الله ولاغطا وخابطا حالان وقوله لانها فالضمير قيل للمذكور لانه ضمير البيعة كقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ويحتمل ان يرجع الى ما علم من حالها في قوله فلعمري ما الامر في ذلك الا واحد اما بيان اهل البصرة وشان اهل الشام وشان طلحة والزبير في بيعتي الا واحد والمعنى انها كما لزمت اولئك فقد لزمتكم ايضا ثم اشار الى الحجة في ذلك بقياس ضمير من الشكل الاول صغراه وهي كونها بيعة واحدة باتفاق المهاجرين والانصار

فى كتاب كتبه الى جرير بن عبد الله

التي نعيم اهل الحل والعقد من الامة مجمعة وتعقد بكبراه وكل سخيره وعقلها فلا يتخير فيها نظر ولا يستانف فيها اختيار وبيان الكبرى ما سبق
من حال الائمة الثلثة قبله ع اذ لم يكن لاحد ان يستثنى في بيعتهم نظرا ولا يستانف خيارا بعد ان عقدها المهاجرون والانصار و
لا احد منهم ثم اشار الى حكم من لم يدخل في بيعته وهم قسمان لان من لم يدخل فيها اما ان يخرج منها او يقف فيها فحكم الخارج عنها ان يكون
طاعنا في صحتها وانعقادها فيجب ان يجاهد ويقاتل حتى يرجع اليها اذ هو سبيل المؤمنين كما سبق وحكم المتوقف فيها والمتروي
في صحتها انه مداهن وهو نوع من النفاق ومستلزم للشك في سبيل المؤمنين ووجوب متابعته وبالله التوفيق **ومن كتاب**
له عليه السلم الى جرير بن عبد الله البجلي لما ارسله الى معوية اما بعد فاذا اتاك كتابي فاحمل معوية على الفصل وخذه بالامر
الجزم ثم خيره بين حرب مجلية او سلم مخزية فان اختار الحرب فانبذ اليه وان اختار السلم فخذ بيعته والسلم
اقول روى ان جريرا اقام عند معوية حين ارسله ع حتى اتهمه الناس وقال ع قد وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده الا مخدوعا او
عاصيا واطال حتى ايس منه فكتب اليه بعد ذلك بهذا الكتاب فلما انتهى اليه اتى معوية فاقرأه اياه وقال يا معوية انه لا يطبع على قلب
الا مذنب ولا يشرح الا صدر تائب ولا اظن قلبك الا مطبوعا اراك قد وقفت بين الحق والباطل كانك تنتظر شيئا في يد غيرك فقال معوية
القاك بالفصل في اول مجلس ان شاء الله ثم اخذ في بيعة اهل الشام فلما انتظم امره لقى جريرا وقال له الحق بصاحبك واعلمه
بالحرب فقدم جرير الى علي ع والبجلي منسوب الى بجيلة قبيلة والمجلية من الاجلاء وهو الاخراج عن الوطن قهرا والمخزية المهينة والمذلة
وروى مجربة بالجيم اي كاينة والحرب والسلم مؤنثان لكونهما في معنى المحاربة والمسالمة والنبذ الالقاء والرمي وحاصل امره لجرير بحمل معوية على
فصل الامر وقطعه وجزم الحال معه بتخييره في احد امرين اما حرب يكون معها اجلاؤه واما سلم يكون فيها ذليلا مهانا مقهورا وفي ذكر
الاجلاء والاهانة على التقدير تخويف وتهديد بعد اشعار بانه في الامر على طرف لا غالب قاهر لعله يتذكر او يخشى ثم امره على تقدير اختيار
الحرب ان يرميه بالاعلام بها وهو يلقى اليه بانها عهدها من قبله ويجهر له بذلك من غير مهادنة ومداراة كقوله تعالى واما تخافن من قوم
خيانة فانبذ اليهم على سواء وعلى تقدير اختياره للسلم باخذ بيعته **ومن كتاب له عليه السلم** الى معوية فاراد قومنا قتل
نبينا واجتياح اصلنا وهموا بنا الهموم وفعلوا بنا الافاعيل ومنعونا العذب واحلسونا الخوف واضطرونا الى جبل
وعر واوقدوا لنا نار الحرب فعزم الله تعالى لنا على الذب عن حوزته والرمي من وراء حرمته مؤمننا يبغي بذلك الاجر وكافرنا
يحامي عن الاصل ومن اسلم من قريش خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه او عشيرة تقوم دونه فهو من القتل بمكان امن وكان
رسول الله صلى الله عليه وآله اذا احمر البأس واحجم الناس قدم اهل بيته فوقى بهم اصحابه حر السيوف والاسنة فقتل
عبيدة بن الحارث يوم بدر وقتل حمزة يوم احد وقتل جعفر يوم موتة واراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي ارادوا من
الشهادة ولكن آجالهم عجلت ومنيته اجلت فيا عجبا للدهر اذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي ومن لم تكن له سابقة
كسابقتي التي لا يدلي احد بمثلها الا ان يدعي مدع ما لا اعرفه ولا اظن الله يعرفه والحمد لله على كل حال واما ما سألت من دفع
قتلة عثمن اليك فاني نظرت في هذا الامر فلم اره يسعني دفعهم اليك ولا الى غيرك ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك
لتعرفنهم عما قليل يطلبونك ولا يكلفونك طلبهم في بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل الا انه طلب يسوءك وجدانه وزور
لا يسرك لقيانه والسلام لاهله **اقول** هذا الفصل من كتاب كتبه الى معوية جوابا لكتابه اليه وصورة كتاب معوية بن
سفيان الى علي بن ابي طالب سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فان الله اصطفى محمدا بعلمه وجعله
الامين على وحيه والرسول الى خلقه واجتبى له من المسلمين اعوانا ايده بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام فكان افضلهم
في الاسلام وانصحهم لله ولرسوله الخليفة من بعده وخليفة الخليفة من بعد خليفته والثالث الخليفة عثمن المظلوم فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت
عرفنا ذلك في نظرك الشزر وقولك الهجر وفي تنفسك الصعداء وابطائك عن الخلفاء وفي كل ذلك تقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى تبايع وانت
كاره ثم لم يكن لاحد منهم اعظم حسدا منك لابن عمك عثمن وكان احقهم ان لا تفعل ذلك به في قرابته وصهره فقطعت رحمه وقبحت محاسنه والبت عليه
الناس وبطنت وظهرت حتى ضربت اليه آباط الابل وقيدت اليه الخيل العتاق وحمل عليه السلاح في حرم رسول الله صلعم فقتل معك في المحلة و
انت تسمع في داره الهائعة لا تردع عن نفسك فيه بقول ولا فعل واقسم قسما صادقا لو قمت فيما كان من امره مقاما واحدا تنهنه الناس عنه ما عدل
بك من قبلنا من الناس احدا ولمحا ذلك عنهم ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمن والبغي عليه واخرى انت بها عند انصار عثمن ظنين ايواؤك
قتلة عثمن فهم عضدك ويدك وانصارك وبطانتك وقد ذكر لي انك تنتصل من دمه فان كنت صادقا فامكنا من قتلة عثمن نقتلهم
به ونحن من اسرع الناس اليك والا فانه ليس لك ولا لاصحابك الا السيف والذي لا اله غيره لنطلبن قتلة عثمن في الجبال والرمال
والبر والبحر حتى يقتلهم الله او لنلحقن ارواحنا بالله والسلم ثم دفع الكتاب الى ابي مسلم الخولاني فقدم به الكوفة فكتب ع جوابه من عبد الله علي
امير المؤمنين ع الى معوية بن ابي سفيان اما بعد فان اخا خولان قدم علي بكتاب منك تذكر فيه محمدا صلعم وما انعم الله عليه من الهدى

والوحي

في كتاب كتبه عليه السلام الى معاوية بن ابي سفيان

والوحي فالحمد لله الذي صدقه الوعد وتمم له النصر ومكن له في البلاد واظهره على اهل العداوة والشنآن من قومه الذين وثبوا به
وشنعوا له واظهروا له التكذيب وبارزوه بالعداوة وظاهروا على اخراجه وعلى اخراج اصحابه والبوا عليه العرب وجامعوهم على حربه
وجهدوا عليه وعلى اصحابه كل الجهد وقلبوا له الامور حتى ظهر امر الله وهم كارهون وكان اشد الناس عليه اسرته والادنى فالادنى
من قومه الا من عصم الله منهم يا ابن هند فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبا ولقد اقدمت فافحشت اذ طفقت تخبرنا عن بلاء الله تبارك
وتعالى في نبيه محمد صم وفينا فكنت في ذلك كجالب التمر الى هجر او كداعي مسدده الى النضال وذكرت ان الله اجتبى له من المسلمين اعوانا ايدهم
به فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام وكان افضلهم في الاسلام كما زعمت وانصحهم لله ولرسوله الخليفة الصديق
وخليفة الخليفة الفاروق ولعمري ان مكانهما في الاسلام لعظيم وان المصاب بهما لجرح في الاسلام شديد يرحمهما الله وجزاهما باحسن
ما عملا عمر انك ذكرت امرا ان تم اعتزلك كله وان نقص لم يلحقك ثلمه وما انت والصديق فالصديق من صدق بحقنا وابطل باطل عدونا
وما انت والفاروق فالفاروق من فرق بيننا وبين اعدائنا وذكرت ان عثمن كان في الفضل ثالثا فان يك عثمن محسنا فسيلقى ربا غفورا
لا يتعاظمه ذنب يغفره ولعمري اني لارجو اذا اعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الاسلام ونصيحتهم لله ولرسوله ان يكون نصيبنا
في ذلك الاوفر ان محمدا صم لما دعا الى الايمان بالله والتوحيد كنا اهل البيت اول من امن به وصدق بما جاء به فلبثنا احوالا
مجرمة وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا ثم يتصل به قوله فاراد قومنا الى قوله نار الحرب ثم يتصل به ان قال وكتبوا علينا
بينهم كتابا لا يواكلونا ولا يشاربونا ولا يناكحونا ولا يبايعونا ولا نأمن فيهم حتى ندفع اليهم النبي صم فيقتلونه ويمثلوا به فلم نكن
نأمن فيهم الا من موسم الى موسم ثم يتصل به قوله فعزم الله الى قوله بمكان امن ثم يتصل به ان قال فكان ذلك ما شاء الله ان يكون
ثم امر الله رسوله صم بالهجرة ثم امره بعد ذلك بقتال المشركين ثم يتصل به قوله فكان صم اذا احمر البأس الى قوله احد ثم يتصل به ان قال
والله ولي الاحسان اليهم والامتنان عليهم بما قد اسلفوا من الصالحات فما سمعت باحد هو انصح لله في طاعة رسوله ولا اطوع لرسول
الله صم في طاعة ربه ولا اصبر على اللأواء والضراء وحين البأس ومواطن المكروه مع النبي صم من هؤلاء النفر الذين سميت لك وفي
المهاجرين خير كثير يعرف جزاهم الله باحسن اعمالهم ثم ما انت والتمييز بين المهاجرين الاولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم
هيهات لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها الا تربع ايها الانسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك
وتتأخر حيث اخرك القدر فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر وانك لذهاب في التيه رواغ عن القصد الا ترى غير
مخبر لك لكن بنعمة الله احدث ثم يتصل به اول الكلام المذكور في كتابه الى معوية وهو من محاسن الكتب الى قوله توكلت ثم يتصل به
قوله من ذلك الكتاب وذكرت انه ليس لي ولا لاصحابي الى اخره ثم يتصل به قوله ولعمري الى اخره وهذا الخبط عجيب من السيد رحمه الله مع وجود
كتبه عم في كثير من التواريخ ولنرجع الى الشرح فنقول الاجتياح الاستئصال والهوم الفصول والحلس كساء رقيق يجعل تحت قتب البعير
الورع الضعيف المرتقي والحوزة الناحية وحوزة الملك بيضته والخلفاء الغد بين القوم والاحجام التأخر عن الامر واحد جبل بالمدينة
ومونة بالضم اسم ارض بادنى البلقاء دون دمشق والادلاء بالشيء التقرب به وينزع عن الامر ينتهي عنه والعمى الضلال والشقاق الخلاف
والزور الزائرون واعلم انه عم اجاب عن كل فصل من كلام معوية بفصل فهذا الفصل يشتمل على ذكر بلائه وبلاء من نعرف به من
بني هاشم وتفضيلهم في الاسلام والكرم في جواب تفضيل معوية لغيره عليه حيث قال في صدر كتابه في ذكر محمد صم واجتبى له
من المسلمين اعوانا ايدهم به الى قوله وثالث الخليفة المظلوم عثمن فصدر هذا الفصل من قوله ولعمري اني لارجو وفيه الى قوله
الاوفر ايماء الى انه افضل الجماعة لان النصيب الاوفر من الثواب اذا كان على قدر الفضيلة كان مستلزما للافضلية وقوله
ان محمدا الى قوله ومنيته الحوت شرح لفضيلته وفضيلة اهل بيته وتقرير لما اشار اليه من دعوى الافضلية وهو يجري مجرى قياس
ضميره من الشكل الاول وتقدير كبراه ان هذه الحال المشروحة من كوننا من امن بالله وصدق بما جاء به وعبده وصبر على الاذى
وجاهد اعداءه مع رسوله صم الصبر المشروح الى الغاية المذكورة وقد سبقت منا الاشارة الى انه اول من عبد الله تعم مع الرسول
هو وخديجة ومن لحق بهم من المسلمين وانهم بقوا على ذلك عدة سنين يتعبدون بشعاب مكة وغيرها سرا وكانت المشركون يبالغون
في اذاهم وقيل ان المشركين بعد ظهور النبي صم بالنبوة لم ينكر عليه قريش حتى سب الهتهم فانكروا عليه وبالغوا في اذاه واغروا
به صبيانهم فرموه بالحجارة حتى ادموا عقبيه وبالغوا في اذى المسلمين فامرهم رسول الله صم بالخروج الى الحبشة فخرج في الهجرة اليها
احد عشر رجلا منهم عثمان بن عفان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وخرجت قريش في طلبهم ففاتوهم
فخرجوا في طلبهم الى النجاشي فلم يمكنهم منهم ولم يزالوا يبالغون في اذى الرسول صم ويعملون الحيلة في هلاكه روى احمد في مسنده
عن ابن عباس قال ان الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى لو قد راينا محمدا
قمنا اليه قيام رجل واحد فلا نفارقه حتى نقتله قال فاقبلت فاطمة حتى دخلت عليه صلى الله عليه وآله فاخبرته بقولهم وقالت له

والفاروق صم

الى م

في كتاب كتبه ع الى معوية

لو قد رأوك لقتلوك ولئن منهم رجل الا وقد عرف نصيبه من دمك فقال يا بني ادريسي وضوا فتوضؤا ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه غضوا ابصارهم ثم قالوا ها هو ذا ثم لم يقم اليه منهم احد فاقبل ص حتى قام على رؤسهم فاخذ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال شاهت الوجوه فما اصاب رجلا منهم شيء منه الا قتل يوم بدر وكافر فذلك معنى قوله فارادوا قومنا اهلاك نبينا واجتياح اصلنا الى قوله نار الحرب وقوله وهمّوا بنا الهموم اي ارادوا بنا الارادات والافاعيل وارادات ايقاع الشر وهمهم والافعال القبيحة واراد بالهموم الاحزان اي همّوا ان يفعلوا بنا ما يوجب الاحزان وقوله ومنعونا العذب اي طيب العيش واستعار لفظ الاحلاس لالزامهم الخوف واشعارهم اياه ملاحظة لمشابهته بالحلس في لزومه لهم وكذلك استعار لفظ النار للحرب ملاحظة لشبهها بالنار في الاذى وافنائها ما يقع فيها ورشح بذكر الايقاد فاما قوله واضطرونا الى جبل وعر وقوله وكتبوا علينا بينهم كتابا فروي انه لما اسلم حمزة وعمر وحمى النجاشي من عنده من المسلمين وحامى ابو طالب عن رسول الله ص وفشا الاسلام في القبائل فاجتهد المشركون في اطفاء نور الله واجتمعت قريش وائتمروا بينهم ان يكتبوا كتابا يتعاهدون فيه على ان لا ينكحوا الى بني هاشم وبني المطلب ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم فكتبوا بذلك صحيفة وتواثقوا عليها وعلقوها في جوف الكعبة توكيدا لذلك الامر على انفسهم فلما فعلوا ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى ابي طالب فدخلوا معه في شعبه وخرج من بني هاشم ابو لهب وظاهر المشركين وقطعوا عنهم الميرة والمادة وحصروهم في ذلك الشعب في اول سنة سبع من النبوة فكانوا لا يخرجون الا من موسم الى موسم حتى بلغهم الجهد وسمع اصوات صبيانهم من وراء الشعب من شدة الجوع فمن قريش من سره ذلك ومنهم من ساءه فاقاموا على ذلك ثلاث سنين حتى اوحى الله الى رسوله ص ان الارضة قد اكلت صحيفتهم ومحت منها ما كان فيه ظلم وجور وبقي منها ما كان ذكر الله فاخبر بذلك عمه ابو طالب فامره ان يأتي قريشا فيعلمها بذلك فجاء اليهم وقال ان ابن اخي اخبرني بكذا وكذا فان كان صادقا فانزعوا عن سوء رأيكم وان كان كاذبا دفعته اليكم فقتلتموه واستحييتموه فقالوا قد انصفتنا فارسلوا الى الصحيفة فوجدوها كما اخبر ص فسقط في ايديهم وعرفوا انهم بالظلم والقطيعة فذلك معنى قوله واضطرونا الى جبل وعر الى آخره وقوله فعزم الله لنا اي اراد لنا الارادة الجازمة منه واختار لنا ان نذب عن حوزة الاسلام ونحمي حرمه ان ينتهك ونكف عن حماها بالرمي من ورائها وقوله مؤمننا الى قوله عن الاصل وكنا باجمعنا نذب عن دين الله ونحمي رسوله فكان من آمن منا يريد بذلك الاجر من الله ومن كان حينئذ على كفره كالعباس وحمزة وابي طالب على قول قوم فانهم كانوا يمنعون عن رسول الله ص مراعاة لاصلهم وقوله ومن اسلم من قريش الى قوله قالوا وفي قوله ومن للحال اي كنا على تلك الحال من الذب عن دين الله حال ما كان من اسلم من قريش عدا بني هاشم وبني عبد المطلب خالين مما نحن فيه من البلاء آمنين من الخوف والقتل فمنهم من كان له حلف وعهد من المشركين يمنعه ومنهم من كان له عشيرة تحفظه وبذلك يظهر فضله ع وفضيلة بني هاشم وبني المطلب وبلاؤهم في حفظ رسول الله ثم لما امر الله بقتال المشركين كان يقدم اهل بيته فيقي بهم اصحابه حر السيوف واسنة الرماح وكنى باحمرار البأس عن شدة الحرب اذ البأس بمعناها مستلزم لظهور حمرة الدماء وان كان استعمال هذا اللفظ لم يتوقف على ملاحظة ذلك لكثرة استعماله في الكناية ومنه موت احمر كناية عن شدة الحرب ايضا وما يستلزم ظهور الدماء ويدراسم بئر سميت بحافرها واما عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب فقتل عتبة بن ربيعة وذلك انه لما التقى المسلمون والمشركون ببدر برز عتبة بن ربيعة واخوه شيبة وابنه الوليد وطلبوا المبارزة فخرج اليهم رهط من الانصار فقالوا ارجعوا اكفاءنا من اهلنا المهاجرين فقال رسول الله ص قم يا حمزة قم يا عبيدة قم يا علي فبارز عبيدة وهو اسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد فقتل علي وحمزة قرنيهما واختلف عبيدة وعتبة بضربتين فكلاهما اثبت صاحبه واجهز حمزة وعلي باسيافهما على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة فجاءا به الى رسول الله ص وقد قطعت رجله ومخها يسيل فقال يا رسول الله الست شهيدا قال بلى فقال ابو عبيدة لو كان ابو طالب حيا لعلم اني احق بما قال فيه حيث يقول ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل واما حمزة بن عبد المطلب فقتله وحشي في وقعة احد بعد وقعة بدر في سنة ثلث من الهجرة وكان سببها انه لما رجع من حضر بدرا من المشركين الى مكة وجدوا العير التي قدم فيها ابو سفيان موقوفة في دار الندوة فمشى اشراف قريش ومشى الى ابي سفيان فقالوا نحن طيبي الانفس بان نجهز بربح هذه العير الى محمد فقال ابو سفيان انا اول من اجاب الى ذلك ومعي بنو عبد مناف فباعوها وكانت الف بعير وكان المال خمسين الف دينار فسلم الى اهل العير رؤس اموالهم وعزلت الارباح وبعثوا الرسل الى العرب يستنفرونهم فاجتمعوا في ثلثة آلاف فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلثة آلاف بعير وما ثم جماعة بباب رسول الله ص ورأى في نومه كانه في درع حصينة وكان سيفه ذو الفقار قد انفصم وكان بقرا تنحر وكانه مردف كبشا فقال اما الدرع فالمدينة وبقر فقتل بعض اصحابي وانفصام سيفه مصيبة في نفسه والكبش كبش الكتيبة نقتله ان شاء الله فكان المصيبة ان رماه عتبة بن ابي وقاص بحجر فكسر رباعيته وهشم انفه وكلم وجهه وقيل الذي فعل ذلك عمرو بن قمية وكان ذلك اليوم صعبا على المسلمين

هموا بـ

لذلك بهم

الى موسم

ودو

في كتاب كتبه الى معاوية

وروي ان هندا قامت في ذلك اليوم في نسوة معها تمثل بقتلى المسلمين وتجدع الآذان والانوف حتى اتخذت منها قلائد وبقرت
عن كبد حمزة ولاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ومنه سمي معوية ابن آكلة الاكباد واما جعفر بن ابي طالب فقتل في وقعة موتة و
كانت هذه الوقعة في جمادى الاولى سنة ثمان من الهجرة وكان من سببها ان رسول الله صلعم بعث الحرث بن عمير الازدي الى ملك
بصرى فلما نزل موتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله صلعم قبل ذلك فشق عليه صلعم ذلك فندب المسلمين
وعسكر في ثلثة الاف وقال الامير عليكم زيد بن حارثة فان قتل فجعفر بن ابي طالب فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون
منهم رجلا وامرهم ان ياتوا مقتل الحرث بن عمير ويدعوا من هناك الى الاسلام فان اجابوا والا قاتلوهم فسمع العدو بهم فجمعوا لهم
وجمع لهم شرحبيل اكثر من مائة الف فمضوا الى موتة فوافاهم المشركون فاخذ اللواء زيد فقاتل حتى قتل ثم اخذه جعفر فقاتل حتى قطعت
يداه وقيل ضربه رجل من الروم فقطعه بنصفين فوجد في احد نصفيه احد وثمانون جرحا وسماه رسول الله صلعم ذا الجناحين يطير بهما
في الجنة لقطع يديه يومئذ وقوله واراد من لو شئت ذكرت اسمه الى قوله اخرت اشارة الى نفسه انه كان لكل منهم موطن فاذا اجالهم
فلا يتبينا اخرون ساعة ولا ينتقصون حبلا اشار الى دليل افضليته واهل بيته اردفه بالتعجب من الدهر حيث انتهى في احداثه وفعله
الى ان صار يجمعه في الذكر والمرتبة من ليس له مثل سابقته في الفضيلة التي لا يتقرب احد الى الله بمثلها وقوله الا ان يدعي مدع
ما لا اعرفه اراد بالمدعي معوية وبما لا يعرفه ما عساه يدعيه من الفضيلة في الدين والسابقة في الاسلام وقوله ولا اظن الله يعرفه نفي ظن معرفة الله
لذلك المدعى تفضيله يعرفها نفي ايضا عن نفسه طريق معرفة الله لها وهو اشارة الى انه لا وجود لتلك الفضيلة وما لا وجود له امتنع ان يعرفه الله
نعم وجوده ولما اشار الى افضليته وعدم الفضيلة لمنازعه حسن ان اردفه بحمد الله فحمده على كل حال والاستثناء هنا منقطع لان الدعوى
ليست من جنس السابقة واما جوابه لسؤاله قتلة عثمان فحاصله يعود الى انه عم فكر في امرهم فرأى انه لا يسعه تسليم المعترفين بذلك
الى معوية ولا الى غيره وذلك من وجوه احدها ان تسليم الحق الى ذي الحق عند المنازعة انما يكون بعد تعيين المدعى عليه و
ثبوت الحق عليه وانما يكون ذلك بعد مرافعة الخصمين الى الحاكم واقامة البينتين بالدعوى او الاعتراف من المدعى عليه و
معلوم ان معوية ومن طلب بدم عثمن لم يفعل شيئا من ذلك ولذلك قال عم لمعوية في موضع اخر واما طلبك الى قتلة عثمن
فادخل فيما دخل الناس فيه ثم حاكمهم الي احملك واياهم على الحق الثاني ان القوم الذين رضوا بقتله او شركوا في ذلك كانوا على حد
من الكثرة وفيهم المهاجرون والانصار كما روي ان ابا هريرة وابا الدرداء اتيا معوية فقالا لاي شيء تقاتل عليا وهو احق
بالامر منك لفضله وسابقته فقال لست اقاتله لاني افضل منه ولكن ليدفع الي قتلة عثمن فخرجا من عنده واتيا عليا
فقالا له ان معوية يزعم ان قتلة عثمن عندك وفي عسكرك فادفعهم اليه فان قاتلك بعدها علمنا انه ظالم لك فقال علي
اني لم احضر قتل عثمن يوم قتل ولكن هل تعرفان من قتله فقالا بلغنا ان محمد بن ابي بكر وعمارا والاشتر وعدي بن حاتم و
عمرو بن الحمق وفلانا وفلانا ممن دخل عليه فقال علي فامضيا اليهم فخذوهم فاتيا الى هؤلاء النفر فقالا لهم انتم من قتلة
عثمن وقد امر امير المؤمنين باخذكم فوقعت الصيحة في العسكر بهذا الخبر فوثب من عسكر علي اكثر من عشرة الاف رجل في
ايديهم السيوف وهم يقولون كلنا قتلة فبهت ابو هريرة وابو الدرداء ثم رجعا الى معوية وهما يقولان لا يتم هذا الامر ابدا
فاخبراه بالخبر واذا كان القاتلون والمعصبون لهم بهذه الكثرة فكيف يمكنه عم تسليمهم وتمكين احد منهم الثالث انه كان في جماعة
الصحابة المشهورين بالجنة من يرى ان عثمن كان يستحق القتل باحداثه كما روى نصر بن مزاحم ان عمارا في بعض ايام صفين قام
في اصحابه فقال امضوا معي عباد الله الى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم انما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الامرون
بالاحسان فقال هؤلاء الذين لا يبالون لو سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين لم قتلتموه فقلنا لاحداثه فقالوا انه ما احدث شيئا و
ذلك لانه كان امكنهم من الدنيا فهم ياكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدمت عليهم الجبال فاذا اعترف مثل هذا الرجل
على جلالته بالمشاركة في قتله وعلل ذلك باحداثه احتمل ان يقال انه عم فكر في هذا الامر فرأى ان هذا الجمع العظيم من المهاجرين
والانصار والتابعين لا يجوز ان يقتلوا رجلا واحدا احدث احداثا انقموها عليه جملة المسلمين وقد استغنت مراتب العلم يرجع
فادى ذلك الى قتله ولم يسعه تسليمهم الى من يطلب بدمه كما يستلزم ذلك من ضعف الدين وهدمه ثم اقسم عم مهددا له
بمن طلب من القوم ان لم يرجع عن ضلاله الى طريق الحق عن طرق الباطل وينزل خلافه ليكونوا هم الطالبين له ويحل يطلبونه
النصب مفعولا ثانيا لتعرف بمعنى تعلم ويأتي الكلام من تمام التهديد ومراده بالزوار المصدر بولده لذلك وضميره في اتيانه
يحتمل ان يرجع الى الزائرين وافرد الضمير نظرا الى افراد اللفظ وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى معوية وكيف
أنت صانع اذا تكشفت عنك جلابيب ما انت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها وخدعت بلذتها دعتك فاجبتها
وقادتك فاتبعتها وامرتك فاطعتها وانه يوشك ان يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن فاقعس عن هذا الامر

مجن

وخذ اهبة الحساب وشمر لما قد نزل بك ولا تمكن الغواة من سمعك والا تفعل اعلمك ما اغفلت من نفسك فانك مترف قد اخذ الشيطان منك ماخذه وبلغ فيك امله وجرى منك مجرى الروح والدم ومتى كنتم يا معوية ساسة الرعية وولاة امر الامة بغير قدم سابق ولا شرف باسق ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء واحذرك ان تكون متماديا في غرة الامنية مختلف العلانية والسريرة وقد دعوت الى الحرب فدع الناس جانبا واخرج الي واعف الفريقين من القتال لتعلم اينا المرين على قلبه والمغطى على بصره فانا ابو حسن قاتل جدك وخالك واخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب القى عدوي ما استبدلت دينا ولا استحدثت نبيا واني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين ودخلتم فيه مكرهين وزعمت انك جئت ثائرا بدم عثمن ولقد علمت حيث وقع دم عثمن فاطلبه من هناك ان كنت طالبا فكاني قد رايتك تضج من الحرب اذا عضتك ضجيج الجمال بالاثقال وكاني بجماعتك تدعوني جزعا من الضرب المتتابع والقضاء الواقع ومصارع بعد مصارع الى كتاب الله عز وجل وهي كافرة جاحدة او مبايعة حائدة **اقول** اول هذا الكتاب من عبد الله علي امير المؤمنين الى معوية بن ابي سفيان سلام على من اتبع الهدى فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فانك قد رايت من الدنيا وتصرفها باهلها فيما مضى منها وخير ما بقي من الدنيا ما اصاب العباد الصادقون فيما مضى منها ومن يقس الدنيا بشان الاخرة يجد بينهما بونا بعيدا واعلم يا معوية انك قد ادعيت امرا لست من اهله لا في القدم ولا في البقية ولا في الولاية ولست تقول فيه بامر بين يعرف لك فيه اثر ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ولا عهد تدعيه من رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يتصل بقوله فكيف انت والفصل والجلباب الملحفة وتبهجت حسنت وتزينت ويوشك بالكسر يقرب ووقفه على ذنبه اي اطلعه عليه والمجن الترس ويروى منجى مجن واقعس اي تاخر والاهبة العدة وهو ما يهيا للامر ويستعد به وشمر ثوبه رفعه والاغفال الاهمال والترك والمترف الذي اطغته النعمة والباسق العالي والتمادي في الامر تطويل المدة فيه والغرة الغفلة والامنية ما يتمنى والرين التغلب والتغطية والمرين على قلبه من غلبت عليه الذنوب وغطت عين بصيرته الملكات الرديئة والشدخ كسر الشيء الاجوف والثائر الطالب بالدم والضجيج الصياح والحائدة العادلة وقد استفهم عن كيفية صنعه عند مفارقة نفسه لبدنه استفهام تنبيه له على غفلته عما ورائه من احوال الاخرة وتذكيرا بها واستعار لفظ الجلابيب للذات الحاصلة في الدنيا بمتاعها وزينتها ووجه الاستعارة كون تلك اللذات ومتعلقاتها احوالا ساترة بينه وبين ادراك ما ورائه من احوال الاخرة مانعة له من ذلك كستر الجلباب لما وراءه ورشح الاستعارة بذكر التكشف ولفظ ما يحمل بينه بقوله من دنيا ثم اشار الى صفاتها وهي تحسنها وزينتها واسند اليها التبهج مجازا اذ الجاعل لها ذات بهجة ليس نفسها بل الله تعالى وفي قوله وخدعت مجاز في الافراد والتركيب اما في الافراد فلان حقيقة الخدعة ان يكون من الانسان لغيره فاستعملها هيهنا في كون الدنيا بسبب ما فيها من اللذات موهمة لكونها مقصودة باللذات وانها كمال حقيقي مع انها ليست كذلك وذلك يشبه الخدعة واما في التركيب فلان كونها موهمة لذلك ليس من فعلها بل من اسباب اخرى تنتهي الى الله سبحانه وكذلك التجوز في قوله دعتك وقادتك وامرتك فان الدعا والقود والامر لها حقايق معلومة لكن لما كانت تصوراتها كمالها اسبابا جاذبة لها اشبهت تلك التصورات الدعا في كونها سببا جاذبا الى الداعي فاطلق عليها لفظ الدعا وكذلك اطلق على تلك التصورات لفظ القود والامر باعتبار كونها اسبابا مستلزمة للاتباع كما ان الامر والقود يوجبان الاتباع واما في التركيب فلان تلك التصورات التي اطلقنا عليها لفظ الدعا والقود والامر مجازا ليس فاعلها وموجبها هو الدنيا بل واهب العلم ولما كانت اجابة الدنيا واتباعها واطاعتها معاصي يخرج الانسان بها عن حدود الله ذكرها في معرض توبيخه وتقريعه وقوله وانه يوشك تذكير بقرب اطلاعه على ما يخاف من اهوال الاخرة والوصول اليه اللازم عن لزوم المعاصي وهو في معرض التحذير له والتنفير عن اصراره على معصية الله بادعائه ما ليس له اي يقرب ان يطلعك مطلع على ما لا بد لك مما تخاف من الموت وما تستلزمه معاصيك من الخوف العذاب وظاهر ان تلك امور غفلت عنها العصاة في الدنيا ما داموا في حجب الابدان فاذا نزعت عنهم تلك الحجب اطلعوا على ما قدموا من خير او شر وما اعد لهم بسبب ذلك من سعادة او شقاوة كما اشار اليه سبحانه بقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية وقد مرت الاشارة الى ذلك غير مرة وذلك المطلع والموقف هو الله سبحانه ويحتمل ان يريد به نفسه ع على سبيل التوعد له والتهديد بالقتل المستلزم لذلك الاطلاع ان دام على غيه وظاهر ان تلك الامور التي تقف عليها لا ينجيه منها منج ثم اردف ذلك التوبيخ والتهديد بالعرض له منها وهو امره بالتاخر عن امر الخلافة ثم اردف ذلك بما يستلزم التخويف والتهديد فامره باخذ الاهبة للحساب والاستعداد له بعدته وهي طاعة الله وتقواه ومجانبة معاصيه وبالتشمير لما قد نزل به وكنى بالتشمير عن الاستعداد وبما نزل به اما الموت او القتل وما بعده تنزيلا لما لا بد من وقوعه وهو في مظنة الوقوع منزلة الواقع ويحتمل ان يريد به الحرب

التي يريد ان يوضعها فيه ثم نهاه عن تمكين الغواة من سمعه وكنى بهم عن اصحابه فيما يشيرون به عليه من الآراء المستلزمة للبقاء
على المعصية اذ من شأن الغاوي الاغواء والغواة كعمرو بن العاص ومروان ومن كان يعتضد بهم في الرأي وقوله والا تفعل اي ان لم
تفعل ما امرتك به اعلمك ما اغفلت من نفسك ومفعول تركت ضميرها وقوله من نفسك بيان لذلك الضمير وتفسير لما اغفله
لنفسه تركها عدادها بما يخلصه من اهوال الحرب وعذاب الآخرة وهو ملازمة طاعة الله واقتناء الفضائل النفسانية وفيهم
من ذلك الاعلام الذي توعده به الاعلام بالفعل فان معناه يفيده بالحرب والقتال فيستلزم اعلامه ما اغفل من نفسه من طاعة الله
المستلزمة للراحة وقوله فانك الى قوله الغرة وصف له بما يستلزم اعلامه بالفعل ما اغفل من نفسه فالترف مستلزم لتجاوز
الحد الذي ينبغي ويتذكر وذلك الحد فضيلة تحت العفة فيكون الشيطان قد اخذ منه ماخذه وبلغ فيه امله وجرى منه مجرى
الروح والدم في القرب ثم يستلزم وصفه بكل الرذائل المستلزمة اضدادها من الفضائل ثم اخذ في استنقاصه عن وقت كونه
امير سائس الرعية وولاة امر الامة استنقاصا على سبيل الانكار لذلك والتقريع بالخمول والقصور عن رتبة الملوك والولاة ذو
القدم الثابت كناية عن التقدم في الامور والاهلية لذلك ونبه بقوله بغير قدم سابق على ان سابقة الشرف والتقدم في الامور
شرط لتلك الاهلية في المتعارف وهو في قوة صغرى ضمير من الشكل الاول تقديرها وانتم بغير قدم سابق وتقدير الكبرى
وكل من كان كذلك فليس باهل لسياسة الرعية وولاة امر الامة ثم نبه انكم لستم لذلك عن هو عين ما سنذكره بعينه وخطاه انهم لم يكن
منهم من اهل الشرف اهل لذلك ثم استعاذ من لزوم ما سبق من الشقاء تنبيها على ان معاوية في معرض ذلك وبصدده لما هو عليه من غفلته
الالهاح والاماني الدنيوية والثاني كونه مخالف العلانية والسريرة وكنى بذلك عن النفاق ووجه التحذير بها يستلزمه من لزوم الشقاء في الآخرة
وقد كان معاوية يدعوه الى الحرب اجابوا بجواب مسكت وهو قوله فدع الناس جانبا وقوله ودع عثمان وانتصب جانبا على الظرف وانما جعل مبارزته
له سببا لعلمه بانه مغطى على قلبه وبصره وبصيرته بحجب الدنيا وجلابيبها حيث انها كانت من لوازم العلم باحوال الآخرة وفضلها على الدنيا الثبات
عند المبارزة في طلبها والتأدي الى القتل حتى ربما تكون محبة القتل من لوازم ذلك العلم ايضا وقد كان ع يعلم من حاله انه لا يثبت له
وهو مستحب للبقاء في الدنيا فلذلك دعاه الى المبارزة ليعلمه بالغداة عليه وفراره منه انه ليس طالبا للحق وطريق الآخرة في قتاله
وان حجب الشهوات الدنيوية قد غطت عين بصيرته عن احوال الآخرة وطلبها فكان فراره منه مستلزما لعدم علمه بالآخرة المستلزم للرين
على قلبه وعلى افتراء الله عليه وفي ذلك تهديد وتحذير وكذلك في عزائمه وانتسابه ونسبة كثيرة بكونه قاتل من قتل من اهله شدخا يوم بدر
في معرض التخويف والتحذير له ان يصيبه ما اصابهم ان اصر على المعصية وحفظة المقتول هو جده لامه عتبة بن ابي ربيعة فانه كان ابا هند
وخاله الوليد بن عتبة واخوه حنظلة بن ابي سفيان فقتلهم جميعا ع يوم بدر وكذلك ذكر تنبيها ان ذلك السيف والقلب معه يلقى بهما عدوه
وكونه لم يستبدل دينا ولا نبيا وانه على المنهاج الذي تركوه طائعين ودخلوه مكرهين وهو طريق الاسلام الواضح كل ذلك
في معرض التخويف والتحذير والتوبيخ بالنفاق ثم اشار الى الشبهة التي كانت سببا لثوران الفتن العظيمة وانشعاب امر الدين وهي
شبهة الطلب بدم عثمان التي كانت عمدته في عصيانه وخلافه واشار الى الجواب عنها بوجهين احدهما انه ع ليس من قتلة عثمان فلا
مطالبة عليه وانما تتوجه المطالبة على قاتليه وهو يعلمهم الثاني المنع بقوله ان كنت طالبا فان ايقاع الشك هنا بان حيث لزم
عدم تسليم كونه طالبا بدم عثمان ثم عقب بتخويفه بالحرب وما يستلزمه من الثقل الى الغاية المذكورة وههنا ثلث تشبيهات احدها
المدلول عليه بقوله فكاني قد رايتك والمشبه به ههنا نفسه ع في حال كلامه هذا والمشبه هو ايضا نفسه لكن من حيث هي رائية
رؤية محققة وتحقيق ذلك ان نفسه لكمالها واطلاعها على الامور التي سيكون كانت مشاهدة لها ووجه التشبيه بينهما انتهاؤها
الى حالتيها جلاء المعلوم وظهوره له في الحالتين الثاني قوله تضج ضجيج الجمال بالاثقال ووجه التشبيه شدة تبرمه وضجره من ثقلها كتبرم
الجمل المثقل بالحمل وضجيجه كناية عن تبرمه واستعار لفظ العض ملاحظة لشبهها بالسبع العقور ووجه المشابهة استلزام ذلك
الانفعال للالم كاستلزام العض له الثالث قوله وكاني بجماعتك والمشبه به هنا ايضا نفسه والمشبه بها ما دل عليه بالالحاق كانه
قال كاني متصل او ملتصق بجماعتك حاضر فيهم ومحل يدعوني النصب على الحال والعامل فيها ما في كان من معنى الفعل اي اشبه
نفسي بالحاضر حال دعائهم له وجزعا مفعول له ويجوز بلفظ القضاء في المقضي من الامور التي تتوجه عن القضاء الالهي اطلاقا
لاسم السبب على المسبب وقوله ومصارع بعد مصارع والمصرع هنا مصدر اي جزعا من مصارع تلحق بعضهم بعد بعض وتحصدهم
بعد مصارع ابائهم السابقة وقد كان الاطلاع على دعائهم له الى كتاب الله قبل وقوعه من اياته الباهرة والواو في قوله وهي
للحال والعامل فيه يدعونني والكافرة الجاحدة للحق من حيث ارادة اشارة الى المنافقين منهم وقد كان فيهم من بايعه ع كالمبايعة
الحائدة الذين بايعوه وعدلوا عن بيعته الى معاوية والسلم **ومن وصية له عليه السلام** وصى بها جيشا بعثه الى
العدو فاذا نزلتم بعدو او نزل بكم فليكن معسكركم في قبل الاشراف او سفاح الجبال او اثناء الانهار كيما

نزل بها
بالقود
اهلاها
في القضاء الالهي
لفعلها

فصل ملتقط من كتاب كتبه الى زياد بن النضر

يكون لكم ردءاً ودونكم مرداً ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد او اثنين واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب لئلا
يأتيكم العدو من مكان مخافة او أمن واعلموا ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم واياكم والتفرق فاذا
نزلتم فانزلوا جميعا واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا واذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة ولا تذوقوا النوم الا غراراً
او مضمضة **أقول** هذا الفصل ملتقط من كتاب كتبه عليه السلام الى زياد بن النضر الحارثي حين سرحه على مقدمته الى الشام من النخيلة
لما اراد الخروج من الكوفة اليها وكان قد بعث معه شريح بن هاني واختلفا فكتب كل منهما اليه يشكو من صاحبه فكتب اليهما اما
بعد فاني قد وليت زياد بن النضر مقدمتي وامرته عليها وشريح على طائفة منها اميران فان جمعكما بأس فزياد على الناس وان افترقتما فكل
واحد منكما امير على الطائفة التي وليته عليها واعلما ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم فاذا انتما خرجتما من بلادكما
ودنوتما من بلاد عدوكما فلا تسأما من توجيه الطلائع ومن نفض الشعاب والشجر والخمر في كل جانب لكي لا يغتركما عدو او يكون لهم
كمين ولا تسيروا الكتائب والقبائل من لدن الصباح الى المساء الا على تعبية فان دهمكم
دهم او غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم في التعبية ثم يتصل بقوله فاذا نزلتم الى قوله أمن ثم يتصل بقوله واياكم والتفرق فاذا
نزلتم فانزلوا جميعا واذا رحلتم فارحلوا جميعا واذا غشيكم الليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والترسة ورماتكم يكونون من وراء ترستكم
ورماحكم وما اقمتم فكذلك فافعلوا كيلا يصاب لكم غفلة ولا يلفى لكم غرة فما من قوم يحفون عسكرهم برماحهم وترستهم
من ليل او نهار الا كانوا كأنهم في حصون واحرسا عسكركما بانفسكما واياكما ان تذوقا نوماً حتى تصبحا الا غراراً او مضمضة ثم ليكن ذلك
شأنكما ودأبكما الى ان تنتهيا الى عدوكما وليكن عندي كل يوم خبركما ورسول من قبلكما فاني ولا شيء الا ما شاء الله حثيث السير
في آثاركما عليكما في حربكما بالتؤدة واياكما والعجلة الا ان تمكنكما فرصة بعد الاعذار والحجة واياكما ان تقاتلا حتى اقدم
عليكما الا ان تبديا او يأتيكما امري ان شاء الله ولنرجع الى الشرح فنقول العين الجاسوس وطليعة الجيش الذي يبعث ليطلع على
العدو ونفض الشعاب استقراؤها والخمر ما واراك من شجر او جبل ونحوهما والكمين الواحد والجمع يستخفون في الحرب حيلة
للايقاع بالعدو والكتيبة الجيش وتعبيته جمعه واعداده والدهم العدد الكثير والمعسكر بفتح الكاف موضع العسكر والاشراف
جمع شرف بفتح الراء وهو المكان العالي وقبلها بضمتين وضمه وسكون الباء ما قابلها منها وسفح الجبل اسفله حيث يسفح فيه الماء واثناء
الانهار جمع ثني وهو منعطفها والردء العون والمقاتلة والرقباء الحفظة على صياصي الجبال وهي اعاليها واطرافها و
الهضاب جمع هضبة وهي الجبل المنبسط على وجه الارض وكفة بالكسر اي مستديرة والغرار النوم القليل والمضمضة حركة النعاس
في العين وهو كناية عن قلة النوم ايضاً والترسة جمع ترس واعلم ان صدر الكتاب ظاهر الا ان فيه نكتة وهي انه كرر لفظ الاعقب
النهي عن تسيير الكتائب وفائدته الحصر اما الاولى فتفيد حصر استيعاب الوقت للسير واما الثانية فتفيد حصره في حال
التعبية وفي هذا الكتاب من تعليم كيفية الحرب قوانين كلية عظيمة النفع يستلزم استعمالها الظفر بالعدو وتفصح عن تمكن بعد معرفة
انه اعلم الناس بالحرب كما حكاه عليه السلام عن قريش فيما مضى وفي هذا الفصل جملة منها احدها ان يختاروا المعسكر عند منازلة العدو قدام
الاماكن العالية وسفاح الجبال واثناء الانهار وكشف عن العلة في ذلك ووجه المصلحة فيه بقوله كيما يكون ردءاً لكم اي تكون هذه الاماكن
حافظة لكم من ورائكم مانعة من العدو ان يأتيكم من تلك الجهة وبذلك كانت معينة الثاني ان يكون مقاتلتهم من وجه واحد فان لم
يكن فمن وجهين حيث يحفظ بعضهم ظهر بعض وسره انه يستلزم البقاء على الجمعية واما المقاتلة من وجوه كثيرة فمستلزمة للتفرق
والضعف الثالث ان يجعلوا لهم حفظة في الاماكن العالية وعلته ذكره وهو ان لا يأتيهم العدو من مكان يخافون فيهم او يأمنون على غرة و
غفلة من الاستعداد له الرابع ان يعلموا ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم فلا يهملوا التأهب عند رؤية المقدمة والطليعة
وان قل عددهم لان رؤيتهم مما تشعر بهجوم العدو وقربه الخامس التحذير من التفرق ومن لوازمه الامر بالاجتماع حال النزول والارتحال
وسره ظاهر السادس ان يجعلوا الرماح مستديرة عليهم وان لا يستغرقوا في النوم كما يفعله الغافل المطمئن وسرهما الحراسة والتحفظ
خوف هجوم العدو وعلى الغرة وحال النوم **ومن وصية له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحي حين انفذه الى الشام في**
ثلاثة الاف مقدمة له اتق الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه ولا تقاتلن الا من قاتلك وسر البردين
وغور بالناس ورفه بالسير ولا تسر اول الليل فان الله تعالى جعله سكناً وقدره مقاماً لا ظعناً فأرح فيه
بدنك وروح ظهرك فاذا وقفت حين ينبطح السحر او حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله تعالى فاذا لقيت العدو
فقف من اصحابك وسطاً ولا تدن من القوم دنو من يريد ان ينشب الحرب ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى
يأتيك امري ولا يحملنكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم **أقول** روي انه عليه السلام بعثه من المدائن في
ثلاثة آلاف وقال له امض على الموصل حتى توافيني بالرقة ثم قال له اتق الله الفصل فخرج حتى اتى الحديثة وهي اذ ذاك منزل
الناس انما بنى الموصل بعد ذلك محمد بن مروان ثم مضوا حتى لقوه عليه السلام بالرقة وبرد بين الغداة والعشي وكذلك الابردان والصرعان

منقطعها

مقاماً

البأس

الهلوة

ج ٣

كتاب كتبه الى امير من امراء جيشه

الغيل او لمن صعو راى نزل في الغابرة وهي القايلة نصف النهار والترفيه الاراحة والسكن ما يسكن فيه واليه والظعن الارتحال والانبطاح
الاتساع والانبساط وانشبت الشيء بالشيء علقته به والشنان البغض والعداوة ولما كان معقل بن قيس متوجها لسفر الى الله ثم
في جهاد اعدائه امره بتقواه الذي هو خير زاد في الطريق اليه ونبه بقوله الذي لابد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه وفائدة الحد بها
حث به الى التقوى والتخويف من لقاء الله الثانية تسهيل الجهاد عليه فانه لما كان مقصده الجهاد طاعة مقربة الى الله ثم اشعره
لوجوب لقائه ليستعد بتلك الطاعة التي هو بصددها لما يضطر اليه من لقائه الثالثة انه امره بتقوى الله خوفه بعد ذكره لقائه ثم
ليكون اسرع الى ما امره به ونهاه عنه من الامور المذكورة في وصيته منها ان لا يقاتل الا من قاتله فان قتال غير المقاتل ظلم ومنها
ان يسير طرفي النهار لبردهما ويغور في وسطه لما يستلزمه القايلة من شدة الحر والمتاعب فيه وان يرفق في السير لئلا يلحق الضعيف
القوي ولا يظهر التعب على الناس لحاجتهم الى فضل القوة واستجمامها وان لا يسير في اول الليل لان الله جعله سكنا ومناما
يستراح فيه من المتاعب ويسكن اليه بعيد النفرة عنها ولم يجعله محل الظعن وامره ان يريح فيه بدنه ثم يروح ظهره اي خيله واطلق
عليه لفظ الظعن مجازا اطلاقا لاسم المظروف على الظرف وان يجعل سيره بعد وقوفه في ليلة حين ينبطح السحر او حين ينفجر الفجر لانها
مظنة طيب السير وان يقف من اصحابه عند لقاء العدو وسطا ليكون نسبة الطرفين في الرجوع اليه والاستمداد سماع اوامره على سوا
ومن النواهي ان لا يدنو من القوم دنو من يريد انشبهم بارادة ايقاع الفتنة ليكون اعذر عند الله والى القوم في دعائهم الى الحق ولا
يتباعد عنهم تباعد من يخشى ويخوف قد رهبته من عدوه لئلا يطمع فيه العدو وضرب لهم هذين النهيين غاية هي ورود امره عليه ما حدهما
وان لا يحمله بغضهم وعداوتهم على قتالهم قبل دعائهم الى الامام الحق والاعذار اليهم بذلك فيكون قتالهم على ذلك الوجه لغير الله بل لمجرد
الهوى والعداوة فيخرج عن كونه طاعة وبالله التوفيق **ومن كتاب له** الى اميرين من امراء جيشه وقد امرت عليكما وعلى من في حيزكما مالك
بن الحرث الاشتر فاسمعا له واطيعا واجعلاه درعا ومجنا فانه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ولا بطؤه عما الاسراع اليه
احزم ولا اسراعه الى ما البطؤ عنه امثل **اقول** الاميران المشار اليهما هما زياد بن النضر وشريح بن هانئ وذلك انه جعلهما على مقدمته
له في اثني عشر الفا فلقيا ابا الاعور السلمي في جند من اهل الشام فكتبا اليه يعلمانه بذلك فارسل الى الاشتر فقال له ان زياد بن
النضر وشريحا ارسلا الي يعلماني انهما لقيا ابا الاعور في جند من اهل الشام بسور الروم فنبأني الرسول انه تركهم متوافقين فالنجا
فاذا اتيتهم فانت عليهم واياك ان تبدأ القوم بقتال الا ان يبدؤوك حتى تلقاهم وتسمع منهم ولا يجرمنك شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم و
الاعذار اليهم مرة بعد مرة واجعل على ميمنتك زيادا وعلى ميسرتك شريحا وقف من اصحابك وسطا ولا تدن منهم دنو من يريد ان ينشب
الحرب ولا تتباعد منهم تباعد من يهاب الناس حتى اقدم عليك فاني حثيث السير اليك ان شاء الله وكتب اليهما اما بعد فاني امرت عليكما
العضل والسقطة الزلة والحزم ضبط الرجل امره واخذه باولى الاراء واقواها الى الصواب والامثل الاقرب الى الخير وقد امرهما بامور
منها ان يسمعا لامرهما فيما يراه اصلح ويطيعا امره في ذلك ليكون به نظام امورهم في لقاء عدوهم المستلزم لظفرهم وان يجعلاه درعا
ومجنا في الحرب والراي فانه ممن لا يخاف ضعفه في حرب ولا زلته في راي ولا بطؤه عما الاسراع واولى بالوقت من الافعال ولا اسراعه فيما
البطؤ عنه اولى بالتدبير واقرب الى الخير بل يضع كل شيء موضعه ولفظ الدرع والمجن مستعاران باعتبار وقايتهم من شر عدوهم كما يقي
الدرع والمجن صاحبهما وبالله التوفيق **ومن وصية له عليه السلام** لعسكره قبل لقاء العدو بصفين لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم
فانكم بحمد الله على حجة وترككم اياهم حتى يبدؤوكم حجة اخرى لكم عليهم فاذا كانت الهزيمة باذن الله فلا تقتلوا مدبرا ولا
تصيبوا معورا ولا تجهزوا على جريح ولا تهيجوا النساء باذى وان شتمن اعراضكم فهن ضعيفات القوى والانفس والعقول
ان كنا لنؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات وان كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر او الهراوة فيعير بها وعقبه
من بعده **اقول** روى انه عليه السلام كان يوصي اصحابه في كل موطن يلقون العدو فيه بهذه الوصية الهزيمة الهرب والمعور الصيد
امكن من نفسه واعور الفارس ظهر فيه موضع خلل للضرب فهو معور والجهز على الجريح قتله واهاج الشيء اثاره والفهر الحجر المستطيل الاملس
والهراوة الخشبة كالدبوس والعقب الولد وولد الولد واعلم انه قد وصى في هذا الفصل بامور احدها ان لا يقاتلوهم الى ان يبدؤوهم بالقتال
واشار الى ذلك لان يكون حجة ثانية عليهم واومى بالحجة الاولى الى قوله تعالى فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء
الى امر الله وظاهر ان هؤلاء بغاة على الامام الحق فوجب قتالهم واما الثانية فهي تركهم حتى يبدؤوا بالحرب وبيان هذه الحجة من
وجهين احدهما انهم اذا بدؤوا بالحرب فقد تحقق دخولهم في حرب الله وحرب رسوله لقوله صلى الله عليه حربك يا علي حربي وتحقق
سعيهم في الارض بالفساد بقتلهم النفس التي حرم الله ابتداء بغير حق وكل من تحقق دخوله في ذلك دخل في عموم قوله تعالى انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله الاية الثاني ان البادي بالحرب معتد ابتداء وكل معتد كذلك يجب الاعتداء عليه لقوله تعالى فمن
اعتدى عليكم الاية فوجب الاعتداء عليهم اذا بدؤوا بالحرب الثاني وصاهم على تقدير وقوع الهزيمة منهم باذن الله ان لا يقتلوا

عليهم فاعتدوا

اليه حرم

من كتاب كتبه الى امراء جيشه

مدبرا اى موليا هاربا ولا تصيبوا معورا وهو الذي مكنهم الفرصة في قتله بعد انكسار العدو وكالمعور من الصيد وقيل اراد بالمعور
المريب وهو الذي وقع فيه الشك انه محارب ام لا اى لا تقتلوا الا من علمتم انه محارب لكم الثالث لا تجهزوا على جريح وهذه الامور الاربعة
المنهى عنها فيهنا هى من احكام الكفار حال الحرب ففرق بين هؤلاء البغاة وبينهم فيها وان اوجب قتالهم وقتلهم ويلحق بذلك من احكامهم
ما نقله نصر بن مزاحم تماما لهذا الفصل بعد قوله ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل واذا وصلتم الى رحال القوم فلا
تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا الا باذن ولا تاخذوا شيئا من اموالهم ثم يتصل بقوله ولا تهيجوا النساء والمراد بذلك ان لا تثيروا شرورهن
باذى وان بلغن الغاية المذكورة من شتم الاعراض وسب الامراء وعلل ولو تيرا الكف عنهم بكونهن ضعيفات القوى اى ضعيفات القلب
عن مقاومات الرجال وحربهم وسلاح الضعيف والعاجز لسانه وبكونهن ضعيفات الانفس اى لا صبر لنفوسهن على البلاء فيجتهدن
في دفعه بما امكن من سب وغيره وبكونهن ضعيفات العقول اى لا قوة لعقولهن ان ترى عدم الفائدة في السب والشتم وانه من رذائل
الاخلاق وانه يستلزم زيادة الشرور واثارة الطباع التي يراد تسكينها وكفها وقوله وان كنا الى اخره منبه على الامر بالكف عنهن لانه
اذا امر بالكف عنهن حال كونهن مشركات ففي حال اظهارهن الاسلام اولى والواو في وانهن للحال وقوله وان كان الرجل الى اخره
منبه على ما في اذاهن من المضرة وهي الشبهة اللازمة لفاعله في حاله في حيوته وبعد وفاته وذلك منفر عما هن في معرض النهى عنه
ونبه بها بالفهر والهراوة كناية عن ضربها بها وان في قوله وان كنا وفي قوله وان كان هي المخففة من الثقيلة وتلزم اللام خبرها فرقا بينها
وبين ان النافية **وكان يقول عليه السلم** اذا لقي العدو محاربا اللهم اليك افضت القلوب ومدت الاعناق وشخصت
الابصار ونقلت الاقدام وانضيت الابدان اللهم قد صرح مكنون الشنان وجاشت مراجل الاضغان اللهم انا نشكو اليك
غيبة نبينا وكثرة عدونا وتشتت اهوائنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين **اقول** روى انه كان
اذا اشتد القتال ذكر اسم الله حين يركب ثم يقول الحمد لله على نعمه علينا وفضله العميم سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون ثم يستقبل القبلة ويرفع يديه ويقول اللهم اليك نقلت الاقدام الفصل الى قوله خير الفاتحين ثم يقول سيروا
على بركة الله ثم يقول الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر يا الله يا احد يا صمد يا رب محمد بسم الله الرحمن الرحيم
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اياك نعبد واياك نستعين اللهم كف عنا ايدي الظالمين فكان هذا شعاره بصفين وافضت
خرجت اليه عن كل شئ ووصلت اليه خالصة سرها وشخوص البصر ارتفاعه نحو الشئ بحيث لا يطرف وانضاء الابدان هزالها
وصرح ظهر وهو فعل لازم والشنان العداوة والبغضاء ومكنونه المستور منه والمراجل القدور وجيشها غليانها والضغن الحقد
وافتح اى احكم والفاتح الحاكم ولما كان مراده عم جهادا داخلا الصلوة لله وعبادة له ومن كمال العبادات ان تشفع بذكر الله وتوجيه السر اليه
اذ كان ذلك هو سر العبادة وفائدتها لاجرم كان دابه في جهاده التضرع والالتفات الى الله بهذا الفصل وامثاله مع ما يستلزمه
من طلب النصر والاعداد له فاشار بافضاء القلوب الى خلاصها في تلك الحال وبمد الاعناق وشخوص الابصار الى ما يستلزمه الخلاص
من الهيئات البدنية وبنقل الاقدام وانضاء الابدان الى كان ذلك السفر وما يستلزمه من المتاعب مما هو لوجهه وغايته الوصول
الى رضاه واشار الى علة قتالهم في معرض الشكاية الى الله تعالى وهي تصريحهم بما كان مستقرا في صدورهم في حيوة الرسول من العداوة
والبغضاء وبجيشان ضغائنهم السابقة بما فعل بهم ببدر واحد وغيرهما من المواطن فلفظ المراجل مستعار ووجه المشابهة غليانها في
قلوبهم عن الاحقاد كغليان المراجل ولفظ الجيش ترشيح ثم لما كانت غيبة النبي صلى وفقده هو السبب الذي يستلزم تصريح الشنان وظهور
الاضغان وكثرة العدو وتفرق الاهواء لاجرم شكى الى الله من تحققها وما يستلزمه من هذه الشرور ثم سأله ان يحكم بينه وبينهم بالحق
اقتباسا من القرآن الكريم لما ان ايقاع الحكم الحق بينهم يستلزم نصرته عليهم وظفره بهم اذ كان هو المحق في جهاده وبالله التوفيق
وكان عليه السلم يقول لاصحابه عند الحرب لا تشتدن عليكم فرة بعدها كرة ولا جولة بعدها حملة واعطوا السيوف
حقوقها ووطئوا للجنوب مصارعها واذمروا انفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطلحفي واميتوا الاصوات فانه اطرد
للفشل والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر فلما وجدوا اعوانا عليه اظهروه **اقول**
الفرة المرة من الفرار والكرة الفعلة من الكر وهو الرجوع على العدو والجولة الدورة والمصارع مواضع الصرع للقتلى وذمرته ذمرا
اى حثثته والدعسي منسوب الى الدعس وهو الاثر والطلحفي الشديد والياء للمبالغة والنسمة الخلق وقوله لا تشتدن عليكم
الى قوله حملة اى اذا رايتم في فراركم مصلحة في خدعة العدو وكالجذب له بذلك حيث يتمكن منه ويقع الفرصة فتكروا عليه حينئذ
فلا تشتدن عليكم الفرة ووجه الشدة هنا ان الفرار بين العرب صعب شديد لما يستلزمه من العار والسبة فاشار الى وجه تسهيله
عليهم بانه اذا كان بعده كرة فلا باس به لما فيه من المصلحة ويحتمل ان يريد انكم اذا اتفق لكم ان فررتم فرة فاتبعتموها بكرة فلا تشتدن
عليكم تلك الفرة فتفشلوا وتنجبوا فان تلك الكرة كالماحية لها وفيه تنبيه على الامر بالكرة على تقدير الفرة وكذلك قوله ولا جولة بعدها حملة

الهراوة

وحمل

ويحتمل ان يريد فلا يشتدن عليكم فرة من عدوكم يعدها كرة منه عليكم فان تلك الكرة لما كانت عقيب الفرة لم تكن الا عن قلوب مدخولة
ونيات غير صحيحة وانما قدم الفرة في هذا الاحتمال لان مقصوده تحقير تلك الكرة بتذكار الفرة وكان ذكرها اهم فلذلك قدمت وكذلك
قوله ولا جولة بعدها حملة ثم امرهم باوامر احدها ان يعطوا السيوف حقوقها وهو كناية عن الامر بفعل ما ينبغي ان يفعل ولفظ الحقوق
مستعار لما تصل اليه السيوف من الافعال التي ينبغي ان تفعل بها الثاني ان يوطئوا الجنوب مصارعها اي يتخذوا مصارع جنوبهم
اوطانا لها وهو كناية عن الامر بالعزم الجازم على القتل في سبيل الله والاقدام على اهوال الحرب اذ كان اتخاذ المصارع اوطانا للجنوب
مستلزما لذلك العزم والاقدام ومعدى وطئوا بالباء الثالث ان يحشوا انفسهم على الطعن الدعسي الذي يظهر اثره والضرب الشديد
اي يحملوها على ذلك ويبعثوها بالدواعي الصادقة التي لله فيها رضى من تذكر ما وعد الله عباده الصالحين الرابع ان يميتوا الاصوات
اي لا يكثروا الصياح فانه من علامات الفشل وعدمه يكون علامة للثبات المنافي للجبن والصياح فاشبه وقد سبقت الاشارة
الى ذلك ثم اقسم بما يعتقده من ان هؤلاء القوم لم يسلموا بقلوبهم حين اظهروا الاسلام في زمن رسول الله ص بالسنتهم ولكنهم
استسلموا خوفا من القتل واسروا الكفر فلما وجدوا عليه اعوانا اظهروه وهو اشارة الى المنافقين من بني امية كعمرو بن العاص
ومروان ومعوية وامثالهم وروي مثل هذا الكلام لعمار بن ياسر رضي الله عنه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام الى معوية**
عن كتاب منه اليه وَاَمَّا طَلَبُكَ اِلَيَّ الشَّامَ فَاِنّي لَمْ اَكُنْ لِاُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ اَمْسِ وَاَمَّا قَوْلُكَ اِنَّ الْحَرْبَ قَدْ اَكَلَتِ
الْعَرَبَ اِلَّا حُشَاشَاتِ اَنْفُسٍ بَقِيَتْ اَلَا وَمَنْ اَكَلَهُ الْحَقُّ فَاِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ اَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَاِلَى النَّارِ وَاَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ
وَالرِّجَالِ فَلَسْتَ بِاَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنّي عَلَى الْيَقِينِ وَلَيْسَ اَهْلُ الشَّامِ بِاَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ اَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ وَاَمَّا
قَوْلُكَ اِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذَلِكَ وَلَكِنْ لَيْسَ اُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَلَا اَبُو سُفْيَانَ كَاَبِي طَالِبٍ وَلَا
الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ وَلَبِئْسَ الْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفًا هَوَى فِي
نَارِ جَهَنَّمَ وَفِي اَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي اَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ وَنَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ وَلَمَّا اَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ اَفْوَاجًا
وَاَسْلَمَتْ لَهُ الْاُمَّةُ طَوْعًا وَكَرْهًا كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ اِمَّا رَغْبَةً وَاِمَّا رَهْبَةً عَلَى حِينِ فَازَ اَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ وَذَهَبَ
الْمُهَاجِرُونَ الْاَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيبًا وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا وَالسَّلَامُ **اقول** روي ان معوية
استشار عمرو بن العاص في ان يكتب الى علي كتابا يسأله فيه الشام فضحك عمرو وقال اين انت يا معوية من خدعة علي قال السنا
بني عبد مناف قال بلى ولكن لهم النبوة دونك وان شئت ان تكتب فاكتب فكتب معوية اليه مع رجل من السكاسك يقال له عبد
الله بن عقبة اما بعد فاني اظنك لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم يجنها بعض على بعض وانا وان كنا قد غلبنا
على عقولنا فقد بقي لنا منها ما يندم بها على ما مضى ونصلح به ما بقي وقد كنت سألتك الشام على ان لا يلزمني لك طاعة ولا
بيعة وابيت ذلك علي فاعطاني الله ما منعت وانا ادعوك اليوم الى ما دعوتك اليه امس فانك لا ترجو من البقاء الا ما ارجو ولا
اخاف من القتل الا ما تخاف وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال واكلت الحرب العرب الا حشاشات نفس بقيت وانا في الحرب
والرجال سواء ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل الا فضل لا يستذل به عزيز ولا يسترق به حر والسلام فلما
قرأ علي ع كتابه تعجب منه ومن كتابه ثم دعا عبد الله بن ابي رافع كاتبه وقال له اكتب اليه اما بعد فقد جاءني كتابك تذكر انك لو
علمت وعلمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعض على بعض فانا واياك في غاية لم نبلغها بعد واما طلبك الى الشام الفصل
الحشاشة بقية الروح والطليق الاسير الذي اطلق من اسره وخلي سبيله والصريح الرجل خالص النسب واللصيق الدعي الملصق بغير ابيه
والمدغل الذي اشتمل باطنه على فساد كنفاق ونحوه وسلف الرجل اباؤه المتقدمون وخلفه من يجيء بعده ونعشنا رفعنا
والفوج الجماعة وقد اجاب ع عن امور تضمنها كتاب معوية احدها انه استعطفه الى التقية واستنزله عن وضع الحرب بقوله لو
انك لو علمت الى قوله ما بقي وفيه اشعار بالجزع من عض الحرب والخوف من دوامها فلما ابرم بقوله وانا واياك في غاية لم نبلغها
بعد ويفهم منه التهديد بابقاء الحرب الى الغاية منها وهي الظفر به وهلاكه وهو مستلزم لتخويفه والتهويل عليه ومنع ما طلب من
التقية ووضع الحرب الثاني انه سأل اقراره على الشام مع نوع من التشجيع الموهم لعدم الانفعال والضراعة وذلك في قوله وقد
كنت سألتك الشام الى قوله امس وقوله فانك لا ترجو الى قوله ما تخاف اشارة الى كونهما سواء في رجاء البقاء والخوف من
القتل ومقصوده بذلك ان يوهم انه لا انفعال له عن ملك الحرب بعد وقوله وانا ادعوك الى ما دعوتك اليه امس اي من طلب اقراره
على الشام وذلك انه ع حين بويع بالخلافة كان معوية سأل منه اقراره على امرة الشام ونقل عن ابن عباس انه قال له ع وله
شهرا واعزله دهرا فانه بعد ان يبايعك لا يقدر على ان يعدل في اعمالك ولابد ان يجور فتعزله بذلك فقال ع كلا وما كنت
متخذ المضلين عضدا وروي ان المغيرة بن شعبة قال له ع ان لك حق الطاعة والنصيحة اقرر معوية على عمله والعمال على اعمالهم

جوابا له
نحن له
هذه له

في ترجيح فضيلة علي على معوية وجوه عديدة

حتى اذا انتك طاعتهم وتبعه الجنود استبد لك وتركت فقال ع حتى انظر فخرج من عنده ثم عاد اليه من الغد فقال اني اشرت عليك امس
برأي وان الرأي ان تعاجلهم بالنزع فيعلم السامع من غيره ويستقبل امرك ثم خرج من عنده فجاءه ابن عباس فاخبره بما اشار اليه المغيرة
من الرأيين فقال اما امس فقد نصحك واما اليوم فقد غشك وقد كان الرأي الدنيا وهي الخالص في حفظ الملك ذلك لكنه ع لما
لم يكن لينا هل في شيء من امر الدين اصلا وان قل وان كان اقرار معوية وامثاله على الاعمال يستلزم العدول في كثير من نصرة ما
عن سبيل الله لا جرم لم يرد اقراره على العمل ومنعه ما سأل ولما كان منعه اولا تماما سأل ثانيا خالصا لله عن مشاركة الهوى والميول
الطبيعية لم يكن سؤاله ثانيا واستعطافه اياه مقربا له الى اجابته خصوصا وقد حدث تلك الحروب الشديدة من العرب ما احدث
وقتل من المهاجرين والانصار وساير العرب من قتل بل اجابه بعين ما اجابه اولا من الرد والمنع في قوله فلم اكن لاعطيك اليوم
ما منعتك امس اذ العلة في المنع قائمة في كل حين وزمان وهي المحافظة على دين الله الثاني ان حفظ الرجال والتبقية على الاحياء
لحفظ الاسلام وتقوية نظامه واجب فلا جرم استعطفه واسند رحمه الى التبقية المنفية عليهم للتنبيه على ذلك بقوله وقد والله
الى قوله بقيت فاجابه ع الا ومن اكله الحق فالى الجنة وهو كبرى قياس حذف صغراه للعلم بها وتقديرها ان هؤلاء الاحيا
الذين قتلناهم انما قتلهم الحق اي كان قتلهم بحق لبغيهم وتغلبهم فهذه الكبرى وكل من قتله الحق فمصيره الى الجنة فينتج ان مصير
من قتل من هؤلاء الى الجنة ثم هذه النتيجة تلتئم على الجواب وهي قوة صغرى قياس ضمير تقدير كبراه وكل من كان من اهل
الجنة فلا يجوز التبقية عليه ولا الاسف لفقده الرابع قوله اما قولك انا سواء في الحرب والرجال سواء على تقدير لا ينفعل
عن هذه الحروب وان اشتدت وان الضعف والاهلاك الذي جرى فعلى العسكرين وفيه نوع تخويف وتهويل فاجابه
بقوله فلست بامضى الى قوله الآخرة ووجه كون الاول جوابا انه يقول انك في طلبك لما انت طالب له على شك من استحقاقه
وانا على يقين في ذلك وكل من كان في شك من امره فليس بامضى في تحريره وفيما هو عليه ممن هو على تقدير في امره ينتج انك لست
امضى في امرك على الشك مني على اليقين في امري ويفهم من ذلك لازمه انه يقول انا امضى في امري واولى بالغلبة لكوني على
بصيرة ويقين وفي ذلك تكذيب المساواة بينهما لكون المتيقن ارجح في فعله من الشاك ووجه كون الثاني جوابا انه يقول ان اهل
الشام يطلبون بقتالهم الدنيا واهل العراق يطلبون بقتالهم الآخرة وليس اهل الشام باحرص على مطلوبهم من الدنيا
من اهل العراق على مطلوبهم من الآخرة ويفهم من ذلك انه يقول بل اهل العراق احرص على الآخرة من اهل الشام على الدنيا
لشرف الآخرة وتيقنهم حصولها وانقطاع الدنيا وشك اهل الشام في حصولها كما قال تعالى فانهم يألمون كما تألمون وترجون من
الله ما لا يرجون وفي ذلك تكذيب المساواة في الحرب والرجال لشرف اهل الآخرة على اهل الدنيا ولكون الاحرص اولى بالغلبة والقهر
الخامس منزلته بقوله ونحن بنو عبد مناف الى آخره على مساواته في الشرف والفضيلة وهو في قوة صغرى قياس ضمير الاول
وتقدير كبراه وكل قوم كانوا من بيت واحد فلا فضل لبعضهم على بعض ولا فخر فاجابه بالفرق بينهما بعد ان سلم له الاشتراك
بينهما في كونهما من بني عبد مناف وذكر الفرق من وجوه خمسة بين فيها بالامور الخارجية اولا من كمالاته وفضايله ورذايل خصمه
مستندا وجامعها الى الاقرب فالاقرب فالاول شرفه من جهة الآباء المنتسبين على عبد مناف وذلك انه سلك بآبائه ابو طالب
عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وسلك بآباء معوية ابو سفيان بن حرب بن امية بن عبد مناف وظاهر ان كل واحد من
الثلثة اشرف ممن هو في درجته من آباء معوية وقد ذكرنا طرفا من فضلهم على غيرهم الثاني شرفه من جهة هجرته مع الرسول ص وخسة
خصمه من جهة كونه طليقا وابن طليق وهذه فضيلة وان كانت خارجية الا انها تستلزم فضيلة نفسانية وهي حسن الاسلام والنية
الصادقة الحقة وكذلك ما ذكر من رذيلة خصمه مستلزمة عرضت له الا ان هذه الفضيلة والرذيلة اقرب من الاعتبارين الاولين لكونهما
حقيقيين بالآباء وهميين بالابناء دون هاتين الثالث وكذلك شرفه من جهة صراحة النسب وخسة خصمه من جهة كونه دعيا وهذان
الاعتباران اقرب مما قبلهما لكونهما اعتبارين لازمين لهما دون الاولين الرابع شرفه من جهة كونه محقا فيما يقوله ويعتقده ورذيلة
خصمه من جهة كونه مبطلا وهذان الاعتباران اقرب لكونهما من الكمالات والرذايل الذاتية دون ما قبلهما الخامس شرفه من جهة
كونه مؤمنا والمؤمن الحق هو المستكمل للكمالات الدينية النفسانية وخسة خصمه من جهة كونه مدغلا اي خبيث الباطن مشتملا
على النفاق والرذايل الموبقة وظاهر ان هذين الاعتبارين اقرب الكمالات والرذايل الى العبد وانما بدأ بذكر الكمالات والرذايل
الخارجية لكونهما مشتملة عند الخصم واظهر له وللخلق من الامور الداخلية ثم لما ذكر الرذايل المتعلقة بخصمه اشار الى كونه في افعاله
ورذايله خلفا لسلف هوى في نار جهنم ثم رتب ذمه على ذلك وقوله ولبئس الخلف الى قوله جهنم في قوة كبرى قياس استغنى
عنه ومعها عن صغراه وتقديرها فانت خلف يتبع سلفا وكل خلف يتبع في افعاله ورذايله سلفا هوى في نار جهنم وكل
من كان كذلك فبئس الخلف السادس ان معوية لما اكد ما يعلقه من المساواة في الفضل في قوله وليس لبعض على بعض فضل واستثنى

من ذلك

من ذلك تفضيل الافضل لكلا بينة لا يعز بزول ولا تستنزف بحر اشارة الى كبرى لهم هي كالجواب لذلك وهو قوله وفي ايدينا بعد فضل
النبوة الى قوله الذليل ومعلوم ان هذا الفضل الذي حصل في هذا البطن من هاشم هو سبب لملكهم الاعزاء وانعاشهم وتقويتهم الاذلاء
واسترقاقهم الاحرار وذلك فضل عري عنه بنو امية وغيرهم فاذن قوله وليس لبعضنا على بعض فضل الا فضلا لا تستذل به عزيز الى آخره
قول باطل ثم اردف هذه الفضيلة بذكر رذيلة لخصمه بالنسبة الى فضيلة شملت كثيرا من العرب وهي دخولهم في الاسلام لا لله بل
اما لرغبة او رهبة على حين فاز اهل السبق بسبقهم الى الله وحصل للمهاجرين والانصار ما حصلوا عليه من الفضائل المسعدة ثم
لما ظهر هذا الفرق من فضائله ورذائل خصمه نهاه عن امرين احدهما ان لا يجعل للشيطان في نفسه نصيبا وهو كناية عن النهي عن اتباعه
للهوى والثاني ان لا يجعل له عليه سبيلا وهو كناية عن النهي عن تمكينه له عنه وفتح باب الوسوسة عليه وهذا النهي يفهم منه انه قد
جعل للشيطان في نفسه نصيبا وله عليه سبيلا وان ذلك النهي في معرض التوبيخ له على ذلك وبالله التوفيق **ومن كتاب له ع**
الى عبد الله بن العباس وهو عامله على البصرة: اعلم ان البصرة مهبط ابليس ومغرس الفتن فحادث اهلها بالاحسان اليهم
واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم وقد بلغني تنمرك لبني تميم وغلظتك عليهم وان بني تميم لم يغب لهم نجم الا طلع لهم
آخر وانهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا اسلام وان لهم بنا رحما ماسة وقرابة خاصة نحن ماجورون على صلتها و
مأزورون على قطيعتها فاربع ابا العباس رحمك الله فيما جرى على يدك ولسانك من خير وشر فانا شريكان في ذلك وكن
عند صالح ظني بك ولا يفيلن رأيي فيك والسلام **اقول** روي ان ابن العباس كان قد اضر ببني تميم حين ولي البصرة
من قبل علي ع للذي عرفهم به من العداوة يوم الجمل لانهم كانوا من شيعة طلحة والزبير وعائشة فحمل عليهم ابن عباس فاقصاهم وتنكر عليهم و
عيرهم بالجمل حتى كان يسميهم شيعة الجمل والانصار عسكر وهو اسم جمل عائشة وحزب الشيطان فاشتد ذلك على نفر من شيعة علي ع من
بني تميم منهم حارثة بن قدامة وغيره فكتب بذلك حارثة الى علي ع يشكو اليه ابن عباس فكتبه الى ابن عباس اما بعد فان خير الناس عند
الله غدا اعلمهم بطاعته فيما عليه وله واقولهم بالحق وان كان مرا الا وانه بالحق قامت السموات والارض فيما بين العباد فلتكن سريرتك
فعلا وليكن حكمك واحدا وطريقتك مستقيمة واعلم ان البصرة مهبط ابليس الفصل والتنمر تنكر الاخلاق وتغيرها والوغم الحقد
والماسة القريبة وماذورون اي يلحقنا الوزر وهو الاثم واربع اي توقف وتثبت ويقال فال الرأي يفيل اي ضعف واخطأ واعلم انه ع
كنى بكون البصرة مهبط ابليس عن كونها مبدأ للآراء الباطلة والاهواء الفاسدة الصادرة عن ابليس المستلزمة لاثارة الفتن وكونها
كانت مهبط ابليس ومستقره محل لذلك واراد مهبطه من الجنة واستعار لفظ المغرس للبصرة باعتبار كونها محلا تنشأ فيه الفتن الكثيرة
كما ان مغرس الشجر من الارض محل النشوء والنماء قال بعضهم وفي قوله مهبط ابليس نوع لطف فان الوهم الذي هو ابليس النفس العاقلة
اذا انفرد بحكمه عن تدبيرها العقلي وخرج عن موافقة العقل العملي فيما يراه ويحكم به فقد هبط من عالم الكمال وموافقة العقل وتلقي
الاوامر العالية التي هي ابواب الجنة الى الجهة السافلة ومشاركة الشهوة والغضب في حكمه باصلحية الآراء الفاسدة ولما احاط القضاء
الالهي بما يجري من اهل البصرة من نكث بيعته واثارة الفتنة وكانوا ممن عزلوا عقولهم عن الآراء المصلحية راسا وهبط ابليس وجنوده بارضهم فاراهم
الآراء الباطلة في صور الحق فلحقوا بهم فكان منهم ما كان ونزل بهم ما نزل من سوء القضاء ودرك الشقاء فكانت بلدتهم لذلك مهبط
ابليس ومغرس الفتن الناشئة عن وسوسته وارائه الفاسدة ثم امره ان يحادثهم بالاحسان اليهم اي يتعهدهم بذلك وان يحل عقدة الخوف عن قلوبهم
واستعار لفظ العقدة لما الزمهم به من الخوف فتنة بالغلظة عليهم وكثرة الاذى لهم ووجه المشابهة كون ذلك الخوف ملازما لهم معقودا بقلوبهم
كالعقدة بالحبل ونحوه ورشح بلفظ الحل وكنى به عن ازالة الخوف عنهم وغرض هذه الاوامر ان لا ينفر قلوبهم منه وتشتد ضغائنهم فيعادوا
الخروج عن طاعته واثارة الفتنة ثم اعلمه بما يريد انكاره عليه مما بلغه من تنمره لهم واردف ذلك بذكر احوال لهم يجب مراقبتهم وحفظ قلوبهم
لاجلها احدها انهم لم يغب لهم سيد الا قام لهم آخر مقامه واستعار له لفظ النجم ووجه المشابهة كون سيد الجماعة وكبيرهم قدوة لهم يهتدون
به ويقتدون بآرائه في الطرق المصلحية ورشح بذكر المغيب والطلوع الثاني انهم لم يسبقوا وحين احدهما انه لم يسبقهم احد الى الثار ب ن د ويحتمله
والاخذ به حيث كانوا في جاهلية او اسلام لشرف نفوسهم وقلة احتمالهم للاذى وذلك ان المهين الحقير في نفسه لا يكاد يغضب ويحقد
مما يفعل من الاذى وان غضب في الحال الا انه لا يدوم ذلك الغضب ولا يصير حقدا الثاني يحتمل ان يريد انهم لم يسبقوا بشيء احقد من عدو
ونزل لعداوتهم ويحقدهم فجعلت الحصانات ان لهم بينهم هاشم قرابة قريبة الى جزء قبل ذلك لقرابة لاشامل عند الياس بن مضر لان هاشم بن عبد الثالث
مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وتميم بن
مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وزاد ترغيبا في مواصلتهم ومداراتهم بكون صلة مستلزمة للاجر في الآخرة وتركها مستلزم للوزر ويقال
مأزورون والاصل موزورون فقلب ليجانس قوله ماجورون وفي الحديث ارجعن مأزورات غير ماجورات ثم اردف ذكر تلك الاحوال
التي يقتضي الرفق بهم بالامر بالتوقف والتثبت فيما يجري على يده ولسانه من فعل وقول هو خير وشر لان التثبت في الامور اولى باصابة وجهه

ومن كتاب له الى بعض عماله

الملة واراد بالشر ما يجريه على رعيته من عقوبة وغلبة او تولية وقوله فانا شريكان في ذلك كالتعليل لحسن امره له بالتثبت في ذلك لانه لما كان
والياس قبله فكل حسنة او سيئة يحدثها في ولايته فله عليه السلام شركة في احداثها اذ هو السبب البعيد لسببها القريب وابو العباس كنية
عبد الله بن العباس والعرب تدعو من تكرمه بالكنى فلذلك قال الكنية حين ناداه لا كرمه ولما كان عليه السلام قد استصلحه للولاية وراه اهلا لها
امره ان يلازم ظنه الصالح فيه ولا يكشف عن ضعف ذلك الراي وعدم مطابقته فيه بسوء صنيعه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام**
الى بعض عماله أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ قَسْوَةً وَغِلْظَةً وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لِأَنْ يُدْنَوْا
لِشِرْكِهِمْ وَلَا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ وَدَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ وَ
امْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ **اقول** الدهقان معرب يحتمل الصرف ان كان نونه اصلية وان لا
فلا ينصرف للوصف والالف والنون الزائدتين والقسوة غلظ القلب وشدته والاقصاء الابعاد والجفاء ضد البر والجلباب الملحفة والمداولة
تقليب كل واحد من القسوة والرافة على الاخر والاخذ بكل منهما مرة من الادالة وهي الادارة والمنقول ان هؤلاء الدهاقين كانوا مجوسا
ولما شكوا اليه غلظة عامله فكر في امورهم فلم يرهم اهلا للادناء الخالص لكونهم مشركين ولا اقصاهم لكونهم معاهدين فان ادناهم واكرامهم
خالصا هضم ونقيصة في الدين واقصاهم بالكلية ينافي معاهدتهم فامرهم بالعدل فيهم ومعاملتهم باللين المشوب ببعض الشدة كل في موضعه
وكذا استعمال القسوة مرة والرافة اخرى والمزج بين التقريب والابعاد لما في طرف اللين والرافة والتقريب من استقرار قلوبهم في اعمالهم و
زراعاتهم التي بها صلاح المعاش ولما في مزجها بالشدة والقسوة والابعاد من كسر عاداتهم ودفع شرورهم واهانتهم المطلوبة في الدين
واستلزم ذلك نهيه عن استعمال الشدة والقسوة والابعاد في حقهم دائما واللين والرافة والادناء خالصا واستعار لفظ الجلباب لما امره
بالاتصاف به وهو تلك الهيئة المتوسطة من اللين المشوب بالشدة بين اللين الخالص والشدة الصرفة ورشح بذكر اللبس وبالله التوفيق
ومن كتاب له عليه السلام الى زياد بن ابيه وهو خليفة عامله عبد الله بن العباس وكرمان وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَماً صَادِقاً لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ
خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ ثَقِيلَ الظَّهْرِ ضَئِيلَ الْأَمْرِ وَالسَّلَامُ **اقول**
زياد هذا هو زياد بن سمية ام ابي بكرة دعي ابي سفيان فقد يعد في اولاده من غير تصريح بنوة وروي ان اول من دعاه ابن ابيه عائشة حين
سئلت لمن يدعى وكان كاتب المغيرة بن شعبة ثم كتب لابي موسى ثم كتب لابن عامر ثم كتب لابن عباس وكان مع علي ع فولاه فارس فكتب
اليه معوية يتهدده فكتب له اليه اتتوعدني وبيني وبينك ابن ابي طالب اما والله لئن وصلت الي لتجدني احمر ضرابا بالسيف ثم ادعاه معوية
اخا له وولاه بعد علي ع البصرة واعمالها وجمع له بعد المغيرة بن شعبة العراقين وكان اول من جمعا له والشدة الحملة والوفر المال والضئيل
الحقير وحاصل الفصل تحذير زياد من خيانة ما يليه من مال المسلمين ووعيده ان وقعت منه بالعقوبة عليها وكنى عنها بالشدة ووصف
شدة تلك الشدة باستلزامها امورا ثلثة منها سلب الكمالات الدنيوية والاخروية احدها نقصان ماله وقلته والثاني نقصان جاهه وكنى
عنه بقوله ضئيل الامر وهما سالبان للكمال الدنيوي الثالث ثقل ظهره بالاوزار والتبعات وهو دال على سلب كماله الاخروي فان قلت كيف
يريد بثقل الظهر بالاوزار وليس ذلك بسبب شدته عم وانما الاوزار من اكتساب نفسه قلت ان مجموع هذه الامور الثلثة وهي سلب ماله و
جاهه مع ثقل ظهره بالاوزار حالة تشتد عليه بها وهي حالة مخوفة مكروه منه خوفه بها ولا شك ان تلك الحالة من فعله وان لم يكن بعض اجزائها
من فعله او نقول الثلثة احوال متعددة والحال لا يلزم ان تكون من فعل ذي الحال ويحتمل ان يكون ثقل الظهر كناية عن التضعيف وعدم
النهوض بما يحتاج اليه ومهما اي بعد ضعيف الحركة في الامور والله اعلم **ومن كتاب له عليه السلام** اليه ايضا فَدَعِ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً
وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ
وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ وَتَطْمَعُ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَإِنَّمَا
الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ وَالسَّلَامُ **اقول** التمرغ التمعك والتقلب فقد امره في هذا الفصل باوامر احدها ترك
الاسراف وهو رذيلة الافراط من فضيلة الاقتصاد المتوسط بينه وبين الاجحاف بالنفس والاضرار بها وهو طرف التفريط من هذه الفضيلة
والامر بترك الاسراف مستلزم للامر بهذه الفضيلة لان الامر بالشيء على حاله امر بتلك الحالة الثاني ان يذكر في اليوم غدا اي يذكر في حاضر
اوقاته مستقبلها من يوم القيمة فان في ذلك زجرا للنفس وانكسارا عن الاسراف في الدنيا والاشتغال بها الثالث ان يمسك من المال
بقدر ضرورته وهو تفسير للاقتصاد في تناول الدنيا وحفظها الرابع ان يقدم الفضل منها ليوم حاجته وهو يوم القيمة وما بعد الموت وفيه
استدراج الى الانفاق المال في سبيل الله فان كل عاقل يعلم ان اتلاف ما لا يحتاج اليه من فضول المال في سبيل الله وتقديمه لما يحتاج اليه
في وقت حاجته من اكبر المصالح المهمة ثم استفهم على سبيل الانكار عن رجائه ان يؤتيه الله ثواب المتواضعين حال ما هو مكتوب في علمه من المتكبرين
ونبهه على ان ثواب كل فضيلة انما ينال باكتسابها والتخلق بها لا بالكون على ضدها فمن لم يتخلق بفضيلة التواضع فلا ينال
ثوابها ولن يحصل التخلق بها الا بعد الانحطاط عن درجات المتكبرين فهو اذن من الواجبات وكذلك استفهمه عن طمعه في ثواب المتصدقين

من كتاب له كتبه قبل موته في باب ابن ملجم

حال افتنائه للمال وشغفه به ومنعه الضعيف والارملة استفهام منكر لذلك لطمع على تلك الحال فان ثواب كل حسنة بقدرها ومن لوازمها وجزاء كل حسنة بحسبها ومن لوازمها وينبه على ذلك بقوله وانما المرء مجزي بما اسلف الى آخره وفي قوله قادم على ما قدم من محاسن الكلام وفيه الاستعارة

ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن العباس رضي الله عنه وكان عبد الله يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلام اما بعد فان المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وليكن اسفك على ما فاتك منها وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا وليكن همك فيما بعد الموت **اقول** الدرك اللحوق والاسى الحزن وحاصل الفصل النهي عن شدة الفرح بما يحصل من المطالب الدنيوية وشدة الاسف على ما يفوت منها وبيان ما ينبغي للانسان ان يسر بحصوله ويأسف لفقده مما لا ينبغي له فاشار الى الاول بقوله فان المرء الى قوله ليدركه وهو خبر في معنى النهي ولفظ ما في الموضعين مهمل يراد به المطالب الدنيوية وبينه بقوله ما لم يكن ليفوته على ان ما يحصل من مطالب الدنيا امر واجب في القضاء الالهي وصوله الى من يحصل له فهو كالحاصل فلا ينبغي ان يشتد فرحه عند حصوله وبقوله ما لم يكن ليدركه على ان ما يفوت منها فهو امر واجب فوته فالاسف عليه مما لا يجدي نفعا بل هو ضرر عاجل ثم خصصه بالخطاب على سبيل الوصية والموعظة وفصل له ما ينبغي ان يسر ويأسف عليه مما لا ينبغي له فاما ما ينبغي ان يسر به فهو ما نال له من آخرته وما ينبغي ان يأسف عليه فهو ما فاته منها واما ما ينبغي ان لا يفرح به مما نال له من دنياه لما عرفت من وجوب فنائها وكون القرب منها مستلزما للبعد عن الآخرة وما ينبغي ان لا يأسف عليه مما لم ينله منها لكون البعد مستلزما للقرب من الآخرة فان قلت كيف قال بما نلت من آخرتك ومعلوم انه لا ينال شيء من الآخرة الا بعد الموت قلت يحتمل وجهين احدهما لا نسلم ان من مطالب الآخرة لا يحصل الا بالموت بعد الموت فان الكمالات النفسانية من العلوم والاخلاق الفاضلة والفرح بها من الكمالات الاخروية وان كان الانسان في الدنيا الثاني يحتمل ان يريد فليكن سرورك بما نلت من اسباب آخرتك فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وكذلك بين له ما ينبغي ان يكون همه متوجها نحوه ومصروفا متعلقا به وهو ما بعد الموت من احوال الآخرة من سعادة دائمة يسعى في تحصيلها او شقاوة لازمة يعمل للخلاص منها وبالله التوفيق **ومن كلام له** قاله قبيل موته لما ضربه ابن ملجم لعنه الله وصيتي لكم ان لا تشركوا بالله شيئا ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين وخلاكم ذم انا بالامس صاحبكم واليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم ان ابق فانا ولي دمي وان افن فالفناء ميعادي وان اعف فالعفو لي قربة وهو لكم حسنة فاعفوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله ما فجأني من الموت وارد كرهته ولا طالع انكرته وما كنت الا كقارب ورد وطالب وجد وما عند الله خير للابرار قال السيد رضي الله عنه وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب الا ان فيه هيهنا زيادة اوجبت تكريره **اقول** هذا الفصل قاله في بعض ايام مرضه قبيل موته وسيأتي شرح حال مقتله ووصيته في فصل اطول من هذا واليق بذكر الحال عنده ان شاء الله تعالى والجنة الامر الثابت والقارب طالب الماء وقيل هو الذي يكون بينه وبين الماء ليلة والامنة الامن وحرزها اعنفها وقد وصى بامرين هما عمودا الاسلام وبهما يقوم احدهما ان لا يشركوا بالله شيئا وهو التوحيد الخالص والشهادة به اول مطلوب بلسان الشريعة كما سبق بيانه والثاني الاهتمام بامر النبي صلى الله عليه وآله والمحافظة على سنته وقد علمت ان من سنته وجوب اتباع كل ما جاء به والمحافظة عليه فاذن المحافظة على كتاب الله من الواجبات المامور بها بالالتزام وظاهر انه ما تمسك بالامرين مستلزم للخلو عن الذم ولفظ العمود مستعار لهما ملاحظة لشبههما بعمودي البيت في كونهما سببين لقيام الاسلام وعليهما مداره كالبيت على عمده وخلاكم ذم كالمثل يقال افعل كذا وخلاك ذم اي فقد اعذرت وسقط عنك الذم ثم نعى نفسه اليهم واشار الى وجه العبرة بحاله مذكرا بتنقلها وتغيرها في الازمان الثلاثة ففي الماضي كان صاحبهم الذي يعرفونه بالقوة والشجاعة وقهر الاعداء وعليه مدار امور الدنيا والدين وفي الحاضر صار عبرة اي محل عبرة فحذف المضاف او معتبرا فاطلق اسم المتعلق مجازا وفي المستقبل مفارقهم ثم اردف ذلك ببيان امره مع قاتله على تقدير بقائه وفنائه ويشبه ان يكون في الكلام تقديم وتاخير والتقدير فانا ولي دمي وان شئتم فلكم القصاص وان شئتم تعفون فان اعف فالعفو لي قربة وان افن فالفناء ميعادي فان شئتم فاقتلوا قاتلي وان شئتم ان تعفوا فالعفو لكم حسنة فاعفوا لكنه ذكر فنيه بقتله وفنائه ثم عقبهما بذكر حكمها متفرقين واقتصر لايجازه معرض الندب الى العفو ترغيبا فيه ثم اقسم انه ما اتاه من بغتة الموت وارد كرهه ولا طالع انكره وصدقه في ذلك ظاهر فانه عليه السلام كان سيد الاولياء بعد سيد الانبياء ومن خواص اولياء الله شدة محبة الله والشوق البالغ الى ما اعد لاوليائه في جنات عدن ومن كان كذلك كيف يكره وارد الموت الذي هو باب وصوله الى محابه واشرف مطالبه التي قطع وقته في السعي لها وهي المطالب الحقة الباقية وكيف ينكره وهو دائم الترصد والاشتغال والذكر له ثم شبه نفسه في هجوم الموت عليه ووصوله بسببه الى ما اعد له من الخيرات الباقية بالقارب الذي ورد الماء ووجه الشبه استقراره لتلك الخيرات ووثوقه بها واستراحته بسببها من آفات الدنيا وشدائد الموت كما يستسهل القارب عند وروده الماء ما كان يجده من شدة العطش وتعب الطريق

عنهما

على التعلق

بها م

في وصية له بما يعمل في امواله

وفيه ايماء الى تشبيه تلك الخيرات بالماء وكذلك شبه نفسه بالطالب الواجد لما طلبه ووجه التشبيه كونه قرّ عينا بما ظفر به من مطالبه الاخروية
كما يطيب نفس الطالب للشيء بوجدانه وظاهر ان الطيب لنفس وبهجتها بما تصيبه من مطالبها مما يتفاوت بتفاوت المطالب في العزة والنفاسة
ولما كانت المطالب الاخروية اهم المطالب واعظمها قدرا واعزها جوهرا وجب ان يكون بهجة نفسه بها وقرة عينه بما اصاب منها اتم كل
بهجة بمطلوب ثم اقتبس الآية في سياق اشعاره بوجدان مطلوبه منبها بها على ان مطلوبه في الدنيا لم يكن الا ما عند الله الذي هو خير
للابرار من كل مطلوب يطلب وبالله التوفيق **ومن وصية له عليه السلام** بما يعمل في امواله كتبها بعد منصرفه من
صفين هذا ما امر به عبد الله علي بن ابي طالب امير المؤمنين في ماله ابتغاء وجه الله ليولجه به الجنة ويعطيه به الامنة
منها وانه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف وينفق منه في المعروف فان حدث بحسن حدث وحسين
حي قام بالامر بعده واصدره مصدره وان لابني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي وانما جعلت القيام بذلك
الى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله وقربة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وتكريما لحرمته وتشريفا لوصلته ويشترط على الذي
يجعله اليه ان يترك المال على اصوله وينفق من ثمره حيث امر به وهدي له وان لا يبيع من نخيل هذه القرى ودية
حتى تشكل ارضها غراسا ومن كان من امائي اللاتي اطوف عليهن لها ولد او هي حامل فتمسك على ولدها وهي من حظه
فان مات ولدها وهي حية فهي عتيقة قد افرج عنها الرق وحررها العتق قال السيد ره قوله وان لا يبيع من نخلها
ودية فان الودية الفسيلة وجمعها ودي وقوله حتى تشكل ارضها غراسا هو من افصح الكلام والمراد به ان الارض يكثر
فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير الصفة التي عرفها بها فيشكل عليه امرها ويحسبها غيرها **اقول** روينا هذه الوصية
بروايات مختلفة بالزيادة والنقصان وقد حذف السيد منها فصولا ولنوردها برواية يغلب على الظن صدقها عن عبد الرحمن بن
الحجاج قال بعث الي بهذه الوصية ابو ابراهيم ع هذا ما اوصى به وقضى في ماله عبد الله علي ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويصرفني
به عن النار يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ان ما كان لي بينبع من مال يعرف لي فيها وما حولها صدقة ورقيقها غير ابي رباح وابي نيزر وجبير عتقاء ليس لاحد
عليهم سبيل فهم موالي يعملون في المال خمس حجج وفيه نفقتهم ورزقهم ورزق اهاليهم ومع ذلك ما كان بوادي القرى كله مال بني فاطمة و
رقيقها صدقة وما كان لي ببرقة واهلها صدقة غير ان رقيقها لهم مثل ما كتبت لاصحابهم وما كان لي باذينة واهلها صدقة والفقير
كما قد علمتم صدقة في سبيل الله وان الذي كتبت من اموالي هذه صدقة واجبة بتلة حيا انا كنت او ميتا ينفق في كل نفقة ابتغي بها
وجه الله في سبيل الله ووجهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب القريب والبعيد وانه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف
وينفقه حيث يريد الله في كل محلل لا حرج عليه فيه وان اراد ان يبيع نصيبا من المال فيقضي به الدين فليفعل ان شاء لا حرج عليه فيه
وان شاء جعله من الملك وان ولد علي اموالهم الى الحسن بن علي وان كانت دار الحسن غير دار الصدقة فبدا له ان يبيعها فليبعها ان شاء
لا حرج عليه فيه فان باع فانه يقسمها ثلاثة اثلاث فيجعل ثلثا في سبيل الله ويجعل ثلثا في بني هاشم وبني المطلب ويجعل الثلث في آل
ابي طالب وانه يضعه فيهم حيث يريه الله ثم يتصل بقوله وان حدث بحسن حدث وحسين حي فانه الى حسين بن علي وان حسينا يفعل فيه مثل
الذي امرت به حسنا له مثل الذي كتبت للحسن وعليه مثل الذي على الحسن ثم يتصل بقوله وان الذي لبني فاطمة الى قوله وتشريفا
لوصلته ثم يقول وان حدث بحسن وحسين حدث فان الآخر منهما ان ينظر في بني علي فان وجد فيهم من يرضى بهديه واسلامه و
امانته فانه يجعله اليه ان شاء وان لم ير فيهم بعض الذي يريد فانه يجعله في بني ابي فاطمة ويجعله الى من يرضى بهديه واسلامه
وامانته فانه منهم وانه شرط على الذي يجعله اليه ان يترك المال على اصوله وينفق من ثمره حيث امره الله من سبيل الله ووجوهه وذوي
الرحم من بني هاشم وبني المطلب والقريب والبعيد وانه لا يبيع من اولاد نخل هذه القرى الى آخره ثم يقول ليس لاحد عليها سبيل هذا
ما قضى علي في امواله هذه يوم قدم مسكن ابتغاء وجه الله والدار الآخرة لا يباع منه شيء ولا يوهب ولا يورث والله المستعان على كل حال
ولا يحل لامرئ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ان يغير شيئا مما اوصيت به في مالي ولا يخالف فيه امري من قريب ولا بعيد وشهد
هذا ابو سمر بن ابرهة وصعصعة بن صوحان وسعيد بن قيس وهياج بن ابي الهياج وكتب علي بن ابي طالب بيده لعشر خلون من جمادى الاولى سنة
سبع وثلثين يولجني يدخلني والامنة الامن وهو ما جعلها لها واكثر هذه الوصية واضح عن الشرح غير ان فيها نكتا الاولى جواز الوصية والوقف
على هذا الوجه وتعليم الناس كيفيته الثانية قوله يأكل منه بالمعروف اي على وجه الاقتصاد الذي يخلو من غير اسراف وتبذير ولا
بخل وتقتير وينفق منه في المعروف اي في وجوه البر المتعارفة غير المنكرة في الدين الثالثة قوله فان حدث بحسن حدث كناية عن الموت
والامر يحتمل ان يريد به امره بما امر به وهو ما امره به من تنفيذه واجرائه في موارده ويحتمل ان يريد به جملة الامور التي امر بالتصرف فيها وبها
الرابعة الضمير في قوله بعده للحسن وفي اصدره للامر الذي يقوم به فاما الضمير الذي في مصدره فيحتمل وجهين احدهما عوده
الى الحسن وتقديره واصدر الحسين الامر كما اصدره الحسن له وقضى في المال كقضائه والمصدر بمعنى الاصدار كقوله والله انبتكم من الارض

نباتا الى

ج ٢

من وصيّة وصّى بها فى باب الصدقات

بنانا اى بنانا ويحتمل ان يكون المصدر محل الاصدار اى واصدره فى محل اصداره الكتابى ويحتمل ان يعود الى الامر الذى وصى به ويكون المعنى
ووضع كل شئ موضعه الخامسة قوله ان يترك المال على اصوله كناية عن عدم اخراجه ببيع او هبة او بوجه من وجوه التمليكات السادسة
قوله وان لا يبيع من اولاد نخل هذه القرى ودية حتى تشكل ارضها غراسا والحكمة فى ذلك وجهان احدهما ان الارض قبل ان تشكل
غراسا ربما يموت فيها ما يحتاج الى الخلاف فينبغى ان لا يباع من فسيلها شئ حتى تكمل غراسا وتثبت بحيث لا يحتاج الى شئ الثانى ان النخلة قبل ان
تشكل ارضها تكون بعد غير مستحكمة الجذع ولا مشتدة فلو قلع فسيلها من تحتها ضعفت حملها حتى لا تكاد تنجب فاما اذا قويت واشتدت
لم يكن عليها بقلع فسيلها كثير مضرة وذلك حين تشكل ارضها وتكامل غراسها وتلتبس على الناظر حسب ما فسره السيد ره السابعة كتبه
ما لطواف على امائه عن نكاحهن وكن يومئذ سبع عشرة امهات امهات الاولاد احياء معهن اولادهن ومنهن حبالى ومنهن من لا ولد لها
فقضى فيهن ان حدث به حادث الموت ان من كانت منهن ليس لها ولد ولا حبلى فهى عتيق لوجه الله لا سبيل لاحد عليها ومن كانت منهن
لها ولد او هى حبلى فتمسك على ولدها وهى من حظه اى تلزمه وتحسب ثمنها من حصته وتنعتق عليه فان مات ولدها وهى حية فهى عتيق
لا سبيل لاحد عليها وقضاؤه ع بكون ام الولد الحى تحسب من حظ ولدها وتعتق من ماله اما بعد موته بناء على مذهبه فى بقاء
ام الولد على الرق بعد موت سيدها المستولد ويصح بيعها وهو مذهب الامامية وقول قديم للشافعى وفى الجديد انها تعتق بموت
سيدها المستولد ولا يجوز بيعها وعليه اتفاق فقهاء الجمهور حتى لو بيعت وقضى قاض بصحة بيعها فالمختار من مذهب الشافعى انه
ينقض قضاؤه وبالله التوفيق **ومن وصية له ع** كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكرنا منها جملا ليعلم
بها انه عليه السلم كان يقيم عماد الحق ويشرع امثلة العدل فى صغير الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها انطلق على تقوى
الله وحده لا شريك له ولا تروعن مسلما ولا تجتازن عليه كارها ولا تاخذن منه اكثر من حق الله تعالى فى ماله فاذا قدمت
على الحى فانزل بمائهم من غير ان تخالط ابياتهم ثم امض اليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ولا تخدج بالتحية
لهم ثم تقول عباد الله ارسلنى اليكم ولى الله وخليفته لاخذ منكم حق الله فى اموالكم فهل لله فى اموالكم من حق فتؤدوه
الى وليه فان قال قائل لا فلا تراجعه وان انعم لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه او توعده او تعسفه او ترهقه
فخذ ما اعطاك من ذهب او فضة فان كانت له ماشية او ابل فلا تدخلها الا باذنه فان اكثرها له فاذا اتيتها فلا تدخل عليها دخول
متسلط عليه ولا عنيف به ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعنها ولا تسوءن صاحبها فيها واصدع المال صدعين ثم خيره فاذا اختار فلا
تعرضن لما اختاره ثم اصدع الباقى صدعين ثم خيره فاذا اختار فلا تعرضن لما اختار فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء
لحق الله فى ماله فاقبض حق الله منه فان استقالك فاقله ثم اخلطهما ثم اصنع مثل الذى صنعت اولا حتى تاخذ حق الله فى ماله
ولا تاخذن عودا ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار ولا تامنن عليها الا من تثق بدينه رافقا بمال المسلمين
حتى يوصله الى وليهم فيقسمه بينهم ولا توكل بها الا ناصحا شفيقا وامينا حفيظا غير معنف ولا مجحف ولا ملغب ولا متعب
ثم احدر الينا ما اجتمع عندك نصيره حيث امر الله فاذا اخذها امينك فاوعز اليه الا يحول بين ناقة وبين فصيلها ولا يمصر لبنها
فيضر ذلك بولدها ولا يجهدنها ركوبا وليعدل بين صواحباتها فى ذلك وبينها وليرفه على اللاغب وليستان بالنقب
والظالع وليوردها ما تمر به من الغدر ولا يعدل بها عن نبت الارض الى جواد الطرق وليروحها فى الساعات وليمهلها عند النطاف
والاعشاب حتى تاتينا باذن الله عز وجل بدنا منقيات غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب الله سبحانه وسنة
نبيه محمد صلى الله عليه واله فان ذلك اعظم لاجرك واقرب لرشدك ان شاء الله عز وجل **اقول** روعه افزعه ولا تخدج
بالتحية اى لا تنقصها وروى تحدج بالتحية من احدجت السحابة اذا قل قطرها وانعم له اى قال نعم والعسف الاخذ بشدة وعلى غير
وجه والارهاق تكليف العسر والماشية الغنم والبقر والعنيف الذى لا رفق له وصدعت المال صدعين قسمته بقسمين والعود
المسن من الابل وهو الذى جاوز فى السن البازل والهرمة العالية السن والمكسورة التى انكسرت احدى قوائمها والمهلوسة التى بها الهلاس
وهو السل والعوار بالفتح العيب وقد يضم والمجحف الذى يسوق المال سوقا عنيفا يذهب بلحمه والملغب المتعب واللغوب الاعياء واوعز
اليه بكذا اى امره به وحال بين الشيئين حجز والمصر حلب كل ما فى الضرع من اللبن والتمصر حلب بقايا اللبن فيه والترفيه الاراحة
والاستيان الرفق والنقب البعير الذى يرق خفافه والغدر جمع غدير الماء والنطاف المياه القليلة والاعشاب جمع عشب وهو
النبات والبدن السمان الواحد بادن والمنقيات التى صارت من سمنها ذات نقى وهو مخ العظام وشحم العين والنقى كل عظم ذى مخ
وهذه الوصية مشتملة على تعليم عامله جباية الصدقات قوانين العدل فى اخذها من اهلها ومداراتهم وامره له على الشفقة
عليهم والرفق بهم واعلم ان الترفق بالرعية وان كان من اهم المطالب للشارع ع لاستلزامه تالف قلوبهم واجتماعها عليه وعلى ما
جاء به من الحق الا انه ههنا اهم والحاجة اليه اشد وذلك ان الغرض هنا اخذ بعض ما هو اعز المطالب عند الناس من ايديهم وهو

لمن م

منه صح

بينهم

بين صح

ما تمر به صح

من عهد له الى بعض عماله في امر الصدقات

المال ومشاركتهم فيه فظلوا بهم فهذا اقرب الى النفار مما يدعون اليه من سائر التكاليف وهم الى المداراة والرفق اشد حاجة فلذلك اكّد
وصيته العامل بالرفق بهم والمساهلة معهم حفظاً لقلوبهم وفي الوصية مواضع الاول امره بالانطلاق معتمداً على تقوى الله غير شريك
في تقواه غيره ولا موجّه نيته في انطلاقه الى سواه لان حركته هذه حركة دينية من جملة العبادات فيجب توجيهها اليه بالاخلاص الثاني
لا يفزع مسلماً كما هو عادة الولاة الظالمين وان لا يختار عليه كارهاً اي لا يختار شيئاً من ابله او ماشيته وهو كاره لاختياره وروي
ولا يجتازن بالجيم اي لا يمرّن على ارض انسان ومواشيه وهو كاره لمروره عليها وابيها وانتصب كارهاً على الحال من الضمير المجرور في
الثالث امره اذا نزل بقبيلة ان ينزل بمائهم لان من عادة العرب ان تكون مياههم بارزة عن بيوتهم وان لا يخالط بيوتهم لما
في ذلك من المشقة عليهم والتكلف له الرابع قوله ثم امض عليهم الى قوله ولا تسوءن صاحبها فيها تأديب له بما ينبغي ان يفعله
في حقهم مما يستلزم المصلحة وتعليم الاسباب الشفقة عليهم من الافعال كالسكينة والوقار والقيام فيهم ومن الاقوال كالسلام
واداء الرسالة واحوال الاقوال كاتمام التحية والرفق في القول ومن التروك كان لا يخيف المسلم ولا يتوعده ولا يعسفه ولا يرهقه
عسراً ولا يدخل ابله وماشيته من غير اذنه ولا يدخلها دخول متسلط ولا جبار ولا عنيف وان لا ينفر بهيمة ولا يفزعها ولا يسوء
صاحبها فيها بضرب ونحوه لما في ذلك كله من اذى صاحبها وتنفير قلبه المضاد لمطلوب الشارع الخامس ثم علل نهيه عن دخولها
بغير اذن صاحبها بان اكثرها له والكلام في قوة صغرى قياس ضمير من الشكل الاول يستلزم حسن هذا النهي وتقدير كبراه وكل
من كان اكثر المال له فهو اولى بالتصرف والحكم والمال فيلزم ان لا يقع تصرف غيره فيه ودخوله الا باذنه السادس قوله واصدع
المال الى قوله في ماله تعليم الكيفية استخراج الصدقة من الابل والماشية وهو ان يفرق الابل والماشية عند اختلاط الكل
فرقتين ثم يخيره فاي اختار رقمها فلا يتعرض فيه وليس له ان يتبع نفسه فيه نظراً آخر وكذلك يقسم الصدع الباقي صدعين ولا يزال
يفعل كذلك حتى ينتهي احد الصدعين الى مقدار الواجب من حق الله تعالى في ذلك المال ويوقفه فيقبل فيأخذ منه مقدار الواجب
او دونه بيسير فيتممه ويجعل لرب المال الخيار احد الصدعين والاقالة لذلك استقالة من حد تلك القسمة تسكيناً لقلبه وجبراً من نقص
ماله السابع نهاه ان يأخذ في مال الله ما كان باحد الصفات المذكورة كالعود والهرمة والمكسورة والمسلولة والمعيبة بكبار ذات عوار
مراعاة لحق الله تعالى وجبر الحال مصارفه وهم الاصناف الثمانية الذين عدهم الله تعالى في كتابه الكريم من الفقراء والمساكين وغيرهم
قال قطب الدين الراوندي ره الظاهر من كلامه عليه السلام انه كان يأمر باخراج كل واحد من هذه الاصناف المعيبة من المال قبل ان يصدع بعد
الثامن نهاه ان يأمن عليها ويوكل بحفظها وسوقها الا من يثق بدينه وامانته وايقافه من نفسه يحفظه حتى يسلمه الى وليهم
يعني نفسه عليه السلام ويكون ناصحاً اي يشهد رسوله شفيقاً اي على ما يقوم عليه واميناً حفيظاً عليه غير ضعيف ولا مجحف ولا متعب له وذلك
من الامور اللازمة في حفظ الواجب في حق الله تعالى التاسع امره ان يحمل اليه ما يجتمع معه ولا يؤخره لامرين احدهما الحاجة الى صرفه في
مصارفه الثاني الخوف من تلفه باحد اسباب التلف قبل الانتفاع به العاشر نبهه على الوصية بحال البهائم وهو ان يأمر امينه
عند تسليم المال ان لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا يحلب جميع لبنها لان الامرين يضران بالولد ولا يجهدها ركوباً ويخصصها به
دون صواحبها لان ذلك مما يضر بها وليعدل بينها في ذلك مما يقل معه ضرر الركوب فهو ايضاً من الشفقة الطبيعية وكذلك الترفيه
على اللاغب والتأني بالناقب والظالع وكذلك ان يوردها ما يمر به من الماء والكلاء وان يروحها في ساعات الرواح للغاية التي
ذكرها وهو ان يأتي بحال السمن والراحة وانما قال لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه وان كان ذلك معلوماً من حاله لانه لما
بالغ في الوصية بحالها فربما سبق الى بعض الاوهام الفاسدة ان ذلك لغرض يختص به يخالف الكتاب والسنة ثم رغب في ذلك بكونه
اعظم للاجر عند الله واقرب لهداه ورشده لطريق الله وهو ظاهر اما انه اعظم للاجر فلكونه اكثر مشقة واكثرية الثواب تابعة لاكثرية
المشقة واما انه اقرب لرشده فلسلوكه في ذلك على اثره عليه السلام واقتدائه بهداه الذي لم يكن عنه جائراً وبالله التوفيق **ومن عهد له عليه السلام**
الى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة امره بتقوى الله تعالى في سرائر امره وخفيات عمله حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه
وامره ان لا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف الى غيره فيما اسر ومن لم يختلف سره وعلانيته وفعله ومقالته فقد
ادى الامانة واخلص العبادة وامره ان لا يجبههم ولا يعضههم ولا يرغب عنهم تفضلاً بالامارة عليهم فانهم الاخوان
في الدين والاعوان على استخراج الحقوق وان لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً وحقاً معلوماً وشركاء اهل مسكنة
وضعفاء ذوي فاقة وانا موفوك حقك فوفهم حقوقهم والا فانك من اكثر الناس يوم القيامة خصوماً وبؤسى لمن خصمه
عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل ومن استهان بالامانة ورتع في الخيانة ولم
ينزه نفسه ودينه عنها فقد اذل نفسه في الدنيا وهو في الآخرة اذل واخزى وان اعظم الخيانة خيانة الامة وافظع
الغش غش الائمة والسلام **اقول** يقال جبهته بالمكروه اذا استقبلته به وعضهته عضهاً رميته بالبهتان والكذب ولفظة البؤس

الخزي

الشدة

عهد له الى بعض عماله في باب الصدقات

الشدة والقطع الشدة وقد امره باوامر بعضها يتعلق باداء حق الله تعالى وبعضها يتعلق باحوال الرعية والشفقة عليهم لغاية نظام حالهم
وتدبير امورهم فالذي يتعلق بحق الله تعالى امران احدهما ان يتقيه فيما يسره من اموره ويخفى من اعماله وهي التقوى الحقة المنتفع بها وقوله حيث اشارة
الى موضع اسرار العمل واخفاء الامور والثاني بقوله لا شهيد غيره ولا وكيل دونه في معرض الوعد له والتخويف باطلاعه تعالى على سرائر العباد وخفيات
اعمالهم وتوليه لها دون غيره وتنبيه بكونه هو الشهيد دون غيره على عظمته مع الرد لما عسى ان يحكم به الوهم مطلقا من ان السرائر والامور الخفية
لا يطلع عليها غير من هي له الثاني ان يوافق في طاعته لله تعالى بين ما اظهره وما ابطنه ويخلص اعماله الظاهرة من الريا والسمعة وذلك قوله
وامره ان لا يعمل الى قوله فيما اسر وما في قوله فيما بمعنى الذي ويحتمل ان تكون مصدرية وفيما ظهر اي للناس من طاعة الله وقوله ومن لم
يختلف الى قوله العبادة ترغيب له فيما امره به من عدم اختلاف السريرة والعلانية والفعل والقول بكون ذلك مستلزما الاخلاص عبادة الله
ولاداء امانته التي كلفها عباده على السنة رسله وائمة دينه وظاهر كون ذلك مستلزما لثواب الله والامن من سخطه واما ما يتعلق باحوال
الرعية والشفقة عليهم فمنه ما يتعلق بحال ارباب الاموال التي تستحق عليهم الصدقة ومنه ما يتعلق بارباب الصدقة المستحقين لها اما
الاول فان لا يلقاهم بمكروه ولا يرميهم ببهتان وكذب وان لا ينقبض عنهم ويترفع عليهم تفضيلا لنفسه بالامارة وانتصب تفضيلا على
المفعول له وقوله فانهم الاخوان الى قوله الحقوق اشارة الى احتجاج بقياس ضمير من الشكل الاول يستلزم حسن الانتهاء عما امر بالانتهاء
عنه ووجوبه والمذكور في قوة صغرى وتقدير الكبرى وكل من كان اخا في الدين وعونا على استخراج الحقوق فيجب ان لا يفعل معه
شيء مما امرت بالانتهاء عنه واما انهم الاعوان على استخراج الحقوق فلان الحقوق المطلوبة منهم انما تحصل بواسطتهم وحصولها منهم
انما تتم بالشفقة عليهم وان لا يفعل معهم شيء مما نهى عنه فان كل تلك الامور مما ينفر طباعهم ويشتت نظام شملهم ومنه يكون قلة
مال الصدقة فرط المستحقة عليهم ويحتمل ان يدخل في هؤلاء الجند ايضا واما ما يتعلق بالمستحقين للصدقة فان يوفيهم حقوقهم منها
واشار الى الحجة على وجوب ذلك عليه بقوله وان لك الى قوله وانا موفوك حقك وهو في قوة صغرى ضمير من الشكل الاول و
تقدير كبراه وكل من كان له نصيب مفروض وحق معلوم في شيء وله شركاء فيه بصفة الفقر والمسكنة وهو مستوف لحقه منه فواجب عليه
ان يوفي شركاءه حقوقهم اما الصغرى فظاهرة واما الكبرى فاشار الى بيانها بقياس اخر من الشكل الاول مركب من متصلتين فاشار
الى الصغرى بقوله والا الى قوله يوم القيمة ونبه على الكبرى بقوله وبؤسا الى قوله وابن السبيل وهي في قوتها اذ الاصناف المذكورون
من مستحقي الصدقة هم الخصوم وهم اكثر الناس وكان الاوسط محذوفا وصار تقدير القياس وان لا توفهم حقهم فانك ممن خصومه اكثر
الناس اي الفقراء والمساكين وساير الاصناف يوم القيمة وكل من كان خصومه اكثر الناس وهم الاصناف المذكورة عند الله وهو يوم القيمة فبؤسا له
عند الله يوم القيمة وينتج متصلة مركبة من مقدم الصغرى وتالي الكبرى وهي ان لا توفهم حقوقهم فبؤسا لك وهو في معرض التهديد والتنفير عن
ظلمهم والاستبداد عليهم بشيء من الصدقة وشركاء عطف على قوله حقا معلوما واهل المسكنة صفة له وبؤسا نصب على المصدر واما الاصناف
المستحقين للصدقات فهم الثمانية المعدودة في القرآن الكريم بقوله انما الصدقات للفقراء الى قوله وابن السبيل فاما الفقير فقال ابن عباس
وجماعة من المفسرين انه المتعفف الذي لا يسأل والمسكين هو الذي يسأل وعن الاصمعي ان الفقير هو الذي له ما يأكل والمسكين هو
الذي لا شيء له واما العاملون عليها فهم السعاة في جباية الصدقات ويعطيهم الامام منها بقدر اجور امثالهم واما المؤلفة قلوبهم
فكانوا قوما من اشراف العرب يتألفهم رسول الله صلى الله عليه وآله في مبدأ الاسلام ويعطيهم سهما من الزكوة ليدفعوا عنه قومهم
ويعينوه على العدو كالعباس بن مرداس وعيينة بن الحصين وغيرهما ثم استغنى المسلمون عن ذلك عند قوتهم واما في الرقاب اي في فداء
الرقاب فقال ابن عباس يريد المكاتبين وكانوا يعطون سهما ليعتقوا به واما الغارمون فهم الذين لزمتهم الديون في غير معصية و
لا اسراف واما في سبيل الله فهم الغزاة ولم يعطون واما ابن السبيل فهو المنقطع به في السفر ويعطى من الصدقة وان كان غنيا في بلده وقد
ذكره ههنا في معرض ايجاب الشفقة والرحمة لخمسة وهم الفقراء والمساكين ويدخل فيه السائلون وفيهم المدفوعون ويشبه ان يريد
بهم العاملين عليها وسماهم مدفوعين باعتبار انهم انهم يدفعون لجباية الصدقات ولانهم اذا اتوا الى من لا زكوة عليه فسألوه هل
عليه زكوة ام لا دفعهم عن نفسه وذكرهم هنا بهذا الوصف لكونه وصف ذل وانقهار وكونه في معرض الامر بالشفقة عليهم قال بعض
الشارحين اراد بهم الفقراء السائلين لكونهم يدفعون عند السؤال ثم الغارم وابن السبيل وانما ذكر هؤلاء الخمسة او الاربعة لكونهم
اضعف حالا من الباقين وقوله ومن استهان الى قوله واخزى يشبه ان يكون كبرى قياس ضمير احتج به في معرض الوعيد والتخويف عن
الخيانة على لزوم الذل والخزي له في الدارين على تقدير ان لا يوفيهم حقوقهم وتقدير القياس وان لا توفيهم حقوقهم تكن ممن استهان
بالامانة ورتع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها وكل من كان كذلك فقد احل بنفسه في الدنيا الذل وهو في الاخرة اذل
واخزى وروي احل بنفسه اي ترك ما ينبغي لها وروي احل نفسه اي اباحها والدال على هاتين الروايتين مبتدأ خبره في الدنيا
والخيانة اعم من الغش وهي رذيلة النفس بالتفريط من فضيلة الامانة والغش رذيلة تقابل فضيلة النصيحة وهما اخلاقان تحت رذيلة الفجور

عهد له الى محمد بن ابي بكر

وقوله وان اعظم الخيانة الى آخره شبه على عظم الخيانة هيهنا اذ كانت خيانة كلية عامة الضرر لاكثر المسلمين ومستلزمة لغش الامام الذي هو
افضل الناس واولاهم بالنصيحة فاذا كان مطلق الخيانة ولو في حق اقل الخلق واحقر الاشياء منهيا عنها ويستحق العقاب والخزي عليها فبالاولى
مثل هذه الخيانة العظيمة وكل ذلك في معرض الوعيد والتنفير عن الخيانة والاستهانة بالامانة وبالله التوفيق **ومن عهد له**
الى محمد بن ابي بكر رض لما قلده مصر فاخفض لهم جناحك والن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة
حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم وان الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من اعمالكم
والكبيرة والظاهرة والمستورة فان يعذب فانتم اظلم وان يعف فهو اكرم واعلموا عباد الله ان المتقين ذهبوا بعاجل
الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا اهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم اهل الدنيا في آخرتهم سكنوا الدنيا بافضل ما سكنت واكلوها
بافضل ما اكلت فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون واخذوا منها ما اخذه الجبابرة المتكبرون ثم انقلبوا عنها بالزاد
المبلغ والمتجر الرابح اصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم وتيقنوا انهم جيران الله غدا في آخرتهم لا ترد لهم دعوة ولا ينقص
لهم نصيب من لذة فاحذروا عباد الله الموت وقربه واعدوا له عدته فانه يأتي بامر عظيم وخطب جليل بخير لا يكون
معه شر ابدا او شر لا يكون معه خير ابدا فمن اقرب الى الجنة من عاملها ومن اقرب الى النار من عاملها وانتم طرداء الموت
ان اقمتم له اخذكم وان فررتم منه ادرككم وهو الزم لكم من ظلكم الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم
فاحذروا نارا قعرها بعيد وحرها شديد وعذابها جديد دار ليس فيها رحمة ولا تسمع فيها دعوة ولا تفرج فيها كربة
وان استطعتم ان يشتد خوفكم من الله وان يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما فان العبد انما يكون حسن ظنه بربه على قدر
خوفه من ربه فان احسن الناس ظنا بالله اشدهم خوفا لله واعلم يا محمد بن ابي بكر اني قد وليتك اعظم اجنادي
في نفسي اهل مصر فانت محقوق ان تخالف على نفسك وان تنافح عن دينك ولو لم يكن لك الا ساعة من الدهر فلا تسخط
الله برضا احد من خلقه فان في الله سبحانه خلفا من غيره وليس من الله خلف في غيره صل الصلوة لوقتها الموقت لها
ولا تعجل وقتها لفراغ ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال واعلم ان كل شيء من عملك تبع لصلوتك **اقول** قلده الامر جعله
في عنقه كالقلادة واللفظ مستعار وحظي من كذا اي صار له منه حظوة وهي المنزلة والحظ الوافر والجبار البالغ في التكبر والطرداء
جمع طريد وهو ما يطرد من صيد والخلف العوض وهذا الفصل من العهد ملتقط من كلام طويل ومداره على امور الاول وصيته
محمد رضي الله عنه بمكارم الاخلاق في حق رعيته وذكر امورا احدها امره بخفض الجناح قيل واصله ان الطائر يمد جناحيه ويخفضهما
ليجمع فراخه تحتهما اظهارا للشفقة عليهم فاستعمل كناية عن التواضع الكاين عن الرحمة والشفقة كما قال تعالى واخفض جناحك
لمن اتبعك من المؤمنين وقد بينا ان التواضع ملكة تحت فضيلة العفة الثاني امره بالانة جانبه كناية عن الرفق بهم في الاقوال والافعال
وعدم الغلظة عليهم والجفاوة في حقهم في كل الاحوال وهو قريب من التواضع ومن لوازمه الثالث امره ان يبسط لهم وجهه وهو
كناية عن لقائهم بالبشاشة والطلاقة من غير تقطيب وعبوس وهو من لوازم التواضع ايضا الرابع ان يواسي بينهم في النظرة واللحظة
وهي اخف من النظرة وهو كناية عن الاستقصاء في العدل بينهم في جليل الامور وحقيرها وقليلها وكثيرها وقوله حتى لا يطمع
الى قوله عليهم بيان وجه الحكمة في امره بالمساواة بينهم في اللحظة والنظرة على حقارتهما فان قلت فلم خصص العظماء بالطمع في
الحيف والضعفاء باليأس من العدل قلت لان العادة ان الولاة والامراء انما يخصصون بالنظرة والاقبال والبشاشة الاغنياء
والعظماء دون الضعفاء وذلك التخصيص مستلزم لطمعهم ان يحاف لهم والاعراض عن الضعفاء مستلزم لليأس من العدل في حقهم
والضمير في قوله عليهم يرجع الى العظماء الثاني الوعيد للعباد بسؤال الله لهم عن صغير اعمالهم وكبيرها وظاهرها ومستورها والاعلام
بانهم مظنة عذابه بسبب ابتدائهم بمعصيته والبادي اظلم قال الراوندي رح المراد بالظلم الظالم قلت ويحتمل ان يكون قد سمى ما يجازيهم به من الالم
ظلما مجاز المشابهة للظلم في الكمية والصورة كما سمي في القصاص اعتداء في قوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ثم نسب
اليه فعلهم وصدق اذن افعل التفضيل باعتبار كونهم بدأوا بالمعصية وكذلك الاعلام بانه تعالى مظنة الكرم بالعفو عنهم الثالث اعلامهم
بما ينفعهم من استعمال الدنيا والتنبيه على كيفية استعمالها الواجب بوصف حال المتقين فيها ليقتدوا باحوالهم وهي ما اخبر عنه بقوله ذهبوا
بعاجل الدنيا الى قوله ولا ينقص لهم نصيب من لذة وخلاصة حالهم المذكورة انهم اكثر فائدة من اهل الدنيا اذ حصلوا من اللذة في دنياهم
على افضل ما تحصل لاهلها من لذاتهم بها مع زيادة الفوز الاكبر في الآخرة بما وعدوا فيها المتقون واعلم ان الذي يشير اليه من عاجل
الدنيا في حق المتقين الذين شاركوا اهلها وحظوا به منها ما حظي به المترفون واخذه الجبابرة المتكبرون هو ما حصلوا عليه
من لذات الدنيا المباحة لهم بقدر ضروراتهم وحاجتهم كما روي عنه في صفتهم بلفظ آخر شاركوا اهل الدنيا في دنياهم ولم
يشاركهم اهل الدنيا في آخرتهم اباحهم الله من الدنيا ما كفاهم وبه اغناهم قال الله عز اسمه قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده

الطيبات من الرزق

عهده الى محمد بن ابي بكر

والطيبات من الرزق الاية سكنوا من الدنيا بافضل ما سكنت واكلوها بافضل ما اكلت شاركوا اهل الدنيا في دنياهم فاكلوا معهم من طيبات ما ياكلون وشربوا من طيبات ما يشربون ولبسوا من افضل ما يلبسون وتزوجوا من افضل ما يتزوجون وركبوا من افضل ما يركبون اصابوا لذة الدنيا مع اهل الدنيا وهم غدا جيران الله يتمنون عليه فيعطيهم ما يتمنون لا يرد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيبا من لذة فاما وجه كونهم اكلوها على افضل ما اكلت وسكنوها بافضل ما سكنت فلانهم استعملوها على الوجه الذي ينبغي لهم وقد امروا باستعمالها عليه وظاهر ان ذلك الوجه افضل الوجوه واما انهم شاركوا اهل الدنيا في طيباتها فظاهر بل نقول ان لذتهم بما استعملوا منها اتم واكمل وذلك ان كل ما استعملوه منها من ماكول ومشروب ومنكوح ومركوب لما كان عند الحاجة والضرورة اليه وقد علمت ان الحاجة الى الملك كلما كانت اشد واقوى كانت اللذة به عند حصوله اتم واعلى وذلك من الامور الوجدانية فثبت ان لهم حصلوا منها بما حظي به المترفون واخذوا منها ما اخذه الجبابرة المتكبرون مع ما فضلوا به من الحصول على الحظ الاجل الاخروي الذي لم يشاركهم اهل الدنيا فيه كقوله تعالى من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب واما الزاد المبلغ الى ساحل العزة وحضرة الجلال فهو التقوى الذي تصفوا به كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وقد علمت معنى كونه زادا غير مرة واستعار للتقوى والعمل لفظ المتجر باعتبار كون الغاية المقصودة منها استفاضة ثواب الله المشبه بالثمن ورشح بذكر المربح اي المكسب للربح وذلك باعتبار زيادة فضل ثواب الله في الاخرة على ما بذل له العبد من نفسه من العمل وقوله اصابوا لذة زهد الدنيا اشارة الى بعض ما يوجد به من اللذات في الدنيا وهو لذة الزهد اذ كان لهم بطرح الدنيا عن اعناق نفوسهم ووصولهم بسببه الى ما وصلوا اليه من الكمالات العالية ابتهاجات عظيمة اجل واعلى مما يجده المترفون والمتكبرون من لذة وغيرها وهم الذين يحق لهم ان يتكبروا على المتكبرين اذ كان الكمال الذي به تكبر المتكبرين امرا خياليا ضعيفا بالقياس الى الكمال الحق الذي حصل عليه هؤلاء وقوله وتيقنوا انهم جيران الله غدا الى يوم القيمة وهو اشارة الى جهة فرحهم بجوار الله والتذاذهم به المضاف الى ما اصابوه من لذة زهد الدنيا وتلك الجنة هي ما حصلوا عليه من اليقين بالله والوصول التام اليه بعد مفارقة الابدان وذلك معنى جواره وقوله لا يرد لهم دعوة اشارة الى بعض فضائلهم التي انفردوا بها ايضا المتفرعة على كمال نفوسهم وكرامتهم عند الله اللازمة عن لزوم طاعته وهو كونهم مجابي الدعوة مع ما شاركوا غيرهم فيه من تمام اللذة في الدنيا وانفردوا به مما هو لهم في الاخرة الرابع تحذيرهم من الموت وقربه وتنبيههم على غاية من ذلك لتحذيره وهو ان بعده والاه عدته التي يلقى بها ولا يكون كثير ضره وقد علمت ان التقوى والعمل الصالح واكد الامر باعداد عدته بالتنبيه على عظم ما ياتي به من الامر والخطب الجليل واشار الى ان ذلك الامر قد يكون خيرا خالصا دائما وقد يكون شرا خالصا دائما لتشتد الرغبة وتقوى في اكمال العدة المستلزمة لتحصيل ذلك الخير ولدفع ذلك الشر ثم نبه على ان ذلك الخير الذي ياتي به الموت هو الجنة وذلك الشر هو النار وان المقرب الى كل منهما والمستلزم للحصول عليه هو العمل لها بقوله فمن اقرب الى قوله عاملها ثم نبه بقوله وانتم الى قوله خلفكم على ان هذا الامر المستعقب لاحدى هاتين الغايتين العظيمتين وهو الموت لا بد من لقائه لينبه الامر عليهم بالاستعداد له واستعار لهم لفظ الطرداء ملاحظة لتشبههم بما يطرد من صيد ونحوه ولتشبهه بالفارس المجد في الطلب الكاشف عن اوذاكر الطريدة وظاهر اللزوم لكل امرئ من ظله اذ كان ظل المرء قد ينفك عنه حيث لا ضوء والموت امر لازم لا بد منه وقوله الموت معقود بنواصيكم كناية عن لزومه وكونه لا بد منه ايضا اي مشدود ومربوط بنواصيكم وذلك لربط اشارة الى حكم القضاء الالهي به وكونه ضروريا للحيوان وانما خص النواصي لانها اعز ما في الانسان واشرف واللازم لها املك له واقدر على ضبطه ونحوه قوله نعم فيؤخذ بالنواصي والاقدام واستعار لفظ الطي لتقضي احوال الدنيا وايامها التي يقطعها الانسان وقتا فوقتا ملاحظة لتشبه احوالها بما يطوى من بساط ونحوه وظاهر ان ذلك الطي من خلفهم خلفا خياليا بالنسبة الى ما يستقبلونه من احوالها بوجوههم ثم لما كرر ذكر الموت واكد لزومه وطي الدنيا رجع الى التحذير من غايته وهي النار ووصفها باوصافها المشتدة المحذر منها وهي بعد قعرها وعما يتنبه عليه ما روي ان النبي صلى الله عليه وآله سمع هدة فقال لاصحابه هذا حجر القي من شفير جهنم فهو يهوي فيها منذ سبعين خريفا والان حين وصل الى قعرها وكان ذلك اشارة الى منافق مات في ذلك الوقت وعمره سبعون سنة وقد اشرنا الى ذلك من قبل وشدة حرها كقوله تعالى قل نار جهنم اشد حرا وجدة عذابها كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وكونها ليست بدار رحمة ولا يسمع لها دعوة لقوله تعالى ربنا اخرجنا منها الاية الى قوله ولا تكلمون وكونها لا تفرج فيها كربة لقوله تعالى في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وقوله ونادوا يا مالك الى قوله ماكثون الخامس قوله وان استطعتم الى قوله بينهما امرهم بالجمع بين شدة الخوف من الله وحسن الظن به وهما بابان عظيمان من ابواب الجنة كما علمته فيما سلف ثم اشار الى انهما مثلا زمان العبد الى قوله خوفا لله اي ان مقدار حسن الظن العبد بربه مطابق وملازم لمقدار خوفه منه وان زيادته مع زيادته ونقصانه مع نقصانه واعلم انه تعالى لم يجعل احدهما علة للاخر بل هما معلولا علة واحدة مساويا لها وهي معرفة الله ثم كانت معرفة الله تعالى

لهم م

الكل م

في عذاب م

خوفا م

في تتمة عهده الى محمد بن ابي بكر

مقولة بحسب الشدة والضعف كان حسن الظن بربه ورجاؤه وشدة الخوف منه ايضا تما يشتد ويضعف بحسب قوة المعرفة وضعفها الا ان
كل واحد منها يستند الى صنف من المعرفة واعتبار خاص يكون هو مبدأ القريب اما في حسن الظن والرجاء فان يلحظ العبد من
ربه ويعتبر جميع اسباب نعمه على خلقه حتى اذا علم لطايفها في حقهم مما هو ضروري لهم كالات الغذاء وما لهم اليه حاجة كالاظفار وما
هو زينة كتقوس الحاجبين واختلاف الوان العينين وبالجملة ما ليس بضروري علم ان العناية الالهية اذا لم تقصر عن غاية في
امثال هذه الدقايق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم الزوايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم الى الهلاك الابدي
بل اذا اراد اعتبار والذي هذا الباب علم تعالى لما هيا لاكثر الخلق اسباب السعادة في الدنيا حتى كان الغالب على اكثرهم الخير والسلامة سنة
الله التي قد خلت في عباده علم ان الغالب في امر الاخرة ذلك ايضا لان مدبر الدنيا والاخرة واحد وهو اللطيف بعباده وهو الغفور
الرحيم ولا يكون هذه الملاحظات والاعتبارات مستلزمة لحسن الظن وباعثة على الرجاء ومن هذه الاعتبارات النظر في حكمة
الشريعة وسببها وفي مصالح الدنيا ووجه الرحمة على العباد فيها وبالجملة ان يعتبر صفات الرحمة واللطف واما في الخوف فان يكون
اسبابه ان يعرف الله تعالى وصفات جلاله وعظمته وغنائه وسطوته واستغنائه وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع و
كك سائر اعتبارات الصفات التي يقتضي العنف وايقاع المكاره كالسخط والغضب وكك لذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء وقال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله وبحسب شدة المعرفة بتلك الاعتبارات يكون حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر ذلك على البدن
فيحصل النحول والصفار والغشية والرعشة والرعدة وعلى الجوارح فيكفها عن المعاصي ويقيدها بالطاعات استدراكا لما فرط
فرط منه في الصفات فيفيد قمع الشهوات وتكدير اللذات وبالاحتراق القلب بالخوف يحصل له ذبول وذلة وينفي عنه كثير
من الرذايل كالكبر والحسد والحقد والبخل وغيرها ثم ان الجمع بينهما يستلزم كثيرا من الفضايل وذلك ان معرفة الله تعالى واليقين
به اذا حصل هيج الخوف من عقابه والرجا لثوابه بالضرورة وهما يفيدان الصبر اذا حفت الجنة بالمكاره فلا صبر على تحملها الا بقوة
الرضا وحفت النار بالشهوات فلا صبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال علي عليه السلام من اشتاق الى الجنة سلى عن الشهوات و
من اشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدي مقام الصبر الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله ودوام الفكر فيه وهي مؤدية الى كمال
المعرفة المؤدي الى الانس المؤدي الى المحبة المستلزمة لمقام الرضا والتوكل اذ من ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته
ولما ثبت تمامه لولا علة واحدة ثبت انهما مثلا زمان وليسا بمتضادين وان ظن ذلك في ظاهر الامر لما غلب احدهما على
الاخر بحسب غلبة اسبابه فيشتغل القلب به ويغفل عن الاخر فيظن انه يعانده ويباينه ولذلك الح عليه السلام هنا بان المقتضية للشك
في استطاعتهم للجمع بينهما ثم نبهه على احسانه اليه بتوليته اعظم اجناده لشخصه على التذكير بتلك النعمة ما يريد ان يوصيه به السادس
نبهه على ما ينبغي له وهو اولى به وذلك ان يخالف على نفسه الامارة فيما تامره به من السوء والفحشاء وساير مناهي الله الى ما يحكم به العقل
والشرع من طاعته وان ينافح عن دينه ويجاهد الانس والجن عنه ولو لم يكن له من الدهر الا ساعة فينبغي ان لا يشغلها الا بالجهاد   شيا الهين مر
عن دينه وان لا يسخط الله برضا احد من خلقه اي لينا يبغيه احد من خلق الله فيما يسخط الله وقوله فان في الله الى قوله في غيره لتحريه
على وجوب مراعاة رضاه نعم دون غيره بقياس ضمير من الاول المذكور في قوة صغرى وتقدير الكبرى وكلما كان في الله
خلف عن غيره وليس في غيره خلف منه فالواجب ابتاع رضاه وان لا يسخط برضا غيره ثم امره ان يصلي الصلوة لوقتها الموقت لها اي
المعين واللام للتخصيص والتعليل وان لا يقدمها على وقتها لفراغه في ذلك الوقت ولا يؤخرها عن وقتها لشغله عنها بغيرها فانها
اهم من كل شغل واولى ثم اعلمه ان كل شيء من الاعمال الصالحة تبع للصلوة والمرادات الانسان اذا لم يحافظ على صلوته واتى بوظايفها
في اوقاتها يوشك ان يكون على غيرها اولى بالمحافظة واذا تساهل فيها فهو في غيرها اكثر تساهلا وذلك لانها عمود الدين
وافضل العبادات كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن افضل الاعمال فقال الصلوة لاول وقتها وقال صلى الله عليه واله اول
ما يحاسب به العبد الصلوة فمن تمت صلوته سهل عليه غيرها من العبادات ومن نقصت صلوته فانه يحاسب عليها وعلى غيرها
واعلم انه ذكر امر الصلوة في هذا العهد بكلام طويل هذه التتمة منه وفيه بيان حال الصلوة ولواحقها واوله ان قال وانظر الى صلوتك
كيف هي فانك امام لقومك ان تتمها او تخففها فليس من امام يصلي بقوم يكون في صلوتهم نقصان الا كان عليه لا ينقص ذلك   من صلوتهم شي ولك
من اجورهم شيئا وانظر الى الوضوء فانه من تمام الصلوة تمضمض ثلثا واستنشق ثلثا واغسل وجهك ثم يدك اليمنى ثم اليسرى   بينها يحفظ بينها يكن
ثم امسح رأسك ورجليك فاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ذلك واعلم ان الوضوء نصف الايمان ثم ارقب وقت الصلوة فصلها   لك مثل اجورهم ولا
لوقتها ولا تعجل بها قبله لفراغ ولا تؤخرها عنه لشغل فان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الصلوة فقال عليه السلام اتاني جبرئيل   ينتقص
فاراني وقت صلوة الظهر حين زالت الشمس وكانت على حاجبه الايمن ثم اراني وقت العصر وكان ظل كل شيء مثله ثم صلى المغرب
حين غربت الشمس ثم صلى العشاء الاخرة حين غاب الشفق ثم صلى الصبح فاغلس بها والنجوم مشتبكة فصل لهذه الاوقات

والزم

ومن كتاب له الى معاوية

والزم السنة المعروفة والطريق الواضح ثم انظر ركوعك وسجودك فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان اتم الناس صلوة واخفهم عملا فيها واعلم ان كل شيء
من عملك تبع لصلوتك فمن ضيع الصلوة فانه لغيرها اضيع اسأل الله الذي يرى ولا يرى وهو بالمنظر الاعلى ان يجعلنا واياك ممن يحب
ان يرضى حتى يعيننا واياك على شكره وذكره وحسن عبادته واداء حقه وعلى كل شيء اختار لنا في ديننا ودنيانا واخرتنا **ومن
هذا العهد ايضا** فانه لا سواء امام الهدى وامام الردى وولي النبي وعدو النبي ولقد قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله
اني لا اخاف على امتي مؤمنا ولا مشركا اما المؤمن فيمنعه الله بايمانه واما المشرك فيقمعه الله بشركه ولكني اخاف عليكم
كل منافق الجنان عالم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون **اقول** هذا الفصل متصل بقوله واخرنا من فضل
الصلوة واوله وانتم يا اهل مصر فليصدق قولكم فعلكم وسركم علانيتكم ولا تخالف السنتكم قلوبكم انه لا يستوي الى قوله تنكرون
ثم متصل به يا محمد بن ابي بكر اعلم ان افضل العفة الورع في دين الله والعمل بطاعته واني اوصيك بتقوى الله في سر امرك وعلانيتك
وعلى اي حال كنت عليه الدنيا دار بلاء ودار فناء والاخرة دار الجزاء ودار البقاء فاعمل لما يبقى واعدل عما يفنى ولا تنس
نصيبك من الدنيا اي اوصيك بسبع هي جوامع الاسلام اخش الله عز وجل في الناس ولا تخش الناس في الله وخير العلم
ما صدقه العمل ولا تقض في امر واحد بقضائين مختلفين فيختلف امرك وتزيغ عن الحق واحب لعامة رعيتك ما تحب لنفسك و
اهل بيتك واكره لهم ما تكره لنفسك واهل بيتك فان ذلك اوجب للحجة واصلح للرعية وخض الغمرات الى الحق ولا تخف
في الله لومة لائم وانصح المرء اذا استشارك واجعل نفسك اسوة لقريب المسلمين وبعيدهم جعل الله مودتنا في الدين وخلتنا
واياكم خلة المتقين وابقى لكم حتى يجعلنا بها اخوانا على سرر متقابلين احسنوا اهل مصر موازرة اميركم واثبتوا على طاعتكم
تردوا حوض نبيكم صلى الله عليه وآله اعاننا الله واياكم على ما يرضيه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والقمع القهر والاذلال
واعلم انه انما امرهم بترك النفاق وموافقة الفعل الجميل للقول الجميل ليسند رحمهم الى ذلك وجذبهم اليه بالفرق بينه وبين غيره
من الائمة فاشار بامام الهدى وولي النبي الى نفسه وبامام الردى وعدو النبي الى معوية واسند الخبر المشهور الى النبي صلى الله عليه وآله و
اراد بمنافق الجنان عالم اللسان معوية واصحابه كل ذلك ليفيئوا الى طاعته وينفروا عن خصمه واما سر الخبر فظاهر ان المؤمن
لايمانه لا يخاف منه على المسلمين واما المشرك فان الله يقمعه ويذله بشركه ما دام مشركا متظاهرا بالشرك لظهور الاسلام وغلبة
المسلمين وانفتاتهم على مجانبته ومعاداته وعدم الاصغاء الى ما يقول وانما يخاف عليهم المنافق الذي من شانه اسرار الكفر و
الاسلام وتعلم احكامه ومخالطة اهله فهو يقول بلسانه ما يقولون ويفعل ما ينكرون ووجه المخافة منه ان مخالطته لاهل
الاسلام مع اظهاره له يكون سببا لاصغائهم اليه ومجالستهم له والاغترار بما يدعيه من صداقته وصدقه وعلمه باللسان وقدرته
على تشبيه الضلالة وتمويهها بالاقوال المزخرفة يكون سببا لانفعال كثير من عوام المسلمين وفتنتهم عن الدين وقوله ان افضل العفة
الورع فالورع هو لزوم الاعمال الجميلة وهو ملكة تحت فضيلة العفة وظاهر انها اجمع الفضائل التي تحت العفة فيكون افضل
من كل منها وقوله واخش الله في الناس اي خف منه فيما تفعله بهم من شر تقصيه به وقوله ولا تخش الناس في الله اي لا تخف احدا
منهم ولا تراقبه فيما يفعله من طاعة الله فتعدل عن طاعته لخوفك منهم وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى معوية
جوابا وهو من محاسن الكتب اما بعد فقد اتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لدينه
وتاييده اياه بمن ايده من اصحابه فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبا اذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا
فكنت في ذلك كناقل التمر الى هجر او داعي مسدده الى النضال وزعمت ان افضل الناس فلان وفلان فذكرت امرا ان
تم اعتزلك كله وان نقص لم يلحقك ثلمه وما انت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس وما للطلقاء وابناء الطلقاء
والتمييز بين المهاجرين الاولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم هيهات لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها
من عليه الحكم لها الا تربع ايها الانسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتاخر حيث اخرك القدر فما عليك
غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر وانك لذهاب في التيه رواغ عن القصد الا ترى غير مخبر لك لكن بنعمة الله احدث
ان قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل حتى اذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء وخصه
رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلوته عليه اولا ترى ان قوما قطعت ايديهم في سبيل الله ولكل فضل
حتى اذا فعل بواحدنا كما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء
نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها اذان السامعين فدع عنك من مالت به الرمية فانا صنائع
ربنا والناس بعد صنائع لنا لم يمنعنا قديم عزنا وعادي طولنا على قومك ان خلطناكم بانفسنا فنكحنا وانكحنا
فعل الاكفاء ولستم هناك واني يكون ذلك ومنا النبي ومنكم المكذب ومنا اسد الله ومنكم اسد الاحلاف ومنا سيدا

في الاسلام

والطليق

ومن كتاب له الى معاوية

شباب اهل الجنة ومنكم صبية النار ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب في كثير مما لنا وعليكم فاسلامنا ما قد سمع وجاهليتنا لا تدفع وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين فنحن مرة اولى بالقرابة وتارة اولى بالطاعة ولما احتج المهاجرون على الانصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه واله فلجوا عليهم فان يكن الفلج به فالحق لنا دونكم وان يكن بغيره فالانصار على دعويهم وزعمت اني لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت فان يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر اليك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها وقلت اني كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى ابايع ولعمر الله لقد اردت ان تذم فمدحت وان تفضح فافتضحت وما على المسلم من غضاضة في ان يكون مظلوما ما لم يكن شاكا في دينه ولا مرتابا بيقينه وهذه حجتي الى غيرك قصدها ولكني اطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها ثم ذكرت ما كان من امري وامر عثمن فلك ان تجاب عن هذه لرحمك منه فاينا كان اعدى له واهدى الى مقاتله امن بذل له نصرته فاستقعده واستكفه ام من استنصره فتراخى عنه وبث المنون اليه حتى اتى قدره عليه كلا والله لقد علم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الا قليلا وما كنت لاعتذر من اني كنت انقم عليه احداثا فان كان الذنب اليه ارشادي وهدايتي له فرب ملوم لا ذنب له وقد يستفيد الظنة المتنصح وما اردت الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وذكرت انه ليس لي ولاصحابي عندك الا السيف فلقد اضحكت بعد استعبار متى الفيت بنو عبد المطلب عن الاعداء ناكلين وبالسيوف مخوفين فلبث قليلا يلحق الهيجا حمل فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد وانا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم متسربلين سرابيل الموت احب اللقاء اليهم لقاء ربهم قد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية قد عرفت مواقع نصالها في اخيك وخالك وجدك واهلك وما هي من الظالمين ببعيد **اقول**

هذا الكتاب ملتقط من كتاب يذكر السيد منه فصلا سابقا وهو قوله فاراد قومنا اهلاك نبينا وقد ذكرنا كتاب معوية الذي هو هذا الكتاب جواب له وذكرنا الكتاب له باسره هناك وان كان بينهما اختلاف الفاظ يسير يجي الروايات وجنات الشيء سترة وطفوف [illegible] وحيل ويجمد بينه من بلاد الجزيرة النضال المراماة والمسلة الذي يقوم عنه لامر ويهدي به اليه واعزل بنا عدل عنك والثلم الكسر والتحليق من اطلق سعد الاسر والربع الوقوف والظلع العوج والذي يبطا سيره والسه الضلال والحبير المفاوز والرواغ كثير الميل عن القصد والجم الكثير وجم الماء من بينه القناة والرقيه الصيد [illegible] الحسنة والعلج القوز والشكاة والشكية والشكاية بنطاهر والظاهر الزائل والمخشوش الذي جعل في انفه خشاش وهو خشبة تدخل في انف البعير ليقاد بها والغضاضة الذلة والمنقصة اعترض وا عدى اشد عداوة والمعوقين المثبطين والظنة التهمة والمتنصح المبالغ في النصيحة والاستعبار البكاء والفيت كذا وجدته والنكول النكوص والارقال ضرب من السير اسراع والجحفل الجيش العظيم والساطع المرتفع والقتام الغبار والسرابيل القمصان و النصال السيوف وقد اجاب عن كل فصل من كتاب معوية بفصل والكتاب يخص ما اختار السيد ره من الكتب [illegible] لفظ الجنون لما استرط الدهر في وجود معوية من العجب كثير العجب فقال انظفقت الى قوله النضال ومعنى الجرح هنا اثر اخرا هل بيت النبي محل النبي وما انعم الله به عليه من اصطفا له لدينه واتباعه مع علمه بالنبالغ بحاله وكونهم اولى الاخبار عنها وضرب له في ذلك مثلين احدهما قوله كناقل التمر الى هجر واصل هذا المثل ان رجلا قدم من هجر الى البصرة بمال اشترى به شيئا للربح فلم يجد فيها اكسد من التمر فاشترى بماله تمرا وحمله الى هجر وادخره في البيوت ينتظر به السعر فلم يزدد الا رخصا حتى فسد جميعه وتلف ماله فضرب مثلا لمن يحمل الشيء الى معدنه لينتفع به فيه ووجه مطابقة هذا المثل هنا ان معوية حمل الخبر بما اخبر به الى معدنه الذي هو اولى به منه كحامل التمر الى معدنه وهجر معروف بكثرة التمر حتى انه ربما يبلغ خمسين جلة بدينار ووزن الجلة مائة رطل فذلك خمسة الف رطل ولم يسمع مثل ذلك في بلاد اخرى وهجر اسم قد يذكر لقصد الموضع ولذلك صرفها شاعر حيث يقول شعر وخطها الخط ارفا الافغال قلى اول لالادما وادهجر في هجر الثاني انه شبه بداعي مسدده الى النضال وبضاء التشبيه هنا ايضا حمل الخبر لمن هو اولى به منه كما يدعو الانسان مسدده واستاذه في الرمي الى المراماة ومسدده اولى بان يدعوه الى ذلك الثانية اوهم معوية لما افتخر حال الخلفاء بعد ذكر الافضل فالافضل منهم مع عدم افضليتهم عليه لعدم مشاركتهم له في الفضل اجاب بان ذلك التفضيل والترتيب مما ان يتم اوكلا فان تم فهو بمعزل عنك ولا يمس تلك نصيب ولا شرف في درجاتهم ومراتبهم وسابقتهم في الاسلام فيكون اذن خوضك فيه خوضا فيما لا يعنيك وان نقص فليس عليك من نقصانه عار ولا يلحقك منه وهن فخوضك فيه ايضا فضول وقوله وما انت وما للطلقاء استفهام على سبيل الاستحقار والانكار عليه ان خوض على صغر شانه وحقارته في هذه الامور الكبار وانقول ان ابا سفيان كان من الطلقاء فكذلك معوية فهو طليق

البلاغة

من كتاب كتبه الى معاوية

وابن الطليق وقوله هيهات استبعاد لاهليته لمثل هذا الحكم وترتيب طبقات المهاجرين في الفضل ثم ضرب له في سكوته ذلك مثلين اخرين احدهما
قوله لقد حن قدح ليس منها واصله ان احد قداح الميسر اذا كان ليس من جوهر باقي القداح ثم اجاله المفيض خرج له صوت يخالف اصواتها
فيعرف به انه ليس من جملتها فضرب مثلا لمن يمدح قوما ويطريهم ويفتخر بهم مع انه ليس منهم وتمثل به عمر حين قال الوليد بن عقبة بن ابي
معيط اقتل من دون قريش فقال عمر حن قدح ليس منها الثاني قوله وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها يضرب لمن يحكم على قوم وفيهم من هو
من اراذلهم وليس الحكم باهل لهم اولى منه ان شان الاشراف ان يكونوا حكاما ومراده ان معوية ليس من القوم الذين حكم بتفضيل
بعضهم على بعض في شيء وليس اهلا للحكم فيهم الثالثة قوله الا تربع ايها الانسان على ظلعك استفهام على سبيل التنبيه على قصوره
عن درجة السابقين والتقريع له على دعاويه لها اي انك ترفق بنفسك ولا تكلفها غيره وتقف بها عن مجاراة اهل الفضل حال ظلعك
واستعار لفظ الظلع لقصوره ووجه المشابهة قصوره عن لحوق رتبة السابقين في الفضل كقصور الظالع عن شاو الظليع وكذلك قوله
وتعرف قصور ذرعك وقصور الذرع كناية عن قصور قوته وعجزه عن تناول تلك المرتبة وحيث اخره القدر اشارة الى مرتبته النازلة
التي جرى القدر بها ان تكون نازلة عن مراتب السابقين وفيه امر بالتاخر فيها والوقوف عندها تقريعا وتوبيخا بها وقوله فما عليك
الى قوله الظافر في قوة احتجاج على وجوب تاخره بحيث هذه المرتبة بقياس ضميري من الشكل الاول والمذكور في قوة صغراه وتقديرها
غلب المغلوب في هذا الامر الكبير ليس عليك منه شيء وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فيجب تاخره عنه واعتزاله اياه والانكار
سعيها بدخوله فيما لا يعنيه الرابعة قوله وانك لذهاب في التيه اي كثير الذهاب والتوغل في الضلال عن معرفة الحق كثير العدول [illegible]
والصراط المستقيم في حقنا وعن الفرق بيننا وبينكم ومعرفة فضلنا عليكم ورذايلكم ثم نبهه على وجه الفرق بينهم وبين من عداهم من
المهاجرين والانصار بذكر افضلية بيته التي انفردوا بها دونهم في الحيوة وبعد الممات بعد ان قرر ان لكل من الصحابة فضلا لتثبت
الافضلية لبيته بالقياس اليهم وذلك قوله الا ترى الى قوله الجناحين فمن ذلك فضيلتهم في الشهادة وشهيدهم الذي اشار اليه
عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واشار الى وجه افضليته بالنسبة الى ساير الشهداء من وجهين احدهما قولي وهو تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم
سيد الشهداء والثاني فعلي وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصه بسبعين تكبيرة عند صلوته عليه في اربع عشرة صلوة وذلك انه كان كلما كبر
عليه خمسا حضرت جماعة اخرى من الملئكة فصلى بهم عليه ص وذلك من خصائص حمزة رضي الله عنه وشرف بني هاشم في خصوصيتهم
ومنه افضليتهم بما فعل ببعضهم من التمثيل به كما فعل باخيه جعفر بن ابي طالب من قطع يديه فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الاعتبار ذا الجناحين
والطيار في الجنة ومن المنقول عن علي عليه السلام من الشعر فيه والفخر الى معوية وجعفر الذي يضحي ويمسي يطير مع الملئكة ابن امي وقد ذكرنا مقتلهما
وقاتليهما من قبل ثم اشار الى تعداد فضايل جمة يعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها اذانهم وانما ترك تعديدها وذكرها في معرض الفخر بها لنهي
الله سبحانه عن تزكية نفسه والذاكر يعني نفسه وانما نكره ولم يات بالالف واللام ولم ينسبه الى نفسه لان في ذلك صريح الدلالة على تزكيته
لنفسه واستعار لفظ المج لكراهية النفس ما تكرر سماعه واعراضها عنه فانها تصير كالقاذف له من الاذن كما يقذف الماج الماء من فمه وقوله فدع
عنك من مالت به الرمية اي فدع عنك اصحاب الاغراض والمقاصد الفاسدة ولا تلتفت الى ما يقولون في حقنا كعمرو بن العاص ويحتمل ان
تكون الاشارة اليه بعينه على طريقة قولهم اياك اعني فاسمعي يا جارة واستعار لفظ الرمية وكنى بها عن الامور التي تقصدها النفوس وترميها
بقصودها ونسب الميل اليها لانها هي الجاذبة للانسان والمايلة الحاملة له على الفعل وقوله فانا صنايع ربنا الى قوله لنا تنبيه
من جهة اخرى على فضيلتهم من جهة اختصاص الله سبحانه اياهم بالنعمة الجزيلة وهي نعمة الرسالة وما يستتبعها من الشرف والفضل حتى كان
الناس عيالا لهم فيها اذ كانت تلك النعمة ولوازمها انما وصلت الى الناس بواسطتهم وبسببهم واكرم بها فضيلة وشرفا على ساير الخلق وهذا
التنبيه في قوة صغرى من الشكل الاول في معرض الافتخار والاحتجاج على انه لا ينبغي لاحد ان يعارضهم في شرف او يفاخرهم ويباريهم
في فضيلة وتقدير الكبرى وكل من كان بصفة انه صنيعة ربه بلا واسطة والناس بعده صنايع له بواسطته فلا ينبغي لاحد من
الناس ان يعارضه في فضل ويجاريه في شرف ويجوز بلفظ الصنايع في الموضعين اطلاقا لاسم المفعول على القابل والحال على المحل
ثم كثر ذلك المجاز فيقال فلان صنيعة فلان اذا اختصه لموضع نعمته كقوله تعالى واصطنعتك لنفسي وقوله لم يمنعنا الى قوله فلسنا
في معرض الافتخار ايضا وعادي منسوب الى عاد قوم هود والنسبة اليه كناية عن القدم ووجه الامتنان هو انهم لم يمنعوا على فضلهم
من خلطهم اياكم بانفسهم في مناكحهم وفعل الاكفاء منصوب على المصدر عن فعل مضمر وقوله ولستم هناك كناية عن مرتبة الكفاءة في
النكاح اي ولستم اهلا لتلك المرتبة والواو في ولستم للحال والعامل خلطناكم ثم اشار الى بيان ما ادعاه من نفي كونهم اهلا للخلطة
بالمقابلة بين حال بني هاشم وحال بني امية ليظهر من تلك المقابلة رذيلة كل واحد ممن ذكر من بني امية بازاء فضيلة كل واحد ممن
ذكر من بني هاشم ويظهر فضايل الافراد ورذايلهم يتبين نسبة البيتين في الشرف والخسة فذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقابله بالمكذب له من بني امية
وهو ابو جهل بن هشام واليه الاشارة بقوله وذرني والمكذبين الاية قيل نزلت في المطعمين ببدر وكانوا عشرة وهم ابو جهل وعتبة

لبعض ص

من كتاب له الى معاوية

وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بنيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحرث والحرث بن عامر وابي بن خلف وزمعة بن الاسود
فذكر النبي صلى الله عليه وآله بفضيلته وهي النبوة وذكروا ابا جهل بن ذلته وقبح تكذيبه ثم أسد الله وهو حمزة بن عبد المطلب سماه رسول الله
بذلك لشجاعته وذبه عن دين الله وقابله باسد الاحلاف وهو اسد بن عبد العزى والاحلاف هم عبد مناف وزهرة واسد وتيم و
الحرث بن فهر وسموا الاحلاف لان بني قصي ارادوا ان ينتزعوا بعض ما كان بايدي بني عبد الدار من اللواء والندوة والحجابة والرفادة
وهي كل شيء كان فرضه قصي على قريش لطعام الحاج في كل سنة ولم يكن لهم الا السقاية فتحالفوا على حربهم واعدوا للقتال ثم رجعوا
عن ذلك ناكصين واقروا ما كان بايديهم ثم سيدا شباب اهل الجنة وهما الحسن والحسين عليهما السلام وقابلهما بصبية النار فقيل هم
صبية عقبة بن ابي معيط حيث قال له الملك ولهم النار وقيل هم ولد مروان بن الحكم الذين صاروا اهل النار عند البلوغ وكانوا صبية
حين اخبر بذلك ثم خير نساء العالمين واراد فاطمة عليها السلام وقابلها منهم بحمالة الحطب وهي ام جميل بنت حرب عمة معوية كانت تحمل حزم
الشوك فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلعم ليعقره وعن قتادة انها كانت تمشي بالنميمة بين الناس فتلقي بينهم العداوة وتهيج
نارها كما توقد النار بالحطب فاستعير لفظ الحطب لتلك النميمة للمشابهة المذكورة ومنه قولهم فلان يحطب على فلان اذا كان يغري
به وقوله في كثير الى قوله وعليكم وهذا الذي ذكرناه من فضائلنا ورذائلكم قليل في كثير مما لنا من الفضائل وعليكم من الرذائل
قال عليكم من الرذائل لان الامور بثمراتها وما تستلزمه وثمرة الرذائل على التخصص مضرتها وتبعاتها وقوله فاسلامنا الى قوله يدفع
اشارة الى ان شرف بيته على غيره لا ينحصر في الاسلام فقط فان شرف بني هاشم في الجاهلية ايضا مشهور ومكارم اخلاقهم لا تدفع
وقد نبهنا على ذلك في المقدمات وكما نقل عن جعفر بن ابي طالب لما اسلم قال له النبي صلعم ان الله شكر لك ثلث خصال في الجاهلية
فما هي قال يا رسول الله صلعم ما زنيت قط لاني قلت في نفسي ان ما لا يرضاه العاقل لنفسه لا ينبغي ان يرضاه لغيره تكرما ولا كذبت
كذبة قط تأثما ولا شربت الخمر قط فظننت انها تذهب بالعقول وقوله وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا اي يوجب لنا بصريح حكمه ويجمع
لنا ما شذ عنا من هذا الامر وسلبناه وهو شروع في الاحتجاج على اولويته من غيره بهذا الامر من الخلفاء ومن يطمع في الخلافة من
ذلك من وجوه احدها قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وجه الاستدلال انه من اخص اولي الارحام بالرسول
وكل من كان كذلك فهو اولى به وبالقيام مقامه مع كمال استعداده لذلك اما الصغرى فظاهرة واما الكبرى فللاية الثاني قوله تعالى
ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه الاية وجه الاستدلال انه كان اقرب الخلق الى اتباع رسول الله صلعم واولى من امن به وصدق
وافضل من اخذ عنه الحكمة وفصل الخطاب كما بيناه وكل من كان كذلك فهو اولى بخلافته والقيام مقامه فيما جاء به الاية فظهر اذن
انه اولى برسول الله صلعم وبمنصبه تارة من جهة قرابته وتارة من جهة طاعته واتباعه الثالث قوله ولما احتج الى قوله دعواهم وهو الزامهم
وصورته ان الانصار لما طلبوا الامامة لانفسهم وقالوا للمهاجرين منا امير ومنكم امير احتج المهاجرون عليهم برسول الله صلعم وانهم من
شجرته التي اشار الى كون الائمة منها بما رووه عنه من قوله الائمة من قريش فسلموا اليهم ذلك وغلبوا عليهم فلا يخلو ذلك الغلب اما
ان يكون لكونهم اقرب اليه صلعم من الانصار او غير ذلك فان كان الاول فاهل بيته اولى بذلك الحق لانهم اقرب اليه صلعم من غيرهم وهم
ثمرة تلك الشجرة وغايتها وان كان لغيره فحجة الانصار قائمة ودعواهم للامامة باق اذ لم يكن ما رووه من الخبر دافعا لقولهم الا من جهة
كونهم من قريش الموجب لقربهم وبعد الانصار عنه وقد عرضت جهة الاقربية عن معينة هنا السادس جوابه عما دعاه بزعمه من حسده
لسائر الخلفاء وبغيه عليهم وتقرير الجواب انه لا يخلو اما ان تكون هذه الدعوى صادقة او كاذبة فان كانت صادقة كما زعمت فليست
جنايتي عليك حتى يكون عذري عنها اليك بل ذلك فضول منك وخوض فيما لا يعنيك واكد ذلك بالمثل والبيت لابي ذويب
واولها وعيرها الواشون اني احبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها يضرب لمن ينكر امرا ليس منه في شيء ولا يلزمه منه انكاره
السابع جوابه عما ادعاه توبيخا له وتعنيفا من منصبه وهو قوده الى البيعة للخلفاء قبله كما يقاد الجمل المخشوش حتى تبايع كرها واذ كان هو
وجه التشبيه فقلب تلك الدعوى وبين ان ذلك ليس ذما له بل مدحا ولا فضيحة بل على مدعيها واشار الى كونها مدحا وليست ذما
بقوله وما على المسلم الى قوله بنفسه ووجه ذلك انه لما كان ثابتا على اليقين التام في علومه مبرأ عن الريب والشبهة في دينه فكان
اذ ذلك هو الكمال الحق والفضل المبين الذي لا نقصان معه لم يكن عليه غضاضة في ظلم غيره له ولم يحصل بذلك نقصان ولا ذم بل كان
انفراده بالثبات على الدين الخالص مع الاجماع على ظلمه فضيلة تخصه فيكون ذكرها مستلزما لمدحه وتعظيمه وكذلك ليس في ذكرها
فضيحة عليه اذ الفضيحة هي اظهار عيب الانسان ونقصه وحيث لا عيب فلا فضيحة واما انها فضيحة لمعوية فلظهور نقصانه في عدم
الفرق بين ما يمدح به ويذم وقوله وهذه حجتي الى قوله ذكرها اي ان حجتي هذه على كوني مظلوما في الخلافة لغيرك ليست
انت المقصود بها اذ لست في هذا الامر في شيء فتخاطب فيه بل المقصود بها غيرك واراد الذين ظلموا وانما ذكرت لك منها بقدر ما دعت
الحاجة اليه وسنح لي ان اذكره في جوابك الثامن جوابه عما ادعاه عليه في امر عثمن وتاليبه وخذلانه وذلك قوله فلك ان تجاب عن هذه

لرجل منه مع انكاره عليه ما سبق من الكلام فان فيه ارشادا عظيما لوضع الكلام مواضعه وتنبيه على انه لا يجوز ان يخوض الانسان فيما لا يعنيه وقرب رحمه منه لكونه من بني امية ومخاصلة ومحاربته انه عكس عليه ما ادعاه وبين انه هو الذي كان عدوه وخاذله فانه ع كان ناصره ومعرض نفسه للذب عنه فاستفهم عن ايهما كان اعدى عليه واهدى لمقاتله اى لوجوه قتله ومواضعه من الاراء والحيل استفهام توبيخ له واراد بقوله امن بذل نصرته الى قوله فاستقعده واستكفه نفسه ع وذلك ان عثمان كان متهما له ع بالدخول في امره فلما اشتد عليه الحصار بعث اليه وعرض نصرته فقال لا احتاج الى نصرتك لكن اقعد عنى وكف شرك وذكر نفسه بصفة بذل النصرة ليظهر خروجه مما نسب اليه من دمه وهو في قوة صغرى قياس ضمير تقديرها انى بذلت له نصرتي وتقدير كبراه وكل من بذل العزة نصرته فليس من شانه ان يتهم بخذلانه وينسب الى المشاركة في دمه واشار الى دخول معوية في دمه بقوله امن استنصره فتراخى عنه وبث المنون اليه وذلك انه بعث حال حصاره الى الشام مستصرخا بمعوية فلم يزل يعده ويتراخى عنه لطمعه في الامر الى ان قتل وذكر القدر ونسبة القتل اليه هيهنا مناسب للتبري من دمه والكلام ايضا في قوة صغرى قياس ضمير احتج به على ان معوية هو الساعي في قتله وتقديرها انك ممن استنصره واستغاث به فتنزه وقعد عنه وبث المنون اليه وعزوعته وثبط عن نصرته واشار الى ذلك بقوله لقد علم الله الاية بعد ان رد دعواه عن نفسه بقوله كلا اى كلا لم اكن انا اعدى عليه ولا اهدى لمقاتله منك وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فهو اولى بالتنسيب الى دمه والسعي في قتله والاية نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يثبطون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عن القتال وقوله وما كنت اعتذر اشارة الى ما عساه كان سببا لتوهم كثير من الجهال انه دخل في دمه وهو انكاره عليه ما كان نقمه الناس عليه من احداثه التي اشرنا اليها قبل وبيان ان ذلك ليس مما يعتذر عنه لان ذلك كان ارشادا له وهداية فان يكن ذلك هو الذي توهمه ذنبا اليه فلا عتبي عليه فرب ملوم لا ذنب له وانا ذلك الملوم اذ لم يكن ما فعلته ذنبا وقد يستفيد الظنة المتنصح وانا ذلك المتنصح اذ لم يكن قصدي الا الاصلاح ذات البين بقدر الاستطاعة وقوله فرب ملوم لا ذنب له مثل لاكثم بن صيفي ويضرب لمن قد ظهر للناس منه امر انكروه عليه وهم لا يعرفون حجته وعذره فيه وكذلك قوله وقد يستفيد الظنة المتنصح يضرب مثلا لمن يبالغ في النصيحة حتى يتهم انه غاش وصدر البيت وكم سقت في اثاركم من نصيحة وقد يستفيد الظنة المتنصح العاشر جوابه عن وعيده له بالحرب التي كنى بالسيف عنها فقوله فلقد اضحكت بعد استعبار كناية عن ان وعيده لمثله ع من ابلغ الاشياء المستلزمة لا بلغ عجب اذ كان الضحك بعد البكاء انما يكون لتعجب بالغ غريب وهو كالمثل في معرض الاستهزاء به وقيل معناه لقد اضحكت من سمع منك هذا تعجبا بعد بكائه على الذين تصرفت فيه وقوله متى الفيت الى اخره استفهام له عن وقت وجدانه لبني عبد المطلب بصفة النكول عن الحرب والخوف من السيف استفهام انكار لوقت وجدانه كذلك في معرض التنزيه لهم عن الجبن والفشل وقوله فلبث قليلا يلحق الهيجا حمل مثل يضرب للوعيد بالحرب واصله ان حمل بن بدر رجل من قشير اغير على ابل له في الجاهلية في حرب احسن الغبراء فاستنقذها وقال لبث قليلا يلحق الهيجا حمل ما احسن الموت اذا الموت نزل وقيل اصله ان مالك بن زهير توعد حمل بن بدر فقال حمل لبث قليلا يلحق الهيجا حمل البيت فارسل مثلا ثم اتى وقتل مالكا فظفر اخوه قيس بن زهير به وباخيه حذيفة فقتلهما وقال شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني وقوله فسيطلبك الى اخره شروع في المقابلة بالوعيد بالسير الشديد اليه في الجيش العظيم ووصفه باوصاف تزلزل وكان العدو من شدة الزحام وسطوع القتام الى اخره وشديد او منتشر بل ونصب على الحال وسرابيل مفعول به لمتسربلين وسرابيل الموت كناية اما عن الدروع والعدة التي يلقون بها الموت ويخوضون في غمراته واما عن ملابسهم من التسابيل والهيئات والاحوال التي وطنوا انفسهم على القتل فيها كالاكفان لهم وانما كان احب اللقاء اليهم لقاء ربهم لكمال يقينهم بما هم عليه من الدين الحق وثقتهم بالوعد الالهي الصادق والذرية البدرية التي صحبتهم اشارة الى اولاد من كان من المسلمين مع النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر وقد ذكرنا ان اخاه المقتول حنظلة بن ابي سفيان وخاله الوليد بن عتبة وجده عتبة بن ربيعة اذ هو ابو هند ام معوية وكنى بالظالمين في الاية عن معوية واصحابه وجميع ما ذكره من اوصاف الجحفل وما يصحبه من الذرية البدرية والسيوف الهاشمية والتذكير بمواقعها ممن وقعت به من اهله وعيد له ان يصيبه منها ما اصابهم من ابلغ ما يعد به الخطيب للانفعال والخوف وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام الى اهل البصرة** وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه فعفوت عن مجرمكم ورفعت السيف عن مدبركم وقبلت من مقبلكم فان خطت بكم الامور المردية وسفه الاراء الجائرة الى منابذتي وخلافي فها انا ذا قد قربت جيادي ورحلت ركابي ولئن الجاتموني الى المسير اليكم لاوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل اليها الا كلعقة لاعق اني لعارف لذي الطاعة منكم فضله ولذي النصيحة حقه غير متجاوز متهما الى بري ولا ناكثا الى وفي **اقول** غبيت عن الشيء وغبيته اذا لم تفطن له والمراد بحبلكم والجائرة المنحرفة عن صواب المنابذة المخالفة ولم اماته ما تعهد به الا بيعة وقد نبه في هذا الفصل بوضع ذنوبهم وتقريرها عليهم لحسن عفوها الدعوا والمؤاخذة واستعار لفظ الحبل لبيعتهم اياه ولفظ الانتشار لنكثهم ووجه الاستعارة الاول كون

كتاب له كتبه الى معاوية

بينهم سببا جامعا لها وناظما لأمورهم ومتمسكا يوصل الى رضاء الله كالحبل الناظم لما ينظمه ووجه التشبيه ظ وشبه بقوله ما لم تغبوا عنه
على علمهم بما تعاوره وتعهدهم لفعله لينا كد عليهم الحجة ثم لما قرن ذنوبهم اردفها بذكرا موزفا بلها بها كرما وهى العفو عن مجرمهم
ودفع السيف عمن ادبر منهم وقبول من اقبل التوبة منهم والرتنا عنه ثم اردف ذلك بوعيدهم بكونه مستعدا لقتالهم وايقاعه بهم وقعة
يستصغر معها وقعة الجمل ان لو عادوا الى الفتنة واستعار لفظ الخطوط لسوق الامور المهلكة سفها لانهم الجائرة بهم الى منابذته
ومحاربته ثانيا ووجه المشابهة تاديتها بهم الى خلافه كما تؤدي الاقدام بصاحبها الى غايته ونفير الشرط فان عادتم الى خلافي فانا
مستعد لكم وكنى بتقريب جياده وترحيل ركابه عن كونه مستعدا للكرة عليهم ودخلها شاك ذنا لوجاه على ظهورها ويكفي ذلك
في وعيدهم على خلافه لان مجرد خلافهم عليه لا يستلزم وجوبا بقاع الوقعة بهم لاحتمال ان يرجعوا ويتوبوا او بعيده او يعلمهم منها
على الاستعداد لحربهم والايقاع بهم فلذلك جعل الشرط في وعيده بالايقاع بهم ان يلجئوه الى المسير اليهم ومحاربتهم وذلك ان
يعلم ان الامر لا يستقيم الا بالايقاع بهم فيجعله ضرورة حفظ الدين على ذلك وقوله في وصف تلك الوقعة لا يكون يوم الجمل الى قوله
لاعق كناية عن غاية شدة ايقاعه بهم ووجه تشبيه وقعة الجمل بالتشبيه اليها باللعقة هو الحقارة والاصغرية لما توعدهم بما يخشى
من الوعيد اردفه بما يرجى منه من ذكر اعترافه بفضل ذي الطاعة وبحق ذي النصيحة منهم وانه غير متجاوز منهما بعقوبة الى بري ولا
ناكثا بعهده الى وفي به لينالا يشتد عليهم وطأته فييأسوا من رحمته فيشتد نفارهم منه ويكون ذلك داعية عنادهم **ومن**

كتاب له ع الى معوية فاتق الله فيما لديك وانظر في حقه عليك وارجع الى معرفة ما لا تعذر بجهالته فان للطاعة
اعلاما واضحة وسبلا نيرة ومحجة نهجة وغاية مطلوبة يردها الاكياس ويخالفها الانكاس من نكب عنها جار
عن الحق وخبط في التيه وغير الله نعمته واحل به نقمته فنفسك نفسك فقد بين الله لك سبيلك وحيث تناهت
بك امورك فقد اجريت الى غاية خسر ومحلة كفر وان نفسك قد اولجتك شرا واقحمتك غيا واوردتك المهالك
واوعرت عليك المسالك **اقول** هذا الكتاب بعد فقد بلغني كتابك تذكر مشاغبتي وتستقبح موازرتي وتزعمني
متجبرا وعن حق الله مقصرا فسبحان الله كيف تستجيز الغيبة وتستحسن العضيهة اني لم اشاغب الا في امر بمعروف او نهي عن منكر ولم اتجبر
الا على مارق او ملحد او منافق ولم اخذ في ذلك الا بقول الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم واما التقصير في حق الله فمعاذ
الله جل ثناؤه من تعطيل الحقوق المؤكدة وركن الى الاهواء المبتدعة واخلد الى الغفلة المحيرة من التحبب بتضييع ما نعزيه
الاحسان وتخالف البرهان ونكث لونا بقى لمن هي لله عز وجل طلبته وعلى عباده حجته مع نبذ الاسلام وتضييع الاحكام وطمس
الاعلام والجري في الهوى والتهوس في الردى ثم يتصل بقوله فاتق الله لفضل المذكور ومن هذا الكتاب ايضا وان للناس جماعة يد الله
عليها وغضب الله على من خالفها فنفسك نفسك قبل حلول رمسك فانك الى الله راجع والى حشره مهطع وسيبهضك كربه
وحل بك غمه في يوم لا يغني النادم ندمه ولا يقبل من المعتذر عذره يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون والعضيهة الافك
والبهتان والطمس اخفاء الاثر ومحجة واضحة وطلبته بكسر اللام اي مطلوبه وفتح اللام اي مطلوبه منهم والاكياس العقلاء والانكاس
جمع نكس وهو الدني من الرجال ونكب عدل والخبط المشي على غير استقامة والحسرة الحسرات والاقحام التدخل في الامر بشدة و
الوعر الشديد والمهطع المسرع وبهضه الامر اثقله والفصل موعظة فاشار عليه بتقوى الله فيما لديه من مال المسلمين ونعمهم وان
ينظر في حقه عليهم واثار نعمته فيقابله بالشكر والطاعة وان يرجع الى معرفة ما لا عذر له في ان يجهله من وجوب طاعة الله ورسوله وائمة
الامة الحق وقوله فان للطاعة وهي طاعة الله واستعار لفظ الاعلام لما يدل على الطريق الى الله من الكتاب والسنة والقوانين
العقلية ومن جملتها ائمة الحق والهدى فانهم اصل تلك الاعلام ووصفها بالسبل النيرة والمحجة النهجة الطريق الى الله الدالة
عليها باعلامها المذكورة وبالغاية المطلوبة من الحق الخلق ووصولهم الى حضرة قدس الله طاهرين مجردين عن الهيئات البدنية المتهيئة
مستعدين لكمالات الانسانية والنفسانية واعلم ان للطاعة رسم لقصد تلك الاعلام وسلوك تلك المحجة طلبا لتلك الغاية والضمير في
قوله يردها ويخالفها وعنها راجع الى المحجة او الاعلام لوضوحها عليها وظاهر ان العقلاء هم الذين يختارون ورود تلك المحجة وقصد اعلامها
وان ادنياء الهمم يخالفون الى غيرها فيعدلون عن صراط الله الحق ويخبطون في تيه الجهل ويغير الله بذلك نعمته عليهم ويبدلهم
بها نقمته في دار الجزاء ثم لما اشار عليه بما اشار ووضح له سبل السلامة وما يلزم مخالفها من تغيير نعمة الله وحلول نقمته امره ان
يحفظ نفسه بسلوك تلك السبل عما يلزم مخالفها والعدول عنها من الامور المذكورة ثم اعلمه بان الله بين له سبيله واراد سبيل
طاعته المامور بسلوكها ونصب نفس على التحذير بما اشكل الاول وجب عليه سلوك تلك السبيل وينقطع عذره الكبرى وكل من
بين الله له سبيله التي اوجب عليه سلوكها فقد وجب عليه حفظ نفسه بسلوكها وقوله وحيث تناهت بك امورك تحذير له
بانها هي اليه ثم فسر تلك الحيثية الذي امره بالوقوف عنده وهو غاية الخسر اي لغاية المستلزمة للخسر والتي هي منزل الكفر وسبب

الكفر وحيث

الجزء ٣٠٣

وصيته لابنه الحسن ع

الكفر واخبره انه قد اجرى اليها وكفى بها غاية شر واجراؤه الى تلك الغاية كناية عن سعيه وعمله المستلزم لوصوله اليها يقال اجرى
فلان الى غاية كذا اى قصدها بفعله واصله من اجراء الخيل للسباق ولفظ الشر مستعار لفقدان رضوان الله والكمالات
الموصلة اليه وانما جعل تلك الغاية التي اجرى اليها شرا لان الغايات الشرعية المنهي عن قصدها من منازل الكفار و
مقاماتهم فمن سلك اليها فقد قصد او بلغها اختيارا فقد لحق بمنازل الكفر ومحاله وقوله وان نفسك قد اولجتك شرا
اى ادخلتك في شر الدنيا والاخرة واراد نفسه الامارة بالسوء بما سولت له من معصية الله ومخالفة امام الحق وبه ورطتك قد
اوحلتك اى لففتك في الوحل وهو مستعار لما وقع فيه من المعصية والاختلاط عن الجهل واقحمتك
غيا اى ادخلتك في البغي والضلال واوردتك المهالك اى الموارد المهلكة من الشبهات
والمعاصي واوعرت عليك المسالك اى مسالك الهدى وطرق الخيرات لان النفس الامارة
بالسوء اذا اوردت الانسان سبل الضلالة وسهلت عليه سلوكها
بوسوستها وتحسينها للغايات الباطلة لزمه بسبب ذلك البعد عن
طرق الهدى ومسالك الخير واستصعاب سلوكها وبالله
التوفيق والعصمة وبه الحول والقوة والعون
والتسديد تم المجلد الرابع من كتاب
مصباح السالكين لنهج البلاغة
بعون الله وحسن توفيقه
ويتلوه في المجلد الخامس
ان شاء الله ومن وصية
له عليه السلام لابنه الحسن
عليهما السلام وكتب العبد الفقير ابن محمد
حسين اقل الحاج ميرزا محمد الخوانساري

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن وصية له عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام كتبها اليه بحاضرين عند انصرافه من صفين اقول روى جعفر بن بابويه
القمي ره ان هذه الوصية كتبها ع الى ابنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه وهي من افصح الكلام وابلغه واشتماله على انواع الحكمة ولطايفها واكمل
عبارة يجذب بها الى سبيل الله وحاضرين اسم موضع بالشام وفيها فصول **الفصل الاول** قوله من الوالد الفان المقر
للزمان المدبر العمر المستسلم للدهر الذام للدنيا الساكن مساكن الموتى الظاعن عنها غدا الى المولود المؤمل ما لا يدرك
السالك سبيل من قد هلك غرض الاسقام ورهينة الايام ورمية المصائب وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا و
اسير الموت وحليف الهموم وقرين الاحزان ونصب الآفات وصريع الشهوات وخليفة الاموات **اقول** الرهينة ما يرهن
والرهينة المرهون والتاء لنقل الاسم من الوصفية الى الاسمية والصرفة والحليف المحالف والنصب الشيء المنصوب وهذا الفصل كالعنوان
للوصية وقد ذكر لنفسه اوصافا سبعة وللولد اربعة عشر في معرض الوعظ والتنفير عن الدنيا والركون اليها وضاعف الاوصاف
للولد لانه المقصود بالوصية والموعظة فالاول من الفان واللفظ هنا مجاز تسمية له باسم غايته ووقف على المنقوص بحذف الياء
المراعاة القرينة الثانية وقد علمت جوازه الثاني المقر للزمان اى بالغلبة والقهر المعترف بالعجز في يد تصريفاته كانه قدره خصما

اجمعه

في وصيته لابنه الحسن عليه السلام

ذا باسم بقراء الافران لها الثالث المدبر للعمر ولذلك انه كان عليه السلام قد عزف على السبيين الرابع المستسلم للدهر وهو ابلغ من المعتز للزمان الخامس الذام للدنيا ولم يزل عليه السلام ذاما لها ومنفرا عنها ومنفرا بذكر معايبها السادس الساكن مساكن الموتى وهو تنفير عن الركون الى الدنيا والمقام بها لانه كركونها مساكن الموتى اذ من كان نحو مساكنهم يوشك ان يلحق بمن لحق بهم ونقرب منه التنفير من قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم الاية السابع الظاعن عنها غدا وهو تذكير بالمفارقة وغدا كناية عن قربها ولفظ الظاعن مستعار له وانما اوصاف المولود فالاول المؤمل ما لا يدرك وفيه تنفير عن طول الامل اذ كان ينسي الاخرة ويجعل محبة للتنفير ما ميله ما لا يدرك وظاهر ان الانسان ما دام في هذه الدار موجب امله نحو مطالبها كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله يشيب ابن ادم ويشب فيه خصلتان الحرص والامل وذلك يستلزم انقضاء مدته دون بلوغها الثاني السالك سبيل من قد هلك وسبيلهم سفرهم في الدنيا الى الاخرة وقطعهم لمنازل الاعمار واضافها الى من هلك تذكيرا بالموت الثالث غرض الاسقام واستعار لفظ الغرض له باعتبار كونه مرميا بسهام الامراض كالغرض الرابع رهينة الايام واستعار له لفظ الرهينة باعتبار ان وجوده مربوط بالاوقات وداخل في حكمها كما يرتبط الرهن بيد مرتهنه الخامس ورمية المصائب وهو كقوله غرض الاسقام السادس وعبد الدنيا ولفظ العبد مستعار باعتبار ان طالب الدنيا منقاد بطبعه اليها وعامل لها كما ينقاد العبد لسيده ويعمل له السابع وتاجر الغرور اي تجارته لها غرور وغفلة عن المكاسب الحقيقية الباقية ولفظ التاجر مستعار له باعتبار ابداله لماله واعماله في تحصيل الدنيا على وهم انها هي المطالب الحقة المربحة الثامن وغريم المنايا ولفظ الغريم مستعار له باعتبار طلب الموت له كالمتقاضي بالرحيل كما يتقاضى الغريم التاسع اسير الموت استعار له لفظ الاسير باعتبار انقياده للموت وعدم تمكنه من الخلاص العاشر وحليف الهموم الحادي عشر وقرين الاحزان واستعار لفظي الحليف والقرين له باعتبار عدم انفكاكه عن الهموم والاحزان كما لا ينفك الحليف والقرين عن حليفه وقرينه الثاني عشر ونصب الافات كقوله ورمية المصائب الثالث عشر وصريع الشهوات ولفظ الصريع مستعار له باعتبار كونه مغلوبا بالشهوة مقهورا لها كالقتيل الرابع عشر وخليفة الاموات وفيه تنفير عن الدنيا بتذكير الموت لان خليفة الاموات في معرض اللحوق بهم ونحوه قول بعض الحكماء ان امرءا ليس بينه وبين ادم الا اب ميت لمعرق النسب في الموت **الفصل الثاني** قوله اما بعد فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عني وجموح الدهر علي واقبال الاخرة الي ما يزعني عن ذكر من سواي والاهتمام بما ورائي غير اني حيث تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي فصدفني رايي وصرفني عن هواي وصرح لي محض امري فافضى بي الى جد لا يكون فيه لعب وصدق لا يشوبه كذب ووجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كان شيئا لو اصابك اصابني وكان الموت لو اتاك اتاني فعناني من امرك ما يعنيني من امر نفسي فكتبت اليك كتابي هذا مستظهرا به ان انا بقيت لك او فنيت **اقول** جمح الفرس اذا غلب صاحبه فلم يملكه ويزعني يمنعني والمحض الخالص وافضى اي انتهى والشوب المزج والخلط وقابل في لفظه بين الاقبال والادبار والاخرة والدنيا وقد اشرنا الى معنى ادبار الدنيا واقبال الاخرة في قوله الا وان الدنيا قد ادبرت واستعار لفظ الجموح للدهر باعتبار عدم تمكنه من ضبطه في تغيراته وتصريفاته له بعد عن اختياره كالجموح من الخيل وما الاولى بمعنى الذي ويحتمل ان تكون مصدرية وعلى المعنى الاول يكون من للتبيين وعلى الثاني لابتداء الغاية وما الثانية بمعنى الذي ومحلها الرفع بالابتداء وفيما تبينت خبره ومستظهرا حال ومدار الفصل على اعلامه اياه انه في معرض الرحيل وان ذلك الوقت هو وقت الاهتمام بحال نفسه وبحاله لتنزله منزلة نفسه وانه شديد الاهتمام بحاله ليكون ذلك ادعى لقبول وصيته وهو كالتوطئة والتمهيد لها ثم اعلمه انه فيما تبين له من الامور المذكورة قرب رحيله الى الله وذلك هو الذي وزعه ومنعه عن ذكر ما سواه والاهتمام بما وراءه من المصالح المتعلقة بصلاح الخلق ونظام العالم اذ كان ذلك هو وقت التضيق على الانسان فيما هو اهم عليه من الاستكمال بالفضائل والاستعداد للقاء الله دون ما سبق من اوقات الشبيبة واستقبال العمر لاشتغاله بها عن الصلاح حال الغيرة والاشتغال بالامور المباحة وانه حين تبين له ذلك وتفرد به هم نفسه دون غيرها وصدقه رايه وكشف له عما ينبغي ان يكون اشتغاله به من امر نفسه ووجوب العمل لها فيما يهمها وصرفه عن هواه فيما يخرج عنها اذ كان اجود الاراء واصدقها في الامر عند شدة الاهتمام به وصرح له خالص امره وما ينبغي له وانتهى به الى جد وصدق خالصين من شائبة اللعب والكذب ووجده بعضا منه وهو كناية عن شدة اتصاله به وقربه منه ومحبته له كما قال وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض بل وجده كله اي عبارة عن كله اذ كان هو الخليفة له والقائم مقامه ووارث علمه وفضائله وقد دل على شدة قربه منه وانه بمنزلة نفسه بذكر الغايتين في قوله حتى كان الى قوله اتاني ووجه التشبيه بين ما يصيب ولده وبين ذلك الشيء وان لم يصبه شدة تالمه به واعلم ان ذلك الوجدان وان كان طبعا كما يحصل للوالد في امر ولده لكنه تم لزوم المتفطن له في اخر العمر عند تذكر انقطاع الدنيا لما في طبعه من محبة بقاء الذكر الجميل والحرص على مهام الخير والاثار الصالحة في العالم ولذلك جعله لازما لتفرد هم نفسه به وصدق رايه في النصيحة وروي محض مرفوعا على الفاعلية ومنصوبا باسقاط حرف الجر والتقدير عن محض امري ثم نبه على انه من لوازم وجدانه بعضه او كله عناه واهمه ما يهمه من امر نفسه فكتب اليه هذه الوصية ليكون له ظهرا ومستندا يرجع الى العمل بها في حالتي بقائه او فنائه

اذ كان

في وصيته لابنه الحسن ع

اذ كان ما اشتملت عليه هذه الوصية من الحكم والآداب ومكارم الاخلاق وتعريف سلوك سبيل الله مما راض به نفسه في مدة عمره اقتفاء لآثار الرسول ص واقتداء به فاقتضت عنايته به ان يحثه على العمل بها وبالله التوفيق **الفصل الثاني** قوله فاني اوصيك بتقوى الله اي بني ولزوم امره وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله واي سبب اوثق من سبب بينك وبين الله ان انت اخذت به احي قلبك بالموعظة وامته بالزهادة وقوه باليقين ونوره بالحكمة وذلله بذكر الموت وقرره بالفناء وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والايام واعرض عليه اخبار الماضين وذكره بما اصاب من كان قبلك من الاولين وسر في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا واين حلوا ونزلوا فانك تجدهم قد انتقلوا عن الاحبة وحلوا ديار الغربة وكانك عن قليل قد صرت كاحدهم فاصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لا تكلف وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال وأمر بالمعروف تكن من اهله وانكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك وجاهد في الله حق جهاده ولا تأخذك في الله لومة لائم وخض الغمرات للحق حيث كان وتفقه في الدين وعود نفسك التصبر على المكروه ونعم الخلق التصبر في الحق والجئ نفسك في الامور كلها الى الهك فانك تلجئها الى كهف حريز ومانع عزيز واخلص في المسألة لربك فان بيده العطاء والحرمان واكثر الاستخارة وتفهم وصيتي ولا تذهبن عنك صفحا فان خير القول ما نفع واعلم انه لا خير في علم لا ينفع ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه

اقول الغمرات الشدائد والمثوى محل الثواء والاقامة وهذا حين افتتح ما يريد ان يوصي به واشتمل هذا الفصل من ذلك على امور احدها تقوى الله وقد علمت حقيقتها فيما سلف ويشبه ان يكون المراد بها هنا الخوف منه تع الثاني لزوم امره وهو من لوازم تقواه الثالث عمارة قلبه بذكره واستعار لفظ العمارة لتكميل قلبه بذكر الله واكثاره منه لانه روح العبادات وكمال النفس كما ان العمارة كمال الدار وهو داخل في لزوم ذكره لقوله تع واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون الرابع الاعتصام بحبله واستعار لفظ الحبل لما يوصل اليه من دينه فيكون التمسك به سببا للنجاة كالحبل واراد بالاعتصام الامتناع بالتمسك به من عذاب الله ثم استفهم عن سبب اوثق منه استفهام انكار وتعجب من وثاقته وهو داخل في لزوم امره لقوله تع واعتصموا بحبل الله جميعا الخامس امره ان يحيي قلبه بالموعظة واستعار وصف الاحياء له باعتبار تكميله لنفسه بالعلم والاعتبار الحاصل عن الموعظة كما يكمل المرء بالحيوة السادس قوله امته بالزهادة ... بين قوله امته السابع ان يقويه باليقين اي من ضعف الجهل للصعود الى افق عليين والنهوض الى مقام الابرار ولما كان اليقين ذخيرة اشتد ادرقوة في العلم ناسب ان يجعله تقوية للقلب الثامن ان ينوره بالحكمة واستعار لفظ التنوير بالحكمة للجلاء لها باعتبار ان ذلك سبب هدايته لسبيل الله في ظلمات الجهل كما ان النار تقد عرفت الحكمة وافنا منها التاسع ان يذلله بذكر الموت وذلك لان كثرة اخطاره بالبال يستلزم الخوف وسكون القلب عن جماحه في ميدان الشهوات وبين ذل من عزة الكبر وهزة العجب وحمية الغضب العاشر ان يقرره بالفناء اي يحمله على الاقرار به بما يذكره له ليتاكد علمه به الحادي عشر ان يبصره فجائع الدنيا اي يحمله على النظر بعين البصيرة والاعتبار الى رزايا الدنيا وآفاتها الثاني عشر ان يحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والايام ولفظ الصولة مستعار له ملاحظة لشبهه بالسبع في اخذه وما يكون بسببه من الاذى الثالث عشر ان يعرض عليه اخبار الماضين ويذكره ما اصابهم لينظر فيما فعلوا وعما انتقلوا من الآثار العظيمة والملك الجسيم ويحصل من ذلك عبرة وقياسا لحاله بحالهم ويستقرب لحاقه بهم وصيرورته كاحدهم فيما صاروا اليه ووجه التشبيه قرب حاله من حال احدهم واليه الاشارة بقوله تع اولم يسيروا في الارض فينظروا الآية الرابع عشر ان يصلح مثواه وهو الدار الآخرة بلزوم الاعمال الصالحة ولا يبيع آخرته وما وعد فيها من الخيرات الباقية بما وجد في دنياه من اللذات الوهمية الفانية ولفظ البيع مستعار الخامس عشر ان يترك القول فيما لا يعرف فان القول بغير علم يستلزم رذيلتي الكذب والجهل ويلحق به الذم ونحوه قول الرسول ص لبعض اصحابه كيف بك اذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم واماناتهم وصاروا هكذا وشبك بين اصابعه قال فقلت مرني يا رسول الله ص فقال خذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخويصة نفسك وكذلك قوله والخطاب فيما لا تكلف كقوله ع من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه السادس عشر ان يمسك عن طريق اذا خاف ضلالته والمراد التوقف عند الشبهات وعدم التسرع الى سلوك طريق يشك في تأديته الى الحق فان توقفه وتثبته عند طلب الحق الى ان يتضح له طريقه خير له من التعسف وركوب ما يخاف الضلال به من الطرق السابع عشر ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فعلا وقولا ويباين من فعله بقدر امكانه وهو من فروض الكفايات وعليهما مدار نظام العالم ولذلك كان القرآن الكريم والسنة النبوية مشحونين بهما واسند رغبه الى ذلك بقوله تكن من اهله لانهم اولياء الله الابرار المرغوب في الكون منهم الثامن عشر ان يجاهد في الله اعداء دينه الجهاد الحق واضافة حق الى جهاده اضافة الصفة الى الموصوف لان الصفة من باب الاهم التاسع عشر لا يأخذه في الله لومة لائم وهو كناية عن نهيه عن التقصير في طاعة الله اذ كان من لوازم المقصر فيها الخوف من لوم اللائمين العشرون ان يخوض الغمرات الى الحق حيث كان ولفظ الخوض مستعار لمعاناة الشدائد

في وصيته الى ابنه الحسن

والمدخول فيها الطلب الحق الحادي والعشرون ان يتفقه في الدين ويتعلم الاحكام الشرعية ومبانيها الثاني والعشرون ان يعود نفسه الصبر على المكروه
وقد علمت ان احتمال المكروه فضيلة تحت الشجاعة وهو من مكارم الاخلاق الثالث والعشرون ان يلجئ نفسه في اموره كلها الى الله تعالى
هو امر بالتوكل على الله والانابة اليه في كل مرغوب ومرهوب وقد علمت حقيقة التوكل وما يستلزمه واسند ترجيحه الى ذلك بقوله فانك
تلجئها الى كهف حريز ومانع عزيز واستعار لفظ الكهف له تعالى باعتبار ان من توكل عليه كفاه ومنعه مما يخاف كما يمنع الكهف من
يلجئ اليه الرابع والعشرون ان يخلص في دعائه ومسئلته لربه اذ كان ذلك من شرائط الاجابة فاسند ترجيحه الى الاخلاص بقوله فان
بيده العطاء والحرمان ليستلزم الانجذاب اليه والاعراض عن غيره والفاء اثلثت فيه وفي قوله فانك وقوله فان بيده جواب
الاوامر الثلثة الخامس والعشرون ان يكثر الاستخارة اي الطلب الى الله تعالى ان يخير له فيما يأتي ويذر السادس والعشرون ان يتفهم
وصيته ولا يعرض عنها وكنى عن الاعراض عنها بالذهاب صفحا وانتصب صفحا على الحال ولاته هبن معرضا واسند ترجيحه للاقناع
بقوله فان خير القول ما نفع والتقدير فان وصيتي نافعة وما نفع فهو خير القول فانت وصيتي خير القول ثم نبهه بقوله
علم الى قوله تعلمه على ان من العلوم ما لا خير فيه لئلا يتشوق الى معرفته فيصده ذلك عن سلوك سبيل الله والعلم المؤدي اليه
وتلك هي العلوم التي نهت الشريعة عن تعلمها كالسحر والكهانة والنجوم والنيرنجات ونحوها مما لا يكون سبيلا الى المقاصد الحقيقية التامة
وتقدير الكلام واعلم ان كل علم لا يحق تعلمه اي لا يثبت في الشريعة تعلمه وجوبا ولا ندبا فهو علم لا ينتفع به في طريق الآخرة فلا خير فيه لان
الخير الحقيقي هو المنفعة الباقية عند الله فما لا منفعة فيه لاخرة ولذلك استعاذ الرسول صلعم منه فقال واعوذ بك من علم لا ينفع
فينتج ان كل علم لا يحق تعلمه فلا خير فيه وبالله التوفيق **الفصل الرابع** قوله اي بني اني لما رأيتني قد بلغت سنا ورأيتني
قد ازددت وهنا بادرت بوصيتي اليك واوردت خصالا منها قبل ان يعجل بي اجلي دون ان افضي اليك
بما في نفسي او ان انقص في رأيي كما نقصت في جسمي او يسبقني اليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا فتكون كالصعب
النفور وانما قلب الحدث كالارض الخالية ما القي فيها من شيء قبلته فبادرتك بالادب قبل ان يقسو قلبك ويشتغل
لبك لتستقبل بجد رأيك من الامر ما قد كفاك اهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد كفيت مؤونة الطلب وعوفيت
من علاج التجربة فاتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه واستبان لك ما ربما اظلم علينا منه اي بني اني وان لم اكن عمرت
عمر من كان قبلي فقد نظرت في اعمالهم وفكرت في اخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كاحدهم بل كأني بما انتهى
الي من امورهم قد عمرت مع اولهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل
امر نخيله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله ورأيت حيث عناني من امرك ما يعني الوالد الشفيق واجمعت
عليه من ادبك ان يكون ذلك وانت مقبل العمر ومقتبل الدهر ذو نية سليمة ونفس صافية وان ابتدئك
بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله وشرائع الاسلام واحكامه وحلاله وحرامه لا اجاوز ذلك بك الى غيره ثم
اشفقت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من اهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم فكان احكام
ذلك على ما كرهت من تنبيهك له احب الي من اسلامك الى امر لا آمن عليك فيه الهلكة ورجوت ان يوفقك
الله فيه لرشدك وان يهديك لقصدك فعهدت اليك وصيتي هذه واعلم يا بني ان احب ما انت آخذ به
الي من وصيتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك والاخذ بما مضى عليه الاولون من آبائك والصالحون
من اهل بيتك فانهم لم يدعوا ان نظروا لانفسهم كما انت ناظر وفكروا كما انت مفكر ثم ردهم آخر ذلك الى الاخذ
بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا فان ابت نفسك ان تقبل ذلك دون ان تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك
بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وعلو الخصومات وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة عليه بالهك والرغبة
اليه في توفيقك وترك كل شائبة اولجتك في شبهة او اسلمتك الى ضلالة فاذا ايقنت ان قد صفا قلبك
فخشع وتم رأيك واجتمع وكان همك في ذلك هما واحدا فانظر فيما فسرت لك وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك
وفراغ نظرك وفكرك فاعلم انك انما تخبط العشواء وتتورط الظلماء وليس طالب الدين من خبط او خلط والامساك
عن ذلك امثل فتفهم يا بني وصيتي واعلم ان مالك الموت هو مالك الحياة وان الخالق هو المميت وان المفني هو
المعيد وان المبتلي هو المعافي وان الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في
المعاد او ما شاء مما لا تعلم فان اشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به فانك اول ما خلقت خلقت جاهلا ثم
علمت وما اكثر ما تجهل من الامر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك فاعتصم بالذي خلقك ورزقك
وسواك وليكن له تعبدك واليه رغبتك ومنه شفقتك واعلم يا بني ان احدا لم ينبئ عن الله سبحانه كما انبأ عنه

[illegible]

نبينا

نبيّنا صلى الله عليه وآله فارض به رائداً والى النجاة قائداً فانّي لم آلك نصيحة وانّك لن تبلغ في النظر لنفسك وان اجتهدت مبلغ نظري لك **اقول** الوهن الضعف والمبادرة المسارعة والمنافسة الرغبة والمفضي الواصل والبغية الطلبة والتوخي القصد واجمعت صممت العزم واسبلته الى كذا خليت بينه وبينه وتمثل ذهب الى الخير وفي هذا الفصل مقاصد الاول انه اشار الى بعض العلل الحاملة له على هذه الوصية وهي كونه قد بلغ سناً عالياً واخذاً في الازدياد في الضعف وذلك انه كان قد جاوز الستين فلزم من ذلك خوفه لاحد الخصال المذكورة فبادره بها مسارعاً اليه وخصال الامر المفعول به وقدّم من تلك الخصال الثلث الاولى ان يعجل به اجله الى الآخرة قبل ان يوصل اليه ما في نفسه من الحكمة الثانية ان ينقص في رأيه وذلك ان القوى النفسانية تضعف عند علوّ السن لضعف الارواح الحاملة لها فينقص بسبب ذلك تصرّف العقل وتحصيله للآراء الصالحة الثالثة انه يسبقه اليه بعض غلبات الهوى فان الصبي اذا لم يؤخذ بالآداب في حداثته ولم ترض قواه لطاعة العقل وموافقته كان بصدد ان يميل به القوى الحيوانية الى مشتهياتها وينجذب في قياد هواه الى الاستعمال بها فيفتنه ويصرفه عن الوجهة الحقيقية وما ينبغي له فيكون حينئذ كالصعب النفور من الابل ووجه التشبيه انه يعسر حمله على الحق وجذبه اليه كما يعسر قود الجمل الصعب النفور بحسب النفرة ثم نبه على وجوب المبادرة اليه بالادب وزرعه في قلبه بضمير صغره بقوله وانما قلب الحدث الى قوله قبلته واشار الى وجه التشبيه بقوله وما ألقي فيها من شيء قبلته وذلك ان قلب الحدث لما كان خالياً من الانتقاش بالعقائد وغيرها مع كونه قابلاً لما يلقى اليه من خير او شر فينتقش به اشبه الارض الخالية من النبات والزرع القابلة لما يلقى فيها من البذر وتقدير الكبرى وكل قلب كان كذلك فيجب ان يسبق اليه بذر الآداب وغرس الحكمة فلذلك بادره بالادب قبل ان يقسو قلبه عن الانقياد للحق والاشتغال بالامور الباطلة ثم اشار الى علة اخرى من العلل الغائية لمبادرته بالادب وهي ان يستقبل بجدّ رأيه وقوة فكره ما قد كفاه اهل التجارب بغيته من العلوم وعوفي فيه من علاج التجربة ومعاناتها فاتاه من ذلك العلم التجربي ما كان اهل التجربة يأتونه ويطلبونه واستبان له ما ربما اظلم عليهم منه وفرق بين من يأتيه العلم صفواً ويلقى اليه بيناً واضحاً وقد كفي فيه مؤونة الاكتساب وبين من سعى اليه وشقي في تحصيله وخاض اليه غمرات الشكوك وظلمات الشبهات وكل ذلك من الامور المقنعة له في قبول الوصية والعمل بما اشتملت عليه من الحكم والآداب لان اهل التجارب اذا كانوا قد جدوا في تحصيله مع ما وجدوا فيه من المشقة فلان يجد هو ويقبله خالصاً من الكلفة اولى المقصود الثاني اشار الى فضيلة نفسه واستكمالها بالعلوم ثم الى كونه في غاية العناية والشفقة عليه والى ما رآه اصلح في تعليمه اياه من العلوم الى غير ذلك وغايته من الجميع استدراجه للقبول لقوله كما علمت من غرض الخطيب في ذكر فضيلته وما يستدرج به للانفعال عما يريد ان يقنع به من الآراء وغيرها فنبه على فضيلته بقوله اي بنيّ الى قوله مجهوله وقوله وان لم اكن في قوة جواب اعتراض مقدر كان قائلاً قال له فكيف حصلت العلوم على تجارب الامور مع حاجة التجربة الى عمر طويل يشاهد فيه الانسان تغيرات الامور وتقلبات الدهور فقال اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي فشاهدت لعوالمهم لكني نظرت في اعمالهم وفكرت في اخبارهم المأثورة وسرت في آثارهم سيراً محسوساً ومعقولاً حتى عدت كاحدهم في تجارب امورهم وقوله فعرفت عطف على قوله فسرت وقوله فتلك اشارة الى ما انتهى اليه من امورهم وكنى بالصفو عن الخير وبالكدر عن الشر اي فعرفت خير امورهم من شرها ونفعها من ضرها واستخلصت لك من كل امر جليله وهو خيره وما ينفع منه عند الشبه من العلوم والعبر النوافع وروى نخيلته اي خالصه وقوله وصرفت لك جميله اي الامر الحسن منه دون قبيحه وصرفت عنك مجهوله اي ما اشتبه عليك امره والتبس الحق فيه وقوله ورأيت حيث عناني الى آخره اشارة الى كمال عنايته وشفقته عليه ووجوه اختياره له ما هو الاولى به من العلوم واجمعت عطف على يعنى وان يكون في محل النصب على انه مفعول له لرأيت وتكون هنا تامة والواو في قوله وانت مقبل الحال وان ابتدئك عطف على ان يكون والمفعول الثاني لرأيت محذوف تقديره انفع واصلح وتقدير الكلام ورأيت حيث عناني من امرك ما يعني الوالد الشفيق من امر ولده من النظر في مصلحته والاهتمام باحواله وما صممت عزمي عليه من تأديبك ان يكون ذلك التأديب حال اقبال عمرك بحال كونك ذا نية سليمة من الامراض النفسانية والاخلاق الذميمة وكونك ذا نفس صافية من كدر الباطل وان ابتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله وما يشتمل عليه من شرائع الاسلام اي قوانينه واحكامه وحلاله وحرامه واقتصر بك على ذلك كما اقتصر عليه من السلف وقوله ثم اشفقت عطف على رأيت اي كنت رأيت ان اقتصر بك على ذلك ولا اجاوز بك الى غيره من العلوم العقلية ثم خفت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من اهوائهم وآرائهم مثل ما التبس عليهم اي التباساً مثل الالتباس عليهم فكان احكام ذلك اي ما اختلف الناس فيه على ما كرهت له من تنبيهك له احب اليّ من اسلامك الى امر لا آمن عليك فيه الهلكة في الدين وذلك الامر هو ما اختلف الناس فيه من المسائل العقلية الالهية التي يكثر التباس الحق فيها بالباطل وتكثر فيها الشبهات المغلطة وهي مظنة الخطر والانحراف بها عن سبيل الحق الى سبيل الهلاك واحكام ذلك الامر ببيان وجه البرهان فيه وكيفيته

في وصيته الى ابنه الحسن ع

التخلص من شبهة الباطل ومزاجه وقوله ورجوت ان يوفقك عطف على اشفقت والضمير المجرور في يعود الى ما اختلف الناس فيه
المقصود الثالث الاشارة الى بيان ما هو الاحب اليه ان يأخذ به من وصيته والارشاد الى كيفية اخذه وما ينبغي ان يبدأ قبل الشروع
من الاستعانة بالله والرغبة اليه في التوفيق الى غير ذلك من الآداب التي يتم بها الاستعداد للبحث والتعلم فمن الاحب اليه تقوى الله
الذي هو الزاد المبلغ اليه ثم الاقتصار على ما افترضه الله عليه من النظر في ظواهر الادلة دون التوغل في الفكر وخوض الشبهات فيما لم
يكلف به اخذا بما مضى عليه الصالحون من اهل بيته كحمزة وجعفر والعباس وعبيدة بن الحرث وغيرهم من بني هاشم وقوله فانهم لم
الى قوله لم يكلفوا ترغيب له في الاخذ بما اخذوا به وتنفير له عن التوغل والتعمق بضمير صغراه ما ذكر وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك
فينبغي الاقتداء به في الاخذ بما عرف والامساك عما لم يكلف وقوله فان ابت الى قوله بيان للكيفية التي ينبغي ان يكون عليها
طلبه للعلوم العقلية والتدقيق فيها ان ابت نفسه الاقتصار على ما افترضه الله عليه اي فليكن طلبك لما انت طالبه من ذلك على
وجوه احدها التفهم للمقاصد والتعلم للحق والطلب له لا على وجه التعلم لعلم الشبهات والتورط فيها والمشاغبة بها فان ذلك مما يصد عن
تعلم الحق ويمنع من قبوله الثاني ان يبدأ قبل نظره في ذلك الطلب بالاستعانة بالله والرغبة اليه في توفيقه لاصابة طريق الحق والوصول
اليه في توفيقه لاصابة طريق الحق والوصول اليه الثالث ان يترك كل شائبة اولجته في شبهة كالعادات في نصرة المذاهب الباطلة
بحسب اتباع الهوى والآراء التي يطلب بها الرياسات فان النفس اذا كانت فيها شائبة محبة لامر حسبانية لم يتضح لها طريق الحق بل كانت
الى الانحراف في طرف الضلال والشبه المناسبة للمطالب الباطلة اقرب وتلك الطرق اعرف عندها لمكان تلك الشائبة فينبغي للسالك
ان يدفع عن نفسه كل شبهة تقود الى ضلالة ولفظ الاسلام مستعار لاهماله وعدم جذبه عما يتورط فيه من الامور المضلة ثم قال
فاذا ايقنت الى اي فاذا اعددت نفسك للطلب لنظرها ذكرت لك وتحققت ان قد صفا قلبك من كل شائبة الى النظر فخشع
من خشية الله ان يؤاخذك بتركه ثم رأيك وعزمك عليه فاجتمع متفرقه حتى لا يتلفت الى تركه التفات وكان همك فيه هما واحدا لا يتشعب
الى غيره فانظر فيما فسرت لك وبينته عليه من المسائل العقلية الالهية كما سيأتي وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظرك
وفكرها عن الشواغل المنافية للعلم وطلبه ونظرك فاعلم انك في خوضك وطلبك له انما تخبط خبط عشواء وتتورط الظلماء وكل
من كان كذلك فليس هذا الطلب الذي له من اصوله وحذف المضاف الى العشواء واقام المضاف اليه مقامه واستعار وصف الخبط له
باعتبار انه طالب للعلم من غير استكمال شرائط الطلب على غير وجهه فهو متعسف سالك على غير طريق المطلوب كالناقة العشواء وكذلك لفظ
الظلماء للشبه باعتبار ان الذهن لا يهتدي فيها الى طلب الحق كالماشي في الظلماء المقصود الرابع امره بتفهم وصيته وتنبيهه على جملة من صفات
الله وافعاله التي قد يتوهم التضاد والتنافي في اسنادها الى مبدء واحد واشار الى انها ليست بمتضادة وان مبدئها واحد فاما
الصفات فهو ان القادر على الموت وهو له ان يميت هو القادر على الحيوة وله ان يحيي باعتبار ان اسباب الموت والحيوة ينتهي اليه وكذلك
الخالق هو المميت فان فاعل الخلق هو مفقد الموت الذي ينتهي اليه اسبابهما والحق في الاعتبار الى ما شاء وقوله ثم يحيي ويميت
ربكم ورب آبائكم الاولين فيحيى ويميت باعتبار انه الفاعل الاول لهما وباعتبار انه الرب المطلق هو المالك الاول لهما وكذلك المفني هو المعيد
والمبتلي هو المعافي باعتبار انتهاء اسباب الفناء والاعادة والابتلاء والمعافاة اليه وقد علمت ان كل هذه الامور اعتبارات عقلية تلحق
معقولية الواجب سبحانه بالقياس الى مخلوقاته وآثاره كما استقصيناه في الخطبة الاولى واما الافعال فهو انه تعالى لما خلق الدنيا لم يكن
خلقها واستقرار وجودها الا على ما خلقها الله عليه من الفتنة ما يعد نعمة في حق بعض العبيد من مال وصحة ونحوهما والابتلاء بما يعد
بلاء من الفقر والمرض ونحوهما وان كانت النعماء ايضا ابتلاء كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ثم لزوم الجزاء في المعاد للنفوس
المبتلين والمنعم عليهم بحسب طاعتهم ومعصيتهم في النعمة والابتلاء وكذلك خلقها على ما شاء مما لا يعلم وجه الحكمة فيه واعلم انه قد ثبت
في اصول الحكمة ان المقصود من العناية الالهية بالذات انما هو الخير والشرور الواقعة في الوجود فكائنة بالعرض من حيث انه لا يمكن
نزع الخير وتجريده عنها ولما كان الخير غالبا في الوجود وكانت الشرور امورا لازمة اقلية لم يمكن ترك الخير الكثير لاجلها لان ترك الخير
الكثير لاجل الشر القليل شر كثير في الجود وذلك معنى قوله ع وان الدنيا لم يكن ليستقر الا على ما جعلها الله عليه مما عددناه مما يعلم كونه
خيرا او شرا او لا يعلم حاله اي لم يمكن خلقها الا على ما فيها من خير مراد بالذات وشر مراد بالعرض ولزوم الجزاء على السيئة وعقاب النفوس
في المعاد عليها من الشرور اللازمة لما حصلت عليه من الهيئات البدنية والملكات الرديئة في الدنيا كما علم ذلك في موضعه وقوله فان
اشكل الى آخره اي فان اشكل عليك شيء من اسرار القدر وخفي عليك وجه الحكمة فيه فلا تتوهم خلوه عن حكمة بل احمله على جهالتك
به فانك اول ما خلقت جاهلا ثم علمت كما قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا الآية ونصب اول على الظرف وجاهلا
على الحال وروي اول مرفوعا بالابتداء وجاهل بالرفع خبر له ثم نبهه على كثرة ما يجهله من الامور ثم يدركه فيما بعد
ما لا يدرك وجه الحكمة فيه من ذلك القبيل ثم امره بالاعتصام بالله والالتجاء اليه في اموره وان يجعل له عبادته والرغبة اليه ومنه شفقته

لا ترقم

في وصيته الى ابنه الحسن

ج ٣ ص ٢

لانه نعم امور موجود بذلك واولاه بالامور المذكورة الفصول الخامسة للاشارة الى فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله على سائر الانبياء لزيادة علمه عليهم في ايضاح الخبر عن الله تعالى وبيان المطالب الحقيقية التي اشتمل عليها الكتاب العزيز من اسرار التوحيد والقضاء والقدر واحوال المعاد فان احدا من الانبياء السابقين عليه لم يفصح عن هذه الامور كافصاحه ولذلك كانت هداية هذه الامة على ما جاء به اتم واكمل من هداية سائر الامم السابقة عما جاءت به انبياؤها وكانت عيون بصائرهم ابسط انوارا واكثر انتشارا وغاية ذكر فضيلته صلى الله عليه وآله هنا ان يرضى برائده ودلالته على طريق النجاة في الآخرة واستعار له لفظ الرائد باعتبار انه قد اخبر بما في الآخرة من الثواب العظيم واستعاذة الباقية وبشر بها امته كما يبشر الرائد اهله بوجود الكلاء والماء بعد ارتياده ثم اردف ذلك ببيان انه لم يزل ناصحا له وانه لم يبلغ نظره لنفسه وان اجتهد في ذلك مبلغ نظره له ليتأكد الاقناع برايه وشوقه عليه فيما يراه له ونصيحة نصب على التمييز.

الفصل الخامس قوله واعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت افعاله وصفاته ولكنه اله واحد كما وصف نفسه لا يضاده في ملكه احد ولا يزول ابدا ولم يزل اول قبل الاشياء بلا اولية وآخر بعد الاشياء بلا نهاية عظم عن ان تثبت ربوبيته باحاطة قلب او بصر فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك ان يفعله في صغر خطره وقلة مقدرته وكثرة عجزه وعظيم حاجته الى ربه في طلب طاعته والرهبة من عقوبته والشفقة من سخطه فانه لم يأمرك الا بحسن ولم ينهك الا عن قبيح **اقول** اشار في هذا الفصل الى الحجة على وحدانية الصانع سبحانه وعلى جملة من صفاته ثم الى ما ينبغي ان يفعله من ملاحظة عظمته نعم من الصفات المذكورة فاذن ههنا ابحاث **البحث الاول** الحجة على وحدة الصانع وهي شرطية متصلة مقدمها قوله لو كان لربك شريك وتاليها لاتتك رسله الى قوله ولعرفت افعاله وصفاته ويستنتج منها استثناء نقيض تمام التالي لينتج نقيض المقدم ثم بيان الملازمة انه لو كان له شريك لكان شريكه الها مستجمعا لجميع شرائط الالهية والا لم يصلح للشركة لكن من لوازم الالهية امور احدها الحكمة في وجوب بعثة الرسل الى الخلق ووصولهم اليهم لما علمت من برهان وجوب البعثة في موضعه الثاني يلزم ان يكون آثار ملكه وسلطانه وصفات افعاله ظاهرة مشاهدة الثالث ان يعرف افعاله وصفات ذاته لكن هذه اللوازم كلها باطلة اما الاول فلانه لم يأتنا رسول ذو معجزة يدلنا على الثاني ويخبرنا عنه واما الثاني فلان آثار الملك والسلطان وعظمة الملك واحكامه انما يدل على حكيم قادر فاما على التعدد فلا واما الثالث فلان تجدد الافعال التي نشاهدها انما يدل على فاعل فاما على التعدد فلا وكذلك صفات الالهية المكتسبة بواسطة الافعال من العلم والقدرة والارادة وغيرها انما يدل على صانع موصوف بها فاما على صانعين او اكثر فلا فاذن القول بان لربنا شريكا قول باطل لا برهان عليه كما قال تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به الآية وقوله انه واحد كما وصف نفسه من لوازم النتيجة لانه اذا بطل القول بثاني الاله ثبت انه اله واحد كما وصف هو نفسه بقوله قل هو الله احد وهو الله الواحد القهار وانه لا يضاده في ملكه احد اي يعانده في افعاله وينازعه في ملكه كما هو عادة الملوك واعلم ان هذه الحجة اقناعية كما هو غاية الخطيب من الخطابة وليست برهانية لانه ان اريد في الشرطيات وجود الثاني ليس لزم وجود آثار وافعال وصفات تخصه ويعلم اختصاصه بها فالملازمة ممنوعة لان الالهين سواء كانا متفقي الحقيقة او مختلفي الحقيقة لا يلزم ان يختلف افعالهما ولوازمهما بالنوع ويختص كل منهما بلازم خاص وفعل خاص لا يوجد للآخر بل جاز ان يتفقا في اللوازم والآثار وان اريد ان وجوده يستلزم ان يعرف آثار وافعال ولوازم لا يخصه بل جاز ان يشاركه فيها الاله الآخر فهذا مسلم لكن لا يمكن الاستدلال ببطلان التالي ههنا وهو ظاهر لانا نرى آثار ملك وافعال ولوازم وصفات لا تدل على احديته فاعلها والموصوف بها ولا على ثنويته وانما يدل على مطلق فاعل وملزوم ما فلا يمكن بطلانها ورفعها ولان رفعها يستلزم رفع وجود الاله المطلق لاستلزام عدم اللازم عدم الملزوم لا رفع التالي خاصة **البحث الثاني** كونه تعالى لا يزال ابدا وانه لم يزل وهو اشارة الى دوام وجوده وثباته ازلا وابدا وبرهانه انه تعالى واجب الوجود وكل واجب الوجود لذاته فهو دائم الوجود وثابت ازلا وابدا اما الصغرى فقد مر برهانها واما الكبرى فلانه لو جاز عليه الزوال والعدم لما كان واجب الوجود لذاته وفساد التالي يستلزم فساد المقدم فاذن هو دائم الوجود ازلا وابدا **البحث الثالث** كونه اولا قبل الاشياء بلا اولية لوجوده وكونه آخرا بعد الاشياء بلا نهاية لوجوده اما الاول فلانه لو كان لوجوده اولية لكان مسبوقا بالعدم فكان محدثا فكان ممكنا هف واما الثاني فلانه لو كانت آخريته منقطعة بنهاية لكان ملحوقا بالعدم فلم يكن واجب الوجود لذاته هف **البحث الرابع** كونه اعظم ان تثبت ربوبيته باحاطة قلب وبصر اي هو اعظم ان يطلع احد بقلبه وبصره على كمال صفات ربوبيته والاعتبارات المعتبرة فيها ووجه التنبيه على ذلك انك علمت ان صفة الربوبية وسائر صفات الالهية باعتبار الخارج نفس حقيقته تعالى وباعتبار العقل امور يعتبرها العقول لذاته بالقياس الى مخلوقاته وآثاره وعلى الوجهين فهو اعظم ان تثبت ربوبيته باحاطة قلب وبصر اما في الخارج فلان صفة ربوبيته هي نفس ذاته فكانت احاطة العلم بها موقوفة على احاطته بكنه ذاته وقد علمت انها بريئة عن وجوه التركيب فيمتنع الاحاطة

تمام م

الخشية م

بها لغيرها واما في تعقل فلان اعتبار صفة الربوبية واحاطة العقول بها موقوف على الاحاطة بجميع اعتبارات صفات الكمال ونعوت الجلال
اذ اعتبار ربوبيته المطلقة مستلزم لاعتبار الحيثية المطلقة المستلزم لاعتبار جميع ما له من صفات الالهية وقد علمت ان تلك الاعتبارات
غير متناهية فهي اعظم ان يحيط بها عقل بشري فضلا ان يتعلق بها [illegible] **البحث الخامس** اعلم انه لما نبهه على عظمة الله
سبحانه وكمال ذاته في الاعتبارات المذكورة امره ان يفعل كما ينبغي ان يفعله من هو مثله في النقصان بالنسبة الى عظمة الله سبحانه وتطيعه
حق طاعته ويعبده بكمال عبادته وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وعدد له وجوه النقصان المعتبرة له في كل منها بالقياس الى كمال
ذاته من صغر منزلته بالنسبة الى عظمته تعالى وقلة مقدرته وكثرة عجزه اشارة الى كمال قدرته وكذلك عظم حاجته الى ربه
في كل حال من طلب تقويته واعداده لطاعته والرهبة من عقوبته والاشفاق [illegible] كل ذلك بالنسبة الى غنائه المطلق في
كل شيء عن كل شيء وقوله فانه الى قوله قبيح تنبيه اجمالي على وجوب طاعته في كل ما امر به ونهى عنه وحذيره الى فعل كل ما امر
به بكونه حسنا والى الانتهاء عن كل شيء بكونه قبيحا وقد علمت ان الغاية من بعثة الرسل ووضع الشرائع والسنن هي نظام
احوال الخلق في معاشهم ومعادهم فلا بد اذن في كل امر ونهي من سر وحكمة يوجب حسن المامور به وقبح المنهي عنه ولهذا الكلام
وشبهه تعلقت المعتزلة بمسئلة الحسن والقبح العقليين وبالله التوفيق **البحث السادس** يا بني اني قد انبأتك عن
الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها وانبأتك عن الآخرة وما اعد لاهلها فيها وضربت لك فيهما الامثال لتعتبر بها
وتحذو عليها انما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل جديب فاموا منزلا خصيبا وجنابا مريعا فاحتملوا
وعثاء الطريق وفراق الصديق وخشونة السفر وجشوبة المطعم ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم فليس يجدون لشيء
من ذلك الما ولا يرون نفقة مغرما ولا شيء احب اليهم مما قربهم من منزلهم وادناهم من محلهم ومثل من اغتر بها
كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب فليس شيء اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه
الى ما يهجمون عليه ويصيرون اليه يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره
له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم واحسن كما تحب ان يحسن اليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارض
من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل ما لا تعلم وان قل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب ان يقال لك واعلم ان الاعجاب
ضد الصواب وآفة الالباب فاسع في كدحك ولا تكن خازنا لغيرك واذا انت هديت لقصدك فكن اخشع ما تكون
لربك **اقول** الجديب ضد الخصيب والسفر المسافرون واموا قصدوا والجناب الفناء والمنزل والمريع ذو الكلاء والخصب ووعثاء
السفر مشقته وجشوبة المطعم غلظه وهو وقع نبهت الكلام الكسب في الفصل مطلوبان احدهما انه نبهه على حال الدنيا والآخرة
وذكره بما خبره عنهما من صرفه نزوال الدنيا وانتقالها وبقاء الآخرة وما اعد لاهلها فيها من السعادة الباقية التي
اشتمل على تعديد انواعها الكتاب العزيز والسنة الكريمة وضرب لطالبيهما مثلين ليكون ممن اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة
فالمثل الاول مثل من خبر الدنيا وعرف زوالها وانتقالها وخبر الآخرة وبقائها وما اعد فيها لاهلها ومثله بقوم سفر نبا
فارقوا منزلا جديبا الى منزل خصيب ووجه مطابقة هذا المثل ان النفوس البشرية لما كانت في عالم المجردات وكانت الحكمة
في هبوطها الى هذا العالم ومقارنتها لهذه الهياكل الجسمانية الكثيفة في دار الغربة ومحل الوحشة من عالمها هو ان يحصل
بواسطتها الكمالات العقلية التي انما تمكن لها بواسطتها ثم يرجع الاستكمال عنها الى عالمها الاعلى طاهرة عن علائق هذه الهياكل
وهيئاتها الردية كما اخذ عليها في العهد القديم كانت كل نفس حفظت عهد ربها وبقيت على صراطه المستقيم فهي في المدة المقدرة
لها ناظرة بعين الاعتبار الى ان الدنيا كالمنزل الجديب خال عن المطاعم الحقيقية والمشارب لغذيه هنيئة فهو لذلك غير صالح
للاستيطان والاقامة وان عالم الآخرة كالمنزل الخصيب والجناب المريع من وصل اليه مستقيما على اوامر الله ونواهيه فاز بالمقاصد
السنية واللذات الباقية فكانت ابدا في طريق السفر في منازل طريق الله والاستعداد للوصول الى حضرته الشريفة محتملة
لمشقة ذلك السفر من معاناة الجوع والظماء ومقاساة السهر قصدا الى سعة الدار ومنزل القرار لا تجد من تلك الما ولا تعد ما
تنفقه من المال والعمر فيه مغرما ولا شيء احب اليها من وسيلة تقربها الى تلك المنازل الذي منه والجناب الذي قصدته فاشبهت
في ذلك من وصل الى منزل جديب علم ان امامه منزلا خصيبا فاقتضى رايه الحسن ان يحتمل وعثاء السفر ومشقته ليحصل
على الراحة الكبرى واما المثل الثاني فهو مثل اهل الدنيا الذين فاتتهم نفوسهم الامارة بالسوء اليها فغفلوا فيها عما ورائها
ونسوا عهد ربهم واعرضوا عما ذكروا به من اياته وشبههم بقوم كانوا في منزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب فالمنزل الخصيب
في هذا المثل هو الدنيا الا انها محل سعادة اهلها ونعيمهم والمنزل الجديب هو الآخرة اذ لم يكونوا قد استعدوا للذات
السعادة فيها ووجه تشبيههم بالقوم هو ما ذكره من انه ليس شيء اكره اليهم الى آخره اي ليس شيء اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة

ما هم فيه

الجزو

ما هم فيه من الدنيا الى ما يهجمون عليه من الاهوال ويصيرون اليه من مقاساة السلاسل والاغلال كما انه ليس شيء اكره الى القوم من مقامهم
منزل خصيب كانوا فيه الى منزل جديب يهجمون عليه وفي هذين المثلين اشارة الى قول الرسول ص الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر المطلوب
الثاني الوصية باصلاح معاملته مع الخلق فاشار عليه ان يجعل نفسه ميزانا بينه وبين غيره ووجه استعارة لفظ الميزان له انه
يكون ذا عدل بين نفسه وبين الناس كالميزان ثم شرح وجوه العدل والتسوية التي امره ان يكون ميزانا باعتبارها فمنها امور
ثبوتية ومنها امور سلبية فالاول ان يحب لغيره ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها وفي الحديث المرفوع لا يكمل ايمان عبد حتى
يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه وسر الحديث ان ذلك من كمال فضيلة العدالة التي هي من كمال الايمان الثاني ان لا
يظلم كما لا يحب ان يظلم فيسلم من رذيلتي الظلم والانظلام الثالث ان يحسن الى الغير كما يحب ان يحسن اليه والاحسان فضيلة تحت العفة
الرابع ان يستقبح من نفسه ما يستقبح من غيره فينزجر عن جميع مناهي الله وهو من لوازم المروة ولذلك قال الاحنف اذ سئل عن المروة
هي ان تستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك الخامس ان يرضى من الناس ما يرضاه لهم من نفسه اي كل ما رضي ان يفعله بهم
من خير او شر ان فعله فينبغي ان يرضى بمثله منهم وفيه تنبيه على انه لا يجوز ان يفعل الشر لعدم لازمه وهو الرضا منهم به السادس
ان لا يقول ما لا يعلم وان قل ما يعلم وانما قال وان قل ما يعلم لان تصور قلة العلم قد يكون داعية لبعض الناس الى ان يقول
بغير علم لئلا ينسب الى الجهل فيضل ويضل كما قال تع ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير السابع
ان لا يقول لاحد ما لا يحب ان يقال له كالمواجهة بعيوب الالقاب المكروهة وكل كلام موذ الثامن نبهه على وجوب ترك
الاعجاب بانه ضد الصواب هو سلوك طريق الله باستجماع مكارم الاخلاق وكان الاعجاب من رذائل الاخلاق كان مضادا للصواب
مضادة الرذيلة للفضيلة وبانه آفة للعقول اذ هو من اكبر امراض العقل وآفاته المهلكة له كما اشار اليه الرسول ص ثلث مهلكات
الى ان قال واعجاب المرء بنفسه التاسع ان يسعى في كدحه اي فيما ينبغي له من كسب الطاعات وقيل اراد بالكدح ما اكتسبه من المال
وما ينبغي فيه انفاقه في سبيل الله الحادي عشر ان يكون عند هداية الله اياه لرشده اخشع ما يكون لربه وذلك ان الهداية لرشده
هي العلم بالطريق الى الله تع في جميع ما عدد من مكارم الاخلاق والعلم بالطريق المؤدية اليه حين سلوكها يستلزم ملاحظة جلاله
وعظمته وهناك يكون الخشوع الحق التام لقوله تع انما يخشى الله من عباده العلماء

الفصل السابع

قوله واعلم ان امامك
طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة وانه لا غنى بك عن حسن الارتياد وقدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر فلا
تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك واذا وجدت من اهل الفاقة من يحمل لك زادك الى
يوم القيامة فيوافيك به غدا حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله اياه واكثر من تزويده وانت قادر عليه فلعلك تطلبه
فلا تجده واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك واعلم ان امامك عقبة كؤودا المخف
فيها احسن حالا من المثقل والمبطئ عليها اقبح حالا من المسرع وان مهبطها بك لا محالة على جنة او على نار فارتد
لنفسك قبل نزولك ووطئ المنزل قبل حلولك فليس بعد الموت مستعتب ولا الى الدنيا منصرف واعلم ان الذي بيده
خزائن السموات والارض قد اذن لك في الدعاء وتكفل لك بالاجابة وامرك ان تسئله ليعطيك وتسترحمه ليرحمك
ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه يلجئك الى من يشفع لك اليه ولم يمنعك ان اسأت من التوبة ولم يعيرك بالانابة
ولم يعاجلك بالنقمة ولم يفضحك حيث الفضيحة ولم يشدد عليك في قبول الانابة ولم يناقشك بالجريمة ولم يؤيسك من
الرحمة بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشرا وفتح لك باب المتاب وباب
الاستعتاب فاذا ناديته سمع نداءك واذا ناجيته علم نجواك فافضيت اليه بحاجتك وابثثته ذات نفسك وشكوت
اليه همومك واستكشفته كروبك واستعنته على امورك وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره من زيادة
الاعمار وصحة الابدان وسعة الارزاق ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما اذن لك فيه من مسئلته فمتى شئت استفتحت
بالدعاء ابواب نعمه واستمطرت شآبيب رحمته فلا يقنطنك ابطاء اجابته فان العطية على قدر النية وربما اخرت
عنك الاجابة ليكون ذلك اعظم لاجر السائل واجزل لعطاء الآمل وربما سألت الشيء فلم تؤتاه واوتيت خيرا منه
عاجلا او آجلا او صرف عنك لما هو خير لك فلرب امر قد طلبته فيه هلاك دينك لو اوتيته فلتكن مسئلتك فيما
يبقى لك جماله وينفى عنك وباله فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له **اقول** الارتياد الطلب والطوف والطاقة ما يتسع له
قدرتك والوبال الهلاك وكؤود شاقة المصعد والنزوع عن الذنب الخروج منه والافضاء الوصول والبث النشر والكشف
الشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر والقنوط اليأس والاستعتاب طلب العتبى وهي الرجوع الى الرضا وفي الفصل مطالب
احدها الوصية بالسعي في تحصيل الكمالات النفسانية الباقية والثاني طرح الرذائل المنقصة فنبهه على الاول بان امامه سفر

في وصيته لابنه الحسن ع

الى الله طريقا طويلا شديدا وفطالت الطريق التي يكون لذلك لابد لسالكه من حسن الطلب للقصد فيه الى مطلوبه ومن قدر مبلغه من
الزاد واستعار لفظ الطريق لما يسير فيه الانسان من احوال الدنيا ويعبر منها الى الاخرة واشار بطولها وشدتها الى عسر النجاة
فيها والسلامة من خطرها اذ كان مدار ذلك انما يكون بلزوم القصد والثبات على سنن العدل والاستقامة على حاق الوسط
من مكارم الاخلاق اذ علمت ان لكل من القوة الشهوية والغضبية حدا يجب وقوف الانسان عنده وهو العدل و
عنه انزادا واحد وواضعها اذ هو محفوف بطرفي تفريط وافراط قل ما يسلم الانسان من الوقوع في احدهما وهما طريقان جهنم
فبالحري ان يكون طريقا هذا مسافة يصل الانسان منها الى غاية الا على بعد بعيد ولا يحصل منها على خير الا بجهد جهيد و
استعار لفظ الزاد للتقوى والكمالات التي هي بلاغ الانسان في تلك الطريق الى الله تعالى وبه يكون النجاة فيها والخلاص من
مهالكها ونبهه على الثاني بقوله مع خفة الظهر الى قوله وبالا عليك واستعار لفظ الخفة لتقليل اكتساب الاثام وحملها
على النفس ولفظ الحمل لاكتسابها ووجه الاستعارة الاولى ان مقلل الاثام سريع القطع لتلك الطريق قريب الى النجاة فيها من مخاوفها
كما قال ع تخففوا تلحقوا وكما اشار اليه الرسول صلعم نجا المخففون ووجه الثانية ان مكتسب الاثام يثقل بها ويبطئ عن لحوق المخفين
ويهلك بها في طريقه وكثرة تخلفه ناصبه لكثرة اكتسابه كما يكون حال المثقل في الطريق البعيدة ولفظ الظهر ترشيح المطلوب
الثالث التنبيه على وجوب انفاق المال في وجوه الصدقة والبر لمن يحتاج اليه من اهل الفاقة وذلك قوله واذا وجدت الى قوله
عسرتك وجذب براعة لذلك بامرين احدهما كون ذلك زادا يحمله ذو الفاقة الى يوم القيمة ويلقاه به هنالك في موضع الحاجة
اليه واستعار لفظ الزاد هنا لما يحصل من فضيلة السخا والكرم بالانفاق ووجه الاستعارة كونه سببا لسلامة النفس من الهلاك
في طريق الاخرة ووسيلة الى السعادة الباقية كالزاد المخلص للمسافر في طريقه والمبلغ الى مطالبه واستعار للمتصدق عليه وصف
الحامل للزاد باعتبار انه سبب لحصول الفضيلة بتلك الصدقة ووصول ثوابها الى المتصدق في يوم القيمة فوجدانه لتلك الفضيلة
وظهورها في صحيفة الاعمال للمتصدق في يوم القيمة هو المشار اليه باداء فاتها غدا ثم امره ان يغتنم ذا الفاقة عند وجدانه وان يحمله
ذلك الزاد ويكثر من تزويده وتحميله للزاد حال من هو قادر على تحصيله وجذب الى اغتنامه ولما رغم الى الصدقة بقوله فلعلك
تطلبه فلا تجده لان الوسيلة الى امر عظيم اذ كان في معرض ان يطلب فلا توجد ثم وجدت في وقت فمن الواجب ان يغتنم تحصيلها ولا
يهمل الثاني كون تصدقه على ذي الفاقة قرضا للمتصدق في حال غناه بالمال يقضى له يوم عسرته وفقره واستعار وصف المستقرض
هنا لله باعتبار انه هو المجازي بالثواب من انفق ماله في طاعته والى الاشارة بقوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا
كثيرة وبين كون القرض في حال الغناء والقضاء في حال العسرة ليكون القضاء افضل فيرغب في القرض لغاية الربح المطلوب الرابع التنبيه
على شدة طريق الاخرة وعلى وجوب الاستعداد لها بالخفة من حمل الاثام والسرعة فيها قبل انقضاء الايام واستعار لفظ العقبة
لما فيها من الصعود والارتفاع في درجات الكمال بالفضائل عن مهابط الرذائل ووصفها بشدة الصعود باعتبار ما في ذلك الارتقاء
من التعسر وكثرة الموانع وجذب الى الاستعداد بامور ثلثة احدها كون المخف فيها احسن حالا من المثقل وهو ظاهر كما قدمناه الثاني
كون المبطئ فيها اقبح من المسرع وهو ايضا ظاهر اذ كان المبطئ فيها واقفا في احد طرفي الافراط والتفريط مشغولا بما هو فيه ملتفتا عما بين يديه
حتى اذا انصرم اجله بقي في مهاوي الهلاك اسيرا وعلى ما فاته من سرعة السير حسيرا الثالث ذكر الغايتين منها وهي الجنة والنار وانه
لا بد من ناديها وهبوطها بسالكها على احدهما وهو ظاهر ايضا فان خوض الانسان في احوال الدنيا والتصرف فيها الى غاية انقطاعها
ووصول الاخرة اما ان يكون على وجه القصد ولزوم سمت القبلة الحقيقية وتجنب طريق طرفي الافراط والتفريط وبذلك يكون
هجوم تلك الطريق وهبوطها بسالكها على الجنة واما ان يكون على وجه الارض لا انحراف عن ذلك القصد والتعريج عنه الى ما في
تلك الطريق من مناهي الله وابواب محارمه وبذلك يكون هبوطها بسالكها على النار وتسمية الهبوط اليهما مجاز باعتبار ما رتبهما
الى حكم الغايتين كالهابط بالشيء ليوصله الى القراره ثم امره ان يرتاد لنفسه ويطلب ما يكون سببا للنجاة فيهما ويحسن حاله قبل نزوله
احد المنزلين اللذين هما غايتاهما ليكون هبوطها به على الجنة وان يوطئ المنزل الذي يريد سكناه بالاستعداد له وروي يوطن
بالنون اي يتخذه وطنا المطلوب الخامس التنبيه على الدعاء والترغيب فيه وسره دوام ملاحظة جلال الله والانقطاع اليه اذ هو مبدأ
كل محبوب ومعطي كل مطلوب ورغب في ذلك بامور احدها ان بيده تعالى خزائن السموات والارض وهو في قوة صغرى ضميرها تقديره
كبراه وكل من كان كذلك كان احق بالرغبة اليه من كل احد الثاني انه تعالى اذن في الدعاء وتكفل بالاجابة فقال ادعوني استجب لكم
ونظم الكبرى فكالاول الثالث انه امر الخلق ان يسالوه ليعطيهم في قوله تعالى واسئلوا الله من فضله وكذلك ان يطلبوا منه الرحمة
ليرحمهم وذلك ان افاضة الرزق والرحمة وكل فضل منه وانما يوجد بعد الاستعداد له بالاخلاص في الطلب والاسترحام وغيره كما علم
في مظانه ونظم الكبرى وكل من كان كذلك فواجب ان يسال ويسترحم الرابع انه لم يجعل بينه وبين الراغب اليه حاجبا ولا بوابا

لتقدسه سبحانه عن الجسمية والجهة وصفات المحدثات بل يتجلى في كل شيء لكل من فتح عين بصيرته ووجهها الى مطالعة كبريائه وعظمته وتفرده
الكبرى وكل من كان كذلك فهو اولى من ان يسئل ويسترحم الخامس انه لم يلجئه الى من يشفع اليه لان التشفيع انما يحتاج اليه عند بعد المطلوب
من جهة المرغوب اليه اما لبخله او لحاجته او جهله باستحقاق الطالب والباري تعالى لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما يتوقف فيضه على استعداد
الطالب له ولم يجعل سبحانه للراغبين اليه ضرورة الى الشفعاء اذ مكنهم من الاستعداد لنيل مطلوباتهم منه وهيأ لهم اسبابها وفتح
لهم ابواب رحمته فان عرضت لهم حاجة الى شفيع فليس ذلك عن ضرورة والجاء الى ذلك السادس انه لم يمنعه ان اساء من التوبة
بل امره بها ووعد عليها فقال يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم الجنة وقال بعد
ان عدد الكبائر وتوعد عليها الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات الاية السابع انه لم يعاجله
بالنقمة مع اطلاعه عليه حين معصيته ولم يفضحه في مقامه الذي تعرض فيه للفضيحة بل امهله على ظلمه واسبل عليه ستر كرمه وحلمه
الثامن انه لم يشدد عليه في قبول الانابة والرجوع اليه كما يفعله الملوك في حق من اساء وطلب الاقالة ولم يناقشه بجريمته
فيستقصي في حسابه بل سهل عليه في ذلك وقبل توبته متى شاء لانه تعالى لا مضرة عليه باساءة مسيء ولا نفع يصل اليه من انابة منيب
اذ هو الغني المطلق التاسع انه لم يؤيسه من الرحمة حيث قال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية العاشر
انه جعل نزوعه عن ذنبه وتوبته منه حسنة حيث قال بعد ذكر التوبة فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وحسب
سيئته واحدة وحسنته عشرا حيث قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها الحادي عشر كونه
فتح له باب المتاب حيث قال غافر الذنب وقابل التوب هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وباب الاستعتاب
حيث امره وارشده الى طلب الرضا عنه بعد توبته الثاني عشر كونه اذا ناداه سمع نداءه لقوله تعالى ان ربي لسميع الدعاء واذا ناجاه
علم نجواه لقوله تعالى يعلم السر واخفى فاوصل اليه حاجته انشاء امره وطلب منه اعانته على اموره ونشر له ما كان في نفسه من همومه
وسأله كشف كروبه فوهب له من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره من زيادة الاعمار وصحة الابدان وسعة الارزاق الثالث
عشر انه جعل في يديه مفاتيح خزائنه بما اذن له من مسألته واستعار لفظ المفاتيح للادعية باعتبار انها اسباب لتحصيل النعمة و
كمال الرحمة متى شاء استفتح بها ابواب خزائنها وكذلك استعار لفظ الابواب لاسباب جزئيات النعم الواصلة الى العبد وخزائن
نعمه هي خزائن السموات والارض اذ الكل منه وبيده ويحتمل ان يشير بها الى المعقول من سماء جوده وما يجود به في قدرته من الخيرات
الممكنة واستعار وصف الاستمطار لطلب نعم الله ثم ملاحظة لشبهها بالمطر في كونهما سببين للحيوة وصلاح الحال في الدنيا
وتشبيه طالبيها بالمستمطر ورشح بذكر الشآبيب تفخيما لكثرتها في كل واحد من هذه الصفات وكل من كان كذلك فهو احق بان
يرغب اليه ويوجه الطلب نحوه واعلم انه لما رغبه في الدعاء بهذه الجواذب نبهه على ان الاجابة في الدعاء قد تبطئ وتتاخر
عند ما يصلح اسبابا لتاخرها لئلا يلحظها عند تاخرها فلا يقنط منها احدها ان العطية على قدر النية اي ان الاجابة موقوفة على
الاستعداد باخلاص النية فاذا تاخرت الاجابة فلعل تاخرها لان النية لم تكن خالصة الثاني انها ربما اخرت لعلم الله تعالى ان
تاخيرها من اسباب استعداد السائل والمؤمل استعدادا اعلى لعطاء ما هو اعلى واشرف مما سأل فيعطاه عند كمال استعداده
لا سيما على قدر اهل العزم تاتي العزائم ويعقد الكاف بكسب المعالي الثالث ان المطلوب قد لا يكون فيه مصلحة للعبد لاشتماله على
مفسدة في دينه لو اعطي اياه كالغنى والجاه مثلا وسائر المطالب الدنيوية الحاصلة فلا يجيب الله سؤاله فيه بل يعطيه خيرا منه
اما في عاجل دنياه او في اجل اخرته ويصرف ذلك الاستعداد لما هو مصلحة له وخير ثم ختم ذلك بتعريفه مواضع مسألته وما ينبغي
ان يسأله اياه وهو ما يبقى له جماله وينفى عنه وباله من التوفيق لاسباب السعادة الباقية وتحصيل الاجر وتبقى الاعقاب دون ما

الفصل الثامن

قوله واعلم انك انما خلقت للاخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء وللموت لا للحيوة وانك في منزل
قلعة ودار بلغة وطريق الى الاخرة وانك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه ولا بد انه مدركه فكن منه على حذر
ان يدركك وانت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك فاذا انت قد
اهلكت نفسك يا بني اكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت اليه واجعله امامك حيث تراه حتى يأتيك وقد
اخذت منه حذرك وشددت له ازرك ولا يأتيك بغتة فيبهرك واياك ان تغتر بما ترى من اخلاد اهل الدنيا
اليها وتكالبهم عليها فقد نبأك الله عنها ونعت لك نفسها وتكشفت لك عن مساويها فانما اهلها كلاب عاوية وسباع
ضارية يهر بعضها بعضا ويأكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها نعم معقلة واخرى مهملة قد اضلت عقولها
وركبت مجهولها سروح عاهة بواد وعث ليس لها راع يقيمها ولا مسيم يسيمها سلكت بهم الدنيا طريق العمى واخذت
بابصارهم عن منار الهدى فتاهوا في حيرتها وغرقوا في نعمتها واتخذوها ربا فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها

في وصيته لابنه الحسن

دونها بتغير الظلام كأن قد وردت الاظعان يوشك من أسرع ان يلحق اقول منزل قلعة لا يصلح للاستيطان و البلغة ما يتبلغ به من العيش والازر القوة وبهر غاية اقبه واصل البهر تتابع النفس عن التعب واخلد الى كذا استند اليه والتكالب التواثب والمساوى المعايب الضراوة تعود الصيد والجرأة عليه والمعقلة المو الدقيقة والمجهول والمجمل المفازة التي لا اعلام فيها والوادعث لا يثبت به خف ولا حافر لكثرة سهولته والمسيم الراعي وقد نبهه في هذا الفصل على امور لعدها ان العلة الغائية من خلقه ووجوده هي الاخرة دون الدنيا والموت والفناء دون الحيوة والبقاء فهذه الامور علل عرضية من وجود الانسان لكونها من ضرورات وجوده واما العلة الحقيقية الاولى منه من وجوده فهي استكماله ووصوله الى حضرة رب طاهرا عن علايق الدنيا وذكره هذه الغايات التي يجزم بالوصول اليها ليعمل لها ولما بعد الموت ويقل الحرص على الدنيا وعمارتها ولا يركن الى البقاء فيها لكونها امورا عرضية زايلة الثاني تنبيهه بكون الدنيا منزل قلعة على انها منزل عبور لا يخلق للاستيطان والاقامة وبكونها دار بلغة على انها انما خلقت ليتخذ منها الانسان بلاغا للوصول الى الاخرة وزادا لكونها طريقا اليها الثالث تنبيهه على اثر طريد الموت واستعار له لفظ الطريد ملاحظة لتشبيهه بالصيد يطرده السبع وغيره ثم وصف الموت بكونه لا ينجو منه هارب ولا بد ان يدركه تحذيرا منه وحثا بالحث على الاستعداد له وبقاء عمره المغالاة لاهواله وشدايده ولذلك قال فكن منه على حذر الى قوله نفسك اى بيقائك على الحال السيئة تحدث نفسك فيها بالتوبة الى ان يدركك ويحول عطف على يدركك واذا للمفاجاة الرابع امره بالاكثار من ذكر الموت وما يهجم عليه فان ذلك يستلزم العبرة والانزجار والاخذ في الاهبة والاستعداد له ولما بعده ولذلك قال حتى ياتيك وقد اخذت منه حذرك وشددت له ازرك اى يا بكما لا ان الوقوع ولا ياتيك بغتة فيبتغتك وقوله ولا ياتيك عطف على قوله حتى ياتيك والواو في قوله وقد للحال وكذلك بغتة حال ويبهرك منصوب باضمار ان بعد الفاء في جواب النفي الخامس نهاه ان يغتر باستناد اهل الدنيا اليها وتواثبهم عليها ونبهه على انه لا ينبغي له ذلك لا غترار بقياسات ضمير وقوله فقد نبأك الله الى قوله عنها هو صغرى القياس الاول كقوله تعالى وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو في مواضع كثيرة من كتابه العزيز وقوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الاية وامثاله وقوله ونعت لك نفسها صغرى القياس الثاني وروى ونعت وروى وتحت بمعنى ان الله وصفها له ومعنى نعيها لنفسها وصفها بلسان حالها لتغيرها وتبيان انها محل الهموم والغموم والاعراض والامراض ودار كل بلاء ومنزل كل فتنة وقوله وانما اهلها الى اخره صغرى القياس الثالث وتقدير الكبرى في القياس الاول وكل من اخبر الله تعالى عنه بذلك فلا ينبغي ان يغتر به وتقديرها في الثاني وكل من وصف نفسه كذلك فلا ينبغي ان يغتر به وتقديرها في الثالث وكل من كان كذلك فلا ينبغي ان يغتر بفعله واعلم انه اشار في هذين المثلين الى قسمة اهل الدنيا اولا بقسمين بحسب اعتبار قواهم الغضبية والشهوية واتباعهم لها اى فمنهم من اتبع قوته الغضبية واعطاها مقتضاها ومنهم من اتبع قوته الشهوية واسترسل في فسادها وغفل عما خلق لاجله وضرب المثل للاولين بالكلاب العاوية والسباع الضارية واشار الى وجه مطابقة المثل بقوله تهر الى قوله صغيرها ووصف الهرير مستعار لتنازعهم عليها وكذلك لفظ الاكل لغلبة بعضهم على بعض وضرب للاخرين مثل النعم باعتبار غفلتهم عما يراد بهم كالبهائم ثم قسم هؤلاء الى قسمين معقلة ومهملة واستعار لفظ المعقلة للذين تمسكوا بظواهر الشريعة والامام العادل فقيدهم بالدين عن الاسترسال في اتباع الشهوات والانهماك فيها ولكن لم يعقلوا اسرار الشريعة فهم كالنعم التي عقلها راعيها واشار بالمهملة الى الذين استرسلوا في اتباع شهواتهم وخرجوا عن طاعة امامهم ولم يتعبدوا باوامره فهم كالبهائم المرسلة واشار الى وجه المشابهة بقوله التي اضلت عقولها الى اخره ويحتمل ان يريد بعقولها جمع عقال فاشبع الضمة وقيلها واو امتنابعة لقوله مجهولها ويحتمل ان يريد به جمع عقل وهو الحجا اى انها ضيعت من تلجأ اليه وهو امامها ووجه مطابقة هذا المثل انهم في عدم انتفاعهم بعقولهم وركوبهم لاهوائهم الفاسدة وشروعهم في شبهاتهم التي تتقى بهم مكتسبين للرذايل والغايات لتفشتا ليس لهم امام يقيمهم على طاعة الله في طرق الهدى الى مكارم الاخلاق قد اشبهوا النعم المهملة التي اضلت عقلها وركبت المفازة فهي سروح مرددة متحيرة بواد وعث ليس لها داع يرعاها ويقيمها الى المرعى ودونه سروح عاهة اى فهي سارحة عن افة فتخرج بها عن الانتفاع والرواية الاولى اقرب الى الصواب واراد بطرق العمى طرق الجهل ومسالك الباطل التي لا يهتدى فيها الشيء كما لا يهتدى الاعمى للطريق ونسب السلوك بهم اليها باعتبار انها سبب لغرورهم وغفلتهم عما وراءهم وكذلك اخذها بابصارهم اى بابصار عقولهم عن منازل الهدى وهي ايات الله ومنازل الطريق اليه واشار بتيههم في حيرتها الى ضلالهم عن طرق الحق واستعار لفظ الغرق باعتبار استيلاء نعيمها على عقولهم وتملكها لها كما يستولي الماء على الغريق واتخاذهم لها ربا باعتبار اخذهم لها فلعبت بهم اذ كانوا عبيدا لها ولعبوا بها اذ اشتغلوا بها غير منتفعين وضيعوا امام الاولى بهم فعله ونسوا ما وراءها مما خلقوا لاجله

الفصل التاسع قوله واعلم يا بني ان من كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان كان واقفا ويقطع المسافة

في وصيته لابنه الحسن ع

وان كان مقيما وادعا واعلم انك لن تبلغ املك ولن تعدو اجلك وانك في سبيل من كان قبلك فخفض في الطلب واجمل في المكتسب فانه رب طلب قد جر الى حرب وليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم واكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى الرغائب فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا

ينال ذ ر

وما خير خير لا يوجد الا بشر ويسر لا ينال الا بعسر واياك ان توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة وان استطعت ان لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فانك مدرك قسمك واخذ سهمك وان اليسير من الله سبحانه اكرم واعظم من الكثير من خلقه وان كان كل منه وتلافيك ما فرط من صمتك ايسر من ادراكك ما فات من منطقك وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء وحفظ ما في يديك احب الي من طلب ما في يد غيرك ومرارة الياس خير من الطلب الى الناس والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور والمرء احفظ لسره ورب ساع فيما يضره من اكثر اهجر ومن تفكر ابصر قارن اهل الخير تكن منهم وباين اهل الشر تبن عنهم بئس الطعام الحرام وظلم الضعيف افحش الظلم اذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقا ربما كان الدواء داء والداء دواء وربما نصح غير الناصح وغش المستنصح واياك والاتكال على المنى فانها بضائع النوكى والعقل حفظ التجارب وخير ما جربت ما وعظك بادر الفرصة قبل ان تكون غصة ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤوب ومن الفساد اضاعة الزاد ومفسدة المعاد ولكل امر عاقبة سوف ياتيك ما قدر لك التاجر مخاطر ورب يسير انمى من كثير لا خير في معين مهين ولا في صديق ظنين ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ولا تخاطر بشيء رجاء اكثر منه

تجمح ن

واياك ان تجمح بك مطية اللجاج احمل نفسك من اخيك عند صرمه على الصلة وعند صدوده على اللطف والمقاربة وعند جموده على البذل وعند تباعده على الدنو وعند شدته على اللين وعند جرمه على العذر حتى كانك له عبد وكانه ذو نعمة عليك واياك ان تضع ذلك في غير موضعه او ان تفعله في غير اهله

بغير ر

لا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك وامحض اخاك النصيحة حسنة كانت او قبيحة وتجرع الغيظ فاني لم ار جرعة احلى منها عاقبة ولا الذ مغبة

احلى ر

ولن لمن غالظك فانه يوشك ان يلين لك وخذ على عدوك بالفضل فانه احد الظفرين وان اردت قطيعة اخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع اليها ان بدا له ذلك يوما ما ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه ولا تضيعن حق اخيك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس لك باخ من اضعت حقه ولا يكن اهلك اشقى الخلق بك ولا ترغبن فيمن زهد فيك ولا يكونن اخوك اقوى على قطيعتك منك على صلته ولا يكونن على الاساءة اقوى منك على الاحسان ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرته ونفعك وليس جزاء من سرك ان تسوءه

اقول تعدوه تجاوزه والتخفيض التسهيل على الكسل النفس والحرب سلب المال والاجمال في الطلب التسهيل فيه حتى يكون جميلا واوجفت اسرعت والمناهل المعاطش والحرفة الضيق في الرزق والحرمان والهجر بالضم الفحش في منطقه والرفق اللين وضده الخرق والنوكى الحمقى جمع انوك والفرصة وقت الامكان والظنين المتهم والصرم القطع ومحض النصيحة اخلصها له والمغبة العاقبة وقد اشتمل هذا الفصل على الوصية بلطائف من الحكمة العملية ومكارم الاخلاق التي اشار بها ينتظم امر المعاش والمعاد وصدره بالتنبيه على ضرورة الموت ليبني عليه ما يريد ان يوصيه به من مفردات الحكم وذلك للتنبيه بامرين احدهما ان الانسان في مدة عمره مسافر الى الآخرة وان لبث السفر ليس على مطايا محسوسة ولا في طرق محسوسة بل المطية فيه الليل والنهار واستعار لفظ المطية لهما باعتبار انهما اجزاء اعتبارية للزمان يعقب بعضها بعضا وينقضي بانقضائها الزمان فينتقل الشخص بحسبها في منازل مدته المضروبة له منه الى ان تنقضي مدته ويتم سفره الى الآخرة كما ينتقل في منازل الطريق المحسوسة الى ان يتم سفره فيها وكذلك لفظ المسافة مستعار لمدة العمر المضروبة ولذلك كان سير الزمان به سيرا اعتباريا وان كان واقفا وتوهم المتعارف ويقطع مسافة اجله راكبا المطايا وان كان وادعا قارا في قراره الحسي الثاني امره ان يعلم يقينا انه لن يبلغ امله وذلك ان الانسان ابدا في توجيه امله في المطالب كلما حصل مطلوب منها او اشتد وجه امله فيه وجهه الى مطلوب آخر وان اختلفت المطالب فلا يزال ابدا متوجها الى مطلوب ما ليس مدركا في الحال والاحالة في ذلك على الوجدان فاذن ليس كل مدرك وكذلك لا يمكن ان يتجاوز الانسان اجله المضروب له والا لما كان اجلا له وهذان الامران في قوة صغريين لقياسين ضميرين من الشكل الاول وتقدير كبرى الاول وكل من يسير به كذلك فيوشك

تلك م

ان ينقطع مدته ويصل الى الآخرة وتقدير كبرى الثاني وكل من لا يبلغ امله ولا يتجاوز اجله وهو سالك طريق من كان قبله فيوشك ان يلحق بهم ولما نبه على ضرورة مفارقة الدنيا والوصول الى الآخرة رتب على ذلك الوصية بالحكم المذكورة وذكر منها جملة الاولى ان يخفض في طلب الدنيا ولا يحرص عليها بل يجمل طلبه لها بقدر حاجته اليها الثاني ان يفعل الجميل فيما يكتسبه منها وذلك ان يضع كل شيء منه موضعه فيمسك منه قدر ضرورته وينفق فاضله في وجوه البر ومصارف القربة

في وصيته لابنه الحسن ع

ويحتمل ان يريد بالمكتسب الاكتساب فاطلق باسم المفعول على المصدر مجازا ويعني بقول الرسول صلى الله عليه وآله ان روح القدس نفث في روعي ان لن
يموت نفس حتى تستكمل رزقها فاجملوا في الطلب وقوله فلرب طلب الى قوله محروم تنفير عن الخوض في الطلب بامور ثلثة احدها انه قد
يجر الى الحرب بعض ذلك كما شوهد في وقتنا ان تاجرا كان راس ماله سبعة عشر دينارا فسافر بها الى الهند مرارا حتى بلغت سبعة
عشر الفا فعزم على ترك السفر والاكتفاء بما رزقه الله فسولت له نفسه الامارة بالسوء في العود وجذبته اليه الزيادة فعاود
السفر فلم يلبث ان خرج عليه السراق في البحر فاخذوا جميع ما كان معه فرجع وقد حرب ماله وذلك ثمرة الحرص المذموم و
هي في تقدير صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما جر الى الحرب فلا ينبغي ان يحرص عليه الثاني قوله وليس كل طالب بمرزوق
ينبه به على ان الطلب علة الحرمان في بعض الطالبين حتى يقيس نفسه عليه فلا يحرص في الطلب الثالث قوله
ولا كل مجمل بمحروم تنبيه على مثل ذلك كما نبه فيه على ان الاجمال علة للرزق في بعض الناس ليقيس نفسه عليه فيجمل في
الطلب الرابع ان يكرم نفسه عن كل دنية وان استلزمت وصوله الى ما يرغب فيه ويبين له علته وذلك كان يكون مثلا
او يعد ليصل الى المال ونحوه والاكرام لها عن ذلك يستلزم فضائل كالسخاء والمروة وكبر الهمة اذ كل واحد من رذيلة
البخل و... الذلة وصغر الهمة يستلزم مفارقة الدنايا فاكرامها النفس عنها يستلزم الامر بالحصول على فضائلها ونفره عن مفارقة
الدنية بقوله فانك لن تعتاض الى قوله عوضا اي ان ما تبذله من نفسك من الشيء النفيس وهو الفضيلة بالرذيلة لا يقوم عند الله وعند
اهل الفضل بل من خلقه شيء وان جل ولا يكون عنه عوض وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما لا يحصل له عوض فبما له
دنيا ونحوه فلا ينبغي ان يبذل لتحصيل الدنايا الخامس ان لا يكون عبد غيره اي لا يجعل لغيره عليه فضل احسان يستعبده
اياه فيستعبده ويستوجب بذلك على نفسه خدمته والاشتغال بشكره عن الله وقوله وقد جعلك الله حرا في قوة صغرى ضمير
تقدير كبراه وكل من جعله الله حرا فلا ينبغي ان يجعل نفسه عبدا لغيره وكذلك قوله وما خير خير الى قوله الا بعسر استفهام في معرض الانكار
اي لا خير في خير لا يوجد الا بشر ويسر لا ينال الا بعسر وكنى بذلك الخير واليسر عما يطلب في مفارقة الدنايا ويصير الانسان
بسببه عبدا لغيره كالمال ونحوه وبالشر والعسر عما يلزمه من بذل ماء الوجه في السؤال والذلة وغيرها من الدنايا وهو ايضا
في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما لا خير فيه فلا ينبغي ان يطلب ويتعبد للغير من اجله السادس حذره من الطمع واستعار
لفظ المطايا للقواه الامارة بالسوء كالوهمية والخيالية والشهوية والغضبية ووجه المشابهة كونها حاملة لنفس العاقل وموصلة
لها الى المشتهيات وما يطمع فيه من متاع الدنيا كالمطايا الموصلة لراكبها الى اغراضه وكذلك وصفها بالوجيف لسرعة انقيادها
معها الى المطامع الردية وقوله فتوردك مناهل الهلكة فاستعار لفظ المناهل لموارد الهلاك الاخروي كمنازل جهنم وطبقاتها
ووجه المشابهة كونها موارد شراب اهل النار المهلك كما قال تعالى فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم والفاء في
جواب النهي للازم المتحذر المذكور وهو في قوة متصلة هي صغرى ضمير تقديرها فانك ان اوجفت بك مطايا الطمع اوردتك
مناهل الهلكة وتقدير الكبرى وكل مطية كذلك فيحرم ركوبها السابع نهاه ان يجعل بينه وبين الله واسطة في وصول نعمته
اليه ان استطاع ذلك وهو نهي عن مسألة الغير والتعرض لنواله بل ينتظر منه من رزق الله المفروض له من غير سؤال ذي نعمة يكون
فيه بذل ماء الوجه والذلة والمنة ان اعطى وبذله والحرمان والذل ان حرم ورغبه في ذلك بضميرين احدهما قوله فانك مدرك
قسمك وآخذ سهمك اي من رزق الله وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا ينبغي بينه وبين الله واسطة يطلب منه رزقه الثاني
قوله وان اليسير الى قوله خلقه اي ما ... من جهة يحمد حصوله منها وهي الجهة التي امر الله بطلب الرزق منها وان كان يسيرا اكرم عنده
واشرف من الكثير من غير تلك الجهة كسؤال الغير والتعرض له وتقدير الكبرى وكل ما كان اعظم فينبغي ان يكون هو المطلوب وقوله وان
كان لكل منه اي وان كان الرزق من الخلق ايضا من الله الا انه ينبغي ان يوجه الرغبة اليه ابتداء دون غيره اذ هو مبدأ الكل ومعتنيا
بالجميع واسنده الثامن قوله وتلافيك الى قوله منطقك نبه على ترجيح وجوب الصمت وتغليبه على كثرة الكلام بضمير هذه صغراه و
تقريرها ان التفارط من الصمت وان استلزم الخطأ كالسكوت عما ينبغي ان يقال من حكمة او ما يترتب عليه بعض المصالح الا انه يمكن
استدراكه غالبا بما ينبغي من القول واما فارط القول فان الخطأ فيه قد لا يمكن استدراكه وان امكن فعلى غاية من العسر ولذلك
كان تلافي فارط الصمت بالقول اسهل من تدارك فارط القول ولقوة الخطأ في القول اكثر الناس في ذم الاكثار ومدح الصمت
والمنطق هنا يحتمل ان يريد به المصدر فيكون من لبيان الجنس ويحتمل النطق فيكون لابتداء الغاية وتقدير كبرى الضمير وكل
ما كان ايسر فهو اولى بك ينتج ان تلافي فارط الصمت اولى بك وذلك مستلزم لرجحان الصمت التاسع نبهه على حفظ ما
في يده من المال بالحفظ الذي ينبغي وهو الواسطة بين التبذير والبخل والكلام في قوة صغرى ضمير وتقدير كبراه وكل ما
كان احب الي من طلبك ما في يدي غيرك فهو اولى بك العاشر نبهه على فضيلة قطع الطمع واليأس عما في ايدي الناس

في وصيته لابنه الحسن ع

بقية بيانها صغراه قوله ومرارة الياس الى قوله الناس وتقدير كبراه وكل ما كان خيرا فهو اولى ان يلزم ويكرم النفس به واطلق لفظ المرارة
على الالم الذي تجده النفس بسبب الياس من المطالب اطلاقا لاسم السبب على المسبب وكونه خيرا لما يستلزمه من اكرام النفس عن ذل السؤال
ورذيلة المهانة واليه اشار الشاعر بقوله وان كان طعم الياس مر فانه الذ واحلى من سؤال الاراذل الحادي عشر تنبيه على وجوب
الصبر في ضيق الرزق والحرمان اذ كان مع فضيلة العفة وان لزومه اولى من طلب الغنى المستلزم للفجور بضمير ايضا صغراه ما ذكر
وتقدير كبراه وكل ما كان خيرا من الغنى مع الفجور فلزومه اولى من طلب تلك الغنى مع الفجور فلزومه اولى من طلب تلك الغنى
مع الفجور فلزومه اولى من طلب تلك الغنى وانما كان كذلك لاستلزام تلك الحرفة الفضيلة واستلزام ذلك الغنى الرذيلة وقد علمت
ان العفة فضيلة القوة الشهوية وانها بين رذيلتي تفريط يسمى خمود الشهوة وافراط يسمى فجورا الثاني عشر تنبيه على انه لا يجوز
افشاء سره بتمثيله اصله المرء والفرع هو والحكم كونه احفظ لسره والعلة كونه اكثر عناية بنفسه من غيره الثالث عشر تنبيه
بطريق التمثيل ايضا على التحرز في السعي والتثبت في ارتياد المصالح بقوله رب ساع فيما يضره فالاصل هو الساعي والفرع هو
المخاطب والعلة هي السعي والحكم هو الضرر الرابع عشر تنبيه على وجوب ترك الاكثار في القول بتمثيل ايضا اصله المكثر وفرعه
المخاطب وعلته الاكثار وحكمه الهجر والغرض ان يعتبر بنفسه في لحوقها بالمكثر في لزوم الهجر لهم فيترك الاكثار لما يلزمه من الهجر ولحوق
الذم به الخامس عشر تنبيه على فضيلة التفكر في الامور بقوله من تفكر ابصر اي ادرك بعين بصيرته حقائق الامور وعواقبها السادس
عشر امره بمقارنة اهل الخير بضمير دل على صغراه بقوله تكن منهم وتقديرها ان مقارنتهم يستلزم الكون منهم وتقدير الكبرى
وكل ما استلزم الكون منهم فواجب ان يفعل السابع عشر وكذلك امره بمباينة اهل الشر ومفارقتهم لما يستلزمه المباينة لهم من
عدم العداد في جملتهم في الدنيا والاخرة ووخيم الجنة كالذي قبله الثامن عشر تنبيه على قبح اكل الحرام لغاية اجتنابه به بضمير
صغراه ما ذكر وانما كان افحش الظلم لكون الضعيف في محل الرحمة وظلمه لا يصدر الا عن قلب قاس ونفس بعيدة من الرقة والرحمة
والعدل ولانه عن مقابل من الضعيف بمثل فعله وربما تعذر فكان ابعد عن العدل وتقدير كبراه وكل ما كان افحش الظلم كان اولى
اصناف الظلم بالترك والاجتناب العشرون تنبيه على ان الرفق في بعض المواضع كالخرق في كونه مخلا بالمصلحة غالبا ومفوتا للغرض
كان استعمال الخرق في ذلك الموضع كاستعمال الرفق في استلزامه للمصلحة وحصول الغرض غالبا فكان اولى من الرفق في ذلك
الموضع ولفظ الخرق الاول والرفق الثاني مستعاران للرفق الاول والخرق الثاني لما ذكرناه من المشابهة والى هذا المعنى اشار
ابو الطيب ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى الحادي والعشرون تنبيه على ان بعض
ما فيه مصلحة ظاهرة قد يشتمل على مفسدة بقوله ربما كان الدواء داء وعلى ان بعض ما هو مفسدة في الحكم قد يستلزم مصلحة
بقوله والداء دواء ولفظ الدواء مستعار للمصلحة ولفظ الداء للمفسدة ووجه الاستعارة ان المصلحة من شانها نظام
حال الانسان ومن شان المفسدة فساده كالدواء والداء والى هذا المعنى اشار المتنبي فربما صحت الاجساد بالعلل الثاني و
العشرون نبه على انه لا ينبغي ان يعرض عن مشورة احد عليه بامر هو مظنة مصلحة وان كان من شانه انه غير ناصح له بل ينظر في رايه ومشورته فربما
كان نصيحة وكذلك لا ينبغي ان يركن الى قول من يعتقده ناصحا مطلقا اذ من الجائز ان يغشه الثالث والعشرون نهاه عن الاتكال على
المنى ونفره عنها بضمير صغراه قوله انها بضائع النوكى واستعار لفظ البضائع لها باعتبار ان الاحمق يحصل منها لذة خيالية من
الامور المتمناة هي فرعها كما يحصل عن البضاعة الربح واضافها الى النوكى لعدم الفائدة في المنى كعدم الربح عن بضائع النوكى
الرابع والعشرون رسم العقل بانه حفظ التجارب والاشارة الى العقل العملي وهو القوة التي للنفس بحسب حاجتها الى تدبير البدن
الموضوع لتصرفاتها وتكميله وهي التي بها تستنبط الاراء المصلحية مما يجب ان يفعل من الامور اذ كان الشروع في العمل الاختياري
المختص بالانسان انما يتاتى بادراك ما ينبغي ان يعمل في كل باب وهو ادراك راي كلي او جزئي يستنبط من مقدمات بعضها جزئية
محسوسة وبعضها كلية اولية او تجربية او ذائعة او ظنية يحكم بها العقل النظري من غير ان يختص بجزئي دون غيره والعقل
العملي يستعين بالنظري في ذلك ثم ينتقل منه باستعمال مقدمات جزئية الى ان ينتقل الى الراي الجزئي الحاصل فيعمل بحسبه و
يحصل بعمله مقاصده في معاشه ومعاده واراد بهذا العقل اظهر لانه المتعارف ولانه في معرض الامر بتحصيل مكارم الاخلاق
التي هي كمال هذه القوة وحفظ التجارب اشارة الى ضبط هذه العلوم المنتزعة عن مشاهدات متكررة لنا الامور جزئية تتكرر
فيفيد حكما كليا ككون السقمونيا مثلا من شانها الاسهال وعرف العقل بذلك لكونه من خواصه وكمالاته الخامس والعشرون
نبهه على انه ينبغي ان يقتص من التجارب على ما وعظه اي من شانه ان يفيد موعظة واعتبارا كالنظر في حال من تكبر وظلم
فاسرعت عقوبة الله اليه او نكبة لكذبه مراده وذكر الملفت بضمير صغراه ما ذكر وتقديرها ما وعظك فهو خير التجارب وتقدير
الكبرى وخير التجارب اولى بان يتبع ما وعظك من التجارب اولى بك ونحوه قول افلاطون اذا لم تعظك التجربة لم تجرب بل انت

في وصيته لابنه الحسن ع

سابع كما كنت السادس والعشرون امره بانتهاز الفرصة فيما ينبغي ان يفعل ونفره عن تركها بما يستلزمه من الاسف والغصص واطلق
اسم الغصة على الفرصة مجازا تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه السابع والعشرون نبه على ما ينبغي من ترك الاسف على ما يفوت من المطالب
بضمير صغراه ما في قوة هذا السلب من الايجاب تقديره بعض الطالبين لا يصيب مطلوبه وتقدير الكبرى وكل من لا يصيب مطلوبه
فلا ينبغي ان ياسف على فواته ليعتبر السامع نفسه انه من ذلك البعض فلا ياسف على فائت وكذلك قوله ولا كل غائب يؤوب
الثامن والعشرون نبه على لزوم التقوى بضمير تقدير صغراه اضاعة الزاد ومفسدة المعاد من الفساد وتقدير الكبرى وكل ما كان من
الفساد وجب تركه ولفظ الزاد مستعار للتقوى كما سبق التاسع والعشرون نبه على وجوب النظر في عواقب الامور واختيار احسنها بضمير
ذكر ما هو في قوة صغراه وتقديرها كل امر له عاقبة نافعة او ضارة وتقدير كبراه وكل ما له عاقبة كذلك فينبغي ان يلحظ ليفعل ما يوصل
اليها او يجتنب الثلاثون نبه على وجوب ترك الحرص وكد النفس في طلب المال ونحوه بضمير ذكر صغراه وتقدير كبراه وكل ما سوف يأتيك
فينبغي ان لا تحرص في طلبه الحادي والثلاثون نبه على وجوب الاحتراز في المعاملات كالبيع والشراء ونحوه بضمير صغراه ما ذكر ووجه
كون التاجر مخاطرا انه لما كان محبا للمال ومتوجها الى كسبه وكان حال البيع في مظنة ان يجد فيها خديعة راجحا ويعطي ناقصا
مع ان تكليفه لزوم العدل والاستقامة على سواء الصراط فلا جرم كان على خطر من وقوعه في طرف التفريط والتقصير عن سواء
السبيل وتقدير الكبرى والمخاطر يجب ان يحترز في فعله المخاطر فيه الثاني والثلاثون لما نبه على وجوب الاحتراز في التجارة و
التحفظ من الظلم وكان ذلك الظلم انما هو لغرض كثرة المال نبه في هذه الكلمة على ان من المال اليسير ما هو ابقى من الكثير لتقتصر
عليه واراد اليسير الحلال فانه ابقى للعاقل من الكثير الحرام في الاخرة لاستلزامه زيادة الثواب وهي في قوة صغرى ضمير تقديره
اليسير الحلال ابقى من الكثير الحرام وتقدير الكبرى وكل ما كان ابقى من الكثير الحرام فيجب ان يقتصر عليه الثالث والثلاثون نبه
على ترك الاستعانة في المهمات بالمهين من الناس بضمير تقدير صغراه الكبرى وكل من كان كذلك فالاولى اجتناب الاستعانة به
والخير المنفي عنه هو النافع في الاستعانة به ومعلوم انه ينتفي عنه لما انه مهين فضلا ان ينهض في مهمات الامور وعلياتها و
لان ذلك يستلزم تهمة وينعقد عن المقاومة ونحوه قولهم اذا كفيت بغيرك كانت حيلته لك هم غير شاف الرابع والثلاثون نبه على خيانة
الصديق المتهم بضمير تقدير صغراه كالتي قبلها واراد انه لا خير فيه لصديقه انه كان من خيانة الباطن مظنة الشر له الخامس والثلاثون
امره ان يصبر على ما يقتضيه الدهر لا يتسخط من ذلك وان كان دون رضا اذ كان ذلك هو الممكن في الطبيعة وما يعطي المدة و
استعار لفظ القعود للزمان الذي تيسر فيه وقفه وتسهل فيه بعض مهماته ووجه المشابهة ان ذلك الزمان يمكنه من بعض مهماته وحوائجه
وطلب ما لا يمكن فيه وما لم يعد لحصوله من المطالب بما يستلزم تعبه ولامتناع ما كان ممكنا فيه كان القعود من شانه ان يمكن من ظهره
واقتعاده وهو بمعرض ان ينفر براكبه اذا استزاده وشد عليه ولفظ الرحلة مستعار ليكون الزمان وامكان المطلوب فيه و
اراد بما هلكت الجريان معه بقدر مقتضاه من دون تشدد وتسخط عليه فان ذلك يستلزم تعب النفس من غير فائدة والى مثله
اشار القائل اذا الدهر اعطاك العنان فسر به رويدا ولا تعنف فيصبح شامسا السادس والثلاثون نهاه ان يخاطر بما يملكه رجاء
اكثر منه اذ كان في مظنة ان لا يعود فيوشك ان يضيع الاصل ويحمل ذلك على كون الانسان يلقي ما في يده للغرض المذكور مع
في سلامته اما مع ظن السلامة فلا خطر ونحوه قولهم من طلب الفضل حرم الاصل السابع والثلاثون حذره من اللجاج فطلب
الامر عند عسره ونفره عنه بان استعار له لفظ المطية الجموح ووجه المشابهة كونه يؤدي بصاحبه الى غاية ليست بمحمودة كالجموح من
المطايا الثامن والثلاثون امره ان يلزم نفسه ويحملها في حق صديقه الحق على ان يقابله ويجازيه بضد ما يلقاه ويقابل بالقطيعة
بالصلة وسائر ما ذكر ليعود الى العتبى ويدوم المودة وحذره ان يضع ذلك في غير موضعه او يفعله بغير اهله من اللئام لان ذلك
وضع الشيء في غير موضعه وهو خروج عن العقل وقد علمت ان الامور المذكورة من لوازم الصداقة الحقة والى نحوه اشار الشاعر
بقوله وان الذي بيني وبين بني ابي وبين بني عمي لمختلف جدا فان اكلوا لحمي وفرت لحومهم وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وان زجروا طيرا بنحس تمر بي زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا ولا احمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا التاسع
والثلاثون نهاه ان يتخذ عدو صديقه صديقا ونبه على قبح ذلك بضمير استثنائي تقديره فانك ان فعلت ذلك عاديت
صديقك ويستدل فيه بقبح اللازم على قبح ملزومه اي لكن معاداة الصديق قبيحة منهي عنها فاتخاذ عدوه صديقا كذلك ووجه الملازمة
ان مصادقة عدو الصديق يستلزم نفرة الصديق عمن يصادق عدوه لنفرته عن عدوه ولان مصادقة عدوه توهم مشاركة العدو
وموافقته في جميع احواله ومن جملة احواله عداوته ومهما اذن توهمه موافقة على عداوته فيوجب له النفرة والمجانبة واليه اشار
بن كرا القائل تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ان الراي عنك لعازب الاربعون ان يخلص نصيحته لاخيه في جميع احواله
سواء كانت النصيحة حسنة او قبيحة اي مستقبحة في نظر المنصوح ضارة له في العاجل باعتبار استحيائه وانفعاله من المواجهة بها

ونحوه قوله

ونحوه قوله تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم ثم غلظ بالنسبة اليهم سيئة الحادي والاربعون امره بفضيلة كظم الغيظ و
قد رسمت بانها الامساك عن المبادرة الى قضاء وطر الغضب فيمن يجني عليه جناية يصل مكروهها اليه وقد يراد فيه الحلم والكرم والصفح
والتثبت والعفو والتجاوز والاحتمال وربما فرق بعضهم بين هذه المفهومات واستعار وصف التجرع للتصبر على مضض الالم الموجود
منه ملاحظة لشبهه بشرب الدواء المر ثم نبه على فضيلته بضمير صغراه قوله فاني لم ار احلى منها عاقبة ولا الذ مغبة واستعار لفظ الحلاوة وثباتها لمرتبة
من العاقبة ووجه المشابهة ما تستلزمانه من اللذة والضمير في قوله منها يعود الى ما دل عليه قوله تجرع من المصدر وتقدير الكبرى و
كل ما لا ارى من التجرع احلى منه فينبغي ان يتجرع وعن زين العابدين عليه السلام وصيته لابنه الباقر يا بني عليك بتجرع الغيظ من الرجال فان اباك
لا يسره بنصيبه من تجرع الغيظ من الرجال حمر النعم الثاني والاربعون امره ان يلين لمن غالظه وخاشنه ونبه على حسن ذلك
بضمير صغراه قوله فانه يوشك ان يلين لك اي بسبب لينك له حال غلظته وتقدير كبراه كل من قارب ان يلين لك بسبب لينك
له فالاولى ملاينته بما يلين له ونحوه قولهم اذا عز اخوك فهن واصله قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم الثالث والاربعون امره ان يأخذ على عدوه بالفضل من جوارحه ونبه على حسنه باستلزامه لاحد الظفرين فان للظفر
سببين احدهما الرهبة بالقوة والغلبة وهو الاظهر الثاني الرغبة بالافضال عليه بحيث يسترقه به ويدخل في الطاعة تبينه وقوله
فانه احد الظفرين صغرى ضمير وتقدير الكبرى وكل ما صدق عليه انه احد الظفرين فينبغي ان يفعل الرابع والاربعون امره ان اراد
مقاطعة اخيه ان يبقي له من نفسه بقية من صلته ولا يقاطعه مقاطعة كلية ونبه على ذلك بضمير اشار الى صغراه بقوله يرجع اليها
اي فانه يرجع اليها لو بدا له الرجوع وتقدير الكبرى وكل ما يرجع اليه فواجب ان يبقيه له ونحوه قولهم احبب حبيبك هونا ما عسى
ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقولهم اذا هويت فلا تكن غاليا واذا تركت
فلا تكن قاليا الخامس والاربعون ان يصدق من ظن به خيرا في ظنه وذلك بالتصديق بفعل ما ظنه فيه من الخير كان يظن به الجود
فيتفضل عليه السادس والاربعون نهاه ان يفعل ما يجعله شرا ونفره بضمير تقدير صغراه فان اهلك يكونون اشقى الخلق بك وذلك
لملازمتهم وقربهم منهم وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو مذموم السابع والاربعون ان لا يضيع حق اخيه اتكالا على ما بينهما من
الاخوة ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانه ليس لك باخ والمعنى ان من اضعت حقه لا بد ان يفارقك لتضييعك حقه فلا يكون
اخا لك وتقدير كبراه وكل اخ يفارقك لتضييع حقه فلا ينبغي ان تضيع حقه لتسلم لك مودته واخوته ونحوه قولهم اضاعة
الحقوق داعية العقوق الثامن والاربعون نهاه عن الرغبة فيمن زهد فيه واراد بمن زهد فيه من ليس للصنيعة موضعا ولا للمودة
اهلا ولعل هذا شرح قديم والا لناقض ما قبله وما بعده من الامر بصلة من قطعه والدنو ممن تباعد عنه والاحسان الى من اساء اليه ثم
اشار الى وجوب ذلك بالتنفير عن نقيضه بضمير صغراه شرطية متصلة تقديرها فانك لا تفعل ذلك لكن اخوك اقوى على فعل الاساءة
منك الى فعل الاحسان وبيان الملازمة ان الاساءة والشر لهما صوارف كثيرة تصرف عنه والاحسان وفعل الخير له بواعث كثيرة تبعث
عليه فاذا لم تفعل الاحسان مع كثرة البواعث عليه واساء اخوك مع كثرة صوارفه عن الاساءة كان هو اقوى على الاساءة منك على الاحسان
وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو عاجز مذموم التاسع والاربعون نهاه عن استعظام ظلم ظالمه في حقه وهونه عنده بضمير صغراه قوله فانه
يسعى في مضرته ونفعك اي انه بظلمه يستلزم مضرته في الآخرة بما توعد الله به الظالمين ونفعك بما وعد الله به الصابرين على
ظلاماتهم وتقدير الكبرى وكل من سعى في مضرته ونفعك فلا ينبغي ان يكبر عليك صنيعه في حقك الخمسون نبهه على وجوب
مقابلة الاحسان بما يعدون الكفران بقوله ليس جزاء من سرك ان تسوءه وفي قوة صغرى ضمير تقديرها من سرك فليس جزاؤه ان
تسوءه وتقدير كبراه وكل من لم يكن جزاؤه ذلك فينبغي ان لا تسوءه وقيل ان هذه الكلمة من تمام التي قبلها والتقدير لا يكبرن عليك ظلم
من ظلمك فتقابله بسوء فانه يسعى في مضرته ونفعك وكل من كان كذلك فليس جزاؤه ان تقابله بالاساءة.

الفصل العاشر

قوله واعلم يا بني ان الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان انت لم تأته اتاك ما اقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء
عند الغنى انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك وان جزعت على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك استدل على ما لم
يكن بما قد كان فان الامور اشباه ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة الا اذا بالغت في ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهائم لا تتعظ
الا بالضرب اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين من ترك القصد جار الصاحب مناسب والصديق من صدق
غيبه والهوى شريك العمى رب بعيد اقرب من قريب وقريب ابعد من بعيد والغريب من لم يكن له حبيب من تعدى الحق ضاق مذهبه
ومن اقتصر على قدره كان ابقى له واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله سبحانه ومن لم يبالك فهو عدوك قد يكون
الياس ادراكا اذا كان الطمع هلاكا ليس كل عورة تظهر ولا كل فرصة تصاب وربما اخطأ البصير قصده واصاب الاعمى رشده
اخر الشر فانك اذا شئت تعجلته وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل من امن الزمان خانه ومن اعظمه اهانه ليس كل من رمى

في وصيته لابنه الحسن

اصاب اذا تغير السلطان تغير الزمان سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار اياك ان تذكر من الكلام ما كان مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك واياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى افن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من ابصارهن بحجابك اياهن فان شدة الحجاب ابقى عليهن وليس خروجهن باشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن وان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل ولا تملك المرأة من امرها ما جاوز نفسها فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطمعها ان تشفع لغيرها واياك والتغاير في غير موضع غيرة فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم والبريئة الى الريب واجعل لكل انسان من خدمك عملا تأخذه به فانه احرى ان لا يتواكلوا في خدمتك واكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير واصلك الذي اليه تصير ويدك التي بها تصول استودع الله دينك ودنياك واسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة انه عز وجل

اقول المثوى المقام وتفلت تخلص وعزائم الصبر ما جزمت به منه ولزمته والعورة هنا الاسم من اعور الصيد اذا امكنك من نفسه واعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب والافن الضعف والقهرمان فارسي معرب وفي الفصل تنبيهات على لطائف من الحكمة ومكارم الاخلاق الاولى انه قسم مطلق الرزق الى قسمين مطلوب وطالب واراد بالرزق المطلوب ما لم يجر في القضاء الالهي كونه رزقا له وبالطالب ما علم الله انه رزقه وانه لا بد من وصوله اليه وترك بيان احكام القسمين للعلم به ايجازا والتقدير فاما الذي تطلبه فلا بد ان يكون القضاء الالهي لم يجر به وكل ما لا بد كذلك فينبغي ان لا يحرص عليه واما الذي يطلبك فانه لا محالة يأتيك وان لم تأته وهي صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان يأتيك لا محالة فينبغي ان لا يحرص في طلبه الثانية نبه على فضيلة عزة النفس عند الحاجة وعلى مواصلة الاخوان في الغنى بالتعجب من قبح ضديهما وهما الخضوع في الحاجة والجفاء في الغنى للتنفير عنهما اذ كانا رذيلتين وهي في قوة ضمير تقديره ان التذلل في الحاجة وجفاء الاخوان في الغنى قبيحان جدا وتقدير كبراه وكلما كان كذلك وجب اجتنابه الثالثة نبه على بذل المال في وجوه البر والقربات لغاية اصلاح الآخرة بقوله انما لك الى قوله مثواك واراد بماله من دنياه ما يملك نفعه دائما وذلك حصره بانما لانه المال المنتفع به على الحقيقة والذي يجري مجرى الاستلزام بين له تحصيل الملكات الفاضلة المستلزمة للثواب الدائم والنعيم المقيم في الآخرة وهو صغرى ضمير تقديرها ما اصلحت به مثواك من دنياك هو الذي ينبغي لك منها وتقدير الكبرى وكل ما هو الباقي لك منها فينبغي ان تخصه بعنايتك ويحتمل ان تكون هذه الكلمة تنبيها على ما قبلها من المواصلة في الغنى لانها في اصلاح المثوى بالمال المنبه عليه ههنا الرابعة نبه على ترك الاسف والجزع على ما يخرج من اليد من المال بقياس استثنائي وذلك قوله فان جزعت الى قوله اليك وبيان الملازمة ان الذي خرج من يدك كالذي لم يصل اليه في انه ليس برزق له وليس مما قضى الله له به وتقدير الاستثناء لكن الجزع هناك قبيح وغير متحقق فينبغي ان لا يحصل الجزع ههنا الخامسة امره ان يستدل بقياس ما لم يكن اي يجد من امور الدنيا واحوالها وتغيراتها على ما كان وحدث منها وذلك ان يقيس نفسه وما رغب فيه من متاع الدنيا على ما سبق من اهلها ومتاعها فيجده مثله فيحكم بلحوق حكمه له وهو التغير والزوال فيستلزم ذلك الاعتبار والرغبة عن الدنيا ومتاعها ونبه على امكان ذلك بضمير صغراه قوله فان الامور اشباه وتقدير الكبرى وكل ما هو متشابه فيمكن قياس بعضه على بعض وكان يقال اذا اردت ان تنظر الدنيا بعدك فانظرها بعد غيرك السادسة نهاه ان يكون ممن لا ينفعه النصيحة فيما نفع به من [illegible] الا اذا بالغت النصيحة والتوبيخ في ايلامه واراد وروى بالغت بالتاء للمخاطب اي في ايلامه بالقول وغيره وضرب له العاقل مثلا في اتعاظه بالادب من كثير ما تستنجه ليقيس نفسه عليه فيتعظ بالادب وبالبهائم مثلا في عدم اتعاظها وتذكرها الا بالضرب ليعتبر نفسه بالقياس اليها وقد دفع الله عنه العقل فيجب ان ينزه نفسه عن لوازمها فلا يحتاج الى الايلام بقول او فعل كان يقال اللئيم كالعبد والعبد كالبهيمة عنها ضربها السابعة ان يطرح عن نفسه ما يرد عليها من الهموم والغموم ومصائب الدنيا بالصبر الحازم الثابت عن حسن اليقين بالله تعالى وباسرار حكمته وقضائه وقدره وذلك ان يعلم يقينا ان كل ما يصل عن الله وابتلى به عباده من ضيق رزق او سعته وكل امر محبوب او مرغوب فعلى وفق الحكمة والمصلحة بالذات وما عرض في ذلك مما يعد شرا فامر عرضي لا يمكن نزع الخير المقصود منه فان ذلك اذا كان متيقنا اشعر النفس بعلة للصبر ومقاومة الهوى في الغم والجزع ونحوه والغرض من الكلمة الامر بالصبر وهي في قوة صغرى ضمير تقديرها ان عزائم الصبر وحسن اليقين بالله يستلزمان طرح واردات الهموم وحذفها عن النفس وتقدير الكبرى وكل ما استلزم ذلك فينبغي ان تستعد به وتستكمل به نفسك الثامنة نبه على لزوم القصد والعدل في افعاله واقواله بضمير ذكر صغراه وتقدير كبراه ومن جار هلك التاسعة نبه على حفظ الصاحب الحق والرغبة فيه بضمير ذكر صغراه واستعار له لفظ النسيب باعتبار مودته وحسن معاضدته كالنسيب وتقدير كبراه والمناسب ينبغي ان يحنو عليه ويصطنع عنده العاشرة عرف الصديق الحق بعلامة ليعرف بها فيصادق واراد بصدق غيبه صدقه في ضميره وما غاب من باطنه عن غيره الحادية عشر نبه على مجانبة الهوى والميول الطبيعية بضمير صغراه قوله الهوى شريك العمى ووجه كونه شريكا له استلزامه للضلال وترك القصد كالعمى وتقدير الكبرى وكل ما هو شريك العمى فينبغي ان يجتنب ونحوه قولهم حبك

للشيء

في وصيته لابنه الحسن ع

للشيء بعينه وبعضهم الثامنة عشر تنبيه على ان في البعداء من هو اقرب وانفع من النسب وفي الاقرباء من هو ابعد من البعيد وهو مشهور والى المعنى الثاني اشار القران الكريم بقوله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم التاسعة عشر تنبيه على ان الحقيق باسم الغريب هو من لم يكن له حبيب اي محب يحبه واليه اشار الفاضل بقوله المرء والداء ورب ما بين جنبيهما الجفوة نطبيب فاذا اولياء عن المرء يوما فهو في الناس حبيبي غريب وذلك باعتبا محبته لو الذي بين له الرابعة عشر تنبيه على لزوم الحق بما يلزم بفتيته وهو يتعدى به ويتجاوزه الى الباطل من ضيق المذهب وغاية المسالك وذلك ان طريق الحق واضح ما مور باتباعه وقد نصبت عليه اعلام الهداية اما طريق الهداية الباطل فهي ضيقة وعزة على سالكها فيها من التحير والخبط وعدم الهداية الى المصلحة والمنفعة مع كونهما ممنوعة خبر به طريق الحق من حاد ايها عنه اخذوا عليه مذاهبه وضيقوا عليه مسلكه حتى يعود الى طريق الحق وهو صغرى ضمير تقدير كبراه كما في قوله من ترك القصد جار الخامسة عشر تنبيه على وجوب الاقتصار على قدره وهو مقداره ومحله في خلق الله واقتصاره عليه مبني على معرفته وهو ان يعلم الفطرة التي فطر الانسان عليها من الضعف والجور والنقص فيعلم انه كذلك فيمنع نفسه عن الترفع عن ابناء نوعه وعن الاستطالة على احد منهم بفضل قوة او اعجاب بفضيلة حسبما بينه او نسابته ويقتصر على ما دون ذلك من التواضع ولين الجانب والاعتراف بما جبل عليه من العجز والنقص وهو في قوة صغرى ضمير تقديرها من اقتصر على قدره كان اقتصاره ابقى له وذلك ان المتطاول الى قدر عجزه والمتجاوز لقدره في مظنة ان يهلك لقصد الناس اياه بالمكاره والتكبير قبل من جهل قدره قبل نفسه والاقتصار على القدر يستلزم عدم هذه الامور فكان ابقى على صاحبه واسلم وتقدير الكبرى فكل من كان اقتصاره على قدره ابقى له فالواجب ان يقتصر عليه السادسة عشر تنبيه على لزوم سبب بينه وبين الله تعالى وهو كل ما قرب اليه من علم وقول وعمل ولفظ السبب مستعار لذلك باعتبار ايصاله الى الله والقرب منه كالحبل الذي يتوصل به الى المقصود وظاهر انه اوثق الاسباب لتناثر دايما ونجاة المتمسك به في الدنيا والاخرة والكلمة صغرى ضمير تقديرها السبب بينك وبين الله تعالى اوثق الاسباب الماخوذ بها وتقدير الكبرى فكل ما كان كذلك فينبغي ان يتمسك به ونحوه قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها الثامنة عشر تنبيه على مجانبة من لا يبالي بك بضمير ذكر صغراه وتقدير ها من لا يبالي لك وقت حاجتك اليه وقد رتم على نفعك فهو عدو لك ولفظ العدو مستعار له باعتبار ان عدم المبالاة من لوازم العدو وتقدير الكبرى وكل عدو فينبغي مجانبته التاسعة عشر تنبيه على ان الياس من بعض مطالب لم ينافه يكون سببا للسلامة من الهلاك وادراك النجاة منه وذلك عند ما يكون الطمع في ذلك المطلوب مستلزما للهلاك كالطمع في نيل ملك ونحوه التاسعة عشر تنبيه بقوله ليس كل عورة الى قوله رشده على ان من الامور الممكنة والفرص ما يغفل الطالب البصير عن وجه طلبه فلا يصيبه ولا يهتدي له ويظفر به الاعمى واستعار لفظ البصير للعاقل الذكي والاعمى للجاهل الغبي وغرض الكلمة التسلية عن الاسف والجزع على ما يفوت من المطالب بعد امكانها العشرون امره بتاخير الشر وعدم الاستعجال فيه ونبه عليه بضمير ذكر صغراه ومعناها انك قادر على تعجيله اي وقت شئت وتقدير الكبرى فكل ما كان كذلك فينبغي ان لا يعجل فيه اذ لا يفوتك ونحوه من الكلمة الحكمية قولهم ابدا بالحسنة قبل السيئة فلست بمستطيع للحسنة في كل وقت وانت على الاساءة متى شئت قادر الحادية والعشرون تنبيه على وجوب قطيعة الجاهل بضمير ذكر صغراه وتقدير كبراه وكل ما يعدل صلة العاقل فينبغي ان يرغب فيها ويفعلها وانما كانت تعدلها باعتبار استلزامها المنفعة ومنفعة قطيعة الجاهل بالقياس الى ما في صحبته من المضرة الثانية والعشرون تنبيه على وجوب الحذر من الزمان ودوام ملاحظة تغيراته والاستعداد لحوادثه قبل نزولها بالاعمال الصالحة واستعار لفظ الخيانة باعتبار تغيره عند الغفلة والامن فيه والركون اليه فهو في ذلك كالصديق الخائن والكلمة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من خانه الزمان فينبغي ان يكون منه على حذر وفي الحكمة من امن الزمان ضيع ثغر المخوف الثالثة والعشرون تنبيه بقوله من اعظم اهانة على وجوب ترك اعظامه ولم يرد الزمان المجرد بل من حيث هو مشتمل على خيرات الدنيا ولذاتها ومعه لطيب العيش بالصحة والشباب والامن ونحوها من ذلك الاعتبار يكرم ويستعظم فيقال في العرف زمان طيب وزمان عظيم واما استلزام ذلك الاهانة من يستعظمه لان اعظامه له يستلزم استنامته اليه واشتغاله بما فيه من اللذات الدنيوية فيغفل بسبب محبتها عن الاستعداد لما وراءها ثم ان الزمان يكر عليه بنقض طباعه فيفرق بينه وبين ما كان يعتز به من مال وجاه ورجال فيصبح حقيرا بعد ان كان خطيرا وصغيرا بعد ان كان كبيرا وقليلا بعد ان كان كثيرا والكلمة في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من اهانه الزمان فينبغي له ان يستهين به ولا يعظمه الرابع والعشرون قوله ليس كل من رمى اصاب وقد سبق مثله في قوله ليس كل طالب بصيب وغرضه التنبيه على ما ينبغي من ترك الاسف على ما يفوت من المطالب والتسلي عن الخطا في طلبها وتوبيخ الغير وتبكيته بانه لم يبلغ املا من تلك المطلوب وان له قوما اخرين والى نحوه اشار ابو الطيب ما كل ما يتمنى المرء يدركه في طلب المعالي نافذا بها كل الرجال لحولا الخامس والعشرون تنبيه على ان تغير السلطان غير دايم بل تغير في رعيته من العدل الى الجور ويستلزم تغير الزمان عليهم اذ تغير من الاعداد للعدل الى الاعداد للجور وروي ان كسرى انوشيروان جمع عمال السواد وبيده

دره يقلبها أي شيء أضر بارتفاع الأعمال وأعجل الى خصمه من أجابني بما في نفسي جعلت هذه الدرة في فيه فقال كل منهم قولا من احتباس المطر
والجراد واختلاف الأهواء فقال للوزير قل أنت فإني أظن عقلك يعادل عقول الرعية ويزيد عليها فقال إن مما يضر بارتفاعها تغير رأي
السلطان في رعيته وإضمار الحيف لهم والجور عليهم فقال لله أبوك لهذا العقل أهلك الملوك لما أهلوك له ودفع إليه الدرة
فجعلها في فيه السادس والعشرون أمره بالسؤال عند إرادته لسلوك طريق عن الرفيق فيها والغاية أن يجتنبه إن كان شريرا
ويرافقه إن كان خيرا فإن الرفيق إما رحيق وإما حريق وكذلك عن الجار عند إرادته لسكنى الدار والغاية المذكورة وروي هذا
الكلام مرفوعا السابع والعشرون حذره أن يذكر من الكلام ما كان مضحكا سواء كان عن نفسه أو عن غيره لما يستلزم ذلك
من الهوان وقلة الهيبة في النفوس الثامن والعشرون وصاه في النساء بأمور أحدها الحذر من مشاورتهن ونبه على وجوب
الحذر بضمير صغراه قوله فإن رأيهن إلى أفن ووهن وذلك لنقصان عقولهن وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فينبغي أن
يحذر من استشارته لما أن ضعف الرأي مظنة الخطأ وعدم إصابة وجه المصلحة فيما يستشار فيه الثاني أن يكفف عليهن
من أبصارهن بحجابه إياهن وهو من أفصح الكنايات عن الحجب ومن زائدة ويحتمل أن يكون للتبعيض ونبه على وجوب حجبهن
بضمير صغراه قوله فإن شدة الحجاب أبقى عليهن أي أبقى للستر والعفة من الخروج والتبرج وأدوم لحفظهن وتقدير الكبرى
كل ما كان كذلك وجب فعله الثالث نبه على أنه لا يجوز أن يرخص في إدخال من لا يوثق به عليهن وهو أعم من الرجال والنساء
والكلام في قوة صغرى ضمير دل به على تلك المنع وتقديرها أن إدخال من لا يوثق به عليهن إما مساو لخروجهن في المفسدة
أو أشد وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فلا يجوز الرخصة فيه وإنما كان أشد في بعض الصور لأن دخول من لا يوثق به
عليهن أمكن لخلوته بهن والحديث معهن فيما يراد من الفساد الرابع أمره أن يحسم أسباب المعرفة بينهن وبين غيره لكون معرفتهن
لغيره مظنة المفسدة وقرينة الحال تخرج غيره من الأرحام كالولد والمحرم وإنما شرط في ذلك الاستطاعة لأنه قد لا يمكن إلا
دفع معرفتهن لغيره مطلقا الخامس نهاه أن يملك المرأة من أمرها ما جاوز عن حد نفسها من مأكول وملبوس ونحوه وما جاوز ذلك
كالشفاعات ونبه على عدم صلوحها بضمير صغراه قوله فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة واستعار لها لفظ الريحانة باعتبار
كونها محلا للذة والاستمتاع بها ولعل تخصيص الريحانة بالاستعارة لأن شأن نساء العرب استعمال الطيب كثيرا وكنى بكونها
غير قهرمانة عن كونها لم تخلق لتكون حاكمة مسلطة بل من شأنها أن تكون محكوما عليها وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا
ينبغي أن يجاوز وراء أمر نفسه ويمكن من التصرف في أمر غيره السادس وكذلك نهاه أن يجاوز بكرامتها نفسها أي لا تكرمها بكرامة تتعدى
صلاح نفسها وهو كقوله ولا تملك المرأة الأخرى السابع وكذلك نهاه أن يطمعها في الشفاعة لغيرها لأن ذلك تجاوز بها حد
نفسها وقد نبه على أنها ليست بأهل لذلك لما هي عليه من نقصان الغريزة وضعف الرأي الثامن نهاه عن التغاير في غير موضع
الغيرة ونبه على ما في ذلك من المفسدة بضمير صغراه قوله فإن ذلك إلى قوله السقم وكنى بالصحيحة عن البريئة من الخيانة والفساد
وبالسقم عنها وإنما كان كذلك لأن المرأة حين يراها من الفساد تستقبح ذلك وتستنكره كره المواجهة وتستشعر خوف الفضيحة والعقاب
فإذا نسبت إلى تلك مع براءتها منه عظم عليها في أول الأمر فإذا تكرر ذلك من الرجل هان عليها أمره وصار لومه لها في قوة الإغراء
لها بذلك وقد علمت ما في الطباع الحيوانية من الحرص على الأمر الممنوع منه فكانت الغيرة في غير موضعها واللائمة بسبب التخييل
الفاسد على ما لم يفعل أمرا داعيا إلى قوله وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك لم يجز فعله التاسع والعشرون أمره أن يجعل لكل إنسان
من خدمه شغلا يخصه ويأخذه بفعله ويؤاخذه على تركه وذلك من الحكمة المنزلية ونبه على ترك ذلك بضمير صغراه قوله فإنه
أحرى إلى قوله خدمتك وذلك لأنهم إذا اشتركوا في التكليف بفعل واحد يقوم به كل واحد منهم فالغالب عليهم أن يكل كل واحد
منهم فعله إلى الآخر فيستلزم ذلك أن لا يفعل قال كسرى أنوشيروان لولده شيرويه وانظر إلى كتابك فمن كان منهم ذا ضياع
فقد أحسن عمارتها فوله الخراج ومن كان منهم ذا عبيد فوله الجند ومن كان منهم ذا سراري فقد أحسن القيام عليهن فوله النفقات
والمهر منه وهكذا فاصنع في خدم دارك ولا تجعل أمرك فوضى بين خدمك فيفسد عليك ملكك الثلاثون أمره بإكرام عشيرته
ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فإنهم إلى قوله تصول واستعار لهم لفظ الجناح باعتبار كونهم مبدأ نهوضه وقوته على الحركة إلى
المطالب كجناح الطائر ورشح بذكر الطيران وكذلك لفظ اليد باعتبار كونهم محل صولته على العدو وتقدير الكبرى وكل من كان
كذلك وجب عليك إكرامه ثم ختم الوصية بوداعه واستودع الله دينه ودنياه وسؤال الخير لقضائه له في عاجله وآجله
ومداره بدنياه وآخرته بحسب إرادته ومشيته ولفظ الاستيداع مجاز في طلب الحفظ من الله لما استودعه إياه وبالله التوفيق
والعصمة **ومن كتاب له عليه السلام الى معوية** وأرديت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك وألقيتهم في موج
بحرك تغشاهم الظلمات وتتلاطم بهم الشبهات فجازوا عن وجهتهم ونكصوا على أعقابهم وتولوا على أدبارهم وعولوا

على أحسابهم

ومن كتاب له الى معاوية

على احسابهم الا من فاء من اهل البصائر فانهم فارقوك بعد معرفتك وهربوا الى الله من موازرتك اذ حملتهم على الصعب وعدلت بهم عن القصد فاتق الله يا معاوية في نفسك وجاذب الشيطان قيادك فان الدنيا منقطعة عنك والاخرة قريبة منك والسلام **اقول** اول هذا الكتاب من عبد الله امير المؤمنين الى معوية بن ابي سفيان اما بعد فان الدنيا دار تجارة وربحها الاخرة فالسعيد من كانت بضاعته فيها الاعمال الصالحة ومن راى الدنيا بعينها وقدرها بقدرها واني لاعظك مع علمي بسابق العلم فيك مما لا مرد له دون نفاده ولكن الله تعالى اخذ على العلماء ان يؤدوا الامانة وان ينصحوا الغوي والرشيد فاتق الله ولا تكن ممن لا يرجو لله وقارا ومن حقت عليه كلمة العذاب فان الله بالمرصاد وان دنياك ستدبر عنك وستعود حسرة عليك فانتبه من الغي والضلال على كبر سنك وفناء عمرك فان حالك اليوم كحال الثوب المهيل الذي لا يصلح من جانب الا فسد من اخر ثم يتصل به وقد اردیت لفصل والمهيل المتداعي التمزق ومنه رمل مهيل اي ينهال ويسيل واردیت والجيل الصنف وروى جيلا وهو الخلق وجاروا عدلوا والوجهة القصد والنكوص الرجوع وعول على كذا اعتمد عليه وفاء رجع والموازرة المعاونة وفي الكتاب مقاصد الاول موعظته وتذكيره بحال الدنيا وكونها دار تجارة والغاية من التجارة فيها اما الربح الاخرة بصلاح البضاعة وهي الاعمال واما خسران الاخرة بفسادها الثاني تنبيهه على ان يرى الدنيا بعينها اي يعرفها بحقيقتها او يراها بالعين التي بها تعرف وهي عين البصيرة ويعلم ما هي عليه من التغير والزوال وانها خلقت لغيرها ليقدرها بقدرها ويجعلها في نظره لما خلقت له الثالث تنبيهه على ان الله تعالى علما لا بد من نفاده فيه فان ما علم الله تعالى وقوعه لا بد من وقوعه وانما وعظه امتثالا لامر الله ووفاء بعهده على العلماء ان يؤدوا امانته ويبلغوا احكامه الى الخلق وان ينصحوا ضالهم ورشيدهم الرابع امره بتقوى الله ونهاه ان يكون ممن لا يرجو لله وقارا اي لا يتوقع لله عظمة فيعبده ويطيعه والوقار الاسم من التوقير وهو التعظيم وقيل الرجاء هنا بمعنى الخوف فيكون مجازا اطلاقا لاسم احد الضدين على الاخر وان يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب وقوله فان الله بالمرصاد تنبيه له على اطلاعه عليه وعلمه بما يفعل ليرتدع عن معصيته الخامس تنبيهه على ادبار الدنيا وعودها حسرة عليه يوم القيمة ففقدها مع عشقه لها وعدم تمسكه في الاخرة بعصم النجاة وفناء زادها السادس امره بالانتباه من رقدة الجهل والضلال على حال كبر سنه وفناء عمره فان تلك الحال اولى الاحوال بالانتباه منها ونبهه على انه غير قابل للاصلاح في ذلك السن بعد استحكام جهله وتمكن الهيئات الرديئة من جوهر نفسه وشبهه له فهو كالثوب الخلق لا يمكن اصلاحه بالخياطة بل كلما خيط من جانب تمزق من اخر السابع اخبره في معرض التوبيخ على ما فعل باهل الشام من خدعته لهم والقائه لهم في موج بحره ولما كان ضلالهم عن دين الله وجهله بما ينبغي هو سبب جهله عندهم شبهها اليه واستعار لفظ البحر لاحواله وارائه في طلب الدنيا والانحراف عن طريق الله باعتبار كثرتها وبعد غايتها ولفظ الموج للشبه التي القاها اليهم وغرهم بها فيما يريد من الاغراض الباطلة ومشابهتها للموج في تلعبها باذهانهم واضطراب احوالهم بسببها ظاهرة وكذلك استعار لفظ الظلمات لما حجب بصائرهم عن ادراك الحق من تلك الشبهات ولفظ الغشيان لطريانها على قلوبهم وحجبها لها ومحل تغشاهم نصب على الحال وكذلك لفظ التلاطم لتلعب تلك الشبهات بعقولهم وقوله فجازوا واعطف على القيتهم واراد انهم عدلوا عن الحق بسبب ما القاه اليهم من الشبه واعتمدوا في قتالهم على احسابهم وحمية الجاهلية في الذب عن اصولهم ومفاخرهم دون مراعاة الدين والذب عنه الا من رجع الى الحق من اهل العقول فانهم عرفوك وما انت عليه من الضلال فارقوك وهربوا الى الله من معاونتك فيما تريده من هدم الدين حين حملتهم على الامور الصعبة الهادمة له وعدلت بهم عن قصد الحق وقد كان استغوى العرب بشبهة قتل عثمن والطلب بدمه فلما عرف عقلاؤهم والمتمسكون بالدين منهم ان تلك خدعة منه لارادة الملك فارقوه واعتزلوه وقوله على اعقابهم وعلى ادبارهم ترشيح لاستعارة لفظي النكوص والتولي من المحسوسين للمعقولين والاستثناء هنا من الجيل الذين خدعهم ولفظ الصعب مستعار لما حملهم عليه من الامور المستصعبة في الدين باعتبار كونهم لها يستلزم عدولهم عن صراط الله ووقوعهم في مهاوي الهلاك كما يستلزم ركوب الجمل الصعب النفور العدول براكبه عن الطريق وتقحم المهالك وكذلك لفظ مستعار للطريق المعقول الى الحق من الطريق المحسوس ثم كرر عليه الامر بتقوى الله وان يجاذب الشيطان قياده واستعار لفظ المجاذبة للممانعة المعقولة ولفظ القياد لما يقوده به من الاراء الباطلة وكواذب الامال وممانعة الشيطان لذلك القياد تكذيبا لنفس الامارة فيما يوسوس به من تلك الاراء وقوله فان الدنيا الى الاخرة تنبيه له على وجوب قطع الامال الدنيوية لانقطاع الدنيا وعلى العمل للاخرة بقربها وهو في قوة صغرى ضميرين تقدير كبرى الاول وكل ما كان منقطعا زائلا وجب قطع الامل فيه لانقطاعه ومجاذبة الشيطان في عودته اليه وتقدير كبرى الثاني وكل ما كان قريبا فينبغي ان يستعد لوصوله والعمل وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام الى قثم بن العباس وهو عامله على مكة اما بعد فان عيني بالمغرب كتب الي يعلمني انه وجه الى الموسم اناس من اهل الشام العمي القلوب الصم الاسماع الكمه الابصار الذين يلبسون الحق بالباطل

فليمسون ذر

منقطعة عنك

بغدر ظلم

اهلكك

ويطيعون المخلوق في معصية الخالق ويحتلبون الدنيا درّها بالدين ويشترون عاجلها بآجل الأبرار المتقين ولن يفوز بالخير
إلا عامله ولا يجزى جزاء الشر إلا فاعله فأقم على ما في يديك قيام الحازم الصليب والناصح اللبيب التابع لسلطانه المطيع
لإمامه وإياك وما يعتذر منه ولا تكن عند النعماء بطرا ولا عند البأساء فشلا **أقول** هو قثم بن العباس بن عبد المطلب
ولم يزل واليا لعلي عليه السلام على مكة حتى قتل عليه السلام واستشهد بسمرقند في زمن معوية وسبب هذا الكتاب أن معوية كان قد بعث إلى مكة
في موسم الحج واجتماع العرب بها دعاة يدعون إلى طاعته ويثبطون العرب عن نصرة علي عليه السلام ويلقون في أنفسهم أنه إما قاتل عثمان أو
خاذل له وعلى التقديرين فلا يصلح للإمامة وينشرون محاسن معوية بزعمهم وأخلاقه وسيرته في العطاء فكتب عليه السلام هذا الكتاب إلى عامله
بمكة ينبهه على ذلك ليعتمد فيه ما يقتضيه السياسة وقيل إن الذين بعض السرايا التي كان يبعثها للغارة على أعمال علي عليه السلام والعين
تمم م
الجاسوس والموسم مجمع الحاج والأكمه الأعمى خلقة والبطر شدة المرح وكثرة النشاط والبأساء الشدة ويجئ على فعلاء لا أفعل
له لأنه اسم غير صفة والفشل الجبن والضعف وحاصل الكتاب إعلامه أولا بما كتب إليه عينه بالمغرب أراد الشام لأنها من البلاد
المغربية وقد كان له عليه السلام في البلاد جواسيس يخبرونه بما يتجدد من الأمور عند معوية ولمعوية عنده كذلك كما جرت عادة الملوك بمثله
ثم وصف أهل الشام بأوصاف تستلزم البعد عن الله لغرض التنفير عنهم أحدها شمول الغفلة لهم من كل وجه عما خلقوا لأجله
واستعار لقلوبهم لفظ العمى باعتبار عدم عقليتهم للحق وإدراكهم لما ينبغي من طريق الآخرة كما لا يدرك الأعمى قصده ولفظ الصمم
لأسماعهم والكمه لأبصارهم باعتبار عدم انتفاعهم من جهة الأسماع بالمواعظ والتذاكير ومن جهة الأبصار بتحصيل العبرة بها من آثار
الله سبحانه كما لا ينتفع بذلك فاقد هاتين الآلتين الثاني كونهم يلبسون الحق بالباطل أي يخلطونه ويموهون فيه والمراد أنهم يعلمون
أنه على الحق وأن معوية على الباطل ثم يكتمون ذلك ويغطونه بشبهة قتل عثمان والطلب بدمه إلى غير ذلك من أباطيلهم وروي
يلبسون الحق بالباطل فكانوا يطلبون حقا بحجة كاذبة الثالث كونهم يطيعون المخلوق أي معوية في معصية خالقهم الرابع كونهم يحتلبون
الدنيا درّها بالدين واستعار لفظ الدر لمتاع الدنيا وطيباتها ولفظ الاحتلاب لاستخراج متاعها بوجوه الطلب عن مظانه ملاحظة لشبهها
بالناقة ودرها منصوب بدلا من الدنيا وإنما كان ذلك بالدين لأن إظهارهم لشعاره وتمسكهم بظواهره بغرض تحصيل الدنيا وأخذهم
ما لا يستحقونه منها فإن محاربتهم له عليه السلام إنما كانت كما زعموا للأخذ بثأر الخليفة عثمان وإنكار المنكر على قاتليه وخاذليه وبذلك تمكنوا
من تألف قلوب العرب وأكثر جهال المسلمين على حربه وأخذ البلاد الخامس شراؤهم عاجل الدنيا بآجل الأبرار وثواب الآخرة ولفظ
الشراء مستعار لاستعاضتهم ذلك العاجل من ذلك الآجل ولما كان ذلك في شعار الإسلام هو الخسران المبين ذكره في معرض ذمهم ثم
ذكر في مقام الوعد والوعيد لهم اختصاص الفوز بالخير بمن عمل الخير ترغيبا فيه والمجازاة بالشر في فاعله تنفيرا عنه ثم ختم بأمره وتحذيره
أما أمره فبأن يقيم على ما في يديه من العمل مقام من هو أهل لذلك وهو الحازم المتثبت في آرائه الصليب في طاعة الله الناصح اللبيب له و
لأوليائه التابع لسلطانه المطيع لإمامه وأما تحذيره فمما يعتذر منه وهو كل أمر عدّ في الشرع معصية وتقصيرا عن أداء حقه وبرى
الكلمات مرفوعة ثم من البطر في النعمة والفشل والضعف عند البأساء والشدة لكون ذلك معدا لزوال النعمة وحلول النقمة والبطر
رذيلة تستلزم رذيلتي الكبر والعجب وتقابل فضيلة التواضع والفشل رذيلة التفريط من فضيلة الشجاعة وبالله التوفيق **ومن**
كتاب له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجّده من عزله بالأشتر عن مصر ثم توفي الأشتر في توجهه إلى مصر قبل
وصوله إليها أمّا بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك وإني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهد ولا ازديادا
اما بعد م
لك في الجدّ ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك مؤونة وأعجب إليك ولاية إن الرجل الذي
كنت وليته أمر مصر كان رجلا لنا ناصحا وعلى عدونا شديدا ناقما فرحمه الله فلقد استكمل أيامه ولاقى حمامه
ونحن عنه راضون أولاه الله رضوانه وضاعف الثواب له فأصحر لعدوك وامض على بصيرتك وشمّر لحرب من حاربك وادع
نحن م
إلى سبيل ربك وأكثر الاستعانة بالله يكفك ما أهمّك ويعنك على ما نزل بك والسلام **أقول** السبب أن محمد بن أبي بكر كان قد ضعف
عن لقاء العدو ولم يكن في أصحاب علي عليه السلام أقوى بأسا في الحرب من الأشتر رحمه الله وكان معوية بعد وقائع صفين قد تجرد للغارة على أطراف
بلاد المسلمين وقد كانت مصر جعلت طعمة لعمرو بن العاص وعلم عليه السلام أنها لا تحفظ إلا بالأشتر فكتب له العهد الذي يأتي ذكره ووجهه إليها
فبلغه أن محمدا تألّم من ذلك ثم إن الأشتر مات قبل وصوله إليها فكتب عليه السلام إلى محمد هذا الكتاب وهو يؤذن بإقراره على عمله واسترضائه
وتعريفه وجه عذره في تولية الأشتر لعمله وأنه لم يكن ذلك لموجدة عليه ولا تقصير منه والموجدة ما يجده الإنسان من الغضب والتألم
عند التسريح والإرسال وأصحر له أي اخرج له إلى الصحراء والبصيرة هنا الحجة والهدى في الدين وحاصل الفصل أمور الأول قوله بلغني
إلى قوله عملك كالاعتراف له بما يشبه الإساءة في حقه ليرتب عليه ما يشبه الاعتذار إليه الثاني قوله وإني لم أفعل ذلك إلى قوله
فأما أخذ فيما يشبه العذر فنفى عنه التقصير والاستبطاء في الجهاد ونحوه مما عساه يتوهمه سببا لعزله ثم وعده على تقدير تمام عزله بولاية

ازهواسهل

امره وسهل عليه كلفة واحتماله ولا يتم تسكين القلب عن مصر بالترغيب فيما هو خير منها ثم اشار الى وجه بعثه الاشتر في مصر وذلك
الثناء عليه بما اجتمع فيه من الخصال الحميدة المذكورة وهي كونه لامامه ناصحا وعلى عدوه شديدا ناقما اي منكرا ومغيرا ومحمد لم يكن
له الامر الاول الا انه في الثاني ضعيف الثالث قوله فرحمه الله الى قوله الثواب له اعلام بانه مات وهو عنه راض لئلا يظهر بشماتة
الرابع قوله فاصحر الى آخره امر له بالاستعداد للعدو وامره بالاصحار كالاشعار بالقوة دون الاستتار في المدينة المشعر بالضعف و
ان يمضي في محاربته على بصيرته في الحق واستبصار فيه وكنى بوصف التشمير عن الاستعداد للحرب وان يدعو الى سبيل ربه بالحكمة
والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن وان يكثر الاستعانة باشعار الرغبة اليه والاستعانة والمجادلة بالتي هي احسن
وان يكثر الاستعانة بالله فان الرغبة اليه والاستعانة به تعد لافاضة النصر وكفاية ما اهم من امر العدو ومعونته على ما نزل من الشدائد
وبالله التوفيق والعصمة **ومن كتاب له عم** الى عبد الله بن عباس رض بعد مقتل محمد بن ابي بكر بمصر اما بعد فان مصر قد افتتحت ومحمد بن
ابي بكر رحمه الله قد استشهد فعند الله نحتسبه ولدا ناصحا وعاملا كادحا وسيفا قاطعا وركنا دافعا وقد كنت حثثت الناس على
لحاقه وامرتهم بغياثه قبل الوقعة ودعوتهم سرا وجهرا وعودا وبدءا فمنهم الآتي كارها ومنهم المعتل كاذبا ومنهم القاعد خاذلا
اسأل الله سبحانه ان يجعل لي منهم فرجا عاجلا فوالله لولا طمعي عند لقائي عدوي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنية لاحببت
ان لا ابقى مع هؤلاء يوما واحدا ولا التقي بهم ابدا **اقول** احتسبت كذا عند الله اي طلبت به الحسبة بكسر الحاء وهي الاجر واستشهاده
القتل في سبيل الله واستشهد كانه استحضر الى الله ومدار الكتاب على امور احدها اعلامه بفتح مصر وقتل محمد بن ابي بكر لبيان همه في الم هذه
المصيبة ومدحه في معرض التفجع عليه والتوجع له وولدا وعاملا وركنا احوال ونصبها ولدا مجاز باعتبار تربيته في حجره كالولد وذلك
وسيفا م
انه كان ربيبا له وامه اسماء بنت عميس الخثعمية كانت تحت جعفر بن ابي طالب هاجرت معه الى الحبشة ولما قتل جعفر تزوجها ابو بكر فولدت
له محمدا هذا فلما توفي عنها تزوجها علي عم فولدت له يحيى بن علي واستعار له لفظ السيف باعتبار كونه يقطع به العدو ويصال به عليه ورشح
بذكر القاطع وكذلك لفظ الركن باعتبار كونه يستند اليه في الحوادث فيدفع به ورشح بقوله دافعا الثاني اعلامه بحاله مع الناس في معرض
التشكي منهم وانه قد حثهم على لحاقه واغاثته فلم يسمعوا واشار الى وجه تقصير كل منهم وقد كان حاله عم مع الناس كحال رسول الله صلعم مع
قوم منافقين كارهين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون والمعتلون كذبا كالذين قالوا لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم
انهم لكاذبون ومن تامل حالهما وسيرتهما الى ان مضيا تحقق وجه الشبه بينهما في اكثر الاحوال وهذه القسمة لهم بحسب ما وجد منهم الرابع سؤاله
لله تعالى ان يجعل له منهم الفرج وهو في معرض التشكي منهم ثم الاشارة الى وجه عذره في المقام بينهم على هذه الحال وهو طلبه للشهادة وتوطينه
نفسه على الموت عند لقاء العدو ولولا ذلك لفارقهم وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** في ذكر جيش انفذه الى بعض الاعداء
الى عقيل بن ابي طالب اخوه م
وهو جواب كتاب كتبه اليه فسرحت اليه جيشا كثيفا من المسلمين فلما بلغه ذلك شمر هاربا ونكص نادما فلحقوه ببعض الطريق
وقد طفلت الشمس للاياب فاقتتلوا شيئا كلا ولا فما كان الا كموقف ساعة حتى نجا جريضا بعد ما اخذ منه بالمخنق ولم
يبق معه غير الرمق فلأيا بلأي ما نجا فدع عنك قريشا وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق وجماحهم في التيه
فانهم قد اجمعوا على حربي كاجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبلي فجزت قريشا عني الجوازي فقد قطعوا رحمي
وسلبوني سلطان ابن امي واما ما سألت عنه من رأيي في القتال فان رأيي قتال المحلين حتى القى الله لا يزيدني كثرة
الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة ولا تحسبن ابن ابيك ولو اسلمه الناس متضرعا متخشعا ولا مقرا للضيم واهنا
ولا سلس الزمام للقائد ولا وطئ الظهر للراكب المقتعد ولكنه كما قال اخو بني سليم فان تسأليني كيف انت فانني صبور
على ريب الزمان صليب يعز علي ان ترى بي كآبة فيشمت عاد او يساء حبيب **اقول** طفلت الشمس بالتشديد اذا مالت
للمغيب وآنت لغة في غابت والجريض المغموم الذي يبتلع ريقه على هم وحزن بالجهد ويكاد يموت لذلك والمخنق بالتشديد هو موضع
الخنق بكسر النون والرمق بقية النفس واللأي الشدة والعسر والاجماع تصميم العزم والجوازي جمع جازية وهي النفوس تجزي بالسيئة
والمحلين من نقض البيعة يقال لمن نقض عهده وبيعته محل ولمن حفظه محرم والمقتعد الراكب لاقتعاده الظهر لبعيره حاصل الفصل امور احدها
قوله فسرحت الى قوله ما نجا حكاية حال عدو قد اغار على بعض عماله فنفذ اليه جيشا من المسلمين فهرب حين علم توجههم نحوه ثم لحقوه فقاتلوه
قليلا ثم افلت منهم على شدة وعسر من الخلاص والفاظه عم افصح العبارات عما ذكره وهاربا ونادما وجريضا احوال وقوله كلا ولا تشبيه
بالقليل السريع والفناء وذلك لان لا ولا لفظان قصيران سريعا الانقطاع قليلان في المسموع من المخاطبين فشبه بهما ما كان من محاربة
العدو والجيش الذي نفذه ونحوه قول ابن هاني المغربي وأسرع في العين من لحظة وأقصر في السمع من لا ولا وموضعه نصب صفة اي قتالا
اسرع من رسو
ذلك القتال الا كموقف ساعة وروي لا وذا ولا يا مصدرية والعامل محذوف وما مصدرية في موضع الفاعل والمقدر فلائي
لأيا نجاؤه اي عسر نجاؤه وقوله بلأي كانه قال لأيا مقرونا بلأي الثاني قوله فدع الى قوله ابن امي كالجواب لكلام ذكر فيه قريشا ومن انضم منهم

كتاب كتبه الى معوية

الى معوية فامره عليه السلام بالاضراب عن ذكرهم الى سبيل الغضب منهم والواو في قوله وتركاضهم يشبه ان يكون بمعنى مع ويحتمل ان تكون بمعنى مع
ويحتمل ان تكون عاطفة واستعار لهم لفظ التركاض باعتبار خبطهم في الضلال عن سبيل الله وخوضهم في الباطل بسرعة فيه من غير
توقف وكذلك لفظ التجوال ولفظ الجماح باعتبار كثرة خلافهم للحق وحركاتهم في تيه الجهل والخروج عن طريق العدل كالفرس يجمح ويجول
وقوله فانهم الى قوله صلى الله عليه وآله في قوة صغرى ضمير نبه على انه لا خير فيهم وانه يجب الاعراض عنهم وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فينبغي تركه
والاعراض عنه اذ لا خير فيه واما حجة الصغرى فظاهرة لان قريشا صمموا عزمهم على حربه منذ بويع بغضا له وحسدا وحقدا عليه واتفقوا
على شقاقه كما كانت حالهم في بدو الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله لم يفترق الحالان في شيء من ذلك وقوله فجزت قريشا عني الجوازي دعاء
عليهم بان يجازوا بمثل فعلهم به من قطيعة الرحم وسلبه سلطان الاسلام والخلافة التي هو اولى بها وهي تجري مجرى المثل وقوله
فقد قطعوا رحمي كالتعليل الحسن للدعاء عليهم وهو في قوة صغرى ضمير ايضا وتقدير كبراه وكل من فعل ذلك فهو حقيق بالدعاء
عليه واراد بابن امه رسول الله صلى الله عليه وآله لانهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عائذ بن مخزوم ام عبد الله وابي طالب لم يقل ابن ابي
لان غير ابي طالب من الاعمام يشركه في النسب الى عبد المطلب وقيل ان امه فاطمة بنت اسد كانت تربي رسول الله صلى الله عليه وآله حين كفله
ابو طالب فهي كالام له فاطلق عليه البنوة لها مجازا الثالث قوله واما ما سألت عنه الى اخره فهو تقرير لسؤاله والجواب عنه
عنه وفيه تنبيه على فضيلته من وجوه الاول قوته في الدين على من استحل حرمة الله ونقض عهدا من عهوده الثاني شجاعته
التي لا يزيد معها كثرة الناس حوله عزة ولا تفرقهم عنه وحشة ولا يوجد معها بالصفات المذكورة من الجبن والعجز والانقياد
للعدو وتكثره معها كالقائل والشعر منسوب الى العباس بن مرداس السلمي وهو في قوة تمثيل اصله القائل وفرعه هو عليه السلام
ما ذكر من الاوصاف وحكمه كونه شجاعا يجب الحذر من صولته وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى معوية فسبحان الله
ما اشد لزومك للاهواء المبتدعة والحيرة المتبعة مع تضييع الحقائق واطراح الوثائق التي هي لله طلبة وعلى
عباده حجة فاما اكثارك الحجاج في عثمن وقتلته فانك انما نصرت عثمان حين كان النصر لك وخذلته حيث
كان النصر له **اقول** اول هذا الكتاب اما بعد فان الدنيا حلوة خضرة ذات زينة وبهجة لم يصب اليها احد الا شغلته بزينتها
عما هو انفع له منها وبالاخرة امرنا وعليها حثثنا فدع يا معوية ما يفنى واعمل لما يبقى واحذر الموت الذي اليه مصيرك والحساب
الذي اليه عاقبتك واعلم ان الله اذا اراد بعبد خيرا حال بينه وبين ما يكره ووفقه لطاعته واذا اراد بعبد شرا اغراه بالدنيا و
انساه الاخرة وبسط له امله وعاقه عما فيه صلاحه وقد وصلني كتابك فوجدتك ترمي غير غرضك وتنشد غير ضالتك وتخبط
في عماية وتتيه في ضلالة وتعتصم بغير حجة وتلوذ باضعف شبهة فاما سؤالك الى المتاركة والاقرار لك على الشام فلو
كنت فاعلا لذلك اليوم لفعلته امس واما قولك ان عمر ولاكها فقد عزل عمر من كان ولاه صاحبه وعزل عثمن من كان عمر ولاه
ولم ينصب للناس امام الا ليرى من صلاح الامة ما قد كان ظهر لمن كان قبله او خفي عنهم غيبه والامر يحدث بعده الامر ولكل وال
راي واجتهاد ثم يتصل بقوله سبحان الله ما اشد الى اخره والفصل مشتمل على امور احدها التنبيه على شدة لزومه للاهواء التي
يبتدعها والتحير فيها عن قصد الحق وذلك انه في كل وقت يوقع شبهة ويبتدع رايا يغوي به اصحابه ويغرهم تخيلا لهم بذلك
ان عليا عليه السلام لا يصلح للامامة فتارة يقول انه قتل عثمن وتارة يزعم انه خذله وتارة انه قتل الصحابة وفرق كلمة الجماعة وتارة
صرف عنه بالعطاء وتفريق مال المسلمين على غير الوجه الشرعي وتارة يعترف بكونه صالحا للامامة ويطلب منه الاقرار له على الشام الى
غير ذلك مما يبتدعه في الدين من الاباطيل ويتبع الحيرة فيها مع تضييعه لحقائق الامور التي ينبغي ان يعتقدها من كونه عليه السلام احق
بهذا الامر واطراحه لوثائق الله وعهوده المطلوبة المرضية له وهي حجة على عباده يوم القيمة كما قال تعالى واذ اخذ ربك الاية الثاني جوابه
عن خطابه في امر عثمن وفخره بنصرته وتبكيته له بخذلانه اياه وقوله فانك الى اخره في قوة صغرى ضمير بيانها ان معوية لما
استنصره عثمن تثاقل عنه وهو في ذلك يعده حتى اذا اشتد به الحصار بعث اليه يزيد بن اسد القسري وقال له اذا اتيت
ذا خشب فاقم بها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فاني انا الشاهد وانت الغائب قال فاقام بذي خشب حتى قتل عثمن
فاستقدمه حينئذ معوية فعاد الى الشام بالجيش الذي كان معه فكان نصرة له حيث بعث لنصرته انما كان على سبيل التعذير والتقاعد
عنه ليقتل فيدعو هو الى نفسه فكان ذلك النصر في الحقيقة لمعوية اذ كان قتله بذلك سببا لقتله وانتصاره هو على مطلوبه
من هذا الامر وكان خذلانا له حيث كان محتاجا الى النصرة وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس له ان يفخر بنصرته وينسب غيره
الى خذلانه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى اهل مصر لما ولى عليهم الاشتر رحمه الله من عبد الله علي امير المؤمنين الى القوم
الذين غضبوا لله حين عصي في ارضه وذهب بحقه فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم والظاعن فلا
معروف يستراح اليه ولا منكر يتناهى عنه اما بعد فقد بعثت اليكم عبدا من عباد الله لا ينام ايام الخوف ولا ينكل

عن الاعداء ساعات الروع اشد على الفجار من حريق النار وهو مالك بن الحارث اخو مذحج فاسمعوا له واطيعوا امره فيما طابق
الحق فانه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة ولا نابي الضريبة فان امركم ان تنفروا فانفروا وان امركم ان تقيموا فاقيموا
فانه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم الا عن امري وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدة شكيمته على عدوكم

اقول السرادق البيت من القطن والنكول الرجوع والظبة بالتخفيف حد السيف ونبا السيف اذا لم يقطع السيف والاحجام
التأخر وفلان شديد الشكيمة اذا كان ابيا قوي النفس واصل الشكيمة الحديدة المعترضة في فم الفرس وفي الكتاب مقاصد
الاول قوله من عبد الله الى قوله عنه هي صورة عنوانه ووصف اهل مصر بالغضب لله استجلابا لطباعهم واشارة الى انكارهم
للاحداث التي نسبت الى عثمان ومسيرهم لذلك الى المدينة غضبا لحدود الله ان تعطل فان قلت فيلزم ان يكون عليه السلام راضيا بقتل
عثمان اذ مدح قاتله على المسير بقتله قلت لا يلزم ذلك لجواز ان يكون مسيرهم انما كان للنكير عليه دون غرض قتله فمدحهم على ذلك
النكير لانه حسن ممدوح واما قاتلوه والذين تسوروا عليه الدار وكانوا قوما قليلين ولعله لم يك فيهم من اهل مصر منهم الا اثنان
وليس في كلامه عليه السلام ما يقتضي مدح اولئك باعتبار كونهم قتلوه واستعار لفظ السرادق لما عم من الجور البر والفاجر والمقيم والمسافر
كالسرادق الحاوي لاهله وقابل بين المعروف والمنكر ولم يرد نفي المنكر بل نفي صفته التناهي عنه الثاني قوله اما بعد الى
قوله اخو مذحج صدر الكتاب باعلامهم فيه ببعث الاشتر اليهم الا ووصفه باوصاف يستلزم رغبتهم فيه وكنى بكونه لا ينام
ايام الخوف عن علو همته وتعلقها حين الخوف بتدبير الحرب والاستعداد للقاء العدو وبكونه لا ينكل عن الاعداء عن شجاعته و
شدة باسه واكد ذلك بوصف كونه اشد على الفجار من حريق النار وهو وصف صادق مع المبالغة فيه اذ كان لقاؤه للفجار يستلزم
غلبة ظنونهم بالهلاك معه وعدم السلامة ولا كذلك وجود حريق النار لطمعهم في الفرار من النار واطفائها ثم ذكره بعد تعديد صفاته
الحميدة وهو ابلغ لان الغرض الاهم وصفه لا ذكره فقط ومذحج بفتح الميم كمسجد ابو قبيلة من اليمن وهو مذحج بن جابر بن مالك بن
كهلان بن سبا والنخع قبيلة من هذه القبيلة والاشتر نخعي الثالث امرهم بالمقصود وهو السمع له والطاعة لامره لا مطلقا بل فيما يطابق
الحق ويوافقه من الاوامر واشار الى حسن امتثال امره بضمير صغراه قوله فانه سيف الى قوله الضريبة واستعار له لفظ السيف باعتبار
كونه ماضيا به على العدو فيهلكه كالسيف ورشح بذكر الظبة وكنى بكونه غير كليلها وغير نابي الضريبة عن كونه ماضيا في الحوادث
غير واقف فيها ولا راجع عنها والاضافة الى الضريبة اضافة اسم الفاعل الى المفعول اي ولا نابي عن الضريبة وتقدير الكبرى
وكل من كان كذلك فيجب ان يقدم ويمتثل امره فيما يشير به من الحرب وغيرها الرابع امرهم ان يكون نفارهم الى الحرب واحجامهم عنها
على وفق امره ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانه الى قوله امري وكنى بذلك عن كونه لا يأمر في الحرب وغيرها بامر الا وهو في موضعه
لان اوامره عليه السلام كانت كذلك فمن كان على وفقها فاوامره ايضا كذلك ولم يرد عليه السلام ان كل ما يامر به مالك في الامور الكلية والجزئية فانه
من اوامره عليه السلام بالتعيين والتفصيل بل المراد انه قد علمه بقواعد كلية للسياسات وتدابير المدن والحروب عنده لذلك بحيث يمكنه
ان يجتهد فيها ويستخرج جزئياتها الخامس اعلمهم انه قد آثرهم به على نفسه مع حاجته اليه في الراي والتدبير في معرض الامتنان
عليهم بذلك ليشكروه واشار الى علة ايثاره لهم به وهي كونه ناصحا لهم قوي النفس شديد الوطأة على عدوهم وكنى بشدة الشكيمة
عن ذلك فاما مصلحته عليه السلام في ذلك الايثار فهو استقامة الامر لهم بصلاح حالهم وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام الى عمرو بن العاص

فانك قد جعلت دينك تبعا لدنيا امرئ ظاهر غيه مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فاتبعت اثره
وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام يلوذ الى مخالبه وينتظر ما يلقى اليه من فضل فريسته فاذهبت دنياك وآخرتك ولو بالحق
اخذت ادركت ما طلبت فان يمكني الله منك ومن ابن ابي سفيان اجزكما بما قدمتما وان تعجزا وتبقيا فما امامكما شر لكما والسلام

اقول قد ذكر هذا الكتاب برواية تزيد على هذه واوله من عبد الله علي امير المؤمنين الى الابتر ابن الابتر عمرو بن العاص شانئ محمد
وآل محمد في الجاهلية والاسلام سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانك تركت مروتك لامرئ فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه
الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعا كما وافق شن طبقه فسلبك دينك وامانتك ودنياك وآخرتك وكان علم الله بالغا فيك فصرت
كالذئب يتبع الضرغام اذا ما الليل دجى يلتمس ان يداوسه وكيف تنجو من القدر ولو بالحق طلبت ادركت ما رجوت وقد يرشد من كان
قائده فان يمكني الله منك ومن ابن آكلة الاكباد الحقتكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وان تعجزا او تبقيا بعدي فالله
حسبكما وكفى بانتقامه انتقاما وبعقابه عقابا ومدار الكتاب على توبيخ عمرو فيما تبعه لمعوية في الباطل وتنفيره عما هو عليه ووعيده بما
على ذلك ومعنى جعله دينه تبعا لدنيا معوية انه صرفه في مرضاته بحسب ما يقصده وحصوله عليه من دنياه كما اشرنا اليه قبل من بيعة
دينه بمظاهرته على حربه بطعمة مصر ثم ذم معوية باوصاف ادعتها لغاية التنفير عنه احدها كونه ظاهر غيه وضلاله معوية عن
طريق الله اوضح ان يوضح الثاني كونه مهتوكا ستره ومن المشهور عنه انه كان هاتكا لستر الله عنه فانه كان كثير الخلاعة والهزل

الحق مه

[illegible]

ومن كتاب له الى بعض عماله

صاحب سمار وجلساء لهو ومتاع وشرب وسماع وقد كان يتستر بذلك في زمان عمر خوفا منه الا انه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في آنية الذهب والفضة فاما في ايام عثمان فكان شديد الهتك وانما قارب التوقار حيث خرج على علي عليه السلام لحاجته الى استغواء الناس بظاهر الدين والثالث يشين الكريم بمجلسه وذلك ان الكريم هو الذي يضبط نفسه وينزهها عما يشين العرض من الرذائل وقد كان مجلس معوية مشحونا ببني امية وندمائهم ومجالستهم ممن يلتزم تشنيعهم وتحاقرهم وذلك مشين لعرضه ومقبح لذكره والرابع كونه يسفه الحليم بخلطته وذلك انه كان دابه هو وبنو امية شتم بني هاشم والوقيعة فيهم والتعرض بذكر الاسلام والطعن عليه وان اظهروا الانتماء اليه وذلك مما يستفز الحليم ويسفهه ويغري الشاب عند سماع ذلك منهم وكنى بالاتباع لاثره عن متابعته له فيما يفعله ولشابه بقوله وطلبت فضله الى عرض اتباعه وشبه اتباعه له باتباع الكلب الاسد تحقيرا له وتنفيرا ونبهه على وجه الشبه بقوله يلوذ الى قوله فريسته واراد ان اتباعه له على وجه الذلة والحقارة ودناءة الهمة للطمع فيما يعطيه من فضل ما انتظار ذلك منه كاتباع الكلب للاسد وفي مثل هذا التشبيه بلاغ لعمرو في التنفير لو كان له كرم ثم نبهه على لازم اتباعه له بقوله فاذهبت دنياك واخرتك واراد بدنياه ما كان يعيش به من الرزق والعطاء الحلال على وجه طيب يفسده امن من الحروب التي لقيها بصفين والاموال التي باشرها بمواففته لمعوية وذلك هي الدنيا الحقة اذ الدنيا انما يراد للذة بها والاستمتاع وذلك مما يحصل عليه عمرو واما ذهاب اخرته فظ وقوله ولو بالحق الى قوله طلبت جذب له الى لزوم الحق وترغيب فيه بذكر لازمه وهو ادراك ما طلب من دنيا واخرة وظاهر انه لو لزم الحق لوصلت اليه دنيا كاملة واخرة باقية بالمعالي كافة وقوله فان يمكني الله الى اخره وعيد بعذاب واقع على من تقدير كل واحد من النقيضين وذلك العذاب اما بواسطة في الدنيا بتقدير تمكين الله منهما وهو اجزاؤه لهما بما قدما من معصية الله واما ان الله في الاخرة على تقدير ان يعجزاه وينجيا بعده وهو عذاب النار وتنبيه عليه بقوله فما امامكما شر لكما لقوله تعالى ولعذاب الاخرة اشد وابقى واستعار لفظ الامام للاخرة باعتبار استقبال النفوس لها ونزوعها نحوها وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلم الى بعض عماله

اما بعد فاني كنت اشركتك في امانتي وجعلتك شعاري وبطانتي ولم يكن في اهلي رجل اوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي واداء الامانة الي فلما رايت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو قد حرب وامانة الناس قد خزيت وهذه الامة قد فنكت وشغرت قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين وخنته مع الخائنين فلا ابن عمك آسيت ولا الامانة اديت وكانك لم تكن الله تريد بجهادك وكانك لم تكن على بينة من ربك وكانك انما كنت تكيد هذه الامة عن دنياهم وتنوي غرتهم عن فيئهم فلما امكنتك الشدة في خيانة الامة اسرعت الكرة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من اموالهم المصونة لاراملهم وايتامهم اختطاف الذئب الازل دامية المعزى الكسيرة فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متاثم من اخذه كانك لا ابا لغيرك حدرت الى اهلك تراثك من ابيك وامك فسبحان الله اما تؤمن بالمعاد او ما تخاف نقاش الحساب ايها المعدود كان عندنا من ذوي الالباب كيف تسيغ شرابا وطعاما وانت تعلم انك تاكل حراما وتشرب حراما وتبتاع الاماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين افاء الله عليهم هذه الاموال واحرز بهم هذه البلاد فاتق الله واردد الى هؤلاء القوم اموالهم فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لاعذرن الى الله فيك ولاضربنك بسيفي الذي ما ضربت به احدا الا دخل النار ووالله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ولا ظفرا مني بارادة حتى آخذ الحق منهما وازيح الباطل عن مظلمتهما واقسم بالله رب العالمين ما يسرني ان ما اخذته من اموالهم حلال لي اتركه ميراثا لمن بعدي فضح رويدا فكانك قد بلغت المدى ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك اعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة ويتمنى المضيع فيه الرجعة ولات حين مناص **اقول** المشهورات هذا الكتاب الى عبد الله بن عباس حين واليا له على البصرة والفاظ الكتاب تنبه على ذلك كقوله قلبت لابن عمك ظهر المجن وقوله فلا ابن عمك آسيت وكذلك ما روي ان ابن عباس كتب اليه جوابا عن هذا الكتاب اما بعد فقد اتاني كتابك تعظم علي ما اصبت من بيت مال البصرة ولعمري ان حقي في بيت المال لاكثر مما اخذت والسلم فكتب اليه جوابي لك اما بعد فان من العجب تزيين لك نفسك ان لك في بيت المال من الحق اكثر مما لرجل من المسلمين فقد افلحت ان كان تمنيك الباطل وادعائك ما لا يكون تنجيك من المآثم وتحل لك المحارم لانت المهتدي السعيد اذن وقد بلغني انك اتخذت مكة وطنا وضربت بها عطنا تشتري بها مولدات مكة والمدينة والطائف تختارهن على عينك وتعطي فيهن مال غيرك فارجع هداك الله الى رشدك وتب الى الله ربك واخرج الى المسلمين من اموالهم فعما قليل تفارق من الفت وتترك ما جمعت وتغيب في صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد فارقت الاحباب وسكنت التراب وواجهت غنيا عما خلفت فقيرا الى ما قدمت والسلم

من كتاب له إلى بعض عماله

وانكر قوم ذلك وقالوا ان عبيد الله بن عباس لم يفارق عليا عليه السلام قط ولا يجوز ان يقول في حقه ما قال وقال القطب الراوندي يكون المكتوب
اليه هو عبيد الله قال وحمله على ذلك اشبه وهو ابني واعلم ان هذين القولين لا مستند لهما اما الاول فهو مجرد استبعاد ان يفعل ابن
عباس ما نسب اليه ومعلوم ان ابن عباس لم يكن معصوما وعلي عليه السلام لم يكن ليراقب في الحق احدا ولو كان اعز اولاده كما تمثل بالحسن والحسين
في ذلك فكيف بابن عمه بل يجب ان يكون الغلظة على الاقرباء في هذا الامر اشد ثم ان غلظته عليه وعتابه له لا يوجب مفارقته
اياه لانه عليه السلام كان اذا فعل احد من اصحابه ما يستحق به المؤاخذة اخذه به سواء كان عزيزا او ذليلا قريبا منه او بعيدا فاذا استوفى
حق الله منه او تاب اليه مما فعل عاد في حقه الى ما كان عليه كما قال العزيز عندي ذليل حتى اخذ الحق منه والذليل عندي عزيز حتى
اخذ الحق له فلا يلزم اذن من غلظته على ابن عباس مقابلته اياه بما يكره مفارقته له وشفقته على ما بينهما من المحبة الوكيدة والقرابة
واما القول الثاني فان عبيد الله كان عاملا له عليه السلام باليمن ولم ينقل عنه مثل ذلك ولنرجع الى المتن فنقول الشعار ما يلي الجسد من
الثياب وبطانة الرجل خاصته وكلب الزمان شدته وحرب العدو واشتد غضبه والفتك القتل على غرة وشغرت تفرقت والمجن
الترس والازل خفيف الوركين والهوادة المصالحة والمصانعة وضح رويدا كلمة يقال لمن يؤمر بالتؤدة واصله الرجل يطعم ابله ضحى و
يسيرها مسرعا ليسير فلا تشبعها فيقال له ضح رويدا والمناص المهرب والمخلص والنوص الهرب والتخلص وفي هذا الكتاب مقاصد الاول
انه ذكر احسانه اليه في معرض الامتنان عليه من وجوه الاول اشراكه اياه في امانته التي ائتمنه الله عليها وهي امارة الرعية والقيام
باصلاح امورهم في معاشهم ومعادهم الثاني جعله من خاصته وملازميه واستعار له بذلك لفظ الشعار لما بينهما من الملازمة وملاصقة
الجسد الثالث كونه اوثق اهله في نفسه وانما ههنا لمواساته وموازرته واداء الامانة اليه الفصل الثاني انه بعد تذكيره باحسانه
اليه ذكر مقابلته بذلك بالاساءة اليه في مفارقته اياه وخذلانه وخيانته لما لحقت به عيون الامامة عند دوران شدة الزمان
عليه وقيام العدو في وجهه وتفرق كلمة الامامة عن الحق لتبين انه قابل احسانه بالكفران ليحسن توبيخه على ذلك وتوبيخه فيه وتحذيره
وارادة مفارقته له في الطريقة ولزوم حق الامانة وقوله قلبت لابن عمك ظهر المجن يضرب مثلا لمن يكون مع اخيه فيتغير عليه و
يصير خصما له واصله ان الرجل اذا كان سلما لاخيه يكون بطن ترسه اليه فاذا فارقه وصار حربا له يقلب له ظهر ترسه ليدفع به
عن نفسه ما يلقاه من شره فجعل ذلك كناية عن العداوة بعد الصداقة وضرب مثلا لمن فعل ذلك الثالث الاخذ في تعنيفه و
توبيخه وحكاية حاله في خيانته في معرض التوبيخ وذلك قوله فلا ابن عمك الى قوله هذه البلاد وشبهه بمن لم يرد الله بجهاده بل
الدنيا وبمن لم يكن على بينة من ربه بل هو جاهل به وبوعده ووعيده ووجه الشبه مشاركته لطالبي غير الله والجاهلين به في طلب غيره
والاعراض عنه وكذلك شبهه بمن لم يكن له غرض من عبادته الا خدعة المسلمين عن دنياهم واشار الى وجه الشبه فلما امكنتك الشدة
الى قوله الكسيرة اي فكما ان غرض الذي يكيد غيره عن شيء ان يترصد الفرصة في اخذه وينتهزها اذا وجدها فكذلك انت في اسراعك
بالوثوب على الخيانة وشبه اختطافه لما اخذه من المال باختطاف الذئب الازل دامية المعزى الكسيرة ووجه الشبه سرعة اخذه له و
خفته في ذلك وخص الذئب الازل لان خفة الوركين يعينه على سرعة الوثبة والاختطاف ودامية المعزى الكسيرة لانها امكن للاختطاف
لعدم الممانعة ثم اخذ في معرض التوبيخ انه حمله الى وطنه بمكة وكنى بكونه رحيب الصدر بحمله اما عن سروره وفرحه به او عن كثرة ما حمل منه
لان من العادة اذا اراد الانسان حمل شيء في صدره وباعه وحوى منه ما امكنه حمله ونصب رحيب وغير على الحال واضافة رحيب في
تقدير الانفصال ثم شبهه في معرض التوبيخ والتقريع في حمله بمن حمل تراثا الى اهله من والديه واستفهم على سبيل التعجب من حاله انكارا
عليه عن امرين احدهما عن ايمانه بالمعاد وخوفه من مناقشة الله في الحساب تذكيرا له وتنبيها على انه كان معدودا في نظام اولي
العقول وادخاله في حيزهم تنبيها له على انه لم يبق عنده ذلك الثاني عن كيفية اساغته للشراب والطعام مع علمه ان ما ياكله ويشربه وينكحه
من هذا المال حرام لكونه مال المسلمين اليتامى منهم والمساكين والمجاهدين افاءه الله عليهم ليحرز به عباده وبلاده استفهام انكار وتقريع يذكر معصية الله
الفصل الرابع امره بعد التوبيخ الطويل بتقوى الله ورد اموال المسلمين عليهم وتوعده ان لم يفعل ثم امكن الله منه ان يعذر الى الله فيه اي
يبلغ اليه بالعذر بعينه وبقتله وذكر الضرب بالسيف الموصوف بالصفة المذكورة اغلاظ في الوعيد وابلغ في الزجر الفصل الخامس قسمه ان ولديه
على مكانهما وكرامتهما عليه لو فعلا كفعله من الخيانة لم يرخصهما في ذلك حتى ياخذ الحق منهما ويزيح الباطل عن مظلمتهما من مال غيرهم ومراده
ان غيرهم بطريق الاولى في عدم المراقبة له ثم اقسم القسم البار انه ما يسره ان يكون ما اخذه ابن عباس من اموال المسلمين حلالا له يخلفه
ميراثا لمن بعده لما علمت ان جمع المال وادخاره سبب العذاب في الاخرة كما قال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الاية وقسمه الاول
كالتعليل في شدة انكاره عليه والثاني لتحقير ما اخذه وبيان انه لو كان اخذه على وجه حلال فلا يصلح للقنية فكيف به وهو حرام و
ليتركه ويخرج منه الفصل السادس امره بالامهال على سبيل التهديد بقرب الوصول الى الغاية التي هي الموت والدفن ومعرض اعماله
عليه بالمحل الذي ينادي فيه الظالم بالحسرة ويتمنى فيه مضيعو امر الله والعمل الصالح الرجعة الى الدنيا حين لا مخلص لهم تمام فيه ذلك

المحل هو عرصة القيمة وذكر النداء بالحسرة حين لا يجدية لينا كذا التخويف والتهديد بتعداد الامور المنفرة واما قوله ولات حين مناص فهو ولات بليس وضمير اسمها فيها اسم الفاعل ولا يستعمل لات الا مع حين وقد جاءت حين مرفوعة بانها اسم لات وقيل ان التاء زائدة كهي في ثمت وربت وقد مر ذلك قبل **ومن كتاب له عليه السلام** الى عمر بن ابي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين فعزله واستعمل النعمن بن عجلان الزرقي مكانه اما بعد فاني قد وليت النعمن بن عجلان الزرقي على البحرين ونزعت يدك بلا ذم لك ولا تثريب عليك فلقد احسنت الولاية واديت الامانة فاقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا ماثوم فقد اردت المسير الى ظلمة اهل الشام واحببت ان تشهد معي فانك ممن استظهر به على جهاد العدو واقامة عمود الدين ان شاء الله **اقول** عمر هذا هو ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وامه ام سلمة وابوه ابو سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عمر بن مخزوم واما النعمن بن عجلان فمن سادات الانصار من بني زريق والتثريب التعنيف واستقصاء اللوم والظنين المتهم واستظهرت به اتخذته ظهيرا ومدار الكتاب على اعلام عمر بن ابي سلمة بانفاذ النعمن عوضا منه ثم اعلامه بان ذلك لم يكن عن ذنب صدر منه يستحق به الذم والعزل وانه شاكر له بكونه احسن الولاية وادى امانته ثم اعلامه بغرضه من عزله واستدعائه وهو الاستعانة به على عدوه كل ذلك ليطمئن قلبه ويخاف الولاية عن طيب نفس وينبهه على وجه رغبته في حضوره بقوله فانك الى آخره وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من استظهر به على العدو واقامة عمود الدين فواجب ان رغب في حضوره واستشهد معي ولفظ العمود مستعار للاصول التي يحفظها وقيامها يقوم كالعمود للبيت وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على اردشير خره بلغني عنك امر ان كنت فعلته فقد اسخطت الهك واغضبت امامك انك تقسم في المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم واريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك من اعراب قومك فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة لئن كان ذلك حقا لتجدن بك علي هوانا ولتخفن عندي ميزانا فلا تستهن بحق ربك ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الاخسرين اعمالا الا وان حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء يردون عندي عليه ويصدرون عنه والسلام **اقول** اعتامك اختارك من بين الناس وقد اعلمه بما بلغه من الامر الصادر عنه اجمالا ليتنبه له واشعره انه امر مكروه بما يلزمه وهو سخط الهه وغضب امامه وستره بقوله ان كنت فعلته على انه لم يحققه لذلك ثم بين له ذلك وهو عطاؤه مال المسلمين لمن اختاره رئيسا من اعراب قومه ووصف ذلك الفيء بكونه حيازة رماحهم وخيولهم وعليه اريقت دماؤهم ليتأكد في النفوس وجوب حفظه وحفظ انهم اهله ويتقرر قبح قسمته في غيرهم ثم اقسم قسمة البغيا في معرض الوعيد انه ان كان ذلك منه حقا ان يجد به هوان وخفة عنده ويخف وزنه في اعتباره وكنى به عن صغر منزلته وميزانا نصب على التميز ثم نهاه عن استهانته بحق ربه وعن اصلاح دنياه بمحق دينه نبهها على عظمة الله ووجوب المحافظة على طاعته ونبهه على ما يلزم من ذلك من دخوله في زمرة الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ثم نبهه على قبح ما فعل من تخصيص قومه بذلك المال بقوله الا ان الى قوله سواء وهو في قوة صغرى ضمير وقوله يردون اليه ويصدرون عنه تاكيد لتساويهم في الاستحقاق وانهم كالشريعة المشتركة وتقدير كبراه وكل حق سواء بين المسلمين فلا يجوز تخصيص بعضهم به وقد ذكرنا حال مصقلة من قبل وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى زياد بن ابيه وقد بلغه ان معوية كتب اليه يريد خديعته باستلحاقه وقد عرفت ان معوية كتب اليك يستزل لبك ويستفل غربك فاحذره فانما هو الشيطان ياتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته ويستلب غرته وقد كان من ابي سفيان في زمن عمر بن الخطاب فلتة من حديث النفس ونزغة من نزغات الشيطان لا يثبت بها نسب ولا يستحق بها ارث والمتعلق بها كالواغل المدفع والنوط المذبذب فلما قرء زياد الكتاب قال شهد بها ورب الكعبة ولم يزل في نفسه حتى ادعاه معوية قوله عليه السلام كالواغل المدفع الواغل هو الذي يهجم على الشرب ليشرب معهم وليس منهم فلا يزال مدفعا محاجزا والنوط المذبذب هو ما يناط برحل الراكب من قعب او قدح او ما اشبه ذلك فهو ابدا يتقلقل اذا حث ظهره واستعجل سيره **اقول** زياد هذا هو دعي ابي سفيان ويقال زياد بن عبيد فمن الناس من يقول عبيد بن فلان الثقفي والاكثرون على ان عبيدا وابوه يعني الى ايام زياد فابتاعه زياد واعتقه واما ادعاء ابي سفيان له فروي انه تكلم يوما بحضرة عمر فاعجب الحاضرين كلامه فقال عمرو بن العاص لله لو كان ابوه قرشيا لساق العرب بعصاه فقال اما والله اني لاعرف الذي وضعه في رحم امه فقال علي عليه السلام مه يا ابا سفيان فقال ابو سفيان اما والله لولا خوف شخص يراني يا علي من الاعادي لاظهر امره صخر بن حرب ولم يخف المقالة في زياد ... فقال امير المؤمنين عليه السلام يعني عمر ولما ولى علي عليه السلام الخلافة ولى زيادا فارس وضبطها ضبطا صالحا وحماها فكتب اليه معوية يخدعه باستلحاقه اخاه من امير المؤمنين معوية بن ابي سفيان الى زياد بن عبيد اما بعد فان المرء ربما طرحه الهوى في مطارح العطب وانك للمرء المضروب به المثل قاطع الرحم وواصل العدو وحملك سوء ظنك بي وبغضك لي على ان عققت قرابتي وقطعت رحمي وثبت نسبي وحرمتني كانك لست اخي وليس صخر بن حرب اباك وابي وشتان بيني وبينك اطلب بدم ابن ابي العاص وانت تقاتلني ولكن ادركك عرق

عبد الاسد

المؤنث

فمن الناس من يقول عبيد بن

ضبطها

ج ٤ ٣

من كتاب له الى عثمن بن حنيف

الرجا ؤه من قبل الشتاء ؤه فكنت كناركة بيضها بالعراء وملحفة بيض اخرى جناحا وقد رايت ان اعطف عليك ولا آخذك بسوء سعيك
وان اصل رحمك وابتغي الثواب في امرك واعلم ابا المغيرة انك لو خضت البحر في طاعة القوم تضرب بالسيف حتى ينقطع متنه لما ازددت
منهم الا بعدا فان بني عبد شمس لبغض الى بني هاشم من الشفرة الى الثور الصريع وقد اوثق للذبح فارجع رحمك الله الى اصلك واتصل
بقومك ولا تكن كالموصول يطير بريش غيره فقد اصبحت ضال النسب ولعمري ما فعل ذلك بك الا اللجاج فدعه عنك فقد اصبحت
على بينة من امرك ووضوح من حجتك فان احببت جانبي ووثقت بي فامره بامره وان كرهت جانبي ولم تثق بقولي [illegible]
ففعل جميل لا علي ولا لي والسلم وحمل الكتاب مع المغيرة بن شعبة اليه وكان ذلك سبب فساده على الحسن بعد علي ع وانضمامه الى معوية
ولما بلغ عليا ع ذلك كتب اليه اما بعد فاني وليتك ما وليتك وانا اراك لذلك اهلا وقد عرفت ان معوية الى اخر الكتاب ولنرجع
الى المتن فنقول غربه السيف حده والاستفلال طلب الفل وهو ثلم الحد ومدار الكتاب على اعلامه بما علمه من كتاب معوية اليه ثم تنبيهه
على مقصده من ذلك الكتاب وهو ان يستزل عقله ويشغله عما هو عليه من الراي الصحيح في نصرة الحق وولاية له ع ومكسر حده
في ذلك واستعار لفظ الغرب لعقله ورايه ولفظ الاستفلال لطلب صرفه عن ذلك الراي الصالح ملاحظة لشبهه بالسيف ثم
حذره عنه بقوله فانما هو الشيطان باغتياله ووسوسته وصده عن الحق على وجه التشبيه بقوله ياتي الانسان الى قوله شماله وهو
كقوله تعالى لآتينهم من بين ايديهم الى قوله شمائلهم اي انه ياتي الانسان من كل جهة كما ياتي الشيطان وخص الجهات الاربع
لانها الجهات التي يعتاد الاتيان منها وقال بعض المفسرين من بين ايديهم يطمعهم في العفو ويغريهم بالعصيان ومن خلفهم يذكرهم
مخلفيهم ويحسن لهم جمع المال وتركه لهم وعن ايمانهم يحسن لهم الرياسة والثناء وعن شمائلهم يحسن لهم اللهو واللذات وعن شقيق قال ما
من صباح الا ويقعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرأ اني لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى واما من خلفي فيخوفني الضيعة على من خلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما
من قبل يميني فياتيني من جهة الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم و
بين ما يشتهون ثم نبهه على وجه فساد حيلة معوية وذلك ان معوية انما اراد استغفاله باستلحاقه اياه كما سنذكره فنبهه ع
على ان ذلك الاستلحاق انما يتم بحجة استلحاقه في ابي سفيان له ابنا ولم يصح ذلك لدعوى وانما كان قوله انا كذا وكذا فلتة
من حديث النفس وقع منه من غير تثبت ولا روية واقراره بالزنا في قوله انا وضعته في رحم امه وذلك نزغة من نزغات الشيطان
القاها على لسانه فلا تثبت بها نسب ولا يستحق بها ارث لقوله ص الولد للفراش وللعاهر الحجر ثم شبه المتعلق في نسبه بهذه الفلتة
والنزغة بالواغل المدفع ووجه الشبه كونه لا يزال مدفعا وبالنوط المذبذب ووجه الشبه اضطرابه وعدم ثبوته بنسب
معين واستقراره كما يضطرب النوط ولا يستقر وبالله التوفيق **ومن كتاب له ع** الى عثمن بن حنيف الانصاري عامله على
البصرة وقد بلغه انه دعي الى وليمة قوم من اهلها فمضى اليها اما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني ان رجلا من فتية اهل
البصرة دعاك الى مادبة فاسرعت اليها وكثرت عليك الجفان بثريدها فاكرعت ثم عطفت على اللحم فاكلته اكل
بهيم قرم ونهشته نهش ضبع هرم تستطاب لك الالوان وتنقل اليك الجفان ما ظننت انك تجيب الى طعام قوم
عائلهم مجفو وغنيهم مدعو فانظر الى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما ايقنت بطيب وجوهه
فنل منه الا وان لكل ماموم اماما يقتدى به ويستضيء بنور علمه الا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه
الا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا ولا ادخرت
من غنائمها وفرا ولا اعددت لبالي ثوبي طمرا بلى كانت في ايدينا فدك من كل ما اظلته السماء فشحت عليها نفوس
قوم وسخت عنها نفوس آخرين ونعم الحكم الله وما اصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته
آثارها وتغيب اخبارها وحفرة لو زيد في فسحتها واوسعت يدا حافرها لاضغطها الحجر والمدر وسد فرجها التراب
المتراكم وانما هي نفسي اروضها بالتقوى لتاتي آمنة يوم الخوف الاكبر على جوانب المزلق ولو شئت لاهتديت الطريق
الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخير
الاطعمة ولعل بالحجاز او باليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع او ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى واكباد
حرى او اكون كما قال القائل شعر وحسبك داء ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد أاقنع من نفسي بان يقال
امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر او اكون اسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات كالبهيمة
المربوطة همها علفها او المرسلة شغلها تقممها تكترش من اعلافها وتلهو عما يراد بها او اترك سدى او اهمل عابثا او
اجر حبل الضلالة او اعتسف طريق المتاهة وكاني بقائلكم يقول اذا كان هذا قوت ابن ابي طالب فقد قعد به الضعف

قوم م

وتثبت م

في تتمة كتابه ع إلى عثمان بن حنيف

عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان ألا وإن الشجرة البرية أصلب عوداً والروائع الخضرة أرق جلوداً والنابتات العذية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً وأنا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالضوء من الضوء والذراع من العضد والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها وسأجهد في أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد إليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك قد انسللت من مخالبك وأفلت من حبائلك واجتنبت الذهاب في مداحضك أين القرون الذين غررتهم بمداعبك أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك ها هم رهائن القبور ومضامين اللحود والله لو كنت شخصاً مرئياً وقالباً حسياً لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأماني وأمم ألقيتهم في المهاوي وملوك أسلمتهم إلى التلف وأوردتهم موارد البلاء إذ لا ورد ولا صدر هيهات من وطئ دحضك زلق ومن ركب لججك غرق ومن ازور عن حبائلك وفق والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه اعزبي عني فوالله لا أذل لك فتستذليني ولا أسلس لك فتقوديني وايم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً وتقنع بالملح مأدوماً ولأدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ويأكل علي من زاده فيهجع قرت إذاً عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها وعركت بجنبها بؤسها وهجرت في الليل غمضها حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم فاتق الله يا ابن حنيف ولتكفف أقراصك ليكون من النار خلاصك **أقول** المأدبة بالضم الطعام يدعى إليه والعائل الفقير والقضم الأكل بأدنى الفم وطمر الثوب الخلق والوفر المال الكثير والمعرفة المرة وفدك اسم قرية كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله والجدث القبر وأضغطها ضيقها والقمح الحنطة والنسائج جمع نسيجة بمعنى منسوجة والجشع أشد الحرص على الطعام والمبطان عظيم البطن لكثرة الأكل وغرثى جائعة والبطنة الكظة وهي الامتلاء من الطعام والتقمم تتبع القمامة وهي الكناسة وتكترش تملأ كرشها والسدى الملقى المهمل والروائع الأشجار التي تروع بنضارتها والعذية التي لا يسقيها إلا ماء المطر والمركوس المردود مقلوباً كالمنكوس والمداحض المزالق وازور أخذ جانباً واعزبي ابعدي يقال عزب الرجل بالفتح إذا بعد وسلس الرجل بكسر اللام في المستقبل سهل قياده والرياضة التأديب والتعويد والربيضة الجماعة من الغنم تربض من الغنم وتجافت أي نبت وارتفعت والهمهمة الصوت الخفي وفي الكتاب مقاصد الأول أشار إلى ما يريد عتابه عليه وهو إجابته إلى المأدبة وسرعة استطابته الألوان ونقل إليه الجفان وأعلمه أنه بلغه ذلك منه لم يحسن توبيخه وذلك في قوله أما بعد إلى قوله الجفان الثاني أشار على وجه المعاتبة والتخطئة في ذلك بقوله وما ظننت أنك تجيب إلى كذا أي كان ظني فيك من الورع أنك تنزه نفسك عن الإجابة إلى طعام قوم لا يلتفتون إلى فقرائهم ويقصرون الدعوة والكرامة على أغنيائهم دون فقرائهم ووجه الخطاء في إجابة ذلك هؤلاء أن تخصيصهم الأغنياء دون الفقراء بالكرامة والدعوة دليل واضح على أنهم إنما يريدون بذلك الدنيا والسمعة والرياء دون وجه الله تعالى ومن كان كذلك فإجابته موافقة له على ذلك ورضى بفعله وذلك خطأ كبير خصوصاً من أمراء الدين المتمكنين من إنكار المنكرات الثالث أمره أن يجتزي فيما يتفق له أن يقع فيه من ذلك بالنظر إلى ما يحضر من الطعام فما وجد فيه شبهة حرام ولم يتحقق حاله فليتركه وما تيقن حله وطيب وجه اكتسابه ببراءته عن الشبهة فينال منه وكنى عنه بالقضم تحقيراً له وتقليلاً لما يهم منه بحسب التأديب لأن الأولى التنزه عن هذه المباح أفضل له من تناوله الرابع نبهه بعد ذلك بقوله ألا وإن إلى قوله علمه على أن له إماماً يجب أن يقتدي به وهو تمثيل في قوة قياس كامل حذفت صغراه فأصل التمثيل مطلق الإمام والمأموم وعلته كونهما إماماً ومأموماً وفرعه هو وعامله وحكمه وجوب الاقتداء وتقدير القياس أنك مأموم لإمام وكل مأموم لإمام فيجب عليه أن يقتدي بإمامه ينتج أنه يجب عليك أن تقتدي بإمامك وتستضيء بنور علمه الخامس أردف ذلك بالتنبيه على ما يجب أن يقتدي به فيه من حاله في دنياه وهو اكتفاؤه من ملبوسها بطمريه ومن مطعومها بما يسد به فورة جوعه من قرصيه غير ملتفت فيما النسبة إلى نفسه فإن طمريه كانا مما يخلق عمامة ومدرعة فلا ... رافعها ولا مكترث فيما طعمه بلذة وطيب فإن قرصيه كانا من شعير غير منخول واحد بالغداة وواحد بالعشي السادس نبه على أن رياضته تلك لا يستطاع لهم فإنها قوة مشروطة باستعداد لم يصلوا إليه ثم أمرهم إذ كانت الحال كذلك أن يقتصروا في معونته على أنفسهم ورياضتها بالورع وأراد به هنا الكف عن المحارم ثم بالاجتهاد في الطاعة ويحتمل أن يريد بالورع لزوم الأعمال الجميلة ثم الاجتهاد فيها السابع نبه بالقسم البار على دفع ما عساه يعرض لبعض الأذهان الفاسدة في حقه أن زهده في الدنيا مشو

برايه وسعة ديوانه ومجنها وجمعها وادخارها خصوصا وهو امام الوقت وخليفة الارض بعد انواع ما افاء الله على المسلمين منها ام انتم
انه لم يوخذ منه الا قوته وشبهه في القلة والحقارة بقوت الاتان الدبرة وخصها لان ضعفها بالدبر وشغلها بالمه يقلل قوتها ثم
بالغ في وصف حقارة دنياهم عنده فاخبر انها في نظره واعتباره اهون من عفصة مرة وظاهر ان من كان كذلك كيف يتصور محبته للدنيا
وعمله لها الثامن انه لما فاته فيما اقتنى من الدنيا ولا حاز من ارضها شبرا استثنى من ذلك فدك بقوله بلى في ايدينا كانت
لنا فدك من كل ما اظلته السماء وذكرها في معرض حكاية حاله وحال القوم معه على سبيل التشكي والتظلم ممن اخذها منهم الى الله
سبحانه وتسليم الامر له والرضا بكونه حكما واعلم ان فدك كانت خاصة لرسول الله ص وذلك انه لما فرغ من امر خيبر قذف الله في
قلوب اهل فدك الرعب فبعثوا النبي ص يصالحونه على النصف فقبل ذلك منهم فكانت له خاصة اذ لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب
وروى انه صالحهم على كلها ثم المشهور بين الشيعة والمتفق عليه عندهم ان رسول الله ص اعطاها فاطمة ع ورووا ذلك من طرق مختلفة
منها عن ابي سعيد الخدري قال لما انزلت وات ذا القربى حقه اعطى رسول الله ص فاطمة ع فدك فلما تولى ابو بكر الخلافة عزم
على اخذها منها فارسلت اليه تطالبه بميراثها من رسول الله ص وتقول انه اعطاني فدكا في حيوته واستشهدت على ذلك
عليا ع وام ايمن فشهدا لها بها فاجابها عن الميراث بخبر رواه هو نحن معاشر الانبياء لا نورث فما تركناه فهو صدقة وعن دعوى
فدك انها لم تكن للنبي ص وانما كانت مالا للمسلمين في يده يحمل به الرجال وينفقه في سبيل الله وانا اليه كما كان يليه فلما بلغها ذلك
لاثت خمارها واقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ في ذيولها حتى دخلت عليه وقد حفل المهاجرين والانصار فضربت بينها
وبينهم ريطة ثم انت انة اجهش لها القوم بالبكاء ثم امهلت طويلا حتى سكنوا من فورتهم وقالت ابتدئ بحمد من هو اولى بالحمد
والطول والمجد الحمد لله على ما انعم وله الشكر بما الهم ثم خطبت خطبة طويلة قالت في اخرها فاتقوا الله حق تقاته واطيعوه فيما امركم
فانما يخشى الله من عباده العلماء واحمدوا الله الذي بعظمته ونوره يبتغي من في السموات ومن في الارض اليه الوسيلة ونحن وسيلته
في خلقه ونحن خاصته ومحل قدسه ونحن حجته في غيبه ونحن ورثة انبيائه ثم قالت انا فاطمة بنت محمد اقول عودا على بدء ما اقول
ذلك سرفا ولا شططا فاسمعوا باسماع واعية وقلوب راعية ثم قالت لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤف رحيم فان تعزوه تجدوه ابي دون ابائكم واخا ابن عمي دون رجالكم ثم قالت ثم انتم تزعمون ان لا ارث لي افحكم الجاهلية تبغون
ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون ايها معشر المسلمة ابتز ارث ابيه ابى الله ان ترث يا ابن ابي قحافة اباك ولا ارث ابي لقد جئت
شيئا فريا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون
ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم قال ثم التفتت الى قبر ابيها فتمثلت بقول هند
بنت اثاثة قد كان بعدك انباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب ابدت رجال لنا نجوى صدورهم لما قضيت وحالت
دونك الكتب تجهمتنا رجال واستخف بنا اذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب قال فلم ير الناس اكثر باكيا وباكية منهم يومئذ
ثم عدلت الى مسجد الانصار وقالت يا معشر الانصار واعضاد الملة وحضنة الاسلام ما هذه الفترة عن نصرتي والونية عن معونتي والغمزة
في حقي والسنة عن ظلامتي اما قال رسول الله ص المرء يحفظ في ولده سرعان ما احدثتم وعجلان ما اتيتم الان مات رسول الله ص امتم
دينه ها ان موته لعمري خطب جليل استوسع وهيه واستبهم فتقه وفقد راتقه واظلمت الارض له وخشعت الجبال واكدت الامال
اضيع بعده الحريم وهتكت الحرمة واذيلت المصونة وتلك نازلة اعلن بها كتاب الله قبل موته وانبأكم بها قبل وفاته فقال وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ايها بني
قيلة اهتضم تراث ابيه وانتم بمرأى ومسمع تبلغكم الدعوة ويشملكم الصوت وفيكم العدة والعدد ولكم الدار والجنن وانتم نخبة
الله التي انتجب وخيرة الله التي اختار لنا اهل البيت فباديتم العرب وبادهتم الامور وكافحتم البهم حتى دارت بكم رحى الاسلام ودر حلبه وخبت نيران الحرب
وسكنت فورة الشرك وهدأت دعوة الهرج واستوثق نظام الدين فتأخرتم بعد الاقدام ونكصتم بعد الشدة وجبنتم بعد الشجاعة
عن قوم نكثوا ايمانهم من بعد ايمانهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا وقد ارى ان قد اخلدتم
الى الخفض وركنتم الى الدعة فجحدتم الذي وعيتم وسغتم الذي سوغتم وان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد الا وقد
قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم وخور القناة وضعف اليقين فدونكموها فاحتقبوها مدبرة الظهر ناقبة الخف باقية
العار موسومة الشنار موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فبعين الله ما تعملون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب
ينقلبون ثم رجعت الى بيتها واقسمت ان لا تكلم ابا بكر ولتدعون الله عليه ولم تزل كذلك حتى حضرتها الوفاة فاوصت ان لا يصلي عليها
فصلى عليها العباس ودفنت ليلا وروي انه لما سمع كلامها حمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال يا خيرة النساء وابنة خير
الاباء والله ما عدوت راي رسول الله ص ولا عملت الا بامره وان الرائد لا يكذب اهله قد قلت فابلغت واغلظت فاهجرت فغفر الله

من تتمة كتابه الى عثمان بن حنيف

لنا ولك اما بعد فقد دفعت اليه رسول الله صلى الله عليه وآله فدك بتمه وحداه الى علي ع واما ما سوى ذلك فاني سمعت رسول الله ص يقول انا معاشر
الانبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا ارضا ولا عقارا ولا دارا ولكنا نورث الايمان والحكمة والعلم والسنة وقد عملت بما امرني
ونصحت فقالت ان رسول الله ص قد وهبها لي قال فمن يشهد بذلك فجاء علي بن ابي طالب ع وام ايمن فشهدا لها بذلك فجاء عمر بن
الخطاب وعبد الرحمن بن عوف فشهدا ان رسول الله ص قسمها فقال ابو بكر صدقت يا ابنة رسول الله وصدق علي وصدقت
ام ايمن وصدق عمر وصدق عبد الرحمن وذلك ان لك ما لابيك كان رسول الله ص ياخذ من فدك قوتكم ويقسم الباقي ويحمل
منه في سبيل الله ولك على الله ان اصنع بها كما كان يصنع فرضيت بذلك واخذت العهد عليه به وكان ياخذ غلتها فيدفع اليهم
منها ما يكفيهم ثم فعلت الخلفاء بعده كذلك الى ان ولي معوية فاقطع مروان ثلثها بعد الحسن ع ثم خلصت له في خلافته وتداولها
اولاده الى ان انتهت الى عمر بن عبد العزيز فردها في خلافته على اولاد فاطمة ع قالت الشيعة فكانت اول ظلامة ردها وقالت السنة
بل استخلصها في ملكه ثم وهبها لهم ثم اخذت منهم بعده الى ان انقضت دولة بني امية فردها عليهم ابو العباس السفاح ثم قبضها المنصور
فردها ابنه المهدي ثم قبضها ولداه موسى وهرون فلم يزل في ايدي بني العباس الى زمن المامون فردها اليهم وبقيت الى عهد المتوكل
فاقطعها عبد الله بن عمر البازيار وروي انه كان فيها احدى عشرة نخلة غرسها رسول الله ص بيده فكانت بنو فاطمة يهدون ثمرها
الى الحاج فيصلونهم عن ذلك بمال جليل فبعث البازيار رجلا فصرمها وعاد الى البصرة ففلج وفي هذه القصة خبط كثير بين الشيعة ومخالفيهم
ولكل من الفريقين كلام طويل فلنرجع الى المتن فنقول اشار بالنفوس التي شحت بها الى ابي بكر وعمر واتباعهما وبالنفوس التي سخت بها الى
وجوه بني هاشم ومن مال معهم والاستفهام عما يصنع بفدك وغيرها من القينات الدنيوية استفهام انكار لوجه حاجته اليها وتسلية
لنفسه
عنها وجذب باله عن الدنيا الى الاعمال الصالحة بذكر غاية النفوس منها وهي صيرورتها الى الجدث ولوازم تلك الغاية من انقطاع الآثار
عنه والاخبار فيها وسائر ما عدده من صفات الجدث وابعاد هذه الاهوال التي الاوهام تفزع منها وتخشع القلوب لذكرها فتفزع
الى الله تعالى ويحثها بذلك الى الاعمال الصالحة التي بها الخلاص من اهوال الموت وما بعده والواو في قوله والنفس للحال لما نبه
على ان فدك وغيرها من قينات الدنيا لا حاجة له بها اشار الى ما هو حاجة وغاية لنفسه وهي رياضتها بالتقوى والتقييد في قوله
فانما هي للكونه والتقدير وانما همتي وطلبتي رياضة نفسي بالتقوى واعلم ان رياضة النفس يعود الى نهيها عن هواها وامرها بطاعة
مولاها وهي ماخوذة من رياضة البهيمة وهي منعها عن الاقدام على حركات غير صالحة لصاحبها ولا موافقة لمراده وتمرينها على ما يوافق
مراده من الحركات والقوة الحيوانية التي هي مبدأ الادراكات والافاعيل الحيوانية في الانسان اذا لم يكن لها طاعة القوة العاقلة ملكة
كانت بمنزلة بهيمة لم ترض فهي تتبع الشهوة تارة والغضب اخرى وغالب احوالها ان تخرج في حركاتها عن العدل الى احد طرفي الافراط والتفريط
بحسب الدواعي المختلفة المتخيلة والمتوهمة ويستخدم القوة العاقلة في تحصيل مراداتها فتكون هي امارة والعاقلة مؤتمرة لها اما اذا
راضتها القوة العاقلة ومنعتها عن التخيلات والتوهمات والاحساسات والافاعيل المثيرة للشهوة والغضب ومرنتها على ما يقتضيه
العقل العملي وادبتها على طاعته بحيث تأتمر بامرها وتنتهي بنهيها كانت عقلية مطمئنة لا تنفعل عن الدواعي المختلفة المبادي وكانت باقي
القوى مؤتمرة مسالمة لها اذا عرفت ذلك فنقول لما كان الغرض الاقصى من الرياضة انما هو نيل الكمال الحقيقي وكان ذلك موقوفا
على الاستعداد له وكان حصول ذلك الاستعداد موقوفا على زوال الموانع الخارجية والباطنية والداخلية كان للرياضة اغراض ثلثة
احدها حذف كل محبوب ومرغوب عدا الحق الاول سبحانه عن درجة الاعتبار وهي الموانع الخارجية والثاني تطويع
النفس الامارة للنفس المطمئنة لتنجذب التخيل والتوهم عن الجانب السفلي الى العلوي ويتبعهما سائر القوى فيزول الدواعي الحيوانية
المذكورة وهي الموانع الداخلية الثالث تعطيل السر وتوجهه الى الجنبة العالية لتلقي السوانح الالهية وتهيئته لقبولها ويعين على الغرض الاول
الزهد الحقيقي وهو الاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها بالقلب وعلى الثاني العبادة المشفوعة بالفكر في ملكوت السموات و
الارض وما خلق الله من شيء وعظمة الخالق سبحانه والاعمال الصالحة المنوية لوجهه خالصا وعبر بالتقوى التي روض بها نفسه عن هذه
الامور المعينة والاسباب المعدة ونبه على غرضه الاقصى من الرياضة وهو الكمال الحقيقي واللذة بذكر بعض لوازمه وهي ان تاتي نفسه امنة
من الفزع يوم الخوف الاكبر وهو يوم القيمة وان يثبت على جوانب المزلق وهو الصراط المستقيم فلا تميل به الدواعي المختلفة عنه الى ابواب
جهنم ومهاوي الهلاك واستعار لفظ المزالق لما ان ذلك اقدام العقول في الطريق الى الله وجذب الميول الشهوية والغضبية عنها الى الرذائل
الموبقة المشار بتنبيه على ان زهده في الدنيا واقتصاره منها على الطمرين والقرصين وترك ما سوى ذلك ليس عن عجز عن تحصيل طيبات
مطعوماتها وملبوساتها وانه لو شاء لاهتدى الى تحصيل تلك الطيبات ولباب القمح ومصفى العسل لان المدينة والعسل من اشهر
الطيبات بمكة والحجاز وانما تركها مع القدرة عليها رياضة لنفسه واعدادا لها لتحصيل الكمالات الباقية واستثنى هنا نقيض الملزوم
وهو عدم غلبة هواه لعقله وعدم قود جشعه له الى تخير الاطعمة ونبه عن ذلك عليه السلام بقوله هيهات فان ما استبعد وقوعه من نفسه

وانكره نفقد نفاه عنها وحكم بعدمها اما ان ذلك العدم هو نقيض الملزوم بعينه فلان الملزوم هنا هو المشبه لتخير الطيبات وغلبة الهوى
للعقول على مقتضى ما يؤثر في تركها والنزوع عنها وقود الشهوة له الى الموافقة على استعمالها والمستثنى ههنا هو عدم ذلك بعينه واما جواز استثناء
لنقيض المقدم فلان مشيته تلك شرط مساو لتخير الطيبات والاهتداء اليها وكان عدمه مستلزما العدم مشروطه والاكثر استعمال لو في لغة
العرب على عدمان الملزوم علة للاثر او شرطا مساويا له ويستثنى نقيض الملزوم والواو في قوله ولعل للحال اى ههنا ثم ان يغلبني هواى الى
تخير الاطعمة حال ما يحتمل ان يكون بالحجاز واليمامة من هو بصفة كذا وقوله او ابيت عطف على يقودني داخل فيما استبعده من نفسه و
الواو في قوله وحولي للحال والعامل ابيت وكذلك قوله او ان اكون عطف على ابيت وهذا لازمان من لوازم نتيجة القياس الاستثنائي
فان عدم ارادته لتخير الطيبات لما استلزم ههنا عدم تناولها واستمتاعه بها استلزم ذلك ان لا يبيت مبطانا وحوله اكباد جائعة
وان لا يلحقه عار بذلك والبيت تمثيل غرضه التنفير عن العار اللازم عن الاستمتاع بالطيبات مع وجود ذوي الحاجة الى اليسير طعاما
ونبه على حسن هذه اللوازم بما قارن نقايضها من الاحوال المذكورة والبيت لحاتم بن عبد الله الطائي من قطعة اولها   ايا ابنة
عبد الله وابنة مالك   ويا ابنة ذي البردين والفرس الهند   اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له   اكيلا فاني لست آكله وحدي   قصيا بعيدا
او قريبا فانني   اخاف مذمات الاحاديث من بعدي   كفى بك عارا ان تبيت ببطنة   وحولك اكباد تحن الى القد   واني لعبد الضيف
ما دام ثاويا   وما فيّ الا هذه شيمة العبد   ويروى حسبك داء واطلق عليه اسم الداء باعتبار انه رذيلة تستلزم عقوبة ويروى قوله او ابيت وقوله
او اكون مرفوعين والوجه فيه ان لا يكون او حرف عطف بل تكون الهمزة للاستفهام والواو بعدها متحركة كالفاء في قوله افاصفيكم ربكم
بالبنين ويكون استفهام انكار لبيانه مبطانا ولكونه كما قال القائل وكذلك الاستفهام في قوله اقنع من نفسي في معرض الانكار لرضاء
نفسه بان يدعى امير المؤمنين ولا يشاركهم في مكاره الدهر وخشونة المطعم والواو في قوله ولا للحال واو اكون عطف على اشاركهم وحكم
النفي الحادي عشر نبه على بعض العلل الحاملة له على ترك الطيبات والزهد في الدنيا وهو كونه لم يخلق ليشغله اكل الطيبات عما اريد منه
وذلك في قوله فما خلقت الى قوله المتاهة ونفر عن الاشتغال باكل الطيبات بذكر ما يلزم المشتغل بذلك من مشابهة البهيمة واشار
الى وجه الشبه بقوله همها علفها الى قوله يراد بها وذلك ان المشتغل بها ان كان غنيا اشبه البهيمة المعلوفة في اهتمامه بما يعلفه
من طعامه الحاضر وان كان فقيرا كان اهتمامه بما يكسبه ويتقمم من حطام الدنيا ثم تعليفه وبما لا يكرشه مع غفلته عما اريد منه كالسائبة
التي همها الاكتراش بقممه من الكناسات مع غفلتها عما يفعل بها حالها ويراد بها من ذبح واستخدام واستعار لفظ الحبل وجره وكنى
بذلك عن الاهمال والارسال كما ترسل البهيمة الثاني عشر اشار الى بعض ما عساه يعرض للاذهان الضعيفة من الشبهة وهي اعتقاد
ضعفه عن قتال الاقران بسبب ذلك القوت التزهد وذلك بقوله وكاني الى قوله الشجعان ثم نبه على الجواب عن ذلك من خمسة اوجه الاول
التمثيل بالشجرة البرية وقياس نفسه عليها في القوة فالاصل هو الشجرة البرية والفرع هو والمشترك الجامع بينهما هو قلة الغذاء وخشونة
المطعم كقلة غذاء الشجرة البرية وسوء غذائها والحكم عن ذلك هو صلابة اغصانه وقوته كصلابة عود الشجرة البرية وقوتها وذلك دافع
للشبهة المذكورة الثاني تمثيل خصومه واقرانه كمعونته بالروايع الخضرة وهي الاصل في هذا التمثيل والفرع هو خصومه واقرانه والمشترك الجامع
بينهما هو الخضرة والنضارة الحاصلة عن الترفه ولين المطعم والحكم اللازم عن ذلك هو رقة الجلود ولينها والضعف عن المقاومة وقلة الصبر
على المنازلة المميل الى الترفه والرفاهية والغرض ان يعلم كون اقرانه اضعف منه فيندفع الشبهة الثالث تمثيله بالنباتات العذية
وهو كتمثيله بالشجرة البرية والحكم هنا هو كونه اقوى على سعير نار الحرب واصبر على وقدها وابطأ خمودا كالنباتات العذية
في النار الرابع تمثيله نفسه من رسول الله صلى الله عليه وآله بالضوء من الضوء واصل هذا التمثيل هو الضوء من الضوء وفرعه نسبة نفسه من رسول الله
وعلته الجامعة هي كون علومه وكمالاته النفسانية الشريفة مستفادة ومقتبسة من مصباح علم النبوة وكمالاته كالمعلول من العلة و
المصباح من الشعلة الخامس تمثيله منه صلى الله عليه وآله بالذراع من العضد والاصل فيه الذراع مع نسبته الى العضد والفرع هو مع منسوبا الى رسول الله صلى الله عليه وآله
والعلة الجامعة هي قربه منه وتقويته به وكونه ظهيرا له ووسيلة الى حصول مقصوده من تمام الدين وكماله وكون الرسول عليه السلام اصلا في ذلك
كقرب الذراع من العضد وكون العضد اصلا له وكون الذراع وسيلة الى التصرف والبطش بالعضد والحكم في هذين التمثيلين واحد
وهو كونه لا يضعف عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان ووجه لزوم هذا الحكم عن المشترك الاول انه لما كانت علومه اليقينية
وبصيرته في الدين مناسبة لعلوم رسول الله صلى الله عليه وآله اذ هي اعظم امر يشجعه ويقويه على قتال الاقران حمية للدين وكذلك عن المشترك الثاني ثم لما
اثبت ذلك الحكم ونفى عنه الضعف المتوهم فيه اكد ذلك بالقسم انه لو تظاهرت العرب على قتاله لما ولى عنها ولو امكنت الفرصة من رقابها
لسارع اليها اى حين القتال واستحقاقهم للقتل بعداوتهم الدين وفيه العفو عنهم ملاحظة لتشبهه برسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك في مبداء
الاسلام فانه لم يكن ليضع العفو الا في موضعه وروي انه قتل في يوم واحد الف نسمة صبرا في مقام واحد لما راى في ذلك من مصلحة
الدين الثالث عشر توعد ان يجتهد في تطهير الارض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس واراد معاوية وانما قال شخصا وجسما

في كتابه الى عثمان بن حنيف

تتمة

ترجيحا لجانب البدن على النفس باعتبار عنايته بكمال بدنه دون كمال نفسه فكانه جسم وشخص فقط واشار بكونه معكوسا الى التفاته عن الجنبة العالية لله تعالى
وانتكاسه عن تلقى الكمالات الروحانية الى الجنبة السافلة وارتكاسه فى الدنيا وانعكاس وجه عقله الى تحصيل لذاتها والاعتناء بجمعها
فان غرض الحكمة الالهية من خلق الانسان ان يترقى فى مدارج الكمال بعد حفظ فطرته الاصلية عن الدنس برذايل الاخلاق فاذا جذبته
دواعى النفس الامارة الى الدنيا وعزم بجمعها حتى التفت اليها لم يزل يحط فى دركات محبتها ويجب ذلك ان يكون انتكاسه عن مراتب الكمال
وارتكاسه فى رذايل ومهاوى الضلال وتقيده فيها بالسلاسل والاغلال وقوله حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد استعار لفظ المدرة
لمعونته وحب الحصيد للمؤمنين ووجه المشابهة انه مخلص للمؤمنين من وجود معوية بينهم ليزكوا ايمانهم ويستقيم دينهم اذ كان وجوده فيهم
سببا عظيما لفساد عقايدهم وهلاك دينهم كما يفعل اهل البيادر من تصفية الغلال واخراج ما يشوبها ويفسدها من المدر وغيره وقال
الشارح عبد الحميد بن ابى الحديد كان الزراع يجتهدون فى اخراج المدر والحجر والشوك ونحوه من بين الزرع كيلا يفسد منابته فيفسد
ثمرته ويفسد نظره لانه لا معنى لاخراج الطين من الزرع ولان لفظ حب الحصيد لا يفهم منه ذلك الرابع عشر تمثل الدنيا بصورة من يعقل و
خاطبها بخطاب العقلاء ليكون ذلك وقع فى النفوس لعزائمه ثم امرها بالتنحى والبعد عنه كالمطلق لها وحبلك على غاربك كناية
عن الطلاق بتمثيل واصله ان الناقة اذا اريد اهمالها القى زمامها وضع حبلها على غاربها فضرب مثلا لكل من اهمل واطلق عن الحكم ثم جعلها
ذات مخالب استعارة بالكناية عن كونها كالاسد فى جذبها للانسان بما فيها من الشهوات والعينان الى الهلاك الابدى كما يجر
الاسد فريسته وكذا جعلها ذات حبايل وكنى بهذا الوصف المستعار عن كونها تصيد قلوب الرجال بشهواتها الوهمية فهى لها كحبائل
الصايد واستعار لفظ مداحضها لشهواتها وملذاتها ايضا باعتبار كونها مزالق اقدام العقول عن طريق الله ومصارع لها وعبر بجميع ذلك
عن زهده فيها وانفراده فيها عن نفسه ثم اخذ فى سؤالها عن القوم الذين غرتهم بمداعبها والامم الذين فتنتهم بزخارفها سؤال على
سبيل التوبيخ لها والذم على فعلها ذلك بهم فى معرض التنفير عنها وهو من قبيل تجاهل العارف واستعار لها لفظ المداعبة مدحتها
بمعنى دعابتها ووجه المشابهة انها عند صفائها للخلق واغترارهم بها ثم كرها عليهم بعد ذلك بالعراك يشبه من يمزح مع غيره و
يبسط معه بالاقوال والافعال الليّنة ليغترّه ثم يأتيه بعد ذلك بالامر فيوذيه او يهلكه وانما نسب الغرور اليها لكونها سببا ماديا لذلك
وفى نسخة الرضى رضى الله عنه زينتهم باثبات الياء ووجهه انها حدثتهم من اشباع الكسرة الخامس عشر اشار الى غاياتهم التى صاروا اليها وهى
كونهم رهاين القبور ومضامين اللحود ونبه بذلك على ان غرورهم وفتنتهم بها لم يخلصهم من هذه الغاية كل ذلك لغرض التنفير عنها
وهو للتنبيه واستعار لفظ الرهاين لهم باعتبار كونهم موثقين فى القبور باعمالهم كالرهن ويحتمل ان يكون حقيقة ويكون رهينة
بمعنى راهنة وهى الثابتة المقيمة بقبورها السادس عشر اقسم انها لو كانت شخصا مرئيا وقالبا حسيا لاقام عليها حدود الله فى عبادة غرتهم
بالامانى واوردتهم موارد البلاء حيث لا ورد ولا صدر اى ان تلك الموارد ليس من شأنها ان يكون اليها ورود وعنها صدر ثم لما
كان فى هذا الخطاب كالمعلم لها انه قد اطلع على خداعها وغرورها قال كلا لو بين لها من نفسه هيهات اى بعد اغترارى بك ويكون
البيان ثم نبه على بعض العلل الحاملة على البعد عنها والمنفرة عن قربها وهى ما يلزم وطى دحضها من الزلق وركوب لججها من الغرق
والازورار عن حبايلها من التوفيق للسلامة وما يلزم الامن منها من علم من الانسان بضيق مناخه وكل مناخ اناخ به من فقر وضيق
ومرض وبلاء بعد السلامة منها فهو منيح رحب بالقياس الى ما يستلزم التقحم فى سبيلها والجرى فى ميادين شهواتها من العذاب
الاليم فى الاخرة وهى عنده فى القصر وعدم الالتفات اليها كيوم حان انسلاخه والفاظ المداحض واللجج والحبايل مستعار لشهواتها
فالاول باعتبار كون شهواتها مظنّة ان يخبث فيخرج الانسان عند سعيها اليها الى الاستكثار منها ويتجاوز القدر المعتدل الى الحرام
فتزل قدم نفسه عن صراط الله فيقع فى مهاوى الهلاك والماثم والثانى باعتبار ان مطالبها والامال فيها غير متناهية فمن لوّمه
المشتغل بها والمنهمك فى الدنيا ان يغرق نفسه فى بحر لا ساحل له منها فينقطع عن قبول رحمة الله الى الهلاك الابدى كالملقى بنفسه
فى اللجج الثالث باعتبار ان الانسان اذا اغتر بها وحصل فى محبته منشبها بها عاقته عن النهوض والخلاص الى جناب الله ومنعته ان يطير
بجناحى قوته العقلية فى حضرة قدس الله ومنازل اوليائه الابرار كما تعوق حبايل الصايد جناح الطاير ولفظ الوطى والركوب والازورار
والعرف ترشيح ثم كرّر الامر لها بالبعد عنه واقسم انه لا يذل لها فيذلّله ولا يسلس لها قيادة فيقوده وفيه تنبيه على انها لا يذل فيها الا
من اذل نفسه وعبدها لها ولا يملك لا قياد من سلس لها قياده وهو ظاهر اذ الانسان ما دام فاعلا لقوته الحيوانية مصرفا لها
بزمام عقله فانه من المحال ان يذلّه الدنيا ويستعبده اهلها ومهما اتبع شهوته فيما يميل اليه فانها تذلّه اشد اذلال وتستعبده
اقوى استعباد كما قال عليه السلام عبد الشهوة اذل من عبد الرق واستعار وصف السلاس لقياده تنبيها على التسهيل فى متابعة النفس لها فاطلاق النفس
الامارة وعدم التشدد فى ضبطها باستعمال العقل عن مناهيها السابع عشر اقسم ليروضن نفسه يمينا استثنى فيه مشية الله عزمه عليه وهو بصدده من رياضة
نفسه ووصف تلك الرياضة فى قوتها باستلزام امرين احدهما كون نفسه تهش معها الى القرص وتقنع به اذا قدرت عليه مطعوما

من كتاب له الى بعض عماله

وتقنع بالملح مادوما وتلك رياضة للقوة الشهوية ولما كانت اكبر عدو للنفس واكثر القوى الحاحا لمناسبتها خصها بالذكر وقوة العزم ويحتمل ان
يريد برياضة جميع القوى وانما وصفها بكون النفس تهش معها الى القرص لان ضبط الشهوة اعظم من ضبط سائر القوى واصعب وكانت
الاشارة الى ضبطها الى الحد المذكور ابلغ في وصف الرياضة بالشدة واستثنى في يمينه بمشية الله ادبا لقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى
فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وتنبيها على استناد جميع الامور في سلسلة الحاجة الى الله تعالى الثاني كونه مدع مقلته في تلك الرياضة
كعين ماء نضب ماؤها ووجه الشبه ان يفنى دموعها ويستفرغها بالبكاء شوقا الى الملاء الاعلى وما اعد لاولياء الله من السعادة
الابدية وخوفا من حرمانها ومن كان في مقام الغربة ومحل الوحشة كيف لا يشتاق الى وطنه الاصلي ومقام انسه الاولى ومطعوما
ومادوما ومستفرغة احواله ثم اخذ في تمثيل نفسه بالسائمة والربيضة على تقدير ان يرضى بمثل حالهما وغايتهما من الدنيا في معرض
الانكار لذلك الرضا من نفسه والاصل في ذلك التمثيل البهيمة والفرع هو ع والمشترك الجامع هو الرعي والشبع هو البروك والنوم
والرابضة ولما كان الاصل المقيس عليه في غاية من الخسة بالقياس الى الانسان الكامل استلزم ذلك التشبيه برائته التنفرة عما
يستلزم التشبيه من الصفات وقوله قرت اذن عينه اخبار في معرض الانكار والاستهزاء باللذة كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم
الثامن عشر تنبيه على ان النفس انما كانت بالصفات المذكورة فلها [illegible] طوبى وجمع في تلك الصفات اكثر مكارم الاخلاق فالاولى
القيام بواجب طاعة الله وما افترضه عليها قوله وعركت بجنبها بؤسها كناية عن الصبر على نزول المصائب يقال عرك فلان بجنبه
الاذى اذا اغضى عمن يؤذيه وصبر على فعله به ويلازم ذلك عدة فضائل كالحلم والكرم والعفو والصفح والتجاوز وكظم الغيظ واحتمال
المكروه والعفة ونحوها الثالث ان تهجر بالليل غمضها فهو كناية عن احياء لياليها بعبادة ربها واشتغالها بذكره حتى اذا غلب النوم
عليها افترشت ارضها وتوسدت كفها اى لم يكن لها كلفة في تحصيل فراش وطيب ووساد بل كانت بريئة عن كل كلفة عزيزة عن كل زينة
منزهة عن كل زهرة وقوله في معشر يصلح تعلقه بكل من افعال النفس المذكورة اى فعلت هذه الافعال في جملة معشر من شانهم كذا او
عرفهم بصفات اربع لصدقها كونهم اسهر عيونهم خوف معادهم الثاني وتجافت جنوبهم من مضاجعهم وهو كناية عن اشتغالهم ليلا
بعبادة ربهم كقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الثالث وهمهمت بذكر ربهم شفاههم كقوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا الرابع
وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم وهو لازم عن الثلثة الاولى وثمرة لها واستعار لفظ التقشع لامحاء ذنوبهم ووجه المشابهة
ان الذنوب الهيئات البدنية في تسويدها الالواح النفوس وتغطيتها وحجبها لها عن قبول انوار الله تشبه السحاب المنزلة الحاجب لوجه
الارض عن قبول نور الشمس والاستعداد بها للنبات وغيره فاستعار لزوالها وامحائها من الواح النفوس لفظ التقشع كل ذلك
للترغيب في طاعة الله والجذب الى الدخول في زمرة اوليائه وبالله التوفيق **ومن كتاب له ع** الى بعض عماله اما بعد
فانك ممن استظهر به على اقامة الدين واقمع به نخوة الاثيم واسد به لهاة الثغر المخوف فاستعن بالله على ما اهمك واخلط
الشدة بضغث من اللين وارفق ما كان الرفق ارفق واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك الا الشدة واخفض للرعية جناحك
وابسط لهم وجهك والن لهم جانبك واس بينهم في اللحظة والنظرة والاشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك ولا ييأس الضعفاء
من عدلك **اقول** النخوة الكبر والاثيم الآثم والضغث النصيب من الشئ يختلط بغيره واصله القبضة من الحشيش المختلط من رطبه
ويابسه واعتزم بكذا اى لزمه ولج به وقد استماله اولا بامور ثلثة اعلمه بها من نفسه واعده لقبول اوامره فهي كونه ممن يستظهر به
على اقامة الدين ويقمع به نخوة الاثيم ويسد به الثغر المخوف واستعار لفظ اللهاة لما عساه ينفتح من مفاسد الثغر فيحتاج الى سده
بالعسكر والسلاح ملاحظة لشبهه بالاسد الفاتح فاه للافتراس ثم اردف ذلك بما امره به من مكارم الاخلاق اولها ان يستعين به (بالله ن د)
على ما اهمه من اموره فان الفزع اليه والاستعانة به افضل ما اعان على حصول المهمات الثاني ان يمزج الشدة بضرب من اللين ويضع
كلا منه موضعه فيرفق ويلين ما كان الرفق اولى واوفق له ويأخذ بالشدة حين لا يغني الا الشدة الثالث ان يخفض جناحه
لرعيته وهو كناية عن التواضع الرابع ان يبسط لهم وجهه وهو كناية عن لقائهم بالبشاشة والبشر وترك العبوس والتقطيب الخامس
ان يلين لهم جانبه وهو كناية عن المساهلة معهم وعدم التشدد السادس ان يواسي بينهم في اللحظة والنظرة والاشارة والتحية (عليهم م)
احترزا من الظلم وهو امر بفضيلة العدل بين الرعية لئلا يطمع عظيمهم في حيفه على الضعيف فيتسلط عليه ولا ييأس الضعيف
من عدله على القوى فيضعف نفسه ويكل عما هو بصدده من الاعمال الصالحة وبالله التوفيق **ومن وصية له عليه السلم**
للحسن والحسين ع لما ضربه ابن ملجم لعنه الله اوصيكما بتقوى الله وان لا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على
شئ منها زوى عنكما وقولا بالحق واعملا للاجر وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا اوصيكما وجميع ولدي واهلي ومن بلغه (منهام)
كتابي بتقوى الله ونظم امركم وصلاح ذات بينكم فاني سمعت جدكما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول صلاح ذات
البين افضل من عامة الصلوة والصيام الله الله في الايتام فلا تغبوا افواههم ولا يضيعوا بحضرتكم والله الله في جيرانكم

في وصيّته للحسن والحسين ع

فانّهم وصيّة نبيّكم ما زال يوصي بهم حتّى ظننّا انّه سيورّثهم والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم والله الله في الصّلوة
فانّها عمود دينكم والله الله في بيت ربّكم لا تخلوه ما بقيتم فانّه ان ترك لم تناظروا والله الله في الجهاد باموالكم وانفسكم
والسنتكم في سبيل الله وعليكم بالتواصل والتباذل وايّاكم والتدابر والتقاطع لا تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر فيولّى عليكم اشراركم ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم ثمّ قال عليه السّلام يا بني عبد المطّلب لا الفينّكم تخوضون دماء
المسلمين خوضا تقولون قتل امير المؤمنين الا لا تقتلنّ بي الّا قاتلي انظروا اذا انا متّ من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة
ولا يمثّل بالرّجل فانّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول ايّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور اقول بعيث كذا
اروته واغباب افواههم ان يطعموهم يوما ويتركوهم يوما والمناظرة طلب المحافظة والمراقبة والتدابر التقاطع والتعادي والمثلة التنكيل
وقدّم وصاياهما بامور اوّلها تقوى الله التي هي راس كلّ خير الثاني الزهد في الدنيا وان لا يبغياها وان ارادتهما اي اقبلت عليهما
بما يعجبهما من خير واستعار لفظ البغية لها باعتبار سهولتها عليهما عن توافق اسباب خيرها لهما فهي بذلك كالطالبة لهما
الثالث ان لا ياسفا على ما نقص وغيّب عنهما من خيرها وهو من لوازم الزهد الحقيقي فيها الرابع ان لا يقولا الّا الحقّ وهو ما ينبغي قوله
من اوامر الله ونواهيه وان لا يعملا الّا لاجر الآخرة اي يكون اقوالهما واعمالهما مقصورة على هذين الخامس ان يكونا للظالم خصيما و
للمظلوم عونا وذلك من لوازم قول الحقّ والعمل له اذ من كان على حاقّ العدل ولابدّ ان يجانب الظلم المنحرف الى طرف الجور ويجاذبه
ليردّه الى فضيلة العدل فيكون ح عونا للمظلوم ثمّ عاد ووكّد الوصيّة بهما مع جميع ولده واهله ومن بلغه كتابه من عباد الله بتقوى
مكرّرا لها ومردفا بامور اخرى احدها صلاح ذات البين وذات كناية عن الحالة الموجبة للبين والافتراق وقيل هي الحالة بين
الرّجلين والقبيلتين والرّجل واهله اي اصلاح ما بينهما من فساد وقيل يحتمل ان يريد بالبين هنا الوصل وبالذات النفس اي
اصلحوا نفس وصلكم من فساد يقع فيه وقيل انّ ذات هنا مقحمة زائدة ونحوه قوله تعالى فاتّقوا الله واصلحوا ذات بينكم وصلاح ذات
البين من لوازم الالفة والمحبّة في الله وهي فضيلة تحت العفّة ورغّب في ذلك بما رواه سماعا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله من قوله صلاح ذات
البين افضل من عامّة الصّلوة والصّيام ووجه الافضليّة هنا انّك علمت فيما سلف انّ اهمّ المطالب للشارع صلّى الله عليه وآله جمع الخلق على سلوك
سبيل الله وانتظامهم في سلك دينه ولن يتمّ ذلك مع تنازعهم وتنافر طباعهم وثوران الفتنة بينهم فكان صلاح ذات البين ممّا
لا يتمّ اهمّ مطالب الشارع الّا به وهذا المعنى غير موجود في الصّلوة والصّيام لامكان المطلوب المذكور بدونهما فتحقّقت افضليّته
من هذه الجهة والخبر في قوّة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلّما كان كذلك فواجب ان يفعل الثاني حذّره من الله تعالى في الايتام ونهى
عن اغبابهم وكنّى به باغباب افواههم اذ هو مظنّة جوعهم ثمّ عن اضاعتهم واستلزم ذلك النهي امرهما ببرّهم والاحسان اليهم وهو
فضيلة تحت العفّة الثالث الوصيّة في الجيران والتحذير من الله فيهم ونبّه على حفظ قلوبهم واكرامهم بوصيّة الرسول صلّى الله عليه وآله في حقّهم وجعلهم
نفس الوصيّة تاكيدا للمحافظة عليهم كالمحافظة على وصيّة رسول الله والمجاز من باب اطلاق اسم المتعلّق وقوله ما زال الى قوله سيورّثهم
تفسير للوصيّة المذكورة وهي ايضا في قوّة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلّ من اوصى النبيّ في حقّه كذلك فواجب ان يحفظ الرابع الوصيّة
بما اشتمل عليه القرآن الكريم من القوانين والقواعد والتحذير من الله سبحانه في تركه والنهي عن ان يسبقهم بالعمل به غيرهم المستلزم
للامر بالمسارعة والسبق اليه الخامس الوصيّة بامر الصّلوة والتحذير من الله في امرها ونبّه على فضيلتها بضميمة صغراه قوله فانّها عمود
الدين وهو عين ما رويناه من الحديث قبل وتقدير الكبرى وكلّ ما كان كذلك فواجب ان يقام الدين باقامته السادس الوصيّة
ببيت ربّهم والنهي عن ترك زيارته مدّة العمر وقد سبق سرّه ونبّه على فضيلة اخرى له توجب ملازمته وهو ما يستلزمه من عدم
مناظرة الله لتاركيه وترك محافظته عليهم ومراقبته لانّ من لا يحفظ الله في بيته ويراقبه في مراعاة جانبه لم يحفظه الله ولم
يراقبه ويحتمل ان يريد لم يناظركم الاعداء ولم يراقبوكم اذ في الاجتماع الى بيت الله والمحافظة عليه عزّ بالله واعتصام به يوجب مراقبة
الخلق للمعتصمين به وانفعال القلوب عنهم وعن كثرتهم ومناظرتهم السابع الوصيّة بالجهاد في سبيل الله بالمال والنفس واللسان
والتحذير من الله في تركه وهو ما علمت فضيلته الثامن الوصيّة بالتواصل والتباذل اي يبذل كلّ منهم النصرة لصاحبه في سبيل الله
التاسع التحذير من التقاطع والتدابر وسرّه ظ العاشر النهي عن ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر المستلزم للامر بهما ونفّر عن ذلك
الترك بما يستلزمه بعده من تولّي الاشرار عليهم وعدم استجابة دعاء الداعين منهم ووجه اعداده لذلك انّ ترك الاجتماع على الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر يستلزم ثوران المنكر وقلّة المعروف من طباع الاشرار وبعده لاستيلائها وغلبتها وولاية اهلها وذلك يستلزم
كثرة الشرور والاشرار وقلّة الصالحين وضعف همّهم عن استنزال رحمة الله تعالى بادعيتهم فيدعون فلا يستجاب لهم ثمّ عقّب ذلك بوصيّته
اهل بيته من بني عبد المطّلب بما يخصّه من امر دمه والوصيّة بامور احدها نهاهم عن اثارة الفتنة بسبب قتله فقال لا الفينّكم
تخوضون دماء المسلمين خوضا وكنّى عن كثرة القتل وقوله تقولون قتل امير المؤمنين حكاية ما جرت به العادة ان يقوله طالب

من كتاب له الى معوية وغيره

الشارحين هياجه اظهار العذر والسبب الحامل له على اثارة الفتنة الثاني نهاهم ان يقتلوا الا قاتله اذ ذلك هو مقتضى العدل
الثالث نبّههم بقوله انظروا الى قوله هذه على انّه لا يجوز قتله بمجرد ضربته ان لو حصل الموت بسبب غيرها الا ان يعلم انّ موته
كان بسببها الرابع امرهم ان يضربوه ضربة بضربة وذلك مقتضى العدل ايضا الخامس نهى عن المثلة به معللا بما رواه سماعا عن رسول
الله صلعم وذلك لما في المثلة من التعدي الواجب من قوة القلب وشفاء الغيظ وكل ذلك رذائل يجب الانتهاء عنها وهو في قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل ما نهى رسول الله صلعم عنه فواجب ان لا يفعل وبالله التوفيق **ومن كتاب له ع** الى معوية ان البغي والزور
يوتغان المرء في دينه ودنياه ويبديان خلله عند من يعيبه وقد علمت انك غير مدرك ما قضى فواته وقد رام اقوام امرا بغير
الحق فتاولوا على الله فاكذبهم فاحذر يوما يغتبط فيه من احمد عاقبة عمله ويندم من امكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه وقد دعوتنا
الى حكم القرآن ولست من اهله ولسنا اياك اجبنا ولكن اجبنا القرآن **اقول** هذا الفصل من كتاب له اليه بعد التحكيم ومسات
سوتيه بما حكم به الحكمان ويحتمل ان يكون عند اجابته الى التحكيم والوتغ بالتحريك الهلاك واوتغ فلان دينه بالاثم اهلكه وافسده
وفي نسخة الرضي ره يذيعان اي يظهران والغبطة السرور والغبطة تمنى مثل حال الغير وصدّر الفصل بذكر الظلم والكذب والتنفير
عنهما بما يلزمهما من اهلاك دين المرء ودنياه ويبديان خلله وعيبه لمن يعيبه اما دينه فلكونهما رذيلتين مضادتين للعدل والعفة
ومجانبتين للايمان والدين واما في دنياه فلان اعظم مطالب الدنيا للعقلاء الذكر الجميل وانما يحصل بظهور مكارم الاخلاق وفي
دون رذائلها واذبها فضى فوائد ما جعله معونة شبهة له في محاربته وهو الطلب بدم عثمن وهو في قوة صغرى ضمير احتج به على وجوب
ترك المسابقة وتقدير كبراه وكل من كان كذلك تعين عليه ان يترك ذلك الطلب ثم اعلمه بحال من طلب امرا بالباطل وتاول على الله
والاشارة الى اصحاب الجمل حيث كانوا طالبين للامر والملك فتاولوا على الله اي على سلطان الله وهي الخلافة الحقة فجعلوا لخروجهم
وبعثهم عليها تاويلا وهو الطلب بدم عثمن ونحوه من الشبه الباطلة فاكذبهم الله بنصره عليهم ورد مقتضى شبههم والاكذاب كما يكون
بالقول كذلك يكون بالفعل وقال القطب الراوندي ره معناه وقد طلب قوم امر هذه الامة فتاولوا القرآن كقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم فسموا من نصبوه من الامراء اولي الامر متحكمين على الله فاكذبهم الله بكونهم ظالمين بغاة ولا يكون اولي الامر من قبل
الله كذا ثم حذره يوم القيمة منبها له على ما فيه من سرور الذين حمدوا عاقبة اعمالهم بما حصلوا عليه من السعادة الباقية واغتباط
غيرهم لهم وتمنى مثل مراتبهم وندم من امكن الشيطان من قياده فتصرف كيف شاء ولم يجاذبه واستعار لفظ التمكين من القياد لمطاوعة
النفس الامارة وعرض ايضا به ان لا يكون ممن ينبو من طالبي هذا الامر تاولا على الله وقوله دعوتنا الى آخره صورة سؤاله و
الجواب عنه وكونه ليس من اهله اذ لم يكن صالحا للامامة كما سنوضحه ثم مرادا وحيث لم يكن اهلا لان يجاب الى الرضى بالتحكيم اعلمه انه
وانما اجاب القرآن الحكم وذلك في قوله تعالى في حق الزوجين وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها الاية فجعل ع هذا
اصلا قاس عليه بطريق الاولى حال الامة عند وقوع الشقاق بينهم وبعين ذلك احتج ابن عباس ره على الخوارج حيث انكروا
التحكيم فقالوا كيف يجوز لعلي ع ان يحكم في دين الله الرجال فقال لهم ان ذلك ليس بامر علي وانما هو بامر من الله تعالى في كتابه
اذ يقول في حق الزوجين وان خفتم الاية افترون ان امر تعالى بذلك في حق الرجل وامرأته مراعاة لمصلحتهما ولا يأمر بذلك في حق
الامة رعيا لمصلحتهم فرجع كثير منهم الى قوله وبالله التوفيق **ومن كتاب له ع** الى غيره اما بعد فان الدنيا مشغلة عن
غيرها ولم يصب صاحبها منها شيئا الا فتحت له حرصا عليها ولهجا بها ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها
ومن وراء ذلك فراق ما جمع ونقض ما ابرم ولو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي والسلام **اقول** اللهج الحرص الشديد و
الكتاب بالتنبيه على معايب الدنيا لتقل الرغبة فيها وذكر منها امورا الاول كونها مشغلة عن غيرها اي عن الاخرة وهو ظاهر الثاني
كونها لم يصب صاحبها منها شيئا الا كان ذلك معدا للحرص عليها واللهج بها واليه الاشارة بقوله صلعم لابن آدم واديين من ذهب لابتغى
لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب الثالث كونها لا يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها وذلك من لوازم الثاني
فان حصول بعضها اذا كان معدا للفقراء اليها لم يستغن طالبها ابدا منها ثم اردف ذلك بذكر امور للتنفير عنها ايضا احدها
استعقابها الفراق ما جمع منها الثاني نقض ما احكم من امورها ثم نبه على وجوب الاعتبار بما مضى من العمر ومن احوال الدنيا والقرون
الماضية لغاية حفظ ما بقي من العمر ان يضيع في الباطل وحفظ ما ينبغي من السعادة الاخروية بالسعي في تحصيلها وبالله التوفيق **ومن
كتاب له عليه السلام** الى امرائه على الجيوش من عبد الله علي امير المؤمنين الى اصحاب المسالح اما بعد فان حقا على الوالي ان لا يغيّره
على رعيته فضل ناله ولا طول خص به وان يزيده ما قسم الله له من نعمه دنوا من عباده وعطفا على اخوانه الا وان
لكم عندي ان لا احتجز دونكم سرا الا في حرب ولا اطوي دونكم امرا الا في حكم ولا اؤخر لكم حقا عن محله ولا اقف به دون
مقطعه وان تكونوا عندي في الحق سواء فاذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة وان لا تنكصوا عن دعوة

ولا تفرطوا في صلاح، وان تخوضوا الغمرات الى الحق، فان انتم لم تستقيموا لي على ذلك لم يكن احد اهون علي ممن اعوج منكم ثم اعظم له العقوبة ولا يجد عندي فيها رخصة، فخذوا هذا من امرائكم واعطوهم من انفسكم ما يصلح الله به امركم والسلام

اقول: خنجم: امتنع والنكوص: الرجوع على الاعقاب والغمرة: الشدة واعلم انه قدم هيهنا ما يجب على الوالي المطلق لرعيته بوجه كلي كما هو عادة الخطيب ثم ثنى ببيان ما يجب عليه لهم بتفصيل ذلك الكلي ثم ما يجب عليهم له ثم امرهم بلزوم ما وجب عليهم اما الاول فقوله اما بعد الى قوله اخوانه واشار فيه الى امرين احدهما ان لا يغيره عنهم ما اختص به من الفضل والطول لان تغيره عنهم خروج عن شرائط الولاية الثاني ان يزيده ما قسم الله له من نعمه دنوا من عباده وعطفا على اخوانه لان ذلك من تمام شكر النعمة واما الثاني فاشترط على نفسه لهم خمسة امور احدها ان لا يحتجز دونهم سرا في الامور المصلحية الا في الحرب ويحتمل امرين احدهما ان اكثرهم ربما لا يختار الحرب فلو توقف على المشورة فيه لما استقام امره بها ولذلك كان عليه السلام كثيرا ما يحملهم على الجهاد ويتضجر من تثاقلهم عنه وهم له كارهون كما سبق الثاني ان يكتم ذلك خوفا من انتشاره الى العدو فيكون سببا لاستعداده وتاهبه للحرب ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا اراد سفرا الى الحرب ورى بغيره كما روي انه نوى غزاة بدر فكتب للسرية كتابا وامرهم ان يخرجوا من المدينة الى صوب مكة يومين او ثلاثة ثم ينظروا الى الكتاب ويعملوا بما فيه فلما ساروا نظروا فيه فاذا هو يامرهم فيه بالخروج الى نخلة محمود وان يفعلوا كذا وكذا ففعلوا وخرج النبي صلى الله عليه وآله خلفهم الى بدر فكان الظفر لهم ولو اعلمهم حين امرهم بالخروج انه يسير الى قريش لانتشر ذلك الى قريش وكان استعدادهم له اقوى وجاز ان يكون ذلك ايضا مانعا لبعض الصحابة عن النهوض خوفا من اهل مكة وشوكتهم الثاني انه لا يطوي دونهم امرا الا في حكم استعار لفظ الطي لكتمان الامر اي لا يخفي عنكم امرا الا ان يكون حكما من احكام الله فاني افصل دونكم من غير مراقبة ومشاورة فيه كالحدود وغيرها الثالث ان لا يؤخر لهم حقا عن محله كالعطاء وسائر الحقوق التي تقتضيها ولا يقف به دون مقطعه كالاحكام المتعلقة بالمتخاصمين المحتاجة الى الفصل الرابع ان يسوي بينهم في الحق والاول والثاني مقتضى فضيلة الحكمة والثالث والرابع مقتضى فضيلة العدل واما الامر الثالث مما يستحقه عليهم فبدأ بوجوب حق الله تعالى اولا اذ كان صنائعه بنصبه لهم اماما وتعليمهم ما ذكره مما هو من نعمه عليهم ثم ثنى بما يجب له وذكر امورا احدها بذل طاعته اذ لا حجة لهم عليه يكون سببا لعصيانهم الثاني ان لا ينكصوا عن دعوته له اذا دعاهم وهو من تمام الطاعة الثالث ان لا يقفوا في حيز التفريط في مصلحة يرونها او يبديها لهم الرابع ان يخوضوا الغمرات ويركبوا الشدائد في نصرة الحق وطلبه ثم اردف ذلك بالوعيد لهم ان لم يستقيموا له على ما وجب له عليهم مما عدده وتوعد بامرين احدهما هوان المعوج منهم عن طاعته عليه وسقوط منزلته والثاني اعظام العقوبة له وعدم الرخصة فيها عنده ولما بين لهم ما وجب عليهم امرهم ان ياخذوا ذلك البيان والنصح منه ومن سائر امرائه العدل ويعطوهم من انفسهم ما يصلح الله به امورهم من الطاعة وفعل ما امروا به وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام

الى بعض عماله على الخراج: من عبد الله علي امير المؤمنين عليه السلام الى اصحاب الخراج، اما بعد فان من لم يحذر ما هو صائر اليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها، واعلموا ان ما كلفتم يسير وان ثوابه كثير، ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه، فانصفوا الناس من انفسكم، واصبروا لحوائجهم، فانكم خزان الرعية، ووكلاء الامة، وسفراء الائمة، ولا تحشموا احدا عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعتملون عليها ولا عبدا، ولا تضربن احدا سوطا لمكان درهم، ولا تمسن مال احد من الناس مصل ولا معاهد، الا ان تجدوا فرسا او سلاحا يعدى به على اهل الاسلام، فانه لا ينبغي للمسلم ان يدع ذلك في ايدي اعداء الاسلام فيكون شوكة عليه، ولا تدخروا انفسكم نصيحة، ولا الجند حسن سيرة، ولا الرعية معونة، ولا دين الله قوة، وابلوا في سبيله ما استوجب عليكم، فان الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم ان نشكره بجهدنا، وان ننصره بما بلغت قوتنا، ولا قوة الا بالله

اقول: السفير: الرسول وحشمته واحشمته بمعنى اي اغضبته واخجلته والشوكة: القوة والمنية معروفا اي اعطيته وصدر الكتاب بعقد شرطية وهو ان من لم يحذر ما يصير اليه من العواقب المخوفة لم يقدم لنفسه استعدادا لما يحرزها منها فان الانسان انما يستعد للامر المرغوب والمرهوب اذا رغب فيه او خافه وهي في معرض التوبيخ على ترك الحذر لترك تقديم طاعته وما يستعد به الانسان مما يحرز نفسه من عذاب الله ثم اعلمهم بكون تكليفهم يسيرا تسهيلا له وكون ثوابه كثيرا ترغيبا فيه وهو في قوة صغرى ضمير رغبتهم بها في القيام بالامور المكلف بها وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك وجب القيام به والاجتهاد فيه ثم اردف ذلك بالتنبيه على وجوب ترك البغي والظلم بما يلزم فعله من العقاب الاليم وتركه من الثواب العظيم الذي لا عذر في ترك طلبه لو لم يكن في فعله عقاب والمعنى انه لو لم يكن فيه عقاب يخاف فيترك لاجله لكان في تركه ثواب يجب لاجله فكيف وفي فعله العقاب الاليم فبالاولى ان يجب تركه وهو من افصح الكلام والغرض التحذير من الوقوع في رذيلة الظلم ثم اردف ذلك باوامر ونواهي فمن الاوامر اثنان احدهما انصاف الرعية من انفسهم وميولها الثاني ان يصبروا لحوائجهم لينتظم امر مصلحتهم وعلل ذلك بكونهم خزان الرعية ووكلاءهم على بيت مالهم وسفراء ائمتهم اليهم وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فعليه النصفة والصبر على حوائجهم ومن النواهي ستة احدها ان لا يحشموا

ومن كتاب له الى امراء البلاد

احد ولا يجهدوه فيستعفى من حاجته الثانى لا يمنع احدا عن حاجته ويحبسوا دونها الثالث ان يجوعوا احدا فى طلب الخراج الى بيع ما يضطر اليه من كسوة او دابة ينتفع بها فى عمل وكذا عبد الخامس ان لا يأخذوا من مال احد من اهل القبلة او المعاهدين من اهل الكتاب شيئا الا ان يكون فرسا او سلاحا يعتدى به على المسلمين والاسلام فانه يجب اخذه من ايدى اعدائهم لئلا يكون شوكة عليهم وعونا السادس ان لا يدخروا انفسهم اى عن انفسهم نصيحة بل ينصح بعضهم لبعض ولا عن الجند حسن سيرة ولا عن الرعية معونة ولا عن دين الله قوة ثم امرهم ان يبلوا فى سبيله ويعطوا ما استوجب عليهم من شكر نعمه وطاعته ثم علل وجوب ذلك بقوله فان الله الى آخره وهو فى قوة صغرى ضميره والمعنى انه تع جعل شكره بجهدنا ونصرته بما بلغت قوتنا صنيعة عندنا اذ كان شكره ونصرته من اعظم نعمه علينا كما سبق وقبل ان يادلان نشكره ونقابله الكبرى وكل من اصطنع عندنا وجب علينا شكره وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** كتبه الى امراء البلاد فى معنى الصلوة فصلوا بالناس الظهر حين تفئ الشمس مثل مربض العنز وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء حية فى عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاج وصلوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق الى ثلث الليل وصلوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه وصلوا بهم صلوة اضعفهم ولا تكونوا فتانين **اقول** بين فى هذا الكتاب اوقات الصلوة فالاول وقت الظهر وحده بوقت فئ الشمس اى رجوعها وميلها الى المغرب ثم نبه بتقديره بمربض العنز وهو اول وقت الظهر وذلك مما يختلف باختلاف البلاد الثانى وقت العصر وقدره ببقاء الشمس بيضاء لم تصفر للمغيب حية واستعار لفظ الحياة لظهورها على الارض لمكان المشابهة وفى عضو من النهار اى القسم والقطعة منه ثم قدر ذلك العضو بمقدار ان يسار فيه فرسخان السير المعتاد الثالث وقت المغرب وعرفه بامرين احدهما حين يفطر الصائم وذلك عند سقوط القرص والثانى حين يدفع الحاج ويفيض من عرفات ولشهرة هاتين العلامتين وتعارفهما مع المخاطبين عرفه بهما الرابع وقت العشاء الاخرة عرفه بتوارى الشفق وذلك من ناحية المغرب وحد آخره بثلث الليل وانما حد آخر هذا الوقت دون اوقات سائر الفرائض لان الفرائض يتبين آخر كل وقت منها ببيان اول وقت الاخرى ولا كان آخر وقت العشاء الاخرة لاتصاله بالليل الخالى عن الفرائض واما آخر وقت الصبح فمحدد بطلوع الشمس ايضا ظاهر الخامس وقت صلوة الغداة وحده بحين يعرف الرجل وجه صاحبه وذلك حين طلوع الفجر الثانى وهو الحمرة المعترضة من ناحية المشرق والعلامة التى ذكرها اوضح لسائر الناس ثم وصاهم بفعل وترك اما الفعل فان يصلوا بالناس صلوة اضعفهم وهو ان لا يطيلوا فى القراءة فى الفرائض كقراءة البقرة والسور الطوال فان ذلك لا يستطيع القيام به كل الناس فيؤدى ذلك الى المشقة وعجز بعضهم او ترك الفريضة فى الجماعة وهو ضرر منهى فى الدين واما الترك فان لا يكونوا فتانين باطالة الصلوة ووجه الفتنة هنا انهم يكونون صارفين للناس عن الائتمام والمساعدة على الجماعة باطالتها المستلزمة لتخلف العاجزين والضعفاء والله اعلم **ومن عهد له عليه السلام** كتبه للاشتر النخعى رحمه الله على مصر واعمالها حين اضطرب امر اميرها محمد بن ابى بكر رضه وهو اطول عهد كتبه واجمعه للمحاسن **اقول** هو مالك بن الحرث الاشتر النخعى من اليمن وكان من اكابر اصحابه ذوى النجدة والشجاعة الذين عليهم عمدته فى الحروب روى ان الطرماح لما دخل على معوية قال له قل لابن ابيطالب جمعت من العساكر بعدد حب جاورس الكوفة وها انا قاصده فقال له الطرماح ان لعلى ديكا اشتر يلتقط جميع ذلك فانكسر معوية من قوله وفى العهد فصول

الفصل الاول قوله بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما امر به عبد الله على امير المؤمنين مالك بن الحرث الاشتر فى عهده اليه حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح اهلها وعمارة بلادها امره بتقوى الله وايثار طاعته واتباع ما امر به فى كتابه من فرائضه وسننه التى لا يسعد احد الا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من اعزه وامره ان يكسر نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا ما رحم الله **اقول** يزعها يكفها وصدر هذا العهد بذكر امور هى غرض الولاية وبها يكون نظام الامر فمنها ما يعود الى منفعة الوالى وهو جباية الخراج ومنها ما يعود الى الرعية وهى مجاهدة عدوهم واستصلاحهم بالسياسة وحسن الرعى ومنها ما يعود اليهما وهو عمارة البلاد ولواحقها ثم امره باوامر يعود الى اصلاح نفسه اولاها تقوى الله وخشيته وقد سبق بيان كونها اصلا لكل فضيلة الثانى اتباع اوامره فى كتابه من فرائضه وسننه ورغب فى ذلك بقوله لا يسعد الى قوله اضاعتها وتكرر بيان ذلك الثالث ان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه فى جهاد العدو وانكار المنكرات ورغب فى ذلك بقوله وقد تكفل الى قوله اعزه كقوله تع ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم الرابع ان يكسر من نفسه عند الشهوات وهو امر بفضيلة العفة الخامس ان يكفها ويقفها عند الجمحات وهو امر بفضيلة الصبر عن اتباع الهوى وهو فضيلة تحت العفة وحذر من النفس بقوله فان النفس الى آخره وهو من قوله تع ان النفس لامارة بالسوء الاية وما بمعنى من وهى نصب على الاستثناء اى الا نفس رحمها الله

الفصل الثانى فى اوامره ووصاياه بالاعمال الصالحة المتعلقة باحوال الولاية وتدبير المال والمدينة وذلك قوله ثم اعلم يا مالك انى قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون

من عهد له الى مالك بن الحرث الاشتر

من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الانصاف منها فيما احببت وكرهت واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان اما اخ لك في الدين واما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على ايديهم في العمد والخطاء فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدي لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت عنها مندوحة ولا تقولن اني مؤمر آمر فاطاع فان ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير واذا احدث لك ما انت فيه من سلطانك ابهة او مخيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك من طماحك ويكف عنك من غربك ويفيء اليك بما عزب عنك من عقلك اياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فانك الا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حربا حتى ينزع ويتوب وليس شيء ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم فان الله يسمع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد وليكن احب الامور اليك اوسطها في الحق واعمها في العدل واجمعها لرضى الرعية فان سخط العامة يجحف برضى الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة وليس احد من الرعية اثقل على الوالي مؤونة في الرخاء واقل معونة له في البلاء واكره للانصاف واسأل بالالحاف واقل شكرا عند الاعطاء وابطأ عذرا عند المنع واضعف صبرا عند ملمات الدهر من اهل الخاصة وانما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة فليكن صغوك لهم وميلك معهم وليكن ابعد رعيتك منك واشنأهم عندك اطلبهم لمعائب الناس فان في الناس عيوبا الوالي احق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك واطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يضح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الامور ولا حريصا يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله ان شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيرا ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فانهم اعوان الاثمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم واوزارهم ممن لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على اثمه اولئك اخف عليك مؤونة واحسن لك معونة واحنى عليك عطفا واقل لغيرك الفا فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك اقولهم بمر الحق لك واقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لاوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع والصق باهل الورع والصدق ثم رضهم على ان لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزة ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فان في ذلك تزهيدا لاهل الاحسان في الاحسان وتدريبا لاهل الاساءة على الاساءة والزم كلا منهم ما الزم نفسه واعلم انه ليس شيء بادعى الى حسن ظن وال برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك في ذلك امر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وان احق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت بها الالفة وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الاجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها واكثر مدارسة العلماء ومنافثة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك

اقول الضاري المعتاد للصيد الحريص عليه والصفح الاعراض عن الذنب والبجح بسكون الجيم الفرح والسرور والبادرة الحدة والمندوحة السعة والادغال ادخال الفساد في الاصل والنهك الضعف والابهة والمخيلة الكبر ويطامن يسكن وطماح النفس جماحها وطماح البصر ارتفاعه وغرب الفرس حدته واذل جريه والمساماة مفاعلة من السمو والجبروت الكبر العظيم وادحض حجته ابطلها وينزع يرجع ويجحف يذهب

إلى مالك بن الحرث الأشتر

ج ٥ ص ٣

والالحاف شنعة السؤال وملمات الدهر ما يلم من خطوبه وجماع المسلمين جمعهم والصغو الميل واشنأهم ابغضهم والوتر الحقد والتغابي
التجاهل والتغافل وبطانة الرجل خاصته والاصار الآثام وحفلاتك جلساتك في المحافل والمجامع والاطراء المدح البالغ والزهو
الكبر والتدريب التعويد والمنافسة المحادثة واعلم ان مدار هذا الفصل لما كان على امره بالعمل الصالح للبلاد والعباد نبهه اولاً على
بعض العلل الغائية من ذلك وهو الذكر الجميل في العقبى والكون من الصالحين بعمله وذلك بقوله اني قد وجهتك الى قوله
يقول فيهم وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراها انك موجه الى بلدة حالها كذا وكذا وحال الناس في فعلك بها كذا وكذا وتقدير
الكبرى وكل من وجه الى بلدة كذلك وكان الناس ينظرون من امره مثل ما كان ينظر فيه من امر الولاة ويقولون فيه مثل ما
كان يقول فيهم فيجب عليه ان يكون احب الامور اليه العمل الصالح ليحصل منه الذكر الجميل بين الناس الدال على كون المذكور
عند الله من الصالحين ونبه على ذلك بقوله وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده
وفي تسمية اجراء القول الى الله ترغيب عظيم في تحصيل الذكر الجميل ثم اعقب ذلك بامره ان يجعل العمل الصالح احب الذخائر
اليه واستعار لفظ الذخيرة باعتبار ان يحصل في الدنيا لغاية الانتفاع به في العقبى كالذخيرة ولما امره بالعمل الصالح
اجمالا شرع في تفصيله وذكر انواعا احدها ان يملك هواه في شهوته وغضبه فلا يتبعهما ويشح بنفسه عما لا يحل له من
المحرمات وقوله فان الشح الى قوله كرهت تفسير لذلك الشح بما يلازمه وهو الانصاف والوقوف على حد العدل في المحبوب
فلا يقوده شهوته الى حد الافراط فيقع في رذيلة الفجور وفي دفع المكروه فلا يقوده غضبه الى طرف الافراط من فضيلة
العدل فيقع في رذيلة الظلم والتهور وظاهر ان ذلك شح بالنفس وبخل بها عن القائها في مهاوي الهلاك الثاني ان يشعر قلبه الرحمة فيقع م
للرعية والمحبة واللطف بهم وهي فضائل تحت ملكة العفة اي اجعل هذه الفضائل شعار القلب ولفظ الشعار والسبع
مستعاران واشار الى وجه استعارة السبع بقوله تغتنم اكلهم الثالث ان يعفو ويصفح عنهم وهو فضيلة تحت الشجاعة وقوله
فانهم الى قوله في الخلق بيان لسببين من اسباب الرحمة لهم واللطف بهم وقوله يفرط منهم الزلل الى قوله والخطأ تفسير للثلمة
وهي السبب الثاني والكلام في قوة صغرى ضمير تحسن العفو والصفح واراد بالعلل التي تعرض لهم الامور المشغلة الصارفة
لهم عما ينبغي من اجراء اوامر الوالي على وجوهها وقوله ويؤتى على ايديهم كناية عن كونهم غير معصومين بل هم ممن يؤتون من جهة
العمد والخطأ وتأتي على ايديهم اوامر الولاة والمؤاخذات فيما يقع منهم من عمد وخطأ وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك
فينبغي ان يرحم ويشمل بالمحبة واللطف به ويقابل خطأه بالعفو والصفح وفي امره باعطاء العفو مثل الذي يحب ان يعطيه الله من
عفوه اتم ترغيب في العفو واقوى جاذب اليه وكذلك قوله فانك فوقهم الى قوله وابتلاك بهم تخويف من الله في معرض الامر
بالعفو واللطف وهو صغرى ضمير آخر في ذلك الرابع نهاه ان ينصب نفسه لحرب الله وكنى بحربه عن المغالظة على عباده وظلمهم
ومبارزته تعالى فيهم بالمعصية وقوله فانه لا يدي لك الى قوله ورحمته صغرى ضمير نبه به على انه لا يجوز ظلم عباد الله ومحاربته
وكنى بعدم اليدين عن عدم القدرة يقال ما لي بهذا الامر يد اذا كان مما لا يطاق وحذف النون من يدين لمضارعة المضاف وقيل
لكثرة الاستعمال وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا يجوز ان ينصب لحربه بظلم عباده الخامس نهاه عن الندم على العفو وعن
التبجح بعقوبة الغير والتسرع الى الغضب الذي يجد عنه مندوحة فان ذلك كله من لوازم اعطاء القوة الغضبية قيادها
انها شيطان تقود الى النار السادس نهاه ان يأمر بما لا ينبغي الامر به ويخالف الدين ونهى عن ما عساه يعرض في النفس من وجوب
طاعة الخلق لامره فان عليهم ان يسمعوا وعليه ان يأمر فان ذلك فساد في القلب والدين واشار الى ذلك الفساد بقوله فان ذلك ادغال
الى قوله الغير وهو من وجوه ثلثة احدها انه ادغال في القلب وصرف له عن دين الله وهو معنى افساده الثاني ان ذلك منهكة
للدين واضعاف له الثالث انه مقرب من الغير لكون الظلم من اقوى الاسباب المعدة باجتماع همم الخلق على زواله واليه الاشارة بقوله
تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم والكلام في قوة ثلث صغريات لثلثة ضماير وتقدير الكبريات فيها وكل ما كان
كذلك فلا يجوز ان يكابر السابع ارشده الى دواء الابهة والكبر التي عساه يعرض له في سلطانه وولايته وذلك ان ينظر الى
عظمة الله تعالى فوقه وقدرته على ما لا يملكه من نفسه ولا يستطيع جلبا لها او دفعا عنها فان ذلك يسكن داء الكبر الذي
يحدث له فيطامن ويكسر حدة غضبه ويرد اليه ما قهرته قوته الغضبية من عقله فيعزب عند حلمها وهذه ايضا صغريات ثلث
لثلثة ضماير نبه فيها على وجوب فعل ما ارشده اليه من الدواء وتقدير الكبريات فيه وكلما كان كذلك فيجب عليك فعله الثامن حذره
عن التعظيم والتجبر ونفره عن ذلك بكونهما مساماة ومشابهة لله وبان التكبر يستلزم ان يذل الله صاحبه ويهينه وتقدير الاحتجاج لله
فانك ان تجبرت واختلت يذلك الله ويهينك وهو في قوة صغرى ضمير بين وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب ان يحذر
من الله بترك التجبر التاسع امره بانصاف الله وانصاف الناس من نفسه واهل هواه من رعيته فانصاف الله العمل باوامره والانتهاء

الى مالك بن الحرث الاشتر

عن زواجره مقابلا بذلك نعمه وانصافه الناس لعدله فيهم والخروج اليهم من حقوقهم اللازمة لنفسه ولاهل خاصته والجمع على وجوه
ذلك الانصاف تعيينا سوء مقصود صغرى للاول وقوله فانك الا تفعل تظلم اى تظلم عباد الله وكبراه ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه
دون عباده ونفقد بنتيجته فانك ان لا تفعل كان الله خصمك دون عباده وهى صغرى لقياس اخر كبراه قوله ومن خاصمه الله
الى قوله ويتوب ونفقد بنتيجة فانك ان لا تفعل ادحض الله حجتك عنده مخاصمة وكنت له حربا الى ان تنزع وتتوب من ظلمك
وقوله وليس شئ الى قوله على ظلم تنبيه على لازم اخر لعدم الانصاف اولا فانه على الظلم وهو كونه ادعى الى تغيير نعم الله وتعجيل
نقمته من كل شئ وقوله فان الله الى قوله بالمرصاد بيان للزوم اللازم المذكور وذلك ان الله سبحانه اذا كان يسمع دعوة
المظلوم ويطلع على فعل الظالم فانه يسرع الى تغيير نعمته اذا استعد لذلك العاشر امره ان يكون احب الامور اليه فقربها
الى ما في الوسط من طرفى الافراط والتفريط وهو الحق واعمها للعدل واجمعها لرضاء الرعية فان العدل قد يوقع على
وجه لا يعم العامة بل يتبع فيه رضاء الخاصة وتنبه على لزوم العدل العام للرعية وحفظ قلوب العامة وطلب رضاهم
بوجهين احدهما ان سخط العامة لكثرتهم لا يفيأ ومع رضاء الخاصة لقلتهم لا يجحف به ولا ينتفع برضاهم عند سخط العامة
وذلك يؤدى الى وهن الدين وضعفه اما سخط الخاصة فانه مغتفر ومستور عند رضاء العامة فكان رضاهم اولى
الثاني انه وصف الخاصة بصفات مذمومة تلفه الاهتمام بهم بالنسبة الى العامة بصفات محمودة توجب العناية بهم
اما صفات الخاصة فاحدها كونهم اثقل مؤنة على الوالي في الرخاء لتكلفهم ما لا تتكلفه لغيرهم الثاني كونهم اقل معونة
له في البلاء لمحبتهم الدنيا وعزة جانبهم الثالث وكونهم اكره للانصاف لزيادة اطماعهم في الدنيا على العامة الرابع وكونهم
اسال بالالحاف لانهم عند الحاجة الى السؤال اشد جرأة على الوالي واطمع في الاثرة جانبه الخامس كونهم اقل شكرا عند الاعطاء
لاعتقادهم زيادة فضلهم على العامة وانهم احق بما يعطونه واعتقادهم حاجة الوالي اليهم وتخوفه منهم السادس كونهم ابطأ
عذرا للوالي ان منعهم اى انهم اقل مسامحة له اذا اعتذر اليهم في امر لاعتقادهم فضيلة انفسهم وكونهم واجبي قضاء الحقوق
السابع كونهم اضعف صبرا عند ملمات الدهر لتعودهم الترفه وجزعهم على ما في ايديهم من الدنيا واما صفات العامة فاحدها
كونهم عمود الدين واستعار لهم لفظ العمود باعتبار قيام الدين بهم كقيام البيت بعموده الثاني كونهم جماع المسلمين لكونهم الاغلب
والاكثر والسواد الاعظم الثالث كونهم العدة للاعداء لكثرتهم ايضا ولانهم كانوا اهل الحرب في ذلك الزمان ونفاد الصفات
للفريقين يستلزم وجوب حفظ قلوب العامة وتقديمه على حفظ قلوب الخاصة ولذلك امره ان يكون صغوه وميله الى العامة
الحادى عشر امره بان يكون ابعد رعيته منه وابغضهم اليه اطلبهم لمعايب الناس ونبهه على وجوب ذلك بقوله فان في الناس الى
قوله سترها واذا كان الوالي احق من سترها لزم ان لا يكشف عما غاب عنه منها وذلك يمنع اهل النميمة وابعادهم وان يلزم ما
يجب عليه وهو تطهير الخلق مما ظهر له من ذنوبهم دون ما غاب عنه واكد ذلك بالامر بستر العورة من الغير بقدر الاستطاعة فان
كل عيب عورة ونبه على الرغبة في ذلك بما يستلزمه من اعداده لستر الله منه ما يجب ان يستره هو على رعيته من الذنوب والعيوب
الثاني عشر امره بنزع الحقد وعقد ما عقده في قلبه منه لكونه مما تؤدى الى الوقيعة وان يقطع اسبابه من قبول السعاية واهل النميمة
الثالث عشر ان يتغافل عن كل امر لا يتضح له ولا يقوم به برهان ونهاه ان يعجل الى تصديق من سعى به ونبه على ذلك بضمير صغراه
قوله فان الساعي الى قوله الناصحين ووجه غشه كونه مثيرا للاحقاد والضغائن بين الناس ويذيع الفاحشة والفساد في الارض
ونفقد بكبراه وكل من كان غاشا وجب ان لا يلتفت اليه الرابع عشر نهاه ان يدخل في مشورته ثلثة البخيل والجبان والحريص ونبه
على وجه المفسدة في استشارة كل من احد من الثلثة بضمير صغرى الاول قوله يعدل بك الى قوله الفقر وذلك ان البخيل لا يشير
الا بما يراه مصلحة عنده وهو البخل وما يستلزمه من التخويف بالفقر وهو يعدل بالمستشير عن الفضل وصغرى الثاني قوله
يضعفك عن الامور لان الجبان لا يوجب حفظ النفس والتخويف من العدو وهو المصلحة التى يراها وكل ذلك مضعف عن الحرب
ومقاومة العدو وصغرى الثالث قوله يزين لك الشره بالجور وذلك ان المصلحة عنده جمع المال وحفظه وهو مستلزم للجور غير فضيلة
العدل والقصد ونفقد الكبرى في الثلثة وكل من كان كذلك فلا يجوز استشارته ثم نفر عن الثلثة بضمير اخر تتبه صغراه على
مبدأ ذم ملكهم الثلث وهى البخل والجبن والحرص لتعرف فتجتنب وتنفر عن اهلها فذكر انها غرايز للخلاف متفرقة تحصل للنفس
عن اصل واحد ينتهى اليه وهو سوء الظن بالله وبيان ذلك ان مبدأ سوء الظن بالله عدم معرفته تعم فالجاهل به لا يعرف من
جهته ما هو جواد فياض بالخيرات لمن استعد بها عند لها فيسوء ظنه به وانه لا يخلف عليه عوض ما يبذل له فيمنعه ذلك ملاحظة
الفقر عن البذل ويلزمه رذيلة البخل وكذا الجبان جاهل به نعم من جهة لطفه بعباده وعنايته بوجودهم وعن عالم بستره فيدن
فيسوء ظنه بانه لا يحفظه من التلف ويتصور الهلاك فيمنعه ذلك عن الاقدام في الحرب وخوضها فيلزمه رذيلة الجبن وكذا الحريص

تستلزم

يقطع

بشر الامر

عند

بجهله تعالى من الوجهين المذكورين فيسوء ظنه به ويعتقد انه اذا لم يحرص الحرص المذموم لم يوصل اليه تعالى ما يصلح حاله مما ينبغي صرفه وحرص
عليه فيبعثه ذلك على الحرص وكذا النفس فكانت هذه الاخلاق الثلثة المذمومة راجعة الى ما ذكره ع الخامس عشر ما كان من الاعمال
القضائية اختيار الوزراء والاعوان بنهيه ع عن من لا ينبغي استصلاحه لذلك ليجتنب وعن من ينبغي ليرغب فيه فمن لا ينبغي هو من كان للاشرار
من الولاة قبله وزيرا ومشاركا لهم في الاثام ونهاه عن اتخاذه بطانة وخاصة له ونفر عنهم بضمير صغراه قوله فانهم الى قوله الخلف وتقدير كبراه
وكل من كان كذلك فلا تتخذه بطانة وقوله وانت الى اخره تميز لمن هو خير الخلف من الاشرار وهم الذين ينبغي ان يستعان بهم بيان لوجه خيريتهم
بالنسبة الى الاشرار وهو ان يكون لهم مثل ارائهم ونفاذهم في الامور وليس عليهم مثل اصارهم ولم يعاونوا ظالما على ظلمه ثم رغب في اتخاذ هؤلاء
اعوانا بضمير صغراه قوله اولئك اخف الى قوله الفا اما انهم اخف مؤونة فلانهم وازعاهم من انفسهم عما لا ينبغي لهم من مال وحال فلا يحتاج
في ارضائهم لهم او ردعهم عما لا ينبغي الى مزيد كلفة بخلاف الاشرار والطامعين فيما لا ينبغي وبحسب قربهم الى الحق ومجانبتهم للاشرار كانوا
احسن معونة واثبت عنده قلوبا واشد حنوا عليه وعطفا واقل لغيره الفا وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان يتخذ عونا ووزيرا
لذلك قال فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ميز من ينبغي ان يكون اقرب هؤلاء اليه واقوامهم في الاعتماد عليه باوصاف
احدها ان يكون اقولهم بمر الحق الثاني ان يكون اقلهم مساعدة له فيما يكون منه ويقع من الامور التي يكرهها الله لاوليائه
وانتصب قوله واقعا على الحال اي في حال وقوع ذلك لقول منه والتصيير وتعلق المساعدة حيث وقع من هواك سوى كان في هوى
عظيم او يسير او حيث وقع هواك اي سواء كان ما هواه عظيما او ليس ويحتمل ان يريد وانما ذلك الناصح من هواك ومحبتك حيث
وقع اي يجب ان يكون له من هواك موقعا ثم امره في اعتبارهم واجتنابهم باوامر احدها ان يلازم اهل الورع منهم والاعمال الجميلة واهل
الصدق ومما فضيلتان تحت العفة الثاني ان يروضهم ويؤدبهم بالنهي عن الاطراء له وان يجبوا له سرورا بقول الباطل ينسبونه فيه الى
فعل ما لم يفعله ويدخلون في ذم قوله نعم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ونفره عن كثرة الاطراء بضمير صغراه قوله فان كثرة الاطراء
الى قوله العزة واستلزام الاطراء للرذيلتين المذكورتين ظ وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك يجب اجتنابه الثالث نهاه ان يكون المحسن
والمسيء عنده بمنزلة سواء وتفرع عن ذلك ببيان وجه المفسدة في ضمير صغراه قوله فان ذلك الى قوله الاساءة وسره ان اكثر فعل الاحسان
انما يكون طلبا للمجازاة عليه خصوصا من الولاة وطلبا للزيادة والرتبة على الغير وبيان ذلك الذكر الجميل مع انواع من الكلفة في ذلك فاذا
راى المحسن مساواة منزلة المسيء كان تكلف ذلك صارفا عن الاحسان وداعيا الى الراحة من تكلفه وكذلك اكثر التاركين للاساءة انما
يتركون خوفا من الولاة واشفاقا من نقصان الرتبة عن النظر فاذا راى المسيء مساواة مرتبته مع مرتبة المحسنين كان التقصير اولى وتقدير
الكبرى وكل ما كان فيه تزهيد للاحسان وتدريب على الاساءة فينبغي ان يجتنب ثم اكد ذلك بامره ان يلزم كلا من اهل الاحسان
والاساءة بما الزم به نفسه من الاستعداد بالاحسان والاساءة لهما فيلزم المحسن منزلة الاحسان ويلزم المسيء منزلة الاساءة السادس
عشر نبهه على الاحسان الى رعيته وتخفيف المؤونات عنهم وترك استكراههم على ما ليس له قبلهم مما يستلزم ذلك من حسن ظنه بهم المستلزم
لقطع النصب عنه من قبلهم والاستراحة اليهم وذلك ان الوالي اذا احسن الى رعيته قويت رغبتهم فيه واقبلوا بطباعهم على محبته وطاعته
وذلك يستلزم حسن ظنه بهم فلا يحتاج معهم الى كلفة في جميع اهوائهم والاحتراس من شرورهم واكد ذلك بقوله وان احق من حسن ظنك
به الى قوله عنده السابع عشر نهاه ان ينقض سنة صالحة عمل بها السلف الصالح من صدور هذه الامة واجتمعت بها الالفة وصلح
الرعية وذلك مفسدة ظاهرة في الدين الثامن عشر نهاه ان يحدث سنة تضر لشيء من ماضي السنن واشار الى وجه الفساد فيها بضمير
صغراه قوله فيكون الى قوله سنها فيعود الى السنن التي دخل عليها الضرر فيكون الاجر لمن سن السنة الماضية التي اضربها سنتك
الحادثة والوزر عليك بما نقضت منها وتقدير كبراه فكل ما كان كذلك فينبغي ان يجتنب وينفر عنه التاسع عشر امره ان يكثر مدارسة
العلماء اي باحكام الشريعة وقوانين الدين ومنافثة الحكماء اي العارفين بالله واسراره في عباده وبلاده العاملين بالقوانين الحكمية
العملية والتجربية والاعتبارية وتصفح انواع الاخبار في تثبيت القواعد والقوانين التي يصلح عليها امر بلاده واقامة ما استقام به الناس
قبله وبالله التوفيق

الفصل الثالث في التنبيه على طبقات الناس الذين ينتظم بهم امر المدينة وتكلم على حده وطبقة طبقة منها
التي يقتضي الحكمة البدنية وضعها والاشارة الى تعلق كل طبقة بالاخرى حيث لا صلاح لبعضهم الا بالبعض وبذلك يكون قوام المدينة
ثم بالاشارة الى من ينبغي من كل صنف وطبقة يكون اهلا لتلك المرتبة والوصية في كل بما يليق به وذلك قوله واعلم ان الرعية
طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها
عمال الانصاف والرفق ومنها اهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة
والمسكنة وكل قد سمى الله سهمه ووضع على حده فريضته في كتابه او سنة نبيه محمد ص عهدا منه عندنا محفوظا فالجنود باذن الله
حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الامن وليس يقوم الرعية الا بهم ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج يقوون

في تنبيهه على طبقات الناس في انتظام الأمور

يقوى بها في جهاد عدوهم ويعتمدون فيما أصلحهم عليه ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال
والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها ولا قوام لهم جميعا إلا بالتجار و
ذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم ثم
الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه فول
من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك أنقاهم جيبا وأفضلهم حلما ممن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر ويرأف
بالضعفاء وينبو عن الأقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف ثم الصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق
الحسنة وأهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان
من ولدهما ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به ولا تحقرن لطفا تعاهدتهم به وإن قل فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن
بك ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها فإن لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به وللجسيم موضعا لا يستغنون عنه وليكن
آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم حتى يكون
همهم هما واحدا في جهاد العدو فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم وقلة استثقال دولهم
وترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح في آمالهم وواصل في حسن الثناء عليهم وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم فإن كثرة الذكر لحسن
أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى ولا تضمن بلاء امرئ إلى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه
ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما واردد إلى الله
ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور فقد قال الله سبحانه لقوم أحب إرشادهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه والرد إلى الرسول الأخذ
بسنته الجامعة غير المفرقة ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في
الزلة ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه أوقفهم في الشبهات وآخذهم
بالحجج وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشف الأمور وأصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء ولا يستميله إغراء
وأولئك قليل ثم أكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته إلى الناس وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع
فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظرا بليغا فإن هذا الدين قد كان أسيرا في أيدي
الأشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة وأثرة فإنهما جماع من شعب الجور
والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة فإنهم أكرم أخلاقا وأصح أعراضا وأقل
في المطامع إسرافا وأبلغ في عواقب الأمور نظرا ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما
تحت أيديهم وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك ثم تفقد أعمالهم وابعث من أهل الصدق والوفاء عليهم فإن تعاهدك
السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه
عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة
ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم
إلا بهم لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا
بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلا فإن شكوا علة أو ثقلا أو انقطاع شرب أو بالة
أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فإنه
ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل
قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم فربما حدث من الأمور ما إذا عولت
فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به فإن العمران محتمل ما حملته وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها وإنما يعوز أهلها لإشراف
أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر ثم انظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم واخصص رسائلك التي
تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ
ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك وإصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطي منك ولا يضعف
عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره
أجهل ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن

خدمتهم

في تنبيههم على طبقات الناس في باب النظم

حدسك ليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شيء ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لاحسنهم كان في العامة اثرا واعرفهم بالامانة وجها فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت امره واجعل لراس كل امر من امورك راسا منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه الزمته ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات واوص بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع واسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها فانهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقب في غير اسراف ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين واهل البؤسى والزمنى فان في هذه الطبقة قانعا ومعترا واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد فان للاقصى منهم مثل الذي للادنى وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييع التافه لاحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقد امور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لاولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله في تادية حقه اليه وتعهد اهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم **اقول** المعاقد جمع معقد والمرافق المنافع ونفاذ الامر عظمه والخلوف المتخلفون جمع خلف بالفتح والحيطة الشفقة ويضلع عليك يميل والمحك اللجاج والحصر العي والتبرم التضجر والازدهاء افتعال من الزهو وهو الكبر والاطراء كثرة المدح والاغتيال الاخذ على غرة والمحاباة المعاطاة والمقاربة فيها والاثرة الاستبداد والجماع الجمع والتوخي القصد والحدوة الحث والشرب النصيب من الماء والبالة القليل من الماء يبل بها الارض احالة الارض تغيرها عما كانت عليه من الاستواء فلم ينجب زرعها ولا اثمر نخلها والاجمام الاراحة ومعتمد اي فاضل والاعواز الفقر استنام الى كذا سكن اليه والمترفق طالب الرفق من التجارة والمطارح جمع مطرح وهي الارض البعيدة والبائقة الداهية والغائلة الشر الاحتكار حبس المنافع عن الناس عند الحاجة اليها والبؤسى الشدة والقانع السائل والمعتر الذي يتعرض للعطاء من غير سؤال والصوافي جمع صافية وهي ارض الغنيمة والتافه الحقير واشخاص همه رفعه وتصعير الخد اماله كبرا وتقحمه تزدريه واعذر في الامر صار ذا عذر فيه واعلم ان في الفصل ابحاثا الاول انه قسم اهل المدينة الى سبع طبقات وحكم بانه لا يصلح بعضها الا بالبعض على ما بينه وقوله منها اهل الذمة ومسلمة الناس تفصيل للاهل الاول فاهل الذمة تفسير لاهل الجزية ومسلمة الناس تفسير لاهل الخراج ويجوز ان يكون تفسيرا لاهل الجزية والخراج لان للامام ان يقبل ارض الخراج من سائر المسلمين واهل الذمة وقوله وكل قد سمى الله له سهمه اي عين الله لكل منهم الاستحقاق لكل من ذوي الاستحقاق في كتابه اجمالا من الصدقات كالفقراء والمساكين وعمال الخراج والصدقة وفصله في سنة نبيه ص وحده الذي وضع الله عليه عهدا منه عند اهل بيت نبيه هو مرتبته ومنزلته من اهل المدينة الذين لا يقوم الا بهم فان للجندي منزلة وحدا محدودا لا يجوز له تعديه وفريضة وقوفه عنده والعمل بما يلزم تلك المرتبة وكذلك للكتاب والعمال والقضاة وغيرهم فان لكل منهم حدا يقف عنده وفريضة يلزمها عليها عهد من الله محفوظ عند نبيه واهل بيته ع اشتملت عليها الشريعة البحث الثاني انه نبه بقوله فالجنود باذن الله الى قوله سواهم على ان لكل من الاصناف المذكورة تعلقا بالاخر بحيث لا يقوم الا به والحاجة اليه ضرورية ومجموعهم يقوم صورة المدينة فبدأ بالجنود لانهم الاصل وذكر وجه الحاجة اليهم اربعة اوصاف احدها كونهم حصون الرعية واستعار لهم لفظ الحصون باعتبار حفظهم للرعية وحياطتهم لهم كالحصن الثاني انهم زين الولاة فان الوالي بلا جند كاحد الرعية لا يبالي به ولا يطاع له امر والقضية ظاهرة الثالث كونهم عز الدين واطلق لفظ العز عليهم اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان العز للدين لازما لوجودهم الرابع استعار لفظ الامن لهم باعتبار لزوم الامن لوجود الجند في الطرق ونحوها والكلام في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فليس يقوم الرعية الا به وقوله وليس يقوم الرعية الا بهم نتيجة القياس المذكور وقال باذن الله تنبيها على انه اراد جنود الحق الذين هم مقتضى الحكمة لا مطلق الجنود الثاني اهل الخراج ومن يوخذ منهم واشار الى وجه استلزام الحاجة الى الجند الحاجة اليهم بقوله ثم لا قوام للجنود الى قوله حاجتهم فقوله لا قوام الى قوله الخراج دعوى وقوله الذين يقوون الى قوله حاجتهم في قوة صغرى ضمير بين علتها وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا قوام للجند الا به فينتج لا قوام للجند الا بما يخرج الله لهم من الخراج ولما كان الخراج انما يحصل من عمارة من الرعية ولا يقوم الجند الا بهم الثا

مصدّرا

تقحيم ر

في باب انتظام الامور واصلاحها

القضاة والعمال والكتاب وجمعهم لان وجه الحاجة اليهم واحد واشار اليه بقوله لما يحكمون به الى قوله وعوامها فانهم مثل الوالي والرعية
على ما يعمهم من الامور او يخص كلا منهم وعلى ايديهم تكون احكام العقود وجمع المنافع وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك
فحاجة الجند والرعية اليه ضرورية الرابع التجار وذوو الصناعات وادعى انه لا قوام للاصناف الثلاثة الا بهم ونبه على ذلك بقوله فيما
يجتمعون عليه من مرافقهم فان كل ما يفعله التجار من طلب الامتعة وبيعها وشرائها ويقيمونه من الاسواق بذلك وما يفعله الصناع من المنفعة (جلب لهم)
بايديهم مما لا يحصل من غيرهم الانتفاع به مما هو مرافق ومنافع للرعية في مقام حاجتهم وضروراتهم وهو في قوة صغرى ضمير كبراه ما سبق الخامس
الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة ونبه على وجه الحاجة اليهم بقوله الذين يحق رفدهم ومعونتهم وبيان ذلك ان رفد هؤلاء و
معونتهم يستلزم اجتماع هممهم وتوافر دواعيهم لرافدهم ومعينهم وبهم تستنزل الرحمة وتستدر البركة من الله تعالى لاهل المدينة وبذلك
الثواب الاخروي فكانت الحاجة اليهم داعية لذلك ولما اشار الى وجه الحاجة الى جميعهم قال وفي الله لكل سعة اي في جود الله وعنايته
ليعتمد على الله في تدبير امورهم اذ هو ولي نعمتهم والعناية الاولى وقال ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه ليعلم ان مراعاة كل منهم واجبة
عليه فيشتمل عليها وبالله التوفيق البحث الثالث في امره باستصلاح كل صنف باوصاف يجب ان يكون عليها وبعضه في مقامه فالصنف
الاول الجند واشار الى تعيين من يصلح لهذه المرتبة باوصاف وامره ونهاه فيهم باوامر ونواهي اما الاوصاف فاحدها من كان انصح
في نفسه لله ولرسوله وللامام جيبا اي اكثرهم امانة في العمل باوامر الله ورسوله وامامه فان فاتح الجيب كناية عن الامين الثاني افضلهم
حلما ثم وصف ذلك الافضل فقال ممن يبطئ عن الغضب ويستريح الى العذر ويقبله اذا وجده ويرءف بالضعفاء فلا يغلظ عليهم
وينبو على الاقوياء اي يعلوا عليهم ويجتنب الميل اليهم على من دونهم ممن لا يثيره العنف اي لا يكون له عنف فيثيره كقوله ولا
ارى لضب بها ينجحر وقيل لا يهيجه العنف ولا يزعجه اذا فعل ولا يقعد به الضعف عن اقامة حدود الله واخذ الحقوق من
الظالمين اي لا يكون له ضعف فيقعد عن ذلك الثالث من كان من اهل الاحساب والبيوتات الصالحة والسوابق الحسنة
من الافضال والاحوال الخيرية الرابع من يكون من اهل النجدة والشجاعة الخامس من يكون من اهل السخاء والسماحة واما الاوامر (الاحوال)
فاحدها ان يولي من الجند من كان بهذه الصفات الثاني ان يلصق من ذكر منهم اي يلزمهم في هذه المرتبة ويرغبهم بقوله
فانهم الى قوله العرف ووصفهم بكونهم جماع الكرم وشعب من العرف اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان الجمع من الكرم وهو الفضائل
المذكورة لازمة لهم والامانة والسخاء والسماحة فضائل تحت العفة والحلم والنجدة فضيلتان تحت الشجاعة ويحتمل ان يكون
الضمير في قوله فانهم عايدا الى الفضائل المذكورة كقوله نعم فانهم عدد ولا يشير الى الاصناف الثالث ان يتفقد من امورهم ومصالحهم
ما يتفقد الوالدان وهو كناية عن غاية الشفقة عليهم الرابع نهاه ان يعظم في نفسه شيء يقويهم به من مال او يقع فيدعوه الى التقاصر في حقهم
الخامس وان لا يحقر لطفا يتعاهدهم به فيحمله احتقاره على تركه والنهج الاول وتمثيله وان قل بقوله فانه داعية الى قوله الظن بك ثم ضمير
كبرى هذا الضمير وكلما كان كذلك فالاولى ان لا يفعله السادس نهاه ان يدع تفقد الصغير من امورهم اعتمادا على تفقد عظيمها والنهج
الاول وتمثيله بقوله فان لليسير الى قوله موقعا ينتفعون به وللعظيم فان موضع اليسير ينتفع به يستغنى فيه عن الجسيم وتقدير كبرى
هذا الضمير وكلما كان له موقعا ينتفع به فالاولى فعله في موضعه لينتفع به السابع امره ان يكون اثر رؤوس جنده عنده من كان
بالصفات المذكورة وهو الذي يواسي من تحت يده من الجند فيما يحصل له من المعونة ويفضل عليهم بما في يده بما يسعهم ويسع
من وراءهم من ضعفاء اهليهم وخلوفهم حتى يكون بذلك همهم واحدا فيكونوا بمنزلة رجل واحد في جهاد العدو ثم رغب في العطف
عليهم بما يستلزمه من عطف قلوبهم وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان مستلزما لعطف قلوبهم ففعله واجب (عليهم)
ومصلحة وايضا لما كانت صحة محبتهم من اهم المطالب بين انها لا تتم الا بامور ثلاثة احدها حيطتهم ومحافظتهم على ولاة امورهم الثاني
قلة استثقال دولهم الثالث ان يتركوا استبطاء انقطاع مدة دولهم وذلك في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وما لا يتم اهم المطالب
الا به كان من اهم المطالب الثامن امره ان يفسح لهم في آمالهم اي يجعل لهم من نفسه طمعا اي يفسح به آمالهم فيه لان ذلك مما لا يتم الامور الثلاثة الا
به ولذلك رتب هذا الامر عليها بالفاء التاسع امره ان يواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذووا البلاء منهم والنهج
الوجوب لذلك بقوله فان كثرة الذكر الى قوله ان شاء الله وهو ظاهر والقضية في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك كان واجبا
العاشر امره ان يعرف لكل امرئ ما ابلى وينسبه اليه لانه يهز الشجاع ويحرض الجبان الحادي عشر نهاه ان يضم بلاء امرئ الى غيره
الثاني عشر وان يقصر به دون غاية بلائه فيذكر بعضه او يحقره الثالث عشر ان يدعوه شرف امرئ الى ان يعظم صغير
بلائه او ضعة امرئ ان يستصغر كثير بلائه فان كل ذلك داعية الكسل والفتور عن الجهاد الرابع عشر امره ان يرد الى الله ورسوله
ما يضلعه من الخطوب ويشتبه عليه من الامور محتجا بالآية ثم فسر الرد الى الله بالاخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول بالاخذ بسنته
ووصف السنة بكونها جامعة لان مدارها على وجوب الالفة واجتماع الخلق على طاعة الله وسلوك سبيله الصنف الثاني قضاة

سبيله لصر

العدل

في بيان اوصاف العمال

العدل وعينهم له باوصاف وامره فيهم باوامر اما الصفات فاوجب ان يكون افضل رعيته في نفسه وميز ذلك الافضل بصفات احدها ان يكون ممن لا يضيق به الامور ويحاورها حين تورد عليه الثاني وممن لا يمحكه الخصوم اي يغلبه على الحق باللجاج وقيل ذلك كناية عن كونه ممن يرضيه الخصوم فلا يلاحه ويقبل باول قوله الثالث ان لا يتمادى في زلته اذا زل فان الرجوع الى الحق خير من التمادي في الضلال الرابع ان لا يحصر من الرجوع الى الحق اذا عرفه كما يفعله قضاة السوء حفظا للجاه وخوفا من شناعة الغلط الخامس ان لا تشرف نفسه على طمع فان الطمع في الناس داعية الحاجة اليهم والميل عن الحق السادس ان لا يكتفي بادنى فهم دون اقصاه لان ذلك مظنة الغلط السابع ان يكون اوقف الناس عند الشبهات لانها مظنة الوقوع في الاثم الثامن واخذهم بالحجج التاسع واقلهم تبرما بمراجعة الخصم لما يستلزمه التبرم من تضييع الحقوق العاشر وكذلك واصبرهم على تكشف الامور الحادي عشر واصرمهم عند اتضاح الحق فان في التاخير افات الثاني عشر وممن لا يحدث له كثرة المدح كبرا الثالث عشر وممن لا يستميله الحاح الحق اغراء به ثم حكم بقلة من يجتمع فيه هذه الصفات تنبيها على ان فيها ما هو اولى دون ان يكون شرطا في القضاء واما الاوامر

فاحدها ان يختار من كان بالصفات المذكورة الثاني ان يكثر تعاهد قضائه ليقطع طمعه في الانحراف عن الحق لو خطر بباله الثالث ان يفسح له في البذل لما يزيح علته وهو كناية عما يكفيه ويقل معه حاجته الى الناس فلا يميل اليهم وما يحتمل ان يكون بدلا من البذل وان يكون مفعولا لفعل محذوف دل عليه البذل كانه قال فيبذل له ما يزيح علته وان يكون مفعولا للفسح اي يوسع له ما يكفيه من المال ويحتمل ان يكون في معنى مصدر بمعنى اي يفسح له فسحا يزيح علته الرابع ان يعطيه من المنزلة عنده ما لا يطمع فيه معها غيره من خاصته ليامن بذلك اغتيال الاعداء ويقدر بكبرى هذا الضمير هكذا وكل ما كان كذلك فواجب بذله للقاضي الخامس ان ينظر في اختيار من كان بهذه الصفات وفيما امره به نظرا بالغا ليعمل با قضاه وعلل ذلك بقوله فان هذا الدين الى قوله الدنيا واستعار لفظ الاسير باعتبار تصرفهم له كالاسير والكلام صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك يجب النظر في اختيار من يعمل بالحق ويخرجه من اسر الاشرار وبالله التوفيق الصنف الثالث العمال وميزهم ايضا باوصاف وامره فيهم باوامر مصلحية اما الاوصاف فاحدها ان يكون العامل من اهل التجربة للاعمال والولايات ليعمل على علم بقواعدها ويدخل بذلك لانه الاصل الاكبر للعمل الثاني ان يكون من اهل الحياء فلا ينبغي في الانفعال الحد الاستحياء وهو طرف التفريط فيضيع به الحقوق والمصالح ولا يجاوزه الحد الفضيلة فيقع في طرف الافراط وما يلزمه من الجفاوة ونفرة القلوب عنه الثالث ان يكون من اهل البيوتات الصالحة والقدم السابقة في الاسلام وهو كناية عن البيوت المتقدمة في الدين والخير ولهم في ذلك اصل معروف واشار الى وجه الحكمة في توليته من كان بهذه الصفات الثلث بقوله فانهم الى قوله نظرا وذلك ان الحياء وصلاح البيوت والتقدم في الاسلام يفيدهم كرم الاخلاق ومحافظة على الاعراض من المطامع وقلة الاشراف والتطلع الى المطامع الدنية والتجربة يفيدهم بلاغة النظر في عواقب الامور والكلام في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو اولى ان يقصد بالتولية والعمل واما الاوامر فاولها ان ينظر في امورهم فيستعملهم بعد التجربة والاختبار ولا يوليهم محاباة واثرة كان يعطوه شيئا على الولاية فيوليهم وسيناثر بذلك دون مشاورة فيه فانهما اي المحاباة والاثرة كما هو مصرح به في بعض النسخ عوض الضمير جماع من شعب الجور والخيانة اما الجور فللخروج بهما عن واجب العدل المامور به شرعا واما الخيانة فلان المتحري في اختيارهم من الدين وهو امانة في يد الناس كما صنعهم فكان ضبطهم من دون ذلك بمجرد المحاباة والاثرة خروجا عن الامانة ونوعا من الخيانة وثانيها ان يقصد بالعمل من كان بالصفات المذكورة للعمل المذكورة الثالث ان يسبغ عليهم الارزاق وبين المصلحة في ذلك من ثلثة اوجه احدها ان عمومهم بالارزاق يكون قوة لهم على استصلاح انفسهم الذي لا بد منه الثاني انه غنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم من مال المسلمين الثالث انه يكون حجة له عليهم ان خالفوا امره او ثلموا امانته واستعار لفظ الثلم للخيانة والوجوه الثلثة صغريات ضماير تقدير كبرياتها وكلما كان كذلك كان فعله مصلحة واجبة الرابع ان يتفقد اعمالهم ويبعث العيون والجواسيس من اهل الصدق والوفاء عليهم واشار الى وجه المصلحة في ذلك بقوله فان تعاهدك الى قوله بالرعية فان تعهده لامورهم مع علمهم بذلك منه يبعثهم على اداء الامانة فيها وعلو من الاعمال وعلى الرفق بالرعية والمذكور صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب فعله الخامس ان يتحفظ من خيانة الاعوان من العمال وارشده بقوله فان احد منهم بسط الى قوله التهمة الى ما ينبغي من ادابهم واقامة سنة الله فيهم واستعار لفظ التقليد لنسبة التهمة اليه ملاحظة لشبهها بما يقلد به من الشعار والمحسوس واللفظ في غاية الفصاحة وهذه العقوبة مقدرة بحسب العرف وراي الامام ومن راه قضاه الصنف الرابع اهل الخراج وامره فيهم باوامر احدها ان يتفقد امر خراجهم ويفعل فيه ما يصلح اهله بما سيشرحه ثم اشار الى وجه المصلحة فيه بضمير صغراه قوله فان صلاحه الى قوله الا بهم وبينه بقوله لا صلاح لمن سواهم الا بهم على حصر صلاح الغير فيهم تاكيدا

لتقليدهم

في كيفية اعمال العمال

وتقدير الكبرى وكل من كان لاصلاح الناس لابد ان يجب مراعاة اموره وتفقد احواله ثم بين الصغرى بقوله لان الناس كلهم عيال على
واهله وهو شرطي في ذلك اوقف الثاني ان يكون نظره في عمارة الارض ابلغ من نظره في طلب الخراج واستجلاب وبنه على وجه
الحكمة فيه بقوله لان ذلك اي الخراج لا يدرك الا بالعمارة وهو في قوة صغرى ضمير ثم بينها بقوله ومن طلب الى قوله قليلا او
وهو اشارة الى ما يلزم من نقيض المدعى وهي مفاسد ثلاث احدها اخراب البلاد لعدم العمارة والثاني اهلاك العباد لتكليفهم ما
ليس في وسعهم والثالث عدم استقامة امر الطالب للخراج والوالي على اهله وهو لازم عن الاولين وتقدير الكبرى وكل ما لا
يدرك الا بالعمارة وجب ان يكون النظر فيها ابلغ من النظر فيه فينتج ان النظر في العمارة يجب ان يكون ابلغ من النظر في الخراج الثالث
امره ان يخفف عنهم من خراجهم ما يرجو ان يصلح به امرهم على تقدير ان يشكو من حالهم ما عساه يلحقهم من قبل ارضهم من ثقل خراج
او علة سماوية او انقطاع نصيب كان لهم من الماء او تغير ارض وفسادها بسبب غرق او عطش ثم نهاه ان يستثقل ما يخفف
عنهم به المؤونة واشار الى وجه الحكمة فيه بقوله فانه ذخر الى قوله العدل فيهم ومعتمدا ومعتمدا نصب على الحال والعامل خففت وفضل
نصب بالمفعول عن معتمدا او قوله والثقة عطف على المفعول المذكور ونبه على وجه المصلحة في اعتماد فضل قوتهم بان اخذهم والثقة
منهم بما عودتهم من عدلك بقوله فربما حدث الى قوله انفسهم به وتقدير الكلام خفف عنهم معتمدا فضل قوتهم فان ذلك يستلزم
احتمالهم ما عساه يحدث من الامور فيحتملونه اذا عولت عليهم فيه بطيب نفس وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك
فواجب ان يخفف عنهم ويعتمد فضل قوتهم وفي قوله فان العمران محتمل ما حملته بيان الصغرى لان التخفيف عنهم يستلزم
عمران ارضهم وهو يستلزم احتمالهم لما يرد عليهم من حوادث الامور ثم نبه بقوله وانما يؤتى خراب الارض الى قوله اهلها على سبب
الخراب بقوله وانما يعوز الى قوله العبر على ذلك السبب وهو مركب من ثلاثة اجزاء احدها اشراف نفوس الولاة على الجمع والثاني
سوء ظنهم بحدهم انه لا يبقى في العمل والثالث عدم انتفاعهم بالعبر وعلة التفاتهم اليها وظ ان هذه الامور اذا اجتمعت في
الوالي استلزمت جمعه للمال واستقصاه على الرعية واستلزم ذلك اعوازهم وفقرهم فاستلزم ذلك خراب ارضهم وتعطيل
عمارتها الصنف الخامس الكتاب امره فيهم بامرين احدهما ان يولي اموره خيرهم وتفسير الخير هنا هو من كان نقيا فيما يراد
منه من مصالح العمل مناسبا ان يخص رسائله واسراره ومكائده باجمعهم لصالح الاخلاق وقد علمت اصولها عفة وهي العلم بوجوه
الاراء المصلحية والتهدي الى وضع كل شيء موضعه ثم العفة والشجاعة والعدالة مع ما تحت الاربعة من الفضائل الخلقية ثم فسر
بعض الفضائل التي عساها ان يخفى وذكر منها خمسا احدها عدم البطر وهي فضيلة تلزم الشكر وهو فضيلة تحت العفة وتقرير
عن صاحب البطر بقوله فيجترى الى قوله ملاء وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من يجترئ عليك كان غير صالح لكونه
امرك الثانية الفطنة والذكاء فيما هو بصدده من الامور المذكورة وكنى عن ذلك بقوله ممن لا يقصر به الغفلة الى قوله منك
الذكاء فضيلة تحت العفة الحكمة الثالثة ان لا يكون ممن يضعف عقدا يعتقده لك من الامور بل يجعله محكما الرابعة ان لا يعجز
عن اطلاق ما عقده عليك خصومك من الامور بالحيلة والخديعة وهذان الامران لاصالة الرأي وهو فضيلة تحت الحكمة
الخامسة ان لا يجهل قدر نفسه في الامور فيرفعها الى فوق محلها ومرتبتها وهي فضيلة تحت الحكمة الخلقية ايضا وتبع الى
اجتنابها الجاهل بذلك بقوله فان الجاهل الى قوله اجهل وهي صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك يجب اجتنابه الثالث
نهاه ان يكون اختياره للعمال لفراسته وسكونه وحسن ظنه باحدهم واشار الى وجه المفسدة في ذلك بقوله فان الرجال
الى قوله بشيء والمعنى ان الرجال قد يتصنعون لخدمة ويتعرضون لان يتفرس فيهم الولاة فيعرفونهم بذلك مع انه ليس وراء ذلك
التصنع من النصيحة والامانة شيء وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان لا يعتمد على اختياره بحسب الفراسة
الرابع لما نهاه ان يقع اختباره كان امره ان يختبرهم بولاية من كان قبله من الصالحين ارشاده الى وجه الاختبار ويعتمد
الى من كان بالصفات المذكورة وهو ان يكون احسن اثرا في العامة واعرفهم بوجه الامانة في الدين ودعيته في ذلك تقدير
صغراه قوله فان ذلك الى قوله امره وتقدير كبراه وكلما كان كذلك وجب فعله الخامس امره ان يجعل لرأس كل امر من اموره رئيسا
من الكتاب الموصوفين يكون منهم مناسبا له بحيث لا يكبر عليه كبيرة فيقهره ولا يكثر عليه كثيرة فيتشتت عن ضبطه ويقصر
دونها السادس نهاه ان يتغافل عما يكون في كتابه من عيب وينبهه على ذلك بقوله ومهما الى قوله الزمته وهو صغرى ضمير
تقديره فان كل ما يتغافل عنه من ذلك تلزم به وتقدير كبراه وكل ما تلزم به فلا يجوز ان يتغافل عنه الصنف السادس التجار
وذوو الصناعات وامره فيهم بامرين اولهما ان يستوصي بهم خيرا الثاني ان يوصي بهم كذلك باصنافهم المقيم منهم والمضطرب
في تجارته بماله والمترفق ببدنه وهم اهل الصنائع واشار الى وجه الحكمة في الوصية بهم والعناية بحالهم من وجهين
احدهما منفعتهم وبذلك قوله فانهم الى قوله عليها والضمير في قوله مواضعها وعليها يعود الى المنافع وحيث اي ومن كان لا

بمخرج

سبلغ م

وقوله

بجمع الناس

ذلك
لا يجتمع الناس لمواضع تلك المنافع منه ولا يجترئون عليها فيه وكذلك الحيث كالبحار والجبال ونحوها الثاني انه لا مضرة فيهم ونبه
قوله فانهم الى قوله غائلته وتقدير كبرى الضمير وكل من كان كذلك فيجب الاستيصاء به والوصية بالخير في حقه الثالث ان يتفقد
امورهم بحضرته وفي حواشي بلاده ما عساه يعرض لهم من المظالم والموانع ليزيلها عنهم الرابع ان يعلم ما فيهم من المعايب المعدودة وهي
الضيق الفاحش والشح والضيق هنا البخل ثم الاحتكار للمنافع التي يعم نفعها وهي الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن والملح ثم
التحكم في البياعات وهو عبارة عن البيع على حكم بالهوى المطلق من غير تقييد بشريعة او عرف فان ذلك عدول عن العدل الى
رذيلة الجور ثم نبه على وجه المفسدة اللازمة لتلك المعايب بقوله وذلك الى قوله الولاة اما انه مضرة فظ واما انه عيب على
الولاة فلان قانون العدل بايديهم فاذا اهملوا بتركه رد هؤلاء عن طرق الجور توجهت اللائمة نحوهم والعيب عليهم وهو صغرى ضمير
تقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب انكاره ودفعه الخامس لما بين له وجه المفسدة في تلك المعايب امره بمنع الاحتكار واحتج بمنع
الرسول صلعم السادس امره بكون البيع سهلا سمحا وان يكون بموازين عدل واسعار لا يجحف بالبايع فيذهب اصل مبيعه ولا بالمشتري
فيذهب رأس ماله السابع امره بايقاع النكال على من احتكر بعد نهيه عن ذلك ان يعاقبه من غير اسراف الصنف السابع الطبقة
السفلى وميزهم باوصاف وامره فيهم باوامر ونواهي اما تميزهم فالعاجزون عن الحيلة والاكتساب المساكين والمحتاجون واهل البؤسى
والزمنى وهؤلاء كلهم وان دخل بعضهم في بعض الا انه عددهم بحسب عدد صفاتهم لمزيد العناية بهم كيلا ينسى فلتر احدهم
وتناوله واما الاوامر فاحدها انه حذره من الله فيهم واشار الى وجه الحكمة في ذلك التحذير بقوله بان فيهم قانعا ومعترا وهو
صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب ان يحذر الله فيه ويحفظ له ما استحفظ من حقه فيه الثاني ان يجعل لهم قسما من
بيت ماله ومن صوافي الاسلام في كل بلد واضاف بيت المال اليه واراد الذي يليه ونبه على ذلك بقوله فان للاقصى الى قوله
حقه وتقدير كبرى هذا الضمير وكل من كان كذلك وجب ان يحسن الرعاية في حقه بما اومأ اليه الثالث نهاه ان يشغله عنهم بطر ونبه
عن الاشتغال عنهم بقوله فانك لا تعذر الى قوله المهم واراد بالتافه القليل من امورهم ونحوها وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل
من لا يعذر بذلك فلا يجوز له الشغل عنه الرابع نهاه ان يشخص همه عنهم اي يرفعه حتى لا يهتم لهم الخامس نهاه ان يصعر خده لهم
وهو كناية عن التكبر عليهم السادس امره ان يتفقد امور من لا يمكنه الوصول اليه منهم لعجزه وحقارته في عيون الاعوان والجند
وان يفرغ لهؤلاء ثقة من اهل الخشية والتواضع ومضيئه لهم ليرفع اليه امورهم السابع ان يعمل فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم يلقاه
اي يعمل في حقهم ما امره الله به بحيث يعتذر اليه اي يكون ذا عذر عنده اذا سأله عن فعله بهم ونبه على وجه الحكمة في مزيد العناية بهم بقوله
فان هؤلاء الى قوله غيرهم الثامن اكد الامر بالاعذار الى الله في تادية حق كل واحد من المذكورين اليه التاسع امره ان يتعهد الايتام وذوي
الرقة في السن اي الذين بلغوا في الشيخوخة الى ان رق جلدهم وضعف حالهم عن النهوض فلا حيلة لهم ومن لا ينصب نفسه للمسألة مع
حاجته وفقره ثم اشار الى ثقل التكليف بمجموع الاوامر السابقة بقوله وذلك على الولاة ثقيل وبقوله والحق كله ثقيل توطينا
لنفسه على ذلك ثم رغبه فيه بقوله وقد يخففه الله الى قولهم فنسب تخفيفه الى الله ليرغب اليه فيه ويشجعه على فعله واسنده الى
صفات الصالحين وهم الذين طلبوا العافية من بلاء الله في الاخرة فاستسهلوا ما صعب من التكاليف لذلك بالقياس اليه ووثقوا
بصدق موعود الله لهم في دار القرار وبالله التوفيق

الفصل الرابع في اوامر ونواهي مصلحية وآداب خلقية وسياسية

بعضها عامة وبعضها خاصة تتعلق بعماله وبخاصته وبطانته وبنفسه واحوال عبادته الى غير ذلك وهو قوله واجعل لذوي الحاجات
منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك
وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فاني سمعت رسول الله صلعم يقول في غير موطن لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من
القوي ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح عنك الضيق والانف يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته واعط
غير متتعتع
ما اعطيت هنيئا وامنع في اجمال واعذار ثم امور من امورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك ومنها
اصدار حاجات الناس عند ورودها عليك مما تحرج به صدور اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك
وبين الله افضل تلك المواقيت واجزل تلك الاقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية وليكن في خاصة ما تخلص
لله به دينك اقامة فرائضه التي هي له خاصة فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ووف ما تقربت به الى الله من ذلك كاملا غير مثلوم
ولا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ فاذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيعا فان في الناس من به العلة وله
الحاجة وقد سألت رسول الله صلعم حين وجهني الى اليمن كيف اصلي بهم فقال صل بهم كصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما واما
بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب منهم يقطع عنهم
منهم عنهم
علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل فانما الوالي بشر لا يعرف ما توارى

في بيان آداب خليفة

عنه الناس به من الامور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما انت احد رجلين اما امرؤ سخت نفسه في البذل
في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه او فعل كريم تسديه او مبتلى بالمنع فما اسرع كف الناس عن مسألتك اذا ايسوا من بذلك مع
ان اكثر حاجات الناس اليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف في معاملة ثم ان للوالي خاصة وبطانة فيهم استيثار
وتطاول وقلة انصاف فاحسم مادة اولئك بقطع اسباب تلك الاحوال ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطيعة فلا يطمعن منك
في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب او عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا
والاخرة والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخواصك حيث وقع وابتغ
عاقبته بما يثقل عليك منه فان مغبة ذلك محمودة وان ظنت الرعية بك حيفا فاصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك فان
في ذلك عذرا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق ولا تدفعن صلحا دعاك الله فيه رضا فان في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك
وامنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن وان
عقدت بينك وبين عدوك عقدة او البسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت
فانه ليس من فرائض الله سبحانه شيء الناس اشد عليه اجتماعا مع تفرق اهوائهم وتشتت ارائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم
ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك
فانه لا يجترئ على الله الا جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمته امنا افضاه بين العباد برحمته وحريما يسكنون الى منعته و
يستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد
والتوثقة ولا يدعونك ضيق امر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق امر ترجو انفراجه وفضل عاقبته
خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك فيه من الله طلبة ولا تستقيل فيها دنياك ولا اخرتك اياك والدماء وسفكها بغير
حلها فانه ليس شيء ادعى لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا احرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ
بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيمة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله
وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لان فيه قود البدن وان ابتليت بخطأ وافرط عليك سوطك او يدك
بعقوبة فان في الوكزة فما فوقها مقتلة ولا تطمحن بك نخوة سلطانك عن ان تؤدي الى اولياء المقتول حقهم واياك والاعجاب
بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك من اوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من احسان المحسنين واياك
والمن على رعيتك باحسانك او التزيد فيما كان من فعلك او ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فان المن يبطل الاحسان والتزيد
يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس قال الله سبحانه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
واياك والعجلة بالامور قبل اوانها والتساقط فيها عند امكانها او اللجاجة فيها اذا تنكرت او الوهن عنها اذا استوضحت فضع كل امر
موضعه واوقع كل عمل موقعه واياك والاستيثار بما الناس فيه اسوة والتغابي عما يعنى به مما قد وضح للعيون فانه ماخوذ منك
لغيرك وعما قليل تنكشف عنك اغطية الامور وينتصف منك للمظلوم املك حمية انفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك
واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتاخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك
بذكر المعاد الى ربك والواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة فاضلة او اثر عن نبينا محمد صلى الله عليه
واله او فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا واستوثقت
به من الحجة لنفسي عليك لكيلا يكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها **اقول** الشرط قوم يعلمون انفسهم بعلامات الخدمة
يعرفون بها والخرق ضد الرفق والانف الانفة وهي خصلة تلازم الكبر والاكناف الجوانب والاسداء الاعطاء والحامة القرابة والعقدة
الضيعة والعقدة ايضا المكان كثير الشجر والنخل واعتقاد الضيعة اقتناؤها والمغبة العاقبة واصحر اي اظهر والدعة الراحة واستوبلوا
الامر استثقلوه والوبال الوخم يقال استوبلت البلاد استوخمت فلم يوافق ساكنها وخاس بالعهد نقضه والختل الخداع وافضاه
بسطه واستفاض الماء سال والادغال الافساد والدغل الفساد والمدالسة مفاعلة من التدليس في البيع وغيره كالمخادعة ولحن
القول كالتورية والتعريض من الامر والوكزة الضربة باليد مجتمعة وقيل هي جمع اليد على الذقن والفرصة النوبة والممكن من الامر وسورة
الرجل سطوته وحدة باسه وغرب اللسان حدته والبادرة سرعة السطوة والتغابي التغافل اما الامور التي تتم مصلحتها فاحدها ان يجعل
لذوي الحاجات نصيبا من نفسه يفرغ لهم فيه بدنه عن كل شاغل ويجلس لهم مجلسا عاما في الاسبوع او يومين او فوق حسب ما يمكن
الثاني ان يتواضع فيه لله ويعتبر في التواضع بنسبته الى الله باعثا وامرا لما كان من شانه ان يكون له التواضع الثالث
ان يقعد عنهم جنده واعوانه وابان وجه المصلحة في ذلك بقوله حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع واشار الى علة وجوبه بقوله فاني

و معاملة

مؤونة ولـ

خاصتك او

او يسقيك

سمعت

ع ۱۳۵

ج

في اوامر ونواهي مصلحية

سمعنا الى قوله القوى ووجه التدليل من هذا الخبر انه دل بالمطابقة على وعيد الامة التي لا ينتصف فيها من قوي بعدم طهارتها
المستلزم لعذابها الاخروي ودل بالالتزام على وجوب ان يكون فيها ذلك ثم لما كانت الامور المامور بها مما لا يتم ذلك الواجب الا بها كانت
باسرها واجبة الرابع امور تلزمه مباشرتها وان عمت مصلحتها وامور منها اعطاف خبره اي وهنالك امورا ونحوه منها اجابة
عماله بما يرى المصلحة في الجواب به فقد يعجز الكتاب عن كثير من ذلك ومنها اصدار حوائج الناس التي يضيق منها صدور اعوانه
عند ورودها عليه ولا ينبغي له ان يكلها اليهم فان غاية قصاراهم لها اذا قضيت ان يكون على غير الوجه المرضي الخامس ان يمضي
لكل يوم عمله ونبه على ذلك بقوله فان لكل يوم ما فيه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه واذا كان لكل يوم ما فيه وجب ان يقضي
فيه السادس ان يجعل لنفسه في معاملته لله افضل تلك المواقيت اي الاوقات المفروضة للاعمال واجزل اقسام الاوقات الموقتة افضل م
فافضلها ابعدها عن الشواغل الدنيوية واقربها الى الخلوة بالله سبحانه ونبه بقوله وان كانت الى قوله الرعية على ان اصلح الاعمال
اخلصها لله السابع ان يكون في خاصة ما يخلصه لله في دينه اقامة فرائضه فيخصها بمزيد عناية منه وغاية الثامن ان يعطي
الله من بدنه في ليله ونهاره اي طاعة وعبادة فحذف المفعول الثاني للعلم به والقرينة كون الليل والنهار محلين للافعال
والقرينة ذكر البدن التاسع ان يوفي ما تقرب به الى الله من ذلك كاملا وغير مثلوم وبالغا احوال وما نصب على المصدرية
بقوله بالغا من بدنك ما بلغ من القوة على الطاعة العاشر من الآداب الراجعة الى حال الامامة بالناس في الصلاة ان يكون
متوسطا في صلاته بين المطول المنفر للناس بتطويلها وبين المقصر المضيع لاركان الصلاة وفضيلتها واحتج لنفي التثقيل والتطويل
بالمعقول والمنقول اما المعقول فضمير صغراه قوله فان في الناس الى قوله الحاجة وتقدير كبراه وكل من كان فيه من ذكر
فيجب ان يرفق به ويخفف عنه واما المنقول فما رواه عن رسول الله صلى الله عليه من الخبر ووجه التشبيه بصلاة الاضعف تخفيف
الصلاة بعد حفظ اركانها وواجباتها الحادي عشر من الآداب المصلحية لتدبير المدينة النهي عن طول الاحتجاب عن الرعية
ورغب في الانتهاء عنه من وجوه احدها انه نوع من انواع الضيق على الرعية اذ كانت مشاهدتهم للوالي الى تفرج عنهم ما يكرهونه
من الامور المهمة لهم الثاني انه قلة علم بالامور اي يلزمه ذلك فاطلق اسم اللازم على ملزومه واكد ذلك بقوله والاحتجاب
عنهم يقطع منهم اي من الولاة علم ما احتجبوا دونه من امور الرعية ثم اشار الى ما يلزم عدم علمهم من المفاسد وهو ان يصغر كبير
الامور عندهم كان يظلم بعض حاشية الامير فيصغر الاعوان جريمته عنده فيصغر وكذلك يعظم صغيرها لو وقع من ضعيف صغير
ذنب في حق كبير وكذلك يقبح عندهم الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل ويلبس به وذلك قوله فيصغر الى قوله بالباطل
ثم نبه على وجه لزوم قطع العلم بالامور لطول الاحتجاب بقوله وانما الوالي بشر الى قوله الصدق والكذب والتقدير انه بشر
والبشر من خاصيته انه لا يعرف ذلك الا بعلامة وليس على الحق علامات يعرف بها ضروب صدق القول من كذبه الثالث انه
رغب في الانتهاء عنه بضمير صغراه شرطية منفصلة وهي قوله وانما انت الى قوله بذلك وتلخيصها انك اما ان تكون مطبوعا
على السخاء بالبذل في الحق او مبتلى بالمنع منه وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا يجوز له الاحتجاب بيان الكبرى اما ان كان
سخيا ببذل الحق فانه عند الطلب منه اما ان يعطي حقا يجب عليه او يفعل فعل الكرماء وذلك لا يجوز الاحتجاب منه واما ان
كان مبتلى بالمنع فان يسرعون الكف عن مسئلته اذا ايسوا من بذله ومع ذلك لا معنى للاحتجاب عنهم الرابع قوله مع ان اكثر الى قوله معاملة
وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان اكثر حاجات الناس اليه مما لا مؤونة عليه فيه من الامور المذكورة فلا معنى لاحتجابه
عنهم الثاني عشر من الامور المصلحية المتعلقة بخاصته ان يحسم مؤونتهم عن الرعية فقوله بقطع اسباب المؤونة ارشاد الى سبب قطعها
واشار الى وجه ذلك بذكر ما فيهم من الاستئثار على الرعية بالمنافع والتطاول عليهم بالاذى وقلة الانصاف وهو في قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب قطع مؤونته عنهم والاحوال التي امر بقطع اسبابها هي وجوه المؤونة المذكورة من الاستئثار
والتطاول وقلة الانصاف وقوله ولا تقطعن الى قوله مشترك تفصيل لوجوه قطع الاسباب المذكورة فان اقطاع احدهم قطيعة
وطمعه في انشاء ضيعة تضر بمن يليها من الناس في شرب او عمل مشترك يحمل مؤونته على الناس كعمارة ونحوها هي اسباب الاحوال
المذكورة من وجوه المؤونة وقطع تلك الاحوال بقطع اسبابها ثم نفره عن اسباب المؤونة على الناس بما يلزم تلك الاسباب من المفسدة
في حقه وهي كون مهنأ ذلك لهم دونه وعيبه عليه في الدنيا والآخرة وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان مهنأه
للغير وعيبه عليك فلا يجوز فعله الثالث عشر ان يلزم الحق من يلزمه الحق من القريب والبعيد ويكون في ذلك الالزام صابرا لما
عساه يلحق اقاربه من الحق محتسبا له اي مدخلا له في حساب ما يتقرب به الى الله تعالى وبعده خالصا لوجهه وايقاع ذلك الالزام
من قرابته وخواصه حيث انفق ووقع يقتضي الشريعة والواو في قوله وكن للحال وواقعا ايضا حال والعامل قوله والزم الرابع عشر
ان يتبع عاقبة ذلك الالزام بما يثقل عليه من فعله بخاصته كانه يستبغض فعله مما يلزمه في العاقبة من عيب الدنيا

في بيان أوامر ونواهي مصلحية

وعذاب الآخرة ورغّب في ذلك بقوله فان مغبّة ذلك محمودة وهي ثلث لغا فيه وما يلزمها من السعادة الباقية وهو صغرى ضمير
تقدير كبراه وكل ما كانت مغبته محمودة وجب لزومه: الخامس عشر امره على تقدير ان يظن الرعية فيه حيفا ان يظهر لهم
عذره فيما ظنوا فيه الحيف ويعدل عنه ظنونهم باظهاره ورغّب في ذلك بضمير صغراه قوله فانّ الى قوله الحق اى فان في اظهار عذرك
لهم ان فيه تهذيبا اعذار تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق من معرفتهم ان فعلك حق لا حيف فيه وتقدير كبراه وكل ما كان
كذلك فينبغي فعله السادس عشر نهاه ان يدفع صلحا دعاه اليه عدوه اذا كان صلحا لله فيه رضى ونبّه على وجوه المصلحة فيه بضمير
صغراه قوله فان في الصلح الى قوله لبلادك وهي ثلث مصالح ظاهرة اللزوم لصلح العدو وتقدير كبراه وكلما كان فيه عدة
مصالح فواجب قبوله السابع عشر بالغ في تحذيره من العدو بعد صلحه وامره ان يأخذ بالحزم ويتهم في الصلح حسن ظنه لكن
عسى ان ينشأ عن صلحه ونبّه على وجوب ذلك الحذر بضمير صغراه قوله فان العدو ربما قارب ليتغفل اي قارب بصلحه ومصالحته
ليطلب غفلته فيظفر به وله ع في ذلك شواهد التجربة وحضرنا المنقولين للعلم بهما وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فواجب
ان يحذر منه الثامن عشر امره على تقدير ان يعقد بينه وبين عدوه عهدا ان يحوطه بالوفاء ويرعى ذمته بالامانة ويجعل
نفسه جنة دون ما اعطى منهما الحفظ اي يحفظ ذلك بنفسه ولو ادّى الى ضررها واستعار لفظ اللبس لادخاله في امانته لكن
ملاحظة لشبهها بالقميص ونحوه وكذلك لفظ الجنة لنفسه ملاحظة لشبهها في الحفظ بالترس ونحوه ورغّب في ذلك بوجهين
اشتمل عليهما قوله فانه الى قوله الغدر احدهما ان الناس اشد اجتماعا على ذلك من غيره من فرائض الله الواجبة عليهم مع تفرق اهوائهم
وتشتت ارائهم الثاني ان المشركين لزموا ذلك فيما بينهم واستثقلوا الغدر لما فيه من سوء العاقبة والمذكوران صغريا ضميرين تقدير
الكبرى فيهما وكلما كان كذلك فيجب لزومه والمحافظة عليه ثم اكّد ذلك بالنهي عن الغدر بالعهد ونقض الذمة وخداع
العدو وعقبه بنهيه عن الغدر به ونفّر عن ذلك بوجهين احدهما قوله فانه الى قوله الاشقى وهو صغرى ضمير تلخيصها فان المجترئ
على الله شقي وتقدير كبراه وناقض العهد والمدغل فيه مجترئ على الله ينتج من الرابع فالشقي هو ناقض والمدغل فيه ويجوز ان
يكون تقدير الصغرى فان ذلك جرأة على الله يستلزم الشقاوة وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك وجب اجتنابه ينتج من الاول
المطلوب الثاني قوله وقد جعل الى قوله جواره وامنا اي مامنا واستعار لفظ الحريم للعهد ورشّح بذكر السكون الى منعته و
الاستفاضة الى جواره ونبّه بذلك على وجه الاستعارة وهو الاطمينان اليه والامن من الفتنة بسببه فاشبه الحريم لما تبع
والكلام صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فلا يجوز نقضه والادغال التاسع عشر نهاه ان يعقد عقدا يجوز فيه
العلل اي الاحداث المفسدة له وهو كناية عن امره باحكام ما يعقد من الامور العشرون نهاه ان يعتمد على لحن القول في الايمان
والعهود بعد ان يوكّدها ويتوثق من غيره فيها او يتوثق غيره منه فيها ومثال لحن القول ما ادعاه طلحة والزبير من التورية
والتورية في تبعتهما له عليه السلام اي لا تعتمد على ذلك من نفسك ولا تلتفت اليه من غيرك لو ادعاه الحادي والعشرون نهاه
ان يدعوه ضيق امر لزمه فيه عهد الله الى ان يطلب ابطاله بغير حق ورغّب في الصبر عليه بقوله فان صبرك الى قوله آخرتك
وهو صغرى ضمير واراد بتبعته ما يتبعه من العقوبة وبالطلبة ما يطالب به يوم القيمة من لزوم العهد واحاطتها به كناية
عن لزومها له ووصف الطلبة بقوله لا تستقيل في الآخرة الا الامور الخيرية من احاطت به طلبة من الله فلا خير له في الآخرة
تستقيل وروى تستقيل بالياء اي لا يكون لك من ذلك الطلبة والتبعة فالدنيا ولا في الآخرة الثاني والعشرون
حذّره من الدخول في الدماء وسفكها بغير حق وهو كناية عن القتل ونفّر عنه بوجهين احدهما قوله فانه الى قوله حقها
وهو صغرى ضمير تقديرها فان سفك الدماء بغير حق ادعى الاشياء لحلول نقمة الله واعظمها في لحوق التبعة منه واولاها
بزوال النعمة وانقطاع مدة الدولة والغرض انها اقوى المعدات للامور الثلاثة لما يستلزمه من تطابق همم الخلق ودعائهم
على زوال القاتل واستنزال غضب الله عليه لكون القتل اعظم المصائب المنفور عنها وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فيجب ان
يحذر فعله الثاني قوله والله سبحانه الى قوله القيمة ونبّه بابتدائه تعالى بالحكم بين العباد في القتل على انه اعظم عنده تعالى
من سائر الكبائر وهي صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما ابتدأ الله بالحكم فيه فيجب الحذر فيه واجتناب ما يكره منه الثالث
العشرون نهاه ان يقوى سلطانه وقوته بسفك الدم الحرام ونفّر عنه بقوله فان ذلك الى قوله وينقله وهي صغرى ضمير بيانها
ما سبق فان سفك الدم الحرام لما استلزم الامور الثلاثة المذكورة كان ذلك مضعفا للسلطان ومزيلا له وتقدير الكبرى
وكلما كان كذلك وجب اجتنابه الرابع والعشرون نهاه عن قتل العمد حراما ونفّر عنه بامرين احدهما انه لا عذر فيه عند الله ولا عنده
الثاني ان فيه قود البدن وهما صغريا ضميرين تقدير الكبرى فيهما وكل ما كان كذلك وجب اجتنابه الخامس والعشرون نهاه ان يرتكب
نخوة الكبر عند ان يبتلى بقتل خطاء او افراط سوط او يده عليه في عقوبة فيأخذه عزة الملك والكبر على اولياء المقتول فلا

يؤدي

في بيان اوامر ونواه هي مصلحته

يؤدي الى ذهاب حقهم ونبه بقوله فان الى قوله مقتلة على ان الضرب باليد المشي وكذا قد يكون فيه القتل وهو مظنة الشادس و
العشرون حذره الاعجاب بنفسه والثقة بما يعجبه منها وحب الاطراء والاخيران سببا لدوام الاعجاب وما دته ونفر عن ثلاثة
بقوله فان ذلك الى قوله المحسن وفي نفسه متعلق باوثق وقوله ليمحق احسان المحسن يحتمل وجهين احدهما انه لما كان الاعجاب
من المهلكات لم ينفع معه احسان المحسن فاذا تمكن الشيطان من الفرصة ونية الاعجاب بالاحسان وارتكبه محق ذلك ما يكون
من الاحسان الثاني ان المعجب بنفسه لا يرى لاحد عنده احسانا فيكون اعجابه ماحقا لاحسان من احسن اليه ولما كان مبدأ الاعجاب
هو الشيطان كان الماحق لاحسان المحسن ايضا هو الشيطان فلذلك نسبه اليه والكلام في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما
كان اوثق فرص الشيطان في نفسه وجب الاحتراز عنه الشابع والعشرون حذره من امور ثلاثة احدها المن على الرعية باحسانه
اليهم الثانية التزيد فيما فعله في حقهم وهو ان ينسب الى نفسه من الاحسان اليهم ازيد مما فعل الثالثة ان يخلف موعوده لهم ثم نفر
عن المن بقوله فان المن يبطل الاحسان وذلك اشارة الى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ونفر عن التزيد
بقوله فان التزيد يذهب بنور الحق واراد بالحق هنا الاحسان اليهم او الصدق في ذكره في موضع يحتاج اليه فان على ذلك نورا
عقليا ترتاح له النفوس وتلتذ به ولما كان التزيد نوعا من الكذب وهو رذيلة عظيمة لا جرم كان مما يذهب بنور ذلك الحق ويطفيه
فلا يكون له وقع في نفوس الخلق ونفر عن الخلف بوجوب المقت عند الله والناس اما عند الناس فظاهر واما عند الله فلقوله
تعالى كبر مقتا عند الله الاية والثلاثة صغريات ضماير تقدير كبرياتها وكلما كان كذلك وجب اجتنابه الثامن والعشرون حذره من ايقاع
الامور على احد طرفي التفريط والافراط فطرف الافراط في طلب العجلة قبل اوانها او اللجاجة فيها عند تنكرها وتعذر وجوه ماخذها
وعدم اتضاحها وتسهلها وطرف التفريط التساقط فيها او الفتور عنها اذا امكنت وهو يقابل العجلة فيها او الضعف عنها اذا
استوضحت وهو يقابل اللجاجة فيها عند تنكرها واستلزم نهيه عن هذين الطرفين الامر بايقاعها على نقطة العدل وهي الحد
الاوسط من الطرفين وموضعها الحق فلذلك قال فضع كل امر موضعه واوقع كل عمل موقعه التاسع والعشرون حذره من الاستيثار
بما يجب تساوي الناس فيه كالذي يستحسن من مال المسلمين ونحوه الثلاثون وعن التغافل عما يجب التعلم والعناية به من حقوق الناس
المأخوذة ظلما مما قد وضح للعيون اهمالك له ونفر عن ذلك بقوله انه ماخوذ منك للمظلوم واراد بما يستاثر به من حقوق الناس وتتغافل عنها
وما في قوله عما اذا به واراد بالقليل مدة الحيوة الدنيا واشار باغطية الامور الى الهيئات البدنية الحاجبة لحقائق الامور عن ان
يدركها بصر بصيرته وقد علمت ان انكشاف تلك الاغطية عند طرح البدن وحينئذ يشاهد ما اعد له من خير وشر كما قال تعالى يوم تجد كل
نفس ما عملت من خير محضرا الاية الحادي والثلاثون امره ان يملك حمية انفه اي انفته مما يقع من الامور المكروهة وسورة حدته وحدة لسانه
وملكه لهذه الامور انما يكون بالاحتراس عن تعدي قوته الغضبية وقوفها في فعلها على حاق الوسط بحيث لا يعبر فيها الى حد الافراط فيقع
في رذيلة التهور ويلزمه في ذلك رذيلة الظلم الثاني والثلاثون امره بالاحتراس من تلك الامور واشار الى اسبابه وهو كف البادرة
وتأخير السطوة الى حين سكون الغضب ليحصل له بذلك الاختيار في الفعل والترك لما هو اصلح واشار الى وجه احكام تلك
الاسباب بقوله ولن تحكم ذلك الى قوله عليك ووجه ذلك ان كثرة الهم عن ذكر المعاد والفكر في امور الاخرة ماح للرغبة في الامور التي
هي المثيرات وثوران الغضب الثالث والثلاثون اوجب عليه امرين فيهما اجماع ما اوصاه به في هذا العهد احدهما ان يتذكر
ما مضى لمن تقدمه من الحكومات العادلة للولاة قبله او من الآثار المنقولة عن نبينا صلى الله عليه وآله او من فرائض الله ليقتدي بما شاهد من عمله بها
الثاني ان يجتهد لنفسه في اتباع ما عهد اليه في عهده هذا واستوثق به من الحجة لنفسه عليه وهي الموعظة والتذكير باوامر الله لكيلا يكون
له علة يحتج بها عند تسرع نفسه الى هواها كما قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ومن هذا العهد وهو آخره وانا اسأل
الله تعالى بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه
والى خلقه مع حسن الثناء في العباد وجميل الاثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة
انا اليه راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرا اقول ختم هذا العهد بسؤال الله ان يوفقهما لما فيه رضاه
واتم عليه في اجابة سؤاله برحمته التي وسعت كل شيء وبقدرته العظيمة على اعطاء كل رغبة وكونهما مبدأين لاجابة السائلين ثم فصل
ما سأله مما فيه رضا الله وهي امور احدها الاقامة على العذر الواضح الى الله والى خلقه فان قلت العذر انما يكون عن ذنب فمن اقام على عذر الى
الله كيف يكون ضاله عذرا قلت يحتمل ان يكون العذر اسما من الاعذار الى الله وهو المبالغة في الاتيان باوامره فكانه قال من الاقامة
على المبالغة اليه في اداء اوامره الثاني حسن الثناء في العباد وجميل الاثر وهو ما يؤثر من الافعال الحميدة في البلاد وذلك مما سأله
الانبياء كابراهيم عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الآخرين قيل هو الذكر الجميل في الناس الثالث ان يتم نعمته عليهما الرابع تضعيف كرامته
لهما الخامس الخاتمة الحسنة بالسعادة وما يوصل اليها من الشهادة ونبه بقوله انا اليه راغبون على صدق نيته في سؤاله ثم ختم

بقوله

ومن كتاب له ع الى طلحة والزبير

بالسلام على رسول الله ص والصلوة عليه وآله **ومن كتاب له ع** الى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي ذكر هذا الكتاب ابو جعفر
الاسكافي في كتاب المقامات اما بعد فقد علمتما وان كتمتما اني لم ارد الناس حتى ارادوني ولم ابايعهم حتى بايعوني وانكما ممن ارادني
وبايعني وان العامة لم تبايعني لسلطان غاصب (غالب) ولا لعرض حاضر فان كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا الى الله من قريب وان كنتما بايعتماني
كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل باظهاركما الطاعة واسراركما المعصية ولعمري ما كنتما باحق المهاجرين بالتقية والكتمان وان دفعكما
هذا الامر من قبل ان تدخلا فيه كان اوسع عليكما من خروجكما منه بعد اقراركما به وقد زعمتما اني قتلت عثمن فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما
من اهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل فارجعا ايها الشيخان عن رأيكما فان الآن اعظم امركما العار من قبل ان يجتمع العار والنار
اقول خزاعة قبيلة من الازد وقيل الاسكافي منسوب الى اسكاف رستاق كبير كان بين النهروان والبصرة وكتاب المقامات الذي
صنفه الشيخ المذكور في مناقب امير المومنين ع وقد احتج عليهما في نكث بيعته بحجتين احديهما قوله اما بعد الى قوله حاضر وهو في قوة
صغرى تقديرها بيعتي بغير كره واكراه وكل من علمتما من حاله ذلك فليس لكما ان تنكثا بيعته وتخرجا عليه وقوله وان كتمتما اراد بهما البيعة واراد
كثير من الناس وزعما انه انما حملهما عليها كرها الحجة الثانية قوله فان كنتما الى قوله اقراركما به وهي شرطي منفصل تقديرها انكما اما
ان تكونا بايعتماني طائعين او كارهين والاول هو المطلوب يلزمكما ترك المعصية والرجوع الى الله بالتوبة الى الله من قريب مثل
استحكام المعصية في نفسيكما والثاني باطل من ثلثة اوجه احدها انه يلزمكما النفاق حيث اظهرتما الي الطاعة واضمرتما المعصية فجعلتما
بذلك السبيل عليكما في القول والفعل الثاني انكما ما كنتما بالتقية منه والكتمان لعصيانكما احق من المهاجرين وذلك لانهما كانا اقوى
الجماعة واعظمهم شأنا فكان غيرهما من المهاجرين اولى منهما بالتقية عند البيعة ونكثها بعدها الثالث ان دفعهما البيعة قبل
الدخول فيها اوسع لعذرهما من خروجهما منها بعد اقرارهما وهذه الاقوال الثلثة صغريات ضمير تقدير الكبرى في الاول وكل ما
جعلتماه لي عليكما به السبيل فحجر عليكما فعله وليس لكما ان تدعياه وفي الثاني وكل من لا يكون احق من المهاجرين بدعواه فليس له
ان يدعيه اذ لم يدعوه وفي الثالث وكلما كان اوسع لعذرهما فليس لهما العدول عنه الى ما هو اضيق وقوله وقد زعمتما اني قتلت
عثمن اشارة الى شبهتهما المشهورة في خروجهما عليه وقوله فبيني الى قوله احتمل جوابها اي فالحكم بيني وبينكما من تخلف عن نصرتي ونصرتكما
من اهل المدينة ثم يلزم كل منا من الاثم والعقوبة بقدر ما احتمل من الاثم والبغي ثم بعد ان قام الحجة عليهما امرهما بالرجوع عن رأيهما
الفاسد في اختيار نقض البيعة ورغبهما في الرجوع عن ذلك بقوله فان الآن الى آخره وهو في قوة صغرى ضمير تقديره ان كرهه والعار سهل
من اجتماع العار والنار في الاخرة واراد العار بالعذر والآن ظرف منصوب باعظم الذي هو اسم ان ويجوز ان يكون هو اسمها واعظم
مبتدا خبره العار والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف تقديره فان الآن اعظم امركما فيه العار **ومن كتاب له ع**
الى معوية اما بعد فان الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها وابتلى فيها اهلها ليعلم ايهم احسن عملا ولسنا للدنيا خلقنا
ولا بالسعي فيها امرنا وانما وضعنا فيها لنبتلى بها وقد ابتلاني بك وابتلاك بي فجعل احدنا حجة على الاخر فعدوت
على طلب الدنيا بتأويل القرآن وطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني وعصبته انت واهل الشام بي وألب عالمكم جاهلكم
وقائمكم قاعدكم فاتق الله في نفسك ونازع الشيطان قيادك واصرف الى الاخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك واحذر
ان يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الاصل وتقطع الدابر فاني اولي لك بالله الية غير فاجرة لئن جمعتني واياك جوامع
الاقدار لا ازال بباحتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين **اقول** عصبته علقته به والتأليب التحريص والقارعة الداهية
والدابر المتأخر من النسل والالية اليمين فقوله اما بعد الى قوله لنبتلى بها اشارة الى غرض الدنيا وغايتها المنبهة لذلك ويعمل
له واراد بالسعي فيها الذي لم يؤمر به اكتسابها لها دون غيره مما يكون للضرورة فان ذلك مأمور به كقوله تعالى فاسعوا في مناكبها
وكلوا من رزقه وقوله وقد ابتلاني الى قوله الآخر تعيين لبعض اغراضها وقد علمت كيفية ابتلاء الله لخلقه فيما قبل ووجه ابتلائه ع
بمعوية عصيانه ومحاربته اياه حتى لو قصر في مقاومته ولم يقم في وجهه كان ملوما وكان معوية حجة الله عليه ووجه ابتلاء معوية
به ع دعوته له الى الحق وتحذيره اياه من عواقب المعصية حتى اذا لم يجب داعي الله لحقه الذم والعقاب وكان ع هو حجة الله عليه و
ذلك معنى قوله فجعل احدنا حجة على الآخر وقوله فعدوت الى قوله قاعدكم اشارة الى بعض وجوه ابتلائه ع به ومعنى ذلك انه انما
طلب بحجة وجه عليه الدنيا وجعل السبيل الى ذلك تأويل القرآن كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وغيره
من الايات الدالة على وجوب القصاص فتأولها بادخال نفسه فيها وطلب القصاص لعثمن وانما كان دخوله في ذلك بالتأويل
لان الخطاب خاص بمن قتل وقتل منه ومعوية بمعزل عن ذلك اذ لم يكن من اولياء دم عثمن وتفسير الآية بالعموم لم يدخل فيها والذي
لم يجنه يده ولسانه ع هو ما نسبوه اليه والتأليب تحريض بعضهم بعضا عليه وهو قتل عثمن واراد التأليب عليكم جاهلكم
مبروقا بكم في حربي فاعدكم ثم لما نبهه على غاية الدنيا وجعل الله سبحانه كلا منهما حجة على الآخر ليعلم ايهم احسن عملا رجع الى

في مناقب امير المومنين ع

ضعيفه

وايضا

موعظته وتحذيره فامره بتقوى الله في نفسه ان يهلكها بعصيانه ومخالفة امره وان ينازع الشيطان قياده واستعار لفظ القياد للدواعي الطبيعية ووجه الاستعارة كونها زمام الانسان الى المعصية اذا سلمها بيد الشيطان واهمل بها في اللذات لو نفذه ومنازعته للشيطان فيها ومنعه لنفسه الامارة عن طرفي الافراط الى حاق الوسط في الشهوة والغضب وان يصرف الى الآخرة وجهه اي يولي وجهه شطر الآخرة مطالعا ما اعد فيها من خير وشر وسعادة وشقاوة بعين بصيرته ليعمل لها وقوله وهي طريقنا وطريقك صغرى ضمير نبه بها على وجوب صرف وجهه الى الآخرة وتقدير كبراه وكلما كان طريقا للانسان فواجب ان يصرف اليها وجهه وطريقا مجازا عن غاية الطريق في الملازمة والاسم ذي الغاية عليها ثم حذره من الله ان يصيبه بداهية يصيب اصله ويقطع نسله واراد بها ما نهاه من خوضه لبنيه وحرمه اباه ولذلك اقسم على تقديره ان يجمع لجوامع الاقدار ان لا يزال بنا ضميعها حتى يحكم الله بيننا وفي ذلك غليظ الوعد بعذاب شديد

ومن كلام له عليه السلام وصى به شريح بن هانئ لما جعله على مقدمته الى الشام اتق الله في كل صباح ومساء وخف على نفسك الدنيا الغرور ولا تأمنها على حال واعلم انك ان لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهه سمت بك الاهواء الى كثير من الضرر فكن لنفسك مانعا رادعا ولنزوتك عند الحفيظة واقما قامعا **اقول** قد ذكرنا طرفا من حال انفاذه لشريح بن هانئ مع زياد بن النضر على مقدمة منه الى الشام في اثني عشر الفا والنزوة الوثبة والحفيظة الغضب والواقم الذي يرد الشيء اقبح الرد يقال وقمه اي رده بعنف وقهر والوقم القهر والاذلال وكذلك القمع وامره بتقوى الله دائما ولما كانت تستلزم الاعمال الجميلة اردف ذلك بتفصيلها وهي ان يحذر على نفسه الدنيا ونسب الغرور اليها لانها سبب ما دي له وان لا يامنها على حال لما يستلزم ذلك من الغفلة عن الآخرة ثم اعلمه انه ان لم يردع نفسه الامارة بالسوء عن الانهماك في كثير من مشتهياتها التي يخاف مكروهها في العاقبة ويقف بها عند حدود الله ويسلك بها صراط الله المستقيم لم يزل بهم اهواؤها وميولها حتى تورده موارد الهلكة ثم اكد وصيته بمنعها وقهرها عند نزواتها ووثباتها في الغضب فقد عرفت ان اهمالها مبدأ كل شر يلحق في الدنيا والآخرة

ومن كتاب له عليه السلام الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة اما بعد فاني خرجت من حيي هذا اما ظالما واما مظلوما واما باغيا واما مبغيا عليه وانا اذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر الي فان كنت محسنا اعانني وان كنت مسيئا استعتبني **اقول** غرض الكتاب اعلام اهل الكوفة بخروجه من المدينة لقتال اهل البصرة واستنفارهم اليه وقد تقدم مثل ذلك وحيه قبيلته وقوله اما ظالما الى قوله عليه من باب تجاهل العارف ولان القضية لم تكن بعد ظهرت لاهل الكوفة وغيرهم ليعرفوا هل هو مظلوم او غيره ولذلك ذكرهم الله لينفروا اليه فيحكموا بينه وبين خصومه فيعينوه او يطلبوا منه العتبى وهي الرجوع واذكر يتعدى الى مفعول اول هو المذكر وثان هو المذكر به وهو الله تعالى وقد قدمه لكونه هو المقصود من التذكير ولما مشددة بمعنى الا ومخففة هي ما زائدة دخل عليها لام التأكيد اي لتنفرن الي وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام كتبه الى اهل الامصار يقص فيه ما جرى بينه وبين اهل صفين وكان بدء امرنا انا التقينا والقوم من اهل الشام والظاهر ان ربنا واحد ونبينا واحد ودعوتنا في الاسلام واحدة لا نستزيدهم في الايمان بالله والتصديق برسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يستزيدوننا والامر واحد الا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء فقلنا تعالوا نداو ما لا يدرك اليوم باطفاء النائرة الثائرة وتسكين العامة حتى يشتد الامر ويستجمع فنقوى على وضع الحق في مواضعه فقالوا بل نداويه بالمكابرة فابوا حتى جنحت الحرب وركدت ووقدت نيرانها وحمست فلما ضرستنا واياهم ووضعت مخالبها فينا وفيهم اجابوا عند ذلك الى الذي دعوناهم اليه واجبناهم الى ما دعوا وسارعناهم الى ما طلبوا حتى استبانت عليهم الحجة وانقطعت منهم المعذرة فمن تم على ذلك منهم فهو الذي انقذه الله من الهلكة ومن لج وتمادى فهو الراكس الذي ران الله على قلبه وصارت دائرة السوء على راسه كما قال الله تعالى واركسهم بما كسبوا **اقول** وبدء الامر اوله ويروى بدي فعيل بمعنى مبتدأ والنائرة العداوة وجنحت مالت وركدت ثبتت وحمست اشتدت وروي بالشين المعجمة اي التهبت غضبا واستقدت مغلصة والتمادي في الشيء الاقامة عليه وطلب الغاية فيه والراكس الذي يقع في الشيء مقلوبا والله اركسهم اي ردهم الى عقوبة كفرهم والرين التغطية والدائرة المنهزمة يقال عليهم الدائرة ويؤكد شنعتها بالاضافة الى السوء والفصل من حكاية حاله مع اهل الشام وحالهم والقوم عطف على الضمير في التقينا وفي قوله والظاهر ايماء الى تهمته لهم بضد ذلك كما صرح به عمار في صفين فانه كان يقول والله ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر فلما وجدوا عليه اعوانا اظهروه والواو للحال وقوله لا نستزيدهم اي لا نطلب منهم زيادة في الايمان لتمامه منهم في الظاهر وقد بين في حكاية الحال الاتحاد الذي بينهم في الامور المذكورة التي لا يجوز الاختلاف معها ليظهر الحجة واستثنى من ذلك ما وقع الاختلاف فيه وهي الشبهة بدم عثمان والجواب عنها اجمالا ثم حكى وجه الرأي الاصلح في نظام امر الاسلام وسلامة اهله وشوره عليهم واباءهم عن قبوله الى الغاية المذكورة والباء في قوله باطفاء النائرة متعلق بقوله نداو وما لا يدرك اي ما لا يمكن تلافيه

من كلام له الى الاسود بن قطيبة

بعد وقوع الحرب وتسكين الفتنة والقتل وهلاك المسلمين. قوله فقالوا بل نداوي بالمكابرة حكاية قولهم بلسان حالهم حين دعاهم الى
طاعة امامهم الذين بالرجوع عما هم عليه فكابروه واصروا على الحرب ويجوز باسم الجنوح الميلان فالاسم المضاف على المضاف اليه واستعار
لفظ النيران للحركات في الحرب لمشابهتهما في استلزام الاذى والهلاك وذلك رشح بذكر الوقود وكذلك لفظ الحمش والتضريس ووضع المخالب
ثم حكى اجابتهم ورجوعهم الى رايه الذي دعاهم اليه وذلك انهم صبيحة ليلة الهرير حين حملوا المصاحف على الرماح كانوا يقولون يا
لا ضحاياه معاشر المسلمين نحن اخوانكم في الدين الله الله في البنات والنساء كما حكيناه اولا وذلك عين ما كان يدعوهم اليه
من حفظ دماء المسلمين وذراريهم واما اجابته الى ما دعوا فاجابته الى تحكيم كتاب الله حين دعوا اليه وظهور الحجة عليهم برجوعهم
الى عين ما كان يدعوهم اليه من حقن الدماء وفي ذلك انقطاع عذرهم في المطالبة بدم عثمان اذ كان سكوتهم عن دم عثمان
لا حق لهم فيه اسهل من سفك دماء سبعين الفا من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وعقلهم ثم على ذلك اي على
الرضا بالصلح وتحكيم كتاب الله وهم اكثر اهل الشام واكثر اصحابه عليه السلام والذين لجوا في التمادي هم الخوارج الذين لجوا في الحرب
واعتزلوه عليه السلام بسبب التحكيم كانت قلوبهم في اغشية من الشبهات الباطلة حتى صارت دائرة السوء على رؤسهم فقتلوا الا قليلهم

ومن كتاب له عليه السلام الى الاسود بن قطيبة صاحب جند حلوان أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْوَالِيَ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيراً
مِنَ الْعَدْلِ فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ
وَابْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ رَاجِياً ثَوَابَهُ وَمُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا
فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَداً وَمِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ
نَفْسِكَ وَالِاحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ وَالسَّلَامُ

اقول في الفصل لطائف احدها انه نبهه على وجوب ترك تنويع الاهوية والاعراض عن اتباع مختلفاتها بما
يستلزمه من المفسدة وهي الامتناع عن كثير من العدل ووجه الاستلزام ان اتباع الاهوية المختلفة يوجب الانحراف عن
حاق الوسط في المطالب ولما نبهه على مفسدة الجور امره ببسط العدل والتسوية بين الخلق في الحق ثم نبهه على فضيلته بضمير
صغراه قوله فانه الى قوله وتقديرها ان العدل ليس في الجور عوض عنه وتقدير الكبرى وكل ما لم يكن في الجور عوض عنه
فيجب لزومه واتباعه الثانية لما كان اتباع مختلف الاهوية مما ينكر مثله عند وقوعه في حقه او حق من يلزمه امره كالاذى
اللاحق له مثلا امره باجتنابه وان لا يقع منه في حق غيره ما يكره وقوع مثله في حقه والعبارة وافية بهذا المعنى والغرض التنفير
عنه الثالثة امره بعد ذلك بان يبذل نفسه فيما افترض الله عليه حال رجائه لثوابه وخوفه من عقابه لكونهما داعيي العمل
الرابعة نبهه على ان الدنيا دار ابتلاء بالعمل كما قال تعالى الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا ولما كان العمل فيها
فيها سبب الاستعداد للسعادة الباقية لا جرم كان الفراغ من العمل تركا لسبب سعادة لا يحصل يوم القيامة الا به فكان من لوازم فراغه
منه في الدنيا الحسرة عليه يوم القيامة الخامسة نبهه على ضرورته الى عمل الحق بانه لا يغنيه عنه شيء غيره لان كل ما عدا الحق
باطل والباطل سبب للفقر في الاخرة فلا يغنيه شيء السادسة نبهه على ان من الحقوق الواجبة عليه حفظ نفسه اي من زلة
القدم عن الصراط المستقيم والوقوع في سواء الجحيم ثم الاحتساب على رعيته بجهده وطاقته والاخذ على ايديهم في الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقدم حفظ النفس لانه الاهم ونبه على وجوب الامرين بقوله فان الذي الى اخره واراد ان الذي يصل الى نفسك
من الكمالات والثواب اللازم عنها في الاخرة بسبب لزومك للامرين المذكورين افضل مما يصل بعدلك واحسانك الى الخلق من النفع
ودفع الضرر وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام إِلَى الْعُمَّالِ الَّذِينَ يَطَأُ عَمَلَهُمُ الْجَيْشُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ الْخَرَاجِ وَعُمَّالِ الْبِلَادِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَقَدْ أَوْ
صَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الْأَذَى وَصَرْفِ الشَّذَى وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ إِلَّا مِنْ جَوْعَةِ
الْمُضْطَرِّ لَا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَى شِبَعِهِ فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَادَّتِهِمْ وَ
التَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا اسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ الْجَيْشِ فَادْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ وَمَا عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ وَلَا
تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلَّا بِاللَّهِ وَبِي أُغَيِّرْهُ بِمَعُونَةِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

اقول الشذى الاذى ومعرة الجيش المضرة الواصلة منه
عره معرة اي ساءه ونكل ينكل بالفتح جبن ونكلوا اجبنوا وعراه الامر غشيه وحاصل الكتاب اعلام من على طريق الجيش من
الجباة وعمال البلاد بمسيره عليهم لينبهوا ولا يتحيروا منه ثم وصيته الجيش بما ينبغي لهم ويجب لله عليهم من كف الاذى عمن
يمرون به ليعرفوا عموم عدله دينا ودنيا وليأمنوا ثم اعلامهم انه بريء اليهم والى ذمتهم اي اهل ذمتهم من اساءة الجيش فانه
ليس لهم من تلك الا معرة جوعة المضطر التي لا يجد عنها الى شبعه مذهبا وتقدير الكلام فاني ابرأ اليكم من معرة الجيش

العدل
فيها
عليهم
شبعه
خوفوا

الا من معرة

من كلام له الى كميل بن زياد

الامن معرة جوعة المضطر منهم فاقام المضاف اليه مقام المضاف او اطلقه مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب ثم امرهم ان يجوعوا ويجتنبوا من
تناول من الجيش شيئا عن ظلمه وبعد ضوء الدفع الممكن لهم لئلا يكون تسلطونهم جالبا للاعمال ثم ان يكفوا ايدي سفهائهم عن مضارهم
والتعرض لهم فيما استثنيناه من المعرة والضرر لئلا يثور بذلك الفتنة بينهم وبين الجيش ثم اعلمهم انه بين اظهر الجيش كناية عن كونه
مرجع امرهم ليرفعوا اليه مظالمهم وما غشيهم من امر يغلب عليهم من الجيش لا يطيقون دفعه الا بالله وبه فيغيره بمعونة الله وخشيته
ومن كتاب له عليه السلام الى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو
طالبا للغارة اما بعد فان تضييع المرء ما ولي وتكلفه من جيش العدو طالبا للغارة اما بعد فان تضييع المرء ما ولي
وتكلفه ما كفي لعجز حاضر ورأي متبر وان تعاطيك الغارة على اهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك التي وليناك
ليس بها من يمنعها ولا يرد الجيش عنها لرأي شعاع فقد صرت جسرا لمن اراد الغارة من اعدائك على اوليائك غير شديد
المنكب ولا مهيب الجانب ولا ساد ثغرة ولا كاسر شوكة ولا مغن عن اهل مصره ولا مجز عن اميره والسلام **اقول**
المتبر الهالك والفاسد والشعاع المتفرق وقوله اما بعد الى قوله متبر صدر الكتاب علم ان فيه اجمالا كما جرت عادة الخطيب
يريد ان يوبخه عليه من تعاطيه امرا مع اهماله ما هو اهم منه ثم ذكر غرضه من الكتاب مفصلا بقوله وان تعاطيك الى قوله شعاع
ثم نفره عن ذلك الرأي بما فيه من المفاسد والتوابل احدها كونه جسرا واستعار لفظ الجسر له باعتبار عبور العدو عليه الى غرضه
ووجه هو ايضا مجاز باعتبار خلو مسالحه عن العسكر الذي يحمي به العدو فهو كالجاسر عليهم الثاني كونه غير
شديد المنكب وكنى به عن ضعفه وكذا كونه غير مهيب الجانب الثالث كونه غير ساد ثغرة الرابع ولا كاسر شوكة عدوه
الخامس ولا مغن عن اهل مصره في دفع عادية السادس ولا مجز عن اميره فيما يريد منه **ومن كتاب له عليه السلام** الى اهل
مصر مع مالك الاشتر رحمه الله لما ولاه امارتها اما بعد فان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله نذيرا للعالمين
ومهيمنا على المرسلين فلما مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الامر من بعده فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر
ببالي ان العرب تزعج هذا الامر من بعده صلى الله عليه وآله عن اهل بيته ولا انهم منحوه عني من بعده فما راعني الا انثيال
الناس على فلان يبايعونه فامسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين محمد ص
فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان ارى فيه ثلما او هدما تكون المصيبة به علي اعظم من فوت ولايتكم التي انما هي متاع
ايام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب او كما يتقشع السحاب فنهضت في تلك الاحداث حتى زاح الباطل وزهق و
اطمأن الدين وتنهنه ومن هذا الكتاب اني والله لو لقيتهم واحدا وهم طلاع الارض كلها ما باليت ولا استوحشت واني
من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي انا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي واني الى لقاء الله لمشتاق وحسن
ثوابه لمنتظر راج ولكنني آسى ان يلي امر هذه الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا وعباده خولا والصالحين
حربا والفاسقين حزبا فان منهم الذي قد شرب فيكم الحرام وجلد حدا في الاسلام وان منهم من لم يسلم حتى رضخت
له على الاسلام الرضائخ فلولا ذلك ما اكثرت تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم اذ ابيتم وونيتم
الا ترون الى اطرافكم قد انتقصت والى امصاركم قد افتتحت والى ممالككم تزوى والى بلادكم تغزى انفروا رحمكم
الله الى قتال عدوكم ولا تثاقلوا الى الارض فتقروا بالخسف وتبوؤوا بالذل ويكون نصيبكم الاخس وان اخا الحرب
الارق ومن نام لم ينم عنه والسلام **اقول** المهيمن الشاهد والروع القلب والانثيال الانصباب وراح ذهب وزهوق الباطل
واضمحل وتنهنه السكن وطلاع الارض ملاؤها واسى احزن والدول بالضم ان يكون مرة لهذا ومرة لذلك والخول العبيد
العبيد والرضخ الرشوة واصله الرمي والتانيب اللوم والونى والتزوي تقبض وتبوؤا رجعوا والخسف النقيصة وصدّر
باقتصاص حال النبي ص باعتبار كونه نذيرا للعالمين بعقاب الله شاهدا على المرسلين بكونهم مبعوثين ومصدقا لهم في ذلك ثم اقتصاص
حال المسلمين بعده في تنازع امر الخلافة فقصد رجاء من ذلك الى شرح حاله في معرض الشكاية ممن ازاحه امر الخلافة عنه مع كونه احق بها
وانصبابهم على بيعة فلان وهو كناية عن ابي بكر وامساك يده عن القيام في ذلك والطلب للامر الى غاية ارتداد الناس في زمن ابي
بكر عن الاسلام وطمعهم في محق الدين ثم شرح حاله من الخوف على الاسلام واهله ان يثلم او يهدم فيكون المصيبة عليه في هدم اصل
الدين اعظم من فوت الولاية القصيرة الامد التي غاية فيها اصلاح فروع الدين وتمثيلها بمتاع وتشبيه زوالها بزوال السراب وتقشع السحاب
ووجه الشبه سرعة الزوال وكونها لا اصل لثباتها كالاثبات لحقيقة السراب ووجود السحاب وقدم ذكر الارتداد لغرض بيان عظيم
في الاسلام وبذلك عقبه باقتصاص حاله فهو نهوضه في تلك الاحداث التي وقعت من العرب الى غاية زهوق الباطل واستقرار الدين
وانتشاره ثم اقسم انه لو لقيهم وحده وهم ملاء الارض لم يكترث بهم ولم يستوحش منهم لامرين احدهما علمه اليقين بانهم على الضلال والآثام

فقد

معهم

على الهدى الثاني اشتياقه الى لقاء ربه وانتظاره ورجاؤه لثوابه وهما يجريان مجرى ضمير من نقيضه صغراهما وكل من كان كذلك فلا يبالي بهم ولا
يستوحش منهم وقوله لكن يجري مجرى جواب سؤال مقدر كانه قيل فاذا كنت تعلم انك وايّاهم على الحالين المذكورين فلم تحزن من فعلهم
فكانه قال اني لا احزن من لقائهم وحربهم ولكني احزن ان تلي امر هذه الامة سفهاؤها وفجارها الى قوله حربا وعنى بالسفهاء بني امية واشياعهم
ثم نبّه على انهم مظنة ان يفعلوا تلك لو ولوا هذا الامر بقوله فان منهم الى قوله الرضائخ والذي شرب منكم الحرام اشارة الى المغيرة
بن شعبة لما شرب الخمر في عهد عمر حين كان واليا من قبله على الكوفة فصلى بالناس سكران وزاد في الركعات وقاء الخمر فشهد واوجلد
الحد وكذلك عتبة بن ابي سفيان جلد حد الخمر خالد بن عبد الله بالطائف والذي لم يسلم حتى رضخت له الرضائخ قيل هو ابو سفيان
وابنه معوية وذلك انهما كانا من المؤلفة قلوبهم الذين يستمالون الى الدين وجهادا عدوه بالعطاء وقيل هو عمرو بن العاص ولم يشتهر
عنه مثل ذلك الا ما حكاه عنه من اشتراطه على معوية طعمة مصر في مساعدته بصفين كما مر ذكره ثم نبّههم على ان ما ذكره من الاسى
هو السبب التام لتوبيخهم وتحريضهم على الجهاد ولولا ذلك لتركهم اذا ابوا وضعفوا ثم نبّههم على فعل عدوهم بهم وانتقاص اطراف مصارهم
وغزو دورهم ليستثير بذلك حمية طباعهم ولذلك امرهم بعده بالنفور الى قتال عدوهم ونهاهم عن التثاقل في ذلك ونفّرهم عنه بما
يلزمه من الاقرار بالخسف والرضى بالذل وخسة النصيب ثم نبّههم على من لا يكون اهلا للحرب وهو الارق وكنى به عن كبير الهمة
اذ كان من لوازمه ونفّرهم عن ضعف الهمة والتواني في الجهاد بما يلزم ذلك من طمع العدو فيهم بسكونهم عنه والرقدة عن مقاومته

ومن كتاب له عليه السلام الى ابي موسى الاشعري وهو عامله على الكوفة وقد بلغه تثبيطه الناس عن الخروج اليه لما ندبهم
لحرب اصحاب الجمل من عبد الله علي امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس اما بعد فقد بلغني عنك قول هو لك وعليك فاذا
قدم رسولي عليك فارفع ذيلك واشدد مئزرك واخرج من جحرك واندب من معك فان حققت فانفذ وان
تفشلت فابعد وايم الله لتؤتين حيث انت ولا تترك حتى يخلط زبدك بخاثرك وذائبك بجامدك وحتى تعجل عن
قعدتك وتحذر من امامك كحذرك من خلفك وما هي بالهوينا التي ترجو ولكنها الداهية الكبرى يركب جملها ويذل صعبها
ويسهل جبلها فاعقل عقلك واملك امرك وخذ نصيبك وحظك فان كرهت فتنح الى غير رحب ولا في نجاة فبالحري لتكفين
وانت نائم حتى لا يقال اين فلان والله انه لحق مع محق وما نبالي ما صنع الملحدون **اقول** روى عن ابي موسى انه كان حين سير
علي عليه السلام الى البصرة واستنفاره لاهل الكوفة الى نصرته يثبط الناس عنه ويقول انها فتنة فلا يجوز القيام فيها ويروي عن النبي صلى الله عليه وآله اخبارا
يتضمن وجوب القعود عن الفتنة والاعتزال فيها فكتب اليه مع ابنه الحسن عليه السلام هذا الكتاب والقول الذي بلغه عنه هو نهي الناس وتثبيطهم عن
النهوض اليه وذلك قوله هو له باعتبار ظاهر الدين ونهيه عن الخوض في الفتن وهو عليه من وجوه الاول انه كان همه بانه لم يقصد بذلك
الا نفور الناس عنه وفيهم منه ذلك وهو حق لان الدين في الحقيقة فهو عائد عليه بمضرة العقوبة منه ومن الله في الآخرة الثاني
انه لما كان عليه السلام على الحق في حربه كان تثبيط ابي موسى عنه جهلا بحاله وما يجب من نصرته والقول بالجهل عائد على قائله بالضرر الثالث
انه في ذلك القول مناقض لغرضه لانه نهى عن الدخول مع الناس ومشاركتهم في زمن الفتنة وروى خبرا يقتضي انه يجب القعود عنها
مع انه كان اميرا ينهاهم على الولاية فتلك متناقض فكان عليه لا له ثم امره عند قدوم رسوله عليه باوامر على سبيل الوعيد والتهديد
احدها ان يرفع ذيله ويشد مئزره وهما كنايتان عن الاستعداد للقيام بواجب امره والمسارعة الى ذلك الثاني ان يخرج من جحره واراد
خروجه من الكوفة واستعار له لفظ الجحر ملاحظة لشبهه بالثعلب ونحوه الثالث ان يندب اي يبعث من معه من العسكر ويدعوهم الى
الخروج وقوله فان حققت اي عرفت حقيقة امري واني على الحق فانفذ اي فامض فيما امرتك به وان تفشلت اي جبنت وضعفت عن هذا الامر
ومعرفته فابعد عنه ثم توعده على تقديره قعوده واقسم ليأتينه بالمكان الذي هو به من لا يتركه حتى يخلط زبده بخاثره وذائبه بجامده
وهما مثلان كنى بهما عن خلط احواله الصافية بالتكدير كغرته بذلته وسروره بغمه وسهولة امره بصعوبته وحتى يعجله عن قعدته وهي هيئته
في قعوده واراد غاية الاعجال وحتى يكون حذره من امامه كحذره من خلفه وهو كناية عن غاية التخوف وانما جعل الحذر من الخلف اصلا
في التشبيه لكون الانسان من ورائه اشد خوفا وقيل اراد حتى يخاف من الدنيا كما يخاف من الآخرة وقوله وما هي بالهوينا اي وما
الفتنة المشهورة تلك بالهينة السهلة التي ترجوان تكون فيها على اختيار لك ولكنها الداهية الكبرى من دواهي الدهر ومصائبه وقوله
يركب جملها اي يركب فيها ويذل صعبها اي يسهل الامور الصعاب فيها وهو كناية عن شدتها وصعوبتها ثم اردف وعيده و
تهديده بنصيحته وامره باوامر احدها ان يعقل عقله وعقل يحتمل التنبيه على المصدر وهو امر له ان يراجع عقله ويعتبر هذه الحال
العظيمة دون هواه وقيل هو مفعول به اي اضبط عقلك واحبسه على معرفة الحق من الباطل ولا تفرقه فيما لا ينبغي الثاني ان يملك
امره اي شأنه وطريقته ويصرفها على قانون العدل والحق دون الباطل الثالث ان يأخذ نصيبه وحظه من طاعته والقيام بامره في
نصرته والذب عن دين الله وقيل اراد خذ ما قسم لك من الحظ ولا تتجاوز الى ما ليس لك ثم اردف ذلك بامره بالتنحي عن الولاية على تقدير

كراهته

كراهته لما ذكر وعدم امتثاله لما امر وقوله فبالحرى لتكفينى اى فما احدر ان يكفى هذه المؤنة وانت رايم عن طاعة الله حتى لا ينفذ ولا يسال عنك لعدم المبالاة بك ثم اقسم انه لحق اى الامر المعهود الذى فعله من حربه بالبصرة مع محق اى صاحب حق فلا بد عنه غالم بما لا يكترث بما صنع الملحدون فى دين الله من مخالفته لمعرفته على الحق دونهم

ومن كتاب له عليه السلم الى معوية جوابا عن كتاب منه اما بعد فانا كنا نحن وانتم على ما ذكرت من الالفة والجماعة ففرق بيننا وبينكم امس انا آمنا وكفرتم واليوم انا استقمنا وفتنتم وما اسلم مسلمكم الا كرها وبعد ان كان انف الاسلام كله لرسول الله صلى الله عليه واله حربا وذكرت انى قتلت طلحة والزبير وشردت بعائشة ونزلت بين المصرين وذلك امر غبت عنه فلا عليك ولا العذر فيه اليك وذكرت انك زائرى فى المهاجرين والانصار وقد انقطعت الهجرة يوم اسر اخوك فان كان فيك عجل فاسترفه فانى ان ازرك فذلك جدير ان يكون الله انما بعثنى للنقمة منك وان تزرنى فكما قال اخو بنى اسد مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين اغوار وجلمود وعندى السيف الذى اعضضته بجدك وخالك واخيك فى مقام واحد فانك والله ما علمت الاغلف القلب المقارب العقل والاولى ان يقال لك انك رقيت سلما اطلعك مطلع سوء عليك لا لك لانك نشدت غير ضالتك ورعيت غير سائمتك وطلبت امرا لست من اهله ولا فى معدنه فما ابعد قولك من فعلك وقريب ما اشبهت من اعمام واخوال حملتهم الشقاوة وتمنى الباطل على الجحود بمحمد صلى الله عليه واله فصرعوا حيث علمت لم يدفعوا عظيما ولم يمنعوا حريما بوقع سيوف ما خلا منها الوغا ولم تماشها الهوينا وقد اكثرت فى قتلة عثمن فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الى احملك واياهم على كتاب الله واما تلك التى تريد فانها خدعة الصبى عن اللبن فى اول الفصال والسلام على اهله **اقول** انف الاسلام اوله التشريد الابعاد واسترفه اى نفس عنك من الرفاهية وهى السعة والاغوار المنخفضة من الارض واعضضته السيف جعلته يعض به وهو من المقلوب لان المضروب هو الذى يعض بالسيف اى لا يكاد يسيغه ويروى بالقاف المعجمة اى جعلته عاضا له والزمته والمقارب بالكسر الذى ليس بالتام وقد كان معوية كتب اليه يذكره ما كانوا عليه قديما من الالفة والجماعة وينسب اليه بعد ذلك قتل طلحة والزبير والتشريد بعائشة ويتوعده بالحرب ويطلب منه قتلة عثمن فاجابه ع عن كل من ذلك بجواب اما الاول فسلم له دعواه من الفة المشترك بينهم وهو الالفة والجماعة قبل الاسلام ولكنه ذكر الفارق وهو من وجوه احدها انه ع فى اول الاسلام آمن فى جملة من اهل بيته ومعوية واهل بيته كانوا كفارا الثانى انه ع واهل بيته فى اخر الامر لم يزالوا مستقيمين على الدين ومعوية واهل بيته مفتونين جاهلين الثالث ان من اهل بيته ع اسلم طوعا ومسلم اهل معوية لم يسلم الا كرها بعد ان اشتد الاسلام وصار للرسول ص حزب قوى من اشراف العرب واستعار لفظ انف الاسلام لهم باعتبار كونهم اعز اهله وممن اسلم كرها ابو سفيان وذلك انه لما اتى رسول الله ص الى مكة فى غزوة الفتح اتى ليلا فنزل بالبطحاء وما حولها فخرج العباس بن عبد المطلب على بغلة رسول الله ص يدور حول مكة فى طلب من يبعثه الى قريش ليخرجوا الى رسول الله ص ويعتذروا اليه فلقى ابا سفيان فقال له كن رديفى لتمضى الى رسول الله ص وتاخذ الامان لك منه فلما دخل على رسول الله ص عرض عليه الاسلام فابى فقال عمر ايذن لى يا رسول الله لاضرب عنقه وكان العباس يحامى عنه للقرابة فقال يا رسول الله انه يسلم غدا فلما جاء الغد دخل به على رسول الله ص فابى فقال له العباس فى السر يا ابا سفيان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ص وان لم يكن ذلك فى قلبك فانه يامر الان بقتلك ان لم تقل فتشهد الشهادتين على كره لخوف القتل وقد راى اكثر من عشرة الاف رجل حول رسول الله ص قد تحزبوا معه ولجئوا اليه فذلك معنى قوله اما بعد الى قوله حربا الثانى ما ادعاه عليه من قتل طلحة والزبير وتشريد عائشة والنزول بين المصرين البصرة والكوفة فاجاب عنه بقوله وذلك الى قوله اليك وهو فى قوة ضمير تقديره وكل من غاب عن امر ولم يكن منه مدخل فليس تكليفه عليه ولا العذر عن التقصير والتفريط فيه اليه الثالث ما توعده به من زيارته فى المهاجرين والانصار فاجاب بوجهين احدهما انه وهم فى كلامه من المهاجرين فاكذبه بقوله وقد انقطعت الهجرة يوم اسر اخوك اى فى الفتح وذلك ان معوية واباه وجماعة من اهله انما اظهروا الاسلام بعد الفتح وقد قال صلى الله عليه واله لا هجرة بعد الفتح فلا يصدق عليهم اذن اسم المهاجرين وسمى ع اخذ العباس لابى سفيان الى رسول الله ص غير مختار وعرضه على القتل اسرا وروى يوم اسر اخوك وقد كان اسر اخوه عمرو بن ابى سفيان يوم بدر وعلى هذه الرواية يكون الكلام فى معرض التذكرة له بان من شانه وشان اهله ان يوسروا ولا يسلموا فكيف يدعون مع ذلك الهجرة فان الهجرة بهذه الاسباب منقطعة عنهم ولا يكون يوم اسر ظرفا لانقطاع الهجرة لان الهجرة انقطعت بعد الفتح الثانى مقابلة وعيده بوعيد مثله وهو قوله فان كان الى قوله مقام واحد واراد ان كنت مستعجلا فى مسيرك الى فاطلب الرفاهية على نفسك فى ذلك فانك انما تستعجل الى ما يضرك ونبه على ذلك بقوله فانى الى قوله واحد وفى قوة صغرى ضمير ووجه التمثيل بالبيت انه شبه استقبال معوية وجمعه باستقبالهم رياح الصيف وشبه نفسه برياح الصيف وجعل وجه المشابهة كونهم يضرب وجوههم فى الحرب بالسيوف والرماح كما تضرب رياح الصيف وجوه مستقبليها بالحصبا وقد بينا انه ع قتل جد معوية

ومن كتاب له الى معوية

ومعونة وخاله الوليد بن عتبة واخاه حنظلة بن ابي سفيان وتفديه الكبرى وكل من كان كذلك فهو اولى ان يجتهد زمنه ولا يتوعد بحرب وقتال وقوله وانك والله ما علمت الى قوله الهوينا توبيخ مشوب بتهديد وما في قوله وما علمت موصولة واستعار لفظ الاغلف لقلبه ووجه الاستعارة انه محجوب بالهيئات البدنية واغشية الباطل عن قبول الحق وفهمه فكانه في غلاف منها ووصف المقارب في عقله بالاختيار الباطل ثم اعلم على سبيل التوبيخ بما الاولى ان يقال في حاله واستعار لفظ السلم للاحوال التي ركبها والمنزلة التي طلبها ورشح بذكر الارتقاء والاطلاع والمطلع مصدر ويجوز ان يكون اسم الموضع واحتج لصحة قوله بقوله لانك الى قوله معدنه واستعار الضالة والسائمة لمرتبة التي ينبغي له ان يطلبها ويقف عندها وما هو غيرها هو امر الخلافة اذ ليس من اهلها ورشح بذكر النشيد والرعي ثم تعجب من بعد ما بين قوله وفعله وذلك ان مدار قوله في تظلمه على طلب قتلة عثمان وانكار المنكر كما ادعاه ومدار فعله وحركاته على التغلب في الملك والبغي على الامام العادل وشتان ما هما ثم حكم بقرب شبهه باعمامه واخواله وما مصدرية والمضاف مبتدأ خبره قريب فمن اهل الشقاوة من جهة عمه ومنه حمالة الحطب ومن جهة خؤولته الوليد بن عتبة وانما انكر الاعمام والاخوال لانه لم يكن له اعمام واخوال كثيرون والجمع المنكر جاز ان يعبر به مجازا عن الواحد والاثنين للمبالغة مجازا في معرض الشناعة ولا كذلك الجمع المعرف واشار الى وجه الشبه بقوله حملتهم الى قوله الهوينا وموضع قوله حملتهم الجر صفة للاخوال واراد الشقاوة المكتوبة عليهم في الدنيا والآخرة التي استعدوا لها بجحود محمد صلى الله عليه وآله وعنى بالباطل هو ما كانوا يتمنونه ويبذلون انفسهم واموالهم فيه من قهر الرسول صلى الله عليه وآله واطفاء نور النبوة واقامة امر الشرك وقوله بوقع متعلق بقوله فصرعوا وما خلافه نفسه السيوف ولفظ المماشاة مستعار والمراد ان تلك السيوف لم تجو ضربها وقعها هون ولا سهولة ولم يجر معها ورويى لم تماسها بالسين المهملة من المماسة اي لم يخاطها بشيء من ذلك الرابع طلبه لقتلة عثمان واجابه بقوله فادخل الى آخره واراد فيما دخل فيه الناس من الطاعة والبيعة وصدق الجواب ظاهر لانه لا بد للمتحاكمين من حاكم وهو عليه السلام يومئذ الحاكم الحق فليس لمعوية ان يطلب منه ان يقتل قوما منهم المهاجرون والانصار الذين بايعوه حتى يقتلهم من غير محاكمة بل يجب ان يدخل في طاعته ويجري عليه احكامه ليحاكم القوم اليه فاما له واما عليه وقوله واما تلك التي تريد اي الخدعة عن الشام لغرض افراده على امارتها ووجه مشابهتها لخدعة الصبي ضعفها وظهور كونها خدعة لكل احد وانما قال السلام لاهله لان معوية لم يكن في نظره من اهله وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** ايضا اليه اما بعد فقد آن لك ان تنتفع باللمح الباصر من عيان الامور فلقد سلكت مدارج اسلافك بادعائك الاباطيل واقتحامك غرور المين والاكاذيب وبانتحالك ما قد علا عنك وابتزازك لما اختزن دونك فرارا من الحق وجحودا لما هو الزم لك من لحمك ودمك مما قد وعاه سمعك وملئ به صدرك فماذا بعد الحق الا الضلال وبعد البيان الا اللبس فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها فان الفتنة طال ما اغدفت جلابيبها واغشت الابصار ظلمتها وقد اتاني منك كتاب ذو افانين من القول ضعفت قواها عن السلم واساطير لم يحكها منك علم ولا حلم اصبحت منها كالخائض في الدهاس والخابط في الديماس وترقيت الى مرقبة بعيدة المرام نازحة الاعلام تقصر دونها الانوق ويحاذى بها العيوق وحاشى لله ان تلي للمسلمين بعدي صدرا او وردا او اجري لك على احد منهم عقدا او عهدا فمن الآن فتدارك نفسك وانظر لها فانك ان فرطت حتى ينهد اليك عباد الله ارتجت عليك الامور ومنعت امرا هو منك اليوم مقبول والسلام **اقول** المدارج المسالك والمذاهب جمع مدرجة والاقتحام الدخول في الشيء بسرعة من غير روية وانتحل الكلام ادعاه لنفسه ولبسها والابتزاز الاستلاب واغدفت المرأة جلبابها ارسلته على وجهها والمقتون التخليط والتوبيخ والسلم الصلح والاساطير الاباطيل جمع اسطورة بالضم واسطارة بالكسر والدهاس المكان السهل اللين دون الرمل والديماس المكان شديد الظلمة كالسرب ونحوه والمرقبة موضع مشرف يرتفع عليه الراصد والانوق الرخمة والعيوق نجم معروف وتنهد تنهض وارتجت اغلقت والكتاب جواب له فقوله اما بعد الى قوله الامور تنبيه له على وجوب الانتفاع والانزجار عن دعوى ما ليس له والمراد انه قد حضر وقت انتفاعك من عيان الامور ومشاهدتها بلمحتها الباصرة ولفظ اللمح مستعار لما يدرك من الامور وانما نعته بخفة وسرعة ومن عيون الامور اي انفسها وحقائقها التي هي موارد اللمح والاعتبار ووصفه بالباصر مبالغة في الابصار كقولهم ليل اليل وقوله فقد سلكت الى قوله اللبس اشارة خاصية الى الشبه المذكور وهو سلوكه طرائق اسلافه بالامور الاربعة المذكورة فادعاؤه الاباطيل ادعاؤه ما ليس له بحق حقا من دم عثمن وطلحة والزبير وغير ذلك واقتحامه لغرور الاكاذيب دخوله في الغفلة عن سوء عاقبتها والاكاذيب في دعاويه ظاهرة وما قد علا عنه هو امر الخلافة وما اختزن دونه فانه هو مال المسلمين وبلادهم التي يغلب عليها واراد انه اختزن بالاستحقاق من الله وفرارا وجحودا مصدران سدا مسد الحال وما هو الزم له من لحمه ودمه مما قد وعاه سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وامتلأ به صدره علما في مواطن كغدير خم وغيره وهو وجوب طاعته وانما كان الزم له من لحمه ودمه لانهما دائما في التغير والتبدل ووجوب طاعته امر لازم لنفسه لا يجوز تغيره وتبدله وجحود

البيّن

ملفظ

ومن كتاب له الى عبد الله بن عباس

بلفظ المصدر في القلب اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق واشار بالاية الى ان الحق الذي عليه هو ليس وراءه لمن تعداه الا الضلال والهلاك لان الحق وسط من تجاوزه وقع في احد طرفي الافراط والتفريط وكذلك ليس بعد البيان الذي بين لك من امري الا اللبس ثم [على المتعلق]
حذره الشبهة واشتمالها على لبسها والشبهة كشبهة دم عثمان ولفظ اللبسة مستعار للداخلين فيها ملاحظة لشبهها بالقميص
ونحوه وعلل تحذيره اياه ووجوب حذره منها بقوله فان الفتنة الى قوله ظلمتها وهو صغرى ضمير واستعار لفظ الجلابيب
لامورها المغطية لبصائر اهلها عن الحق كالاعين المراة عند اسبال جلبابها على وجهها كذلك استعار لفظ الظلمة باعتبار التباس
الامور فيها وعدم التهدي الى الحق كالظلمة التي لا يهتدى فيها ورشح بذكر الاغداف والاغشاء ثم شرع في احوال كتاب معاوية
بذمه ولما كان مداره على اللفظ والمعنى اشار الى ذم اللفظ بانه ذو افانين من القول اي انه اقوال ملفقة لا يناسب بعضها [ببعضها]
وقوله ضعفت قواها عن السلم اي ليس لها قوة ان يوجب صلحا واشار الى ذم المعنى بانه اباطيل غير محكمة النسج لا من جهة العلم اذ لا
علم له ولا من جهة الحلم لان الكتاب كان فيه خشونة ونفور وذلك ينافي الحلم وينافي غرضه من الصلح ولفظ الحوك مستعار
لسبك الكلام وقوله اصبحت منها صفة لاساطير وشبهه بالخائض والخابط لضلاله وعدم هدايته الى وجه الحق كالذي
يخوض في الدهاس ويخبط في الديماس فيهما ثم شرع في جوابه وكان مقصوده في كتابه ان ينص عليه بالخلافة من بعده لتباشير
فوبخه او لا على طلبه امر الناس من اهله بقوله وترقيت الى قوله العيوق ولفظ المرقبة مستعار لامر الخلافة ورشح بلفظ التربة
والاوصاف الاربعة بعدها لانها من شأن المرقبة التامة وبما لحظ الانوق لانها تقصد الاماكن العالية الصعبة من رؤوس
الجبال فيبيض وكارها ثم صرفه عن المطلوب بتنبيهه ان الله سبحانه ان يلي من بعده للمسلمين صرفا او عدلا اي امرا من امورهم او [هنالكم]
ان يجري على احد منهم له عقدا او عهدا والعقد كالنكاح والبيوع والاجارة والعهد كالبيعة والامان واليمين والذمة
اي لا يمكنه من ذلك وبما ليسه من المطلوب امره بتدارك نفسه بالنظر لها فيما هو مصلحتها من طاعته وتوعده على تقصيره في
ذلك بما يلزمه بتقصيره من نهوض عباد الله اليه وانغلاق الامور عليه ومنعه العذر الذي هو منه الان مقبول وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن عباس رض

وقد مضى هذا الكتاب فيما تقدم بخلاف هذه الرواية اما بعد فان
العبد ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه فلا يكن افضل ما نلت في نفسك
من دنياك بلوغ لذة او شفاء غيظ ولكن ليكن اطفاء باطل واحياء حق وليكن سرورك بما قدمت
واسفك على ما خلفت وهمك فيما بعد الموت **اقول** قد سبق شرحه الا كلمات يسيرة فيه منها انه نبهه على لزوم فضيلتي
العفة والحلم بالنهي عن ان يجعل بلوغ لذته من دنياه او شفاء غيظه اللذين هما طرفا الافراط والتفريط من الفضيلتين المذكورتين
افضل ما نال منها في نفسه ثم نبهه على ما ينبغي ان يكون افضل في نفسه من دنياه وهو اطفاء الباطل واحياء الحق واطفاء الباطل
تنبيه على وجه استعمال قوتي الشهوة وهو ان يكون الغرض من فعلها دفع الضرورة وبقدر الحاجة ومنها انه امره في الرواية الاولى
ان يكون فرحه بما نال من اخرته وامره هنا ان يكون سروره بما قدم لنفسه من زاد التقوى وهو امر بعدة الاخرة وامره في الرواية
الاولى ان يكون اسفه على ما فاته من اخرته وامره هنا ان يكون اسفه على ما خلف اي ترك من العمل وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام الى قثم بن العباس رض وهو عامله على مكة

اما بعد فاقم للناس الحج وذكرهم بايام الله واجلس لهم العصرين
فافت المستفتي وعلم الجاهل وذاكر العالم ولا يكن لك الى الناس سفير الا لسانك ولا حاجب الا وجهك ولا تحجبن [الاذى]
ذا حاجة عن لقائك بها فانها ان ذيدت عن ابوابك في اول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها وانظر الى ما اجتمع
عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيبا به مواضع الفاقة والخلات وما فضل [المفاقر]
عن ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا ومر اهل مكة ان لا ياخذوا من ساكن اجرا فان الله سبحانه يقول سواء
العاكف فيه والباد فالعاكف المقيم به والبادي الذي يحج اليه من غير اهله وفقنا الله واياكم لمحابه والسلام **اقول**
ذيدت ردت والخلة الحاجة وفيه مقاصد احدها امره باقامة الحج للناس واقامته القيام باعماله وتعليم الجاهلين كيفيته
وجمعهم عليه الثاني ان يذكرهم بايام الله اي عقوباته التي وقعت بمن سلف من المستحقين لها كي يحترزوا بطاعته من امثالها
وعبر عنها بالايام مجازا اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق الثالث ان يجلس لهم العصرين اي الغداة والعشي لكونهما اطيب الاوقات
بالمجاز واشار الى اعظم فوائد جلوسه في الوقتين وهي فائدة العلم وحصره وجوه حاجة اهلها اليها وامره بسد تلك الوجوه
بيان الحصر ان الناس اما غير عالم او عالم وغير عالم اما مقلد او متعلم طالب والعالم اما هو او غيره فهذه اقسام اربعة فوجه
حاجة القسم الاول وهو الجاهل المقلد ان يستفتي فامره ان يفتيه ووجه حاجة الثاني وهو المتعلم الجاهل ان يتعلم فامره
ان يعلمه هو ووجه حاجته هو مع الرابع وهو العالم ان يذاكره فامره بالمذاكرة له الرابع نهاه ان يجعل له الى الناس سفيرا غير

عنه الا لسانه او الحاجب لا وجه لان ذلك مظنة الكبر والجهل باحوال الناس التي يجب على الوالي الاحاطة بها بقدر الامكان ولا الحصر وقلة العلم بعد هنا خبر كان الخامس نهاه ان يحتجب لغاية مما سبق ورغبه في ملاقات ذوي الحاجة بضمير صغراه قوله فانها الى قوله قضائها اي لم تحمد فيما بعد وان قضيتها له وتقدير الكبرى وكل امر كان كذلك فلا ينبغي ان يحجب صاحبه عن لقائك به ويطرد عن بوابك في اول ورده السادس امره ان يعتزل بيت مال المسلمين ويصرفه في مصارفه وخوفه من تلك الاحوج فالاحوج ويجعل اكثر لدنه ومصيبا حال واضاف مواضع المفاقر لتغاير اللفظين السابع امره بتهديد اهل مكة عن اخذ الاجرة ممن يسكن بيوتهم ولتحج لذلك بالاية مقتصرا وهي صغرى ضمير وتقدير كبراه وكلما قال الله فيه ذلك لم يجز تحليله ثم ختم بالدعاء لنفسه وله ان يوفقهما المحابه وهو وبه التوفيق لذلك **ومن كتاب له عليه السلام** الى سلمان الفارسي رحمة الله عليه قبل ايام خلافته

اما بعد فان مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت به من فراقها وكن آنس ما تكون بها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور اشخصته عنه الى محذور **اقول** اشخصته اذهبته ومدار الفصل على الموعظة وذم الدنيا وتحذيرها وضرب لها مثلا وذكر من وجوه التشبيه من جانب الممثل به امرين احدهما لين المس وتماثله من جانب الدنيا رفاهية العيش ولذاتها والثاني قتل سمها وتماثله من الدنيا هلاك المنهمكين في لذاتها يوم القيامة ثم امره في مقام بها باوامر احدها باوامر احدها ان يعرض عما يعجبه منها وعلل وجوب اعراضه بقوله لقلة ما يصحبك منها وهي صغرى ضمير تقديرها ما يصحبك منها قليل وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغي ان يعرض عنه الثاني ان يضع عنه هموم طلبها وعلل وجوب ذلك بضمير صغراه قوله لما ايقنت من فراقها اي لانك مستيقن لفراقها وتقدير كبراه وكلما تيقنت فراقه فواجب ان تضع همك عن طلبه الثالث ان يكون آنس ما يكون بها احذر ما يكون منها وما مصدرية والانس نصب على الحال واحذر خبر كان اي في حال كونك آنس بها كن احذر ما تكون منها والغرض ان يجد في الحذر منها بقدر جهده ولا يأنس بها وعلل وجوب الحذر منها بقوله فان صاحبها الى آخره وهو صغرى ضمير تقديرها فانها كلما اطمأن صاحبها فيها الى آخره وتقدير كبراه وكلما كان كذلك يجب ان يحذر صاحبه منه ولا يأنس اليه فينتج فالدنيا يجب ان يحذر صاحبها منها **ومن كتاب له عليه السلام** الى الحارث الهمداني وتمسك بحبل القرآن واستنصحه وأحل حلاله وحرم حرامه وصدق بما سلف من الحق واعتبر بما مضى من الدنيا لما بقي منها فان بعضها يشبه بعضا وآخرها لاحق باولها وكلها حائل مفارق وعظم اسم الله ان تذكره الا على حق واكثر ذكر الموت وما بعد الموت ولا تتمن الموت الا بشرط وثيق واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكره لعامة المسلمين واحذر كل عمل يعمل به في السر ويستحيى منه في العلانية واحذر كل عمل اذا سئل عنه صاحبه انكره او اعتذر منه ولا تجعل عرضك غرضا لنبال القول ولا تحدث الناس بكل ما سمعت فكفى بذلك كذبا ولا ترد على الناس كل ما حدثوك به فكفى بذلك جهلا واكظم الغيظ واحلم عند الغضب وتجاوز عند المقدرة واصفح مع الدولة تكن لك العاقبة واستصلح كل نعمة انعمها الله عليك ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك ولير عليك اثر ما انعم الله به عليك واعلم ان افضل المؤمنين افضلهم تقدمة من نفسه واهله وماله فانك ما تقدم من خير يبق لك ذخره وما تؤخره يكن لغيرك خيره واحذر صحابة من يفيل رأيه وينكر عمله فان الصاحب معتبر بصاحبه واسكن الامصار العظام فانها جماع المسلمين واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة الاعوان على طاعة الله واقصر رأيك على ما يعنيك واياك ومقاعد الاسواق فانها محاضر الشيطان ومعاريض الفتن واكثر ان تنظر الى من فضلت عليه فان ذلك من ابواب الشكر ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة الا فاصلا في سبيل الله او في امر تعذر به واطع الله في جميع امورك فان طاعة الله فاضلة على ما سواها وخادع نفسك في العبادة وارفق بها ولا تقهرها وخذ عفوها ونشاطها الا ما كان مكتوبا عليك من الفريضة فانه لا بد من قضائها وتعاهدها عند محلها واياك ان ينزل بك الموت وانت آبق من ربك في طلب الدنيا واياك ومصاحبة الفساق فان الشر بالشر ملحق ووقر الله واحبب احباءه واحذر الغضب فانه جند عظيم من جنود ابليس **اقول** هذا الفصل من كتاب طويل اليه وقد امره فيه باوامر وزجره بزواجر مدارها على تعليم مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب احدها ان يتمسك بحبل القرآن ولفظ الحبل مستعار كما سبق واراد لزوم العمل به الثاني ان يستنصحه اي يتخذه ناصحا له بحيث يقبل امره ومشورته لانه يهدي الى الحق والى صراط مستقيم الثالث ان يحل حلاله ويحرم حرامه وذلك ان يعتقد ما فيه من الحلال والحرام حلالا وحراما ويقف عند اعتقاده ويعمل بمقتضاه الرابع ان يصدق بما سلف من الحق مما حكاه القرآن الكريم من احوال القرون الماضية واحوال الانبياء مع اممهم لتصح منه الاعتبار الخامس ان يعتبر بما مضى من الدنيا بما فيها ويقيسه به فيجعل ما مضى اصلا وما بقي فرعا ويجعل الحد المشترك بينهما من العلة هو كونها مظنة التغير والزوال فيحكم في الفرع بحكم الاصل من وجوب الزوال وقد نبه على

من كلام له الى الحرث الهمداني

المشترك بقوله فان بعضها اشبه بعضا وعلى ما يلزم من ذلك الفرع بقوله واخرها لاحق باولها وكلها حائل اى زائل مفارق السادس ان يعظم اسم الله ويكبره ان يذكره خالفا الا على حق السابع ان يكثر ذكر الموت وما بعده فان في ذكرهما اعظم واعظ واشد زاجر عن الدنيا الثامن نهاه ان يتمنى الموت الا بشرط ربثق من نفسه ويطمئن اليه في طاعة الله ولا سيما ان منتهيا بدون ذلك سفه وحمق التاسع امره بحذر كل عمل يرضاه لنفسه ويكره للمسلمين وهو في الخفي نهى عن الاستبداد عليهم بالخيرات وهو كقوله رد الناس ما تريد لنفسك وكره لهم ما تكرهه لها العاشر ان يحذر ما يعمله في السر ويستحيى منه في العلانية والاشارة الى معاصي الله ومفارقة الدنايا من القبائحات وكذلك كل عمل من شانه ان ينكره اذا سئل عنه ويعتذر منه الحادي عشر ان يحفظ عرضه ونهاه ان يجعله غرضا واستعار لفظ الغرض والنبال لما يرمى به من القول وقد بين وجه الاستعارة الثاني عشر ان يحدث الناس بكل ما سمع على وجه ان يقول كان كذا وكذا دون ان يقول سمعت فلانا يقول كذا فان بينهما فرقا ولذلك قال وكفى بذلك كذبا الاستجاز ان يكون ما سمع في نفس الامر كذبا فيكون قد كذب في قوله كان كذا وقوله سمعت كذا الا يكون كذبا الا على وجه اخرى الثالث عشر ان يرد كل ما يحدث به الناس ويقابله التكذيب والانكار لاحتمال ان يكون حقا فيحصل من انكاره جهل بحق وقوله فكفى في الموضعين صغرى ضمير تقدير كبرى الاول وكلما كفى به كذبا فينبغي ان لا يحدث به وتقدير كبرى الثاني وكلما كفى برده جهلا وجب ان لا يرد الرابع عشر امره بكظم الغيظ والحلم والتجاوز والصفح وهي فضائل تحت ملكة الشجاعة وشرطها بوجود الغضب والقدرة والدولة ليسمى حلما وتجاوزا وفقده نوما والا لم يصدق عليها الاسم وقوله تكن لك العاقبة اى العاقبة الحسنة من ذلك وهي صغرى ضمير تقديرها فان فاعل هذه الخصال يكون له العاقبة وتقدير الكبرى وكلما كانت له العاقبة الحسنة منها فيجب ان يفعلها الخامس عشر ان يستصلح كل نعمة انعم الله عليه بها ومن الشكر السادس عشر ان لا يضيع من نعم الله نعمة اى بالقصور عن الشكر والغفلة عنه السابع عشر ان يظهر اثر نعمة الله نعم عليه بحيث يراها الناس فظهور اثرها عليه باظهارها على نفسه وذويه وصرف فاضلها الى اهل الاستحقاق واعلم بدليل وجوب ذلك من وجميل احدثه وقوله ان افضل المؤمنين افضلهم تقدمة اى صدقة تقدمها من نفسه وقوله وانفقها له واموالهم ومن اهله كذلك وهو جذبه ان يجعل نفسه من افضل المؤمنين بالصدقة الثاني قوله وانك الى قوله خيره اى ما تقدمه وتؤخره من المال وتخلفه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما اذا قدمته كان لك خيرا واذا اخرته كان لغيرك خيره فواجب عليك تقديمه الثامن عشر ان يحذر صحابة من يضل رايه ويضعف وينكر عمله لسوئه وعلل ذلك بالحذر بقوله فان الى قوله بصاحبه اى فانك تعتبر به ونسب فعلك الى فعله ولان الطبع مع الصحبة اطوع للفعل منه للقول فلو صحبه لتشابه فعله فعله التاسع عشر ان يسكن الامصار العظام فان الغرض الجمعية على دين الله كقوله صلى الله عليه واله عليكم بالسواد الاعظم ولذلك علل بكونها جماع المسلمين اى مجمعهم واطلق اسم المصدر على المكان مجازا وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغي ان يختص بالسكنى العشرون ان يحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة الاعوان على طاعة الله الحادي والعشرون ان يقصر رايه على ما يعنيه فان فيه شغلا عما لا يعنيه فتجاوزه اليه سفه الثاني والعشرون ان يحذر مقاعد الاسواق واشار الى وجه المفسدة بقوله فانها الى قوله الفتن ومعنى كونها محاضر الشيطان كونها مجمع الشهوات ومحل الخصومات التي مبدؤها الشيطان ومعاريض جمع معرض وهو محل عروض الفتن والكلام صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فلا يجوز الغفو دفيه الثالث والعشرون ان يكثر نظره الى من هو دونه ممن فضل عليه في النعمة وعلل ذلك بقوله فان الى قوله الشكر ووجه كونه بابا للشكر انه يكون سببا للدخول اليه منه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان من ابواب الشكر فواجب ملازمته الرابع والعشرون ان لا يسافر في يوم الجمعة الا ان يكون في جهاد او عذر واضح وسر ان صلوة الجمعة عظيمة في الدين وهو محل التاهب لها والعبادة فوضعه للسفر وضع للشيء في غير موضعه الخامس والعشرون ان يطيع الله في جميع اموره ورغب فيها بضمير صغراه قوله فان الى قوله سواها وتقدير كبراه وكلما فضل ما سواه فالاولى لزومه وايثاره على ما سواه السادس والعشرون ان يخادع نفسه في العبادة فانه لما كان شان النفس اتباع الهوى وموافقة الطبيعة فيما تحرص ان تخادع عن مألوفها الى غيره تارة بان يذكر الوعد وتارة الوعيد وتارة الطبيعة فيما يحرص ان تخادع عن مألوفها الى غيره تارة بان يذكر الوعد وتارة بالاستشهاد بمن هو دونها ممن شمر في عبادة الله وتارة باللوم لها على التفريط في جنب الله فاذا سلك بها فينبغي ان يكون بالرفق من غير قهرها على العبادة لكون ذلك داعية الملال والانقطاع كما اشار اليه سيد المرسلين ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى بل تاخذ منها عفوها ونشاطها في العبادة الا الفريضة فانه لا يجوز المسامحة فيها السابع والعشرون ان يحذر ان ينزل به الموت حال ما هو انق من ربه وستغفار له الا بواعث دخوله عنا مره ونهيه عن طلب الدنيا الثامن والعشرون ان يجتنب صحبة الفساق ونفر عن ذلك بضمير صغراه قوله فان الشر بالشر ملحق اى فانه يصير لك شريكا في الشر هلاك القرين بالمقارنة يفسدك وتقدير كبراه وكلما صيرك شريكا فلا يجوز فعله التاسع والعشرون ان يجمع بين توقير الله وتعظيمه وبين محبة احبائه واوليائه بدونها اصلان منها لازمان الثلثون ان يحذر الغضب ونفر عنه بقوله فانه الى الجزء ومعنى كونه جندا له لانه من اعظم ما يدخل به على الانسان فيملكه ويصيره في تصرفه كالملك الداخل بالجند العظيم على المدينة

ومن كتاب له عليه السلم الى سهل بن حنيف الانصاري وهو صغرى ضمير تقديرها وكل امام كذلك فواجب ان يجد رشده وبالله التوفيق
وهو عامله على المدينة في معنى قوم من اهلها لحقوا بمعوية اما بعد فقد بلغني ان رجالا ممن قبلك يتسللون الى معوية فلا تاسف
على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم فكفى لهم غيا ولك منهم شافيا فرارهم من الهدى والحق وايضاعهم الى العمى
والجهل فانما هم اهل الدنيا مقبلون عليها ومهطعون اليها قد عرفوا العدل وراوه وسمعوه ووعوه وعلموا ان الناس عندنا
في الحق اسوة فهربوا الى الاثرة فبعدا لهم وسحقا انهم والله لم يفروا من جور ولم يلحقوا بعدل وانا لنطمع في هذا الامر ان يذلل
الله لنا صعبه ويسهل لنا حزنه ان شاء الله والسلام عليك **اقول** التسلل الذهاب واحدا بعد واحد والايضاع الاسراع وكلا الاهطاع
والاثرة الاستبداد وقوله اما بعد الى قوله معوية اعلام له بعلمه بحالهم وقوله فلا تاسف الى قوله مددهم تسلية له عما فاته من عددهم ومددهم
وقوله فكفى الى قوله بعدل الاستدراج عن الاسف الى فرارهم بذكر معايبهم في ضمير صغرى الاول منهما قوله فكفى الى قوله والجهل وتقدير كبراه
وكل من كان كذلك فلا يجوز الاسف عليه وفرارهم فاعل كفى وغيا وشافيا تميز وصغرى الثاني قوله وانما هم اهل الدنيا اي كان شانهم ذلك
وعرفوا العدل عندنا وعلموا استواء الناس عندنا في الحق فهربوا الى الاستيثار والاستبداد عند معوية وتقدير كبراه وكل من كان
بهذه الحال فلا يجوز الاسف عليه ولذلك دعا عليهم بالبعد والسحق وهما مصدران وضعا للدعاء ثم اقسم انهم لم يفروا من جور منه
ولم يلحقوا بعدل من معوية تاكيدا لذمهم لاحوالهم التي هربوا لاجلها ثم وعده بما يطمع منه من الله تعالى من تذليل ما صعب من امر الخلافة لهم
وتسهيل الحزن منه بمشية سبحانه **ومن كتاب له عم** الى المنذر بن الجارود العبدي وقد كان استعمله على بعض النواحي فخان
الامانة اما بعد فان صلاح ابيك غرني منك وظننت انك تتبع هديه وتسلك سبيله فاذا انت فيما رقي الي عنك لا تدع لهواك
انقيادا ولا تبقي لاخرتك عتادا تعمر دنياك بخراب اخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ولئن كان ما بلغني عنك حقا لجمل اهلك
وشسع نعلك خير منك ومن كان بصفتك فليس باهل ان يسد به ثغر او ينفذ به امر او يعلى له قدر او يشرك في امانة او
يؤمن على خيانة فاقبل الي حين يصل اليك كتابي هذا ان شاء الله قال السيد رض والمنذر بن الجارود هذا هو الذي قال فيه
امير المؤمنين عم انه لنظار في عطفيه مختال في برديه تفال في شراكيه يعني انه ينفض التراب من شراكيه اذا اصابهما الغبار **اقول**
العتاد العدة والشسع سير بين الاصبعين في النعل العربي ومدار الفصل على توبيخه خيانته فذكر سبب غروره وهو قياسه في الصلاح
على ابيه الجارود العبدي في انه يتبع ما كان عليه من الهدى ثم ذكر ما رقي اليه عنه من الخيانة ومن اربعة اوجه احدها انقياده لهواه في كل
ما يقوده اليه الثاني اعراضه عما يعتد به لاخرته من صالح الاعمال الثالث كونه يعمر دنياه بما يستلزم خراب اخرته من تناول الحرام الرابع
كونه يصل عشيرته بما يقطع دينه من ذلك وداعي التعجب فيه زهد بين ثم اخذ في توبيخه والحكم بنقصانه وحقارته حتى ما نسب اليه من
ذلك فضل جمل اهله وشسع نعله عليه وجمل الاهل انما يمثل به في الهوان والمهانة فيما قيل ان الجمل يكون لاب القبيلة فيهمله
لم يوفر كل منهم ويصرفه في حاجته فهو ذليل حقير بينهم ثم حكم في معرض توبيخه من كان بصفته انه لا يصلح لولاية عمل يريد له الوالي وراعى
في القرائن الاربع التسجيع المتوازي فالغدر بازاء الامر والخيانة بازاء الامانة وانما قال او يشرك في امانة لان الخلفاء امناء الله في بلاده
فمن ولوه من قبلهم فقد اشركوه في امانتهم وقوله او يؤمن على خيانة اي حال خيانته لان كلمة على تفيد الحال ثم بعد توبيخه استقدمه عليه
عزلا له والذي حكاه السيد رض من وصف امير المؤمنين له فكناية عن تكبره والتفل في الشراك نفخ الغبار عنه والكناية مناسبة للكتاب
لاشتمالها على الكبر وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى عبد الله بن العباس رض اما بعد فانك لست بسابق اجلك ولا
مرزوق ما ليس لك واعلم بان الدهر يومان يوم لك ويوم عليك وان الدنيا دار دول فما كان منها لك اتاك على ضعفك وما كان
منها عليك لم تدفعه بقوتك **اقول** الفصل موعظة ونبهه فيها على امور احدها انه لا يسبق اجله ولما كان الاجل هو الوقت
الذي علم الله ان زيدا يموت فيه لم يكن ان يموت زيد دونه لان ذلك يستلزم انقلاب علم الله جهلا وانه محال الثانية ولا مرزوق ما ليس
له اي ما علم الله انه ليس رزقا له فمحال ان يرزقه لما بيناه الثالثة علمه ان الدهر يومان يوم له وهو اليوم الذي له فيه المنافع كاللذة
وكالانها ويوم عليه وهو ما يكون عليه فيه المضرة كالالم وما يستلزمه وذلك معنى كون الدنيا دار دول كما قال تعالى وتلك الايام نداولها
بين الناس الرابعة اعلمه ان ما كان له من خير الدنيا اتاه على ضعفه فان كان امرا كليا بعلم الله سبحانه انه يصل اليه وكذلك ما كان عليه
من شرها لم يتمكن من دفعه وان كان قويا وذكر الضعف والقوة ليعلم استناد الامور والارزاق الى مدبر حكيم هو مفيضها ومسبب
اسبابها وناظم وجودها ومقسمها لاربابها ويعطي كل منها ما استعد له من خير او شر فقد يحصل الضعيف الحيوان ويرزق رزقا واسعا
ويكون ضعفه من الاسباب المعدة لسعة رزقه وبالعكس قد يحصل له القوة فتكون من اسباب الحرمان والله من ورائهم محيط وهو الرزاق ذو
القوة المتين **ومن كتاب له عم** الى معوية اما بعد فاني على التردد في جوابك والاستماع الى كتابك لموهن رايي ومخطي
فراستي وانك اذ تحاولني الامور وتراجعني السطور كالمستثقل النائم تكذبه احلامه والمتحير القائم يبهظه مقامه ولا يدري

كالايدرو
السطور

في حلف له كتبه بين اليمن وربيعة

٣٠٢ ج

الى قوله م

الشيطون كالمستثقل النائم تكذبه احلامه او المتحير القائم يبهظه مقامه لا يدري اله ما ياتي ام عليه ولست به غير انه بك شبيه واقسم
بالله لولا بعض الاستبقاء لوصلت اليك مني قوارع تقرع العظم وتهلس اللحم واعلم ان الشيطان قد ثبطك عن ان تراجع احسن
امورك وتاذن لمقال نصيحتك **اقول** موهن مضعف ويبهظه اثقله والقوارع الشدائد وتهلس اللحم تذهب به وتنحبه وتقرب
منه الهرش وثبطه عن كذا شغله ومدار الفصل على منافرته وتوبيخه فقوله اما بعد فرانه اى مضعف رايي وفراسته لتعلمه طرق
ان مكانيتك وجوابك لا فايدة فيه ثم شبهه في محاولته امر الشام وما يجهل عنه عنقك من حبل امر الخلافة فيه بعده ومن بعيد السطور
اى تكذب في ذلك بالمستثقل في النوم الغريق فيه وانتصب المستطور بحذف الجار اى مثل او لما واشار الى وجه الشبه بقوله تكذبه
احلامه واراد ان تخيلاته وما يتمنى من وصول هذا الامر اليه تخيلات كاذبة صادرة عن جهل غالب كالاحلام الكاذبة للمستغرق في نومه
اذا استيقظ لم يجد منها شيئا وكذلك شبهه بالمتحير القائم واشار الى وجه شبهه بقوله يبهظه الى قوله عليه وبيانه ان معوية متحير في هذا الامر متحير
في تحصيله متهوك في طلبه مع جهله بعاقبة سعيه هل هي خير او شر كالقائم المتحير في الامر يتعب بطول مقامه ولا يعرف غايته من قيامه ثم لم
يرض له بذلك التشبيه بل زاد مبالغة في غفلته ونومه في مرقد طبيعته وحيرته فقال ولست به اى لست هذا شبيها فيكون هو اصلا
لك في الشبه غير انه بك شبيه اى انك اصل له في ذلك الشبه ثم اقسم لولا بعض الاستبقاء اى للامور المصلحة لوصلت اليه منه قوارع
واراد شدائد الحروب وكنى عن شدتها بكونها تقرع العظم وتهلس اللحم ثم اعلمه في معرض توبيخه ان الشيطان قد ثبطه عن مراجعة احسن
اموره وهو الدخول في طاعته وترك الفتنة وان ياذن اى يصغي بنفسه لمقال نصيحته وهو مخاطب له بانهما نصيحته تركهما الى تثبيط الشيطان
وبالله التوفيق **ومن حلف له عم** بين اليمن وربيعة نقل من خط هشام بن الكلبي هذا ما اجتمع عليه اهل اليمن حاضرها
وباديها وربيعة حاضرها وباديها انهم على كتاب الله يدعون اليه ويامرون به لا يشترون به ثمنا قليلا ولا يرضون به بدلا
وانهم يد واحدة على من خالف ذلك وتركه انصار بعضهم لبعض دعوتهم واحدة لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب ولا لغضب
غاضب ولا لاستذلال قوم قوما ولا لمسبة قوم قوما على ذلك شاهدهم وغائبهم وحليمهم وجاهلهم ثم ان عليهم بذلك عهد الله
وميثاقه ان عهد الله كان مسئولا وكتب علي بن ابي طالب **اقول** الحلف العهد وفيه نكت الاولى قوله هذا مبتداء وما موصولة
وهي صفة المبتداء وخبره انهم ويجوز ان يكون هذا مبتداء خبره ما اجتمع عليه ويكون قوله انهم تفسيرا لهذا كانه قال ما الذي اجتمعوا عليه
فقيل على انهم على كتاب الله اى اجتمعوا على ذلك فخبر انهم وعلى كتاب الله ويدعون حال والعامل متعلق الجار وحاضرها وباديها من اهل
اليمن وكذلك من ربيعة الثانية كونهم لا يشترون به ثمنا كناية عن لزومهم والعمل به الثالثة قوله وانهم يد واحدة اى متعاونون على من خالفه
فاطلق اسم اليد على المتعاون مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب وانصار خبر ثان لان وبعضهم فاعل ويجوز ان يكون بعضهم مبتدأ وخبره
انصار الرابعة قوله ولا لاستذلال قوم قوما اى لا ينقضون عهدهم لكون القبيلة الاخرى استذلت قومهم او سبتهم وروي لمشية قوم
قوما اى لازادتهم وفي رواية كتب علي بن ابو طالب وهي المشهورة عنه ووجهها انه جعل هذه الكنية علما بمنزلة لفظة واحدة لا تتغير اعرابها

ع وسفيههم وعالمهم ... اتم هو

ومن كتاب له عم الى معوية من المدينة في اول ما بويع له بالخلافة ذكره الواقدي في كتاب الجمل من عبد الله علي امير
المومنين الى معوية بن ابي سفيان اما بعد فقد علمت اعذاري فيكم واعراضي عنكم حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له والحديث
طويل والكلام كثير وقد ادبر ما ادبر واقبل ما اقبل فبايع من قبلك واقبل الي في وفد من اصحابك **اقول** الوفد الوارد
على الملك واعذاره اعذاره فيهم الى الله اى اظهار عذره وذلك باجتهاده في نصيحة عثمن اولا ونصرته بني امية بالذب عنه ثانيا واعراضه
عنهم بعيد ايلاسه من قبول عثمن لنصيحته وعجزه عن نصرته والدفع عنه حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له من قتله ثم قال والحديث طويل والكلام
كثير في امره ومن قتله وقوله وقد ادبر الى قوله اقبل يحتمل ان يكون اخبارا له بان بعض الناس ادبر عنه كطلحة والزبير ومن تابعهما وبعضهم
اقبل عليه ويحتمل ان يكون انشاء اى قد دخل في الادبار من ادبر عني ودخل في الاقبال من اقبل علي ثم امره ان يبايع له من قبله من الجماعة
ويقبل اليه ويحتمل ان يكون الضمير في قوله فيكم وعنكم خطابا لمعوية وساير المسلمين على سبيل العتب والتشكي اى قد علمتم اعذاري
فيكم حيث لم اعاجل مسيئكم بالعقوبة واعرضت عنكم حتى كان ما كان من خروج طلحة والزبير ومن تابعهم ما لا بد منه ووقوعه منهم ولا
دفع له والحديث في شانهم طويل والكلام في شبههم كثير وقد ادبر من ادبر اى هؤلاء الخارجون واقبل من اقبل ثم تمام الكلام بحاله
والله اعلم **ومن كتاب له عم** لعبد الله بن العباس عند استخلافه اياه على البصرة سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك
واياك والغضب فانه طيرة من الشيطان واعلم ان ما قربك من الله يباعدك من النار وما باعدك من الله يقربك من النار
اقول الطيرة فعلة من الطيران ويستعمل في الخفة وما لا ثبات له وروي طيرة من التطير وهو التشام وقد امره بفضايل من الاخلاق
احدها ان يسع الناس بوجهه وكنى بذلك عن البشر والطلاقة وبمجلسه وهو كناية عن التواضع وبحكمه وكنى به عن العدل لان
الحكم العدل يسع كل احد والجور يضيق لا يحتمله الكل الثانية تحذيره من الغضب وهو رذيلة مقابلة لفضيلة الحلم ونفره عنه بقوله فانه

طيرة من الشيطان اى خفة يبتشاها من الشيطان او انه مما يتشام الناس بصاحبه ويكرهه ونسبه الى الشيطان لينفر عنه وارادة الغضب المذموم وهو صغرى ضمير تقديرها وكلما كان كذلك فواجب ان يجتنب ثم رغب فيما يقربه من الله بما يستلزمه من كونه مبا عدا له من النار و نفره عما يبعده من الله بما يستلزمه من كونه مقربا له الى النار وهما صغريا ضميرين تقدير كبرى الاول منهما وكل ما باعد العبد من النار فواجب اخذه وتقدير كبرى الثانى وكل ما يقرب من النار فواجب ان يحذر وبالله التوفيق **ومن وصية له عليه السلم** لعبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج لا تخاصمهم بالقرآن فان القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاججهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصا **اقول** المحيص المعدل وقد نها ان يحاججهم بالقرآن ونبهه على ذلك بضمير صغراه قوله فان القرآن الى قوله ويقولون اى ان الآيات التى يمكنه الاحتجاج بها غير ناصة فى المطلوب بل لها الفاظ وتاويلات محتملة يمكنهم ان يتعلقوا بها عند المجادلة وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فلا يتم الغرض به فى مخاصمتهم ثم امره ان يحاججهم بالسنة ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانهم لا يجدون عنها معدلا لكونها ناصة فى المطلوب كقوله صلعم حربك يا على حربى ونحوه وتقدير الكبرى وكل ما لم يجدوا عنه معدلا فالاولى محاجتهم به وقد اشرنا من قبل الى مجادلة ابن عباس **ومن كتاب له عليه السلم** اجاب به ابا موسى الاشعرى عن كتاب كتبه اليه من المكان الذى اقعدوا فيه للحكومة وذكر هذا الكتاب سعيد بن يحيى الاموى فى كتاب المغازى اما بعد فان الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم فمالوا مع الدنيا و نطقوا بالهوى وانى نزلت من هذا الامر منزلا معجبا اجتمع به اقوام اعجبتهم انفسهم فانى اداوى منهم قرحا اخاف ان يعود علقا وليس رجل فاعلم احرص على جماعة امة محمد صلى الله عليه وآله والفتها منى ابتغى بذلك حسن الثواب و كرم المآب وسافى بالذى وايت به على نفسى وان تغيرت عن صالح ما فارقتنى عليه فان الشقى من حرم نفع ما اوتى من العقل والتجربة وانى لاعبد ان يقول قائل بباطل او ان افسد امرا قد اصلحه الله فدع ما لا تعرف فان شرار الناس طائرون اليك باقاويل السوء **اقول** العلق الدم الغليظ ونايت وغدرت واعبد استنكف واغضب وقوله فان الناس الى قوله حظهم اى الحظ الذى ينبغى لهم من الدين والهدى وقوله فمالوا الى قوله الهوى بيان لانواع تغيرهم وقوله وانى نزلت من هذا الامر اى امر الخلافة منزلا معجبا وهو الحال التى انتهى اليها امر الصحابة وصارت محل التعجب منها وكيف صار محكوما لهم فى قبول الحكومة والرضى بالصلح وغيره وقوله اجتمع به اقوام صفة منزل اى ان هذا المنزل الذى انا فيه من هذا الامر قد اجتمع معى و مشاركونى فيه اقوام اعجبتهم انفسهم وآراؤهم فافسدوا على الامر فانا اداوى منهم قرحا واستعار لفظ القرح لما افسدوا من حاله باجتماعهم على التحكيم ولفظ المداواة لاجتهاده فى اصلاحهم ورد ذلك وكذلك استعار لفظ العلق لما يخاف من تفاقم امرهم من حاله انه ليس رجل احرص منه على الفة جماعة محمد صلعم للغرض المذكور وقوله فاعلم اعتراض حسن بين ليس وخبرها ورجل يفيد العموم وان كان مفردا نكرة لكونه فى سياق النفى على ما بين فى اصول الفقه ثم اخبر انه سيفى بما وعد على نفسه من شرط الصلح على ما وقع عليه وتوعده بلزوم الشقاوة ان تغير عن صالح ما فارقه من وجوب الحكم بكتاب الله وعدم اتباع الهوى والاغترار بمقارنة الاشرار بعبارة الشقى من حرم نفعها اوتى من العقل والتجربة مشيرا بذلك الى انه ان خدع او تغير بامر اخر فقد حرم نفع عقله وسابق تجربته فلزمه الشقاوة ثم نبهه على انه يانف من قول الباطل وان يفسد امرا اصلحه الله به وهو امر الدين لتحرزه من غضبه بلزوم الحق والصدق وحفظ جانب الله فى حقه واكد ذلك بقوله فدع ما لا تعرف اى من الحكم فى هذه القضية بالشبهة وقوله فان شرار الناس الى آخره اراد عمرو بن العاص ونحوه فيما كان يسرع بالقائه اليه من الوساوس والشبه الكاذبة التى هى اقاويل السوء **ومن كتاب له عليه السلم** لما استخلف الى امراء الاجناد اما بعد فانما اهلك من كان قبلكم انهم منعوا الناس الحق فاشتروه واخذوهم بالباطل فاقتدوه **اقول** نفرهم عن منع الحق اهله ومعاملتهم الناس بالباطل بذكر ان ذلك هو سبب هلاك من كان قبلهم من امثالهم وقوله فاشتروه اى فباعوه وتعوضوا عنه بالباطل لما منعوا منه كقوله تعالى وشروه بثمن بخس وكذلك قوله واخذوهم بالباطل اى سلكوا معهم بالباطل فاقتدوه اى اقتدوا بالباطل فيهديهم اقتدوه وبالله التوفيق تم باب الكتب والوصايا والعهود والحمد لله حق حمده

باب المختار من حكم امير المؤمنين عليه السلم ومواعظه ويدخل فى ذلك المختار من اجوبة مسائله والكلام القصير

الخارج فى سائر اغراضه قال عليه السلم كن فى الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب **اقول** ابن اللبون ولد الناقة اذا استكمل سنتين ودخل فى الثالثة لان امه على الاغلب تلد وضعت ولدا غيره فهى ذات لبن وقد امر صاحبه فى زمن الفتنة ان يتشبه بابن اللبون واشار الى وجه الشبه بقوله لا ظهر الى آخره واراد انه يكون فى زمانها خامل الذكر ضعيفا بينهم مستكثرا من المال كيلا يصلح لمعاونة الظالمين بنفسه ولا بماله ولا ينتفع به فى الفتنة كابن اللبون لا ينتفع بظهره ولا لبنه وظهر مبتدأ خبره محذوف تقديره

سكمون

مسلكوا فيه مسلك من خذهم به كقوله

باب المختار من حكم امير المؤمنين ع

احدى وعشرين كلمة من الآداب **قال** ٤ فيجلب قوله وكذا في جواب التمني منصوباً باضمار ان ويروى مرفوعاً عطفه على الجملة ويركب له
والحث على اكتساب مكارم الاخلاق وهي قوله ازرى بنفسه من استشعر الطمع وهو تنفير عن الطمع المضاد لفضيلة القناعة بذكر ما يستلزم
من التهاون بالنفس والازدراء بها وذلك ان الطمع بما في ايدي الناس يستلزم الحاجة اليهم والخضوع لهم وهو يستلزم الهوان عليهم
وسقوط المنزلة واستعار وصف الاستشعار لملازمة الطمع ومباشرته للقلب كالشعار للجسد الثانية قوله ورضي بالذل من كشف
ضره وهو ايضاً تنفير للانسان عن شكاية فقره وضره للناس بذكر ما يلزم ذلك من الذلة والرضى بها الثالثة وهانت عليه نفسه
من امر عليها لسانه وهو تنفير للانسان عن الاكثار في القول من غير تدبر ومراجعة لعقله بما يلزم ذلك من هوان نفسه عليه لما
في الدنيا فلان فلتات ذلك القول قد يكون سبباً للهلاك واليه اشار القائل احفظ لسانك ايها الانسان لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الاقران واما في الآخرة فلقوله صلى الله عليه وآله وهل يكب الناس على مناخرهم في النار
الا حصائد السنتهم ولا هوان لنفس الانسان عليه اعظم من هلاكها واستعار وصف التامير لتسليط اللسان على ما يؤذي النفس
من عثرات تجنيها فكانها صارت محكومة له الرابعة قوله والبخل عار وذلك لانه رذيلة التفريط من فضيلة الكرم وبقدر حمد الانسان
على الكرم يكون ذمه وتعييره برذيلة البخل الخامسة والجبن منقصة لانه رذيلة التفريط من فضيلة الشجاعة التي هي اصل من الكمالات
النفسانية كان الجبن رذيلة ومنقصة السادسة والفقر يخرس الفطن عن حجته وذلك لكونه مظنة للذلة وانفعال النفس وضلاع عظيم بالضعف
والفتور والانفعال عن الغير ومبدأ كل ذلك تصور العجز وتوهم القصور بسبب عدم المال عن مقاومة الخصم فيحصل الخوف من الكلام
والعي عنه وان كان صاحبه فطناً واستعار لذلك وصف الخرس ملاحظة لشبهه بالساكت السابعة والمقل غريب في بلدته اي الفقير
واستعار له لفظ الغريب باعتبار عدم التفات الناس اليه وقلة الاعوان والاخوان له الا قليلاً فهو كالغريب الذي لا يعرف
الثامنة والعجز آفة العجز لفظ مهمل يحتمل العجز البدني وهو عدم القدرة على التصرفات البدنية عما من شأنه ان يقدر ويحتمل العجز
النفساني وهو عدم القدرة على مقاومة الهوى ودفعه والاول افة بدنية ونقصان فيه والثاني آفة في العقل وعاهة فيه التاسعة
والصبر شجاعة الصبر فضيلة تحت العفة ترتسم بانها مقاومة الهوى لئلا يقود النفس الى قبائح اللذات وهو جهاد مع النفس الامارة
يستلزم فضيلة الشجاعة فلذلك حمل اللازم على ملزومه العاشرة والزهد ثروة وهو فضيلة تحت العفة وترتسم بانه اعراض النفس
عن متاع الدنيا وطيباتها ولما كانت الثروة في العرف عبارة عن الغنى بالمال وكثرته استعار لفظها للزهد لمشابهتها ما في
استلزامها للغنى وعدم الحاجة الحادية عشرة والورع جنة وحقيقة الورع لزوم الاعمال الجميلة فلذلك استعار له لفظ الجنة لمشابهتها
في الوقاية من عذاب سخط الآخرة ومن كبر اصابة الدنيوية كما تحفظ بالترس وغيره من السلاح الثانية عشرة ونعم القرين الرضا
وقد علمت ان الرضا بقضاء الله وما نزل به القدر باب عظيم من ابواب الجنة وفضيلة من الملكات الفاضلة وظاهر انه نعم القرين في
الدنيا والآخرة الثالثة عشرة والعلم وراثة كريمة وهو فضيلة النفس العاقلة وهو اشرف الكمالات النفسية وبحسب ذلك كان عند اشرف كريمة
من العلماء بل كانت اكرم موروث ومكتسب ولذا الوراثة اللغوية كقوله فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب اي العلم
والحكمة الرابعة عشرة والآداب حلل مجددة وارادة الآداب الشرعية ومكارم الاخلاق واستعار لها لفظ الحلل المجددة باعتبار دوام
زينة الانسان بها وتجدد بهائه وحسنه وهيبته على استمرار الزمان بلزومها واستخراج محاسنها كالحلل التي لا تزال
تجدد على لابسها الخامسة عشرة والفكر مرآة صافية الفكر قد يراد به القوة المفكرة وقد يراد به حركة هذه القوة كيف كانت
كانت وقد يراد به معنى آخر وعلى هذا القوة نفسها واستعار لها لفظ المرآة باعتبار انها اذا وجهت نحو تحصيل المطالب التصورية
والتصديقية ادركتها ومثلت بها كما يتمثل في المرآة صور ما يحاذى بها السادسة عشرة صدر العاقل صندوق سره استعار
لفظ الصندوق لصدر العاقل باعتبار حفظه كما يحفظ الصندوق ما فيه وهو في المعنى امر للانسان بكتمان سره وعبر عن ذلك
بذكر العاقل فكانه قال العاقل من يجعل صدره صندوق سره وحفظه السابعة عشرة البشاشة حبالة المودة واستعار لها لفظ
الحبالة باعتبار اقتناص الانسان بها الناس واستمالتهم الى صداقته ومحبته كحبالة الصائد التي يقتنص بها الطير الثامنة
عشرة الاحتمال قبر العيوب اراد احتمال المكروه والاذى من الاخوان وسائر الناس وهو فضيلة عظيمة تحت الشجاعة واستعار له
لفظ قبر العيوب باعتبار ستره لمعايب صاحبه عند الناس كما يستر القبر ما فيه من جيفة الميت قال السيد ره وروي انه قال في
العبارة عن هذا المعنى ايضاً المسالمة خبأ العيوب قال الجوهري الخباء واحد الاخبية بيت من وبر او صوف ولا يكون من شعر ويكون
على عمودين او ثلاثة وما فوق ذلك فهو بيت والمسالمة فضيلة تحت العفة استعار لها لفظ الخباء باعتبار انها فضيلة تستجلب
المحبة وتستلزم سكوت الناس عن المعايب وسترها كالخباء ويتبين استلزامها ستر العيوب باستلزام نقيضها وهو المخاصمة
وعدم المسالمة لثوران الطباع على ذكر المعايب وابرازها العرض للاهانة والتبكيت التاسعة عشرة ومن رضي عن نفسه كثر الساخط

عليه منهم الثانى انه لاعتقاده كمال نفسه يرفعها فوق قدرها والناس من يعتقد ره فيكثر المتقصر له والشاخط عليه لعشرون و
الضد فهذه دواء منجح استعار لفظ الدواء النافع للصدق فى المشابهة بينهما الدواء اما فى الدنيا فلقوله صم داووا مرضاكم بالصدقة فدوى
ذلك انها تستجلب الهمم وتطابق القلوب على محبة المتصدق والرغبة الى الله سبحانه فى رفع المكاره عنه لبقائه فهى فى ذلك سبب
للشفاء كالدواء واما فى الآخرة فلانها سبب لدفع المكاره الاخروية كما سبق بيانه الحادية والعشرون واعمال العباد نصب اعينهم فى اجلهم
اى ظاهرة فانها فى اعينهم وستر ذلك ما علمته من كون النفوس ما دامت فى الدنيا فهى تتقنع بملكات المضرة التى تكتسبها فى اغشية من
الهيئات البدنية البدنية وتحجب عن ادراك الامور كما هى فاذا زالت تلك الاغشية بالمفارقة انكشفت لها الامور فادركت ما عملت
من خير وما استعدت له من شر كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وكما قال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا الآية وقال عليه السلام اعجبوا لهذا الانسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس من خرم نبه على لطف خلق الانسان
ببعض اسرار حكمة الله فيه وغايته من ذلك الاستدلال على حكمة محدثه وتعجب الانسان من ذلك وذكر اربعة من محال النظر والاعتبار وهى آلة البصر
والكلام والسمع والتنفس وخصها بالذكر لكونها مع ضعفها اصغر وتنفيها فى وجود الانسان على شرفه وعلو رتبته فى المخلوقات فلا الاهما
ليكون ذلك محل التعجب والاعتبار لعظمة الصانع الحكيم واراد بالشحم الذى ينظر به الرطوبة المسماة فى عرف الاطباء بالبيضية والرطوبة الجليدية
فان العين مركبة من سبع طبقات وثلث رطوبات كل منها مختص فى عرفهم باسم وعنى باللحم اللسان فانه لحم ابيض رخو تلتف به عروق صغار
فيها دم ملون له يتبين حمرة وتحته عروق وشرايين واعصاب كثيرة وتحته فوهتان يسيل منهما اللعاب يتبينهما الحلم عندى رخو موضوع
صله تسمى مولدة اللعاب ويتهاتين الفوهتين ينحى للسان وما حوله الندأوة الطبيعية واراد بالعظم الذى يسمع به العظم المسمى الحجرى وفيه ثقوب
صلب فيه مجرى الاذن كثير المعاريج والعطفات يتركك الى ان يلقى العصبة النابتة من الدماغ التى هى مجرى الروح الحامل للقوة السامعة و
اراد بالخرم ثقب الانف وفى هذه وامثالها من بدن الانسان وسائر الحيوانات عبرة لمن اعتبر وكمال شهادة بوجود الصانع الحكيم لها ومن نظر فى
تشريح بدن الانسان حضرته شواهد من الحكمة الالهية يحار فيها لبه ويدهش فيها عقله وقرأ الصارخ قوله تعم وخلق الانسان ضعيفا
ثم قال وكيف لا يكون ضعيفا وهو ينظر بشحم ويسمع بعظم وينطق بلحم وقد راعى فى القرائن الاربع السجع المتوازى وقال عليه السلام
اذا اقبلت الدنيا على قوم اعارتهم محاسن غيرهم واذا ادبرت عنهم سلبتهم محاسن انفسهم يريد ان الدنيا اذا اقبلت بجاهها و
مالها على قوم بحسب توافق اسباب السعادة الدنيوية لهم استلزم اقبال الناس عليهم وتقربهم اليهم بكل ممكن لميلهم الى الدنيا ومحبتهم لها و
حسنوا فى اعينهم فاستعاروا لهم الاوصاف الجميلة التى كانت فى غيرهم وان لم يكونوا فى نفس الامر كذلك حتى يصفوا بالعلم الجاهل وبالكرم المبذر و
بالشجاعة المتهور وبالظرف والطف الاخلاق الماجن وربما كان اقبال الدنيا عليهم ايضا سببا لاستعدادهم لتحصيل الكمالات النفسانية و
الملكات الفاضلة التى كانت محاسن لغيرهم قبلهم وان كانوا قبل ذلك غير اهل لشئ منها ويحتمل ان يريد بالمحاسن محاسن الدنيا من مركوب
وابهة وحسن الالة والمتعرف والملابس وكونها عارية باعتبار عدم دوامه وكذلك اذا ادبرت عنهم بحسب توافق اسباب الشقاوة فيهما فحجوا فى اعين
الناس حتى يكون لعدمهم ذو فضيلة فى نفسه يجحدها الناس ويصفونه بضدها فان زهد فى الدنيا نسبوه الى الرياء ولم تعد واحسن
اخلاقه نسبوه الى الخلاعة والمجون وان شجع نسبوه الى التهور والجنون وهو معنى سلبها المحاسن انفسهم وربما استعد ذو الفضيلة منهم بعد
لتركها واهمالها والتخلق بضدها حتى تسلب عنه الفضيلة بالكلية وقال عليه السلام خالطوا الناس مخالطة ان متم معها بكوا عليكم
وان غبتم حنوا اليكم نبه بذلك على حسن المعاشرة للناس ومعاملتهم بمكارم الاخلاق وكنى عن ذلك بقوله ان متم الى آخره اذ من لوازم
حسن المعاشرة والمخالطة المحبة التى فى حبوتهم وافتقاده والبكاء عليه بعد وفاته والجملة الشرطية فى موضع نصب صفة لمخالطة وقال عم
اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه وهو تنبيه على فضيلة العفو وحسن بانه يكونه شكرا للقدرة اى ملاذ
للشكر عليها وذلك ان القدرة على العدو نعمة من الله نعم يجب شكرها والاعتراف لله والخضوع له ويلزم ذلك الرقة وفتور الغضب ويتبع ذلك
العفو فاقام مقام الشكر لملازمته بينهما ولما كان الشكر واجبا كان العفو لازما وقال عم اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان
واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم الاخوان جمع اخ كخربان جمع خرب واراد الاصدقاء الصادقين وهذا الكلمة حث على مكارم الاخلاق لان
الاخوان لا يكتسبون الا بها وانما جعل العاجز عن تحصيلهم اعجز الناس لان ذلك لا يحتاج الى اتعاب قوة بدنية ولا اعمال فكرة عقلية و
انما يفتقر الى كرم الاخلاق وحسن المعاشرة والملاقات بالبشر والطلاقة وهى امور طبيعية فى اكثر الناس ومن اهون الاشياء عليهم فكان
العاجز عنها اعجز الناس عما هو مقدور لهم وانما جعل من ظفر بهم ثم ضيعهم اعجز لان المكتسب لا بد له من كلفة ما فى اكتسابهم واما الظافر
فهو غير محتاج الى ذلك القدر من الكلفة فكان سبب حفظ الاخوان اسهل من سبب تحصيلهم فكان المضيع لحفظهم عجز عن اكتسابهم
يعجز عن حفظ الامر الاسهل فان قلت فقد قال ان المضيع لهم اعجز من اعجز الناس فلا يكون اعجز الناس هف قلت لفظ الناس
لفظ مطلق وانما يلزم المحذوف ان لو كان للعموم وقال عم اذا وصلت اليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر تنبيه على

وذلك لان الراغب فى نفسه محتقر فيتقلب عنها الراغب عن نفسه وذا كمالها كمالها على غيرها فى النقصان غير معترض بها النقص هو ثبتت للناس فيكثر بذلك الناخط عليهم

كثيرة

وابهة

في مواعظه وحكمه ونصايحه واعلامه الناس بوعظه عليهم

وجوب الشكر على النعمة لغرض دوامها ونفر عن قلته بما يستلزمه من كونه سببا لنفورها عما يستقبل منها واستعار لفظ التنفير ملاحظة لشبهها بالطير المتنفر اذا اسقط او انه انفصل باخره وفيه ايماء الى ان دوام الشكر مستلزم لدوامها وكثرتها كقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم **وقال عليه السلام** من ضيعه الاقرب اتيح له الابعد اى قدر واراد ان الله سبحانه جعل لكل شيء سببا يجب معه وجوده ولما كانت منافع الانسان ومصالحه في الاغلب يقوم بها من كان اقرب اليه من اهله وعشيرته ولم يجب في الحكمة ان لا يكون له نفع له من جهتهم لاجرم انهم اذا ضيعوه واهملوه لابد ان يقيض الله له من يقوم بمصالحه ومعاونته ممن هو ابعد عنه **وقال عليه السلام** ما كل مفتون يعاتب لفتنة قد تكون في الدين وقد تكون في الدنيا وقد تكون فيهما وعلى التقديرات فقد تلحق الانسان بسبب منه من جهل بسيط او مركب وقد تلحقه باسباب قدرية خارجية معلومة وغير معلومة والذي يعاتب على فتنته من هؤلاء من كانت اسباب فتنته منه او بعضها كوقوع الفتنة لصاحبه الفساد ونحوه هذا اذا حملنا اللفظ على ظاهره ويحتمل ان يريد ليس كل مفتون ينفع معه العتاب **وقال عليه السلام** تذل الامور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير استعار ذل الامور لطاوعتها للقدر وجريانها على وفق القضاء ولما كان الانسان جاهلا باسرار القدر جاز ان يكون من غايات مطاوعة الامور للقدر كون ما يعتقده الانسان الجاهل مصلحة ويفعله تدبيرا لمنفعته سببا لحتفه وهلاكه وفيه ايماء الى وجوب اسناد الامور الى الله وعدم التوكل على التدبير لانقطاع اليد وسئل عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود فقال عليه السلام انما قال ذلك والدين قل فاما الان وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه فامرؤ وما اختار والنطاق شقة طويلة عريضة تجر على الارض اذا لبست وجران البعير صدره وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في اول الاسلام يامر اهل الشيب من المسلمين بتغيير شيبهم ويعدهم اليه وكان ينهاهم عن تركه لكونه تشبها باليهود لان اليهود لم يكونوا يفعلون ذلك فكانوا يخضبون بالسواد وقيل بالحناء والغرض ان ينظر اليهم الكفار بعين القوة والشبيبة فيفعلون عنهم ولا يطمعون فيهم فسئل عن ذلك في زمن خلافته فحمله من المباح دون المندوب واشار الى ان تلك السنة انما كانت حيث كان المسلمون قليلين فاما الان وقد كثروا وضعف الكفار فهو مباح وكنى عن ذلك بقوله فامرؤ وما اختار واستعار لفظ النطاق لملة وما انتشر منه ولفظ الضرب بالجران لثباته واستقراره وملاحظة لشبهه بالبعير البارك وقوله فامرؤ مبتداء وما اختار عطف عليه وما مصدرية وخبر المبتداء محذوف وتقديره مقرونان كقولهم كل امرئ وضيعته وبالله التوفيق **وقال عليه السلام** في الذين اعتزلوا القتال معه خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل منهم عبد الله بن عمر وجماعة من القراء وغيرهم كابي موسى الاشعري والاحنف بن قيس في حرب صفين ويشبه ان يكون هذا اشارة الى توسط دخولهم في الضلال بجريهم مجرى العدول فكانه قال انهم وان خذلوا الحق معنا لم ينصروا الباطل مع عدونا **وقال عليه السلام** من جرى في عنان امله عثر باجله وهو تنفير عن تطويل الامل بذكر قطعه بالاجل واستعار لفظ العنان له ملاحظة لشبهه بالفرس ولفظ الجري للاندفاع في الامل والعمل بحسب تطويله ولفظ العثار للامتناع عن ذلك الجري بعارض الاجل وقواطعه كعثار العادي بما يعرض له من حجر ونحوه **وقال عليه السلام** اقيلوا ذوي المروات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا ويد الله بيده يرفعه اقالة ذوي المروات عثراتهم التي يتفق وقوعها اياهم وتركهم لما لحقهم التدم عليه ونحوه بذكر كون يد الله بايديهم برفعهم واستعار لفظ العثرات لما يقع منهم خطاء ومن غير تثبت ولفظ اليد لعناية الله وقدرته وكنى عن تعلقها به وتداركه حاله بكون يده بيده برفعه وذلك ان المروة فضيلة عظيمة تستجلب همم الخلايق وقلوبهم ومساعداتهم بحسب ذلك يكون استعداد العاثر من ذوي المروات لعناية الله ووقايته من عثرته **وقال عليه السلام** قرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان والفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير اراد بالهيبة الخوف من المقابل وظاهر ان ذلك يستلزم عدم قضاء الحاجة منه والظفر بالمطلوب لعدم الانبساط في القول معه وهو معنى اقترانها بالخيبة وكذلك الحياء بالحرمان لاستلزام الحياء ترك التطلب والتعرض له وهو تنفير عن الهيبة والحياء المذمومين ثم امر بانتهاز فرص الخير اى المبادرة الى فعله عند حضور وقت امكانه ورغب في ذلك بتضمين صغراه قوله الفرصة تمر مر السحاب اى انها سريعة الزوال وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فواجب ان يبادر اليه ويغتنم وقت امكانه **وقال عليه السلام** لنا حق فان اعطيناه والا ركبنا اعجاز الابل وان طال السرى قال السيد وهذا من لطيف الكلام وفصيحه ومعناه انا ان لم نعط حقنا كنا اذلاء وذلك ان الرديف يركب عجز البعير كالعبد والاسير ومن يجري مجراهما وقال الازهري في تهذيب اللغة قال القتيبي اعجاز الابل ماخيرها جمع عجز وهو مركب شاق قال وما معناه ان منعناه ركبنا مركب المشقة وصبرنا عليه وان طال ولم نضجر منه محلين بحقنا ثم قال الازهري لم يرد عليه السلام ركوب المشقة ولكنه ضرب اعجاز الابل مثلا لتاخره عن حقه في حقه من الامامة وتقدم غيره عليه فاراد ان منعنا حقنا منها واخرنا عن ذلك صبرنا على الاثرة فيها وان طالت الايام والسرى سير الليل واقول الذي ذكره الثلثة احتمالات حسنة وهي متفاوتة بتفاوت ركوب الاعجاز مظنة للذلة والمشقة وتاخر المنزلة ويحتمل ان يكون كلها مرادة له ولم يفرق الازهري بين المثل والكناية فان ركوب الاعجاز كناية عن الامور المذكورة ولذلك طول السرى كناية عن طول المشقة لانه مظنتها وملزومها ويحتمل ان يكون كناية بالمثل **وقال عليه السلام** من ابطا به عمله لم يسرع به حسبه اى من لم يكن له عمل صالح حسن فتاخر بسبب ذلك عن معالى الرتب الاخروية والاخروية لم ينتفع به حسبه وشرف نسبه فيها ان كان ذا حسب وكنى ببطوء عمله عن عدم وصوله

في اعلام المؤمنين طرق علمهم

المبر بعدم ما يوصله اليه من نكتا لعمل الاستماع في مقابلة البطو وحصل **وقال ع** من كفارات الذنوب العظام اغاثة الملهوف والتنفيس
عن المكروب الملهوف المظلوم يستغيث والتنفيس التفريج من الغم الذي يأخذ بنفسه وجعلها من كفارات الذنوب العظام لكونها فضيلة
عظيمة تستلزم فضائل كالرحمة والعدل والسخاء والمروءة وغيرها وظاهر ان حصول هذه الملكات في النفس مما يستلزم شر الذنوب ومحوها
ومنافاة ملكات السوء التي يعبر عنها بالسيئات والذنوب كما سبقت الاشارة اليه **وقال ع** يا ابن آدم اذا رأيت ربك سبحانه
يتابع عليك نعمه وانت تعصيه فاحذره اي فاحذر ان ينقلك الانسان عن معصية الله خالف منا يجر نعمه عليه بجذبه منه وذلك ترك ما كان بعد
شكرها يعد للمزيد منها كان كفرانها ومقابلتها بالمعصية لعدم الشكر مستلزم لعدم الاستعداد للمزيد ومعدا للنقصان ونزول النقمة
كما قال لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وهو محل الحذر منه ولواو في قوله وانت للحال **وقال ع** ما اضمر احد شيئا
الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه الفلتة الامر يقع من غير روية وصفحة الوجه بشرته ولما كان الانسان انما يضمر في نفسه
امرا مهما عنده من عداوة او بغض ومحبة الى غير ذلك وكان الوجود اللساني عبارة عن الوجود النفساني ومظهرا له لم يتمكن المرء
ان يحفظ ما اضمره بالكلية لان مراعات ذلك تحفظا انما يكون للعقل بحسب ما يراه من المصلحة والعقل قد يشتغل بالتصرف في مهم
اخر فيغفل عن ضبط ما اضمره فينفلت الخيال به من سر العقل فليحضر في فلتات القول عن غير روية وكذلك لما كان للتصورات والامور
المقتضية مبادي للآثار الظاهرة كصفرة الوجل وحمرة الخجل لم ينفك بعض الامور المضمرة عن ظهور ما يعرف به من الآثار في صفحات
الوجه والعين وشاهد ذلك التجربة **وقال عليه السلام** امش بدائك ما مشى بك اي ما حملك اي وفي رواية ما مشى بك اي ما دام المرض يمهلك
ويعجزك فلا تنفعل عنه ولا تشتغل بزمانته بل كن في صورة الاصحاء وقيل فيه ايماء الى ما امر به من كتمان المرض كما قال الرسول صلعم من كنوز
البر كتمان الصدقة والمرض والمصيبة ومما كانت فائدة ذلك كونه نوع تجلد والتجلد معاونة للطبيعة وتقوية لها على المرض ومن
المرض ما يحلل بالحركات البدنية واستعار لفظ المرض وصفا لما يشبه باعتبار انه لا يلزما الارض والفراش فهو كالحامل له ولكا
به **وقال عليه السلام** افضل الزهد اخفاء الزهد منه ظاهر ومنه خفي وهو الزهد الحقيقي المنتفع به كما قال صلعم ان الله لا ينظر الى صوركم
ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم فلذلك كان افضل والمراد الزهد الخفي فاضاف الصفة الى الموصوف وقدمها لانها اهم ولان الزهد الظاهر
يكاد لا ينفك عن رياء وسمعة فكان مفضولا **وقال ع** اذا كنت في ادبار والموت في اقبال فما اسرع الملتقى
وهو جذب باقبال الموت والفائدة الحث على الاستعداد لما يبدع بالاعمال الصالحة والادبار والاقبال امران اعتباريان لان الانسان باعتبار
اجزاء مدته وفنائها يوما فيوما في ادبار وبحسب ذلك يكون اعتبار فنائها اليه وبحسبهما يكون سرعة التقائهما والملتقى مصدر **وقال ع**
الحذر الحذر فوالله لقد ستر حتى كأنه قد غفر حذر من سخط الله بسبب معصيته لطول امهاله وستره الى الغاية المذكورة وقوله فوالله
الى اخره صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من ستر على عبده الى الغاية المذكورة فواجب ان يحذر غضبه ويجتنب معصيته ويرجع الى طاعته
التي هي الغاية من عنايته بستره **وسئل عليه السلام** عن الايمان فقال الايمان على اربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد
فالصبر منها على اربع شعب على الشوق والشفق والزهد والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار
اجتنب المحرمات ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات واليقين منها على اربع شعب
على تبصرة الفطنة وتأول الحكمة وموعظة العبرة وسنة الاولين فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف
العبرة ومن عرف العبرة فكأنما كان في الاولين والعدل منها على اربع شعب على غائص الفهم وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة
الحلم فمن فهم علم غور العلم ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط في امره وعاش في الناس حميدا والجهاد
منها على اربع شعب على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين فمن امر بالمعروف
شد ظهور المؤمنين ومن نهى عن المنكر ارغم انوف المنافقين ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ومن شنئ الفاسقين
وغضب لله غضب الله له وارضاه يوم القيامة والكفر على اربع دعائم على التعمق والتنازع والزيغ والشقاق فمن تعمق لم ينب
الى الحق ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلالة
ومن شاق وعرت عليه طرقه واعضل عليه امره وضاق مخرجه والشك على اربع شعب على التماري والهول والتردد و
الاستسلام فمن جعل المراء دينا لم يصبح ليله ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ومن تردد في الريب وطئته سنابك
الشياطين ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما قال السيد وبعد هذا كلام طويل تركنا ذكره خوف الاطالة و
الخروج عن الغرض المقصود في هذا الكتاب **اقول** الدعائم عمد البيت والشعب الغصن والتبصر التعرف والتأويل التفسير والزهرة
النور والشنآن البغض والتعمق التعسف في معنى الكلام والعضل الشديد والتماري المماراة والهول الفزع والسنابك جمع سنبك وهو طرف حافر الفرس واعلم ان هذا الفصل من لطائف الحكمة ومداره على شرح قواعد الايمان والاشارة

الفرع ... [illegible]

الى فروع تلك القواعد ثم الى تلك ثمرات تلك الفروع ولما كان الكفر مضادا للايمان والشك مقابلا له مقابلة العدم للملكة
اشار الى دعائم الكفر وشعب الشك لتتبين بهما الايمان اذ بضدها تتبين الاشياء اما الايمان فاعلم ان المراد الايمان الكامل
وذلك له اصل وله كمالات بها يتم اصله فاصله هو التصديق بوجود الصانع تعالى وما له من صفات الكمال ونعوت الجلال
وبما نزلت به كتبه وبلغته رسله كالامور المهمة هي الاقوال الطائفية ومكارم الاخلاق والعبادات ثم ان هذا الاصل وتتمته هو
كمال النفس الانسانية لانها ذات قوتين علمية وعملية وكمالها بكمال هاتين القوتين فاصل الايمان هو كمال القوة العلمية
منها وتتمته وهي مكارم الاخلاق والعبادات هي كمال القوة العملية اذا عرفت هذا فنقول لما كانت اصول الفضائل الخلقية هي
كمال الايمان اربعا هي الحكمة والعفة والشجاعة والعدل اشار اليها واستعار لها لفظ الدعائم باعتبار ان الايمان الكامل لا
يقوم في الوجود الا بها كدعائم البيت فعبر عن الحكمة باليقين والحكمة منها علمية وهي استكمال القوة النظرية بتصور الامور و
التصديق بالحقائق النظرية والعملية بقدر الطاقة البشرية ولا تسمى حكمة حتى يصير هذا الكمال حاصلا لها باليقين البرهاني
ومنها عملية وهي استكمال النفس بملكة العلم بوجوه الفضائل النفسانية الخلقية وكيفية اكتسابها ووجوه الرذائل النفسانية
وكيفية الاحتراز عنها واجتنابها وظاهر ان العلم الذي صار ملكة هو اليقين وعبر عن العفة بالصبر والعفة هي الامساك
عن الشره في فنون الشهوات المحسوسة وعدم الانقياد للشهوة وقهرها وتصريفها بحسب الرأي ومقتضى الحكمة المذكورة و
انما عبر عنها بالصبر لانها لازم من لوازمه اذ ثبت انه ضبط النفس وقهرها عن الانقياد لقبائح اللذات وقيل هو ضبط
النفس عن ان يقهرها المكروه ينزل بها ويلزم في العقل احتماله او يغلبها حب مشتهى يتوق الانسان اليه ويلزمه في حكم
العقل اجتنابه حتى لا يتناوله على غير وجهه وظاهر ان ذلك يلازم العفة وكذلك عبر عن الشجاعة بالجهاد لاستلزامه
اياها اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه والشجاعة هي ملكة الاقدام الواجب على الامور التي يحتاج الانسان ان يعرض نفسه لاحتمال
المكروه والالام الواصلة اليه منها واما العدل فهو ملكة فاضلة ينشأ عن الفضائل الثلاث المذكورة وتلزمها وقد علمت فيما
سلف ان كل واحدة من هذه الفضائل محتوشة برذيلتين هما طرفا الافراط والتفريط منها ومقابلة برذيلة هي ضدها
واما شعب هذه الدعائم فاعلم انه جعل لكل دعامة منها اربع شعب من الفضائل تتشعب منها وتتفرع عليها فهي كالفروع لها
والاغصان اما شعب الصبر الذي هو عبارة عن ملكة العفة فاحدها الشوق الى الجنة وتحته للخيرات الباقية الثاني الشفق وهو الخوف
من النار وما يؤدي اليها الثالث الزهد في الدنيا وهو الاعراض بالقلب عن متاعها وطيباتها الرابع ترقب الموت وهذه الاربع
فضائل منبعثة عن ملكة العفة لان كلا منها مستلزمها واما شعب اليقين فاحدها تبصرة الفطنة واعمالها والفطنة هي سرعة
هجوم النفس على حقائق ما تورده الحواس عليها الثاني تأول الحكمة وهو تفسيرها واكتساب الحقائق ببراهينها واستخراج وجوه الفضائل
ومكارم الاخلاق من مظانها ككلام مأثور او عبرة يعتبر بها الثالث موعظة العبرة وهو ان يحصل من اعتبار العبر على اتعاظ وانزجار
الرابع ان يلحظ سنة الاولين حتى يصير كانه فيهم وهذه الاربع هي فضائل تحت الحكمة كالفروع لها وبعضها كالفرع للبعض
واما شعب العدل فاحدها غوص الفهم اي الفهم الغائص فاضاف الصفة الى الموصوف وقدمها للاهتمام بها ورسم هذه
هذه الفضيلة انها قوة ادراك المعنى المشار اليه بلفظ او كتابة او اشارة ونحوها الثاني غور العلم واقصاه وهو العلم بالشيء
كما هو بحقيقته وكنهه الثالث نور الحكم اي يكون الاحكام الصادرة عنه نيرة واضحة لا لبس فيها ولا شبهة الرابع ملكة الحلم
وعبر عنها بالرسوخ لان شان الملكة ذلك والحلم هو الامساك عن المبادرة الى قضاء وطر الغضب فيمن يجني عليه جناية يصل
مكروهها اليه واعلم ان فضيلتي جودة الفهم وغور العلم وان كانتا داخلتين تحت الحكمة وكذلك فضيلة الحلم داخلة تحت ملكة
الشجاعة الا ان العدل لما كان فضيلة موجودة في الاصول الثلاثة كانت في الحقيقة هي فروعها للعدل وبيانه ان الفضائل
كلها ملكات متوسطة بين طرفي الافراط والتفريط وتوسطها ذلك هو معنى كونها عدلا فهي باسرها شعب له وجزئيات تحته
واما شعب الشجاعة المعبر عنها بالجهاد فاحدها الامر بالمعروف والثاني النهي عن المنكر والثالث الصدق في المواطن المكروهة
ووجود الشجاعة في هذه الشعب الثلاث ظاهر والرابع شنآن الفاسقين وظاهر ان بغضهم مستلزم لعداوتهم في الله وثوران
القوة الغضبية في سبيله بجهادهم وهو مستلزم للشجاعة واما ثمرات هذه الفضائل فاشار اليها للترغيب في ثمراتها فثمرات شعب
العفة اربع احدها ثمرة الشوق الى الجنة وهو السلو عن الشهوات وظاهر كونه ثمرة له اذ السالك الى الله ما لم يتيقن الجنة وعد المتقين
لم يكن له صارف عن الشهوات الحاضرة مع توفر الدواعي اليها فلم يسل عنها الثانية ثمرة الخوف من النار وهو اجتناب المحرمات
الثالث ثمرة الزهد وهي الاستهانة بالمصيبات لان غالبها وعامها انما يلحق بسبب فقد محبوب من الامور الدنيوية فمن اعرض
عنها بقلبه كانت المصيبة بها هينة عنده الرابعة ثمرة ترقب الموت وهي المسارعة في الخيرات والعمل له ولما بعده واما ثمرات اليقين

العملية صح

الصحيح صح

شعبا صح

في ارشاد الناس طرق علمهم و سلوكهم

قال بعض شعبه ثمرة لبعض فان تبيين الحكمة وتعلمها ثمرات الاعمال الفطنة والفكرة وعبرة العبر ومواقع الاعتبار بالماضين والاستدلال
بذلك على صانع حكيم ثمرة لتبيين وجوه الحكمة وكيفية الاعتبار واما ثمرات العدل فجميع ما كان يعد وذلك ان جودة الفهم وغوص
مستلزم للوقوف على غور العلم وغامضه والوقوف على غامض العلم مستلزم للوقوف على شرايع الحكم العادل والفصل بها بين الخلائق
من القضايا الحق واما ثمرة العلم الحلم فعدم وقوع الحليم في طرفي التفريط والتقصير عن هذه الفضيلة وهو رذيلة الجبن وان يعيش
في الناس محمودا بفضيلته واما ثمرات الجهاد فاحدها ثمرة الامر بالمعروف وهو شد ظهور المؤمنين ومعاونتهم على اقامة
الفضيلة الثانية ثمرة النهي عن المنكر وهي ارغام انوف المنافقين واذلالهم بالقهر عن ارتكاب المنكرات واظهار الرذيلة الثالثة
ثمرة الصدق في المواطن المكروهة وهي قضاء الواجب من امر الله في دفع اعدائه والذب عن الحريم والرابعة ثمرة شنئان الفاسقين
والغضب لله وهي غضب الله لمن اغضبهم وارضاؤه يوم القيمة في ذكر امنه واما الكفر فسببه انه جحد الصانع او انكار احد رسله
عليهم او ما علم مجيئه به ... فمن تركه ... وما ذكره وكمالات ومتممات هي الرذائل الاربع التي جعلها دعائم له وهي الرذائل
من الاصول الاربعة المضادة للفضائل الخلقية فاحدها التعمق وهو الغلو في طلب الحق والتعسف فيه بالجهل والخروج الى حد الافراط
وهو رذيلة الجور من فضيلة العدل ويلزمه الجهل ببطلان طلب الحق ونفر عن هذه الرذيلة بذكر ثمرتها وهو عدم الانابة الى الحق
والرجوع اليه لكون تلك الرذيلة صارت ملكة الثانية التنازع وهو رذيلة الافراط من فضيلة العلم وتسمى جربزة ويلزمه
الجهل المركب ولذلك نفر عنه بما يلزمه وصيرورته ملكة من دوام العمى عن الحق الثالثة الزيغ ويشبه ان يكون رذيلة الافراط من فضيلة
العفة وهو الميل عن خلاف الوسط منها الى رذيلة الفجور ويلزمه الجهل ولذلك يلزمه قبح الحسنة وحسن السيئة وسكر الضلالة
واستعار لفظ السكر لغفلة الجهل باعتبار ما يلزمهما من سوء التصرف وعدم وضع الاشياء مواضعها ويحتمل ان يكون اشارة الى
رذيلة التفريط من فضيلة الحكمة المسماة غباوة الرابعة الشقاق وهو رذيلة الافراط من فضيلة الشجاعة المسماة تهورا او مستلزما
له ويلزمها توعر المسالك على صاحبها وضيق مخرجه من الامور لان مبداء سهولة المسالك واتساع المداخل والمخارج في
الامور هو مسالمة الناس والتجاوز عما يقع منهم والحلم عنهم واحتمال مكروههم واما الشك فعبارة عن التردد في اعتقاد احد طرفي
النقيض ويقابل اليقين كما سبق وذكر له اربع شعب احدها التماري في ظاهرات مبداء المراء الشك ونفر من اتخاذه ملكة وعادة
بكونه لا يصبح له وذلك كناية عن عدم وضوح الحق له من ظلمة ليل الشك والجهل الثاني الهول لان الشك في الامور يستلزم
عدم العلم بما فيها من صلاح او فساد وذلك يستلزم الفزع والخوف من الاقدام عليها وثمرتها النكوص والرجوع على الاعقاب
الثالث التردد في الشك اي الانتقال من حالة الى حالة ومن شك في امر الى شك في اخر من غير ثقة بشيء وذلك دائب من تعود
التشكك في الامور ونفر عن ذلك بما يلزمه مما كنى عنه بوطي سنابك الشياطين وهو ملك الوهم والخيال لارض قلبه حتى
يكون سلطان العقل بمعزل عن الجزم بما من شانه الجزم به الرابعة الاستسلام لهلكة الدنيا والاخرة ولزومه عن الشك لان الشاك في
الامور الدنيوية والاخروية المتوقف لذلك غير عامل لشيء منها ولا مهتم باسبابها بحيث لك يكون استسلامه لما يرد منها عليه ولزوم
هلاكه منهما للاستسلام ظاهر وبالله التوفيق **وقال ع** فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه وانما كان كذلك لان العلة
اقوى من معلولها فكان اقوى من خيريته وشريته وتاثيرهما فيما صدر عنه من خير او شر **وقال ع** كن سمحا ولا تكن
مبذرا وكن مقدرا ولا تكن مقترا وهو امر بفضيلة السماحة والكرم ونهي عن الكون على طرفي الافراط والتفريط منها فطرف
الافراط التبذير وطرف التفريط هو التقتير **وقال عليه السلم** اشرف الغنى ترك المنى جمع منية بمعنى التمني ولما كان
ذلك رذيلة عن رذائل كالشره والحرص ونحوهما وقلنا انها اشتغال عما ينبغي بما لا فايدة فيه رغب في تركها بان فسر اشرف
الغنى حتى جعله هو هو وذلك ان ترك المنى يستلزم القناعة واستلزامها للغنى النفساني وعدم الحاجة ظ **وقال عليه السلم**
من اسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون لما كان من شان الطبع التنفر عن الاذى وبغض الموذي وعداوته كان
من شانه في غالب الخلق فينبغي ذكره بما يمكن من قول صادق وكاذب ويحمل الغرض ان يوافقهم السامعون على بغضه واذاه
وقال ع من اطال الامل اساء العمل لما كان طول الامل في الدنيا مستلزما للاقبال عليها والانهماك في العمل لها و
الغفلة عن الاخرة كان ذلك عملا سيئا بالنسبة الى الاخرة **وقال عليه السلم** وقد لقيه عند مسيره الى الشام دهاقين الانبار
فترجلوا له واشتدوا بين يديه فقال ما هذا الذي صنعتموه فقالوا خلق منا نعظم به امراءنا فقال ع والله ما ينتفع بهذا
امراؤكم وانكم لتشقون على انفسكم وتشقون به في اخرتكم وما اخسر المشقة وراءها العقاب واربح الدعة معها الامان
من النار اشتدوا عدوا بين يديه والشقاء في الاخرة بذلك لانه تعظيم لغير الله وحاصله تنفيرهم عما عملوه ومعه
تعظيم صغراه قوله والله الى قوله اخرتكم ونبه على الكبرى بقوله وما اخسر المشقة واما العقاب فقد يرها وكلما كان مشقة على

النفس

في مواعظه لابنه الحسن ع

النفس ويتبعها العقاب في الآخرة فهو اشد الخسارة وجدير بهم الحذر لذلك بما يلزمه من الدعة والراحة في الدنيا مع الامان من التبا
فكانه قال فينبغي ان يتركوا ذلك التكلف فانه دعة وراحة مع الامان من التباعة وكلما كان كذلك فهو اعظم الارباح وانما يلزمهم الشقا
في الآخرة لكونه تعظيما لغير الله بما لا ينبغي الا لله وقال عليه السلم لابنه الحسن عليه السلم يا بنيّ احفظ عنّي اربعا واربعا لا يضرك
ما عملت معهن انّ اغنى الغنى العقل واكبر الفقر الحمق واوحش الوحشة العجب واكرم الحسب حسن الخلق يا بنيّ اياك
ومصادقة الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك واياك ومصادقة البخيل فانه يقعد عنك احوج ما تكون اليه واياك
ومصادقة البخيل فانه يقعد عنك احوج ما تكون اليه واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه واياك ومصادقة
الكذاب فانه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عنك القريب اقول انما قال اربعا واربعا لان الاربع الاول من باب
واحد وهو اكتساب الفضائل الخلقية النفسانية والاربع الثانية من باب المعاملة مع الخلق وقيل لان الاولى من باب الاثبات
والثانية من باب النفي اما الاربع الاولى فالعقل والمراد المرتبة الثانية من مراتب العقل النظري المسمى عقلا بالملكة وهو ان يحصل
للنفس من العلوم البديهية والحسية والتجربية قوة ان يتوصل بها الى العلوم النظرية وغاية ذلك ان يحصل على ما بعد هذه المرتبة
من مراتب العقل ورغب فيه بكونه اغنى الغنى وذلك انه به يحصل الدنيا والآخرة فهو اعظم اسباب الغنى وفيه الغنى الثانية الحمق
وهو رذيلة الغباوة وطرف التفريط من العقل المذكور ونفر عنه بكونه اكبر الفقر لانه سبب للفقر من الكمالات خصوصا النفسانية
التي بها الغنى التام فكان اكبر فقر الثالثة العجب وهو رذيلة الكبر ونقيض التواضع ونفر عنها بكونها اوحش الوحشة وظ كونها اقوى
اسباب الوحشة ونفرة الانس لان تواضع المتواضع لما استلزم انس الخلق به وشدة ميلهم اليه كان ضده مستلزما لنفرتهم
وتوحشهم التام منه الرابعة حسن الخلق ورغب فيه بكونه اكرم الحسب لكونه اشرف الكمالات الباقية وهذه المنفرات والمرغبات
صغريات ضمائر واما الاربع الثانية فالاولى الحذر من مصادقة الاحمق ونفر عنه بما يلزم حمقه من وضع المضرة موضع المنفعة
عند ارادته لعدم الفرق بينهما الثانية الحذر من مصادقة البخيل ونفر عنه بما يستلزم بخله من قعوده عن صاحبه عند الحاجة
واحوج حال من الضمير في عنك الثالثة الحذر من مصادقة الفاجر والفجور رذيلة الافراط من فضيلة العفة ونفر عنه بما يلزم فجوره
من قلة وفائه وبيعه بالتافه وهو القليل من المال الرابعة الحذر من مصادقة الكذاب ونفر عنه بتشبيهه بالسراب واشار الى
وجه الشبه بقوله يقرب الى آخره وبيانه ان الكذاب يوهم حقيقة ما يقول فيسهل الامور العسرة البعيدة ويجعلها قريبة المتناول ويبعد الامور
السهلة القريبة ويجعلها بعيدة المتناول بحسب اغراضه وكذبه مع انه ليس كذلك في نفس الامر كالسراب الذي يظن ماء وليس هو والتنفيرات
الاربع المفروضة بقوله فانه صغريات ضمائر تقدير كبرياتها وكلما كان كذلك فيجب تجنب صحبته ويجتنب مصادقته وبالله التوفيق و
قال عليه السلم لا قربة للنوافل اذا اضرت بالفرائض والاضرار بالفرائض نقيض بعض اركانها وشرائطها وقد يفعل
الانسان ذلك لتعبه من الاشتغال بالنوافل ولما يريد ان يستقبله منها ولا قربة فيما يستلزم ترك الواجب لاستلزامه المعصية
والعقاب ومنافاتهما للقربة وقال عليه السلم لسان العاقل وراء قلبه وقلب الاحمق وراء لسانه قال السيد ره وهذا
من المعاني العجيبة الشريفة والمراد به ان العاقل لا يطلق لسانه الا بعد مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة والاحمق تسبق حذفات لسانه
وفلتات كلامه على مراجعة فكره ومماخضة رأيه فكان لسان العاقل تابع لقلبه وكان قلب الاحمق تابع للسانه وروي عنه ع هذا الكلام
بلفظ آخر وهو قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه واقول انه استعار لفظ الوراء في الموضعين لما يعقل من تأخر لفظ العاقل
عن رويته ومن تأخر روية الاحمق وفكره فيما يقول عن نوادر مقاله من غير تحضير لعقله والمعنى ما اشار اليه السيد ره وعلى الرواية
الاخرى فالمراد ان ما يتصوره الاحمق هو في فيه اي يبرز على لسانه من غير فكر واما نطق العاقل فمخزون في عقله لا يخرج الا عن
روية وفكر ولفظ القلب في الاول مجاز فيما يبرز من تصوراته في الفاظه ولفظ اللسان مجاز في الفاظه الذهنية وقال
عليه السلم لبعض اصحابه في علة اعتلها جعل الله ما كان من شكواك حطا لسيئاتك فان المرض لا اجر فيه ولكنه يحط السيئات ويحتها
يستحق على ما كان في مقابلة فعل الله تعالى بالعبد من الآلام والامراض وما يجري مجرى ذلك والاجر والثواب يستحقان على ما كان في
مقابلة فعل العبد فبينهما فرق قد نبه ع كما يقتضيه علمه الثاقب ورأيه الصائب واقول دعاءه لصاحبه بما هو ممكن وهو حط السيئات
بسبب المرض ولم يرجع له بالاجر عليه معللا ذلك بقوله فان المرض لا اجر فيه والسر فيه ان الاجر والثواب انما يستحق بالافعال المعدة لهما كما
اشار اليه بقوله وانما الاجر في القول الى قوله الاقدام وكنى عن القيام بالعبادة وكذلك ما يكون كالفعل من عدميات الملكات
كالصوم ونحوه على ما بيناه قبل فاما المرض فليس هو بفعل العبد ولا عدم فعل من شأنه ان يفعله فلا حظ له للسيئات فباعتبار
امرين احدهما ان المريض تنكسر شهوته وغضبه اللذين هما مبدأ الذنوب المعاصي وما دونها والثاني انه من شأن المرض ان يرجع
الانسان فيه الى ربه بالتوبة والندم على المعصية والعزم على ترك مثلها كما قال تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما الآية

في ارشاد الناس طريق علمهم وسلوكهم

فما كان من السيئات حالات غير متمكنة من جوهر النفس فانه يتبع زوالها منها وما صار منها ملكة فربما يزول على طول المرض ودوام الانابة الى
الله تعالى واستعار لفظ الحت وشبهه في قوة الزوال عن المعاصي بحت الاوراق ثم نبه بقوله وان الله يدخل على ان العبد اذا
احتسب المشقة في مرضه لله بصدق نيته مع صلاح سريرته فقد يكون ذلك معدا لافاضة الاجر والثواب عليه ودخوله الجنة وبدخول ذلك في
اعدام الملكات الردية وتقريبه الى الله وكلام السيد رض مفهوم منه في الغرابة وقال عم في ذكر خباب بن الارت يرحم الله خبابا
فلقد اسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله اقول خباب بالخاء
المعجمة والباء المشددة كان من المهاجرين ومن الصحابة ومات بعد انصرافه من صفين بالكوفة وهو اول من قبره عم وقد مدحه باوصاف ثلثة
من اوصاف الصالحين احدها اسلامه عن رغبة فيه وهو الاسلام النافع الثاني مهاجرته الى رسول الله صلى الله عليه وآله طائعا وهي الهجرة التامة عن رغبة
في الله ورسوله الثالث كونه عاش مجاهدا مع رسول الله صلى الله عليه وآله للكفار واما في وقعته فللبغاة والخوارج والناكثين وقوله طوبى الى آخره
في معرض مدح خباب فيشعر بانه كان كذلك وطوبى فعلى من الطيب قيل هي في التفسير شجرة في الجنة وعنى بها في ذكر المعاد والحساب
المستلزم للعمل لهما والقناعة بالكفاف والرضاء عن الله في قضائه وقدره والقناعة فضيلة تحت العفة والرضا فضيلة تحت العدالة وقال
عم لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان يبغضني ما ابغضني ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على ان يحبني ما احبني
وذلك انه قضي فانقضى على لسان النبي الامي عليه السلام انه قال لا يحبك الا مؤمن تقي ولا يبغضك الا منافق شقي
الخيشوم اصل الانف والجمات جمع جمة وهو مجتمع الماء من الارض ولما كان الايمان الحق يوجب الاتحاد وصدق المحبة في الله بين المؤمنين
لا جرم لم يجتمع معها البغض ولما كان النفاق منافيا للايمان كان منافيا لما يلزمه من المحبة في الله فلا يجتمع معه ولو بذل له اجمل المال
للمنافق واستعار لفظ الجمات لمجامع اموال الدنيا ملاحظة لمشابهة المعقولة نعم قد يحصل بسبب ذلك محبة عرضية فانية بفناء مادتها
من بذل المال ونحوه ويلبس الكلام في ذلك النوع من المحبة وذلك سر قوله عم لا يبغضك الى آخره واحاله عم ذلك على ما قضي فانقضى
اي قدر على لسان النبي صلى الله عليه وآله وقال عليه السلم سيئة تسوءك خير عند الله من حسنة تعجبك اراد بالسيئة التي تسوءه كذنب
يصدر عنه فيندم عليه ويحزن لفعله وبالحسنة التي تعجبه كصلوة او صدقة يحصل منها اعجاب بها وظاهر ان تلك السيئة خير عند الله
من هذه الحسنة فلان الندم العاقب للسيئة ماح لها والحسنة المستعقبة للعجب مع احباطها لا يكون لها اثر هو سيئة ورذيلة تسود
لوح النفس فكانت السيئة اهون فكانت خيرا عند الله وقال عليه السلم قدر الرجل على قدر همته وصدقه على قدر مروته
وشجاعته على قدر انفته وعفته على قدر غيرته اشار الى امور اربعة وجعلها مبادي لامور اربعة احدها الهمة وجعلها مبدأ لقدر
الرجل وقدره وهو مقداره في اعتبار الناس عظم رتبته وتخيل ارتفاعه واحتقاره وهو من لوازم علو همته او دناءتها فعلو الهمة هو ان لا
يقتصر على بلوغ غاية من الامور التي يراد بها فضيلة وشرفا حتى يسمو الى ما وراءها مما هو اعظم قدرا واجل خطرا ويلزم ذلك تبجيله وتعظيمه
ومدحه وصغرها ان يقتصر على محقرات الامور ودناياها ويقصر عن عليائها وبحسب ذلك يكون صغر خطره وقلة قدره الثانية جعل
مبدأ الصدق المروة والمروة فضيلة يتعاطى معها الانسان الافعال الجميلة واجتناب ما يعود اليه بالنقص وان كان مباحا فلذلك
يلزمه الصدق في مقاله وبقدر قوة هذه الفضيلة وضعفها يكون قوة لازمها وضعفها الثالث جعل الانفة مبدأ للشجاعة والانفة
حمية الانف وثوران الغضب لما يتخيل من مكروه يعرض استنكارا له واستنكافا من وقوعه وظاهر كونه مبدأ للشجاعة والاقدام على الامور وبحسبها
تكون قوة الاقدام وضعفه الرابع جعل الغيرة مبدأ للعفة والغيرة نفرة طبيعية يكون من الانسان عن تخيل مشاركة الغير في امر محبوب له او
معتقد لوجوب حفظه وبحسب شدة ذلك الاعتقاد والتخيل وضعفهما وتصور وقوع مثل ذلك الفعل في نفسه وحرمه مثلا يكون امتناعه
عن مشاركة الغير وتوقفه عن اتباع الشهوة في مشاركة الناس في الامور المحبوبة لهم كزوجته ونحوها وهو معنى العفة وقال عليه السلم الظفر
بالحزم والحزم باجالة الرأي والرأي بتحصين الاسرار الحزم هو ان يقدم العمل للحوادث المتوقعة في باب الامكان قبل وقوعها بما هو اقرب
الى السلامة وابعد من الغرور وعلة اجالة الرأي اعماله وتحصين الاسرار كتمانها وحفظها واشار الى المبدأ القريب للظفر وهو الحزم والى البعيد
منها وهو كتمان السر والى الوسط منها وهو اجالة الرأي فاما سببية كتمان السر للرأي الصحيح فلان اظهار السر فيما يقصد من الرأي في الحرب
وغيرها يستلزم ظهور العدو على ذلك والعمل فيما يبطله ويفسده وذلك من فساد الرأي واما سببية اجالة الرأي في اختيار الاصلح
للحزم فلانه لولا ذلك لجاز ان يكون العمل المتقدم في الحوادث المستقبلة غير موافق فلا يحصل الحزم واما ان الحزم سبب للظفر فظ وقال عم
احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع اراد بالكريم شريف النفس ذا الهمة العلية وجوعه كناية عن شدة حاجته وذلك مستلزم
لثوران حميته وغضبه عند عدم التفات الناس اليه وحمل نفسه على المبالغة في طلبها كيف يصول عليهم به ويتسلط بواسطته على قهرهم
ومكافاتهم كما لولا بيعوا عليهم ونحوها فلذلك وجب الحذر منه والاحتراز من صولته بالالتفات الى حاجته ولو فات صونه بما يدفعها وشبع
اللئيم كناية عن غناه وعدم حاجته وذلك يستلزم استمراره على مقتضى طباعه من اللؤم وشبعه مؤكد لذلك فاما جوعه فربما كان سببا لتغير اخلاقه

وتخويدها

في بيان الأخلاق وكيفية سلوك الناس

وبحوبد بها الغرض واستمرار دي التشيع من الكلام على مقتضى طباعه من اللوم مستلزم لاذى من كان يختلطه ومن يحتاج اليه من الناس فمن الواجب ان يجتنب رضوانه ويحسم اسباب شعبه عند التمكن من ذلك **وقال عليه السلام** قلوب الرجال وحشية فمن تألفها اقبلت عليه جعل الوحشة هنا اصلية وذلك باعتبار كون الالفة مكتسبة والوحشة عدم الالفة عما من شانه ان يألف والمتغلظ **وقال عليه السلام** عيبك مستور ما اسعدك جدك سعادة الجد عبارة عن حسن البخت وتوافق اسباب المصلحة في حق الانسان ومن مصالحه ستر العيوب والرذايل ويحسب دوام ذلك يدوم سترها **وقال عليه السلام** اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة لما كانت فضيلة العفو انما تطلق في العرف على من قدر على العقوبة ولم يعاقب وكانت العفو والقدرة مقولين بالاشد والاضعف لا جرم كانت اولوية العفو بالعفو لاولوية القدرة واشدبتها اي من كان اشد قدرة على العقوبة كان اولى بان يسمى عفوا **وقال عليه السلام** السخاء ما كان ابتداء فاما ما كان عن مسألة فحياء وتذمم السخاء عبارة عن ملكة بذل المال لمن يستحقه بقدر ما ينبغي ابتداء عن طيب نفس وحسن المواساة لذوي الحاجة منه وبهذا الرسم يتبين ان ما كان من البذل عن مسألة فخارج عن رسم السخاء وذكر له سببين احدهما الحياء من السائل ومن الناس فيتكلف البذل لذلك الثاني الاستنكاف مما يقصد من السائل من الحاج او نسبته ما بالبخل ونحوه **وقال عليه السلام** اربع كلمات احديها لا غنى كالعقل ولما سبق ان الغنى عدم الحاجة ... والمراد بالجهل هنا ما يقابل العقل بالملكة وهو الحمق او ما يلازمه الثانية ولا ميراث كالادب الادب هو التحلي بمكارم الاخلاق وهو افضل من كل موروث من مال وقنية واراد المعونة ولا ظهير كالمشاورة لما كانت المشاورة يبلغ في غالب الاحوال الى الراي الصحيح فيما يراد من الامور والراي الصحيح انفع في التدبير من القوة وكثرة العدد كما قال ابو الطيب الراي قبل شجاعة الشجعان البيت لا جرم لم يكن للمشاورة التي هي مظنته ما يساويها في المعونة على المنفعة من الامور التي يستظهر بها ويستعان **وقال عليه السلام** الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عما تحب التعدد في الصبر هنا بتعدد موضعه لان حقيقته في الموضعين واحدة على ما عرفت حقيقته **وقال عليه السلام** الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة استعار لفظ الوطن للغنى في الغربة باعتبار انه يسكن اليه ويؤنس فلا يرى اثر الغربة على الانسان معه واستعار لفظ الغربة للفقر في الوطن باعتبار ضيق الخلق معه وتعسير الامور فيهما **وقال عليه السلام** القناعة مال لا ينفد القناعة هي ضبط قوة النفس عن الاشتغال بما يخرج عن مقدار الكفاية ومبلغ الحاجة من المعاش والاقوات وعدم ما يشاهد من ذلك عند الغير واستعار لها لفظ بوصف عدم النفاد باعتبار دوام الغنى معها كالمال الموصوف **وقال عليه السلام** المال مادة الشهوات اي منه يكون تسببها وزيادتها والمادة هي الزيادة وفي الكلمة تنفير عن الاستكثار من المال لما يلزمه من امداد الشهوة وتقويتها على مقتضى العقل **وقال عليه السلام** من حذرك كمن بشرك اراد من حذرك من الامر يكون يبشرك بالنجاة منه ووجه التشبيه ... على الحذر واستماع تحذيره لغرض النجاة بتشبيهه بالمبشر **وقال عليه السلام** اللسان سبع ان خلي عنه عقر استعار لفظ السبع للسان باعتبار انه ان ترك عن ضبط العقل لم ينطق بما فيه هلاك صاحبه كالسبع اذا لم يحفظ **وقال عليه السلام** المرأة عقرب حلوة اللبسة استعار للمرأة لفظ العقرب بالوصف المذكور باعتبارات من شأنها الاذى لكن اذاها مشوب بما فيها من اللذة بها فلا يحس به وهو كاذى المجرب المشوب بلذة في زيادة حكته **وقال عليه السلام** الشفيع جناح الطالب استعار له لفظ الجناح باعتبار كونه وسيلة له الى مطلوبه كجناح الطائر **وقال عليه السلام** اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام ووجه التشبيه قوله يسار بهم وهم نيام وذلك ان الدنيا لاهلها طريقهم فيها سائرون الى الاخرة فحالهم في غفلة عن ذلك والعمل لها حتى يوافوها فاشبهوا الركب الذين يسير بهم وهم نيام حتى يوافوا منازلهم **وقال عليه السلام** فقد الاحبة غربة استعار لفظ الغربة لفقد الاحبة باعتبار ما يلزمهما من الوحشة وعدم الانس **وقال عليه السلام** فوت الحاجة اهون من طلبها الى غير اهلها اي من اللئام وهو مخالف للتنفر وسائط الاصول وانما كانت اهون لان فوتها يستلزم غما ولعدما ما طلبها الى غير اهلها فانها لا تحصل غالبا فيستلزم غم فوتها ثم ثقل الاستنكاف والندم من رفعها اليهم ثم غم ذل الحاجة الى اللئام ولما عسيم كما قال الموت احلى من سؤال اللئام ثم غم ندم لها وهي غموم ازيد ... ثقل الاستنكاف ثم ذل الحاجة اليهم فكان فوتها اهون على كل حال وهذه الكلمة تجذب الى فضيلتي القناعة وعلو الهمة **وقال عليه السلام** لا تستحي من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه اراد ... في الاعتبار وذلك ان الحرمان هو عدم العطاء عما من شأنه ان يعطي وليس ذلك العدد من باب الكم ليحقر بالقلة والكثرة ونفر عن الحياء من اعطاء القليل بضمير صغراه قوله فان الحرمان اقل منه وتقدير كبراه وكلما كان الحرمان اقل فينبغي ان يستحيى منه بل من الحرمان الذي هو اقل منه **وقال عليه السلام** العفاف زينة الفقر العفاف العفة وقد علمت انها فضيلة القوة الشهوية والفقير اذا ضبط شهوته بزمام عقله عن ميولها الطبيعية كملت نفسه بفضيلة العفة وزان فقره بفضيلته في اعين الغير واذا اهملها واسلس مثلها انهمك في موارد القبح وقادته الى الهلع والحرص والحسد والمنى والكدية وحصل بسببها في اقبح صورة **وقال عليه السلام** اذا لم يكن

فاتمام

فيغيراهلها

في كيفية سلوك الناس ومعاشرتهم

ما تريد فلا تسئل كيف كنت اى انا فاتك مرادك من الامر فلا تسئل باى حال كنت عليه فى ذلك الامر ومفهوم هذه الكلمة النهى عن الاهتمام
والاسف على ما لم يقع من الامور المطلوبة وذلك ان الاسف على فوات المراد يستلزم غما وهما وهو مضرة عاجلة لا يثمر فايدة فان ذلك
سفه **وقال عم** لا ترى الجاهل الا مفرطا او مفرّطا الجهل اما بسيط وهو طرف التفريط من فضيلة الحكمة ويسمى غباوة واما مركب
وهو طرف الافراط منها وذلك ان الجاهل جهلا مركبا قد بالغ فى طلب الحق وحصل من اجتهاده على شبهة غطت عين بصيرته من ادراكه
مع جزمه بانها برهان اصاب به الحق وقد يسمى هذا الطرف جربزة فكان ابدا على احد الوجهين وبحسب جهله يكون حاله فى افعاله
واقواله على احد طرفى الافراط والتفريط **وقال عليه السلم** اذا تم العقل نقص الكلام تمام العقل يستلزم كمال قوته على ضبط القوى
البدنية وتصريفها بمقتضى الاراء المحمودة الصالحة وعدم ما يبرز الى الوجود الخارجى عنها من الاقوال والافعال بميزان الاعتبار وفى
ذلك من الكلفة والشرايط ما يستلزم نقصان الكلام بحذف ما لا يوزن ولا يعتبر من الاقوال **وقال ع** الدهر يخلق الابدان
ويجدد الامال ويقرب المنية ويباعد الامنية من ظفر به نصب ومن فاته تعب اخلاقه للابدان اعداده لضعفها وفسادها
بمرور وما يلحق اجزاءه وفصوله من الحر والبرد والمتاعب المستوثرة اليه وتجديده للامال بحسب الامر الحاصل بالبقاء والصحة وكثرة
ما يمر من ذلك المشايخ فان طول اعمارهم وتجاربهم لما يمر فيه من الحاجة والفقر يغريهم بالحرص على الجمع وعد الامل فيه لتحصيل لذاته
وتقريبه المنية بحسب خلاقه للابدان وتبعيده للامنية بحسب تقريبه للمنية ومن ظفر به اى بما انه واعدادوه لما يرغبون فيه من متاع
الدنيا نصب بها وشقى بضبطها وحفظها ومن فاته ذلك منه تعب فى تحصيلها وشقى بعدمها وراعى فى القرينتين الاوليين السجع
المتوازن وفى المتوسطين السجع المطرف وفى الاخيرتين السجع المتوازى **وقال عليه السلم** من نصب نفسه للناس اماما فليبدأ
ان يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم نفسه ومؤدبها احق بالاجلال من
مؤدب الناس ومعلمهم اشار الى اداب ائمة العلم ومكارم الاخلاق فالاول اوجب على الامام البداءة بتعليم نفسه اى برياضتها بما يعلم
من الاداب ليكون افعاله واقواله موافقة لعلمه وذلك لان الناس اقرب الى الاقتداء بما يشاهدونه من الافعال والاحوال منهم
بالاقوال فقط خصوصا مع مشاهدتهم لمخالفتها بالافعال فان ذلك يكون سببا لسوء الاعتقاد فى الاقوال المخالفة للفعل والجرأة
على مخالفتها مشهور منها وان كان لفظ الصدق والى مثل ذلك اشار القايل لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
الثانى ارشده الى البداءة فى التعليم بالسيرة وحميدة الافعال لما بينا ان الطباع لمشاهدة الافعال اطوع واسرع انفعالا الى الامتثال للاقوال
ثم يتابعها بعد ذلك بالاقوال ثم رغب فى تأديب النفس بكون مؤدب نفسه احق بالتعظيم والاجلال من مؤدب غيره وذلك لكون
مؤدب نفسه بالفضيلة وكونه تأديبه لغيره فرعا على تأديب النفس والاصل اشرف واحق بالتعظيم من الفرع وهو فى قوة صغرى ضمير
تقدير كبراه وكل من كان بالاجلال وجب عليه ان يبدأ بما لاجله كان احق بالتعظيم من غيره **وقال عليه السلم** نفس المرء خطاه
الى اجله استعار للنفس لفظ الخطا باعتبار انه يتعاقب وينقضى فهو يقرب من الغاية التى هى الاجل كالخطا المتعاقبة للسائر
للانسان الى غاية من طريق بعيد **وقال عليه السلم** كل معدود منقض وكل متوقع آت والكلمتان من المشهورات الخطابية فى
معرض الموعظة والاولى اشارة الى انفاس الحيوة وحركاتهم والثانية تخويف بما يتوقع من الموت وتوابعه **وقال عليه السلم**
ان الامور اذا اشتبهت اعتبر اخرها باولها اى اذا التبست فى مباديها معرفة وجه مصلحتها وتغير الدخول فيها قيس على ذلك
اخرها واستدل على انه كذلك فى العسر فيجتنب للتوقف عنها وعدم التعسف فيها ومن خبر ضرار بن ضمرة الضبابى عند دخوله على معوية
ومسئلته له عن امير المؤمنين عم قال فاشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله وهو قائم فى محرابه قابض على
لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول يا دنيا يا دنيا اليك عنى ابى تعرضت ام الى تشوقت لا حان حينك هيهات غرى
غيرى لا حاجة لى فيك قد طلقتك ثلثا لا رجعة فيها فعيشك قصير وخطرك يسير وأملك حقير آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر
وعظيم المورد **اقول** كان هذا الرجل من اصحابه فدخل على معوية بعد موته فقال له صف لى عليا فقال اوتعفينى عن ذلك فقال لا والله
لتفعلن فتكلم بهذا الفصل فبكى معوية حتى اخضلت لحيته والضباب بطن من قريش بن مالك بن النضر بن كنانة والسدول جمع سدل
وهو ما اسبل على الهودج والتململ التقلقل من الالم والهم والسليم الملسوع والوله اشد الحزن وقد نظر الى الدنيا بصورة امرأة
تزينت وتعرضت لوصوله اليها مع كونها مكروهة اليه فخاطبها بهذا الخطاب واليك من اسماء الافعال اى تنحى وعنى متعلق بما فيه
من معنى الفعل واستفهاما عن تعرضها به وتشوقها اليه استفهام استنكار لذلك منها واستحقارا لها واستبعادا للموافقة ايا فاعلى
ما تريد ولا حان حينك اى لا قرب وقتك اى وقت انخداعى لك وغرورك لى وقوله هيهات اى بعد ما تطلبين منى ثم امرها بغرور
غيره وهو كناية عن انه لا طمع لها فى ذلك منه لانه اراد منها غرور غيره وهذا كمن يقول لمن يخدعه وقد اطلع على ذلك منه خادع
غيرى اى ان خداعك لا يدخل على ثم خاطبها خطاب الزوجة المكروهة منا فراقها فاخبرها بعدم حاجته اليها ثم انشأ طلاقها ثلثا

لتحصل

من كلام له للشامي في جواب سؤاله

لتفصيل التبنونية بها مؤكدا لذلك بقوله لا يحتجز فيها وهو كناية عن غاية كراهيتها واكد ظلامها بليلة مع الى صغر نهارها التي هي مظنة الحسن والبهجا ثم اشار الى المغائب التي لاجلها كرهها وظلمها وهي صفر العيش اي مدة التجوز فيها وتنبير الخطر اي قلة قدرها ومحلها في نظره ثم حقارة ما يؤمل منها وثم تأوه من امور احدها قلة الزاد في السفر الى الله تعالى وقد علمت انه التقوى والاعمال الصالحة وهكذا شأن العارفين في استحقار اعمالهم الثاني طول الطريق الى الله ولا شيء في الاعتبار اطول مما لا نهاية له الثالث بعد السفر وذلك لبعد غايته وعدم تناهيها الرابع عظم المورد واول منازل الموت ثم البرزخ ثم موقف القيمة الكبرى والله المستعان ورُوِيَ وخشونة المضجع وهو القبر.

ومن كلام له عليه السلام للشامي لما سأل كان مسيرنا الى الشام بقضاء من الله وقدر بعد كلام طويل هذا مختاره ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حاتما ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد ان الله سبحانه امر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا واعطى على القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يرسل الانبياء لعبا ولم ينزل الكتب للعباد عبثا ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار **اقول** روى ان السائل لما قال له اخبرنا عن مسيرنا الى الشام كان بقضاء الله وقدره قال عليه السلام والذي فلق الحبة وبرئ النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا الا بقضاء وقدر فقال السائل عند الله احتسب عنائي ما ارى من الاجر شيئا فقال مه ايها الشيخ لقد اعظم الله اجركم في مسيركم وانتم سائرون وفي منصرفكم وانتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين فقال الشيخ وكيف والقضاء والقدر ساقانا فقال ويحك لعلك الى آخر الفصل الا ان بعد قوله والوعيد قوله والامر والنهي ولم تأت لائمة من الله لمذنب ولا محمدة لمحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وجنود الشياطين وشهود الزور واهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الامة ومجوسها ان الله تعالى امر تخييرا الى آخره فقال الشيخ فما القضاء والقدر اللذان ما سرنا الا بهما فقال هو الامر من الله تعالى والحكم ثم قرء قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه فنهض الشيخ مسرورا وهو يقول انت الامام الذي نرجوا بطاعته يوم النشور من الرحمن غفرانا اوضحت من ديننا ما كان ملتبسا جزاك ربك عنا فيه احسانا والويح كلمة ترحم والحاتم الواجب وتقرير سؤال السائل ان كان مسيرنا بقضاء من الله وقدره ولم يكن لنا في تعبنا ثواب وذلك ان القضاء قد يراد به في اللغة الخلق وما خلقه الله تعالى في العبد فلا اختيار له فيه وما لا اختيار له فلا ثواب له فيما فعله وقوله ويحك الى قوله والوعيد بيان للنشاء وهم وهو ما لعله يظنه من تفسير القضاء والقدر بمعنى العلم اللزوم والايجاد الواجب على وفقه وقوله ان الله سبحانه امر الى آخره اشارة الى تفسير القضاء بالامر كما صرح به في جواب السائل عن معناه مستشهدا في تفسيره بالامر والحكم بقوله تعالى وقضى ربك الآية ومعلوم ان امر الله وتخييره لا ينافي اختيار العبد في فعله وهذا الجواب اقناعي بحسب فهم السائل وربما فسر القضاء بانه عبارة عن ابداع الاول تعالى لجميع صور الموجودات الكلية والجزئية التي لا نهاية لها من حيث هي معقولة في العالم العقلي ثم لما كان ايجاد ما يتعلق منها بالمادة في مادته واخراج ما فيها من قبول تلك الصور من القوة الى الفعل لا يمكن الا على سبيل التعاقب لامتناع قبول المادة للصور الكثيرة دفعة فلا جرم بلطيف حكمته وجود الزمان المديد لتخرج فيه تلك الصورة من القوة الى الفعل واحدا بعد واحد كان القدر عبارة عن ذلك الايجاد لتلك الامور وتفصيلها واحدا بعد واحد كما قال تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم واعلم انه على هذا التفسير يمكن تقرير الجواب عن السؤال المذكور ايضا وذلك ان القضاء بالمعنى المذكور لا ينافي اختيار العبد وحسن تكليفه وثوابه وعقابه لان معنى الاختيار هو علم العبد بان له قوة صالحة للفعل والترك ممكنين مهيئة لهما اذا انضم اليها الميل الى الفعل المسمى ارادة فعل او النفرة المسماة كراهة ترك وذلك امر لا ينافي علم الله تعالى بما يقع او لا يقع من الطرفين وان حصل عنه وجوب فهو خارج عرضي ثم ان التكليف لم يرد على حسب ما في علم الله تعالى بل له مبدأ ان احدهما فاعلي وهو حكمته تعالى في ايجاده الموجودات على احكم وجه واتقنه وسوق ما هو ناقص منها من مبدأ ما الى كمالها شوقا ملائما لها والثاني قابلي وهو كون العبد بالصفة المذكورة من الاختيار ولما ذكر من لوازم الاختيار والتكليف المقصود من الحكمة لغايته امورا عشرة احدها امر العباده تخييرا او تخييرهم صد الثاني نهيهم تحذيرا وتحذيرا مفعول له الثالث تكليفهم اليسير ليسهل عليهم العمل فيرغبوا فيه الرابع عدم تكليفهم العسير لغرض ان يكونوا بحال الاختيار فلا يخرجون بالعسير الى تكليف ما لا يطاق كما اشار اليه تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر الخامس اعطاؤه على القليل كثيرا من العمل وذلك من لوازم اختيارهم ايضا السادس انه تعالى لم يعص حال كونه مغلوبا عنهم اذ هو القاهر فوق عباده بل لانه خلى بينهم وبين افعالهم وهيأهم لها وذلك من لوازم اختيارهم السابع انه لم يطع مكرها اي لم يكن طاعة مطيعهم له عن اكراه منه تعالى لهم عليها وذلك من لوازم اختيارهم الثامن ولم يرسل الانبياء لعبا بل ليكونوا مبشرين ومنذرين لمن اطاع بالجنة ولمن عصى بالنار وذلك من لوازم الاختيار التاسع ولم ينزل الكتب للعباد عبثا بل ليعرفوا منه وجوه تكليفهم واحكام افعالهم التي امروا ان يكونوا عليها وبيان حدود الله التي امرهم بالوقوف عندها وكل ذلك من لوازم اختيارهم العاشر ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا بل على وجوه من الحكمة منها ان يحصل لعباده بما هو سبب لهم من الفكر في آياتها اعتبار فينتبهوا من ذلك للطيف حكمته ويستدلوا على كمال عظمته كما قال تعالى ان في خلق

لهم قوله تعالى وقضى ربك

يريد الله بكم

في المواعظ والنصائح وارشاد الناس

السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب الايات وينفرهم عن اعتقاد غير ذلك بانه ظن الذين كفروا الاية اقتباس
وقال عليه السلام خذ الحكمة انى كانت فان الحكمة تكون فى صدر المنافق فتلجلج فى صدره حتى تخرج فتسكن الى صواحبها فى صدر المؤمن
امر بتعلم الحكمة اين وجدت ولو من المنافقين ونبه عن عدم شائبة من اخذها من بعض المواضع ان ياخذها من كل موضع وجدها بضمير
صغراه قوله فان الحكمة الى آخره وكنى بتلجلجها او اختلاجها عن اضطرابها وعدم ثباتها فى صدر المنافق وكونه ليس مظنة لها
غير مستقرة فيه الى ان تخرج الى مظنتها وهى صدر المؤمن فتسكن الى صواحبها من الحكم فيه وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فيجب على
المؤمن اخذه الى مظنته واخراجه من غير مظنته وقال عليه السلام فى مثل ذلك الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من اهل النفاق استعار لفظ
الضالة للحكمة بالنسبة الى المؤمن باعتبار انها مطلوبه الذى يبحث عنه وينشده كما ينشد الضالة صاحبها وقال عليه السلام قيمة كل امرء ما يحسنه
غرض هذه الكلمة الترغيب فى اعلى ما يكتسب من الكمالات النفسانية والصناعات ونحوها وقيمة المرء مقداره فى اعتبار المعتبرين ومحله فى
نفوسهم من استحقاق تعظيم وتبجيل او احتقار وانتقاص وظاهر ان ذلك تابع لما يحسنه المرء ويكتسبه من الكمالات المذكورة فاعلاهم
قيمة وارفعهم منزلة فى نفوس الناس اعظمهم كمالا وانقصهم دنية اخسهم فيما هو عليه من حرفة او صناعة وذلك بحسب اعتبار
عقول الناس للكمالات ولوازمها وقال عليه السلام اوصيكم بخمس لو ضربتم اليها آباط الابل لكانت لذلك اهلا لا يرجون
احد منكم الا ربه ولا يخافن الا ذنبه ولا يستحيين احد اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم ولا يستحيين احد اذا لم يعلم
الشىء ان يتعلمه وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالراس من الجسد لا خير فى جسد لا راس معه ولا فى ايمان لا
صبر معه كنى بضرب آباط الابل عن الرحلة فى طلبها وذلك ان الراكب للجمل يضرب بطنه بكعبيه فاحد الخمس الرجاء لله دون
غيره ومن لوازم ذلك خلاص العمل له ودوام طاعته الثانية ان يخاف ذنبه دون غيره وذلك ان اعظم مخوف هو عقاب الله
ولما كان انما يلحق العبد بواسطة ذنبه فبالاولى ان يجعل الخوف من الذنب دون غيره وهو جذب الى الهرب عنه بمبتكر الخوف
منه الثالثة عدم استحياء من لا يعلم الشىء من قول لا اعلم فان الاستحياء من ذلك القول يستلزم القول بغير علم وهو ضلال وجهل يستلزم
اضلال الغير وتجهيله وفيه هلاك الاخرة قال صلى الله عليه وآله من افتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والارض وقد يكون سببا للهلاك الدنيوى
ايضا الرابعة عدم استحياء من لا يعلم الشىء من تعلمه لما فى استحياء الجاهل عن التعلم من بقائه على جهله ونقصانه وهلاك اخرته
الخامسة فضيلة الصبر وامر باقتنائها لان كل الفضائل لا يخلو عنها واقل ذلك الصبر على اكتسابها ثم على البقاء عليها وعن
الخروج عنها ولذلك شبهها من الايمان بالراس من الجسد ووجه الشبه ان الصبر لما كان موجودا فى كل الفضائل التى مجموعها
هو الايمان فلا يقوم الايمان الا به اشبه الراس من الجسد فى عدم قيامه بدونه ثم اكد التشبيه والمناسبة بينهما بقوله لا خير فى جسد الى آخره
وقوله فان الصبر صغرى ضمير عنه به فيه وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فواجب اقتناؤه واخذه وقال عليه السلام لرجل افرط فى الثناء
عليه وكان له متهما انا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك فقوله انا دون ما تقول جواب افراطه فى المدح وقوله وفوق ما
فى نفسك جواب لما فى نفسه مما يتهمه به من عدم فضيلته وقال عليه السلام بقية السيف ابقى عددا واكثر ولدا لا ارى ذلك الا للعناية
الالهية ببقاء النوع وحفظه واقامته وما خلا من قتل من بنى والله اعلم وقال عليه السلام من ترك قول لا ادرى اصيبت مقاتله
ترك هذا القول كناية عن القول واصابة المقاتل كناية عن الهلاك الحاصل بسبب القول بالجهل لما فيه من الضلال والاضلال
وربما يكون بسببه هلاك الدنيا والاخرة وقال عليه السلام راى الشيخ احب الى من جلد الغلام وروى من مشهد الغلام جلده قوته وقدرته لانه
مقدم على القوة والشجاعة لاصالته منفعته وتمام خص الراى بالشيخ والجلد بالغلام لان كلا منهما مظنة لما خصه به فان الشيخ
مظنة الراى الصحيح لكثرة تجارب الشيخ وممارسته للامور والغلام مظنة القوة والجلد وعلى الرواية الاخرى فمشهده حضوره
والمعنى ظاهر وقال عليه السلام عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار القنوط الياس من الرحمة ولما كان الاستغفار باخلاص سببا للرحمة
بشهادة القرآن الكريم كما سيأتى كان القنوط معه محل التعجب وحكى عنه ابو جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام انه قال
كان فى الارض امانان من عذاب الله فرفع احدهما فدونكم الاخر فتمسكوا به اما الامان الذى رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وآله واما
الامان الباقى فالاستغفار قال جل ذكره وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال السيد وهذا
من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط كون وجود الرسول صلى الله عليه وآله بين الامة ورجوعها الى الله سببا لرحمته وكون الاستغفار المخلص
معدين لنزول رحمة الله ودفع عذابه مما يشهد به البحث العقلى وقد اكد ذلك بمنافعه الشاهد السمعى كما استخرجه وقال عليه السلام
ثلث كلمات احديها من اصلح ما بينه وبين الله اصلح الله ما بينه وبين الناس الثانية ومن اصلح امر آخرته اصلح الله امر دنياه الثالثة
ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ فاصلاح ما بينه وبين الله بتقواه المستلزم لرضاه ولما كان من تقواه
اصلاح قوتى الشهوة والغضب اللذين هما سبب الفساد بين الناس ولزوم العدل بينهما كان من لوازم ذلك الاصلاح اصلاح

ما بينه

ما بينه وبين الناس وكل ذلك من لوازم اصلاح امر الآخرة وعدم مجاذبة الناس بما في ايديهم والكف عن الشر فيما بينه وبينهم وذلك مع مسا
ومعاملتهم بمكارم الاخلاق التي هي من اصلاح امر الآخرة مستلزم انتفاعهم وميلهم الى من كان كذلك واقبالهم عليه بالنفع والمعونة
وكف الأذى وبحسب ذلك يكون صلاح دنياه ولان الدنيا المطلوبة لمن اصلح امر آخرته سهلة وهي مقدار حاجته على الاقتصاد
وذلك مما قد تكفلت العناية الالهية بتوفيره واصلاح مدة الحيوة الدنيا واما الثالثة فلان واعظ النفس باعث على تقوى
الله ولزوم العدل في قوتي الشهوة والغضب اللذين هما مبدأ الشر المستلزم للهلاك في الدين وذلك مستلزم لحفظ الله فيهما
وقال ع الفقيه كل الفقيه اي التام في العلم من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله كنى بقوله
كل الفقيه عن تمامه اي الفقيه الكامل في فقهه وذلك ان فقه وضع الكتاب العزيز علم ان غرضه الاول جذب الناس الى الله في سبيل
مخصوصة بوجوه من الترغيب (والترهيب) والوعد والوعيد والبشارة والنذارة وغيرها فمن ضرورة فقهه انه لا يقنط الناس من رحمة الله
بآيات وعيده ونذارته ولا يؤيسهم بذلك من روحه لما يلزم اليأس من اغراء العصاة بالمعصية واتباع الهوى الحاضر الذي لا يرجى
من نهي النفس عنه ثمرة في الآخرة ولذلك قال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا (على انفسهم) لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور
الرحيم وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وان لا يؤمنهم من مكر الله بالجزم بآيات وعده وبشارته لما يستلزم السكون الى
ذلك والاعتماد عليه من الانهماك في المعاصي والتمادي واتباع الهوى ولذلك قال تعالى افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
بل يكون تارة يعاتب ويعظه ويجذبه الى الله بمقاصد سنته ووضع شريعته وقال ع اوضع العلم ما وقف على اللسان وارفعه ما
ظهر على الجوارح والاركان كنى بالاول عن العلم الذي لا عمل معه وظهوره ووقفه على اللسان فقط وهو انقص درجات العلم واراد
بالثاني العلم المقرون بالعمل فان الاعمال الصالحة لما كانت من ثمرات العلم بالله وما هو اهله كان العلم فيها ظاهرا على جوارح العبد
واركانه ظهور العلة في معلولها وذلك هو العلم النافع في الآخرة وقال ع ان هذه القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف
الحكم النفوس قد يقع لها انصراف عن العلم الواحد وملال للنظر فيه بسبب مشابهة بعض اجزائه لبعض فاذا اطلعت النفس على بعضه
ظنت ان ما لم تعلم منه على ما علمت ولم يكن الباقي عندها من الغريب لتلتذ به وتقدم على النظر فيه ولما كان ذلك الملال والانصراف
غير محمود لها امر بطلب طرائف الحكمة واراد لطائفها وغرائبها المعجبة للنفس اللذيذة لها لتكون آلة في اكتساب الحكمة والتذاذ النفس بانتقالها من بعض
غرائبها الى بعض واراد بالحكمة الحكمة العملية واقسامها او اعم منها وقال ع لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة لانه ليس احد
الا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن فان الله سبحانه يقول واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة قال
عليه السلام ومعنى ذلك انه سبحانه يختبرهم بالاموال والاولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم
ولكن لتظهر الافعال التي بها يستحق الثواب والعقاب لان بعضهم يحب الذكور ويكره الاناث وبعضهم يحب تثمير المال ويكره انثلام الحال
قال السيد رض هذا من غريب ما سمع منه ع من التفسير حاصل الكلام ان الفتنة اعم من الفتنة المستعاذ منها لصدقها على المال والبنين
باعتبار ابتلاء الله تعالى عباده واختباره لهم بهما وهما غير مستعاذ منهما اذا راعى العبد فيهما امر الله ولزم طاعته واما الفتنة المستعاذ
منها فهي التي يستلزم الوقوع فيها الضلال عن سبيل الله كالخروج في المال عن واجب العدل وصرفه في امداد الشهوات واتباع
الهوى وقال ع (وسئل ع) عن الخير ما هو فقال ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك وان يعظم حلمك وان
تباهي الناس بعبادة ربك فان احسنت حمدت الله وان اسأت استغفرت الله ولا خير في الدنيا الا لرجلين رجل اذنب
ذنوبا فهو يتداركها بالتوبة ورجل يسارع في الخيرات ولا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل ما يتقبل اقول الخير في العرف
العامي هو كثرة المال والقنيات الدنيوية وفي عرف السالكين الى الله هو السعادة الاخروية وما يكون وسيلة اليها من الكمالات
النفسانية وربما فسره قوم بما هو اعم من ذلك وقد نفى ع ان يكون الاول خيرا وذلك لفنائه ومفارقته ولما عسى ان يلحق بسببه من
الشر في الآخرة وفسره بالثاني وعدّ فيه كمال القوى الانسانية فكثرة العلم كمال القوة النظرية للنفس العاقلة وعظم الحلم من كمال
القوة العملية وهو فضيلة القوة الغضبية ومباهاة الناس بعبادة ربه اي المفاخرة بها بالكثرة والاخلاص وحمد الله على توفيقه
للحسنة واستغفاره للسيئة وذلك من فضائل القوة الشهوية وكمال القوة العملية ثم حصر خير الدنيا في امرين وذلك ان الانسان
اما ان يشتغل بمحو السيئات واعدامها ويتدارك فارط ذنوبه ويعد نفسه بذلك لاكتساب الحسنات او يشتغل بايجاد الحسنات فيها
ولا واسطة من الخير المكتسب في مدة بين الامرين ثم حكم بعدم قلة العمل المقرون بتقوى الله منهما بذلك على ان تدارك الذنوب بمحوها والمسارعة
في الخيرات مستلزم للتقوى وانما كان غير قليل لانه مقبول عند الله والمقبول عنده مستلزم للثواب العظيم وذلك ترغيب في الامرين
المذكورين وقال ع ان اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاؤوا به ثم تلا عليه السلام قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم
للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا الآية ثم قال عليه السلام ان ولي محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته وان عدو

في ارشاد الناس طريق سلوكهم وعملهم

محمد من عصى الله وان قربت قرابته ولما كان الغرض من الانبياء عليهم السلم جذب الخلق الى الله بطاعته فكل من كان ابلغ في الطاعة كان اشد موافقة لهم واقرب الى قلوبهم واقوى نسبة اليهم ولما لم يمكن طاعتهم الا بالعلم بما جاؤا به كان اعلم الناس بذلك اقربهم اليهم واولاهم بهم وبرهان ذلك الاية المذكورة وذكر حال الانبياء ليعلم مراده الاجمالي ثم خصص الذكر بمحمد صلى الله عليه كما هو عادة الخطيب المراد بالولي هنا الاولى واشار الى ان طاعة الله علة للولاية والقرب بمحمد ومعصيته علة البعد وان بعدت قرابة المطيع او قربت قرابة العاصي ليعلم ان الطاعة والمعصية علتان مستقلتان للولاية والقرب بمحمد والعداوة له فيحصل الترغيب في الطاعة والتنفير عن المعصية **وقال ع**

وقد سمع رجلا من الحرورية يتهجد ويقرء القرآن فقال نوم على يقين خير من صلاة في شك والحرورية فرقة من الخوارج نسبوا الى حروراء بلد وبقيصر خرجوا بالنهروان وان كان اول اجتماعهم بها والتهجد السهر في العبادة وانما كان كذلك لان نوم العالم على يقين منه بما ينبغي نفعه وعلم ايضا بما ينبغي له من عبادة الجاهل على شك فيما ينبغي نفعه من اصول العبادة مما لا ينبغي له فيه من اتعاب البدن من غير فائدة فكان الاول اولى وخيرا من الثاني واراد ما هم عليه من الشك في الامامة امام الوقت الذي هو مبدأ تعليم العبادات وكيفيتها والعلم به ركن من اركان الدين فان الشاك فيه يستلزم عدم الاستفادة منه والشك في كثير مما يحتاج اليه فيه كعلم التوحيد واسرار العبادات وكيفية السلوك الى الله تعالى بطاعته **وقال ع** اعقلوا الخبر اذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل عقل الرعاية ضبطه بالفهم ورعاية العلم وعقل الرواية ضبط الفاظها وسماعها دون تفهم المعنى ورعب في ذلك بضميره صغراه قوله فان رواة العلم الى آخره وتقديره كبراه وكلما كان كذلك فينبغي ان يعقل عقل رعاية لتكثر رعاته لتكثر رعاته **وسمع** رجلا يقول انا لله وانا اليه راجعون فقال ان قولنا انا لله اقرار على انفسنا بالملك وقولنا وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك والكلمة تفسيرها ظاهر ومدحه قوم في وجهه فقال ع اللهم انك اعلم بي من نفسي وانا اعلم بنفسي منهم اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون واغفر لنا ما لا يعلمون هذا كسر لنفسه ع في مقابلة المدح الموجب للعجب ثم سأل الله ان يجعله وجده في الخير فوق ما يظنون به فيه وان يغفر له ما لا يعلمون من عيبه فان قلت انه معصوم فكيف يصدر عنه عيب يطلب مغفرته قلت قد بينا فيما سلف ان عيب مثله ع وما يسمى ذنبا في حقه انما هو من باب ترك الاولى وليس هو من الذنوب المتعارفة التي عصم عنها **وقال ع** لا يستقيم قضاء الحوائج الا بثلث باستصغارها لتعظم واستكتامها لتظهر وتعجيلها لتهنأ اشترط في استقامة قضاء الحوائج اي كونها على ما ينبغي من البذل ثلث شرائط احدها استصغارها فاعل الحاجة لها ليعرف بالسماحة وكبر النفس فيعظم عطاؤه ويشتهر الثانية ان يكتمها فان صاحب الناس ادعى الى اظهار ما استكتم واكثر حثا به من غيره الثالث ان يعجلها لتهنأ اي لتكون هنيئة يقال هنئ الطعام يهنأ وذلك لان الابطاء بقضاء الحاجة بنغصها على طالبها فتكون لذتها مشوبة بتكدير بطوءها **وقال ع** يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه الا الماحل ولا يظرف فيه الا الفاجر ولا يضعف فيه الا المنصف يعدون الصدقة فيه غرما وصلة الرحم منا والعبادة استطالة على الناس فعند ذلك يكون السلطان بمشورة الاماء وامارة الصبيان وتدبير الخصيان والماحل الساعي بالنميمة الى السلطان واصل المحل الكيد والمكر وروي الماجن وهو المتكلم بما يشتهي من الباطل والهزل والاستهزاء والغرم الدين يريد ان ذلك الزمان لسوء اهله وبعدهم عن الدين وقوانين الشريعة يجعل فيه الرذائل مكان الفضائل ويستعمل ما لا ينبغي مكان ما ينبغي فيقرب الملوك السعاة اليهم بالباطل مكان اصحاب الفضائل ومن ينبغي تقريبه ويعد الفاجر وهو صاحب رذيلة الافراط في قوة الشهوة صاحب فضيلة الظرف في حركاته ضعيفا عاجزا ويحتمل ان يريد بقوله يضعف اي يستضعف فلا يتركه الظالم كانه يرى انه ينبغي له اخذه وتعد فيه الصدقة التي ينبغي اداؤها برغبة طلبا للثواب غرما كاداء الدين في الثقل وكذلك تعد صلة الرحم منا وفيه ابطال للفضيلة المذكورة لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ويستطال بالعبادة على الناس ويترفع بها ربها كالمان عليهم بذلك ثم جعل من علامات ذلك الزمان كون السلطان والملك بمشورة الاماء وامارة الصبيان وتدبير الخصيان وهي علامات زمانية وقبله بمدة وروي ع وعليه ازار خلق مرقوع فقيل له في ذلك فقال يخشع له القلب وتذل له النفس ويقتدي به المؤمنون ذكر في لبس ذلك الخلق ثلثة مقاصد وخشوع القلب خضوع النفس العاقلة وانكسارها عن الفخر وذل النفس انكسار للنفس الامارة بالسوء عنه واقتداء المؤمنين به ذلك للفضيلة الاولين **وقال ع** ان الدنيا والاخرة عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان فمن احب الدنيا وتولاها ابغض الاخرة وعاداها وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما كلما قرب من واحد بعد من الآخر وهما بعد ضرتان استعار لفظ العدو لهما باعتبار ما بينهما من البعد لطالبهما وظ كونهما سبيلين مختلفين ومن لوازم ما بينهما من العداوة والاختلاف كون المحب لاحدهما مبغضا للاخرى ثم شبههما بالمشرق والمغرب ووجه التشبيه تباينهما واختلاف جهتيهما وشبه الطالب لهما بالماشي بينهما ووجه التشبيه قوله كلما قرب الى آخره فان الطالب للدنيا بقدر توجهه في طلبها يكون غفلته على الآخرة وانقطاعه عنها وكلما امعن في تحصيلها ازداد غفلة وبعدا عن الآخرة وبالعكس كالماشي الى احد جهتي المشرق والمغرب ثم شبههما بعد ذلك بالضرتين

فيه

ووجه التشبيه

ووجه التشبيه ايضا ان القرب من احدهما يستلزم البعد عن الاخرى كالزوج ذي الضرتين وعن نوف البكالي قال رأيت امير المؤمنين ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر الى النجوم فقال يا نوف اراقد انت ام رامق فقلت بل رامق يا امير المؤمنين يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة اولئك قوم اتخذوا الارض بساطا وترابها فراشا وماءها طيبا والقرآن شعارا والدعاء دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح يا نوف ان داود قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال انها لساعة لا يدعو فيها عبد الا استجيب له الا ان يكون عشارا او شرطيا او صاحب عرطبة وهي الطنبور او صاحب كوبة وهي الطبل وقد قيل ان العرطبة الطبل والكوبة الطنبور

اقول البكالي بكسر الباء منسوب الى بكالة فرقة من اليمن والرامق المنتظر والعريف نقيب الشرطية وكان خروجه في ذلك الوقت لما نقله عن داود ولانه محل الفراغ للاعتبار والفكر في خلق السموات ونبههم ثم عرف الزاهدين في الدنيا بستة اوصاف لغرض الاقتداء بهم احدها اتخاذهم الارض بساطا الثاني وترابها فراشا الثالث وماءها طيبا وذلك من لوازم زهدهم في متاعها وتركهم عن طيب نفس بذلك الرابع اتخاذهم للقرآن شعارا الخامس الدعاء دثارا واستعار لفظ الشعار للقرآن باعتبار ملازمتهم لدرسه وتفهم مقاصده كالشعار الملازم للجسد ولفظ الدثار للدعاء باعتبار اخراسهم به من عذاب الله لشدائدها التي تلزمهم كالاحتراس بالدثار عن البرد ونحوه السادس قرضهم للدنيا اي قطعها عنهم بالسير بل بدفع صرفهم منها كما فعله المسيح من هذه الاوصاف وكان قيامه عليه السلام في النصف الاخير من الليل وانما كان مظنة الاجابة لخلو النفس فيه عن الاشتغال بشواغل النهار المحسوسة وتوفرها بعد النوم على الالتفات الى حضرة الملأ الاعلى واستعدادها لقبول السوانح الالهية وانما استثنى المذكورين للازمتهم المعصية التي تحجب نفوسهم عن قبول رحمة الله تعالى **وقال ع** ان الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها وحد لكم حدودا فلا تعتدوها ونهاكم عن اشياء فلا تنتهكوها وسكت لكم عن اشياء ولم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها فرائض الله واجباته وحدوده ما اباحه من نعمته ورخص فيه والاشياء المنهي عنها ما جاز حدوده من المحرمات والرذائل وما سكت عنه ككيفية ذاته ونوع علم لا نفع له في الآخرة فانه لم يسكت عنه نسيانا لتقدسه عن ذلك بل لعدم فايدته في الآخرة واستلزام الاشتغال به ترك الاشتغال بعلم نافع فيلزم منه الضرر **وقال** لا يترك الناس شيئا من امر دينهم لاستصلاح دنياهم الا فتح الله عليهم ما هو اضر منه لما كانت مطالب الناس في الدنيا اذا فتح باب الطلب لها غير متناهية لكون كل مطلوب يحصل معدا لطلب الزيادة فيه والاستكثار منه وتحصيل شرائطه ولوازمه كان بعد الانسان عن الله بقدر قربه من الدنيا وبعد امله فيها كان كل امر يستصلح به الدنيا الا ويهادينا معد الفتح باب من ابواب طلبها واصلاحها وهو اضر من الاول لكونه اشد ابعادا لانها ابعادا عن الله **وقال ع** رب عالم قد قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه اراد العالم بما لا ينفع فيه من العلوم كعلم السحر والنيرنجات بل كعلم النحو وغيره من العلوم العقلية مثلا من جهل شرائع الاسلام فافتى بغير علم او تعدى حدا وارتكب منهيا فكان ذلك سبب هلاكه في الدنيا والآخرة او كعلم ما لا نفع فيه في الآخرة استلزم ترك علم مهم منها فكان سبب هلاكه مع عدم انتفاعه وخلاصه بما علم **وقال ع** لقد علق بنياط هذا الانسان بضعة هي اعجب ما فيه وهو القلب وان له موادا من الحكمة واضدادا من خلافها فان سنح له الرجاء اذله الطمع وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه الياس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان اسعده الرضا نسي التحفظ وان غاله الخوف شغله الحذر وان اتسع له الامن استلبته الغرة وان اصابته مصيبة فضحه الجزع وان افاد مالا اطغاه الغنى وان عضته الفاقة شغله البلاء وان جهده الجوع قعد به الضعف وان افرط به الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد **اقول** النياط عرق علق به القلب فالمراد انه على عرق واراد بالمواد من الحكمة الفضائل الخلقية فانها باسرها من الحكمة وهي العلم بما ينبغي ان يفعل وهو الاصلح في كل باب وهي مواد كمال القلب واشار باضدادها المخالفة لها الى الرذائل المضادة للفضائل وهي التي اطراف التفريط والافراط منها فالاولى الطمع وهو رذيلة الافراط من الرجاء ونفرعنها بما يلزمها من اللذة للمطموع فيه وبما يلزم اشتداد الطمع من الحرص المهلك في الدارين الثانية الياس وهو رذيلة التفريط من الرجاء ونفر عنها بما يلزمها من شدة الاسف القاتل الثالثة رذيلة الافراط من الغضب وهي اشتداد الغيظ المسمى طيشا والوسط من الغضب فضيلة الشجاعة وكظم الغيظ الرابعة ترك التحفظ ونسيانه وهو رذيلة الافراط من رضا الانسان بما يحصل عليه من دنياه الخامسة رذيلة الافراط من عروض الخوف وهي الاشتغال بالحذر عما ينبغي عمله وضده والذي ينبغي فيه الاخذ بالحزم وترك الافراط في الخوف والعمل اللائق بالمخوف السادسة رذيلة التفريط في عروض ضده وهو الامن وهي استلاب الغرة لعقل الامن حتى لا يفكر في مصلحته وحفظ ما هو عليه من الامن السابعة رذيلة التفريط من فضيلة الصبر على المصيبة وهي الجزع ونفر عنه بما يلزمه من الانفضاح به الثامنة رذيلة الافراط من حصول المال وهو الطغيان بكثرته والغنى منه والطغيان رذيلة التاسعة رذيلة التفريط من الصبر على الجوع وذكر لازمها وهو قعود الضعف به عما ينبغي ونفر بها عنها الحادية عشر رذيلة افراط الشبع من فضيلة القصد فيه وما يلزم تلك الرذيلة من جهد البطنة ونفر عنها بما يلازمها ثم ختم ذلك بالتنفير من طرف الافراط والتفريط فيها اجمالا بما يلزم التفريط من مضرة القلب بعدم الفضيلة ويلزم الافراط فيها من افساده

في مواعظ الارشاد للناس

مجرى وجه عنها وبالله العصمة وقال عم نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالي واليها يرجع الغالي النمرقة الوسادة الصغيرة واستعار لفظها له
ولاهل بيته بصفة الوسطى اعتبارا لكونهم ائمة الحق ومستند الخلق في تدبير معاشهم ومعادهم على وجه العدل المتوسط بين طرفي الافراط و
التفريط ومن حق الامام الحق المتوسط في الامور ان يلحق به التالي اي المفرط المقصر وان يرجع اليه الغالي اي المفرط المتجاوز لحد العدل وقال عم
لا يقيم امر الله سبحانه الا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع المصانعة المصالحة برشوة ونحوها والمضارعة مفاعلة من الضرع وهو الذلة
كان كلا منهما يضرع للآخر وظاهر ان مصانعة الغير يستلزم طلب رضاه وذلك يمنع من اقامة حدود الله وامره في حقه وكذلك المضارعة واتباع
المطامع من الغير فانهما يستلزمان ترك مواجهته بما يشق عليه من اوامر الله وحدوده وقال عم وقد توفي سهل بن حنيف الانصاري بالكوفة
بعد مرجعه معه من صفين وكان من احب الناس اليه لو احبني جبل لتهافت قال السيد ومعنى ذلك ان المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب
اليه ولا يفعل ذلك الا بالاتقياء الابرار والمصطفين الاخيار وهذا مثل قوله عم من احبنا اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا وقد يؤول ذلك
على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره اقول تهافت سقط قطعة قطعة وذلك مبالغة في كثرة ما يلحقه ويحيط به من المصائب والابتلاء وقوله من احبنا
فليستعد للفقر جلبابا اي ليهيئ له ذلك والجلباب مستعار لتوطين النفس على الفقر والصبر عليه ووجه الاستعارة كونهما ساترين للمستعد بهما
من عوارض الفقر وظهوره في سوء الخلق وضيق الصدر والتحير الذي ربما يؤدي الى الكفر كما يشير اليه المحنة ولما كانت محبتهم عليهم السلم يصدق
يستلزم متابعتهم والاقتداء بهم والاستشعار بشعارهم ومن شعارهم الفقر ورفض الدنيا والصبر على ذلك وجب ان يكون كل محب لهم مستشعرا
للفقر ومستعدا له جلبابا من توطين النفس عليه والصبر وقد ذكر ابن قتيبة هذا المعنى بعبارة اخرى فقال من احبنا فليقتصر على التقلل من الدنيا
والتقنع فيها قال وشبه الصبر على الفقر بالجلباب لانه يستر الفقر كما يستر الجلباب البدن قال ويشهد بصحة هذا التاويل ما روي انه عليه السلم
راى قوما على بابه فقال يا قنبر من هؤلاء فقال شيعتك يا امير المؤمنين فقال ما لي لا ارى فيهم سيما الشيعة قال خمص البطون من الطوى يبس
الشفاه من الظماء عمش العيون من البكا وقال ابو عبيد انه لم يرد الفقر في الدنيا الا ترى ان فيمن يحبهم مثل ما في سائر الناس من الغنى وانما اراد الفقر
يوم القيمة واخرج الكلام مخرج الوعظ والنصيحة والحث على الطاعة فكانه اراد من احبنا فليعد لفقره يوم القيمة ما يجبره من الثواب والتقرب الى
الله تعالى والزلفة عنده قال السيد المرتضى رض والوجهان جميعا حسنان وان كان قول ابن قتيبة احسن فذلك معنى قول السيد رض وقد يؤول
ذلك على معنى آخر وذكر القطب الراوندي احتمالا ركيكا لا يصلح محملا لهذا الكلام فلم نطول بذكره وقال عم سبع عشرة كلمة احدها لا مال اعود
من العقل ولا وحدة اوحش من العجب ولا عقل كالتدبير اي اعود بالنفع على صاحبه واستعار لفظ المال للعقل باعتبار ان به غنى النفس
وهو راس مالها الذي به يكتسب الارباح الباقية والكمالات المسعدة كالمال الذي به الكمال الظاهر ولما كان بين المالين من التفاوت في الشرف ما
علمت لا جرم لم يكن مال اعود منه بالنفع الثانية ولا وحدة اوحش من العجب وجعل الوحدة من حيث العجب باعتبار ما يستلزم فانه من الوحشة
الموحشة وقد سبق بيان استلزام العجب لها الثالثة ولا عقل كالتدبير اراد بالعقل تصرف العقل العملي فاطلق عليه اسمه مجازا اطلاقا لاسم
السبب على المسبب وظاهر ان جملة تصرفه التدبير واستخراج الاراء المصلحية في الامور ولما كان المقصود منه التدبير لا جرم لم يكن له تصرف
يشبهه في الفعل مثله الرابعة ولا كرم كالتقوى والمفهوم من الكرم بذل ما ينبغي بذله ولما كان تقوى الله عبارة عن خشيته وكان من لوازمه
الزهد في الدنيا والاعراض عن متاعها كان ذلك في الحقيقة بذلا لجميعها واذا كان بذل بعض قيناتها يسمى كرما فبذلها باسرها ممن
ينبغي له ذلك اولى ان يكون كرما لا يشبهه كرم كما قال عم فيما سبق في وصفها ورايتها محتاجة فوهبت جملتها لها الخامسة ولا قرين كحسن الخلق فكان
الاخلاق الحسنة وظاهر انه ليس فيما يعد قرينا اشرف منها لان غاية سائر القرناء ان يستفاد من صحبتهم حسن الخلق بنفسه الذي هو الغاية
قرينا اشرف من ذي الغاية التي عساه لا يحصل منه فلا قرين اذن يشبهه السادسة ولا ميراث كالادب وقد مر بيانه عن قرب السابعة ولا قائد
كالتوفيق اي الى المطالب ولما كان التوفيق عبارة عن توافق اسباب الشيء وشرايطه حتى يكون مجموعها مستلزما لحصوله لا جرم لم يكن للمرء قائد
الى مطالبه كالتوفيق في سرعة وصوله الثامنة ولا تجارة كالعمل الصالح استعار لفظ التجارة له باعتبار كونه مستلزما للخير كالتجارة المستلزمة
للربح ولما كان شرف التجارة بشرف ربحها وربحها فكلما كان الربح اشرف كانت التجارة اشرف ولما كان ربح هذه التجارة الثواب الدائم الاخروي
الذي لا ربح اعظم منه لم يكن لتجارة العمل الصالح ما يشبهها من التجارات التاسعة ولا ربح كالثواب وهو ظاهر العاشرة ولا ورع كالوقوف
عند الشبهة قد يفسر الورع بانه الوقوف عن المناهي والمحرمات ولما كان الوقوف عما اشتبه من الامور الزهد في الحرام هو المامور به والواجب
دون غيره من اصناف الزهد كان افضل فضيلة الواجب على المندوب الثانية عشرة ولا علم كالتفكر اي كالعلم الحاصل عن التفكر وذلك
بالقياس الى ما يدعى علما من حفظ المنقولات كالاحاديث والسير ونحوها والى العلوم الحاصلة عن الحواس لان العلم الفكري كلي وهو اشرف
وحكم الشارع والخطيب اكثري ولذلك التفكر فيما ينبغي من خلق السموات والارض وما خلق الله من شيء وتحصيل العبرة منه واطلق اسم التفكر على العلم
الحاصل عنه اطلاقا لاسم السبب على المسبب ويحتمل ان يريد العلم بكيفية التفكر والقوانين التي تعصم مراعاتها الفكر من الضلال الثالثة
عشرة ولا عبادة كاداء الفرائض لكونها واجبة والواجب اشرف من غيره الرابعة عشرة ولا ايمان كالحيا والصبر لا ايمان كايمان كمل

ضيق

وما سيما الشيعة قال

وصحبتهم حسن الخلق وكونه

بالحيا

٨ ج

في مواعظ ونصائح لارشاد الناس

بالحياء والصبر وذلك شرف هاتين الفضيلتين كما سبق واطلقها على الايمان مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه الخامسة عشر ولا حسب
كالتواضع لما كان الحسب ما يعد من المآثر والفضائل كان التواضع شرف ما يعد بالقياس الى كثير منها لما يستلزم من الحوادث كما سبق
بيانه السادس عشر ولا شرف كالعلم اى كشرف العلم فاطلق اسم الملزوم على اللازم مجازا وظاهر ان العلم اشرف الكمالات ولا شرف كشرفه السابع
عشر ولا مظاهرة اوثق من مشاورة اى اقوى وقد مر بيانها في قوله ولا ظهير كالمشاورة واعلم ان الحكم في كثير من هذه الكمالات اكثرى وغرضه
الترغيب في العقل والتدبير والتقوى وحسن الخلق والادب والتوفيق بالرغبة الى الله فيه والعمل الصالح والثواب والوقوف عند الشبهة
والزهد في الحرام والفكر والمحافظة على الفرائض وافشاء الحيا والصبر والتواضع والعلم والمشورة في الامور **وقال ع** اِذا استولى
الصَّلاحُ عَلى الزَّمانِ واَهلِهِ ثُمَّ اَساءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَم تَظهَر مِنهُ خِزيَةٌ فَقَد ظَلَمَ وَاِذا استَولى الفَسادُ عَلى الزَّمانِ واَهلِهِ
ثُمَّ اَحسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَد غَرَّرَ قد مر ان الزمان من جملة الاسباب المعدة لتوافق اسباب صلاح الخلق في معاشهم ومعادهم
فيسمى زمان الصلاح والخير كما هو من جملة الاسباب المعدة لعدم ذلك فيقال فسد الزمان وزمان فاسد والاول هو الزمان
الذي استولى الصلاح عليه وعلى اهله وبحسب ذلك يكون مظنة فعل الخير وان يحسن الظن باهله فمن اساء الظن في احد منهم لم يظهر
منه ما يجري به عند الناس من فعل رذيلة فقد وضع اساءة ظنه في غير موضعها وهو خروج عن العدل وظلم وحرج اى اثم والثاني
هو الزمان الذي استولى الفساد عليه وعلى اهله وبحسب ذلك يكون مظنة فعل الشر وسوء الظن باهله فمن احسن الظن في احدهم فقد
غرر اى اوقع نفسه في الغرة به والغفلة عن حاله وقيل له يا امير المؤمنين كيف نجدك فقال كيف يكون حال من يفنى ببقائه
ويسقم بصحته ويؤتى من مأمنه اجاب بصورة حاله على طريق الموعظة والتشكي ولما كان البقاء عبارة عن استمرار زمان الوجود وكان
استمرار الزمان وتعاقب اجزائه مقربا للاجل كان البقاء سببا في فنائه وكذلك لما كان من غايات الصحة السقم كانت الصحة سببية في
سقمه واما كونه يؤتى من مأمنه فيشبه ان يكون المأمن هنا مصدرا والمراد ان الداخل على المرء ونزول ما يكره به من الموت واهوال
الآخرة من امنه في الدنيا وسكونه اليها وغفلته عما وراءها مما لا بد منه ويحتمل ان يكون المأمن محل الامن وهو الدنيا ومعنى كونه
يؤتى من مأمنه اى ان ما يدخل عليه من الادواء التي فيها هلاكه والمصائب التي تلحقه هو من احوال الدنيا التي هي مأمنه وعوارضها
التي يعرض له ما منه حال امنه فيه بحيث لا يمكنه الاحتراز منه **وقال ع** كَم مِن مُستَدرَجٍ بِالاِحسانِ اِلَيهِ وَمَغرورٍ بِالسَّترِ عَلَيهِ وَ
مَفتونٍ بِحُسنِ القَولِ فيهِ وَما ابتَلى اللهُ اَحَداً بِمِثلِ الاِملاءِ لَهُ المستدرج المأخوذ على غرة والاملاء الامهال وتأخير المدة
وقد ذكر ع من الامور التي ابتلى الله بها عباده اربعة احدها الاحسان الى العبد بضروب النعم الثاني ستر المعصية عليه الثالث
حسن القول فيه وثناء الخلق عليه الرابع تأخير مدته وامهاله ولما كانت غاية الابتلاء بهذه الامور التي كلها نعم في الحقيقة اما
شكرها وكفرها كما قال ليبلوني أأشكر ام اكفر الآية وكان الشكر هو الغاية الخيرية المطلوبة بالذات نبه المبتلى بالنعم الاولى على
شكرها بانه كثيرا ما يستدرج بها فينبغي ان لا يغفل عنها ونبه المبتلى بالثانية على انها كثيرا ما يكون سببا للغرة بالله والامن من
مكره فيهلك في المعاصي ونبه الثالث بكونها نعمة قد يكون سببا للفتنة وصرفه عن شكر الله وارتكابه لرذيلة العجب بنفسه ونبه الرابع
بكون نعمة اعظم ما يبتلى به من النعم **وقال ع** هَلَكَ فِيَّ رَجُلانِ مُحِبٌّ غالٍ وَمُبغِضٌ قالٍ لما كانت محبة اولياء الله فضيلة نفسانية
كان طرف التفريط والتقصير فيها الى غاية مقابلتها بالبغض وطرف الافراط الى غاية الغلو وتجاوز ما ينبغي رذيلتين يستلزمان هلاك
صاحبيهما في الآخرة اما رذيلة التفريط فلان بغض اولياء الله مستلزم لعداوتهم ومن عادى وليا من اولياء الله فقد عادى الله وكان
من الهالكين واما رذيلة الغلو والافراط فلان الغلاة اخرجوه عن حد البشرية الى سماء الالهية وهو صريح الكفر المستلزم للهلاك
وقال ع اِضاعَةُ الفُرصَةِ غُصَّةٌ اى ان تضييع الامر وقت امكانه من نفسه يستلزم الاسف والحزن على تفويته وهو تنفير عن تضييع
الفرص بما يلزمه **وقال ع** مَثَلُ الدُّنيا كَمَثَلِ الحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّها وَالسَّمُّ النّاقِعُ في جَوفِها يَهوي اِلَيها الغِرُّ الجاهِلُ وَيَحذَرُها ذُو اللُّبِّ العاقِلُ
العاقل مثل الدنيا بالحية ووجه التمثيل قوله لين مسها الى آخره وذلك ان الدنيا لذيذة المتناول سهلة في عين الناظر اليها مع ان فيها
فيما يستتبعه منها وبينها وله الشقاوة الاخروية والعذاب الاليم فيهوى اليها الجاهل بما فيها من سوء العاقبة ويحذرها العاقل بها كما
ان الحية لين مسها حسن منظرها بحسنها الجاهل سواء امن ذهب او فضة يهوي اليها الغر بما فيها من سم ويحذرها من يعرفه وسئل عن قريش
فقال ع اما بنو مخزوم فريحانة قريش نحب حديث رجالهم والنكاح في نسائهم واما بنو عبد شمس فابعدها رأيا وامنعها لما وراء
ظهورها واما نحن فابذل لما في ايدينا واسمح عند الموت بنفوسنا وهم اكثر وامكر وانكر ونحن افصح وانصح واصبح بنو مخزوم بطن
من قريش وهو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب ومنهم ابو جهل بن هشام بن المغيرة وآل المغيرة كانوا لمخزوم ريح
طيبة كالخزامى ولونا كلونه والولد يشبه الوالد غالبا ولذلك كانت هذه البطن تسمى بريحانة قريش وكانت المغيرة بن عبد الله
بن عمر بن مخزوم يسمى بذلك وقيل لانه كان في رجالهم كيس يعين لذلك يحب الحديث اليهم وفي نسائهم لطف وتصنع وتحبب الى رجالهم

في ارشاد الناس كيفية عملهم وسلوكهم

ولذلك يجب نكاحهم واما بنو عبد شمس بن عبد مناف فمنهم ربيعة وابناه شيبة وعتبة والاعياص حرب بن امية وابنه ابو سفيان واسيد وعتاب
ومروان بن الحكم ووصف هذا البطن ببعد الراي وهو كناية عن جودة الفكر لان بعيد الراي اذا كان يرى المصلحة من بعيد القوة واثر ثم
بكونها امنع لما وراء ظهورها وهو كناية عن الحمية ثم وصف بنيه وهم بنو هاشم بكونهم ابذل لما في ايديهم اي اسخى ثم بكونهم انصح عند الموت
بنفوسهم اي اشجع ثم فضلهم ووصفهم بفضيلة خارجية ورذيلتين ووصف بني هاشم بفضائل ثلث بدنية ونفسانية والفضيلة فيهم هي كثرة
العدد ورذيلتان كونهم امكر اي اكثر حيلة وخداعا وكونهم انكر اي اكثر نكرا والنكر المنكر واما فضائل بني هاشم فكونهم افصح وكونهم
اصبح اي احسن وجوها واجمل وهما فضيلتان يتعلق بالبدن ويحتمل ان يريد بالاصبح كونهم الطف للناس بالطلاقة والبشر ويصدق ذلك
فضيلة نفسانية ثم كونهم انصح والنصيحة لمن ينبغي نصيحته فضيلة نفسانية تحت العفة وقال عليه السلام شتان بين عملين عمل تذهب لذته
وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤونته ويبقى اجره شتان اي افترق بينهما والاول العمل للدنيا وتبعته هو ما يتبعه من
الشقاوة الاخروية والثاني عمل الاخرة وظاهر ان بينهما فرقا عظيما وتبع جنازة فسمع رجلا يضحك فقال عليه السلام كان الموت فيها على غيرنا كتب
وكان الحق فيها على غيرنا وجب وكان الذي يشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم اجداثهم ونأكل تراثهم كانا مخلدون بعدهم
قد نسينا كل واعظة ورمينا بكل جائحة طوبى لمن ذل في نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وحسنت خليقته وانفق الفضل من
ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم ينسب الى بدعة قال السيد ومن الناس من ينسب هذا الكلام الى النبي ص الاجداث القبور
والجائحة الداهية المستأصلة وغرض الفصل التنفير عن وضع الضحك في غير موضعه والتذكير بامر الاخرة وذكر تشبيهات ثلث احدها تشبيه
الموت بالمكتوب على غير الانسان والثاني تشبيه ما يشاهد من الاموات بالمسافرين الذين يقدمون عن قريب ووجه التشبيه في الثالث قلة
اهتمام الناس بالموت والتفاتهم الى اداء واجب حق الله عليهم وعدم اعتبارهم بمن يموت وقوله نبوئهم الى قوله جائحة من تمام وجه التشبيه
فان الفاعل مثل هذا الفعل بالاموات كانه لقساوة قلبه وعدم اتعاظه لم يكتب عليه ما كتب عليهم من الموت وقوله طوبى الى آخره تنبيه
في تسع الفضائل المذكورة بان له طوبى وهي الحقيقة الحالة الشريفة التي لاولياء الله في الآخرة من طيب الحال واللذة الباقية و
ذكر ثمان فضائل احديها ذل النفس لله عن ملاحظة حاجتها وفقرها اليه ونظرها الى معادها الثانية طيب الكسب باخذه من وجوه
التي ينبغي الثالثة صلاح السريرة لله واخلاص الباطن من فساد النيات في المعاملات مع الخلق الرابعة حسن الخلق واقسام فضائله
الخامسة انفاق الفاضل عن الحاجة من المال فيما ينبغي من وجوه القربات الى الله وهي فضيلة السخاء السادسة امساك الفضل من الكلام
ما زاد منه مما لا ينبغي وهو السكوت في موضعه السابعة عزل الشر عن الناس وهو العدل او لازمه الثامنة لزوم سنة الله ورسوله وعدم
الخروج عنها الى ما يبتدع في الدين ولا ينبغي وقال عليه السلام غيرة الرجل ايمان وغيرة المرأة كفر اما الاول فلان غيرة الرجل تستلزم بغضه
لما سخط الله من اشتراك رجلين في امرأة وسخط ما سخط الله موافق لرضاه ومؤيد لنهيه وذلك ايمان واما الثاني فلان المرأة تقوم
بغيرتها في تحريم ما احل الله وهو اشتراك مرأتين فما زاد في رجل واحد وتقابله بالرد والانكار وتحريم ما احل الله وسخط ما رضيه
رد عليه وهو لا محالة كفر وقال عليه السلام لانسبن الاسلام نسبة لم ينسبها احد قبلي الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين
هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل الصالح اقول هذا قياس مفصول مركب من قياسات طويت
نتائجها وينتج القياس الاول ان الاسلام هو اليقين والثاني انه التصديق والثالث انه الاقرار والرابع انه الاداء والخامس انه العمل اما
المقدمة الاولى فلان الاسلام هو الدخول في الطاعة ويلزمه التسليم لله وعدم النزاع في ذلك وصدق اللازم على ملزومه ظ واما الثانية
فلان التسليم الحق انما يكون عن تيقن استحقاق المطاع للتسليم له فكان اليقين بذلك من لوازم التسليم لله فصدق عليه صدق اللازم
على ملزومه واما الثالثة فلان اليقين باستحقاقه للطاعة والتسليم مستلزم للتصديق بما جاء به على لسان رسول الله ص من وجوب
طاعته فصدق على اليقين بانه تصديق له واما الرابعة فلان التصديق لله في وجوب طاعته اقرار بصدقه واما الخامسة فلان الاقرار
والاعتراف بوجوب امره يستلزم اداء المقر المعترف لما اقر به فكان اقراره اداء لازما واما السادسة وهو ان الاداء هو العمل فلان اداء ما
اعترف به من الطاعة يؤول حاصل هذا الترتيب الى نتائج ان الاسلام هو العمل لله بمقتضى اوامره وهو تفسير بخاصة من خواصه
كما سبق بيانه وقال عليه السلام عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي اياه طلب فيعيش في الدنيا عيش
الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء وعجبت للمتكبر الذي كان بالامس نطفة ويكون غدا جيفة وعجبت لمن شك
في الله وهو يرى خلق الله وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى من يموت وعجبت لمن انكر النشأة الاخرى وهو يرى النشأة
الاولى وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء اقول مدار الفصل التعجب من ذوي هذه الرذائل لغرض التنفير عنها اما الاول فالبخيل و
محل التعجب منه ثلثة امور احدها انه انما يبخل خوف الفقر في العاقبة ولو انفق المال وتغييره وعدم انتفاعه به في الحال صورة
فقر حاضر فكان بذلك مستعجلا للفقر الذي هرب منه الثاني انه طالب للغنى ببخله وبخله ابدا سبب لتفويته الحاضر

الثالث

المنافي للغناء والمعوّن له لما يعتقد سبب الغنى هو المعوّن للغنى الثالث من يعيش في الدنيا عيش الفقراء لعدم انتفاعه بماله ويحاسب
في الآخرة حساب الأغنياء لمشاركته إيّاهم في جمع المال ومحبّته اللذين هما مبدأ الحساب فكان منهم هذا الأغنياء الثاني المتكبّر ونبّه
على وجه العجب منه بذكر مبدأ كونه وهو كونه نطفة في غاية الحقارة والسخف المنافي للتكبّر وغايته وهو كونه جيفة في نهاية القذارة
بجمعه بين هذين الأمرين بين التكبّر من العجب العجب الثالث الشاكّ في الله وهو يرى خلقه وذلك جمع بين الشكّ في وجوده وبين
رؤيته ظاهر في وجود مخلوقاته وعجائب مصنوعاته وهو محلّ التعجّب الرابع الناسي للموت مع رؤيته لمن يموت وظاهر أنّ نسيان الموت
مع رؤيته دائما محلّ التعجّب الخامس منكر النشأة الأخرى وإعادة الأبدان بعد عدمها وظاهر أنّ إنكاره لذلك مع اعترافه بالنشأة
الأولى وهي الوجود الأوّل للخلق من العدم الصرف محلّ التعجّب لأنّ الأخرى أهون كما قال تعالى وهو أهون عليه السادس عامر الدنيا مع
كونها فانية زائلة مع تركه لعمارة الآخرة الباقية وما فيها محلّ التعجّب من هؤلاء والإشارة إلى وجوه تنفير الخلق عن الأمور المذكورة

معرض التعجب

وقال عليه السلام من قصّر في العمل ابتلي بالهمّ ولا حاجة لله فيمن ليس لله في نفسه وماله نصيب المقصّر في العمل لله يكون غالب أحواله
متوفّرا على الدنيا مفرطا في طلبها وجمعها وبقدر التوفّر عليها يكون شدّة الهمّ في جمعها وتحصيلها أوّلا ثمّ في ضبطها والخوف على
فواتها ثانيا وفي المشهور خذ من الدنيا ما شئت وخذ من الهمّ ضعفه فيفتر عن التقصير في الأعمال البدنيّة والماليّة وقوله ولا حاجة لله إلى
آخره وكنّى بعدم حاجته فيه عن إعراضه عنه وعدم النظر إليه بعين الرحمة لعدم استعداده لذلك **وقال عليه السلام** توقّوا البرد في
أوّله وتلقّوه في آخره فإنّه يفعل في الأبدان كفعله في الأشجار أوّله يحرق وآخره يورق أمّا وجه التفاوت في أوّله وهو أوّل الخريف
لأنّ الصيف والخريف يشتركان في اليبس فإذا ورد ورد البرد وورد على أبدان اشتغلت بحرارة الصيف وبيبسه التخلخل وتفتّح المسامّ و
الجفاف فاشتدّ انفعال البدن عنه وأسرع تأثيره في قهر الحرارة الغريزيّة فيقوى بذلك في البدن قوّتا البرد واليبس اللتان هما طبيعة
الموت فيكون بذلك يبس الأشجار وانخراق الأوراق وانحسارها وضمور الأبدان وضعفها وأمّا أمره بتلقّيه في آخره وهو آخر الشتاء
وأوّل زمان الربيع فلأنّ الشتاء والربيع يشتركان في الرطوبة ويفترقان بأنّ الشتاء بارد والربيع حارّ فالبرد المتأخّر إذا امتزج بحرارة الربيع و
انكسرت سورته بها لم يكن له بعد ذلك نكاية في الأبدان فقويت لذلك الحرارة الغريزيّة فيها وانتعشت فكان ما عندها بالبرد مع الرطوبة استعداد
المزاج هو طبيعة الحياة وكان منه النموّ وقوّة الأبدان وبروز الأوراق والثمار وقوله فإنّه إلى آخره صغرى ضمير نبّه على علّة التوقّي والتلقّي وتقدير
كبراه وكلّ ما كان كذلك فإنّه يجب توقّيه في أوّله وتلقّيه في آخره وقوله أوّله يحرق وآخره يورق هو وجه التشبيه **وقال عليه السلام** عظم الخالق عندك
يصغّر المخلوق في عينك هذا أمر وجدانيّ العارفون بالله فإنّ من عرف عظمة الله وجلاله ولحظ جميع المخلوقات بالقياس إليه حتّى علم ما لها
من ذواتها وهو الإمكان والحاجة وعدم استحقاق الوجود إلّا منه تعالى علم أنّها في جنب عظمته عدم ولا أحقر من العدم وشدّة صغر المخلوق في
اعتبار العارف بحسب رتبته في عرفانه وقيل لبعض العارفين فلان زاهد فقال فيماذا فقيل في الدنيا فقال الدنيا لا تزن عند الله
جناح بعوضة فكيف يعتبر الزهد فيها والزهد إنّما يكون في شيء والدنيا عندي لا شيء **وقال عليه السلام** وقد رجع من صفّين فأشرف على
القبور بظاهر الكوفة يا أهل الديار الموحشة والمحالّ المقفرة والقبور المظلمة يا أهل التربة يا أهل الغربة يا أهل الوحدة يا أهل
الوحشة أنتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق أمّا الدور فقد سكنت وأمّا الأزواج فقد نكحت وأمّا الأموال فقد
قسمت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثمّ التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أنّ خير الزاد
التقوى الفرط الذي يتقدّم الواردة فيهيّئ الأرشاء والدلاء وخاطبهم عليه السلام خطاب من يسمع إقامة لحالهم المعهودة مقام أشخاصهم الموجودة
والديار الموحشة والمحالّ المقفرة القبور وغرض الفصل ترقيق القلوب القاسية وتنبيه النفوس الغافلة عن غاية الدنيا ومتاعها
لغاية العمل فيها كما ينبغي ولمّا كان الحقّ هو أنّ خير الزاد التقوى كما نطق به القرآن الكريم وكان ذلك ممّا شاهده المتّقون في جزائهم
والفجّار في حرمانهم بعد الموت لا جرم لو أذن لهم في الجواب وأطلقوا النطق لكان جوابهم ما عرفوه من الحقّ **وقال عليه السلام** وقد سمع رجلا يذمّ
الدنيا أيّها الذامّ للدنيا المغترّ بغرورها المخدوع بأباطيلها أتغترّ بالدنيا ثمّ تذمّها أنت المتجرّم عليها أم هي المتجرّمة عليك متى
استهوتك أم متى غرّتك أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أمّهاتك تحت الثرى كم علّلت بكفّيك وكم مرّضت بيديك
تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطبّاء غداة لا يغني عنهم دواؤك ولم ينفعه بكاؤك ولم ينفع أحدهم إشفاقك ولم تسعف
فيه بطلبتك ولم تدفع عنه بقوّتك قد مثّلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك إنّ الدنيا دار صدق لمن صدقها
ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزوّد منها ودار موعظة لمن اتّعظ بها مسجد أحبّاء الله ومصلّى ملائكة الله ومهبط وحي الله
ومتجر أولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنّة فمن ذا يذمّها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها
فمثّلت لهم ببلائها البلاء وشوّقتهم بسرورها إلى السرور راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيبا وترهيبا وتخويفا وتحذيرا فذمّها
رجال غداة الندامة وحمدها آخرون يوم القيامة ذكّرتهم الدنيا فتذكّروا فصدّقتهم فصدّقوا ووعظتهم فاتّعظوا **أقول** المتجرّم

وحدّثتهم

في مواعظ مشتملة على ترك الدنيا والتوغل فيها

المدعي جرمية واستهوتك طلبت هويتك لها وهواك لديها ومثلت صورت وقوله ايها الذام الى قوله غرتك توبيخ له على الاغترار بها وذمها
مع ذلك وكذب دعواه انها هي التي اجرمت عليه باستفهامه عن وقت استهوائها له استفهام منكر لذلك وموبخ عليه واكد ذلك باستفهام
ان ذلك الغرور لها باي شئ كان امن مصارع الاباء ام بمضاجع الامهات وذلك على وجه الاستهزاء منه والتنبيه له على ما يوجب النفرة
منها وعدم الاغترار بها من سوء صنيعها باهلها حتى كانها قاصدة لذلك للتنبيه والتنفير عنها وقوله كم عللت الى قوله مصرعك
صغرى ضميره تنبيه على ما ادعاه لها من كونها متهمة بالغفلة وليس قصدها الغرور وتقديرها فقد صورت لك الدنيا نفسك بمن
كثرت تعليله وتمريضه من اهلك طالبا له الشفاء وتستوصف له الاطباء فلم ينفعه ذلك منك وتمثلت بمصرعه مصرعك
تقدير الكبرى وكل من مثلت لك ذلك وصورته لك فليس من اهل التلبيس عليك والغرور لك بل من نصحائك ومنبهيك من غفلتك
ثم لما نفى عنها الذم اخذ في مدحها وذكر لها اوصافا ثمانية احدها انها دار صدق لمن صدقها اي فيما اخبر به لسان حالها من فنائها
وزوالها وقصد بقوله اعتراف بذلك منها والعمل به الثاني ودار عافية لمن فهم عنها ما اخبرت عنها من عظاتها حتى احترز من
آفاتها وعوفي من عذاب الله بها الثالث ودار غنى لمن تزود منها التقوى زاد السفرة الى الله وظاهر ان التقوى وثمرتها في الاخرة
اعظم غنى للمتقين الرابع ودار موعظة لمن اتعظ بها فعلم وصفها وغايتها الخامس كونها مسجد احباء الله من رسله واوليائه السادس كونها
مصلى ملائكة الله الا ترضيه الذين سجدوا لادم السابع كونها مهبط وحي الله الثامن كونها متجر اولياء الله الذين اكتسبوا فيها ثم فيها
رحمته وربحوا جنته ثم استفهم بعد هذه المدائح عمن يذمها منكرا عليه سببا لاحوال اخر لها ينافي ذمها اي فمن ذا يذمها وبها
الصفات المذكورة وهي على هذه الاحوال وذكر منها ستة احدها كونها اذنت ببينها واعلمتهم بفراقها والواو في قوله وقد للحال الثاني
ونادت بفراقها الثالث ونعت نفسها كل ذلك بلسان حالها من التغير والانتقال المؤذن بالزوال الرابع كونها مثلت لهم ببلائها البلاء
في الاخرة الخامس وشوقتهم بسرورها الى السرور في الجنة وانما كان كذلك لان كل ما في هذا العالم فهو صورة ومثال لما في عالم الغيب
ونسخة منه يعتبر به ويقاس اليه ولولا ذلك لانسد طريق الترقي الى الحضرة الالهية وتعذر الوقوف على شئ من اسرارها فالتكون
الى الشئ المشاهد والبلاء الاخروي من بلاء الدنيا عملوا للخلاص منه ويشاهدوا سرورها من سرور الدنيا وعلموا ان بينهما فرقا
عظيما وان الاشرف لا يحصل الا برفض الاخس فاقتضت ارادتهم الصالحة تبع سرور الفاني بالباقي السادس رواحها بعافية وابتكارها
بفجيعة وهو كناية عن سرعة انتقال احوالها وتبدل اطوارها من رخاء الى شدة ومن صحة الى سقم ونسبة الافعال اليها لانها سببية
مادي ذلك ولما نسب اليها الافعال الاختيارية جعل لها منها غايات وهي ترغيب الناس الى الله وترهيبهم منها ثم اشار الى سبب ذمها من ذمها
وهو ندامة المفرطين في اتخاذ زاد التقوى الى الاخرة منها فنسبوا ذلك التفريط الى غرورها لهم وهو باطل كما بينه ثم الى سبب مدح من
مدحها وهو ثلثة احدها تذكرها لهم بزوالها وانها غاية يجب العمل لها فذكروا ما ذكرتهم وعملوا الثاني حدثتهم بذلك
حتى صدقوا الثالث وعظتهم بعبرها حتى اتعظوا **وقال ع** ان لله ملكا ينادي في كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب واجمعوا
للفناء ذلك النداء على وفق ما علم من القضاء الالهي في طبيعة الدنيا وغايتها والامور الثلثة وهو الموت والفناء والخراب غايات
طبيعية واللام فيها هي المسماة بلام العاقبة **وقال ع** الدنيا دار ممر والناس فيها رجلان رجل باع نفسه فاوبقها ورجل
ابتاع نفسه فاعتقها اوبقها اهلكها وكون الدنيا دار ممر باعتبار انها طريق الى الاخرة التي هي دار المقر واستعار لفظ
البيع للبائع نفسه باعتبار تسليمه لها الى الهلاك الاخروي واعتياضه عنها ما اصاب من اللذة الدنيوية وكذلك لفظ الابتياع لمشتري
نفسه باعتبار انقاذها من ذلك الهلاك بما بذل ما قدر عليه من حاضر اللذات والاعراض عنه وحصر المكلفين في الرجلين المذكورين
ظاهر **وقال ع** لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ اخاه في ثلث في نكبته وغيبته ووفاته جعل الصديق الصديق خاصة
يعرف بها وهو ان يحفظ صديقه في الامور الثلثة وحفظها بالقيام مقامه فيما ينبغي فعله في صلاح حاله بقدر الامكان **وقال**
من اعطي اربعا لم يحرم اربعا من اعطي الدعاء لم يحرم الاجابة ومن اعطي التوبة لم يحرم القبول ومن اعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة ومن
اعطي الشكر لم يحرم الزيادة وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه قال تع في الدعاء ادعوني استجب لكم وفي الاستغفار ومن يعمل سوءا
او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال في الشكر لئن شكرتم لازيدنكم وقال في التوبة انما التوبة على الله للذين يعملون
السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما اقول الامور الاربعة الاولى اذا كانت باخلاص كان كل
منها سببا في اعداد النفس لقبول صورة الرحمة الالهية من واهبها فالدعاء للاجابة والتوبة لقبولها واسقاط ثمرة المعصية والاستغفار
للمغفرة والشكر للزيادة والشواهد الالهية ناطقة بذلك على وفق مقتضى العقل **وقال ع** الصلوة قربان كل تقي والحج جهاد
كل ضعيف ولكل شئ زكوة وزكوة البدن الصيام وجهاد المرأة حسن التبعل التبعل معاشرة البعل وصحبته والكلام اشارة الى بعض
اسرار هذه العبادات فمن اسرار الصلوة كونها قربانا الى الله تع وقد علمت انها اعظم ما يتقرب الى الله المتقون به من العبادات ومن

في كلام له لكميل بن زياد النخعي

اسرار الحج كونه جهادا في سبيل الله لما فيه من مشقة السفر ومجاهدة الطبيعة ومقاومة النفس الامارة بالسوء مع كونها تشبهة عدم
الاطلاع على اسرار الحج وفوايد ترمع ما في كيفيته من الافعال التي يتعجب منها الجاهلون وانما خص الضعيف بذلك جذبا له وكبيرا لا
للقوى جهادا آخر هو المشهور ومن اسرار الصوم كونه زكوة للبدن لما فيه من تنقيص قوته وكسر شهوته لغاية طاعة الله والثواب الاخروي
كما ان الزكوة تنقيص في المال مستلزم لزيادة الثواب في الآخرة ومن اسرار التبعل حسن معاشرة البعل وطاعته في طاعة الله وفي ذلك
كسر النفس الامارة للمرأة وانقيادها في صراط الله **وقال ع** استنزلوا الرزق بالصدقة وفي الكلمة فايدتان احديهما الترغيب في
الصدقة والثانية كونها سببا لاستنزال الرزق وقد مرّ ان الصدقة باب عظيم لذلك معدّ لحصوله ومن وجوه اعدادها كونها نفعا
متعديا يستلزم تالف قلوب اهل الله والصالحين من عباده واجتماع هممهم على دعاء الله لصلاح حال المتصدق الثانية التنبيه على قوى
الاسباب الباعثة عليها وعلى البذل في اكثر الخلق ليعتنيه فيسهل معها البذل وهو الثقة بالله واليقين بالخلف منه كما نطق به وعده تعالى
ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم الآية **وقال ع** تنزل المعونة على قدر المعونة المؤنة المؤنة التعب والشدة وهي مفعلة
من الأين والمراد ان الشدة والثقل بالعيال ونحوهم معدّ لاستنزال معونة الله برزقه وقوته على القيام بلوازمهم ودفع المؤنة من جهتهم **وقال ع**
ما عال امرؤ اقتصد العيلة الفقر والاقتصاد الانفاق بقدر الحاجة المتعارفة وذلك معدّ لعدم الحاجة لان قدر الحاجة من المال
قد تكفل الله بادراره مدة البقاء وهو ما لا بد للمقتصد منه **وقال ع** قلة العيال احد اليسارين والتودد نصف العقل والهمّ
نصف الهرم اما الاول فلان الغنى المتعارف يكون بحصول المال وللمال اعتباران احدهما حصوله والثاني عدم انفاقه فحصوله يسار وعدم
انفاقه على العيال لقلتهم يسار ثان واطلق اليسار على قلة العيال مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب اما الثاني فاراد العقل العملي وبلفظه
مجاز في تصرفاته اطلاقا لاسم السبب على المسبب من جملة تصرفاته في التدبير التودد الى الخلق ولما كان الانسان محتاجا في اصلاح معاشه
الى غيره وكانت معاملته لهم في ذلك اما على وجه التودد وما يلزمه من جميل المعاشرة وحسن الصحبة والمسامحة والترغيب واما على وجه
القهر والغلبة والترهيب لا جرم كان التودد وما يلزمه نصف العقل اي نصف تصرفه في تدبير امر معاشه واما الثالث فلان الهرم اما طبيعي
واما لسبب من خارج وهو الهمّ والحزن والخوف المستلزم له فهو اذن قسيم للسبب الطبيعي وقسم من اسباب الهرم كالنصف له فاستعار لفظ
النصف واراد والهمّ نصف سبب الهرم **وقال ع** ينزل الصبر على قدر المصيبة ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط اجره وان
الله سبحانه جعل للانسان قوة استعداد لان يصبر بمقدار مصيبته ثم استعداده يفيض عليه ذلك المقدار من الصبر ومن يقصر
في الاستعداد لحصول هذه الفضيلة وارتكب ضدها وهو الجزع حبط اجره وهو ثوابه على الصبر وكنى عن الجزع بما يلزمه في العادة من
ضرب اليدين على الفخذين وقيل بل يحبط ثوابه السابق لان شدة الجزع يستلزم كراهية قضاء الله وسخطه وعدم الالتفات الى
ما وعد به من ثواب الصابرين وهو معدّ لمحو الحسنات من لوح النفس وسقوط ما يلزمها من ثواب الآخرة **وقال ع** كم من صايم ليس له من صيامه
الا الجوع والعطش وكم من قايم ليس له من قيامه الا السهر والعناء حبذا نوم الاكياس وافطارهم اراد بذلك من اخل بشرط من شرايط صيامه
وقيامه ولم يأت على وجه الاجزاء واعظم شرط لهما توجههما الى المعبود الحق عز سلطانه وكثيرا ما تخلل العبادة وفسادها من كثير من الخلق انما
يكون للجهل بهذا الشرط وكنى بالقيام عن الصلوة وانما مدح نوم الاكياس لان الكيس هو الذي يستعمل ذكاءه وفطنته في طرق الخير وعلى وجه الحق من
الشارع ويضع كل شيء موضعه ومن كان كذلك كان نومه وافطاره وجميع تصرفاته في عبادته موضوعة موضعها من رضاء الله ومحبته **وقال**
وقال ع سوسوا ايمانكم بالصدقة وحصنوا اموالكم بالزكوة وادفعوا امواج البلاء بالدعاء سوسوا اي املكوا وذلك ان الصدقة
من الايمان التام ملكه وحفظه لا يكون بدونها واما تحصين المال بالزكوة فلان منعها انما يكون عن البخل وشدة الحرص وذلك باعث
لمستحقها على ذم ودواع للخالق الى التسبب في اداه فكان مانعها متعرضا بذلك لتلف ماله وباداها محصنا له واستعار لفظ الامواج للحوادث
المتواترة وقد مر ان الدعاء باخلاص مما يعد النفس للاجابة بالمطلوب وغرضه الحث على الصدقة والزكوة والدعاء **وقال ع** لكميل بن زياد
النخعي ره قال كميل اخذ بيدي امير المؤمنين ع فاخرجني الى الجبان فلما اصحر تنفس الصعداء ثم قال يا كميل ان هذه القلوب
اوعية فخيرها اوعاها احفظ عني ما اقول لك الناس ثلثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق
يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس
المال والمال ينقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وصنيع المال يزول بزواله يا كميل بن زياد معرفة العلم دين يدان به يكسب
الانسان الطاعة في حيوته وجميل الاحدوثة بعد وفاته والعلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل بن زياد هلك خزان الاموال
وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة ها ان ههنا لعلما جما واشار
بيده الى صدره لو اصبت له حملة بلى اصيب لقنا غير مأمون عليه مستعملا آلة الدين للدنيا مستظهرا بنعم الله
على عباده وبحججه على اوليائه او منقادا لحملة الحق لا بصيرة له في احنائه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة الا لا ذا

اليدم

ذكاء لم

في كلام له لكميل بن زياد النخعي

ولا ذاك أو منهوماً باللذّة سلس القياد للشهوة أو مغرماً بالجمع والادّخار ليسا من رعاة الدين في شيء أقرب شيء شبهاً بهما الأنعام السائمة
كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلّا تبطل حجج الله
وبيّناته وكم ذا وأين أولئك والله الأقلّون عدداً والأعظمون قدراً بهم يحفظ الله حججه وبيّناته حتّى يودعوها نظراءهم ويزرعوها
في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعره المترفون وأنسوا بما استوحش منه
الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه آه آه شوقاً إلى
رؤيتهم انصرف إذا شئت **أقول** الجبّان الصحراء والصعداء نوع من التنفّس يصعده المتلهّف والحزين والهمج ذباب صغير كالبعوض و
الرعاع الأحداث والعوام واللقن سريع الفهم والأحناء الجوانب والمنهوم باللذّة الشره فيها الحريص عليها والمغرم بالجمع شديد المحبّة
له وهجم دخل بغتة وفي الفصل نكت أحدها أنّه أعدّها ونبّهه للفهم عنه بقوله إنّ هذه القلوب إلى قوله لك الثانية قسم الناس إلى
ثلاثة أصناف ووجه القسمة أنّ الناس إمّا عالم أو ليس والثاني إمّا طالب للعلم أو ليس ثمّ قيّد كلّاً من الأقسام الثلاثة بصفة أو صفات
فالأوّل العالم ووصفه بالربّاني نسبة إلى الربّ تعالى على غير قياس أي العالم علم ربوبيّته وهو العارف بالله تعالى وزيدت الألف والنون
للمبالغة في النسبة قال الله تعالى كونوا ربّانيّين وقيل هو مأخوذ من ربّ لأنّهم يربّون المتعلّمين بصغار العلوم قبل كبارها وقيل لأنّهم يربّون
العلم أي يقومون بإصلاحه الثاني المتعلّم ووصفه بكونه على سبيل النجاة ولمّا كان العلم سبباً للنجاة في الآخرة وكان المتعلّم في طريق
تحصيله كان على سبيل النجاة ليصل إليها بالعلم الذي هو غايته المطلوبة الثالث العوام ووصفهم بأوصاف أحدها استعار لهم لفظ
الهمج باعتبار حقارتهم الثاني وصفهم بالرعاعيّة والحداثة لكونهما مظنّتي الجهل الثالث كونهم أتباع كلّ ناعق ملاحظة لشبههم بالغنم في
الغفلة والغباوة الرابع كونهم يميلون مع كلّ ريح [illegible] لضعفهم عن التماسك في مذهب واحد والثبات عليه الخامس كونهم لم يستضيئوا
بنور العلم وهو كونهم على ظلمة الجهل السادس ولم يلجأوا إلى ركن وثيق واستعار الركن الوثيق للاعتقادات الحقّة البرهانيّة التي يعتمد عليها
في دفع مكاره الآخرة الثالثة في مدح العلم وتفضيله على المال من وجوه أحدها أنّ العلم يحرس صاحبه من مكاره الدنيا والآخرة والمال
يحرسه صاحبه والفرق بين ما يكون حارساً لصاحبه وبين ما يحتاج صاحبه إلى حراسته في الفضيلة واضح الثاني أنّ العلم يزكو
ويزيد بإخراجه وإفادته الطالبين لتذكّر العالم بتعليمه وتذكّره لما غفل عنه واستنباطه ما لم يكن عنده والمال تنقصه النفقة والإخراج
منه الثالث أنّ صنيع المال وهو الإحسان يزول بزوال المال والإحسان بالعلم باق ببقائه وصنيع فعيل بمعنى مفعول الرابع كون معرفة
العلم أي تحصيله ديناً يدان به وقد علمت كونه الأصل في الدين الخامس كونه يكسب الإنسان طاعة الخلق له في حياته وجميل الأحدوثة
بعد وفاته وهما من فضائله الخارجيّة السادس كونه حاكماً على المال محكوماً عليه أي أنّ تصرّفه في جمعه وإنفاقه إنّما يكون على وفق
العلم بوجوه تحصيله ومصارفه السابع من فضيلته على المال كون خزّان المال هالكين في الآخرة محكوماً عليهم بذلك في الدنيا
وإن صدق عليهم أنّهم أحياء كما قال تعالى الذين يكنزون الذهب والفضّة الآية وأمّا العلماء فباقون أبداً وإن فقدت أعيانهم من
الدنيا فصورهم في القلوب مشاهدة موجودة الرابعة أشار بعد تقرير كمال هذه الفضيلة إلى أنّ في صدره منها شيئاً كثيراً
وأنّما يمنعه عن إظهاره عدم وجدان من يحمله عنه وها للتنبيه وجواب لو محذوف تقديره لأظهرته الخامسة استثنى من يجده
ونبّه على عدم صلاحيتهم لحمل ما عنده من العلم وأشار إلى أربعة أصناف منهم ووجه القسمة أنّ غير أهل العلم من الناس إمّا طالبون
له أو غير طالبين والطالبون إمّا قادرون على القيام بالحجّة أو غير قادرين وغير الطالبين له هم المشغولون بغيره عنه فاشتغالهم
إمّا بالانهماك في لذّاتهم وسهولة الانقياد لشهواتهم وإمّا بمحبّة جمع المال وادّخاره فالأوّل هو الخبيث الموصوف برذيلة الجربزة و
أشار إليه بقوله بلى أصبت لقناً إلى قوله أوليائه وأشار إلى وجوه عدم صلاحيّته لحمله أحدها كونه غير مأمون عليه أي هو مظنّة
أن يعلّمه غير أهله ويضعه في غير مواضعه والضمير في قوله عليه للعلم الثاني كونه مستعملاً آلة الدين وهو العلم في الدنيا و
استعماله فيها كالتكسّب ومستظهراً بنعم الله وهي العلم على عباده كالفخر عليهم ومغالبتهم واستعمال حجج الله وما علم منها في مقابلة
أوليائه وتلبيس الحقّ بالباطل وأمّا الثاني ممّن لا يصلح لحمله فهو المقلّد وأشار إليه بقوله أو منقاداً إلى قوله شبهة ومنقاداً
عطف على لقناً وأراد بالانقياد للحقّ الإيمان به وتسليمه على سبيل الجملة وأشار إلى كونه غير صالح لحمله من وجهين أحدهما كونه لا
بصيرة له في جوانب العلم وتفاصيله الثاني كونه ينقدح الشكّ في قلبه لأوّل عارض من شبهة وعارض من شبهة وذلك لعدم
العلم وثباته في نفسه بالبرهان والحجّة الواضحة وقوله ألا لا ذا ولا ذاك أي من حملة العلم الثالث هو المشار إليه بقوله أو منهوماً
إلى قوله للشهوة والرابع هو المشار إليه أو مغرماً بالادّخار ونبّههما في معرض الذمّ لهما بوصفين أحدهما كونهما ليسا من رعاة الدين
في شيء أي لا تعلّق لهما بالدين وأهله الثاني كونهما أقرب شبهاً بهما الأنعام السائمة باعتبار غفلتهما عن الدين وثمرته في الآخرة
وقوله كذلك أي تقارب تلك الأحوال من عدم من يصلح لحمل العلم ووجدان من لا يصلح له موت العلم بموت حامليه لأنّ التشبيه

بعيد مقادير

بعيد مفارقته الاحوال وعرف بحال نفسه وهو من عسى ان يكون من اهله يومئذ ثم استدرك بقوله اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة
اما ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا اى الناس ما زاد بالظاهر من عسى ان يتمكن من اظهار العلم والعمل به من اولياء الله وخلفائه واوليائه في موضع من الارض
وبالخائف المغمور الذي من لم يتمكن من ذلك فان ذلك لا يستغنى هذا تصريح منه ع بوجوب الامامة بين الناس كالذين سبقوا الى الاحسان
ووصلوا الى المحل الاعلى من ولده الاحد عشر واما ان يكون خائفا مستورا لكثرة اعدائه وقلة المخلص من اوليائه كالحجة المنتظر ع
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله وكم ذا استبطا المدة غيبة صاحب الامر ونبه من امتداد دولة اعدائه وقوله اين هم استعلا
لعدد ائمة الدين ولذلك يستقلهم بقوله اولئك والله الاقلون عددا وذكر في معرض مدحهم ايضا فاما احدها الاقلون عددا الاعظمون
قدرا عند الله تعالى انهم يحفظ حججه وبيناته المشتمل عليها دينه حتى يودعوها امثالهم ويزرعوها في قلوب اشباههم بعدهم الثاني
كونهم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة اى فاجاهم ودخل على عقولهم دفعة لان علومهم لدنية حدسية وقيل ذلك على المقلوب اى
هجمت بهم عقولهم على حقيقة العلم الرابع وباشروا روح اليقين اى وجدوا لذته الخامس واستلانوا ما استوعره المترفون من الامور
الشاقة كخشونة المطعم وخشونة المضجع والملبس ومصابرة الصيام والسهر وذلك في جنب ما وجدوه من لذة اليقين وحلاوة العرفان
هين لين عندهم السادس انسوا بما استوحش منه الجاهلون وهو الاحوال التي الفوها مما ذكرناه فان الجاهل لجهله بثمرتها ينفر منها
ويستوحش من اهلها السابع وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى فاشفقوا لما شاهدوه من جمال حضرة الربوبية وصحبة
الملاء الاعلى من الملائكة ولما ميزتهم بالاوصاف المذكورة اشار في معرض مدحهم ايضا الى ان هؤلاء لما اشتملوا عليه من هذه الاوصاف
هم خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه ثم تاوه شوقا الى رؤيتهم واه كلمة توجع اصلها اوه والفصل من افصح ما نقل عنه ع **وقال ع**
المرء مخبوء تحت لسانه اى حاله مستورة في عدم نطقه فحذف المضاف للعلم به وتحت لسانه كناية عن سكوته وذلك ان مقداره
بمقدار عقله ومقدار عقله يعرف من مقدار كلامه لدلالته عليه فاذا تكلم بكلام الحكماء ظهر كونه حكيما او بكلام السفهاء ظهر كونه
منهم وما بين المرتبتين بالنسبة **وقال ع** هلك امرء لم يعرف قدره قد علمت ان قدره هؤلاء مقداره في نفس الامر ومنزلته من الفضيلة
ومن لم يعرف منزلته اوشك ان يتجاوزها فيهلك من لم يعرف محله من العلم اوشك ان يرفع نفسه فوق محله او يعنى بما لا يعرف لاعتقاده كالوقيع
في الهلاك الاخروي وربما تبعه هلاك دنياه ولزمه من تجاوزه تلعب السنة الناس واذيهم به وهلاكه بذلك **وقال ع** لرجل ساله
ان يعظه لا تكن ممن يرجو الاخرة بغير عمل ويرجي التوبة بطول الامل يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين
ان اعطي منها لم يشبع وان منع منها لم يقنع يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويامر بما لا ياتي يحب الصالحين
ولا يعمل عملهم ويبغض المذنبين وهو احدهم يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له ان سقم ظل نادما وان صح
امن لاهيا يعجب بنفسه اذا عوفي ويقنط اذا ابتلي ان اصابه بلاء دعا مضطرا وان ناله رخاء اعرض مغترا تغلبه نفسه على
ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن يخاف على غيره بادنى من ذنبه ويرجو لنفسه باكثر من عمله ان استغنى بطر وفتن وان افتقر
قنط ووهن يقصر اذا عمل ويبالغ اذا سال ان عرضت له شهوة اسلف المعصية وسوف التوبة وان عرته محنة انفرج عن
شرائط الملة يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ فهو بالقول مدل ومن العمل مقل ينافس فيما يفنى ويسامح
فيما يبقى يرى الغنم مغرما والغرم مغنما يخشى الموت ولا يبادر الفوت يستعظم من معصية غيره ما يستقل اكثر منه من نفسه
ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن اللهو مع الاغنياء احب اليه من الذكر
مع الفقراء يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره يرشد غيره ويغوي نفسه فهو يطاع ويعصي ويستوفي ولا يوفي
ويخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه قال السيد رض ولو لم يكن في هذا الكتاب الا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة
وحكمة بالغة وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر متفكر **وقال** يرجيها يوخرها ويروى يزجيها بالزاء المعجمة اى يدفعها والقنوط الياس
وعرته عرضت له ونزلت به اى وائق وحاصل الفصل نهي طالب الموعظة عن اربع وثلثين رذيلة احدها رجاء الاخرة وثوابها بغير عمل
فان ذلك منى على الله وقد علمت ان المنى بضائع النوكى الثانية ترجية التوبة اى رجاؤها بطول الامل فان ذلك يستلزم الابقاء
على المعصية والعذاب بها في الاخرة الثالثة ان يجمع بين قول الزاهدين في الدنيا وعمل الراغبين فيها وهو خداع لله وعمله فيها
عمل الراغبين يستلزم ان يصيبه ما اصابهم من عذاب الاخرة بها الرابعة ان لا يشبع مما يعطى منها وذلك رذيلة الشره والحرص الخامسة
ان لا يقنع ان منع وذلك رذيلة التفريط من فضيلة القناعة السادسة ان يجمع بين العجز عن شكر ما اوتي من نعم الله وبين طلب الزيادة
من فاضلها وهو جمع بين رذيلة التفريط من فضيلة الشكر وبين رذيلة الحرص السابعة ان يجمع بين نهيه عن المعاصي وعدم تناهيه
عنها وهو نفاق وخداع لله الثامنة ان يامر بما يقصر هو عن فعله وهو كالذي قبله التاسعة ان يحب الصالحين ويقصر عن عملهم وتنقيصه
كالتنقيص على محبته لهم العاشرة ان يبغض المذنبين وهو احدهم فيكون فعله كالنقض على بغضه لهم الحادية عشر ان يكره الموت لكثرة

قدره

في مواعظ مشتملة على تحصيل الأخلاق الحسنة

ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له من كثرة الذنوب فاقامته على ذنوبه كالنقض على كراهيته للموت لاجلها مع ما يلزمها من العذاب الاخروي
الثانية عشرة ان يجمع بين ندمه حال سقمه على تفريطه في جنب الله وبين لهوه في لذته حال امنه وفيه ايضا كالمتناقض الثالثة عشرة
ان يعجب بنفسه حين عافيته فان العجب من المهلكات الرابعة عشرة ان يقنط اذا ابتلاه ربه وييأس من رحمته وذلك كما قال عم انه
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون الخامسة عشرة ان يجمع بين دعاء الله باضطرار اليه عند نزول البلاء به وبين الاعراض عنه
والاغترار بالدنيا عند اصابة الرخاء فان الاول رذيلة الافراط والثاني رذيلة التفريط السادسة عشرة ان يجمع بين الانفة لها و
لنفسه والانقياد لها الى ما يظنه فائدة من الامور الدنيوية وبين عدم قهرها وغلبها الى ما ينبغي له من ثواب الاخرة وعذابها
فلا يلزمها العمل لذلك فان ذلك عند العقل سفه وجنون السابعة عشرة ان يجمع بين الخوف على غيره من ذنوب هي اقل من
ذنوبه وبين الرجاء لنفسه ثوابا اكثر مما يستحق على عمله فان الحق من ذلك ان يخاف على غيره لاكثر من ذنوبه ويعمل لذلك الخوف
الثامنة عشرة ان يبطر ويفتتن ان اصاب غنى فان ذلك يجوز التاسعة عشرة ان يقنط ويضعف ان يفتقر وهو رذيلة التفريط
العشرون ان يقتصر في العمل الحادية والعشرون ان يبالغ اذا سأل وهو رذيلة الالحاف في السؤال الثانية والعشرون ان يقدم
المعصية ان عرضت شهوته ويؤخر التوبة منها الثالثة والعشرون ان يخرج عن شرائط الملة عند نزول المحنة به اي يخرج بفضيلة
الصبر على المصيبة الذي هو شرط الملة ويتركها الرابعة والعشرون ان يجمع بين وصف العبرة وبين عدم الاعتبار الخامسة والعشرون
ويبالغ في الموعظة حال ما لا يتعظ فان ذلك يدخله في مقت الله لقوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون السادسة و
العشرون ان يجمع بين المنافسة فيما يفنى وهو الدنيا والمسامحة فيما يبقى وهو ثواب الاخرة وهو جهل وسفه السابعة والعشرون ان
يرى الغنم مغرما كالانفاق في سبيل الله والغرم مغنما كالانفاق في معصيته وهو عكس مقتضى العقل الثامنة والعشرون ان
يجمع بين خشية الموت وعدم مبادرته بالاعمال الصالحة المستلزمة للخلاص من اهوال ما بعده التاسعة والعشرون ان يستعظم
من معصية غيره ما يستقل اكثر منه من نفسه ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره ويلزم من ذلك ان يكون طاعنا على الناس
في افعالهم ومداهنا لنفسه في فعلها الثلاثون ان يكون اللهو مع الاغنياء احب اليه من ذكر الله مع الفقراء وذلك لفرط محبته الدنيا
الحاضرة الحادية والثلاثون ان يحكم لنفسه على غيره فيما يشتهيه وان كان باطلا ولا يحكم عليها لغيره في حق وهو ظلم الثانية والثلاثون
ان يجمع بين ارشاد غيره بالهادي من القول وبين اغواء نفسه بفعله اي بعمل عمل الغاوين ويلزم ذلك ان يطيعه غيره وهو
يعصي الله الثالثة والثلاثون ان يستوفي ما له على غيره ولا يوفي ما عليه من غيره حق الله او حق خلقه الرابعة والثلاثون
ان يجمع بين خشية الخلق في غير الله اي في امر ليس لله وبين عدم خشية الله في خلقه ويلزم الاول ان يرضيهم بما يسخط الله
ويلزم الثاني ان يسخط الله بما يسخط خلقه واكثر هذه مشتملة من علم الفصاحة على التقابل والتضاد وورد التجرع على الصبر وقال ع
لكل امرئ عاقبة حلوة او مرة واشار الى غايته من حركاته الخيرية والشرية فغاية الخيرية الجنة ولذاتها وهي العاقبة الحلوة
وغاية الشرية النار وعذابها وهي العاقبة المرة واستعار لفظي الحلوة والمرة للذيذ والمكروه وقال ع لكل مقبل عاقبة
حلوة او مرة ادبار وما ادبر كأن لم يكن واراد المقبل من لذات الدنيا في معرض التزهيد والمقبل من شدائدها في معرض
تهوينها وتسهيلها وكأن من اخوات ان مخففة واسمها محذوف وقال ع لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان
فالصبور كثير الصبر ورغب فيه بما يلزمه من الظفر وان تأخر وذلك عند كمال استعداد الصبور بالصبر وقوته وقال ع الراضي
بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى كل داخل في باطل اثمان اثم العمل به واثم الرضا به ووجه التشبيه اشتراكهما في الرضا
به المستلزم للميل اليه ومناسبته للطبيعة ونفرته عن الدخول في الباطل بما يلزمه من الاثمين اما اثم العمل فظ واما اثم الرضا فلان
الرضا بالباطل يستلزم محبته وهي رذيلة واثم وقال ع اعتصموا بالذمم في اوتادها فالذمم العهود والعقود والايمان واستعار
لفظ الاوتاد لشرائط العهود واسباب احكامها كانها اوتاد حافظة لها واراد امتنعوا من سخط الله وعذابه بحفظ الذمم في اوتادها
فكان العصمة منه يكون في اسباب حفظها وفي متعلق باعتصموا وتركوا استعصموا وقال ع عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته
بها الله نعم وقيل هو ايجاب لطاعة من يجب طاعته من ائمة الحق الذين يجب العلم بحقية امامتهم ولا يعذر الناس في الجهل بهم لتعلم
قوانين الدين واحكامه منهم وقال ع قد بصرتم ان ابصرتم وهديتم ان اهتديتم واسمعتم ان سمعتم اي قد بصرتم سبيل
الرشاد وهديتم اليها واسمعتم الدلالة عليها ان كان لكم استعداد ان تبصروها وتسمعوا وتهتدوا اليها وقد مر مثله وقال ع
عاتب اخاك بالاحسان اليه واردد شره بالانعام عليه اي اجعل مكان عتابه بالقول والفعل الاحسان اليه والانعام عليه
فانهما انفع في عطف جانبه اليك ودفع شره عنك والعتاب مستعار للاحسان لاستلزامهما رجوع المعاتب وقال ع من
وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من اساء به الظن لانه هو السبب في اساءة الظن به ولا لوم على من اساء به الظن

لان ظنه ذلك مستند الى امارة من شانها توليد الظن وقال ع ثلث كلمات احابتها من ملك استأثر اي من ملك استبد واراد ان الملوك
من شانهم الاستبداد بالامور والمرغوب فيها والانفراد وذلك لتسلطهم وعدم المنازع لهم فاقتحام الامارة بالسوء منهم وهي كالمثل يضرب
لمن غلب على امر فاختص به ومنع غيره المشاركة ومن استبد برأيه هلك لان انفراد الانسان برأيه وعدم قبوله للنصيحة واستشارته
في الحرب ونحوها مظنة الخطا فيما المستلزم للهلاك فكانه قال من استبد برأيه فهو في مظنة الهلاك فاقام الهلاك مقام مظنته
مجازا اطلاقا لما بالفعل على ما بالقوة الثالثة ومن شاور الرجال شاركها في عقولها وذلك انه يستنتج منها الراي الاصلح ليعمل به
فكان عقول الرجال باسرها حاصلة لانتفاعه بثمرتها وهو ترغيب في الاستشارة وقال ع من كتم سره كانت الخيرة بيده وهو ترغيب
في كتمان السر اي كان مختارا في اذاعته وكتمانه بخلاف من اذاع سره فانه لا يتمكن بعد ذلك من كتمانه وقال ع الفقر الموت الاكبر
استعار له لفظ الموت ووصفه بالاكبر اما كونه موتا فلانقطاع الفقير عن مشتهياته ومطلوباته التي هي مادة الحيوة وثمرته لفقدها واما
انه اكبر فلتعاقب الامه على الفقير مدة حيوته واما الم الموت ففي وقت واحد وهو مبالغة في شدته وقال ع من قضى حق من لا
يقضي حقه فقد عبده اراد قضاء الحق بين الاخوان وانما كان كذلك لان قضاء الغير عنه لحق من لا يقضي حقه لا يكون لرجاء
نفع منه ولا دفع مضرة المرء بل يكون عملا له لانه هوا او خوفا منه او طمعا فيه وذلك صورة عبادة وقال ع لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق وذلك كالوضوء بالماء والصلوة في الدار المغصوبة ويحمل النهي هنا على نفي جواز الطاعة كما هو المنقول عنه وعن اهل
بيته عليهم السلم وعند الشافعي قد يصح الطاعة و ينهى لعصيانها وقال ع لا يعاب المرء بتاخير حقه انما يعاب بأخذ ما ليس له لتاخير
الحق قد يكون واجبا لمن هو له وقد يكون مندوبا واقله ان يكون مباحا ولا حرج في امر المباح واما اخذ ما ليس له فظلم وهو من
اقبح الرذائل التي يعاب بها المرء وقال ع الاعجاب يمنع من الازدياد اعجاب المرء بفضيلته الداخلة كعلم او الخارجة كعبادة و
قنيته انما يكون عن تصور كماله فيها واعتقاده انه قد بلغ منها الغاية والاعتقاد يمنعه عن طلب الزيادة منها وقال ع الامر
قريب والاصطحاب قليل اراد امر الله وهو الموت والاصطحاب في الدنيا وقال ع قد اضاء الصبح لذي عينين هو تمثيل واستعار لفظ
الصبح لسبيل الله ووصف الضياء لوضوحها وظهورها بوصف الشارع ودلالته عليها ويحتمل ان يكون ذلك تمام وصف سبق
منه للحق كان سائلا سأله عن امر فشرحه له مرة او مرارا وهو يستزيده فقال له هذا القول اي قد اوضحت لك الحق ان كنت تبصر
وقال ع ترك الذنب اهون من طلب التوبة اذ الترك لا كلفة فيه لكونه عدما وطلب التوبة من الله يحتاج الى استعداد
شديد يصلح معه العبد لقبولها منه وافاضة العفو عليه وقال ع كم من اكلة منعت اكلات وهو يجري مجرى المثل يضرب
لمن يفعل فعلا يكون سببا لحرمانه ما كان يناله من جنس ذلك واصله ان الرجل يأكل من الطعام فيتخم ويمرض فيحتاج الى الحمية و
الامتناع من الاكل وفي معناه من يعاشر ملكا ويسعد بالانبساط ثم يفرط في انبساطه عليه فيكون ذلك سببا لبعده عنه
وزوال سعادته منه وقال ع الناس اعداء ما جهلوا الجهل بالشيء مستلزم لعدم تصور منفعة العلم به وفضل الجاهل من ذلك
على اعتقاداته لا فائدة في تعلمه فيستلزم ذلك مجانبته له ثم يتأكد تلك المجانبة والبعد بكون العلم فضيلة يفتخر بها اهله
على الجهال ويكون لهم بها الحكم عليهم وانتقاصهم وحطهم عن درجة الاغبياء مع اعتقاد الجهال كمالهم ايضا لان تلك مجانبتهم للعلم و فيشتد لذلك م
اهله وعداوتهم لهذه الفضيلة وقال ع من استقبل وجوه الاراء عرف مواقع الخطاء والانسان المتصفح لوجوه الاراء
والمفكر في ايها اصوب لابد ان يعرف مواقع الخطاء في الامور ومظانها وهو ترغيب في الاستشارة والفكر في استصلاح الاعمال قبل
الوقوع فيها وقال ع من احد سنان الغضب لله قوي على قتل اشداء الباطل لما كان نعم هو العزيز المطلق كان استناد
قوة الغضب والحمية له الى عزته وصولة الغاضب اعتزازا يرا شد بكثير من صولته بذاته ولذلك الاستناد وبحسب تأكد القوة بعزة الله
يكون ضعفها بالاستناد الى الباطل المضاد لدينه ولذلك لما قهر اولياء الله على قلتهم في مبدأ الاسلام اعداءه على كثرتهم و
اطاق هو عليه السلم قلع باب خيبر على شدته او قتل جبابرة العرب واستعار لفظ السنان لحدة الغضب باعتبار استلزامهما النكاية
في العدو ثم يذكر الحد وقال ع اذا هبت امرا فقع فيه فان شدة توقيه اعظم مما تخاف منه ان للنفوس فيما يتوقع مكروهه
انفعالا كثيرا وتكرا عظيما في كيفية دفعه والخلاص منه وذلك اصعب بكثير من الوقوع فيه لطول زمان الخوف هناك وتأكده
بتوقع الامر المخوف وعند الوقوع فيه يتهيأ صغره قوله فان الحاجة ونفذ بكراهة وكلما كان اعظم مما يخاف من الشيء فينبغي ان يعدل
عنه الى الوقوع منه ينتج ان شدة توقيه ينبغي ان يعدل عنها الى الوقوع فيه وقال ع آلة الرياسة سعة الصدر سعة الصدر
فضيلة تحت الشجاعة وهي ان لا يدع الانسان قوة التجلد عند ورود الاحداث المهمة عليه واعلانها ولا يحار ويدهش فيها
بل يتحملها ويستعمل الواجب في معناها وقد يسمى ذلك رحب الذراع وهي من اعظم لوازم الرياسة الحقة التي ينبغي لها اذ الرياسة
مظنة ورود الاحداث المهمة والخطوب العظيمة واحوال الخلق المختلفة فمن لم يكن محتملا لهذه الامور وسيع الصدر بها فلابد

فى باب تحصيل الآداب والاخلاق الحسنة

ان يجاريها ويدهش فيما يرد عليه منها فيعجز عن تدبيرها ويلزم ذلك فساد دولته وزوالها. وقال ازجر المسيء بثواب
المحسن تصور المسيء جزاء المحسن باحسانه يدعوه الى الاحسان والرجوع عن الاساءة فكان ثوابه [illegible] بالاحسان كالزجر للمسيء
في استلزامهما انتهاءه عن عدوانه فاستعير [illegible] الزجر لها. وقال احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك. اغلب
ما ينشأ الشر في صدر العدو بسبب ما يتخيله من عدوه من اضمار الشر له وظن ذلك فيه وذلك التخيل والظن لا بد
ان يكون من
عن امارة من حركات عدوه ولحظاته ولسانه بالقول وخفته ما دامت تلك ونحوه اضمار الشر له فاما في صدره فاذا محا ما اضمره له
من العداوة والشر انمحت امارات ذلك من لسانه ووجهه وبحسب ذلك ينقص تخيل العداوة ويضعف سوء ظن العدو ولا يزال يتاكد
بعكس تلك الامارات وبامارات خالصة او مقالة [illegible] تظهر منه الى ان يمحي ذلك الظن في حقه واستعار لفظ الحصد لازالته لشبهه
بالزرع في زيادته وتشبهي تلك الامارات من عدوه وتواترها ونقصانه وعدمه بعدمها. وقال عم اللجاجة تسل الرأي اى تاخذه
وتذهب تلك الاساءة فيطلب [illegible] والرأي الحق هو التأني في طلبه والتثبت فيه فيحمله طبعه على اللجاجة فيه حتى يكون ذلك سببا
لفواته واستعار لفظ السل له وتشبيه اللجاجة بخاطف باعتبار انها هى العونة له فكانها اخذته وغيبته. وقال عم الطمع رق مؤبد
استعار لفظ الرق للطمع باعتبار ما يستلزمه من التعبد للمطموع فيه والخضوع له كالرق وتابيده باعتبار دوام التعبد بسببه فان
الطامع دائم العبودية لمن يطمع فيه ما دام طامعا وهو في ذلك كالدائم من الرق. وقال عم ثمرة الحزم السلامة وثمرة التفريط
الندامة التفريط اضاعة الحزم في الامور ولما عرفت ان الحزم عبارة عن تقديم العمل للحوادث الممكنة المستقبلة بما هو اقرب الى
السلامة وابعد من الغرر لاجرم كان ذلك مظنة السلامة ومنها كانت اضاعته والتفريط في العمل لما يستقبل من الحوادث مظنة
الوقوع فيها وعدم السلامة من بلائها وهو مستلزم للندامة على التفريط فيها فكانت الندامة من ثمراته. وقال لا خير في الصمت
عن الحكم كما انه لا خير في القول بالجهل الصمت عن النطق بالحكمة طرف تفريط من فضيلة القول والنطق عن الجهل رذيلة مضادة لها
والحق العدل وهو النطق بالحكمة وهو الفضيلة النطقية. وقال ما اختلفت دعوتان الا كانت احديهما ضلالة الاختلاف الحقيقي
انما يكون بين النقيضين ولما كانت الدعوة اما الى الحق وهو سلوك سبيل الله او الى غيره وكان كل ما عدا الحق مما يدعى اليه فهو ضلال
عن الحق وعدول عن سبيل الله لا جرم لم يختلف دعوتان الا كانت احداهما حقا والاخرى ضلالة وهو مستلزم للضلال وهذا يستلزم
بطلان كون كل مجتهد مصيبا ومذهبه المنقول عنه عم ان الحق واحد وفي جهة واحدة والمصيب له واحد. وقال ما شككت في الحق مذ
اريته من كان له استعداد درك الحق كمثله عم واستاذه رسول الله صم في اعداده وترتيبه وطول صحبته لمثل ذلك الاستاد كصحبته فمحال
ان يعرض له شك في امر يريه [illegible] من الحق. وقال عم ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضل بي. اما كونه لم يكذب ولم يضل
فلتربيته من حين الطفولية بالصدق ومكارم الاخلاق حتى صار ذلك ملكة [illegible] في الكذب والضلال ونحوهما واما كونه
لم يكذب فيما اخبر به من الحوادث المستقبلة والعلوم الغيبية ولم يضل به فلكون مخبره معصوما وهو الرسول صم والعصمة منافية للامرين
ومستلزمة لهداية الدليل وعلم تبعه. وقال عم للظالم البادي غدا بكفه عضة. اخبر بالبادي عن المجازي للظالم بمثله وكنى
بغد عن يوم القيمة وبعض كفه عن ندامته على تفريطه في جنب الله كقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه والغرض التنفير عن الظلم. و
قال عم الرحيل وشيك اى قريب واراد الرحيل الى الآخرة في معرض الوعظ والتخويف بالموت. وقال عم من ابدى صفحته للحق
هلك اى من تجرد لنصرة الحق في مقابلة كل احد هلك عند جهلة الناس لضعف الحق عندهم وغلبة حب الباطل على نفوسهم
وكنى بابداء صفحته عن اظهار نفسه ونصبها لذلك وقد مر بيانه. وقال عم من لم ينجه الصبر اهلكه الجزع. قد تكون المصيبة
عظيمة تستلزم المهلك بسببها وح يجب ان يقابل الجزع فيها بصبر ينجي من الهلاك والتقدير من لم يصبر على المصيبة لينجو فجزع هلك ويحتمل
ان يريد الهلاك الاخروي اى لم ينجه فضيلة الصبر هلك برذيلة الجزع وهو تنفير عن الجزع وحث على الصبر. وقال عم واعجباه اتكون
الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة وروى عنه عم شعر في هذا المعنى فان كنت بالشورى ملكت امورهم فكيف بهذا والمشيرون
غيب وان كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك اولى بالنبي واقرب روى هذا القول عنه بعد بيعة عثمن وهو صورة جواب ما كان يسمعه
من تعليل استحقاق عثمن للخلافة تارة بالشورى وتارة بانه من اصحاب رسول الله صم وتقريره ان استحقاقه للخلافة اما ان يكون
معللا بالشورى او بصحبة رسول الله صم فان كان الاول فكيف يملك عثمن امور الناس بالشورى واكثر من يستحق الاستشارة منهم لم يكونوا
حاضرين وذلك معنى اشارته بقوله فان كنت بالشورى تمام البيت وان كان الثاني فكيف يملك امورهم بالصحبة ويوجد من له الصحبة والنسب
والقرابة معا بل يكون هذا اولى وان كان الثالث فغيره اولى منه بالنبي واقرب اليه وعنى نفسه في الوجهين وقوله فكيف بهذا اى
يملكه
فكيف يملكه بهذا. وقال انما المرء في الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا ونهب تبادره المصائب ومع كل جرعة شرق وفي كل اكلة غصص ولا ينال
العبد نعمة الا بفراق اخرى ولا يستقبل يوما من عمره الا بفراق آخر من اجله فنحن اعوان المنون وانفسنا نصب الحتوف فمن اين نرجو البقا

وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شيء شرفا الا اسرعا الكرة في هدم ما بنيا وتفريق ما جمعا الاستعمال الترجي وهذا فصل لطيف من الكلام
وفقرا اشتمل على ثمان كلمات فلفظة احدها استعار لفظ الغرض للانسان باعتبار رميه بسهام المنايا واسبابها من الامراض
والاعراض المهلكة ووصفها بالانتضال لذلك ترشيح كان المنايا هي الرامية الثانية استعار لفظ النهب بمعنى المنهوب باعتبار سرعة
المصائب الى اخذه الثالثة كنى عن تنغيص لذات الدنيا بما يشوبها ويخالطها من الاعراض والامراض بقوله مع كل جرعة الى قوله غصص
الرابعة كون العبد لا ينال نعمة الا بفراق اخرى اذ النعمة الحقيقية هي اللذة وما يكون وسيلة اليها نعمة بواسطتها وظاهر ان النفس في
الدنيا لا يمكن ان تحصل على لذتين دفعة بل ما لم ينفصل عن لذة اولى ويتوجه نحو اللذة الحادثة لا يحصل لها الالتذاذ بها
ولا يستقبل يوما من عمره الا بفراق اخر من اجله لان طبيعة الزمان التقضي والسيلان السادسة كوننا اعوان المنون باعتبار ان
كل نفس وحركة من الانسان فهي مقربة له الى اجله فكانه ساع في اجله ومساعد عليه السابعة كون نفوسنا نصب الحتوف ونصب
بمعنى منصوبة كالغرض الثامنة الاستفهام عن جهة رجاء البقاء استفهام انكار لوجودها مع وجود الزمان الذي من شانه انه لم يرفع شيء
شرفا ويجمع لامر شملا الا اسرع العود في هدم ما رفع وتفريق ما جمع اي عدد للثاني كما اعتد للاول وقال يا ابن ادم ما كسبت فوق
قوتك فانت فيه خازن لغيرك اذ اكتساب الزيادة على القوت والمؤنة بعد الحاجة وادخاره غير نافع للمدخر اذ ليس ضرورته بل مضر به
مفارقته ما ادخره ووصوله الى الوارث وغيره فهو اذن يشبه الخازن فاستعار لفظه له وهو تنفير عن البخل بالفضل من المال عن قدر
الحاجة وقال ان للقلوب شهوة واقبالا وادبارا فاتوها من قبل شهوتها واقبالها فان القلب اذا اكره عمي اراد بالاقبال
الميل وبالادبار النفرة عن ملال ونحوه وامر باعمال النفوس فيما ينبغي اعمالها فيه من فكر ونظر وحملها عليه حين ميلها اليه واقبالها
عليه لان ذلك بنشاط في القوى النفسانية ومعاونة ودوام له للنفس ونفر عن حملها عليه مع النفرة عنه والكراهية له بضمير صغراه
قوله فان القلب اذا اكره عمي اي ان اكراه النفس على الفكر في الشيء حين نفرتها عنه عن ملال او ضعف قوة ونحوه يزيدها اكراها عنه
له ونفرة ويقوم لها بذلك مانع من الوهم والخيال عن ادراك ما تفكر فيه فلا يدركه وان كان واضحا حتى يكون كالاعمى ولذلك
استعار له وصف الاعمى وتقدير كبراه وكلما كان عاميا في اكراهه على الشيء فلا يجوز كراهته وقال متى اشفي غيظي اذا غضبت
احين اعجز عن الانتقام فيقال لي لو صبرت ام حين اقدر عليه فيقال لي لو عفوت استفهم عن وقت جواز شفاء الغيظ
استفهام انكار لوجوده في معرض التنفير عن هذه الرذيلة ونفر عنها بقوله احين الى اخره وذلك انه اما حين العجز عن الانتقام
او حين القدرة عليه وشفاء الغيظ في الاول لا يجوز لانه يكون بالسب والشناعة وتقطيع العرض ونحوه وذلك يستلزم لائمة
الخلق وتعييبهم وقولهم في الحث على فضيلة الصبر لو صبرت لكان اولى وفي الثاني ايضا لا يجوز لاستلزام الشروع في العقوبة لائمة
الخلق والعذل عن فضيلة العفو التي هي اولى وقول الناس عليها لو عفوت لكان العفو اولى وقال وقد مر
بقذر على مزبلة هذا ما بخل به الباخلون وفي خبر اخر انه قال هذا ما كنتم تتنافسون عليه بالامس اشار اليه
بذلك لانه غاية ما يبخل به الباخلون ويتنافس الناس فيه من المال والطعام فانه للغاية مقام ذي الغاية وقال لم يذهب
من مالك ما وعظك اي القدر الذي يذهب من مالك على طريق امتحان الله وابتلائه لك بامر يذهب فتحصل لك بذلك
بذهابه موعظة لا يعد مالا ذاهبا لانه باق ببقاء منفعته وشرف ثمرته وهي الموعظة وقال لما سمع قول الخوارج لا حكم
الا لله كلمة حق يراد بها باطل وقد مر تفسيره وقال في صفة الغوغاء وهم العوام هم الذين اذا اجتمعوا ضروا واذا تفرقوا
نفعوا فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم فقال يرجع اصحاب المهن الى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع
البناء الى بنائه والنساج الى منسجه والخباز الى مخبزه المهنة الحرفة والصناعة والفصل ظ وقال وقد اوتي بجان معه غوغاء
فقال لا مرحبا بوجوه لا ترى الا عند كل سوءة اي لا ترى مجتمعة اذ العوام لا يجتمع غالبا الا في مثل ذلك فكلام الخطيب على اغلب الاحوال
والسوءة فعلة من السوء وقال ان مع كل انسان ملكين يحفظانه فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه وان الاجل جنة حصينة
اي اذا جاء القدر بموته على وفق القضاء الالهي وهو كقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت الاية واستعار لفظ الجنة
بوصف الحصينة للاجل وقد بينا ذلك في قوله وان علي من الله جنة حصينة وقال له طلحة والزبير نبايعك على انا شركاؤك في هذا
الامر فقال لا ولكنكما شريكان في القوة والاستعانة وعونان على العجز والاود الاود الاعوجاج وقوله عونان على العجز والاود اي دفع
ما يعرض منهما او حال وجودهما لان كلمة على تفيد الحال وقال ايها الناس اتقوا الله الذي ان قلتم سمع وان اضمرتم علم
وبادروا الموت الذي ان هربتم منه ادرككم وان اقمتم اخذكم وان نسيتموه ذكركم والمعنى ظ رغب في تقوى الله والخشية منه باعتبار
سمعه لما يقول العبد وعلمه بضميره وحذف المفعولين للعلم بهما اي سمع مقالكم وعلم ضميركم ورغب في مبادرة الموت وسابقته بالاعمال

غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا وقيل بل قال ع هم الذين اذا اجتمعوا ضروا

بل مر

في تحصيل الآراء والأخلاق الحسنة

الصالحة الى حفظ النفوس بها من عذاب الاخرة وهول الموت ونفرهم منه لتسارع الدنيا دونه بكونه لا ينجو منه احد واستعار الورود على الانسان
لفظ الذكر في مقابلة النسيان ملاحظة لشبهه بالقاصد له عن علم به وقال ع لا يزهدنك في المعروف من لا يشكره لك فقد
يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه وقد تدرك من شكر الشاكر اكثر مما اضاع الكافر والله يحب المحسنين نهى عن الزهد في المعروف
بسبب عدم شكر المحسن اليه له ورغب فيه بضمائر ثلثة صغرى الاول قوله فقد يشكرك عليه الى قوله منه وذلك لمحبة الناس للفاعل
والمحسنين وتقدير كبراه وكلما يشكرك عليه من لم يستمتع بشيء منه فواجب ان يفعله وصغرى الثاني قوله والله يحب المحسنين اى لاحسانهم
وتقدير كبراه وكل من يحبه الله لفعل فواجب ان يدخل الفاعل في زمرتهم ويتقرب الى الله بمثل فعله وقال ع كل وعاء يضيق بما جعل فيه الا وعاء
العلم فانه يتسع به الاوعية المحسوسة لما كانت متناهية الاتساع فمن شانها ان يضيق بما يجعل فيها واوعية العلم معقولة وهي النفوس
وقوة ادراك العلوم فيها غير متناهية وكل مرتبة من ادراكها تعد لما بعدها الى غير النهاية فمن الواجب ان يتسع بالعلم ويزيد بزيادته وقال
اول عوض الحليم من حلمه ان الناس انصاره على الجاهل ويحتمل ان يريد من عدم حلمه اذ العوض يكون عن شيء فائت كالطيش ونحوه
فحذف المضاف وفيه ترغيب في هذه الفضيلة بما يلزمه من نصرة الناس لصاحبها على الجاهل عند سفهه عليه وقال ع ان لم تكن حليما
فتحلم فانه قل من تشبه بقوم الا اوشك ان يكون منهم امر بتعلم هذه الفضيلة فان مبادي الملكات الخلقية لانها مكتسبة عن التعلم
ورغب في تعلمها بضمير صغراه قوله فانه قل الى اخره والضمير في انه ضمير الشان وتقدير الكبرى وكل من اوشك ان يكون من اهل الحلم بتعلمه
له فواجب ان يتعلمه وقال ع كلمات احديها من حاسب نفسه ربح لان المحاسب لنفسه على اعمالها يعلم خسرانه من ربحه فيعمل للربح و
يحترز من الترك المستلزم للخسران الثانية ومن غفل عنها خسر وذلك ان قربها من اللذات الحاضرة يستلزم ميلها اليها ما لم يجذب عنها
بالجواذب الالهية من الزواجر والمواعظ المذكرة فالغفلة عن جذبها وتنبيهها من مرافقة الطبيعة بتذكيره بالله ووعيده يستلزم
اهمالها للاعمال الصالحة التي يلزمها ربح السعادة الاخروية والحصول على تركها وذلك هو الخسران الثالثة ومن خاف من عذاب الله عمل
للخلاص منه ليامن الموقف الرابعة ومن اعتبر اي تبصر من نظر مواضع العبرة بعين الفكر والاعتبار ابصر الطريق الى الحق ومن ابصرها فهم
المقصود منها اليه ومن فهم ذلك حصل له العلم النافع بالحق وقال ع لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على
ولدها وتلا عقيب ذلك قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين الضروس الناقة السيئة
الخلق تعض حالبها ليبقى لبنها لولدها وذلك لفرط شفقتها عليه واستعار لفظ الشماس للدنيا باعتبار امتناعها المنعة منها ملاحظة لشبهها
بالفرس الذي يمنع ظهره ان يركب وشبه عطفها بعد ذلك عليهم واعدادها لتمكنهم من الحكم فيها بعطف الضروس على ولدها ووجه الشبه شدة
العطف والاستشهاد بالاية ظ وقال ع اتقوا الله تقية من شمر تجريدا وجد تشميرا واكمش في مهل وبادر عن وجل ونظر في
كرة الموئل وعاقبة المصدر ومغبة المرجع اكمش اسرع والمهل الامهال والكرة الرجعة والموئل المرجع والمغبة العاقبة والمراد اتقوا الله
كتقية من شمر عن ساق الجد في طاعة الله وجرد نفسه لمرضاته تشميرا وسارع بالاعمال الصالحة ما دام في مهلة الحيوة وبادر مغفرته وجل
من ثمرات سيئاته وفكر في عوده الى الملجأ الاول الذي منه بدأ وهو حضرة الربوبية وكيف عاقبة المصدر الذي عنه صدر في ابتداء كونه
واليه يعود ومغبة المرجع من خير الحصول عليه او شر يعمل الخلاص منه وقال ع ثلث عشرة كلمة احديها الجود حارس الاعراض واستعار لفظ
الحارس باعتبار ان الجود يحمي عرض صاحبه من السب كالحارس الثانية والحلم فدام السفيه والفدام ما يشد به المجوسي فمه واستعار لفظه
للحلم باعتبار ان الحليم اذا قابل السفيه بحلمه عن عفو ثم سكت عنه واقلع عن سفهه في حقه فاشبه الفدام له الثالثة والعفو زكاة الظفر
استعار لفظ الزكوة للعفو باعتبار انه فضيلة تستلزم زيادة الثواب في الاخرة ويحط في ذلك شبه الظفر بالمال الواجبة زكوته وهو ترشيح
في العفو الرابعة والسلو عوضك ممن غدر وهو امر للانسان بالسلو عن الهم بسبب غدر من يطلب وفاه ورغب فيه بكونه عوضا منه ونعم
العوض الخامسة والاستشارة عين الهداية الاستشارة طلب صلاح الاراء في الامر وهو مستلزم للهداية اليها وجعل عينها تاكيدا لقوة
استلزامها لها السادسة وقد خاطر من استغنى برايه اي اشرف على الهلاك من استبد برايه لان ذلك مظنة الخطاء المستلزم للهلاك
ونحوه مثله السابعة والصبر يناضل الحدثان استعار لفظ المناضلة للصبر باعتبار دفعه الهلاك عن الجزع في المصايب الثامنة والجزع من اعوان
الزمان معد للهرم والفناء والجزع يعد لذلك فكان معينا له التاسعة واشرف الغنى ترك المنى لان اشرف الغنى غنى النفس لكمالاتها
النفسانية من الحكمة ومكارم الاخلاق وهو مستلزم لترك المنى والامال اذ لا اجتماع مع المنى المستلزم للحرص اذ هو اشتغال النفس بالاماني
عما ينبغي وللافراط في محبة الدنيا مع كثير من اهل الرذائل كالحرص والحسد والشره ونحوها فيلزم من ذلك اجتماع الضدين الفضيلة
والرذيلة العاشرة وكم من عقل اسير تحت هوى امير العقل اما ان يقوى على قهر النفس الامارة ويصرفها حسب ما يراه او يقاومها
لمنازعتها له مرة له ومرة عليه او يكون مقهورا او مغلوبا لها والاول هو العقل المطيع لله القوي بامره والمجاهد الثاني من وجه وانما
الثالث فهو العاصي بانقياده لهواه كالاسير له وهو الغالب في عالم الانسان لحضور اللذات الحسية دون العقلية فلذلك اخبر عنه

١

بكم الجارية

بكم الحادية عشرة من التوفيق حفظ التجربة اي لزومها ومداومتها الثانية الانتفاع بها وظاهر ان ذلك من توفيق الله تعالى بتسهيله لاسبابها وتقديره لتوافقها
في حق العبد الثانية عشرة المودة قرابة مستفادة لان القرابة اسم من القرب وهو اما ان يكون اصليا كقرب النسب ومستفادا مكتسبا كقرب
الصداقة والمودة الثالثة عشرة لا تأمنن ملولا لان الملول يصرفه ملاله عن الثبات على الصداقة والعهد وكتمان السر وحفظها فمن الحزم
اذن ان لا يؤمن على شئ من ذلك وقال عجب المرء بنفسه احد حساد عقله استعار له لفظ الحاسد باعتبار انه يؤثر في منع العقل
من ازدياد الفضيلة والاستكثار منها كما يؤثر الحاسد بحسده في حال المحسود وتنقيصه وقال ع اغض على القذى والا لم ترض
ابدا الاغضاء على القذى كناية عن كظم الغيظ واحتمال المكروه وهو فضيلة تحت الشجاعة ولما كانت طبيعة الدنيا معجونة بالمكاره
لم يخل الانسان في اكثر احواله من ورودها عليه فان لم يقابلها بالاحتمال بل بالتسخط والغضب والتبرم بها لم يزل ساخطا عاتبا ما
بغضبه له دوام الامور والمكاره عليه وقال ع من لان عوده كثفت اغصانه استعار لفظ العود لطبيعته وكنى بلينه عن التواضع و
كذلك استعار لفظ الاغصان للاعوان والاتباع وكنى بكثافتها عن اجتماعهم عليه وكثرتهم وقوته بهم والمراد ان من كانت له فضيلة
التواضع ولين الجانب كثرت اعوانه واتباعه وقوي باجتماعهم عليه وقال ع الخلاف يهدم الرأي واصله ان رأي الجماعة
يجتمع على امر تكون المصلحة فيه فيقع من بعضهم خلاف فيه فيهدم ما اجمعوا عليه ورأوه من المصلحة كرأيه ع هو وجماعة من اصحابه
عند رفع اهل الشام المصاحف صبيحة ليلة الهرير من تمام القتال وهو المصلحة فهدم ذلك الرأي من خالف فيه من اصحابه حتى وقع
بذلك ما وقع وقال ع من نال استطال اي من نال ما يوجب الاستطالة من جاه وسلطان او مال استطال بسبب ذلك اذ كان في
مظنة ان يستطيل على غيره بما ناله فاقام ما بالقوة مقام ما بالفعل ويصدق بالفعل ايضا لان كلام الخطيب مطلق يصدق في الاكثر
والكلمة تجري مجرى المثل وقال ع في تقلب الاحوال علم جواهر الرجال اي تقلب احوال الدنيا على المرء كرخائه بعد شدته وبالعكس
وكثرته والشدة سبب العلم التجربي باحواله الباطنة من خير وشر وجلادة وضعف وفضيلة ورذيلة ونحوه ما قيل الولايات
مضامير الرجال وقال حسد الصديق من سقم المودة المودة الخالصة تستلزم ان يريد الانسان لمن يوده ما يريد لنفسه ويكره
له ما يكرهها والحسد ينافي ذلك لاستلزامه ارادة زوال الخير عن المحسود فمودة الحاسد اذن مدخولة غير صحيحة وهو المراد بسقمها
وقال ع اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع العقل من شانه الذي ينبغي له ان يقاوم النفس الامارة ويكسرها ويسيرها
بحسب رايه الصالحة ومن شان النفس مخادعة العقل وغروره بزينة الحيوة الدنيا وقيناتها واطماعه بها فالعقول الضعيفة غير
المؤيدة من الله اكثر ما تنخدع وتنصرع في حروبها للنفوس الامارة اذا لاح لها مطمع وهي من الدنيا فاستعار لفظ المصارع للعقول
ملاحظة لقهرها عن النفوس وانفعالها فاشبهت في الذلة والانقياد لها ونزلت مقامها ومنها عن اخذ مصرعه من الحرب وكذلك استعار
لفظ البروق لما لاح من تصور المطموع فيه وكثيرا ما تشبه العلوم والخواطر الذهنية بالبروق للطافة وصفائه وسرعة حركته وانما قال
تحت لان المصارع من شانها ان تكون تحت وقال ع ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن اي من كان عندك ثقة معروفا بالامانة فحملك عليه
بالخيانة عن ظن خروج عن العدل وهو رذيلة الجور وقال بئس الزاد الى المعاد القضاء على الثقة بالظن لان الظلم رذيلة عظيمة (العدوان على العباد)
منعتها للاذى مستلزمة للشقاء الاشقى في الآخرة فهي بئس الزاد اذن ولفظ الزاد مستعار باعتبار حمل هذه الرذيلة في جوهر النفس الى الآخرة كالزاد
وقال من اشرف افعال الكريم غفلته عما يعلم اي تغافله واغضاؤه عما يعلم من معايب الناس ومن هفواتهم لاستلزام ذلك فضائل
كاحتمال المكروه والحلم والعفو والصفح وكلها فضائل تلزم الكرم لانه فضيلة يبذل بها الانسان عن المبادرة الى ضدها اولى ان يغضب فيمن
يغضبه وما استلزم هذه الفضائل فهو من اشرف الافعال وقال ع من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه استعار لفظ الثوب
لما يشمل الانسان من الحياء ورشح بذكر الكسوة والمراد ان فضيلة الحياء تستلزم ترك المعايب فلا يرى في صاحبه وان ارتكب بعضا
من الرذائل على غاية من التستر والاجتهاد في اخفائه وهو مظنة ان لا تراه الناس وقال ع بكثرة الصمت تكون الهيبة وبالنصفة يكثر
المتواصلون وبالافضال تعظم الاقدار وبالتواضع تتم النعمة وباحتمال المؤن يجب السؤدد وبالسيرة العادلة يقهر المناوي وبالحلم
عن السفيه يكثر الانصار عليه اشار الى سبع فضائل ورغب في كل منها بما يستلزم من الخير احديها كثرة الصمت وما يلزم منها كون الصامت
مهابا في اعين الناس لان الصمت من توابع العقل غالبا وهيبة اهل العقل ظاهرة فان عرف ان كثرة صمت الصامت عن عقل كانت
مهابته اوكد وان لم تعرف حاله كانت لتجويز ان يكون عن كمال عقله وقد يعرف انه لنقصان في غريزته وعيبه في الكلام ويحتمل ان ذلك
لعدم اختلاطه الثانية النصفة وهي فضيلة العدل ورغب فيها بما يلزمها من كثرة المتواصلين لان قلة الانصاف تستلزم
للعداوة وقطع الالفة كما قال ابو الطيب: ولم تزل قلة الانصاف قاطعة بين الرجال وان كانوا ذوي رحم الثالثة الافضال على
الخلق بما يحتاجون اليه ويلزمه علو الاقدار وعظمها لتعين الحاجة الى المتفضل ومحبته الرابعة التواضع ويلزمه تمام النعمة بكثرة
الاخوان واهل المودة لان فضيلة التواضع نعمة وما يلزمها كالتمام لها الخامسة احتمال المؤن ويلزمه السؤدد لان احتمال مؤن الخلق

بسلامة صدره فضيلة سعة الصدر واحتمال المكروه وبحسب ذلك تحصل مطالب الخلق من المحتمل غير مشوبة بشيء من كدر المقابلة ومنه
ونحوهما فيكثر خدمهم له ويقوى امره وسودده فيهم السادسة السيرة العادلة وثمرتها قهر المناوي والمنازي والمعاداة وذلك ان العدو
لا يجد لصاحب السيرة العادلة عيبا يستظهر به عليه ويبغي به في فساد امره فيبقى مقهورا مامورا السابعة الحلم عن السفيه ويلزمه كثرة
الانصار عليه وقد قررناها من قبل **وقال** عليه السلام العجب لغفلة الحساد عن سلامة الاجساد لان الغالب ان الحسد انما يكون بالغنى والجاه
وسائر قنيات الدنيا فترك الحساد الحسد بصحة الجسد مع كونها اكبر نعم الدنيا محل التعجب والفرق ان تلك النعم مشاهدة يقل الغفلة
عنها وينفرد المحسود بها واكثر الترفع على الحاسد يكون بها فاما نعمة الصحة فمعقولة تكثر الغفلة عنها ومشتركة **وقال** عليه السلام
الطامع في وثاق الذل استعار لفظ الوثاق للذل المقيد للعبد لطاعة المطموع فيه وقد مر مثله في قوله الطمع رق مؤبد **وقال** عليه السلام
الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان الاركان وهي المساحل الخمسة وادلة الايمان الكامل **وقال** عليه السلام
من اصبح على الدنيا حزينا فقد اصبح لقضاء الله ساخطا ومن اصبح يشكو مصيبة نزلت به فانما اصبح يشكو ربه ومن اتى
غنيا فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه ومن قرأ القرآن فمات ثم دخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا ومن لهج
قلبه بحب الدنيا التاط منها بثلاث هم لا يغبه وحرص لا يتركه وامل لا يدركه وقد اشار الى خمس خصال نفر عن كل منها بما
يلزمه من الشر احدها الحزن على فائت الدنيا ويلزمه سخط قضاء الله لان فوت ذلك كان نقصا منه وسخط قضاء الثانية
شكوى المصيبة يلزمها الشكوى من الله لان الله منعم هو المبتلي بها الثالثة التواضع للغني لاجل غناه يلزمه ذهاب ثلثي دين المتواضع لوجوه احدها
ان مدار الدين على كمال النفس الانسانية بالحكمة وكمال القوة الشهوية بالعفة وقوة الغضب بالشجاعة ولما كان التواضع للغني من جهة غناه
يستلزم زيادة محبة الدنيا والخروج عن فضيلة الشهوة الى طلب الفجور حتى كانه عابد لغير الله ويستلزم الخروج عن الحكمة التي مقتضاها
وضع كل شيء موضعه وهي فضيلة النفس الناطقة كان خارجا عن فضيلتي هاتين القوتين وهما ثلثا الدين الثاني ان مدار الدين
على الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان ومن شان المتواضع للغني لغناه اشتغال اللسان بمدحه وشكره واشتغال الجوارح
بخدمته عن طاعة الله والقيام بشكره فهو مهمل لثلثي دينه قيل ان التواضع للغني لغناه يستلزم حب الدنيا وحبها راس كل خطيئة
فاستعمل عليه السلام لفظ الثلثين هنا في الاكثر مجازا اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه الرابعة كون قراءة القرآن مع دخول النار مستلزما لكون
القارئ ممن كان يتخذ آيات الله هزوا وذلك ان قراءة القرآن لله بالاخلاص والعمل بمقتضاه يستلزم دخول الجنة وعدم دخولها
ودخول النار يستلزم عدم الاخلاص في قراءة القرآن وعدم العمل به فيكون في قراءته كالمستهزئ بآيات الله اذ شان المستهزئ
ان يقول ما لا يعتقده ولا يعمل به فاستعار له لفظ المستهزئ الخامسة من لهج قلبه بحب الدنيا التاط اي لصق واختلط منها بثلثة
ووجه لزوم الثلثة ان الحرص والولوع بها ان حبها يستلزم الكد في طلبها وجمعها ولما كان حصولها مشروطا باسباب مقدورة
للعبد واسباب غير مقدورة والمقدورة منها قد لا يكون مقدورة للطالب وان كانت لكنها تكون متعسرة لتوقفها على اسباب
كثيرة او عسرة لا جرم يلزمه الحزن غالبا في تحصيلها والهم الذي لا يغبه اي لا يأتيه غبا وهو يوم لا ويوم نعم ثم في حفظها وخوف فوتها
والحرص على استخراجها من وجوهها وطول الامل في وجوه مكاسبها وارباحها وتجاراتها وعماراتها ونبه على طوله بقوله لا يدركه
ونفر عنه بذلك **وقال** عليه السلام كفى بالقناعة ملكا وبحسن الخلق نعيما استعار لفظ الملك للقناعة لان غاية الملك الغناء عن
الخلق والترفع عليهم بذلك والالتذاذ والقناعة مستلزمة لهذه الغايات وكذلك استعار لفظ النعيم لحسن الخلق باعتبار
استلزامهما للالتذاذ وسئل عن قوله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة فقال هي القناعة وفسرها بلازمها وهو الحيوة الطيبة **وقال**
شاركوا الذي قد اقبل عليه الرزق فانه اخلق للغنى واجدر باقبال الحظ اخلق واجدر اي اولى ولما كان اقبال الرزق
بتوافق اسبابه في حق من اقبل عليه كانت مشاركته مظنة اقبال الحظ الشريك واقبال الرزق عليه بمشاركته ورغب فيها بضمير صغراه
قوله فانه الى اخره والضمير في قوله فانه يعود الى ما دل عليه شاركوا من المصدر وتقدير كبراه وكلما كان كذلك ففعله مصلحة **وقال**
في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى العدل الانصاف والاحسان التفضل وهو تعريف لفظ بلفظ اوضح منه
عند السائل **وقال** عليه السلام من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة وذلك اشارة الى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
وقوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم واستعار لفظ اليد في الموضعين للنعمة والعطاء وكنى بالطول والقصر عن الكثرة والقلة
وقال عليه السلام لابنه الحسن لا تدعون احدا الى مبارزة وان دعيت اليها فاجب فان الداعي باغ والباغي مصروع نفر عن الدعوة الى
المبارزة بقياس كامل من الشكل الاول وهو قوله فان الداعي الى قوله مصروع وبيان ان الدعاء الى المبارزة خروج عن فضيلة
الشجاعة الى طرف الافراط منها وهو التهور وهو بغي وعدوان لانه خروج عن فضيلة العدل في القوة الغضبية واما ان الباغي
مصروع ففي غالب الاحوال لاستعداده ببغيه لذلك لان المبارزة واجبة في الطبيعة **وقال** عليه السلام خيار خصال النساء شرار خصال

الرجال

في مواعظ مشتملة على حصول الأخلاق

الرجال الزهو والجبن والبخل فاذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها واذا كانت المرأة بخيلة حفظت مالها ومال بعلها واذا كانت
المرأة جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها الاخلاق الثلثة المذكورة رذائل للرجال وهي فضائل للنساء وبيان كونها فضائل
هو ما ذكره ع والمزهوة المتكبرة ولا يبنى الفعل من الزهو الا للمفعول به يقال زهى الرجل وزهيت المرأة فهي مزهوة والفرق الخوف
وقيل له ع صف لنا العاقل فقال هو الذي يضع الشيء مواضعه فقيل فصف لنا الجاهل قال قد فعلت يعني ع ان الجاهل هو الذي
لا يضع الشيء مواضعه فكان ترك صفته صفة له اذ كان بخلاف وصف العاقل عرف العاقل بخاصته من خواصه ولما كان الجاهل
عديم ملكة العاقل كان تعريفه بما يقابل خاصة العاقل تعريفا بالمناسب وهو خاصة ايضا من خواص الجاهل وقال ع والله
لدنياكم هذه اهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم عراق جمع عرق وهو جمع غريب كتوام وتوم وهو العظم الذي يحث
عنه اللحم وذلك مبالغة في هون الدنيا وحقارتها في عينه وتنزهه عنها لان العرق لا خير فيه فاذا اكد بكونه من خنزير ثم بكونه
في يد مجذوم بلغت النفرة منه الغاية وقال ع ان قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وان قوما عبدوا الله
رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الاحرار قسم ع عبادة العابدين بحسب اغراضها الى
ثلثة وهي عبادة الرغبة وعبادة الرهبة وعبادة الشكر وجعل الاولى عبادة التجار باعتبار انهم يستعيضون عنها ثواب الاخرة
ويطلبونه بها فانهم في حكم التجار المكتسبين للارباح والثانية عبادة العبيد في الدنيا لان خدمتهم لساداتهم اكثر ما تكون رهبة
والثالثة عبادة الشاكرين وهم الذين يعبدون الله لا لرغبة ولا لرهبة بل لانه هو مستحق العبادة وهي عبادة العارفين واشار
اليها ع في موضع اخر فقال ما عبدتك خوفا من عقابك ولا طمعا في ثوابك بل وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك وقال ع
المرأة شر كلها وشر ما فيها انه لا بد منها واراد ان احوالها كلها شر على الرجل اما من جهة مؤنتها فظ واما من جهة لذتها وسمتها
بها فلاستلزام ذلك البعد عن الله تع والاشتغال عن طاعته واسباب الشرور وان كانت عرضية ولما كان كونها لا بد منها
اعني وجوب الحاجة اليها في طبيعة الوجود الدنيوي هو السبب في تحمل الرجل المرأة ووقوعه في شرورها وجب ان يكون ذلك الاعتبار اي اقوى
الشرور المتعلقة بها لان السبب اقوى من المسبب وقال ع من اطاع التواني ضيع الحقوق ومن اطاع الواشي ضيع الصديق
الانقياد في سلك التواني عن الحقوق المطلوبة يخرجها عن وقت الفرصة لحصولها وذلك يستلزم تضييعها وتفويتها وكلام الواشي
مظنة السعي بالفساد بين المتصادقين وطاعته فيما يقول مظنة وقوع الوحشة بينهما وتضييع كل منهما لصاحبه وقال ع الحجر الغصب
في الدار رهن على خرابها استعار لفظ الرهن للحجر المغصوب في دار الظالم باعتبار كونه سببا لخرابها كما ان الرهن سبب لاداء ما عليه
من المال وهو كناية عن مطلق استلزام الظلم لهلاك الظالم وخراب ما بناه بظلم وان تاخر امده وقد عرفت كون الظلم معدا لذلك ونحوه
قول الرسول ص اتقوا الحرام في البنيان فانه اساس الخراب وقال ع يوم المظلوم على الظالم اشد من يوم الظالم على المظلوم واراد بيوم
المظلوم يوم القيمة وخصصه به لانه يوم انصافه واخذ حقه وكذلك تخصيص يوم الظالم بوقت ظلمه لانه في الدنيا وقال ع اتق الله بعض التقى
وان قل واجعل بينك وبين الله سترا وان رق امر بالتقوى لانها الزاد الى الله ولما كان الاستكثار منها مستلزما للقرب من الله وسرعة
الوصول في الطريق الصعبة الطويلة واستعار لفظ الستر لحدود الله الساترة من عذابه وامر ان يجعلها بينه وبين الله اي يحفظ حدوده
ولا يهتكها فيقع في مهاوي الهلاك فغلظ الستر شدة المحافظة على حدود الله وعدم سيقفا المباحات لخوف الوقوع في الحرام ورقته
باستيفاء الامور الجائزة من المباحات والمكروهات وقال ع اذا ازدحم الجواب خفي الصواب اي اذا سئل عن مسألة فاجاب جماعة
كل بما يخطر له في المسألة او يخص بعدة من الاجوبة خفي الصواب فيها لالتباس الحق من تلك الاجوبة واكثر ما يكون ذلك في المسائل
الاجتهادية وازدحامه كثرته وقال ع ان لله في كل نعمة حقا فمن اداه زاده منها ومن قصر عنه خاطر بزوال نعمته حق الله في النعمة
شكرها الواجب واما استلزام ادائه للمزيد منها وكون التقصير مظنة زوالها فلقوله تع لئن شكرتم لازيدنكم الاية وقد عرفت الشكر
ونفر عن الكفران بذكر كون ذلك حقا لله وقد مر بيانه مرارا وقال ع اذا كثرت المقدرة قلت الشهوة لان قليل القدرة
على ما يشتهيه لا يزال مستشعر الخوف فواته عند حصوله فيكون ذلك الخوف معاقبا للذته به فلا يزال يحفلبه وعدغته نفسانيته
تحمله على مشتهاه وتبعث شهوته عليه اما اذا تمت قدرته عليه فانه يأمن فوته ويحسب ذلك يضعف انبعاث الشهوة ويقل الحاجة
عليه وشهوته له وقال ع احذروا نفار النعم فما كل شارد بمردود استعار لفظ النفار والشرود لزوال النعم ملاحظة لشبهها
بالنعم وحذر منه حثا على تقييدها بالشكر ونبه على وجوب ذلك الحذر بقوله فما كل الى اخره وهو صغرى ضمير تقديرها الشارد
جاز ان لا يرد وتقدير كبراه وكلما جاز ان لا يرد لم يجز تنفيره وقال ع الكرم اعطف من الرحم اي اشد عطفا ويفهم منه احد
معنيين الاول ان الكريم بكرمه اعطف على المنعم عليه من ذي الرحم على ذي رحمه لان عاطفة الكريم طبع وعاطفة ذي الرحم قد
يكون تكلفا وقد لا يكون اصلا والثاني ان الكرم يستلزم عاطفة الخلق على الكريم ومحبتهم له اشد من عاطفة ذي الرحم على رحمه

في احاديث متفرقة مشتملة على المواعظ

وقال ع من ظن بك خيرا فصدق ظنه اى فعل ما ظنه فيك من خير فصدق الظن مطابقته للواقع الذى ظن وقوعه لم يوقعه
وذلك حث على فعل الخير وقال ع افضل الاعمال ما اكرهت نفسك عليه اراد من الاعمال الصالحة وافضلها انفعها واكرمها
استلزاما للثواب وانما كان كذلك لان فائدة الاعمال الصالحة تطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة ورياضتها بحيث تصير مؤتمرة
للعقل واكراه النفس على الامر يكون لشدته فكلما كان اشد كان اقوى فى رياضتها وانفع فى تطويعها وكسرها فبحسب ذلك يكون
اكثر منفعة فكان افضل ونحوه من الحديث قوله ص افضل الاعمال احمزها بالزاى المعجمة اى اشقها وقال ع عرفت الله سبحانه
بفسخ العزائم وحل العقود اراد معرفة وجوده تعالى ووجه الاستدلال ان الانسان قد يعزم على امر ويعقد ضميره على فعله
بحسب ما يتصوره من المنفعة الداعية اليه ثم عن قريب يحل ذلك العزم وينفسخ ذلك العقد لزوال ذلك الداعى ولخاطر معارض
له اذا عرفت ذلك فنقول تلك التغيرات والخواطر المتعاقبة المرجحة لفعل الامر المعزوم عليه امور ممكنة محتاجة فى طرفى وجودها
وعدمها الى المرجح والمؤثر فرجحها ان كان من العبد كان الكلام فيه كالكلام فى الاول ولزم الدور او التسلسل وهما محالان فلابد
من الانتهاء الى الله تعالى مقلب القلوب والابصار وذلك هو المطلوب وقال ع مرارة الدنيا حلاوة الاخرة وحلاوة الدنيا مرارة
الاخرة اى مستلزمة لها واستعار لفظى الحلاوة والمرارة للذة والالم وظاهر ان الالم الدنيا اللازمة عن ترك لذاتها وعدم
الالتذاذ بها طلبا للاخرة وشوقا الى ثوابها مستلزمة لحلاوة الاخرة ولذاتها وكذلك الابتهاج بلذات الدنيا يستلزم الغفلة
عن الاخرة وترك العمل وذلك مستلزم لعذابها ومستعقب لشقاوتها وقال ع فرض الله الايمان تطهيرا من الشرك و
الصلوة تنزيها عن الكبر والزكوة تسبيبا للرزق والصيام ابتلاء لاخلاص الخلق والحج تقوية للدين والجهاد عزا
للاسلام والامر بالمعروف مصلحة للعوام والنهى عن المنكر ردعا للسفهاء وصلة الرحم منماة للعدد والقصاص حقنا
للدماء واقامة الحدود اعظاما للمحارم وترك شرب الخمر تحصينا للعقل ومجانبة السرقة ايجابا للعفة وترك الزنا تحصينا
للنسب وترك اللواط تكثيرا للنسل والشهادات استظهارا على المجاحدات وترك الكذب تشريفا للصدق والسلام امانا
من المخاوف والامامة نظاما للامة والطاعة تعظيما للامامة اقول اشار الى فرائض الله ونبه على عللها الغائية فى الحكمة
ليكون اوقع لذكرها فى النفوس وذكر منها تسع عشرة فريضة الاولى بدأ بالايمان لانه الاصل لجميع الفرائض والسنن وجعل من اغراضه
التطهير عن الشرك ولما كان التطهير من الشرك غاية مطلوبة للشارع هى كمال النفس بمعرفة الله نعم كان التطهير غاية غرضية للايمان
الثانية الصلوة ولما كان وضعها لتطويع النفس الامارة التى هى مبدأ الكبر للنفس المطمئنة ورياضتها وقهرها لاجرم كان من غاياتها
تنزيه الانسان عن الكبر الثالثة الزكوة وذكر من غايات فرضها كونها سببا للرزق اذ كان منها رزق الفقراء والمساكين ومن عينها
الشريعة حقا له الرابعة الصيام ولما كان من الشدائد الشاقة على الابدان خصته بان غايته كونه ابتلاء من الله لاخلاص خلقه ولئن
كانت هذه غاية من كل العبادات الخامسة الحج وانما جعل غايته كونه تقوية للدين لانه عبادة تستلزم اجتماع اكثر اهل الملة فى مجمع
واحد على غاية من الذلة والخضوع والانقياد لله ومشاهدة كل من الخلق الحاضرين لذلك الجمع العظيم من الملوك وغيرهم فيثبت
فى قلبه قوة الدين وعظمته دون ساير العبادات السادسة الجهاد وكون غايته عز الاسلام وهو ظاهر السابعة الامر بالمعروف و
غايته اصلاح العوام فى معاشهم ومعادهم وخص العوام لانهم اغلب الخلق ولان من عداهم هم العلماء والولاة الامرون بالمعروف الفاعلون
له الثامنة النهى عن المنكر وكون غايته ردع السفهاء ظاهر لان السفيه ما لم يكن له رادع من سلطان الدين يكثر مفسدته المضادة لمصلحة
العالم التاسعة صلة الارحام ومن غاياتها كونها منماة للعدد اى عدد اولى الرحم اذ زيادة عددهم باستقامة امر معاشهم وصلة الرحم سبب
لذلك العاشرة القصاص وغايته حقن الدماء والكف عن سفكها لخوف المكافاة كقوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة وقولهم القتل
انفى للقتل الحادية عشرة اقامة حدود الله وغايتها اعظام حرمات محارم الله كى لا تنتهك وتنحرف لاجلها عن قصد السبيل فيضيع غرض
الشارع من وضع الدين الثانية عشرة ترك شرب الخمر وغايته تحصين العقل من محاضرتها واشتغاله عما خلق له من طلب الاستكمال
بكمال الحكمة الثالثة عشرة مجانبة السرقة وغايتها ايجاب العفة اذ السرقة منشأ عن كمال طاعة الشهوة والعبور فيها الحد الى الافراط
والفجور فكان من غايات تحريمها الوقوف من قوتها عند ذلك على حد العفة الرابعة عشرة ترك الزنا ومن غاياته حفظ الانساب
وما يتبعها من المواريث فان الزنا يوجب اختلاط الانساب وضياع الاموال التى هى قوام الخلق فى الدنيا وقد سبق سره الخامسة
عشرة ترك اللواط وغايته تكثير النسل وتوفير ما ذهب على محاله لغاية كثرة النوع وبقائه السادسة عشرة الشهادات وغايتها استظهار
المستشهد على مجاحدة خصمه كى لا يضيع لو لم يكن مبينا شاهدا السابعة عشرة ترك الكذب ومن غاياته تشريف الصدق وتعظيمه
بتحريم ضده لبناء مصلحة العالم عليه ونظام امور الخلق به وقد سبق بيان مفاسد الكذب الموجبة لتحريمه الثامنة عشرة السلام
ومن غاياته الامن من مخاوف الدنيا لصولة الاسلام على ساير الاديان ومن مخاوف الاخرة وهو ظاهر وروى السلم ولما كان سببا

للتودد

للتودد الى الخلق كان امنا من مخاوفهم الثامنة عشر الامامة وغايته فرضها كونها نظاما للامة لا امتراء الخلق متى كان لهم رئيس منبسط اليد قوى الشوكة يردع الظالم عن ظلمه ويأخذ للمظلوم بحقه كان بذلك صلاح احوالهم ونظام امورهم في معاشهم ومعادهم ولا كذلك اذا لم يكن مثل ذلك الرئيس التاسعة عشر طاعة الامام وغاية فرضها تعظيم امامة الامام لغاية امتثال الخلق لقوله والاقتداء به وقد سبقت الاشارة الى سر كثير من هذه الفرائض مفصلة **وقال ع** احلفوا الظالم اذا اردتم يمينه بانه برئ من حول الله وقوته فانه اذا حلف بها كاذبا عوجل واذا حلف بالله الذى لا اله الا هو لم يعاجل لانه قد وحد الله سبحانه قد يرى المجتهد تأكيد اليمين بمثل ما ذكره لغاية نكول الكاذب عنها واداء الحق وذلك ان نفس الكاذب ينفعل من مثل هذا اللفظ لعلمه بظلمه وتوهمه تصديق الله له ومطابقته لقوله بفعل المدعو به بخلاف اليمين المعتادة فيستعد بذلك لمعاجلته بالعقوبة وقد كان واشيا سعى بالصادق ع الى المنصور فاستحضره وقال ان فلانا ذكر عنك كذا وكذا فقال ع لم يكن ذلك منى والى الساعي الا كونه منه فحلفه الصادق بالبراءة من حول الله وقوته ان كان كاذبا فحلف فما انقطع كلامه حتى اصيب بالفالج كقطعة لحم تجر برجله ونجا الصادق منه **وقال ع** يا بن آدم كن وصى نفسك واعمل في مالك ما تؤثر ان يعمل فيه من بعدك اى كما توصى من بعدك ان يوضع مالك موضع القربات وانفاع اهلك به فكن انت ذلك الوصى وضعه تلك المواضع في حياتك وهو حث على بذل المال في وجهه **وقال ع** الحدة ضرب من الجنون لان صاحبها يندم فان لم يندم فجنونه مستحكم لما كان الجنون حالة مخصوصة تعرض للانسان بسبب خروج القوى النفسانية عن قبول تصرف العقل الى طرفى الافراط والتفريط وكانت الحدة خروج قوة الغضب عن ضبط العقل لها على قانون العدل الى طرف الافراط كانت قسما من الجنون وبفصل الحدة بالرجوع في الغضب الى طاعة العقل **وقال ع** صحة الجسد من قلة الحسد لان الحسد قد يكون ايضا بالصحة كما يكون بغيرها منفعلا بها وذلك هو الحسد البالغ فكانت صحة الجسد دليلا على قلة الحسد ان لم يشارك فيها **وقال ع** لكميل بن زياد النخعى يا كميل مر اهلك ان يروحوا في كسب المكارم ويدلجوا في حاجة من هو نائم فوالذى وسع سمعه الاصوات ما من احد اودع قلبا سرورا الا وخلق الله له من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل الادلاج السير بالليل و النائبة المصيبة واراد ان ادخال السرور على قلب ذى الحاجة بقضائها يجعله الله سببا يلطف به لقاضى الحاجة ويقيه بها من مصيبة تعرض له ويشبه ان يكون ذلك اللطف هو اخلاص ذى الحاجة ومعونته في امداده ومعونته بدعاء الله له وشكره وثنائه واستجلاب قلوب الخلق بذلك له وكل ذلك لطف بعده الله لوقايته وطرد المصائب عنه وشبه جرى ذلك اللطف الى دفع المكروه عنه بجرى الماء في انحداره ووجه التشبيه سرعة الانحدار للدفع والحفظ لانه من امر الله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وكذلك دفع ذلك اللطف للنائبة بطرد غريبة الابل ووجه التشبيه شدة الطرد والابعاد وباقى الفصل ظ **وقال ع** اذا املقتم فتاجروا الله في الصدقة والاملاق الفقر وقد مرت الصدقة وتعديها من فضل فامر الفقراء ان يتصدقوا بما عساه يقع في ايديهم ولو بشق تمرة ليستعدوا بذلك لافاضة فضل الله وعنهم في ذلك بذكر التجارة وهي استعارة لاستفاضة ما يحصل عما يبذل والفقراء اولى باستجلاب الرزق بالصدقة من الاغنياء لانفعال القلوب لهم ورقتها عليهم ولما يسبق الى اذهان الخلق ان ذلك منهم عن اخلاص دون الاغنياء **وقال ع** الوفاء لاهل الغدر غدر عند الله والغدر باهل الغدر وفاء عند الله نعم وذلك ان من عهد الله في دينه الغدر وعدم الوفاء لهم اذا غدروا لقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين قيل نزلت في يهود بنى قينقاع وكان بينهم وبين الرسول عهد فعزموا على نقضه فامره الله تعالى بذلك وامره بحربهم ومحاربتهم بنقض عهدهم فكان الوفاء لهم غدرا بعهد الله والغدر بهم اذا غدروا وفاء بعهد الله **قال السيد ره فصل** نذكر فيه شيئا من اختيار غريب كلامه المحتاج الى التفسير في حديثه عليه السلم فاذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه فيجتمعون اليه كما يجتمع قزع الخريف **قال السيد** ويعسوب الدين السيد العظيم المالك لامور الناس يومئذ والقزع قطع الغيم التى لا ماء فيها **اقول** اومى بقوله ذلك الى علامات ذكرها في آخر الزمان لظهور صاحب الامر واستعار له لفظ اليعسوب وهو في الاصل امير النحل ملاحظة لشبهه به فاما ضربه بذنبه فقيل فيه اقوال احدها ان الضرب هو السير في الارض وذنبه استعارة في اعوانه واتباعه والباء للاستعانة الثاني انه كان ضرب النحل بذنبه لسعه كنى بذلك عن نصب سيوفه وسهامه في اعدائه لقتلهم واذاهم الثالث انه كناية عن ثورانه وغضبه لدين الله ملاحظة لشبهه باللسع حال صولته وغضبه وهذا الوجه اشبه الثلثة وشبه اجتماع المؤمنين واهل طاعة الله باجتماع قطع الغيم المتفرقة ووجه التشبيه سرعة الاجتماع لان قزع الخريف سريع التأليف **وفى حديثه ع** هذا الخطيب الشحشح **قال السيد** يريد الماهر بالخطبة الماضى فيها وكل ماض في كلام او سير فهو شحشح والشحشح في غير هذا الموضع البخيل الممسك يروى انه راى خطيبا يخطب فقال ما هذا الخطيب الشحشح اى الماهر في خطبته نجحا من شيء ان للخصومة قحما قال السيد يريد بالقحم المهالك لانها تقحم

في مواعظه ونصائحه وارشاد الناس

باصحابها في المهالك والمتالف في الاكثر ومن ذلك تقحم الاعراب وهو ان تصيبهم السنة فتتعرق اموالهم فذلك تقحمها فيهم وقيل فيه وجه
آخر وهو انها تقحمهم بلاد الريف اي تحوجهم الى دخول بلاد الحضر عند محول البادية واقول يروى بها شمه وكل اخاه في خصومة وقال ان لها
لقحما وان الشيطان يحضرها والقحم المهالك وذلك انها مظنة ثوران الفتنة العصبية والخروج عن حد العدل فيها الى رذيلة الافراط
التي هي مظنة الهلاك وفي حديثه ع اذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة اولى ويروى نص الحقائق قال السيد والنص منتهى الاشيا
ومبلغ اقصاها كالنص في السير لانه اقصى ما تقدر عليه الدابة وتقول نصصت الرجل عن الامر اذا استقصيت مسألته عنه لتستخرج
ما عنده فيه فنص الحقاق يريد به الادراك لانه منتهى الصغر والوقت الذي يخرج منه الصغير الى حد الكبير وهو من افصح الكنايات عن
هذا الامر واغربها يقول فاذا بلغ النساء ذلك فالعصبة اولى بالمرأة من امها اذا كانوا محرما مثل الاخوة والاعمام وبتزويجها
ان ارادوا ذلك والحقاق محاقة الام للعصبة في المرأة وهو الجدال والخصومة وقول كل واحد للآخر انا احق منك بهذا
ويقال منه حاققته حقاقا مثل جادلته جدالا وقد قيل ان نص الحقاق بلوغ العقل وهو الادراك لانه ع انما اراد
منتهى الامر الذي تجب به الحقوق والاحكام ومن رواه نص الحقائق فانما اراد جمع حقيقة هذا معنى ما ذكره ابو عبيد
القسم بن سلام والذي عندي ان المراد بنص الحقاق ههنا بلوغ المرأة الى الحد الذي يجوز فيه تزويجها وتصرفها في حقوقها
تشبيها بالحقاق من الابل وهي جمع حقة وحق وهو الذي استكمل ثلث سنين ودخل في الرابعة وعند ذلك يبلغ الى
الحد الذي يتمكن فيه من ركوب ظهره ونصه في سيره والحقائق ايضا جمع حقة فالروايتان جميعا ترجعان الى معنى واحد
وهذا هو اشبه بطريقة العرب من المعنى المذكور اولا واقول الذي ذكره السيد انسب الى كلام العرب كما قال عن ان نص الحقاق استعارة
نعم هذا التشبيه والعصبة بنو الرجل وقرابته لابيه سموا بذلك لانهم عصبوا به وعلقوا عليه وقيل يحتمل ان يراد بالنص الارتفاع
يقال نصت الظبية راسها اذا رفعته ومنه منصة العروس لارتفاعها عليها وتكون قد استعار لفظ الحقاق لانتهاء الصغيرة اذا نهدت
وارتفعت لشبهها بالحقة صورة اي اذا بلغن حد الارتفاع اي نهدن كانت العصبة اولى بهن من الام لانه وقت ادراكهن وعلامة صلاحيتهن
للتزويج وفي حديثه ع ان الايمان يبدو لمظة في القلب كلما ازداد الايمان ازدادت اللمظة واللمظة مثل النكتة او نحوها من البياض
ومنه قيل فرس المظ اذا كان بجحفلته شيء من البياض واقول ازدياد الايمان هو التصديق بوجود الصانع تعالى اول ما يكون في النفس
يكون حاله لم يزل يتاكد بالبراهين والاعمال الصالحة الى ان يصير ملكة تامة ولفظ اللمظة استعارة لما يبدو من نور الايمان في النفس
اول كونه ملاحظة لشبهه باللمظة من البياض والنكتة من الشمس ونصب لمظة على التمييز والحال وفي حديثه ع ان الرجل اذا
كان له الدين الظنون يجب عليه ان يزكيه لما مضى اذا قبضه قال السيد فالظنون هو الذي لا يعلم صاحبه ايقبضه من
الذي هو عليه لا يعلم صاحبه ايقبضه من الذي هو عليه ام لا فكانه الذي يظن به فتارة يرجوه وتارة لا يرجوه وهذا من
افصح الكلام وكذلك كل امر تطلبه ولا تدري على اي شيء انت منه فهو ظنون وعلى ذلك قول الاعشى ما يجعل الجد الظنون
الذي جنب صوب اللجب الماطر مثل الفراتي اذا ما طما يقذف بالبوصي والماهر فالجد البئر والظنون التي لا يعلم هل فيها
ماء ام لا واقول ع اذا كان لك مثلا عشرون دينارا دينا على رجل وقد اخذ منك بعضها كما هو من غير تصرف فيها وانت تظن
ان استرددتها منه ردها اليك فاذا مضى عليها احد عشر شهرا واستهل هلال الثاني عشر وجبت زكاتها عليك واللجب في قول
الاعشى هو السحاب المصوت ذو الرعد واراد بالفراتي الفرات والياء للتاكيد كقولهم والدهر بالانسان دواري اي دوار ويحتمل
ان يريد به الفراتي والبوصي ضرب من صغار السفن والماهر الملاح ومراده انه لا يقاس البئر الذي يشك هل فيها ماء ام لا
بالفرات اذا ما طما وهو كالمثل لعدم مساواة البخيل للكريم وفي حديثه ع انه شيع جيشا يغزيه فقال اعزبوا عن النساء ما استطعتم
قال السيد ره ومعناه اصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلوب بهن وامتنعوا من المقاربة لهن لان ذلك يفت في عضد الحمية ويقدح
في معاقد العزيمة ويكسر عن العدو ويلفت عن الابعاد في الغزو وكل من امتنع من شيء فقد اعزب عنه والعازب والعزوب الممتنع
من الاكل والشرب قوله يفت في عضد الحمية كناية عن كسرها وفي حديثه ع كالياسر الفالج ينتظر اول فوزة من قداحه قال السيد
الياسرون هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور والفالج القاهر الغالب يقال قد فلج عليهم وفلجهم قال الراجز لما رايت فالجا قد فلجا
اقول قد مر شرحه في قوله اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر وفي حديثه ع كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول
الله فلم يكن احد منا اقرب الى العدو منه قال السيد ومعنى ذلك انه اذا عظم الخوف من العدو واشتد عضاض الحرب
فزع المسلمون الى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا احمر الباس كناية عن اشتداد الامر وقد قيل في ذلك اقوال احسنها
انه شبه حمي الحرب بالنار التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها ومما يقوي ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وقد راى
مجتلد الناس يوم حنين وهي حرب هوازن الآن حمي الوطيس والوطيس مستوقد النار فشبه صلى الله عليه وآله ما استحر

لا تشبيه ان كانت الاستعارة

قال السيد ره

من جلاد

كلام له ع بلغه اغارة اصحاب معوية

من جلاد القوم باحتدام النار وشدة التهابها وافول الشيء استعارة وصف حرارة الباس لشدته ملاحظة لشبهه بالنار الموقدة وقد مر مثل ذلك في بعض كتبه ع. **وقال** ع لما بلغه اغارة اصحاب معوية على الانبار فخرج بنفسه ماشيا حتى اتى النخيلة فادركه الناس وقالوا يا امير المؤمنين نحن نكفيكهم فقال ع والله ما تكفونني انفسكم فكيف تكفونني غيركم ان كانت الرعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها واني اليوم لاشكو حيف رعيتي كانني المقود وهم القادة والموزوع وهم الوزعة فلما قال هذا القول في كلام طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب تقدم اليه رجلان من اصحابه فقال احدهما اني لا املك الا نفسي واخي فمرنا بامرك يا امير المؤمنين ننفذ له فقال واين تقعان مما اريد وقيل ان الحارث بن حوط اتاه عليه السلام فقال اتراني اظن اصحاب الجمل كانوا على ضلالة فقال عليه السلام يا حارث انك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت انك لم تعرف الحق فتعرف اهله ولم تعرف الباطل فتعرف من اتاه فقال الحارث فاني اعتزل مع سعد بن مالك و عبد الله بن عمر فقال عليه السلام ان سعدا وعبد الله لم ينصرا الحق ولم يخذلا الباطل قوله اتراني استفهام انكار لرؤيته كذلك ورجل حارث وقيل في قوله انك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك اي نظرت في اعمال الناكثين من اصحاب الجمل المتمسكين بظاهر الاسلام الذين هم دونك في المرتبة لبغيهم على امام الحق فاغتررت بشبهتهم واقتديت بهم ولم تنظر الى من هو فوقك وهو امامك الواجب الطاعة ومن معه من المهاجرين والانصار ولا سمعت حكمهم بكون خصومهم على الباطل فكان ذلك سبب حيرتك ويحتمل ان يكون نظره تحته كناية عن نظره الى باطل هؤلاء وشبهتهم المكتسبة عن محبة الدنيا التي هي الجهة السافلة ونظره فوقه كناية عن نظره الى الحق وتلقيه من الله وقوله انك الى اخره تفصيل لسبب حيرته وهو عدم معرفة الحق والباطل المستلزم لجهله باهلهما ولو عرفهما لجزم باتباع الحق واجتناب الباطل وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه كل من كان كذلك وقع في الحيرة والضلال وسعد بن مالك هو سعد بن ابي وقاص فانه لما قتل عثمن اشترى اغناما واشتغل الى البادية وكان يتعيش بتلك الاغنام حتى مات ولم يشهد بيعة علي ع واما عبد الله بن عمر فالتجأ الى اخته حفصة زوجة النبي ص بعدما بايع لامير المؤمنين ع ولكنه لم يشهد معه حرب الجمل وقال قد عجزت عن العبادة عن العزوة والمحاربة فلست مع علي ولا مع اعدائه فاما قوله ع جوابا ان سعدا الى اخره فهو صغرى ضمير نبه فيه على انه لا يجوز لمتابعتهما في الاعتزال وهي من المخيلات المنفرة التي في صورة الذم وان كانت صادقة وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا يجوز متابعته. **وقال** ع صاحب السلطان كراكب الاسد يغبط بموقعه وهو اعلم بموضعه اي يتمنى موقعه وهو يعلم انه في غاية من المخاطرة بالنفس والتعرض بها وذلك هو وجه التشبيه براكب الاسد. **وقال** ع احسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم. العقب من يخلف الانسان من الولد واولاده وانما كان كذلك لان المجازاة واجبة في الطبيعة ولان الذكر الجميل بذلك تعطف الناس على عقب المحسن من بعده. **وقال** ع ان كلام الحكماء اذا كان صوابا كان دواء واذا كان خطاء كان داء وذلك لقوة اعتقاد الخلق فيهم رشدهم وقبولهم لما يقولونه فان كان حقا كان دواء من الجهل وان كان باطلا اوجب للخلق داء الجهل ولذلك قيل زلة العالم زلة العالم وسأله رجل ان يعرفه الايمان فقال اذا كان غد فاتني حتى اخبرك على اسماع الناس فان نسيت مقالتي حفظها عليك غيرك فان الكلام كالشاردة يثقفها هذا ويخطئها هذا وقد ذكرنا ما اجابه فيما تقدم من هذا الباب وهو قوله ع الايمان على اربع شعب الخ. تشبيه الكلام بالشاردة من الابل قوله يثقفها اي يجدها في ضلالها الى اخره والفصل ظاهر. **وقال** ع يا ابن ادم لا تحمل هم يومك الذي لم يأتك على يومك الذي قد اتاك فانه ان يك من عمرك يأت الله فيه برزقك اي ينبغي ان يكون الاهتمام بحاجة كل يوم مخصوصا بذلك اليوم والكلمة صغرى ضمير نبه بها على ترك الاهتمام بما لم يات من الايام وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فلا ينبغي الاهتمام له. **وقال** ع احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما فايدة هذه الكلمة الامر بالاعتدال في المحبة والبغض وعدم الافراط فيهما لما في الافراط من المفسدة والهون السكينة والوقار وهو صفة مصدر محذوف اي حبا هينا معتدلا وما في الموضعين يفيد شيئا ما في الهون واليوم وان الغرض منه مقدار دون الافراط ووقت من الاوقات وان لم يكن معينا ونبه على سر ذلك بقوله عسى في الموضعين وهما صغريا ضميرين اما مفسدة افراط المحبة فلاستلزامه اطلاع المحب المحبوب على اسراره وتوقيفه على احواله فربما ينقلب بعد ذلك عدوا له فيكون اقدر على هلاكه من غيره من الاعداء وكذلك مفسدة افراط البغض وهو عدم الابقاء على المبغوض وذلك يستلزم دوام المعاداة فالاعتدال في ذلك اولى لانه ربما عاد العدو الى الصداقة فكان المبغض قد ابقى للصداقة موضعا وتقدير كبرى الاول وكل حبيب جاز ان يكون عدوا في وقت ما فينبغي ان لا يفرط في محبته وتقدير كبرى الثاني وكل عدو جاز ان يكون صديقا يوما ما فينبغي ان لا يفرط في بغضه. **وقال** ع الناس في الدنيا الدنيا قد شغلته دنياه عن اخرته يخشى على من يخلفه الفقر ويامنه على نفسه فيفني عمره في منفعة غيره وعامل عمل في الدنيا لما بعدها فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل فاحرز الحظين

اقول لهذا الفصل قد مر شرحه في الخطب

فتعرف اهله وفي نسخة

كلام له مشتمل على المواعظ والنصائح

معاً وملك الدارين جميعاً فاصبح وجيهاً عند الله لا يسال الله حاجة فيمنعه لما كان العمل في هذه الحيوة لا بد منه فعمل العاقل اما لها
او لغيرها وغيرها هو الاخرة فالناس عاملان واشار الى الاول في معرض ذمه بقوله قد شغلته دنياه الى قوله غيره ومعنى ذلك
انه يشتغل بتحصيل الدنيا خوف الفقر على ولده من بعده فيفني عمره في منفعة تحصيلها لغيره ولا يخشى الفقر الاكبر في الاخرة من الخيرات
الباقية على نفسه وذلك ضلال مبين واشار الى الثاني في معرض مدحه وعامل لما بعده بقوله فجاءه الذي له من الدنيا اي المكتوب
له في اللوح المحفوظ من رزق ونحوه وقوله بغير عمل اي للدنيا لان العمل بقصد الضر فيه من الدنيا ليس عملا لها بل للاخرة
وهو مقصود من الدنيا بالعرض وبذلك يحرز حظيه من الدنيا والاخرة ويكون في الدنيا ملكا بغناه عنه وفي الاخرة بثمرة اعماله
ووجاهته عند الله وعلو منزلته في استعداده بطاعته مستلزم لقبول دعوته واجابتها فيما سال وروي انه ذكر عند عمر بن
الخطاب في ايامه حلي الكعبة وكثرته فقال قوم لو اخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان اعظم للاجر وما يصنع الكعبة بالحلي فهم
عمر بذلك وسال عنه امير المؤمنين عليه السلام فقال ان القران انزل على النبي صلعم والاموال اربعة المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض
والفيء فقسمه على مستحقيه والخمس فوضعه الله حيث وضعه والصدقات فجعلها حيث جعلها وكان حلي الكعبة فيها يومئذ فتركه
الله على حاله ولم يتركه نسيانا ولم يخف عليه فاقره حيث اقره الله ورسوله فقال عمر لولاك لافتضحنا وترك الحلي بحاله القصة
مشهورة وخلاصة حجته عليه السلام ضمير يشار الى صغراه وتقديرها ان حلي الكعبة قد اقره الله على حاله ورسوله من غير نسيان له ولا خفاء
مكانه مع تعرضه لجميع الاموال وتقدير الكبرى وكلما اقره الله ورسوله على حاله وحيث كذلك فلا وجه لافراده ولذلك امر بصونه
النتيجة وهو قوله فاقره الله ورسوله ونسيانا نصب على الحال ومكانا على التمييز وروي انه عليه السلام رفع اليه رجلان سرقا من مال الله
احدهما عبد من مال الله والاخر من عرض الناس فقال عليه السلام اما هذا فهو مال الله فلا حد عليه مال الله اكل بعضه بعضا فعليه
الحد فقطع يده عرض الناس سائرهم وعامتهم واحتج للعبد بضمير صغراه انه فهو مال الله اكل بعضه بعضا وتقدير كبراه وكلما
كان كذلك فلا قطع عليه واما المقطوع فانه قد كان سرق نصابا من مال الغنيمة من جزء ولم يكن له نصيب منها واما ان كان له
نصيب فان كان المسروق فوق نصيبه نصابا فالقطع والا فلا **وقال عليه السلام** لو قد استوت قدماي من هذه المداحض لغيرت اشياء
المداحض المزالق واستواء قدميه كناية عن ثباته وتمكنه من اجراء الاحكام الشرعية على وجوهها في المسائل الاجتهادية المشكلة
التي يخفى حكم الشرع فيها على غيره وتلك انه في خلافته لم يتمكن من تغيير شيء من احكام الخلفاء قبله وكان له في بعضها راي
غير ما راوه واستعار لتلك المسائل لفظ المداحض اعتبارا لانها مزالق اقدام العقول ومزالها واومى بقوله لغيرت اشياء
الى ما كان يرى فساده من احكام غيره في تلك المسائل وان اقدام عقولهم قد زلقت فيها عن سواء الصراط **وقال** اعلموا علما
يقينا ان الله لم يجعل للعبد وان عظمت حيلته واشتدت طلبته وقويت مكيدته اكثر مما سمي له في الذكر الحكيم
ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته وبين ان يبلغ ما سمي له في الذكر الحكيم والعارف لهذا العامل به اعظم
الناس راحة في منفعة والتارك له الشاك فيه اعظم الناس شغلا في مضرة ورب منعم عليه مستدرج بالنعمى ورب
مبتلى مصنوع له بالبلوى فزد ايها المستمع في شكرك وقصر من عجلتك وقف عند منتهى رزقك وفي هذا الفصل
لطائف لما قام البرهان على ان ما علم الله تعالى وجوده فهو واجب الوقوع وما علم عدمه فهو ممتنع الوقوع لا جرم لم يكن لكل من القوي والضعيف
من الرزق ونحوه الا ما علم الله تعالى وصوله اليه بقلم القضاء الالهي في الذكر الحكيم واللوح المحفوظ ولم يبلغ عظم الحيلة قوي المكيدة بحيلته
اكثر مما سمي له ولا قصر الضعيف بضعفه عن بلوغ ما سمي له ولاجل ثبوت ذلك بالبرهان امرهم بتيقنه ونبههم في علمه والعمل به بضمير
صغراه قوله فالعارف الى قوله في منفعة اما راحته فلعلمه ان ما كتب له لا بد ان يصل اليه فيترك لذلك شدة الاهتمام به والكدح
له ولما كانت راحة قلبه وبدنه كانت اعظم الراحات ولما كانت مع منفعة بما يصل اليه تاكد شرفها وكذلك نهى عن الشك في
ذلك وترك العمل به بقوله والتارك لهذا الشاك فيه الى اخره وهو ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا ينبغي له الشك فيه و
تركه وانما كان اعظم الناس شغلا لانه شغل قلبه وبدنه فيما لا فائدة فيه فيلزمه مضرة تلك الحركات قلت فهذا ينافي الامر بالدعاء
وبالسعي في طلب الرزق كقوله تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ونحوه قلت قد بينا انه لا ينافي وذكرنا سر الدعاء و
فائدته وحاصله انه قد يكون الدعاء سببا لوجود الرزق فيعلم الله تعالى وجوده بواسطة سببه فلا تنافي بينهما الثانية نبه اهل النعمة
والغنى واهل الابتلاء على وجوب شكر الله تعالى على حاليهما اما اهل النعمة فنبههم بان نعمهم قد يكون استدراجا لهم ليشكروا الله
عليها كيلا يستدرجهم بها واما اهل البلوى فنبههم بان بلواهم قد يكون صنعا من الله في حقهم ليعدهم بها لثواب الجزيل فيجب
عليهم شكر ذلك الصنع والمقدمتان صغريا ضميرين تقدير الاولى منهما بعض المنعم عليه مستدرج بالنعمى وتقدير الكبرى
وكل مستدرج بالنعمى يجب عليه ان يجتهد بشكر نعمة الله عليه من الاستدراج بها وكذا تقدير الثانية وبعض المبتلى مصنوع

اموال

عليه

واما الاخر فعليه الحد

كلمات له مشتملة على المواعظ والنصائح

له بالبلوى وتقديره الكبرى وكل مصنوع اليه فيجب عليه شكر صنع الله في حقه ولذلك امر المستمعين مطلقا بزيادة الشكر مع ان فيهم المنعم
عليهم والمبتلى ثم امرنا بالتقصير عن العجلة في طلب الرزق والوقوف دون حد الافراط فيه على حد العدل وقال لا تجعلوا علمكم جهلا
ويقينكم شكا اذا علمتم فاعملوا واذا تيقنتم فاقدموا نهاهم ان يجعلوا علمهم بما اهم علمه من احوال الآخرة جهلا اي في قوة الجهل ويقينهم
شكا اي في قوة الشك وعبر بذلك عن تركهم العمل على وفق ما علموه وتيقنوه ولذلك امرهم بالعمل على وفق علمهم والاقدام عليه على وفق
يقينهم **وقال ع** إن الطمع مورد غير مصدر وضامن غير وفي وربما شرق شارب الماء قبل ريه وكلما عظم قدر الشيء المتنافس
فيه عظمت الرزية لفقده والأماني تعمي أعين البصائر والحظ يأتي من لا يأتيه نفر عن الطمع في الدنيا والحرص في طلبها وعنيها
واقتنائها بوجوه الاول ضمير صغراه قوله ان الطمع الى قوله وفي اي يورد الطامع موارد الهلكة ولا يصدره عنها واستعار لفظ
الضامن غير الوفي باعتبار انه يرغب في الطلب ويدعو اليه مع انه قد يكون كاذبا كمن يضمن شيئا ويخلف فيه وتقدير كبراه وكلما
كان كذلك فلا ينبغي ان يتبع ويوثق به الثاني قوله وربما الى قوله ريه وهو تنبيه على انه لا يجوز الاسترسال في طلب الدنيا بضمير كنى
عن صغراه بذلك وتقديرها ان المسترسل في طلبها قد يخترم وينقطع دون بلوغ امله فيها وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا ينبغي له
الاسترسال في طلبها الثالث نفر عن المنافسة فيما عظم قدره من متاعها بضمير صغراه قوله وكلما الى قوله لفقده والرزية المصيبة وتقدير الكبرى
وكلما عظمت الرزية لفقده فلا ينبغي اقتناؤه اذ كان من ضرورته فناؤه الرابع نفر عن الاماني بضمير صغراه قوله والاماني تعمي أعين البصائر
وذلك انها تشغل الفكر بالاهتمام عن طلب ما ينبغي من الكمالات العقلية واستعار لفظ الأعين للافكار باعتبار ادراكها وتقدير الكبرى
كلما كان كذلك وجب اجتنابه الخامس نبه على ترك طلب الحظ من الدنيا بقوله والحظ يأتي من لا يأتيه اي الحظ لمن كان له حظ يصل اليه وان
لم يسع في طلبه وهو في قوة صغرى ضمير وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فلا حاجة الى طلبه واتيانه **وقال ع** اللهم إني أعوذ بك أن تحسن
في لامعة العيون علانيتي وتقبح فيما أبطن لك سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي بجميع ما أنت مطلع عليه مني فأبدي للناس
حسن ظاهري وأفضي إليك بسوء عملي تقربا إلى عبادك وتباعدا من مرضاتك فضي اصل واستعاذ بالله ان يجتمع له حسن الظاهر
في عيون الناس مع قبح باطنه عند الله بالرياء والتصنع بالزهادة والعبادة الظاهرة لغاية طلب الدنيا ولامعة العيون اضافة للصفة
الى الموصوف اي العيون اللامعة ومحافظا حال وتقربا وتباعدا مصدران سدا مسد الحال ويحتمل نصبهما على المفعول **وقال ع**
لا والذي أمسينا منه في غبر ليلة دهماء تكشر عن يوم أغر ما كان كذا وكذا غبر الليل بقاياه والدهماء السوداء والمكشر المتبسم
بحيث تبدو الاسنان والاغر الواضح ولفظ التكشر مستعار لليلة باعتبار اسفارها عن ضوء يومها فهي كالضاحكة واليمين في غاية
الفصاحة وعن مثلها ينفعل الحالف والسامع **وقال ع** قليل تدوم عليه أرجى من كثير مملول وأراد من الاعمال فان القليل الدائم
أكثر من الكثير المملول المنقطع واقوى اعدادا للنفس فكان انفع في الآخرة **وقال ع** إذا أضرت النوافل بالفرائض فارفضوها اي اذا
اخلت ببعض شرائط الفرائض وجب تركها وقد مر بذلك مشروحا **وقال ع** من تذكر بعد السفر استعد واراد التذكر لبعد
طريق الآخرة يلزمه الاستعداد لها بالتقوى **وقال ع** ليست الروية مع الإبصار فقد تكذب العيون أهلها ولا يغش العقل من استنصحه
هذا تنبيه على وجوب إعمال الفكر فيما ينبغي وان العقل هو مستند الحواس وهو الناقد والناصح الشفيق الذي لا يغش من استنصحه واستعار لفظ
الاستنصاح لمراجعته واعماله بصدق وتوجيهه الى استخراج الآراء الصالحة ولفظ الغش لكذبه اي لا يكذب من استنصحه وجعله رائدا له
واما الحواس فقد تكذب اهلها واعلم ان البصر وغيره من الحواس لظاهرة لا حكم له واما الحكم ببعض المحسوسات على بعض فحكم العقل بواسطة
الخيال والوهم وكلما عرض في تلك الاحكام من الغلط فهو من اغلاط الوهم على ما نبين في موضعه ويكون قوله وقد تكذب العيون اهلها
اي قد يكذب بالاحكام الوهمية على مدركات العيون كالحكم بكون القطرة النازلة خطا مستقيما والشعلة التي تدار بسرعة كالدائرة ونحوه
وقال ع بينكم وبين الموعظة حجاب من الغرة استعار لفظ الحجاب لما يعرض للنفوس من الهيئات البدنية المغفلة عن النظر في العبر وقبول
الموعظة والانتفاع بها **وقال ع** جاهلكم مزداد وعالمكم مسوف اي من الاثم مسوف اي بالتوبة **وقال ع** قطع العلم عذر المتعللين اي العلم بالله
وما بلغه الرسول ص من البشارة والنذارة فان ذلك قاطع لعذر من عسى يقول انا كنا عن هذا غافلين كما قال تع رسلا مبشرين ومنذرين
الآية **وقال ع** كل معاجل يسأل الإنظار وكل مؤجل يتعلل بالتسويف وهو توبيخ على ترك العمل الصالح ذا الموجل **وقال ع**
ما قال الناس لشيء طوبى له إلا وقد خبأ له الدهر يوم سوء اي ما استحسن الناس من الدنيا شيئا الا وفي قوة الدهر اعداد لفساده و
اهلاكه يوما ما ولا بد من خروج ما فيه بالقوة الى الفعل **وقال ع** وقد سئل عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكوه وبحر عميق
فلا تلجوه وسر الله فلا تتكلفوه **اقول** السؤال عن مهيته وكيفية وقوع الافعال بحسبه فهذه المسئلة من مسائل العلم الالهي وفيها خبط
عظيم بين الحكماء والمتكلمين وقد نبهنا على ما هو الحق فيها فيما سبق ولصعوبتها كان الخوض فيها مظنة الضلال والتيه في بحر لا ساحل
له فلذلك نفر عن الخوض فيها بضمائر ثلثة احدها انها طريق مظلم وتقدير الكبرى وكل طريق مظلم فلا يجوز سلوكه ويلحق قوله فلا تسلكوه

كلمات له على المواعظ والنصائح

واستعار لفظ الظلمة للقدر باعتبار كونه كثير الشبهات لا يهتدى فيه للحق الثاني انه بحر عميق واستعار لفظ البحر بصفة العمق له باعتبار عزة الافكار
فيه وتقدير كبراه وكل بحر عميق فلا يجوز ولوجه ونتيجته قوله فلا تلجوه الثالث انه سر الله اى سر الله فقد خفي عليكم ومنع من الخوض فيه وتقدير
كبراه وكلما كان كذلك فلا يجوز تكلف الخوض فيه ومعناه كل غامض من غوامض العلم لا يجوز كشفه الا للانبياء والاولياء وافراد العلماء فهو
من سر الله **وقال** عليه السلام إِذا أَرْذَلَ اللهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ حظر العلم باعداده لغيره وسوق اسبابه بحيث ينصرف عنه فلا
يكون له استعداد وظاهر ان الجهل من اشد الرذائل واصعبها اذ هو طرف التفريط من فضيلة العلم والادب كما سبقت الاشارة اليه غير مرة
وقال عليه السلام كانَ لي فيما مَضى أَخٌ في اللهِ وَكانَ يُعَظِّمُهُ في عَيْني صِغَرُ الدُّنْيا في عَيْنِهِ وَكانَ خارِجاً عَنْ سُلْطانِ بَطْنِهِ فَلا يَشْتَهي ما لا
يَجِدُ وَلا يُكْثِرُ إِذا وَجَدَ وَكانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صامِتاً فَإِنْ قالَ بَذَّ الْقائِلينَ وَنَقَعَ غَليلَ السّائِلينَ وَكانَ ضَعيفاً مُسْتَضْعَفاً فَإِنْ جاءَ
الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثٌ غادٍ وَصِلُّ وادٍ لا يُدْلي بِحُجَّةٍ حَتّى يَأْتِيَ قاضِياً وَكانَ لا يَلُومُ أَحَداً عَلى ما يَجِدُ الْعُذْرَ في مِثْلِهِ حَتّى يَسْمَعَ اعْتِذارَهُ
وَكانَ لا يَشْكُو وَجَعاً إِلّا عِنْدَ بُرْئِهِ وَكانَ يَفْعَلُ ما يَقُولُ وَلا يَقُولُ ما لا يَفْعَلُ وَكانَ إِذا غُلِبَ عَلَى الْكَلامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى
السُّكُوتِ وَكانَ عَلى أَنْ يَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلى أَنْ يَتَكَلَّمَ وَكانَ إِذا بَدَهَهُ أَمْرانِ نَظَرَ أَيُّهُما أَقْرَبُ إِلَى الْهَوى فَخالَفَهُ فَعَلَيْكُمْ بِهذِهِ
الْأَخْلاقِ فَالْزَمُوها وَتَنافَسُوا فيها فَإِنْ لَمْ تَسْتَطيعُوها فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَليلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثيرِ **أقول** ذكر هذا الفصل
ابن المقفع في ادبه ونسبه الى الحسن بن علي عليهما السلام ونقع غلة العليل سكن العطش وادلى بحجته ارسلها واخرجها وبدهه الامر اتاه من غير تأهب
له والمشار اليه قيل هو ابو ذر الغفاري وقيل هو عثمان بن مظعون وقد وصفه باثنتي عشرة فضيلة احديها انه كان يستصغر الدنيا و
ينظر اليها بعين الاحتقار وظاهر ان ذلك يستلزم عظمه في عيون اهل الله الثانية انه كان خارجا عن سلطان بطنه وهو كناية عن خروجه من اسر
شهوته وخلاصه من رذيلة الفجور الى فضيلة العفة فكف شهوته عما لا يجد يستلزم عدم رذيلة الحرص والحسد ونحوهما وعدم اكثاره مما يجد
يستلزم نزاهته عن رذيلة الشره والنهم ونحوهما الثالثة فضيلة العدل في الكلام والسكوت اى انه ينطق بالحكمة في موضعها واما غلبة
السكوت عليه فلقوة عقله كما قال عليه السلام فيما قبل اذا تم العقل نقص الكلام الرابعة انه كان ضعيفا مستضعفا اى فقيرا منظورا اليه
بعين الذلة والفقر وذلك من لوازم فضيلة التواضع الخامسة فضيلة الشجاعة عند الجد في الحرب والغضب لله وكنى عن ذلك بقوله
فاذا جاء الجد الى قوله واد واستعار لفظ الليث باعتبار سطوته وعدوه ولفظ الصل باعتبار بأسه ونكايته في العدو والمثل يضرب
به الوادي في الشجاعة ونكاية السم السادسة انه لا يدلي بحجته حتى يجد قاضيا وهو من فضيلة العدل في وضع الاشياء مواضعها السابعة
كونه لا يلوم احدا على امر يحتمل العذر الا بعد سماع الاعتذار فان كان هناك عذر قبله وذلك من لوازم العدل والانصاف وفضيلة الثبات
واحتمال المكروه الثامنة كونه لا يشكو ما ينزل به من الامراض لتسليمه لاحكام الله ورضاه بها بل لعله يحكيها بعد برئه على سبيل الاخبار دون
الشكاية وانه كان يكتم مرضه كيلا يتكلف الناس زيارته فيشق عليهم ذلك التاسعة كان يطابق بفعله قوله ويحترز عن الكذب والخلف العاشرة
كان يترك المماراة والمجادلة والمغالبة في الاقوال ويعدل الى السكوت اذا غولب في القول وذلك عن فضيلة القهر لقوته الغضبية
الحادية عشرة كان احرص على الاستماع منه على الكلام ترجيحا لجانب الاستفادة على الافادة والاول اهم من الثاني وذلك من فضيلة الحكمة
الثانية عشرة وكان اذا خطر بباله امران دفعة من غير سابقة فكر في ايهما اولى مثلا كالتزويج وعدمه فكر في ايهما اقرب الى الهوى وميل
الشهوة كالتزويج فخالفه الى تركه ولما كان غرض الفاضل ان يقتدي السامعون بالفضائل المذكورة امرهم بملازمتها والتنافس فيها
او في بعضها ان لم يمكن الكل ورغب في ذلك بقوله فاعلموا الى اخره وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان خيرا فينبغي لزومه والتنافس
فيه **وقال** عليه السلام لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللهُ عَلى مَعْصِيَتِهِ لَكانَ يَجِبُ أَنْ لا يُعْصى شُكْراً لِنِعَمِهِ لما كان شكر النعمة بالاقوال والافعال المطابقة
لها واجبا عقلا وجب ترك المعصية التي هو لازم للطاعة الواجبة لان لازم الواجب واجب فمقتضى الكلمة انه لو لم يتوعد الله على معصيته
لكان يجب تركها شكرا له اى لاجل شكره فكيف وقد توعد مع ذلك عليها فبالاولى ان يجتنب كما **وقال** عليه السلام وقد عزى الاشعث
بن قيس عن ابن له يا أَشْعَثُ إِنْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِكَ فَقَدِ اسْتَحَقَّتْ ذلِكَ مِنْكَ الرَّحِمُ وَإِنْ تَصْبِرْ فَفِي اللهِ مِنْ كُلِّ مُصيبَةٍ خَلَفٌ يا أَشْعَثُ إِنْ
صَبَرْتَ جَرى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ وَإِنْ جَزِعْتَ جَرى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ سَرَّكَ وَهُوَ بَلاءٌ وَفِتْنَةٌ وَحَزَنَكَ وَ
هُوَ ثَوابٌ وَرَحْمَةٌ اسند عليه السلام اولا بتحسين الحزن وانه في موضعه باعتبار ان الرحم يستحق من ذي رحمه ذلك ثم عقبه بما يدل
على قبح الجزع والحزن بان الصبر به اولى وذلك من وجوه احدها قوله وان تصبر الى قوله خلف وهي متصلة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما
كان في الله خلف عنه فالصبر عنه اولى والنتيجة ان تصبر على مصيبتك فالصبر عليها اولى الثاني قوله ان صبرت الى قوله وانت مأجور اى على
صبرك وهي صغرى ضمير ايضا تقدير كبراه وكل من جرى عليه القدر وهو مأجور على صبره فالصبر به اولى الثالث تنفيره عن الجزع بقوله
وان جزعت الى قوله مأزور اى على جزعه واصله موزور وهمز للمناسبة القرينة الاولى وهو ضمير ايضا تقدير كبراه وكل من جرى عليه القدر
فهو مأزور على جزعه دخل النار الرابع قوله سرك وهو بلاء وفتنة وهو تنفير عن افراط السرور به ووجه كونه بلاء ان الافراط في محبته

الحكمة العاشرة موقع السكوت والكلام ومن فضيلته

عن ابن له

ابنك له

كذلك

كلماته المشتملة على المواعظ والنصايح

يستلزم رذايل خلقية كالجبن عما ينبغي من الجهاد خوف مفارقتهم وكالبخل خوف فقرهم ونظراً لهم في عاقبتهم وكالحزن في امراضهم وامراضهم كما قال
صلى الله عليه وآله الولد مجبنة محزنة مجبلة وكل بعضهم يستلزم رذيلة العقوق وقطع الرحم وصرف المال عنهم في غير وجهه فما احرى
ان يبتلي الله الوالد بولده ويطلب منه الوقوف على حد العدل في حقه والواو في قوله وهو للحال وهو صغرى ضمير تقديره وكبراه
وكلما كان كذلك فينبغي ان لا يأسف على ما فات من الشرط الخامسة قوله وحزنك الى اخره تنفير عن الحزن عليه بما يلزم تركه من الصبر على
المصيبة من ثواب الله وحمده وهو صغرى ضمير تقديره وكبراه وكلما احزن وهو ثواب وحمد فينبغي ان يصبر عن الحزن عليه وقال ع
على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة دفن انّ الصبر لجميل الا عنك وانّ الجزع لقبيح الا عليك وانّ المصاب بك لجليل
وانه قبلك وبعدك لجلل الجلل الجليل الامر الهين والامر العظيم وهو من الاضداد وانما كان الصبر غير جميل في المصيبة به والجزع
عليه غير قبيح لانه ص اصل الدين وانهدامه فيه فالجزع في المصيبة به يستلزم دوام تذكره المستلزم لدوام ذكر اخلاقه وسنته وسيرته
فكان غير قبيح من هذا الوجه ولان المصيبة به مصيبة عظيمة وهو اعظم ثابت فيستحسن الجزع عليه واما الصبر فانه يؤول الى سلوانه
والغفلة عنه فكان غير جميل من هذا الوجه وقد يعرض للفضيلة القبح من بعض الاعتبارات وللرذيلة الحسن من وجه وظاهر ان المصاب
به اعظم مصاب باحد من الناس وان كل مصاب باحد من قبله او بعده فهو سهل هين بالنسبة اليه وقيل اراد ان المصاب من قبله عظم
على المسلمين لحذرهم منه وبعده كذلك لاختلال امرهم وامر الدين بفقده والاول اظهر وقال ع لا تصحب المائق فانه يزين لك فعله
ويود ان تكون مثله المائق الاحمق ونفر عنه بضمير صغراه قوله فانه الى اخره وذلك لان الاحمق يعتقد كمال نفسه وحسن افعاله ووجوب
الاقتداء بها فهو يزينها ويحب لمن ان يكون مثله فيها ويدعوه الى ذلك وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا تجوز صحبته وقال ع
وقد سئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس وهو جواب واضح مقنع وغرض الخطابة الاقناع فاما تحقيق
ما بينهما باعتبار تعيين مساحة الارض او الفلك فامر يرجع الى علم الهيئة ولعله انما عدل عن الجواب بشيء من ذلك لاستبعاد فهم السائل
له ولا نقول انه ما كان يعلم ذلك وقال اصدقاؤك ثلثة واعداؤك ثلثة فاصدقاؤك صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك
واعداؤك ثلثة عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك الحكم بان صديق الصديق صديق والعدو صديق من القضايا المظنونة
لاحتمال كون الصديق غير عالم بان الصديق صديقا وكون العدو غير عالم بان العدو عدوه مع انه يحتمل ان يباديه ويصادقه وكذلك الحكم
بان عدو الصديق وصديق العدو عدو لذلك الاحتمال المذكور وقال ع لرجل يسعى على عدو له بما فيه اضرار بنفسه انما انت كالطاعن
نفسه ليقتل ردفه ووجه التشبيه قصده لاذى غيره بما يستلزم اذى نفسه وقال ع ما اكثر العبر واقل الاعتبار
اراد بالعبر محال الاعتبار وهو في معرض التوبيخ للناس على ترك الاعتبار وقال ع من بالغ في الخصومة اثم ومن قصر فيها ظلم ولا يستطيع
ان يتقي الله من خاصم نفره عن طرفي الافراط والتفريط في المجادلة والمخاصمة بما يلزم رذيلة الافراط فيها وهو الظلم من الاثم وطرف التفريط
فيها من رذيلة الانظلام واشار الى صعوبة الوقوف فيها على حد العدل بقوله ولا يستطيع الى اخره وهو كالتنفير عن اصل المخاصمة
لما انها مظنة الرذايل وقال ع ما اهمني ذنب امهلت بعده حتى اصلي ركعتين اي لم احزن من ذنب امهلني الله بعده الى ان اصلي
ركعتين وذلك لان الصلوة تكفر الذنب فاذا امهل الى ان يصليهما لم يحزن بسببه وسئل كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم فقال كما يرزقهم
على كثرتهم فقيل كيف ولا يرونه قال كما يرزقهم ولا يرونه شبه كيفية محاسبته تعالى للخلق على كثرتهم بكيفية رزقه لهم على كثرتهم وجعل هذا اصلا
في التشبيه لظهوره وعلم السائل به وكذلك تشبيه كيفية محاسبته لهم مع عدم رؤيتهم له بكيفية رزقه لهم من غير رؤيته ووجه الشبه في الموضعين
امكان ذلك منه نظراً لشمول قدرته وعدم حاجته في شيء الى شيء وقال ع رسولك ترجمان عقلك وكتابك ابلغ من ينطق
عنك استعار للرسول لفظ الترجمان للعقل باعتبار انه يبين عنه واما ان الكتاب ابلغ من ينطق عن صاحبه فلضبط مراده فيه دون
لسان الرسول لانه ربما يؤدي الرسالة على غير وجهها سهوا او لعرض فيقع الخلل بسببه ولذلك ربما كان فيها هلاك المرسل وقال ع ما المبتلى
الذي قد اشتد به البلاء باحوج الى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء اي انهما سواء في الحاجة الى دعاء الله فذلك لحاجته
الى الخلاص من بلائه وهذا لبقاء عافيته وامنه من خوف البلاء وهو حث لاهل العافية على دعاء الله لغرض الالتفات لبقائه ودوام
ضده وقال ع الناس ابناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب امه وهو توبيخ للناس على حب الدنيا ولفظ الابناء مستعار
لهم باعتبار تولدهم منها وميلهم اليها بالطبع وقوله ولا يلام الى اخره لوم لهم وهذا كما تقول لمن توبخه مثلا على اللوم ان طبيعتك للوم
ولا لوم عليك فيما جبلت عليه وقال ع ان المسكين رسول الله فمن منعه فقد منع الله ومن اعطاه فقد اعطى الله رغب في اعطاء
المسكين بضمير صغراه ما ذكر واستعار له لفظ رسول الله باعتبار طالب لله وبامر الله وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك يجب اعطاؤه وادناؤه
وقال ع ما زنى غيور قط اي لمنعه من ذلك انه لغيوره التي اذا هم بالزنا تخيل مثل ذلك في نفسه من الغير فيعارض ما له داعيه فيمنعه
وقال ع كفى بالاجل حارسا استعار له لفظ الحارس باعتبار ان الانسان لا يهلك ما دام اجله كالحارس وقال ع ينام الرجل على الثكل

كلمات له متضمنة ارشاد الناس

ولا ينام على الحرب قال السيد معنى ذلك انه يصبر على قتل الاولاد ولا يصبر على سلب الاموال واقول الحرب سلب الاموال وانما كان كذلك
وان كان المال والولد محبوبين للطمع في استخلاص المال لتعوضهم والحرب تمد دون الثكل وقال ع مودة الآباء قرابة بين الابناء
والقرابة احوج الى المودة من المودة الى القرابة استعار لفظ القرابة للمودة المتأكدة بين الابناء من كل القرابة واخبر بها عن مودة الآباء
اخبارا باللازم عن ملزومه اذ كانت صداقة الاباء والمودة بينهم يستلزم تأكدها بين الابناء وشدة اتصالهم ثم اشار الى تفضيل
المودة على القرابة بكون القرابة اكثر حاجة الى المودة في الانتفاع بها بين الخلق والمودة اكثر استغناء عن القرابة في الانتفاع بها
وقال ع اتقوا ظنون المؤمنين فان الله جعل الحق على السنتهم اي من لا يكاد يخطى لصفاء نفسه وكمال استعداده الفكر
الصحيح القريب من الحدس والانتقاش بنور الحق كما قال ص اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله فيفيض الله سبحانه صورة ذلك
الحق على لسانه فينطق به وقوله فان الى آخره صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان يتقى ظنه وهو تنبيه لمن عساه
ينوي شرا للرجوع عنه خوفا من ظنون المؤمنين وقال ع لا يصدق ايمان عبد حتى يكون بما في يد الله تعالى اوثق منه بما في يده
صدق الايمان بالشيء يقينه وكماله ومن كماله حسن الرجاء لله والتوكل عليه حتى يكون اوثق بما في يد الله منه بما في يده وذلك
ليقين وصول رزقه من الله وجزمه بان ذلك الاقوى من جزمه ووثوقه بما في يده لجواز تلفه وعدم ثباته وفيه ترغيب في
التوكل وقال ع لانس بن مالك وقد كان بعثه الى طلحة والزبير لما جاءا الى البصرة يذكرهما شيئا سمعه من رسول
الله صلى الله عليه وآله في معناهما فلوى عن ذلك فرجع اليه عليه السلام فقال اني انسيت ذلك الامر فقال ان كنت
كاذبا فضربك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة يعني البرص فاصاب انسا هذا الداء فيما بعد في وجهه فكان لا
يرى الا متبرقعا اقول ما كان بعثه اليهما ليذكرهما به هو ما سمعه من رسول الله ص انه قال لطلحة والزبير انكما ستقاتلان
عليا وانتما له ظالمان فلما بعثه الكف من صرفه ولوى وابى عن ذلك فرجع فدعا عليه واستجيبت دعوته وبيضاء في محل الجر
من الضمير في بها وقال ع ان للقلوب اقبالا وادبارا فاذا اقبلت فاحملوها على النوافل واذا ادبرت فاقتصروا بها
على الفرائض وقد مر معنى اقبالها وادبارها وخص اقبالها بالنوافل لاتساعها فيه لها والفرائض وقت الادبار وقال ع وفي القرآن
نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم فنبأ ما قبلهم اخبار القرون الماضية وخبر ما بعدهم ذكر احوال الموت والقيامة و
الوعد والوعيد وحكم ما بينهم بيان الاحكام الخمسة المتعلقة بافعالهم وهو في معرض مدح القرآن والحث على قراءته وفهمه وقال
ع ردوا الحجر من حيث جاء فان الشر لا يدفعه الا الشر فالحجر كناية عن الشر ورده من حيث جاء كناية عن مقابلة الشر بمثله و
رغب في ذلك بضمير صغراه قوله فان الشر الى آخره وتقدير الكبرى وكل ما لا يقطع الا بالشر فواجب ان يقطع به وليس هذا امرا عاما
لامره ع بالحلم في مواضع كثيرة وقال ع لكاتبه عبيد الله بن ابي رافع الق دواتك واطل جلفة قلمك وفرج بين السطور
وقرمط بين الحروف فان ذلك اجدر بصباحة الخط كان ابو رافع مولى لرسول الله ص والقة الدواة ولقها اصلاحها
بالمداد وجلفة القلم سنانه والقرمطة بين الحروف تقريب بعضها من بعض والصباحة الحسن وفائدة القيد الاول ظاهرة
وفائدة الثاني ان الجلفة الطويلة تحمل مدادا اكثر فيستمر القلم في كتابة كلمات كثيرة على نهج واحد من غير تقطيع بين المدات
بخلاف الجلفة القصيرة فان مدادها اقل والمقاطع بين مداتها اكثر فيكثر التفاوت بين الكلمات في آخر كل مدة واول الاخرى
بعدها وفائدة الثالث ظهور الفصل بين السطور وتميز بعضها عن بعض وفائدة الرابع كون الكلمة حسنة الهيئة والحسن لها
اقرب قسطا ولعل بعض هذه القيود او كلها شرط في حسن بعض اجناس الخط المحدث بعده ورغب في ذلك
بقوله فان ذلك اي فان هذه الشرائط وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان اولى بصباحة الخط ففعله اولى وقال
ع انا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار قال السيد ومعنى ذلك ان المؤمنين يتبعونني والفجار يتبعون المال كما يتبع
النحل يعسوبها وهو رئيسها اقول استعار لنفسه لفظ اليعسوب ووجه المشابهة ما ذكره السيد ره وقال له بعض اليهود ما دفنتم
نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال له انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت ارجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم آلهة فقال
انكم قوم تجهلون اراد انا اختلفنا في سنته وتشاجرنا في ذلك وانما وقع خلافنا عنه اي بسبب اشتباه بعض ما جاء عنه من كتاب وسنة
على من لا يعلم ذلك منا واما انتم فقد اختلفتم في ان لكم صانعا ام لا حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها وذلك يستلزم التشكك منكم
في نبوة نبيكم بالاولى وقيل له ع باي شيء غلبت الاقران فقال ما لقيت احدا الا اعانني على نفسه قال السيد ره يومي عليه السلام
الى تمكن هيبته في القلوب اراد ان سابق هيبته وتخيل الاقران ما جرت به عادته من الظفر بامثالهم وقتلهم يوجب لنفوسهم
انفعالا وضعفا عن مقاومته وذلك مما يعينه عليهم وقال ع لابنه محمد ره يا بني اني اخاف عليك الفقر
فاستعذ بالله منه فان الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت امره بالاستعاذة من الفقر لما فيه من المكاره الثلاثة اما كونه

جواب السائل سائله عن معضلة

مفسدة للدين فللاشتغال بهم وتحصيل قوام البدن عن العبادة وكونه من هشة للعقل اى محل دهشة العقل وحيرته وضيق الصدر وكل كونه داعية مقت الخالق لصاحبه رغب في الاستعاذة منه بضمير صغراه قوله فان الفقر الى آخره وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب الاستعاذة بالله منه **وقال** لسائل سأله عن معضلة سل تفقها ولا تسأل تعنتا فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم وان العالم المتعسف شبيه بالجاهل المعضلة المسئلة المشكلة والتعنت طلب الامر الشاق على من يطلب منه والتعسف الاخذ على غير الطريق وقد كان عليه السلام فهم من السائل ان غرضه الامتحان فاعرض عن جوابه الى تأديبه وارشاده الى ما ينبغي من وضع السؤال وغرضه وهو التفقه دون التعسف لحصول الفائدة بالسؤال وغرضه وهو التفقه دون التعنت لحصول الفائدة بالسؤال الاول وتفقها وتعنتا مفعولان له او مصدران سدا مسد الحال ورغب في السؤال على وجه التعلم بضمير صغراه قوله فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم ووجه الشبه اشتراكهما في طلب العلم وقصده وتقدير الكبرى وكل من كان شبيها بالعالم فينبغي ان يسلك مسلكه ثم نفر عن سلوك غير الطريق الحق في السؤال والعدول به الى غير المقصود الاصلي بضمير ثان صغراه قوله فان العالم الى قوله بالجاهل ووجه التشبيه كون ذلك العالم يضع سؤاله في غير موضعه ويطلب ما لا ينبغي كالجاهل بوضع الاسولة ومواقعها وتقدير الكبرى وكل من كان شبيها بالجاهل فينبغي ان يجتنب طريقه للخلاص من هذا الشبه **وقال** عليه السلام لعبد الله بن العباس ره وقد اشار عليه بشيء لم يوافق رأيه لك ان تشير علي وارى فاذا عصيتك فاطعني روي انه اشار عليه عند بيعة من بايعه وقد بايعه الناس فقال يا امير المؤمنين ان هذا امر عظيم يخاف غوائل الناس فيه فاكتب لطلحة بولاية اليمن وللزبير بولاية الكوفة واكتب الى معاوية وذكره القرابة والصلة واقره على ولاية الشام حتى يبايعك ويحرم على سلطانك وطاعتك الله على فاتركه على حاله وان تخالفت فادع الى من بنوا بدلا غيره ولا تهوج بجار الفتنة فقال عليه السلام معاذ الله ان افسد ديني بدنيا غيري وكان يا ابن عباس ان تشير وحق مفعول رئى للعلم برأي انظر في وجه المصلحة واوجب طاعته نفسه لانه الامام ولانه افضل رأيا فاذا رأى المصلحة في شيء من رأيه رجح وروي انه عليه السلام لما ورد الكوفة قادما من صفين مر بالشباميين فسمع بكاء النساء على قتلى صفين وخرج اليه حرب بن شرحبيل الشبامي وكان من وجوه قومه فقال له اتغلبكم نساؤكم على ما اسمع الا تنهونهن عن هذا الرنين واقبل يمشي معه وهو عليه السلام راكب فقال له ارجع فان مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن شبام بكسر الشين حي من العرب وقادما حال والاستفهام للانكار دخل على النفي وقد علمت ما في الجزع من الرذيلة فلذلك نهى عنه ولانه يجبن الرجل ويثبطهم عن الحرب وهو في محل الحاجة ونفره عن المشي معه بضمير صغراه قوله فان مشي مثلك الى آخره وتقدير الكبرى وكلما كان فتنة ومذلة وجب تركه **وقال** عليه السلام وقد مر بقتلى الخوارج يوم النهروان بؤسا لكم لقد ضركم من غركم فقيل له من غرهم يا امير المؤمنين فقال الشيطان المضل والانفس الامارة بالسوء غرتهم بالاماني وفسحت لهم بالمعاصي ووعدتهم الاظهار فاقتحمت بهم النار البؤس الشدة وبعدهم من نفسه رملي ضرهم وعرفهم بالشيطان المضل والانفس الامارة بالسوء ان الشيطان قد يراد به النفس الامارة وان العطف ايضا يقتضي التغاير في العبارة والاماني التي غرتهم بها هي اماني الغلبة والقهر ومنيهم في المعاصي ترخيصا لهم وتوسيعا لهم فيها وكذا ما وعدتهم به من الظهار لهم على من غالبهم وظاهر ان ذلك مستلزم لدخول النار ولفظ الاقتحام مستعار لسرعة دخالها لهم النار **وقال** اتقوا معاصي الله في الخلوات فان الشاهد هو الحاكم امر بالخشية من معاصي الله ونفر عنها بضمير صغراه قوله فان الشاهد هو الحاكم وتقدير كبراه وكل من كان الشاهد عليه هو حاكم وجب عليه ان يتقيه **وقال** عليه السلام لما بلغه قتل محمد بن ابي بكر ره ان حزننا على قدر سرورهم به الا انهم نقصوا بغيضا ونقصنا حبيبا قد بينا فيما سلف مكانه منه عليه السلام وقوله فان حزننا عليه على قدر سرورهم به اي بفقده او بادائه بناسبه في الشدة واشار الى الفرق بينهما بنقصانه منهم ونقصانه منه وذلك في معرض التألم لفقده **وقال** العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة اعذر اليه اتاه بالعذر واعذار الله اليه امهاله اياه المدة المذكورة التي هي مظنة تحصيل الزاد ليوم المعاد فان ما بعد الستين تضعف فيه القوى النفسانية والبدنية وتكل عن العمل فمن قصر الى تلك الغاية فقد توجه اللوم عليه وانقطعت حجته بالاعذار اليه **وقال** ما ظفر من ظفر الاثم به والغالب بالشر مغلوب فهو تنفير عن الظلم والبغي وذلك ان الظالم المحق هو من قهر خصمه على وجه العدل فمن لا يكون كذلك يلزمه الاثم ويقهره عند الله الاثم فيكون مغلوبا بظلمه وهو في صورة غالب واستعار وصف الظفر للاسر في رفقه الاسلام الاثم واحاطته به **وقال** عليه السلام ان الله سبحانه فرض في اموال الاغنياء اقوات الفقراء فما جاع فقير الا بما منع غني والله تعالى جده سائلهم عن ذلك اراد بذلك فرض الزكوة وظاهر ان جوع الفقير انما يكون بما منعه الغني من القوت او ما هو وسيلة اليه ورغب الاغنياء بقوله والله سائلهم عن ذلك وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من سائله الله فينبغي ان يهيئ سؤاله **وقال** الاستغناء عن العذر اعز من الصدق به اراد ان ترك ما يحتاج فيه الى العذر فيستغني بتركه عن العذر اعز عليك وانفع لك من ان تأتيه ويكون لك فيه عذر صادق ويحتمل ان يريد بقوله اعز اي اكثر عزة لك لان الانسان بالاعتذار يحتاج الى ذلة ومهانة **وقال** عليه السلام ان اقل ما يلزمكم لله ان لا تستعينوا بنعمه على معاصيه وذلك ان العدل ان تستعينوا بنعمه

كلمات له مشتملة على المواعظ

بعثه على طاعته فان لم تفعل ذلك فلا اقل من ان تستعمل في الامور المباحة دون الاستعانة بها على معصيته فان ذلك تمام بعد لسخطه وقال ع
إن الله سبحانه جعل الطاعة غنيمة الاكياس عند تفريط العجزة طاعته ثم غنيمة الاكياس باعتبار استلزامها للنعيم المقيم في الآخرة
وسبب الغنيمة غنيمة والاكياس هم الذين استعملوا فطنهم وحركاتهم في تحصيل ما ينبغي من علم وعمل وخصهم الله سبحانه بهذه الغنيمة عند
تفريط العجزة وهم المقصرون عما ينبغي لهم وهو في معرض ذمهم على تقصيرهم بالغ المشبه للعجز وقال ع السلطان وزعة الله في ارضه
الوزعة الوازع وهو الرادع المانع اى ان الله تعالى وضعه في ارضه ليمنع به ما يريد منعه واراد السلطان العادل وقال ع في
صفة المؤمن المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه اوسع شيء صدرا واذل شيء نفسا يكره الرفعة ويشنأ السمعة طويل غمه بعيد
همه كثير صمته مشغول وقته صبور شكور مغمور بفكرته ضنين بخلته لين العريكة اصلب من الصلد وهو اذل من العبد ثبتا بعض
وذكر في معرض التعريف والمدح ستة عشر وصفا احدها ان بشره في وجهه وذلك من تمام فضيلة التواضع ولين الجانب الثاني
حزنه في قلبه وذلك من خشية الله ونظره الى ما عساه فرط في جنب الله الثالث وسع صدره وقد علمت ان سعة الصدر فضيلة
للقوة الغضبية وقد يعبر عنها برحب الذراع اذ انه مستكمل لهذه الفضيلة الرابع واذل شيء نفسا اى لتواضعه لله ونظره بنفسه الى
محلها ومقدارها من الحاجة الى الله وصدرا ونفسا مميزان الخامس كراهيته للرفعة لانها مبدأ الرذائل كالعجب والكبر وكذلك بغضه
للسمعة احترازا من تلك الرذائل السادس طول غمه لنظره دائما الى ما بين يديه من الموت وما بعده السابع وبحسب ذلك كان بعد همته
وعلوها عن دنايا الدنيا ونظره الى المطلوب الاكمل من السعادة الاخروية الثامن كثرة صمته وذلك لكمال عقله فهو لا ينطق
الا بما يحتاج اليه مما فيه حكمة وصلاح التاسع قد شغل وقته اى بعبادة ربه العاشر كونه شكورا اى كثير الشكر لله الحادي عشر صبورا اى على
بلاء الله الثاني عشر مغمور بفكرته في ملكوت السموات والارض واستنباط آيات الله وعبره منها الثالث عشر ضنين بخلته لترصده
مواقع الخلة واهلها الذين هم اخوان الصدق في الله وهم قليلون فلا يضعها كيف اتفق ومع كل من طلب مودته وخلته ويحتمل ان
يريد انه اذا خال احدا ظن بخلته ان يضيعها او يهمل خليله وروى بفتح الخاء والخلة الحاجة اى اذا عرضت له حاجة ضن بها ان
يسأل احدا فيها الرابع عشر سهل الخليقة اى لا جفاوة في طباعه ولا خشونة الخامس عشر لين العريكة وهو كناية عن سهولة انقياده لما
يراد منه واصله الجلد من الاديم يكون لينا عند العرك من الدباغ سهلا على يد الغير السادس عشر نفسه اصلب من الصلد بشجاعته
وثباته في طاعة الله وهو اذل من العبد لتواضعه ومعرفته بقدره عند قدرة باريه والواو للحال وقال ع لو رأى العبد الاجل
ومسيره لابغض الامل وغروره استعار لفظ المسير للاجل وهو زمان الحيوة باعتبار تقضي اجزائه وانتهائه بفنائها كما يقطع السائر
اجزاء المسافة وينتهي الى غايته بفنائها ويحتمل ان يريد بالاجل غاية الحيوة واستعار لفظ المسير لدنوها المعقول منه وانما قال
لو كان الاجل بصورة سائر محسوس فشاهد العبد سيره به الى الموت وعلم غايته لقطع آماله الدنيوية ولم يغتر بها وقال ع لكل
امرئ في ماله شريكان الوارث والحوادث نفره عن ادخار المال بذكر الشريكين المكروهين وقال ع الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر تشبيه من يدعو
الله ولا يعمل له بالرامي بغير وتر وجه الشبه عدم امكان الانتفاع ونحوه قول الرسول ص احمق الناس من ترك العمل وتمنى على الله وقال ع
العلم علمان مطبوع ومسموع ولا ينفع المسموع اذا لم يكن المطبوع اراد بالمطبوع العقل بالملكة وهو الاستعداد بالعلوم الضرورية
للانتقال منها الى العلوم المكتسبة والمسموع من العلماء فان من لا يكون له ذلك الاستعداد لا ينتفع بما يسمعه من العلوم ولا يتمكن من
اكتسابه وقيل اراد بالمطبوع ما يعلم من الاصول بطبيعة العقل كالتوحيد والعدل وبالمسموع العلوم الشرعية التي هي فروع العقلية
اذ لا ينتفع بفرع من دون اصله وقال صواب الرأي بالدول يقبل باقبالها ويذهب بذهابها اى ان الدولة مستلزمة لصواب الرأي اذ كان
من تمام السعادة المقتضية للدولة ان يلزمها رأي صواب يكون به تدبيرها وتلك السعادة والدولة معدة لاختيار اصلح الآراء وما به
البر فهو يقبل باقبالها لاعدادها له وعند ذهابها يذهب الرأي الصواب وان عد في الظن صوابا وقال ع العفاف زينة الفقر و
الشكر زينة الغنى العفة فضيلة القوة الشهوية وظ كونها للانسان وهي مع الفقر اجمل فانها تقيد الفقير بها وتحببه في قلوب الخلق
وتكسبه المدح والثناء منهم ويظهر اثرها عليه بسرعة وان فقدها الفقير خسر الدنيا والآخرة وكذلك الشكر من فضائل القوة الشهوية
ايضا وقبيح بالغني مقابلة نعم الله بالكفران فزينة غناه وتمامه اذن شكره له وقال ع يوم العدل على الظالم اشد من يوم الجور على
المظلوم يوم العدل يوم القيمة ويوم الجور وقت الظلم وقد مر بيانه وقال ع الاقاويل محفوظة والسرائر مبلوة وكل نفس
بما كسبت رهينة والناس منقوصون مدخولون الا من عصم الله سائلهم متعنت ومجيبهم متكلف يكاد افضلهم رأيا يرده
عن فضل رأيه الرضى والسخط ويكاد اصلبهم عودا تنكأه اللحظة وتستحيله الكلمة الواحدة معاشر الناس اتقوا الله فكم
من مؤمل ما لا يبلغه وبان ما لا يسكنه وجامع ما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه اصابه حراما واحتمل
به آثاما فباء بوزره وقدم على ربه آسفا لاهفا مدخول ومدخل اى في عقله دخل وعلة وتنكأه اى تؤثر فيه وتستحيله تغيره وما

سهل الخليقة

كلماته المشتملة على الموعظة والنصيحة

بثقله رجع به وحصل عليه والالهف المتحسر والتفصيل في معرض الوعظ فبينه للسامعين واعلامهم ان اقوالهم محفوظة وسرائرهم مختبرة بما كلفوا
به من طاعة الله والسرائر ما اضمر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وعن معاذ بن جبل قال سألت النبي صلعم عن قوله تعالى يوم تبلى
السرائر ما هذه السرائر التي تبلى يوم القيمة فقال سرائركم هي اعمالكم من الصلوة والصيام والزكوة والوضوء والغسل من الجنابة وكل
مفروض لان الاعمال كلها سرائر خفية فان شاء قال صليت ولم تصل وان شاء قال توضأت ولم تتوضأ واستعار لفظ الرهينة
للنفس باعتبار وثوقها في الاسر بما اكتسبت من الشر كما يوثق الرهن بما عليه من مال واللفظ من القرآن المجيد وغرض ذلك التنبيه على
العدل في القول واضمار الخير واكتساب الاعمال الصالحة ثم نبه على ما فيهم من النقصان الطبيعي المحتاج الى التكميل المكتسب ووصف
سائلهم بان سؤاله خارج عما ينبغي لان غرضه به الامتحان دون التعلم ومجيبهم بالتكلف في جوابه لقلة علمه وافضلهم رايا بانه يكاد
ان يرده عن فضل رايه ما يعرض له من امر يرضيه او يسخطه او يرجع عنه وان كان يشاهد فيه المصلحة واصلبهم عودا اى اشدهم
في الله واقواهم في طاعته يؤثر فيه اللحظة اى من ينظر اليه نظر الهيبة وتستحيله الكلمة الواحدة منه فتغيره عن الحق ويجوز ان يريد
اللحظة والكلمة ممن يشتهيه من الدنيا ولذاتها ثم امرهم بتقوى الله ونفر عن تضييع الامل جذبا الى التقوى بذكر كثرة من يؤمل ما لا
يبلغه ويبني ما لا يسكنه ويجمع ما لابد من تركه مع احتمال ان يكون من باطل جمعه ومن حق منعه اهله فاصابه حراما وحمل ثقل وزره
وقدم به على ربه حزينا متحسرا على ما فرط في جنبه قد خسر الدنيا بموته والاخرة بتفريطه في اكتساب خيرها وذلك هو الخسران
المبين **وقال عم** من العصمة تعذر المعاصي اى من اسباب العصمة وذلك ان الانسان يتعود تركها حين لا يجدها حتى تصير ذلك
ملكة له وهي المراد بالعصمة **وقال** ماء وجهك جامد يقطره السؤال فانظر عند من تقطره استعار لفظ ماء الوجه للحياء ونوره على
الوجه الذي يذهب من وجه السائل بسؤاله ورشح بذكر الجمود والتقطير ويحتمل ان يكون كناية عما يعرض من العرق عند خجل السائل بسؤاله
واستحيائه وغرض الكلمة وضع السؤال موضعه من اهل المروة والبيوتات وروى وجهك ماء جامد فيكون استعارة للماء في الوجه
باعتبار ان له فكانه ذاب وقطر كالماء الجامد **وقال عم** الثناء باكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عي او حسد
فالملق هو التلطف الشديد بالقول والافراط في المدح ونفر عن طرفي الافراط والتفريط في الثناء فالافراط بما يلزمه من رذيلة
الملق والتفريط بما يلزمه من العي عن المدح او الحسد بالفضيلة الممدوح عليها **وقال عم** اشد الذنوب ما استهان به صاحبه
وذلك ان استهانته به يستلزم انهماكه فيه واستكثاره منه وعدم الاقلاع عنه حتى يصير ملكة بخلاف ما يستصغره من الذنوب
وقال عم اربع عشرة كلمة احدها من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره لانه انما يذكر عيب الغير غالبا في معرض الافتخار عليه بالبراءة
من ذلك العيب فاذا نظر الى مثله من نفسه شغله اعتبار ذلك النقصان فيها عن الاشتغال بنقصان غيره والتطهير الثانية ومن رضى
برزق الله لم يحزن على ما فاته وذلك ان الحزن على ما فات مستلزم لعدم القناعة والرضى بالحاصل من الرزق وعدم ذلك اللازم مستلزم
لعدم ملزومه وهو الحزن على الفائت الثالثة ومن سل سيف البغي قتل به وهو كناية عن الظلم وظاهر ان الظلم سبب لهلاك الظالم
قد سبق بيانه مرارا الرابعة ومن كابد الامور عطب اى من قاساها بنفسه استعد بها للهلاك الخامسة ومن اقتحم اللجج غرق استعار
لفظ اللجج للامور العظام كالحروب وتدبير الدول ولفظ الغرق للهلاك السادسة ومن دخل مداخل السوء اتهم لانها مظنة التهمة و
دخولها من الامارات الموجبة للظن كمعاشرة الفساق ونحوه السابعة ومن كثر كلامه كثر خطاؤه لانه قد مر ان كمال العقل مستلزم
لقلة الكلام فيكون كثرة الكلام مستلزما لنقصان العقل المستلزم لكثرة الخطاء والقول من غير ترو وتثبت الثامنة ومن كثر خطاؤه
قل حياؤه لانك علمت ان الحياء هو ان يحبس الارتداع عن الامور التي يقبح تعاطيها والاقدام عليها ملاحظة ما يتبع من ذكرها من
قبح الاحدوثة والاقدام على الخطاء بكثرة الكلام ينافي الارتداع عن تلك الامور وهو من جملتها التاسعة ومن قل حياؤه قل ورعه
لان الورع هو لزوم الاعمال الجميلة والوقوف على حدودها دون الرذايل والحياء منها فقلة الحياء مستلزمة لقلة الورع وكثيرا ما فسر الورع
وربما فسر الورع بالوقوف عن المحارم وظاهر ان قلة الحياء ايضا مظنة للاقدام على المحارم فكانت مظنة لقلة الورع فاقام الشيء مقام
مظنته العاشرة ومن قل ورعه مات قلبه اى لما كانت الفضيلة هي حيوة القلب شبه عدمها او قلتها فيه لفظ الموت
باعتبار عدم انتفاعه بها كخروج الميت عن الانتفاع بالحيوة الحادية عشرة ومن مات قلبه دخل النار لان المزحزح له عنها الى الجنة
هو استكماله بالفضيلة فاذا فقدها فالنار موعده والكلام في صورة قياس مفصول نتيجته ان من كثر كلامه دخل النار وهو تنفير
عن كثرة الكلام الثانية عشرة ومن نظر في عيوب الناس فانكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الاحمق بعينه ووجه الحمق ان كونه منكرا لها
من غيره يستلزم كون الراى الحق ان لا يفعلها ورضاه بها لنفسه مخالفة للراى الحق له وخروج عن المصلحة لنفسه عمدا وهو نقص بعينه
ما في العقل والالف واللام في الحمق يفيد حصره في المشار اليه ولذلك اكده بعينه الثالثة عشرة ومن اكثر من ذكر الموت رضى
من الدنيا باليسير لان الحرص من طلب الكثير منها الاستمتاع والالتذاذ به وذكر الموت كاسر لذلك الالتذاذ ومبغض له الرابعة عشرة

في صفات الظالم وعلاماته

ومن علم ان كلامه من عمله قلّ كلامه الا فيما يعنيه وذلك ان العالم بذلك يرتب قياسا هكذا الكلام عمل والاعمال مؤاخذ على ما لا يعني منها فينتج ان الكلام مؤاخذ على ما لا يعني منه وذلك يوجب الاقتصار على ما يعني منه **وقال** عليه السلام للظالم من الرجال ثلاث علامات يظلم من فوقه بالمعصية ومن دونه بالغلبة ويظاهر القوم الظلمة فظلمه لمن فوقه عصيان الله وبغيه بحدوده والعادة والثانية مستلزمة للاولى والثالثة مستلزمة للاوليين **وقال** عليه السلام عند تناهي الشدة تكون الفرجة وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء تناهي الشدة مستلزم للخلاص منها وهو المراد بالفرج وكذلك تضايق الحلق هو وقت الفزع الى الله والرجاء للحق له وذلك معد للفرج منه واستعار لفظ الحلق للامور الشديدة المحيطة بالانسان لا يجد عنها محيصا ملاحظة لشبهها بالحلقة في بطانات والحزام **وقال** عليه السلام لبعض اصحابه لا تجعلن اكثر شغلك باهلك وولدك فان يكن اهلك وولدك اولياء الله فان الله لا يضيع اولياءه وان يكونوا اعداء الله فما همك وشغلك باعداء الله نهى عن كثرة الاشتغال بالاهل والولد لاستلزامه ذلك عن طاعة الله وتنبيه على عدم ذلك جوازه بما هو في قوة قياس شرطي منفصل تقديره ان اهلك لا يخلوا اما ان يكونوا من اولياء الله او اعدائه وعلى التقديرين لا يجوز الاشتغال بهم اما الاولياء فلان الله نعم يكفيهم مؤنتهم فلا حاجة بهم الى اهتمام غيره واما اعداؤه فلا يجوز الاهتمام بحالهم وما في قوله فما همك استفهام على سبيل التقريع والتوبيخ **وقال** عليه السلام اكبر العيب ان تعيب ما فيك مثله قد عرفت ان ذلك حمق وهو اكبر العيوب وهنأ بحضرته عليه السلام رجل رجلا بغلام ولد له فقال له ليهنئك الفارس فقال عليه السلام لا تقل ذلك ولكن قل شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب وبلغ اشده ورزقت بره وهذا ارشاد منه للتهنئة بالولد فيها اربع فوايد احدها انه كبر الوالد بشكر الله والفائدة الثانية استنزال البركة منه الدعاء فيما وهب له الثالثة الدعاء للموهوب بالبقاء الى الاشد وهو كمال القوة لغاية الانتفاع به الرابعة الدعاء بثمرته والانتفاع به وهي ان يرزق بره ونفعه وبنى رجل من عماله بناء فخما فقال اطلعت الورق رؤوسها ان البناء ليصف لك الغنى الفخم العظيم وكنى بطلوع الورق لرؤوسها عن ظهور اثرها في البناء ملاحظة لشبهها بالحيوان في ظهوره وكذا استعار لفظ الوصف ونسبه الى البناء باعتبار انه يخبر عن الغنى كما يخبر الواصف عن موصوفه وقيل له عليه السلام لو سد على رجل باب بيته وترك فيه من اين كان يأتيه رزقه فقال من حيث يأتيه اجله قاس الرزق على الاجل لاشتراكهما في مبدأ واحد وهو قدرة الصانع تعالى واشار الى ذلك بقوله من حيث وعزى عليه السلام قوما عن ميت مات لهم فقال ان هذا الامر ليس بكم بدأ ولا اليكم انتهى وقد كان صاحبكم هذا يسافر فعدوه في بعض سفراته فان قدم عليكم والا قدمتم عليه وعدوه اي افترضوا انه كذلك والتعزية نصيحة لقياس خرج المغنى مفيدة للاقناع والسلو **وقال** عليه السلام ايها الناس ليركم الله من النعمة وجلين كما يراكم من النقمة فرقين انه من وسع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجا فقد امن مخوفا ومن ضيق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختبارا فقد ضيع مأمولا الاستدراج الاخذ على غرة وامر بالوجل من نعم الله حال فيضها خوف الاستدراج بها كما يخاف من النقمة وذلك ان النعمة بلاء يجب مقابلته بالشكر كما ان النقمة بلاء يجب مقابلتها بالصبر والغرض الحث على فضيلتي الشكر والصبر وحذر من الركون الى النعمة والغفلة فيها عن الله بقوله انه الى قوله امن مخوفا وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من امن مخوفا فهو مغرور وكذلك حذر الفقراء ان يغفل عن كون فقره بلاء واختبارا ويعده كذلك بما يلزم ذلك من تضييع المال وذلك ان تربيته باعتقاد انه اختبار من الله له للصبر عليه ويؤمل منه نعم الاجر الجزيل في الاخرة واذا لم يعتقد ذلك بطل استعداده به فضيع مأموله **وقال** يا اسرى الرغبة اقصروا فان المعرج على الدنيا لا يروعه منها الا صريف انياب الحدثان ايها الناس تولوا من انفسكم تأديبها واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها الضراوة الجرأة على الصيد والولوع به والضراية بالفتح الغذر والضرابة بالكسر مصدر ضري به والثلث لغة وردت بها الروايات واستعار لفظ الاسرى لمن ملكته رغبته في الدنيا وحبه لها وامرهم بالاقصار عن الافراط في طلبها ونفرهم عن التعريج والانعطاف عليها بقوله فان المعرج الى قوله الحدثان واستعار لفظ الصريف والانياب ملاحظة لشبهه الموت عند قدومه بالبعير الهائج ثم ايها بالناس وامرهم ان يتولوا من انفسهم تأديبها ورياضتها والوقوف بها على حد العدل من الحركات والافعال وان يعدلوا بها عن جريانها واقدامها على الانهماك في المشتهيات وقد عرفت معنى الرياضة **وقال** عليه السلام لا تظنن بكلمة خرجت من احد سوءا وانت تجد لها في الخير محتملا اي ما يمكن حمل الكلام الغير محالا ونا وبلا فلا تظنن به سوءا فان النفوس المسلمة اقرب الى الله من غيرها والواو للحال **وقال** اذا كانت لك الى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ثم اسئل حاجتك فان الله اكرم من ان يسئل حاجتين فيقضي احديهما ويمنع الاخرى امر بتقديم سؤال الصلاة على النبي في طلب الحاجة للاستعداد بها وعلله بقوله فان الله سبحانه الى اخره اي ان المسألة الاولى مجابة من الله بالاتفاق فيجب من كرمه اجابة الثانية وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان اكرم من ذلك فينبغي ان يسئل السائلين لمقتضى الحاجة **وقال** عليه السلام من ضن بعرضه فليدع المراء وذلك انه داعية ثوران القوة الغضبية من المتمارين وسبب المشاتمة والمسابة **وقال** عليه السلام من الخرق المعاجلة قبل الامكان والاناة بعد الفرصة الخرق الحمق ومعاجلة طلب الحاجة والاسراع اليها قبل وقت امكانها افراط في طلبها والاناة فيها اذا امكنت تفريط فيه وهما مذمومان وصاحبهما واضع للطلب في غير موضعه

وبمنعه

بحل به

وهو مقتضى

في ذم الدنيا ومدح تاركها

الجزء ٤

وهو حفظ ونقصان في عقل وجوه التدبير والحق العدل وهو وضع الطلب في وقته ومكانه لغرضه وقال ع لا تسئل عما لا يكون
ففي الذي قد كان لك شغل امره بالسلو عما لا يكون من زيادة رزق ونحوه من المطالب الدنيوية مما قد كان ووقع من المطالب التي اعطيها الانسان
ورغب فيما امره به من السلو بقوله ففي الذي الى اخره اي ففي ذلك شغل لك عما لم يقع من غيره واراد الشغل بضبط ما في يده من النعمة وما ينبغي
من الاشتغال بشكرها واستعمالها في طاعة الله وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغي ان تشتغل به عما وراءه ولا تطلب الزيادة
عليه وقال ثلث كلمات احديها الفكر مرآة صافية واستعار لها لفظ المرآة باعتبار انه يرى به المعقولات كما يرى الاشباح في المرآة
وقد سبق بيانه الثانية استعار لفظ المنذر الناصح للاعتبار وذلك انه يذكر الآخرة ويفيد الانزجار والاتعاظ عن المناهي كالمنذر الناصح
الثالثة اشار الى ان تجنب المرء لما يكرهه لغيره من الرذائل المهلكة ادب كاف له ونفر عنه بكونه مكروها للغير ورغب في تجنبه بكونه ادبا كافيا
للنفس وقال ع العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل عنه اراد انه مقرون به في الوضع
الذي ينبغي بمقتضى الحكمة الالهية وذلك انه تعالى جعل للنفس الانسانية قوتين علمية وعملية وجعل كمالها باستكمال هاتين القوتين
بالعلم والعمل ولا كمال لها بالعلم دون اقترانه بالعمل وقوله فمن علم عمل اي من علم ما ينبغي لزمه في الحكمة ان يعمل بمقتضى العلم وكان ذلك
داعيا الى العمل مستلزما لوجوده منه ويحتمل ان يكون قوله عمل خبرا في معنى الامر اي فمن علم فليعمل وقوله والعلم يهتف بالعمل الى اخره
فاستعار لفظ الهتاف والنداء لما يلزم المنادي واستعار لفظ المعقول من طلب العلم لمقارنة العمل الذي ينبغي له ووجد به الطبيع له فكانه يصيح ويدعوه
الى مقارنته ليكون منهما كمال الانسان ومعنى قوله فان اجابه والا ارتحل ان العلم الذي ينبغي اذا قارنه العمل تاكد به حتى يصير العلم كانه
بارز الى عالم الحس في صورة العقل مثلا اذا علم الانسان وجود الصانع وما ينبغي من طاعته ثم قرن ذلك بعبادته استلزمت تلك العبادة
واخطار ذكره لا يصير منسيا له في وقت فاما اذا ترك العمل لله فلا بد ان يشتغل بغيره عن ذكره وينقطع ملاحظته له حتى يكون ذلك سببا
لنسيانه والغفلة عنه واستعار لفظ الارتحال وزوال العلم باعتبار عدم استعداد تلك النفس وصلاحيتها كالراحل عن وطن ما يصلح لاستيطانه
ومثل اراد بالارتحال عدم المنقطع مجازا اطلاقا لاسم ذي الغاية على غايته اذ كانت الغاية من الارتحال عدم المنقطع بالمرتحل وقال ع متاع الدنيا
حطام موبئ فتجنبوا مرعاه قلعتها احظى من طمأنينتها وبلغتها ازكى من ثروتها حكم على مكثريها بالفاقة واعين من غني عنها
بالفاقة واعين من غني عنها بالراحة ومن راقه زبرجها اعقبت ناظريه كمها ومن استشعر الشغف بها ملأت ضميره اشجانا لهن
رقص على سويداء قلبه هم يشغله وهم يحزنه كذلك حتى يؤخذ بكظمه فيلقى بالفضاء منقطعا ابهراه هينا على الله فناؤه وعلى الاخوان القاؤه
وانما ينظر المؤمن الى الدنيا بعين الاعتبار ويقتات منها ببطن الاضطرار ويسمع فيها باذن المقت والابغاض ان قيل اثرى قيل
اكدى وان فرح له بالبقاء حزن عليه بالفناء هذا ولم ياتهم يوم فيه يبلسون اقول القلعة الرحلة والحظوة المنفعة وراقه اعجبه والكمه
العمى خلقة والاشجان العوارض المهمة والرقص الغليان والاضطراب والابهران عرقان متعلقان بالقلب واكدى قل خيره والابلاس اليأس من
الرحمة وفي الفصل فائدتان احديهما تنفير عن الدنيا بامور احدها ان حطامها موبئ اي مهلك واستعار لفظ الحطام لمتاعها باعتبار
سرعة فنائه والرعي وقلة الانتفاع به كما قال ع انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الاية وكونه موبئا استلزم اقتنائه والاعتناء بجمعه
للهلاك في الاخرة ولذلك امر بتجنب مرعاه اي محل رعيه وهو الدنيا الثاني ان قلعتها وعدم القرار بها انفع من الطمأنينة اليها لما
يستلزمه من الشقاوة في الاخرة بحبها والسكون اليها في الاخرة الثالث ان الاقتصار على البلغة من العيش فيها ازكى من الثروة بها لما
تستلزمه الثروة بها من الشقاء الاخروي فالاقتصار على قدر الضرورة منها اطهر واسلم من غوائلها الرابع حكم بالفاقة على مكثريها
اما فيها فلان كل زيادة منها موجبة للحاجة الى اخرى فلذلك كان اكثر الناس حاجة فيها الملوك ثم من دونهم على اختلاف درجاتهم
فيها واما في الاخرة فلفقر المكثر فيها المشتغل بها من ملكات الخير والفضائل الخامس ان من غني عنها بزهده فيها اعين من الله بالراحة
منها السادس ان من اعجبته زينتها اي من حجبته زينتها فانصب اليها عمي عما فيها من العبر عما وراءها من احوال الآخرة واستعار لفظ الكمه
للمعقول من عمى البصيرة عن الاعتبار لان ذلك اشد من العمى كما قال تع فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور السابع ان
من اتخذ محبتها شعارا ملأت قلبه هموما وغموما واحزانا على ما لم يحصل منها بطلبه وعلى ما فات منها بالاسف عليه واستعار لفظ الرقص
لتعاقب تلك الاحزان والهموم واضطرابها في قلبه الى غاية الاخذ بكظمه وكنى به عن الموت وبالقائه بالفضاء عن دفنه ومنقطعا وهينا حالان
والفائدة الثانية انه ارشد الى صفات المؤمن في صحبته الدنيا احديها انه انما ينظر اليها بعين الاعتبار ليحصل منها عبرة وذلك هو
الذي خلق لاجله الثانية ويقتات منها ببطن الاضطرار وكنى به عن كونه لا يتناول منها الا بلغته ومقدار ضرورته الثالثة ويسمع فيها باذن
المقت والابغاض وكنى به عن تبغضها فهو لا يسمع ما يمدح به بل معايبها وقوله ان قيل اثرى الى قوله الفناء اراد ان الانسان فيها منغص
اللذة مكدر العيشة بينا هو مثر اذ لحقه الاكداء والفقر وفرح ببقاء حبيب اذ لحقه الحزن عليه وهذا الكلام الاخير الفائدة الاولى في وصف
حال الانسان في الدنيا ومن تمامه ووصف المؤمن معا اعتراض وقوله هذا ولم ياتهم اي هذا البلاء ولم يات الناس يوم القيامة الذي اشد هولا

٢ منه دوام ملاحظته تعالى بالبال حتى

١ اليأس

كلام لجابر بن عبد الله الأنصاري

بأسوء نفسه من الرحمة **و قال ع** إن الله سبحانه وضع الثواب على طاعته والعقاب على معصيته ذيادة لعباده عن نقمته وحياشة
لهم إلى جنته أقول الذيادة الدفع والمنع وأشار إلى غاية الحكمة الإلهية من وضع الثواب والعقاب وهما ذيادة عباد الله عن نقمته وجمعهم إلى جنته
و قال ع يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن إلا رسمه ومن الإسلام إلا اسمه مساجدهم يومئذ عامرة من البناء خراب
من الهدى سكانها وعمارها شر أهل الأرض منهم تخرج الفتنة وإليهم تأوي الخطيئة يردون من شذ عنها فيها ويسوقون
من تأخر عنها إليها يقول الله عز وجل فبي حلفت لأبعثن إلى أولئك فتنة أترك الحليم فيها حيران وقد فعل ونحن نستقيل
الله عثرة الغفلة رسم القرآن أثره وهو تلاوته ونحوه ولا يبقى إلا اسم الإسلام دون العمل وسكان المساجد وعمارها قراء السوء وأئمة
الضلال الذين وصفهم ع في صدر الكتاب بقوله إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان وبقوله في فصل آخر وأما اختلاف الناس
في الفتيا [illegible] أولئك وأمثالهم شر أهل الأرض لكونهم مبدأ الفتنة في الدين وإليهم ترجع خطايا الخلائق
إذ بهم يقتدون وعنهم يأخذون ومن كان كذلك فقد استعد للفتنة التي يحار فيها الحليم ذو العقل والحكيم وإذا سأل ع من الله
نعم إقالة عثرة الغفلة [illegible] في ذلك السؤال اللهم أقلنا من عثرة الغفلة [illegible] قل ما اعتدل به المنبر إلا قال أمام خطبته
أيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا ترك سدى فيلغو وما دنياه التي تحسنت له بخلف من الآخرة التي قبحها سوء
النظر عنده وما المغرور الذي ظفر من الدنيا بأعلى همته كالآخر الذي ظفر من الآخرة بأدنى سهمته أقول السدى المهمل والسهمة النصيب
ولما كان تقوى الله والتزود بها إليه هو المطلوب من خلق الإنسان لا جرم صدر بالأمر بها أمام خطبته ونبه على ذلك المطلوب وأن
الغاية منه **و قال ع** وإنه ليست الدنيا وإن تحسنت له بخلف من غايته وإن قبحها سوء نظره لها ومغروريته بها وعلى أنه لا مناسبة
بين من ظفر من الدنيا بأعلى مطالبه منها وبين من ظفر من الآخرة بأدنى نصيب لشرف متاع الآخرة فكيف من يظفر منها بأعلى
مطلوب [illegible] طالب الدنيا والمدعي للظفر بها لكونه مغرورا وأفضل **و قال ع** عشر كلمات أحدها لا شرف أعلى من الإسلام
لاستلزامه شرف الدنيا والآخرة الثانية ولا عز أعز من التقوى لأن التقوى تستلزم جميع مكارم الأخلاق الجامعة لعز الدنيا
والآخرة فكان عزها أكبر عزا من غيرها الثالثة ولا معقل أحصن من الورع واستعار له لفظ المعقل باعتبار تحصن الإنسان
به من عذاب الله لما كان عبارة عن لزوم الأعمال الجميلة فلا معقل أحصن منه الرابعة ولا شفيع أنجح من التوبة وذلك لاستلزامها
العفو عن جريمة التائب قطعا دون سائر الشفعاء لشفاعتهم ولفظ الشفيع مستعار لها الخامسة ولا كنز أغنى من القناعة فضيلة
مستلزمة لسكون نفس الإنسان ورضاه بما قسم له وغناه عما وراءه ولا شيء من سائر الكنوز لأبناء الدنيا كذلك ولفظ الكنز مستعار
لها السادسة ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت وهو قريب مما قبله السابعة ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم
الراحة أي سلك الواحة من لم يطلب الدنيا ومجاذبة أهلها وتبوأ خفض الدعة أي اتخذ لين السكون مباءة ومرجعا الثامنة والرغبة
مفتاح النصب ومطية التعب استعار لفظ الرغبة في الدنيا لفظ المفتاح باعتبار فتحها لباب التعب على الراغب كما استعار لفظ المطية باعتبار
استلزامها كالمطية المتعب كونها التاسعة والحرص والكبر والحسد دواع إلى التقحم في الذنوب التقحم الدخول بسرعة فالحرص على الدنيا داع
إلى الظلم والكذب والفجور والجبن والبخل ونحوها من الرذائل والكبر داع إلى قلة الإنصاف وعدم التواضع والعجب والتهور وعدم الاحتمال
ونحوها والحسد داع إلى الظلم والفساد في الأرض وغيرها من الآثام العاشرة والشر جامع لمساوي العيوب الشر كلي كالجنس لسائر
العيوب مقاصدها إذ كل منها يصدق عليه أنه شر مخصوص وهو المعنى بكون الشر جامعا لها **و قال ع** لجابر بن عبد الله الأنصاري
يا جابر قوام الدنيا بأربعة عالم مستعمل علمه وجاهل لا يستنكف أن يتعلم وجواد لا يبخل بمعروفه وفقير لا يبيع آخرته بدنياه
فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم وإذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه يا جابر من كثرت نعم الله
عليه كثرت حوائج الناس إليه فإن قام بما يجب لله فيها عرض نعمته لدوامها وإن ضيع ما يجب لله فيها عرض نعمته لزوالها
الدنيا إنما تقوم بالمال ثم بالعلم لوضعه في مواضعه ومعرفة وجوه اكتسابه التي ينبغي أو لا ينبغي من حلال وحرام وهو علم الفقه و
أصوله وتفسير كتاب الله وسنة رسوله اللذين منهما تعلم الأحكام ثم ما يلزم ذلك من علم العربية ونحوه ولما كان العلم لا بد له
من حامل والمال لا بد له من قابل وجب أن يكون من شرط الأول أن يعمل بعلمه ومن شرط الثاني أن يستعمل ماله في مصارفه التي ينبغي
وإلا لم يكن لهما فائدة ولا قامت بهما أحوال الخلق التي هي الدنيا ولما كان الموت ضروريا للعلماء وغيرهم وجب في قيام الدنيا
وبقاء نظامها أن يدوم العلم في قرن من الناس بعد قرن وجب أن يكون هناك جهال لا يستنكفون عن تعلمه ولما كانت حاجة البعض
إلى البعض في قوام الدنيا ضرورية ولم يجز في نظامها أن يستغني كل عن كل لأسباب معلومة وغير معلومة وجب أن يكون هناك
من لا مال له ليحصل الانتفاع به فيما هو بصدده ومرشح له من الأعمال الضرورية بالجود عليه فإذن قوام الدنيا لا يحصل بدون
الأربعة وإنما شرط في الفقير أن لا يبيع آخرته بدنياه لأن بائع آخرته بدنياه ظالم خارج عن العدل فلا يقوم به الدنيا ولا يصلح

هو الآخرة صح

فذلك لكونها صح

والكذب صح

لعمارتها

تتمة كلام الجابر بن عبد الله

لعمارتها تم لما بين ما به قوام الدنيا اشار الى ما يلزم من ضد ذلك من الفساد تنفيرا عنه بقوله فاذا ضيع الى قوله هي بناه فلان تضييع العلم يستلزم عدم الانتفاع به واستنكاف الجاهل عن تعلمه لسوء اعتقاده في تعلم واهله لما يراه من تضييعهم له وعدم عملهم على وفقه فيبقى على الجهل بمنفعته وبخل الغني بمعروفه مستلزم لعدم المنفعة بالمال وما يلزم ذلك من شدة حاجة الفقير وبيع اخرته بدنياه فيلزمه الفساد المنافي لمصلحة المعاش والمعاد ثم اشار الى ما يلزم كثرة نعمة الله على العبد من كثرة حوائج الخلق اليه لتوقعه له وجوب الشكر عليها والقيام بما يجب لله فيها من الاحسان الى المحتاجين اليه ورغب في ذلك بما يلزمه من تعريض العبد بذلك نعمة الله عنده للدوام والمزيد ونفر عن تضييع ذلك بما يلزمه من تعريضها لزوالها وروى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى الفقيه وكان ممن خرج لقتال الحجاج مع ابن الاشعث انه كان قال فيما يحضض به الناس على الجهاد اني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام يقول يوم لقينا اهل الشام ايها المؤمنون انه من راى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن انكره بلسانه فقد اجر وهو افضل من صاحبه ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي اصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين لما كان انكار المنكر واجبا على كل مكلف بحسب تمكنه وكان لتمكنه طرف ادنى وهو الانكار بالقلب لامكانه من كل احد وطرف الاعلى وهو الانكار باليد وهو الغاية ووسط وهو الانكار باللسان كانت درجاته في استحقاق الاجر مترتبة على درجات انكاره وانما خص المنكر بقلبه بالسلامة والبراءة اي من عذاب الله لانه لم يحمل اثما وانما لم يذكر له اجرا وان كان كل واجب يثاب عليه لان غاية انكار المنكر دفعه والانكار بالقلب ليس له في الظاهر تاثير في دفع المنكر فكانه لم يفعل ما يستحق به اجرا وانما قال لتكون كلمة الله هي العليا لانه ان لم يكن ذلك مقصود المنكر بل كان مقصوده مثلا الرياء او الغلبة الدنيوية لا يكون قد اصاب سبيل الهدى واستعار لفظ التنوير لوضوح الحق في قلبه وجلائه من شبه الباطل وفي كلام له عليه السلام يجري هذا المجرى فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك مستكمل لخصال الخير ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيع اشرف الخصلتين من الثلث وتمسك بواحدة ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الاحياء وما اعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي وهو ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق وافضل من ذلك كله كلمة حق عند امام جائر اقول انه عليه السلام جرى في هذه القسمة على غير هذا الوجه فيكون الناس على اقسام ستة وهي المنكر بقلبه فقط او بلسانه فقط او بيده فقط او بقلبه ولسانه او بقلبه ويده او بلسانه ويده واعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر متلازمان لان المعروف والمنكر قد يكونان نقيضين او في قوتهما فيكون النهي عن المنكر مستلزما للامر بالمعروف والامر بالمعروف مستلزما للنهي عن المنكر واسمهما لخصال الخير لان كل خصلة منه معروف فالامر بالمعروف مطلق امر بها وترك كل واحدة من خصال الخير منكر فانكاره يستلزم الامر بها ولما كانت هذه الانواع الثلثة من انكار المنكر فضائل تحت فضيلة العدل وجب عدها من خصال الخير ولما كانت مستلزمة لسائر الفضائل كما اشرنا اليه وجب ان يكون المنكر للمنكر مطلقا مستكملا لجميع خصال الخير وان يكون التارك له بيده لخصلة ومتمسكا بخصلتين والتارك بيده ولسانه مضيعا لاشرف الخصلتين من الثلث وانما كانت اشرف لكونهما يستلزمان دفع المنكر او بعضه غالبا بخلاف الثالثة ووجب ان يستحق التارك للثلث اسم الميت في حيوته لخلوه عن جميع الفضائل ولفظ الميت مستعار وقوله وما اعمال البر الى قوله لجي تعظيم لهاتين الفضيلتين وتشبيه اعمال البر كلها بالنسبة اليهما بالنفثة في البحر اللجي ووجه الشبه ان كل خصلة من اعمال البر جزء بالنسبة اليهما كالنفثة بالنسبة الى البحر وعموم الخير منهما وقوله فان الامر الى قوله رزق صغرى ضمير رغب به فيهما وتقدير الكبرى وكلما لا يقرب من اجل ولا ينقص من رزق فلا ينبغي ان يحذر منه ثم اشار الى افضل اقسامهما وهو كلمة العدل عند الامام الجائر لغرض رده عن جوره وعن ابي جحيفة قال سمعت امير المؤمنين عليه السلام يقول ان اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم فمن لم يعرف بقلبه معروفا ولم ينكر منكرا قلب فجعل اعلاه اسفله واسفله اعلاه الجهاد باليد واللسان والقلب هو انكار المنكر بها وانما كان باليد اول مغلوب عليه لان الغرض الاول للعدو ازالة سلطان اليد ومقاومته فاذا تمكن من ذلك كان زوال سلطان اللسان سهلا فان قلت لم قال ثم بقلوبكم ومعلوم ان القلب لا يطلع عليه العدو ولا يتمكن من ازالة الجهاد به قلنا واذا انهم اذا غلبوا على الجهاد باليد واللسان وطالت المدة عليهم الفوا المنكر وتكرر على سمعهم وابصارهم وقلوبهم فلم يبق انكاره وهو معنى غلبتهم عليه وقوله فمن لم يعرف بقلبه الى اخره نفر عن ترك الخصلتين بما يلزمه من قلب اعلى الانسان اسفله واستعار لفظ القلب للانتكاس في مهاوي الرذائل ودركات الجحيم وانما خص انكار القلب بذلك لامكانه في كل وقت وخلوه عن المضار المخوفة التي تخشى في الانكار باليد واللسان وقال عليه السلام ان الحق ثقيل مرئ وان الباطل خفيف وبئ استعار للحق وصفي الثقل والمراءة باعتبار صعوبته على من يكون عليه وحسن منعوده وللباطل وصف الخفة باعتبار سهولته على اهله ولفظ الوبئ باعتبار

في الرزق واقسامه وما يزيده وينقصه

استلزامه لاهلاكهم في الآخرة وقال ع لا تامنن على خير هذه الامة عذاب الله لقوله سبحانه فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
ولا تيأسن لشر هذه الامة من روح الله لقوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ادب للسامع بهذين الادبين
محتجا بعموم الآيتين ولفظ المكر مستعار لامهال الله ثم اخذه فهو في صورة المكر والخداع والمراد ظ وقال ع البخل جامع لمساوي
العيوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء البخل رذيلة التفريط من فضيلة السخاء وهي مستلزمة للجهل لان البخيل عزمه لم يوضع
المال موضعه وللعجز لعجزه عن مقاومة شهوته ومحبته للدنيا الى طرف الافراط فيها وللجبن لان من بخل بماله فهو بنفسه ابخل و
للانظلام والظلم لقصوره عن فضيلة العدل لخماله ثم للحرص والحسد والشره ودناءة الهمة والكذب والغدر والخيانة وقطع
الرحم وعدم المواساة وكل طرف وتفريط لفضيلة من الفضائل بل من توابع البخل ولواحقه وهي مساوي العيوب التي لم يصرح بجماعه
لها وانه زمام الى كل منها واستعار له لفظ الزمام باعتبار انه يدعو الى هذه المساوي ويقود اليها كالزمام وقال ع الرزق رزقان
رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تاته اتاك فلا تحمل هم سنتك على هم يومك كفاك كل يوم ما فيه فان تكن السنة
من عمرك فان الله تعالى جده سيؤتيك في كل غد جديد ما قسم لك وان لم تكن السنة من عمرك فلا تصنع بالهم
بما ليس لك ولن يسبقك الى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطئ عنك ما قد قدر لك قال السيد ره
وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم من هذا الباب الا انه ههنا اوضح واشرح فلذلك كررناه على القاعدة المقررة في اول الكتاب
واقول قد مضى تفسير اكثر هذا الكلام وغرضه التنفير عن الاهتمام بالدنيا والاشتغال بما يرجى منها عن ذكر الله وطاعته
ونهاه ان يحمل هم السنة على هم اليوم لئلا يجتمع عليه احزان متضاعفة يكفي واحد منها شغلا واحتج لذلك بضميرين صغرى
الاول قوله فان تكن السنة وتقديرها ان سنتك التي تهتم لها اما ان يكون من عمرك او ليس وتقدير الكبرى وكلما كان
على هذين التقديرين فلا ينبغي الاهتمام به اما على التقدير الاول فان الله يؤتيك في كل يوم منها ما قسم لك لا محالة لزوما
لا بد منه فلا يجوز الاهتمام به واما على التقدير الثاني فلانه ليس من العقل ان يهتم المرء بما ليس له وصغرى الثاني قوله
ولن يسبقك الى قوله قدر لك تقديرها ان رزقك لن يسبقك اليه طالب وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فلا ينبغي ان تهتم به
وقال ع رب مستقبل يوما ليس بمستدبره ومغبوط في اول ليله قامت بواكيه في آخره وغرض الكلمة التنبيه من رقدة
الغفلة على الموت لغاية العمل وللاستعداد والمعنى ظ وقال ع الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به فاذا تكلمت به صرت
في وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة الوثاق الحبل وامره بخزن
اللسان عما لا ينبغي من القول وفي غير موضعه وشبه خزنه بخزن الذهب ووجه التشبيه شدة الخزن ونهى عن قول ما لا ينبغي بضميرين
صغرى احدهما قوله الكلام الى قوله وثاقه وتقدير الكبرى وكل كلام كان كذلك فلا ينبغي ان يتكلم منه الا بما ينبغي ولفظ الوثاق مستعار
وصغرى الثاني قوله فرب كلمة سلبت نعمة وتقدير الكبرى وكل كلمة كذلك فيجب الاحتراز منها بقلة القول والتثبت فيه وقال
ع لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كل ما تعلم فان الله سبحانه قد فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة
نهى عن قول ما لا يعلم لانه كذب او محتمل للكذب ولانه قول بالجهل فيجب الاحتراز فيه وانما النهي عن قول كل ما يعلم فلجواز ان
يكون فيه مضرة لنفسه او لغيره كافشاء سر فيستلزم اذاه او اذى من اسره اليه ونفر عن ذلك بقوله فان الله الى آخره وهو صغرى ضمير
الفرائض التي افترضها الله على كل جارحة هو ما وجب على اللسان مثلا من قول ما ينبغي في موضعه وكف ما يتعلق بالعين من النظر الذي
ينبغي ونحو ذلك في سائر الجوارح وتقدير الكبرى وكل من فرض الله على جوارحه فرائض كذلك يحتج بها عليه يوم القيامة في تركها و
العمل بها فيجب عليه المحافظة عليها وقال ع احذر ان يراك الله عند معصيته ويفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين واذا قويت
حذر من الامرين بما يلزمه من دخوله في زمرة الخاسرين لثواب الله يوم القيامة ثم امر بالقوة على طاعة الله لتتم الاستعداد بها لرحمته وبالضعف
عن معصيته لضعف الاستعداد بها عن قبول سخط الله ونقمته وقال ع ثلاث كلمات لمدعيها الركون الى الدنيا مع ما تعاين منها جهل
اي بما ينبغي ان يركن اليه مما لا ينبغي التاسي به والتقصير في حسن العمل اذا وثقت بالثواب عليه غبن اي مستلزم للغبن وهو ترك ما يوثق
به من الثواب الكثير في مقابلة العمل اليسير له وفيه ايماء الى ان سبب التقصير في حسن العمل عدم الوثوق بالثواب الموعود في الآخرة والثالثة
والطمأنينة الى كل احد قبل الاختبار عجز اي عن البحث عمن ينبغي السكون اليه وعن وضعه موضعه ونفر عن الركون الى الدنيا بما يلزمه
من الجهل وعن التقصير في حسن العمل بما يلزمه من الغبن وعن الطمأنينة الى كل احد بما يلزمها من العجز وقال ع من هوان الدنيا
على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها نفر عن الدنيا بذكر هوانها على الله من الوجهين المذكورين وقال ع من
طلب شيئا ناله او بعضه كقولهم من طلب شيئا وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج والظاهر ان الطلب معد لحصول المطلوب فان تم
الاستعداد له نال الكل والا فبقدر نقصان الاستعداد يكون نقصان المطلوب وقال ع ما خير بخير بعده النار وما شر بشر

في ساعات المؤمن ومواعظ اخرى

بَعْدَهُ الجَنّة وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء دون النار عافية نفي عما يقود الى النار وان عدّ في الدنيا خيراً ولذة استخفافاً اسم الخير
تحقيراً له وتنفيراً عنه بما يلزمه من غايته التي هي النهاية في الشر وهي النار وكذا نفي عما يقود الى الجنة من الطاعات الشاقة وان عدّ في الدنيا
شراً والماً استخفافاً باسم الشر ترغيباً فيه بما يلزمه من غايته التي هي دخول الجنة والتقدير ما خير بخير بعده النار بخير وما شر بشر بعده الجنة بشر
وقوله وكل نعيم دون الجنة محقور تفسير للاول وقوله وكل بلاء دون النار عافية تفسير للثاني والاولى عافية فيه تنبيه **وقال** ع الا وان
من البلاء الفاقة واشد من الفاقة مرض البدن واشد من مرض البدن مرض القلب الا وان من النعم سعة المال وافضل من سعة المال صحة البدن وافضل من صحة
البدن تقوى القلب اشار الى درجات البلاء وتفاوتها بالشدة والضعف والى ما يقابلها من درجات النعم وتفاوتها كذلك وانما كان
مرض القلب بالرذائل اشد من مرض البدن لاستلزامه فوات الآخرة وفوات كمل السعادات وهو الموت الذي لا حيوة معه وبحسب ذلك كان تقوى
القلب واستكماله بالفضائل افضل من صحة البدن لاستلزامه السعادة الباقية والحيوة الابدية **وقال** ع للمؤمن ثلث ساعات
فساعة يناجي فيها ربه وساعة يرم فيها معاشه وساعة يخلي بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل وليس للعاقل ان يكون
شاخصاً الا في ثلث مرمة لمعاش او خطوة في معاد او لذة في غير محرم اقول رم المعاش اصلاحه والشاخص الذاهب من بلد الى بلد
قسم زمان المؤمن العاقل الى ثلثة اقسام بحسب ما ينبغي له بمقتضى الحكمة العملية والراي الحق فقسم يتوفر فيه على عبادة الله وهذا
القسم هو المطلوب الاول وقسم يصلح فيه ما لا بد منه في تحصيل القسم الاول من معاشه وقسم يخلي فيه بين نفسه ولذاتها المباحة التي
يجمل ويحسن دون المحرمة والمباحة المستهجنة وهذان القسمان مرادان للاول اذ لا يمكن بدونهما وقوله وليس للعاقل الى آخره اي ليس له
بحسب مقتضى العقل العملي ان يستعمل نفسه الا في الامور الثلثة **وقال** ع ازهد في الدنيا يبصرك الله عوراتها ولا تغفل فلست
بمغفول عنك لما كانت محبة الدنيا مستلزمة للاستتار عيوبها عن ادراك محبها كما قيل حبك الشيء يعمي ويصم كان بغضها والزهد فيها
رافعاً لذلك الستر كاشفاً لما يجتمن من عيوبها وعوراتها فامر بالزهد فيها لهذه الغاية المنفرة عنها ثم نهى عن الغفلة فيها عما وراءها من
منتظر وقوله فلست بمغفول عنك وتقديره الكبرى وكل من ليس بمغفول فلا ينبغي ان يغفل عما يراد به **وقال** ع تكلموا تعرفوا فان المرء
مخبوء تحت لسانه وقد مر تفسير هذه الكلمة لكنه جعلها هنا صغرى ضمير عقب بها التكلام عند الحاجة لغاية ان يعرف المتكلم وتقدير
الكبرى وكل من كان مخبوء تحت لسانه فينبغي ان يظهر نفسه في كلامه لم كلامه ليعرف **وقال** ع خذ من الدنيا ما اتاك وتول عما
تولى عنك فان انت لم تفعل فاجمل في الطلب امر بالقناعة ولا ينافيه من الدنيا لمن تمكن منها وقوي عليها وبالاجمال في الطلب
لمن لم يتمكن منها والاجمال في طلب الدنيا طلبها برفق من الوجه الذي ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي **وقال** ع رب قول انفذ من صول
اي قد يبلغ الانسان بالقول ما لا يبلغه بالشدة والصولة فيكون القول انفذ في غرضه ويصلح مثلاً يضرب للرفق واللين الذي يبلغ به
ما لا يبلغ بالعنف وروي عوض انفذ اشد والمعنى رب قول يقوله الانسان فيكون ضرره عليه اشد من صولة عدوه او رب قول يسمعه من عدوه
كقذف او هجر يكون اشد عليه من صولة العدو والمعنيان منقولان عن ابن ادم للفرس **وقال** ع كل مقتصر عليه كاف اي لا يقتصر الانسان
الا على مقدار يمكنه دفع الضرورة والحاجة به وذلك كاف ومغن في الشرائع مما سواه وفيها ايماء الى الامر بالاقتصار على اليسير من الدنيا **وقال** ع
كلمات اربعاً احدها المنية ولا الدنية فالمنية مبتداء دل على خبره بقوله ولا الدنية اي اسهل من الدنية ويحتمل ان يكون التقدير تحمل
المنية ولا تحمل الدنية وهي الخسيسة من الامور نكدح طلب الدنيا وكثير من الكرام يختار الموت على ذلك والثانية التقلل ولا التوسل
اي القناعة بالقليل من العيش ولا يبلغ بخير من التوسل الى اهل الدنيا في طلبها الثالثة ومن لم يعط قاعداً لم يعط قائماً كنى بالقعود عن
الطلب السهل وبالقيام عن الطلب الصعب بتعسفاً اي من لم يرزق بالطلب السهل لم ينفعه التعسف في الطلب وهذا الحكم كما هو حكم الخطيب الكثير
حث به على الاجمال في الطلب الرابعة والدهر يومان يوم لك ويوم عليك فاذا كان لك فلا تبطر واذا كان عليك فاصبر فاليوم الذي
هو زمان الضيق والبلاء يجب فيه الصبر للاستعداد به لقبول رحمة الله تعالى كما قال وبشر الصابرين الآية **وقال** ع مقاربة الناس في اخلاقهم
امن من غوائلهم الغائلة الحقد والدليل ان مباعدة الناس في اخلاقهم تستلزم منافرتهم وعداوتهم واحقادهم فالبعد واعمها الى
المقاربة والمشاكلة لاخلاقهم يستلزم الامن من ذلك منهم **وقال** ع لبعض مخاطبيه وقد تكلم في حضرته بكلام يستصغر عن مثله لقد
طرت شكيراً وهدرت سقباً فالشكير هو الفرخ قبل النهوض واستعار لفظ الشكير والسقب باعتبار صغره عما تكلم به في حضرته ووصف
الطيران والهدير له باعتبار هو صغره عن ذلك الكلام الذي هو فوق محله ولبس هلاله كان الطيران ليس من شان الشكير ولا الهدير
من شان السقب **وقال** ع من اومأ الى متفاوت خذلته الحيل المتفاوت كالامور المتضادة او التي يتعذر الجمع منها في العرف
والعادة واستعار وصف الخذلان للحيل باعتبار انها لا تواتيه ولا يمكنه في الجمع بين ما يريده من تلك الامور **وقال** ع وقد سئل
عن معنى قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لا نملك الا ما ملكنا فمتى ملكنا ما هو املك به منا كلفنا ومتى اخذه
منا وضع تكليفه عنا بيانه ان قوله انا لا نملك مع الله شيئاً قوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيئاً ان اراد بكم ضراً او اراد بكم نفعاً الآية

في بيان صفات الأغنياء وحالهم وسلوكهم

ان التكليف تابع لما ملكنا اياه من الجوارح والقوى والعقل وساير متعلقات التكليف وعند اخذه لشيء منها ليضع التكليف المتعلق
به عنا رسول الله صلعم عن هذه الكلمة فقال لا حول على ترك المعاصي ولا قوة على فعل الطاعات الا بالله وقال ع لعمار بن ياسر ره و
قد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاما دعه يا عمار فانه لن ياخذ من الدين الا ما قاربته الدنيا وعلى عمد لبس على نفسه ليجعل الشبهات
عاذرا لسقطاته اراد انه لا يعمل من الدين الا بما يستلزم مد دنيا وتقرب بينهما كعمل او صدقة يستلزم منفعة دنيوية دون ما ليس كذلك
ونحو عرض ضمير نفره بعد مخاطبته تقديره كبرا. وكل من كان كذلك فينبغي ان يعرض عن مراجعته ومكالمته وقال ع ما احسن تواضع الاغنيا
للفقراء طلبا لما عند الله واحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء اتكالا على الله بنية الفقراء على الاغنياء اصعب عليهم واشق
من تواضع الاغنياء لهم فكان ثوابهم ابلغ لما له في كمال التوكل على الله وهو يدخر ما لتيه في الطريق لينه فلذلك كان افضل واحسن
لقوله ع افضل الاعمال احمزها وقال ع ما استودع الله امرءا عقلا الا ليستنقذه به يوما ما من بلاء الدنيا بالحيلة او من بلاء
الاخرة بالطاعة وقال ع من صارع الحق صرعه استعار لفظ المصارعة للمقاومة وذلك ان الله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله
والصالحين من عباده اعوان الحق ولا مقاوم لهم وقال ع القلب مصحف البصر اراد بالقلب النفس او الذهن واستعار لفظ
المصحف باعتبار ان كل صورة في الذهن اريد التعبير عنها فلا بد ان يتصور حروف العبارة عنه في لوح الخيال والحس البصري يشاهدها
من هناك ويقرؤها فالقلب اذن كالمصحف له يشاهد فيه الحروف والالفاظ ويقرا منه ما يبصر فلذلك صار الى البصر
قال ع التقى رئيس الاخلاق استعار لفظ الرئيس للتقوى باعتبار فضيلته في استلزامه لرضوان الله وحصول السعادة التامة
ولا شيء من الاخلاق بانفراده يستلزم ذلك وقال ع لا تجعلن ذرب لسانك على من انطقك وبلاغة قولك على من سددك
ذرب اللسان حدته وهو ايضا يجري مجرى المثل يضرب لمن يحصل من انسان علما او فائدة فيستعين بها عليه كان يتفاخر على من علمه
الفصاحة وقال ع كفاك ادبا لنفسك اجتنابك ما تكرهه من غيرك وانما يكره من غيره الرذايل فانها مكروهة الى كل
احد من غيره ومن نفسه ايضا اذا عقل انها رذيلة لكنه اذا عرض بها انف منها الا ان بعض الرذايل قد يخفى على من هي فيه فلا يتصور
قبحها من نفسه او انه ممن يتصور ذلك لكن يحمله عليها حامل اخر من شهوة او غضب لما كان اجتناب الرذايل يستلزم الوقوف
على فضيلة العدل في كل شيء لا جرم كان اجتنابها ادبا كافيا لمن يجتنبها وقال ع من صبر صبر الاحرار والا سلا سلو الاغمار وفي
خبر اخر انه قال ع للاشعث بن قيس معزيا ان صبرت صبر الاكارم والا سلوت سلو البهائم والاغمار الجهال الجمع غمر وجذب الى فضيلة
الصبر في المصائب بمنافسة الاحرار والاكارم او بما يلزم عدمه من الغاية وهي السلو المشبه بسلو الغافلين او البهائم والا ان
الاوان لا تصبر وقال ع في صفة الدنيا تغر وتضر وتمر ان الله لم يرضها ثوابا لاوليائه ولا عقابا لاعدائه وان اهل الدنيا
كركب بينا هم حلوا اذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا نفر عنها بثلث ضماير احدها الدنيا تضر اي بمحنتها وتغر اي بزينتها اي
تزاولها او من يتبعها والمراد استعار لها وصف الامرار باعتبار ما يستلزمه فراقها من الم الجزع والحزن كالمرارة وروى تمر بفتح التا
اي تذهب الثاني قوله ان الله الى قوله لاعدائه اذ لو رضيها لذلك لاعطاها اولياءه وحرمها اعداءه الثالث قوله ان اهل
الدنيا الى قوله فارتحلوا في تقدير صغرى لتركيب يكون في ركب من شانه كذا ووجه التشبيه بالركب الذي شانه ذلك سرعة
ارتحالهم الى الاخرة كسرعة ارتحال الركب وتقدير الكبرى في الضميرين الاولين وكلما كان كذلك فينبغي ان يجتنب ولا يحرص على طلبه
وتقديرها في الثالث وكلما كان كذلك فينبغي ان يستعد فيه للرحيل والسفر وقال ع لابنه الحسن ع لا تخلفن وراءك شيا
من الدنيا فانك تخلفه لاحد رجلين رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به واما رجل عمل فيه بمعصية الله فكنت عونا له على معصيته
وليس احد هذين حقيقا ان تؤثره على نفسك ذمه ع بالنهي عن ادخاره ونفره عن ذلك بضمير صغراه قوله فانك الخ وقوله بما شقيت به اي
شقاء الدنيا بجمعه وشقاء الاخرة بادخاره لقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله الاية وتقدير الكبرى
وكل من يخلف مالا لاحد هذين وليس احدهما حقيقا بان يؤثره على نفسه فلا يجوز ان يخلفه وروي هذا الكلام على وجه اخر وهو اما
بعد فان الذي في يديك من الدنيا قد كان له اهل قبلك وهو صاير الى اهل بعدك وانما انت جامع لاحد رجلين رجل عمل فيما جمعته
بطاعة الله فسعد بما شقيت به او رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له وليس احد هذين اهلا ان تؤثره على نفسك ولا ان تحمل له
على ظهرك فارج لمن مضى رحمة الله ولمن بقي رزق الله وقال ع في هذه الرواية تنفير عن الدنيا بضميرين احدهما قوله فان الذي
في يديك الخ وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فليس لك ان تحبه ونفيه عليه الثاني قوله وانما انت الى قوله ظهرك وكبراه ما مر في الرواية
الاولى واستعار لفظ الحمل لاكتساب اثام جمع المال ورشح بذكر الظهر ثم ارشده الى ما هو خير من المال لمن مضى وهو رحمة الله ولمن
بقي وهو رجاء رزق الله الموعود لكل حي وقال ع لقائل قال بحضرته استغفر الله ثكلتك امك اتدري ما الاستغفار ان للاستغفار
درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان اولها الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك العود اليه ابدا والثالث ان تؤدي الى المخلوقين

حقوقهم حتى

ج

في بيان الصفات الحسنة والقبيحة.

حقوقهم حتى تلقى الله عز وجل املس ليس عليك تبعة والرابع ان تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها والخامس ان تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد والسادس ان تذيق الجسم الم الطاعة كما اذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله اقول ظاهر كلامه يقتضي ان اسم الاستغفار الحق الذي هو درجة العليين وتستحقها اصحابه واقع على مجموع المعاني الستة التي اشار اليها وذكرها ليعرف حقيقته منها ويكون ارادة هذا المعنى من لفظ الاستغفار عرف جديد شرعي اذ مفهومه اللغوي هو طلب المغفرة الا انه لما كان طلبها مشروطا بحصول المعاني المذكورة اطلق لفظ المشروط على الشرط واستعمله فيه ويحتمل ان لا يكون غرضه تفسير ماهية الاستغفار بل الاشارة الى شرائطه التي لا ينبغي ايقاعه منه دونها وهي المعاني الستة ويكون معنى قوله انه اسم الاستغفار اي الاستغفار التام لشرائطه واعرض عن ماهية العلم بها واشار الى تمامه من الشرائط وفصل بل الاشارة الى صدق لفظه على شرائطه تاكيدا انه لا يتم بدونها حتى كان مجموعها نفس حقيقة الاستغفار واستعار لفظ الاملس لنقاء الصحيفة من الاثام **وقال ع** الحلم عشيرة استعار لفظ العشيرة للحلم باعتبار انه يحمي صاحبه ممن يناقره ويعاديه كما يحميه عشيرته **وقال ع** مسكين ابن آدم مكتوم الاجل مكنون العلل محفوظ العمل تؤلمه البقة وتقتله الشرقة وتنتنه العرقة ذكر كونه مسكينا وبين ذلك بضمير عدد فيه وجوه المسكنة والضعف صغراه قوله مكتوم الاجل الى آخره وهي ظاهرة وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو مسكين ومسكين خبر المبتدأ اعقدم عليه لان ذكره اهم وحذف تنوينه تخفيفا وغرض الكلام كسر النفوس عن سورة الكبر والعجب والفخر امثالها عن الرذائل وروي انه كان جالسا في اصحابه اذ مرت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بابصارهم فقال ع ان ابصار هذه الفحول طوامح وان ذلك سبب هبابها فاذا نظر احدكم الى امرأة تعجبه فليلامس اهله فانما هي امرأة كامرأة فقال له رجل من الخوارج قاتله الله كافرا ما افقهه فوثب اليه القوم ليقتلوه فقال ع رويدا انما هو سب بسب او عفو عن ذنب الرمق النظر وطموح البصر ارتفاعه والهبيب والهباب صوت التيس عند هياجه وطلبه للشاة واستعار الفحول ولفظ الهباب لطلبهم للنكاح وارشدهم الى الخلاص من فتنة النظر بملامسة الاهل ورغب في ذلك بضمير صغراه قوله فانما هي امرأة كامرأة اي فانما اهل الرجل المرأة تسد المرأة المرئية وتقدير الكبرى وكل من يشبهها فيه عوض منها وانما اطلق الخارجي لفظ الكافر عليه لانه عند الخوارج مخطئ وكل خطيئة عندهم كفر وقوله انما هو سب اي مقتضى فضيلة العدل **وقال ع** كفاك من عقلك ما اوضح لك سبيل غيك من رشدك الغرض من العقل العملي هو ما ذكره وكفى به **وقال ع** افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئا فان صغيره كبير وقليله كثير ولا يقولن احدكم ان احدا اولى بفعل الخير مني فيكون والله كذلك ان للخير والشر اهلا فمهما تركتموه منهما كفاكموه اهله امر بفعل الخير ونهى عن احتقار شيء منه وان قل ورغب فيه بضمير صغراه قوله فان صغيره كبير وقليله كثير اي في العقبى وبالنسبة الى من يحتاج اليه ثم نهى ان يقول احد ان غيره اولى بفعل الخير منه وهو كناية عن ترك المرء الخير اعتمادا على ان غيره يفعله اولى وقوله فيكون والله كذلك لا تنذلك لقول من القائل انه تارك للخير يكون تابعا لمن توسم فيه فعل ذلك الخير ونسبه اليه وقصد بقوله فطنة وتنبه ونفعله له فيكون اولى به منه وقوله ان للخير والشر اهلا الى آخره ترغيب في الخير وتنفير عن الشر بذكران كل منهما اهلا يكفيه فيدات تركه من ليس هله فيكون اشاعون من اهل الخير يفعله ويتركه الشر لاهله **وقال ع** من اصلح سريرته اصلح الله علانيته ومن عمل لدينه كفاه الله امر دنياه ومن احسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس فصلاح باطن الانسان وسره بالاخلاق الفاضلة محل لافاضته الله عليه صلاح اقواله وافعاله الظاهرة لانها كالثمرات للنباتات وكان عمل الانسان لدينه واقامة حدود الله معدا لصلاح حاله في معاشه ومهيئا لعواطف الخالق عليه لاشتغاله بالله عن مجاذبتهم للدنيا وفي معناه الكلمة الثالثة فان اخلاص العبودية لله واصلاح معاملته قاطع عن محبة الدنيا والحرص عليها الذي هو سبب الفساد بين الناس وكان معدا لرفع الفساد وديعتهم **وقال ع** الحلم غطاء ساتر والعقل حسام قاطع فاستر خلل خلقك بحلمك وقاتل هواك بعقلك استعار لفظ الغطاء للحلم باعتبار انه يستر سورة الغضب ويقبح ما يصدر عنه من الافعال ثبيها ورشح بذكر الساتر وكذلك استعار لفظ الحسام للعقل باعتبار قطعه لمواد النفس الامارة وافراطها ورشح بذكر القاطع ولذلك امر بقتاله هواه به **وقال ع** ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فيقرها في ايديهم ما بذلوها فاذا منعوها نزعها منهم ثم حولها الى غيرهم اي من عباد الله من يكون مقصودا لعناية الالهية باقاضة النعمة عليه واقرارها في يديه وصول النفع الى غيره ويكون ذلك شرطا فيها فاذا لم يوجد ذلك انقطعت تلك النعمة بارتفاع شرطها الى غيرهم وغرض الكلمة الحث على النفع المتعدي بتخويف كل غافل بنعم الله ان يغير كذلك **وقال ع** لا ينبغي للعبد ان يثق بخصلتين العافية والغنى بينا تراه معافى اذ سقم وبينا تراه غنيا اذ افتقر نهى عن الوثوق بالخصلتين المذكورتين لكونهما مع ما يقابلهما من السقم والفقر امورا غير مقدورة للعبد ولا معاوقة لاسبابها في معرض التغاير فالوثوق بما كان كذلك فلا ينبغي ان يثق بالخصلتين المذكورتين **وقال ع** من شكى الحاجة الى مؤمن فكانما شكاها الى الله ومن شكاها الى كافر فكانما شكى الله شكاية المؤمن الى المؤمن شكاية في موضعها اذ كانت ثمرة الشكاية المعاونة على دفع الامر المشكو منه والمؤمن شانه ذلك بخلاف الشكاية الى الكافر ورغب في الفعل بتشبيهها

١

في بيان الرزق وبيان حسرة القيمة

بالشكاية الى الله ووجه الشبه ان المؤمن كالصديق لله فان اشتكى المؤمن اليه امر اشتكاه من حيث انه وسيلة الى الله في شكواه فاشبه
الشكوى اليه ونفر عن الثانية بتشبيهها بشكوى الله ووجه الشبه ان الكافر عدو الله فمن شكى اليه امرا فكانما شكى من الله الى عدوه
وقال ع في بعض الاعياد انما هو عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو يوم عيد لا يعصى
الله فيه فهو عيد غرض الكلمة الجذب الى عبادة الله وطاعته وكسر النفوس عن الفرح بما ليس لله فيه نصيب سواء كان زمانا
او مكانا او غيرهما ولما كان العيد عبارة عن يوم يعتاد فيه الناس بالفرح فكل يوم لا يعصى الله فيه فهو اولى بالفرح والسرور فيه
وان يتخذ عيدا في عرفنا ولسان اولياء الله والطالبين لما عنده اقول ع ان اعظم الحسرات يوم القيمة حسرة رجل كسب مالا في غير طاعة
الله فورثه رجلا فانفقه في طاعة الله سبحانه فدخل به الجنة ودخل الاول به النار غرض الكلمة الجذب عن الكسب الحرام وقال
المال والتنفير عنه بما ذكر وقوله اعظم الحسرات لا يقتضي ان يكون كل ما هو اعظمها وانما كانت تلك حسرة عظيمة لعدم منفعته بالمال
في الدنيا وعذابه في الاخرة ومشاهدته لانتفاع الغير به هناك اقول ع ان اخسر الناس صفقة واخيبهم سعيا رجل
اخلق بدنه في طلب ماله ولم تساعده المقادير على ارادته فخرج من الدنيا بحسرته وقدم على الاخرة بتبعته استعار لفظ
الاخسر صفقة لمن ذكره باعتبار استعاضته للدنيا عن الاخرة مع عدم سوا فقد الغنيمة لعدم حصول ما اراده بتوبته وظاهر انه احسن
من الحرمة وتبعته ما لحقه من عقوبات الاثام المكتسبة لمن يتبعه اقول ع الرزق رزقان طالب ومطلوب فمن طلب الدنيا طلبه
الموت حتى يخرجه عنها ومن طلب الاخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي رزقه منها استعار للرزق وصف الطالب باعتبار انه لا بد من
وصوله فهو كالطالب لصاحبه ونفر عن طلب الدنيا بما يلزمها من الغاية المقدرة وهي الموت فكانه طالب لها لغاية اخراجه من الدنيا
بسبب طلبه لها ورغب في طلب الاخرة بما يلزمه من طلب الدنيا واهلها لمن انقطع عنها حتى يصل اليه رزقه منها وهو محسوس وقد بينا
فيما سلف وجه اقبال الناس على من ينقطع عنهم وقال ع ان اولياء الله الذين نظروا الى باطن الدنيا اذا نظر الناس الى ظاهرها
واشتغلوا باجلها اذا اشتغل الناس بعاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم وراوا استكثار غيرهم
منها استقلالا ودركهم لها فوتا اعداء ما سالم الناس وسلم ما عادى الناس بهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا لا يرون
مرجوا فوق ما يرجون ولا مخوفا فوق ما يخافون اقول ميز اولياء الله بصفات عشر احدها انهم نظروا الى باطن الدنيا اي حقيقتها
وغرض الحكمة الالهية من وجودها فعملوا فيها على حسب علمهم اذ نظر الناس الى ظاهرها من زينتها وقنياتها الثانية واشتغلوا
باجلها وهو ما جعله الله نصب عينهم غرضا مقصودا منها ثمرة للاستعداد بها وهو ثواب الله ورضوانه اذا اشتغل بعاجلها
وحاضر لذاتها الثالثة فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وهو نفوسهم الامارة بالسوء التي يخشى من غلبتها واستيلائها على
العقل موته وهلاكه في الاخرة ويحتمل ان يريد بما اماتوه منها قنياتها استعارة فكانهم لما رفضوها ولم يلتفتوا اليها قد اماتوها ولم
يبق لها حيوة عندهم الرابعة وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم وهو زينتها وقنياتها التاركة لهم بالموت عنها ومن في الموضعين
لبيان الجنس الخامسة وراوا الاستكثار بها سببا لذلك السادسة اعداء ما سالم الناس وهي الدنيا وسلم ما عادى الناس وهي الاخرة
السابعة بهم علم الكتاب وبحفظهم اياه وتفهيمهم له وافادتهم بنوره وعلموا لاستنهارهم به عند الناس التاسعة وبهم قام الكتاب اي صار
احكامه قائمة في الخلق معمولا بها وبه قاموا اي باوامره ونواهيه وبما ينبغي ان يريدوا ان قيامهم في معاشهم ومعادهم العاشرة
لا يرجون مرجوا فوق ما يرجون من ثواب الله ولا يخافون مخوفا فوق ما يخافون من عذاب الله والحجب عنه وذلك لعلمهم بالمرجو
المخوف هناك اقول ع اذكروا انقطاع اللذات اي بالموت وبقاء التبعات الجرائم والغرض التنفير عن الدنيا وقال ع اخبر تقله
ومن الناس من يروي هذا الكلام عن النبي ص ومما يقوي انه من كلام امير المؤمنين ع ما حكاه ثعلب قال حدثنا ابن الاعرابي قال قال
المامون لولا ان عليا ع قال اخبر تقله لقلت اقله تخبر اقول قلا بالفتح ابغض والهاء زائدة للسكت وهو امر بمعنى الخبر جرى مجرى
المثل والمعنى من خبرت باطنه فلينه والحكم اكثري لكثرة ما عليه الناس من خبث السريرة ورذائل الاخلاق وما نقل عن المامون
من العكس يريد به ان اظهار البغض للشخص يكشف عن باطنه لانه اما ان يقابل بمثل ذلك او يترك فيعرف خيره من شره وينقل
عن ابي بكر الاصفهاني قال لولا ان الاعتراض على السلف من الجهالة لسرقت لقلت القلى ثم الخبر حتى لا يكون الانسان مضيعا او
واضعا في غير موضعه مفتنا وقال ع ما كان الله ليفتح على عبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة اشار الى استلزام امور ثلثة
وهي الشكر للمزيد والدعاء للاجابة والتوبة للمغفرة فمن فتح الله له باب احد هذه الملزومات فاعده له والهمه اياه وجب في جوده
ان يفتح له باب لازمه ويفيضه عليه اذ لا بخل في جوده ولا منع في سلطانه ووصف فتح الباب مستعار لتيسير الله تعالى العبد لذلك
واعداده له وسئل ع ايهما افضل العدل او الجود فقال العدل يضع الامور مواضعها والجود يخرجها عن جهتها والعدل سائس
عام والجود عارض خاص فالعدل اشرفهما وافضلهما اشار الى افضلية العدل بضميرين صغرى الاول قوله العدل الى قوله جهتها بدل

اوحاد

الناس

لهم علمه

قلاه تعلمه

ان صبغه

في صفات الحسنة والقبيحة

ان طبيعة الجود يقتضي من صاحبها اخراج كل ما يملكه عن مواضعه في مواضع حاجته التي هي احق به فيقتضي العدل الثاني في قوله والعدل الى قوله
واستعار له لفظ السائس باعتبار انه به نظام العالم والجود عارض خاص يعني بفضل الخير من بعض الناس بتقدير الكرم فيهما وكل امر
كان كذلك فالعدل اشرفهما وافضلهما وقوله فالعدل له هو النتيجة وقال عليه السلام الناس اعداء ما جهلوا وقد مر بيانه وقال عليه السلام الزهد كله
بين كلمتين من القرآن قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم ومن لم يأس على الماضي ومن لم يفرح بالآتي فقد
اخذ الزهد بطرفيه الامران المذكوران في الآية غايتان من الزهد والاعراض عن الدنيا في قوة صغرى قياس من الشكل الثاني تقريره لوازم الزهد ونتيجتها
بهما وكنى بقوله فقد اخذ الزهد بطرفيه عن استكمال حقيقة الزهد وكما لا انهما [illegible] ظاهران وجود الخاصة المذكورة مستلزم
للاعراض عن الدنيا وطيباتها بالقلب هو الزهد الحقيقي وقال عليه السلام الولايات مضامير الرجال اراد بالمضامير مظان معرفة جودة القرائح
وهي الامكنة التي يعرف فيها الخيل السباق واستعار لفظها للولايات باعتبار انها مظان ظهور جودة الوالي من خسته وحسنه كما
ان المضامير للخيل كذلك وقال عليه السلام ما انقض النوم لعزائم اليوم قوله ما ههنا للتعجب وهذه الكلمة تجري مجرى المثل يضرب لمن يعزم
على امر فيغفل عنه او يتهاون فيه ويتراخى عن فعله حتى ينقض عزمه عنه واصله ان الانسان قد ينوي السفر مثلا او الحركة بقطعة من
الليل ليتوفر في نهاره على سيره فيغلبه النوم الى ان يصبح فيفوت وقت عزمه فينقض ما كان عزم عليه في يومه وقال عليه السلام ليس بلد باحق
بك من بلد خير البلاد ما حملك قوله ما حملك اي ما رحبك فيه وقرب حالك وصلاح معاشك فامكنك الاقامة واستعار لفظ
الحمل له باعتبار حمل مؤنته ملاحظة لشبهه بالحمل ونحوه والى ذلك وقريب منه اشار ابو الطيب وكل بلاد اختها بدل وكل على
مقرب بالحرابي في قوله لعز نا الاذى والهون ممتنع ما بيننا وبين الدار من نسب وقال عليه السلام وقد جاءه نعي الاشتر مالك وما
مالك لو كان جبلا لكان فندا لا يرتقيه الحافر ولا يوفي عليه الطائر قال السيد الفند المنفرد من الجبال وما مالك مبتدأ او فاعل
اي مات مالك وما استفهام في معرض التعجب من مالك ره وتوفيره في الدين وقال عليه السلام قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه قد يدل
من الامور التي ينبغي ان يفعل وانما كان كذلك لان الدوام على القليل تستفيد النفس ملكة الطاعة والخير وتصير ثمتها بخلاف الكثير
المملول منه ونحوه قول الرسول ص ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وقد مر هذا الكلام بعينه
وقال عليه السلام اذا كان في رجل خلة رائقة فانتظروا اخواتها والرائقة المعجبة اذا كان في الانسان خلق فاضل فان طبعه مظنة ان
يكون فيه جملة من الاخلاق الفاضلة المناسبة لذلك الخلق يتوقع وينتظر منه كمن يكون من شأنه الصدق فانه ينتظر الوفاء وحسن
العشرة وبالعكس وكمن يكون من شأنه العفة فانه متوقع منه الكرم والمسامحة والبذل والصداقة والحمية ونحوها وكمن يكون شجاعا
فانه يتوقع منه عظم الهمة والحلم والثبات وكذلك من كان فيه ضد ذلك من الرذائل وقال عليه السلام لغالب بن صعصعة ابي الفرزدق في كلام دار بينهما ما
ابلك الكثيرة فقال ذعذعتها الحقوق يا امير المؤمنين فقال ع ذلك احمد سبلها الكلام الذي دار بينهما ان غالبا دخل على علي ع وهو شيخ
كبير ومعه ابنه همام الفرزدق وهو غلام يومئذ فقال له ع من الشيخ فقال انا غالب بن صعصعة قال ذو الابل الكثيرة قال نعم قال ما فعلت
ابلك قال ذعذعتها الحقوق واذهبتها الحمالات والنوائب فقال ذاك احمد سبلها من هذا الغلام فقال هذا ابني همام وقد رويته الشعر يا امير المؤمنين
وكلام العرب ويوشك ان يكون شاعرا مجيدا فقال اقرئه القرآن فهو خير له فكان الفرزدق بعد يروي هذا الحديث ويقول ما زالت
كلمته في نفسي حتى قيد نفسه بقيد والى ان لا يفكه حتى يحفظ القرآن فما فكه حتى حفظه وذعذعتها بالذال المعجمة مكررة فرقتها وقال عليه السلام من اتجر
بغير فقه فقد ارتطم في الربا ارتطم في الوحل ونحوه وقع فيه فلم يمكنه الخلاص فهو وصف مستعار لغير الفقيه باعتبار انه لا يمكنه الخلاص من
الربا وذلك لكثرة اشتباه مسائل الربا بمسائل البيع حتى يعرض فيها الاكابر الفقهاء ويقع الخلاف الشديد بينهم فيها كبيع لحم البقر بالغنم
متفاضلا يجوزه ابو حنيفة لانهما جنسان مختلفان ومنع منه الشافعي الى غيرها من المسائل وقال عليه السلام من عظم صغار المصائب ابتلاه الله
بكبارها وانما لزم ذلك لاستعداده بتضجره وتسخطه من قضاء الله لزيادة البلاء ولو قد حمد الله على بلائه لاستعد بذلك لدفعه وقال عليه السلام
من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته وذلك لكونهما عدوان فاكرام احدهما يستلزم اهانة الاخرى فمن كرمت عليه نفسه لزم حفظها
وحمايتها من عذاب الله وذلك مستلزم لهوان شهوته عليه وعدم اعانتها لانها تقتضي ضد ذلك وقال عليه السلام ما مزح امرؤ مزحة الا مج من عقله مجة
وذلك لان العقل يقتضي ميلا الى [illegible] الجد والوقار [illegible] صاحبه ولا يستخف به والمزاح الذي لا ينبغي يقتضي اضداد ذلك فهو مستلزم
لما اقتضاه العقل وتركه فاستعار لفظ المج بما يطرحه الانسان من عقله في مزحه وترخيه فكانه قد مجه كما يمج الماء من فيه وقطعه وقال عليه السلام زهدك
في راغب فيك نقصان حظ ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس اما الاول فلان من تمام الحظ كثرة الاخوان للاعانة على صلاح امر المعاش
والمعاد فالزهد فيهم يستلزم نقصان الحظ ولان مجازاة الرغبة بمثلها فضيلة من تمام الحظ النفساني فعدمها يستلزم نقصانه واما الثاني
فلاستلزام الرغبة في الزاهد فيك الذلة والخضوع له والكلمتان صغرى ضمير تقرير الزهد في الراغب فيك والرغبة فيمن يزهد فيك وقال عليه السلام
ما لابن آدم والفخر اوله نطفة واخره جيفة استفهام معجبا من وجه الجمع بين الانسان والفخر ونبه على عدم المناسبة بينهما بضمير صغرى تقول

في علائم الايمان وخواصه

وقال عليه السلام الغنى والفقر بعد العرض على الله يروى منصوبا على المفعول معه وبين الفقر فلا مناسبة بينه وكل من كان كذلك فلانه في الآخرة ويفتقد بالكبرى
تعالى واراد الغنى الحقيقي بالثواب والفقر بعد مر في الآخرة وسئل عليه السلام عن اشعر الشعراء فقال ان القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عند قصبتها
فان كان ولا بد فالملك الضليل يريد امرا القيس واراد انهم لم يقولوا الشعر على منهاج واحد حتى يعرف فضل بعضهم بل كان لكل منهم فن صنعه
يجيد فيها وينبعث فيها قريحته فواحد يجيد في الرغبة وآخر في الرهبة وآخر في النشاط والطرب ولذلك قيل اشعر العرب امرؤ القيس
اذا ركب والاعشى اذا رغب والنابغة اذا رهب واستعار لفظ الحلبة وهي القطعة من الخيل تجتمع للسباق للطريقة الواحدة ورشح بذكر
الاجراء والغاية وقصبتها وذلك ان عادة العرب ان يضع قصبة في آخر المدى فمن سبق اليها واخذها فاز بالسبق والغلب وقوله فان كان
ولا بد اي من الحكم وانما حكم له بذلك باعتبار جودة شعره واكثرها لا انه دون غيره كما روي عنه برواية اخرى ان ابا الاسود سأله عن اشعر
العرب فقال لو رفعت للقوم غاية علمنا من السابق منهم ولكن ان يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة وهو الملك الضليل وسمي ضليلا
لكثرة ضلاله وقوته وقيل لانه ضل في آخر عمره وقيل لانه كان كثير التهتك اهلا للفسق كما في شعره وروي عن النبي ص قال امرؤ القيس
واخذ طرفة ما طاب من لحمها واخذ لبيد باطايبها واكبادها وبقيت عظامها وارواثها فاقتسمناها نحن مثل للبيكر ربيعين من
اشعارهم فقال الملك الضليل فقيل ثم من قال الفتى القتيل يعني طرفة فقيل ثم من فقال الشيخ ابو عقيل يعني نفسه وقال ع
الا حر يدع هذه اللماظة لاهلها انه ليس لانفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها اللماظة بضم اللام ما يبقى في الفم من الطعام ولفظها
مستعار للدنيا باعتبار قلتها وحقارتها ودعا الى تركها ثم جذب عنها بضمير صغراه قوله فانه الى قوله الجنة وهو كقوله تعالى ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وتقدير الكبرى وكلما كان ليس لانفسكم ثمن الا هو فينبغي ان لا تبيعوها الا به
وقال ع علامة الايمان ان تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك وان لا يكون في حديثك فضل عن عملك وان تتقي الله
في حديث غيرك اشار من علامات الايمان الى ثلث احدها ان تؤثر الصدق الضار على الكذب النافع محبة للفضيلة وكراهة للرذيلة
الثانية ان لا يكون في حديثه فضل وزيادة عن عمله وهو العدل في القول والاحتراز من رذيلة الكذب الثالثة ان يتقي الله في حديث غيره
فلا يخوض في عرضه بغيبة او سماع منها وقيل اراد ان يحتاط في الرواية عنه حديثه كما هو وقال ع يغلب المقدار على التقدير حتى
يكون الآفة في التدبير المقدار القدر ولما كان الانسان جاهلا باسرار القدر كان بناء تقديره وتدبيره لنفسه وما يعتقده مسببا
للمصلحة ان يكون من اسباب مفسدته وهلاكه وقد مر بيان ذلك وقال ع الحلم والاناة توامان ينتجهما علو الهمة استعار لهاتين الفضيلتين
لفظ التوامين باعتبار استلزام علو الهمة وصدورهما بواسطتهما وذلك ان عالي الهمة يستحقر كل ذنب ومذنب في حقه فيحلم عنه ويتانى عن المبادرة
الى مقابلته وقال ع الغيبة جهد العاجز اكثر ما يصدر الغيبة عن الاعداء والحساد الذين يعجزون عن بلوغ اغراضهم وشفاء صدورهم
فيعدلون الى الطعن تشفيا من اعدائهم لما يجدون فيه من اللذة ونفر عنها بنسبة فاعلها الى العجز وانها غاية جهده ليانف من ذلك لنقصانه
ولا يرضى به وقال ع رب مفتون بحسن القول فيه واصل الفتنة الانصراف اي رب منصرف عن تحصيل الفضيلة وبالطاعة وكمالها بالمدح
والاطراء كمن يمدح بكثرة العبادة مثلا فيغره ذلك الى الاقتصار على ذلك القدر منها قال السيد وهذا حين انتهاء الغاية بنا الى قطع
المختار من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع حامدين لله سبحانه على ما من به من توفيقنا لضم ما انتشر من اطرافه وتقريب ما بعد من اقطاره ويقرر
العزم كما شرطناه اولا على تفضيل اوراق من البياض في آخر كل باب من الابواب ليكون لاقتناص الشارد واستلحاق الوارد وما عسى ان يظهر
لنا بعد الغموض ويقع الينا بعد الشذوذ وما توفيقنا الا بالله عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل واقول انه رض بلغ في انتخاب
كلامه ع الى هذه الغاية وقطع عليها ثم كتبت على عهده زيادة من محاسن الكلمات اما بخطه او بعض من كان بحضرته من اهل العلم و
الزيادة تارة توجد خارجة عن المتن وتارة توجد فيه ملحقة منقطعة عن خطه ويروى انها قرئت عليه وامر بالحاقها بالمتن واولها وقال ع الدنيا
خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها واراد بها خلقت للاستعداد فيها لدار ثواب الله في الآخرة لا ليلتذ بها الجاهلون وقال ع ان لبني
امية مرودا يجرون فيه ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثم كادتهم الضباع لغلبتهم والمرود هنا مفعل من الارواد وهو الامهال والانظار وهذا
من افصح الكلام واغربه فكانه شبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه وقد اختلفوا انتقض نظامهم بعد اقول استعار لفظ
المرود لمدة دولتهم ووجه المشابهة هو ما ذكره السيد والكلام ظاهر الصدق فان دولتهم لم تزل على الاستقامة الى حين اختلافهم وذلك
حين ولي الوليد بن يزيد فخرج عليه يزيد بن الوليد فقتله وتناسخ دعاة بني العباس بخراسان واقبل مروان بن محمد من الجزيرة يطلب الخلافة
فخلع ابراهيم بن الوليد وقتل قوما من بني امية واضطرب امر دولتهم وكان زوالها على يد ابي مسلم وكان في بدو امره ضعيف خلق الله
ففي ذلك تصديق قوله ع ثم كادتهم الضباع لغلبتهم ولفظ الضباع قد يستعار للاراذل والضعفاء وهذا من كراماته
في مدح الانصار هم والله ربوا الاسلام كما يربى الفلو مع غنائهم بايديهم السباط والسنتهم السلاط الفلو المهر والسباط السماح ويقع
للحاذق في الطعن انه لسبط اليدين يريد انه ثقيف فيه والسلاط الحديدة الفصيحة وشبه تربيتهم للاسلام وحمايتهم له بتربية الفلو

على اوهام الاشعرة بما نحاذ فيما دبره هو لنفسه

ووجه الشبه

ووجه التشبيه مشابهتهم به وحسن زراعته الى حين كما لو قال ع العين وكاء السه قال السيد هذا من الاستعارات العجيبة كانه شبه السه
بالوعاء والعين بالوكاء فاذا اطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء قال وهذا القول في الاشهر الاظهر من كلام النبي ص وقد رواه قوم لامير المؤمنين
وذكر ذلك المبرد في كتاب المقتضب في باب اللفظ بالحروف وقد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية
واقول انه استعار لفظ الوكاء وهو رباط القربة للعين باعتبار حفظ الانسان في يقظته لنفسه من ان يخرج منه ريح ونحوها كما
يحفظ الوكاء ما يوكى به وفي ذلك ملاحظة تشبيه السه بالوكاء كالقربة ومن تمام الخبر عن رسول الله ص فاذا نامت العينان استطلق
الوكاء وقال ع في كلام له ووليهم وال فاقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه المنقول ان الوالي هو عمر بن الخطاب من خطبة طويلة له
ايام خلافته يذكر فيها قربه من رسول الله ص واختصاصه له وافضائه باسراره اليه الى ان قال فيها فاختار المسلمون بعده بارائهم رجلا
منهم فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف وحد كانا فيه ووليهم بعده وال فاقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه على عسف
وعجز كانا فيه ثم استخلفوا ثالثا لم يملك امر نفسه شيئا غلب عليه اهله فقادوه الى اهوائهم كما تقود الوليدة البعير المخطوم فلم يزل الامر
بينه وبين الناس يبعد تارة ويقرب اخرى حتى نزوا عليه فقتلوه ثم جاؤا بي مد الدبا يريدون بيعتي في كلام طويل والجران مقدم
عنق البعير وضربه بجرانه كناية بالوصف المستعار عن استقراره وتمكنه كتمكن البعير البارك من الارض وقال ع ياتي على الناس زمان
عضوض يعض الموسر فيه على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله سبحانه ولا تنسوا الفضل بينكم تنهد فيه الاشرار وتستذل فيه الاخيار
ويبايع المضطرون وقد نهى رسول الله ص عن بيع المضطرين تنهد اي ترتفع وتعلو وذكر للزمان مذام احدها استعار لفظ العضوض
باعتبار شدته واذاه كالعضوض من الحيوان ويقول للمبالغة لعل الثانية يعض الموسر فيه على ما في يديه وهو كناية عن بخله بما يملك
ونبه على صدق قوله ولم يؤمر بذلك بقوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم فانه يفيد الندب الى بذل الفضل من المال وذلك ينافي
الامر بالبخل الثالثة انه تعلو فيه رجز الاشرار وتستذل الاخيار الرابعة ويبايع فيه المضطرون يحكرها الائمة الجور ونبه على نهي
ذلك بنهي الرسول ص وقال ع يهلك في رجلان محب مطر وباهت مفتر هذا مثل قوله يهلك في رجلان محب غال ومبغض قال فالمحب المطري
بكثرة المدح كالغلاة هم في طرف الافراط والذي يبهته ويفتري عليه بانه كافر ونحوه كالخوارج هم في طرف التفريط وكلاهما رذيلتان
خارجتان عن فضيلة العدل فيه وقد علمت انه رذايل مهاوي الهلاك الاخروي وقد سبق مثله وسئل ع عن التوحيد والعدل فقال
التوحيد ان لا تتوهمه والعدل ان لا تتهمه وهاتان الكلمتان في غاية الشرف وعليهما مدار العلم الالهي الكلمة الاولى اصل كلمة
تبنى عليها التوحيد والتنزيه وقد بينا مفهومها في اول الخطبة الاولى من الكتاب وجملة القول فيها هيهنا انه لما كان الوهم انما
يدرك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوس ولا بد ان يستعين في ادراكه وضبطها بالقوة المتخيلة حتى يصوره ويلحقه بالصور المحسوسة
وكان الباري تعالى منزها بمقتضى العقل البرهاني عن المحسوسات وما يتعلق بها لا جرم لم يجز ان يوجه الوهم في تصوره ويجري عليه انه المقدس
احكامه اذ لا يكون في تصوره الا كذلك لانه اذا كان محسوسا او متعلقا بالمحسوس الذي من شانه الكثرة والتركيب المنافيان للوحدة
المطلقة فيكون قد عرى التوحيد بخاصته من خواصه وهي لازم سلبي واما الكلمة الثانية فالمراد من العدل اعتقاد حكمه العدل
في جميع افعاله تعالى واقواله ومن لوازم ذلك تخاصه بان لا يتهم العبد انه يجبره على القبيح ثم يعاقبه عليه او انه يكلفه ما لا
يطيقه ونحو ذلك من مسائل اصول الدين التي اعتمد فيها المعتزلة على ظواهر كلامه ع وقال ع لا خير في الصمت عن الحكم كما انه لا
خير في القول بالجهل الصمت عن رذيلة تفريط من فضيلة القول والقول بالجهل رذيلة افراط ولا خير فيهما بل فيما يتوسطهما من
القول بالحكمة وقال ع في دعاء استسقى به اللهم اسقنا ذلل السحاب دون صعابها قال السيد هذا من الكلام العجيب الفصاحة وذلك انه شبه
السحاب ذوات الرعود والبوارق والرياح والصواعق بالابل الصعاب التي تقمص برحالها وتتوقص بركبانها وشبه السحاب الخالية
من تلك الروايع بالابل الذلل التي تحتلب طيعة وتقتعد مسمحة واقول ان لفظي الذلل والصعاب مستعاران للسحاب لمكان المشابهة
التي ذكرها السيد وتتوقص بهم ركابها اي تتوثب بهم نزوا القفازين والمقارب الخطو والروايع الامور المخوفة وقيل له ع يا امير المؤمنين
لو غيرت شيبك فقال الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة يعني وفاة رسول الله ص وقال ع منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب
دنيا النهم بالفتح افراط الشهوة في الطعام ولفظه مستعار لشدة طلب المتعلم وحرصه على العلم وطلب صاحب الدنيا وكل في ضعف
عدم الشبع منهما والكلمة مروية عن رسول الله ص منهومان لا يشبعان منهوم بالمال ومنهوم بالعلم وقال ع القناعة مال لا ينفد وقد
نقلنا هذا الكلام عن النبي ص واستعار لفظ المال للقناعة بوصف عدم النفاد باعتبار ان بها الغنى الدائم كالمال الباقي ابدا
وقال لزياد ابن ابيه وقد استخلفه لعبد الله بن عباس على فارس واعمالها في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقديم الخراج استعمل
العدل واحذر العسف والحيف فان العسف يعود بالجلاء والحيف يدعو الى السيف اقول استعمال العدل وحذره من حيف الناس وعنفهم
وحملهم على مكاره ونفرهم عن ذلك بضمير صغراه قوله فان العسف اي يعود بجلاء المعسوفين عن اوطانهم وظاهر ان الظلم مفسد لذلك

والكلام

عظيمة وجاذبها

من الحكمة

يا امير المؤمنين

في مراتب الذنوب شدة وضعفا

اقول اشد الذنوب ما استخف به صاحبه وذلك لان الاستخفاف به مستلزم لعدم المبالاة به والجرأة عليه كما يشير اليه قوله عليه السلام ولعلنا لم نستعظم عظيم ذنب الستر على الظالم من عزه وتقديره الكبرى وكلما كان كذلك فيجب اجتنابه اشد من غيره
يد وما عليه لا يستعظمها اياه حتى يصير مهلكة وخطئا لا ينفك عنه بخلاف ما يستصعبه فانه يوشك ان يقلع عنه قبل استحكامه
وتقدم تفسيره وقال عليه السلام ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لما كان التعلم على الجاهل فرضا
ولا يمكن الا بمعلم عالم كان وجوب التعلم على الجاهل مستلزما لوجوب التعليم على العالم وفي الخبر المرفوع من تعلم علما فكتمه
الجمه الله يوم القيمة بلجام من نار وروي معاذ بن جبل عن الرسول عليه السلام انه قال تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث
عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لاهله قربة معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والمؤنس في الوحشة والمحدث
في الخلوة والجليس في الوحدة والصاحب في الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء والزين عند الاخلاء والسلاح على
الاعداء وقال عليه السلام شر الاخوان من تكلف له اي من احوج الى الكلفة له وذلك لان الاخوة الصادقة تستلزم الانبساط ابين الاخوان
وترك التكلف من بعضهم لبعض فكان عدم هذا اللازم ووجود التكلف مستلزما لعدم ملزومه وهو صدق الاخاء ومن لا يكون
اخ صدق فهو شر الاخوان والكلمة في قوة صغرى شبهه على اجتناب الاخ كذلك وتقدير كبراها من احوج الى التكلف له فهو شر الاخوان و
تقدير الكبرى ومن كان شر الاخوان يجب مجانبته وقال عليه السلام اذا احتشم المؤمن اخاه فقد فارقه حشمه احشمه
بمعنى اغضبه وقيل اخجله والكلام صغرى ضمير نفر به عن احتشام الاخ لاخيه وذلك لان احتشامه له على كلي
المعنيين يوجب نفرته وعدم انسه وهو من دواعي مفارقته وموجباتها وتقدير ما هو في قوة
الكبرى ومفارقة الاخ لا يجوز فاحتشامه لا يجوز وبالله التوفيق والعصمة وقال
الشارح ره وهذا اخر ما وجدنا من اختيار السيد الرضي ره من كلام مولانا امير
المؤمنين عليه السلام واذ وفقني الله تعالى لاتمام شرحه فله الحمد سبحانه على
ما اعطاني له من منته الجزيلة وافاضه علي من نعمه الجليلة ومنه
المطلوب اليه ان يجعل ما كتبته حجة لي لا
علي انه المنان بذي الفضل والاحسان
وكتب عبد الله المحتاج الى رحمته
المستعيذ من ذنوبه
بعفوه وكرمه
ميثم بن
علي بن ميثم
البحراني في منتصف ليلة السبت
سادس شهر الله المبارك رمضان عمت بركته
من سنة سبع وسبعين وستمائة والحمد لله كما هو اهله
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى اله الطاهرين الاكرمين وسلم تسليما

الحمد لله الهادي الى الصواب وجاعل الانبياء والائمة الوسائل الى الرشاد ودرائع العباد الى رب العباد والاولياء شفعاء يوم التناد اما بعد فان الكتاب المستطاب
المسمى بشرح نهج البلاغة للعالم الرباني والفاضل الكامل العيلسوف المحقق والحكيم المدقق قدوة المتكلمين زبدة الفقهاء والمحدثين كمال الدين
ميثم بن علي بن ميثم البحراني من اجل الكتب المصنفة في شرح المسائل المهمة من تبيين الدلائل وحل المشكلات والكشف عن المستورات وتوضيح الغوامض
والمشكلات وفي بيان الاشارات والاستعارات فلا فائدة الا وقد اودعها فيه ولا دقيقة الا وقد اودعها وفي كل فن ذي الامجاد الكامل
الجناب المفخم المعظم الاكرم الاعظم مولانا التقي ملا باقر المجيد موسى لعمري انه لنبذ من النبذ وقد سعى في هذا الشأن حتى منه تعالى بالتوفيق
ظفر منه بالامل وظفر بانامل قابل الافاضل ومشايخ الكتاب والمعالي الاوصياء الحاج ميرزا محمد الخوانساري الذي برع في كتابته وحسن اسلوبه من ترك الاسلام
الاشعار والاجلال وورد لسان الحال والموفق لسيرة بيان لطيف صالح الافتخار وامثالها التامل والافتكار الى محمد رضي
فنفعنا الله وامثالنا بفوائده كما نفعوا والحمد لله اولا واخرا وقد وقع الفراغ من كتابته في يوم يكشنبه رابع من شهر صفر المظفر من شهور سنة ١٢٧٦